من وحي النيل

بقلم وديع ديب

لقد احسست وانا واقف على شاطيء نهر النيل بان الارض توشك ان تنهار تحت قدمي . فقد راعني هذا المنظر الرهيب منظر غمر من الماء يجري متدافعا الى مستقر قد يضيق عن فيضه العارم . ولا ادري كيف استحوذ علي شعور صبياني بان الاهرام ما ارتفعت فوق مناكب ارضه الا لتمكنها من الصمود امام هذا الغمر الجارف. واحسست اذ ذاك بان مثل هذا النهر العظيم جدير بان يوحي بكل جليل رائع . واخذت تتداعى الافكار في ذهني وتتزاحم الاماني في نفسي تزاحم الامواج المتواكبة في شواطئه البعيدة ! وهنا تذكرت ان شاعر العرب الكبير ابا الطيب المتنبي كان قد تلاقى وهذا النهر الكبير في مهرجان العطاء السخي ، وهتف على شواطئه الغامرة :

اقل اشتياقا ايها القلب ربما رأيتك تصفي الود من ليس صافيا
خلقت الوفا لو رجعت الى الصبا لفارقت شيبي موجع القلب باكيا
ولكن بالفساط بحرا ازرته حياتي ونصحي والهوى والقوافيا

وعجبت كيف لم يحفل الشاعر العظيم بالنهر العظيم بحيث يضفي على مغانيه وشيا من سحر بيانه وروعة انشاده . والظاهر ان النيل لم يكن في نظره سوى رمز للعطاء في مداه الواسع :

قالوا هجرت اليه الغيث قلت لهم الى غيوث يديه والشآبيب
الى الذي تهب الدولات راحته ولا يمن على آثار موهوب

على ان الرياح جرت بغير ما تمنى شاعرها حتى اذا ما عاد من مصر فاشلا اخذ يعرض بكافور عاتبا على الايام التي مهدت له طريق الوصول الى عرش بلد يجري النيل في واديه سخيا كريما . في حين ان هذا الملك الضنين كان يترقب مجيء ضيوفه ليأكل من زادهم وبالتالي ليسيء اليهم ويمنعهم من مغادرة ارضه مخافة التكسب والانتفاع. فكيف يطيب بعد هذا للمتنبي ان يعيش مفردا على شواطيء النيل في ظل ملك حقير يصغر عن ان يكون رافدا صغيرا من روافده . وكان لا بد له هنا من ان يتذكر اميره الحمداني في لقائه وسخائه ، فاذا به يهتف من حيث لا يعي :

نفس البعد عنك قرب العطايا مرتعي مخصب وجسمي نحيل
ان تبوأت غير دنياي دارا واتاني نيل فانت النيل
من عبيدي وان عشت لي الف كافور ولي من نداك ريف ونيل

وكما نظر المتنبي للنيل في الامس البعيد هكذا نظر اليه شاعره حافظ ابراهيم في الامس القريب ، فلم يكن هذا النهر الغامر بحسب رأيه ، سوى مصدر خير لابنائه يكفيهم مؤونة التطلع الى مناهل ثانية بحيث يبعد عنهم حبائل المستعمرين :

ارى احداثكم ملكوا علينا بمصر موارد العيش الرغيد
وقد ضقنا بهم وأبيك ذرعا وضاق بحملهم ذرع البريد
فتح غضاضة «التاميز» عنا كفانا سائح النيل السعيد

هذا وما اعلم اذا كان حافظ ابراهيم قد استحق لقب شاعر النيل لمجرد ولادته على ظهر سفينة كانت تتهادى على ثبج مائه ، وليس من همي ان ابحث في هذه الكلمة العابرة عن الالقاب الادبية وكيفية توزيعها على اصحابها في تلك الايام ، وانما همي ينحصر في التعرف بالجو الذي هيأه وادي النيل لمستلهميه من الشعراء . اقول هذا اعتقادا مني بان الانهار العظيمة جديرة بخلق الآداب العظيمة . وطبيعي أن يكون الفرق شاسعا بين شعب يعيش في القفر الجديب وآخر يعيش في الوادي الممرع الخصيب . ان الحضارة الواسعة لا تكون بغير الخصب الواسع . فالماء حياة كل ذي روح وقوام كل نمو وتقدم . كما في الآية الكريمة « وجعلنا من الماء كل شيء حي » . من اجل هذا فان الكثير من روعة شعر المتنبي يعود بالدرجة الاولى الى ما استوحاه من روائع الانهار والبحار . ولولا ذلك لما اتحفنا بمثل هذا القول الحكيم :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

على انه من الخير بعد هذا العرض السريع ان احدثك عن الشاعر الذي قصدته في هذه الكلمة العجلى . وليس من المستلزم ان يكون حديثي عنه دليلا على ايثاره . فانه مهما يكن حظه من الابداع فلن يجرؤ احد على تقديمه على ابي الطيب . واعني به الشاعر علي محمود طه المهندس الذي لطف الماء من شعوره ، فجاء انشاده رقيقا كالندى ، هامسا كاليبوع . اليك كيف يصف الشواطيء المصرية :

حييناك ارضا وازدهاك سماء بحر شدا صخرا وصفق ماء
يحبو شعابك في الضحى قبلاته ويرف انفاسا بهن مساء
ولع بتخطيط الرمال كأنه عرافة تستطلع الانباء

وغني عن البيان ان الشاعر كان شغوفا بالبحار والانهار والبحيرات فلم يكن يطيب له مجلس بغير الماء . وقد استهوته مدينة فنيس الايطالية بشوارعها المائية ، حيث يتهادى الشراع أثر الشراع وعليه من الحسان اسراب تملأ القلب بهجة وسلاما . ولكن فنيس لم تكن لتنسيه وادي النيل ، وهنا يكمن سر الابداع في اخلاصه الفني . ولعل قصيدة الجندول ، هي اروع قصائده حسا واجملها صورة والطفها ظلا ، لما اشتملت عليه من ذكريات ندية صافية :

اين من عيني هاتيك المجالي يا عروس البحر يا حلم الخيال
اين عشاقك سمار الليالي اين من واديك يا مهد الجمال
موكب الغيد وعيد الكرنفال وسرى الجندول في عرض القنال

قلت والنشوة تسري في لساني هاجت الذكرى فاين الهرمان
اين وادي السحر صداح المغاني اين ماء النيل اين الضفتان

آه لو كنت معي نختال عبره بشراع تسبح الانجم اثره
حيث يروي الموج في ارخم نبره حلم ليل من ليالي كيلوبتره

في مثل هذا الجو الحالم الحزين يعيش الشاعر لياليه

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحائك

يمناه دون النول تنتجع ... ما كرت الآحاد والجمع
لا تأتلي يمناه ناسجة ... حللا على العورات تتسع
عريانة تسعى ومن عجب ... في مثلها الحرمات تمتنع
عريانة والحق من أزل ... عار ونهج الحق يتبع
والمكر لا ينفك من زيف ... ببهارج الاسمال يلتفع
وتجيء بالاحسان سابقة ... في كل ما تأتي وتبتدع
وبكل ميدان تصول به ... أعلامها في الافق ترتفع
نسج ترى نور الربيع به ... متألقا يزكو ويلتمع

* * *

نول كان الغيب فيه ثوى ... متسلطا ينهي ويشترع
أو أنه اللوح الذي رسمت ... فيه العناية غيب ما يقع
من دونه الارزاق سائلة ... تجري على قدر وتنقطع
تتطلع الابصار شاخصة ... كالمستجير به وتنتجع
عين تلاحظه وترمقه ... ويد على الاوجاع ترتفع
يجزي على الاحسان صانعه ... في سعيه ويثاب مبتدع
وينوء بالحرمان من يده ... تنأى عن الجلى وتمتنع
ورأيت كسب المرء مرتهنا ... بمرير ما يمناه تقتطع

* * *

مرت كومض عقيقة يده ... في حالك والليل مكتنع
وجرت تؤلف بين مختلف ... وتضم منشعبا فيجتمع
فكأنها في جريها قدر ... لا تنثني كلا وترتدع
تسعى ومن عجب أناملها ... في حشوها الاسقام والوجع
عصف العياء بها فما وهنت ... وبطوقها للسعي متسع
واستعذبت مر السقام وهل ... في مورد الاسقام منتجع
حبكت جليلا ، لم تشن بأذى ... افوافه أو شابها طبع
واتت بنسج وشيه عجب ... يفتر عن زاه ويلتمع
يا رب ضاح حشوه شجن ... والمدمع من جنبيه ينهمع

دمشق — **عدنان مردم بك**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوارفة ، في ظلال الماء والصهباء ، وكأنما الحياة حلم جميل يبدده الضياء كلما اشرق الضياء :

ما ترى الاغيد وضاء الاسره ... دق بالساق وقد اسلم صدره
لمحب لف بالساعد خصره ... ليت هذا الليل لا يطلع فجره

وكان ان لفه الليل الذي تمناه وهو ما يزال في ميعة الصبا ، وهو الذي راعه في الامس موت زميله فوزي المعلوف في صباه الباكر ، فرثاه على غير معرفة واكتفى بان يتلو قصيدة الرثاء هذه ، على مسمع صديقه فؤاد صروف ، الذي اوحى بها يوم تلا عليه بعض المقاطع من قصيدة « بساط الريح » .

ومما قاله في صاحبه :

قد راعني موتك يا شاعري ... في ميعة العمر وفجر الشباب
وهزني ما فاض من خاطر ... كان ينابيع البيان العذاب

وبعد فما عساي ان اقول في الشاعر اكثر من هذا :

قد راعني موتك يا شاعري ... في ميعة العمر وفجر الشباب

وديع ديب



صديق شيبوب

صديق شيبوب

بقلم محمد رجب البيومي

اذا تعاطى الاديب الضليع بحثا علميا دقيقا كان اقدر على توضيحه من عالم متخصص لا يستعين بالادب ! تلك حقيقة ثبتت لدي من تجربة خاصة بي مع الكاتب الكبير الاستاذ صديق شيبوب ، وهانذا ابسطها للقراء .

كنت في سنة ١٩٤٩ طالبا بمعهد التربية العالي للمعلمين وكانت دروس علم النفس بين المواد التي يقوم بتدريسها الاساتذة المتخصصون ، وكلهم دكتور في علمه يحمل ارقى الاجازات العلمية ، فكنت اسمع الى اساتذتي فأجد حشودا من المصطلحات العلمية والتعريفات المنطقية تتابع في كل محاضرة دون ان استشف خلاصة واضحة للحقائق الجوهرية في علم النفس ، فاذا انتهت المحاضرات ورجعنا الى مصادرها في كتب الاساتذة لم نكد نجد فرقا بين المحاضرة ومراجعها ، لان الدكتور المدرس قد نقل الحرف المطبوع الى لفظ مسموع فقط ، اما التشدق بالالفاظ الافرنجية فما اكثره واوفاه فاذا حاولت ان تستوضح ما وراءها من المعاني قيل لك ان الدراسات الجامعية على نظام المحاضرات لا تسمح بالشرح والتوضيح فالاستاذ يلقي فقط وعليك ان تصل الى كل شيء بنفسك ! ثم جاء دور العلامة النفسي الكبير سيجموند فرويد في الدراسة ، فهالنا ان تسرد نظرياته سردا في الفاظ من العربية والانجليزية والفرنسية معا متخمة بالمراجع دون تحليل مبسط لاحدى هذه النظريات يسير بالطالب من درجة الى درجة حتى يصعد الى الدرجة الاخيرة في سلم فرويد ، فاكتأبت لما اشهد ، وصادف ان قابلت استاذي الدكتور زكي مبارك فشرحت له مأساتي مع فرويد ولم اقل مع اساتذة المعهد نادبا فاشار علي ان اراجع بحوثا متوالية عن العلامة الكبير نشرها الكاتب القدير الاستاذ صديق شيبوب في ذكراه الاولى ، ودل على موضعها من الرسالة فتفضل استاذي الجليل احمد حسن الزيات ومنحني اعداد السنة الثامنة باجمعها ، واخذت اقرأ مقالات صديق فماذا رأيت ؟ رأيت ان الكاتب بدأ بحوثه بايضاح عن نشأة الرجل وتكوينه ، فعرض ظروف طفولته وشبابه ودراسته وقراءاته وتجاريبه ، وجلا كثيرا من اخلاقه وعاداته وملاحظاته وحلل عوامل نشاطه وافانين مذاهبه ليبين كيف اهلته الى النجاح في عمله كطبيب والتفوق في بحوثه كعالم مكتشف ، ورسم الخطوط البارزة لسلوكه العملي والعقلي فهو يؤثر الوضوح والجلاء محللا كل دقيق حتى تنجلي خباياه ! ومن هنا كان شغفه بالتحليل النفسي وهو بعد قاس عنيف صارم متئد يدير الفكرة في نفسه سنوات حتى يجزم بها فيقدمها للعالم في وثوق وعناد ! ثم جلا طرفا من تجاريبه على مرضاه واستخلاصه العجيب لما عرف على يده من العقل الباطن مبينا طبقات النفس البشرية ومحللا اعماقها وشارحا اندفاعاتها الواعية وغير الواعية مهتديا الى رموز النفس المجهولة كالافعال الفائتة والفلتات اللسانية والاحلام موضحا اهمية الغريزة الجنسية اذ كانت اهم القوى الفعالة في رأيه دارسا بعض الشذوذ الذائع في حياة مشاهير الرجال حتى اقام مذهبه النفسي صرحا وطيد الدعائم ! وصار من القوة بحيث يدور حوله اكثر ما تلاه من البحوث النفسية !! وقد خرجت من مقالات شيبوب الخمس بما لم اكسبه من دراسة عام كامل بين اساتذة نابهين .

هذه تجربة قديمة .. ذكرتني بها تجربة حديثة ، فقد طلب مني في العام الماضي ان القي محاضرة عن القومية العربية ! وكانت المراجع من الفزارة والوفرة بحيث تجعل جهد المحاضر سهلا غير عسير ! وبعد ان قمت بجولات طويلة في بعض ما كتب ، وقع في يدي كتاب الاستاذ صديق شيبوب في القومية العربية ، فيالله كم حوى هذا السفر المحدود من الحقائق ما غاب عن اصحاب المجلدات الضخام! وكانت استقامة منهجه وتسلسل ابوابه ، ووضوح افكاره ، وعمق نظراته مع عذوبة تعبيره مما اجلسه الصدارة فيما ألف ونشر ، ! فقد تحدث عن القوميات بوجه عام متجها الى القومية العربية في الجاهلية فصدر الاسلام متحدثا عما اعترضها من الحركات الهدامة ليصل سلسلة التاريخ الى الدولة العباسية مسهبا في انتفاضات الشعوبية وموجات القرامطة والصليبيين والتتار حتى اذا انتهى الى العصر الحديث افاض افاضة الدارس المستوعب ، ونظر بعين الصقر الى معترك الشرق والغرب واحداثهما المباغتة محللا كل حدث على حدة ، حتى اكتمل له بحث شائق في ثلاثين

ومائة من الصفحات ! وان تاريخا كتاريخ القومية العربية لا يتبلور في هذا الحيز المحدود الا لدى يراع مثقف مجيد! اذ ان موهبة الاستاذ صديق شيبوب ترجع في بعض مميزاتها الى جودة الانتخاب ! فاذا كثرت لديه الحقائق اختار من بينها ما يغني عن غيره ثم لا يغني عنه سواه ! اعرف لديه هذه الجودة الصائبة في اكثر ما طالعته من آثاره بل اذكر اني قرات في كتابه «شخصيات عربية» دراسته النفسية لرفاعة الطهطاوي فادهشني ان اجد ما استشهد به من رحلته الى باريس هو انفس ما كتب رفاعة ، وقد رجعت الى الرحلة ظانا ان بها الكثير من امثال ما قدم صديق ! ولكني وجدت الكاتب قدم احسن ما قرا والطفه واغربه ! فتاكد لدي ما عهدته فيه من براعة الاختيار .

* * *

هاجر شيبوب من اللاذقية الى الاسكندرية منذ اكثر من خمسين عاما ، وكان اخوه الشاعر الكبير خليل شيبوب قد سبقه اليها من عامين ، فارتضياها دار اقامة وانصرفا الى رسالتهما الادبية في شغف وافتنان ، وكان كلا الاديبين نهم القراءة متيقظ الاحساس مشبوب العاطفة ، وله من شبابه المتطلع ، وآماله البعيدة معين على السبح الشاق في خضم الثقافة والفنون ، واذكر ان صديقي الاستاذ الكبير نقولا يوسف قد تحدث عن نشأتهما الاولى بافاضة في عدد ابريل سنة ١٩٦١ من مجلة الاديب ، وكان مما ذكر الصديق العزيز ان خليل مطران قد صادق الاخوين صداقة دائمة ، واذكر الآن ان اثر مطران في خليل يرجع بالغنم على فنه الشعري ، اما اثره في صديق فيرجع الى سلوكه الادبي اذ ان في طباع الاستاذ صديق شيبوب كثيرا من طباع مطران فقد اخذ عنه حلمه البعيد ، وسماحته المفرطة ، وايثاره البالغ ، لقد اشرف على تحرير الصحيفة الادبية بجريدة البصير قرابة اربعين عاما ، فرعى نابتة الادب رعاية رحيمة ، يقدم آثارهم في تقدير ، ويصحح اخطاءهم في خفاء ، ويعينهم بالمصادر والمراجع في كرم ، ثم اخذ على عاتقه ان يقول كلمة الترحيب في كل كتاب اسكندري تخرجه المطبعة ، فاذا كان لديه نقد ما ستره في لباقة واشار اليه اشارة الذكي اللماح في مقاله النقدي ، اما حين يخلو بالكاتب فيصارحه باخطائه في تودد ومجاملة ويرسم له وجوه الاصلاح فيما لو سمحت الظروف بطبعة ثانية للكتاب ، وقد عرف عن صديق تخصصه في عرض الكتب الحديثة فجعل مؤلفو العربية في شتى الاقطار يتوددون اليه باهداء مؤلفاتهم ليتحدث عنها ، حتى انك لو احصيت ما خص به الناقد المكتبة الحديثة من مقالات لوجدت ما يملأ مجلدات ذات اجزاء في مدى متطاول يبلغ الاربعين من الاعوام ! ولو لم يكن لصديق غير هذا الجهد الناقد المرحب لكان استاذ كل اديب اخرجته الاسكندرية منذ اربعين عاما ، ولكن جهاده الادبي اوسع من ان يقف عند لون معين من الكتابة والتعليق .

وظاهرة غريبة يلحظها دارس شيبوب ، فقد كان لا ينشر آثاره المتقاطرة في غير الصحف الاسكندرية وحدها ، ولكن جميع ادباء العربية عرفوه عن غير هذه الصحف الاقليمية ! اذ دابت امهات الصحف الادبية على نقل آثاره الرائعة في صفحاتها الذائعة ! اذكر في اول مجلس حظيت به مع الاستاذ منذ ثلاثة اعوام اني حدثته عن مقالاته عن فليكس فارس في المقتطف وعن بودلير وفي المجلة الجديدة وعن شعاب قلب بالثقافة وعن محي الدين بن عربي بالرسالة وعن اسماعيل ادهم بالحديث السورية وعن عشرات من امثال هذه الآثار الشهيرة ، فتعجب الاستاذ وذكر انه يسمع ذلك لاول مرة مني لانه كتب هذه المقالات جميعها في جريدة البصير ونقلها الناقلون دون ان يعلم !! هذا غير احاديثه النقدية عن الكتب الجديدة فقد دأب مؤلفو الكتب ان ينسخوا صورا منها وان يبعثوا بها الى الصحف السيارة ممهورة باسم صديق والكاتب لا يعلم شيئا عن مقالاته التي تنهمر هنا وهناك ! والغرابة في هذه الظاهرة ان الكاتب الذي يحرص على عرض نتاجه في اقليم ضيق لم يستطع ان يتقيد برغبته اذ كانت قوة هذا الانتاج ودسامته اقوى من ان تنحصر في جدول الاسكندرية ، فشقت طريقها تلقائيا الى المحيط الكبير ! وهذا مما يطمئن ذوي الاصالة من الكتاب الى خلود آثارهم مهما وقفت دونها الحوائل ! ولك أن تعجب معي لجريدة تجارية اقليمية كالبصير يخصها كاتب هادف بمقال اسبوعي خصب ، فتصبح مرجعا ادبيا للقراء في العربية ، وتنال من الشهرة في المحيط الادبي ما تناله جريدة لامعة سيارة كالاهرام ! لك ان تقرأ كثيرا من البحوث الادبية الدورية لترى اسم هذه الجريدة مقرونا باسم صديق ! بل اني اذكر أن الاستاذ شيبوب قد كتب مقالا عن مطران بتاريخ ٥ يونيه سنة ١٩٢٥ بالبصير ، فما تحدث احد بعد ذلك عن مطران الا اشار اليه او اخذ منه دون ان يشير !! على ان هذا الناقد المثالي الذي تحدث عن مئات الكتب ، اصدر في السنتين الاخيرتين اربعة مؤلفات عن القومية العربية ومعارك الاسكندرية والعدوان الثلاثي والشخصيات العربية فنفذت من السوق لدن صدورها ، ولكن احدا من هؤلاء الذين غمرهم الاستاذ بالتحليل ، وقومهم بالنقد وهم اكثر من مائة لم يكتب عن كتاب واحد من روائع صديق ! فهل يكون العقوق في الحياة نصيبا مفروضا على ذوي السماحة الدمثة من امثال صديق ! او ان هؤلاء بشر لا يرتفعون الى مستوى رائدهم الكبير . وارى من اللائق ان استثني الاستاذ وديع فلسطين والاستاذ نبيل فرج حيث تحدثا عن كتب الاستاذ بما يجب وقد جاءت كلمة وديع فلسطين بجريدة وطني دون توقيع صريح، وتوالت كلمات نبيل في حيدة واخلاص .

* * *

لم يكن صديق مقيدا بمنهج خاص في مقالاته الاسبوعية بالبصير بل كانت المناسبة الطارئة كثيرا ما تحدد موضوعه،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فاذا كان احتفال كبير بذكرى عظيم من افذاذ الشرق والغرب جعل الاستاذ حديثه يدور حول المحتفل به ، واذا منحت جائزة عالمية لكاتب كبير خصه الاستاذ بالدراسة لعدة اسابيع، واذا مات كبير من ابطال العلم او السياسة او الفن انجذب الكاتب الى تحليل شخصيته وايضاح مواقفه ، واذا اخرجت المطبعة اثرا ذا بال تناوله محرر البصير بالتشريح والدراسة ، وله اذ ذاك عند النقد لمسات جيدة يدركها القارىء المستشف ، اذ ان ما ذكرناه عن تأثره بطباع مطران قد فرض عليه ان يكون لطيف التأتي لما يريد ، يتعرض مثلا الى دراسة جبهة الغيب لصديقه الراحل العزيز بشر فارس فيعرض مضمونها ، ويتحدث عن ابطالها كما صورهم بشر ، ويفيض في تحليل وقائعها ، ولكنه لا يتورط في الحكم على منزلتها الادبية ، وكأنه من وجهة نظره الخاصة لا يسلم بطريقة صديقه في التناول الادبي للقصة ، ولا ينسى ان يختم مقاله بقوله « ولقد فاتني التبسط في وصف اسلوب الدكتور بشر وشرح وسائله في تلمس البلاغة والشأو البعيد الذي يبلغه منها وفاتني ايضا ان ابين مقام هذه المسرحية بين مختلف انواع المسرحيات التي تتصل بالفكر وتعتمد على المعاني والاحاسيس اكثر مما تعتمد على تطور الحوادث والفجاءات واذا كان المجال لم يتسع لجميع هذا فان القارىء لا شك سيتبينه عندما يطالع المسرحية » .

لباقة حصيفة من صديق بلا شك ! فقد احتاط لنفسه ولم يشأ ان يدعو مع صديقه الى منهج لا يرتاح اليه ، وليست صداقته لبشر التي حالت دون تورطه ولكنها طبيعة اخلاقه مع الصديق وغير الصديق !

لقد تحدث مثلا بمناسبة مهرجان الشاعر اللبناني بشارة الخوري عن شاعرية الاخطل محللا واصفا ، وقد اخذ عليه تكرار معانيه في قصائده ولكن طبيعة اخلاق الكاتب لم تشأ ان تكشف اللثام عن هذا التكرار في سفور فاضح ، وانما اشار اليه اشارة بعيدة حين قال :

«نشأ بشارة الخوري شاعرا مجددا في اسلوبه واحاسيسه وخياله ، يعالج في شعره موضوعات لم يعرض لها سوى القلائل فتقرأ له مثل قصيدة هند وامها حين تشكو هند ما احست به اذ قبلها الضحى وضمها الدجى فحباها من شعره خصلتين والقى على جسمها نجمتين ، وكحل من ذائب لونه عينيها ، ومد الروض يده الى صدرها واعطاه رمانتين ، وقدم لها الروض وردتين ، ولعل الوصف على هذه الطريقة اعجب الشاعر فاستعاده ببعض التعديل في قصيدته من مآسي الحرب اذ وصف كذلك كيف اهدت المها الى مي بطلة القصيدة المقلتين والعنق وكسا الروض بالورود وجنتيها ورمى في صدرها رمانتين واختار الليل المقام في شعرها وهام بها الفجر حتى اضحى درة في ثغرها » .

هذا الحياء الادبي نبيل ومؤثر ، نبيل لانه يصور نفسا حساسة يسوءها ان يعلم احد عنها سوءا فيما تهدف اليه فهي تبالغ في التهدئة والتلطف حتى تصل الى هدفها النقدي دون ان تغضب الحق او تسيء الى احد تحت ستار الاخلاص للفن ، ومؤثر لانه مع تلطفه الهادىء قد بلغ مبلغ النقد الثائر ، وترك للكاتب ان يرضي ذمته فيعلق رايه ولكن في همس واضح له حرارة العتاب ورقة الحنان !

عرض الاستاذ شيبوب ذات مرة لكتاب صديقه الاديب الكبير الاستاذ محمد خلف الله احمد عن معالم التطور الحديث في اللغة العربية وآدابها ، فسجل ما ارتآه من مميزاته الكثيرة ولكنه لحظ ـ صادقا ـ ان المؤلف قد اقتصر في بحثه بالفصول الثلاثة الاولى على الكتاب المصريين وحدهم دون السوريين واللبنانيين مثلا ! وهي ملحوظة موضوعية لان تطور اللغة في هذا القرن قد تفاعل بمجهود الاقطار الثلاثة وغيرها مجتمعات ! ولكن الاستاذ صديق يلتمس العذر للاستاذ خلف الله بأن ذلك يتمشى مع العنوان الفرعي لكتابة مصر في القرن التاسع عشر ! وهو التماس قد ينقضه ان العنوان الفرعي نفسه يصبح موضع المؤاخذة لان الحديث عن تطور اللغة ينبغي الا يقف عند مصر وحدها!

وكثير ممن يكتبون المقالات الادبية بالصحف اليومية يلجأون الى المطروق من القول ، الذائع المصدر ، السهل المتناول بحجة انهم يكتبون للقارىء العادي فيقدمون له وجبة سهلة تشبع جوعه المحروم ! ولو فعل الاستاذ صديق ما يفعلونه ما كان له اثره البعيد ، لانه اخذ فنه مأخذ الجد الصارم فكان يعكف على القراءة دون ملل حتى يستقيم له المبتكر الطريف من الحديث والدسم السمين من القول ، فاكثر قراء العربية مثلا لم يكونوا يعلمون شيئا عن الادب الفنلندي ، فانتهز الاستاذ صديق مناسبة الحرب العالمية الثانية حين هجمت روسيا على هذه الدويلة الصغيرة ، وكتب المقالات عن ادبها وملاحمها وشعرائها وتحدث مجيدا عن طبيعة المناخ الفنلندي واثره في تلوين الادب والفن والم بعهود الوثنية وادوار الطفولة لدى الامة الفنلندية وتحدث عن الاغاني والاناشيد الحماسية والملاحم الوطنية وضرب الامثلة بابيات من خوالد « لياس لونرو » وبعض روائع كاليفالا الاخاذة وقصائد « جوهان اوبترج » وغيرها فأتى القراء « بالغائب البعيد » ، على انه حين يتحدث عن « الحاضر القريب » يقدم طريفا غير مملول اذ يعدل به الى منحى مبتكر يستقيم اسلوبه استقامة تكسبه سمات الجدة والابتكار ومن امثلة ذلك مقالاته الرائعة عن البحتري بمناسبة مهرجانه ، فقد قدمت الشاعر الشهير في معرض جديد ، واستلهمت ما عرف من المصادر وما جهل ! والفنان الاصيل هو الذي ينفخ روحه في انتاجه ، فيكسبه نفاذا وتأثيرا لا يختلفان في موضوع دون موضوع .

وقد جرى الاستاذ اشواطا موفقة في مضمار القصة فارتضى النهج الواقعي ، ورسم البيئة المصرية في مشاهد زاهية كما ترجم عدة اقاصيص للمشاهير من اعلام هذا الفن ولخص قصصا اخرى كان آخر ما قرأته منها تلخيصه

الجميل لقصة « القديسون يذهبون الى الجحيم » ! وهو فيما يترجم او يلخص يعرض انماطا رائعة مشتهاة ، لا في باب القصة وحدها بل في الفصول العلمية الرصينة ، اذكر ان المستشرق الفرنسي الكبير ليفي بروفنسال قد قدم الى الاسكندرية سنة ١٩٤٧ وقام بالقاء عدة محاضرات عن تأثير الشعر الاندلسي في الشعر الاوروبي واشتاق قراء العربية الى الالمام بمضمونها فلخصها الاستاذ صديق تلخيصا مركزا بمجلة الكتاب المصرية آذ ذاك ، وقد طالعتها حين صدورها فخيل الي انها نبذ مختارة من نقاط كثيرة متفرعة واشتقت ان ارى النص الكامل حتى سمحت الايام بترجمة حرفية للمحاضرات نشرت في كتاب خاص بين سلسلة الالف كتاب مع فصول مماثلة لبروفنسال ، وقد ادهشني بعد مراجعة الدراسة ان الاستاذ صديق لم يترك شيئا فيما لخص رغم تركيزه ، وقد امتاز اسلوبه بسلاسة رائعة لا توجد في الترجمة الحديثة! هذه السلاسة العذبة لا يتخلى عنها الكاتب حتى ولو ترجم فصولا في الفلسفة والمنطق ، وما دمت اتحدث عن مترجماته العلمية ، فمن المناسب ان اشير الى ترجمته الجميلة لبحث ارنست رينان عن مقامات الحريري في فصلين كبيرين تقيد فيهما الاصل دون ان يحيد وان كنت اوثر للاستاذ ان يناقش الكاتب في بعض ما يشتط فيه من الاحكام حين يترجم عنه ، اذ ان ارنست رينان مثلا قد نعى في مقاله عن المقامات على المدرستين النحويتين في البصرة والكوفة اشتغالهما ببحوث عن الفعل والمصدر وتشعب آرائهما تشعبا متسما في غير طائل ، وكان الاولى ان يتجه اختلافهما الى مسائل فلسفية هامة في الآراء والمعتقدات والكوائن ، وقد نسي رينان ان هذا اللون الفلسفي من البحث كان على اشده لدى علماء الكلام في العصر العباسي وترك من الدوي في الجدال والمناظرة ما سجلته كتب الفرق ومؤلفات اهل السنة وائمة الاعتزال حتى اوجد فلسفة قائمة بذاتها ، والاستاذ صديق يعرف ذلك جيدا وقد اشار اليه في ترجمته الوافية للجاحظ ، وكان الاولى في رأيي ان يعقب على مثل هذه الآراء المخطئة حين ينقلها الى العربية فينقذ من الخطأ من يأخذون كلام الاوروبيين عن الفكر العربي وكأنه جميعه حق صريح .

لقد احتفظت لدي بقصاصات كثيرة من مقالات البصير، ومن بينها سلسلة ابحاث الاستاذ صديق عن القصةالعربية فاستقام بين يدي من هذه الابحاث كتاب لطيف عن تاريخ القصة في الادب العربي بداه الاستاذ بحديث دسم عن الاساطير الجاهلية ورواتها وابطالها ثم عن القصة في الشعر الاسلامي مستدلا بآثار عمر بن ابي ربيعة والحطيئة ، منتقلا الى الادب العباسي ليفيض في الحديث عن كليلة ودمنة ومقامات بديع الزمان والف ليلة وليلة ! وهكذا كونت هذه القصاصات كتاباً لطيف الحجم جزيل النفع يقع في حجم كتابه الشهير عن شاعر الالمان جيته وقد اصدرته دار المعارف منذ سنوات فسد فراغا للعربية ، واني لاتساءل لم لا يبحث الاستاذ في قصاصاته التي تملأ عدة صناديق كبيرةليخرج لنا مجموعات مماثلة، فمجموعة للنقد ومجموعة للقصة ، ومجموعة للتراجم ومجموعة للاعلام حتى يعين الجيل الجديد على تتبع دراساته ! واذا كان قد آلى على نفسه ان يظلم آثاره البليغة فلماذا يظلم ذوي المعرفة من الدارسين وهم كثيرون ! هذا رجاء حار دفعني الى تحرير هذا المقال عسى ان يبلغ مسموع صديق فيستجيب .

الفيوم — **محمد رجب البيومي**

ادوار عطية

●

(في رثاء المجاهد العربي المغترب ادوار عطية فقد توفاه الله وهو يخطب على منبر جامعة اكسفورد مدافعا عن قضية العرب)

●

بالشعر ارثيك ام بالدمع ابكيكا
الشعر عيّ ودمعي ليس يكفيكا
نايت تنشد حق العرب مغتربا
ما كان عن حقهم شيء يثنيكا
لبيت لما دعا الداعي لنصرتهم
بالامس ، واليوم قد لبيت داعيكا
قد خضت حربا لها الميدان متسع
من ارض لندن حتى ارض امريكا
سلاحك الحق فيها ليس يثلمه
غدر الحليف ولا بهتان شانيكا
كنت المجاهد في الميدان مندفعا
في قلبك الحق والايمان في فيكا
كنت السفير ايا ادوار في بلد
عز النصير به والله حاميكا
اعليت للعرب عند العرب غايتهم
واليوم نحن على الهامات نعليكا
تبكي اليراعة قلبا مؤمنا فطنا
نعاه للضاد والتاريخ ناعيكا
تبكي المنابر من كان الحبيب لها
وان تسل فدموع الصحب تنبيكا
يا اطيب الناس نفسا كيف نرثيكا
يا اكبر الناس قلبا كيف نفديكا
كانت حياتك مثل الطيب عابقة
وذي وفاتك من اسمى معانيكا

لندن — **فؤاد جبور حداد**
من « العروة الوثقى »

عصاها

ثريا ملحس

« امي امي امي
يـا كل ضلـع مني »
ريـاح تناديك امي
وسوط البروق
وقصف الرعود
ينادي : اامي
وطيف يغني لأمي
وهمسات غيث هطول
تصلي صـلاة لامي
وضلعي كطـير الحقـول
مهيض الجنـاح
غـدا في الصبـاح
غـدا في المحـارة
وحـولي بقايـا
بقايـا القبور
هنا مشطها العاج راقد
وفسطانها الحلو جامد
واشجار بيتي خريف
وأوراق زهري رفيف
واشياؤها في ذهـول
كأعمى يدق العصا في نحول
أحس ..
دما قد سرى في دمائي
رؤى قد سعت في سمائي
وشيئا جديدا مديدا
وقفت ..
امام المرايا لعلي ارى وجه امي
فوجهي كأمي
وشعري حرير كأمي سكوب
ولون لها مثل لوني شحوب
عصاها ستبقى عصاها
وأمي ستفنى وتفنى رؤاها
آ ربي لماذا خلقنا ، لنشقى
ويشقى سوانا قضاء بأم ؟
اربي أتبقى العصا دون امي
تحن ..
تئـن ..
تـدور
حوال الديـار
وفي كـل دار
لهـا قلـب نـار

*

فيـا طيب امي
ويـا اذن امي
ويـا عـين امي
ويـا قلبها في الديـار

*

ويحنو علينـا صداها
تفيق الدوالي دوالي القفار
تمر الرؤى كالظلال
صقيع صقيـع الليالي
أمـان كمر الخيال
وقفقاسيـا في ارتحـال
كأنشودة في الاعالي
ونسقي لنـا في ثراها
ضلوعـا كذر الرمال

*

« امي امي امي
يـا كل ضلع مني »
ينـاديك صوت هدير
وهمس خفيت قدير
احييك امي بحرفي
وحرفي كنـوزي ومـالي
والوي بحبي حروفي
زهورا وزرعـا تعـالى
لمـاذا سريعـا تلاشى
وصوت حبيب تلاشى
وكـان الفقـير
يدق العصا كل يـوم
عـلى بـاب امي
فلا صوت فقر ولا صوت امي

*

« امي امي امي
يـا كل ضلع مني »
صدى في حنايا فؤادي
ربى في عروقي وزادي
وتغفو قضايا عـذابي
على ركعة في الرحاب
على كتف امي
وفي قلبها الف هم
لبعضي وكـلي
متى نعرف السر سر الوجود
عرفنا القضاء وغب الخلود
والا ستبقى عصاها
وأمي تمـوت
وتبـقى حـروف
وأخـرى تمـوت
كـأمي تمـوت
ويبقى لنـا كـل لون
وفينا سيبقى لامي صداها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من « العروة الوثقى » في لندن

*

الميادين الفكرية الثلاثة الكبرى التي شغلت العقل البشري منذ القدم هي الدين والفلسفة والعلم . وكان الدين يتفاعل مع الفلسفة والفلسفة تتفاعل مع الدين ، كما جرى في علم الكلام في القرون الوسطى عند العرب وعند الاوروبيين ، ولو ان العرب تمكنوا من شق طريق فلسفي منفصل عن الدين اكثر انفصالا من طريق الفلاسفة المسيحيين . وتفاعلت الفلسفة مع العلم كما تفاعل العلم مع الفلسفة ، ولو ان العلم تفرد في بحثه عن كيفية صيرورة الظواهر وتفردت الفلسفة في بحثها عن اسباب هذه الصيرورة . ولكن هذا التفاعل اتخذ صورة النزاع والصدام ، وخرج العلم من كل ذلك في وضع ناجح واستمر في تقدمه حتى وصل الى ما هو عليه الآن . وظلت الفلسفة تتخبط في سيرها ، ولم يتوفق الفلاسفة حتى الآن في الوصل الى حل يرضى عنه الفلاسفة انفسهم ، بل ان النظريات الفلسفية تظهر مدة ثم تزول ، مما دعا الى الحيرة والارتباط وادى الى افلاس الفلسفة عموما وتشعب مذاهبها . وقد تطورت الفلسفة كتطور الانسان من طفولته الى شبابه والى رجوليته ، حتى اذا وصلت الى آخر اطوارها اضاعت طريقها وهامت في مجاهل ومضال عديدة . فاول ما يدرك الانسان في حياته وجود فرق بين عالمه الداخلي وبين العالم الخارجي . فهو يدرس هذا العالم الخارجي ليتوصل الى حقيقته وماهيته، وهذا ما فعله الفلاسفة القدماء امثال « تاليس » و « هراكليتس » و « ديموقريتس » . ثم ينظر هل الصورة التي تتكون في الذهن عن العالم الخارجي أو المخلوقات هي صورة حقيقية ام هي صورة غير حقيقية . وهنا مبدا البحث في العقل وكيف يعمل ، وفي التفكير والمحاكمات العقلية ومبلغ الاعتماد عليها في معرفة حقيقة هذا الكون. فالفيلسوف الانكليزي لوك يقول انه لا يوجد شيء في العقل لم يكن احساسا في الاصل . ويقول « باركلي » ان الاشياء لا وجود لها في الحقيقة وانما وجودها في الذهن فقط ، كما في راي فرقة الكيسانية من الفرق الاسلامية ، وابعد « هيوم » في الرأي فقال ان المادة او العقل شيء لا تمكن معرفته على وجه التحقيق ، وانما تمكن معرفته عن طريق خواصه فقط . اما ذاتية هذا الشيء فامر غير معروف . وهذا راي « كانت » ايضا . وبعضهم قال ان المادة شيء موجود حقيقة وهم الماديون وبعضهم الآخر تمسك بالفكرة الاخرى وهي ان العقل هو الذي يوجد المادة، وجاء «هيكل» الالماني فقال ان الحقيقة هي الفكر . وانقسم الفلاسفة الى مؤمن بنظرية الفكر بانه اصل الحقيقة والى مؤمن بوجود المادة منفصلة عن الفكر .

فالفلاسفة منذ القدم ، وخصوصا بعد « ديكارت » الفرنسي ، ما زالوا يبحثون في ماهية الاشياء وفي حقيقة هذا العالم الخارجي . فافلاطون يرى ان الاشياء في عالمنا هذا ان هي الا صور مضللة عن امثلة كاملة توجد في العالم الروحي ، وهذه الامثلة هي الاشياء الحقيقية . وقال « كانت » أن كل انسان في هذا العالم ، سواء كان فلاحا او تاجرا او استاذا ، هو صورة غير كاملة عن المثال الانساني، وهذا المثال الانساني الكامل موجود في (اللوح المحفوظ) او ، على رايهم ، في الفكر او العقل السماوي . ولايضاح ذلك نضرب مثلا استعمل شبيها له الفيلسوف الفرنسي الحديث جان بول سارتر . فان النجار اذا اراد ان يصنع كرسيا ، فاول ما يكون لديه صورة ذهنية بشكل هذا الكرسي . فالمثال موجود في الذهن قبل ان يوجد الكرسي وكذلك المخلوقات ، فان امثلتها موجودة في الذهن الرباني، او هي موجودة ، في راي بعض الفلاسفة ، في ذهن الانسان . وعلى كل فان الفلاسفة يرون ان المثال الاصلي سابق للصورة المنسوخة عنه ، او بمعنى آخر ان صورة الكرسي الاساسية موجودة قبل صورته الفعلية ، بمعنى ان حقيقة الشيء سابقة لوجوده . فالحقيقة مقدمة على الوجود .

وهذا ما يعارض فيه الوجوديون امثال سارتر وهايدكر من الوجوديين الملحدين . ونقول (الملحدين) هنا لان الوجوديين في العالم على نوعين : الوجوديون الملحدون والوجوديون المؤمنون ومنهم «ياسبرز» الالماني و «مارسل» الفرنسي . وجميعهم مدينون باكبر قسط للفيلسوف الدانيماركي كيركيغور . واساس نظرية « سارتر » ، تحت تاثير « هايدكر » الالماني ، هو ان الوجود مقدم على الماهية او الحقيقة ، لان الانسان يوجد اولا في هذا العالم ثم يتولى امر نفسه بنفسه فيخلق من نفسه ما يريد ، وليس لصورة مثالية في العالم السماوي او في الذهن الرباني اي تاثير في ذلك ، لان هذا العالم او هذا الذهن غير موجود. والمبدأ الاول في النظرية الوجودية هو ان الانسان لا يكون شيئا في هذا العالم سوى الشيء الذي يصنعه الانسان من نفسه . فالانسان هو الذي يجعل نفسه على الصورة التي يريدها ، ولذلك فهو مسئول امام نفسه وامام غيره من بني الانسان ، لانه مضطر الى اتخاذ قراره بنفسه ، وفي هذا ما فيه من عذاب ومضض . فكأن الانسان في عراك دائم ومشقة وجدانية مستمرة، مما ينطبق على قول القرآن الكريم : « خلق الانسان في كبد » . وفوق ذلك ، فان الانسان يشعر بالوحدة في هذا العالم وبالوحشة في علاقاته بغيره . وشعوره بالوحدة وبالوحشة في راي الوجوديين ناشيء عن عدم وجود معالم يهتدي بها في مجاهل هذا

العالم ، بعد ان فقد الانسان ثقته بالعقل وبالفلسفة وبالعلم، كما فصلنا ذلك في مقال سابق . فالعالم الخارجي عبارة عن لاشيء ، والانسان في معيشته يلتقي بعالم اللاشيئية ، فليس له الا ان يهتم بنفسه وكفى . وفيما يلي قطعة مأخوذة من كتابات « كيركيفور » تكشف عن حقيقة هذه الوحشة او الغربة في المجتمع :

« يفرز المرء اصبعه في التربة ليعرف من رائحتها في اي بلاد هو ، وانا اغرز اصبعي في الوجود ، فلا اشم منه رائحة . فاين انا ؟ ومن انا ؟ وكيف جئت هنا ؟ وما هو هذا الشيء الذي يسمى بالعالم ؟ وما معنى هذا العالم ؟ ومن هو الذي اغواني حتى وقعت في هذا الشيء ، ثم تركني هناك ؟ كيف جئت الى العالم ؟ لماذا لم استشر ، ولم اعرف بعاداته وتصرفاته ، بل زججت بين الصفوف كما لو انني اشتريت من مختطف ، من تاجر بالنفوس ؟ كيف حصلت على هذا الاهتمام بهذه المهمة الكبيرة التي يسمونها الحقيقة؟ لماذا ينبغي ان يكون لي اهتمام بها ؟ اليست هي مهمة خاصة ؟ واذا كنت مرغما على المشاركة فيها ، فاين الدليل الموجه ؟ الى اين اتوجه بشكواي ؟ حقا ان الوجود نقاش .. وهل لي ان ارجو بان تؤخذ وجهة نظري بعين الاعتبار ؟ اذا كان على الانسان ان يأخذ العالم كما هو ، افليس من الافضل ان لا يعرف الانسان هذا العالم ما هو ؟ »

هذا كله دليل على الشعور بأن الانسان لم يعد له ما يثق به ويعتمد عليه ، الا نفسه ، يهتم بها ويعنى بها . هذه الحالة هي التي وصفها بعضهم بفلسفة الازمة او بأزمة الفلسفة . وهي من اولها الى آخرها حملة على كل سلطة : سلطة الدين وسلطة العلم وسلطة العقل لان الانسان في تاريخه عدو كل سلطة ، يريد هدمها للتحرر منها . فقد بدات الفلسفة اليونانية بتفحص العالم لمعرفة حقيقته ، ثم اخذت تبحث في الانسان وكيف يجب ان يعيش في المجتمع ، وانتهت بالشك ، فاهتمت بالانسان بمفرده ، منفصلا عن مجتمعه ، واصبحت الفلسفة عبارة عن تلاعب في الكلمات على ايدي السوفسطائيين وامثالهم . وبدات الفلسفة في الغرب بتحرر الانسان جسمانيا من سلطة الغير ، ثم عقليا من سلطة التقاليد والنظم الدينية ، وارتفع شأن العقل في القرن السابع عشر ، الى ان جاء « كانت » وقوض اركان سلطة العقل المجرد في القرن الثامن عشر ، مما اضطر الفلاسفة الى البحث عن سلطة جديدة ، فانشق الفلاسفة في القرن التاسع عشر بين الفلاسفة المثاليين المؤمنين بسلطة الفكر والمعنويات وبين الفلاسفة اليقينيين امثال « كونت » الفرنسي الذين لا يؤمنون الا بما يصدق به الحس ويقع في مجال التجربة العملية ، وتنكروا للفكر المجرد وضربوا صفحا عن مبادىء الاخلاق والدين وجميع ما هو من قبيل التصديقات النظرية والالهامية . ومعنى ذلك ان الانسان ابتعد عن الروحيات ، واصبحت حياته مادية ، وعاد الى الطبيعة من جديد . ولكن المادة والحياة المادية والعلم ايضا خيبت الظن ، واضعفت ثقة الانسان بهذه السلطة ايضا . فاصبح الانسان في حيرة من امره ، وفي هذه الحيرة ظهرت الوجودية . في هذه الازمة يجد الانسان نفسه تحت عبء باهظ مرهق ، وفي فوضى فكرية ونفسانية وروحية .

في بادىء الامر، كان الفلاسفة الوجوديون يؤمنون بالوجودية الدينية امثال « كيركيفور » و « هايدكر » و « ياسبرز » واتباعهم امثال «ماريتان» و «براديف» و «مارسل» . ثم انشق عن هؤلاء (هايدكر) وتبعه (سارتر) و (كامو) و (باتاي) و(بلانشو) والوجوديون الفرنسيون وعلى رأسهم سارتر يمثلون الوجوديين الملحدين . ولكنهم جميعا من مؤمنين وملحدين تابعون للفلسفة الاصلية التي دعا اليها كيركيفور الدانماركي وهي ان الحقيقة ليست حقيقة خارجية كما يدعي اصحاب المذهب اليقيني ولا هي حقيقة يقررها الفكر المجرد ، وانما هي حقيقة تختلف باختلاف كل شخص ، ولا يمكن لحقيقتي انا ان تكون مطابقة لحقيقتك انت او لحقيقة غيرك . هذه هي الفكرة الفلسفية في الوجودية . وهي ، كما يرى القارىء الكريم ، فكرة تجزىء المجتمع الى ذرات صغيرة تدور كل واحدة منها في فلك او مجال خاص بها . وهي شبيهة بنظرية « لايبنس » القائلة بان العالم مكون من جزيئات روحية بسيطة (وسمى كل واحد منها موناد) يستقل كل واحد منها عن الآخر ولا يؤثر واحد في الآخر. والشبه بين نظرية الوجوديين وهذه النظرية ان الجزيء في هذا العالم يمثل الشخص القائم بنفسه والمستقل عن غيره والحر في حياته وفي تقرير مصيره . والوجوديون يختلفون عن « ديكارت » الفرنسي الذي قال : «انا افكر فانا موجود » ، بانهم يقولون : «انا موجود فانا انا» واخذ « هسرل » و « هايدكر » الالمانيان نظرية « كيركيفور » في اختلاف الحقيقة وتعددها بحسب الشخص وتوسعا بها ، ولا سيما بعد الحرب العالمية الاولى حينما غلبت المانيا على امرها ، ثم اخذ « سارتر » الفكرة عن « هايدكر » وتوسع بها هو ايضا ، وخصوصا في الحرب العالمية الثانية حينما غلبت فرنسا على امرها . ومن هنا جاءت التهمة الموجهة الى الوجودية بانها فلسفة الهزيمة والعدم والتشاؤم وفلسفة الانحطاط والفوضى وهي مناقضة للماركسية من حيث ان الماركسية تقوم على تماسك المجتمع في حين ان الوجودية تقوم على تجزئته . ومع ذلك فقد لاقت الوجودية مرتعا خصبا في بولنده مثلا في المدة بين ١٩٥٦ و ١٩٥٧ حينما اطلع المفكرون هناك على الانحرافات في زعامة الحزب الشيوعي واخذوا يفقدون الثقة في مبادىء الحزب وفلسفته الاجتماعية ، فاصابهم ما اصاب المفكرين الاوروبيين الآخرين فانتشرت الوجودية بين صفوف الشيوعيين في بولندا ، ووجدوا فيها ملجأ . هذه الحالة التي ينتقل فيها الانسان من التفكير في العالم اجمع او في المجتمع اجمع الى التفكير بالفرد ومصيره شبيهة بالحالة التي نشأت في الفلسفة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اليونانية في ايام سقراط . فان الفلسفة اليونانية قبل سقراط كانت منصرفة الى معرفة كنه هذا العالم والوصول من هذا الكنه الى تعليل الظواهر الطبيعية والبشرية ، ثم انصرفت على يد سقراط الى الاهتمام بالفرد وحده وفي وجوده وكيانه. ثم ان قيام الاسكندر المكدوني وقضاءه على استقلال الدويلات اليونانية احدث في النفوس شيئا كثيرا من خيبة الامل وروح النقمة والسخط ، وانحطت معاني الولاء للمجتمع او للدولة وتسربت الى النفوس نفرة من الاشتراك في السياسة او في المشروعات العامة وقام الفلاسفة او المفكرون الرواقيون يدعون الى الانسلاخ عن المجتمع واهتمام كل انسان بنفسه . ودعا الابيقوريون الى طلب اللذة والسرور في الحياة والتحلل من جميع العلاقات الاجتماعية . ولكن الفيلسوف « بيرو » وجماعته من الشكاكين المنكرين اتخذوا اتجاها تطرفيا ، وقالوا ان الاشياء في هذه الدنيا قد تكون في حقيقتها خلاف ما نراه ونشعر به عن طريق العقل ، ومن يدرينا ان النسبة بين التصوير العقلي والحقيقة نسبة ثابتة في جميع الازمان والاحوال ؟ فالحواس مضللة لنا ، كالاحلام التي نراها في المنام وليس لها حقيقة . وبهذا التشكك والتساؤل ، اثار الشكاكون مشكلات لا تزال تطغي على الفلسفة منذ الفي سنة حتى الآن . واشد من ذلك ، ان هؤلاء انكروا وجود شيء نسميه خبرة سابقة ، وقالوا ان الانسان يلد في كل لحظة من حياته ، وان العالم ، كما قال « هيراكليتس » من قبل ، في حالة مد وجزر يتغير في كل آونة ، وان الاشياء جميعها هي في حالة الصيرورة دائما . وهذه فكرة غريبة ، اذا اعتبرنا انها صدرت في ذلك الزمن القديم . ولكن الظروف السائدة في ذلك العهد ، مع ما احدثته من تفسخ في النظام الاجتماعي وفقدان الثقة بالمفهومات والاعتبارات العامة ، هي التي اوحت بهذه الافكار التشاؤمية القريبة الشبه بافكار الوجوديين في المانيا اولا وفي فرنسا ثانيا . ولعل تشاؤم المعري في عهده ذاك كان مبعثه من مثل هذا الباب . ومعظم الاتجاه في ذلك اتجاه نحو الفرد ومصيره ، وهو الاتجاه الصحيح في راي الوجوديين ، فان هايدكر ينتقد المجتمع عموما لانه يغفل امركينونة الفرد . ويرى سارتر ان الفلاسفة يهتمون بماهية الاشياء لتعليل هذا العالم ولا يهتمون بالوجود ، وهو يدعو ، خلافا لهم ، الى الوجود اولا لان من الوجود تنجم الحقيقة ومنه ينشأ كيان الانسان ومصيره .

فاحد مبادىء الوجودية هو تقديم الوجود على الماهية . والثاني اختلاف الحقيقة باختلاف الشخص . والثالث ان الانسان حر مسئول في عالم اللاشيئية هذا .

لندن **حسن الكرمي**

اغنية للمطر

القصيدة الرابعة

•

لو عدت يا مطر
لاهتزت الارض الخبيئة الثمر
وفجرت كنوزها العيون والشجر .
لارتوت الجذور
وامتلأت عصير
لفتحت براعم الزهور
وارتعشت في كل عرق نبضة الحياة .

لو عدت يا مطر
لكنت قد خرجت لك
لخضت بحر الليل كيما انظرك
وشاح نومي مسدل
وشعري الطويل ملقى للرياح
وخطوتي على اديم الارض تسبق المدى
عربانة تجس صدر الارض لا تكاد
تم تطير في الفضاء الرحب تلقى طلعتك !

لكنت قد اسلمت لك ...
في مهمه البرية الفسيح حيث لا حدود
اسلمت لك ...
تفرقني فيوضك السخية العطاء
تضمني يداك
يرتجف الندى نداك
على شفاه شاقها العطش !

رفعت وجهي ...
نشوتي صلاة
ولحنك المرتعش الايقاع
يطير بي فوق الغيوم
يحملني الى مشارف النجوم
يسلمني الدنى
مرابعا ، مشارفا ، مدى
لو عدت يا مطر
لو عـدت ....
لو تعـود !

القاهرة **ملك عبد العزيز**



وديع فلسطين

فواكه رجعية للشاعر الياس فرحات

بقلم وديع فلسطين

تعوذت بالله من شيطان الغرور حين رغب الي صديقي الشاعر الياس فرحات في ان اقدم لديوانه « فواكه رجعية » * . فمقامي بين الادباء في المقام الادنى ، وصلتي بالشعر صلة تطفل ، والياس فرحات غني بمجده الادبي وشاعريته العريقة عن ان يقال لنكرة مثلي : قم قدمه الى جمهرة القارئين في مشارق الضاد ومغاربها . ولهذا اعتذرت بغير طول تفكير من عدم تلبية هذا الرجاء ، على اعتزازي بالعاطفة التي املته ، وتقديري للوداد الذي غض الطرف عن نقائص في لا يحصيها عد . ولكن الياس فرحات غالى في اصراره واشتد قائلا ان كتابة المقدمة كالقضاء والقدر ، لا مهرب منهما ولا عليهما احتيال . فصدعت لرغبته بعد مراجعة نفسي ، على ادراك بان من التفريط في حق الادب والضاد الا اقبل هذا التحدي الحبيب ، فاضم صوتي الضعيف الى اصوات غيري في اكبار هذا الشاعر الباذخ الشاعرية ، لعلي بذلك ارد اليه قطرة من فيض افضاله على الضاد المتناهية القداسة .

ولقد نازعت صديقي الياس فرحات في عنوان الديوان من حيث انه وقع في اذني موقعا غير طيب . واقترحت عليه تسميات اخرى لهذا الوليد الجديد مثل « فاكهة الماضي » او « فاكهة الامس » . واستنجدت بصديقنا المشترك الشاعر جورج صيدح فاقترح بدوره تسميات منها « بعد الاوان » و « حصائد الشتاء » و «بعد الموسم» و « جعبة الراعي » و « فاكهة الشبعان » ولكن الياس فرحات استمسك « بالرجعية » في العنوان ، وقانا الله منها في الفاكهة وفي غيرها !

والقارىء العربي يعرف الياس فرحات شاعراً جهيرا ، صوته عال في ترديد الاماني القومية وانشاد اغاني العروبة العذاب ، كما يعرفه رجل حكمة تجلت في رباعياته الفريدة ، فكان في هذا متنبي اليوم . ولكنه لم يعرف الياس فرحات شاعر غزل وتشبيب ، الا في فلتات هنا وشطحات هناك ، ذلك بانه قد طوى اغلب هذا الشعر اشفاقا على شيخوخته من ناحية ، وخشية ان يدرجه نقاد الادب بين شعراء العشق من ناحية اخرى ، وهو الحريص على الا يكون مكانه الا بين شعراء الحماسة العربية الفحول، بيد ان الشاعر الياس فرحات وقد عاش كل عمره صريح الوجه شجاع الرأي ، قرر ان يظهر امام الناس بمظهره الصحيح ، لا يكتم عنهم خاطره عبرت بذهنه ، ولا يحجب عاطفة جاشت في صدره . واذا كان في ماضيه لم يستقبح ان يعترف قائلا :

ونشرب مما تشرب الخيل تارة وطورا تعاف الخيل ما نحن نشرب

فلا يصح له ان يخجل اليوم وهو يطالع القراء بغزلياته في هند والسمراء وخمرية اللمى والرضاب واخواتهن الفارعات البارعات الفازيات الفاتحات ، متشوقا في آخر الديوان الى الموت غرقا في بحر كل لججه من الغيد الاماليد الحسان ، وهي امنية لا نملك الا ان نجاريه فيها مدركين انها بعيدة المنال حتى في دنيا الخيال الشاعري .

فهذا الديوان اذن ضرب من ضروب الاعترافات التي اذ تضيق بها الصدور تعالن بها بعد طول كتمان . وسيان عندنا ان يكون هذا الشعر من وحي الخيال المنجاب او من تجارب الواقع المر ، فليس الشاعر مطالبا بان يقدم للقاريء تقريرا معززا بالاسانيد الدالةعلى صدقه، والقاريء موكل بالديوان ، يستخلص منه ما يشاء ، ويستنتج ما يطيب له ، وحسب الشاعر انه صب مكنونات صدره في ابيات قصيده ، وحسبه انه استودع المطبعة هذا الشعر الرقيق الرشيق الذي حفظت قدرا غير يسير منه بعد المطالعة الاولى وصفقت للشاعر بقلبي اعجابا واستزادة .

فالياس فرحات لم يولد في دنيا الشعر شيخا انطوت اشرعته وتبلدت عاطفته وماتت احاسيسه الا من وطنية متأججة وقومية صارخة ، وانما مر هذا الشاعر على مراتع الشباب وصبواته ، فأحب كما نحب ، وعشق كما تعشق غيره من الناس ، وعرف مباهج الحياة كأي صب مدنف ، وغزا غزوات صرعاها غير قلة . لقد نسي « خصلة الشعر » وصاحبتها بعدما خانت العهد ونكثت الوعد ، وراح يحدثنا عن « السمراء » آنا ، و « هند » آنا آخر ، وعن مغامراته

---

* يصدر للشاعر المهجري الكبير الاستاذ الياس فرحات قريبا ديوان جديد عنوانه « فواكه رجعية » وقد رغب الى صديقه وديع فلسطين في كتابة مقدمة لهذا الديوان فكتب هذه الصفحات .

بين اللائي عرفن قدره واللائي جهلن محله ، وعن معـارك الحب التي ورثها من آدم «فلا نحن القينا السلاح ولا هن»، وعن جولاته في الغاب وتحت وابل المطر وعلى الشاطيء وفي البحيرة ... و ..و ، فلا يسع القارىء الا ان يتحسر معه على ايام الشباب المولیات :

سقى الله ايام الشباب فانها — اذا ذكرت اعمارنا كانت العمرا
عرفنا بها لب الحياة ولم نعش — الى يومنا الا لكي نعرف القشرا
يعود ربيع الدهر في العام مرة — ولكن ربيعي لن يعود وقد مرا

ولقد كان صديقي واستاذي الحبيب الشاعر العظيم خليل مطران يؤمن بالتوحيد في الحب فيقول :

آمنت ما اشركت فيك ولم يكن لي في الهوى دين سوى التوحيد

اما الياس فرحات ، فيلوح من ديوانه هذا انه طاعن في الشرك مصر عليه غير مستغفر منه ، لا تنفع فيه هداية ولا يجدي معه نصح ولا وعيد . ولكنه ، وهو الشاعر المفطور على رقيق الشعر ، يحسن التعليل والتأويل ، فيبعد عنه الشبهات بلطيف تعبيره وجميل تخريجه ، فيقول مخاطبا فتاته التي ظنت به الظنون بعدما سمعته يسمي ليلى ولبنى ودعدا واترابهن :

لا تظني بي الظنون اذا كنت — اسمي ليلى ولبنى ودعدا
انا من يعرض الزجاج ويخفي — الماس ، ان اللصوص كالرمل عدا
انت قصدي دون الانام ولكني — اسمي سواك في الشعر عمدا
انت قصدي ، وكل اسماء حواء — ثياب لاسم حبيب مفدى

حتى اذا ما وصلنا الى خاتمة الديوان رأيناه مجليا في الشرك ، مستعذبا الموت مع بنات حواء جميعا في سان باولو :

سان باولو في ساحاتها — وعلى السطوح وفي الطريق
بحر من القادات من لي — ان اموت به غريق

ولكن يلوح ان واحدة من بنات حواء لم تستأثر باهتمام الياس فرحات مثل اثيرته « هند » التي قال فيها اجمل شعره الغزلي ، وغناها اطرب الاغنيات ، ففيها يقول :

تمنيت ايام الشباب لانني — تذكرت هندا والبشاشة والطهرا
ولو رجعت يا هند دونك عفتها — واشبعتها شتما واوسعتها هجرا
فان شبابا لست فيه رفيقة — لصبك، احلى منه شيخوخةعسرى

وقال فيها :

يا هند يا ذات الملاحة والذكاء الاوحد
هنئت بالعيد السعيد وانت اهل الاسعد
لو لم يكن خوف الوشاة الراصدين مقيدي
لجهرت بالحب العميق الكامن المتجدد
وطرقت بابك حاملا قلبي اليك على يدي !

وهو في هذا يذكرنا بالشاعر الكبير الصديق الحميم محمود ابي الوفا الذي يرفع بدوره قلبه على كفه ويقول :

امشي وقلبي على كفي اقول : الا من راغب في فؤاد صادق حان ؟

ويقول فرحات في هند :

فياليتني يا هند القاك خلسة — وعندك مثلي حرقة وهيام
وليت نجوم السعد في نشوة الهوى — تساهرنا والعاذلون نيام

ويقول كذلك :

فيا هند كم من نجوم تسامى — غرورا اليك
ولكنها ان تفق تترامى — على قدميك !

وفيها يقول ايضا :

يا هند يا بهجة ايامي — يا كوثر الحب
يا جنة تسري مع الساري — من زهرها عطر
لونت بالآمال افكاري — فاخضوضر القفر
حولت صحرائي الى واحة — وارفة الظل
اطيارها بالشعر صداحة — سكرى من الطل
جددت تفكيري واحساسي — والروح والجسما
حتى لامشي رافعا راسي — للنجم او اسمى

ويقول في قصيدته العاطفية الموسيقية الالفاظ واللحاظ:

يا هند يا قيثارة الحب — يا اقرب الناس الى قلبي
يا هند يا قارورة الطيب — يا من سمت عن كل تشبيب
واحيرتي ماذا اسميك — كل الملاحات التقت فيك

وسواء كانت هند علما على فتاة بعينها او رمزا لغانيات كثيرات ، فلا يغير هذا من حرارة العاطفة التي انصبت في كل قصائدها وانسلت بين الفاظها الراقصات وتصاويرها الفاتنات البارعات على ان طريق الحب لم يكن مفروشا بالورد دائما امام هذا الشاعر الخالع الغدار (في الشعر طبعا) ، فقد عانى من اشواكه مثل ما عانى قبله السائرون في هذا الدرب ، فعرف الطراء والصد ، ومرن ساقيه على الركض وراء ليلاه ، وكابد في سبيل اعلاء راية الحب ما كابد ، واحتمل تباريح الهوى حتى آخر الشوط صادقا مع سليقته مؤتما بسنة الحياة ، راضيا بانفطار المهجةوتوزع العقل والصواب . فاذا تكسرت سهامه وراشت ، ثار لكبريائه وثار لها بقصيدة بارعة ، كتلك التي قالها في مليحة تدللت عليه وتدلله في حبها ولكنها لعبت بقلبه وجافته فخاطبها محنقا مغيظا قائلا :

أانت حبيبتي ام انت ربي — أانشد في حضورك ام اصلي

فلما ادرك خيبة المسعى مع هذه الاخيلية التي جهلت حقيقة محله ، قال لها متلهفا على عمره الضائع :

يولي العمر في اخذ ورد — فوالهفي على العمر المولي

وهكذا تدور على الياس فرحات كأس الهوى ، فلا يعافها ولا يستعلي عليها ، وانما هو يقبل عليها كشاعر بشر ، تتأجج في صدره عواطف الشباب ، وتعتلج في فؤادهمشاعر الحب ، وتذوب نفسه حرقة في بوتقة الحنين . ولئن كان قد طوى هذا الشعر في اوانه ، يوم كان الشباب مشتعلا والعاطفة فوارة والقلب دفاقا بالاشواق ، فلا حرج عليه اذا جهر به امام الناس بعدما قطع السبعين من عمره المديد ، واذا بعث هذا الشعر الغنيبحلاوة موسيقاه المترف باوصافه الجميلة ، العذب بمعانيه القريبة المأتى ، السخي في صوره الطبيعية الخلابة ، الصادق في التعبير ، الساذج في الفرحة . انه شعر منبعث من قلب انساني رقيق شفيق ، تعاورته النوب وتناوشته التجاريب ، فاهتز كما تهتز القلوب الشديدة الحس ، وعاش في فرح آنا وفي حزن وترح آنا ، فلا هو بالحب كافر ، ولا الحب مدبر عنه .

ولا بأس علينا ولا حرج وقد وقفنا على اسرار القلب عند فرحات، ان نحشره في زمرة العشاق وفي منتدى المجانين.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فنانة

كلما قلت سوف انسى هواك ... هتف القلب انه يهواك
وتحدى ارادتي بعناد ... ومضى هائما يلبي نداك
نسي الليل والدموع وسهدي ... رد بعد السكوت لن ينساك

قلت بالكبرياء يا قلب رفقا ... كم قضيت الحياة بالحب خفقا
ووصلت الصباح بالليل سهدا ... وطوتني الاوهام بالحب شوقا
ضاع عمري اطيع فيه فؤدا ... مستبدا واضعف الكون خلقا

قال لي ساخرا فؤادي العتيد ... هل نسيت الهوى وحلو الوعود
وتحررت من قيودك لما ... نثر الوهم دربه بالورود
انت اسرى اجل ولكن بقيد ... من حنان ولهفة وعهود

لا تخافي لا تهربي لا تضني ... لا تشوبي اليقين يوما بظن
انت بالحب تخلقين جمالا ... انت للحب قد خلقت ففني
لا تعيشي بمنطق قد يجافي ... طبع فنانة تعيش لفن

تلك ايامنا حرام تضيع ... بين آهاتنا وسيل الدموع
فاسعدي الكون بابتسامة حب ... انت قلب يحن خلف الضلوع
انت بالحب رقة وحنان ... وابتسام ولهفة وولوع

يا لقلبي الذكي في همساته ... وحنان يشع من لمساته
قال لي باسما : اتحيا زهور ... دون نبع الغدير او نفحاته
املأي الكأس مترعا بالاماني ... واشربي الحب من كؤس سقاته

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قد توهمت انني سوف اسلو ... ومع الوهم قد ضللت طريقي
عدت للقلب ملهمي وصديقي ... عدت للحب في حنين المشوق
عدت لهفى وقد تبينت خطوي ... عدت ظمأى الى غدير الرحيق

مصر الجديدة — روحية القليني

فعالمه جنة للغرام ـ على حد قوله ـ وحرام ان ننكر عليه هذا الملك . افليس هو القائل :

عالمي جنة اذا سرت فيها ... صار فيها التراب مسكا وندا
جنة للغرام تنشد فيها ... الطير لحن الخلود خطفا ومدا
تكتسي ارضها اذا هزت الريح الاماليد ياسمينا ووردا
والازاهير تكسب الطل لونا ... مستحبا من لونها مستمدا
فهو در وعسجد وعقيق ... فوقها ، آه لو تنظم عقدا
لتقدمت ، غير وان ، الى من ... هي اسمى منه واسنى واندى
ربة الحسن والذكاء ومن تقطر ... الفاظها رحيقا وشهدا
قائلا : هذي نجوم من الشمس ... الى اختها الصغيرة تهدى
فاقبليها فهي التي صاغها الفجر ... فجاءت بلطفها لك ندا
واعذريني مقصرا فانا املك ... قلبا ولست املك نقدا

يا صديقي فرحات : اعذرني بدوري على قصر باعي ، فانا املك قلبا يفيض بالحب لك والتقدير لشخصك وادبك والاعظام لشعرك وفنك ، ولست املك سحرا يجاري سحرك او بيانا يزاحم بيانك . فانت اشرف واسمى واسنى من ان تلم بعبقرياتك كلماتي العاجزات الكليلات . فلتكن هذه المقدمة تحية متواضعة لشاعر عظيم يبذل لي من المودة والمحبة ما لا قدرة لي على رده . وثق يا اخي الحميم انني ما جاملتك ، وانما جاملك شعرك وفنك وخالد ادبك .

القاهرة — وديع فلسطين



الامير مصطفى الشهابي

الامـير مصطفى الشهـابي

بقلم ابو طالب زيان

يشق على الدارس للعلامة الامير : مصطفى الشهابي ، من اين ينفذ الى اغوار نفسه ، او يلم بكنهه وعلمه وادبه الذي وسع كل شيء ، واحاط احاطة شاملة بمكنونات اللغة وسر البيان .

والامير الجليل هو : مصطفى ابن الامير محمد سعيد ابن الامير جهجاه ابن الامير حسين الشهابي ، من امراء بني شهاب القرشيين المخزوميين الذين دخلوا الشام ايام الفتح الاسلامي بقيادة ابي عبيدة بن الجراح ، وحكموا في حوران حتى عام ٥٦٨ هـ ايام الملك العادل : نور الدين محمود زنكي، ثم حكموا وادي التيم فلبنان حتى عام ١٨٧٠ م .

ولقد ولد العالم الفذ في اول تشرين الثاني سنة ١٨٩٤ للميلاد في حاصبيا : مقر بني شهاب في وادي التيم ، ودرس الدروس الابتدائية والثانوية في الشام فاسطنبول ففرنسة ، ثم دخل مدرسة غرينوبل الزراعية العالية ، واتم دراسته فيها عام ١٩١٤ وخرج بشهادة مهندس زراعي .

غير ان الامير الجليل، لم يرد الاقتصار على العلوم الزراعية فيعلو ذكره فيها وحسب ، بل عكف على المطالعة والبحث العلمي ، وضرب في العربية والفرنسية والتركية والانجليزية بسهم وافر ، قلما يتاح لمثله ، وهو سليل بيت شامخ ، وربيب مجد ، ان يركن لمثل ما ركن اليه الامير ، ويحب ما احب العالم ، الا ان يكون قد شمر عن ساعد الجد ، وهجر المغريات من حوله ، والملاعب من جانبه، وعمل على ان يكون طلعة في البحث ، اماما في اللغة ، مرجعا في التأليف .

والواقع ان الامير ، لم تشغله مناصب الدولة التي تقلدها عن بحوثه التي اخذ نفسه بها ، ولم تصرفه مهامه الكثيرة ، عن ان يعد اكبر عالم في العصر الحاضر : تسلم منصب وزير في اربع وزارات ، فكان على التتابع منذ عام ١٩١٨ حتى ربيع عام ١٩٥٤ : مدير الزراعة والخراج (١٩١٨ ـ ١٩٢٣) مدير املاك الدولة (١٩٢٣ ـ ١٩٣٤) مدير الاقتصاد الوطني (١٩٣٥) وزير المعارف (١٩٣٦) محافظ حلب (١٩٣٧ ـ ١٩٣٩) وزير المالية ثم وزير دولة المالية والاقتصاد الوطني والاعاشة (١٩٤٣) محافظ اللاذقية (١٩٤٣ ـ ١٩٤٥) الامين العام لرياسة مجلس الوزراء (١٩٤٠) محافظ حلب للمرة الثانية (١٩٤٦ ـ ١٩٤٧) محافظ اللاذقية للمرة الثانية (١٩٤٨ ـ ١٩٤٩) وزير العدل (١٩٤٩) وزير سوريا المفوض ثم سفير سوريا المفوض في مصر (١٩٥١ ـ ١٩٥٤) وهو اول سفير لسوريا في مصر بعد ان رفع التمثيل السياسي بين الدولتين الى درجة سفارة .

وللامير في مناصب الدولة ، اعمال عمرانية كثيرة منها : توزيع املاك الدولة ، وهي مئات من القرى على الفلاحين لايجاد الملكيات الصغيرة ، وتشييد دار الكتب الوطنية في حلب ، ودار الكتب الوطنية في اللاذقية ، فضلا عن انه كان عضوا في جمعية : « العربية الفتاة » وجمعية «العهد» وظل في الحكومة السورية طيلة عهد الانتداب بقرار من اخوانه لتقريب وجهات النظر بينهم وبين السلطات الفرنسية، بغية الحصول على الاستقلال ، وكان احد اعضاء وفد المعاهدة بين سورية وفرنسة عام ١٩٣٦ ، وكان يومئذ وزيرا للمعارف .

وانتخب الامير عام ١٩٢٦ ، عضوا عاملا في المجمع العلمي العربي بدمشق ، ثم عضوا مراسلا لمجمع اللغة العربية في مصر عام ١٩٤٨ ، ثم عضوا عاملا فيه عام ١٨٥٤ ، وفي عام ١٩٦١ ، انتخبه المجمع العلمي العراقي عضوا مراسلا ، وانتخب غير مرة عضوا مراسلا في مجلس المعارف الاعلى في سورية ، وفي مجلس ادارة المتاحف والآثار ، وفي جمعيات علمية وادبية مختلفة ، وعين عضوا في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في القاهرة ودمشق ، ومثل جامعة الدول العربية ثلاث مرات في حلقة الدراسة الاجتماعية . وفي عام ١٩٥٣ انتخبه مجلس جامعة الدول العربية رئيسا للجنة المواصلات الدائمة ، وفي عام ١٩٥٦ ، انتخبه المجمع العلمي العربي في دمشق بالاجماع نائبا لرئيس المجمع اربع سنوات ، ثم انتخب بالاجماع عام ١٩٥٩ ، رئيسا للمجمع العلمي العربي، خلفا للمرحوم خليل مردم بك ، فكان الرئيس الثالث لذلك المجمع .

وقد كافأته الدول ، نتيجة لجهوده العلمية والادبية ، بالاوسمة والنياشين ، فمنحته الحكومة المصرية الوشاح الاكبر من وسام النيل عندما كان سفيرا لحكومته في مصر ، ومنحته سوريا وسام الاستحقاق السوري من الدرجة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاولى ، ومنحته الدولة الفرنسية وسام ضابط بالاستحقاق الزراعي ووسام ضابط بالاكاديمية .

ومما يستحق الذكر ، ان ارباب الزراعة في ديار الشام ، قد اجمعوا على ان الامير مصطفى الشهابي ، لا يدانيه عالم في الوقت الحاضر ، وحسبه ما قاله الدكتور امين المعلوف : « لا يختلف اثنان في ان الامير هو علامة العربية الاوحد في المصطلحات الزراعية ، وانه فيها نسيج وحده » فقد قضى سنين عديدة من حياته ، يدرس نباتات الشام الزراعية وحشراته وحيواناته الاهلية واقتصادياته ومياهه .. حتى استطاع ان يطبق العلوم الزراعية الحديثة على هذا القطر، سواء في اعماله الحكومية ام في مؤلفاته الزراعية .

وكان لزاما عليه ، في نقل علوم الزراعة الحديثة الى العربية، ان يتحرى اصلح الالفاظ في المعاجم العربية، وفي كتب الحيوان والنبات والزراعة القديمة ، وحقق قدرا كبيرا من المصطلحات العربية وضعها امام الكلم الفرنسية.

اما النباتات الزراعية التي كانت العرب تجهلها ، فقد وضع الامير لها اسماء عربية او معربة بطريقته الخاصة ، وهي الرجوع الى اصول الاسماء العلمية الدالة على هذه النباتات ، وترجمة تلك الاسماء بمعانيها الاصلية او تعريبها اذا كانت تدل على اعلام .

ولقد نشر الامير ... كثيرا من هذه المصطلحات في مجلة « المجمع العلمي العربي » وفي مجلة « المقتطف » ثم اودع معظمها : معجم الالفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية ونشر في مجلة « المجمع العلمي » جملة من هذه المصطلحات النباتية والجيولوجية ، تبلغ نحو الف مادة جديدة ، وذلك بعد طبع معجمه في طبعتيه الاولى والثانية .

وشارك مجمع اللغة العربية بمصر ، في تحقيق عدد كبير من المصطلحات العلمية ، حتى اصبح معروفا في الاقطار العربية بانه احد العلماء الذين اغنوا العربية بالمصطلحات العلمية ، وبانه من اوسعهم اطلاعا على طرائق وضع المصطلحات العربية . وقد دل على ذلك كتابه : «المصطلحات العلمية في اللغة العربية ، في القديم والحديث » اذ اعترف كثير من اعضاء المجامع العلمية واللغوية واساتذة الجامعات وكبار الادباء ، بأن هذا الكتاب الفريد ، هو انصع دليل يرشد العلماء العرب الى اصلح السبل التي تتبع في وضع المصطلحات العلمية بلغتنا العربية .

وتعد كتب الامير ... الزراعية ، اهم مرجع لارباب الزراعة ، وتلاميذ المدارس والذين يعنون بدراسة هذا العلم ، وحسب طاقته العلمية الجبارة هذا الثبت من الكتب والابحاث : كتاب الزراعة العلمية الحديثة ، وهو يبحث في الاتربة والاعمال الزراعية العامة والاسقاء والصرف والاسمدة والدورة الزراعية ، وزراعة الحبوب والقطاني وبعض البقول ونباتات الكلاء والنباتات اللفية والدهنية والصبغية الخ ...

كتاب « الاشجار والانجم المثمرة » ويتناول بحث ثلاثين نوعا من اشجار الفواكه وانجمها كالزيتون والكرم والبرتقال والمشمش والفستق والبطيخ وتوت الارض الخ ...

كتاب « البقول » ويبحث في زراعة اهم الخضر في بلاد الشام وعددها خمسون بقلة ...

كتاب « الدواجن » ويبحث في تربية الخيل والبغال والحمير والبقر والجاموس والضأن والمعز والابل ...

« الدفاتر الزراعية » وهي رسالة في كيفية استعمال الدفاتر الزراعية بالطريقة البسيطة ...

معظم الالفاظ الزراعية : وهو معجم فرنسي عربي لالفاظ العلوم الزراعية الحديثة كالزراعة العامة والخاصة وزراعة البساتين وعلم الخراج ، وتربية الخيل والماشية والنحل والسمك والطير الاهلية ، وما له صلة بالزراعة من نبات وحيوان وحشرات وآلات وجريات وصناعات ومعدنيات واقتصاديات الخ ...

كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث » : وهي عشر محاضرات القاها الامير على طلاب معهد الدراسات العربية العالية عام ١٩٥٥ ، ويعد هذا الكتاب فريدا في بابه من حيث وسائل وضع المصطلحات ، وتطور اللغة العربية لاستيعاب العلوم القديمة والحديثة .

كتاب الاستعمار : يبحث في تاريخ الاستعمار في الارض ولا سيما الاستعمار الاوروبي الحديث ، وفيما يسميه الاستعماريون حقوق الاستعمار ، وفي اساليب المستعمرين في ادارة شئون المستعمرات والاستيلاء على مرافقها ، وفي القضية العربية والثورة العربية ، وعلاقات الدول الاستعمارية ببلاد الشام ، ولا سيما الانتداب الفرنسي في سورية عقب الحرب العالمية الاولى .

كتاب « القومية العربية : تاريخها وقوامها ومراميها » وهي محاضرات القاها الامير عامي ١٩٥٧ — ١٩٥٨ على طلاب معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة .

معجم المصطلحات الجراحية ، بالانجليزية والفرنسية والعربية ، وهو يشتمل على نحو الف لفظة معرفة بالعربية تعريفا علميا موجزا ، وقد نقله الى العربية بطلب من منظمة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة .

كتاب الشذرات ، وهو يشتمل على جانب اختاره من محاضراته وبحوثه ومقالاته العلمية والادبية والفلسفية والفنية والقومية .

وكان للامير الجليل ، فضل كبير في وضع وتحقيق الفاظ « المعجم العسكري » الذي اصدره الجيش بدمشق، اذ كان رئيسا للجنة التي نقلت الفاظ المعجم الى العربية ، بعد ما تم وضعه على قسمين : انجليزي عربي ، وفرنسي عربي .

ومن الكتب التي نظر فيها : كتاب « تطور الزراعة في الشرق الاوسط » لمؤلفه الدكتور كين ، فقد اشرف على ترجمته العربية ، ثم اعاد كتابتها كلها بقلمه ، وشرح بعض جمل الكتاب ، وعلق على جمل اخرى ، بناء على طلب

الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية .

وللامير بحث طويل في « الزراعة الحديثة في الشام » غير مشاركته في كتاب : « المعلومات الفنية » التي تضمنتها الطبعة الثانية لكتاب « الغوطة » .

وله بحوث وتحقيقات ودراسات كثيرة في اللغة والمصطلحات العربية جاوز عددها الخمسين ، كان ينشرها في مجلة « المجمع العلمي العربي بدمشق » او مجلة « المقتطف » او كان يتلوها في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وهي :

الوان الخيل وشياتها ، نظرة في كتاب الفلاحة الاندلسية لابن العوام ، اسماء نباتات مشهورة ، الفاظ التصنيف في التناريات ، العشر والخراج في الخلافات العربية ، مصطلحات جيولوجية ، كلمة Amalgame الاعجمية هي من « الملغم » العربية ، اسماء الفصائل النباتية ، جملة من المصطلحات النباتية،الجزء الخامس من كتاب: «النبات» لابي حنيفة الدينوري ، نهضة اللغة العربية للتعبير عن حاجات الحياة العصرية والتعليم العالي ، مصطلحات الاجتماعيات النباتية ، كلمات مولدة مشهورة في كتاب : « قوانين الدواوين » لابن مماتى ، الاقليم في الفرنسية والعربية ، مدى النحت في اللغة العربية ، مدى التعريب في الفاظ تصنيف المواليد ، كتب الفلاحة العربية والفاظها المولدة ، الفاظ الانواع النباتية (بحث يشتمل على نحو ٧٠٠ لفظة لاتينية ، ذكر مقابلها بالعربية) ، تأثير العرب والعربية في الفلاحة الاوروبية ، بعض المؤلفات الحديثة في المصطلحات العلمية .

والواقع ، انه لا غرابة في هذا الجهد ، اذا عرفنا ان الامير يعيش عيشة منتظمة هادئة في داره المشرفة على دمشق والغوطة ، متزوجا خلافا لعادات اسرته من اسرة تجار دماشقة ، ويتحلى بكثير من الصفات التي جعلته يأخذ مكانه وسط هذا الجيش اللجب من العلماء والباحثين والمفكرين من ابناء جيله ، ويطغي اسمه على اسمهم ، بارادته القوية ، وهمته العالية ، وسعة صدره ، وطيب قلبه ، ورقيق شعوره ، وصريح كلامه ، ونفاذ بصيرته ، غير وراثته صفات الحاكم عن اجداده بابائه وشممه ، وترفعه عن الدنايا وسفاسف الامور .

وللامير مذاهبه الدينية والقومية ، فهو يؤمن بوجود مدبر لهذا الكون ، ويعترف بقصور عقل الانسان عن حده وادراكه ، ولهذا يذهب مذهب اكثر العلماء وهو : « اللاادرية » ويحترم الاديان السماوية ، ويعتقد ان قواعد الاخلاق التي اشتملت عليها ، قد نفعت البشرية منافع جليلة ، كما ان العقيدة الدينية ، راحة وسلوى وعزاء لا كفاء لها في هذه الحياة . ويرى ان القومية العربية مدينة للدين الاسلامي كثيرا ، ولا سيما في السنين الخوالي ، وان نهضتنا الحديثة يجب ان تؤسس على القومية العربية .

والامير من اكبر قدماء الدعاة الى جامعة الدول العربية، على ان يسار بتلك الدول نحو الاتحاد فالوحدة ، غير عمله على استقلال بلاد العرب في الجمعيات السرية والعلنية منذ اوائل هذا القرن ، متبعا سبل الحكمة في دعوته ، ناصحا بالتريث والصبر ، حتى تطيب ثمار الجهاد ، فيجنيها العرب وهم بها زاهون تياهون على من عداهم من امم البغي والعدوان . .

على ان للامير مذاهبه الاجتماعية ، بجانب مذاهبه الدينية والقومية ، فهو يميل الى الاشتراكية المعتدلة ، ويرى ان العالم اصبح لا يطيق وجود الثراء الواسع في جانب الفقر المدقع ، ولا بد للعالم العربي من اتخاذ قوانين تقضي بتوزيع الارض على مستغليها ، وجعل المرافق العامة في يد الدولة ، واحكام الرقابة على كل من تحدثه نفسه ، او يركن الى الهدم او الاثارة ، فضلا عن رايه في زيادة نشر التعليم الابتدائي والفني ، وتعليم المراة ورفع الحجاب والمحافظة على عاداتنا العربية ، والتعصب للغتنا وثقافتنا.

وهو عدو للاستعمار والمستعمرين ، ويرى ان اكثر الحروب الحديثة من جناياتهم ، ويكفي في توضيح رايه كتابه : «الاستعمار» وهو عامر بالنظريات التي تبين اضرار المستعمرين في المجتمع البشري ، غير انه لا يرى رأي الداعين الى الانسانية الشاملة في البلاد العربية ، بل يقول بالقومية العربية الوثيقة ، ففي حصر جهودنا بنطاقنا العربي خدمة للانسانية كلها ، اذ لا يجوز تفكيك عرى القومية عندنا ، ما دام الغربيون الاقوياء يربون ابناءهم ويسيرون في معاملة بعضهم لبعض، وفي معاملتهم للشعوب الضعيفة ، على مبادىء القومية المتطرفة ، وعلى قواعد الاثرة والاستعمار . فالذين يجب ان تكون نظرتهم الى العالم نظرة انسانية ، هم ابناء الشعوب الغربية القوية ، لا هذه الشعوب التي قصاراها: الدفاع عن كيانها واستقلالها.

وفي خاتمة كتاب « القومية العربية » يقول الامير : « ليست القومية العربية فلسفة قومية ضيقة ، ولا مذهبا اجتماعيا محدودا ، قوامه الاثرة او التعصب او البغضاء ، بل هي فلسفة اجتماعية بناءة تقدمية ، تدعو كل عربي الى محبة امته العربية ، ووطنه العربي ، والى الاعتزاز بماضي هذه الامة ، والى العمل التقدمي لحاضرها ولمستقبلها ، كما تدعو الى محبة الانسانية والى خير البشرية ، والى حق كل شعب على الارض بتقرير مصيره » .

وقد رحل الامير الشهابي ، ست مرات متتابعات الى القاهرة ، بدات من عام ١٩٣١ حتى ظهور الحرب العالمية الثانية ، وكان يمكث في كل مرة شهرا وشهرين ، يكتب في الجرائد والمجلات ويحاضر في النوادي ، ويتابع الحركة العلمية والادبية ، ويدعو الى القومية العربية والى تضامن الدول العربية واتحادها ، ولهذا اصبحت له شهرة في الديار المصرية لا تقل عن شهرته في بلاد الشام .

وفي سنة ١٩٤٠ ، رحل الى العراق بدعوة من وزارة المعارف العراقية ، فالقى اربع محاضرات في ردهة كلية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحقوق ، ومحاضرة في محطة الاذاعة ببغداد ، وعاد بعد الحرب فرحل الى القاهرة مرات ولا سيما بعد انتدابه عضوا مراسلا ، ثم عضوا عاملا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

غير ان الذي يتابع جهود الامير العلمية والادبية ، يضنيه البحث ، ويتعذر عليه الالمام باتجاهات هذه العقلية العربية الجبارة ، التي بلغت الغاية في البحث ، ونفعت العلماء في كل منحى من مناحي الحياة ، حتى ان البحاث على اختلاف درجاتهم ، والمفكرين على تباين ثقافاتهم يشهدون له بطول الباع ، والمعالجة العلمية بالاسلوب السهل السلس مما دفع الانسة « مي » رحمها الله ، ان قالت : « انها ما استمعت مرة الى ابحاثه الدقيقة في شتى العلوم والاداب والمذاهب الفلسفية ، الا وتمثلت لها وحدة الوجود » .

وفي عام ١٩٥٩ ، القى الامير في الدورة السادسة والعشرين لمؤتمر مجمع اللغة العربية بحثا عنوانه : «الفاظ زراعية حضارية » وعند انتهاء البحث ، قال الدكتور ابراهيم مدكور كاتب سر المجمع في محضر الجلسة : «اعتقد انكم تشاركونني جميعا في شكر السيد الاستاذ الامير مصطفى الشهابي ، على مساهمته الواسعة فيما يتعلق بالمصطلح العلمي العربي ، واستطيع ان اقول ان كثيرا مما اقررناه من مصطلحات في علوم الاحياء وخاصة النبات منها ، كان بعد نقاش من السيد الامير » .

وقال الدكتور طه حسين في الجلسة نفسها : مع شكري للسيد الامير واعترافي بان كل ما قدمه للمجمع ومشاركته لنا ، كان خصبا دائما ونافعا ، وباني مع هذا الشكر ـ الذي لا معنى لتكراره لاني اعلم ان السيد الامير لا يحب الشكر والثناء ـ اريد ان اسأل السكرتير العام ... الخ » .

وفي الجزء الثاني من المجلد الثلاثين من مجلة « المجمع العلمي العربي » مقال للدكتور مرشد خاطر ، عن كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » جاء فيه :

« ... موضوع شائك لا يستطيع الجولان فيه ، الا من وقف نفسه على التقصي ، وبحث جليل تفتقر اليه لغة الضاد اشد الافتقار ، فلا عجب اذا ما انتدب له بحاثة كبير كالامير مصطفى الذي عانى امر المصطلحات العلمية زهاء ثلث قرن ، فوضع وحقق في خلال هذه السنوات الطوال الوف المصطلحات في علوم الزراعة والمواليد ولا سيما النبات ... الخ » .

كما كان للامير شكيب ارسلان رسائل تفيض بالثناء ، على جهود الامير الشهابي العلمية والادبية . فمن رسالة له:

« قرات في المجلد الثاني عشر من مجلة مجمعنا رحلة الى القاهرة لسعادة الاخ الامير مصطفى الشهابي ، اطال الله حياته ، ونفع به ، فاذا هو بينا هو يذكر اعيان فضلاء السوريين النازلين بمصر ، يستطرد في الكلام استطرادا بمقتضى لطفه ، ويجعل لي نصيبا من حسن ظنه ، مع اني في جنيف جد بعيد عن مصر ، ولكن يأبى الغيث ، وهو الذي يروى على مسافة شهر ، الا ان يتناول البعيد ، كما يتناول القريب ...

وما اريد الآن ان اتواضع لازداد تمدحا ، ولا ان اقابل ثناء بثناء ، ولكن اقول مقالة معترف بالحقائق : اين المثنى في تحقيقاته العلمية ، وتدقيقاته التاريخية ، وملاحظاته الادبية ، وتقريراته الزراعية ، وبحاره الزاخرة ، انه لامير العلماء حقا وعالم الامراء فعلا ، واني مع شيخوختي هذه لراض ان انضوي تحت لوائه ، كما انضوى شيوخ الصحابة تحت لواء اسامة ... الخ » .

وكتب العلامة الاب : انستاس ماري الكرملي بحثا في مجلة « المقتطف » القاهرية ، عن كتاب : « معجم الالفاظ الزراعية » جاء فيه :

« ما من أحد من قراء العربية يجهل اسم الامير الاستاذ مصطفى الشهابي ، فشهرته معروفة مما وشى به المقتطف ، ومما بثه على صفحات مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق وكان جمهور ابناء مضر ، يتمنون ان يروا بين ايديهم هذا المعجم النفيس الذي كان يذكره كثيرا في مقالاته المحجلة . وقد امتاز هذا المعجم باشياء كثيرة لا ترى في طائفة من هذه المصنفات » .

وانهى الاب انستاس بحثه بقوله : « نحكم من مطالعة هذا المعجم النفيس على سعة اطلاع الامير في الموضوع الذي عالجه ... وفي الختام اننا نشكر العلامة الجليل على ما اتحف العربية بهذه الهدية الثمينة . ولا جرم ان كل عالم واسع المعرفة ، وكل مضري لا يخامره الحسد ، يشكره معنا ، لانه اهل لكل تقدير ، اذ صرف في وضع هذا التصنيف احسن ايام حياته ، واثمن ساعاته ، كافاه الله احسن مكافاة على عمله هذا العظيم » .

وقال الاستاذ العقاد : « ... ليس هذا المعجم ، في الواقع ، بالجديد بالنسبة الى العالم البحث مؤلفه القدير ، سواء في الكثير من مفرداته ، او في الطريقة العلمية التي يتوخاها عند نقل المصطلحات او تعريبها او وضعها ، بما هو معروف عنه من سعة المعرفة بعلمه ، وفرط الغيرة على لغته ، وحسن التصرف في ادائه لعباراته . وقد اطلعنا على هذه الطريقة في معجمه السابق للالفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية ، ووقفنا على شيء من تفصيلاتها التي يعرضها للمناقشة في جلسات المجمع اللغوي ، وهو علم من اعلامه النابهين الذين يمحضون له اكبر العون في علم النبات خاصة ، وفي غيره من العلوم على الاجمال » .

وحسب الامير العظيم ، شهادة هؤلاء الاعلام ، وغيرهم من لا استطيع اثبات شهاداتهم لضيق المقام ، ولغنى الامير عن هذه الشهادات ، التي ينوب عنها كتبه الكثيرة وبحوثه القيمة ، وريادته في العلوم والآداب ، ودابه طيلة هذه السنين ، وصبره دون من ، او اجر ، على عمل يراه فريضة على عقله وجسمه . وجزاؤه دعاء الى الله ، ان يطيل في اجله وينفع بعلمه .

القاهرة **ابو طالب زيان**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الكونت دي جالارزا

الفيلسوف المستشرق جالارزا

المعلم الذي وجهنا الى المحبة والحكمة

بقلم نقولا يوسف

رأيته اول مرة صباح يوم من خريف عام ١٩٢٢ في فناء « مدرسة المعلمين العليا » بحي المنيرة بالقاهرة .. وكان قد تناهى الينا شيء من أخباره قبل ان اراه .

كان يسير معتدل القامة ، ممشوق الجسم ، متزن الخطى ، حاملا مظلة سوداء مفتوحة في يد، وحقيبة صغيرة باليد الاخرى ، ولابسا « ردنجوت » انيقا أسود .. كما كان القفاز والحذاء اللامع و « البمباغ » العريض الذي يحجب ياقة عالية بيضاء يصل طرفاها الى ذقنه ، سوداء اللون جميعا .. وعلى راسه طربوش قصير احمر ، يبدو من تحته شعر اشقر يضرب الى الحمرة ، قيل انه شعر مستعار .. اما وجهه فكان حليقا وسيما ، مشربا بحمرة خفيفة .. فكان بهذا المنظر اشبه برجل من خاصة القرن التاسع عشر ، خرج الينا من احد كتب التاريخ ، الى أنه كان يحمل لقب « الكونت » الذي توارثه عن اسرة اسبانية قديمة عريقة ..

وتبعته بنظري فرأيته يقفل المظلة بتؤدة ، ثم يصعد السلم المؤدي الى الطابق الثاني ، ويسير على مهل في الشرفة الطويلة حتى يصل الى نهايتها ، وهناك يدخل غرفته ، ويختفي عن الانظار . قيل انه يخلو بنفسه هناك كل يوم بضع ساعات ، ليؤلف الكتب الفلسفية التي عهدت اليه وزارة التربية بوضعها ..

ثم كنا نراه كل صباح ، يدخل الى تلك الحجرة حيث يكب على القراءة والكتابة ، ويقضي الساعات مع افلاطون وكانت ، وابن سينا وديكارت وغيرهم من حكماء الشرق والغرب ، بعيدا عن ضجيج العالم .. ولم يكن بمعهد المعلمين يومذاك جلبة ولا زحام . فكنا نحو ثمانين طالبا موزعين على ثمانية فصول نتلقى العلوم على عدد من الاساتذة العرب والغربيين في هدوء وسلام ..

وكنت عامذاك طالبا في الثامنة عشرة ، مشغوفا بالكتب وما حوت .. فاجتذبتني اليها تلك القاعة الفسيحة ذات الخزائن العامرة ببضعة آلوف من الكتب العربية والافرنجية ولا سيما حين يهدا المكان .. وهناك ارى امين المكتبة ، الشاعر « احمد رامي » قابعا وراء مكتب عريض ، يدخن ويقرأ ، ثم يسطر بيتا من قصيدة شعرية او مقطوعة غنائية ، ليبعث بها الى جريدة « السفور » ، او الى «الانسة ام كلثوم » (وكان « رامي » شابا في الثلاثين ، ومتخرجا من مدرسة المعلمين هذه عام ١٩١٤) ، فاذا ما مللت الطواف ، جلست الى الشاعر لنتم حديثا عن الكتب ومؤلفيها ، او استمع الى نادرة يحكيها ، او ابيات يرويها ، وكانت قد مرت سنة كاملة منذ ترددي على هذه المكتبة المدرسية وامينها ..

وفي شهر نوفمبر ١٩٢٢ تهيأ الشاعر رامي للسفر في بعثة الى باريس ليدرس فن المكتبات واللغة الفارسية ، ويعود بعدها أمينا بدار الكتب المصرية بالقاهرة بقية حياته الوظيفية .. وعهد بامانة المكتبة الى الاستاذ جالارزا ، الى جانب ما يلقيه على الطلاب من محاضرات فلسفية.. فرأيت الشاعر والفيلسوف ، معتكفين في تلك القاعة عدة ايام — يحصران اسماء الكتب وارقامها ، والفيلسوف يتسلمها واحدا بعد آخر .. فانقطع ترددي على المكتبة الى حين.. حتى اذا كان يوم ١٣ من ديسمبر ١٩٢٢ (كما تنص يوميات الصبا) جاءني (عثمان) ، عامل المكتبة ، يقول ان «جناب الكونت دي جالارزا» يرغب في رؤيتي !.. فدهشت اذ لم يسبق ان التقينا من قبل !.

وذهبت الى المكتبة فوجدتها خالية من الطلبة ، يسودها صمت وسكينة ، وتحمل اليها النسمات من النوافذ ، عطور ازهار الحديقة المجاورة .. كانها هيكل مهيب تسرح فيه ارواح اولئك العباقرة الذين احتفظت تلك القماطر المتسقة بعصارة قلوبهم وعقولهم .. وفي ركن من ذلك المكان رأيت كاهن الهيكل جالسا على مقعد منخفض مستطيل وراء المكتب العريض ، مرتديا ملابسه السوداء التي لا يبدلها غائصا في تأملاته .. وعلى مسافة قريبة جلس « عثمان » لا يفكر في شيء كما يبدو !.

وقدمت نفسي الى الفيلسوف « جالارزا » فهب واقفا.. ثم تناول ثلاثة كتب صغيرة كنت ترجمتها وطبعتها واهديتها الى مكتبة المدرسة ، فعثر بها وسأل عنها « عثمان » ، فحدثه عني وعن تعلقي بالمكتبة والكتب والكتابة !..

وبادرني الاستاذ يقول باسلوبه العربي الفصيح ، وصوته الواضح الرقيق ، انه تصفح كتبي هذه ، واستنتج من مقدماتها انني اتجه نحو المعنويات ، واشير الى ضلال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المجتمع ، وهذا ادراك قلما يصل اليه المسنون ، ولهذا احب ان يراني ليوصيني بمواصلة البحث وراء الحقيقة والتعرف الى الحكمة ...

وهنا تدخل « عثمان » عامل المكتبة وشاء ان يزيد الاستاذ تعريفا بي ، وانطلق يقول انني الفت كتابا « مهما » اسمه : « الفردوس » !.

وابتسم الاستاذ وابدى اهتماما بالامر ثم قال : « الفردوس ! أحب ان ارى الفردوس !.. » ثم اخذ يحدثني عن قلة المشتغلين بالعلويات والادبيات لان الاكثرية لا تبالي غير الماديات الزائلة ، والخير والاخيار في كل شيء وفي كل مكان اقلية ... وعاد يحثني على طلب الحكمة..

وبعد ايام قلائل عدت اليه ومعي ذلك الكتيب ، وحي السابعة عشرة ، الذي حاولت فيه باسلوب الشعر المنثور، وبسذاجة الحداثة واحلامها ان أصور « يوتوبيا » مدينة فاضلة ، مصغرة ، على جزيرة نائية انفرد فيها بنفسي وبمن احب ، بعيدا عن شرور الناس وتقاليدهم وقيودهم ، واعيش كواحد من طيور الحقل والبحر !! وكان هذا الكتيب قد طبع في شهر أكتوبر ١٩٢٢ ..

وقدمت كتبي الى الاستاذ في حياء .. وسألته ان يبدي فيه رأيه .. فاجاب : « سأتلذذ بقراءة كتاب الفردوس !.. » ـ وتشعب الحديث عن ضرورة التعلق بالامور العلوية، والمسائل الفلسفية ، والبحث عن الحكمة ، لانها « التدبير الصحيح للخير الاعظم » .. وكان هذا اول مجلس فلسفي لي مع هذا الحكيم ، تكرر فيما بعد الى ما يقرب من الف مجلس تحدثنا فيها عن الوف المسائل والمعضلات والمذاهب الفلسفية والفلاسفة القدماء والمحدثين ..

وبعد بضعة ايام جاءني « عثمان » حاملا كتابا ورسالة.. اما الكتاب فكان احد مؤلفات الفيلسوف جالارزا: «محاضرات الفلسفة العامة وتاريخها في الجامعة المصرية ـ السنة الدراسية ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ » .. وكتب عليه عبارة الاهداء : « الى محب الحب والنور ـ نقولا افندي يوسف ـ من المؤلف ك. دي جلارزا ـ ٢٤ ديسمبر ١٩٢٢ » .

واما الرسالة فكانت داخل مظروف مختوم ، وكتبت بخط عربي جميل ، وهي بنصها :

« عزيزي : اشكر لك حسن ظنك بي حيث اهلتني لانتقاد كتابك الجميل ـ الفردوس . ولكني وجدت انه لا يقدر على ذلك الانتقاد احد سواك. لان مؤلفك مظهر لضميرك ونقد ما في الضمير لا يكون الا بمزيد التجارب الوجدانية والتعلم . والذي استنتجته من قراءتي هو ان الفيلسوف الحق لا يمكن ان يخلو من الاهتمام القلبي عندما يرى شابا في سن اقتفاء النور ، يفهم شر الناس الى درجة أن يتألم منه ، ويطلب لنفسه طريقا غير الذي يسير فيه الجمهور ، ويتوجه برقة شعوره نحو المحبة الصحيحة ، ويستريح بأن يتخيل علو الآلهة ، ويقدر الجمال قدرا عظيما ، فهذه الهيئات الروحية كلها دواعي ليحب في شخصك الاله الذي صورك وليهني الحبيب المذكور في اول كتابك وفي آخره. الداعي لك بكل خير : جالارزا » .

* * *

ورحت ادرس محتويات هذا الكتاب المهدى الي « محاضرات الفلسفة العامة ... » وكان يتضمن اربعة ابحاث مسهبة عن فلسفات : ابن سينا ، وباسكال ، ومالبرانسن ، وكانت واخلاقياته ..

وراقت لي مقدمة هذا الكتاب التي كتبها عام ١٩٢٠ ويخاطب فيها المؤلف تلاميذه ، ومنها : « .. فليشرق علينا دور آخر من حياتنا الروحانية العادية ، حياة الادراك الشامل ، التي فيها كنا وسنكون دائما جميعا كائنا واحدا ظاهره الفاظ وابدان وباطنه معان وانوار .

ولنشهد للحق مسبحين له في كل وقت ، بكل ما نضمره ونقوله ونسمعه من كلام الفلاسفة المؤمنين والمفكرين . فان الانكار والظلام يشهدان له كسائر الاشياء . الا انهما لا يفهمان شهادتهما فهما بمقام الفاظنا وابداننا التي لا تفهم ما نفهمه منها .

ولنحب كل مفكر في العالم ، مهتديا او ضالا ، فالضال يحب الشفوق المتألم معه ، والمهتدي يحب المسرور بسرور اخيه .

ولا نستنكف من البحث في اي مذهب من المذاهب ، فان صدر الحكمة رحب ورحمتها عظيمة ، مثل فكرها الجامع لانواع الاضداد التي دبرتها هي ، وهي المدبرة لجميع الموجودات كما انها المدبرة لحياة محبها الفيلسوف . بل هي نفس التدبير الصحيح للغاية الصحيحة المستند الى علم المبادىء ... »

ثم يقول : « ... راعينا في نمط تعليم الحكمة قاعدة مبدئية مهمة ، شاركنا في اتباعها بعض الفلاسفة المجتهدين الصادقين مثل « كانت » ، وهي ان ندعو المتعلم الى التفكر الاستقلالي حتى يصير فيلسوفا لا ذاكرا كلام الفلاسفة فقط . فان هذا عمل لن يغلب فيه الانسان المجلدات الضخمة والآلات الحاكيات ... »

ويقول : « ... ارى انه يحسن بطالب الحكمة ان يكتسب لنفسه المعاني الفلسفية ، حتى يكون دماغه ظرفا لافكاره ، لا لالفاظ تلبس افكار الغير .. »

«وعلى طالب الحكمة أن يستمر في هذا الجهاد الروحاني الاعظم الى ان يصير ذا روح شخصي ، ويدرك في اشد الجسم بلوغ الروح . فيتحرر من جميع قيود العتاهة . فان نصيب من لم ينل شيئا من الحكمة هو العتاهة ، كما ان نصيب من لم ينل من العلم هو الجهل . وكلاهما بلاء عظيم ، يجعل البشر يتخبطون في جميع شئونهم ! »

ودعاني هذا الكتاب الى قراءة مجلد آخر له بعنوان : « محاضرات في الفلسفة العامة والفلسفة العربية وعلم الاخلاق في الجامعة المصرية سنة ١٩١٨ ـ ١٩١٩ » .

وكان له كتاب في « فلسفة اليونان » سمعت به ولم اره ..

واما تعليقات المؤلف الخاصة في هوامش مجلدي المحاضرات فتدل على استقلال في الراي ، وحرية في النقد ، بقدر ما تدل على عقل منطقي متزن ، واطلاع واسع ..

ويبدو انه لم يطبع من محاضرات الاستاذ جالارزا في تلك الجامعة المصرية القديمة غير ما القاه فيما بين ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ ، فانه عين محاضرا بها من اكتوبر ١٩١٣ وتركها عام ١٩٢١ ..

* * *

ثم لازمته بعد ذلك في مكتبة مدرسة المعلمين ثلاث سنوات في فترات كثيرة غير منتظمة (من خريف ١٩٢٢ الى صيف ١٩٢٥) حين خرجت للاشتغال بالتعليم ، ومارست تجارب جديدة كانت تلهيني عما أحب .. ولكني كنت اتردد عليه في بعض الاحايين بالمكتبة كالعادة ، فأرى الزحام يشتد حوله عاما بعد عام ، والعمل يطوقه ولا يسمح بجلسات فلسفية هادئة ..

وفي مارس ١٩٢٨ أرسلت اليه كتابا جديدا نشر لي بعنوان : « نسمات وزوابع » ـ مقطوعات في شعر فشور ـ فارسل الي وسط زحمة العمل الرسالة التالية :

« عزيزي : قد فاجأتني هديتك بالسرور . واني سامضي ساعات هنيئة في شم النسمات التي آنستها مطمئنا من الزوابع . وقد نبأتني صور كتابك بما فيه من الجمال الروحاني ، فضلا عن حسنات اخرى انتظرها من المؤلف ، ولا اشك في اني سأجدها فيه ايضا . فاشكرا لك تذكارك النفيس شكرا جزيلا تصحبه ازكى تحياتي . في ١٨ ـ ٣ ـ ١٩٢٨ : كونت دي جالارزا » .

ثم ندرت رؤيتي له ولم اعد اراه بعد عام ١٩٢٩ حينما نقلت من القاهرة الى مدينة اسيوط بسبب حملاتي الاصلاحية في الصحف ، ومهاجمتي للرجعية وتحمسي للتجديد بجريدة « السياسة الاسبوعية » يومذاك ..

.. كانت احاديث ذلك الحكيم الي اشبه بدروس خاصة ، اخرج منها في كل مرة مستفيدا مستنيرا .. وكان لها اثر جلي في نفسي ، زادتني تعلقا بالفلسفات والروحانيات ، وبعلم النفس والفكريات . ولم يعكر مجراها الصافي في نفسي غير نزولي الباكر الى معترك الحياة واشتغالي بمهنة التعليم الشاقة في عهد كانت تسوده المساوىء وتزكمه عفونة المستنقعات !..

وكان حديثنا باللغة العربية الفصحى التي كان يتقنها هذا الحكيم كعالم من الازهر .. كما كان يتحدث بالعامية المصرية اذا شاء ، ويلم الماما تاما باللغات الاسبانية ، والالمانية ، والفرنسية ، والانجليزية ، والايطالية ، ثم اليونانية القديمة واللاتينية . ويقرأ الكتب بهذي اللغات الثماني ...

وطرقنا ما لا يحصى من الموضوعات ، وتناقشنا في شتى المسائل والبحوث والمعضلات .. تحدثنا عن الكون منذ ان كان سديما الى عصر انسان اليوم .. وبحثنا في النفس وكمالاتها ، والحكمة وغاياتها ، والاديان ورسالاتها .. والعقل وكوامنه ، والمجتمع ومشاكله ، والعالم وضلاله ، والروح وخلوده .. واستشرنا الحكماء الاقدمين ومذاهبهم ، والفلاسفة المحدثين وآراءهم .. وتكلمنا عن الجمال والخير ، والحياة والموت ، والحب والفضيلة ..

وقص علي الاستاذ جالارزا تاريخ حياته ، وكيف احب الحكمة ، وضحى من اجلها بالمناصب ، وهجر الاهل والوطن للبحث عنها .. وهي القصة التي سوف يرويها باختصار فيما يلي ..

ولم أكن الطالب الوحيد الذي كان يجالس الاستاذ في تلك المكتبة او في خارجها .. فكان يحادثه نفر من المعجبين بعلمه ، ويسألونه وهو يجيب كل سائل بتواضع وبشاشة .. ولم يخل الامر احيانا من بعض اللاهين الذين يسألونه في أمور فلسفية لا تهمهم ، وهو لا يضن عليهم بالاجابات السديدة ..

وعلمت انه كان منذ مجيئه الى الاقليم المصري عام ١٩٠٣ مقصدا للكثيرين من الطلاب الذين تتلمذوا عليه في الفلسفة ، وكانوا يقصدون اليه اني ذهب ، وبينهم المئات من طلبة الجامعة المصرية القديمة بالقاهرة حيث علم نحو ثماني سنوات .. وكانت الكاتبة المعروفة « مي زيادة » احدى تلميذاته في تلك الجامعة . وكانت شديدة الاعجاب بشخصه وآرائه ، وتحاكيه في المامه بثماني لغات .. وظلت وفية لانتمائها حتى النهاية ، كما كانت تراسله وتهدي اليه مؤلفاتها تباعا وتسأله رايه فيها ، وتصحب عبارة الاهداء بكلمة الخشوع ، فتوقع : «بخشوع ـ مي» .. وكنت ارى بعض مؤلفاتها في يده فاسأله عن رايه في الكاتبة فيقول : « ان « مي » امرأة ، ولهذا كان في اسلوبها طراوة المرأة وشاعريتها .. » . ورأيت امامه مرة كتابها الذي طبعته عام ١٩٢٣ بعنوان « المساواة » وتحادثنا عنه فقال : « ان المؤلفة بعد ان وصفت النظم الاجتماعية في اجمال ، خرجت دون ان تقطع براي وقالت انها لا تعلم حقها من باطلها !.. وتناولت الكتاب وقرأت في صفحته الاخيرة قول مي :

« .. فالنظم الاجتماعية تتطور ككل شيء حيوي ... فلننتظر اذن ما هو كائن ... كفانا ان نرقب سير الحوادث متكلين على نفوسنا ، محدقين في وجه الحياة بلا وجل ، مستعدين لتبين الصلاح والحقيقة .. ولنكن ابدا مطلقين هذا الهتاف الجامع بين الاخلاص والحيرة ... هأنذا وحدي ايها الليل ، فعلمني ما يجب ان اعلم ! هأنذا مستعد ، ايتها الحياة ، فسيريني حيث يجب ان اسير ! »

ولا يقبل جالارزا ـ تلميذ افلاطون ـ هذه اللا ادرية ولا هذه الحيرة الشعرية من تلميذته « مي » !

كان لملازمته للفلاسفة وفلسفاتهم طيلة حياته ـ وهنا عالم لا تشترك فيه المرأة الا فيما ندر ـ ما باعد بينه وبين النساء ، فكان لا يتحدث عن المرأة الا لماما ، ولا يشركها معه في فكره ، ولم يتزوج قط ، ولم يحب غير امه التي ترك موتها في قلبه حسرة .. وعاش مع كتبه في عزلة اشبه بالرهبنة ..

وكان يشبه حكماء الاغريق الاقدمين ـ وبخاصة افلاطون ـ وكانوا اذا ما عثروا على راغب في اقتناء الحكمة ، سعوا اليه بقدر ما يسعى اليهم ، ليرشدوه ويشجعوه على المضي في هذا الطريق القويم .. لا ان يتجاهلوه او يتنكروا له أو يترفعوا ، خشية أن يصبح لهم منافسا يزاحمهم الشهرة!

كان معلما منكرا لذاته ، عازفا عن الصيت والماديات ، يعطي اكثر مما يأخذ .. لا يضن بالاجابة عن اي سؤال ، ومصارحة كل باحث ، باللغة التي يسأل بها .. لا يتعصب لرأي أو مذهب او جنس .. ولا تراه الا باسما ، حليما ، متواضعا ، كريم الخلق ..

وشاهدته يوما يكتب بحبر الطبع على صفحات كبيرة ، ثلاثة كتب فلسفية فرغ من تأليفها وهي : كتاب في فلسفة افلاطون ، وكتاب في فلسفة لوك ، وكتاب في فلسفة اسبينوزا .. ثم طبع بمساعدة عامل المكتبة على الفالوزج ، أربع نسخ من كل كتاب ، اظنه اهدى واحدة الى دار الكتب المصرية بالقاهرة ، وثانية الى مكتبة المدرسة ، وثالثها حفظها عنده او عند غيره .. ولم أر واحدا من هذه الكتب مطبوعا في المطابع العامة ، ولا اعلم مصير تلك المخطوطات ، ولعلها ذهبت مع الريح !..

* * *

وفي السنة الدراسية ١٩٢٣ ـ ١٩٢٤ ، وما تلاها (١٩٢٤ ـ ١٩٢٥) ، طلبنا من الاستاذ جالارزا ان يلقي علينا بعض المحاضرات العامة . فلبى الطلب ، ولكنه فضل اسلوب المحاورة على طريقة محاورات افلاطون المعروفة ..

فاجتمعنا ظهر يوم في احد فصول المدرسة ، وكان موضوع المحاورة الاولى التمهيدية : « تعريف الحكمة » ، واستغرق ذلك التعريف الاجتماع الاول كله .. فكان كل طالب يدلي برايه ويناقشه الاستاذ فيه .. وازدحم المكان في اليوم الاول حتى سدت النوافذ والابواب ، ولما اشرت الى هذا الاقبال بعد الاجتماع ، ابتسم وقال ان الكثيرين يأتون اولا للفرجة ، ولا يلبث العدد ان يتناقص حتى يقتصر على محبي البحث الحقيقيين .. وصدق ظنه فما جاءت المحاورة الخامسة او نحوها حتى كان عدد الحاضرين لا يزيد على العشرة !..

وفي ذلك العام الاول ، قام بتسع عشرة محاورة مع طلبة القسم النهاري في تلك المدرسة ، وسبع عشرة محاورة مع القسم الليلي الذي افتتح هناك في تلك السنة لمن شاء من الموظفين الراغبين في استكمال دراستهم ليتخرجوا معلمين .. وكان الاستاذ يوزع في كل اجتماع ملخص المحاورة السابقة ـ كتبها وطبعها بنفسه ..

وفي العام التالي (١٩٢٤ ـ ١٩٢٥) اكمل محاوراته مع طلبة القسمين النهاري والليلي . وكان طلبة القسم الليلي أشد اقبالا على تلك الاجتماعات الفلسفية اذ كانوا اكبر سنا ـ ويلاحظ ان جميع محاضرات الاستاذ جالارزا ومحاوراته بمدرسة المعلمين العليا هذه ـ طوال تلك السنين ، كانت اختيارية وخارجة عن المناهج والامتحانات..

ولما انتهت تلك المحاورات الفلسفية الشائقة ، قام جالارزا بطبع ملخصاتها على نفقته ، في أربعة كتب ، ووضعها للبيع بالمكتبات بثمن زهيد ـ ويشتمل اثنان منهما على محاورات القسم النهاري ، والآخران على محاورات القسم الليلي السالفي الذكر ، في هذين العامين ، وتحتوي جميعا اسئلة الاستاذ واجابات الطلاب على مختلف اشكالها. ثم راي الاستاذ نفسه في شكل تعقيب او سؤال او خاتمة..

ورايته بعد ان قام بطبع هذه المجموعات الاربع ، راضيا مرتاحا ..

ومما ذكره في مقدمة الجزء الثاني من محاورات القسم الليلي قوله :

« .. وكان تعليمي للحكمة كله اجابة لطلبة احرار ، ارادوه من تلقاء انفسهم ، وانتدبوني اليه ، ولم يكلفوا حضوره البتة ، ولم يرغبهم فيه نيل اية شهادة خاصة . وواظبوا عليه سنتين متواليتين ، حتى تم بياني للحكمة ، وبلغت قصدي . فليكن هذا البيان ميراثي .. »

* * *

ونقف هنا برهة لنستمع الى الفيلسوف جالارزا ، يقص بنفسه شطرا من تاريخ حياته بقلمه ، وقد قصه علي بشيء من الاسهاب عام ١٩٢٢ ، ثم عاد فأجمله للطلبة في العام التالي وذلك في تمهيده لمحاورات الحكمة ـ قال :

« .. لا بأس من سرد شيء من حياتي الدنيوية ، لعلكم تجدون فيه ما يصح ان يكون منشطا لكم ومشجعا على المواظبة على درس الحكمة .. فأقول اني اشتغلت بالحكمة نحوا من سبع وعشرين سنة . وبذلت لها حياتي كلها وتقاعدت عن ممارسة الاشغال التي كان والدي يتعاطاها ، فانه كان رئيس حزب من الاحزاب الكبيرة في اسبانيا ، وعضوا في مجلس شيوخها . وعن اشغال اخي ايضا وهو سفير من سفراء اسبانيا . ولما عرفت ست لغات ما عدا اللاتينية واليونانية القديمة ، ونلت شهادات من فرنسا واسبانيا ، وانتهيت من دراسة الحقوق ، وحزت فيها الشهادات الضرورية للدخول في مهنة السفراء ، اشار علي والدي بان اوجد لنفسي مركزا في الهيئة الاجتماعية قال : لانا وان كنا الآن في سعة من العيش ، لا ندري ما يضمره لنا الغد . فقلت له : دعني استمر في ابحاثي الفلسفية فهي احسن لي من كل شيء ، ولا راحة لي في الحياة ما دمت لا اعرف الحقيقة ، ولا الطريق الواجب سلوكه . فقال لي : ان الاشتغال في وظيفة عند سفير لا يمنعك من

البحث والقراءة . بل يبقي لك سعة من الوقت يمكنك ان تشتغل فيها بما تشاء . ثم هيا لي وظيفة في سفارة النمسا لكي اجرب تلك المهنة . وكان سفيرها اذ ذاك صديقا له . فقلت له : أن حبي للحكمة لا يمكنني ان اشرك فيه غيرها. فلما راى عزمي على الاشتغال بالحكمة دون سواها ، امتنع من الالحاح علي ، ثم سمح لي أن اسافر الى مصر ، وكنت طلبت السفر اليها لكي انال العزلة التامة للتفكير والرياضات. فجئت اليها عام ١٩٠٣ وصرت ارتاض اكثر النهار بقصد انارة العقل ، وتصفية الروح ، لتصير أهلا للحكمة ومعرفة للحقيقة . وكانت هذه الرياضات شبيهة بالرياضات التي كان يقوم بها ارباب الاجتهاد الاعظم من الصوفية المسلمين واليوجيين من مذهب اليوجا الهندي . فصرفت الهمة الى اكتشاف الصواب بنفسي ، وجعل اختلاف الحكماء يحثني على مداومة البحث والتنقيب ، ولا يدعني استريح الى استصواب اي نوع من انواع الحياة . وصغر في عيني متاع الحياة الدنيا الذي كان متوافرا عندي ، والتشريفات التي حازتها عائلتي حتى صرت ارى كل شيء تافها بالنسبة الى معرفة سر الكون والصواب الاخلاقي ..

وفي سنة ١٩٠٤ تقريبا ذهبت الى الهند لاقابل في « ديفان » بالقرب من لوكنو رئيسا للفقراء اسمه « وارث علي شاه » كان مشهورا هناك . وكان كثير من امراء الهند المسلمين اتباعا له . وكان عمره يبلغ نحوا من مائة سنة . فلما قابلته قلت له : اني لم آت الى الهند لزيارة ما يزوره السياح ، ولا لرؤية شيء من غرائبها بل لزيارتك ورؤيتك. ومرادي ان اطلب منك شيئا واحدا وهو ان اكون انا انت!. فأجابني قائلا : انا وانت سوف نكون في مكان واحد « هناك » ! ثم رجعت الى مصر ، وسكنت في حلوان ، ودابت في التفكير ، وواظبت على الرياضات . وفي سنة ١٩٠٩ كان اول حصولي على ادراك ما كنت اقصده .

وفي سنة ١٩٠٨ توفي والدي ، واتفقت وفاته بذهاب ثروتنا كلها . وكان من اهم الاسباب في ذلك انه كان قد صرف مبالغ كبيرة في شراء اراضي في الجبال حيث وجد الخبراء فيها اثرا للزئبق ، وفي احضار ما يحتاج اليه لحفر المناجم . ثم ظهر ان الزئبق فيها قليل جدا . فحينئذ اقتضى الحال ان ازاول مهنة ، لا سيما وان والدتي كانت معي حيث حضرت الى مصر بعد وفاة والدي . فزاولت مهنة المحاماة في المحاكم المختلطة . ولكن لم يتردد علي من ذوي القضايا غير قليل بسبب انصراف الاجانب الى المحامين من جنسهم ، وقلة الاسبانيين في مصر . الا ان هذا لم يكن ليهمني كثيرا اذ لم يكن قصدي من مزاولة المهنة سوى الاستعانة على المعيشة الدنيوية . بل كان قصدي ايصال الباحثين في الحكمة الى مرادهم كما وصلت انا اليه . وكنت قد ربطت هذا القصد بابحاثي الاولى فانني حينما كنت اتصور الاله كما يتصوره من لم يعرف بعد وانا في سن العشرين تقريبا ، قلت في ضميري : ايها الاله اعطني الحقيقة لكي اتمكن انا من اعطائها لمن يبحث عنها مثلي .

ثم قابلت رئيس الجامعة المصرية ، واظهرت له شهاداتي وكتابا كنت الفته في فلسفة اليونان . وطلبت منه الدخول في الجامعة المصرية . فعينت استاذا لتاريخ المذاهب الفلسفية في الجامعة فيما بين سنة ١٩١٣ و ١٩١٤، ولكني وجدت المجال امامي غير مناسب ، لان تعليم المذاهب الفلسفية يرجع الى بيان مذاهب المترددين في الحكمة المتضادين فيها . فسعيت في تغيير عنوان الدروس ، فامكنني ان أنال من مجلس الادارة والاساتذة ان اجعل العنوان : الفلسفة العامة وتاريخها . فعدت اعلم هذا الفن، ثم انتدبوني لتدريس الفلسفة العربية وعلم الاخلاق ايضا. وبهذه الوسيلة امكنني ان ابث قليلا من الافكار المستقلة عن النقل الحائدة عن اقوال الفلاسفة الذين يعترف اكثرهم في كتبهم بانهم لا يزالون يبحثون عن الحكمة والحقيقة ، غير حائزين لهما . ولكن مع كل لم اجد في الجامعة المصرية مناسبة للتدريس المطلوب ، لانني كنت مقيدا بنموذج خاص ، وكان الدخول مباحا لكل واحد ، وكان يرد علينا احيانا من الجمهور من يكره الفلسفة !.. »

* * *

ونقف برهة اخرى عند تلك الفترة التي قضاها الفيلسوف جالارزا استاذا للفلسفة بالجامعة المصرية القديمة ، وامتدت نحو ثماني سنوات (١٩١٣ ـ ١٩٢١) فقد كانت هذه الجامعة مركزا هاما للثقافة الحديثة بالقاهرة ، منذ ان اعلن عن افتتاحها يوم ٣١ من ديسمبر ١٩٠٨ ـ وابتدات اولا بكلية الآداب ، فكلية القانون ، وعاشت حتى تطورت واندمجت في جامعة القاهرة الحالية وفروعها بالاقاليم ، وحتى أخذت وزارة التعليم تتخلى عن التعليم العالي للجامعة منذ عام ١٩٣٥ ..

ولقد كانت هذه الجامعة القديمة حلما يعمل على تحقيقه قادة الفكر بمصر منذ مستهل القرن العشرين ، واجتمع عدد منهم بمنزل الزعيم سعد زغلول يوم ١٢ من اكتوبر ١٩٠٦ ، ودعوا الى انشائها وجمع التبرعات لها ، وانتخبوا سعد زغلول وكيلا لها ، وعينوا الامير احمد فؤاد (الملك فيما بعد) رئيسا لمجلس ادارتها .. كما استوفدوا بعض كبار المستشرقين ، وعددا من الاساتذة العرب للتدريس فيها والمحاضرة ..

وشهدت مدرجات هذه الجامعة الاهلية على مر سنيها ، الكثير من الندوات والمحاضرات والمناظرات ، والمناقشات لامتحان « الدكتوراه » .. ثم اللقاء والتعارف بين رجال الفكر من الشرق والغرب .. وكتبت مي زيادة عام ١٩١٦ ، وكانت طالبة في تلك الجامعة بضع سنوات ، مقالة بعنوان: « وصف غرفة في مكتبة ـ مذكرات الجامعة المصرية ـ » نشرتها في كتابها : « سوانح فتاة » ١٩٢٢ تقول فيها :

« ... اما الجامعة المصرية فمفتوحة للجميع ، ولا تقلل من فضلها حداثة سنها . ان كل صغير محبوب لانه يطلب

العطف . كل صغير مستودع آمال كبيرات لان له قابلية النمو والتكاثر ... ليست الجامعة منهل علم لطلبتها فحسب ، بل هي مهبط وحي لي حين ابلغها قبل ابتداء الدرس الذي ابتغي حضوره بدقائق اقضيها منتظرة متأملة ... ان للامكنة ارواحا ، وفي هذه الغرفة الصغيرة روح تناجيني وسر أطمع في اجتلاء غوامضه ... »

وفي هذه الجامعة القت « مي زيادة » اولى خطبها ، يوم وقفت في حفل تكريم خليل مطران ـ في ٢٤ من ابريل ١٩١٣ ـ تلقي الكلمة التي ارسلها جبران خليل جبران من نيويورك ، وتعقب عليها بكلمة شعرية الاسلوب بديعة الالقاء ..

وبها ألقت الكاتبة ملك حفني ناصف (المتوفية عام ١٩١٨) احدى خطبها البليغة .

وها هنا تقدم الطالب الازهري طه حسين عام ١٩١٤ وكان شابا في الخامسة والعشرين ، لينال شهادة الدكتوراه في الآداب ، برسالته عن ابي العلاء ، ويناقشه فيها علنا الاساتذة المستشرقون : نللينو ، وليتمان ، وسنتيلانا ..

وهنا بدأ الدكتور محمد حسين هيكل (١٨٨٨ـ١٩٥٦) محاضراته في القانون المدني منذ عام ١٩١٨ وكان قد نال من فرنسا دكتوراه القانون عام ١٩١٢ ..

كما افتتح دكتور احمد ضيف في ذلك العام دروسه في الادب العربي وبلاغة العرب .

كما كان دكتور منصور فهمي (١٨٨٦ ـ ١٩٥٩) من ابرع المحاضرين في الفلسفة بتلك الجامعة ..

ومنذ عام ١٩١٦ كان زكي مبارك يطلب العلم ، هو وجمع من الازهريين وطلبة القضاء الشرعي ودار العلوم ، في تلك الجامعة، ثم تقدم عام ١٩٢٤ لينال درجة الدكتوراه عن رسالته : « الاخلاق عند الغزالي » في جلسة صاخبة راسها منصور فهمي ..

وفي ذلك الوسط المائج بالفكر ورجاله ، والشبيه بخلية النحل وسط الحديقة ، كان يحاضر الفيلسوف جالارزا ويحاضر تلاميذه ويلتقي بهم كل يوم.. وانتهز طلبته فرصة انتهائه من تدريس المذاهب الفلسفية عند اليونان والرومان، فأقاموا له حفلة تكريمية بحديقة فندق « شبرد » مساء ١٣ من ابريل ١٩١٧ راسها الامير حيدر فاضل ، وحضرها صديقه الزعيم سعد زغلول ، والمرحوم فارس نمر ، وعدد كبير من الاساتذة والطلاب .. وتعاقب الخطباء يشيدون بمآثر الاستاذ جالارزا .. ثم وقفت الانسة مي زيادة والقت خطابا بارعا نوهت فيه باسبانيا وتاريخها وثقافتها ، ثم خاطبت استاذها بقولها :

« انت الغريب عنا جغرافيا نراك من اكثر الناس اهتماما باتجاهنا المعنوي . وهل يمكن ان يكون المحسن غريبا ؟. نراك ساعيا الى انهاض المدارك منا بحلم العالم الذي قد سبق وطوى طريقا يقودنا الآن فيها ، وجال في احنائها ومطاويها . فوقف على ما يملأها من مجيد الصعاب .

وهناك في قاعة الدرس الصغيرة ـ حيث يدخل شفق المساء على عجل ، وتسرج المصابيح سريعا ، كم استحضرت اشارتك الواسعة ، نوابغ الاجيال بتوقد عطاردي ، وبرصانة مفكر قد اعتاد تسنم الذرى العقلية . فسردت مذاهب المتقدمين باسطا اقوالهم ، مفندا آراءهم ، شارحا ما لامس منها الاعجاز ، ملخصا نقد الناقدين ، فآتيا بالنقد عليها جميعا . ذلك بسلاسة وايجاز تكسوهما بلاغة عبقرية قد تكون انتهت الى الاسبان كأرث شيشروني !

وبينا بيانك يزيح حجبا ضربن بين المعاني والافهام اذا بالنفوس منا كثب مطلات على آفاق جديدة . فليمقنا عطش العلم ، وتأخذنا رغبة السؤال . وروحك الكبيرة العالية منهل نور وحكمة ـ كلما استقينا منها معرفة وضياء، زادت تدفقا وتدفقت سخية ، وديعة ، صافية ، يتألق في تموجها حب العلم وحب الكمال .

اليوم عيد شكرنا . ولئن ذكرنا باغتباط وامتنان ساعات تفيض بها علينا سنى حياتك ، فأننا نذكر بتهيب ساعات اخرى كثيرا لا نسمعك فيها ولكن نعرفك في غيابك عاملا لخيرنا ـ تلك ساعات العزلة اذ يختلي الاستاذ بنفسه مهملا ضوضاء العالم ـ ساعات سكوت وتأمل تجعل الفيلسوف عميقا كالبحر لا تقلقه العواصف ولا تكدره الدلاء .

يزال منحنيا على كتب كثيرة تتصاعد من صفحاتها صور الحياة وخيالات اللانهاية . تقابل بين لغات قديمة ولغات حديثة ، وتقارن بين أسلوب واسلوب ، وتعبير وتعبير لتنقل الى لغة العرب حكمة شقيقتيها في المجد والقدم ، ومناظرتيها في الفصاحة والغنى : الاغريقية واللاتينية . لكنهما على شهرتهما لم تنتشرا انتشارها .

اننا ننحني باحترام لدى ذكر تلك الساعات النفيسة ، ونستزيدك منها لاننا في حاجة الى اثرها في نفسك وفي حاجة الى نتائجها الجليلة . ولئن استشعرنا بما تجده من العناء الكثير قرب الارتياح الجزيل في عملك المجيد ، فاننا نعلم كذلك ان من كان مثلك ما الهمته الحوائل الا همة ونشاطا ، وما زادته المسؤولية الا توهجا واخلاصا . واللغة التي احببتها وانزلتها من علمك الواسع منزل الكرامة حتى تملكت اعنة الكلام فيها سوف تجازيك جميلا ، سوف تحفظ تعاليمك بين كنوزها الغاليات ، سوف تفتح كتابها الذهبي لك وتضم اسمك الى أسماء ابنائها الخالدين .. »

* * *

ويكمل الحكيم جالارزا قصة حياته بقوله :

« ... ثم خرجت من الجامعة المصرية ، وعينت في مدرسة المعلمين العليا . فوجدت فيها طلبة متمرنين على التفكر . فاخذت احقق قصدي الذي جعلته امامي منذ سنين عديدة . ولا اتمنى بعد تمامه غير الانصراف الى الراحة التامة . فهأنذا قد اطلعتكم على صفحة من حياة انسان مجتهد ، اطلع على آراء الشرق والغرب ، ملتفتا اليكم التفات الذي يشعر كأنه هو انتم . راغبا في خيركم ،

رغبة الاب والام في خير ابنائهما ، لان الذي يحملني على تدريس الحكمة ، حنان والدتي علي المخزون في نفسي ، وكوني عديم الاولاد لاني لم اتزوج . فليس لي من ابذل له شعوري غير الذين يحبون الحكمة كما احبها . ولست اقول عن نفسي انني فيلسوف ، اذ الفيلسوف معناه محب الحكمة الطالب لها . ولكني اقول دون ان أخشى لوم لائم اني اعرف الحكمة ، واستطيع ان ارشد اليها . وانا حر في آرائي . وحريتي تامة ، وهي حرية الذي لا يهمه من الدنيا شيء . وهو مستعد لفراقها في كل لحظة !.. »

* * *

والآن وقد وصلت قصة الحكيم الى نهايتها ، اقول :

كنت أزوره في المكتبة لاستمع اليه ، وافيد من حكمته، وكنت اجده اول امره بالعمل امينا لتلك المكتبة المدرسية ، قانعا راضيا هادىء البال ... ثم اخذت الحال تتبدل ماتت امه التي جاءت لتسكن معه بالقاهرة بعد وفاة ابيه وافلاسه .. فاصبح وحيدا في العالم وفي الغربة ، يكاد لا يفارق منزله الا الى المكتبة حيث يظل جالسا من الصباح حتى الواحدة بعد الظهر .. ثم يعود الى بيته وكتبه . ولم تكن له سلوى في الحياة غير القراءة ..

وانقطع عن رياضته الروحية التي كان يقوم بها قديما في صحراء الاهرام ، وفي مسكنه بمدينة حلوان ، وفي مصطافه احيانا بجوار البحر في راس البر عند دمياط .. وحيث كان يفد اليه في عزلته بعض مريديه وتلامذته للبحث معه في المسائل الفلسفية والروحانية .. وحيث كانت تدول حول حياته الاساطير والشائعات التي كان يحكيها لي متفكها ..

ثم لاحظت ان عمله في تلك المكتبة اصبح عبئا على نفسه وهو صابر من اجل الرزق .. كان المكان في اول عهده بالعمل هادئا والطلبة قليلي العدد ، والعمل يسير في يسر وسلام .. ثم تبدلت الحال ، وفتحت مدرسة المعلمين ابوابهاللقسمين النهاري والليلي ، واكتظت بمئات الطلاب يلقنهم المناهج عشرات المدرسين من العرب والانجليز والفرنسيين .. واختزلت قاعة المكتبة الفسيحة اللطيفة ، بسبب الزحام الى حجرة صغيرة كالمخزن .. واخذ الزحام والجلبة والهرج تكتنف الحكيم من كل صوب ، واستغنى عن محاضراته ومحاوراته التي لا تدخل في المناهج المقررة .. ولم ير فيه المستجدون من الطلاب غير موظف لاعارة الكتب واستردادها ..

ومع ذلك فقد ظل يواجه الحياة بنظرته الفلسفية وبصبر الحكيم .. وكان قد بلغ الستين وسن التقاعد ، وفصل من عمله وحل شاب مصري موظف مكانه في امانة المكتبة ، وخرج الشيخ الى عرض الطريق بلا عمل ولا مال ، لا يحمل معه غير راس ممتلىء بالعلم والحكمة ، ونفس فائضةبالطيبة والسماحة ، وجيب خال من النقود .. فدار يبحث سدى عن عمل ، — ولم تكن الفلسفة موردا للرزق — وقابل بعض اصدقائه القدماء فلم يمد اليه احدهم يدا .. وعرض اثاث بيته وكتبه للبيع .. ودفعته الحاجة في النهاية الى الاسترزاق من علم النفس فاعلن يوما في صحيفة انه يقابل زائريه ليكشف لهم عن المقادير .. وما ان ظهر هذا الاعلان حتى انبرت احدى الصحفالاسبوعية الى التعريض بالرجل واتهامه بالدجل .. فكف عن هذا وذاك ..

وكنت قد نقلت من القاهرة الى اسيوط عام ١٩٢٩ ولما عدت الى العاصمة في اجازة ، بحثت عن الاستاذ جالارزا في كل مكان فلم اعثر له على اثر . فمن قائل انه رحل الى الهند ليعمل في احدى جامعاتها ، ومن قائل انه انتقل الى رحمة الله .. ولم اره منذ ذلك الحين او اسمع عنه خبرا ...

الاسكندرية **نقولا يوسف**

تسامح

نسبت الى صحبي العقوق ولم ادر
باني باقراري عمدت الى الغدر
شكوت وبي عن وازع النبل غفلة
كاني فوقت السهام الى صدري
أأنكر من صحبي العقوق وعلتي
من العلل اللاتي تجل عن العذر
تصدوا الى التفريط من غير علة
فما علتي لما عزفت عن الصبر ؟!
هو الضعف يا نفسي فديتك بالقوى
واين القوى مني وقد بحت بالسر ؟!
معاذ النهى يا نفس ان تتبذلي
لئن احرقوا عودي ، فاين شذا العطر؟!
الهي اقلهم من عثار ذنوبهم
فلست الذي يجزي الاساءة بالنكر
وطهر جناني من ظنون خبيثة
وجنب لساني ما يعاف من الهجر ..!
فاخبث ما اخشاه ترويج فتنة
واطيب ما ارضاه حرية الفكر
واطهر ما اخفيه احساس عزة
اسجلها للحلم والعلم والذكر
واعطر ما اهديه وحي تسامح
يفيض بما ابديه من اعمق الشكر .!

القاهرة **سلامة خاطر**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النقد الادبي بين القديم والحديث

بقلم عيسى ميخائيل سابا

* * *

النقد صفة ملازمة للانسان فهي في طبعه مهما كانت درجة ثقافته ، ومهما كان ذوقه ، فهو يرغب في التعرف الى حقيقة الاشياء ، كما انه يرغب في ان يميز بين الخير والشر وبين الجميل والقبيح والعسر واليسر . ولا ريب ان النقد قد تدرج مع الاجيال بحسب الاوضاع والعادات والتقاليد ، فقد كان يترك ما ينبو عنه عصره ويعتصم بما تواطأ عليه ابناء الجيل وقالوا انه حسن صالح . وقد تخطى ذلك الى الكلام وعليه نقدر ان نقول : ان النقد هو بيان ما في الكلام من جمال او عيب ، ولا يكون هذا الا بتصور المعاني المفردة للالفاظ وصحتها ، وادراك الاغراض الاصيلة للعبارة وبيان ما فيها من صواب وخطأ . ومرد ذلك الى الذوق ، وقد تنبه اساطين العلم الى ذلك فبعد امعان النظر في كلام العرب من منظوم ومنثور وضعوا علما اطلقوا عليه اسم علم المعاني والبيان والبديع ويجمله البعض فيقول : علم البلاغة . وما تواطئوا على وضعه الا لاختلاف الاذواق في الناس فقد يستحسن بعضهم قول الاعشى :

وقد غدوت الى الحانوت يتبعني شاو مشل شلول شلشل شول

وقد فسر اصحاب اللغة هذه الالفاظ بان معنى شاو ، الشاوي ، والمشل سواق الابل ، والشلول الخفيف والمشلشل المتحرك والشول الذي يحمل الشيء .

وارى ان هذا البيت ناب بمعناه وما اظنه الا منحولا فلا ارى علاقة بين الشاوي والمشل وما بعدها ، وهو ايضا ضد الفصاحة لتكرار حرف الشين في هذا العجز .

على انني لا انكر ان اللسان العربي قد تنقل في المراحل اللغوية واطلقوا عليها « اطوار تهذيب اللغة » وقد ظهر هذا بظهور الشعراء المتكسبين وقد اطلقوا عليهم «عبيد الشعر» ومنهم الاعشى وزهير والنابغة .

ونرى ان الاسواق كانت سبيلا للنقد البدائي ، فتتناول الاشعار والخطب والمحاورات ، كما انها كانت سبيلا لنهضة اللغة وتهذيبها وحصرها في لهجة واحدة .

اما النقد البدائي فنراه عند طرفة ، فقد روينا انه سمع وهو صبي منشدا من قومه قال :

وقد اتناسى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم

فعابه قائلا « استنوق الجمل » وذلك ان الشاعر وصف الفحل بالصيعرية وهي عندهم من اوصاف اناث الابل ، ونقلت لنا كتب الادب التحكيم الذي وقع بين ام جندب الطائية زوج امرىء القيس وعلقمة الفحل ، فقال امرؤ القيس :

فللسوط الهوب وللساق درة وللزجر منه وقع اخرج متعب

وقال علمقة :

فادرك لم يجهد ولم يثن شاوه يمر كمر الرائح المتحلب

وصاحب لسان العرب ينكر ذلك التحكيم ، وقد حكمت ام جندب لعلقمة ، ونسب هذه المعارضة من علقمة لامرىء القيس الى الانتحال . على ان المعنى لا يخرجنا عن النقد ، للمعارضة من معنى تعقب المتأخر ومحاولته الغلبة للمتقدم بالتجويد والزيادة .

وقد روينا ، ان النابغة الذبياني كان يقوي في شعره فدخل يوما يثرب « المدينة المنورة » والناس فيها من المعجبين بشعره فدسوا له قينة تغنيه ما قاله بالمتجردة امراة النعمان وفيه اقواء اي اختلاف حركة الروي ومطلع القصيدة :

امن آل مية رائح او مغتدي عجلان ذا زاد وغير مزود

ولما بلغت الى قوله :

زعم البوارح ان رحلتنا غدا وبذاك خبرنا الغراب الاسود

فاطالت ضمة الدال في « الاسود » والقافية كلها مبنية على الكسر ، فطن لهذا العيب في شعره فاصلحه بقوله : « وبذاك تنعاب الغراب الاسود » وقال : « دخلت يثرب وفي شعري عاهة وخرجت وانا اشعر الناس » .

وبعض ادباء هذا العصر يحذفون الهمزة من مطلع القصيدة « امن » وقد فاتهم ان هذه الهمزة زائدة ويدعو العروضيون هذا « الخزم » وهو زيادة تكون في اول البيت لا يعتد بها في التقطيع وقد تكون الزيادة بحرف الى اربعة من حروف المعاني .

وروينا ايضا ، انه كان يقضي بين الشعراء في عكاظ فوفد عليه حسان بن ثابت والخنساء ومعهما الاعشى فانشده حسان :

لنا حاضر فعم وباد كانه شماريخ رضوى عزة وتكرما

وقيل انشده غيرها . وانشدته الخنساء :

قذى بعينك ام بالعين عوار ام ذرفت مذ خلت من اهلها الدار

وتعد هذه القصيدة من عيون القصائد التي رثت بها اخاها صخرا . وانشده الاعشى قصيدة مطلعها « ما بكاء الكبير بالاطلال » وهي من مطولاته ، فقال النابغة للخنساء لولا ابو بصير اي الاعشى سبقك لقلت انك اشعر من بالسوق ، وقال لحسان : انك لشاعر فأغضبه ، وقيل انه قال في قصيدته :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى واسيافنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بني العنقاء وابني محرق فاكرم بنا خالا واكرم بنا انما

فقال له النابغة : اضعت فخرك واقللت جفانك وفخرت بمن ولدت ، ولم تفخر بمن ولدك .

واما ابو علي القالي فيقول في اماليه : انه قال له وللخنساء انك لشاعر وانها لبكاءة .

فان صحت هذه الروايات يكن العرب في جاهليتهم قد عرفوا النقد وعرفوا جموع القلة والكثرة بالسليقة والذوق ،

وقد تكون قواعد اللغة معروفة آنذاك ، ويقول الامام أحمد بن فارس في كتابه « الصاحبي في فقه اللغة » والدليل على صحة ان القوم قد تداولوا الاعراب ، انا نستقري قصيدة الحطيئة التي اولها :

شاقتك اظعان لليلى دون ناظرة بواكر

فنجد قوافيها كلها عند الترنم والاعراب ، تجيء مرفوعة ولو علم الحطيئة بذلك لاشبه ان يختلف اعرابها ، لان تساويها في حركة واحدة اتفاقا يكاد لا يكون ، فان قال قائل : قد تواترت الروايات بان ابا الاسود اول من وضع العربية وان الخليل أول من تكلم في العروض قيل له : اننا لا ننكر ذلك بل نقول : ان هذين العلمين كانا قديما واتت عليهما الايام وقلا في ايدي الناس ثم جددهما هذان الامامان ثم قال : « ومن الدليل على عرفان القدماء من الصحابة وغيرهم بالعربية كتابتهم المصحف كالذي يعلله النحويون في ذوات الواو والباء والهمز والمد والقصر ، فكتبوا ذوات الياء بالياء ، وذوات الواو بالواو ، ولم يصوروا الهمزة اذا كان ما قبلها ساكنا في مثل الخبء والدفء والملء فصار ذلك حجة » .

وحدثنا صاحب الاغاني قال : ان هشام بن عبد الملك سأل خالد بن صفوان وهو من بلغاء الناس ان يصف المثلث الاموي ، الفرزدق والاخطل وجرير ، وكلامه الذي نعرض اليه في مقالنا هذا ، يشبه في كثير من الوجوه النقد التحليلي قال : « اما اعظمهم فخرا وابعدهم ذكرا واحسنهم عذرا واشدهم ميلا ، واقلهم غزلا واحلاهم عللا ، الطامي اذا زخر والحامي اذا زار والسامي اذا خطر الذي اذا هدد قال وان خطر صال ، الفصيح اللسان ، الطويل العنان ، فالفرزدق . واما احسنهم نعتا وامدحهم بيتا ، واقلهم فوتا الذي ان هجا وضع وان مدح رفع فالاخطل ، واما اغزرهم بحرا وارقهم شعرا واهتكهم لعدوه سترا ، الاغر الابلق الذي ان طلب لم يسبق ، وان طلب لم يلحق ، فجرير وكلهم ذكي الفؤاد رفيع العماد واري الزناد » ونقلت لنا كتب الادب ، ان السيدة سكينة بنت الحسين وهي اديبة ظريفة كانت تقعد للرجال ويفشى ناديها الشعراء قالت يوما لكثير عزة أانت القائل :

فما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جثجاثها وعرارها
باطيب من اردان عزة موهنا وقد اوقدت بالمندل الرطب نارها

اي زنجية منتئة تتبخر بالمندل الرطب الا طاب ريحها ، الا قلت كما قال سيدك امرؤ القيس :

الم تراني كلما جئت طارقا وجدت بها طيبا وان لم تطيب

ولا ريب ان ما قالت السيدة سكينة هو نقد حسن يدل على ذوق مرهف وعقل رجيح ومعرفة ناضجة ، ومما تقدم نرى ان النقد قد مشى بين المتأدبين الذين عرفوا سر الكلمة ، فنقدوا المبنى والمعنى . وما اطل القرن الثالث الهجري الا اقله حتى نهض الرواة والعلماء ، فوضعوا الكتب في معاني الشعر وطبقات الشعراء والتعريف بمذاهبهم وجملة اوصافهم ، ولم يكتفوا بما كان متبعا من قبل كالاقتصار على نقد بيت واحد من الشعر او للابيات بل نراهم قد عرضوا الى تاريخ حياة الشاعر وشرح بعض نواحيه البارزة في شعره والموا بمآخذه وعيوب كلامه ومقدار اختراعه وصدقه وكذبه في معانيه ، كما انهم نظروا في اسباب الانتحال وما اتصل بالشعر والادب من عبث المتلاعبين بالشعر واهل السمر من الرواة . فتجرد جماعة من اهل العلم والمعرفة والذوق الادبي فوضعوا كتبا في النقد ما زال ادباء هذا العصر وما قبله يستشهدون بها ويقرونها ، من اولئك القدامى : ابن سلام الجمي في كتابه « طبقات الشعراء » وتطرق فيه الى اهم النظرات الادبية وقد اتخذها المتأخرون والمعاصرون معا دليلا في البحث وبها يدعمون رأيهم وجاء بعده ابن قتيبة فوضع « الشعر والشعراء » ووضع الجاحظ « البيان والتبيين » وفيه كلام عن البلاغة وقيمة الالفاظ واثر فعلها بالعقول بالنسبة لمخارجها وتناول اقسام الكلام نقدا وتمحيصا ، ووضع ابو الفرج الاصبهاني كتابه « الاغاني » وفيه ترجمة حياة الشعراء واشهر الكتاب والمغنين بلغة صافية ونقد حسن وظهرت ايضا المختارات الشعرية منها المفضليات وحماسة ابي تمام وحماسة البحتري والكامل لابي العباس المبرد وفيه ابحاث ادبية وتاريخية ولغوية وامالي القالي لابي علي القالي .

ومن امهات كتب النقد « دلائل الاعجاز » لعبد القادر الجرجاني « واسرار البلاغة » له ايضا ، ووضع ابو هلال العسكري كتاب « الصناعتين » ووضع قدامه بن جعفر كتابه نقد الشعر وجرى فيه على طريقة منطبقية بذوق مرهف وعقل ثاقب وفهم صحيح وبيان جلي (١) .

وفي اواخر القرن الرابع الهجري وضع الادباء كتب الموازنات بين الشعراء والكتاب ونشأت المناظرات الادبية ومال النقد الى صورة تناولت الشخصية الادبية والصلة بين الشاعر وشعره كما نرى ذلك في كتاب الموازنة بين ابي تمام والبحتري ، للآمدي ، « والوساطة بين المتنبي وخصومه » لعلي عبد العزيز الجرجاني ، وكتاب العمدة لابن رشيق القيرواني في نقد الشعر ، تناول فيه ما قيل في عهده في الشعر والشعراء من المحاسن والعيوب والقوافي والاوزان وطبقات الشعراء ، ووضع ضياء الدين ابن الاثير كتابه « المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر » ، وما زال النقد جاريا آخذا بالتدرج في عصرنا هذا وقد اتخذ صبغة علمية تقوم على التحري والمقابلة والموازنة والتحليل النفسي وسبر غور الفكرة التي يرمي اليها الشاعر او الكاتب .

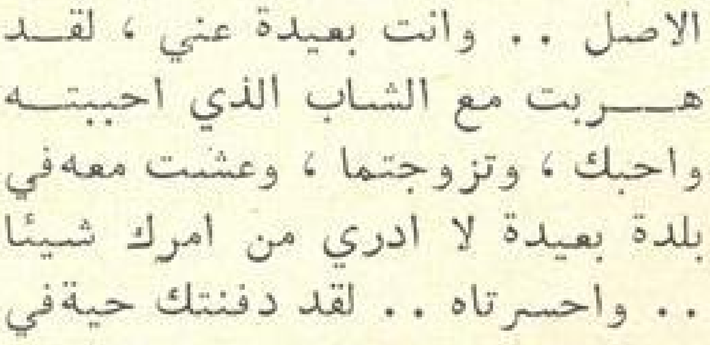
عيسى ميخائيل سابا

---

(١) راجع نقد الشعر لقدامة بن جعفر تحقيق وشرح عيسى ميخائيل سابا مطبعة الآباء البوليسيين ـ حريصا لبنان ـ .

عودي يا بنتي

بقلم الدكتور محمد حاج حسين



أبنتي الحبيبة ..
طواني الليل باجنحته السدفاء ، وشملني برهبته المخيفة ، فتسللت الاشجان الى قلبي الذبيح تعصره عصرا ، وتسحق بقية حشاشتي التي اتمنى ان تذهب بسرعة لاصعد الى السماء الاقي اباك واخاك انعم بقربهما، واقتات منهما الحب الذي حرمته منذ ان ودعا هذه الدنيا التي تنبض بالشقاء .

وفي غمرة احزاني الآسية تذكرتك فجاة ، ولا ادري كيف حنت روحي اليك ، وتوامضت امامي صورتك المتناسقة ، بكل ما حباك الله من رقة وانسة وحنان وجمال ، فاستعبرت ، وتدفقت دموعي تحرق وجهي المحموم ، ووثبت الى الخزانة ، وانتزعت منها صورتك التي دفنتها فيها، بعد ان فعلت ما فعلت ،وتهالكت عليها اضمها الى الخافق الملتاح ، وانهال عليها ضما ولثما ، واغمرها بدموعي ، وخيل الي انك بقربي تناغينني بنبرات صوتك العذب التي طالما اسبغت علي السعادة ، ورحت اتحدث اليك بشجوي ، وابثك زفراتي ، وكنت ترافقينني بنظرة عميقة فيها دفء وحنان وحب ، وشاركتيني في همومي ، وحاولت ابتسامتك الفاتنة التي برع المصور في رسمها ان تشجعني لاغالب آلامي ، واتذرع بالصبر .. بيد انني سرعان ما استيقظت على الحقيقة الدامية ، واحاط بي واقعي المرير يطلق في وجهي قهقهته الساخرة ، فوثبت من مقعدي مسفوعة ممرورة .. حمراء العينين ، شعثاء الشعر ، واسكب آهاتي في اذن هذا الليل ، الذي ناحت به عاصفة جائحة كأنها تعزف انغامها المزمجرة لاحزاني التي لا تنتهي .

ومرت امامي صور كابية لحياتي البئيسة التي ازدحمت بها المصائب وتقت الى انسان ابثه كلومي ، ولا يستطيع احد ان يشاركني هذا الجوى الراعب الذي هدمني القوى .. سواك .. يا حبيبتي سميرة .. وعدت الى صورتك التي تمثلك وانت في السابعة عشرة من عمرك الغض ، فامعنت فيها تقبيلا ، وغرقت في تأملها .. ولست ادري كيف تسللت الي ومضة من السعادة ، وانا اتأملها ... وطفقت اجاذبها الحديث .. كأنك امامي بلحمك ودمك وذكائك ، ولج بي الحنين ، .. وبكيت يا سميرة .. ورأيت دموعك تسيل على وجهك الجميل ، وصرخت : لماذا تبكين يا حبيبتي ..

ومن خلال زفراتك المذيبة قلت لي : ولماذا لا ابكي يا ماما ؟..

الحق معك يا سميرة .. ان الدموع وسيلتنا الوحيدة للتنفيس عن هذه الاحزان الجاثمة فوقنا بثقلها ورهقها .. ونددت مني صرخة ذاعرة عندما ادركت الحقيقة .. فلست بقربي .. وخيالي المريض هو الذي نسج هذه المحاورة .. فالصورة لا تغني عن الاصل .. وانت بعيدة عني ، لقد هربت مع الشاب الذي احببته واحبك ، وتزوجتما ، وعشت معه في بلدة بعيدة لا ادري من امرك شيئا .. واحسرتاه .. لقد دفنتك حية في ميعة شبابك عندما هربت معه .. وتمردت على ارادتي .. واختلطت علي الاشياء في زحمة غاصة متراكضة .. كأنها اشباح ممتدة يتعاقب الواحد بعد الآخر ليروعني .. وقفزت من مقعدي كالمجنونة .. وتسللت الى باب الدار لالقي بنفسي بين احضان العاصفة العاوية علها تستل روحي لارتاح من هذه الاوصاب التي اضحت قطعة مني كما اضحيت قطعة منها..

ولكنني لم الق بنفسي بين احضان هذا الليل الرهيب ، وعدت الى غرفتي مبعثرة القوى ، مشلولة الارادة ، تتنازعني شتى الهواجس ، ورحت اضرب رأسي بيدي كأنني اود ان ازيل منه هذه الافكار القاتمة التي بلبلته وحطمته ... واخيرا رحمني الله .. فقد اثقل النعاس جفوني عند الفجر ، ونمت ، ولم استيقظ الا عند متوع الشمس .. وعجبت من امري، فقد وجدت اعصابي هادئة وذهني صافيا وعادت الي اشراقة فكري التي حرمتها منذ الفاجعة التي هدتني .. وابتسمت لصورتك الجميلة التي اعدتها الى مكانها تتصدر الصالون ، ورنت الي صورتك في ابتسامة ملؤها الحب .

وربا الي ، عندما وضح لي انني لم افهمك ، ولهذا قسوت عليك .. فهل ترحمينني يا بنتي الغالية .. وتعودين الي لتؤنسي وحدتي ، وتساعديني على قضاء ايامي الاخيرة في هدوء ؟.

ماذا اقول لك يا سميرة ؟.. هل اكتم عنك نبأ الفاجعة التي قصمت ظهري ؟.. ما الفائدة .. لا بد ان تعرفيها .. ولماذا اكتمها عنك ؟. انني — وانا اسطر هذه الرسالة — اتمثلك ، وقد عرفتيها .. وشملتني رعدة قاسية .. ودب الوهل في اعضائي .. انها ستقصم ظهرك .. كما قصمت ظهري .. ولتكن هذه الاحزان اقوى رابطة تشدنا الى بعضنا برباط لا انفصام له ..

تمالكي اعصابك يا حبيبتي .. وترفقي بنفسك ، واصمدي لهذا الغول الكريه الذي ينتصب دوما امام البشر لينغص عيشهم ، ويحيله الى مرارة قاتلة .. الحزن .. لا تدعيه يحطمك كما حطمني .. انت لا تزالين في فجر الحياة .. وحرام ان يذوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جمالك هذا الحزن .. وانا اريدك ان تعودي الي ناضرة كعهدي بك .. مؤتلقة كالنور ، متسربلة بجمالك الخالب .. عديني يا سميرة .. الا تدعي هذا الحزن يحطمك رحمة بي .. فكفاني ما لاقيت من مآسي جاهمة .. وارحميني .. قالوا .. الموت حق .. وقدر .. ولا مفر للانسان منه .. عاجلا ام آجلا .. هل تستطيع هذه الكلمات ان تدفع الصبر الى فؤادك الممزق ؟..

لقد مات سمير .. يا سميرة .. ان شعري يقف واعضائي تتمزق ، وقشعريرة باردة تكتسحني .. ما اصغر هذه الكلمة .. وما اعمق معناها.. انها نهاية حياتي..والحفرة الباردة التي وأدت نفسي بهالتتلقفني المأساة ... لا اعتراض لي علىمشيئة الله .. ولكن .. هل تستطيع الام التي يغيب وحيدها عن هذه الدنيا ، وهو في فجر الشباب ، الا ان يعتريها الجنون ، او اكثر من الجنون ؟.

انني لا استطيع ان اجمع شتات افكاري .. عادت الي اللوثة .. والقيت بالقلم في عصبية هوجاء ، ورحت في جهشات دامية ، وقفزت امامي صورته.. سمير املي المرتجى، بكل ما حباه الله من خصال كريمة.. وحيوية مشتعلة ، واحاسيس نادية، واحتبست انفاسي ، ونزت الدماء في عيوني ، وتمشى الروع في صدري ، ووثبت الى صورته .. اضمها الى صدري .. لقد كانت تطوف على ثغره بسمة تقطر حزنا .. كانه ادرك انه سيموت في روقة العمر ... وكدت القي بنفسي من النافذة اتعجل الموت لالقاه .. ونكصت على عقبي.. لانني اخاف ان يحرمني الله لقاه .. اذا اقدمت على الانتحار .. ما اشد عذابي حتى الموت .. لا استطيع ان اناله برغبتي .. وانكفأت الىمقعدي ، وارخيت لدموعي العنان .. وقالوا : ان الدموع تتقيس عن الاحزان ، ولكنني الفيتها حبالا من نار تشد على خناقي بقسوة رهيبة .. لا تصدقي قولهم يا سميرة .. فقلب الام يموت عند موت فلذة كبدها ، ولا تستطيع اية قوة في العالم ان تدفع البها التسرية ولو لحظة واحدة ..وغبرت علي فترة طويلة ، واتاني هذا النشيج المضيض .. ثم استعدت وعيي ، وعدت الى القلم لاسطر لك هذه السطور راجية ان تعودي الي — وبسرعة — يا حبيبتي سميرة .

لم يمت سمير بين ذراعي يا سميرة .. لقد مات في الغربة ، وكنت انتظر نهاية السنة الجامعية بصبر ذاهب ، ولوعة مشتاقة ، ورحت اعد الايام ، والدقائق ليعود الي مزهوا بشهادة الهندسة لتقر به عيناي.. وذات يوم كليح مربد السحنة ، وافتني برقية من الجامعة الافرنسية التي يتعلم بها .. وصعقت .. لقد كانت تحمل الي — ببساطة — نبأ وفاته .. واظلمت الدنيا في عيني ، وترنحت من هول الخبر ، وازدحمت في راسي صور متلاحقة في موكب عريض ، واختلط علي الامر .. وخيل الي ان البرقية تحمل الي التهنئة بنجاحه .. فقد كان — كما تعلمين — دوما في الطليعة .. وتراقصت الفرحة في اعماقي ، ومنيت نفسي الاماني الحسان .. عما قريب سيعود الي ليبدد وحدتي ووحشتي .. وحلمت بالمستقبل الريان .. وفجأة استنارت بصيرتي .. وعدت الى البرقية السوداء .. لقد كانت واضحة بعيدة عن كل لبس ، فقد مات فجأة بالسكتة القلبية، وسيرسلون جثمانه بالطائرة ويبدون جزعهم على هذه الفاجعة.. وضربني الذهول ، وتحجر كل عضو بي ، وامتنع كل عرق عن الاختلاج ، ثم رحت في غيبوبة بعيدة ..

واسعفني الطبيب ، وفتحت مغاليق عيني ، لارى عمك وخالك وعمتك وخالتك امامي .. وقلبت النظر المذعور فيهم كأنني استفسر عما حدث ، وماذا يريدون ..

واستطعت ان اقول بصوت واه : ماذا تريدون ؟

واقترب عمك مني ، والدموع تنهمر من عينيه ، وهمس في اذني : ام سمير .

وتطلعت اليه ، ولم اره .. كنت انظر في الفراغ البعيد ..

— ام سمير .. ارجوك ..

وزعقت : ماذا تريد ؟.

— ارادة الله يا ام سمير ..

— ارادة الله ..

— القدر ..

وصرخت : ماذا تريد ؟. ما معنى كلامك ؟.

— ام سمير .

وقاطعته : ماذا حدث ؟. اخبرني.

— مشيئة الله يا ام سمير ..

وصحت : لماذا لا تصارحونني ؟.

— سمير انتقل الى رحمته تعالى..

وتصدع كبدي ، وادركت الحقيقة وتطلعت اليهم بعينين جامدتين ، وصرخت : انتم تكذبون .. سمير.. سيعود الي ..

واقتربت مني خالتك ، ومسحت بيدها على راسي المحترق ، وهمست في اذني : ترفقي بنفسك يا اختي.. القدر لا يعاند ..

— ولماذا اخذ القدر مني ولدي ؟.

— انت مؤمنة .. الاجل محتوم..

ووثبت من السرير راعشة الفؤاد، ربداء السحنة ، واردت الاندفاعمن الباب .. لا ادري الى اين .. وتشبث بي عمك وخالك وخالتك.. وحملوني الى سريري ، وانا اضربهم بقسوة ، واصرخ فيهم : كذابون . كذابون .. سمير لم يمت .. كلكم موتى .. وحبيبي سمير وحده الحي..ورحت في غيبوبة مرة اخرى .. وقرر الطبيب انني اصبت بصدمة عصبية .. وهل في الدنيا صدمة اقسى من هذه الصدمة ؟ ليتني مت يا سميرة ، ما اعذب الموت عندما نحتاجه ، ولكنه لا يأبه لندائنا .. بل يعدو على من لا يريده ..

ولازمت الفراش اياما عديدة .. لا اعي من امري شيئا ولا اصيب من الطعام الا ما ترغمني خالتك عليه ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكذبوا علي يا سميرة .. كنت اسأل خالتك ، وانا اتخبط في مرضي : متى يعود سمير ؟

ـ بعد ثلاثة اشهر .

ـ لماذا بعد ثلاثة اشهر ؟

ـ نحن في نيسان ، ولن ينتهي الامتحان الا في اوائل تموز ..

ـ الم تقل البرقية انه مات ؟

ـ بعيد الشر يا اختي .. من اين تاتين بهذه الكلمات .. سمير في صحة ممتازة .. ومشغول بدروسه .

ـ ومن قال لك هذا ؟..

ـ البرقية ..

ـ واين هي ؟

ـ الم تمزقيها ؟.

ـ كيف ؟.

ـ لقد مزقتيها عندما لم تفهميها .. وكنت ساعتها في حالة نفسية اليمة لا تعي من امرك شيئا .

واغرق في غيبوبتي ، ثم استيقظ .. لاسأل عن سمير .. ويعيدون على مسمعي نفس المعزوفة .. نفس الاكذوبة .. حتى اعتقدت ان موته ليس سوى نسيج خيالي المريض .. ما اجمل هذه الامنية لو تحققت .. والواقع .. ان الاخبار السيئة هي دائما الصادقة .. ولماذا ازعجك يا حبيبتي ؟. اخوك مات بالسكتةالقلبية .. ونقل جثمانه الطاهر الى دمشق، ودفنوه دون ان يرحموني ، ويعلموني لاتزود منه بالنظرة الاخيرة .. وعللوا عملهم هذا عندما ناقشتهم الحساب ، بعد ان استعدت وعيي .. بان حالتي الصحية ما كانت لتساعدني علىتلقي هذه الصدمة القاسية .. لقد حقدت عليهم ، ولعنتهم .. بل ذهبت الى اكثر من هذا ـ واخجلتاه ـ فقد هجمت على خالك وعمك ، وخالتك وعمتك ، ورحت اضربهم ، وانشب اظافري في وجوههم .. وانا ابكي بكاء مرا .. ولكن هل يجدي البكاء ؟ هل ترد علي الاحزان ولدي ؟ لقد فقدت اباك ، وانا في الخامسة والعشرين من عمري .. في ذروة سعادتي .. سحقتني المأساة .. فانتزعت مني اباك الشهم ، السري الوجدان، الطيب القلب بعد انامضيت معه سبع سنوات كانت احلى من الاماني العذاب .. وكان حصاد حبنا انت وسمير .. واخيرا في ذروة انتصاري .. عندما اوشكت ان ارى الثمرة اليانعة الدانية القطوف التي سقيتها دم قلبي .. فاذا بها تتساقط، وتتبدد في الهواء .. كما تجتاح هذه العاصفة في هذا الليل كل ما يعترض طريقها ..

لقد تالمت يا سميرة .. وكل آلامي لم تستطع ان تعيد الي سميرا .. وكذلك لم تستطع كل هذه الفلسفات الجوفاء التي سكبها الناس في اذني ان تذهلني عنه لحظة واحدة ، فقد جابهت قسوة الحياة بالحزن، والحياة اقوى من الحزن .. انها كالسيل تجرف كل شيء في طريقها بيد انها لم تستطع ان تجرف احزاني .. وبصراحة لا اريد ان تزايلني .. فانا اعيش على الذكرى واهيم وراء الخيال اتتبع سميرا في جميع مراحل حياته .. انه الاغنية التي تترنم بها شفتاي المحترقتان .. وستظل هذه الترنيمة مبتغاي من هذه الحياة حتى اذا عدا علي الموت ، وصعدت الى السماء .. كان همي الالتقاء بسمير ..

يا سميرة .. عودي الي ، فور تلقيك هذه الرسالة .. فانت البقية التي تجعل لحياتي معنى .. وزوجك اضحى بمثابة ولدي الحبيب .. ليس لي غيركما بعد الآن .. انتما عزائي في هذه الدنيا الرفقة المشارب ، وانا على ثقة انك ستهرعين الي مع زوجك لانشق منكما عبير الحنان والحب .

لندفن الماضي يا سميرة .. ولنهل عليه اكداسا من الرمال .. واعترف لك انني بعد فجيعتي باخيك حاسبت نفسي حسابا عسيرا ووجدت انني قسوت عليك اكثر مما يجب .. ولعل دموعيالتي ذرفتها معبرةبها عن ندمي خير شفيع لي عندك يا سميرة .. لقد كنت معصوبة العينين عندما جاء زوجك، وطلب يدك .. ورفضت بشدة، واتيت الي يومها ناصلة اللون، واجفة الجسد ، وقلت لي ، والحياء يخضب وجهك الجميل : لماذا رفضت احمد يا ماما ؟

ـ سيتقدم اليك خير منه بكثير .

ـ ولكني لا ارغب في خير منه .

ـ انت لا تعرفين مصلحتك .

ـ بل اعرفها .

ـ انا ادرى بها منك .

ـ لا اريد غير احمد ..

ـ لا يا سميرة .. انت رائعة الجمال وثرية .. وهو فقير .. لا مركز له ..

ـ لقد تخرج هذا العام من كلية الحقوق ، ووجد وظيفة محترمة .. وسيعرف كيف يشق طريقه .. انه مثال النشاط والاخلاص والرجولة .

ـ يا سميرة .. هل ترضين به زوجا .. مع دخله البسيط .. الذي لا يكفيك ثمن ثيابك ؟

ـ انني راضية ان اقاسمه مر العيش اذا كان هذا مرا كما تقصدين.

ـ لن تستطيعي يا سميرة ..

ـ انا لا اريد الثياب .. ولاالحياة المترفة .. اريد احمد .. انه زميلي في الدراسة ، واعرف اخلاقه الفاضلة ورجولته ..

وزعقت بك : اذهبي الى غرفتك.. لا تكلميني عنه مرة ثانية .. انه غير جدير بك .. ولا هو من اصلك .. ان خطابك كثيرون .. وما علينا الا الاختيار ..

وانسحبت الى غرفتك ..محزونة القلب .. ولم اقدر حزنك .. لانني ما كنت ادري يومها معنى الحزن الكبير .. وفي اليوم الثاني اغلظت لك القول ، وهددتك بالويل اذا حاولت الاتصال به .. لقد ادركتان الحب جمع بين قلبيكما .. ولكنني لم ادرك ان منطق القلب غير منطق العقل .. ورايتك ذات يوم تفرين من بين يدي .. لتعقدين قرانك رغما عني على احمد .. وذهبت معه الى مقر وظيفته في البلدة الصغيرة النائية ، وجرفني حقد هائل عليك ،

الم ..

اني نهلت من عصارة الالم
نهلت حتى عقني الندم
ثملت حتى لم اعـد
استشعر الوجود
ولفني في ركبه الفراغ والعدم
وجف في قيثارتي
اللحن والنشيد
فلا تقولوا اين انت ؟
انني شهيـد ؟
لا تسالوا ضحية الالم !

قد كان في مسراي لي
درب به اسـير
وكان في قارورتي
الطيـب والعبـير
وكنت في ذرى الحقـول
بلبـلا يطـير
محلقا كالامل النضير
في عالم كبير
وكنت استوحي الجماد
ارعش الصخور
واليوم لا زهور
لا عطـــور
قارورتي حطمها الالـم !

واليوم والربيع
يضحك والنسيم
يرقص في حديقتي
والليل والنجوم
تشع والغيوم
مسدلـة على القمر
فضية تعبيء الشعاع
وترسل الشراع خلفه شراع
لا وحي في شبابتي
لا لحن لا غناء
شبابتي أخرسها الالم !

دعوا الغريق ضائعا
في لجة الحيـاة
دعوه لا زورق
لا مجداف في يديه
دعـوه دون ان
تلقفـه الضفاف
ودون ان يعود
للرفاق عزفه الرخيم
ودون ان تورق في
صحرائـه الورود
دعوه ثم وحده في سجنه البعيد
يعيش في مهامه جدباء في قيود
مفـاوز
غابات شوك جهمـة
سـدود
صنعهـا الالـم !

الرياض — حسن عبد الله القرشي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتمنيت لك الموت ، وانتزعتك مـن ذهني الى الابد ، وحسبتك ميتة .. لقد كانت الضربة التي سددتيها لـي قاضية .. وخجلت من لقاء الناس ، وعنفني عمك وخالك على غفلتي .. وخيم الحزن على اسرتنا .. واخيرا قال عمك : لننسهـا .. لنحسبهـا ماتت ..

ومضى على فرارك ستة اشهر في خلالها لم يذكرك إنسان.. حتى مجرد اللهفة عليك اذا ومضت في اعماقي اخنقها في مهدي .. وعانيت من هذا آلاما عارمة كنت اتحملها بصبر عجيب .. وما لنا .. وهذا الكلام الطويل .. ولكن يجب أن تفهمي ان قسوتي عليك كان منبعها الحب لانشد لـك زوجا ينتمي الى طبقة ارستقراطية ، وينعم بمركز وضيء .. ولكن فاتني شيء واحد .. ان هـذا لا يجلـب السعادة .. وكانت السعادة في نظري زائفة .. لا تتأتى الا بالمال والحيـاة والمركز .. وبعد فجيعتـي باخيـك استنارت بصيرتي ، وادركت ان كل هذا اباطيل ، وقبض الريح .. ولهذا ابارك زواجك ، وانثر عليه الورود ، فانا ـ الآن ـ لا يهمني سوى سعادتك .. وانني على مثل اليقين ان زوجك الطيب يوفر لك هذه السعادة التـي اتوخاها لك ..

عودي الي يا سميرة .. معزوجك .. ابني الغالي .. ان مكانكما فـي اعماقي ، وفي بيتي .. ولن يستطيع احدا انتزاعكما مني .. الوحدة رهيبة في عذابها .. ولن تتركي امك فريسة لها .. عودي الي فانت كل املي في هذه الدنيا .. « امك » .

مكة المكرمة — محمد حاج حسين

مكانة المرأة لدى المجتمعات البدائية

ترجمها عن الانجليزية **مبارك ابراهيم**

* * *

قد جرت العادة منذ الزمان القديم ان يتخذ الناس مكانة المرأة مقياسا يقيسون به الفروق التي تقوم بين مختلف حضارات الشعوب. فترى السائل المتقصي يسأل : هل للنساء حق التصويت ؟ وهل يجوز لهن ان يصبحن طبيبات او محاميات ؟ وهل لهن حق التملك ؟ فاذا كان الجواب عن هذه الاسئلة بالنفي كان الشعب الذي تعيش فيه تلك المرأة في الدرك الاسفل من سلم الآدمية ..

ولكن حدث في الزمان الاخير وبعد ان زادت معارفنا الانثرويولوجية (اي المتعلقة بالتاريخ الطبيعي للاجناس البشرية) ان بدت امارات الشك تتزايد لا من حيث صلاحية طرائق التقصي القديمة وحسب بل من حيث الخنوع المزعوم المنسوب الى النساء بين الاجناس التي توصف بالبدائية ..

ولكي تزول الشكوك اصبح لزاما على الباحث ان يكشف عن اتباع طريقة التعميمات الشاملة التي هي في العادة واهية الاساس . وان يلتزم بالبحث وراء الحقائق التي اثبتتها البحوث التي اجراها العلماء في صبر ودأب ..

ان اقوام استراليا الاصليين هم ـ بحكم ما يقرب من الاجماع ـ احط الاجناس البشرية وادناهم مقاما.. وتدعيما لهذا الراي يزعم الزاعمون ان المرأة السوداء (اللبرا) من سكان استراليا الاصليين هي من دواب الحمل . وهي لا تلقى الا التحقير وسوء المعاملة .. وتثقل كواهلها اعباء العمل الشاق المضني .. كما يزعمون ان الرجل الاسود ـ وهي تسمية خاطئة ، اذ انه ليس بالاسود ابدا ـ يصيد صيد البر والبحر . ثم هو يشتبك في المعارك . ثم هو يطوف في الآفاق . بينما المرأة تقوم بدور الزارع والباني والخزاف والنساج ودباغ الجلود وصانع السلال . وذلك فضلا عن مهنتها التي لا تفارقها بحكم تكوينها الفطري والتي تلتزمها في كل البيئات الحضارية وهي مهنة الامومة والحضانة والتمريض ..

وهذا الخنوع الشامل المزعوم لا يقره ـ بل ينكره كل الانكار ـ عالم من الثقات في علم الاجناس . واستاذ علم الاحياء في جامعة ملبورن . وصاحب المؤلفات العديدة في دراسة القبائل ـ وهو سير بولدوين سينسر ١٨٦٠ـ١٩٢٩ .

ان هذا العالم يقرر ان الحياة التي تحياها المرأة من سكان استراليا الاصليين هي حياة افضل بكثير من تلك التي تحياها وتلقاها مئات وآلاف من النساء من ساكنات الاكواخ في الاحياء الفقيرة في مدن بريطانيا وحواضرها..

وهو يؤكد ان نساء استراليا المتبديات لا يلقين المعاملة السيئة القاسية وانهن اذا كن يعانين من ضيق العيش فان الرجال يشاركنهن هذه الحياة الضنك .. ففي زمن الايسار يجد الرجل والمرأة دائما ما يؤديانه من عمل وفي زمن العسرة فان نصيب الرجل يكون مكافئا لنصيب المرأة من الفقر والعوز ..

والمرأة الاسترالية المتبدية تختلف عن اختها المتحضرة في انها لا تقضي الساعات الطويلة في حياكة الملابس ورفو الجوارب . ذلك لان الرجل هناك هو ـ بوجه عام ـ لا يعرف الكساء .. وهو اذا اكتسى فانه يكتفي بجزام يتمنطق به . وعذبة من العذبات يزين بها جبينه .. اما كساء المرأة فقوامه حزام من لحاء الشجر يزيد عليه عند نساء بعض القبائل مئزر من فراء الحيوان المسمى « ابو سوم » (وهو حيوان من ذوات الجراب) .

والعمل المنزلي في مخيمات قبائل السكان الاصليين هو في العادة اقل من القليل . ويمكن ان يكون من الحقائق المقررة ان الاطفال هم المشكلة الكبرى .

والحب بمعناه الشائع عندنا غير معروف عند اولئك الاقوام الا في القليل الاقل . والزوجات اللاتي يأتين بفاحشة يلقين اشد العذاب ويحرقن بالنار .. ولكن الجروح الغائرة المتفجرة التي تشاهد في اجسام النسوة ـ ولقد عدها العالم سير بولدوين سينسر مرة فألفاها اربعين جرحا غائرا وكأنها الاخاديد وذلك فيما بين السرة الى ما فوق الثديين ـ أن تلك الجروح ليست اثرا من آثار سوء المعاملة اوقعها بهن ازواج غاضبون. انما هي جروح احدثنها بانفسهن وصنعنها بقطع من الحجر القداح او بشظايا من الزجاج ثم عمقنها وثبتنها بالرماد وذلك بغية ان يشهدن العالم على مدى وفائهن وشدة حزنهن على الازواج الذين اغتالهم الموت . ووارتهم القبور .. وكذلك يفعل الرجال بانفسهم . ولكنهم يفعلون ذلك ابتغاء الزينة والتجميل ..

ثم نجيء الى عملية الحمل وهي العملية ذات الخطر لدى المرأة المتحضرة فنجدها عند المرأة الاسترالية المتبدية عملية لا يؤبه بها . ولا تسبب لها الا القليل من العنت .. وقد حدث أحد الكتاب فقال ان قبيلة من القبائل الاسترالية اذا ارتحلت واحست احدى نسائها بوجع الولادة فانها لا تتوقف في سيرها ولا تتريث لمثل هذه المهمة التافهة . مهمة الولادة . حتى اذا وضعت المرأة وليدها لفته في قطع من الجلد ثم استأنفت سيرها وهي تدلف مع الباقين.

وعلى الرغم مما اسلفنا فانه لا ينبغي ان يخطر بالبال ـ مهما اشتدت بنا المغالاة في تقدير مزايا الحياة الفطرية ـ ان نصيب (اللبرا) او المرأة الاسترالية المتبدية هو مما تحسد عليه .. ذلك لانها تشارك زوجها ضروب الاخطار وتقاسمه الوان الحرمان التي يتعرض لها ـ وهي جد

كثيرة ـ . وهي تحمل اثقاله . وهي تؤدي الاعمال المنزلية الشاقة . وهي الاعمال التي تورث الملل برتابتها .

ومن الوان المعاناة التي تلاقيها تلك المراة انها تصبح زوجة في اول سن البلوغ . وقلما يسمح لها باختيار الزوج . وكذلك فان من الجائز لهذا الزوج ان يقرضها (قرضا سيئا) دون ان يستأذنها . فاذا مات هذا الزوج قضت المراة فترة طويلة تقوم فيها بواجب الحزن التفكيري. ثم تصبح بعد ذلك ـ ارادت او لم ترد ـ زوجة لاخيه ..

فلا غرابة اذن اذا راينا النساء الاستراليات الفارعات القوام وقد تمايزن بالوسامة والبضاضة ـ وهن فتيات ـ يصبحن اذا تقادمت عليهن الليالي ـ وقد تقوست ظهورهن، وتقفعت اكفهن ، وتقبضت سواعدهن ، وترهل لحمهن بعد اكتناز وامتلاء .. حتى اذا بلغن سن الخامسة والعشرين فقدن سحر الشباب وفتونه . فاذا امتدت بهن السن الى الاربعين كن لحما على وضم .. ولا تبلغ سن الخمسين منهن الا القلة النادرة ..

ويتحدث هنري هافلوك الس ١٨٥٩ ـ ١٩٣٩ (عالم واديب انجليزي . درس الطب وترك الاشتغال به ليفرغ لابحاثه في علم النفس وفي دراسة الجنس من حيث علاقته بعلم الاجتماع . ومن مؤلفاته كتاب «سيكولوجية الجنس» وكتاب « عالم الاحلام ») .. يقول هذا العالم ان المراة في افريقيا القبلية لا تختلف احوالها عن احوال المراة الاسترالية المتبدية فهي تعنى بتربية الاطفال وهي تقوم بكل عمل ينبعث من المواقد والافران . اما الرجل فانه يعنى بكل الاعمال التي تتطلب قوة في البدن وصبرا عند تجرع غصص البلايا ..

ويقول « ج.س.كلاريدج » ان المراة الكونغولية تتارجح كداب رقاص الساعة بين فلاحة الارض وبين العناية بالاطفال . وهما الاصلان الثابتان في أهتماماتها . فهي منذ شروق الشمس تثير الارض وتسقي الحرث . وتكاد تحمل جرتها وتعود بها ملأى وقد استوت الجرة فوق راسها في اتساق بديع .. والى هذه الطريقة في حمل الجرار ينسب العارفون اعتدال قوام اولئك النساء .

والمراة الافريقية تنتج الطعام ثم تطهوه . وهي تبني كوخها . وهي ترم ما تهدمه الامطار والرياح .. والمراة الافريقية تعد عملية مالية مذهبة الحواشي والذيول فهي تعود على زوجها بفائض يتمثل في انجاب الاولاد وتأدية الخدمات .. ولها فوق ذلك ميزة اخرى هي انها اذا ماتت فان لزوجها الحق في ان يطلب الى ابيها ـ دون ان يدفع مهرا جديدا ـ ان يزوجه احدى بناته غير المتزوجات .. ويؤكد بعض السياح ان من باطل القول وزوره ما يزعمه الزاعمون من ان المراة الافريقية المتبدية لا تعدو ان تكون دابة من دواب الحمل . ووسيلة الى اشباع شهوة الرجل، وضحية من ضحايا البطالة والكسل ..

ففي شرق افريقيا مثلا لا يجد الباحث دليلا يؤيد الزعم القائل ان النسوة يقتلن انفسهن بالعمل الشاق المضني.. وأقسى ما يمكن ان يقال ان البعيدات منهن عن الاسواق والمتاجر يشغلن انفسهن بالدق في الهاون وبفربلة الحنطة وطحنها .. وحتى في هذه الحالة فانهن يكن اسعد بكثير ـ كما يؤكد أحد الباحثين الالمان ـ من كثيرات من ربات البيوت في المانيا ..

فاذا جئنا الى سكان الكهوف من اقوام (الفدا) وهم اقوام بدائيون يقطنون الغابات في جزيرة سيلان . وهم بقايا اسلاف مضوا . وعددهم آخذ في التناقص . والمعتقد انهم سلالة السكان الاصليين لتلك الجزيرة.. اذا جئنا الى هؤلاء الاقوام الفيناهم اليوم من المنبوذين . وان لا فرق بين طرائق عيشهم وطرائق عيش الحيوانات الآبدة التي تشاركهم العيش في الغابات..وعلى الرغم من ذلك فانهم ليسوا فقط من القائلين بعدم تعدد الزوجات بل ان الخيانة الزوجية غير معروفة عندهم .. والنساء عندهم يستمتعن بالمساواة التامة بينهن وبين الرجال في كل ناحية من النواحي ..

وانا لنذكر كذلك اقواما من السكان الاصليين في اليابان هم اقوام (الاينو) حيث نجد المراة تستمتع بمكانة ممتازة تتساوى فيها الى حد بعيد مع نساء شعوب اخرى كثيرة تعد ارقى منها بمراحل في درجات السلم الحضاري .. ان تلك المراة اليابانية المتبدية تظفر بين بني قومها بالاحترام والتوقير وهي دائما الآمرة المؤمرة في شئون بيتها ..

ومن ناحية اخرى فانه مما يثير العجب ان هناك تقليدا قديما عند اولئك الاقوام يمنع نساءهم من ممارسة تلك العادة القديمة قدم الزمان وهي عادة القيام بفروض الصلوات يتوجهن بها الى الآلهة من الاسلاف والاجداد . وذلك ظنا من اولئك الاقوام ان النساء بما جبلن عليه من ارتكاس في الطبائع قد يسعين بصلواتهن الى الحاق الاذى بالرجال وبخاصة بازواجهن ..

وفي جزر البحار الجنوبية نرى من الامور الثابتة ان النساء يستمتعن بقدر كبير من الاستقلال . ويقول البروفسور كاسير مالينوسكي ١٨٨٤ ـ ١٩٤٢ (وهو عالم بولندي) ان النساء في بعض جزر ميلانيزيا يتاح لهن ان يبلغن مراكز سامية في مجالس القبائل .

والقول الذي يقال بصيغة التوكيد والذي كثيرا ما تتردد أصداؤه في مختلف الانحاء وهو انه في الامم التي تتردى في مهاوي الضعة من الوجهة الاجتماعية تكون منزلة المراة على مستوى ومنزلة دواب الحمل هو قول يمكن ان يصح عند بعض الاجناس فقط . بينما نرى المراة عند كثير من الاجناس الاخرى المتبدية من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية تلقى قدرا كبيرا من التوقير والتكريم والراي القديم القائل بان الانوثة لدى الاقوام البدائية انما هي مرادف للعبودية والخنوع هو قول لا وجود له ..

القاهرة **مبارك ابراهيم**

من ادباء الفردوس المفقود

عيسى السفري

بقلم البدوي الملثم

ولد فقيد الادب المرحوم عيسى السفري في « الرملة البيضاء » عام ١٨٩٤ وتلقى دراسته الثانوية في مدينة ـ يافا ـ وزاول التعليم عدة سنوات في المدارس الاميرية ، كان خلالها المثل الصالح للمربي القدير الواعي في اساليب تدريسه النشء الصاعد وتربيته على الاعتماد على النفس ومواجهة المصاعب والاهوال بثقة وعزم وايمان. وتركت اساليبه هذه آثارا ملموسة في نفوس طلابه ، وما زال الاحياء منهم يذكرون ما لاستاذهم السفري من اياد بيضاء على توجيههم توجيها صحيحا .

واشتهر الفقيد كاتبا واديبا ووطنيا انتضى قلما عنيفا دافع به عن ـ فلسطين ـ موطنه المغصوب ، وعن شعبها المغلوب ، ودعا الى محاربة الانتداب والصهيونية ، وضحى بالوظيفة ، وهي مصدر رزقه ، دفاعا عن موطنه الملتهب ، والتحق بقلم تحرير «فلسطين» اليافية لصاحبها المرحوم عيسى العيسى ، وانبرى يكتب المقالات الضافية على صفحاتها ، محذرا قومه من لؤم المنتدب وغدره ، وداعيا الى التنبه واليقظة لالاعيب العدو وخططه الجهنمية المفزعة !

واسس الفقيد مكتبة في يافا زاد عليها مطبعة تجارية وواصل الكتابة في الصحف الفلسطينية غير مبال بالمخاطر التي استهدف لها ، واخيرا اعتقلته السلطات البريطانية وحملته الى سجن « مزرعة عكا » وامضى في معتقله هذا ثلاثة شهور عاد بعدها الى سابق جهاده في حلبة الوطن المظلوم ، من الاستعمار الغشوم !

وبعد وقوع النكبة ، وتشتت الاهل والاحبة ، نزح مع افراد اسرته الى مدينة السلط ، من اعمال الاردن ، وامضى فيها قرابة عام مسريا عن نفسه المحروبة بكتابة الدراسات والمباحث عن قضية فلسطين وتطوراتها بعد ان انهت بريطانيا انتدابها على الاراضي المقدسة ، وسلمتها لقمة سائغة للعلج الاسرائيلي !

وفي مطلع عام ١٩٤٩ نزح السفري الى عمان واخذ يحرر في جريدة « فلسطين » ـ ابان الفترة التي صدرت خلالها في عاصمة الاردن ـ مواصلا كفاحه في تصور مآسي امته بعد وقوع النكبة ، وذات ليلة ، وهو مكب على عمله في قلم التحرير هوى النسر جثة هامدة اثر نوبة قلبية حادة اودت به عام ١٩٤٩ .

من آثاره القلمية : وفي يافا المغصوبة صنف الفقيد كتبا قيمة زود بها خزانة القضية الفلسطينية منها : « رسالتي » وهو مجموعة من الشعر العذب المنثور في الادب والوطن والفن والاجتماع وكتاب «دماء ودموع» وكتاب « فلسطين العربية ـ بين الانتداب والصهيونية » وهو سجل عام للقضية الفلسطينية في عشرين سنة .

وللفقيد آثار لم تطبع منها كتاب «العرب المنتصرة في الجاهلية والاسلام».

نموذج من نثره : ولتعلم اي قلم خصب كان قلم السفري اختار لك مقال « بين فلسطين وشقيقاتها » وقد استهل به فصول كتابه «رسالتي» المطبوع في يافا عام ١٩٣٧ :

جلست وحدي كارملة ، انا العظيمة في الامم .
وكثكلى فقدت بنيها ،
قرح جفوني البكاء ،
وكلت عيناي من النظر الى عوني الباطل ،
أبت نفسي التعزية ،
لان حماي أستبيح ، وبيع ميراثي للغرباء !
الي يا شقيقاتي !
أغثنني يا بنات ابي وامي !
فقد سدت في وجهي سبل النجاة !

*

استباح القوي ارضي ،
وملك شذاذ الآفاق جوانب بيتي !
اما ابنائي البعيدون عني ، فيحنون للعودة الي ،
أريد ان اضمهم الى صدري فلا استطيع ،
لان قوة تحول بيني وبينهم !
لا لشيء سوى انهم ليسوا من شعب اسرائيل !
لم يجدني النوح يا شقيقاتي !
ولم يرفه عني البكاء ، يا بنات ابي وامي !
ان الطبيعة تكره الضعفاء !

*

هيمن الغريب على مقدراتي ،
وضع الاجنبي يده على منابع ثروتي !
اشتد القحط ، وعم البلاء ، وشمل الضيق كافة شعبي !
انتزعت من فم العامل لقمته ،
ولم يجد الفلاح ما ينقذه من محنته !
لعبت شهوة المال بنفوس ضعيفي الايمان من ابنائي ، فسهلوا للدخيل « أرضي » !
فلم يعد مكان لذراري !
لا تجزعن يا شقيقاتي !
ولا تضطربن يا بنات ابي وامي !
فلكل شيء حد لا يتجاوزه !

*

شعب ، تنبذه كل الشعوب ،
يحل محل شعب ، تآمرت عليه جميع الامم !
فاذا ما تكلم ، اخرسته القوة ،
واذا ما صاح ، صمت الآذان عن سماع الحق !
حرم كل شيء ، حتى حق التظاهر بالشكوى !
لم يعد لكلمة ـ عدل ـ موضع في قاموس الانسانية !
لست يائسة يا شقيقاتي !
ولا مطمئنة ، يا بنات ابي وامي !
فشدة الضغط تولد الانفجار !

*

هوذا مدينة السلام تفقد سلامها !
الارض المقدسة تتمخض بالثورات !
لان ابناءها يحكم عليهم بالتشريد ، وانسالهم يسلمون للفناء !
تنهد المهد ، تزلزلت اركان الصخرة !
بكت جبالي دما ،
رويت اوديتي بالنجيع الاحمر !
زرعت سهولي ، لا بالغلال والكروم ، بل بقبور الشهداء !
اطربن لي يا شقيقاتي !
هنئنني بضحاياي يا بنات ابي وامي !
فقد شقت امامي طريق الحياة !

عمان

البدوي الملثم

دستويفسكي وصرع العالم الحديث

بقلم بولتزر

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

« كان دوستويفسكي رجلا مريضا ، لان مصيره بصفته كاتبا قدر له ان يصور مرض العالم المحيط به . ففي صرعه تركز صرع المدنية الحديثة . » هكذا كتب ولتر موشغ، احد المتتبعين الثاقبي البصر للمشاهد الادبية، في كتابه «تاريخ الادب المأساوي» هذا القول السديد مجفل كان الاجفال ، وبهاؤه يخطف الابصار ، بحيث ان القارىء محمل حملا ، بغير ارادته ، ان يغرك عينيه . وايا كان الامر ، فهو يبدأ يسائل نفسه ، بعد تأمل وتمعن ، أهذا السهم مصيب، كما هو بهي لامع ؟ واذا تقبلنا احقيته ، فهل يتضمن الحق كله ؟

اصبح صرع دوستويفسكي رمزا لاستشهاد فنان العصر الحديث المبدع ، كما كان الامر بالقياس الى اذن فان كوخ او جدران الفلين التي كانت تحيط بسرير بروست المريض. ومع ذلك فلا يزال الكثير من الاسرار يكتنف (القضية) حتى يومنا هذا . فان اي ، هـ. كار في دراسته لدوستويفسكي المنشورة سنة ١٩٣١ ــ يلخص استنتاجات مقالة مستندة الى مصادر روسية ظهرت في « سلافونيك انـد ايست يوربيان ريفيو » قبل ذلك بسنة واحدة ــ ويحدد هجوم الصرع على دوستويفسكي بنحو سنة ١٨٥٤ ويقول : « ان الاضطرابات العصبية التي كان يتألم منهافي بطرسبرغ قبل نفيه الى سيبيريا ، لم تكن لتعتبر لا من قبله ولا من قبل اصدقائه ذات طبيعة صرعية ، وليس من دليل على انها كانت كذلك » .

ومن الوقائع اننا لا نجد ذكرا لاسم هذا المرض بالذات في بواكير رسائل دوستويفسكي . هذا من جهة ومن جهة اخرى فهذه الرسائل تحتوي على شواهد كثيرة تنبىء باصابته بالوساوس والوعكات العامةوما يدعى Lebensangst الوبيل . ففي رسالة الى اخيه ميخائيل مؤرخة في الاول من شباط ١٨٤٦ كتب دوستويفسكي (وهو في الخامسة والعشرين) قائلا : « كنت مغرما ببانيفا غراما جديا ، وهو الآن يتلاشى ، ومع ذلك فانا لا اعلم به بعد . صحتي منحطة انحطاطا فظيعا ، واعصابي ممزقة متناثرة وانا اخشى من هذه الحمى العصبية او تلك . انا لا استطيع ان احيا حياة عفة ، لانحطاطي الكلي . » لا كلمة واحدة عن الصرع ، بل انك واجد تماثلا بين وضعيته الاخلاقية والجسمية بين كل جملة واخرى . ولست بحاجة الى معرفة عظيمة بالتعمق النفساني لتشخص وجود مركب الاثم واضحا في هذا الشاب العصابي .

وبعد سبع وعشرين سنة من ظهور مقالة كار وكد افرام يارمولنسكي في كتابه عن سيرة دوستويفسكي ، الذي استند جزئيا كذلك الى المصادر الروسية ، على ان أول هجمات الصرع حدثت سنة ١٨٤٦ واستمرت حتى نهاية حياته . فحساسية دوستويفسكي المرهفة وطبيعته المبغضة للبشر ، ومزاجه القلق ، وشخصيته باسرها ، بوساوسها وحماسته الدينية المتطرفة وميلها للبحث عن ملجأ في عالم الاحلام يحميها من الواقع ، كل هذه الامور ، من وجهة نظر يارمولنسكي تتفق كليا مع الظواهر السريرية للصرع النموذجي .

والتناقض بين هذه الحال وبين تشخيص كار المبكر يمكن تفسيره بان يارمولنسكي فضل الاعتماد على الشواهد المستمدة من معاصري دوستويفسكي ، وخاصة من قبل صديقه وطبيبه يانوفسكي ، بدلا من حصر نفسه في الركون الى ما ادلى به المؤلف نفسه . ثم انه كان اميل من كار الى الاعتراف بدور العوامل النفسية الدينامية بالتأثير في سير المرض .

واذا كانت اول نوبة صرعية اصابت دوستويفسكي قد وقعت سنة ١٨٤٦ فهي تتفق زمنيا تمام الاتفاق مع اول نجاح ادبي احرزه بكتابه « الفقراء » . فهل يمكن اعتبار هذه النوبة شكلا من الكفارة عن النجاح المدهش الذي اصابه اثر كان هو نفسه نوعا من التفكير عن عذابات شعبه؟ ان ق. غ بلنسكي (١٨١١ ــ ١٨٤٨) ــ المنشىء لمدرسة جديدة في النقد الادبي الروسي ، استوحت الرومانسية الالمانية والمثالية الاجتماعية ــ هو الذي اكتشف موهبة دوستويفسكي الشاب وجذب اليها انتباه الجمهور في مقالة ظهرت في مجلة « ملاحظات الوطن » . وهو الذي (صنع) من دوستويفسكي كاتبا في الواقع . وحين توفي بلنسكي في ٢٦ أيار ١٨٤٨ لاحظ يانوفسكي نوبة دوستويفسكي الثانية . جاءه دوستويفسكي باخبار وفاة بلنسكي وكان (على حسب قول يارمولنسكي) في حالة من التأثر بحيث لم يجسر يانوفسكي ان يسمح له بالابتعاد عن ناظريه . مر اليوم بغير حوادث تذكر ، لكن في الساعة الثالثة من فجر اليوم التالي سمع يانوفسكي صوت شخير منبعث من غرفة دوستويفسكي . فاندفع الى الغرفة فوجده مستلقيا على ظهره ، في حالة تشنج ، عيناه مفتوحتان باتساع ، ولسانه مندلع ، والزبد ملء فمه .

واذا امكن ان نعد الضربة الاولى نوعا من العقاب الذاتي، فان الضربة الثانية وثيقة الصلة بفقدان صديق شفيق كالاب . فهل يعني ذلك ، في خيال دوستويفسكي المريض، شيئا غير ان بلنسكي قدم حياته عربونا لعطفه على الكاتب الشاب ؟ هل شعر دوستويفسكي بالمسئولية عن وفاة رجل، كان قد عامله معاملة ولده ، مع انه تشاجر معه وامتنع من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

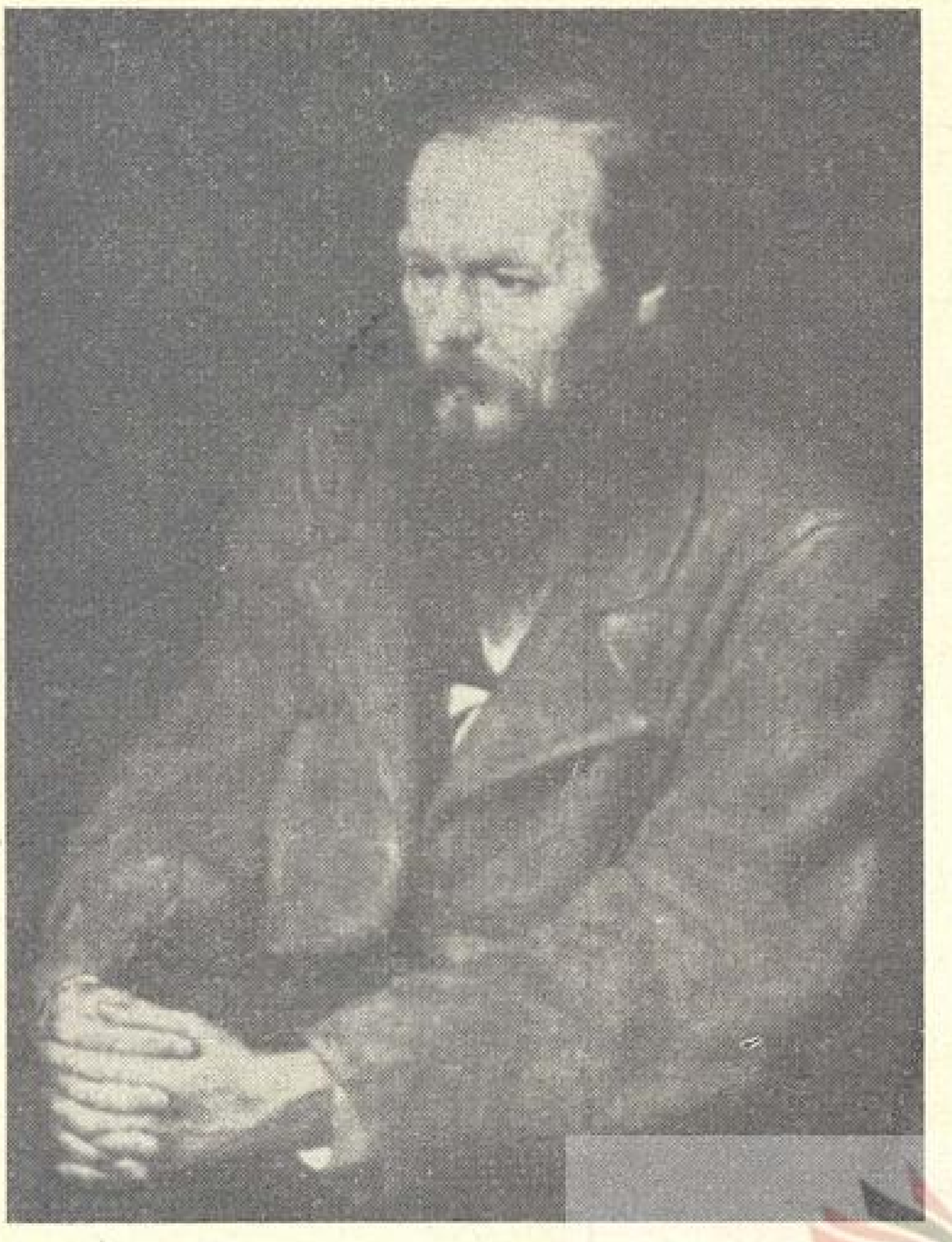
التكلم اليه في الخمسة عشر شهرا الاخيرة ، هذا الرجل الذي كان اسن منه بعشرة اعوام فقط ؟

وفي هذا الخصوص ، جدير بنا ان نتذكر مقتل والد دوستويفسكي الذي حدث وهو في الثامنة عشرة من عمره حسب ، في أحوال ، تتشابه في بعض الوجود مع الظروف التي احاطت بمقتل كارامازوف على يد ابنه النغل سميردياكوف . والواقع ، كتبت ابنة دوستويفسكي في سيرة والدها ، على حسب اعتقاد الاسرة المعترف به ، «ان دوستويفسكي أصيب باول نوبة من الصرع عند سماعه بوفاة ابيه . » وهذا « التقليد » حمل فرويد نفسه على ان يعزو المظاهر الجثمانية الملازمة للمرض الى هزة عاطفية تسببت عقدة اوديبس في ابتعاثها . كتب فرويد بهذا الشأن : « اكبر الظن انها (اي النوبات) يمكن تأريخها الى طفولة دوستويفسكي ، وكانت عوارض المرض هينة الاثر في اول الامر ، لكنها اتخذت شكلا صرعيا ، بعد التجربة المرعبة ، تجربة مقتل والده وهو لم يزل في الثامنة عشرة من عمره» وهذه النظرية يمكن ان تشرح ايضا مركب الشعور بالاثم والتقريع الذاتي اللذين يلازمان مثل الوالدين ، كما هي الحالة في شخصية كيريلوف المصاب بالصرع ، وما انتهى اليه من الحاد وكفر في « الممسوسون » .

وفي سنة ١٨٤٩ وقع دوستويفسكي في شباك سلطة علوية لا شخصية ، وقد يسميها المحلل النفسي صورة الدولة الاب . كان حينئذ في الثامنة والعشرين وقد تم اعتقاله لما قام به من دور في المؤامرة التي كانت تستهدف بتراشيفسكي ، فاوقف في قلعة بطرس وبولص . ومن هناك كتب الى اخيه ميخائيل قائلا : «اليوم ، في الثاني والعشرين من كانون الاول ، ساقونا جميعا الى ساحة سيميونوفسكي . وهناك قرأوا علينا حكم الموت الصادر علينا جميعا ، وسمحوا لنا بتقبيل الصليب ، وكسروا السيوف على رؤوسنا والبسونا ملابس التنفيذ (اكفان بيض) ثم وقف ثلاثة (منا) على خشبة الموت استعدادا للتنفيذ . كنت السادس ، وكانوا يستدعوننا ثلاثة ثلاثة ، ولذا اصبح مكاني في الصف الثاني . لم يبق لدي الا دقائق قلائل من الحياة . لقد فكرت فيك ، اخي ، وفي اعزائك جميعا ، في هذه اللحظة الاخيرة ، فيكم ، انتم ، انتم ، أنتم ، وحدكم ، كنتم في خاطري ، عندئذ فقط ادركت كم احبك يا اخي العزيز ؟ وتمكنت ايضا من تقبيل بليشجييف (و) دوروف اللذين كانا بجانبي مودعا . ثم صدر امر بالتراجع واعادوا الذين كانوا واقفين على خشبة الموت الى اماكنهم واعلنوا ان صاحب الجلالة الامبراطورية قد ابقى على حياتنا . . » وهذا « الابقاء » كان معناه النفي الى سيبيريا الى (بيت الموتى) وقضاء اربع سنوات من الاشغال الشاقة هناك ــ وكما يعترف (كار) نفسه ، فان النوبات الصرعية قد اشتدت في هذه الفترة .

ان سخافة هذه اللعبة التي قام بها القيصر ، وهو صاحب السلطة الزمنية العليا ، تتبدى في تحويله لرعاياه الى اشياء ، وهي تقدم لنا تاريخيا مثلا من ابرز الامثلة على الصراع بين الاجيال ودفعه الى أشد ما يكون العنف دراميا. فالدولة ، الاب ، يضع يده على الابن الشارد ويلعب به لعبة القط بالفار . والى المدى الذي ترتبط به المدنية الغربية من حيث تعريتها لصور الابوة اللاشخصية المتجسدة في الله والدولة ، والى المدى الذي وصل اليه صرع دوستويفسكي الذي ربما كان حصيلة مركب الاثم لانه هاجم والده ، وصديقه بلنسكي الذي كان بمثابة والده ، وصورة القيصر الاب ، ممثل الدولة ، يصح الاعتماد على فتوى موشغ القائلة : ان الازمة التي تقرض جذور المجتمع الحديث تركزت في صرعه .

هذا من جهة ومن جهة أخرى فان حكم الموت الذي لم ينفذ فيه في ساحة سيميونوفسكي يسر هجوم صرعه ، او بالحري اسهم في الاسراع بتطوره الى المرحلة الحرجة ، ومع ذلك فالظاهر ان تلك اللحظة حين كانت حياته معلقة بخيط واه ، شهدت لاول مرة نجاح دوستويفسكي في الانفلات من ذاته المريضة التأملية ، وعرض محبته الاخوية عرضا اصيلا. اما الوسيلة التي اتبعها في توديع بليشجييف ودوروف زميليه المتآمرين ، واطلاق مشاعره تجاه اخيه واعزائه الصغار فتظهر بوضوح ــ حتى بغض النظر عن شباك الاشجان الرومانسية ، ان الجزء الاكبر من كيان دوستويفسكي يتمثل في قدرته على المحبة وتمكنه من



صورة فيدور م. دوستويفسكي مؤرخة ١٨٧٢ للفنان و.غ بيروف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التسامي بها الى ذرى بهية وآمـــاد كونية . وهنا يظهر دوستويفسكي بصفته اول كاتب حديث في روسيا وربما في أوروبا ـ حديث لان شخصيته وكتاباته وحتى المرض الذي كابد منه ما كابد ، كل هذه الامور لها تفسيرات جد مختلفة . فصورة قتل الوالدين التي يعرضها ويشهر بها ، في حالة سميرد‌ياكوف ، الشخص المصاب بالصرع فـي « الاخوة كارامازوف » هي صورة تبعث على الاقتناع التام باصالتها . وهي تتمثل كذلك في شخصية الامير ميشكين، المصاب بالصرع هو ايضا ، فـــي « الابله » الذي يحاول الانطلاق من الوجود الذاتي المحكوم عليه بالفناء الى مملكـة المحبة . هذان المثلان المتطـــرفان يظهران مدى موهبـة دوستويفسكي الواسعة وفي الوقت نفسه اشتداد وطـأة مرضـــه .

اما نيتشه الذي لم يلتـق بمؤلفـات دوستويفسكي الا متأخرا نسبيا في حياته (١٨٨٧) فقد قال مرة انه العالم النفسي الوحيد الذي استطاع ان يتعلم منه شيئا ما . « فمكانه بين احسن فلتات الحظ السعيد في حياتي . » ومع ان نيتشه وجد دوستويفسكـــي « مناقضا لغرائزه الاصيلة » فقد ثمنه « باعتباره اثمـن مادة سيكولوجيـة (تعرف عليها) » .

دوستويفسكي الذي كان مريضا نفسيا وعالما نفسيا في الوقت ذاته ، عد لامد طويل انسانا تفهم النفس الانسانية تفهما عميقا ، والفضل في ذلك يعود الى طبيعته ومرضه ، والى تقلبات حياته في انتصاراتها واندحاراتها . لكن هذه الفطنة الحادة كل هذه الحدة ، كانت هي ايضا تكاد تعـد مرضا . ومع ذلك،وفي لحظة حرجة ، يحمل دوستويفسكي فيتيوكوفيتش ، محامي ميتياكارامازوف على القول : «على الرغم من عمق علم النفس فهو سكين ذات حدين » . اثارت هذه الملاحظة قهقهة من الضحك بين الجمهور ، وهذا يعني ان المستمعين الى فيتيوكوفيتش قـــد وقعوا في حـيرة وارتباك من جراء هذه العبارة غير المتوقعة منه ، وهـو المقصد نفسه الذي سعى اليه دوستويفسكي بشأن قرائه.

تمثل اسرة كارامازوف ، بدون شك ، من وجهة النظر السيكولوجية ، انحطاط المجتمع الحديث ، هذا الانحطاط الذي لم يتخلص منه الشاب اللامع ، السلبي المنازع ، كل التخلص . واذا نظرنا الى القصة ، من وجهة النظر هذه ، لرأينا انها توكيد قوي لنوع من الواقعية جربها أميل زولا باسلوب يقتدى به قبل ذلك الوقت بعشر سنين في كتابه Rougon-Macquarts . واذا ما قارنا بين الفوضى النفسية التي تسود اسرة كارامازوف وبين تلك التي تسود أسـرة « بودنبروكس » لتوماس مان ، التي ظهرت بعد ثلاث عشرة سنة ، لتبين للقارىء الحديث ان القصة الاخيرة ليست الا عملا ساذجا خشن المآخذ . ومهما يكن من امر ، فان علم النفس يتغلب على الحذلقة النفسية ، في كل من هـاتين القصتين اللتين تتناولان حياتي اسرتين معينتين .

وبالضبط حين يعالج دوستويفسكي شخصية سميرد‌ياكوف ، المصاب بالصرع، نراه ينبذ عالم الواقع نبذا كليا. وصف سميرد‌ياكوف بانه (ابله الاخلاق) و (فاقد الجنس) ـ (مكروه كالزواحف) ويوكد احد النقاد على « مظهـره المريض الذي يشبه الخصي » حتى توماس مان الذي لم يجفل من أعماق الانحطاط الانساني يصف هذه الشخصية بانها شخصية « مخيفة » ان سميرد‌ياكوف مخيف ولكنه قبل كل شيء هو كذلك لانه يعري خواء النفس الحديثة في اكثر من وجهة نظر نفسية مجردة . فـ «وجهه العليل الضعيف ذو العروق المتشابكة على جبهته » يفضح سمات مخلوق لم يعد قادرا على المحبة . وهذا يفسر عطشه للحب الذي لا ينتهي والذي لا جدوى منه وطمعه في المال الذي يشبه الاخطبوط في طبيعته ـ وهو تعويض لما لا يمكـن دركه . وهو يبين ايضا لماذا هو مستعد لتقبيل اي شخص يراه متمكنا من ان يحفظه من الخوف ، ويقيه من وجوده حتى اذا كان في ذلك خنق من آمنه من خوف او تحطيم نفسه . اما تكوينه الروحي فهو تكوين بدائي متخلف،خاوي الوفاض من الروحانية ـ اي انه انعكاس ذاتي لحيويـة ينبغي الا تحيا لكنها عازمة على الا تمـوت . وهكذا يجد نفسه مغلوبا على امره تظلله سحابة من البخار تظل معلقة على بيت آل كارامازوف كأنها قـــدر لا يرحم ، فيقترف جريمة القتل التي يفرض تنفيذها في الاسرة كأنها عاقبة قاسية من عواقب الخطيئة الاصلية . فهو ـ في الواقع ـ مخلوق مسير لا قياد له ـ رعية بـلا راع . والواقـع ان دوستويفسكي ، من خلال شخصية هذا (المصروع) قد تتبع الآثار الميتافيزيقية لمرضه نفسه في قصته الاخـيرة هذه . وبكلمات اخر يصح اعتبار صرع سميرد‌ياكوف صرع السقوط .. (سقوط الخطيئة) . وهذا جلي كل الجلاء حين نتذكر ان هجوم (النوبة) كان مفتعلا مقصودا ليكون شاهدا على ابتعاده عن مكان الجريمة عند حدوثها . بعد المرض (هنا) كذبا وذنبا اجراميا (لعدم) ، وبعد ، هـذا ليس علم النفس اذن بل هو الميتافيزيقا . ويكاد المرء يقول بل هو (اسطورة) القاتل .

ان النتانة التي يحتفظ بها سميرد‌ياكوف في اسمه نفسه (نيتـن : Smerdet) لها صلـة « برائحـة التفسخ » المنبعثة من تابوت الاب زوسيما التي جاءت على خلاف ما توقعه المؤمنون وتلميذه الخاص اليوشـا الشاب ، الذي يقول : « هذه فضيحة لا يمكن تذكر نظير لها في تأريخ ديرنا باسره ... كما ظهر ذلك مباشرة بعد هذا الاكتشاف بـين الرهبان انفسهم » . حتى زوسيما الذي كان يعد قديسا يأخذ الانحطاط والتفسخ بتلابيبه ، وقد بدا كل منهما في شكل انساني في شخصية سميرد‌ياكوف . هذا المخلوق الذي انجبه والده كي يقتله بعدئذ بالاشتراك مع صعلوك شبه مجنون في قضية مخزية فظيعة باردة . وبذا اصبح سميرد‌ياكوف رمزا لاجهاض الاثم الانساني ، رمزا منزلقـا

حاذقا لا يكاد يدرك ، لكنه موجود في كل صحفة من هذا العمل الادبي الضخم ...

وقبل ثماني سنين تقريبا من نشر «الاخوةكارامازوف» قدم (مصروع) اخر في « الممسوسين » هوكيريلوف نظريته الخاصة عن هذا الاثم في مقولة تجريدية فيها شيء من التنطع النظري ، حيث قال « هذه ثلاث سنين وانا أبحث عن فضل الهي علي ، فوجدت اعظم الفضل في قوة الارادة. وهذا ما استطيع انجازه لاثبت ـ باعلى درجة ـ استقلالي وحريتي المرعبة الجديدة . انها جد مرعبة . فانا اقتل نفسي لاحقق استقلالي وحريتي المفزعة الجديدة» فالمرض والصرع وقتل الوالدين واللادرية والفردية (المغالية) ، والانتحار الذي هو تحرير الذات السخيف وهو باكورة ما سماه (كامو) بالتمرد الانساني . في هذه الامور جميعا نجد حفريات متغلغلة بعمق في طبقات الوجود الانساني ، تلك الطبقات التي لم تسبر اعماقها بصورة جيدة حتى الآن ، لان شفرة علم النفس المتنطعة (ذات الحدين) لم تصلها بعد . فما قاله مارتن بوبر ذات مرة عن ستافرومين هو صحيح كذلك بالقياس الى كيريلوف : فهو أيضا «عدمي عمليا لكنه وجودي سلفيا » . أن كيريلوف « الانسان المتفوق » وستافروجين المجرم لم يعودا يمثلان قيما مزجاة من قيم مدنية مريضة . انهما صورتان، ولو بشكل تخطيط عام ، يمثلان الوجود الانساني في تناقضه الظاهري .

ومن اجل ان نجد صنو سميرد‌ياكوف علينا ان نعود القهقرى اربع سنين الى شخص الامير ميشكين « الاحمق في المسيح » و (بطل) (الابله) ١٨٦٨ . (ومن هنا) يبدو صرع سميرد‌ياكوف شيطانيا عديم المعنى تماما ، في حين ان صرع كيريلوف ما هو الا شكل من التحدي والوقاحة ... وعلى الضد من ذلك نجد في ميشكين النشوة الروحية المتناقضة التي تبدو كأنها جزء لا يتجزأ من المرض . « انه يتذكر ، في غضون نوبات صرعه ، او قبلها مباشرة ما كان يحس به بالتجربة في لحظة او لحظتين ، حين كان قلبه باسره وذهنه وجسمه في حالة انتفاضة ويقظة ووفرة من الحيوية والنور ، وهكذا كان يصبح مفعما بالفرح والامل ، اما همومه فكانت تبدو وقد تبددت الى الابد ... » لحظة من « الانسجام والجمال في ارفع مدارجهما ـ لحظة من الاحساس العميق الطافح بالسرور والانشراح ، بالنشوة الروحية والحياة الكاملة ... »

ليس من الصعب ان نرى صلة بين لحظة التوتر الشديد هذه والتركيز الذاتي وبين تلك اللحظة الحاسمة في الساحة المقابلة لقلعة بطرس وبولص حين تمكنت المحبة في النهاية من السيطرة على قلب دوستويفسكي . فكلا اللحظتين رمز لانبثاق الذات وتغلغلها في عوالم ادراك شامل للمحبة الاخوية .

وقد وضع توماس مان تعاليم دوستويفسكي التي تتناول النفس الانسانية في مرتبة اعلى من انجازات القصة الاوروبية (الغربية) فقال : « ليس على المرء الا ان يقارن بينه وبين بروست الذي تطفح مؤلفاته بكل ما هو نفسي جديد براق مدهش ، ليدرك الاختلاف في اللهجة والنغمة الاخلاقية . فالاكتشافات النفسية والبدع والوقاحات التي طلع بها الفرنسي ما هي الا متع تافهة بالقياس الى صنوف ما أوحي به الى دوستويفسكي ، الرجل الذي كان يقطن في الجحيم » . كان توماس مان عالما نفسيا عظيما ولهذا السبب بالضبط اخطا لان عظمته هي عظمة عالم نفسي قبل كل شيء . فهو لم يستطع ان يرى الصفاء الذهني ولا الحساسية ذات التجلي اللذين ادركهما بروست في ازمات قصصه ، ولنضرب لذلك مثلا مشهد (مادلين) في «طريق سوان » او فصل البندقية في « اختفت البرتين » او في موت بيركوت في « الزمن المعاد » وهذه المواقف كلها لها صلة صادقة حية بالتقدم الخلاق الذي جربه كل من ميشكين ودوستويفسكي اثناء ما كانا يتعرضان لهجمات المرض . ان المؤلفين قد توصلا الى رؤيا جلية جديدة للواقع ، كل من خلال اوج مرضه الخاص . يمكن اعتبار جحيم بروست اكثر تشعبا وتفرعا من جحيم دوستويفسكي، ثم انه كان باردا كالثلج ، على حين ان جحيم دوستويفسكي كانت تكتنفه السنة النيران. ومع ذلك فحين نتأمل الجحيم الذي يمثله المرض باعتباره حافزا خلاقا ، يصبح من الحذلقة ان نبحث عميقا في ظلال المعنى الاخلاقي او نتجنب ملاحظات على حسب حالة الضمير الذي انجب هذه الفقرات التي نحن في صدد التساؤل عنها .

ومما يقال ان بروست كان اقرب الى التعقل من دوستويفسكي . دعنا نرجع مرة اخرى الى ذكريات ميشكين، فهو يقول : « ... لم تكن هذه اللحظات غير هواجس ثانية واحدة (انها لم تكن اكثر من ثانية قط) وفيها كانت النوبة تهاجمه . طبيعي الا يكون من المستطاع التعبير عن هذه الثانية . وعند انحسار الهجوم ، كان الامير يشرع في التأمل في العوارض التي اصابته ، ومما اعتاده من قول : « هذه اللحظات القصار التي تحملني على الشعور بنفسي وبالتالي بوفرة من الحياة اكثر من اي وقت آخر ، لحظات لا تنفصم عن المرض وعن تمزق فجائي للاحوال الطبيعية . ولهذا فهي ليست طرازا عاليا من الحياة بل طرازا واطئا منها . ومهما يكن من أمر فهذا الاستنتاج ينتهي الى تناقض يقودنا الى ملاحظة اخرى : ـ واذا كان الامر مرضا فما البأس في ذلك ..! » لقد اعترف الامير بغير تحفظ لنفسه ان شعور الغبطة العارمة في تلك اللحظة المكتظة جعلها تعدل حياة باسرها . (كنت اشعر كأنني فهمت هذه الكلمات المدهشة ـ « لن يكون ثمة زمن بعد الآن . ») .. وهذا الشعور بالانعزال عن الزمن الذي جربه دوستويفسكي اثناء نوباته لا يختلف كثيرا عن شعور بروست ، اذ اصبح بالقياس اليهما قاعدة اصولية في فنهما . ان لحظة انعدام الزمن ، او الزمن المذاب او المحطم او حين تغزو الهواجس

الذاكرة فيغني كلاهما ، هذه كانت لحظة الابداع والخلق :

حاول ارنولد هاوز ، العالم الاجتماعي ذات مرة ان يربط بين اعمال دوستويفسكي وبين القصة البيكارية (التي تتناول حياة المحتالين والنصابين والشذاذ) لكن محاولته كانت اعتباطية تماما ، ومع ذلك فهو على حق حين يشير باسلوب مقنع الى ان الزمن عند دوستويفسكي ـ في استمراريته ـ ينجب سلسلة من الحوادث التعبيرية الحقيقية الواقعية منتظمة في شكل يشبه الفسيفساء ، وبذا فهو ينبىء بـ « المبدأ الاصولي للقصة التعبيرية الحديثة . » وفي هذا الصدد يبدو دوستويفسكي متقدما على جويس وبروست وروبرت موسيل وهيرمان بروخ وهايميتو فون دودرر ، الامر الذي كان يمكن للكاتب ان يضيفه الى قوله ذاك . يقول هاوز مستطردا « فالسرد القصصي يتحول الى بيان وتذكير ومناقشة فلسفية . وتصبح القصة مجموعة من المشاهد الحوارية والمناجاة ، بالاضافة الى التعليقات والطفرات الكلامية . » وفي تناولنا اللازمني للكاتب الملحمي هذا علينا ان ننظر الى واقع ثان بعيدا عن المشهد اليومي الاعتيادي . وبهذا الشأن يستشهد هاوز بدوستويفسكي حيث يقول : « انا احب الواقعية فوق كل اعتبار ، هذه الواقعية التي تتاخم الخيال .. وهل من شيء امعن في الخيال وابعد عما هو متوقع لدي من الواقع نفسه ؟ حقا ، هل من شيء أشد محالا من الواقع؟»

ان ملاحظة كافكا لا تبعد عن هذا المقصد الا خطوة واحدة حيث يقول : « الواقع الاصيل هو دائما غير واقعي » هذا التناقض الظاهري الذي لا يدرك الا في اللحظة الخلاقة هو الذي دفع كافكا ليدافع بعناد عن دوستويفسكي ضد اعتراض ماكس برود التافه بعض الشيء الى ان الكاتب الروسي قد قدم الينا العديد من الشخصيات المريضة . كتب كافكا في مذكراته في العشرين من كانون الاول ، ١٩١٤ قائلا : « هذا خطأ فظيع ، فهذه ليست شخصيات مريضة . اما تشخيص مرضهم فليس الا وسيلة جد مثمرة وجد دقيقة للابانة عن هذه الشخصيات . فيكفي ، مثلا أن نقول بالحاح هذا شخص ساذج ابله ، لكن مثل هذا الشخص لو كان له سند دوستويفسكي لانجز اعظم المنجزات . »

من المحتمل كثيرا هنا ، ان كافكا كان يفكر في الامير ميشكين الذي كانت حالاته (المرضية) الايحائية تبدو ضمانة له من اجل تلك العبقرية الخلاقة التي سعى اليها جاهدا طوال حياته المسوسة . ثم يستطرد كافكا قائلا : « ان تشخيصات دوستويفسكي ، في هذا الصدد ، فيها اهمية تشبه اهمية استعمال الكلمات المقذعة بين الاصدقاء. فاذا قال احد الاصدقاء للآخر (انت احمق) فهو لا يعني حقا ان ذلك الشخص احمق ، وقد اهين بسبب من هذه الصداقة ، بل على الضد ، فالامر لا يعدو ان يكون مزاجا بسيطا بريئا ـ وحتى في تلك الحال ـ فوراء تلك الكلمات مزيج لا ينضب من النوايا . »

ومن هنا ، ليس ميشكين شخصا ابله (حقا) ولا كيريلوف عدميا (حقا) ولا سميرياكوف غولا (حقا) . وحتى صرعهم ، بهذا المعنى ليس صرعا (حقيقيا) بل بالحري رمزيا يلازمه « مزيج لا ينضب من النوايا » . كان دوستويفسكي شهيد مرضه وعمله . ومهما يكن من امر فانه ، في النهاية ، لم يعن لا بمرضه ولا بميتافيزيقيته ـ اعني ذلك الشكل من (المسيحية الروسية) التي بشر بها ببلاغة وارتباك كما فعل بالاشتراكية ثم بـ « الانسان المتفوق » الذي يمثل موقفه راسكولينكوف . انه لم يتأمل في الوجود بل سعى من اجله مجاهدا . فقتلته وحمقاه وعصاته وقديسوه ومقامروه ومرضاه في ظمأ لافح للوجود يتقربون اليه في واقع جهود دوستويفسكي وأعماله الادبية ، من طريق المقامرة العنيفة بحياتهم . وهذا الوجود نفسه هو المسئول عن قوة الجاذبية التي تجذب شخوصه المصروعة الى اسفل حتى انها ربما تذكرنا ولو بصورة سطحية بافلاس المدنية الحديثة . وعلى ضوء مرضهم ذي الاندفاعين المتكافئين ، يمكن ارجاع ما الم بهم الى «عصيان الانسان الاول والثمرة ... »

بغداد — يوسف عبد المسيح ثروة

عناد

اعرضت عني دلالا وهوى
وطوت ما بيننا بالامس كانا
وأنا أعرضت عنها عزة
واباء ... والهوى ان عز هانا
شيمة القيد قديما ، وبها
منذ حواء حبا الله الحسانا
وتناءينا ... فسارت وحدها
وأنا آليت الا أتدانى ...
ساعة مرت حسبناها طوت
في ثوانيها الطويلات الزمانا
وتراءت لهلال غرة
في جبين الافق قد لاحت عيانا
وانثنينا فرمقناها معا
وعلى الخدين سالت دمعتانا
فتناسينا شجونا بيننا
وبسمنا للاماني كلانا
وضحكنا في صفاء ورضى
واعتنقنا ... وتلاقت شفتانا

لندن — سعيد العيسى

من « العروة الوثقى »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة

اين حبيبتي

بقلم وديع العريضي

... الثلج يتساقط رقعا ناعمة . شجيرات السرو المحيطة ببيتنا لبست ثوبا ابيض . الحشائش الندية في الحديقة بلعها بساط الثلج . كل ذلك بدا من زجاج نافذتي . والثلج يتناثر في الاجواء ..

غدا ليلة الميلاد .. امي جلست امام الموقد بخشوع . غرقت بالصلاة .. اتاني من البعيد صوت ناي حنون .. امي تعيد علي قصة المسيح المخلص . والثلج يتناثر رذاذا ..

شردت بافكاري خلف ستار اسدل على حياتي .. انتفض كلما تخيلت انني اسمع لحنا من الماضي ، تترقرق الدموع في عيني ، وابكي !.. ابكي بصمت قاتل ..

انتصف الليل . انهكني النعاس . والنيران تتثائب في المدفأة. استيقظت من شرود كنت معه افتش في حدائق افكاري عن شيء فقدته . فقدته فاضناني . وتركني اتخبط في بحور من الفراغ. من النقص . من الضعف. من الخوف والجبن .

افتش عن حبيبتي التي اضعتها منذ امد بعيد .

لست ادري مذ متى تركتني امي في شرودي الضال ، مذ متى انهت ترانيمها الدينية وذهبت تغوص في الفراش . كلما اعرف انني رايتها تغط في نوم عميق .

استلقيت في سريري منهكا . بعد ان فتحت الباب ، وتفقدت الثلج الذي لا يزال يتساقط رقعا ، وقد ارتفع بضع سنتمترات عن عتبة الباب .. كلما يشغلني هو ان اجد حبيبتي . غدا ليلة الميلاد . يجب ن احتفل معها بهذه الذكرى الخالدة . ترى ، اين هي الآن ، علني اجدها يوما ..

الليلة عشية الميلاد . هربت من الصمت والوحدة .. هربت من الريف، الناعس . هربت من الصقيع . من كهولة الطبيعة. .من الاجواء المحتضرة في قريتي .. الى ضجيج المدينة الصاخب .. حيث تدب الحياة دائما وابدا .. او لعلني توهمت ذلك ، خاصة في مثل هذه الليلة بالذات . لاختلق عذرا باطنيا ، اخدع به ذاتي .. اخفي عنها الصورة الحقيقية لرغبتي .. وهي انني اعتزم التفتيش عن حبيبتي الضالة . الليلة .. وفي المدينة .. علني اجدها في هذه الامسية الصاخبة ، امسية الميلاد ..

خيوط المطر تنهمر بغزارة فائقة في المدينة . الرياح تصرخ مولولة ليخفت صوتها عندما تتكسر على رؤوس الابنية الشاهقة . الانوار تتلألأ في كل صوب . الشوارع تزدحم بالسيارات . القطن المندوف غطى زجاج واجهات المتاجر، تطل من خلاله شجرة الميلاد بأنوارها الخافتة الملونة، والقطن المنثور عليها كأنه بساط ثلج، والالعاب والهدايا المختلفة المعروضة للبيع . الناس يخترقون الامطار باحلى حللهم . يحتمون لحظات تحت رفاريف الدكاكين . او يدخلون المتاجر لابتياع الهدايا . صفحات مستنقعات المياه في الشوارع تتكسر تحت عجلات السيارات . يصدر عنها صوت مبحوح كأنه فحيح الافاعي ..

امام واجهة متجر مشهور وقفت مشدوها احدق في اللاشيء .. او لعلني احدق في اصناف الهدايا المعروضة ، أو في ازدحام السيدات والسادة واقبالهم الشديد على ابتياع اثمن الاصناف. او في التاجر الباش الذي طفحت منه الغبطة والبهجة ، لعله في كل لحظة كان يمني نفسه بالارباح الوفيرة التي سيضيفها الى ثروته هذه الليلة . وبدون ادراك وجدتني اقفز الى الداخل ، وانخرط بين الجماهير التي تنتقي اصنافا لتبتاعها ..

تساءلت لماذا ؟! لماذا اصبحت هنا .. في الداخل ؟.. لا لشيء ؟!..

ربما اعتقدت انني هنا يمكن ان أجد حبيبتي .. وجالت نظراتي تتفحص وجوه الجماهير ، او جمال المتجر ، او الالعاب الكثيرة المعروضة، او لعبة معينة ربما اوحت لي بذكرى ما.. او شيئا من اصناف الحلوى.. او قطعة حلوى واحدة .. وعرفت شيئا واحدا ، هو انني لم اعرف عن ماذا كانت تبحث نظراتي .. لعلها كانت تتفحص اللاشيء .. واخيرا بدات ارى اشياء ، واشياء كثيرة ..

رأيت خطيبا يتشاور مع البائع عن احسن هدية يقدمها لخطيبته .. خطيبة تسبق خطيبها لانتقاء هدية تمنحها له . زوج يطوق خصر زوجته، يتشاوران عن نوع الهدية التي يبتاعانها للاصدقاء ، زوجة تنتقي الالعاب التي تقدمها لاطفالها . حبيب انطبعت في عينيه صورة المودة ، يفتش عن اصغر واثمن هدية ليضمها الى قلبه .. صبية ارتعشت بالبراءة عندما ضمت بيديها الهدية التي اختارتها لحبيبها. .وصرخ في داخلي صوت خفي : انا .. لماذا لا ابتاع هدية ؟. اية هدية حلوة ، اقدمها لحبيبتي عربون ذكرى هذه الليلة ؟.

وتهدجت نغمات الصوت ، كأنه استدرك شيئا .. وعاد يردد بنغمة حزينة : .. انا ؟.. انا ابتاع هدية؟. لمن ؟.. ليس لي حبيبة .. حبيبتي هربت مني . هجرتني منذ البعيد !. انا ليس لي حبيبة .. ليس لي اهل .. وليس لي اصدقاء !.. اذن . لمن ابتاع هدية ؟..

يبدو ان البائع استدرك شرودي، واستطال وقفتي ، فايقظني من غفلة

افكـــاري صوته هامسا فـي اذني استاذ ، أظنك حائرا في الهدية التي تفضل انتقاءها لحبيبتك . هل تقبل نصيحتي بهذه ؟.. واشار باصبعه الى هدية صغيرة ثمينة،هي بالحقيقة صالحة التداول بين الاحباب .. اما بالنسبة لي كان وقـع سؤاله علـي كالصاعقة ..

احتـــرت في امري ماذا علي ان اجيب .. كيف يمكنني الخروج من هذا المأزق ؟.. واثرت شراء اي شيء على ان اخرج من متجره فارغ اليدين .. فاجبتـه :

ـ لا .. شكرا .. ولكن اعطني تلـك ..

واشرت بيدي الى قطعة حلـوى مغلفة .. دهش البائع وسلمها الي بامتعاض .. بعـد ان نقدته ثمنهـا (ربع الليرة) التي طلبها ..

سرت في الشارع مخترقا الزحام والانوار دون ان اتخذ هدفا او وجهة بسير معينة . السماء توقفـت عـن المطر ، لكن الغيوم ما زالـت ملبدة تحجب اضواء النجوم ، والجو قارس البرودة ينبيء بقساوة الطبيعة ..

امام مدخل أحدى صالات عرض الازياء . وقفت محدقا به .. صبي لا يتجاوز العاشرة .. ترك قدميـه العاريتين تغوصان فيبقعة ماء خلفتها الامطار . وقطرات تركها المطر علـى شعره المشعث كانت تتسلل الىبشرته الصفراء .. عيناه تحـدقان بذلـك الصنم الصغير في الصالـة . صنم صبي كأنه في سنه . اخذ يقارن بين قميصه الرث الممزق . وتلك الثمينة التي البست للصنم . يقارن بين كونه شبه عار ، وبين البذلة الجديدة التي وضعت على ذلك الصنم . واحـس كأن الصنم يحدق به باحتقار وتحد ، لانه يرتدي بذلة جديدة .. بينما هو شبه عار .. ربما تخيلت انني سمعت مضغ ريق الصبي عنـدما فاض في فمه شوقا وحسدا . كان يحسد الصنم على بذلته الجديدة التي يرتديها !.. وفي لحظة ما .. رأيت بسمة قـد ارتسمت في عينيه الواسعتـين .. استنتجت منها ربمـا الصبي ادرك نفسه فعرف انه خير من ذلك الصنم، لانه هو انسان .. او ربما رضي عن كونه عاريا . اذ عرف ان غير الاصنام لا يرتدون بذلات جديـدة ويتطلعون اليه باحتقار ..

فجأة .. كأنه صحى من افكـاره وتأملاته . استدار نحو المـارة مادا يده .. طالبا العطـاء .. اعترض طريق رجل جسيم ظهرت عليه معالم الثراء .. سمعت كلمات الاستعطاف تنطلق من فمه كسيرة . وكأن الثري لم يسمع !.. تبعه حاجزا له الطريق ويده ما زالت ممـدودة . والكلمات تخرج من شفتيه .. وكـأن الثري عرف واجباته .. نهره بعنـف .. صفعه بقسوة. هذا ما كان من عطائه!.

هرب الصبي يقطع الشارع خوفا وذعرا . لكنه كان على موعد معالقدر في ليلة الميلاد . اذ تلقفتـه سيارة مسرعة . مرت فوق جسده الطري. نهشت لحمه كوحش كاسر .. وبقي الثري سائرا كأنه لم يحدث شيء ، او كأنه تخلص ممن يطلب منه العطاء الى الابد ..

تابعت السير منذهلا . شاردا . لاعنا .. ورن في اذني صدى كأنـه آت مـن البعيـد . وتكرر الصدى بعنف وشدة ليذكرني بذلك الغني :

« واما السائل فلا تنهر » ـ «واما بنعمة ربك فحلاث » ومـن ؟. مـن يمكنه ان يسمع ذلك الصوت . اهو ذلك الثري الذي تسبب في مقتـل نفس بشرية دون ان يبالي بماحدث؟. وعاد صوت آخر يرن في اذني : «اما لستم تعلمون ان الظالمين لا يرثـون ملكوت الله .. »

كنت في شرودي اجوب ضواحي « الزيتونة » عندما لمعت امـام عيني احرف كهربائيةجمعت كلمة «كباريه» وقبل ان ادخـل بابها الخيزرانـي الضيـق . مرت بخاطري فكـرة واحدة .. « علني اجـد حبيبتـي هنـا » ..

بدت الانوار خافتة . الموسيقـى تنبعث بحرارة دافئة . دوائر الدخان المتصاعدة تكاثفت في فضاء (البار) . الزبـائن تنـاثرت حول المناضـد المستديرة . تلاعبت بمشاعرهم شياطين الخمرة. الحسناوات شبه عاريات.. كل واحدة تستعمل اسلوبها الخاص فـي سلب اموال الزبائن . اتفـه المغريات يقدمنها للزبائـن باسعـار باهظة . القبلة .. البسمة ..اللمسة .. الكشف عن اماكن الجسد المثيرة .. الكلمات المهتـراة .. القهقهـات المائعة .. العواطف الممثلة .

لكل شيء ثمنه الخيالي في ذلك المكان.. كل شيء ينطق بلفظةواحدة: (كيف نجمع المادة) حتى الجدران الصامتة المزخرفة تخيلت انني اسمعها تتكلم (افرغ نقودك هنا ..) تأملت وجوه الزبائن الشاحبة . لم ار فيها سوى صورا مضطربة لا معنى للحياة فيها . وجوها تمثل قوما منالسكارى الخاملين .. وخرجت من وسطهـم مذعورا على دعوة كأنني سمعتهاآتية من السماء : « اخرجوا من وسطهم واعتزلـوا يقول الـرب ولا تمسوا نجسـا » ..

ترى .. اين حبيبتي !؟.. علني اجدها في اية بقعة .. اية زاوية ..

الساعة اوشكت على معانقةمنتصف الليل . الحركة لا زالـت مستمـرة صاخبة . السماء بدات تمطر رذاذا. الانوار تآزرت فتـآمرت على تفكيك جيوش الظلمة من المدينة . وانا مـا زلت اجوب الشوارع دون قرار .. برقت في السماء اشعة كأنها وجوه الملائكة . قرعت الاجراس معلنةذكرى مولـد المحبة والانسانية . ورأيت الهلال والصليب يتعانقان في قبلـة طويلة اعترافا بالمحبة السماويـة . وجموع المصلينأسرعت تجوبالشوارع لتأم بيوت الله .. دخلت دار الكنيسة بين الجموع الزاحفة . « علني اجد حبيبتي هنا » ..

ومن فوق المذبح . أتاني صـوت الكاهن خافتا خاشعا : « لانـه ليس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انسان بلا خطيئة . ارسل الرب يسوع كفارة لخطايانا . ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم ايضا » ..

خرجت متلاشيا وقد فجرت تعابير الكاهن في كياني براكين من العواطف الدفينة .. ـ ترى .. اين حبيبتي؟.

انقضى الميلاد بين بسمات ودموع. ساد الجو خمول ملموس .. ساده سكون رهيب من النوع الذي يسبق العاصفة .. فلا عجب في ذلك .. هي مرحلة هدوء واستعداد لاستقبال عيد راس السنة .. وتراءت حبيبتي لنظري كالنور المشع . واقنعت افكاري المضطربة انني سوف اجدها ليلة العيد ..

... المدينة في هرج ومرج .نفس الزحام والمشاهد التي رايتها ليلة الميلاد .. فقط زيادة ملموسة في الحركة . الخمرة تتناثر مع كل نور منبعث من نافذة .. الموسيقى والرقصات المثيرة تتجاوب مع العواصف .. الآلاف .. عشرات آلاف الليرات تبذر على الموائد .. بينما التحفت بعض اجساد عارية السماء والريح .. مرت امامي صور مختلفة لفقراء بؤساء .. وعادت تداعب مخيلتي صورة صبي الميلاد.. من يدري ؟.. ربما هؤلاء من جديد سيذهبون الليلة ضحية الاغنياء العابثين .. ازدحمت السيارات في الشوارع ، تجمع بين العاشقين .. تأملت هذه الليلة عن كثب .. انها مذبح واسع صاخب ممتلىء بانواع الفسق والمجون ..

كل حركة .. كل همسة .. كل صورة .. تتفجر معها ينابيع الاثام الدفينة ..

فلتت من ذاكرتي عبارة كانت تجوب مخيلتي وانا ادق الشارع بقدمي : « آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين الهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم » .

... هربت مني هذه العبارة . عندما رايت مذهولا سيارة يقودها شاب مراهق .. يبدو ان الخمرة تلاعبت بمشاعره .. كانت السيارة تترنح يمنة ويسرى وسط الشارع المزدحم . من داخلها انطلقت عبارات البهجة والمرح بلهجات مخمورة .. كانوا خمسة مراهقين ومراهقات .. ومن خلال غفلة نشوة السكر .. اصطدمت السيارة باخرى مسرعة.. تحطمت السيارتان . تفجرت الدماء. تناثرت الاجساد . قتل ثلاثة ، جرح خمسة . كانوا جميعهم على موعد مع السماء في ليلة راس السنة .. ومع ذلك ، لم يتوقف الهرج والمرج في المدينة .

ترى اين حبيبتي : ؟ علها في هذا المكان الصاخب الذي ادخله. .تناثرت الموائد الخضراء في تلك الصالة الكبيرة .. توزعت حولها وجوه باشة .. ووجوه باهتة .. يبذرون الاموال دون حساب . وعلا الصياح والرقص والموسيقى الماجنة في ركن آخر .. تعانقت كؤوس الخمرة في ركن ثان بين ايدي العذارى والشباب .. بدات الخمرة تخدر عروق الاجساد المثيرة البريئة . وبدات تلك الاجساد تحن للعزلة ، للخلوة ، لاخفات اشعة النور .. وهبوب عواصف عواطفهم المكبوتة .

هنا .. هنا سأجد حبيبتي ، وانغمس معها في شتى الوان المجون .. واطفيء فيها لهيب عواطفي الجامحة .. لم يكن كما توقعت . اذ تطلعت الى الفضاء من خلال النافذة تخيلت كأنني رأيت شرارة نارية تشق السماء . انبعث معها صوت خافت عذب؟ :«انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » .

.. وليت هاربا اترك المكان على غير هدى .. تناسيت كل ميولي واشواقي له . راودت مخيلتي فكرة جديدة . عل حبيبتي كانت هناك .. حول تلك الموائد الخضراء. حذرني من التمادي في تخيلاتي صوت آخر : « ماذا ينفع الانسان لر ربح العالم كله وخسر نفسه ، او ماذا يعطي ذلك الانسان فداء عن نفسه ؟؟.. »

... بقيت اجوب الشوارع كالمجنون . حتى تراءى لي شبح يحتضر.. يلفظ زفراته الاخيرة وقبل ان يدفن في اغوار الازل .. عانق شبحا جديدا لجنين لم يبصر النور .. اودعه الاسرار .. وانطفأ ..

وفي غياهب العتمة . وجدت حبيبتي . وجدت نفسي .. وجدتها هاربة ، تجتاز خطوة جديدة من الحياة .. تبصم على جبينها رقما اضافيا .. مسكتها . عانقتها . وسرعان ما افلتت مني وولت شاردة .. شاردة ..

واطل الجديد على الوجود . وبدا الانطلاق ..

الانطلاق اللامتناهي في اغوار المجهول ..

قرعت الاجراس ابتهاجا من كل صوب . اهتز لها كياني . ارتعشت اوصالي . كأنها مست بسلك كهربائي ..وسرت في عروقي لذة خفية .. عند ذلك . رأيت في النور .. رأيت حبيبتي .. نفسي .. تقدمت مني. عانقتني بشوق .. لكنها هذه المرة لم تهرب .. تشبثت بي باصرار وعزم .. واتفقنا على ان ندخل في الغد احد بيوت الله .. لاعلان الولاء ..

بيصور لبنان **وديع العريضي**

في

مكتبة انطوان

الكتاب الروعة الاخير

للاستاذ ميشال طراد

ليش

الحائز على جائزة

سعيد عقل

مكتبة الاديب



رجال حول الرسول

تأليف خالد محمد خالد ـ ٤ اجزاء ـ (؟) صفحة ـ (؟) مطبعة

بين حين وآخر ، يطوف احد كتابنا بالمذاهب والافكار والثقافات من شرقية وغربية ، ثم لا يلبث ان يجد في التراث الاسلامي العربي ضالته ، وهويته، وزاد روحه ، ومداد قلمه ، وضياء نفسه .

وربما كان الكاتب له الملم بذلك الفكر منذ قديم ، ولكنه لا ينكشف له في روعته وجماله . واشراقه الا بعد رحلة طويلة في الاداب والثقافات المختلفة ، كذلك صنع الدكتور هيكل من قبل وصنع الدكتور منصور فهمي وكثيرون . طافوا بالثقافات والمذاهب والعقائد ووقفوا عندها واحدة بعد اخرى يلتمسون فيها سعادة لامتهم وضياء لاوطانهم ثم خلفوها واحدة بعد اخرى وقد فقدوا الامل فيها ، حتى اذا ما عادوا الى فكرنا الاصيل وتراثنا الشرقي العربي الاسلامي وجدوا فيه ذلك الضوء الساطع ، والمورد النمير .

ومنذ كتب الاستاذ خالد محمد خالد كتابه « معا على الطريق : محمد والمسيح » احسست انه قد وجد طريقه الذي يستطيع من خلاله ان يقول كلمته ويجد دعاء الانسانية الذي ينشده ، ثم امتدت سلسلة كتبه. « انه الانسان ، افكار في القمة ، نحن البشر ، انسانيات محمد : الوصايا العشر ، بين يدي عمر ، في البدء كان الكلمة ، كما تحدث القرآن ، وجاء ابو بكر ، مع الضمير الانساني في مسيره ومصيره ، كما تحدث الرسول » .

اثنا عشر كتابا قبل هذا الكتاب تطوف في مجال الفكر الاسلامي والعربي وتستظهر جواهره واضواءه وتعرضها في ثوب جديد ، حتى ليخيل للباحث المتطلع الى آفاق كاتبنا « خالد » انه وجد مجاله الحقيقي الذي يرضي روحه ويلائم فطرته .

وهكذا الكاتب الموهوب ، يبدأ من حيث يبدأ ثم يطوف بمجالات الفكر، حتى يصل الى مكانه الحقيقي الذي يحس انه انما خلق له . ويجد المنطقة التي لا بد ان يدعمها بفكره وآثاره ، ولطالما كان خالد حفيا بالتجديد والابداع والابتكار حتى حين يعرض للقديم .

ولطالما كانت دعوته ان ينصرف الكتاب عن « ادب الدروب المطروقة » الى ادب الابداع والابتكار ، القائم على الدراسة العميقة والاناة والخلق الفني . كذلك كان يحكي لي قصة تطور فكره وهو على الطريق الجديد .

هكذا كنت اراه في اوائل عام ١٩٥٧ وفي مجلة « اضواء » حاولت ان اصور نفسيته في هذه الفترة بالذات فقلت « لا ادري مصدر هذا الصمت الذي يخيم على ذلك القلم الثائر العميق الذي قام بدور ضخم في تحطيم الفساد قبيل فجر الثورة في مؤلفاته القوية الحية ، واذا كان هناك كتاب تظل امكانياتهم الروحية والفكرية مدخورة حتى تبرز مرة واحدة في عمل ضخم كبير يهز ويترك دويا ، فان « خالد محمد خالد » واحد من هؤلاء كذلك كان كتابه « من هنا نبدأ » عندما اثار عاصفة ضخمة في محيط السياسة والفكر والدين والحكم . ولقد كنا نتحدث في هذا المعنى بالامس فقال لي ان الكاتب في نظري هو ذلك الذي له انعكاس فكري على المجتمع ، الكاتب الذي له ظل ، كيفما كان هذا الظل .

وقلت في هذه الكلمة عام ١٩٥٧ : انني اراه اليوم يقرأ كثيرا ولا يكتب ، لقد اعلنت صحيفة يومية كبرى قبل صدورها عن اسمه كأحد كتابها ولكنه لم يفعل ، لقد رأيت بنفسي ناشرا كبيرا يفاوضه في مؤلف جديد ، ولكنه ليس عنده ما يقدمه الآن . ولست ادري الى اي مدى تصدق القصة التي رويت عنه من انه منذ اكثر من عام يمر بمرحلة جديدة في تفكيره ونفسيته ، حقا هل هناك هزة تضطرم في اعماقه ، تحاول ان تنقله مرحلة جديدة في تفكيره .. لقد كان خالد في مؤلفاته داعيا الى افكار جديدة مثيرة في محيط الدين والمرأة والمجتمع ، فهل هو اليوم يجتر هذه الافكار مرة اخرى ، او يعيد النظر فيها ، لقد ذهب خالد الى اقصى اليمين ثم ذهب الى اقصى اليسار ، ترى هل هو اليوم بسبيل ان يأخذ طابع (المدرسة الوسطى) .

انه يقرأ فلسفات الاديان هذه الايام : زرادشت وكنفشيوس وغيرهما ، فما هو الاتجاه ، انه هو نفسه لا يعرف ، اني اراه حالما : اراه يريد ان يضع يده على الشيء الجديد : انه منقبض عن القلم ، ترى ما هو موقفه من مؤلفاته واوراقه الاولى ، ترى هل سيكتب شيئا جديدا ، ومتى ؟ متى تنتهي هذه التهويمة ليعود الى دنيانا ، ترى هل هو في طريقه الى « بردة الصوفي » او في طريقه الى « اهاب الفيلسوف » .

انى اراه اقرب الى الاول .. لقد كنت سمعت قصة احلام رآها ، ارادت ان تدفعه الى التصوف العميق ، وسمعت انه كان يبغي ان يقصد المدينة المنورة ليقضي بها شهورا ، مجاورا لساكنها صلوات الله عليه ، فالى اي مدى من الحقيقة يصل هذا كله .

ان « خالد » الذي تميز بمثاليته وخلقه ووضوح فكرته ونبل شخصيته وروحه العميقة ووفائه .. لا بد ان يقول كلمة صريحة واضحة حول هذه العزلة الروحية ، وهذا البرج العاجي الذي يعتكف فيه .

انني اول مشتاق الى ان اسمع ما يريح نفسي .. ترى هل استطيع بهذا الاسلوب ان اغريه بالكتابة . لو نجحت لكان ذلك كسبا ضخما » .

هذا ما كتبته عام ١٩٥٧ في مجلة « اضواء » تحت عنوان « فترة مخاض » وكنت اظن يومها انني قد فهمت الحقيقة ومنذ ذلك اليوم بدأ ظهور هذه المؤلفات ذات الطابع الانساني الواسع . وقلت لنفسي : لقد اتجه خالد الى « الانسان » وثروته الثقافية والروحية كمرحلة جديدة بعد مؤلفاته الخمسة التي سبقت هذه المرحلة من فكره وحياته .

ولكن خالد اليوم لا يريد ان يقال ان حياته الفكرية مرت بمرحلتين . او انه تطور من صورة الى صورة . ومن اسلوب الى اسلوب ، وان كان هدفه الاساسي ما زال قائما ، وهو الانسان وتحرير فكره ، كل ما هنالك انه كان يفكر في حدود القضايا والمشاكل والاحداث المتصلة بواقع السياسة والمجتمع والاقتصاد ، ولكنه الآن يرقى في مجال البحث الى قضايا الانسان الكبرى : الحرية والانسانية والروحية والضمير .

ومعنى هذا انه انتقل من « القضايا » الى « القيم » وليس اخصب في مجال البحث عن « القيم » ميدان من تراثنا الفكري الاسلامي الانساني الواسع . ويكشف خالد عن منهجه في مقدمة كتابه « انه الانسان » فيقول : « في صحبة تفاؤل عظيم بمستقبل الانسان كتبت هذا الكتاب ، وفي صحبة هذا التفاؤل اعيش ـ دوما ـ واحيا .

وصاحبكم من الذين يربطهم بالانسان ولاء غير مجذوذ ، ولا محدود ، وكل ما في الناس من ضعف ، لا يصرفني عن رؤية الانسان الكامن في داخل ذواتهم ، وصفوفهم . والكادح الى الكمال كدحا فملاقيه . صحيح انني ـ احيانا ـ ابتئس بما يفعلون ، وبما افعل ، ويتراءى لي مشهد

الفيلسوف الاغريقي « ديوجينز » حين صاح من فوق هضبة عالية «ايها الناس » .. فلما سارعوا اليه هز رأسه آسفا ، وقال : لم انادكم .. انا انادي الناس .

لكن الانسان لا يلبث ان يظهر ، متربعا على عرشه القويم فوق كل هذه الفوضى ، حاملا مشعله المضيء ، وسط كل هذا الظلام ، فتذهب من فورها تلك الحسرات الكاذبة ، وتتطاير غواشي الكآبة واليأس امام عظمته السامقة » .

ثم يقول : ان عمله هذا جهد متواضع لاكتشاف الانسان ، اكتشاف حقيقته ، واكتشاف مشيئته ، واكتشاف الفرص الواجب توفرها له كي يبلغ كماله الميسور ويدرك مجده القادم . ثم يقول : « ينبغي ان نثق بالانسان ونطمئن الى مصيره ، وينبغي ان يكون جهادنا دائما مرتبطا بجهاده ومتمما له .. وان نتحرى مشيئته ونعمل وفقها .. علينا ان ننقل الانسان الى حياتنا ، ونملأها برؤاه وباصراره ، وعلينا ان نعمل من اجل مستقبله ومصيره . لنثق تماما ، ان هذه الارض لن تشهد يوما ما جنازة الانسان ، فالانسان الذي قفى ملايين السنين في احضان التطور لكي يبلغ الرشد الذي يبدأ منه رحلته الجادة الصاعدة ، لن يقضي نحبه حين تدق ساعة رشده وتبدأ بشائر عصوره ، ولقد دقت الساعة واهلت البشائر . ولو لم يبق من البشر سوى الف او مائة فسيعمل الانسان داخل هذا الالف ، او هذه المائة .

واذا لم يبق من نوعه الا عشرة فسيعمل مع هذه العشرة ، واذا لم يبق الا واحد فسيبدأ بناء عالمه الجديد بهذا الواحد ، واذا فني هذا الواحد ايضا ، فسيكمن الانسان داخل (امبا) يهرب بها من الفناء ، ويبعث من داخلها نفسه مرة اخرى ، وينشر وجوده وحياته ورسالته من جديد » .

هكذا يؤمن « خالد محمد خالد » بالانسان ، وهو بهذا يضع نفسه في صف كتاب الانسانية الذين يبحثون في وعي وذكاء قضاياه وهي جولة موفقة متصلة عندما تصل الى غايتها : ستكون من امجد اعمال الفكر العربي الاسلامي المعاصر .

وهذا كتابه « رجال حول الرسول » يصدر في أربعة اجزاء ، ويتناول « تجربة الحياة » لمجموعة من اعلام الصحابة والرجال الذين جاهدوا مع الرسول .. « فلقد تعودنا ان نكتب عن امثال ابي بكر وعمر وعثمان وعلي ونقصر الكتابة عليهم ونكتفي بان نرى من خلال حياتهم عظمة العصر الذي ينتمون اليه ، بل الذي ينتمي اليهم » ولكن اخانا خالد يحاول ان نتعرف « في غبطة وشوق الى ثلة مباركة من الرجال العظام الذين عاشوا مع النبي ونهضوا حوله ومثلوا فوق ارض الله اعظم ادوار التفوق والعظمة » .

وعنده : « ان بطولة اولئك الرجال في حمل انفسهم على الزهد والورع والتقوى والبذل ، وفي اخذها الى كل رفيع وجليل من قيم الحق وفضائله لشرف كبير للجنس البشري باسره ، وحتى بطولاتهم في الجهاد والقتال من اجل الدين ، لا تعدم مكانها العالي في عصرنا هذا الذي يستنكف الحرب ويمجد السلام ، ذلك انهم مارسوا القتال المشروع في عصر كانت القوة فيه هي الحماية الوحيدة والفريدة للحق ، كما مارسوا الجهاد حين مارسوه ، دفاعا لا عدوانا ومحررين لا متجبرين» .

وهكذا يصل خالد محمد خالد في كتابه « رجال حول الرسول » وفي هذا العقد من الدراسات الانسانية الممتازة الى غايته ، الى حق الكلمة عليه ، حيث تجد الانسانية حلولا لقضاياها العليا في قيم الفكر الاسلامي وميراثه .

القاهرة — انور الجندي

صدر عن :

دائرة الدراسات السياسية والادارة العامة

الجامعة الاميركية في بيروت

كتاب

الوثائق العربية

١٩٦٣

اضخم مجموعة للنصوص الكاملة للبيانات والتصاريح والبرامج السياسية للدول والاحزاب والشخصيات في الشرق العربي .

٢٩٠ وثيقة في ٨٥٠ صفحة (الصفحة عامودان)

الثمن ٢١ ل.ل. او ٧ دولارات اميركية

اطلبوا هذا المرجع الذي لا غنى عنه من :

مكتب التجهيز والبيع ـ الجامعة الاميركية في بيروت

او

دائرة الدراسات السياسية ـ الجامعة الاميركية في بيروت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبد الوهاب البياتي

في قمة نتاجه الشعري

النار والكلمات

« اعتقد ان « النار والكلمات » من احسن دواويني لانني استطعت فيه ان استعيد صوتي الاول »

عبد الوهاب البياتي

« طائفة من قصائد هذا الخلاق العلي هي ذات صياغة عالمة البداهة ، ان جاز تزويج الكلمتين . خمرة ، تقول ، لم يسكب مثلها احد ، مع انها من وطنك ، من تغرد شعبك ، ارضك وسمائك »

سعيد عقل

« السنونوة السمراء التي ظلت تهيم في الآفاق البعيدة سبع سنوات طوال ، وتطلق الجناح في سماوات غريبة النجم والشموس ، وتلهث بلا نصب ، وراء التجربة والربيع والضياع ومطالع الضياء ... أمس عادت ، وقد نبت الامل الاخضر على منقرها وحطت الحقيقة »

أحمد سويد

« نقلاتك اشهى من نقلة الريشة الواثقة على لوحة تختبيء خلف قماشتها الوف المواعيد .. اغنى من نقلة النجمة على بساط من الفيروز الاسود »

نزار قباني

« البياني شاعر أصيل من اولئك الشعراء الحقيقيين الذين كان تجديدهم تلبية لدواعي المحتوى الجديد ، وليس سعيا وراء بدعة او حذلقة »

ناظم حكمت

الثمن : ٢٥٠ ق.ل.

دار الكاتب العربي

للتأليف والترجمة والنشر

بيروت - بناية عمر الخيام - ص.ب ٣١٥٧

هاتف ٢٩١١١٨ - ٢٤٠٥٠٦ - ٢٤٠٥٠٧

فوارة الظما

تأليف محمد الصباغ - ١٩٠ صفحة - منشورات الشركة القومية للنشر والتوزيع بتونس - المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية

من الامور المألوفة في المجال الادبي ان يصدر من وقت لآخر كتاب يضم مجموعة مقالات تعالج موضوعا واحدا او قضية معينة بذاتها .. اما ان يضم كتاب واحد مقالات مختلفة تتناول موضوعات متباينة فأمر لا يجرؤ عليه الا القليل من الادباء .. ذلك ان مثل هذا الكتاب يتطلب مقدرة خاصة على اختيار الموضوع وعرضه وصياغته بحيث يكون لكل مقال قيمة ذاتية تبقى على الدهر ولا يؤثر فيها مرور الايام والليالي ومن قبيل ذلك على سبيل المثال وليس الحصر فيض خاطر احمد امين ووحي قلم الرافعي وعبرات ونظرات المنفلوطي ووحي رسالة الزيات .

لذلك كنت مشفقا على الاديب المغربي الاستاذ محمد الصباغ عندما تلقيت كتابه « فوارة الظما » ووجدته يضم ما يقرب من خمسين مقالا كتبت في اوقات متباعدة وتعالج موضوعات مختلفة .. كنت مشفقا عليه ان يكون قد اكتفى بتضمين كتابه بعض مشاهداته اليومية العابرة باسلوب يقرب من اساوب الصحف اليومية لكنني ما كدت اغوص بين دفتي الكتاب حتى وجدتني امام فنان صادق الحس بارع اللفتات يكتب بوحي وجدانه ومشاعره ويفلسف كل شيء .. الحياة والموت .. الربيع والخريف الجبال والسهول .. ويصوغ كل ذلك في اسلوب عربي خالص لا اثر فيه لثقافة اجنبية ويتسم بالرشاقة والجزالة معا ..

وفي مقال « خلود » وهو اول مقال في المجموعة يعبر المؤلف صادقا عن شعور الاديب الذي يعتز برسالته في الحياة وتهفو نفسه الى اعز ما تعطيه الحياة للاديب « الخلود » .

(كل ما في الوجود يتعرى .. حتى النسمة المترقرقة على خدود الاغصان .. حتى اشباح الوهم السارية في مشاعر الظلمة الواهنة ، حتى النأمة التائهة في مزالق الصمت الرهيب . عاريا ارى كل ما في الوجود وعاريا المسه .. فالزمن القديم والحديث في ريشتي الوان واصباغ ارسم بها لوحة الخلود ... والمطلق العميق والمدى السحيق زجاجتان ارى من خلالهما نطفة الحياة تفرخ وتلد وتتزاوج برقة الخيال اخلق عالما يمور بالسحر والحمام وصفار العصافير .. وبيقظة حس احضن النجوم من مزارع الضوء واختلس الاحلام من مضاجع الصبايا ومراقص الاعراس مشيدا لكم منها قصورا تروحون وتغدون واحيانا تطيشون منها الى فراغ الزمن) .

ويستشعر الاديب المرهف الحس ان الخلود الذي يحلم به لكتاباته لن يشهده في حياته فيصدح وهو يعتصره الالم (غدا يهوى جسدي من شرفة النجوم فينكسر على الارض شظايا عطر وسر وسؤال مبهم وستظل العوالم التي اكتشفتها لكم خالدة وستظلون انتم تحيون في عرصاتها الغيبية كلما فاح زهر ولمع نجم وغرد طير والقى سؤال ..)

وبقدر ما يعيش الاديب الحياة ويتفنى بها بقدر ما يعز عليه فراقها فلا غرو ان يعاود اديبنا الشاب الحديث عن الموت في مقال آخر بعنوان « هكذا اخترت ميتتي » (... وستغرب الشمس علي وانا تحت ملاءات التراب جذرا من الجذور وسيطلع القمر كما كان يطلع علي وعلى الناس بالامس ضاحكا لامعا مستبشرا وسيبقى نسيم الفجر ناشرا من جيب صنوته الندى والفراشات على الحقول والروابي بسخاء وسيظل طريقي الذي اسلكه من بيتي الى مكتبي في الصباح وفي المساء في زحمة من الناس والدواب ، والسيارات وستبقى امي وحدها ستبقى منتظرة على عتبة البيت عودتي .. وفجاة بدون مقاومة مني ولا اعتراض ولا احتجاج وبدون ما سبب ساختفي مكفنا بالوحدة والسكينة ومشيعا بمناديل الورد والفل واطفال النجوم ونبات الجداول وفي الحال سأتحول الى نبأ في جريدة والى عبارات نفي في رسالة والى حديث يدور بين

أصدقائي في الاسابيع الاولى كلما اجتمعوا ...)

ويتصور المؤلف ان الحياة ولا بد ستعوض بلاده عنه بطفل جميل يقضي سنيه الاولى في الغابة ثم يتحول عنها الى المدينة يسير على دربه ويحمل رسالته . (في ذلك اليوم وفي الساعة الخامسة صباحا منه سيلقى الفجر مع الندى في حدائق بلادي طفلا ستكسوه الزهور باكمامها وسيطعمه البنفسج من ذوب خدوده سيعيش في الغاب مدة طويلة تائها في الوهاد وشعاب السهول والاودية ثم يدخل الى المدينة منتصرا . احفظوا هذا التاريخ احفظوه وترقبوه وانتظروا ولادة هذا الطفل . هكذا اخترت يوم موتي وهكذا اخترت ميتتي فلفحتها بولادة هذا الطفل .. اخترتها من بين جميع الاشكال والالوان .. والاوضاع ومن عديد الظروف وكتبت بها وصيته للموت والحياة ..)

ويهتز الاديب الصباغ لجمال الطبيعة في بلدته « تطوان » ... (في الصباح انت امواج من فل ورغى وفي الظهيرة براكين تقذف حجر القرنفل والورد وفي المساء قوافل من جمال تسير متجهة نحو الغروب وهي تجتر اعشاب النور .. كم من مرة وقفت امام قوافلك وهي تتحرك متئدة متزنة صامتة صابرة ومن حركاتها تتخذ اشكالا وصورا عديدة هي غاية في الروعة والجمال ..)

وفي غمرة النشوة بلقاء الربيع يعلن (من يشهد ولادة الربيع ولو مرة في حياته يعش في ربيع دائم وفي شباب دائم لا تدركه الشيخوخة .. واني ادعوكم جميعا الى قمم الجبال في السنة المقبلة لتشاهدوا ولادة الربيع ولا تسألوني كيف سيولد ..)

وكما دعا الناس ليشهدوا ولادة الربيع يدعوهم ليخرجوا من مساكنهم ليستقبلوا الخريف (اخرجوا من مساكنكم ايها الناس وافتحوا ابوابها ونوافذها وشبابيكها لهوج الرياح لتعصف باوراق نقوشها وزخرفتها الكاذبة ومراياها الخداعة المنافقة واسرتها ووسائدها ذات النوايا الميتة والشهوات الزائفة وموائدها المرتفعة بالجشع والنهم ..

افتحوها على مصراعيها للرياح لتصدح باوراقها المريضة وتجنح بها مع اوراق هذا الخريف الى دون رجعة .. اخرجوا وسارعوا الى مطهر الرياح وافتحوا لها صدوركم واعرضوا عليها اجسادكم كيما تسقط اوراقكم الذابلة .. اخرجوا ولا تتاخروا لئلا يدخل عليكم فصل الشتاء واجسامكم ما زالت تحمل اوراقها المريضة الصفراء) .

وفي الكتاب حديث عن بعض الادباء والشعراء المعروفين في العالم مثل الشاعر اليوناني بالماس والكاتب الروسي انطون تشيخوف والشاعر الاسباني رامون خوانخيمنث والموسيقار شوبانوالشاعر الفيتنامي نجوين والشاعر العربي ايليا ابو ماضي لكنه ليس حديث الناقد الدارس ولا المؤرخ المدقق وانما حديث الفنان ينبع من القلب ويتجه الى القلب مجتازا اسوار النقد وحدود الدرس الى آفاق رحبة من التامل ..

والكتاب اقرب ما يكون الى الشعر المنثور وهو في مجموعه يسوده طابع التامل .. فالمؤلف لا يقبل من الحياة ظاهرها وانما يغوص الى اعماقها بحثا عن كنهها واسرارها وهو في رحلته هذه جريا وراء الاسرار ينظر الى كل ما يصادفه نظرة المتفرج الى رواية مسرحية شائقة عجيبة الاحداث .

المؤلف ذو حس مرهف وقد اورثه هذا الحس المرهف نبرة حزن لا تفارقه وهو يتحدث عن نفسه وعن الطبيعة وعن البشر وعن كل ما يزخر به الوجود .. وشدة الاحساس جعل المأساة في الحياة هو الخيط الذي يشد معظم مقالات الكتاب .. هذا الاحساس يبدو ظاهرا واضحا عندما يتحدث عن الموت والخلود واستار الغيب والادباء والشعراء الذين رحلوا عن هذا العالم ويستتر احيانا وراء الالفاظ العذبة والصور الجميلة عندما يتحدث عن الطبيعة .. لكن القارىء يستطيع أن يلمح في سهولة ويسر من بين ثنايا تلك الالفاظ والصور روح فنان تفنى بالحياة واعطاها كل شيء ولم تعطه الا « فوارة الظمأ » .

واذا كان هناك ما يؤخذ على الكتاب فهو قصر المقالات وكثرتها فيوقت

دار الكاتب العربي

للتأليف والترجمة والنشر

بيروت - بناية عمر الخيام - ص.ب ٣١٥٧

هاتف ٢٩١١١٨ - ٢٤٠٥٠٦ - ٢٤٠٥٠٧

تاريخ العرب العسكري

تاليف محمود الدره

كتاب يضم بين دفتيه بصفحاته الـ ٤٠٠ حروب الرسول العربي الكريم ومعارك الرده وما ابلى فيها خالد بن الوليد حتى احال نار فتنتها رمادا ، ويبسط مآثر ابطال تحرير العراق ودور كل منهم في عرض تاريخي شائق يجمع بين دقة العالم وخيال الاديب .

طاغور

تاليف كريسنا كريبلاني

سيرة ممتعة لاول عبقرية شعرية شرقية سلم لها الغرب بقصب السبق فنفحها جائزة نوبل اعترافا لها بالتفوق واكبارا لعبقريتها .

اسرار الثورة العربية الكبرى

تاليف امين سعيد

كتاب كان فتحا في عالم التاليف التاريخي ، فيه بسط ممتع لاحداث الثورة العربية الكبرى وما وراءها من اسرار . رأى فيه الغرب منجما ثمينا في المعلومات والاحداث فكان اول كتاب عربي يترجم الى الروسية في العصر الحاضر . وقد اعاد المؤلف نشره بعد ان اضاف اليه كثيرا من الوثائق والمعلومات .

واحد .. ولو عني المؤلف بان يوفي كل موضوع حقه من التعمق والتأمل والدراسة وحذف بعض الخواطر الشاردة التي لا ترقى الى مستوى الكتاب مثل يوميات حب التي اهداها الى ل.م.م. ... اذن لجاء الكتاب على صورة اكثر روعة .. واخيرا .. فانني اتمنى لو يصرف المؤلف جهده او بعض جهده الى كتابة القصة .. فان من اوتي مثل هذا القلب الذكي والحس المرهف والخيال الخصب والقدرة على التعبير جدير لو اخلص لهذا الفن أن يكون من طليعة كتاب القصة في العالم العربي .

الاسكندرية — فوزي عبد القادر الميلادي

●

ديوان رشيد الهاشمي

جمع وتحقيق عبد الله الجبوري ـ ١٦٠ صفحة ـ طبع بمساعدة المجمع العلمي العراقي ـ مطبعة المعارف ببغداد

انه لمن الفخر ان نرى بين شبابنا شابا لم تجرفه التيارات التي طرأت على ادبنا وادبائنا فراح البعض يتحدث عن « العبث » وراح البعض الآخر يتحدث عن « اللامعقول » وغيرها من التيارات التي يشجعها ويغذيها الغرب الهرم .

وعبد الله الجبوري واحد من شبابنا ، نذر نفسه لخدمة الضاد وراح يغوص في تراثنا العربي الثر ليخرج الدرة اثر الدرة . وهو بعد هذا شاعر مطبوع استطاع خلال أقل من سنتين ان يضيف للمكتبةالعربية اربعة كتب بين موضوع ومنظوم ومحقق وهي : نقد وتعريف (دراسة) واشباح وظلال (ديوان شعر) ١٩٦٢ وديوان ابن النقيب ١٠٨١ هـ (شرح وتحقيق) من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٦٣ . وله اكثر من مخطوط في طريقه الى المكتبة .

ولعل متتبعي نتاجه يحمدون له اهتمامه بازالة الصدأ عن حقبة تكاد تكون مجهولة لدى اكثر ادبائنا بل وحتى مختصينا اعني بها فترة القرن التاسع عشر الميلادي (خير من كتب عن هذه الفترة الدكتور يوسف عز الدين في كتابيه القيمين : الشعر العراقي اهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر ـ مطبعة الزهراء ـ بغداد ١٩٥٨ والشعر العراقي الحديث واثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه ـ مطبعة اسعد ـ بغداد ـ ١٩٦٠) التي تعتبر بداية المخاض للشعر العربي الرصين بعد عهود تردى بها الادب نتيجة الترهل الفكري الذي خيم على ادبنا العربي اثناء الحكم العثماني .

فكان ان اسعفه بصر بالقديم وغيره على الادب العربي في هذه الحقبة دعته الى ولوج هذا الباب الذي لا يلجه الا من تزود بحاسة تشفع له باجتلاء ما حوته من كنوز فكان كالغائص يبحث عن الدر بين الاحجار فكان له ما اراد .

وهذا « ديوان رشيد الهاشمي » (١٨٩٦ ـ ١٩٤٣) يخرجه الجبوري بحلة قشيبة واخراج بديع وقد دفعه شعوره القومي الوثاب اهداء الديوان الى صلاح الدين الايوبي محرر بيت المقدس وبطل الحروب الصليبية واشفعه بتذكير وتحفيز الزعماء العرب بالعمل على استعادة فلسطين ارض العرب المغتصبة وكنت آمل ان يهديه الى روح الشاعر العبقري الذي مات دون ان يكحل عينيه برؤية ديوانه مطبوعا .

وقد جاءت مقدمة الاستاذ العلامة محمد بهجة الاثري جامعة شاملة ازاحت الستار عن فترة سوداء عاشها العرب يصارعون المستعمر ويجاهدون في سبيل نيل الاستقلال والحرية وتحدثه فيها باسلوبه البليغ عن الشاعر ونضاله ضد الطغاة وتشريده ثم مأساته الدامية وموته .

ثم تأتي مقدمة المحقق الفاضل فيتحدث عن الشاعر واسرته التي تنتمي الى الفقيه الشيخ علاء الدين الحموي ثم يتحدث عن والد الشاعر (يحيى بن عبد القادر ـ ١٩٠٥) وكان من المتصوفة الفقهاء وقد انجب اربعة اولاد بينهم الشاعر وقد عنوا بالعلوم وبالادب العربي وهم : السيد عبد المجيد وكان قاضيا ومفتيا وقد توفي سنة ١٩٤٦ والسيد عبدالرزاق وكان قاضيا وشاعرا شارك في ثورة العشرين وتوفاه الله قبل بضعة شهور والسيد محمد من المشتغلين في القضاء ايضا كما انه شاعر مجيد وله مؤلفات قيمة . امد الله في عمره . (ترجم له الدكتور يوسف عز الدين . انظر : مجلة المجمع العلمي العراقي ـ المجلد العاشر ـ ١٩٦٣ ـ ص ٣٥٩) .

وقد تحدث المحقق عن جهاد الشاعر وصراعه ضد الطغاة وهروبه الى الحجاز بعد ان حكم عليه بالاعدام ثم تنقله بين القاهرة ودمشق حيث وظف في المجمع العلمي العربي بدمشق في اول تأسيسه عام ١٩١٩ ثم عودته الى العراق ومطاردته من قبل الملك فيصل ثم تكلم عن مشاركة الشاعر عالم الصحافة حيث رأس تحرير جريدة « الرافدان » وبعد تعطيلها رأس تحرير جريدة «دجلة» التي اصدرها المحامي داود السعدي. ووصف مأساته المروعة ابان دخوله كلية الحقوق ، قبيل تخرجه بقليل اذ اصيب بصدمة نفسية عنيفة جدا افقدته عقله فادخل « مستشفى المجانين » ولبث فيها نحوا من سبعة عشر عاما نسيا منسيا . وقد اشار الاستاذ الاثري في مقدمته ص ١٧ الى انه اصيب بهذه الصدمة اثر حب يبدو انه كان فاشلا (هو الجمال الذي صاحبته ، صباحته في كلية الحقوق ففتنته فتنة لا حد لها ، تفلفلت في اعماقه واضرعته ، فما شارف نهاية مرحلته التي تظفره بشهادة التخرج ، حتى بدأ عليه الاختلال) ..

ثم بين ان الشاعر عمد الى جمع شعره واودعه في كراسات صغيرة بغية طبعه في بغداد عام ١٩٢٣ ولكنه ظل « مرتهنا يشغل حيزا من زاوية متواضعة في مدارج مكتبة شقيقه الاستاذ محمد الهاشمي » حتى قيض الله له الاستاذ الجبوري لينشره .

وجدير بنا ان نقول ان الشاعر قد تأثر بابي الطيب المتنبي وبعض الشعراء الفرسان فاسمعه يقول :

يا رائد العرب هات الضمر القودا ... أغر القنا والمنايا والصناديدا
اليت ان لا تنام الدهر عن ترة ... ولا تنال الا السادة الصيدا
ولا تذوق شرابا غير ما عصرت ... حمر الصفاح نقيا ليس موردا
غنت لي الخيل في الهيجاء صاهلة ... واستذعرت اذ رأت اجنادي السودا

وقال مخاطبا قومه :

الى الوغى هبوا وحمل السلاح ... واسترجعوا ما فات قبل الصباح
من ناء عن اوطانه غافلا ... يصبح في عرض ومال مباح
والعز كل العز في امة ... تحمي حماها بعوالي الرماح

والديوان بعد هذا يطفح بالقصائد التي تنبض حبا بالعرب والعروبة. وكنت اود لو ان المحقق الجليل نسق الديوان كما اراد الشاعر ويصنع له ذيلا يضمنه ما عثر عليه في الجرائد والمجلات او ان يرتب الديوان حسب القوافي او حسب الاغراض ولكنه لم يفعل .

وقد احسن اذ اثبت في نهاية الديوان قصيدة رائعة للسيد محمد الهاشمي في رثاء شقيقه الشاعر مطلعها :

قل لهم ما وفاء حق الاديب ؟ ... شغلوا عنك بالزمان العصيب

وقد الحق الديوان بفهارس تشمل الاعلام والامكنة والبقاع والتعويبات ومواضيع الديوان سبقها باسماء المراجع التي اعتمدها والتي تجاوزت الستين مرجعا منها القديم ومنها الحديث .

وبعد ، فان طبع ديوان الهاشمي فتح الطريق للنقاد كي يدرسوا شاعرية الهاشمي ويقيموا عبقريته الفذة وحماسه القومي المتأجج وبذا يسدون خدمة جليلة لامتهم وادبهم . وفي الختام لا بد ان نشكر المجمع العلمي العراقي الذي ساعد على طبع هذا الديوان فجزى الله القائمين عليه كل خير من الادب واهله . ونرجو للاستاذ الجبوري التوفيق في احياء التراث العربي الخالد .

بغداد — جليل العطية



جولة الأديب في شهر

ساعة مع القصاص المصري الدكتور يوسف ادريس

كان علي ان اقوم بواجبي كتلميذ مطيع حينما طلب الي ان اقوم بمهمة التعارف بين استاذتي الدكتورتين اولجا فرواوفا رئيسة قسم اللغة الروسية بمدرسة الالسن العليا ، وجيناريتا نيكولايفنا المدرسة بهذا القسم ، وبين القصاص الدكتور يوسف ادريس .

والدكتورة اولجا تشغل وظيفة استاذة اللغة العربية في جامعة لينينجراد وتقوم في هذه الجامعة بأول تجربة من نوعها ، وهي الترجمة الالكترونية من العربية الى الروسية وبالعكس ، وقد قامت بترجمة بعض المجموعات القصصية العربية الى اللغة الروسية .

والدكتور يوسف ادريس يعتبر من المع كتاب القصة القصيرة الذين ترددت اسماؤهم في السنوات العشر الاخيرة ، وقد تخرج في كلية الطب، ومارس المهنة لفترة قصيرة ، ولكن اهتمامه الاول كان الادب والصحافة عامة ، والقصة بنوع خاص ، حتى استطاع الاتجاه الادبي ان يجتذبه في النهاية ، فهجر الطب ، واحترف الكتابة .

وقد هيأه للنجاح في هذا الاتجاه امتزاجه المتفاعل المثمر بمختلف طبقات الشعب ، وان بدت عليه سيماء الارستقراطية ، وقد عبر عن مشكلات الشعب بقلمه ، كما شارك في حلها بسواعده ، اذ انتظم في الحركة الوطنية في فترات الغليان واندمج في صفوف الفدائيين الذين قاموا بحرب العصابات لطرد الاحتلال من منطقة قناة السويس قبيل الثورة .

وتتميز قصصه بالحيوية والحركة والواقعية ، والتعبير عن صميم الشعب ، وهو من انصار الادب الهادف ذي المحتوى الثوري .

وقد اشتغل مراسلا حربيا في كثير من الحروب وخاصة حرب الجزائر كما زار كثيرا من البلدان كان آخرها الاتحاد السوفييتي .

وقد لقيناه في مسكن متواضع يتميز بالبساطة والتقشف ، فليس هناك تحف ، ولا اثاث فخم ، وجو المنزل صامت يوحي بانه يضم بين افراده شخصية متحفزة للعمل دائما . كما ان الملامح الصارمة ، وجدية التعبير، ومتانة التركيب ، تريك لاول مقابلة ان وراء هذه المظاهر روح المغامرة ، والاعتزاز بالنفس ، والتمرد على الواقع . وبعد ان تجرعنا الشاي الساخن الذي قدمه لنا في عز الحر ، جرى بيننا وبينه الحديث التالي :

السؤال الاول : يقولون انك اقرب الكتاب العرب الى القراء في الاتحاد السوفييتي ، وقد ترجم الكثير من قصصك الى اللغة الروسية وفي النية ترجمة المزيد منها . فاي اعمالك تفضل ان يترجم الى الروسية قبل غيره ؟

الاجابة : لا استطيع ان احدد عملا معينا ، فوجهة نظري ـ حتى بالنسبة لانتاجي ـ قد تختلف مع وجهات النظر الاخرى ، وللمترجم ان يختار ما يروق له ، فقد تكون لقصة ما اهمية خاصة في نظري ، ولكنها في نظر الآخرين لا شيء ،والامر بالعكس . وانا قد اقرأ لكثير من الكتاب العالميين بعض انتاجهم المشهور ، فاخرج من القراءة وانا اتساءل : لماذا كتبوا هذا ؟ ولاي هدف ؟

من امثلة ذلك قصة « دعابة » لتشيخوف ، حين اقرؤها لا اجد فيها ـ من وجهة نظري ـ ما يرفعها الى مستوى الانتاج العالمي ، او مستوى تشيخوف نفسه ، وقد ينتهي الامر في كثير من الاحيان بان اتهم نفسي بانني لم ارتفع بفهمي الى مستوى هذه القصة التي يعتبرها الكثيرون في القمة .

والخلاصة ان الكاتب لا يستطيع ان يفرض بعض انتاجه او يفضله من وجهة نظره الخاصة، ولكن من الاجدى ان يترك للاخرين ان يختاروا منه ما يروقهم .

ـ اذا لم يمكن اختيار قصة بالتحديد ، افلا يمكن ـ من باب التيسير على المترجم ـ ان تشير الى مجموعة بعينها ، تفضل ان يطلع عليها القارىء الروسي ، مع ملاحظة ان معظم مجموعتي « ارخص ليالي » ، و « اليس كذلك ؟ » مترجمة الى الروسية ؟

ـ اقترح مجموعة « آخر الدنيا » ومجموعة «العسكري الاسود» .

ـ المواطنون في الاتحاد السوفييتي يهتمون في الدرجة الاولى بالقصص العربية التي تصور كفاح الشعوب ، او تعالج مشكلات المجتمع ، فاي مجموعاتك تحمل هذا الطابع ؟

ـ من هذه الناحية « جمهورية فرحات » ، وقصة جمهورية فرحات بالذات ، التي تحمل هذه المجموعة اسمها .

السؤال الثاني : ما رأيك في نهضة الادب العربي المعاصر بوجه عام ؟ والقصة المصرية بوجه خاص ؟

الاجابة : الادب العربي يجتاز في هذه الآونة فترة مبلبلة حائرة ، لا يستطيع فيها ان ينطلق او يتخلف ، فكثير من الوجوه المعروفة قد انزوت ، وكثير من الوجوه الجديدة التي ظهرت عام ١٩٦٧ قد تجمدت ، وهذه الظاهرة تحتاج الى ناقد عميق النظرة ليتقصى اسبابها ، ويتبين الدوافع التي ادت اليها .

ـ ومن وجهة نظرك ؟

ـ في رأيي ان الادب المعاصر لم يستطع ان يتفاعل مع الاحداث العربية والعالمية بعمق ، لا لعيب في الادب ، ولكن لان الاديب يعيش في جو ضبابي لا يستطيع ان يتبين فيه وجه الحقيقة ، ولا تستبين له الرؤية الواضحة التي تدفعه الى التقدم ، وما لم يعط الاديب الاطمئنان والامان، فلن يستطيع انتاج الادب التي يسمى ادبا .

ولهذا كانت حيرة الادباء ، وعدم تحديد اهدافهم من عوامل التجمد والعزلة ، ونتج من هذا ان انزوى البعض ، وغير البعض الآخر مجرى حياته الادبية ، وظل بعض ثالث يكرر نفسه ، وينحت من قوالب الادب القديمة ، او يعيش على التراث الاجنبي .

هذا شيء .. والشيء الآخر ان الادب المعاصر ينحت مثله وقيمه الجديدة من ذات نفسه ، فهو منفصل انفصالا يكاد يكون تاما عن تراثه القديم ، ومنفصل عن تيارات الآداب العالمية .

فاذا صرفنا النظر عن احياء التراث وعن المترجمات ، وجدنا الادب العربي الحديث ـ الجدير بهذه التسمية ـ يبدأ من جديد في بناء شخصية الادب المعاصر ذي الخصائص المميزة عن اصله القديم وعن الروافد الغربية التي استمدها في بداية نهضته .

اما القصة العربية ـ والمصرية بنوع خاص ـ فقد خطت خطوات واسعة في الطريق الى المستوى الذي نرجوه ، وهي في الواقع انشط الوان الانتاج الادبي عندنا .

السؤال الثالث : ما رأيك في الكتاب المصريين بوجه عام ؟ وهل ترى انهم وصلوا الى مستوى الانتاج العالمي ؟ وايهم ترشح ليكون كاتبا عالميا ؟ واي اعماله ترشحه لهذا المستوى ؟

الاجابة : ادبنا لا ينزل عن المستوى العالمي كما قلت لعيب في الادباء انفسهم ولكن لاسباب اخرى خارجة عن طاقاتهم ، ومن هذه الاسباب : قلة الثقافة العميقة الاصيلة الواعية . وعدم العناية بفهم حقيقة الشعب فهما مباشرا ، والاندماج في مشكلاته ، والانفعال بنبضاته ، وتحركاته ، وتناقضاته . والاعتماد على الادب القديم في ناحية ، وعلى الادب الاجنبي

في ناحية اخرى . وعدم وجود الاديب المحتـــرف الذي يعيش لادبه ، ويؤمن به ايمانه بوجوده .

ـ ربما كان هذا من بعض واجبات الدولة ، فهل انت من القائلين بمبدأ ان على الدولة ان تهيء للاديب اسباب النجاح ووسائل الانتاج ؟

ـ ليس هذا من رأيي ، فواجب الدولة شيء ، واخلاص الاديب لمهمته شيء آخر . ان الاديب المحترف يجب ان ينبعث اهتمامه بادبه من ذات نفسه ، سواء اعانته الدولة ام لم تعنه ، وان يكـــون مخلص لنفسه ولمهمته الاخلاص الذي يصل في بعض الاحيان الى حد الهوس ، دون ان ينتظر الدوافع الخارجية التي تحفزه للعمل أو تحدد له طريقه .

لقد ادركت في قريتنا رجلا آمن بان التدخين خطر على صحة الناس وعلى اخلاقهم وعلى كيانهم الاجتماعي ، فراح ينهي الناس عن التدخين بكل الوسائل : يكتب على الجدران ، ويخطب في المجتمعات ، ويطرق ابواب البيوت ، ويقتحم المجالس في القرية والقرى المجاورة ليلا ونهارا، لا يعبأ بالحر ، ولا بالبرد ، ولا بالجوع ، ولا بالظلام ، ولا بالخوف ، يأكل ما يقع تحت يده من الطعام ، وينام في اي مكان يتاح له ، ويحرم نفسه من الراحة ، بل ومن كل وسائل الحياة ، لانه آمن برسالته على ضآلتها ، واخلص لها الاخلاص كله . والاديب الاصيل ـ في رأيي ـ يجب الا يقل ايمانا بمهمته عن هذا الداعية الذي اغرم بمهمته الى حد الجنون .

ـ الملاحظ ان الادباء المحترفين لم يستطيعوا ان يعتمدوا على اقلامهم كوسيلة للعيش الا بعد ان اصبحوا في سن متقدمة ، لا تمكنهم من انتاج شيء جديد يرتفع الى مستوى انتاجهم الذي ظهر لهم في صدر الشباب، وفي فترة الكفاح ، وان المحترفين الكبار ليست فيهم الطاقة الكافية للخلق والابـداع .

ـ هذا يلقي على شباب الادباء مسئولية اكبر ، فعليهم ـ كما قلت ـ ان يخلصوا لمهمتهم في سن الفتوة والابداع ، دون ان تأخذهم المظاهر ، او تستهويهم القيم البراقة ، وعليهم ان يكرسوا الجهد كله للانتاج قبل ان تخبو الطاقة الخلاقة المبدعة المشتعلة في قلوبهم .

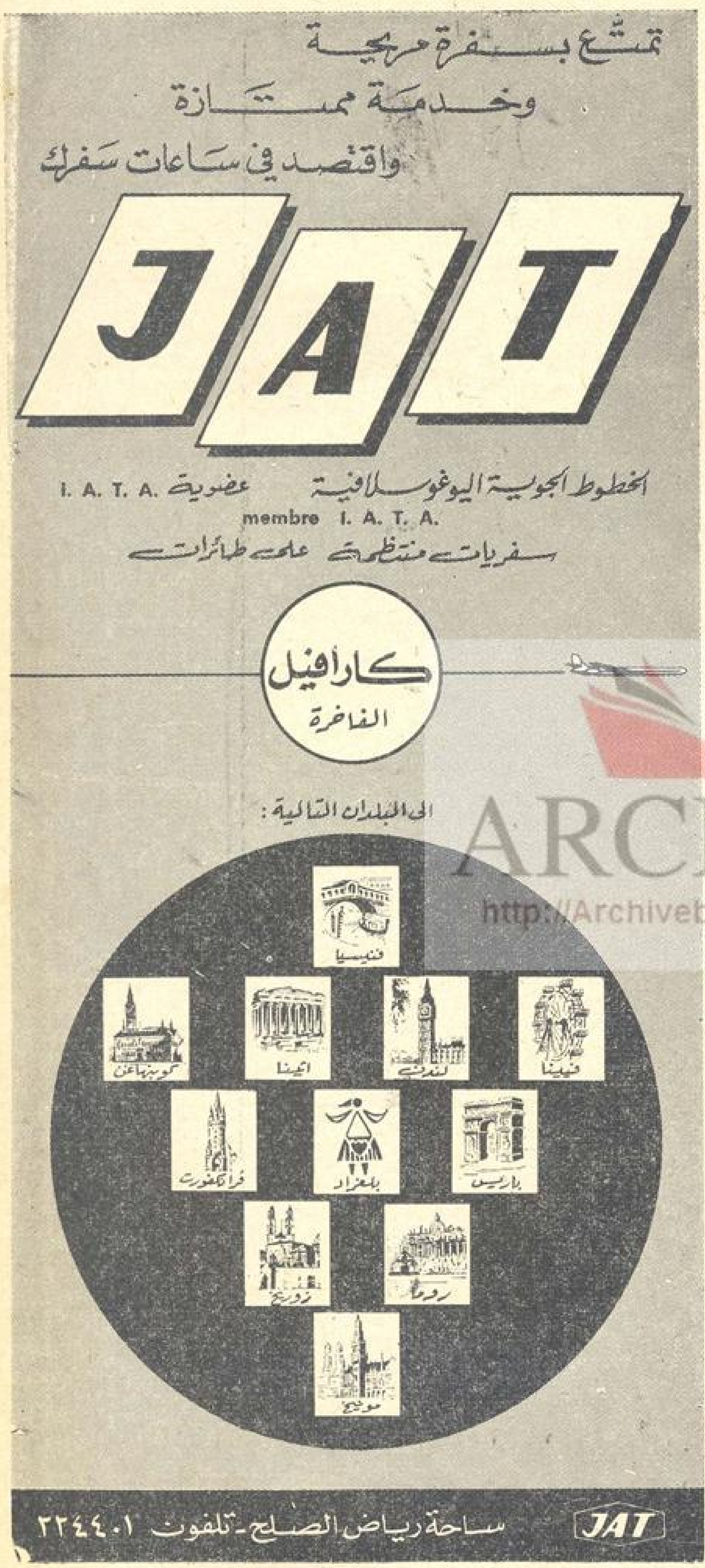
ـ لنعد الى الكتاب المصريين الذين استطاعوا ان يحققوا مستـوى عالميا بانتاجهم .

ـ بعض كتابنا استطاع ان يحقق بانتاجه مستوى رفيعا للادب العربي الحديث ، وبعضهم ما زال على الطريق . وانا اذكر من الذين حققوا هذا المستوى على سبيل المثال : يحيى حقي في مجموعته « دماء وطين » ، وطه حسين في عمله الفني الفريد « الايام » ، ومعظم مطولات نجيـب محفوظ ، وبعض اقاصيص ابراهيم المازني . ومن الذين تبشر اعمالهم بمستقبل طيب : محمود البدوي ، ويوسـف الشاروني ، وعبد اللـه الطوخي ، وبدر نشأت ، وشكري فيصل ، وفهمي حسين .

هذا في ميدان القصة ، وهي ـ كما سلف ـ ابرز الوان النشاط في الميدان الادبي . وهناك الشعر الحديث الذي حقق في بعض جـولاته مستويات لا تقل عن المستوى العالمي ، مثل اشعار صلاح عبد الصبور ، واحمد عبد المعطي حجازي ، وعبد الرحمن الشرقاوي .

ـ لم تذكر احسان عبد القدوس ضمن كتاب القصة ، مع انه مشهور بين كثير من الطلبة والطالبات ، فاين موضعه بين كتاب القصة المعاصرين؟

ـ احسان يكتب للجنس ، لكي يقرأه الفتيات والفتيان في سن معينة، ثم ينصرفوا عنه حينما يحسون ان هناك فنا قصصيا بالمعنى الصحيح . وكتابات احسان تذكرني ببعض المطاعم التي اشتهرت بتقديم المشتهيات لروادها ، فهم يرتادونها لا بحثا عن وجبة دسمة او مطهية بعناية ، ولكن لمجرد فتح الشهية . اما انه مقروء على نطاق واسع ، فلانه يملك مـن وسائل النشر ما ليس في متناول غيره من الكتاب ، فهو يشرف على دار صحفية ضخمة تنشر الصحف والكتب، وقصصه تنشر مسلسلات في هذه الصحف ، ثم تجمع وتطبع في كتب ، ثم تذاع في مسلسلات الاذاعة ، ثم يقبل عليها جمهور السينما لانها تقـــدم لتسلية هذا الجمهور من المراهقين والمراهقات . واحسان يمثل طائفة من الكتاب المنتشرين فـي



كثير من بلاد العالم لتسلية القراء دون ان يحلوا ازماتهم ، او يتعرضوا لمشكلات المجتمع .

السؤال الرابع : ما هي القصة التي لم تكتبها بعد ؟ وهل تخطط لقصصك تخطيطا معينا؟ وما هي الخطة التي وضعتها لانتاجك فيالمستقبل؟

الاجابة : القصة التي لم اكتبها ولن اكتبها ، هي قصة حياتي . اما انتاجي فهو نابع من البيئة ، ومن تفاعلاتي معها ، فبعض انتاجي يعبر عن مشكلة خاصة احسست بها ، او بعضه يعبر عن ظروف المجتمع ومشكلاته التي انفعلت بها ، وكل هذه العوامل الداخلية والخارجية تتعاون على اكتمال العمل الادبي .

وليس لدي تخطيط بالمعنى المقصود ، لا بالنسبة للقصة كعمل ادبي ، ولا بالنسبة للانتاج في المستقبل ، فقد افكر في موضوع معين ، واستغرق فيه ، ثم تطرأ ظروف او موضوعات تزيحه مؤقتا ، ولكنها لا تحجبه نهائيا . ومن الموضوعات التي احاول منذ زمن طويل ان استكملها قصة « البيضاء » التي نشرت بعض اجزائها مسلسلة في الصحف ، وبعض اجزائها لم تنشر ، ونهايتها لم توضع بعد ، وما زال ينقصها حوالي مائة صفحة .

السؤال الخامس : ما رأيك في مشكلة العامية والفصحى بالنسبة للقصة العربية ؟

الاجابة : المشكلة في رأي مصطنعة وليست حقيقية ، لان عصور الادب كلها لم تفرق بين التعبير بالعامية والتعبير بالفصحى ، اذ ليس منالمعقول ان يفكر الانسان بلغة ، ويكتب بلغة اخرى ، فهذه ازدواجية لا يمكن ان توجد في الانسان ، لانه ليس كالآلة ، يدير أحد المفاتيح فيكتب بالفصحى، ويدير المفتاح الاخر فيكتب بالعامية .

وانا اتساءل : لماذا نبذ الناس الفصحى في تخاطبهم ؟ لانها فقدت فاعليتها ، وتجمدت ، ونحن نلاحظ دائما في مناقشات المؤتمراتوالندوات والمجالس النيابية ان المتكلمين يتحدثون بالفصحى حينما يكون الموضوع مباراة كلامية ، وحينما تصادفهم فكرة عميقة يريدون ان يعبروا عنها تعبيرا مباشرا مفهما ، فانهم يلجأون الى العامية ، لتعبر التعبير الحاسم المفهوم .

وتجربتي الشخصية في اعمالي الفنية ، انني استهلكت كل الجوانب المتناقضة والمصطنعة في كل من العامية والفصحى ، وخرجت بلغة جديدة استطيع ان اسميها « اللغة الثالثة » ، ليست هي الفصحى ، وليست هي العامية ، ولكنها لغة الحقيقة ، فانا لا اتقيد بالفصحى ، ولا بالعامية، ولكني اعبر بهذه اللغة التي ارتضيها للتعبير الفني .

فالمشكلة ـ اذن ـ مشكلة فنية ، وليست لغوية ، اذ ان الفنان قادر على ابداع اللغة التي يعبر بها عن فنه ، دون ان يتلقاها من الناس . وفي رأيي ان كل ما كتب بالفصحى ليس فيه شيء ، وقد قرأت كل ما كتب بالفصحى قديما وحديثا فلم اجد فيه فنا او شيئا ذا قيمة ، حتى ليمكننا ان نلغي التراث العربي كله بجرة قلم دون ان نفقد شيئا ، اذ ليس لدينا ما يمكن ان نحتفظ به سوى كتب قليلة ، من بينها مقدمة ابن خلدون ، والاخبار الطوال ، وعدد قليل من المراجع التي عبرت عن الحقيقة ، او تناولت مشكلة الانسان في ابعادها الحقيقية .

وانا اعجب لوزارة الثقافة ، كيف تهدر جهود كثير من الكتابالناجحين، فلا تنشر لهم شيئا ، بينما تبذل الجهود الطائلة في نشر التراث القديم دون اختيار دقيق .

ـ من حسنات وزارة الثقافة انها نشرت ما تحبذ انت نشره مثل مقدمة ابن خلدون ، والاخبار الطوال .

ـ انا لا اعترض على كل ما ينشر او يحقق ، ولكني اقول : يجب ان نختار ، وادعو الى تركيز الجهود على ناحيتين : الاولى : اختيار القدر الصالح من التراث لتحقيقه ونشره في المجال الضروري . الثانية : ترجمة الروائع العالمية التي تثري ادبنا الحديث . ان هذين التيارين لا بد من وجودهما ، ولا بد ان يتفاعلا ويساعدا على تكوين الشخصية العربية الجديدة في الادب والفن .

ـ انت قد مجدت بعض اعمال طه حسين ، ويحيى حقي وغيرهما وهي مكتوبة بالفصحى .

ـ انا اعتبرت ان الاثر الفني الفريد لطه حسين هو كتاب الايام ، ولم اقرأ اسلوبا اسلس من اسلوب هذا الكتاب في كل ما قرأت . وتوفيق الحكيم استخدم اللغة العادية في اعماله المبكرة مثل عودة الروح . ويحيى حقي يعبر تعبيرا فنيا رفيعا ، لا يتقيد فيه بالقوالب .

السؤال السادس : لمن قرأت من الكتاب الروس ؟ وايهم اثر في فنك ؟

الاجابة : الكاتب الروسي الذي يهزني هزا عنيفا هو ديستويفسكي ككاتب قصة . والذي يهزني برفق هو تشيخوف ككاتب قصة قصيرة . اما جوركي فتعجبني براعته في رسم شخصياته ودقة تفاصيله . وجوجول ابرع كاتب يريك كيف يكتب . وعدا هؤلاء مجموعة كبيرة من الكتاب الروس ، قد يكونون اقل من هؤلاء شهرة ، ومن بينهم سولوجوف ، واندرييف. ومن الشعراء الذين اعجبت بهم كثيرا بوشكين ، ومايكوفسكي. ومن النقاد ارمينتوف شيخ النقاد فيما كتب عن تشيخوف وديستويفسكي.

القاهرة — رضوان ابراهيم

•

الحركة الادبية في تونس

في تونس اليوم نهضة ادبية واسعة الافاق ، تجلت في مختلف الالوان ، لا سيما الشعرية منها والقصصية . والذي يلاحق الشعر التونسي الحديث ، في مختلف تياراته وتنويع الوانه ، يجد بانه قد اثبت وجوده في السنين الاخيرة ، خاصة بعد ان نالت تونس استقلالها . وجاء مرآة واضحة تنعكس عليها معالم حياة الشعب . ذلك انه عبر عن آلامه وافراحه . صور احداثه وازماته وانتصاراته . اطلق صيحات مدوية في وجه المستعمرين . تغنى بولادة الاستقلال . رسم لوحات ناجحة للحب. وصف طبيعة ارضه المعطاء . ندد بالخونة . وبكلمة ، ان اصحابه قالوا في قصائدهم ما ارادوا .

اسمع الشاعر احمد المختار الوزير ، في قصيدة دالية بعنوان «اخي»، يوجه كلامه الى المواطن التونسي داعيا اياه الى التفاؤل بغد مشرق الطلعة ، فوق ارض تموج فيها الحقول الخصبة ، وتنعش انسامها العليلة الاجسام ، وتتكاتف فيها الايدي ، وينطلق منها الفكر النير :

لنا غد وموعد ، ومشهد ومشهد
لنا ، مع الفجر الجديد ، امل مجدد
لنا الضحى ، ومعول يزهو ، وعزم ايد
لنا ، اخي ، فكر نبيغ مبدع ، لنا يد
لنا الحقول المانجات ، والجميم الاحصد
لنا النخيل ، والجن داني القطاف عسجد
لنا القطيع تاهت السهب به ، والنجد
لنا الظلال ، والمياه شرع ومورد

ويصف الهادي نعمان الحياة في قصيدة عنوانها «اطار الحمام» فيقول:

ولذا تناسى او تفاءل مؤمنا — ان الحياة اذا استمرت بلقع
تلك الحياة جمالها متكلف — وحمامها في روضها لا يسجع
عاشت به آلامه في فرحة — وبكل خفق في الفؤاد توجع

ويقول نور الدين صمود ، وهو من الشعراء الذين اتبعوا النهج الحديث ، في قصيدة عنونها « سياط النور » :

مزقي يا شمس جلباب الظلام
جففي هذي الطحالب
وازرعي الارض كواكب

واحرقـي ديدان هذا العفـن
جففـــي المستنقعـــات
واجعلـــي الاضـــواء تركـض
فـــي عيـــون الغافلـــين
منـــــذ آلاف القـــرون

ومن ناحية القصة التونسية ، فانها تتطور بشكل مرض . والمؤلفات القصصية التي تصدر باتباع لاكبر دليل على ذلـك . ومنها مجموعـة قصصية تحمل عنوان « اردنا الحياة » صدرت حديثا للقاصة والشاعرة ناجية ثامر . ضم كتاب « اردنا الحياة » اربع عشرة قصة اخذت الكاتبة مواضيعها من بيئتها التونسية . فصورت اشخاصا عرفتهم عن كثب . لقد تحدثت عن نضالهم المرير في سبيل سيادة وطنهم.. عن معاركهم ضد البطالة والجهل والبؤس .. عن سعيهم لتوفـير حياة مليئة بالرغادة والطمأنينة .. عن اهتمامهم بتطوير مجتمعاتهم ... وكان كلامها مبنيا على صدق .. على حقيقة . والى جانب تصويرها الحي ، اتت باسلوب سلس لا تعقيد فيه . فلا غرو على ذلك ، والقاصة ناجية ثامر تعتبر اليوم في طليعة الكاتبات التونسيات . انها تحرص على معنى ومبنى كل جملة تسطرها سواء أكانت نثرية ام شعرية .

وهناك الوان اخرى ادبية تتطور بسرعة في تونس . ويطـول الكلام عليها هنـا .

هذا ، وبدأت الاوساط الادبية هناك تهتم لانجاح مهرجان ابو القاسم الشابي الذي سيقام في العاصمة التونسية ، في شباط القادم ، وقد دعي كبار ادباء وشعراء العربية للاشتراك فيه .

يعتبر الشابي في طليعة شعراء تونس . وكان شعره سجلا حافـلا لاحداث بلاده . ففيه صور واقع الشعب التونسي . صور حياة الفلاح والتاجر والصناعي والطبيب والمهندس والمحامي والاديب .. رسم صورا رائعة للابطال الذين سقطوا شهـــداء في ساحات الوغى ... هاجم المستعمرين وطالبهم بالجلاء العاجل عن ارض يبذل ابناؤها دماءهم في سبيل سيادتها واستقلالها وكرامتها . وصف لقاء الاحباب وصفا رائعا.. كما وصف لقاء التعساء والمعذبين . وقد كان يشعر بوضعهم المؤلم ، فيبكي ، ومرارا تتآكله الكآبة . اسمعه يقول في قصيدته «ارادة الحياة» التي وصف فيها ارادة الشعب التونسي التي وقفت بوجه التيارات الغريبة ، وقضت على العراقيل والصعوبات ، وحطمت الاغلال ، الى ان توصلت ان تحقق النصر الذي كانت تتوق اليه منذ سنين عديدة :

اذا الشعب يوما اراد الحياة — فلا بد ان يستجيـب القـدر
ولا بـد لليـــل ان ينجلـــي — ولا بـد للقيـــد ان ينكسـر
ومـــن لم يعانقه شوق الحياة — تبخـر فـي جوهـا ، واندثر
فويل لمـن لم تشقـه الحياة — مـن صفعـــة العـدم المنتصر
كذلك قالـت لـــي الكائنـات — وحدثنـــي روحهـــا المستتر

ويوجه نداءه الى الشعب فيقول :

اين يا شعب قلبك الخافـق الحـ — ـساس ؟ اين الطموح ، والاحلام ؟
اين يا شعب روحك الشاعر الفـ — ـنان ؟ ايـن الخيال ، والالهام ؟
ايـن يا شعب فنـك الساحر الخـ — ـلاق ؟ اين الرسوم ، والانغـام ؟
ان يـم الحيـاة يـــدوي حواليـ — ـك ، فايـن المغـامر المقـــدام ؟
اين عزم الحياة ؟ لا شيء الا الـ — ـموت والصمت والاسى والظلام ؟
عمـر ميـت ، وقلـب خـواء ، — ودم لا تثـــــــيره الآلام
وحيـاة تنـام فـي ظلمـة الـوا — دي وتنمـو من فوقهـا الاوهـام

وتطلع الشابي خلف الحدود ، فرأى العديد من البلدان تئن تحت وطأة الطغاة الظالمين . فوضع قصيدة هائية حذر فيها هؤلاء الطغاة من التمادي في غيهم . فالشعوب ستثور يومـــا عليهم من اجل حريتهـا وكرامتها وعيشها الرغيد . يقول :

الا ايهـــا الظـــالم المستبـد — حبيب الظلام ، عـدو الحيـاه
سخرت بانات شعب ضعيـف — وكفـك مخضوبـة مـن دمـاه
وسرت تشوه سحـر الوجـود — وتبذر شـوك الاسى في رباه
حـذار ! فتحت الرماد اللهيب — ومن يبذر الشوك يجن الجراح
ورويـت بالـدم قلب التـراب — واشربتـه الدمع ، حتـى ثمل
سيجرفك السيل ، سيل الدماء — وياكلـك العاصـف المشتعـل

ان مهرجان الشابي هو مهرجان شاعر كبير تبوأ مرتبة عالية في دولة القريـض .

وبعد ، هذه لمحة موجزة عن الحركة الادبيـة الحاليـــة في تونس . والملاحظ انها تتطور بشكل مرض ، لا سيما الاعمال الشعرية . فالشعراء تعلقوا بالشعر الجديد ، وهم الآن يعملون جهدهم لانتشاره في سائـر الاقطار العربية .

ابراهيم عبده الخوري

بنـك انتـرا ش.م.ل.

●

يتقدم بمناسبة عيدي الميلاد ورأس السنة
من زبائنه الكرام ومن جميع المواطنين بأحر التهاني
سائلا الله ان يعيدهما عليهم بالعزة والبركات



ابو طالب زيان

فؤاد الشايب الاستاذ والرائد

بقلم ابو طالب زيان

* * *

سرى الاعتقاد ، وتناقل الادباء في ارجاء العالم العربي ، ان الاستاذ فؤاد الشايب ، اول من وطد ، بانتاجه ودراساته ، المفهوم الفني الحديث للقصة في سورية ، وكان من روادها الاولين ، وتناسوا انتاجه الضخم ، ومفاهيمه للادب ، وتذوقه للفن ، ومبضعه الشافي في الصحافة .

ولقد يكون هذا مبالغة ، او يجنح الى الاسراف ، لكن اذا عرفنا ان الاستاذ الشايب ، بدأ انتاجه في جريدة « الامام » عام ١٩٣٥ ، ثم مجلة « المصباح » و «الحديث» و « الايام » و « مجموعة تاريخ جرج » التي نشرت عام ١٩٤٤ ، غير هاتيك القصص التي أحتلت مكانتها هنا وهناك بين ارجاء العالم العربي ... اقول لو احصينا هذا الانتاج الضخم ، لما حددنا معالم الرجل ، ولما وقفنا به عند نقطة معينة من الانتاج ، ولا حللناه هذا المحل الذي اختاره لنفسه اليوم ، وهو التوجيه الادبي والصحفي في مجلة « المعرفة » التي تصدر في سورية الشقيقة .

ولد الاستاذ فؤاد الشايب ، في قرية معلولا من جبال القلمون ، وعاش مطلع حياته الحافلة ، يسمع قصص المغامرات ، ويجنح به الخيال ، الى السير في هذا الضرب من الادب ، ويمني النفس بالوصول الى حيث يتربع على عرش الادب ، ويشار اليه ، على انه من البناة ، الذين يحتذى بهم ، او يحج اليهم .

درس فؤاد الشايب في القرية ، واتم تعليمه في حقوق دمشق ، ثم ذهب الى باريس ، حيث انتظم في جامعتها ، الى ان اجاد اللغتين : الفرنسية والانجليزية نطقا وكتابة ، غير دراسته للآداب العالية ، والمامه الواسع بالقوانين .

ولقد تاقت نفسه ، بعد عودته الى بلاده ، الى العمل بالصحافة ، باعتبارها المنبر الذي يستطيع بواسطته ، ان يوجه ، ويبث تعاليمه ، ويقول ما يشاء في حدود الادب والمعقول، في دنيا السياسة والرشاد. . لكن سرعان ما اخذته هذه النوبة التي تستولي على كثير من الناس ، فنراه يهجر الصحافة وينتظم في سلك الوظائف ، ويصمت عن الكتابة اربعة عشر عاما ، هي في عمر الادب خسارة ، وفي حياة اديبنا الكبير ، سعة من الوقت للاستعداد ، والتاني والتمهل والركود الذي يسبق العاصفة .

لعل السبب الذي من اجله ، لاذ الاستاذ فؤاد الشايب بالصمت ، طيلة اربعة عشر عاما ، هو المفاهيم التي درجت على ارض العربي ، تحد من ثورة الادب ، وتعصف برسالته، وتجب المواصفات الحقيقية التي يجب ان تسبق الانتاج ، أيا كان لونه ، وارتكازه ، ونقطة انطلاقه ، وعدم المساس بمحتوياته او مضامينه ، او الحد من تحليقاته . فالاديب الاصيل عند فؤاد الشايب ، هو من يؤدي رسالته اداء تلقائيا ، لا التزام فيه او حصرا ، يدور حوله ، او يرتطم باسوار فروضاته .

والذي يقرأ لفؤاد الشايب ، تعاليمه ، ويرجع البصر الى هذه الكلمات ، لا ينكر عليه قبوعه للبناء اربعة عشر عاما ، بل يتمنى ان لو زادت ، حتى تتم هذه الضميمة التي نطالعها كل يوم ، ونرى فيها من السحر والتوجيه والبلسم ما لا نراه في غيرها من التعاليم المبثوثة في ثنايا الكتب ، او القابعة في الابواق :

« اذا رايت نفسي مندفعا في شارع مقفر ، رحت اسأل نفسي : افعل ذلك في سبيل عملي الخاص ، ام في سبيل انشاء قصة .

واذا ما اكلت واصغيت الى صوت المضغ ، رحت مسائلا نفسي : انا آكل لاعيش ، ام لاعرف كيف يجب ان يأكل شخص قصتي ، ولقد تعصف بي عاصفة غضب ، فيخطر لي ان ارى وجهي بمرآة ، لاعرف كيف تستقر العواطف ويخيل الي احيانا ، ان الاشياء لا قيمة لها ، بقدر ما تصلح مقطعا من مقاطع قصة » .

« انني من جيل يريد ان يلتهم ويقرأ ، اكثر ما يلذ له ان يقرأ ويكتب . لا نفاخر نحن ابناء الدورة الاولى في ادب القصة السورية ، بانتاجنا الضخم وادبنا المتفوق ، فليس بين ايديكم منه ، سوى وليدة ارادة الاصدقاء والمشجعين».

« لم يكن لي ثمة استاذ في القصة العربية ، احببت الف ليلة في سن المراهقة واول الشباب ، واحببت رسالة الغفران ، ثم قفزت لاقرأ توفيق الحكيم واحبه ولا اجد في

ادب القصة العربية شيئا يكاد ان يذكر ...

واجزم ان لا احد سوى توفيق الحكيم حصرا ، وقد يكون لي بين هؤلاء الغربيين استاذ : دوهامل ، فرانس ، ستاندال ، جيد ، موباسان ، غوركي ، دوستوفسكي ، موریاك والاسطورة الاغريقية ، واحب الآن سارتر ، ولم اتاثر بمدرسة أو مؤلف ، واخشى دائما وقوعي تحت السيطرة » .

« بدات اكتب عندما كنت في سن مبكرة ، عندما كنت اكتب لنفسي ، لاصور هياج مراهقتي واحتدام حبي بلوحات صغيرة ، او رسائل حزينة الى حبيبة مجهولة» .

« خير القصص عندي ما كان لوحة وصورة ، وخير الروايات ما صعد من الواقع المحلي الى الصعيد الانساني» .

« القصة كما افهمها سيرة نفسي ، لا حكاية حوادث ، فهي قطعة من المحيط الذي اعيش فيه ، تعيش في نفسي وفي خيالي وفي اعماقي وتحيا » .

« ان احسن القصص عندي ، تلك التي لم يعمل فيها القلم مرة ثانية ، وما اضيفه بعد فراغي من القصة ، احس به ذيلا ثرثارا دون جدوى » .

والواقع ، أن الاستاذ فؤاد الشايب ، لا يعرف لميلاد القصة في نفسه عملية معينة . فالقصة عنده ، وهي في دور تمخضها : « صورة تنزل من منابع نفسي البعيدة المجهولة ، لتتكون في مضطرب الوعي ، انما هي ثمرة ناضجة تعبة على الفصن الذي يحملها ، فما تحتاج الا غمزة القلم لتهوى » .

على ان الاستاذ فؤاد الشايب ، لا يكلف نفسه عناء وضع الخطط والاشكال والبرامج ، ولا يرسم لشخص روايته سبيل حياته او تاريخ تطوراته : « ما فكرت اذن ابدا ، ان هذا الشخص ستكون نهايته على كيفية ما ، اسير وراءها ، والزم القصة بها . فالفن الروائي لا يتكىء على المنطق دائما ففي « ملاك الموت » و « الشرق شرق » وضعت للاولى منذ شرعت في تاليفها هذه الفكرة : ام يستولي على ضميرها ، ان ملاك الموت سيدخل دارها ويخرج حاملا شيئا ، فلا تزال تتعذب تحت هذا الكابوس حتى يموت وحيدها . ووضعت للثانية الخلاصة التالية : طالب سوري بعقلية شرقية ساذجة يعيش حياة حب شديد مع فتاة باريسية ، تمثل كل فنون الغرب ... ثم لا شيء سوى هذه الصورة لكي ابدأ ...

هذه هي الابعاد التي نظر اليها الاستاذ فؤاد الشايب ، وهو يعالج القصة ، ولا شيء افعل في نفس القارىء من هذه البساطة الحلوة ، التي يتنقل معها المطالع من حالة الى حالة اخرى ، او من عقدة الى عقد تجره الى النهاية المحتومة غير المتكلفة التي اتسم بها فؤاد الشايب في هذه المعالجة الفذة ..

والذي لا شك فيه ، ان الاحساس الذي يملك على المطالع لادب فؤاد الشايب فكره ، ويحصره في هذه النبضات التي تحمل الحياة في طياتها ، يتجلى اوضح ما يكون في الاعتراف الذي ادلى به هذا الكاتب ، من انه ليس له استاذ في هذا الفن يحتذيه ، او ينسج على منواله ، شأن الكبار من الرواد ، وانما الحب الذي ملك عليه حسه ، فجعله يطالع في سن المراهقة ، وأول الشباب ، « الف ليلة » ويحب « رسالة الغفران » ، ثم يتطور هذا الحب ، فيعيش مع توفيق الحكيم ، لا على انه تابع او تلميذ ، بل للمقارنة والبحث والمفاضلة ، والمقابلة ، والانتقال بين الفنون ، ايا كان لونها ، او موضوعيتها ، او اتجاهاتها المختلفة المتباينة.

والمفهوم الحقيقي للقصة عند فؤاد الشايب ، ليس بالانتاج الضخم ، الذي ظهر لذلك الجيل الذي يمثله ، وانما بالقراءة الملذة ، والالتهام الذي لا يعد له اي جهد في حياة اي جيل ، والكتابة لا للفخر وحسن الاحدوثة، وانما بالعمق الذي اتسم به ذلك الجيل الذي وطد نفسه على هذا البناء الشامخ في دولة الادب .

فالجيل الذي يكتب في سن مبكرة لنفسه ، ويحاول ارضاء النزعات ، ايا كان مكمنها ، او مصدرها ، او يصور حبه في لوحات ، او يبعث باشواقه الى المجهول ، لا شك في انه جيل ولود ، يجنى الخير منه ، ويرجى ان يخطط على علم ، ويرسم عن خبرة ، ويؤم ، وهو في مأمن من العثرات ، الاجيال التي تتلوه ، او تأتي بعده ، ولو بازمان سحيقة .

ان الاستاذ الشايب ، يفهم القصة ، لا على انها حوادث وقعت ، او خيالات يضل الناس في متاهاتها ، وانما هي قطعة من محيط يعيش فيه ، ويحياها في اعماقه ، او خيالاته هو ، او في نفسه المسجلة الحافظة ...

ويتعدى فؤاد الشايب هذا المفهوم للقصة ، ويعمق هذا المعنى ، ويرسم هذا الاطار الذي يجب ان يتحلى به الكاتب ويجعل القصة نابعة من الواقع المحلي ، صاعدة الى الصعيد الانساني المحيط ، حتى تأخذ وضعها الحقيقي ، وطابعها الذي تكون عليه .

ومن الاعاجيب ، ان الاستاذ فؤاد الشايب ، يأخذ لقطاته ، ويضع عقده من الاشياء التي لا قيمت لها ، كما يأخذها من الاشياء الخطيرة التي تستوقف النظر ، وتأخذ بلب القارىء ، لا يصنع المنظر ، او يبتدع العقدة ، او يسير على غير هدى .

فالقصة في مذهب فؤاد الشايب ابداع ، لا يدانيه اي لون من الوان الادب ، او يصل الى قمته اي فن من الفنون ، الا اذا برهن على انه جدير بالحياة ، قمين بالوجود والصمود .

ولفؤاد الشايب ، مذهبه الواقعي في فنونه المختلفة ، ومعالجاته الفذة التي اخذ نفسه بها . فالطابع الواقعي الذي اختاره الاستاذ فؤاد الشايب ، يغلب عليه معالجة الحقائق ، ايا كان لونها ، وان جنحت الى الخيال ، او ضربت في المتاهات او اتسمت بالاستغراب الذي يبرز

واقعيا في « سيرة الحب والمراهقة » او « الجوع والبؤس والطمع » او « اوراق موظف » او « سيرة نفس » .

وليس ادل على هذه الواقعية ، سوى المظهر الانساني الرائد ، الذي يتدسس في هذه الطبائع التي يكشف عنها هذا المبضع الجبار من السمو والجمال ، مشعا فيها بروحه ، باعثا لها في انغام شجية تملأ النفس ، وتهتز لها المفاهيم التي وضعت لحساب كل معالجة من هذه المعالجات ..

ولقد يعيش الاستاذ فؤاد الشايب في قصة بعينها ، ويتكيء بكليته على مفهوماتها ، غير انه يتكيف بالجو ، ويسير وراء النهاية ، ويلزم القصة بها وان كان يعلم التطور الذي يأخذ بخناقه ، ويمسك عليه قلمه ، ويقف به دون نهاية ، لا يتمناها القارىء ، او ينتظرها المعنيون بهذه الالوان من فنون القول ، ولكن الكاتب ، يؤمن الايمان الجازم بان الفن الروائي لا يتكيء على المنطق دائما ، وانما يخضع لتيارات اخرى ، ولمسات تحدد معالمه ، وتسد عليه المسالك من كل باب ، الا ان تكون هذه الخواتيم التي يختارها الكاتب ، فيخرج بها من حيز الالتزام الى دنيا يريدها ، ووقفة يقفها، دون تجاهل لاصول الفن ، او اهمال للبناء ، او الحبك القصصي السليم .

والالتزام عند فؤاد الشايب ، شيء معيب في الانتاج الادبي ، ولا سيما اذا حصر الاديب نفسه في جو تضيق به كل المسالك ، ويكون عرضة للوقوف دون ما حراك ، او التصرف حسبما يهوى ، او يحب ، او تقضي به الصنعة . فالاديب الحق ، هو من يؤدي رسالته اداء تلقائيا دون ما حدود او ابعاد يلتزمها في اداء هذه الرسالة ، او قيد يقل من نشاطه ، او يكسر من هذا البيان الذي يجب ان يتجاوب والحياة ، ويسير والركب دون ما تخلف او استكانة ، او رضى بهذا الواقع الا ان يكون من مقتضيات اللمسة ، او حتمية الاتجاه .

وخير ما يصور هذا الاتجاه عند فؤاد الشايب ، انه لا يعنى بهذه الملامح الشخصية للابطال ، الا بمقدار ما تتضح به الصورة ، وتنضج الشخصية ، وتبين تلك الاتجاهات ، وان كان يضاف كذلك عدم الاهتمام بالمناظر الطبيعية الا بالقدر الذي يحمل من الايماء ، ويشيع في جو القصة .

وسبب ثالث ، يحسب له الاستاذ فؤاد الشايب الف حساب ، وهو يهم بمعالجة القصة ، او يرسم خطوطها على شاشة عقله ، او يعيشها في اعصابه ، هو عنايته باللقطات الجانبية التي تكشف الفكرة او توضح معالمها ، وتركز بناياتها ، او توجهها هذه الوجهة التي تراد لها .

على أن الاستاذ فؤاد الشايب ، قد انتحى في السنوات الاخيرة ناحية هي اولى بقلمه ، واثمر في حياة اللغة والادب . فمنذ ان تولى رياسة تحرير مجلة «المعرفة» اخذ نفسه بكتابة هذا الملحق ، الذي يظهر آخر صفحات المجلة ، يضم التيارات المختلفة في الادب، ويعالج مشكلات السياسة، ويفند فيه الآراء التي تنشر هنا وهناك في انحاء العالم .

ومن غير شك ، اننا لو استعرضنا بعضا من هذه التلعيقات لاكبرنا الرجل ، وهو كبير ، ولكرمنا بيانه ، وهو كريم ، ولوضعناه في موضعه الذي يستحقه وهو صدارة امراء البيان .

ففي جولة الشهر ، يسجل تيارات الفكر العالمي ، ويقلب وجوه الرأي في الدراسة والمناقشة ، ويرسم الطريق الحق ، امام الاحداث التي تكتنف العالم ، وتحيط به من جميع نواحيه ، فيستعرض حاضر افريقية ومستقبلها ، ويناقش سيرة نكروما واعماله وقيادته ، ويقف وقفة طويلة بين الاستعمار والديموقراطية ، ويشبع القارىء بتلك اللقطات الحية في المجتمعات القبلية ، والديموقراطية الغربية في المجتمعات المتخلفة وعدم تمثيلها ، والاشتراكية الافريقية نظريا وعمليا في فلسفة نكروما ، والاشتراكية في بعض تلك الدول ، ونظام الحزب الواحد والمعارضة ، وحكم الشورى في تلك البلاد .

ولقد علق الاستاذ فؤاد الشايب على مؤتمر الادباء العرب الخامس الذي عقد في بغداد ، بما يصح ان يطلق عليه : اللمسة الحية النابضة . فناقش افكار المؤتمرين وتوصياتهم فضلا عن تاريخ المؤتمر وادوار انعقاده، وتطورات التجمعات الادبية ، والهدف الذي عليه المؤتمر .

ولم يفت فؤاد الشايب ، ان يذكر المسئولين بما يجب عليهم نحو هذا المؤتمر ، مع مناقشة جادة لاراء المؤتمرين والمناوشات التي ظهرت في الجو الادبي لهذا التجمع الادبي الكبير الذي كان لا بد فيه من تقييم لاعماله ، او استعراض لبعض وقائعه الكثيرة التي اكتنفتها سيول من المشاحنات واعترتها اجواء من الادعاءات التي لا يصح ان تكون بين اولئك المؤتمرين الذين اجتمعوا وفي جعبة كل منهم فيض من السهام ، يصيب به من شاء دون ما ارعواء لذلك الجو ، او احترام للرسالة الكبرى التي من اجلها ذهب المؤتمرون الى بغداد ..!!

غير ان من الانصاف للاستاذ فؤاد الشايب ، انني اعتقد ان تعفف بقلمه عن ان يغمسه في وقائع ذلك المؤتمر الذي اقتصر على تلك الفئة التي ارادت لنفسها التمثيل والنيابة، شأنه في جميع تعليقاته واستعراضاته ، وجنوحه الى السلم وعدم المساس باي كينونة من الكينونات التي تتربص الفرص ، وتنتهب المنافع ، وتسبق الحوادث ...

انني لو استطعت تفنيد دور الاستاذ فؤاد الشايب في الادب والسياسة ، لما كفاني صفحات وصفحات ، ولكن حسبي وحسب الرجل ، أن اعماله وجهاده وثقافته وريادته ، هي النبراس المضيء ، امام كل الاجيال ، وهي التوجيه الرشيد ، امام من يريد الهداية ، ويمضي على جادة الطريق ..

القاهرة **ابو طالب زيان**

طبقة الفهماء

بقلم حسن ألكرمي
من « العروة الوثقى » في لندن

* * *

في كتاب « اما وأما » لكيركيفور او كتاب « الوجود والعدم » لسارتر بحث عن السبل المفتوحة امام الانسان للاختيار . فهو يختار امرا من امور ثلاثة: ١ ــ اليأس، ٢ ــ الحرية ٣ ــ نفسه هو . وجميع هذه الامور لا تتعلق بالخارج وانما تتعلق بالانسان في داخليته ، وهي لا تتعلق ايضا بشيء معين ، كأن يختار الانسان التفاح بدلا من المشمش مثلا ، او ان يختار شراء بيت بدلا من شراء دكان ، او ان يختار سيارة دون اخرى . وهي ايضا لا تتعلق بالاخلاق ، لانها ليس فيها ما هو حق او باطل او هو خير او شر . وهي كذلك منفصلة عن الحقيقة او غير الحقيقة من ناحية موضوعية علمية ، لان الحقيقة او عدمها امر لا يكون خارجا من الانسان بل هو نابع من صميم الانسان ومن افكاره الخاصة ، كما بينا ذلك بالتفصيل من قبل .

واليأس الذي يختاره الانسان لا يكون يأسا بمعناه الوجودي الا اذا كان اليأس مقصودا ومعزوما عليه . وليس اليأس هنا معناه التسليم او الاستسلام ، وانما هو شعور عميق بفراغ هذا العالم من كل شيء له معناه بالنسبة الى الانسان نفسه ، شبيه بشعور المقدم على الانتحار . وهو يأس من نوع خاص ، ينقلب الى فرج او الى امل في النهاية : فهو اقرب ما يكون في هذه الحالة الى معنى القول المأثور « اطلب الموت توهب لك الحياة » ، او الى ما جرى للانسان في هذا العالم بعد ان تحقق من ان حياته مقضي عليها بالموت . فهو لا ينفك مقبلا على الدنيا كأنه يعيش ابدا . فاليأس الوجودي اذا بلغ منتهاه انقلب الى امل . والمثال على ذلك ما ذكرناه سابقا عن الشخص الذي يجد نفسه وجها لوجه امام اسد ضار ، او الشخص الذي يجد نفسه في سفينة قد اشرفت على الغرق، او الشخص الذي يئس من رحمة ربه بعد ان اقترف من الجرائم والمنكرات الشيء الكثير . وقد عبر عن ذلك الشاعر العربي بقوله :

وكل الحادثات اذا تناهت فموصول بها فرج قريب

او كقوله :

اشتدي ازمة تنفرجي ...

او قول الآخر :

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت اظنها لا تفرج

فالشخص الذي يجد نفسه في موقف حرج جدا يدرك قيمة وجوده وحياته ادراكا واضحا شديدا ، وفي تلك الحالة يشعر شعورا حادا بنفسه وبكينونته ، ويؤمن بحياته ، وهذا الايمان هو الذي يحول دون انقلاب اليأس الى يأس مطلق ، وهو الذي يزيد من تمسك الشخص بحياته ويخرجه من تلك الغمرة ، ويطبعه بطابع الوجودية. فالوجودي اذا استشعر اليأس بمثل ما يشعر به من يقع في موقف حرج او خطر جدا ، فانه انما يزيد من ادراكه لقيمة حياته ، ويشدد من حرصه عليها ، ولا يعود يهتم بشيء اخر سوى نفسه . هذه هي علامة الوجودي الصحيح . وفي حالة اليأس او حالة الحرج يعرف الانسان نفسه . والمهم في الامر كنه ان يعرف الانسان نفسه معرفة صحيحة ، كما يقول كيركيفور ، وهي دعوة الرومانطيقيين الاوروبيين في القرن التاسع عشر . والوجودي في هذه الحالة انما يدعونا الى مواجهةالحقيقة المجردة حتى نتوصل عن طريق الموقف الحرج الى انقلاب نفساني يخلق منا اشخاصا وجوديين لا يؤمنون الا بانفسهم ولا يقيمون وزنا الا لحيآتهم ، كلا بمفرده . وهذا شبيه بما كان الرواقيون عند الاغريق يدعون اليه .

والاختيار الثاني عند الوجوديين هو اختيار الحرية ، وهو اختيار لا مفر منه ، لان الوجودي لا يختار الحرية كما يختار سيارة دون اخرى او لباسا دون آخر او طعاما دون آخر ، وانما يختارها لانه ليس مخيرا في قبول الحرية او رفضها ، بل هو حر من اجل شيء واحد وهو قبول الحرية واختيارها ، وليس هو حرا في ان لا يكون حرا . ومعنى هذه الحرية التحرر من جميع القيود الاجتماعية والتاريخية والدينية والعلمية ايضا ، حتى لا يجد الانسان له ما يعتمد عليه او ما يسترشد به . وهنا يجد الانسان نفسه في موقف حرج جدا ويكون ، كما يقول الوجوديون على حافة الهاوية . في هذا الموقف يشعر الانسان بعذاب النفس او بشعور الكبد ، او الكمد. فهذا الشعور يختلف عن الخوف اختلاف اليأس الشديد او اليأس المطلق عن اليأس الخفيف او النسبي ، لان الخوف لا يكون الا من شيء معين يخاف منه او يخاف عليه ، كأن يخاف الانسان من اصطدام يقع له في سيارته في الطريق او يخاف على اسهمه في التجارة ان تخسر . ولكن الكمد شبيه بالقلق ، والقلق عادة لا يكون الا عن شيء مجهول يخشى من عواقبه، كالقلق الذي يستحوذ على الانسان اذا سافر له قريب عزيز ولم يسمع منه خبرا . فهو قلق، ولكن قلقه هذا ليس مبنيا على الواقع ، لان قريبه قد يكون قد وصل سالما، ومع ذلك فان الكمد ، في عرف الوجوديين ، يختلف ايضا عن القلق ، لان القلق لا يزال يدور حول شيء معين ، ولو ان هذا الشيء اقرب الى الخيال والوهم . اما الكمد فليس له غرض معين ، وانما غرضه هو عدم وجود الغرض المعين. فاذا نفينا عن شعور الكمد الاغراض المعينة المختلفة في الدنيا ، لم يبق الا شيء واحد وهو الغرض المطلق الذي نعني به الكينونة المطلقة . اي ان الانسان في حالة الكمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليس له غرض الا الاهتمام بالكينونة ، اي بكينونتـــه دون غيرها . واذا تخلى الانسان عن الاغراض الدنيوية الاخرى وحصر اهتمامه بنفسه ، فانه بذلك يجد نقطة مركزية يدور حولها وهي شخصيته ، ويجد ايضا موطىء قدم له يستقر عليه في هذا الوجود المتزعزع من كل ناحية . فنحن فـي الحقيقة نلعب الدور الذي لعبه « نارسيس » في الخرافة الاغريقية القديمة ، ودور « هاملت » في احدى روايات شكسبير في وقت واحد . فان « نارسيس » هـذا كان مغرما بنفسه ، في حين ان « هاملت » كان فريسة للافكار والهموم . ولكن هذا الغرام بالنفس ينقلب فيما بعد الى شيء آخر ، كما انقلب اليأس المطبق الى الامل والفرج . فالانسان ، وهو واقف على حافة الهاوية ، يساوره الكمد ويستحوذ عليه الهول ويستهويه حب المخاطرة بالقاء نفسه في الهاوية ، يشعر عندئذ بفورة من الشجاعة والاستسلام، فيقذف بنفسه عبر هذه الحدود الى عالم جديد . فهـذا التحول من حال الى حال هو ما يطلق عليه الوجوديون بكلمة (الوثبة) ، وهو ينقل الانسان الى موضع جديد مجرد عن كل ما قد يهتم به الانسان ، ويعود الامر الى ما عاد اليه في حالة اختيار اليأس وهو ان الانسان يصبح وحيدا مع نفسه لا غير .

والاختيار الثالث هو اختيار الانسان نفسه . وهذا مفهوم ضمنا مما قلناه من قبل عن الاختيارين الآخرين . والغاية من الاختيار الثالث هي ان يجعل الانسان همـه منصرفا الى نفسه ، فيجعلها نقطة الاتصال في جميـع الاحوال ، ومن هذه النقطة يكون تقرير الاعمال التي يقوم بها الانسان . وهذه الحالة هي التي يعبر عنها سارتر احيانا او الفرنسيون عموما بعبارة (الحرية المقيدة Liberté Engagée)

فمع ان الانسان ، في راي الوجوديين محكوم عليه ان يكون حرا ولا يستطيع ان يكون غير حر ، الا انه مقيد بان تكون هذه الحرية على اساسات معينة من الاختيار ، والجامع بين هذه الاساسات ان تكون شخصية الانسان شخصيـة موحدة ويكون المسلك صادقا مخلصا للنفس وفيه تقـدير للمسئولية . واهم شيء في ذلك ان يكون الانسان متطابقا مع نفسه متوحدا معها ، تلك النفس التي صنعها هـو وكيفها باختياراته الحرة المسئولة . هذا التطابق هو الذي يسميه الوجوديون بالاصالة . وكلما كان هذا التطابق وثيقا كانت الاصالة شديدة . واذا كان لكل شخص اصـالته فان الهوة تتسع بين الشخص والآخر ، ويصبح المجتمع عبارة عن افراد منقطع الواحد منها عن الاخر ، ويكون الفرد في هذا المجتمع في معزل عن الفرد الاخر . وهنا يعيش الانسان في وحدة كاملة لا يعرف عن غيره الا القليـل . وهذا ما شكا منه الرومانطيقيون في اوروبا في القرن التاسع عشر ، وما أشار اليه الفيلسوف « نيتشه » حينما قال أن الانسان يكون وحيدا في عليائه . والوحدة توجد الوحشة ، ويكون الوجوديون بذلك قد ساروا في حلقـة مفرغة . فهم ارادوا الخروج من الوحشة التي يعانيهـا الانسان الحاضر فعادوا ووقعوا فيها .

ولكن الامر المهم الذي يخطر في البال هنا هو هـذا الاختيار وذلك التصميم على الاختيار . فهل يمكن لهـذا الاختيار ان يكون حرا خالصا من التأثيرات المحتومة ؟ نعم ان الوجوديين لا يعنون بالاختيار اختيار شيء معين وانما يعنون به الاختيار المجرد الحر ، ولكن هل لهذا الاختيار وجود في الواقع ؟ المفهوم أن معنى الحرية في هـذه المناسبة على وجهين : حرية الاختيار او اختيار الحرية . ومعنى الحرية بصورة عامة هو العمل والسلوك بارادة حرة، ولكن هذه الارادة يجب ان تستمد الالهام من الطبيعـة والسجية الخاصة للانسان اي مـن الحقيقة أو الماهيـة الوجودية ، وذلك لكي يختار الانسان شيئاً يخالف طبيعته. فالحرية من هذه الناحية مقيدة بقيد داخلي . ثم ان الموقف التاريخي الذي نجد انفسنا فيه هو قيد يصعب التحـرر منه . وهذا قيد خارجي . ولكن الوجوديين لا يعترفون بوجود ماهية او طبيعة فطرية خاصة بالانسان ، ولا يعترفون ايضا بالموقف التاريخي . ولذلك فانهم ينزعون عن الانسان اية علامات خارجية يهتدي بها أو دوافع داخلية يستلهمها، وكل ما يقولونه هو ان الانسان حر ، يجب ان يختار ، ويجب ان تكون حريته هي الحرية الصحيحة وان يكون اختياره الاختيار الصحيح . ولكنهم ينزعون عن الانسـان اية صفة ملموسة تمكن معرفته بها ، فكأن الانسان خيال حائر ، كلما حاولت التعرف به او التحقق من هويته راغ منك واختفى . فكل شيء هو لا شيء . وهذا معنى قول فيلسوف الوجودية « هايدكر » : « العدم في صميم الوجود يحلل الكينونة الى العدم . » وهذا هو معنى قول سيمون دي بوفوار : « انظر الى نفسي في المرآة عبثا ، واحكـي لنفسي حكايتي ، ولا أستطيع ابدا ان ادرك نفسي كما يدرك الشيء بكامله ، وانا اشعر في نفسي بذلك الفراغ الذي هو نفسي ، واشعر انني غير كائن . » ومعنى ذلك ان الانسان يعيش في عالم اللاشيء داخليا وخارجيا ، وهو الفراغ الذي يبتلع كل شيء . في هذا الفراغ يجد الانسان نفسه وحيدا ، وفي هذا الفراغ يجب عليه أن يختار ماذا يعمل حتى يكون نفسه ويكون المجتمع الذي يعيش فيه . ويصف « سارتر » هذه الحالة بقوله : « اذا لم يكن للانسان الا أن يصنع نفسه ، واذا كان في صنعه لنفسه مسئـولا عن العنصر البشري باجمعه ، واذا لم تكن قيم او مبادىء او اخلاق مقررة سابقا ، ولكن اذا كنا في كل حالة مضطرين الى اتخاذ قرار بانفسنا وجدنا بدون اساس وبدون هداية، فكيف لا نشعر بالقلق والهم حينما نقدم على العمـل ؟ وكل عمل من أعمالنا يضع في الميزان معنى العالم وموقع الانسان في هذا الكون ، وبكل عمل من هذه الاعمـال ، ولو عن غير قصد منا ، نؤلف معيارا للقيم العالمية العامة ، فكيف يمكن ان يظن اننا لا يتملكنا الخـوف امام هـذه

المسئولية الكلية ؟ » وهنا يرى سارتر ان انسانا بمفرده يستطيع ان يقرر بالنيابة عن العنصر البشري ، وان مسئوليته في ذلك مسئولية كلية . فهل هذا الرأي مطابق للواقع ؟ لان الانسان قد يعمل ما يضر وما ينفع ، ما دامت القيم والاعتبارات التاريخية العرفية غير موجودة . ثم ان الانسان قد يتقلب في سلوكه من وقت الى اخر ، وفي المواقف المهمة . فالفيلسوف هايدكر كان نازيا في زمان هتلر مدة من الزمان ، ثم انقلب على النازية ، والفيلسوف سارتر كان شيوعيا ثم تحول عن الشيوعية . ولهذا يقول سارتر : « انا موضوع بحيث اضطر الى اختيار نفسي على الدوام » اي ان الاختيار لا يلزم الانسان الا لبرهة قصيرة من الزمن. فالانسان عند الوجوديين في اختيار مستمر ، ولكنهم يقولون ان هذا الاختيار لا يقرره مبدا سابق او طبيعة بشرية . وهنا قد يختلف الكثيرون مع هذا الراي ويقولون ان الانسان في سلوكه العادي يسير بوحي من طبيعته . فالاختيار الحر بالمعنى الصحيح او حرية الاختيار بالمعنى الصحيح لا وجود لهما في الواقع ، وانما يتأثر الانسان بطبيعته الحقيقية . وعلى كل فان معنى الحرية من ناحية اجتماعية او دينية او فلسفية فيه اختلاف كبير . ولعل الكلام باختصار عن الاختلاف بين هيكل الالماني وكيركيكور الدانماركي يعطينا طرفا من ذلك .

يرى كيركيكور كما يرى غيره من كبار الوجوديين ان كينونة الانسان الشخصية لا يمكن تحقيقها الا اذا كان الانسان حرا ، والحرية مع المسئولية هي ماهية الشخصية التي يتصف بها الفرد وحده دون غيره . ولما كان الانسان في نظر الوجوديين هو الذي يخلق نفسه على الصورة التي يريدها بعد مجيئه الى هذه الدنيا في فترة العمر القصيرة ، فان على هذا الانسان ان يستعمل اقصى ما يمكن من الحرية بدون التقيد بشيء ، كما ذكرنا سابقا . اما هيكل فكان رايه خلاف ذلك ، بل كان على النقيض منه ، وكانت هذه الناحية من جملة النواحي التي يقوم عليها الخلاف بين هيكل وكركيكور . فهيكل يرى ان الحرية صفة مقصورة على الله وحده ، وان الفرد اذا اراد ان يكون حرا يجب عليه ان ينخرط في سلك الدولة او المنظمة الاجتماعية التي يعيش فيها وان يخضع لقوانين هذه الدولة او المنظمة لان قوانينها تعبير عن ارادتها ، وارادتها صورة من الارادة الالهية . فالانسان في الحقيقة في راي هيكل حر في مجال معين محصور ، والروح التي تحل في نفس الانسان هي جزء من روح الامة ، وهذه الروح جزء من الروح الالهية . فالافراد الذين يؤلفون امة او مجتمعا يستلهمون كينونتهم الحقيقية من روح تلك الامة او ذلك المجتمع ، وهذه الروح هي التي تطبعهم بطابعها الخاص . ومعنى ذلك كله ان الانسان في راي هيكل يكون حرا حينما لا يكون حرا . ثم ان هيكل لا يهتم بان يكون لكل فرد كينونته الشخصية الخاصة ، بل يرى ان المهم هو معرفة الفكرة الكلية للانسان وليس معرفة الخصوصيات والجزئيات عن كل انسان بمفرده . وهذا يتفق مع فلسفة هيكل التي تهتم بالماهية دون الوجود وتهتم بادراك الافكار الكلية ، ولا تبالي بهذه المظاهر التي ندركها عن طريق الحواس في الحياة ، وتبالي بالحقيقة الكامنة وراء هذه المظاهر مثل الجواهر والماهيات التي مهما أوغل الانسان في البحث للوصول اليها لا يجد في النهاية الا ان هذه الحقائق الاساسية لا توجد الا فكريا في الذهن . ومن هنا جاءت فكرة هيكل بأن الحقيقة عبارة عن فكرة او شيء عقلي فقط . وهذه الفلسفة العقلية هي التي ثار عليها الوجوديون وفي مقدمتهم كركيكور ، وعدوها بانها تنقل الانسان الى مجال التصورات العقلية بدلا من ان تنقله الى مجال المحسوسات .

ومن آراء هيكل ايضا ان الانسان يؤدي واجبه في هذه الحياة بتسيير من الروح الالهية المخامرة لكل شيء في هذا الوجود ، وان الانسان مقيد بروح الزمان الذي يعيش فيه، وخاضع لارادة الشخصيات التاريخية العالمية التي تقرر مجرى التاريخ في الادوار المختلفة بوصفها واسطة من وسائط الله في التحكم بهذا العالم . وهنا يختلف كركيكور عن هيكل اختلافا آخر ، وهو ان الانسان في رأي كركيكور فرد مستقل بنفسه يهتم بكينونته الخاصة ولا يهتم بمجرى التاريخ الكوني العام الذي يتكلم عنه هيكل . ثم ان هيكل ينزع عن الانسان مسئولياته عما يجري في هذا العالم ولا يجعل له وضعا يحاسب عليه . وهذا في راي كركيكور انقاص من مقام الانسان يجب تعديله بل يجب رفضه . لان الانسان بحكم حريته المطلقة واستقلاله بنفسه مسئول عن اعماله ، ليس فيما يتعلق بنفسه وحده ولكن فيما يتعلق بغيره ايضا . ويختلف كركيكور كذلك مع هيكل في ناحية اخرى ، وهي ان من صفات الانسان المستقل الحر ان تكون قراراته من وحي نفسه بدون ارشاد او ايعاز . وهنا يظهر ان هيكل ينزع عن الانسان هذه العفة ويجعله آلة في يد (روح الزمان) او ريشة في مجرى التاريخ ، لا يستطيع تثبيت شخصيته ولا تكوينها بحسب ما يريد .

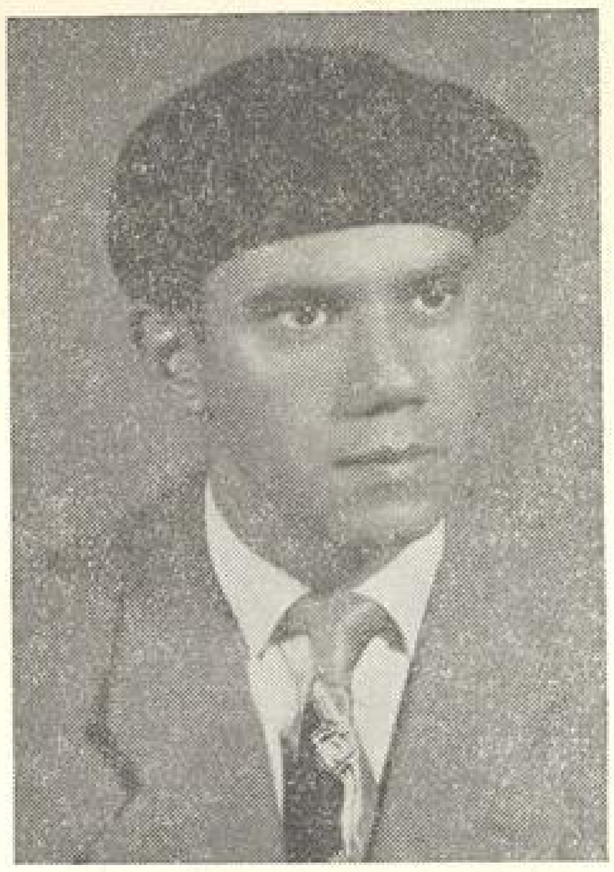
لنـدن **حسن الكرمي**

اشتركوا

في مجلة

الاديب

تساهمون في نشر الثقافة



محمد احمد العزب

محمد العزب شاعر العواطف الانسانية

بقلم محمد رجب البيومي

* * *

كنت اثناء انعقاد المؤتمر الوطني بالقاهرة ارقب شاشة التليفزيون لارى واستمع النقاش الدائر بين الاعضاء والمسئولين ، وقد لفت نظري شاب جريء قام يناقش السيد نائب رئيس الجمهورية في بعض مشكلات الطلاب ، ويدافع عن رأيه في حرارة واخلاص ، وكان اسلوبه الادبي في الذروة الممتازة من القول ، فخيل الي اني اعرفه ، واخذت اتفرس في ملامحه حتى سمعت المقدم يذكر انه محمد احمد العزب !!

رجعت بي الذاكرة قريبا الى ايام المنصورة حين كان العزب طالبا باحد معاهدها وقد طارت له سمعة ادبية بين زملائه واساتذته اذ كان يغشى المنتديات الادبية محاضرا ومعلقا ، ويراسل المجلات شاعرا وناقدا ، وما اتم دراسته في معهده حتى ارتحل الى اكمالها بالقاهرة ، فوجد متنفسا فسيحا لمواهبه ، واذكر ان جمعية الشبان المسلمين ظلت بضعة اعوام ، ومنصة مركزها الرئيسي بالقاهرة ، في ندواتها الاسبوعية لا نخلو من حديث او قصيدة للاديب الشاب ! وقد كان من مواهبه المتعددة موهبة الارتجال الخطابي البارع ، فجلى كثيرا وحلق ، ومن حسن حظه انه كان شاعرا في خطابته ولم يكن خطيبا في شعره ، فدوت له شهرة كبيرة بين المستمعين ، وتلقفته الاندية الاخرى في شوق واهتمام .

نشأ الاديب محمد العزب في احدى قرى الدقهلية ببلدة يكثر فيها عشاق الادب والشعر من اصلاء ودخلاء ، ولي باكثرهم صلة تجعلني احكم على انتاجهم في ارتياح صادق، وطبيعة هذه البيئة المتطلعة للثقافة ان يكثر في ابنائها التنافس الحميد ، والتسابق السار في مضمار الثقافة ، فما يأتي يوم الجمعة حتى يعود اليها اكثر طلاب المدارس والكليات من اشبالها ، وتنتهز المناسبات دينية وسياسية للقول ، فكم من شاعر وكم من زجال وكم من خطيب ، وقد كان للاستاذ العزب على حداثة سنه سبق رائع في بلدته ، حتى اجمعت الكثرة الكاثرة على نبوغه المبكر ، وارهصوا له بالمستقبل اللامع المرموق . ومرت الايام فاظهرت سبقه بوضوح وجلاء حتى صار ـ حرسه الله ـ من نوابغ الشباب لا في قريته الصغيرة بل في العالم العربي بما ينتج ويذيع !

وقد كانت المسابقات الادبية منفذا شريفا اجتاز منه الشاب طريقه الادبي ، اذ اعتاد المجلس الاعلى للفنون والآداب أن يوالي مسابقات الشباب الجامعي في شتى مناحي القول ، واعتاد الاستاذ العزب أن يسهم بانتاجه فكان الظفر حليفه، ورددت الجرائد اليومية انباء اكتساحه السباق ، حتى ظهرت جريدة الجمهورية ذات صباح تحمل صورته وقد كتب عنه انه سيجلس في المستقبل مكان العقاد بعد ان سردت ما نال من جوائز متكررة !! توجت جميعها بفوزه الظافر في مسابقة المجمع اللغوي بمصر حين تقدم اليه بديوانه الشعري « ابعاد غائمة » فكان احد ثلاثة كتب لهم التوفيق ولعله ارقهم شاعرية واوقدهم عاطفة !! ولم يقتصر على مسابقات الادب في المجلس والمجمع بل اتجه الى مسابقات الدراسات العلمية التي يقيمها المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بوزارة الاوقاف ! وكان الفوز نصيبه الميمون ايضا ، ويعلم الذين يخوضون هذه المسابقات انهم يعانون رهقا بالغا في ابحاثهم اذ ان الموضوع يفرض عليهم فرضا ، وهم مكلفون بدراسته واستيعابه على وجه ممتاز يكفل لهم النجاح مهما كان بعيدا عن مجالهم الفكري ! ولكن الثقة في الله والتمرس بالنضال تدفعهم الى العمل ، ولعل الاستاذ العزب قد حمد السرى حين وجد بعض بحوثه العلمية تطبع في كتب خاصة يصدرها المجلس الاسلامي الاعلى بوزارة الاوقاف ويذيعها على الناس .

والقراء ليسوا بحاجة الى التعرف على انتاج العزب فمنذ سنوات وصحف الادب بمصر والعالم العربي تفوح بآثاره وفي مقدمتها الرسالة والثقافة والاديب والشعر والعربي وحوار الى ما لا اعلم ، وقد حرص المجلس الاعلى للفنون والآداب على اذاعة شعره فنشر للناس ديوانه «ابعاد غائمة» منذ ايام ، ووقعت في يدي نسخة منه فراقني ان اقول عن الشاعر بعض ما اعرف ، مسجلا ما انطبع في نفسي عنه ، ولئن كنت انظر اليه بعين الاعجاب فيعلم الله اني لم اتحيز له في شيء ولكني انقل عن خاطر مخلص واحساس امين ...

محمد العزب شاعر العواطف الانسانية ! لانه يتغلغل باحساسه الى مواقف الروعة في الحياة فيصورها كما تجيش في اعماقه وتتسرب في طواياه ! ولقد كان حظ العواطف الاليمة من انتاجه اكثر بمراحل عدة من حظ العواطف السارة ، اذ ان آهة واحدة من حزين بائس ترج مشاعره رجا ، فاذا طرقت مسامعه زغردة مرحة تجاهلها او حاول ، ولا يصدر الشاعر في ذلك عن خطة مرسومة تدفعه الى لون معين من القول ولكن ظروف بيئتهومشاهداته جعلته ينفعل بالالم ، ويتملاه محللا مصورا ولا يستريح حتى يعرضه في لوحاته الشعرية ، فكما ينظر الى بكماء او صماء او عمياء فتدمع عينه وينفطر فؤاده ، فانه اذ ذاك يجتر لواعجه اجترارا ليهدىء احساسه المشتعل بتصوير خواطره في ابيات ، وما ابياته الا دموع تتقاطر ، فتهدهد الحزن وتدعو الى العزاء !

تمر به بائعة اليانصيب في اسمالها البالية يكاد ينطفىء شبابها الباكر تحت هبات الجوع والحرمان ، تبيع اليانصيب لتسعد المحظوظ دون ان تستطيع لنفسها سعادة وقد مشت حافية في الدرب الذي يكاد يقيء خيالها بينما يمر بها المتعاظمون لاعنين صافعينيسبونها في وقاحة ويشيعونها بالاشمئزاز والتقزز ، وما احد احس بمأساتها غير هذا الذي شده بازائها ، ونظر اليها مأخوذا ذاهلا ثم رجع الى خواطره النآقمة لينقل عنها قوله :

مشت في الدرب حافية يقيء خيالها الدرب
ويا كم نام في يدها وفوق ذراعها حدب
ومات فليس للطاوين في اوهامنا قلب
دمى صخرية الاشواق لا تهفو ولا تصبو

تبيع اليانصيب ولا نصيب لها وتنطلق
وتوشك ان تبيع سواه راغمة وتحترق
فخلف جدار بسمتها يصيح الجوع والارق
وتبكي قصة بيضاء خط سطورها العرق

هنا كل الدروب السود تعرف ظلها الساري
تضيق بخطوها المذعور يصفع صمتها الضاري
فكم طافت هنا حيرى بلا اهل ولا دار
وكم رسمت على الجدران ظل ضياعها العاري

ويا كم جن في فمها سؤال عاش يضنيها
ترى اين التي ستفوز ان سعادتي فيها
ويعييها الجواب فتلقف الاوراق تحصيها
وتمضي للطريق الجهم تطويه ويطويها

وتضع له المقادير تجاه شباكه فتاة عانسا تنتظر القادم الحبيب في لهفة واستبطاء وتخذلها الاعوام على طولها الممض فلا تترك لها غير الفراغ الجهم ، والوحشة القابضة ، والشاعر من وراء الايام والشهور يرصد انفعالاتها الثائرة وسخطها المتبرم، ويشفق عليها بادىء ذي بدء ثم تستشري النقمة في صدره اذ يتحول الاشفاق حزنا على اللهيفة الضارعة ، وأسى لاهبا على كآبتها الموحشة ، وهما كاويا يفري طواياه ! كأنه وحده دون الناس مسئول عن تعاستها وحرمانها ! وتفور أحاسيسه راغية هائجة ، فينقل عنها ملحمة مروعة رائعة قرأتها عدة مرات فعلمت اي بركان يضطرم في صدر هذا المشفق الحزين ، ولا ادري كيف انقل هنا بعض ابياتها ، فالقصيدة سبيكة ملتحمة ذات وحدة لا تقبل الانفصام ؟ لقد اعتاد محللو الشعر التقليدي ان يقدموا البيت او البيتين في مجال الاستشهاد مكتفين من لآلىء القلادة بما أحاط بالعنق ، ولكننا مع شاعر مجدد ذي وحدة فنية ، وامواجه النفسية تتلاطم في تتابع بحيث لا تنفصل موجة عن موجة ! اننا حين نجتزىء بالبعض مضطرين نظلم الشاعر ونغبنه ، وعزاؤنا انه ظلم لا حيلة لنا فيه فليس من المستطاع ان ننقل الديوان في مجلة او الملحمة في بحث ! وليحسبها القارىء في وضعها الاخير زهور مبعثرة تومىء الى روض ناضر بعثرتها عنه قسوة الريح ! هذه العانس الحزينة تخلو الى نفسها لتقول عن املها البعيد :

ربما ينسل من خلف مجاهيل المدى
ليدق الباب دقات رقيقات الصدى

آه كم يشتاق قلبي نقرات من يديه
وجداري الساهم الظمآن كم يهفو اليه

كل ما في البيت مشدود الذراعين يصلي
مخدعي الباكي ، انماء الزهر ، احلامي وظلي

مثل ما بالرمل من توق الى سيب المطر
مثل ما باللحن من شوق الى بوح الوتر

مثل ما بالزورق المجروح من حب القرار
من لهاث الشوق للشاطىء في ليل البحار

بي اليه غير اني لا ارى يوما خطاه
تزرع الفجر على درب جراحي لا اراه

خلف بابي الف حلم يخفق الوهم صداها
الف غصن يحرق الجوب براعيم صباها

وسريري كم على صدر سريري بت عبرى
أحضن اللاشيء أمتص عذاباتي حيرى

أتمنى في ظلال الصمت اطياف لقاء
تحت كرم هارب خلف متاهات الفضاء

ارتمي تحت خطاه طفلة الشوق سليبه
وهو يدعوني الى دنيا انطلاقات غريبه

فارسي الموعود يا حلمي ويا فجري الظمي
اذرعي تدعوك من خلف الضباب المعتم

الطريق

طريق طويل
هذا الذي نسير فيه جماعات وافرادا
الى اين ؟... لا ندري
هذا يبتسم وذلك يبكي
يسقط حولنا افراد
ونحن نسير .. لا ننظر الى الوراء
يتخلل هذا الطريق مفاجآت
تارة سارة واخرى حزينة
الزهور تنبت بشكل فجائي امامنا
كانها جنيات سعيدة معطاء
والاشواك تحفر في اقدامنا اخاديد
تتقاذفنا اربعة فصول .. تلوننا بالوانها
الربيع يثيرنا ، يفتق فينا اغصانا خضراء
والصيف يملؤنا بالمحاصيل
لياتي الشتاء فيسرقها منا
حياتنا مفاجآت ، والوان وصور .

حلب — تيماء الناصر

اذرعي المصلوبة العذراء تدعوك فهيا
كن كما شئت اذا اقبلت صلدا او سخيا

الذي اشتاقه ان تطرق الباب وتدخل
باحثا عني عن الكرم الذي اوشك يذبل

وهكذا يسير الشاعر بلوحاته ليرسم مع رائعة البانصيب وعانس الشرفة صبي الكواء والشاعر المسروق من نشال ، والعائشة على الجليد ، والشهيد الذي تحتضن امه جثته، واللاجيء الفلسطيني المشرد ، والزوجة العاقر التي لا تلد ، والمشردين على الرصيف من ابناء السبيل !

واذا كان هؤلاء جميعا يحسون بآلامهم ، فالشاعر في كثير من سبحاته ، يتألم لمن لا اخاله يتألم ، فالخادمة حين تلبس فستانا جديدا ذا الوان زاهية قد تكون فرحة مختالة لان فتى احلامها خادم مثلها، ولكن الاستاذ العزب لا يفترض ذلك بعاطفته الحساسة المطبوعة على الآهة والالم ، بل يرى ان صاحبة الفستان الجديد ذات عذاب مبرح ، فالناس يعرفون ضعتها فلا يلتفتون الى جمالها ، تمر فلا يشهق درب ولا يلتفت جيد ولا تقف الابصار ذاهلة كما تقف للمغير هذا الذي يحسن الشاعر ان يتكلم عنه ، ويبدع في تصويره الادبي اذ يقول على لسان الخادمة :

فستاني سبعة الوان ما اجمل لون الفستان
تمتد خيوطه منه تداعب ربوة صدري الجوعان
ويلف يلف على خصري نزقا كالطفل النشوان
واذا امشي تنهدل منه شفوف ربيع فتان
وانا ارقبه أتحسى فيه حرمان الحرمان
جوعي ، والخصب ربيع الارض مشاتل ورد ريان
فستاني يا اجمل لون عني لمساني اليقظان
هل تدري في توقي للقائك جبت فضاء الاكوان
عانقت الحب وعانقني ورفضت الوف الفرسان
وحلمت بمن يهواك علي بمن يسترحم احضاني
لكنك يا فستاني جئت وارهق يومك وجداني
فالشارع كان يمور وليس يحس برجفة بركاني
لم يشهق درب لم يشهق بشر بنشيد استحسان
لم تقف الاعين ذاهلة لم تجمد حتى لثوان
فتهدم قلبي وارتعشت ابعاد زماني ومكاني
فستاني حلو لكني انا فيه بقايا انسان

وكذلك يرى فتاة تتعلق بذراع شاب عابث ، وقد تكون في نفسها سعيدة غافلة عن غدها المؤلم ، فتتأجج البراكين في صدر الشاعر ويعجب للاهبة المخدوعة ، خدرتها بسمات غادرة ماكرة ويصيح في ذعر الخائف من وقوع كارثة محققة :

هو كاهن حب يا حسناء وصانع كلمات حلوه
ماتت في كفيه شموع وتلاشت كبقية غنوه
وترامت تحت خطاه زهور كانت تحلم بالربوه
هو ذئب ينتهب الاعراض ويرقص يرقص في نشوه

هو ريح صفراء الاشواق تدف لعربدة النهر
للهمس الحلو لرحلة ظل القبل على الثغر الوردي
لشرود غدائرك السمراء هناك على شفق الخد
والزهرة ان لم تحرسها الاشواك اذلتها الايدي

آفراك بكلمات الحب المنغومة هو عاشق قبله
لو كان يحبك كان يصونك كان يضيء ثراك بشعله
فالحب صلاة بيضاء الاصداء وليس هوى ليله
وصديقك وثني الاشواق يقدس جسمك يا طفله

وكم اتمنى ان اسير مع الشاعر فانقل عنه وانقل، ولكن حسبي ان اشير !

على ان آخر ما قرات له رائعة بديعة تحت عنوان ثلاث اغنيات لخطيبي بمجلة الشعر (ابريل سنة ١٩٦٥) جعل الاغنية الاولى عن خواطره قبل اللقاء ، والثانية عن امله الحالم والثالثة تتحدث عن عواطف اللقيا ومشاعر الانس ، واذكر ان صديقي الاديب المتذوق الحاج علي احمد عبد المالك قد قراها واندفع يقرظ ويثني ما استطاع ! اما انا فقد وقفت عند قوله :

حدثني عنك صديق يرعى ودينا
يخلص يا حبي لكلينا
فقطعت اليك الابعاد
صيادا يلتهم الآفاق بنظرة هدب صياد !

ثم قلت في نفسي : الا يستطيع الشاعر ان يحب حتى يبحث له صديق عن حب ! ومتى كان الحب نتيجة لمسعى صديق يخلص الوداد ؟ واين هذا الصديق النادر ؟ ليتني اعرف اسمه .

الفيوم ـ دار المعلمات — محمد رجب البيومي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

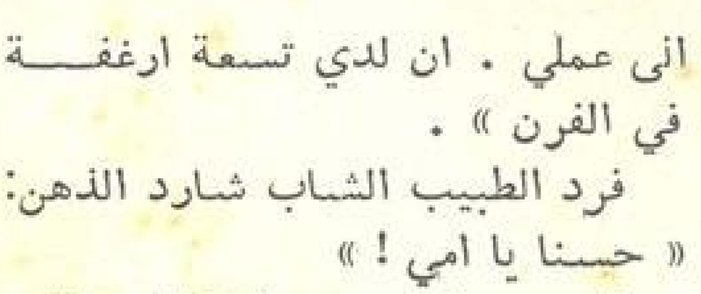
الذبابة الخضراء

للكاتب المجري كالمان ميكزات

ترجمها عن الانجليزية

عيسى الناعوري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



اصيب القروي العجوز ، اغنى اهل القرية ، بمرض افضى به الى حافة الموت . لقد قضى الله بان يجعل منه عبرة للجنس البشري :

ـ « انظروا الى جون غال . ماذا تظنون انفسكم ايها البشر الفانون ؟ انكم لستم شيئا . ان جون غال الآن شخص له اهميته حقا ، فحتى قاضي الولاية كثيرا ما يصافحه ويهز يديه ، وكونتيسات القرية يأتين لزيارته . انه اغنى واحد فيكم ، ومع ذلك فان في وسعي ان ابتليه. لم اشأ ان ارسل اليه ذئبا جائعا ليعضه ، ولا شئت ان اقتلع سنديانة ضخمة وادعها تسقط عليه وتسحقه ، بل قامت بالمهمة ذبابة حقيرة » .

وذلك ما حدث فعلا : فقد عضت يده ذبابة ، وسرعان ما تورمت وقاحت واخذت تزداد سوءا واحمرارا . واستطاع الكاهن وسيدة القصر ان يقنعاه باستدعاء الطبيب . وكان يود ان يدعوا له الجراح ، ولكنهما زينا له ان يبرق مستدعيا احد الاخصائيين من بودابست . واختير البروفسور بيرلي . ان زيارة واحدة منه تكلف ثلاثمئة فلورين ، ولكن هذا المبلغ يكون قد انفق في وجهه الصحيح .

فقال الفلاح : « كلام فارغ ! فان لدغة ذبابة حقيرة لا يمكن ان تؤذيني بما يساوي ثلاثمئة فلورين ! »

فاصرت الكونتيسة ، وعرضت عليه ان تدفع هي نفسها اجرة الطبيب . وهكذا نجحت الحيلة ، فلقد كان جون غال فلاحا معتزا بنفسه . وارسلت البرقية ، وجاء شاب نحيف ، على عينيه نظارتان، لا يوحي منظره بالهيبة على الاطلاق . لقد وصل في عربة كانت قد ارسلت لملاقاته في المحطة .

واستقبلته على الباب السيدة غال ، زوجة الفلاح العجوز الشابة ، وسألت : « أانت الطبيب الشهير القادم من بودابست ؟ تفضل والق نظرة على زوجي . لقد اقام الدنيا واقعدها من لدغة ذبابة في يده ، كأنما الذي عضه فيل ! »

كان هذا غير صحيح على الاطلاق، فان جون غال لم يقل كلمة واحدة ، ولم يذكر لدغة الذبابة الا حين كان يسأل عنها ، وحتى عند السؤال كان يجيب باقتضاب شديد . ولقد لزم الفراش دون مبالاة او اكتراث ، وكان رأسه يستريح على جلد خروف ، وغليونه في فمه .

وسأل الطبيب : «ما بك ايها الرجل الشيخ ؟ لقدعلمت ان ذبابةلدغتك !» فاجاب الشيخ من بين اسنانه المطبقة على الغليون : « هذا هو الواقع » .

ـ من اي نوع من الذباب كانت ؟

فاجاب باقتضاب : «ذبابة خضراء»

فقاطعته المرأة قائلة : « امض انت في استجوابه ، فعلي ان انصرف انا انى عملي . ان لدي تسعة ارغفة في الفرن » .

فرد الطبيب الشاب شارد الذهن: « حسنا يا امي ! »

فارتدت نحوه حالا كالمدوغة ، ويداها الى خصرها ، وقالت في غيظ وغنج معا : « ماذا ان لك انت من العمر ما يجعلك ابا لي ... يبدو انك لا ترى جيدا بهاتين النافذتين اللتين في مكان العينين منك ! »

واستدارت الى الخلف حالا ، فدارت التنانير المنشاة كالريح وهي تمضي خارجة ، منتصبة القامة ، في زهو الشباب وقوته وعنفوانه. وتبعها الطبيب بعينيه . لقد كانت جميلة جمالا شيطانيا ، واصغر كثيرا في سنها من الطبيب ، وطبعا كانت اصغر جدا من زوجها .

وهم بان يقول كلمة اعتذار ، غير انها كانت قد غابت قبل ان يفوه بكلمة .

ـ حسنا . دعنا نرى اليد . أتؤلمك كثيرا ؟

فكان الجواب : « نعم ، انها تؤلمني ألما غير قليل » .

ففحص الطبيب اليد المتورمة بالقيح ، فبدت على وجهه دلائل الالم والامتعاض .

ـ سيئة جدا . لا بد انها كانت حشرة سامة .

فقال جون دون اي تأثر : « ربما ! يمكنني ان اقول انها لم تكن من النوع العادي » .

ـ لقد كانت ذبابة آتية من جيفة نتنة .

وكان كل ما فاه به جون غال لهذه المعلومات لعنة صامتة .

ـ من حسن حظك انني وصلت في الوقت المناسب . ما يزال في وسعنا ان نفعل شيئا ، اما غدا فسيكون متأخرا جدا ، وربما تكون قد قضيت قبل وصولي .

فقال الفلاح وهو يضغط على التبغ بابهامه داخل الغليون : «هذا غريب!»

ـ تسمم الدم يسري سريعا . ليس لدينا وقت نضيعه . عليك ان تقوي من اعصابك ايها الشيخ ، لان ذراعك لا بد من ازالتها .

فسأل في دهشة وشيء من السخرية ، وفي كثير من الاستسلام : « ذراعي ؟ »

ـ نعم ، لا بد من ذلك !

فلم يقل جون غال شيئا ، بل هز رأسه فقط ، ومضى يتابع التدخين ، بينما مضى الطبيب يتابع الكلام محاولا اقناعه: «ان هذا لن يوجعك . سأنومك اولا ، وعندما تستيقظ تكون قد نجوت ، والا فستكون في مثل هذا

الوقت من الغد قد قضيت كما يقضي الفأر ، ولن يستطيع غير الخالق ، سبحانه ، ان ينقذك » .

فقال الفلاح كأنما اتعبه هذا الكلام الكثير : « اوه ! دعني وحدي ! » ثم استدار نحو الحائط واغمض عينيه.

لم يكن الطبيب مستعدا لمثل هذا العناد الحرون ، فترك الغرفة ومضى ليتحدث في الامر مع المراة .

فسألته بكل ما استطاعت من عدم المبالاة ، وهي ما تزال منصرفة الى عملها دليلا على استخفافها بالطبيب : « كيف حال زوجي ؟ »

ـ سيئة جدا . لقد جئت الآن لكي اطلب اليك ان تقنعيه بان يأذن لي بقطع ذراعه .

فصاحت وهي ترتد نحوه في مثل بياض الفوطة التي امامها : « اعوذ بالله ! اليس من ذلك بد ؟ »

ـ ان لم نفعل ذلك فسيموت خلال اربع وعشرين ساعة !

فاصطبغ وجهها بالحمرة وهي تمسك بالطبيب من ذراعه وتجره الى غرفة المريض ، وهناك قالت له ويدها على خصرها : « هل ترى شكلي شكل امراة ترضى بأن تكون زوجة رجل مقطوع الذراع ؟ افضل ان اموت خجلا . فاهم ؟! حسبك أن تنظر اليه !... » ثم التفتت الى زوجها وصرخت قائلة : « لا تأذن له بان يقطع ذراعك ، يا جون . لا تحاول ان تصغي اليه » .

فنظر اليها الفلاح العجوز نظرة مودة ، وطمأنها قائلا : « لا تبالي ، يا كريسكا ، فلن يكون هنا جزارون ولا ذبح ، وليس في نيتي ان اموت اجزاء ! »

وعبثا حاول الطبيب ان يحدث الرجل العجوز عن ظلمة الموت ، وعن جمال الحياة ، وعبثا استدعى الكونتيسة من القصر لكي تدافع عن وجهة نظره، وكذلك الخوري ،وجميع الخطباء المفوهين والشديدي الاقناع في القرية . لقد ظل جون غال على عناده ، يأبى ان يقطع جزء من جسده. ان الخضوع الذي يلاقي به الفلاح الموت، دون مرارة ، ودون لوم، ودون دموع لا جدوى منها ، كان يتجلى كاملا في الهدوء البادي على وجهه وفي نبرات صوته . ان الموت لا يثير في نفسه شيئا من معاني الخوف . اذا كان اجله قد دنا فانه مستعد للذهاب ، كما ذهب من قبله ابوه وجده .

كان واضحا ان لا فائدة ترجى من التوسل الى الرجل العجوز لكي ينقذ نفسه . الا ان الاهتمام العظيم جدا الذي كان يبديه الطبيب المهووس لم يلبث ان لامس قلب الرجل ، فرثى لاضطرابه، وتألم كثيرا لان هذا الرجل كان حزينا الى هذا الحد . وبشيء يجمع بين السخرية والحزن شاء ان يؤاسي الطبيب .

وفجأة تذكر الطبيب ان اعتبارات المال قد تفعل فعلها في الفلاح ، فقال :

ـ « انت لا تعرف انه لا بد لك من دفع الثلاثمئة ، سواء اقطعت ذراعك ام لم تقطعها . وانه لتبذير للمال ان لا تدعني اجري لك العملية . انها لا تستغرق اكثر من خمس دقائق » .

فقال الرجل بهدوء تام ، كأنه يساوم على شراء حذاء : « في وسعك ان تصف لي اي دهون ، لا لشيء الا لكي تستحق اجرك » .

كان الحديث دون جدوى . فخرج الطبيب مغتاظا فاشلا ليسير قليلا ويفكر في الامر ، ويتناقش في المسألة مع بعض عقلاء القرية . ولقد وجد ان من الخير على كل حال ان يستدعي كاتب العدل ، والقاضي الى جانب سرير المريض ، وان كان يعتقد بعدم جدوى ذلك ايضا . وكانت الزوجة الشابة هنا طوال الوقت لتفسد اية خطة شريرة يقوم بها الطبيب . ولم تضع فرصة دون ان تلقي بكلمة او كلمتين لتزيد من عناد زوجها . فراح الطبيب يحدجها بين الحين والحين بنظرة شزراء ، حتى لقد صاح بها : « امسكي لسانك حينما يتكلم الرجال ! » فردت على اهانته ، وجسدها كله يرتعد من الغضب : « ان للدجاجة شخصيتها على مزبلة الديك !... »

فاسرع جون غال الى حسم النزاع وقال : « لا تكوني كثيرة الصخب يا كريسكا. الافضل ان تذهبي وتحضري زجاجة نبيذ للزائرين » .

فسألت : « من اي برميل » .

ـ من البرميل ذي المئتي لتر . اما لجنازتي فالافضل ان تفتحي البرميل ذا الثلاثمئة لتر ، فقد بدأ يصير طعمه حامضا .

لقد كان تام الخضوع لفكرة الموت. وشرب الزائرون وغادروه لكي يعالج سلامه مع الله . وفي الحوش التقى الدكتور بارلي بالاجير ، وهو شاب بادي القوة ، يجيد القيام بكل عمل. فقال له : « اعد العربة ، فساغادر هذا المكان خلال نصف ساعة ، وقل للسيدة غال انني لن ابقى هنا للعشاء».

وتوقف خارج الباب مترددا في ما يجب ان يكون عمله التالي . ومن خلال شق البوابة راى الرجل يصعد الى السيدة غال . ولم يستطع الا ان يرى النظرة المفتاح التي استقبلته بها ، والاهتمام الشخصي الكبير الذي ابدته حينما دنا منها الشاب الاجير . كان واضحا انهما يلعبان بالنار ، وانه كان بينهما شيء من التفاهم . كل ما عليه الآن ان يجمع بعض المعلومات عن الموضوع . لا بد ان تكون في القرية عرّافة عجوز تعرف كل شيء عن شؤون العشق في القرية ،وتتعاطى عقاقير الغرام . ان كاتب العدل يعرف ذلك دون ريب . وهكذا ذهب اليه .

فقال الرجل : العرافة ريبيكا العجوز . انها تقيم على بعد بابين من بيت اسرة غال .

ودفع لها الطبيب فلورينين ، وقال: « انني احب امراة ، واود منك ان تعطيني شيئا يجعلها تحبني » .

ـ اوه ، هذا مستحيل يا ولدي . ان شكلك يشبه شكل فزاعة الطيور، والنساء لا يقعن في حب امثالك من الرجال .

ـ هذا صحيح يا امي ، ولكن في وسعي ان امنحها كل ما تشاء من الحرير ، وما تريد من المال .

ـ ومن هي هذه المراة ؟

ـ انها السيدة غال .

ـ في وسعك ان تجني اية وردة ، الا الوردة التي جناها غيرك من قبلك.

كان هذا ما يريد الطبيب ان يعرفه فعلا . فسأل :

ـ ومن يمكن ان يكون الرجل الذي سبقني اليها ؟

ـ انه بول ناجي ، اجيرها . لا بد انها تهيم به حبا ، لانها كثيرا ما تأتي الي في طلب العقاقير . لقد اعطيتها غبار العام الماضي لشجرة عليق عمرها ثلاثة اعوام ، لتمزجه في الخمر التي يشربها .

ـ وهل يشتبه جون غال في شيء من امرهما ؟

ـ ان الجمال الانثوي يهزمه ، على الرغم من ذكائه ودهائه .

فعاد الطبيب الى بيت غال ، فوجد العاشقين ما يزالان يتجاذبان الحديث بينما يتظاهر الاجير بانه يمسح بخرقة في يده ظهور الخيل المعدة لحمل الطبيب الى المحطة . فأشارت اليه ان يدنو منها . وبينما كان ابن المدينة يقترب منها ، مدت يدها الى صدرها واخرجت منه اوراقا نقدية قيمتها ثلاثمئة فلورين ، وقالت وهي تمد يدها اليه بالنقود : « أجر اتعابك يا دكتور » .

فقال الطبيب : « حسنا ، ولكن ضميرك سيظل مثقلا ايتها المراة الجميلة ، لانني لم اعد استحق هذا الاجر » .

ـ ان نفسي ستتحمله تماما ، فلا تبال بذلك ..

ـ حسنا جدا . ضعي حقيبتي فقط في العربة ريثما اودع زوجك .

كان جون غال مضطجعا في المكان عينه الذي تركه فيه ، وكان غليونه مطفأ ، وعيناه مغمضتين كأنهما في اغفاءة . ففتح احدى عينيه وتطلع منها في اتجاه الباب حينما سمعه يفتح .

فقال الطبيب : ـ لقد جئت فقط لكي اودعك .

فسأله دون اكتراث : أانت ذاهب؟

ـ لم يعد لي ما اعمله هنا !

ـ هل اعطتك المراة النقود ؟

ـ نعم . ان لك امراة جميلة يا سيد غال . انها جميلة حقا !

ففتح المريض عينه الاخرى وقال وهو يمد يده السليمة الى الطبيب : « اهي جميلة حقا ؟ »

ـ ان شفتيها الحلوتين كالكرز الشهي .

ـ انهما لكذلك حقا . ولاحت على وجهه ابتسامة سعيدة .

ـ انني اجرؤ على القول ان ذلك المتسكع ، بول ، سيقضي معها وقتا طيبا ...

فاخذ الفلاح العجوز يرتعش ، وحملق في الطبيب وصاح : « ما الذي تقوله يا دكتور ؟ »

فاطبق الطبيب شفتيه ، كأنما تفوه بشيء لم يكن يقصد ان يقوله .

ـ هراء . ليس هذا من شأني . ان للمرء عينين ودماغا ، وفي وسعه ان يرى الاشياء ويدركها . لقد داخلني الريب حينما رأيتها ترفض ان اقطع لك ذراعك . الا يخامرك ريب في امرها ؟ ولكنني الآن بدأت ادرك . طبعا .. طبعا ...

فأخذ جون غال يهز قبضتيه ، ناسيا في فورة الغضب ان احداهما متقيحة . وجأر متألما : « اواه ! ذراعي ... ذراعي ! لا تتفوه بكلمة اخرى يا دكتور ! »

وخرجت جأرة اخرى من صدر المريض حينما امسك بذراع الطبيب بيده اليمنى :

ـ اي بول ، يا دكتور ، أي بول تعني ؟ من هو ؟

ـ « اتريد ان تقول حقا انك لا تعرف شيئا ؟ انه بول ناجي ، اجيرك » .

فامتقع لون المريض ، واخذت شفتاه ترتجفان ، وانبثق الدم متفجرا في قلبه . لم يعد الآن يشعر بأي الم في يده . وفجأة صفح جبينه وحملق: « يا لي من غبي بليد ! كان يجب ان الاحظ هذا من زمان ... هذه الحية في ثوب امراة ! »

ـ لا فائدة من شتم المراة يا سيد غال . ان لديها فتاها ، فهي ملأى بالشباب والحياة . هذا هو الواقع. قد تكون ما تزال بريئة ، ولكنها لا بد لها ان تتزوج بعد ذهابك .. وذهابك اصبح امرا لا بد منه ! ...

فجهد الفلاح العجوز ليتحرك ، ثم التفت الى الطبيب الذي مضى يتابع كلامه قائلا : « انك لن تخسر شيئا اذا هي تزوجت رجلا اصغر منك سنا بعد ذهابك ، ولن تدري بشيء من الامر بعد ان تكون قد اصبحت تحت الثرى . ثم ان عليك ان تغتبط لانها ستقترن بشاب وسيم . ان بول وسيم المظهر » .

كان الرجل العجوز يصرك باسنانه غيظا ، فيسمع لها صوت كانه نابي فيه قد ارتطما بعضهما ببعض .

ـ يجب ان لا تكون طماعا يا سيد غال ، فحرام ان تدع جسدها البديع يضيع سدى دون عناق وضم . ان بول ليس غبيا ، فلن يدع امراة مثلها تمر به دون ان ينال منها نصيبا . وهي على كل حال سترث كل مالك ومزرعتك . ان المراة ايضا تحب ان تعيش . والمجنون الوحيد بينكم انتم الثلاثة هو انت يا سيد غال .

فجأر الفلاح من جديد ، واخذ جبينه ينضح بالعرق ، وكانت المرارة في قلبه تكاد تنفجر .

ـ انت ترى ، يا سيد غال انه خير لك ان تحتضنها بذراع واحدة من ان لا تحتضنها ابدا .

كان هذا كثيرا جدا على الرجل العجوز ، فقفز واقفا ومد ذراعه المتعفنة نحو الطبيب وقال :

ـ هات مشرطك ايها الطبيب ، وهيا اقطع !

عمان **عيسى الناعوري**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

عمر الصالح البرغوثي

بقلم البدوي الملثم

* * *

ولد في بيت المقدس سنة ١٨٩٤ وتوزع تعليمه الابتدائي بين مدرسة دير غسانة مسقط راس آل البرغوثي والمدارس الحكومية بالقدس وفي عام ١٩٠٤ التحق بـ « مدرسة المطران » الانكليزية وفيها تلقى العربية على المرحوم خليل السكاكيني وفي عام ١٩٠٦ التحق بـ « مدرسة الشباب » الانكليزية وكان المرحوم المعلم نخلة زريق استاذ العربية فيها .

ونتيجة لضغط المسؤولين الاتراك أخرج الطلاب العرب المسلمون من المدارس الاجنبية في فلسطين ايمانا من اولئك المسؤولين بان المدارس التبشيرية «اوكار» للاستعمار .

وفي عام ١٩٠٧ التحق المترجم له بـ « سلطاني بيروت » ومن زملائه الشهيد سيف الدين الخطيب وعلي رضا النحوي (من صفد اصلا) ، وفي العطلة الصيفية عاد « عمر » الى دير غسانة بقضاء رام الله واسس جمعية سرية سياسية اسماها « الجمعية العربية » وانتسب لـ « حزب العهد » وكان رئيسه عهد ذاك علي رضا باشا الركابي وعزيز علي المصري باشا . وكان من شروط « الجمعية العربية » التي اسسها البرغوثي ان يقتني كل شاب منتم لها بندقية وعتادا فانضم اليها العشرات من متطوعي قرى بني زيد (قضاء رام الله) .

ودخل « عمر » معترك السياسة وعالج الامور العامة وكانت القدس ومنطقتها مسرحا لنشاطه ، ونظرا للتقارير التي تلقاها علي روشن بك متصرف القدس عهد ذاك من زبانيته اغلق « الجمعية العربية » وادخل البرغوثي في سلك الجندية مكرها لا بطلا وارسله الى بئر السبع ليشغل هناك وظيفة كتابية وظل فيها الى قبيل دخول الجيش البريطاني بستة شهور اذ نقل الى القدس ليعمل في دائرة المحروقات .

وفي عام ١٩١٧ ، قبل سقوط القدس بيد الانكليز ، نفي الى انقرة اسوة بالشبان العرب الذين عمد الاتراك الى تشريدهم ونفيهم الى مجاهل الاناضول تخلصا من وعيهم القومي وشعورهم العربي ، لكنه هرب الى جنين بلواء نابلس ولقي فيها صديقيه الدكتور نقولا شحاده وشقيقه الشاعر المعروف بولس شحاده فسهلا هربه الى عنبتا ومن هناك هرب الى كور بلد الجيايسة بقضاء طولكرم .

وفي ليلة ضريرة النجم جاءه سرا العقيد رشيد بقدونس من ابرز اعضاء حزب العهد وحذره من الجيش التركي الذي سيطوق قرية كور للقبض عليه فهرب الى القدس مارا بقرية بديا من اعمال لواء نابلس ، وبوثيقة سفر مزورة باسم « محمد محمود » من قرية الكفر ومعلم في مدرستها وحملت الوثيقة توقيع ضابط تركي اسمه « معشوق » .

وهرب « عمر » خفية الى قرية الكفر لكن نائبا المانيا شك في امره فالقى القبض عليه وزجه في كهف مظلم ، وبعد حديث دار بين الترجمان وعمر اقنع هذا النائب الالماني بانه معلم في مدرسة الكفر وان الوثيقة التي يحملها باسم « محمد محمود » تثبت صحة دعواه فقنع الالماني بهذا القول واخلى سبيله .

وفي ليلة سادها الظلام حاول « عمر » الهرب لكن هجوم الانكليز على منطقة الكفر حال دون ذلك فقبع في غار مهجور ثلاثة ايام مع فرسه لم يذق خلالها طعاما او شرابا ، وعندما شاهد الجيش البريطاني مارا به حاول تسليم نفسه لكن الضابط البريطاني المسؤول رفض قبوله .

وفي اليوم الذي حاول فيه الانضمام الى الجيش البريطاني احتدم القتال بين الجيش البريطاني من جهة وبين الاتراك والالمان من جهة اخرى فغلب البريطانيون في تلك المعركة واسر الاتراك عمرا اذ ظنوه جاسوسا للانكليز واصطحبوه الى ضابط تركي مسؤول وهناك روى البرغوثي قصته وابرز الوثيقة التي يحملها باسم « محمد محمود » فصدق الضابط التركي الرواية وآمن بالوثيقة لكن عمرا لم يسلم من سباب الضابط التركي فعاد ادراجه الى الجيش البريطاني وهنا اطلق عليه الاتراك الرصاص وهو ممتط فرسه فاصابوا رجله اليمنى لكنه اندفع على ظهر فرسه حتى لحق بمستشفى متحرك تابع للجيش البريطاني وهناك ضمدت جراحه واخذ الى عابود من اعمال لواء القدس ومنها ارسل الى يافا للمعالجة، وبعد ان استرد عافيته بارح المستشفى الى القدس ليعمل مع العاملين في الحركة الوطنية وفي محاربة وعد بلفور واتصل به الجنرال حداد باشا وسأله تلطيف الجو السياسي المكفهر ، وهدده بالنفي الى مصر لكن البرغوثي لم يذعن لهذا التهديد .

واذ جاءت القدس اللجنة الصهيونية واخذت بالتظاهر ضد العرب ذهب عمر وسماحة الحاج امين الحسيني وحسن البديري لمقابلة حداد باشا وقدموا له احتجاجا شفهيا ضد اعمال اليهود وتظاهراتهم فأشار عليهم خفية بالقيام فورا بتظاهرات عربية مماثلة اذ ان الحكومة البريطانية اعجز عن ان تحد من نشاط اليهود ونفوذهم العالمي .

وبعد ان ودع اعضاء الوفد العربي حداد باشا حشدوا جموعة غفيرة وهجموا على اليهود وبددوا شملهم .

وتطوع عمر للتعليم مجانا في كلية « روضة المعارف » لصاحبها الشيخ محمد الصالح وتوثقت عرى صداقته بالشاعر الكبير معروف الرصافي ابان عمله معلما للعربية في دار المعلمين بالقدس ، وفي شهر تموز من عام ١٩٢٠ قامت مظاهرة عربية عارمة في بيت المقدس سار على رأسها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جرح في غرسة

آه يا فينوس لو ابصرتها ... تطبق الاوراق صفراء نحيله
تتهاوى للثرى اجنحة ... راجفات ... مستغيثات ذليله
نسغها ينزف من شريانها ... مثل زيت ساح من جرح فتيله
سلبتها الريح أندى برعم ... قاوم الموت بصمت وبطوله

لو رايت الساعد الفض هوى ... مومئا يدعوك بالكف النحيله
يترك الدنيا حزينا ... قانعا ... بهناءات السويعات القليله
لهمى الجفن حنانا ذائبا ... لندي غاب في فجر الطفوله

غرسة الحب سنحييها معا ... بهوى لم تعرف الدنيا مثيله
يورق اليبس على انامله ... ورؤى في الظن كانت مستحيله
هو في الارض مسيح لمسه ... يرجع الروح الى هذي القتيله
ونعيم خلف رؤيا شاعر ... يرشف الوهم ويشتف ذهوله
غنمة من فرص العمر اذا ... سنحت قطف الاماني العجوله
تاركا في نفس من يعذله ... ندم البخل على ثغر البخيله

فؤاد الخشن

سماحة الحاج امين الحسيني فحكم عليه بالسجن مدة خمسة عشر عاما والاستاذ عارف العارف حكم عليه بالسجن مدة خمسة عشر عاما وحكم على البرغوثي بالنفي الى عكا وبعد ان عاد ثلاثتهم الى القدس هنأ الرصافي عمرا بالقصيدة التالية :

أحرزت يا (عمر) المفاخر كلها ... فالبس من العلياء ما تختار
اما البلاد فقد حميت ذمارها ... لما اضاع ذمارها الاشرار
ولقد رعيت عهودها فتنوقلت ... في الناس عن رعيائك الاخبار
فاذا جرى ذكر الحمية بعد ذا ... اثنت عليك مواطن وديار
ولئن نفوك فان نفيك لم يكن ... عارا عليك واين منك العار ؟!
بل قد نفوك لان ابيت هوانهم ... والنفي من دار الهوان فخار
شرف لـ «عكة» ان رأت بك ماجدا ... بعلاه تفخر « حمير » و « نزار »
فالقدس حاسدة عليك ربوعها ... و «المسجد الاقصى» عليك يغار
ولقد عفوا وهم الجناة وان عفا ... عنك المسيء فعفوه استغفار
ندموا فسميت الندامة عندهم ... عفوا وذلك منهم استكبار
اهلا بمقدمك الذي بسروره ... سيء اللئام وسرت الاحرار

وفي عام ١٩٢٤ نال شهادة الحقوق من معهد الحقوق الفلسطيني بالقدس وزاول المحاماة وعين استاذا للمجلة في المعهد وظل يشتغل هذه الوظيفة من عام ١٩٣٣ حتى عام ١٩٤٨ .

وبعد توحيد ضفتي الاردن في ٢٤ نيسان ١٩٥٠ تحت التاج الهاشمي انتخب عمر « عينا » في مجلس الاعيان عام ١٩٥٢ فنائبا في مجلس النواب عام ١٩٥٤ فوزيرا للتربية والتعليم عام ١٩٥٥ .

آثاره القلمية :

١ ــ تاريخ فلسطين : الفه بمشاركة الدكتور خليل طوطح وطبع عام ١٩٢٢ .
٢ ــ اليازوري : الوزير المجهول : طبع عام ١٩٤٨ .
٣ ــ الربيع بن يونس (مخطوط) .
٤ ــ تاريخ القضية الفلسطينية والجهاد القومي (مخطوط) .
٥ ــ المراحل ــ وهي مذكرات المترجم له .
٦ ــ محاضرات في شرح احكام المجلة : اعدها على النهج الحديث لطلاب معهد الحقوق الفلسطيني .

وفي عهد الانتداب البريطاني القى عمر محاضرات علمية وادبية في « الجمعية الفلسطينية للمشرقيات » بالقدس وكان عضوا فيها ومن ابرز المحاضرات التي القاها في هذه الجمعية عام ١٩٢٢ محاضرة بعنوان :

Studies In Palestinian Customs And Folklore.

وفي الثاني والعشرين من حزيران ١٩٦٥ توفي المرحوم عمر الصالح البرغوثي في المستشفى الفرنسي بالقدس وظهر يوم الثالث والعشرين من حزيران دفن في مقبرة باب الساهرة ببيت المقدس .

عمان

البدوي الملثم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان
المحاضر في كلية الآداب بالجامعة الاردنية

* * *

مع الرسامين

الرسامون في الاردن ـ على ما يبدو ـ اكثر نشاطا من بقية اهل المواهب الفنية فيه ، ولن يكون هذا الحكم موضع عجب ، ما دام يؤيده الدليل ..

فلم نسمع ان الموسيقيين هناك ، انشأوا لهم ندوة ، واقاموا حفلا عرضوا فيه الوانا من مواهبهم ..

ولم نسمع ان الشعراء والكتاب ، انشأوا لهم رابطة ، ونظموا فيها للناس اياما ، يعرضون عليهم فيها صورا من روائع الشعر .. او الادب .. او القصة ..

ولم نسمع ان جماعة الممثلين ، ائتلفوا زمرة ، وتكاتفوا جماعة ، وبرزوا الى الناس يعرضون عليهم الوانا من المشاهد الحية ، وانماطا من مشهور المسرحيات ..

لم نسمع بشيء من ذلك ، ولم تتردد به الاخبار ..

ولكن الذي سمعناه ورأيناه ، وتناقلته الاخبار ، ان الرسامين عندنا هم الذين فعلوا ذلك ..

فعلوه في ندوتهم التي انشأوها في عمان ..

فعلوه في المعهد الثقافي الفرنسي ..

فعلوه في مدينة القدس ، واستعاروا له اسم الربيع وزمانه ..

واخيرا فعلوه في المعهد الثقافي الاميركي ..

ورأيتني البي داعي الفن ..

فقد عهدتني اتسقط اخباره، والتمس آثاره ، واتحسس مواضع الابداع فيه ، وأتنسم في آفاقه اريجا من الوحي ، وتطالعني في جوانبه ملامح من العبقرية ، لا فرق عندي في ذلك ، بين مرسوم ومعزوف ومخطوط ..

لا فرق عندي بين تلك الصور على اختلافها ..

فكل واحدة منها حين يحالف التوفيق صاحبها ، تكون آية رائعة من آيات الفن ، تطرب لها ، وتتأثر بها ، وتوقظ في نفسك مواضع الاعجاب ..

ودخلت معرض الرسامين في المعهد الثقافي الاميركي..

دخلته وانا احس للمكان رهبة ، جعلتني التمس العذر معها لاولئك الاقدمين ، الذين كانوا يعتبرون الفن ضربا من ضروب العبادة ، وخاصة حين يتحدث عن الجمال ويبرز ملامحه ، ثم يجعلون لهذا الفن آلهة ، لها مكانتها الرفيعة بين آلهتهم ..

ولقيني على الباب احد هؤلاء الرسامين ، الاستاذ رفيق اللحام ، وكان دليلي في مسالكه ، يعرفني الى زملائه ، ويبصرني فيما اعبر به من مشاهد ، وما اقف حياله من صور ، يجذبني اليها ما افرغ فيها من جهد مبدع ، وما بذل فيها من اتقان ..

ومضيت اشاهد ما في المعرض ..

فرأيت فيما عبرت به من الوان ..

ان لكل واحد من هؤلاء الرسامين طابعه الذي يتميز به ، فقدرت انها الاصالة التي بلغها كل واحد منهم : فاصبح شأنه في ذلك شأن الكاتب والشاعر ، الذي اختط لنفسه اسلوبا ينفرد به ، ولا يتحول عنه الى سواه ..

وكانت « الزهور » و « الفتاة الفلسطينية » في لوحات الانسة سعاد ملحس ، موضعا لوقفة اعجاب وتقدير ، لم يذهب اثرها من نفسي ، رقوفي الطويل امام لوحاتها العشر الاخر ..

وكانت « الزهور » مرة ثانية ، و « اليوم الماطر » في لوحات السيدة ديانا يواكيم ، موضعا لوقوف احسست معه ، ان فيهما من المعاني ، ما تكاد تنطق به الالوان ، فيستحيل الى كلام ..

ثم وقفت امام « العري » و « ليلة صيف » و «صويلح» في لوحات السيدة سها كاتبة ، فرأيتني اشاهد من لمسات الابداع ، ما قدرت معه ان الرسامة البارعة ، اضافت الى الوانها ذوبا من مشاعر نفسها ، واحاسيس وجدانها ..

واما « بوابة الدموع » و « البدو » و « عازف الناي » في لوحات السيد خضر جميل الظاهر ، فقد كانت تعبيرا صادقا ، يتحدث عن الواقع ، بكل ما فيه من احاسيس الفرحة والالم والانفعال ، وكان الرسام قادرا على ابراز ذلك كله ..

واخيرا وقفت امام لوحات السيد رفيق اللحام ، الذي كان دليلي في تلك السرحة الممتعة ، فرأيت هناك « وجها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الاردن » و « أمومة » و « عري » و «آدم وحواء » .

ورأيت فيها من التعبير الملهم ، ما جعلني اقرأ من المعاني الكثيرة ، ما يضيق عنه الاطار المحدود ، الذي استوعب كل واحدة منها ، فاهمس معه في اذن صديقي الفنان : « ان شعرك الذي تسجله بريشتك ، امتن من شعرك الـــذي تسجله بقلمك .. وحذار ان تغضبك هذه الشهادة » !

ذلك بعض ما رأيته في معرض الرسامـين في المعهـد الثقافي الاميركي في عمان ..

على انني افتقدت في هذا المعرض الوانا الفتها وعرفتها في معارض سابقة .

افتقدت فيه سلامة الخوري في سرحاته الحالمة ، وفي لمساته الشعرية ، وافتقدت كذلك مهنا الدرة في تصويره الناطق والوانه المعبرة ، وافتقدت آخرين سواهما ..

ولن يفوتني ان اؤكد : بان ذلك بعض ما شاهدته فـي هذا المعرض ، وهو قليل من كثير ، ما كان المجال ليتسع لو اردت ان اقول فيه الكلمة المنصفة ..

عمل غير صادق

قال لي : ارأيت هؤلاء الذين يكتبون اليك ، ليحدثوك عن وقائع يرتبون لها الزمان والمكان ، ويبدعـون لها احداثا ، ويصنعون لها اشخاصا ، يسندون اليهم ادوار البطولـة حينا ، ويجعلون منهم حينا آخر ، ادوات صماء ، تساهم في صنع تلك الاحداث ، دون ان يكون لها غـرض ، او هدف ، او مقصد ..

ارايت هؤلاء النفر من الناس ؟!

انهم يخلقون من الاحداث حينا ، ما لا يمكن ان تشاهد له مثيلا ، فيما يقع من حولهم ، وفيما يعيشون بين ثناياه من كل يوم ..

وانهم يصنعون من الاشخاص ما لا يمكن ان تبصر لـه مثيلا ، في عديد من ترى ، وفي جمع من يعيشون علـى مرأى منك ومسمع ..

انهم يفعلون ذلك .. فيفترون به على الحقيقة ، التي يعرفونها هم ، ويعرفها أولئك الذين حولهم من الناس.. ويجترحون به على الواقع ، الذي يلامسون حوادثه واحداثه وليس فيها مثل هذا الذي يبدعون ..

فما هو هذا الذي يصنعونه ؟!

ان كانوا يريدون ان يصنعوا منه ادبا ، فما ابعد الادب عن ذلك ، ما دام الادب لا يكون صادقا ، الا اذا صور مـن واقع الناس ، ما يعيش فيه هؤلاء الناس .. وعرض مـن مشاكلهم ، ما تعودوا ان يسمعوا من مثله ، مما يعرفـون ويألفون ..

فما تسمي ذلك انت ؟! وما رأيك فيه ؟!

قلت : لعلي لا اخرج فيما اجيبك به ، عن حـدود مـا وصفت ، حين قلت : « انه لا يمثل الواقع ، ولا يحاكيه ، مع انهم وضعوه ليكون صورة عنه .. » . فانا اشايعك ، واسميه عملا غير صادق ..

واما رأيي : فاني فيه معك فيما ترى كذلك ، اذ ان الادب لا يكون أدبا الا اذا تميز بالصدق ، وعالج ادواء المجتمع ، بما يلامس هذه الادواء ، ويحدد لها العلاج ..

وحين لا يكون كذلك .. يكون شيئا مفتعلا .. لا يخص احدا ، ولا يهتم به احد ..

رسالة الحياة

عرفته يوم كنا صغارا ، نلاحق الطير ، ونعابث الصبية امثالنا ، ونجد في كل ساعة نلتقي بها ، مجالا صالحـا للمتعة واللهو ..

عرفته يوم ذاك .. ونشأت بيننا اواصر مودة ساذجة بريئة .. مودة من نوع لا يماثله غيره ..

مودة يتفق عليها الصبية الصغـار ، ويتواطأون على حدودها وابعادها ، فاذا جاوزوا هذه الحدود ، انقلبـت الى عداوة وخصومة ، واذا قصروا عنها ، تقلصـت الـى اهمال ونسيان ..

وابرز ما يميز هذه المودة عن سواها : انها لا تعرف نفاق المصلحة ، ولا تزلف الفرض ، ولا محاباة المغلوب للغالب.. وانه ليس لها غير وجه واحد لا يتغـير ، ولا يتلـون ، ولا تطالعك منه صورة تكتم وراءها صورا عدة ..

اجل .. ابرز ما يميز هذه المودة ، ذلك كله ، متكامـلا مجتمعا ..

وكان مثل هذه المودة ، قائما بيني وبين صاحبي ذاك ، فكنا لا نفترق في ساعات لهونا جميعا .. الا ان يكون احدنا مريضا ، ولن اقول مشغولا ، فلم يكن هنالك من شاغـل يصرفنا عن اللهو .. بل كانوا يشغلوننا بذلك اللهو ، مـن اجل ان يستريحوا به منا ..

وعبرنا من عمر ذلك العهد سنين اربع ..

ثم ترحل صاحبي مع اهله ، الى بلد لا اعرفه ، وتراخت بيننا الايام ، فانسيته ، وشغلت عنه بسواه ، فاصبح بيني وبين ذلك العهد حجاب كثيف ، تراكمت خلفه اشتات لا حصر لها من مختلف الذكريات ..

ورأيتني منذ ايام ، وجها لوجه امام صاحبي ذاك ..

فاذا هو ما يزال يحمل في وجهه تلك الملامح المحببة ، التي عرفته بها ، يوم كنا في عهدنا ذاك ..

وكان سلام .. ثم كانت تحيات حارة ، ايقظت ذلـك السالف البعيد من المودة ، ورأيته مثلي .. قد عبث الشيب بلمتـه ..

فقلت له : اخبرني .. كم من البنين كان حصاد شبابك المدبر ؟!

فضحك وهو يقول : لم يكن حصاده احد منهم ..!!

قلت : ويحك .. وكيف رضيت ان لا تؤدي رسالـة الحيـاة ؟!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان لي بيت

قولي لهـذا الليل ان ينجلـي ... كرهته .. في ثوبه المخملـي
كرهته ، يا عاصفات اهدئـي ... ويـا رياح المـوت لا تعولـي
تمزق الصمت .. فيـا للاسى ... يجتـاح دنيـاي ولا يأتلـي ..
تصخب في روحي .. تباريحه ... شائية .. لاظيـة المرجل ..
قد كان لي بيت .. ودنيا هوى ... كأنـه قلـب رفيـف خلـي
وكـان لي ، كأنـه ، غنـوة ... غزلتهـا مـن دمعي المرسـل
رفعتـه فـوق جبين الـرؤى ... حلمـا شفيـف الالون كالجدول
اطعمتـه روحـي واسقيتـه ... ما شـاء مـن دمعي ولم ابخل
وهبتـه العمر .. فداء له .. ... رغـم شقاء العمر .. والمأمل
عينـاي قنديـل على دربـه ... يهديـه للفجر .. لمستقبل ..
يموج بالعطر ، نغنـي لـه ... اروع مـن ترنيمـة البلبـل
تمزق الصمت ، فـلا غنـوة ... تخفق في روحي.. وفي هيكلي
وعـدت كالروح بـلا طينـة ... تشدنـي للعالـم الاسفل !
وحدي ، مع الليل ، بلا مؤنس ... او موحش ، كالمـارد الاعـزل
لا «رائد» حولي..هنالا «رلى» ... لا لثغة المـلاك فـي منزلـي
قد هدم العش .. فيا بومـة ... يا حية رقطـاء .. لا تعولـي
يا لعنة في الدرب ، لمـا تزل ... تسد لي دربـي ، ألـم تخجلي
أنا الذي سواك.. في عالم .. ... كالحلم.. كالفردوس..كالمخمل
وكنت بين الوهم .. أكذوبة.. ... تائهـة فـي العـالـم الارذل
أنا الـذي أعطـاك تاريخـه ... أعطاك ما في النفس من مأمل
رفعت دنيـاك الـى عالمي ... رفيفـة الاحـلام والمنهـل
لكـن غرور الطين لا يأتلـي ... يشدنـا للعالـم الاسفـل
عودي الى الارض ترابـا ، فما ... يرضيك غـير الفلك الموحـل !

الكويت — راضي صدوق

فشاعت في وجهه سحابة من اسى ، وهو يقول : انمـا حال بيني وبين ادائها .. انه القي على كاهلي ، منذ خرجت الى الحياة ، اعباء اسرة كبيرة ، كل من فيها من بنين وبنات كصغار الطير ، لا حيلة لهم ولا وسيلة .. وما زلت مـن يومي ذاك .. اقيم دعائم البيت ، التي اوشكت ان تنصدع بعد موت ابي ، وانفرد من بعده ـ وانا ما ازال غض الاهاب ـ باداء ما كان يؤديه من واجب ..

وظللت اصاحب اخوتي واخواتي ، في مراحل طريقهم كلها .. الازمهم واحدا اثر واحد ، لا افلته الا في ميدان الحياة .. ثم واحدة اثر اخرى ، لا افلتها الا في بيـت الزوج الكفء .. وصحوت حين صحوت .. فاذا انا قد خط الشيب راسي ..

واذا انا قد فترت عزيمتي ، عن تولي اعباء جـديدة ، كان سيفرضها علي واجب الزوجية ، ان انا اقدمت عليها ، وسعيت في اثرها .. فاعذرني اذا قلت لك : انني اديت رسالة الحياة .. وانني اكملتها على خير وجوهها .. وان لم اكن مسؤولا عن بدايتها ..

فقلت لصاحبي : اللهم نعم .. انـك اديت رسالـة الحياة ..

وان كثيرين في مثل موقفك يتهربون من ادائها، ولكنك لم تفر مثلهم .. وابيت الا ان تكون ممن يؤثرون علـى انفسهم ، ولو كان بهم خصاصة .. فانعم بما فعلت .. وحياك الله ..

عمان — محمد سليم رشدان



انور الجندي

كتابات الريف

بقلم انور الجندي

* * *

عندما يتطلع الكاتب وهو يوغل في العقد الخامس الى الامس البعيد ممثلا في الفترة الحرجة ، فترة القلق والترقب ومحاولة رسم الطريق ، يحس قطعا بمدى ما قطع من مراحل الطريق . هناك في العشرينات وقبل ان تكتمل . في سن السابعة عشرة وقد اوقدت في اعماق النفس مصابيح الادب والصحافة والقلم في الريف على شاطىء الابراهيمية . حيث ولدت هذه الاحلام ، القاهرة ، والصحافة واسرة القلم .

اي كتابات هذه ، اي هدف ، أي رسالة يمكن ان يرسمها القلم في هذا السن الباكر وهو خلو من كل زاد ، ما قراءاته اذ ذاك الا مع بعض الشيوخ، وقليل من الاطباءوالمحامينوالمهندسين حيث حياة الريف لا تتيح الا تلك الاسمار الساذجة الضحلة التي لا تعطي ألا هوامش الهوامش في تعليقات حول السياسة او الاحداث . ومن هنا يبدو ذلك الاحساس العميق بالتطلع الى الكتابة والجري في الحلقة مع فرسان تلمع اسماؤهم وتبهر الشاب الصغير ، الذي كان يحلم يوما بان يرى اسمه ممهورا به نصف عامود في الصفحة الاولى من جريدة كبرى . يومها لم تكن صور الكتاب تنشر بجوار اسمائهم والا لكان تطلع الى هذا الحلم الذي تحقق من بعد من غير ان يكون قد مر بمرحلة التخمر والترقب .

واذا كان ذلك الامل في كتابة نصف عامود قد تحقق قبل ان يترك الريف حين كتب « جولات » في جريدة الوادي ، فان ما حدث كان اكبر حقا مما تطلع اليه ، فقد كان امله ان يقول الكلمة القصيرة الموجزة ، فاذا به يقول كلمة اخرى اشد عمقا من التعليق الصحفي السريع والملاحظات العابرة الهشة ، واذا به لا ينشر في صحف القاهرة وحدها بل ينشر في صحف تمتد من المغرب الى العراق ، وقد آثر ان يلقى القراء في صحفهم واوطانهم ، دون ان ينتظر منهم ان يبحثوا عنه في صحف القاهرة ، فقد توسعت آفاق فكرته وحاول ان يحمل رسالة كبرى ، ربما لم تكن في خاطره يوم جرب قلمه في كلمات قصيرة موجزة نشرها في البلاغ او في كوكب الشرق او في الوادي او في مجلة أبولو .

كان ذلك في الثلاثينيات . في عام ١٩٣٢ بالذات هذا العام الحاسم في حياة الادب العربي المصري الواضح الاثر والدلالة . حيث مات شوقي وحافظ والبكري ، وظهرت الرسالة وابولو ، وظهر البلاغ في حلته الجديدة وصفحته الادبية المشرقة التي حفلت بكتابات زكي مبارك وسلامة موسى وابراهيم المصري ومحمود الشرقاوي .

كان هذا العام حقا ، من الاعوام الفاصلة في حياة الادب والصحافة في مصر ، ومنه بدأت تحولات ضخمة ، كان حكم صدقي يضغط بعنف على الحريات فلم يلبث طه حسين ان تحول من السياسة الى كوكب الشرق ، ومن الاحرار الى الوفد ، واذا به يهب امارة الشعر الى العقاد ترضية لنفوذه في الوفد وصحفه ثم لا يلبث العقاد بعد عام واحد ان يتحول عن الوفد ويعارضه وتصدر جريدة روز اليوسف اليومية . وفي هذه المرحلة الدقيقة التي عشتها مفتوح العينين وما تزال صورتها تملأ خاطري ، بدأ هيكل في تحوله الخطير فكتب « حياة محمد » ونسي دعوته الى الفرعونية من قبل قليل ، وكتب طه هامش السيرة ، وحلت الرسالة محل السياسة الاسبوعية التي تحولت الى ملاحق ، فاعطت صورة جديدة وضمت كتابا جديدا واعلنت اسماء لمعت من بعد ، ووسعت مجالها فلم يعد مصر بل امتد الى الشام والعراق . وكانت « أبولو » حدثا من الاحداث ، مجلة الشعر ونقد الشعر ومعارك الصراع بين مدرسة ومدرسة. وفي ظل هذه الايام ظهر ديوان وحي الاربعين للعقاد فنقده الرافعي في البلاغ نقدا عنيفا ذكرنا بما قرأناه من سنوات قليلة في العصور من مقالات « على السفود » . وزكي مبارك كان يشدو كل مساء جمعة بمقاله « الحديث ذو شجون » فيربطنا اليه ، ويدفعنا لان نكتب له ، بعد ان ملأ اليأس النفوس من كتابات الى عبد القادر حمزة وهيكل وداود بركات وحافظ عوض . ويستجيب زكي مبارك في فلسفة فيقول « اقتل رغبتك في الادب قبل ان تقتلك » وينادي ابراهيم المصري « ارسل باسمي كل ما تود نشره في البلاغ » .

ويطيب لي ان اكتب عن « حافظ » فهو ابن بلدي ، ولد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على ضفاف نيل ديروط ، وما رأيت قناطرها الحلوة ، ولا مشيت فوقها ألا ذكرته وذكرت والده المهندس الذي بناها، وهناك كنا نقرأ المنفلوطي ، جارنا ، فمنفلوط جارة ديروط ، ولنا به حب مرتبط بالقبلية ، وله موسيقى ورواء فاتن لم يشجعنا مثله من جبران ولا الريحاني ولا نعيمة ، فآلام فرتر حزينة موجعة تطلع على قلوب الشباب الحائر في سني اليفاعة وفي قلب الريف وقلقا يضيق فيه بالريف والغروب ويحلم بالقاهرة والليل والحب .

ومن عصارة من كتابات العقاد في الجهاد ، وطه حسين في الوادي وهيكل في السياسة ، وسلامة موسى في البلاغ والصاوي في ما قل ودل الاهرام تتكون عصارة حائرة مضطربة ، ويموت شوقي وحافظ فتكتب عشرات الابحاث حولهما ، وتدور في الجو الادبي ملامح وكلمات ورموز : تطور وثقافة وحضارة ، ويدور نقد غاضب جائر ، فيه عنف السياسة والفاظها المريرة ، ومعارك جائرة يبدو فيها الخلاف الشخصي والذاتية، وتبدو روح المصرية والاقليمية الضيقة والفرعونية ، مضطربة بدعوات عن العروبة ووحدة الشرق ووحدة الاسلام ، وصيحات من الزهاوي الثائر ، ومن جبران الغامض المهوم ، ومن « مي » الحالمة ، ومن سحاب الرافعي الاحمر ، ومن هلال زيدان ومقتطف صروف في متاهة من المتاهات العاصفة بالفكر والعقل والقلب .

واذا بي اكتب ، في صحف الاقاليم دوما وفي صحف القاهرة لماما ، في خلال عشر سنوات او تزيد (١٩٣٢ ـ ١٩٤٥) وانظر اليوم في صحف الماضي فاجد حصيلة ضخمة ولكنها هشة ، وابحث عن الذين كانوا معنا في تلك الايام فلا اجد الا القليل . واجد اول مقال عام ١٩٣٣ (معول في الادب) واول كتاب ١٩٣٩ (عرائس البكارى) واول باب نصف عامود (جولات) في الوادي ١٩٣٥ ولا اصل الى العمل في الصحافة في القاهرة الا عام ١٩٤٦ حيث بدات حياة الفكر والادب حقيقة ، واحاول ان ابحث عن نفسي في تلك السنوات من خلال الصحف فاذا انا مصارع بين صحف الوادي والانذار والافكار والقاهرة والاماني والصباح واسيوط خلال تلك السنوات ما عدا ثلاث اعوام (١٩٣٧ ـ ١٩٣٩) وثلاث اعوام (١٩٤٣ ـ ١٩٤٥) اين انتاجي في هذه السنوات فلا اجد شيئا ، تراني كنت اخذت بنصيحة الدكتور زكي مبارك حين صرفني عن الادب فاعتزلت ، ام تراني لبست مسوح الصوفي ثمة وعشت مع الغزالي وابن تيميه والبخاري .

ولم يكن ذلك غريبا فقد بدات حياتي الادبية قبل الصحافة والصحف بقراءة مقدمة ابن خلدون ودائرة معارف فريد وجدي ، فلا عجب ان ادور دورة كبرى تبدأ بابن خلدون وتنتهي بالغزالي وتحمل في بطنها عصارات الصحف والكتب من فلسفات ودعوات في مجال السياسة والاجتماع والتربية والدين والادب والثقافة .

ولكنها كلها قراءات سريعة ، فلا بد من تعمق وبلوغ الى القاع . لقد كان التطلع الى القاهرة في هذا السن الباكر يواجه باليأس ، فكان لا بد من القراءة والتأمل ، ولا بد من الاستعداد للغد المتوقع ، ومن هنا كانت العودة مرة اخرى من قراءات الصحف السريعة الخاطفة الى المجلدات . ولا بد من تعمق للفكر العربي الاسلامي ، في نفس الوقت الذي تقرأ فيه شكسبير وجوستاف لوبون ودانتي وجوته . والريف يفسح المجال للقراءة ، تحت شجرتي النبق والتوت فوق سطح منزلنا حيث تنطلق النظرة الى الحقول الخضراء لا يحدها الطرف فلا تلتقي الا بشريط السكة الحديد يحمل الصوت الحلو ، صوت القطار القادم من القاهرة يحمل البريد والصحف والوجوه الضاحكة المشرقة ...

ادهش اليوم حين اقرأ عام ١٩٤١ في جريدة الافكار بحثا في ثمان حلقات تحت عنوان « نزعات التفكير في مصر منذ نصف قرن » ، لم يكن سني يتجاوز اذ ذاك الرابعة والعشرين ، وانا اتناول قضايا الساعة اذ ذاك على نحو ربما رأيته اشد حماسا او سذاجة او ضحالة ، ولكنه على اي حال يكشف عن « النفس » يوم كانت منطلقة الى طريق خطير ، اين انا اليوم من هذا البحث ولو حاولته لقرأت له مئات المراجع واستنفذت في الوصول اليه شهورا ، فما اخوف الكاتب من جلال الكلمة بعد ان يجد من يستمع له اما في ذلك الوقت الباكر فقد كانت الجراة طابعا واضحا ، وكان الجري وراء المفاهيم الوافدة لا يرده الا احساس غامض قائم في اعماق النفس لما يتكشف بعد، هذا الاحساس هو استقلال الفكر وتكون الطابع الخاص ، وبروز الذاتية والنظرية والفكرة ، وهذه قد تكون بذرتها موجودة اساسا في كلمة «مذهب الرجل الديني المدني» وهي عبارة ساذجة تحاول ان تصور ما نسميه اليوم : « المدرسة الوسطى : مدرسة البناء على الاساس » .

وربما لم يكن طابع الفكر واضحا ، فهذا لم يبرز الا بعد الاربعين ، اما طابع العشرين فقد كان « الادب الوجداني » المرتبط بالحب والمراة والفن مستمدا ما يسمى من الداخل الى الخارج في كل ما يتصل بالمشاعر والعواطف والاحاسيس الهشة الساذجة التي لم تصل بعد الى وضوح التجربة ، او استكمال الخبرة فهي تحاول امرا واحدا هو « تأكيد الشخصية » وتوسيع قاعدة الكتابة في مجال واسع ، لا حواجز فيه يجمع بين الصوفية الروحية والعاطفة الوجدانية فحيث يكتب القلم « ذخائر القرآن » يكتب حياة افروديت وحيث يكتب « نور من الله » يكتب « فلسفة الجمال » .

ثم هناك عشرات من الموضوعات : اعلام كالزهاوي وعمر بن الخيام ، وصيحات التحرر من قيود الريف ، ورسائل حب ، وذكريات الميلاد ، وخواطر سائبة ، ورسائل موجهة الى وديع ميخائيل موسى ومحمد محمود حمدان وعبد المتعال الهريدي ومحمد زكي محمود وانور الصناديقي وزينب عبد الرحمن محمد رفقاء الصبا في مجال الادب .

ودراسات عن تيمور والعقاد وهيكل والمازني والسباعي، ثم معارك عنيفة متعسفة ، يبدو فيها تقليد لمنهج العقاد وزكي مبارك في النقد . واحاديث مع محمود حسين نقادي وروبرت بوليس وعيسى الترزي وحنفي غالي ومحمد محمد مالك، وحبيب نعمان رزق الله، هذا الكاتب الذي ما زلت اذكره

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واذكر اسلوبه الحلو الرائع ، وقد كان يكتب للناس على مائدة صغيرة امام المحكمة « عرائض » الدعوى . وكنت اتوقع له ـ لو وجد مجالا ـ مستقبلا ادبيا رائعا .

وما زلت اذكر كيف كانت جريدة « الانذار » الاقليمية التي كتبت فيها عام ١٩٣٣ ممتازة ورائعة ، على البعد عن مجال الصدارة في القاهرة ، وقد كان صاحبها « صادق سلامة » من أوائل الصحفيين الذين اتصلت بهم واستفدت من خبرتهم وقد استكتب في صحيفته اعلام من كتاب القاهرة . واذكر انه قد نشر صورنا في عيد جريدته١٩٣٤ وكانت معنا سنية زهير ولويس عوض ومحمد عثمان واحمد تاج الدين وفايد العمروسي وسيد قطب وعبد السلام الشريف واحمد الاحمداوي ومحمد محمود رضوان واحمد جلال ورمزي نظيم وزكي التهامي وعيسى متولي وتوفيق حبيب وكان اول مقال لي بها هو « ميزان التجديد والحضارة في مصر » في ١٩٣٣/١/٢٩ .

* * *

كانت كتاباتي في العقد الثاني مهومة عاطفية في اول امرها وجدانية كلها حديث عن الحب والحرمان والشوق الى القاهرة والتطلع الى المجد ، والى الصحافة . وكان لا بد أن انشر كتابا او كتابين ، لقد اضطررت أن اطبع كتابا في اسيوط على (ورق الارز) المعروف ولا ادري اليوم ماذا كان اسمه ولكنه كان في ظل ازمة الورق ابان الحرب العالمية اصرار وتأكيد للذات . فلما جرت في يدي النقود سارعت فطبعت كتابا عنوانه « الانسانية في الميزان » كان للاستاذ حمدان رفيق صباي والمقيم في القاهرة الفضل في اخراجه.

ولكن تهويماتي وعاطفياتي لم تلبث على المدى ان تحولت الى فكر وبحث وقد شملت كل الميادين التي طرقتها من بعد وحتى عام ١٩٤٦ وهو العام الذي وصلت فيه الى القاهرة وخلفت الريف وعملت بالصحافة على راس الثلاثين حيث كانت جذور فكري قد تكونت حقاً في كتابات منوعة: الادب الوجداني ، التراجم ، النقد الادبي ، دراسات الادباء، دراسات العربية والفكر العربي والتاريخ الاسلامي ، قضايا القومية العربية والعالم الاسلامي ...

* * *

تكونت البذرة في كتابات الريف تهويما حول كل موضوع ودراسة وقضية ولون ، ثم تحولت من بعد الى خطوط عامة ، وتكونت المفاهيم اساسا تحت كلمة « الرجل الديني المدني » ثم تطورت الى مذهب واضح الاصول والحدود .

ان الكاتب اذا احس بقلمه يجري ، جرى معه في كل طريق ، ولكنه لا يحدد ولا يتخصص الا بعد مرحلة طويلة ، ولكنه مع هذا التهويم والجري المنطلق يكوّن اساسا محددا من ناحية المفهوم ، ربما تضلله الدعوات التي تدق الطبول العالية ، كما ضللتنا حول القومية الضيقة والمصرية والفرعونية ، ولكنا لما نمضي في الطريق ، فقد كانت مفاهيمنا الاصيلة حول الفكر العربي الاسلامي ومقومات امتنا ، والايمان بالتراث واللغة والدين والتاريخ ، عاملا فعالا في ردنا عن المضي معهم ، وقد تحولوا هم من بعد ذلك ايضا ، واحسوا انهم جروا في غير ميدان اصيل ، وربما تكشف هذه اللمحات عن صورة النفس ، وهي تتحول عن ادب الوجدان الى ادب العقل : ٨ مارس ١٩٤٠ (جريدة القاهرة):

« كلما تهيأت الاذواق للكمال ، اقبلت على ادب الجد ، وكلما امعنت ازدادت اقبالا ، وعمدت الى الالوان العميقة ، واخذت منها بقوة ، وكلما تقهقرت الحضارات تقهقرت المعاني في نفوس الافراد ، وفي عقولهم ، فجنحت الى ادب اللهو ، ورغبت فيه رغبة التذوق والايثار والاعجاب ، ادب الجد يرفع النفوس الى رغبات السمو ويهيء الاذواق الى الاغتراف من معاني الوجود ، تذوقا صحيحا قائما على صدق النظرة وصحة الاعتقاد وقوة اليقين » .

ولكن الكاتب لا يلبث ان يعود الى احزانه ومشاعره : الريف والحرمان (١٨ أبريل ١٩٤٠) :

« ترى هل من الخير لنا ان نعيش في الريف ، بعد ان اساء الينا اذ حجبنا عن حقول الادب والفن والثقافة. وحال بيننا وبين التكون الروحي و لوجداني والعقلي الكامل الذي لا يتم الا في الحواضر . ان هذا النقص قد اثر مشاعرنا وتفكيرنا ووجداننا ، فتأخرنا عن النضوج من اثر ما في الريف من قيود ، هذه الحياة المحدودة تشعرنا دائما بالحرمان ، وتلقي في نفوسنا ظلا يائسا من الوحشة والالم. أقضي ايامي فاترا عابسا ، وليالي ساهدا معذبا ، لا اشعر براحة لجنبي الى منام او لجفني الى نعاس ، احيانا تسبح روحي في اجواء ناعمة، فاذا عاودها التشاؤم تلبدت بغيوم كثيفة تحجب النور .

كان يزعجني الربيع حين تتفتح الازهار ويشرق وجه السماء ، وحينما تحلو الطبيعة وتكتسي الدنيا ثوبا زاهيا ، فتؤوب النفس الى حزن غليظ ، لا يدع فسحة لرضى ولا بارقة لامل .

احاول ان استمتع بالطبيعة في الصباح الباكر ، زقزقة العصافير ، وتمايل الاشجار ، فلا تزداد روحي الا لوعة ، وتتوارى كأنها تنكر حقها من هذا النعيم ما دام لا يتحقق لها الامل الكبير .

أعيش بين الناس غريبا او كالغريب ، أترابي سعداء راضون ، يقتلون الوقت بالاحاديث ، وانا متمرد اعيش بفم باسم وقلب حزين ، لقد كان يزعجني مطلع الربيع . لطالما كنت انكفيء مبكرا الى فراشي ادفن احلامي واشواقي » .

* * *

هذه صورة النفس ، وهي تتطلع الى الادب والحياة . نفس الاديب نفس الكاتب . الذي يريد ان يحمل القلم ، هكذا كانت كتابات الريف تحمل البساطة والسذاجة ، مغلفة بالايمان والتطلع الى الحياة ، الى عالم الفكر الى اسرة القلم ، هذه الاسرة التي ضحك من اجلها زكي مبارك وقهقه وقال : انه لا يوجد في الدنيا شيء اسمه اسرة القلم ، كما لا يوجد شيء اسمه العنقاء ...

القاهرة **انور الجندي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الادب المقارن اداة للتفاهم العالمي

بقلم بول فان تيجم
ترجمة عبد المطلب صالح

* * *

ضم مؤتمر التاريخ الادبي العالمي في باريس علماء ، ضمن وطن ، قد اتوا بنظرات جديدة عن علاقات الادب مع الحركات السياسية والاجتماعية . وهدفهم كان ، باختصار ، ان يحققوا في ميادين متنوعة هذا التاريخ الادبي في روابطه مع السياسة الذي حلم « ميشليه » (٢) أن يكتبه منذ اكثر من مائة سنة لفرنسا القرن الرابع عشر .

ولكن من منا لم يلاحظ الى اية درجة ترتبط الظواهر الادبية المدروسة ضمن اطار وطن معين بتكلم الظواهر الحاصلة خارج حدود هذا الوطن ؟ أن موضوع الادب المقارن هو بالضبط كشف هذه الروابط المتكونة بين كتاب بلدان مختلفة متجاوزة ما بينها من حدود .

لقد روى المأسوف عليه « بول هازار » (٣) ان البابا بيوس الحادي عشر استفهم منه ذات يوم عما يكونه الادب المقارن ، وبعد ان سمع البابا منه الجواب قال له : اني ارى : « انه دراسة التأثيرات الادبية المتبادلة » . ومن كل عمل ادبي ذي قيمة تنشأ في الحقيقة اشكال جديدة من الفكر ، وصيغ جديدة من الفن ، في مجالها مثل الامواج المحملة بعيدا غير آبهة بتنوع المصطلحات وهذه الامواج يفير اتجاهها الشعور الخاص بكل وطن متسلم استنادا الى ان الكاتب الذي تبلغه هذه الامواج يشارك في هذا الشعور . وغالبا ما تنعكس هذه الامواج وتعود متغيرة قليلا او كثيرا الى البلد الذي بثها .

لقد بدا منذ زمن ان الآداب الوطنية قد تطورت منعزلة ، يفصلها بعضها عن بعض اختلاف المصطلحات . وكان العنصر اللغوي يبدو في هذه الآداب جوهريا الى درجة اننا فكرنا طويلا بان التأثيرات الثابتة التي تأخذها من الخارج لا تمس الا بعض خصائصها الثانوية . اما اليوم فاننا نحكم غير ذلك ، وكان لا بد لنا ان نرضى وقد استوردنا فلسفة من الخارج ، صيغة من الشعور ، موضوعا غريبا ، نوعا غير مستعمل . انها الطبيعة الداخلية للشكل الادبي هي التي تغيرت ، أنه تقليد الاسلوب اللغوي الذي يبدو اكثر وطنية هو الذي تبدل . وهذه الآراء الجديدة التي هي الاسانيد الحقيقية لوسائلنا المقارنة قد سمحت بان تبرز ، بالف مثال ، التضامن الثقافي الذي يوحد الشعوب .

ان عمل الادب المقارن يظهر أن الانسانية لم يحققها ضمن الزمن جهد مستمر لوطن معين بل الجهود المتعاقبة لعدة اوطان حيث يشع النور بالتناوب على الاخرين الذين يتسلمونه بشغف .

ان اساليب الادب المقارن تظهر بجلاء اكثر من غيرها المنعطفات التي يسلكها الفكر من اجل ان يتقدم ، تنوع البلدان التي يخترقها ، كل الآثار التي يخلفها عند عبوره كل بلد . وهذه الاساليب الضرورية لتفسير الغموض في التيارات الادبية تمتلك ايضا قيمة انسانية خاصة .

اننا نعرف ماذا كانت انسانية القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، اما دراسات الادب المقارن فانها تؤدي الى انسانية جديدة ، انسانية اكثر اتساعا واكثر خصبا من الاولى ، قادرة اكثر على التقريب بين الاوطان . وفي الحق ، كلما تقدم مفهوم الوطنية ظهر عظيماً خطر اعتماد الامة على مواردها الثقافية ، لقد انتقلت الاختلافات بين الشعوب من الاخلاق الى الفكر . ان اساليبنا تعمل بنجاح ضد هذه العزلة الخطرة لتوحيد العالم بصورة سلمية .

ان عمل الادب المقارن يظهر ان الانسانية لم يحققها ضمن النزعات العامة للفكر الانساني التي من دونها لا يمكن لاي تأثير ان يحصل . ولكن هذه الاساليب تحدد ايضا الاختلافات بين عدة عبقريات وطنية . « ويجب ان لا تكون هذه الاختلافات الصغيرة ــ كما يقول فولتير ــ امارات على الحقد والاضطهاد » .

وليس بكاف ان نرتاح الى هذه المفارقات تماما ، بل يجب ان نظهرها مع « مونتسكيو » كمرونة ضرورية لحياة الانسانية المنسجمة . وهكذا فان الادب المقارن يملي على اولئك الذين يطبقونه موقفا وديا وتفاهما ازاء اخواننا في

---

(١) بول فان تيجم استاذ من اساتذة الادب المقارن في باريس يحاضر في السوربون وله عدة مؤلفات في هذا الفرع منها : الادب المقارن ، التاريخ الادبي لاوروبا وامريكا ، والمذهب الرومانتيكي في الادب الاوروبي .
(٢) ميشليه : مؤرخ فرنسي ولد في باريس (١٧٩٨ ــ ١٨٧٤) ، ذو افكار حرة وقد توصل في كتابه ، تاريخ فرنسا ، ان يحقق احياء تاما للماضي . (٣) بول هازار : استاذ فرنسي واحد مؤسسي المدرسة المقارنة الحديثة وقد اشترك في تأسيس مجلة الادب المقارن عام ١٩٢٢ ومن كتبه : ازمة الضمير الاوروبي في القرن الثامن عشر ، والفكر الاوروبي في القرن الثامن عشر في ثلاثة اجزاء . ودراسة مستفيضة عن دون كيشوت قصة الكاتب الاسباني المشهور : سرفانتس . (٤) الفرد ده فنيي: كاتب وشاعر فرنسي رومانتيكي . ولد في لوش (١٧٩٧ ــ ١٨٦٣) ، له مؤلفات غنائية منها : قصائد قديمة وحديثة (١٨٢٦) والمصائر (١٨٦٤) كما ان له قصصا منها : ستيلو (١٨٣٢) . (٥) جوته : اشهر الكتاب الالمان ولد في فرانكفورت (١٧٤٩ ــ ١٨٣٢) ، وكان صديقا لشارل اوغست دوق فايمار . ومن مؤلفاته فاوست وهرمان ودروتيه ، وآلام فرتر ، والانساب المختارة والديوان الشرقي للمؤلف الغربي الذي يظهر ان عبقريته عالمية فقد تأثر بالادب الشرقي ، العربي والفارسي ، واثر بدوره بالادباء الرومانتيكيين الفرنسيين والانجليز . (٦) جان بيير اكرمان: اديب الماني ، ولد في وينسن (هانوفر) في عام ١٧٩٢ ، وكان قد نشر وثائق من الشعر (١٨٢٣) عندما سار الى فيمار ، حيث اصبح سكرتيرا وصديقا لجوته . ان مجده الادبي الرئيس نهض على كتابه المعنون : حديث مع جوته في اعوام (١٨٣٦ ــ ١٨٤٨) الذي تضمن وثائق ثمينة عن الفترة الاخيرة لحياة الكاتب الكبير .

فوضى الحرير

اهلي . صباح الخير يا اهلي . انا ... قلق الربيع بأكؤس الزهـــرات !
الدرب.ما للدرب ؟ لا خبر ... ألا ... يدري العرار الحلو فـي لهفاتي ؟
عربـات احـلام تجر ؟ واعـــين ... ضمت على خفـر من الخيبات ؟
الشام ارض الخضر..بيشوق الى.. ... يا خضر تعلـم منتهى صلواتي !!
اهلي . صباح الخير يا اهلي . أنا ... لكأننـي شردت فـي قطراتـــي
احيـا على التاريخ انشره غـــدا ... قصص الفتوح..وأين يا حسراتي؟
الحلم يعرى..لا ارى..الحلم يا.. ... واصيح : بحر في خفي رفاتـي ؟
طال الغياب . أتحملـون موائـا ... أم تحملون غمـــوض حلم آت ؟
النقش في الحفر القديمة، والربى ... محفورة في أعينـي النضرات
ومسافرات، في الطريق، ألي ..في ... عرى النحاس ... عيونها يقظاتي
وأنا ، غدا.. ويلفني شعري الانا ... لم يلو أجنحة الابـــاء لعـــات !

ما لي اصورهـا جنـــازة امتي ... فـي لحظة من اقدس اللحظات ؟

حلـب ... علي الزيبق

البشرية ، حرية ثقافية من دونها لا يمكن ان ينشأ اي عمل بين الشعوب .

وهذا التفاهم خاصة هو ضروري جدا ومفيد للاوطان الناشئة التي وصلت مؤخراً الى مرحلة راقية من الحضارة الثقافية ، ولكنها غالبا ما تفتقر الى تقاليد ادبية ، فعليها ان تستعير كثيرا ، وهذه الاستعارات لم تلغ قط اصالتها ، بل انها على العكس امدتها بوسيلة للتعبير قوية جدا ومـن اجل ان تبلغ جوهرها الثقافي والاخلاقي الى جمهور اكثر اتساعا . ومن هنا تجيء اهمية التأثيرات لمن يدرس ادب هذه الامم . وهكذا فعندما نضـــع على المستوى نفســه بفضولنا وعاطفتنا الآداب القديمة والفنية والآداب الناشئة فان اساليبنا تحقق حسب بيت « الفرد ده فنيـي » (٤) الرائع : « المساواة المقدسة لافكار الرب » .

وهكذا فان صورة هذا الادب العالمـي تبـدأ متجاوزة الحدود اللغوية وحدود الفرد نفسها هذا الادب الذي صار « جوته » (٥) له في شيخوخته نبياً . ان « جوته » نفسه يزكي اساليبنا بالنزوة التي ينقلها « اكرمان » (٦) . ففي اثناء ما كان « اكرمان » يهنيء « جوته » بمناسبة طبعـة جديدة لآثاره الكاملة ، فان كاهن فايمار يتأمل النضد الضخم من الاجزاء الجديدة ، فيشير اليه بانه توجد هناك مقادير من الايحاءات اليونانية او الانجليزية ، الايطالية او الفرنسية ثم يضيف : « أن الجميع موقع بتوقيع « جوته » . وهذا ما كان يذكرنا بان العبقرية تتألف قبل كل شيء من صهر العناصر الاولى في وحدة الفكر التي منها ما يكون خارجا على بلد المؤلف والتي لا يمكننا من فهمها من دون ان نظهر بجلاء كل ما غذاه وكل ما كونه .

وقل من العلماء من يجهل هـــذه الضرورة في الفـاء الحدود اللغوية لنلحق بالانسانية في تطورها ، والعبقرية في نشوئها ، والحضارة في تأثيراتها المتبادلة ، والآداب في وحدتها وتنوعها الحقيقي .

ونحن نريد في فرنسا اكثر من ذلك . نحن نريد بان الطالب في الصفوف الثانوية يلاحظ شيئا ما من التنوع اللانهائي للادب العالمي متجنبـــا دراسة الادب الوطنـي والآداب القديمة وحدها حتى ولو اعتمد على لغة او لغتين اجنبيتين . لقد ارتفع صوت في مؤتمر تربـوي حديـث موصيا المدرسين الشباب بان ينتفعوا من كل الفرص التي يقدمها صف اللغة الفرنسية من اجل ان يفتحوا عينـي الطالب على الآداب الاجنبية التي استمد منها ادبنا . ويبدو في الواقع ان التلميذ عندما لا يؤله ادبه ـ كما يقـــول بيكون ـ بل يحترم الآداب الاخرى فانه يكون مهيئا لكـي يصبح « مواطنا عالميا » .

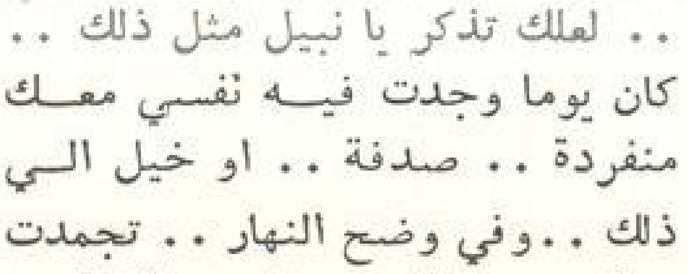
وبمعرفة هذه التأثيرات ومعرفة نصوص هذه العناصر الاولى وهذا التبادل الرائع يكون الانسان المثقف قد تمثل عالم الادب شيئاً فشيئا في وحدته الجوهرية ، والانسان في تنوعه . وعندما يدرس هذه المختارات الحرة التي هي الشروط لوحدة الادب العالمي ، فانه سيقتنع بان وحـدة العالم السياسية لا يمكن ان تكون الا اتفاقا غير ثابت على الدوام ، ولكنه حي ابدا ، بين مزاج الامم الفرديومعطيات الفكر الانساني العامة .

بغداد ... عبد المطلب صالح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرمـ يطول الليل

بقلم سهيلة داود سلمان



بالرغم من هواء الليلة اللافح ، ففراشي يكاد يكون كالصقيع.. باردا وصلبا . الليل واجم .. واتساعه هائل .. وانا لا اجد لي فيه ساعة من الزمن اغمض فيها جفني .. ابعدت الغطاء جانبا ، ونهضت متراخية نحو المنضدة ... وانقضضت على ساعتها .. رفعتها بقبضتي اتطلع الى وجهها .. عقاربها تتحداني وهي تشير الى الثالثة بعد منتصف الليل .. خيل اني وانا اتطلع اليها ان وجها قاسيا يسخر مني .. اغمضت عيني باحدى يدي وسحبت بالاخرى احد الجوارير .. سأخرس صوتها .. ودفنتها تحت كومة من الملابس ، واغلقت باحكام ... حجمها لا يتجاوز قبضة اليد ولكن دقات قلبها أقسى من الليل .. ربما سأستطيع النوم ، لولا تلك الضفدعة .. نقيقها يعلو ويعلو ، رغم اني اغلقت النوافذ كلها .. ليس الذنب ذنبها ، ولكن مدينة تحترم نفسها لا يمكن ان تدع بقايا امطار الشتاء تكون بركا .. مأوى للضفادع والبعوض .. لو كنت في قريةتعيش على الفطرة لاعتدت كل هذه الاصوات .. ولكني والمرارة تعتصر قلبي ، اعيش في بغداد .. مهد الحضارات . قرات مرة ان اناث الضفادع وحدها هي التي تحدث النقيق تنادي به ذكورها .. ترى ماذا تحس تلك الضفدعة وهي تصرخ بهذا الشكل المرعب ..!! من يدري فقد يكون للضفادع قلوب تنبض بالحب كقلوب سائر البشر .. ولم لم يوافها طيلة هذه المدة ..؟ لعل طفلا رماه بحجر خلال النهار فارداه قتيلا .. او قد يكون الآن مطروحا في احد المختبرات المدرسية وقد غرزوا دبوسا في مخه ...! اثرت اشفاقي ايتها الضفدعة المسكينة ولكن .. لا بأس عليك فالضفادع حولك كثيرة وبامكانك الاختيار .. ام ترى جمعتني واياك جيرة وكلانا في المصيبة واحد ..!! ارعوي يا رفيقتي .. فانا مثلك اصرخ .. ولكن صراخي لا يسمعه سوى الليل ... وتتراقص الكلمات امامي .. وتوخز احرفها عيني .. « اريد لقياك يا سهاد .. الحاجة اليك تلح علي .. ام انك اخرست الحنين منذ ذلك اللقاء ..! » . لقاء الاحبة يا « نبيل » ليس اداة يطفأ بها لهيب الحنين .. بل هو الوسيلة لشعور كل منهما انه اصبح ملكا للاخر .. فهل سمعت عمرك وصلا ابعد حبيبين ..؟ واسرع مع اللقاء ... امسية لا اعرف كيف جرى موعدها .. ظلام يجمعني واياك لاول مرة .. الشارع مقفر .. خيل الي ان العالم اقفر حولي .. انآ لا اسمع غير دقات قلبي .. انا خائفة .. واخيرا .. مررت بالتجربة .. انا اخاف التجربة .. منذ ان اتهمت كياني وانا اخافك .. لعلك تذكر يا نبيل مثل ذلك .. كان يوما وجدت فيه نفسي معك منفردة .. صدفة .. او خيل الي ذلك ..وفي وضح النهار .. تجمدت دمائي .. وتلفت حولي وجلة افتش عن انسان يمر قد يشعرني مروره بان العالم لا يزال حيا حولي .. واذا بي ارى كلبا يهرول نحونا .. مجرد كلب .. اعاد لي هدوئي .. وعندها بدات ابادلك الحديث باطمئنان .. انا لم اخلق يا نبيل لمثل هذه الحياة .. اطمع في شيء اكثر من هذا .. اطمع في ان التقيك تحت الشمس .. في وضح النهار .. في مقهى صغيرة مثلا .. نسحق معا ساعة من الزمن بلا خوف .. نرتشف قهوتنا .. ونتحدث احاديثا شيقة .. تلفني ابتسامتك .. واغرق في حلكة عينيك .. لا .. بل اطمع في شيء اكثر من هذا .. في ان يجمعنا سقف واحد .. كوخ بسيط واحد ..اغمض عيني على احاديثك .. وافتحهما فتصطدمان بوجهك .. اطمع في ان اراقبك صباحا وانت تحلق ذقنك .. ابغي معرفة الطريقة التي تغسل بها وجهك .. اتحرق شوقا لان تبدي رأيا في طبق اضعه لك .. ما جدوى لقائنا يا نبيل ولقاؤنا لا هدف له سوى ان نفرق انفسنا في عذاب لا نهاية له ..؟ واستعيد لقاءنا .. كل خططي ذهبت ادراج الرياح .. يداك تمساني .. ها هي تجذبني نحوك .. يفرقني حنانهما .. تحرق وجهي انفاسك.. كل خططي ذهبت ادراج الرياح .. لا أستطيع .. لن استطيع .. لناقاوم عناقا قضيت عمري احلم به .. ولم اقاوم ما دامت لن تمسني شفة اخرى .. واسمعك تهمس : «حققت املا » وانتفضت .. ليتك لم تقلها.. شعرت انك ايضا ككل الرجال .. قل انك لست منهم .. من اصطفيه لنفسي ليس كرجال الدنيا .. قل شيئا اخر .. اهذا هو كل ما في جعبتك ؟؟

سأختنق قبل ان يأتي الصباح .. الصباح .. اين هو هذا الصباح .. يبدو ان ليلي قيام الساعة موعده..! ليتني خلقت براس غبي ، اذن لكنت الآن كالاخريات .. ارفل بالسعادة.. كعائدة مثلا .. التقيتها هذا الصباح اثناء تجوالي في السوق .. صاحبتني مسافة خلتها دهرا .. هذه الصديقة كم كانت تلذ لي صحبتها من قبل ..! وبلا مقدمات بادرتني : « هاني » يعبدك لماذا تصرين على الرفض ..؟ اشحت بوجهي عنها .. اشعر بوخز الضمير حين يتحدثون معي عن رجل آخر .. وغيرت مجرى الحديث .. كلماتها تطفو فوق صوتي : ماذا دهاك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

.. اصحيح انت من كنا نأخذ النصح منها .. علام هذا الاغراق ..انظري حولك الرجال يملأون الدنيا كذباب الصيف .. ستنسينه يا سهاد .. ثقي بقولي مع هاني ستسعدين .. لقد طلب الي ان ...! وقاطعتها : ليتك تعيرينني بعضا من القابليات التي تمتلكينها يا عزيزتي كي يكون بامكاني ان اسير في نفس الدرب الذي سرت فيه .. اما انا فقد سرت في طريق طويلة ، طويلة افتش عن نفسي.. حتى عثرت عليها .. وبكثير من اليسر تطلبين الي ان اوافيك جوابا يرضيك ...! ونبيل ..؟ ماذا اصنع بحبه .. هل اضعه فوق احد رفوف مطبخك الانيق ..؟ انه قدري .. والشاطيء الجميل الذي ترتاح فيه نفسي .. وسمرت عيني في وجهها بأصرار .. رايت مسحة من الحزن تمر في عينيها وقالت : انك ان استوجب عليك ابتلاع جرعة مرة، فما عليك الا ان تغمضي عينيك وتستعيدي طعم العسل ..! فانك لست اول من تمرين في المشكلة .. والسنون تمر .. فما دام لا رجاء هناك ..؟ فليكن .. فليعلم الجفاف كل سنواتي .. انا لا ارتجي شيئا ...!

المرة العشرون .. ربما .. نهضت اسوي الوسادة .. واجهتني المرآة .. خطوت نحوها.. لاحت لي حزمة صغيرة بلون الفضة .. تطلعت فيها مليا وسويتها بكثير من الحنان وابتسمت .. عاودني في نفس اللحظة بيت من قصيدة شعبية فوجدتني اردده تلقائيا :

والزلف هجرك فضضته

ورد فضضته وماش رجه

ما ارقك يا شاعري .. في قلوب العاشقات من النساء لك جولات .. فكأنك تتحسس نبضاتها .. ترى ماذا ستقول عن نفسك لو احببت..؟ لا امل في النوم .. صراخ جارتي .. رفيقة الليل اصبح كالنحيب ..يقتلع احساسي كله .. ما اقسى ان يأرق الانسان وسط مظاهر من السكون المطبق .. ليت عرس جيراننا لم ينته .. ففي الاسبوع الذي فات كنت اقتل الارق باصوات طبولهم وغنائهم .. جيراننا اصحاب الصريفات الثلاث المتلاصقة .. سبع ليال طوال دامت افراحهم .. وقد خيل الي أن ما يقام اكثر من عرس .. حتى نزلت ذات ليلة .. رايت بعض النسوة جالسات في الفضاء حول قدر كبير يعدون شيئا ما ، قد يكون طعاما .. سألتهن عن عدد الاعراس التي تقام عندهم.. ضحكن مني ، وقالت احداهن : بقيت ليلتان وتختتم السبعة ... وقبلت دعوتهم لرؤية العروس .. انحنيت وانا الج ما يسمى بابا .. وبكثير من الدهشة رايتها .. كانت تجلس فوق سرير من المعدن الاصفر برقع كله بغلالة من الثل الابيض .. طفلة ربما تعدت العاشرة .. لعبة مدججة .. كأن طفلا عبث بوجهها فصبغه بشتى الالوان .. نظرت الي خجلة .. ثم اخفضت طرفها .. رايت نظرات الم لا تزال تئن منه .. وفي تلك اللحظة بالذات تذكرت قصة حكتها لي يوما جدتي ، قالت : كنت صغيرة جدا زففت مع سرب من القوارب النهرية عبرت بي دجلة من ضفة لاخرى .. كنت ازاء المظاهر كلها حيرى لا ادري ماذا سيحل بي وانا لم ار في حياتي الرجل الذي قيل لي انني ساصبح امراته ... وادخلوني عليها تحت وابل من الزغاريد ممزوجة بالاطلاقات النارية ... والرهبة تهز جسدها الصغير راته لاول مرة.. عابسا مقطبا ..يتقطر هيبة .. القى عليها نظرة .. ما عرفت الى ان ماتت، هل كانت تحمل استحسانا للوجه الذي رآه لاول مرة ان كان يطابق الشروط التي املاها على امه ، ام انها تحمل خيبة الامل ..؟؟ وصعقت وهي ترى شيئا يخطف لامعا فوق راسها .. يبدو انهم نسوا ان يقولوا لها ان العادة قد جرت ان يستل الرجل سيفه في وجه عروسه حين يدخل عليها اول مرة.. وكانت تحمل في جعبتها افكارا مبعثرة التقطتها من هنا وهناك .. عن ليلة العرس .. وعن الدماء التي تسيل.. فظنت جدتي انها ستقضي بسيفه.. فارتعدت .. وصرخت .. وانقضت على قدميه تستجدي رحمة .. ثم نهضت لتجد مهربا فتعثرت باذيالها .. وسقطت .. ولم تدرك بعد ذلك شيئا مما حدث لها ... كنت واقفة هناك مسمرة امام السرير المكلل .. انظر من خلاله الى لعبة كسيرة الجناح .. عبث بها طفل فلونها عدة الوان.. انها جدتي بلا شك .. احسست عاطفة تشدني نحوها .. وكدت اتقدم منها اجرها من يدها الصغيرة المخضبة .. والملم ضفائرها المفضضة ..واسح عن جبينها الذلة .. واستصرخها .. أن انهضي ... لولا يد خشنة تهزني، وصوت عجوز يتساءل : كيف رايت عروستنا يا عيني.؟ ربت يدها مطمئنة وقلت : فليهنأ ابنك انها لم تكن احسن منها منذ سبعين عاما .. وقفلت راجعة .. سمعت ضحكات حلقي تلاشت مع دقات الطبول .. الهاني عرسهم سبع ليال طوال فما شعرت بالوحدة ... « هل تنام الآن يا نبيل ...؟ » واستعيد اللقاء ..دنيا باكملها بين ذراعيك .. دهر من السعادة في عناقك .. دفء شتاء كامل في شفتيك .. وتتقطع القبلات .. همسات عتب تتخللها : « الاتملكين خطواتك ..؟؟.. جبانة .. حبيبتي جبانة ..! » وانتفض .. انك تصفعني يا نبيل .. كلماتك تدفعني الى الجنون .. نبيل .. يا اعز الناس.. حين تلقى فتاة ضعيفة اقسى انواع التعذيب .. وهي صامدة .. ايسمون ذلك جبنا ..؟ اليست شجاعة يا نبيل ان اساير تقاليد امقتها،حافظت عليها الاجيال ..! ان اابى عن طعن شيخ يعيش اواخر ايامه بامان .. ايسمون ذلك جبنا .. شيخ عاش عمره معمما ، والناس في نظره صنفان .. فان تقدم لاحدى بناته رجل .. يسأل قبل كل شيء أن كان يصلي معقوف اليد ام مسبلها .. فكيف

عودة المغتربين

خفف لظاك بحق الود يا آب ... فاهلنا من وراء البحر قد آبوا
عاشوا على أمل اللقيا تداعبهم ... ذكرى حبيب على آهاتها ذابوا
ان هبت الريح قالوا : نسمة بعثت ... بها الينا من الاوطان احباب
او نور القمر الفضي مبتسما ... وضوؤه في رحاب الكون ينساب
حنو لرؤية عاصينا وقد جمعت ... حيال شاطيه خلان وأتراب
وان تغن بموال أخو طرب ... تحدرت دمعة واهتز اصحاب
وان تراءت لهم ايام صبوتهم ... تسمرت برؤى الاحلام اهداب

تلك المغاني رعت آمالهم زمنا ... حتى اذا اغتربوا.. والدهر دولاب
تلفت القلب يبكي .. لا قرار له ... وكيف يقوى على الهجران وثاب ؟
واليوم عادوا..وقد عادت مجالسهم ... فالكون اغنية نشوى وترحاب

بني العروبة كم شدتم لنا وطنا ... فوق النجوم.. له الجوزاء أطناب
أيان سرتم عيون الله تحرسكم ... وكم تفتح للامجاد ابواب
هذي بلادكم فرحى برؤيتكم ... حديثها المسك والانسام اطياب
لو تنطق الدار غنتكم حجارتها ... وقبلت شفة الاحباب اكواب
في كل بيت لكم قلب وافئدة ... وكل ذكرى من الاوراد جلباب
ان مثلت هذه الدنيا فملعبكم ... تلك البسيطة والاوطان محراب
فهي الملاذ لجرح القلب تلأمه ... وهي الرجاء لمن اضنته اوصاب
ان شتت الشمل اسباب تباعدنا ... فاليوم زالت من الاوطان اسباب

حمص — عبدو مسوح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اذا اقترنت احداهن برجل من غير هذا او ذاك .. انها عقلية مهما اطلقنا عليها ، فنحن نتوارثها دون ان يكون لنا ذنب فيها ..! يا نبيل .. يا اعز من في الدنيا .. كف عن ايلامي .. هل يصلك صراخي .. يا نبيل ..؟ اكاد انسى يا نبيل .. كيف ينام المرء في الليل .. سأجن حتما .. يا اله السموات .. يا ربي .. امنح نفسي السلام .. وقلبي الرضا .. جد علي بساعة من دهرك الطويل الامد .. ساعة واحدة .. يا اله السموات ويا رب الاديان كلها .. وخالق النبيين.. اتبخل علي بساعة فقط .. سأتلوك ما شئت من الدعوات .. وبأي لغة تشاء .. سأتلو « الآيات » ، فانا احفظ القرآن كله .. وان شئت « فابانا الذي في السموات » .. لا بل سأتلو ايضا من « سفر التكوين » الشيء الكثير .. ولم لا ..؟؟ اليست جميعها كلماتك ..! الم يكن اصحابها رسلا لك ارسلتهم لنشر المحبة .. وجمع القلوب.. لا للتفرقة والبغضاء .. فيا رب الانبياء جميعا اغفر لهم ذنوبهم ، ما داموا لا يفهمون من الدنيا شيئا ... ليتني لم ار الدنيا .. ولم تعرفني .. بت لا ارى جدوى من الوجود كله .. لا شيء اطلاقا ،نعيش حياتنا دون هدف في انتظار ان يتلقفنا الموت ..!

شيء ما يجثم فوق صدري .. كأن اطنانا من الجمر صبت في جوفي .. سأنزل لاشرب شيئا .. ليتني اجد شيئا من الكوكا كولا في البراد ... حالي مع الكوكا كولا كحال المرء مع حبه الاول .. اكاد اتعلق باي مشروب طاريء .. حتى اذا ما اجتاحتني لحظات عطش شديد اتلهف شوقا الى شربها .. لم اجد شيئا غير الماء .. ابتلعت قدحين .. خير لي أن لا اعود الى فراشي .. سافتح المذياع .. القاهرة لا تزال تبث برامجها ... صوت نسائي باك : « فين مالي .. دارت بي الارض وساء حالي ؟؟ » .. انها مسرحية شوقي تنقل من احد المسارح .. تناولت سيكارة .. اشعلتها ، ورميت جسدي المتعب على احد المقاعد اواكب الاستماع ..!

بغداد — سهيلة داود سلمان



حارث طه الراوي

الشاعر نسيب عريضة

بقلم حارث طه الراوي

امين مكتبة المجمع العلمي العراقي

* * *

لمحة عن حياته

ولد نسيب اسعد عريضة (١ و ٢) في مدينة «حمص» خلال شهر آب سنة ١٨٨٧ وفي مستهل صباه ادخل في المدرسة الروسية المجانية في « حمص » وتدرج في صفوفها بتفوق يبشر بالخير ، وكوفيء على تفوقه بارساله سنة ١٩٠٠ الى « دار المعلمين الروسية » في الناصرة بفلسطين ، فتابع دراسته هناك وتعرف على زميله في الدراسة وزميله في « الرابطة القلمية » ، فيما بعد ، ميخائيل نعيمة . وبعد اربع سنوات انفقها عريضة متفوقا، انتدب لاكمال دراسته العالية في روسية ، ولكن ظروف الحرب الروسية اليابانية آنذاك حالت دون ذلك ، فاضطر نسيب الى ان يقضي سنة اخرى في مدينة الناصرة وفي نهايتها سافر الى نيويورك سنة ١٩٠٥ مزودا باصول اللغتين العربية والروسية ، وواصل تتبعه للادب العربي واخباره ، في بلاد الغربة ، وكان كثير التردد على مكتبة نيويورك العمومية يقرأ امهات كتب الادب العربي وبعض كتب الادب الروسي ، فازدادت ثروته الثقافية ودعاه اصحابه : «دائرة المعارف » ...

ولجأ في مدينة الدولار الى المتاجر والمصانع يلتمس فيها الرزق الحلال ، واستهواه الادب فاسس سنة ١٩١٢ مطبعة « الاتلنتيك » واصدر مجلة « الفنون » التي حملت لواء التجديد في الادب العربي ... وكان من كتاب «الفنون» في فجر حياتها «جبران خليل جبران» و «امين الريحاني» وكتب فيها «ميخائيل نعيمة» سنة ١٩١٣ وكان اول مقال له في « الفنون » عن كتاب جبران «الاجنحة المتكسرة» الذي نشر تحت عنوان « فجر الامل بعد ليل اليأس » . وكان نسيب عريضة يشجع اصدقاءه من الادباء الناشئين فقد بعث رسالة الى صديقه « ميخائيل نعيمة » على اثر نشر مقاله « فجر الامل ... » قال فيها : (٣)

« ان ما كتبته يا صديقي في مقالتك عن « الاجنحة المتكسرة » لجميل وصحيح . قد اعجبتني طريقتك جدا ورأيت من نسقك ما جعلني اشدد الامل بان اراك في مصاف كتابنا الناشئين لهذا العصر الجديد الذي هو بدء حياة ذهبية لآدابنا الشرقية المنحطة . ولذلك ارجو ان تواظب على الكتابة . واقترح عليك ان تطالع كل كتابنا من اليازجي الى الان وتكتب لنا فصلا عن كل منهم ليعلم القوم انهم لم يحصلوا الا على القشور من كل ما مروا عليه من ادب المدح والهجو وصف الكلام الفارغ الثقيل . وعسى ان تكون لنا مثل بيلينسكي عند الروسيين وسانت بيف عند الفرنسيين » .

الا ان حماس «نسيب عريضة» واخوانه للتجديد ترك فيهم نوعا من الاعتداد غير المستحب ، فقد خيل اليهم انهم وحدهم سدنة التجديد وعماده وان الزعامة لهم وحدهم في هذا المجال ... فبالرغم من ان « مصطفى لطفي المنفلوطي » كان قد خرج في كتابه « النظرات » خروجا معقولا مقبولا عما الفه كتاب تلك الفترة من السجع المتكلف الفارغ والمواضيع السطحية التافهة ، الا انه لم يصادف هوى في نفوس المهجريين ولا سيما في نفس نسيب عريضة ، فقد اهدى المنفلوطي نسخة من كتابه «النظرات» الى نسيب عريضة سنة ١٩١٤ وطلب منه ان يبدي رأيه فيه في مجلته « الفنون » فحول عريضة كتاب «النظرات» الى صديقه « ميخائيل نعيمة » وارسل اليه رسالة مؤرخة ١٥ ايار سنة ١٩١٤ ورد فيها الطلب الغريب التالي :

« قد كان المنفلوطي سألني ابداء رأي في نظراته فحولتها اليك . فاذا ساعدتك اوقاتك فاكتب واشفغليلي من هؤلاء « الكتبة » » .

وقد علقت على هذا الاستخفاف الذي ابداه عريضة تجاه المنفلوطي في مقالي «مصطفى لطفي المنفلوطي» المنشور في مجلة « الثقافة » (٤) القاهرية ، بقولي :

«... وبالرغم من ان اسلوب «المنفلوطي» في «النظرات» من الاساليب المستساغة التي تتوخى السهولة والتجديد وتنفر من الصنعة والتعقيد ، وبالرغم من ان مجمل آرائه انسانية بحتة تدعو الى الخير والحق والجمال وتهدف الى المحبة والاخاء وتنسجم مع ما يدعو اليه المجددون من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ادبائنا المعاصرين لا سيما ادباء الرابطة القلمية في المهجر ، الا أن الدوافع الاقليمية والطائفية كانت عند بعض هؤلاء اقوى من التسليم بهذه الحقيقة . من ذلك موقف الشاعر المهجري نسيب عريضة من « نظرات » المنفلوطي ... » . وبعد ان استشهدت بغمز عريضة للمنفلوطي الآنف الذكر قلت : « وان اعجب فعجبي من شاعر انساني رقيق ذي قلب كبير مثل نسيب عريضة يريد ان « يشفي غليله » من انسان طيب واديب رقيق كالمنفلوطي ، ثم يسخر سخرية ليست في محلها على الاطلاق عندما يغمز بقوله : « هؤلاء الكتبة » . قاتل الله التعصب ، فقد يكون ، احيانا ، اقوى من كل قوى الخير في الانسان ... » .

وتعاونت ظروف الحرب العالمية الاولى مع افلاس نسيب على احتجاب مجلته « الفنون » التي كانت نفقاتها تفوق دخلها بكثير « وباحتجاب المجلة توقفت المطبعة عن العمل . فكانت الخسارة جسيمة على قلب نسيب وجيبه معا . وكان وقعها عليه وقع الصاعقة . وعلى الاخص لان المال الذي دفنه في مشروعه لم يكن ماله ، بل كان ابوه هو الذي امده به من حمص » (٥).

وبعد يأس مرير ارسل الفرج اليه صديقه « راغب » الذي يسر له المعونة المادية اللازمة ، فاصدرها نسيب عام ١٩١٦ وكتب الى صديقه ميخائيل نعيمة رسالة (٦) بتاريخ ٥ نيسان ١٩١٦ يبشره بعودة الفنون ويطلب منه المساهمة في تحريرها :

« عزيزي ميخائيل ــ لم اتمكن من الكتابة اليك لانشغالي كل هذا الاسبوع باعداد لوازم الفنون . وقد كلفت الاخ راغب لينبئك بهذا الخبر . وقد فعل . فعسى ان تكون رسالته قد وصلتك وقاسمتني الفرح . ان المجلة لولا مساعدة راغب المادية ما كانت لتنبعث من الاموات . واني واثق من نجاحها هذه المرة لاسباب عديدة ... واهمها استعداد الناس لقبولها هذه المرة ، الامر الذي شعرت به وشعر به كل مراقب ... وقد حسبنا مصاريف المجلة بارة بارة فلم تزد على المائتي ريال في الشهر . وراغب مستعد ان يقدم في الحال نحو الفي ريال . ويظن ان الخمسة الباقية سيوجدها من الان الى آخر السنة ...

الان شعرت بتغيير عظيم في حياتي وصرت احيا واحب الحياة . وقد نفضت غبار خمولي وسآمتي . فساعدني الآن يا اخي بما تستطيع واعلم بانك تبني معي ولست انا الباني وحدي . فلنتعاون لعلنا نبني شيئا جديدا في تاريخ الآداب ولعل صوتنا هذه المرة لا يخفت كالمرة السابقة .

سأستعمل مقالتك « الشعر والشعراء » القديمة للعدد الاول . هذا اذا لم ترسل شيئا جديدا ... وعليك اطيب السلام ــ اخوك : نسيب » .

وتوقفت مجلة الفنون عن الصدور بصورة نهائية قبل ان تكمل العامين ، وشرع نسيب بعد ذلك يحرر في اشهر الجرائد العربية في المهاجر آنذاك « كالسائح » و « مرآة الغرب » و « الهدى » ...

وفي سنة ١٩٢٠ انتقل شقيقه « سابا عريضة » الى رحمة ربه ، فجزع نسيب لهذا المصاب الفادح اشد الجزع، وبكى شقيقه الراحل بدموع سخينة ترقرقت في قصائده المؤثرة : «صرخة من الوادي» و «يا غريب الدار» و «ذكرى الغريب» المنشورة في ديوانه « الارواح الحائرة » ...

وتزوج نسيب في نفس هذه السنة من نجيبة حداد شقيقة عبد المسيح حداد صاحب جريدة « السائح » فما رزق منها اولاداً ...

وفي اثناء المجزرة العالمية الثانية طلب منه أن يشتغل في مكتب الانباء الاميركي فلبى الطلب ، ثم اعتزل العمل ، بعد الحرب ، بسبب شكواه من ضعف في كبده وقلبه ، وعكف على جمع ديوانه وطبعه . وكان ديوان « الارواح الحائرة » في يد المجلد عندما توفي نسيب عريضة يوم ٢٥ آذار سنة ١٩٤٦ في مدينة بروكلن .

نظرة في شعره
اصداء الالم واليأس والتشاؤم :

نسيب عريضة من اصحاب النفوس المنكمشة ، المنطوية في عزلة مفعمة بالالم والاحزان التي تهتز في قلبه، وتسكب انغامها في شعره ، انما هي اوتار الالم واليأس والتشاؤم. ويبدو ان شاعرنا النسيب كان شديد الاستجابة لدواعي الالم ومنغصات الحياة ، منذ فجر حياته ، قبل ان يمعن في تجربة الدنيا والناس ويختبر الحياة في سن النضوج. فها هو ينظم قصيدته « حديث الشاعر » (٧) سنة ١٩١٢ اي عندما كان في الخامسة والعشرين من عمره ، فيرسل الى اسماع القلوب شهقات اليمة ، وينذرنا في البيتين الاخيرين من القصيدة بألا نفتش في شعره عن الالحان المفرحة ... فقد قطعت أطرب اوتاره العبر ، حتى اصبح هم قلبه ان يبكي ويمضي في البكاء ، في مأتم العيش ، على حال البشر :

باطلا ترجون لحنا مفرحا ... قطعت أطرب اوتاري العبر
فدعوا قلبي مع الباكين في ... مأتم العيش على حال البشر

ويذكر الشاعر في هذه القصيدة المواضيع التي يجيد التحدث عنها في قريضه ، وهي مواضيع اليمة تثير الاسى في النفوس ، فهو يحدثنا :

عن ظلام العيش ، عن سجن البقا ... عن فيافي التيه ، عن ظلم القدر
عن ليالي الويل ، عن قطع الرجا ... عن دنو البين ، عن بعد المفر
عن خداع ، عن شقاء ، عن شجا ... عن فراق ، عن دموع ، عن سهر
عن شقي عن ابي عاثر ... عن شريد ، عن نبي محتقر
عن فقير حاسد طير السما ... عن طريد ما له العمر مقر
عن عذارى بذلت اعراضها ... في سبيل العيش... بئس المتجر
عن ديار بعد مجد خملت ... وبنوها الصيد صاروا في النفر
ما بقي من عز اجداد لهم ... غير ذكرى من غدا ضمن الحفر
عن ... وكم من انة في وتري ... في صداها عنعنات عن خبر

وفي نفس هذه السنة (١٩١٢) التي نظم عريضة خلالها هذه القصيدة ، نظم قصيدة « اشرب وحيدا » (٨) التي

هتك فيها الشاعر الحجب عن بعض أسرار عزلته ، فقد رفع كأسه ، وفتش عن الندامى والجلاس ، وبحث عن الفادة « البضة » التي تستجيب لنزوات شبابه ، وعن الرجل الكيّس الصادق الذي يسر اليه بأحاديث قلبه وفكره ، فلم يعثر على احد من هؤلاء ، فاضطر الى ان يشرب كأسه وحيداً ...

وفي القصيدة بث وجداني حزين وموسيقى شجية الرنين ، ورقة لا تخفى على القراء والناقدين ... تساءل شاعرنا في قصيدته قائلا :

رفعت كاسي حين لج الهوى ... واستعصت الاشجان في راسي
وصحت مفرورا بطيش الصبى : ... اين الندامى ، اين جلاسي ؟
فلم يجبني احد منهم ... سوى الصبا مرت بانفاسي
وجاوبتني بلسان الصدى ... والصدى رهبة ايجاس
اشرب وحيدا أيهاذا الفتى ... أوصم عن اللذة في الطاس
قلت : اما من رجل صادق ... ذي ادب ، خريج اكياس
يشرب نخبي وانا نخبه ... ونقرع الكاس على الكاس
اروي له اخبار اهل الهوى ... ويكتم السر عن الناس
فصاح بي من داخلي هاتف ... منتهر في ذي خناس
اشرب وحيدا ويك ياذا الفتى ... أوصم عن اللذة في الطاس
قلت ، اما من غادة بضة ... علي يحنو قلبها القاسي
ترمقني شزرا بلحظ الهوى ... وتقرأ النجوى بانفاسي
اشكو شذوذي في حياتي لها ... وصد خلاني وجلاسي
حتى اذا ما اشتد داعي الهوى ... تقول لي : ما فيك من باس
وترفع الكاس الى ثغرها ... فاستقي من فضلة الكاس
«قف» قال لي رجع الصدى غاضبا ... « يكفيك وهما ايها الناسي »
« اشرب وحيدا أيهاذا الفتى ... أو صم عن اللذة في الطاس »
فقلت : ان كان على ما ارى ... أمري فحمل الناس للناس
وقمت والكاس علت في يدي ... رفعتها أعلى من الراس
شربت وحدي نخب نفسي ولم ... يقلقني هاتف وسواس
وكان سماري نجوم الدجى ... وكانت الآمال جلاسي
رأيتها تهتز سكرا معي ... منشدة نغمة ايناس :
اشرب وحيدا أيهاذا الفتى ... ولا تصم عن لذة الكاس

وفي قصيدة «جلسة طرب» (٩) التي نظمها عريضة سنة ١٩١٥ عزوف عن مغريات الحياة ، وميل الى الحزن والكآبة ، ووميضات صوفية تشع من روح القصيدة . فالمغني يغني في سكون الدجى واصحاب «نسيب» يقولون له : أما تسمع ؟ وكؤوس الطلى تدار واصحابه يقولون له : أما تشرب ؟ فيجيبهم « نسيب » : دعوني مطرقا ، حائرا ، منطويا على كآبتي اذ لا مطمع لي في لهوكم ، فانا اطرب بانغام اخرى أحس عصفها في كياني ، اما خمرتي فانني اعصرها من اضلعي ، فدعوني وشأني :

غنى المغني في سكون الدجى ... فقال لي صحبي : اما تسمع ؟
نراك لا تحسو كؤوس الطلا ... ولا تنادي « آه » اذ تخشع !
اما ترى المطرب اما شدا ... يهتز من انشاده الموضع
وانت كالصخرة في السيل لا ... تجري مع الماء ولا تجرع
قلت : دعوني مطرقا حائرا ... فليس لي في لهوكم مطمع
من لي بان اطرب والنفس قد ... أمست على اسماعها برقع
اذا سمعتم فانا سامع ... ما ليس يصبيكم ولا يمتع
ابعد من ضجة الحانكم ... عاصف انغام به ارتع
قرارها الحزن ودولابها ... كآبة ضاقت بها الاربع
وان شربتم فانا منتش ... من خمرة تعصرها الاضلع
قد تشبع الاكؤس من خمركم ... اما سويدائي فلا تشبع

ويبدو لي أن زميله في الحياة الدراسية وفي جمعية «الرابطة القلمية» ميخائيل نعيمة قد اقتبس فكرة موشحه « لو تدرك الاشواك سر الزهور (١٠) » من عينية عريضة نظم الآنفة الذكر . ومن الادلة على ذلك ان نسيب عريضة نظم قصيدته « في جلسة طرب » سنة ١٩١٥ كما هو مثبت في نهاية هذه القصيدة المنشورة في « الارواح الحائرة » . في حين ان ميخائيل نعيمة نظم موشحه « لو تدرك الاشواك سر الزهور » سنة ١٩٢٠ كما هو مثبت في نهاية الموشح. واليك المقاطع التي تشابهت فيها الفكرة والغاية . يقول نعيمة :

يا ساقي الجلاس بالله لا ... تحفل بكاسي بين هذه الكؤوس
أترع لغيري الكاس اما انا ... فاحسب كأني لست بين الجلوس
واعبر ودعني فارغ الكاس
لا ، لا تقل ما طابت الخمر لي ... او انني ما بينكم كالغريب
بل ان لي يا صاحبي خمرة ... ما مثلها يطفي بروحي اللهيب
اعصرها من قلبي القاسي

وهكذا يعرض « نعيمة » عن الخمرة لانه يملك خمرة افضل منها يعصرها من قلبه القاسي ، ويعرض عنها « عريضة » لانه يملك خمرة يعصرها من اضلعه . واما بشأن موقفهما من الطرب والاستجابة لانس الالحان فكلاهما يكتفي بالالحان المترددة في جوانب نفسه . اسمع نعيمة في موشحه المذكور يقول :

يا مرسل الالحان من عوده ... سحرا يهيج الصب حتى الجنون
اما رأيت الرأس مني انحنى ... والعين غابت خلف ستر الجفون
فلا تقل ذي حال ولهان
لا ، لست بالولهان يا صاحبي ... فالقلب مني جامد كالجليد
لكنني مصغ لنفسي ففي ... نفسي أوتار وفيها نشيد
فاضرب ودعني بين الحاني

وارى ان مثل هذا الاقتباس أبعد مدى من « توافق الافكار والتعابير في ادب الرابطيين » الذي عالجه « عيسى الناعوري » في كتابه «ادب المهجر (١١)». فالاقتباس شيء وتوافق الافكار والتعابير شيء اخر . والاقتباس وان كان بعيدا ، في بعض الاحيان ، عن السرقة الا انه لا يعدو ان يكون ، في افضل احواله ، تقليدا ومحاكاة ...

وفي قصيدة « دعني وشأني (١٢) » التي نظمها عريضة سنة ١٩١٥ يضرب شاعرنا على وتر الزهد والقناعة ، ويرسل الى اسماعنا انغام الصبر والاحتمال ، وفي بعض ابيات هذه القصيدة الوجدانية يقول الشاعر ما لا يستطيع ان يفعل ، من ذلك قوله :

قل افتقرنا فلم نلجا الى احد ... وقل فجعنا فلم نخضع لاحزان

وديوانه « الارواح الحائرة » خير شاهد على عدم صدق هذا الزعم ، فمعظم قصائده تفيض الما وحزنا ، فكيف لا يخضع للاحزان وهو الذي اغرق ديوانه بالدموع السخينة ... اما الابيات التي تبتعد عن طبيعة الاشياء فهي :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقل عطشنا وكان الماء قسمتنا فلم نرده وعفناه لظمآن
وقل : عشقنا فلم يعلم بنا بشر ولا الحبيب ولا فخر بكتمان
وقل: سهدنا فلم نشك السهاد الى نجوم ليل أضاءت فوق عميان
وقل: شقينا فلم نخضع لذي صلف ولم نحارب شقاء بابنة الحان

ولا ادري كيف يقترب الظمآن من الماء ثم يرفض ان يشرب منه ويعافه لسواه عن طيب خاطر ... واين هذا المعنى المتهافت من معنى بيت « القاضي الجرجاني » :

يقولون لي ذا مورد ، قلت قد ارى ولكن نفس الحر تحتمل الظما

اما العشق الذي لا يعلم به احد حتى الحبيب فلا وجود له على الارض ... واذا افترضنا ان الحب المقصود هو الحب الصوفي وان الحبيب هو الباري عز وجل فكيف لا يعلم الباري بحب عبده له وهو الذي يحيط بكل ما يختلج في الصدور ؟.. واذا كان المقصود بالحبيب انسانة ما .. فالويل لها من مثل هذا الحب الذي لا يضر ولا ينفع !..

وقد احسن عريضة صنعا عندما كتم نجوم الليل شكواه بسبب السهاد ، فالشكوى الى الجماد عبث شعري ليس الا ... اما بيته :

وقل شقينا فلم نخضع لذي صلف ولم نحارب شقاء بابنة الحان

فصدره صحيح ، لان نسيب عريضة كان ابي النفس ، شجاع القلب . واما عجزه فتكذبه قصيدة « رفعت كأسي» ويكذبه قول صديقه ميخائيل نعيمة (١٣) : « كان نسيب يحب الاكلة الطيبة ، والكأس المشعة ، وله ولع بلعب البوكر وتدخين السيكار » .

وفي قصيدة « انا في الحضيض » (١٤) يعلن الشاعر عن بؤسه المرير المتمثل في مرضه وضيق ذات يده وغربته ، ويتلهف الى معين مخلص ومنجد محب ، في تلك البيئة التي يتراكض الناس فيها على اشلاء الضعفاء المتهاوية :

انا في الحضيض
وانا مريض
افلا يد تمتد نحوي بالدوا
وتبث في جسمي ملامسها القوى
وتقلني من هوتي نحو الذرى
فأسير مستندا عليها في الورى

الى ان يقول ، وقد يأس من وجود الرفيق والدليل والصديق في دربه الموحش الطويل :

ما من مجيب
ما من حبيب
سر يا شقي كفاك تشكو ما دهاك !
العل لا شاك من البلوى سواك
كم ذا تفتش عن مؤاس او معين !
هيهات ان الناس مثلك اجمعين

فلا عجب ـ والحالة هذه ـ ان ينظم نسيب عريضة قصيدته الوجدانية المؤثرة « على الاطلال » (١٥) في نفس السنة التي نظم خلالها قصيدته الآنفة الذكر . ففي هذه القصيدة ـ على الاطلال ـ يقف عريضة على « ربع المروءة والوفا » ليندب الاطلال المتهدمة والصروح المتهاوية ... ويتحسر ، عندما يتذكر ، «زمن النبالة والكرم» فقد انطوى ذلك الزمن الوضيء واصبح المال يفقر جهل الجاهل ويرفع قدر الوضيع.. ولا اشك في ان عريضة ما كان ليرسل هذه الشهقات الاليمة لولا الجحود الذي لاقاه ـ وهو الاديب الفاضل ـ من اخوانه العرب السوريين واللبنانيين المغتربين ... فهو يشكو بصراحة لا تحتمل التأويل جحود ابناء جلدته الذين كان يتوقع منهم ان يقيلوا عثراته في طريق الدولار ... والدليل على ذلك المقطع التالي من قصيدة « على الاطلال » :

يا صاحبي ، اليس حقا ـ ما قرانا في الكتب
عن جابري العثرات عن اجواد سادات العرب
عن حاتم ، عن معن ، عن كعب بن مامة في الحقب
والقائلين ، الفاعلين ، ـ الباذلين بلا طلب
عجبا ، الم يبقوا لهم نسلا فيعرف ما وجب
يوم الوفاء ؟

وقد بلغت آلام واحزان « عريضة » الذروة عند وفاة شقيقه « سابا » سنة ١٩٢٢ فرثاه بثلاثة قصائد خلال هذه السنة هي «صرخة من الوادي (١٦) » و « يا غريب الدار (١٧) » و « ذكرى الغريب (١٨) » . ويكاد نسيب عريضة ان يبز في قصائده هذه اغلب القصائد التي قالها شعراء العربية في رثاء اشقائهم ، فهي تبز همزية (١٩) « ابن الشبل البغدادي » الرائعة في رثاء شقيقه «احمد» التي يقول في مطلعها :

غاية الحزن والسرور انقضاء ما لحي من بعد ميت بقاء

تقع القصيدة الاولى « صرخة من الوادي » في ٤٨

(١) قسم من دراسة مطولة عن الشاعر في الجزء الثاني من كتاب « مع الشعراء » المعد للطبع . (٢) عندما تولى الشاعر نسيب عريضة تعريف نفسه في العدد الممتاز لمجلة « السائح » النيويوركية اكتفى بقوله: « شاعر لا يرى في كل ما نظمه شيئا ، وكاتب لا يود ان يقرأ ما كتبه . هذا ما يريد ان يقوله عن نفسه ، ولا يود ان يزيد على ما ذكر شيئا سوى انه لا يزال على الطريق ، ونصب عينيه المحجة ، وسيواصل سيره اليها غير ملتفت الى آثار اقدامه في الرمال . ولد في حمص ، وهاجر الى اميركة سنة ١٩٠٥ وما سوى ذلك غير جدير بالاهتمام » . (٣) سبعون لميخائيل نعيمة ط ١ ص ٣٠ ـ ٣١ . (٤) العدد التاسع ١٧ سبتمبر ١٩٦٣ . (٥) نسيب عريضة شاعر الطريق ـ بقلم ميخائيل نعيمة ـ مجلة « الآداب » البيروتية ايار (مايو) ١٩٥٣ . (٦) سبعون ـ لميخائيل نعيمة ـ المرحلة الثانية ص ٥٧ ـ ٥٨ . (٧) ديوان « الارواح الحائرة » ط نيويورك سنة ١٩٤٦ ص ١٧ ـ ٢٠ . (٨) الارواح الحائرة ص ٢١ ـ ٢٣ . (٩) الارواح الحائرة ص ٤٧ ـ ٤٨ . (١٠) ديوان « همس الجفون » لميخائيل نعيمة ط ١ سنة ١٩٤٣ ص ٢٨ ـ ٣١ . (١١) ص ٤٥ ـ ٥٣ . (١٢) الارواح الحائرة . (١٣) سبعون ـ المرحلة الثانية ص ١٧٨ . (١٤) الارواح الحائرة ص ٧٢ ـ ٧٣ ـ راجع قصيدة «فتش لقلبك » في ديوان « همس الجفون » لنعيمة المنظومة سنة ١٩٢٠ فهي مقتبسة من قصيدة عريضة «انا في الحضيض» . (١٥) الارواح الحائرة ص ٧٤ ـ ٧٥ . (١٦ و ١٧ و ١٨) الارواح الحائرة ص ١١٦ ـ ١١٨ و ص ١١٩ ـ ١٢٠ و ص ١٢١ ـ ١٢٨ . (١٩) عيون الابناء في طبقات الاطباء ط الاولى بالمطبعة الوهبية سنة ١٨٨٢ ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ في ترجمة « ابن الشبل البغدادي » . (٢٠) الارواح الحائرة ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ . (٢١) الارواح الحائرة ص ٤٤ ـ ٤٦ . (٢٢) الارواح الحائرة ص ١٧٩ ـ ١٩٧ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بيتا يستهلها الشاعر الحزين بمخاطبة شقيقه الراحل ، متسائلا عن سر صمت شقيقه ، متوسلا اليه ان يجيبه اكراما للعهد الذي بينهما وان يخترق ، بقوة الشوق وقوة الاخوة ، الحواجز التي تفصل بينهما :

يا صاح ما لك لا ترد ... أصددت ام اعياك بعد ؟
نفسي الاسيرة في الحضيض ـ ... اليك ايديها تمد
هلا أجبت أليس ما ... بيني وبينك ، صاح ، ود
ام انت في كون سحيق ـ ... لا صدى منه يرد
ام قصرت نفسي ودون ـ ... مداك أبعاد وجهد
أفتعجز الارواح عن ... خرق الحواجز لو تود ؟

وهكذا يمضي الشاعر الحزين في اسئلته الحائرة المحيرة المتطايرة من جراح روحه ودموع قلبه ، وقد لفه ليل الاسى من كل جانب ، مفتشا في هذا الليل المدلهم عن بصيص من الرجاء ينير له الطريق ... ويتساءل قائلا :

أفتخرس الارواح اذ تنأى وتنسى من تود
ام تضمحل فما لها عود ولا امل وخلد ؟

ثم يرسم لنا الشاعر الحزين حالته الاليمة بعد فقد شقيقه في صورة زيتية تجنح الخيال حيث يقول :

نفسي على بحر الاسى ... ينتابها جزر ومد
فالقلب يدفعها الى ... حيث الهلاك لها معد
فتطيع ذاهلة وحادي ـ ... عيسها لليأس يحدو
تصغي الى الامواج تلطم ـ ... طوفها لطما يهد
وشراعها أمل تمزق ـ ... والرياح عليه تعدو
والعقل يقذفها الى ... شط السلو ولا تود
تابى سوى الذكرى وفي ـ ... الذكرى لها ألم وسهد
آها من الذكرى ففي ... أكوابها سم وشهد

وتستبد اللوعة بالشاعر الحزين فيسأل قائلا :

أكذا النهاية ؟؟ يا لعقبي ما لها في الخلق بد

وتثور الدهشة في نفس الشاعر اذ يفكر في العالم الباطني للانسان ، ذلك العالم المترامي الاطراف ، فيعجب كيف يقبع عالم المطامح والعواصف والاماني والفكر وما الى ذلك في حفة صغيرة موصدة :

جسم تضيق بهمه ـ ... الدنيا على نعش يمد
أين المطامح ، والعواصف ، ... والاماني ـ وهي حشد
والفكر خلاق الغرائب ـ ... هل له في اللحد حد
وبنات صدرك هل لها ... تحت الثرى خدر ومهد

ثم يعلل الشاعر مصير الذين طواهم الموت ، على ضوء الايمان واليقين فيقول :

هيهات ! ما ضم الضريح ـ ... سوى قليل لا يعد
لم يطو جوهرك الثرى ... فالروح لا يطويه لحد
قد ضم قبرك ما يحد ـ ... وان نفسك لا تحد
أرجعت عارية الثرى ... وخلعت ثوبا لا يجد
وسموت نحو مطالع الانوار ـ ... حيث الصبح يبدو
فالى اللقاء اخي ، فاني ـ ... سوف اغدو حيث تغدو
جاريتني فسبقتني ... ان السبوق هو الاشد

وما يكاد الشاعر الحزين يتنفس الصعداء بهذا الايمان وهذا اليقين فيشعر بما يشبه الراحة النفسية والطمأنينة الروحية ، حتى تستيقظ احزانه من جديد ، فيتكلم ، عندئذ ، بلسان الحكيم الرزين ، عن لذات الحياة الزائلة ومسراتها المنطوية فيقول :

ما العيش آمال واموال ـ ... ولذات ورغد
العيش ارواح تهذب ... ثم ارماس تخد
ليست تعيد لنا الصدى ... وعلى التحية لا ترد

وقصيدة « يا غريب الدار » لا تعدو ان تكون ترنيمة حزينة ، لا تخلو من الرقة والعمق ، يستهلها الشاعر الحزين بمناجاة شقيقه الدفين في حالة قاسية من حالات صحوة الذكرى وعصيان الصبر :

شفني التذكار ... وعصاني صبري
وفؤادي غار ... اثر طيف يسري
والدجى محيار ... ليس يدري أمري
ايها الاقمار ... اين ولى بدري

وتستثير هذه الحفرة ، المفرطة في الضيق ، فكر الشاعر المفجوع ... هذه الحفرة التي اعتاد الحفار ان يشقها بمعوله من غير أن يفكر بغير الربح الذي تدره عليه مهنته .. فهو يشقها من غير اكتراث ولا يهمه أن يعرف أنه انما يهيل التراب على اعز الاعزاء :

حفرة كم حار ... في مداها فكري
شقها الحفار ... ومضى لا يدري
ان فيها صار ... كل ما في العمر

ثم يصف نسيب عريضة المتناقضات التي تلتقي في هذه الحفرة الضيقة :

تنتهي الافكار ... والخيال الشعري
والهوى الفرار ... والفرام العذري
عندها والعار ... يلتقي بالفخر

ويعود الشاعر الى مناجاة اخيه ، البعيد الدار ، القريب الذكر ، فيتحدث عن الاقدار المرغمة وعن انهار الاعمار التي تصب في بحر الابدية وعن المسامير التي دقها الموت في صليب الدهر وعن القبر « قاطف الازهار في ربيع العمر » ...

اما قصيدة « ذكرى الغريب » التي تقع في ١٢٦ بيتا ، فتكاد ان تكون ملحمة يتيمة في باب الرثاء في الشعر العربي، وتتميز هذه القصيدة الطويلة عن القصيدتين السالفتين بسعة الخيال وغرابة الصور وطرافتها وتشترك معهما في الحزن المشبوب والاسى الهائج ...

لا نسمع ، في مقدمة هذه القصيدة ، صيحات الاسى ، ولا نلمح نيران الاحزان ، وانا نسمع انغاما رقيقة يخاطب بها الشاعر « لاهل الخلود » الذين انتقل الى عالمهم شقيقه « سابا » فهو يوصيهم به خيرا :

غريب على الباب يرجو الدخولا ... أثار النوى فيه شوقا طويلا
ألا ادخلوه أهيل الخلود ... اليكم ولا تحرموه مقيلا
أتى بابكم مدنفا حائرا ... عليلا ـ فهلا اجرتم عليلا
قضى العمر في التيه في القفر حتى ... نفته الحياة فالقى السبيلا
وابصر انوارکم في اشتعال ... فسار اليها يروم الوصولا

وبعد ان يصف الشاعر الغربتين اللتين تحمل عبئهما شقيقه ، غربته عن وطنه العربي وغربته عن ربه ، وكيف انه مضى كالشهاب ، لم يودع اخا او حبيبا ، يعلل الشاعر موت اخيه فيشبهه بذبول الزهر وغروب الشمس التي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تشرق من جديد ، ولكن تعليله جاء من قبيل التساؤل الحائر لا اليقين المستقر ، فما يكاد يقول :

اجل ، مات كالزهر اذ يعتريه ذبول ، أليس الممات ذبولا ؟
أليس الممات غروبا يليه شروق . أليس الحياة اصيلا ؟

حتى يعلن حيرته بصراحة :

ام الموت خاتمة لا يليها ـ ابتداء ، ولا تستعيد الفصولا ؟
اخي اهدني انت لا شك تدري امورا تحير عقلي الكليلا

ويمضي الشاعر في اسئلته الحائرة ، ثم يبدأ بوصف حزنه ، فيجسم لنا المعنويات ، ويصور لنا مخبآت سريرته ادق تصوير :

فلم يبق لي منك الا ادكار وحزن مقيم أبى ان يزولا
نما باسقا فرعه في فؤادي وعمت في ترب نفسي الاصولا
وقد دك حزني هياكل سلم بقلبي ونفسي فصارت طلولا
وقفت اناجي خراباتها وقد خيم الليل فوقي ثقيلا
تلوت عليها صلاة الرجاء فما صادفت في السماء قبولا
فخر فؤادي ينوح عليها صريعا يكاد يكون قتيلا
يحاول ـ لو يستطيع ـ النهوض وينفض عنه ترابا أهيلا
وتسخر منه طيوف الرؤى وتضحك ضحكا رهيبا طويلا

ثم يشرع الشاعر بشن حملة شعرية مظفرة على«طيوف الرؤى » التي اقلقت راحته واقضت مضجعه واعادت له ذكريات أخيه الحبيب الراحل ... وقد ساهم عشرون بيتا من شعره الوجداني الرقيق في هذه الحملة الموفقة ..

يحاول الشاعر ، في البداية ، ان يطرد عنه هذه الطيوف القاسية بصورة سلمية ، فيغريها بأن تذهب الى سواه ، ولما لا يأنس منها الانصياع يهددها بالويل :

لك الويل عكرت صفو الدجى وكان دجاي جميلا جليلا
ترقبت فرصة ضعف الفؤاد فمثلت لي من عذابي فصولا
تقاضيتني الدين ، دين الاسى خذي الروح مني فلست البخيلا

ثم يضرم شاعرنا نيران ثورته على « طيوف الرؤى » ويتحدى تماديها بدق الطبول وتشديد الخناق على مهجته ، غير عابيء بقهقهتها ورقصها وعبثها وتقمصها اشكال العفاريت الخ ... حيث يقول :

طيوف الرؤى في الدجى، ما لقلبي عتاب عليك فدقي الطبولا
وصفي مواكب هول وويل وسيري وجري امامي الذيولا
وشدي الخناق على مهجتي ومصي دمائي لئلا تسيلا
ألا قهقهي وارقصي واعبثي بقلبي وسدي عليه السبيلا
فان تصخبي ويك لن ترعبي فؤادي ولن تجديه جفولا
تجلي بشكل العفاريت حولي وصيري اذا شئت غولا أكولا
تعود رؤياك طرفي فلو حجبت لجالست سهدي ملولا ...

ثم تخف حدة الثورة ، ويؤثر الشاعر زجر « طيوف الرؤى » ودفعها بالتي هي احسن ، فقد احس الشاعر بانه اعجز من ان يطرد الذكريات عن ذهنه لا سيما في سكون الليل :

طيوف الرؤى المرعبات اهربي لئلا تري حزن نفسي المهولا
طيوف الرؤى النائحات اسكتي فقد نحت قبلك نوحا طويلا
طيوف الرؤى الراقصات اخجلي فقد رقص القلب رقصا وبيلا
طيوف الرؤى المغريات ألبسي ثياب الحياء وارخي السدولا
فقد اصبحت نار قلبي رمادا وقد صار شوقي زهدا ثقيلا
طيوف الرؤى الساحرات اصبري أكن ساحرا بكرة او اصيلا
طيوف الرؤى سوف ياتي نهاري فيحجبك النور عني قليلا

ثم يصف الشاعر الحزين حالته في النهار ، واذا بصباحه اتعس من ليله ، ونهاره اشد ايلاما لنفسه من دجاه ، فالنهار انما يكشف وجوه المعزين المجاملين الذين يرددون الفاظ التعزية ترديدا ببغائيا ينطلق من الالسنة ولا يتعدى الآذان ... وهل هو بحاجة الى هذه التعازي التقليدية المملة ، وهل تمسح مثل هذه التعازي الباردة المألوفة ، الدموع السخينة المتدفقة من عينيه المكدودتين ؟.

لقد عكر الدمع نور عينه ، وقد آن للناس ان يعرفوا ذلك ، اذ لا يليق بهم ان يلعبوا بجراحه مثل هذا اللعب الرخيص . اليس من الافضل لهم وله ان يتركوه متمتعا بوحدته وانفراده :

اعود الى الناس عند الصباح وهيهات في الناس اشفي الغليلا
اذا ما رأوني استعاروا الاسى لهم برقعا واستحثوا العويلا
وقال المجامل لي والمعزي كلاما لدى كل خطب مقولا :
لنا عوض في سلامتكم وليت السلامة تجدي فتيلا
ولو قرأ الناس طرفي لفروا وهالهم ما ابى ان يقولا :
حذار ! فقد عكر الدمع نوري دعوني وحدي واخلوا السبيلا
حذار ! فان الضريح بقلبي فلا تكشفوا عن فؤادي السدولا
حذار ! ولا تلعبوا بجراحي ولا تسبروها لئلا تسيلا

ثم يصف الشاعر حزنه في ثلاثة ابياتلا تخلو من المبالغة، ولكنها على اي حال ، ليست من المبالغة السمجة المنفرة ، فالحزن الهائل خليق بالتهويل :

حذار فحزني رهيب وبيل يذيب النجوم ويروي السيولا
تنوح الملائك ان لامستها نسيمات حزني حماما هديلا
وترثي الشياطين من رحمة لخطبي وعزريل يفضي خجولا

انه يريد ان يتفرد بحزنه ، ويستقل به ، ولا يريد من احد ان يقتحم عليه عزلته المحفوفة بالاحزان ، ويرى ان هذه التعازي ، مهما تفنن فيها اصحابها ، لا تجديه ولا تجدي فقيده نفعا :

فمن يبصر الموت وجها لوجه يرى كل هذي التعازي فضولا

وبعد هذا البيت اقحم بيتين لا رابطة بينهما وبما قبلهما او بعدهما ، ولا عجب فهو في موقف يغلب فيه التدفق على التروي :

ومن يمعن الفكر يمسي يؤوسا يعاف الحياة ويهوى الرحيلا
أيا نافخ الصور ، هل نفخة تعيد المكفن حيا جميلا

ثم يشرع ، بعد ذلك ، بمخاطبة الناس وتبصيرهم بنهاية الحياة البشرية جيلا بعد جيل ، كأن ما كان لم يكن ، ملتمسا منهم الا يقفوا في طريق فؤاده الذي اصبح جموحا جفولا . ثم يبدأ الشاعر بوصف قلبه فيحلق ويمعن في التحليق ويرتفع ويمعن في الارتفاع ، ويأتينا بصور مبتكرة عن القلب الحزين . أسمعه يخاطب الناس ويصف حالة قلبه في الصفو والكدر :

أيا ناس فيم التعامي وانا نساق الى القبر جيلا فجيلا
دعوني وشاني وسيروا حيارى على سبل كم أضلت دليلا
ولا تقفوا في طريق الفؤاد فقد صار قلبي جموحا جفولا
وقد كان في الصفو شيخا حكيما فأمسى لدى الحزن طفلا عليلا
يعاف الرضاع ويأبى الفطام ويمشي بعكازتيه ذليلا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تعلم أمثولة اليأس غيبا ... وفي يأسه يأمل المستحيلا
يريق الوطاب على صخرة ... ويقفو السرب ليروي الفليلا
يلقح بالكفر أيمانه ... ويخلق من نملة الشك فيلا
ويعصر من صخرة الحق بطلا ... ويدخل في مقلة النور ميلا
فيا لك قلبا كثير التجني ... يكون صديقا ، فيمسي عذولا
يروح طبيبا ، فيفدو عليلا ... ويسري دليلا ، فيضحي ضلولا

ثم يحاول الشاعر الحزين أن يهدىء من روع قلبه فيغريه بالتناسي ، ويغريه بالوهم ، ويغريه بالخلود :

فؤادي اتئد قدك تبكي وتهزي ... وتنشد لحن الفراق الطويلا
حنانيك ! هلا تناسيت ، هلا ... تأسيت ، هلا رقدت قليلا !
أمستعطيا لا يمد يديه ... أمستهديا لا يروم السبيلا
تعلل ونم قانعا بالحصى ... وحسبك بالوهم زادا جزيلا
فجوعك اولى ، فان تبغ زادا ... فيا لطعام سيفدو الاكولا
فهوم ونم حالما بالخلود ... ففيه رجاء يروي الغليلا

وبعد ذلك يخاطب عريضة عقله الذي يعترض ويفكر ويعلل من غير طائل :

ويا عقل ما لي وما لك فاصمت ... ولا تعترض ، قدك قالا وقيلا
كفاك انتكارك هذرا ونكرا ... فكم حير الفكر قبلا عقولا !
ففيم تسائل : أين المآل ... ستبقى كما جئت أعمى جهولا
وهيهات تدرك مغزى الامور ... وليس البراهين تجدي فتيلا
لقد صدر الحكم قبل ولدت ... فأعدد لنفسك موتا جميلا

ولا ادري كيف جاز لنسيب عريضة أن يستعمل « قبل ولدت » في البيت الاخير محل « قبل ان تولد » فضرورة الشعر لا تسمح بهذا العبث اللغوي ، اذ لا يصح ولا يجوز ان تهان اللغة اكراما للوزن ...

وبعد ذلك يهدأ الشاعر الحزين ويحاول ان يستسلم للقضاء والقدر وان يبث احزانه بهدوء ، ويعترف بانه ـ لو عقل ـ لآثر الحبور على الحزن لان اخاه قد مضى الى عالم الخلود غصنا فتيا عزيزا لا شيخا متهدما ذليلا :

اخي لم نزودك حين رحلت ... من العيش الا الاسى والعويلا
واولى بنا ـ لو عقلنا ـ الحبور ... فقد صرت حرا وحزت القبولا
وموتك غضا فتيا عزيزا ... لخير من الموت شيخا ذليلا
فطوبى لمن راح صفر اليدين ... واحسن قبل الخروج الدخولا

وينهي عريضة مرثيته الوجدانية الحزينة المؤثرة بابيات يعلن فيها استسلامه لمشيئة القدر وخضوعه لصروف الدهر وتراجعه عن التساؤل الذي لا يجدي ، ولا يطلب من اخيه سوى ان يكون كفيله ودليله في مراقي الخلود :

فها انذا صاغر عاجز ... عن الفهم لا ابتغي المستحيلا
خضعت خضوع الاسير الضعيف ... وقد كبلتني قيود الهيولى
واطرقت ، بل اطرق الكبر بي ... لاخفي عذابي وطرفي البليلا
وعفرت رأسي امام القضاء ... واطفات مشعل فكري الضئيلا
واغمضت عيني لكي لا ارى ... وصنت لساني لكي لا يقولا
سأمسح دمعي بكف الرجاء ... واضغط جرحي لئلا يسيلا
تقدمتني في مراقي الخلود ... فكن لي كفيلا ، وكن لي دليلا
اذا بلفتني كؤوس المنايا ... فاحببت بها مترعات شمولا

واعتقد ان في هذا القدر كفاية للدلالة على استجابة نسيب عريضة للالم واليأس والتشاؤم فقد تلقى الرجل ضربات الحياة القاسية بعد ضربة ، فعبر عن تأثير هذه الضربات الموجعة في نفسه بدقة وامانة واخلاص .

البحث عن الحقيقة

كان شاعرنا المغترب نسيب عريضة من المعنيين اشد العناية بالبحث عن حقيقة الحياة ومصدر الوجود . وهذا الاحساس المعنوي المشبوب عند نسيب وغير نسيب من شعراء « الرابطة القلمية » عجيب وغريب . فقد ذاق اكثرهم مرارة الفاقة في ديار الغربة ، ولكنهم لم يصوروا مرارة الفاقة ومشكلات العوز والحرمان بقدر ما صوروا لنا مشكلات « الروح » وازماتها في سيرها الحثيث نحو المعرفة وفي حنينها المشبوب نحو الله ...

ويكاد نسيب عريضة ان يتزعم النزعة الروحية التساؤلية ذات النكهة الصوفية، بين شعرائنا المتغربين ، وهو الذي مني بخسارة مادية كبيرة خلال الحرب العالمية الاولى عندما قضت ظروف تلك المجزرة العالمية على مجلته «الفنون».. ولم تنجده معونة اصدقائه عام ١٩١٦ الى اكثر من سنتين ... فاضطر الى ان يشتغل محررا في « السائح » و « مرآة الغرب » و « الهدى » ثم في « مكتب الانباء الاميركي » كما بينت في ترجمة حياته الآنفة الذكر ... وبالرغم من مشكلات الزمن المتلاحقة التي انقضت بعنف على جسده وروحه كما ينقض النسر الجارح على الحمل الوديع ، فانه بقي بعيدا عن « الارض » في اكثر شعره وبقي ذلك الشاعر الحائر المفتش ، بلا هوادة ، عن العوالم الروحية التي تشرق فيها المعرفة وتتألق الحقائق ...

اتكون هذه النزعة الروحية المشبوبة رد فعل لما يعانيه الشاعر الحساس في الحياة المادية الشائكة من فشل ذريع وانكسار مريع ؟ واذا لم يكن الامر كذلك فهل يمكن رد هذه النزعة وما خلفته من روائع القصائد الى التمنيات والاحلام العابرة التي لا تشق بجذورها الراسخة تربة نفس الشاعر؟!

ومهما يكن السبب ، فقد ابدع شاعرنا النسيب كل الابداع في حيرته وتساؤله . وهو في حلبة التساؤل والحيرة لا يختلف عن زميله في « الرابطة القلمية » ايليا ابي ماضي الذي اطلق صرخة « لست ادري » المدوية في وجه المجهول . الا ان صرخة ابي ماضي كانت صرخة انسان تشده الارض الى الواقع ... ولكن اغلب صرخات عريضة الحائرة لا تعدو ان تكون صرخات روح تتعثر باشلاء الغيوم ...

كان « ابو ماضي » يطرق الابواب المفضية الى الحقائق فيسمع اصداء طرقاته متجاوبة في كلمتين : « لست ادري » فييأس ويشعرنا بانه قد تعب ولا يريد لغيره ان يتعب ... اما « نسيب عريضة » فانه وان كان لا يكتمنا آلام ووحشة ومخاطر الطريق الروحي ، الا انه لا يكف عن التحليق والبحث ، مدفوعا برغبة جامحة نحو الارتياد والكشف . اسمعه يقول في قصيدته «طريق الحيرة(٢٠)»:

طال ما نطلب امرا ... مبهما عز وشقا
تعبت طرق قطعنا ... شوطها غربا وشرقا
فهي تشكونا وترجو ... من خطانا اليوم عتقا
ان شكتنا السبل في الـ ... ـارض فخذ في الجو طرقا

ليس يرضيها كثير سر بنا نطلب حقا
نفخ الخلاق فينا أنفسا تهوى وتشقى
طامحات تطلب الشيء وتأبى حين تلقى
ليس يرضيها كثير وهي ما تنفك حرقى
ليت شعري اذا بلغنا الجنانا
هل ترانا نرضى بها ، هل ترانا ؟!

وقبل ان اتطرق الى وثبته الكبرى في مطولته « على طريق ارم» التي صورت جوعه الروحي اروع وادق تصوير، يجمل بي ان اعرج على قصيدة من قصائده المشحونة بالحيرة الا وهي قصيدة « لماذا » (٢١) التي اعلن بها عجزه التام عن تفسير تناقضات الحياة . فهو يتساءل عن سر حبنا للازاهير الفضة واعراضنا عن الازاهير الذابلة ، وعن سبب تعلقنا بالمسرات ونفورنا من الاحزان ، وعن سبب اعراضنا واعراض الطبيعة عن دموع الفقير ، وسر عناية الطبيعة متمثلة في الاوراق واشعة الشمس بدمعة للندى ... ويتعمق اكثر من ذلك فيتساءل قائلا :

لماذا تهب الرياح على شواهق ليست بها حافله
وتحرم من بردها مهمها به أوشكت تهلك القافله
لماذا السفينة تطلب ريحا ومن تحتها أبحر طائله ؟
وفي القفر عطشى يريدون ماء وريح السموم بهم نازله
لماذا نحس ، لماذا نحب لماذا نعيش بلا طائله
لماذا التناسل والنسل ندري بان الحياة له قاتله
أكيما نزيد المقابر رمسا ونصفي الى رنة التاكله ؟
لماذا يفوت الاديب الفنى وتحظى به فئة جاهله ؟

وبعد ان يطرح هذه الاسئلة المثقلة بالحيرة ، المستفسرة عن سر تناقضات الحياة ، لا يكتمنا عجزه عن الجواب عليها، فهو كزميله ابي ماضي ، لا يدري ... ولا يستطيع ان يجيب بغير هذا الجواب الصريح :

لعمري وعمرك هذي امور تحير ذا حجة عادله
ومن راح يطلب تفسيرها سيفنك فوته العاقله
فصمتا أيا من يلوم الزمان ويشكو أفانينه الهائله
فان الحياة لاقصر من ان نحل بها عقدة شاغله

وهكذا بقي نسيب عريضة « شاعرا » ولم يصبح « فيلسوفا » لان الفيلسوف يستطيع ان يقول : « لان » بصرف النظر عن خطئه وصوابه في تعليل تناقضات الحياة ...

ولا يسعني ، وانا القي الضوء على شعر عريضة الروحاني الحائر ، الا ان اعرج على مطولته « على طريق ارم (٢٢) » التي تقع في ٢٣٦ بيتا موزعة على ستة اناشيد . وهذه المطولة تصور ، بدقة وطرافة ، المراحل الروحية التي قطعها الشاعر وهو يبحث عن الحقيقة . وقد قدم لها نسيب عريضة بتوطئة نثرية لا بأس من ايراد نصها ، قال:

« جاء في اساطير العرب ان « ارم ذات العماد » مدينة عجيبة بناها شداد بن عاد من حجارة الذهب واللؤلؤ والجواهر فكانت فتنة باهرة للعيون لا يقدر القادم اليها من بعيد ان ينظر اليها اذا واجهها في ضوء النهار . ثم اقفرت هذه المدينة العجيبة واختفت في الصحراء فهي في مكان محجوب ، عامرة بقصورها السحرية وكنوزها المباحة ولكن لا وصول اليها. وقد طلبها كثيرون فهلكوا ، او ضلوا وعادوا قانعين من الغنيمة بالاياب . هذه ارم الاساطير . اما ارم التي يتحدث عنها الناظم في ملحمته فهي «ارم» الروحية يسير الشاعر مراحل مع قافلته في طلبها ، ويصف طريقه مرحلة مرحلة ، حتى يخيل اليه في الاخير انه راى نارها من بعيد ... ولكنه لم يصل اليها .. » .

في النشيد الاول « اول الطريق » يخاطب الشاعر « سمير نفسه » ولا نعرف ماذا يقصد ، بالضبط ، بسمير نفسه ، ويغريه بان يرافقه في رحلة روحية يطيران فيها من « عالم الحدود » الى حيث الآفاق الروحية الواسعة :

قم نتخذ للمنى جناحا يطير من عالم الحدود
عسى نرى في السماء دربا نسير فيه ولا نعود
نؤم خدر الرؤى ونحظى بما حرمناه في الوجود
قم واترك الجسم حيث يبلى فالموت خير من الجمود

* * *

لي كل يوم هوى جديد بلا وصال ولا لقاء
حولي مياه حلت وساغت لكن قلبي بلا ارتواء
لو رمت يوما لكنت اجني من ثمر الحسن ما اشاء
لكن هوى النفس في خيال قد لاح للروح في السماء

والمقطع الاخير من هذا النشيد يرشدنا الى نهاية المطاف في المرحلة الاولى من مراحل رحلة الشاعر حيث آثر شاعرنا العودة الى الارض ليقنع فيها بالخيال :

تفرحت أعين الدراري وحشرجت أنفس الليالي
وولولت في الدجى شكوكي ورفرفت اجنح المحال
واستأسر الحلم باختيار وطار همي بلا عقال
فعد بنا يا سمير حزني نقنع في الارض بالخيال !

ويستأنف نسيب عريضة وصف رحلته الروحية في النشيد الثاني : « القلوب على الدروب » الذي تنطلق منه انغام عذبة شجية والذي ينتهي بالمقطعين الرقيقين اللذين يخاطب بهما الشاعر القلوب المتعطشة الى المعرفة ، مستحثا اياها على المسير :

يا قلوبا غدت نياقا سامها الوجد ان تساقا
دون ان يقطع الوثاقا احسني ، احسني اللحاقا
أسرعي بالهبوب
مع ريح الجنوب
لا تهمنك الرمال ! لا يعيقنك العقال
قد سرى قبلك الجمال معه النور والكمال
فاسرعي يا قلوب !
واهتدي بالطيوب !

وفي « الطلل الاخير » ــ وهو النشيد الثالث ــ يخاطب الشاعر طللا من اطلال الروح ، حائرا مثل الشاعر ، يسأل عن الركب :

ترفق ايها الطلل فقلبي طافح وجل
نظرت الي تسألني بطرف ملؤه الامل
وعهدي الركب يسأل ان أتاك عن الاولى رحلوا
أظنك قد عميت على اوانس طال ما وصلوا
هنيئا انت تعرفهم وتذكر انهم نزلوا
ولكني حلمت بهم واتبعهم فلا اصل

وفي النشيد الرابع : « في القفر الاعظم » يلمح الشاعر

السراب فيخيل اليه ان فيه روضا كرياض جنة الخلد ... ولكن أين السراب من الماء ، واين الخيال من الحقيقة ... فلا غرابة اذا ما نحر الشاعر المسافر المنهوك ناقة وجده وعاد للقفر وحده وقد استبد به النصب وعصر قلبه اليأس:

ما اجمل الآل يبدي مياهه من قريب
لي فيه ري ووعد ورغبة في التحدي
قد كاد ينضب مما وردته يوم وردي
وقفت احسب اني في غمرة نلت قصدي
وخيل لي ان فيه روضا كجنات خلد
وناقة الوجد فيه عادت لرعي القلوب
فسقتها من جديد الى ضريح غريب
ضحيتها لا لجدوى ولا لضيف حبيب
وعدت للقفر وحدي أنوء تحت صليبي ...

وفي النشيد الخامس : « القيروان » يبلغ الشاعر ذروة الابداع عندما يصور لنا صراعه المحتدم بشكل يكاد ان يكون ملموسا ... فقد حشد الشاعر « قلبه » و «مهجته» و « هواه » و « عقله » و « شوقه » و « حلمه » و «رغبته» و « طويته » و « بنات صدره » و « ذكرياته » و «ساحرات الاماني » و « عائلات الخطايا » ... كل هذا الحشد العجيب المتنافر ، جمعه الشاعر على «طريق الجنون» :

على طريق الجنون
بين المنى والمنون
حيال وادي السكون
وقفت اجمع ركبي

قد كان في الركب قلبي ومهجتي وهوايا
والعقل حامي السرايا والشوق زاجي المطايا
وفي الهوادج حلمي ورغبتي والطوايا
بنات صدري وشعري والذكريات الخطايا
وساحرات الاماني وعائلات الخطايا
يحدو لهن حنين
حداء اعمى سجين
يرى بغير عيون
رؤيا تشوق وتصبي

وتستوقفني في هذا المقطع صورة رائعة لحنينه المستعر نحو الحقيقة ، فقد صور حنينه ـ وهو حادي الركب ـ بالاعمى السجين الذي يرى بغير العيون الترابية رؤيا تشوق وتصبي ... وهي صورة رائعة ولا ريب ...

وبعد ذلك يصور الشاعر صراع عقله مع قلبه . فقد سار الركب في بداية هذه المرحلة وكان القلب دليل الركب ، وكان يغري القافلة بالوصول الى الهدف المنشود ، ولكن ماذا كانت النتيجة :

سرنا حثيثا وكنا نهيم في كل واد
القلب يقفو هواه ونحن اثر الفؤاد
لله در فؤاد يهدي وليس يهاد
ورطنا في مهاو وساقنا لوهاد
طوى بنا كل شعب الا سبيل الرشاد
كم قادنا لكمين
وساقنا لعرين
وزجنا في اتون
من نار وجد وحب

فانتهز « العقل » فرصة جهل « القلب » بمعالم الطريق وانتفض ثائرا على القلب ، وعاتب الركب على انقياد من فيه للقلب ، فتحداه القلب وحذر الركب من العقل « الخؤون » الذي « يغري باليقين » فما كان من العقل تجاه هذا التحدي الا وجرد سيفا من « الصواب » وضرب به القلب ، فخر الفؤاد صريعا ، فاستلم العقل زمام الامور واخذ يقود الركب ويسومه العذاب ويسير به في مجاهل التيه ويقول : اهتدينا !! حتى ضج الركب ومن فيه وصاحوا : اين المناهل ؟ اين المنازل ؟ فشرع العقل بالمراوغة، فانبرى له « الشك » واجبر العقل على الفرار . عندئذ وقف الشاعر الحائر على « طريق الجنون » « بين المنى والمنون » « حيال وادي السكون » يجمع اشتات ركبه ويغريه بقرب الوصول الى اليقين :

يا ركب ، يا ركب صبرا لم يبق الا اليسير
لا ترجعوا لقفار فيها الاماني تبور
امامنا الطود فامضوا الى الشعاب المسير
فلنرق طود التجلي ففي الذرى نستنير
اذا ارتقينا الثنايا فرب الاله نصير
فنحتظي باليقين
من نور حق مبين
ونستقي من معين
يفيض انهار حب

ولم يصادف اغراء الشاعر قبولا عند « بنيات صدره » فقد دب اليأس فيهن لفرط الاتعاب من غير طائل ، فانخذل الركب ومضى الشاعر وحده ينادي ركبه المنخذل ويناجي عقله وقلبه ويهدىء من روع نفسه الحزينة الباكية بعد ان طرح كل رحاله ... وسمع الشاعر حزنه وهو يغني تشفيا بمصير الشاعر الحائر ، فيخاطبه خطابا وجدانيا مؤثرا حيث يقول :

حزني ، لماذا تغني ؟ اسرك اليوم ثكلي ؟
أما علمت باني فقدت قلبي وعقلي ؟
فأصمت وسر في السكون
على طريق الجنون
بين المنى والمنون
يبدو لنا وجه ربي ..

وفي النشيد السادس : « نار ارم » يخيل للشاعر الباحث عن اليقين انه قد لمح نور الحقيقة المحجوبة ، يلوح لعيني خياله من بعيد ... فيخاطبه متلهفا ويهتف في المقطعين الاخيرين من هذا النشيد :

ايه ضوئي البعيد لح ولح ما تريد
ليس طرفي يحيد عنك حتى يعود
لتراب ودود
لح ولح في الفضاء ! قد سمعت النداء
ودليلي الرجاء فعساه يقود
ظامئا للورود

وهكذا تنتهي هذه الرحلة الروحية التي قام بها شاعرنا الباحث عن الحقيقة ، بهذين المقطعين اللذين يشع منهما امل الشاعر بعد ان عانى من قسوة اليأس ، الشيء الكثير ...

بغداد **حارث طه الراوي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اقوى من الزمن

بقلم المحامي ناجي جواد

تقلب الجو بغتة فاكفهر وجه السماء بعد صفو واخذ المطر يتساقط رقيقا خفيفا ينثر على الارض قطرات صغيرة فيكسبها طراوة ، وتعبق منها رائحة عطرة وينثر على الاشجار رذاذا ناعما فتزهو اوراقها بخضرة ندية طرية تبعث في النفس المسرة وتنزل على القلب الغبطة .

وأصاب السابلة في شوارع « كوبنهاكن » من ذلك المطر المخيف المحبب للنفوس الصادية التي ترويها القطرة العابثة وتسعدها النسمة العابرة . ولم يتوفر لحدس اهالي كوبنهاكن هذا التبدل الفجائي في الجو بعد اشراقة شمس ذلك الصباح البديع وصفاء سمائه ... ولو احتملوا ذلك لحملوا معاطفهم ولاستعانوا بمظلاتهم . وتقلبات الجو كالايام تأتينا فجأة وتدهمنا بغتة فلا تنذرنا ولا تشعرنا بالمباغتة لنتمظ ونعتبر .

واصاب زينب قسطها من ذلك الرذاذ الرخي الناعم ، وهي تحث السير وحيدة في شوارع المدينة لتصل الى « التيفولي » الذي اهتدت اليه نهار امس عندما قامت بسفرة « التورست » مع المسافرين لتطلع على معالم كوبنهاكن كما شاهدت فيها « اميرة البحر » واصغت لقصتها الخرافية التي لخصها الدليل للمسافرين بلباقة وحكاها بظرافة واعلمهم انها تمت لتاريخ هذه المدينة بصلة البطولة والمجد وتحفز للتضحية والفداء للوطن .

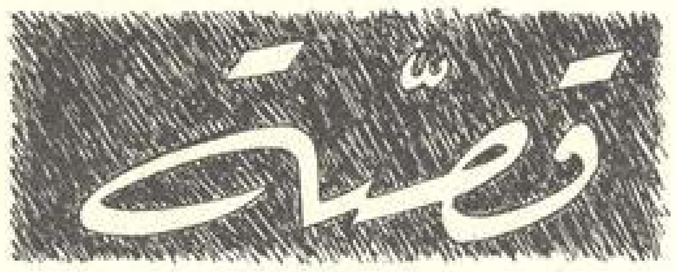
فقد قضت زينب ليلتها امس بعد هذه السفرة الممتعة تصارع في فندقها الم الوحدة وتملأ راسها الظنون اذ لا زوج ولا صديق ولا قريب يقاسمها هذه المتعة ويجاذبها اطراف الحديث، فهذه المدينة الجميلة بمناظرها الطبيعية الرائعة وشاطئها بزرقته الصافية ، وبناياتها بالوانها الزاهية وكنائسها الرابضة بخشوع ، ومتاحفها بصورها الزيتية الفنية المنضدة وتماثيلها المنتشرة الملهمة . كل هذه المعالم في هذه المدينة الناعمة المنعمة مرت امام ناظر زينب فلم تشعر بطعمها ولم تنعم بمنظرها، اذ الوحدة قاسية والصمت مطبق ، كيف لا تشعر بهذا الضيق وهي لاول مرة تجرب السفر وتمارس الغربة وهل يدرك مشاعر الغريب الا الغريب .

فهذه الاحاسيس الوحشة جعلت زينب تضيق بعالمها وتضيق بسفرتها ، بل لقد جزعت حتى من غرفتها الانيقة التي استقرت في الطابق السابع من الفندق الكبير ، فلم تعد ترى فيها الا جدرانها الاربعة التي امست تنقض عليها انقضاضا حتى الوانها الحديثة الزاهية تحولت في نظرها الى لون اسود قاتم كسواد ليلتها ، فتلاشت الالوان وذابت حتى حال لون الجدار الاصفر الفاقع الذي نضد بجانبه سريرها الخشبي ذو اللون البني والذي استقرت بجانبه طاولة رشيقة حديثة التصميم استقر عليها تلفون عاجي اللون وذاك الجدار الابيض تمتد بمحاذاته منضدة ركزت عليها مرآة صافية كانت تتأمل بها وجهها بنظراتها الحائرة وتدقق فيه الهزائم المتراكمة لسبعة وعشرين عاما هزيمة هزيمة .. ولم تكن تراقب ذلك بروح التشاؤم والنفور المألوفين في مثل هذه الحالة ، وانما تناقشه بروح مؤمنة متفائلة باشراقة شمس حياتها من جديد ، كما يلوح ذلك على الصورة الزيتية المعلقة على الجدار الزاهي بلونه الفيروزي ، والتي رسمت بطريقه التكعيبات التي تشعرك اشراقتها بتناغم الوانها ، كأنها نغم موسيقي منسجم ، فهذه الصورة السريالية تصور سفينة تسري في نهر هادىء وتتجه نحو افق بعيد ..

أأعجبتك الفرفة الحديثة الفارقة في الاناقة ..؟ لا شك انها غاية في الروعة وسمو الذوق ، اذا ما تطلعنا اليها بنظرة المتفرج الناعم الخيال الخالي البال ، اما في نظر زينب فقد حالت الوانها وكلح اثاثها ، كروحها القلقة ونفسها المدلهمة . والنفس اذا ما تلوعت والروح اذا ما هلعت والسبل اذا ما ضاقت وتقطعت ، فليس بعد مجال للعين ان ترى اجمل ما في الوجود ، وليس للاذن ان تميز اعذب الالحان وانما يتحول كل شيء الى صخب وضجيج ودخان ورماد..

وكذا كانت زينب تجتاز اعنف تجربة عاطفية منيت بها في حياتها منذ فشلها بزواجها من عادل اذ لولاه لما راقها ان تفارق بغدادها العزيزة التي يعمرها الاحباب وتزينها الذكريات . فاصدقاؤها واهلها واولادها قد ملأوا حياتها ولم تذق بوجودهم طعم الوحدة ولم تستشعر بالفراغ ، ففي بلدتها الدافئة بشمس العواطف والمشرقة بنور الصداقة لتشعر النفس من خلالها بالسلام والطمأنينة وهما اصفى من الماس وغلى .

لذا رات زينب ان تبدد ضباب السأم الممض وتقضي على القلق المضني ، وهي بهذا البعد النائي عن الاهل والخلان بان تتجه الى التيفولي ،وكان الرذاذ المتساقط بخفة يهدهد خصلات شعرها الفاحم ويدغدغ بلطف ورشاقة خديها الاسيلين ، كما لامست قطرة نزقة شفتيها الورديتين فاضفت عليهما حلاوة وطراوة احست زينب عندها بنشوة الحياة ومرح الشباب فانتفضت بخفة وقفزت برشاقة الى الرصيف .



وما ان وصلت التيفولي حتى احت تحتمي بشجرة كريمة الاغصان ناخت عليها الايام واحنى جذعها كر لاعوام فانضوت تحت اغصانهاالدانية لقطوف وداعبت بكفها اوراقهاالندية لعطوف ، تحتمي بحماها وتركن طمئنة بجوارها ، فتخيلت ان هناك كائنا يحنو عليها او يبدد وحدتها ، والمرء اذا ما ضاع في دروب الحياة وتنكر له الحظ والناس وعز عليه الصديق الصدوق تشبث بأي كائن في بث همه اليه وسد فراغ روحه عنده حتى ولو كان قطة او كلبا او شجرة او حجرا . فالانسان ذلك المخلوق القوي قد يهون ويضعف ويتقلص فيصفر حتى امام نفسه اذا ما عاكست ريح الشمال سير سفينته ولكن الانسان الواثق من نفسه وذاته المدرك رسالته لا يكون ولا ينهزم امام الشدائد بل يقوى وقد يكون اقوى من الزمن .

وهكذا كانت زينب الفتاة الشرقية القسمات والخلق والسمات وليدة تلك المحافظة التي تعتز بالعفاف اكثر ما تعتز به وتفخر بالعفة اكثر ما تفخر بها ولو كان ذلك على حساب حرمان النفس من متع الحياة وضياع فرص العمر تلك البيئة التي ارضعتها من اسماء الامانة والكرامة اكثر مما ارضعتها من الالبان فصارت تشعر باللذة لتلك الاسماء اسماء الامانة والكرامة . وعلى رغم ما كان يعتمل في نفسها وعلى رغم ما كانت تحس به من الم وضيق فقد كانت قوية تدرك اين يجب ان تضع قدمها واين سينتهي بها الطريق فتمشي ثابتة الجنان كبيرة التفاؤل قوية الايمان فلا تعير غوغاء الفضوليين اهتماما فيما يتعلق لسلامة تصرفاتها او عدم سلامة تصرفاتها في رايهم عالمة بان من طبيعة فضولهم ان يدسوا انوفهم في كل شيء ليعرفوا حركاتها ويترصدوا سكناتها . وما اكثر الناس في بلدها الذين اضحت هوايتهم جمع الاخبار وتزجية اوقات الفراغ بالقيل والقال ولا شك ان مجتمعها قد ورث هذه الثرثرة واجترار الاخبار لما مني به من الحرمان والجهل والفراغ ، ايام كانت بلادها قلقة مضطربة بسبب ما توالت عليها من الفزوات فكان الناس يعيشون بلا مسرات ولا استقرار ، وهذا ما كانت تعتقد به زينب وتعلل نفسها وتمنيها بأن هذه التقولات عنها ستزول وسيضمحل مجتمع الفضوليين اذا ما استجاب كل لبناء شخصيته وتطوير نفسه نحو الاحسن وشارك الاخرين في همومهم العامة ، وبهذه العقلية سيسعد مجتمعها وتذوب ثرثرته وتتلاشى اكثر متاعبه.

والتيفولي الذي قامت زينب بزيارته عبارة عن مدينة للالعاب تسطع بها الانوار وتتدفق في وسطها مياه



المحامي ناجي جواد

●

البرك والنافورات بالالوان الزاهية حين تسلط عليها الانوار الملونة من خضراء ووردية وصفراء وزرقاء وبنفسجية وحمراء وتأخذ بالعيون ونسقت على حواشيها زهور نظمت بأيد قديرة فنيةوتحفها اشجار منسقة تنضوي تحتها صنوف الورود وتقبع جنبها مقاعد رشيقة وتنتشر في ارجائها وباحاتها العاب مسلية فهنا حلبة للرقص وهناك سيارات كهربائية لركوب الصبيان والشبان وفي جانب آخر ساحة لركوب الخيل يسعى اليها من يهوى الفروسية ويتعشق صورة الحصان رمز القوة والجمال والخفة وهناك جمهور يصغي للموسيقى وفي جهة اخرى نضدت الكراسي والموائد لتناول الطعام أو لترشف الشاي . فهذه المدينة المسلية يؤمها المسافرون من كل حدب وصوب من ارجاء العالم الذي اضحى متشابه الامنيات منسجم الرغبات فالكل يرغب ان يعيش والفرحة تملأ قلبه والحب يسود عالمه .

كما يلازمها شباب المدينة العابثون المترفون يفتشون فيها عن فتاة لعوب او فريسة جديدة تحطم قلبها بعشيقها الملول أو استهان بها زوج لعوب او فتاة لم تتعود ان تصبر على طعام واحد .

واحتارت زينب ماذا تختار وهي وحيدة غريبة عن هذا المجتمع الصاخب بالمرح والرقص والمسرات وعندها اختارت اسماها ذوقا واسناها تعبيرا للنفوس الحيرى فاندفعت نحو شباك التذاكر مترقبة متحذرة من ان يضايقها احد الشباب .

ـ اعطني بطاقة .

ـ بطاقة واحدة يا انسة .

ـ نعم واحدة .

ـ آنسة .. ولي ثلاثة اولاد .. الله ما اظلم اهلي فقد زوجوني وانا طفلة غريرة .. لم لم يردعوني حينما احببته اليست لهم تجارب اكثر مني لم لم يردعوني عن الزواج المبكر ..؟! لكن ما ذنب امي المسكينة ولم انحو باللائمة عليها الست انا التي الححت عليها وتضرعت عند حجرها وتشبثت بثوبها الحنون فضعفت لتوسلاتي.. كيف لا وهي امي وانا ابنتها المدللة .

دخلت زينب قاعة الموسيقىوكانت الانوار ذابلة خاشعة وارشدهاالمشرف الى رقم كرسيها وراحت الموسيقى لتشايكوفسكي تفعل فعلها بعواطفها المتأججة وانهال عليها سيل دافق من الصور والافكار والاخيلة فاحتلت ذهنها المشوش بشتى الاهواء وسكنت في قلبها المحطم وروحها الممزقة فالموسيقى ملكت عليها كل عواطفها ومشاعرها فاضحت تحت تأثير قوة خفية ورغبة لا تقاوم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غادرت القاعة غاضبة نافرةوانزوت في ركن من اركان التيفولي وحيدة غريبةوراحت تتفحص الناسوتفبطهم لمرحهم ولهوهم فهم كاسراب من العصافير تزقزق وتطير بنزق في باحات هذه المدينة المسلية الالعاب التي لم تعثر بها زينب على تسلية ـ وانى للوحيد ان يسلو وانى للفاشل ان يلهو ـ فالوحدة كالشيخوخةتبعث في النفس الشجن وتجتر صاحبها ذكرياته ... وتنبهت زينب من قنوطها وحيرتها الى قدمين تنتصبان امامها وراث حذاء لماعا ينتهي بكم (بنطلون) انيق يعلو حافتها وسمعت صوتا عذبا يدعوها بادب وظرف الى حلبة الرقص بعد انحناءة رشيقة فانتفضت من حلمها المشوش ورفعت راسها المكدود لتتطلع الى شاب رشيق القامة انيق اللباس نحيف الوجه ذي عينين براقتين تغمرهما زرقة محببة وتظللهما اهداب ظليلة كالخمائل وشعر ذهبي نحيف تدلت منه خصلة جموح على جبينه العريض وابتسامة خجلى تتعثر بين ثنايا شفتيه الورديتين .

فاستغربت من جراته الا انهارفضت دون تردد وتفكير صحبته اذ سبق لسانها الشرقي عواطفها الجامحة ورغبتها الملحة لرفيق يبدد ضباب وحدتها وينسيها غربتها فالشاب الممارس لم تعوده مهنته الليلية ان يقطع الرجاء ويستسلم لليأس وامامه فتاة وحيدة فيها سحنة غريبة بلونها الاسمر وشعرها الفاحم وسواد عينيها فتدارك عثرته وبادرها بلباقة مهنية وعقلية أوروبية ان تفسح له ليجلس بجوارها ان سمحت ...

ـ تفضل .

قالتها بخفر وحياء الا انها شعرت الآن بانها انسان فهي تتحدث الى شاب وهي ليست وحيدة لعن الله الظنون من قال انها وحيدة .. فانها مع شاب يعاملها بلطف ويحنو عليها بظرف فسكن روعها وانار ظلمةروحها الحزينة .

وجدت زينب ان الفرق بين هذا الشاب المهذب وبين زوجها الفظ كبير فهو السيد المطاع المغرور بجاهه وماله وهل غير الجهلاء من يعزهم المال ويترفعون به على الناس كي يعوضوا عن النقص الذي يثلم شخصيتهم ويحز في نفوسهم فيحلو لهم ان يستخفوا بآراء الاخرين ويهزأوا باحاديث المجربين وكذا كان زوجها المتبجح المتعجرف يعاملها بفظاظة فيسخف اراءها ويسخر من اقتراحاتها ويهزأ من اناقتها ويتغاضى عن جمالها .

لكن زينب المثقفة مؤمنة بنفسها مدركة عن بصيرة وجدارة ان الكمال لا يوجد على هذه الارض وان الله لم يجمع العالم في واحد .

بينما راح هذا الشاب المهذب الرقيق الحديث كرقة الماء الصافي النفس يحدثها عن معالم المدينةويشرح تاريخها ويؤكد على جوانب ثقافتها ومجدها وانتقل بلباقة ورشاقة الى فستانها فابدى اعجابه واطرىاناقتها وشعرت زينب بانه يؤكد ثقتها بنفسها ويجدد ايمانها بجمالها ، فنظرت للشاب بعين تنم عن شعور الرضى والايناس شعور انسان حائر فاشل يريد شيئا يملأ فراغه ويؤكد وجوده .

فتطلع الشاب الى وجه زينب المشرق وقال :

ـ حقا لقد اسبغت عليك الطبيعة آيات الجمال .

ـ ما يصنع الجمال اذا لم يرافقه الحظ .

ـ هل تؤمنين بالحظ ...؟

ـ انا اؤمن بان الحياة حظوظ .

ـ هذه غيبيات تناقضت فيها الآراء وحار فيها العلماء فدعينا من الخيال وحدثيني عن الواقع فاخبريني من اين جئت ومن انت ...؟

فاجابته والابتسامة تنير محياها النضر :

ـ ايهمك من اين جئت والى اين ذاهبة ... المهم انني هنا ... هل سألنا انفسنا يوما من اين جئنا والى اين سيؤدي المطاف بنا . المهم اننا نمارس مقتضيات وجودنا على شاشة هذه الحياة . فكل منا ممثل يجب ان يؤدي دوره على خشبة المسرح .

ـ انها فلسفة يا عزيزتي ... اشرقية انت ؟

ـ نعم انا شرقية ... يا لك من شاب ذكي .

ـ عفوا ، فانا لست بالذكي ولكن حديثك ينم عن فلسفة الشرق ويوحي لي بانك صينية او هندية..

ـ انا بغدادية .

ـ بغداد .. لقد طرق سمعي اسمها من قبل ، اين تقع ؟

ـ بلاد الف ليلة وليلة ، التي لم اذق بها طعم الهناء ليلة .

ـ حرام انت قطعة فنية ، انت تلك الجنية الشرقية طارت من بغداد على بساطها السحري وحلت هنا بقربي ... تعالي معي اتنقل بك على بساطي الآلي ، واشار الى سيارة انيقة وقفت بباب التيفولي .

رفضت زينب بادب والابتسامة تعلو شفتيها واستغربت من مفاجئته وعجبت لنزقه الصبياني وتحلله الخلقي الم يشاهد حلقة الزواج في كفها ؟ كيف يتسنى لمتزوجة مثلها ان تصحبه ولما يئس لرفضها واصرارها استمر يتكلم ببساطة ويغريها بلباقة وصراحة تنسجم وسجيته وبيئته .

وبقيت زينب صامتة حائرة لم يغضبها تحمسه ولم يزعجها تشويقه واغراؤه ولم يرهبها خلقه ووداعته لكن فاته ان فتيات مجتمعها غير فتيات مجتمعه المتحررات فهن سهلات العشرة طيعات الانقياد تسيرهن رغباتهن ويعشن لاهوائهن ضاربات بالمثل الاجتماعية والقيم العائليةعرض الحائط .

اما زينب الفتاة الشرقية فاعز ما تعتز به كرامتها وعفتها وتعففها وستصونها رغم ثورتها والاهانة التي لحقتها من زوجها وذاك الفشل المريع الذي منيت به في حبها فقد صممت عن عزم وايمان ان لا تخون زوجها ولو انها قررت باصرار وايمان ان

انطلاقة

اقتربي كالظن لا تقلقي ... مصباحنا من فوهة المشرق
ومن عطايا الفجر أيامنا ... وهينمات الحلم الزنبقي
وكالعصافير اذا غردت ... من سكرة في روضها زقزقي
وعرشي كالزهر يا واحتي ... فخيمتي في المنحنى الضيق
تأبى انطلاقاتي سوى بسمة ... ترعشها من ثغرك المؤنق
وغير اطياف شراعية ... تنساب من زورقنا المورق
وتنكر الانسام في حقلنا ... غير تلاحين الهوى الريق
مزرعة البوح ودن الشذا ... ما عشت من نهر الرؤى استقي
اسبح في وادي المنى ذاهلا ... وانتشي بالنغم الازرق !

الرياض — حسن عبد الله القرشي

ARCHIVE

تطلقه ... تطلقه وهي محتفظة بشرفها متمسكة بمثلها ولو ان نفسها حدثتها ـ والنفس امارة بالسوء ـ فقالت لها من سيعلم بك يا زينب وانت هنا في اوروبا ...؟ ثم من سيقدر ويثمن عفتك الذي تتجملين به ...؟ ان زوجك وقد خانك ونبذك وغفا عن حبك ... ام مجتمعك الذي قسا عليك والقى التهم جزافا وارتجالا على حركاتك وسكناتك . ولكن هي تعرف نفسها اكثر مما يعرفها الناس ويحلو لها ان تكون امينة مع ضميرها فهي انسانة آمنت بالاخلاص. وقدست الكرامة . وادركت ما يدركه الناس بانها زوجة شريفة وام فاضلة . وستبقى هكذا رغم ضربات القدر وتقلب الايام . واستوحت من الخليفة عمر قوله (رب لذة ساعة اورثت ندما طويلا) وهذه هي الساعة لم لا تصبر صبر المؤمن ، وتزهد زهد التقي ، فاذا جاءت زوجها غدا بطلبها فستقف في وجهه عالية الجبين وستقولها بصراحة لا تتعثر كلماتها وتنطقها بكلمات واضحة طلقني ...

http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا شك ان مجتمعها سيغضب عليها ويتألب جلهم ضدها وليس فيهم من يقول مسكينة انها عاشت زوجة تعسة تعذبت طويلا وسحقت كرامتها كثيرا حتى ثارت وطالبت بحقها في الحياة ... الا يحق لها بان تعيش بقية عمرها بهناء وهل هناك عمر ثاني كي تصبر على هذا النكد . اما الناس هم الناس في كل زمان ومكان يفضلون المراوغ المداهن على الصريح النزيه . والناس لا يتحسسون متاعب غيرهم وهمومهم . فكم من الزيجات الفاشلات تعلم بها زينب وصفت كثيرا لشكواهم، وادركت عمق تعاستهم ، ومدى تنافرهم بل وحتى خيانات بعضهم وبراعتهم في اخفاء مشاكلهم وخياناتهم وتبريرها كابسط هزيمة يسجلونها على انفسهم ... وكم كانت جورج صاند على حق اذ قالت «الاستمرار بالعلاقة الزوجية الفاشلة دعارة شرعية » . ثم ان هذه الدعارة الشرعية كما وصفتها جورج صاند يتحسسها الابناء ويدركون التنافر ويعرفون سر الخصام اذ (ما في القلب تظهره عثرات اللسان) ... كما انها خيانة للعمر المضيع بين هذه المجاملة وذاك التزييف .

وظن صاحبها الشاب المنتظر ان سكوت زينب رضا وقبول فمد يده بأدب وظرف واراد ان يأخذ بيدها نحو سيارته ... فسحبت يدها بلطف واعتذرت بلباقة .

ـ ان زوجها ينتظرها !

ـ هل زوجك في الفندق ؟!

ـ نعم تركته ... في الفندق... ينتظرني هناك ... اذ قد طال عليه غيابي ... وداعا ...

بغداد — المحامي ناجي جواد



يوسف عبد المسيح ثروة

لوركا والمرأة والدم

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

هـذا شاعر ساحر وكاتب مسرحي فذ ، امتاز بالطراوة والطلاوة والحلاوة ، فما من مقصد شعري الا اجاد فيه ايما اجادة ، ان رقة في البيان او جمالا في الاسلوب وسلاسة في الاداء ، وسلامة في التركيب، وصدقا في المعنى والمبنى وقدرة على الاخذ بنواصي الاوابد والشوارد ، وكيف لا يكون الامر كذلك والشاعر الساحر ، هو ابن البلدة الساحرة غرناطة وقيثارتها وصناجتها . انك حين تستمع اليه ـ ولو مترجما ـ انما تستمع الى حفيف اشجار البرتقال ، اشجار الذهب الثقال . ورفيف اوراق الكروم واغصانها الدانية الدالية . كل ذلك في لهجة غرناطية انسانية عميقة لها رنين كؤوس الفضة وهي تصطفق انتظارا لحفلة ، هـذه اللهجة التي تعبر عن البشر في الاندلس الاسبانية تعبيرا فيه حرارة القيظ وصرامة الرجال الاشداء حين يدافعون عن كرامتهم وعزتهم وعرضهم ، وفيه لطف اغاريد الربيع حين تنشدها الصبايا الباكرات على حوافي الانهار والسواقي والجداول ، وفي قلب كل منهن امل يرنو وترقب يهفو الى غد حلو ومستقبل ترفرف عليه قوة الرجولة وبطولتهـا وصمودها في وجه المحن ونوازل الزمن . وفيه ، زد على ذلك ، جبروت الجبال وسطوتها وسهولة السهول وبسطتها وليونة الحرير وتماسكه ، وطموح الانسان ، اي انسان ، الى المكانة اللائقة به في مجتمع لا يفرق بين جنس ولـون ودين وسلالة .

ان لوركا شاعر كل هذه الاشياء مجتمعة ومتفرقة سيد الكلمة واستاذها في دواوينه ومسرحياته ، يستغل كـل حركة ومشهد وسلوك انساني لكي يجعل منها جميعا نارا تتأجج لظى وسعيرا حين تقتضيه الحال ، ويجعل منها بردا وسلاما ونسيما عليلا عندما تتطلب الوضعية ذلك ، فقدرته على معالجة النقيضين المتطرفين قدرة شاعرية اخاذة وهو في ذلك استاذ فنه بلا منازع . اما الاخيلة المجنحة والصور الغريبة والاساليب الفذة فقد كان يبتكرها ابتكارا عفـو الخاطر . وكيانه الشاعري جديد بالمعنى الدقيق من الكلمة اذ لم يسبقه سابق في كثير من الصور التي خلقها خلقا من عبارات شعبية متداولة في بلدته او في بلده، ومع خشونتها وفظاظتها لاول وهلة ، فانها احلى من الشهد حين تنطلق مزمجرة من فمه الذهبي بعد ان تكون قد اكتست لبوسا جديدا من الشفافية الايحائية . وكل الاعمال الفنية التي اهداها الى الانسانية من اضراب « الاسكافية العجيبة » و « ماريانا بيبندا » و « الزفاف الدامـي » و « يرمـا » و « بيت برناردا البا » تمتاز بخلفية شاعرية خصبة التربة ريانة العود حلوة الجنى بديعة المنظر ، فيها تسـري روح تتواثب عنفا في مواضع العنف وتمشي رخاء في مواضع السكون والهدوء .

الا ان ذلك كله لا يحول بيننا وبين ان ننظر الى الشاعر بوصفه شاعر المرأة بالدرجة الاولى ، فهو صوتها الهـدار وسيفها المصلت ، واحتجاجها الصارخ وانينها الخافـت ، ونظرتها الهائمة ، وتحديقها المتوتـر ولسانهـا اللاذع ، واسفها العميق وثورتها العارمة وانفجارها المـدمر . ان لسانه لسانها بقضه وقضيضه ، فهو وهي توأمان شقيقان. فلماذا هذا الغلو في الاهتمام بالمرأة ، سواء أكانت فتـاة باكرا أم عانسا يائسة امأما تحتضن ابناءها أمثكلى يمزق انين فقدها لابنائها القلوب الصخرية ؟ انه ليفعـل ذلـك ، لان المرأة ، في مجتمعه نصف مشلول وبضاعة مزجاة وكمية من العصب واللحم والدم ، مهملة مهجورة ، لا يعيرهـا النصف الاخر باي التفات ، كأنه ليس ابنها او بعلها او والدها او شقيقها . انه رجل وكفى وهي امرأة وهذا ما فيه الكفاية . والانكى من ذلك انها ملزمة بما لا يلتزم به ، مجبرة على ما لا يجبر عليه ، فكأن الشرائع والسنن والاخلاق والعادات جاءت الوجود لا لشيء الا لكـي تكون اصفادا وقيودا وسلاسل تنال من معصمها ما تنال دما قانيا ينز واعصابا تتفتت ونفسا تتمزق وصبرا ينضح حتى الثمالة فيحل الشحوب ضيفا ثقيلا على وجنة ، كان ـ من الطبيعي ـ ان تتفتح في حمرة حية مزدهرة .

هكذا كانت المرأة الاسبانية ، يوم ان نطق باسمها شقيقها بالروح والجسد ، شاعر الالهام الصافي ، ونبي النبـع العذب لوركا . انه لم يفعل ذلك الا انتصافا لحق هضيـم وانصياعا لصوت شاعريته الرقيقة الهفهافة . والتعبير عن هذه الروح المأسوية لا يكون جادا قويا اخاذا الا بالاخـذ بالرومانسية الشعرية من جهة وهو ما فعلـه بكل قـوة

وجدارة وتمكن في مسرحيتيه الرائعتين « ماريانا بينيدا » و « الزفاف الدامي » ومن جهة اخرى بالاستناد الى المأثورات الشعبية في مسرحيتيه « بيت برناردا البا » و « العقيم اويرما » ومن التأليف بين الرومانسية الشعرية والمأثورات الشعبية والمسرحيات الهزلية استطاع لوركا ان يكوّن اسلوبه الشخصي الممتاز ، الذي ظل طوال حياته القصيرة طابعه الخاص وهذا ما اشار اليه الدكتور محمود علي مكي اذ قال في مقدمته القصيرة لـ «بيت برناردا البا» : « في مسرحه اشكال ثلاثة ، احدها : ما كان من وحي رومانتيكي تفشاه روح غنائية حزينة ويولي فيه وجهه شطر الماضي ، وثانيها : ما يجري مجرى المهازل بما فيها من انطلاق ومتعة وهوى وسخرية تحيط بانفعال غنائي مقنع وثالثهما الدراما في موضوعها الشعبي الذي ينأى فيه الشاعر عن الحقيقة ويتوخى الخيال » والى الدراما الشعبية يعزو الدكتور « الزفاف الدامي » بالاضافة الى « بيت برناردا البا » و « العقيم » وهو في ذلك محق لاستناد هذه المسرحية الى خلفية شعبية بارزة . بيد ان الشعر الرومانسي الحزين وبخاصة حين يتجسد القمر في اواخر المسرحية يجعلها في الصف الاول من الشعر الرومانسي الرائع . وهل ادل على ذلك من هذا السحر الحلال :

« ان القمر يرمي مدية ، ويدعها في الهواء عالقة
نصل يتربص في ثقل الرصاص ، مشتاقا الى ان يصير
الما ينزف الدماء .
انني اريد ان استقر في صدر ، اظفر فيه بالدفء
قلب خالص لي ، دافىء يسكب ما فيه على جبال
صدري » (١) .

« لا اريد ظلالا فان شعاعي لا بد ان ينفذ في كل مكان ،
حتى الظلمة بين الجذوع لينفذ فيها قبس من ضياء
فهذه الليلة لا بد أن تظفر وجنتاي ، واكوام القصب
المتراكم
عند مهاب الرياح العاتية بفيض من عذب الدماء
القمر : ... ليكن موتهما بطيئا ، حتى يستطيع الدم
ان يجري بين اصابعي همسه الرقيق
انظري ، ها هي ودياني تصحو ، وهي من رماد
مشتاقة لفيض الدم المتحدر » (٢) .

او وهذه الترنيمة الغنائية الرائعة التي تقطر عسلا شهيا :

الحماة : يا وردتي ، نم ، نم ، فالجواد الادهم
بالبكاء قد هم
فقوائمه مدماة ، وعرفه مجلد
وفي عينيه اغمد خنجر من فضة
المراة : يا قرنفلتي ، نم ، فالجواد الادهم
لم يشأ ان يشرب
الحماة : يا وردتي ، نم ، فالجواد الادهم
بالبكاء قد هم
المراة : وشدقه المحموم ، المرقش بالفضة ،
يشخر بانفاسه ، فوق الماء الجاري
ويصهل للجبال العابسة ، شامخ الجبين
فقد مر النهر على عنقه » (٣) .

ولو تتبعنا كل ما في « الزفاف الدامي » او « عرس الدم» من نبرات رومانسية اصيلة لاطلنا على القارىء وسببنا مله . لكننا نقف عند هذا الحد بالقياس الى « الزفاف الدامي » لننتقل الى الرومانسية الشجية ذات الصفة الغنائية الرائعة في « ماريانا بينيدا » هذه المسرحية التي تفيض شعرا ساحرا فيه بلة كل غلة ، ونشوة كل حرقة ، وخصب كل جدب . ومع ذلك لم يتلطف الدكتور حسين مؤنس لذكرها ، على الرغم من اسهاب مقدمته فيما لا طائل تحته ، وان ذكرها عارضا فاستئناسا برأي لطيف لكاتب امريكي ناقد .

ففي احد المشاهد الاسيفة التي يتجلى فيها ضعف الرجل وقوة المراة نجد هذا الحوار المفعم بالمعاني الحارة :

« الفريتو : هناك رعب ينشر الرعب ،
فالشوارع مقفرة لا يختال فيها الا الريح
والناس يقبعون في منازلهم ،
ولم ار الا صبية كانوا يبكون
عند مدخل « الكيسيريا » القديمة » .
وبعد اخذ ورد تسره ماريا بالخبر اليقين :
« ماريا : سيهيم دون بدرو على وجهه كالمجنون
عندما يعلم باني سجينة
من اجل رايته المطرزة .
واذا قتلت ، فسيأتي ليموت الى جانبي
لانه قال لي ذلك ، ذات مساء ، وهو يقبلني
سيأتي كالقديس جرجس ، من الماس والماء الاسود
ناشرا زهرة ردائه القرمزية الفاتنة
فلكي لا يراه احد ،
سيأتي عند منبلج الفجر ، في زهوة الصبح ،
في الساعة التي لا تكاد ترى فيها شجرة الليمون
وهي في الفضاء المظلم ،
وعندما يعير الفجر للامواج ، اشرعة من الظل والحرير
فماذا تعرف انت عن ذلك يا الفريتو ؟
يا للفرحة الغامرة .. اني لا اخشى شيئا اتفهم؟»(٤).

والفريتو هذا هو رسول بدرو ، البطل الشعبي الثائر وحبيب ماريانا ، وحين نقارن بين هذا الرجل الذي يحمل في نعليه وعثاء الرعب وبين هذه المراة التي تحمل في شعاب

---

(١) الزفاف الدامي : ترجمة الدكتور حسين مؤنس . (٢) المصدر نفسه . (٣) عرس الدم : ترجمة الدكتور علي سعد . (٤) وداعا يا غرناطة او « ماريانابينيدا » : ترجمة احمد سويد . (٥) مقدمة «الزفاف الدامي » ترجمة الدكتور حسين مؤنس . (٦) بيت برناردا البا : ترجمة الدكتور محمود علي مكي . (٧) ما يبقى من ماء في الاناء . (٨) لوركا قيثارة غرناطة : ترجمة كاظم جواد وسلافة حجاوي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قلبها حب بدرو ، وحب شعبها ممثلا في (الراية المطرزة) نجد بسهولة ويسر لماذا كان فيدريكو غارسيا لوركا ، يحب ان يرفع شأن المرأة عاليا ، ولماذا جعل من احسن مسرحياته الحية الشاعرية النابضة بالحركة ميادين لبطولات المرأة الاسبانية الجبارة .

وهذا الاهتمام بالمرأة لاحظه الدكتور مؤنس وهو يستند في ذلك الى الناقد الامريكي ادوين هونيج كما اسلفنا فيقول : « وللناقد الامريكي رأي طريف في هذا الموضوع.. من رأي هونيج ان بطلات لوركا صور حديثة لطراز من النساء معروف في الادب الاسباني كله : طراز المرأة الجياشة العواطف التي تبدو وكأنها كل شيء في المجتمع. ولوركا يصور أولئك البطلات وكأنهن مجالات مغناطيسية تجلب على انفسها المآسي بصورة حتمية ، وهن يجتلبن المآسي بطبعهن الحار وغريزتهن الجياشة . وهو يصور بطلاته في صورة « جزائر » قائمة بنفسها في بحر الحياة، لا تخضع لقوانينها او لمنطقها ، واذا شاءت الحياة ان تخضعهن لنظامها فلا مفر من احد امرين : اما ان تتحطم البطلة او يتحطم منطق الحياة نفسها » (٥) .

وهذا لا يعني بالطبع ان كل بطلاته على غرار « ماريانا بينيدا » في شجاعتها الفذة وبسالتها النادرة وصمودها الفولاذي ، في وجه العاصفة الدموية التي اجتاحت اسبانيا على عهد بريمو دي ريفييرا ، ولو كان لنا من المجال ما نوفره لاستعرضنا مشاهد اخرى من بطولات ماريانا وبخاصة امام بدروزا الحاكم العاتي ، الذي يحاول ان يستغل موقفها لكي يتلصص على روحها الطاهرة الشريفة ويسرق منها اقدس ما فيها ، اخلاصها لشعبها ممثلا في حبيبها الثائر بدرو .

لنترك هذا الآن ولننتقل الى مسرحياته الاخرى اذ فيها نشاهد طرازا آخر من النساء الجياشات النفوس ففي « بيت برناردا ألبا » نجد « آديلا » بنت برناردا ، فتاة تأكلها الشهوة العارمة والرغبة النارية في الزواج الاعتيادي، هذا العقد الذي يعقد منه الالوف والالوف في كل رجا من ارجاء العالم . لكن بيبي ال رومانو ، يخطب ود انجوستياس اخت آديلا لانها الوريثة الاكثر غنى ، لا لانها الاملح وجها والافصح لسانا وبيانا ، فهي والجمال على طرفي نقيض وقد اشرفت على الاربعين من عمرها المديد . اديلا هذه لا تكتفي بان تحسد اختها بل هي تتعلق ببيبي الخطيب تعلق العشيقة المغامرة الجسورة الشرسة ، ذلك ان عواطفها الجياشة الهادرة النارية تأبى عليها ان ينفلت منها صيد دسم ، رجل ذو عضلات وهذا يكفي . اسمعها في هذا الشأن تخاطب اخواتها : « اديلا : لن اظل حبيسة في هذا البيت ، لست اريد ان يذبل جسدي هنا كما ذبلت اجسادكن ، لست اريد ان تفقد بشرتي بياضها في ظلام هذه الغرف » (٦) وهذا الاوار الانثوي يستعر لدى اديلا الى حد يجعل الخادم العجوز « لابونثيا » تعلق عليها قائلة: « هذه البنت لا تبدو في حالتها الطبيعية ، فاني اراها قلقة ترتجف في خوف وفزع كأنما يضطرب في صدرها ثعبان .. » وحين يشتد النزاع بين الاخوات الاخريات وبين إديلا تنبري لهن قائلة : « انا حرة في جسدي اصنع به ما اشاء » . وردا على اهتمام شقيقتها مارتيريو تقول : « اهتمام ام استجواب ؟.. لشد ما وددت ان اكون خافية عن الانظار أخترق الجدران كالاشباح دون ان اتعرض لقذائف اسئلتكن : من اين جئت ؟ والى اين تذهبين ؟ » وعندما تجابهها لابونثيا بالسؤال : « ايعجبك هذا الرجل الى ذلك الحد ؟ » تجيبها بحدة وعنف : « الى هذا الحد . انني أشعر وانا ناظرة ... الى عينيه انني امتص دمه ببطء » .

ثم لننتقل الى ذروة الفن الدرامي ، الى العاصفة الفاجعة التي دمرت اسرتين تدميرا كاملا فظيعا في «الزفاف الدامي » فلنستمع بعد القتال الدامي الى الام المفجوعة بآخر ابنائها وهي تبث اساها ولوعتها وحرقتها الى جارتها قائلة : « ابني . لا بد ان يجيب . لكن ابني قد صار حمل ذراع من زهر جاف . ابني قد صار صوتا خافتا خلف الجبال (للجارة في غضب) اما تريدين ان تصمتي؟ لا اريد عويلا في هذا البيت . دموعكن من العين فحسب ، اما دموعي فتنهل عندما اكون وحدي ... تنبع من اخمص قدمي ... من صميمي ... من صميمي ... تتدفق احر من الدماء » . وتستطرد قائلة بعد ان تطمئن جارتها على ان الهدوء يفيدها في العزاء الاسود : « امامنا ايام رهيبة لا اريد ان ارى احدا . انا والارض فحسب . انا واحزاني» وهذه الجدران الاربعة .. لا اريد ان يرينني في هذه اللحظة ، في هذا البؤس ! امراة ليس لها ولد واحد تضمه الى شفتيها » .

ثم استمع الى هذا الحوار الدامي بين العروس والام بعد ان واجه كل منهما الآخر على اثر مقتل الابن العريس : «العروس : لا تقتليني بيديك بل بخطاطيف من حديد ، بل بفأس ، واضربي في عنف حتى تتحطم الفأس على عظامي ... انني قد اكون مجنونة ، ولكنهم يستطيعون ان يواروني التراب ولما تقع عين رجل على بياض صدري ...

الام : اصمتي ! اصمتي ! وماذا يهمني انا ذلك ؟

العروس : لانني مضيت مع رجل آخر ... نعم مضيت! انت ايضا كنت تفعلين ذلك لو كنت مكاني . كنت امرأة تحترق بالشوق ، مثقلة بالقروح من داخل ومن خارج . وكان ابنك بالنسبة لي سؤرا (٧) من الماء رجوت منه الولد وملك الارض والعافية ... اما الآخر فكان نهرا اسمر مليئا بالاعشاب حمل الي الصوت المكتوم لتدافع الماء بين صخوره ونشيده الهامس . ومضيت مع ابنك كما امضي مع طفل صغير وكأني في ماء بارد ، بينما كان الآخر يبعث علي مئات من الطيور اسرابا تعترض طريقي وتترك نقطا من الندى فوق جروحي ... جروح امرأة يداعبها اللهب ... كان ابنك غاية مناي ، ولم اخدعه ، ولكن ذراع الآخر

انتزعتني كأنها موجة طاغية جرتني جرا عنيفا ... »

افرايت ما في هذه الكلمات من دماء حمراء قانيةتتصارع امواجها صراع الجبابرة ، في انواء عاتية تهتز لها النفس الانسانية اهتزاز الاشفاق والاسى واللوعة من جهة وترتجف لها ارتجاف الحنق والبغضاء والمقت من جهة اخرى . انه احد المواقف التي يستغلها لوركا الفنان ليطرحه بصفته موقفا انسانيا شائكا ، لا يستطيع المرء ايراد القول الفصل فيه من غير لوم ومؤاخذة . هكذا يعرض لنا لوركا الشاعر والمفكر الاجتماعي قضية انسانية ليست من القضايا ذوات الحلول السهلة ، وانما هي قضية المرأة ـ في اعمق مشاكلها واعقدها واشدها ارتباطا واكثرها خنوعا للتقاليد والاعراف المرعية السائدة في البلدان شبه المتأخرة كأسبانيا على سبيل المثال لا الحصر . وبعد هذا الذي قلناه لنمزج قلوبنا اسى ولوعة مع زوجة ليوناردو وهي تناجي روحه في رثاء اثير على القلب لانه نابع منه ، يقطر الدم منه فوارا احمر ، حمرة السكين المدماة حديثا ، فلنسارع لسماع رثائها الحار اللاهب الذي تدفع انفاسه العيون ، ولو كانت عصية الدمع ، حجرية المنبع ، صخرية المجرى .

« زوجة ليوناردو : كان فارسا جميلا
واليوم هو كومة من الثلج ، كان يمضي الى الاسواق
ويقطع الجبال
ويجري الى احضان النساء ، والآن يكلل جبهته
بالليل نبات اسود حالك » .

ثم لنلتف بقلوب كسيرة وانفاس متقطعة ، لنستمع الى مناجاة ام فقدت آخر اكبادها :

الام : كنت لامك زهرة الشمس ، ومرآة ترى الدنيا بها .
ليضعوا الآن على صدرك ، صليبا من الزهر المر
وليمدوا عليك غطاء ، من حرير ذي بريق
وليتجمع الماء حسرات ، بين يديك الساجيتين

هذا النبات الاسود الحالك وهذا الماء المتجمع حسرات يذكراني احر الذكرى ببيت لشاعرة عربية راعها موت اخيها وهز كيانها وزعزع وجدانها فقالت والحسرات تقطع انفاسها حين رات نهر الخابور باشجاره الخضر الزواهر :

ايا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف

اما مأساة الشاعر التي اودت بحياته فقد حدثتنا عنها موسوعة القارىء ص ٦٥٠ بقولها : «اغتيل في بداية الحرب الاهلية الاسبانية ، ومنعت كتبه من قبل حكومة فرانكو » وهذه اشارة واضحة ترد على تخريجات الدكتور مؤنس وتبريراته ردا مفحما لا نريد ان نقحم انفسنا فيه . وقد رثاه الشاعر انطونيو مآخادو رثاءا فاجعا مؤثرا لا يهز الاعصاب حسب بل يخلخل العظام ايضا ، ومسك الختام ان نضيف بعض الابيات من تلك القصيدة الى ما سبق لتتم لنا صورة عن المأساة الانسانية في اعمق دلالاتها ، عن دم الضحية المسفوك ظلما وعدوانا ، عن بشاعة الانسان حين يصبح وحشا غادرا وعينا متلصصة ، وقلبا متحجرا ونفسا خبيثة .

يقول ماخادو في مستهلها : « راياه يسير ، البنادق على جانبيه (٨)
عبر الطريق المديد ، الى سهول الصباح الندية
صامتا تحت النجوم .
الدم على جبينه ، الرصاص في ضلوعه
ثم ... هوى .
كنا نراه يمشي مع الموت غير آبه بمنجله .
الشمس على الابراج والمطرقة على السندان ترن
وفيدريكو في سبيله السمح
يحاور الموت
رايناهم يختفون
الا انحتوا ايها الاصدقاء ، عميقا في قصر الحمراء ،
عميقا في الصخر ، والاحلام ، قبر شاعر ...
تحت الينابيع حيث ينتحب الماء ،
يبكي ، ويصرخ الى الابد :
لقد وقعت جريمة في غرناطة ـ غرناطته » .

حقا لقد وقعت جريمة في غرناطة ، لكن هذه الجريمة لم تهز غرناطة واسبانيا حسب بل العالم باسره .

بغداد **يوسف عبد المسيح ثروة**

العطاء المرجى

ومرت على روضي المجدب
سحابات غم انارت اسايا
وقد امطرتني رزايا
عطاء الى قلبي المتعب
وكنت امنيه ان العطايا
ستنهال يوما على الفيهب
فيا ريح هبي ... ويا عاصفه
ويا قاصفه
الا فاحطمي
ما تبقى من الهيكل المثقل
ألا فاحطمي مأملي !!
فما نفع احلامي الزائفه ؟؟

ناصح محمود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكتبة الاديب



الضـائعـــون

مجموعة شعرية ـ رجا سمرين ـ (؟) صفحة ـ مطبعة (؟)

حين نقرأ ديوانا لشاعر فتهزنا بعض قصائده او نلمح بعض اللقطـات الفنية الدقيقة التي لا يمكن ان تراها سوى عين فنان .. نستبشر لاننا عثرنا على شاعر اصيل يمكن بقليل من الصقل ، وشيء من الاهتمام ان نصل به الى ما نريد من الكمال الفني ، والشاعر « رجا سمرين » مـن هؤلاء الشعراء الذين لا ينظمون قصائدهم لتمكنهم من علم العروض ، او لثرائهم اللغوي ، وانما يكتب الشعر لانه يحمل وجدان شاعر وعين فنان ، وهو حين ينفعل ويصدق في تجربته ، وقلما يفعل ذلك ـ يأتي بقصائد من هذا النوع الذي يهز وجداناتنا ، ويحرك فينا ادق عواطفنا كما فـي الكثير من قصائده عن مأساة فلسطين وبخاصة قصيدته عن خيام اللاجئين، لقد استطاع الشاعر ان ينقل لنا بنجاح حياة الفزع ، والرعب ، والجوع التي يحياها اللاجئون . ويصب جام غضبه على الخيمة التي هي وصمة في جبين الانسانية ، والتي تشبه القبر او النغمة النشاز في سيمفونية الحياة ، وسكان هذه الخيام لا ينسون العز والسعادة التي كانوا فيها ، وهل يتأتى لهم ذلك وارضهم ، وحدائقهم ، وبيوتهم ، ومراتع طفولتهم ، وصباهم تطالعها اعينهم كل صباح ومساء ، وهم قابعون في حجورهم الرطبة المظلمة، ينتظرون ما يجود عليهم به اعداؤهم ممن اغانوا المغتصب ، وساندوه حتى سلبهم الكرامة والحق في الحياة والاستقرار ، لباسهم قصير فاكثره فضلات رثة مما تجمعه لهم مؤسسة اغاثة اللاجئين ، فاذا ما حل فصل الشتاء يذوى الاطفال كما تذوى الازهار في البرد والصقيع، والموت كالنسر الجائع يختطف الامهات والحبالى ، فكانه الجفاف والجدب الذي يهلك الزرع ، ويأبى على الارض ان تخصب مرة اخرى والمقيمون في هذه الخيام لا يسأمون طلب العون ، والمساعدة من اخوانهم العرب.. ولكن العرب صرفهم عن ذلك الانقسام والتصارع على تفاحة الحكم التي القى بها بينهم المستعمر ، واغراهم بالتقاتل عليها ، كما سلب الجموع الراحة وارغمها على الركض خلف لقمة العيش فلم يدع لها من الوقت ما تسترد فيه انفاسها ، فتتجه ببصرها الكليل الى مصـدر الاستغاثـة لتغيثه ، وتخلصه :

وصمة انت في جبـين الدهـور ... يا خياما في القفر مثل القبـور
يا نشاز الانغـام ، يا سبـة التا ... ريخ ، والناس في جميع العصور
انت سفـر الآلام سطرك البغـي ... بايد ، مخضوبـة .• بالشـرور

والقصيدة تصوير ناجح ، لما يعانيه اللاجئون في خيامهم ، وما اكثـر ما يمكن ان يلهم الفنان وجود مثل هذه المناظر الكئيبة امام عينيه ، خاصة بعد ان يعود اليهم من غربته يحمل لهم حنينه ، وحبـه ، ومشاهداتـه للحياة السعيدة التي يحياها سواهم ، ومما يؤلم ان الكثيرين من ابناء هذه البلاد ينسونها ، ولا يشعرون نحوها باي تعاطف وجداني بمجرد ان يحصلوا على عمل يدر لهم ربحا في اي بلد آخر ، بل ربما يبخلون عليها حتى بمجرد المساعدة المادية اليسيرة ، وانصح مثل هؤلاء بالسفر اليها كل بضعة اشهر ليغسلوا قلوبهم من الادران الصدئة والتهالك المقيت وراء جمع المال واكتنازه ، وما اجمل ان يسعـى ويجمع ثم يعود اليها الى امه الكبرى المريضة فيلقي بين يديها بكل ما جمع ... وللشاعر قصيدة وجدانية رقيقة هي « دليل » مكونة من خمسة مقاطع رغم ان قافيتها واحدة هي النون ، في كل مقطع يقدم لحبيبته دليلا على انها تحبه رغم تظاهرها ـ شأن النساء غالبا ـ بانها لا تحمل له مثل هذا الحب ، ويختم كل مقطع بهذا البيت الذي يشبه القفـــل فـي الموشحة الاندلسية :

فان لم يكن ذا دليل الغـرام
فماذا يكون ، فمـاذا يكـون ؟

واعتقد ان تكرار فماذا يكون اجمل من قوله : فماذا يكـــون .. الا تشرحين ؟. وثمة قصيدة اخرى كاد ان يحالفها النجاح لولا انه بتر عاطفته الابوية نحو ابنه منصرفا الى القاء موعظة طويلة عن الحياة ، والاشرار ، ونكبة بلاده استنفدت كل اجزائها .. هذه القصيدة هي الى « ابنـي نزار » والشاعر كثيرا ما يقيد نفسه ، ويشدها الى جزء صغير مـن التجربة يأخذ في مطه واطالته ، عاجزا عن تنمية هذه التجربة فقصيدته امي : كانت ستنجح .. لو انه عمل على تنميتها ، وفتح وجدانه بصـدق ليغمس فيه قلمه ، ويلون جوانب لوحته ، ولكنه اكتفـــى بهذا الزعـم البطولي الزائف الذي ورثه عن اجداده العرب باننا رضعنا البطولـــة والفداء من ثدي امهاتنا . فالابيات الثمانية الاول تدور حول احساس واحد هو ان ذكراه لوالدته تزيل من نفسه الوحشة وتبذر بذور الامل ، والابيات كلها تصوير لوصيتها له بالبطولة والفداء والسلام التي حققها الشاعر ..

وفي اسلوب تقريري ساذج يقول :

لذلـك صرت عطوفـا رحيمـا ... يمزق قلبـي انـين العفاة ..

وفي قصائده التي لا يدعها تنضج على نار هادئة يضطر لتلخيص افكار الاخرين ، والاستعانة بصورهم الشعرية كقوله :

وللكرامـة بـاب محكـم غلـــق ... وليس غير الايادي الحمر تقرعـه

وهو كما نعلم صياغة رديئة لبيت شوقي :

وللحريـــة الحمراء باب ... بكل يد مضرجـة .. يدق

كما يكثر من الصور القديمة الباهتة التي فقدت ايحاءها من كثرة ما طرقت الآذان كقوله : بعزم شديد كعزم الاسود الخ ..

ويقول لابنـه :

فوصياتي اليك اما رأيت النـاس في هذه الحياة نمـورا
ان ترى كالهزبر لا يقبل الضيم ويستقبل العـدو فخـورا

وذوقنا الحضاري اعتقد انه ينفر من استعمال مثل كلمة « الهزبر » ومن الخطأ ان يظن شاعر كالاستاذ رجا سمرين ان كل ما استعمله العرب او جاء في معجماتهم يمكن ان نستعمله ، وننسج منه عباراتنا ، فلكل عصر ذوقه الخاص الذي يجعله يميت بعض الكلمات ويبعث او يخلق بديلا لها آخر او لا يلبث لها بديلا . فشاعرنا لا يهتم باختيار الكلمات المناسبة ، الكلمات التي تحمل شحنات نفسية والتي هي اقدر من سواها على جلاء الفكرة ورسم الصورة ، ولا محاباة بين ما نقول ، وما يقول به النقاد من انه لا يوجد قاموس لغوي خاص بالشعر دون النثر ، فكل الكلمات تصلح للشعر كما تصلح للنثر ، فالاختيار الذي نقول به هو القائم على الجرس وعلى صلاحية الكلمة للتفاعل مع جاراتها ، ولانها صادرة عن اختيـــار وجداني لا اختيار عقلي .. فقوله مثلا في « نشيد الخلاص » :

سأمضي الى الانصاف والخير والبشر ... الى العزة الشماء في همـــة النسر

وتقودهم صوب التحرر من قوانين الطغاة كلمات نثرية جافة مكانهـا كتب القانون لا دواوين الشعر .. وديوان الشاعر قد صدر منذ ثلاث سنوات فالنسخ التي وصلتنا قد اكثر فيها من التصحيحات اللغوية بقلمه الخاص ، فالمجال امامنا ضيق للعثور على بعض هذه الاخطاء اللغوية او

العروضية وذلك لا يمنع ان نعثر له على خطأ لغوي او عروضي مثل :

فمتى تبلغ المراد مثلي يا بحر ليهنا الجميع بالخـلان

ففي البيت خلل موسيقي .. وقوله :

والشباب الوثاب يغلي حماسا والصبايـا تتـوق للانجـاد
سوف ناتيـك كالنسور جموعا نملأ الجـو والذرى والوهـاد

ففي الوهاب خطأ نحوي لا تقره اللغة ولا يرضاه الشعراء ، وهو يفرط في المترادفات ، والضرورات الشعرية ، والكلمات الغريبة ، والاستعانة بقد ونون التوكيد ، وصيغة « مفعال » للمبالغة كملحاح ، والتصغيـر الذي لا حاجة اليه كقوله امة قد صحت بعيد الرقاد وعدم التجانس بين جرس الكلمات فبينما يقول ان النعيق الفظ يقول : ذاك الذي : يسكب في الآذان سما مذاب فالنعيق الفظ كلمتان تحملان رنينا مزعجا ، ثم يقول سما مذاب ، كلمتان خفيفتان لا يتلاءمان مع ما سبق .. ومما يحمـد للشاعر روحه المتفائلة ، فانه بعد ان يسهم في هدم صروح الظلم ، يسهم في اقامة العدالة ونشر المحبة والسلام بين الناس ، والنصر ، نصر بلاده سيتم لان الشعب اذا صمم يبلغ ما يريد :

فحين يتم ذاك وليس شـك بان الشعب يبلغ كل شـيء

وبعد الخريف دائما يأتي الربيع فيبلسم الجراح ، ويكفكف الدموع :

لا تبتئس يـا طائـري انمـا بعد الخريف الجهم يأتي الربيع
يأتي ، فيأتي الخير في ركبه ويرتدي الروض لباسـا بديـع

ومثل هذا الشاعر الذي يؤمن بالخير ، والحب ، والسلام ، ويتوقع النصر لقوى الخير دائما يعيبه ان ينظر الى الانسان بانـي الحياة ، ومنشيء حضاراتها نظرة خوف وتشاؤم ، واعتقد ان هذه النظـرة قـد انتقلت اليه من قراءاته السلفية لما كتبه الاجداد دون ان يتسلح بنظرية متطورة للحياة يقربل في ظلها ما يقرأ ليختار الجيد وينبذ الرديء ..

من ذلك قوله لابنه :

سنة البطش منذ «قابيل» كانت لبنـي الارض بعـده دستـورا
دابهـم في الحياة عسف ، وظلم لا تـرى للضعيف منهـم نصيـرا
ان خيـرا مـن خيرهم يا صغيري زهرة في الخلاء تهـدي العبيـرا

ففير صحيح مطلقا ان زهرة او هزارا خير من الانسان صانع كل ما في الحياة من خير ، وجمال .. وهو يردد مثل هذه النغمة النشاز في قصيدته « ولدي نزار » فالشاعر يسلح اولاده بالخوف والحرص منـا نحن البشر وهل يستطيعون ان يعيشوا في جزيرة نائية عن الناس كما عاش « حي بن يقظان » او ربنسون كروزو دون ان يتفاعلوا مع الحيـاة والاحياء .. ومن حججه التي يحتج بها على الاغنياء اننا جميعا من تراب والى التراب نعود .. وهذه حجة سلفية خاطئة كسابقتها لا يمكن ان يقوم عليها بناء يصمد في وجه الفني . وهناك ادلة اخرى على التساوي يمكن ان يستدل بها لو قرأ ودرس وتسلح بالفلسفات الحديثة المتطورة• .

وما كنت اتوقع لانسان يعيش مأساة بلاده ، ويسهم في عملية البناء لتطوير الحياة ، ولاسعاد زوجته واولاده ، وبلاده ان يدعو الى الانحلال والسلبية ، واغراق هموم حياته في الكأس ، والخمر بدل مواجهة مشكلات الحياة بثبات وتفطية كما في قصيدته المتهافتة « انطلاق » التي يملؤها بمثل الملحاح « ومتحت في دلوي » وصحتها ومتحت دلوي ، والمياح الذي لا اعرف معناه .. كل ذلك لان القصيدة لم تصدر عن وجدان صادق ، او ايمان من الشاعر مما جعلها ترك وتسف هذا الاسفاف الواضح ...

وثمة ظاهرة تكاد لا تكشف عن نفسها ، وهي احدى حسنات الشاعر لو التفت لها ، واستفاد منها ، هي روح السخرية التي نمت عن نفسها في بيتين اثنين من ديوانه ، والتي لمستها بوضوح في شعره الاخواني الذي يتبادله تفكها وتسرية مع اصدقائه فهو يتحدث عن هزيمة فرنسا في الحرب العالمية الثانية مستغلا ما يوحي به لفظ «الهر هتلر» فيقول .

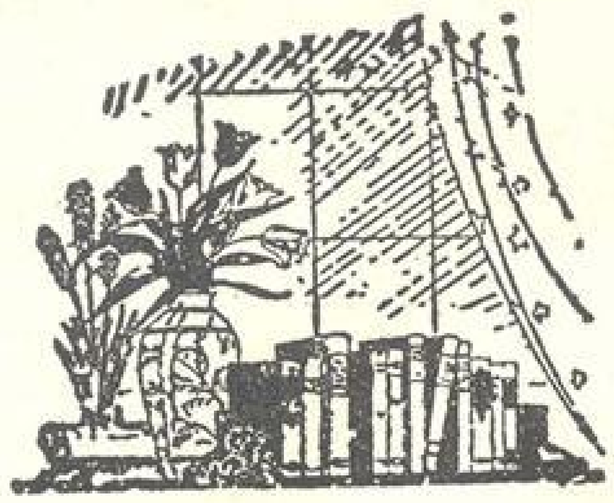
يعدو بنوها امام «الهر» من فرق في سرعة الفار حيث الهر يتبعه

وفي قصيدة « نشيد الخلاص » يقول :

ارادوا لهم ان يدفعوا صولة العدا باسلحة شوهاء ترتد في النحـر
ويا لعنة الاقدار ثوري وزمجـري ولا تتركي في العرب منحني الظهر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العـادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

•

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابهـا سواء نشرت ام لـم تنشر للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البـير اديب

وفي ختام كلمتي اقول ان اخطر شيء على الشاعر هو جريه وراء الصور والتعبيرات التي تنسيه تجربته فحين جلس في حديقة الازبكية فتذكر حبيبته التي كانت تشاركه مثل هذه الجلسة نظم قصيدتـــه « ذكرى » يذكرها فيها بالحديقة والنسمة المعطار والجدول الرقراق والذي اعرفه ان حديقة الازبكية خالية من الجدول الرقراق الا اذا كانت المياه التي ترش بها الحديقة جدولا رقراقا في خيال الشاعـــر ، ومـن التاثيرات السيئة للقراءة ان الشاعر يرى في كل شيء مهما كان تافها ضارا مؤذيا جمالا وروعة ، الشاعر الذي ينفر من القبح والتشويه .. والذي جعله يردد هذه المقالطة ما كتبه الرومانسيون الذين تغنوا بجمال الطبيعة ، مؤثرين تفاهتها على اي شيء حضاري تتدخل فيه يد الانسان بالتهذيب والتشذيب ، وقد نقل لنا المنفلوطي فيما نقل هذه النظـرة الرائعة للحياة في رواية « الشاعر » فيما اظن .. ونحن ننكر على الشاعر ابن القرن العشرين ان يقول :

نـام الورى وانـا مقيم سـاهـر ... قلـق يؤرقني فـؤاد شاعـر
لا يستسيـغ حياتـه في عـالم ... قـد حـده للناس حس قـاصر
فـي كـل مجلـى يجتليه فتنـة ... وملاحـة تفـري وحسـن آسـر
في المزن اذ تهمي وفي غسق الدجى ... والنوء والاعصـار اذ تتناحـر
في الغصن جرده الخريف من الثذا ... والخصب في الازهار اذ تتناثـر
في المهمة القفر الجوانب ما بـه ... وحسن يصيـح ولا هـزار طـائر

لقد ذكرني ذلك بما كتبه الاستاذ زكي عبد القادر في ليلة ممطرة وقد خرج بعربته يتمشى على شواطىء القاهرة لقد كان معجبا بحبات المطـر وهي تنزلق على عربته ، والماء وهو يهز اسلاك الكهرباء ويغسل اعمدة النور ويتدفق على جانبي الطريق ، فهل كان يعجب بذلك لو اوى كالاف الاطفال في بلادي من قسوة البرد في اوعية الزبالة او مواسير المياه الواسعة في ميدان باب الحديد او تكوم مثلهم علـى القش ليحتمـوا باجسادهم البريئة الصغيرة من لذعاته القاسية ، قليـل من القراءة الجادة ، والوعي الانساني ... يجعل الفنان اصدق تعبيرا عن قضايـا الانسان العربي المعاصر .

القاهرة كيلاني حسن سند

●

تمر حنـة عجـب

مجموعـة قصص ـ تاليـف محمود تيمور ـ ٢٢٤ صفحـة ـ المطبعـة النموذجية بالقاهرة

من المجموعات القصصية التي اصدرها في الآونة الاخيرة ، رائد القصة المصرية الاستاذ محمود تيمور ، مجموعة « تمر حنة عجب » التي تضـم اثنتي عشرة قصة .

ومن القصص الجيد في المجموعة « حامل الاثقـال ، من منـا الوغد ، الانسان ، نداء الروح » . فالقصة الاولى تحكي فلسفة حمّال لبناني ، قضى حياته يحمل الاثقال لاهل قريته من البلدة المجاورة حتى انحنـت قامته . ورغم ذلك فهو في يوم عطلته لا يرتاحه بل يعمله ، واذا لم يجد ما يكلفه به الناس وينفعهم في مثل هذا اليوم ، كلف نفسه بحمل الحجر الذي لا فائدة منه لاحد ! وتعليله لذلك انه بظهره المتقوس « ما انـا بمستطيع ان ارفع هامتي واسير مستقيم العود كمـا يسير الناس ، وظهري يتطلب مني ان احمله ثقلا هو عندي بمثابة ضجة الميزان ، بـه يتوازن جسدي ، واطمئن في مشيتي ، وبدونه اعيا ، واكاد على سفـح الجبل اتهاوى » ! واذا كان راوي القصة يذهب الى ان حمل الاثقال من طبيعة الانسان يحيا به وان ارهقه ، لانه سبب من اسباب ما نطمح اليه من سعادة واطمئنان ! فيمكن ان يفسر ايضا بانه رمز لتقديس العمل .

والاستاذ تيمور يميل دائما الى الاشادة بالعمل ، كما في قصة جيدة اخرى هي « الانسان » التي تعالج مشكلة رجل عجوز اصابه المرض في ساقيه فاقعده ، واهمله تماما اقاربه واصحابه والناس ، فحقد على البشر جميعا واسود قلبه ، وانزوى في حجرتـه على السطـح لا يغادرها . وتصادف ان كان هناك موكب يحتفل بعيد الشباب يمر فـي الطريق ، فتحامل الرجل على نفسه وشاهده ساخرا منه حانقا على اصحابـه ! واغرته الشمس الدافئة ، فاسند ظهره الى الحائط وجلس ، واذا بـه يرى اسراب الحمام في السماء في نشاط وحيوية تتم دورات لها فـي دأب وكانها تقوم بواجبها في الحياة ، ويسقط على السطح من السرب طائر صغير لم يقو جناحه على الجهد المستمر ، فاسرع الرجل اليه ببعض الطعام والشراب حتى استرد قوته وعاود طيرانه مع سربه ، الذي كـان لا يفتأ يحلق فوقه وكانه يشجعه على المقاومة ويدعـوه الى التحليـق ثانيـة .

ويصيب الرجل ما يشبه الصدمة الكهربية ، لقد عرضـت له تجربـة الطير ما يجب الا يغيب عن الانسان ابدا .. انه جزء من كل وان الحياة تحتاج الى جهده كما يحتاج هو الى العمل ، وخاصة في لحظات ضعفه لينجو من اليأس وخذلان النفس . وهكذا عندما عاد ركب الشباب ثانية ، اسرع الرجل الى عكازه الذي هجره طويلا ونزل الى الطريق مشتركـا في الاحتفال مرددا اهازيجه !

وتؤكد « من منا الوغد » احدى القضايا الادبية الهامة بطريق غيـر مباشر ، وهي ان عظمة الفن ليس في ابتكار الموضوع وتصيد غريبه ، بقدر ما في تناوله ذاته . فهذه القصة تعرض موضوعا عاديا .. الثالوث غير المقدس ، الزوج والزوجة والعشيق . ورغم ذلك فقد كان لبراعة قاصنا الكبير في عرضه وتعميقه وتحليل بواعثه ، اثر كبير في تجسيد شخوصه على مسرح الاحداث . فالزوج الاستاذ الجامعي الذي تزوج طالبة بعـد قصة حب ، يستهويه جمع المال . ولما كان مرتبه محدودا فقد عجز في البداية عن ان يبلغ برصيده في البنك ما يطمع . والزوجة الحسنـاء كانت تهفو الى حياة الترف ولكنها كتمت مطمعها حتى يكثر المال في يد زوجها . اما الطرف الثالث فكان زميلا للزوجة في الجامعة ـ في كليـة اخرى ـ واعجب بها ، لكنها صدته ثم تزوجت فلم تعد تراه . ويظهـر الاخير ـ القصة لا تعطي لشخوصها اسماء ـ بعد سنين قليلة وقد كثـر المال في يده ، بعد ان فشل في دراسته . ويتردد علـى الزوجـين ، ويبهرهما بهداياه الثمينة ، فيتجاهلان اشمئزازهما منه . وتتابع مظاهر اغداقه عليهما ، فيلتصق بهما اكثر وتنزلق الزوجـة . ويشعر الـزوج شعورا واعيا بما حدث ، وتتجمع ثورته ويطالبها بالاعتراف فترفـض ، وفي ثورة ذلته وغضبه يقتلها !

وتتعمق « من منا الوغد » جوانب كثيرة من المأساة التي عاشها ابطال القصة ، مثل مواجهة الزوج الامر بتبلـد ذهـن وخمـول احساس ، وافتقار الزوجة الى من يعينها في مقاومتها . ومن هذه اللمسات ايضا ، هذه اللمسة الدقيقة والزوج يوجه الحديث الى امراته وهي جثة هامدة والقصة كلها حديث اليها بعد موتها : « ولكن هناك يا صغيرتي المسكينة امرا غاب عنك ، امرا لا تستطيع اية امرأة في الوجود ان تستره مهمـا اوتيت من صلة ومهارة . هذا الامر هو ذلك « البريق » الذي تتضوأ به عين المرأة عند وقوعها في الاثم !... انه توهج الغريزة النسويـة فـي عنفوان يقظتها وعربدتها واستمتاعها بالحب المحرم ! ذلـك « البريـق » شهدته في عينيك يتوقد .. ويومئذ برح الخفاء وانكشف الغطاء ، ولم يبق الى طمانينة نفسي من سبيلي .. » (ص ٩١) .

اما « نداء الروح » فقد عرض المؤلف فيها لشخصيـة زوج عجـوز مستبد اذاق زوجه الشابة الهوان ، حتى ماتت بائسة حزينة بعد سنوات قصار . ويصور تيمور ما استشعره الرجل من الفراغ الذي تركته عطيات والذي يثير اشد الوحشة والضيق ، هذا الفراغ الذي لم يكـن مبعثـه الحب ، بل ما كانت تشغله الزوجة من اكبر حيز من نشاطه الاستبدادي!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ورويدا رويدا يدرك الرجل مقدار اساءته اليها ، رغم حبها له وتفانيها في خدمته . ويعرف انه خسر قلبا لا يمكن تعويضه ، ويتملكه الحزن ، وكأنه في محاولة للاعتذار يأخذ في الحديث الطيب عنها مع حاضنتها ، ويبعث ذكرها في نفسه ايضا بما كانت تحبه من اشياء .. وتسوء حال الرجل وهو يزداد انغماسا كل يوم في استحضار شخص زوجه ، حتى ينتهي به الامر الى ان يرقد معها في قبرها نادما مستغفرا !

وتحتوي المجموعة غير ما ذكرنا من قصص على : « تمر حنة عجب » التي حمل الكتاب اسمها ، وهي تقص عقوق راقصة لاستاذها الذي علمها فنها واحبها ، والمصادفة التي كررت معه لقاء آخر لصبية مثل صاحبته السابقة ، يأخذ في تدريبها وتعليمها وحبها ايضا !

و « العمل وقع » قصة ثري قروي بخيل ، يبني مسجدا ويستكثر ان يفتتحه بذبيحة تنحر على بابه . و « الزناتي خليفة بقرش ونصف » وهي عن محاولة صبي بائع كتب قديمة يبيع شيئا من بضاعته . ونجاحه في ذلك آخر الامر ، وتحقيق امنيته في ارتشاف زجاجة غازوزة ! و « حورية البحر » التي تحكي شغف شاب صغير بقصة حورية البحر ، واستبداد فكرة الالتقاء بها بعقله ، حتى اردته في النهاية . وكان المؤلف يعكس في هذه القصة ، تعايش المواطن المصري لهذه الاسطورة الشعبية ! و « انا الشريد » تعرض لمغالاة شاب في مثاليته ، منكرا ابعاد واقعه ، حتى تضطرب احكامه عليه ، فيعيش حياته قلقا شريدا . و « ليلة انس » وتتناول تحول زئر نساء ، الى طريق الاستقامة بفضل سذاجة فتاة على وشك الانحدار ! وتحكي « فلنبدأ الحياة » قصة « فتنة » الصبية التي توفي عنها والدها الغني بلا عائل ، يقوم على شانها مربية قاسية ومحام يرعى مصالحها ، والذي ينقلب عطفه عليها الى حب غامر يدفعه الى انقاذ الفتاة الصغيرة من الحياة الكئيبة التي تضطرها اليها المربية مدام شفالييه ، منتهزة قلة حيلة الفتاة وحزنها المقيم على خطيبها الذي مات منذ ستة اشهر ، في غمسها في جو الذكريات الحزينة المقبضة المعتمدة على رسائل الخطيب الى فتنة . ويقوم صراع بين المحامي والمربية يفشل فيه العاشق في الجولات الاولى ، ويسقط في يد شامل ـ المحامي الشاب ـ الذي لا يجد بدا في النهاية من تنفيذ فكرة الحت عليه طويلا ، وهي حرق القصر الكئيب الذي تتقوقع فيه الفتاة .. مؤمنا بان الضمير الانساني يبيح للمرء ان يقترف جريمة لانقاذ انسانة معذبة !! ويفعلها منقذا الفتاة ! ومن اجمل لمسات هذه القصة ، تصوير سلبية الفتاة المسكينة وضعفها وانسحاقها وتشوقها الى من يأخذ بيدها .

لست ادري هل لعمر القاص دخل كبير في انتقاء شخوصه . فهو يختار اكثرها مما تقاربه سنا ، لانه الصق بالمرحلة التي تمر بها واعلم بتكوينها النفسي من غيرها . ام ان الامر لو حدث لا يعدو ان يكون مصادفة ؟! يعرض هذا التساؤل لقارئي « تمر حنة عجب » ، وهو يجد ان الشخصيات المتقدمة في السن هي الغالبة ، ويندر ان تخلو قصة منها ! فما اكثر الشخوص اصحاب الوجوه المفتضنة والرؤوس التي وخطها الشيب ، سواء هؤلاء الذين يحتلون الادوار الرئيسية او الثانوية في المجموعة !

والوحدة سمة اخرى من سمات المجموعة ، يألفها ويرتاح اليها الكثير من الشخوص . وهي احيانا تبدو ضرورية ازاء ضوضاء المدن وعجلاتها الطاحنة ، كما في « حامل الاثقال » « حقا ما احوج الانسان في بعض الاحيان الى الفرار من خلق الله ! » (ص ٤٢) . واحيانا تكون الوحدة « مرضية » نوعا من الوحشة كما في « فلنبدأ الحياة » حيث تفزع الفتاة الوحيدة ، المنكوبة في خطيبها وابيها ، من الحياة خارج البيت . وتتخذ الوحدة احيانا اخرى ثورة على قيود المجتمع كما في « الطائر الطليق » ، او يأسا من اصلاح هذا المجتمع كما في « انا الشريد » .

وعشق الطبيعة سمة ثالثة في « تمر حنة عجب » ، فاجتلاء مباهجها وخاصة في الاصيل والمساء ، يكاد ان يكون لونا من التعبد والتهجد ، يعبر عنه باخلاف وحب حقيقي. وفي بعض قصص المجموعة نجد الطبيعة تأخذ لونا اخر ، فتبعد عما يمكن ان يكون سلبية اذا صح هذا التعبير ، او بلفظ اخر لا تكتفي بان تكون شيئا يروح عن النفس وتسلية ، بل تحاول ان تلقن الانسان درسا بكائناتها غير الناطقة ، كما في قصة « الانسان » . فسرب الحمائم يطير ولا يفتأ يطير ، وكلما اتم دورة بدأ دورة اخرى من جديد ، وكأنه يريد ان يتم عددا من الدورات كاملا .. « ان لكل كائن في هذا العالم الفسيح دورات يؤديها في طوع واختيار ، ومن مجموع هذه الدورات متوافقة مترابطة تتالف الدورة الكبرى لهذا الكون العريض » . لقد قدمت الطبيعة هذه الحقيقة التي غابت عن بطل القصة الذي لم يقاوم مرضه ، فشل حركة نفسه كارها الحياة والاحياء .

ولمحمود تيمور اهتمام بالدقائق الصغيرة ، او ما يسمى بالفتات .. وهي الاشياء الضئيلة ، والهامشية احيانا التي لا تذكر الا عرضا وتمر مرا سريعا ، ورغم ذلك فقاصنا الكبير يلتفت اليها ولا يهملها ويعطيها من عنايته ما يحولها من كم مهمل او كالمهمل ، الى لبنات جد صغيرة نعم ولكنها نافعة تضفي ملامح ذات دلالة . مثل ذعر كحل العين في « تمر حنة عجب » وهو يرجع الى منزله ليلا حاملا طعامه ، من قطط الطريق التي تتبعه ، واطلاقه الصيحات يبعدها عنه ! ولعل السيد شملول الصواف في « العجل وقع » لفنجان القهوة ! « يتصيد باصبعه البنصر ما رسب من البن في قاع القدح ، وما تعلق بجوانبه . وما زال يمعن في التصيد واللعق ، حتى غدا القدح يلتمع من النظافة لا يحتاج الى ان يغسله احد ... » ! (ص ١٤٣) .

ولا تخلو مجموعة تيمور هذه من استخدام الرمز في اكثر من قصة . كما في « الطائر الطليق » التي تقص محاولة انثى التحرر من كل القيود التي تكبل بها الحضارة الحديثة انسان هذا العصر ، فتنزح الى جزيرة نائية وتتمتع بعيش طليق . ويأتي رجل يفجر غريزتها المكبوتة وتسعد باتصالها الجنسي معه ، ولكنها تحس بعد قليل ان هذه العلاقة تحولت الى شيء اخر ، وانتقلت من جنس الى غرام يحاول استعبادها . وتدرك انها وقعت في اسر جديد ، فتهجر جزيرتها مفضلة اهون القيدين .. قيد المجتمع !

المنصورة

علاء الدين وحيد

بمناسبة افتتاح المدارس

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

تقدم

جميع الكتب المدرسية

عربي ـ افرنسي ـ انكليزي

باسعار متهاودة

الدهنية . لقد زار احد معاونينا منغوليا . ان سكان هذا البلد يستهلكون بكمية كبيرة الشحوم والاحينات الحيوانية ، ومع ذلك ، فانه لم يعثر في دم السكان على زيادة ملحوظة لمحتوى الكوليستيرين . ولا يعاني المنغوليون ميلا للاصابة بتصلب الشرايين . وفي اولان باتور عاصمة منغوليا، تقل نسبة داء الذبحة الصدرية عشر مرات عنها في موسكو .

قدم مؤخرا احد العلماء الايطاليين نتائج ابحاثه على رعيان شرق الصحراء الكبرى . وهؤلاء يستهلكون اغذية شديدة الشحم ، ولكن لا يظهر عليهم اي ميل للذبحة الصدرية .

كل هذا يبرهن على ان القضية اكثر تعقيدا بكثير مما تبدو . ونحن نقتنع اكثر فاكثر بان داء تصلب الشرايين يعود ، بصورة خاصة ، الى توتر عصبي شديد للجهاز العضوي . وهو اكثر تواترا عند الرجل منه عند المرأة (نتيجة لتأثير عامل الغدد الصماء) . لكن النساء اللواتي يعملن في ميدان العلم يعانين داء تصلب الشرايين بصورة متواترة كالرجال . والشغيلة اليدويون اقل اصابة به من العاملين المثقفين. وتبين هذه الابحاث ان الداء مرتبط بآليات التهيج العصبي . لقد حصلنا تجريبيا ،بالتأثير العصبي ، على اشتداد كبير لتصلب الشرايين.

ويعتقد الاطباء العياديون السوفياتيون بان داء الضغط الشرياني وتصلب الشرايين هما مرضان ناتجان عن توتر عصبي مفرط . ولا شك انهما لا يظهران عند جميع الاشخاص المصابين بالاجهاد . ان الوراثة تلعب ايضا دورا كبيرا في هذا المضمار .

ان الامراض السابقة تنعكس كذلك على الجهاز العضوي . فاذا كان شخص قد اشتكى من داء الكليتين او من اضطرابات في جهاز الغدد الصماء ، فانه اكثر تعرضا للاصابة والتجارب تؤكد ذلك ، يمكن ان يستثار عند الجرذان ضغط شرياني ذو منشأ عصبي. لكنه يجري التأثير مسبقا على كلي الحيوانات فان داء الضغط الشرياني يتقدم عندنا اسرع بكثير .

نحن لا نرد اذن تطور هذا الداء فقط الى العامل العصبي . بل يوجد كذلك عناصر اخرى ، تتطلب الدراسة كعوامل حاسمة ومكملة .

لقد صيغت في الآونة الاخيرة طريقة منهجية لمعالجة داء الضغط الشرياني . ولدى مقارنة ما كان يلاحظ منذ عشر سنوات وما يرى اليوم نجد ان هذا الداء قد فقد طابعه الماكر ، واختفت اشكاله الخبيثة . والشفاء لم يكن يسجل ، في السابق ، الا في المرحلة الاولية من الداء . اما اليوم ، فان الشفاء ، المؤقت على الاقل ، يلاحظ في المرحلة الثانية من الداء ، في ٣٠ بالمائة من الحالات حتى الآن .

في كلمات...

● ذكر طبيب بريطاني ان رجلا بين كل ٢ رجال يتعرض لخطر الاصابة بتخثر الدم في الاوعية عندما يصل الى اواسط العقد الخامس من عمره . وقال الدكتور كنيث فيكري ان عمليات التشريح اظهرت ان معظم الناس يصابون بانحباس محدود . تدفق الدم وهم في اوائل العقد الثالث من العمر . وكتب الدكتور فيكري يقول في مجلة طبيب العائلة التي تصدرها الجمعية الطبية البريطانية انه يجب ان يتجنب الشبان زيادة الوزن بعد اكتمال نموهم في اوائل العقد الثالث من العمر ويجب الا تسرف الامهات في اطعام اطفالهن . وانحى باللائمة على قلة التمرين وزيادة الاكل في وقوع اصابات مبكرة بالنوبة القلبية . وقال ان الدراسات الاخيرة اظهرت ان ازدياد الاجهزة التي تخفف من المجهود المنزلي قد رافقها ارتفاع في الاصابة بتخثر الدم بين ربات البيوت .

● انشئت في قسم التصوير بالاشعة في مستشفى ميدلسكس اللندني الشهير محطة تلفزيونية مغلقة لفحص الشرايين القلبية والمسالك البولية وكل ما يتعلق بالكلى ، بالاشعة . وتوضع آلة الاشعة تحت المريض ثم تلتقط الكاميرا التلفزيونية الاشعة بعد اختراقها جسم المريض وتضخمها . ومن فوائد هذا النظام الرئيسية امكان عمله باشعة ضعيفة ، وهكذا يتلقى المريض اثناء الفحص الطويل مقدارا من الاشعة اقل بكثير من المعتاد . وتمكن المحطة الجراح الذي يقوم بالعملية من ان يرى على شاشة التلفزيون حقيقة ما يفعله في اية لحظة يشاء . وعلى شاشة ثانية يستطيع ان يرى صورة لقلب المريض مع معدل تنفسه ونبضه . وقد تم تركيب شاشات اخرى في كلية الطب التي تبعد كثيرا عن المستشفى وذلك كي يتمكن اي عدد من طلاب الطب من مراقبة الفحص دفعة واحدة .

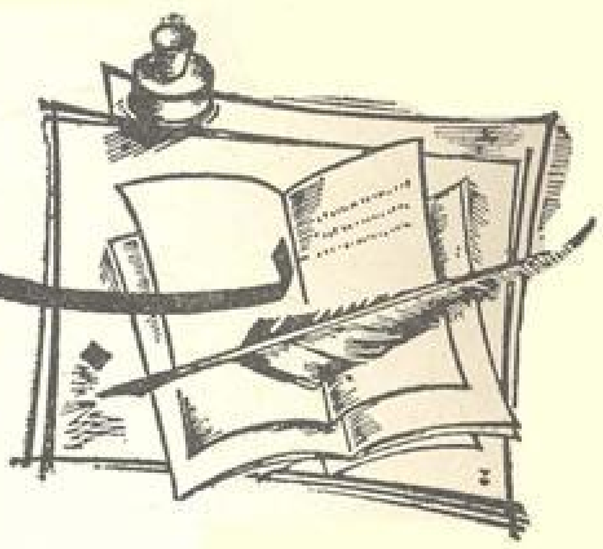
● تبين لمستشفى الاطفال في بريمن ومستشفى الاطفال في نوردرناي وقسم الاستشارات الطبية المتريولوجي الالماني بباد تولب في ١٠٩٠ اصابة من اصابات الحمى القرمزية من عام ١٩٥٦ الى ١٩٦٠ بان لهذا المرض علاقة وثيقة بالاحوال الجوية . فقد وجد بان عدد اصابات الحمى القرمزية يرتفع عند ظهور الطقس الذي ترتفع فيه درجة رطوبة الهواء الحار . هذا كما لوحظ بان البرد يعمل على تقصير المدة بين عوارض الحمى القرمزية الاولى وظهور المرض، وان الحر يطول هذه المدة .

● تم في بريطانيا ابتكار مبضع جراحي جديد شبيه بقلم الرصاص يعتمد الحرارة البالغة الانخفاض في جراحة الدماغ والعين اي ازالة القرنية والماء الزرقاء والسوداء وكذلك ازالة الشامات على الوجوه والثآليل وغير ذلك من النتوءات الجلدية البارزة . وتستخدم هذه الآلة المدهشة في زرع القرنية والعدسة وسيكون لها مستقبل عظيم في جراحة التجميل وتقوم تكنية الالة المذكورة على اعتماد حرارة بالغة الانخفاض تصل الى ١٢٠ درجة مئوية تحت الصفر . فهي تجلد الانسجة المريضة حتى تميتها كما يجري في بعض جراحات الدماغ . وفي امكان الطبيب ان ينتزع الاجزاء العليلة من الدماغ دون تمزيق الانسجة المجاورة او عطبها .

● لا تقلق من معدل الكولستيرول في دمك فانه لن يقتلك حتما . تلك رسالة من معهد كورتولد اللندني المختص بالكيمياء البيولوجية حيث كان العلماء يدرسون العلاقة بين معدل المواد الدهنية في الدم التي هي المصدر الرئيسي للكولستيرول وبين امراض القلب اي الجلطة الدموية او انسداد الشرايين التاجية. ومعنى ذلك ان هذا الداء هو اكبر سبب للوفاة في الطبقات الاجتماعية ذات المستوى الحياتي الرفيع . لقد كان الاطباء فيما مضى ينظرون الى ارتفاع معدل الكولستيرول في الدم كشيء خطير وغير طبيعي . كما ان شركات التامين وضعت لوائح لبيان معدلات الكولستيرول لدى الاشخاص كي تحدد معدل الاقساط المالية التي يترتب على الشخص ان يدفعها للتامين على حياته فيها . وهذا المعدل مستند مقداره وكميته الى نسبة الكولستيرول في دم الانسان طالب التامين . واظهرت ابحاث معهد كورتولد ان هذه اللوائح والبيانات حديث خرافة ولا معنى لها قط اذ ان امزجة البشر وطبائعهم وخصائص اجسادهم اشياء متباينة متفاوتة لا تخضع لقياس معين او قاعدة حتمية واحدة يمكن تعميمها على جميع الناس . فقد يعيش انسان ويعمر طويلا وفي دمه معدل عال من مادة الكولستيرول حين ان انسانا آخر لا يوجد في دمه سوى معدل منخفض عن المعتاد من هذه المادة قد يشكو من مرض الشرايين التاجية المميت القتال . وبكلمة اخرى لا يعرف الاطباء كم يلزم من الكولستيرول في الدم لقتل انسان الى ان يموت . وعند ذاك نكون قد تأخرنا في معرفتنا اي ان معرفتنا هذه جاءت في غير حينها النافع او المجدي لانقاذنا .

● شرعت في بريطانيا احدى اللجان الحكومية في جمع المعلومات للاستدلال منها عما اذا كان لاقراص منع الحمل صلة بالذبحة الصدرية ، وذلك بعد وفاة مسز سنيثيالي (٢٢ سنة) والاشتباه في وجود مثل هذه الصلة ، لان هذه خامس حالة منذ ابريل الماضي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



بريد الأديب

رد على نقد كتاب ((العرب في صقلية))

نشرت مجلتنا الغراء « الاديب » في عددها الماضي تعليقا على كتابي الصادر في القاهرة في يونيو ١٩٦٥ « العرب في صقلية واثرهم في نشر الثقافة الاسلامية » ، وهو البحث الفائز بالجائزة الاولى في مسابقة المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

وقد ابدى كاتب التعليق الاستاذ حسن محسن ملاحظات بعضها يمدح الكتاب ، وبعضها ينثر في الطريق علامات استفهام قليلة . ويسرني في مستهل حديثي ان اشكر السيد المعلق على الملاحظات بنوعيها ، على حد سواء ، ثم لا ارى بأسا بعد ذلك في ان استأذنه ، فاتناول ملاحظاته بالمناقشة . ولكني اسرع فانبه الى ان طريقة طبع الكتاب انحرفت به قليلا عن التخطيط الذي وضعته له، والذي قسمت فيه البحث الى قطاعات متعددة.

وقد كانت اولى ملاحظات الناقد ، على المنهج ... فقد عرفت بصقلية والصقليين في ثلاث صفحات ، ثم تناولت التراث الحضاري بوجوهه المختلفة ، في خمسة قطاعات .

ولكنه يرى ان البحث ذو شقين ، فكان علي ان اوفي البحث في صقلية والصقليين حقه من التعريف . ولكني اتساءل - بدوري - الم تكن القطاعات الخمس حديثا عن صقلية ومظاهر تقدمها ، وعن الصقليين ومظاهر نشاطهم ؟.. ألم اتناول « الحكم والحكام ، وما دار بين العرب والنورمان » ؟... لقد آثرت ان ابتعد عن السرد التاريخي ، فاكتفيت بالتعريف الموجز اولا ، ثم ركزت اهتمامي على نشاط المسلمين في ذلك الحين ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، فلعل السيد المعلق يعلم ان ابحاث المسابقات يشترط فيها دائما كم محدد من الصفحات ، وهو الذي فرض علي ان اكثف الحديث عن الجزيرة واهلها .

وهو يرى ان الحق الجانب السياسي والاداري بالحديث عن صقلية والصقليين ، ولكني ، كما قدمت ، ركزت انطلاقي في خمسة مجالات تغطي في جملتها التعريف بصقلية واهلها ، وحضارتهم ، ونشاطهم ، وتأثيرهم.

اما ملاحظته عن اشارتي للاتجاهين الشائعين في الشعر ، وهما : الاتجاه الزاهد ، والاتجاه الجائع ، فقد كان حديثي عنهما اشارة عابرة في معرض الحديث عن الادب بعامة ، وانا مقيد بصفحات محدودة منها ثماني صفحات ، فاكتفيت بالاستشهاد بقول الشاعر :

لو قيل لي اي شيء تهوى لقلت خلاصي
الناس طرا أفاع فلات حين مناص

كما قلت في ص ١٤ ان « الذي يهمني هو الاثر البيئي ، والمستوى الفني لدى كل شاعر » ، ثم ركزت الحديث حول شاعرين هما : ابن الخياط ، وابن حمديس ، ثم قلت في ص ١٥ « والذي يهمني بعد ذلك كله هو الاثر الفني الذي تركه الشعر الذي ارتفع صوته بين الشعر اليوناني واللاتيني » .

تبقى بعد ملاحظة اخيرة يتساءل فيها المعلق بقوله : هل الفقه وعلم الكلام عندي سواء ، ولكن هنالك فرقا ادركه بين الفقه كمادة تعالج الشريعة الاسلامية من حيث العبارات ، والمعاملات ، والاحكام ..الخ ، وعلم الكلام الذي يتناول الابحاث التي كثر تداولها على ألسنة علماء الكلام ، ومن اجلها سمي بهذا الاسم ، وهي تنطلق في منطلق لا يشبه الانطلاق السابق الا في ان كليهما يبحث في الاسلام . ومبعث تساؤله - فيما يرى - انني اوردتهما تحت عنوان واحد ، وخصصت الحديث بالفقه فقط ولكن اما كان اجدر بالسيد الناقد ان يدقق النظر في اسفل ص ٤٥ ، قبل ان يطويها ؟ لقد اشرت الى ابن جعفر القصري ، وكتابه « تجديد الايمان وشرائع الاسلام » ، واشرت الى ما تضمنه من حديث حول المعجزات ، كما اشرت الى ابن ظفر الصقلي ، وكتابه «سلوان المطاع » . ويبقى بعد ذلك ان كثيرين لم يتخصصوا ، فجمعوا في ابحاثهم بين كتب في الفقه ، وكتب في التوحيد ، والعقائد .

ومع ذلك كله ، فان الشكر لجدير للاستاذ حسن محسن ، الناقد الشاب ، الشكر لاهتمامه بالكتاب وقراءته الواعية له ، والشكر على ملاحظاته بنوعيها على حد سواء .

القاهرة — يوسف حسن نوفل

●

الى الاستاذ عبد الكريم غلاب

في غمرة المشاغل والمراجعات والتجارب والاصول ، التي لا تنتهي ، وفي ظل الصعود الى القلعة لمراجعة الصحف القديمة في دارها ، وبين مكتبة معهد الدراسات العربية في جاردن ستي ، وبين دار الكتب في باب الخلق ، ومكتبتي في الهرم لا استطيع ان انسى ان اكتب اليك كلمة اسدد بها لك بعض الدين ، دين الادب والفكر ، حقا ، فاني مدين لك في عملي الكبير الذي يظهر هذا الاسبوع في دراسة ضخمة في ٥٠٠ صفحة عن « الفكر والثقافة في الشمال الافريقي : ليبيا وتونس والجزائر والمغرب » .

فانت يا اخي وقد بذلت جهدا ضخما في سبيل هذا العمل كان حقا لي ان اذكرك ، ايها الكاتب النابه والصحفي العريق الذي يرأس تحرير جريدة العلم ويكتب في الصحافة ، دون ان ينسى فنه ، ويشارك في عشرات من وجوه النهضة الفكرية والثقافية ، وبينما نسمع محاضرته عن الغزو الفكري في مؤتمر الادباء في العراق ، نراه في الاندلس جائلا ، او في القاهرة او في امريكا او فرنسا ، شعلة نشاط وروح من الايمان بامته العربية وفكرها ، عريق اصيل في ايمانه ، باصالة الفكر العربي الاسلامي ومنابعه ، وهو منذ عشرين عاما لا يكف عن الدراسة فما من مجلة من مجلات المغرب الا وهي مصدرة بانتاجه ، واثاره الى مؤلفاته الثرة الخصبة : نبضات فكر ، صحفي في امريكا ، الاستقلالية : عقيدة ومذهب ، وآخر مؤلفاته التي وصلتني « في الثقافة والادب » وهي دراسة عميقة للادب العربي المعاصر في المغرب من خلال ابحاث يبدو فيها طابع العرض العلمي الرائق ، والايمان الراسخ بالحرية ، والمعالجة الصريحة الكاشفة لعلاقات الفكر العربي في المغرب ، بالثقافة الحديثة والحضارة الغربية ، الى نظرات واسعة حول الالتزام والادب والفلسفة وانسانية الادب ومصير الشعر ... الخ

وكلها تعطي صورة باحث على مستوى قضايا الفكر والادب والثقافة في العالم العربي ، وعبد الكريم غلاب نموذج من هذا الصنف الذي عرفته مصر في الثلاثينات من حيث القدرة على الجمع بين العمل الصحفي والعمل الادبي دون ان يطغى احدهما على الاخر ، فهو في مجال الدراسة الادبية باحث متأن متعمق رحيب الافق ، وليس في عمله الصحفي اقل من ذلك ، فهو وطني مؤمن بالحرية والوحدة العربية ، وصحيفته « العلم » من ابرز الصحف واقدرها على خلق مدرسة من اليقظة الفكرية والوطنية ما زالت بعيدة الاثر في اجيال الشباب وقد تخرج عبدالكريم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



جولة الأديب في شهر

السياحة في لبنان : صناعة من صناعات القرن العشرين

في عام ١٩٨٠ سوف يتجاوز عدد السياح في لبنان عدد سكان البلاد .. تلك هي تقديرات السلطات اللبنانية المختصة .

ومعنى ذلك ان تجهيزنا السياحي يجب ان يتيح لنا ، في مدى خمسة عشر عاما ، استقبال مليوني سائح ، ومصطاف عربي واجنبي ونصف المليون في اقل تقدير ، وهو رقم ضخم بالنسبة لبلد تبلغ مساحته عشرة الاف كيلومتر مربع ، مرتبط بشبكة واسعة للسياحة الدولية .

ومنذ اقل من خمسة عشر عاما (في عام ١٩٥١) استقبل لبنان واحدا وخمسين الف زائر اجنبي ، وفي عام ١٩٦٤ استقبل ٤٧٢ الفا .

وفي هذا العام سوف يتجاوز عدد الزائرين نصف المليون ، ذلك لانه في خلال الشهور الستة الاولى ، وهي من ادنى الفترات اقبالا ، بلغ عدد السياح ٢٤٨ الفا .

غير ان لبنان ، بفضل موقعه الجغرافي الفريد ، على شاطىء البحر الابيض المتوسط ، وعلى عتبة اسيا ، يستطيع ان يقدم للسياح ، المشوقين دوما الى الاجواء ، والمناظر الجديدة ، وجوها من النشاط جديدة . وعلى هذا يجب ان تتقدم السياحة اللبنانية ، وهي اولى الصناعات الوطنية ، وتتطور باسرع ما يمكن لتقوم بدورها المرتقب في التنمية الاقتصادية ، والاجتماعية .

وفي وسعنا منذ الآن ان نتبين اتجاه هذا الميل الى التطور الذي ينهض به المجلس الوطني للسياحة ، وهو تطور يهدف الى استثمار هذه الامكانية المزدوجة : سياحة الشاطىء ، وسياحة الجبل ، استثمارا واسعا ، منتظما .

وباقامة مهرجان بعلبك الدولي ، الذي يحتفل هذا العام بعيده العاشر نجح لبنان في احلال بادرة ممتازة على صعيد السياحة العالمية . ولكن هذا المهرجان لا يمكن ان يؤدي وحده الى توسيع الوثبة التي تحققت ومن هنا تتجلى الضرورة المزدوجة الى تجهيز الشاطيء ، والى اصلاح ، واعداد المواقع الجبلية ، وفي مشروع السنوات الخمس الذي وضعته الحكومة ما يشير الى ذلك .

المسابح الشعبية :

ومن اهم نقاط هذا المشروع اقامة مسابح شعبية على طول الشاطيء . وسوف يفتتح منذ عام ١٩٦٦ مسبحان من هذا النوع ، احدهما في بيروت والثاني في طرابلس . وسوف تتوفر في هذين المسبحين المفتوحين للجمهور مجانا جميع الخدمات التي يتطلبها السابحون ، من حجرات لخلع الملابس ، وحمامات (دوش) ومستوصف للاسعاف الدولية ، كما سوف يسهر على سلامة الزبائن معلمو سباحة مجازون . ومن ناحية اخرى اوشكت مديرية التنظيم المدني في وزارة الاشغال العامة على انجاز مشروع عام لتجميل الشاطيء . ولتحقيق هذه الغاية الفت لجنة برئاسة السيد فؤاد البزري تضم خبراء مديرية التنظيم المدني ، لتبدي رأيها بشأن المشاريع التي اعدتها وزارة الاشغال والتي يمكن ان تكون لها فوائد سياحية .

وينص المشروع العام خاصة على منح رخص لبناء فنادق مجموع غرفها الفا غرفة . وجدير بالذكر في هذه المناسبة ان فنادق مجموع غرفها الفا غرفة ، تبنى الان في انحاء مختلفة من الشاطيء ، وان شركة تبني موتيلات بالقرب من نهر الكلب ، قد اجرتها قبل ان يتم بناؤها الى شركات سفر وسياحة مختلفة . وفي الوقت نفسه تستمر الدراسات لانشاء مؤسستين فندقيتين كبيرتين بين طرابلس وصور ، برؤوس اموال لبنانية ـ عربية . وتضم اولى هاتين المؤسستين ١٠٠٠ غرفة ، وتضم الثانية ثمانمائة غرفة ، وسوف تتولى الاشراف عليهما ادارتان عالميتان ذائعتا الصيت .

وهناك مشروع آخر من اطرف المشاريع ، ذلك هو مشروع تجهيز الجزر الصغيرة الخالية من السكان والمواجهة لطرابلس ، تجهيزا سياحيا . ويقدر ان تنفيذ هذه المشاريع التي سوف تنفذ بتعاون القطاعات العامة ، والخاصة ، يقتضي توظيف ما يزيد عن مائة مليون ليرة لبنانية .

اطلاق الحركة السياحية :

غير ان تجهيز الساحل هذا التجهيز الواسع ، يخشى ان يؤدي الى ازدهار سياحة الشاطىء على حساب المراكز الجبلية ، ومن هنا نشات فكرة استثمار الموارد السياحية للقطاعين في آن واحد .

وتقتصر عمليا السياحة الجبلية، ما عدا مراكز الرياضة الشتوية كمركز فاريا ، والارز ، واللقلوق ، على اشهر الصيف الثلاثة . ومنذ بداية تشرين الاول ، تقفر مراكز الاصطياف من روادها ، وتفط في مثل السبات، طول شهور الخريف والشتاء والربيع الطويلة . وفي ظروف كهذه للاستثمار ، لا يمكن ان يعتبر اي مشروع واسع النطاق ، مشروعا رابحا.. ومن هنا كان بطء نمو التجهيز السياحي في الجبل، ومن هنا كذلك كانت ضرورة تنفيذ برنامج الاشغال ، بما سيتيح تمديد الفترة السياحية الجبلية على مدى شهور السنة .

ولهذا البرنامج ، الذي وضع خطوطه الكبرى المجلس الوطني للسياحة طابعان :

ـ استثمار جميع الامكانيات المتوفرة في الجبل اللبناني : التزلج على الجليد ، المياه المعدنية ، المراكز العالية ، مراكز الاستجمام ، احواض الاستحمام (بيسين) مباريات ، واستعراضات متنوعة الخ ... كل ذلك من اجل التمديد الطبيعي في الجبل للفترة السياحية الساحلية ، خلال اشهر البرد .

ـ تجهيز ، واستثمار مواقع الجبل ، والساحل ، خارج بيروت : بيت الدين ، طرابلس ، صيدا ، الخ ...

امكانيات الجبل :

في نطاق القسم الاول من البرنامج الموضوع تشجع المؤسسات الفندقية الكبرى في الساحل ، على انشاء فروع لها في الجبل . وتشجع كذلك مؤسسات الجبل الفندقية على اقامة احواض للسباحة ، وملاعب للتنس الخ ...

ومن ناحية اخرى ، تدرس اليوم بعناية امكانية تعميم المصاعد المعلقة (تليفيريك) في مراكز الرياضة الشتوية ، وعلى الاخص في فاريا ، وتنفيذ مشروع « كورتس » في الارز .

ويجري تحقيق علمي واسع لمنطقة قناة بكيش الجميلة قرب صنين . واذا ما قرر الخبراء تجهيز هذه المنطقة سياحيا ، سوف تقام شبكة مصاعد معلقة تصل المنطقة في الوقت نفسه بفاريا ، وصنين .

وسوف تعمم مراكز الاسعاف الموجودة حاليا في جونيه ، والارز ، وفاريا ، واللقلوق (بادارة المجلس الوطني للسياحة) .

ونسرد هنا بعض الامثلة لنشير الى اتجاه الجهود التي يبذلها المجلس الوطني للسياحة ، لزيادة تنمية الصناعة الوطنية الاولى . وتجدر الاشارة الى فنادق بيروت وضواحيها تضم خمس عشرة غرفة ، ستون في المائة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الدرجة الاولى وان فنادق الجبل تضم بمجموعها خمس عشرة غرفة كذلك ، ستون بالمائة منها من الدرجة الثانية .

●

((الاديب)) ومستقبل الثقافة في لبنان

في العام المقبل تستهل مجلة ((الاديب)) عامهـــا الخامس والعشريـن فتصدر عددها الثلاثماية وتسجل جهاد ربع قرن في خدمة الفكر والجمال على مستوى الرسالة .

عمل المجلات الادبية عمل جاحد ماديا بالنسبة لاصحابها ، لانها ترتكز على عنصر الثقافة وهو بعيد كل البعد عن التجارة . فالمجلات في كل دولة راقية تتلقى مساعدات من مؤسسات علمية ورسمية لكي تستطيع اداء رسالتها . ورغم كل هذا ترى ان اكثرها يعاني ضائقة شديـدة محرجة . فلو اخذنا بلدا كفرنسة لرأينا ان في هذه السنـة بالذات توقفت عن الصدور مجلتان من ارقى مجـلات العالم هما ((لا نوفيـل ريفو فرانسيز)) و ((المركيز دي فرانس)) . ويعلم الله ما كان لهاتين المجلتين من فضل على الادب الفرنسي الحديث ، وقد اقترن اسمهمـا بنشأة معظم الادباء البارزين اليوم .

اهميـة المجلات

ان المجلـة الادبية بما تنشره دوريا من نتاج جديد ومن عرض للكتب ومن نقد وتعليق وتوجيه تخلق حيوية في اجواء الادب ويطلع القارىء على الجديد في شؤون الفكر والجمال. فمجلة «المكشوف» في الماضي كان لها دورها الرئيسي في ازدهار الحركة الادبية في لبنان ما بين الحربين . وكذلك «الهلال» و «المقتطف» و «الرسالة» في مصر .

اما عندنا اليوم فمجلات «الاديب» و «الاداب» و «الحكمة» و «العرفان» و «حوار» و «الورود» منابر حرة للرأي لولاها لما كان للشـأن الادبي مجاله الرحب . الا ان هذه المجلات تعاني اليوم أزمـة عنيفـة قد تضطر اكثرها الى التوقف كما توقفـت «المكشـــوف» و «شعـــر» و «ادب» و ((الانطلاق)) وذلك لاسباب كثيرة منها اقبال الجيـــل الجديد على القراءات السخيفة ، ومنها مزاحمة المجلات غير اللبنانيـة من عربيـة واجنبية التي تساعدها الدول التي تصدر فيها فتستطيع ان تبيع باسعار زهيدة وتنشر ابحاثا لقاء بدلات مغرية ، ومنها واهمها تجاهل الدولـة وجود هذه المجلات .

((الاديب)) والادب

ان صاحب مجلة ((الاديب)) اضطر أن يبيع مكتبته الثمينة لكي يتمكن من الاستمرار في اصدار الاديب كما اضطر ان يعيش ناسكا ومقترا وعلى هامش المجتمـع ...

لو لم يكن للمجلات الادبية مبرر وجودها لكنا قلنا ((هم بالناقص)) ولكن لبنان في انطلاقته الحديثة يعتمد على الفكر والثقافة كبلد متقدم . ولا يجوز في اي حال ان تغيب عنه منابر الفكر والثقافة . فكم مـن مستشرق وبحاثة في العالم اراد ان يكتب شيئا عن لبنان الثقافي فتوجه الى سفارتنا فلم يجد فيها وثيقة حية حديثة . فهل بكثير على لبنـان الذي نريده ((موطن اشعاع)) ان يزود سفاراته بالمجلات الادبية وكذلك مكتباته المدرسية لكي يشعر ابناء الغد ان في لبنان غير المخدرات وعلب الليل ورقصة ((اليه يه)) .

لماذا لا يكون يوبيل مجلة «الاديب» الذي يتنادى الادبـاء لتنظيمه في اوائل العام المقبل مناسبة للتعويض عما فات !

بين المسؤولين نخبة يعتز بها المثقفون في لبنان فلماذا لا يقومون ببادرة ايجابية فـي خدمـة الثقـافـة عـن طريق تعزيـز المجـلات الادبيـــة وتكريـم الفكر ؟

في جميع اقطار العالم المتحضر ميزانيات ضخمة للثقافـة فماذا رصد لها لبنـان ؟

الا يوازي مستقبل لبنـــان الثقافي ، اي الحضاري ، ما يقابل شق طريق او تنظيم حفلة ترفيهية كبرى !

عار على لبنـان ان يطلع عليه صباح يوم تكون فيه مجلاته الثقافية قد اصبحت مجرد اسماء للذكرى والتاريخ .

((الجريدة))

جميل جبر

●

١ ــ الاديبـان

نشر الاستـاذ ريـاض حنـــين المدير المسؤول لصحيفة ((الجريـدة)) البيروتية في عدد ((الجريدة)) تاريخ ٥ ــ ٩ ــ ١٩٦٥ الكلمة الطيبة التالية . و «الاديب» تشكر الاستاذ حنين اعمق الشكر على تلطفه وحسن ظنه وجميل عنايته :

ليس من عطر يتضوع بالطيبات ، كالجهد الصامت .

والعطر هنا ، تكوكبه مجلة ((الاديب)) .

والجهد الصامت ، يجسده منشئها الاستاذ البير اديب .

وكلاهما جزءان ، لا ينفصل احدهما عن الاخر ، بـل يتممان بعضهمـا بعضا . وهذا ما جعل البناية الادبية التي لنا منهما ، في استواء ، تشرف الفكر ، وبالتالي تشمخ به ، ونشمخ نحن بها .

فمنذ ربع قرن ، ومجلة ((الاديب)) ، تحمل على منكبيها ، رسـالة الحرف ، باستمرار لا توقف فيه ، موصول بزخم العطاء وبهائه . . تتبلغها من جيد اليراعات لتبلغها الى القراء ، المشرورين هنا ، وما وراء الحدود. وانها لرسالة ، خلقت حوارا بين محرريها من جهة ، واقامت علائـق بينهم وبين متتبعي نشاطاتها من جهة اخرى ، فكانت الفوائد تجنى جمة، من حيث التفتح الذهني على مرامي الجمال ، وابعاد الخير ، ومنبسطات المحبة ، واطلالة الجديد .

ومنذ ربع قرن ، والبير اديب يلتزم مسؤولية مجلته بجرأة وهمـــة

مؤلفات الروائي الســوري

فاضل السباعي

الشوق واللقاء	حلب ١٩٥٨
مواطن امام القضاء	القاهرة ١٩٥٩
الليلـة الاخيرة	القاهرة ١٩٥٩
نجوم لا تحصى	بيروت ١٩٦٢
ثريـــا	بيروت ١٩٦٣
ثم ازهـر الحـزن	بيروت ١٩٦٣
الظمأ والينبوع (طبعة ثانية)	بيروت ١٩٦٤
حياة جديدة (طبعة ثانية)	بيروت ١٩٦٤

تحت الطبـــع

رياح كانون

جرأة وصـدق وفن

انعطافة جديدة في ادب المؤلف

الناشر : المكتبة الاهلية بيروت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فذتين ، يعطيها من اعصابه ومن وقته كله ، يدور في فلكها ، ويدير دفتها وحده ، كما ولا احد قباله ، عني بمجلة ، وعانى منها .

فبالرغم من الصعوبات المادية ، نرى البير اديب ، يسير في الطريق الذي اختط مجاهدا مجالدا ، ومضحيا قانعا بـ « خبزنا كفاف يومنا ». ولو انه انصرف عن « الاديب » والادب ، الى عمل اخر ، الى السياسة مثلا ، او الى التجارة ، لكان بلا ريب مرتاح « الجيب » . ولكنه آثر هوى نفسه ، فكان اشبه بالشمعة ، التي تحترق ، لتضيء سواها .

ومجلة « الاديب » ، التي استطاعت ان تتابع صدورها ، منذ ان كانت، دون ان تحتجب شهرا واحدا ، حتى في اثناء الحرب الثانية ، وان تحافظ على طابعها الكلاسيكي الناصع ، بحيث تشكل بمجموعها كلا متكاملا متجانسا ، من العدد الاول الى العدد الثلاثمائة .. هذه المجلة ، قد مثلت دورا كبيرا ، في النهضة الادبية الحديثة ، ولا سيما بعد ان زالت مجلة « المكشوف » عن المسرح .

ولعل ما يميز مجلة « الاديب » ، هذا الانفتاح الحر ، على جميع نوافذ الفكر ، العربي والانساني ، في لبنان ، وخارج لبنان .. وهي لا تقيد صاحب الدراسة باي شرط ، اللهم الا المستوى الادبي .

واليوم ، اذ نكتب هذه الخاطرة العابرة ، فمن وحي ما تناهى الينا ، من ان بعض الادباء ، يفكرون في الاحتفال قريبا ، بذكرى مرور ٢٥ سنة، على ظهور « الاديب » .

وهذا اقل ما يكافأ به البير اديب ، ففيه بعض الوفاء له .

٢ ــ الشاعر البنفسجة

وتلطف ايضا الاستاذ رياض حنين بنشر الكلمة التالية في عدد « الجريدة » تاريخ ١٢ ــ ٩ ــ ١٩٦٥ ونحن نكرر اعمق الشكر له ولسائر الاخوان الكرام .

اثارت الكلمة ، التي ارسلتها ، في هذه الزاوية من ملحق «الجريدة» السابق ، حول مجلة « الاديب » وصاحبها الاستاذ البير اديب ، عاطفة الوفاء ، عند المجاهد العربي والكاتب القدير الاستاذ محمد علي الطاهر ، فتلطف بتوجيه هذه الرسالة ، استميحه عذرا في نشرها ، علها تستثير سواه ، فيبادر للاسهام في تكريم الادب ، بشخص البير اديب ، لمناسبة مرور ربع قرن ، على صدور مجلته ، باستمرار لا انقطاع فيه .

جاء في الرسالة :

« الاخ الاستاذ رياض حنين حفظه الله .

لقد اصبت واحسنت فيما سطرته بملحق « الجريدة » عن الاستاذ الكبير البير اديب ومجلته من التقريظ الصحيح ، والتقدير الذي حل في محله .

واما اقامة حفلة تكريم للاديبين ــ المجلة والانسان ــ فاني انضم اليك في العمل على تكريمهما ، بمناسبة مضي ربع قرن على صدور تلك المجلة الفذة النزيهة .

وابعث اليك مع هذه التحية بخمسين ليرة لبنانية مفتتحا بهذا الاشتراك المعنوي مشروع حفلة التكريم التي هي اقل ما يستحقه الاستاذ البير اديب من تقدير لعلمه وفضله ، وعرفانا بجميله على الاداب العربية وعلومها وفنونها ، برغم انكاره للادعاءات او الادلال ، ومما يصاحب ذلك من بعض الناس ، ولذلك اصبح من واجب المنصفين المبادرة اليه بالتحية لانه من اهل الفضل الذي يضوع ، وثوابه عند الله لا يضيع .

والسلام عليكم من مقدركم المخلص .

محمد علي الطاهر

فشكرا للاستاذ الجليل محمد علي الطاهر ، الذي كان اول من افتتح حملة الاكتتاب ، لتكريم الادب عبر « الاديب » .

وشكرا للصديق والرفيق في التحرير جميل جبر ، الذي يعود اليه الفضل في فكرة التكريم هذه ، ثم شكرا له على اسهامه ، هو ايضا بخمسين ليرة .

واني بكل تواضع ، انضم الى الاستاذ الطاهر والدكتور جبر ، فاسهم انا بدوري بخمسين ليرة .

اذ لكل حفلة تكريم وجهان : المعنوي والمادي ، ولا تستقيم الا بالاثنين معا . لان خطب المدح ، والمقالات ، والاحاديث الاذاعية والتلفزيونية ، لا تكفي وحدها .. فلنجاح الحفلة مصاريف تتطلبها .

وعندما يكون التكريم لمجلة كـ « الاديب » ، ونعرف اي دور لعبت ، واي رسالة ادت ، واي طريق مهدت ، طوال خمس وعشرين سنة للادب ، واي خدمة قدمت للاديب اللبناني والعربي على السواء ، فان للدولة وللافراد ، على ما اظن ، واجبات حيالها ، لا يمكن تجاهلها او التغاضي عنها ، والا اتهمنا بالعقوق ، وكنا جاحدين للفضل .

ثم ان حفلة التكريم ، ان لم تكن على مستوى المكرم ، فلا مبرر لها .

من هنا ، يوالي بعض الادباء ، اجتماعاتهم ، يحدوهم حافز عرفان الجميل ، نحو رجل كان عطاؤه كله جميلا ، حتى تنبثق عنهم لجنة تأخذ على عاتقها امر تنظيم الحفلة ، وتحديد موعدها ، لتأتي بمثابة مهرجان ادبي كبير ، لا يقتصر على لبنان فقط ، بل تشترك فيه الاقطار العربية باعتبار ان لمجلة « الاديب » ايادي بيضاء على الادب العربي . ناهيك بان الاقلام العربية هنا وهناك ، قد وجدت فيها متنفسا لها ، وفي صفحاتها ميدانا رحيبا ، تتبارى فيه نثرا وشعرا .

وان الاستعدادات لهذه الحفلة ــ المهرجان ، تجري بعيدة عن البير اديب الشاعر البنفسجة ، حرصا على تواضعه ، الذي يأبى الظهور تحت الاضواء ، وهو الذي يواظب من وراء مكتبه ، على العمل بصمت خلاق ، لمجد الادب ، راضيا مرضيا .

« الجريدة »

رياض حنين

•

اسهاما بتكريم البير اديب

نشر الاستاذ نسيب نمر صاحب ورئيس تحرير جريدة « الى الامام » البيروتية في جريدته الكلمة التالية . و « الاديب » تشكره شكرا جزيلا :

ارسل الكتاب التالي الى الاستاذ رياض حنين الذي اقترح في الزميلة « الجريدة » تكريم الاستاذ البير اديب صاحب الزميلة « الاديب » :

صدقني لقد هزتني كلمتك حول « الاديب » وصاحبها اديب ، كما هزت ، على ما اظن ، كل صاحب قلم في هذه الاغنية التي اسمها لبنان.

خمس وعشرون سنة مرت على صدور « الاديب » تتلمذ عليها الكثيرون وقد نكون ، انت وانا ، من هؤلاء الكثيرين . افلا يستحق هذا الجهاد الادبي طيلة ربع قرن من الزمان ، ان تكرم المجلة التي جاهدت ، وصاحبها اديب الذي كان المجاهد الصابر في حقل الفكر والادب ؟

نؤيدك في دعوتك الخيرة ، اقامة حفلة تكريم « للاديب » واديب ، ونضع طاقتنا المتواضعة مسهمين في هذا المشروع الذي هو تكريم للادب قبل ان يكون « للاديب » .

فليسمح لي الاستاذ رياض حنين ان انضم اليه ، والى الاستاذ محمد علي الطاهر والدكتور جميل جبر ، في الاسهام بمبلغ هو اقل مما اسهموا به (خمس عشرة ليرة من عصارة القلم) مشتركا معنويا في حفلة تكريم الاستاذ البير اديب ، وهو من يستحق اكثر من ذلك فالتكريم انما هو في قلوبنا « للاديب » وله . مع التحية .

« الى الامام »

نسيب نمر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



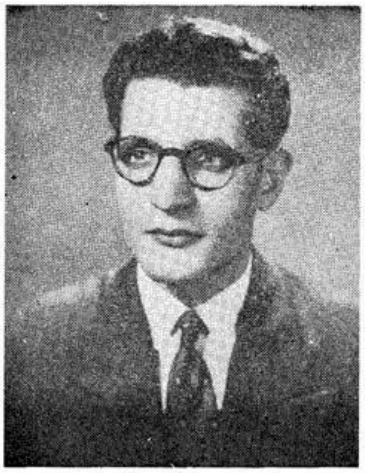
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السعادة ثروة وجمال

يؤمنها لكم

اليانصيب الوطني اللبناني

ترقبوا موعدكم مع الحظ في أربعة أسحب لكل شهر



محمد رجب البيومي

تأثير الموشحات في شعراء التروبادور

بقلم محمد رجب البيومي

كان الفصل السابق المنشور بعدد فبراير من مجلة الاديب خاصا بتأثير الموشحات الاندلسية وحدها في الادب العربي وحده أما هذا الفصل فيتحدث عن تأثير الازجال والموشحات في شعراء التروبادور وهو تأثير واضح يرى بالعين ويلمس باليد على رغم مكابرة المكابرين .

والعلاقة بين الزجل والموشح وسبق احدهما الاخر في النشأة الزمنية كانت مجال نقاش علمي لا تغلق وجوهه بل تسفر أدلته عن وجه الحق لمن يناقش الحقائق المجردة دون ان يتعبد بالنصوص !

لقد اشتهر بين الكاتبين ان الموشح قد تقدم الزجل باكثر من قرن ! وعضدهم في ذلك ما ذكره العلامة ابن خلدون في قوله ١ : ٥٢٤ .

« ولما شاع فن التوشيح في اهل الاندلس واخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وترصيع اجزائه نسجت العامة من اهل الامصار على منواله ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية من غير ان يلتزموا فيها اعرابا واستحدثوه فنا سموه الزجل . فهذا القول صريح في اسبقية الموشح! ولكننا حين نقرأ الموشحات الاولى نجدها تستند الى المركز العامي وهو المعبر عنه اصطلاحا بالخرجة ، وقد نص على ذلك ابن بسام حين قال في الذخيرة عن اول من نظم الموشحات « وكان يصنعها على اشطار الاشعار غير ان اكثرها على الاعاريض المهملة غير المستعملة ، يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسميه المركز ، ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها ولا اغصان » .

فالخرجة اذن عامية غير عربية يحتشد لها الوشاح ويبحث عنها اولا ، ليتم الموشحة على هديها فتتفق معه نغما ومعنى ، يقول ابن سناء الملك في دار الطراز ص ٣٢ :

« والخرجة هي ابراز الموشح وملحه وسكره ، ومسكه وعنبره وهي العاقبة وينبغي ان تكون حميدة والخاتمة بل السابقة ان كانت الاخيرة ... وقولي السابقة لانها التي ينبغي ان يسبق الخاطر اليها ويعملها من ينظم الموشح في الاول ، وقبل ان يتقيد بوزن او قافية وحين يكون مسيبا مسرحا، وقبجحا منفسحا ، فكيف جاء اللفظ والوزن خفيفا على القلب انيقا على السمع ، مطبوعا عند النفس ، حلوا عند الذوق تناوله وتنوله ، وعامله وعمله ، وبنى عليه الموشح لانه قد وجد الاساس وامسك الذنب ، ونصب عليه الرأس » .

فكأن الوشاح اذا اراد ان ينظم فكر اولا في الخرجة العامية ، وجاء بها متفقة مع ما حكاه عنها ابن سناء من صفات ، ثم اخذ يدور في فلكها ليرسي قواعد النظم على اساسها ! وذلك شيء له دلالته الفنية في قضية السبق بين الموشح والزجل ، اذ ان اصطياد الخرجة موزونة منسجمة لا يتأتى للوشاح الا اذا كانت هناك اغان متداولة شائعة تقذف بما يريد من خرجات ، وتفتح عليه باب القول ليتخذ منها الاساس كما يشاء ! ولن ينكر أحد وجود الاغنيات العامية لدى الشعوب ، فلكل مجتمع بدائي او متحضر اهازيجه واغانيه ! وليست الاغنية الشعبية الا زجلا منظوما يتردد ويذيع فاذا استلهمها الوشاح فانما يقصد الى شيء سابق يحتذيه ! وهذا من البديهة بحيث لا ينكر ، وقد أوضحه الدكتور الفاضل عبد العزيز الاهواني حين قال في كتابه الزجل في الاندلس ص ٥ :

« ونص ابن بسام واضح الدلالة على صلة العامية والاعجمية باختيار الموشحة ، وبعمل الوشاح الاول ، وذلك سندنا فيما نميل اليه من تأثر الموشحة بالاغنية الشعبية لاننا نفهم مدلول المركز العامي على انه جزء ـ لعله المطلع او الختام او اللازمة ـ من اغنية سابقة اعجب بها الوشاح، ووضع موشحته على وزنها ، واحتفظ بجزء منها في ختام موشحته ليستدل بها على تلحين الموشحة » .

اما رأي ابن خلدون في سبق الموشحة ، فلعله يقصد به تأثير الموشحات في طريقة الازجال ، بعد ان ازدهرت الموشحة العربية واضطر اصحاب الاغنيات الشعبية الى محاكاتها في الطريقة أقفالا واغصانا ! فكأن الموشحات قد طبعت الاغنية بطابعها ، حتى اشتهرت بمحاذاتها واطلق عليها الزجل تمييزا لها عن الموشحة ذات اللفظ الفصيح !! والا فكيف نجزم بان الوشاح يعتمد على خرجة عامية موزونة يحتذيها ! ثم لا نجزم بأن هذه الخرجات كانت ذائعة المتناول ، والا فمن أين استمدها ، ثم اليست هي الاغنية الشعبية ، وهي بعد زجل منظوم في ابسط الاشكال !

هذا رأي قد اعتقدناه واطمأننا اليه ! ثم رأينا الباحث المفضال الدكتور احسان عباس يبسطه ويجلوه مدعما مؤيدا

في كتابه « تاريخ الاندلس ـ عصر الطوائف والمرابطين » فيقول ص ٢٢٢ :

« فالزجل بمعناه العام نشأ اولا تقليدا لاغاني السكان الاصليين وبخاصة حين اختلط الفريقان في المدن واشتركوا في اقامة الاعراس والحفلات ، واحتاجوا الى الاغاني الشعبية التي يرددونها في تلك الحفلات وفي مواسم العصير وايام القطاف ، ثم الخطوة التالية وهي محاولة للتقريب بين الشعر المنظوم باللغة الفصحى وبين تلك الاغاني الشعبية التي اصبح النساء والصبيان وطبقات اهل الحرف والعمال يرددونها باللغة الدارجة العربية دون ان يصفوها تماما من الالفاظ الاعجمية التي اقتبسوها من جيرانهم ومخالطيهم ودرجت على السنتهم فاصبحت جزءا من لغتهم » .

فمحاولة التقريب بين الشعر المنظوم بالفصحى والاغاني الشعبية هي ابتكار الموشح في مبدئه والحرص على الخرجة عامية او اعجمية هو ما عناه الدكتور عباس حين قال : « دون ان يصفوها تماما من الالفاظ الاعجمية التي اقتبسوها من جيرانهم ومخالطيهم » وقد نستغرب ذلك حين نجد لغة ما نحفظه من الموشحات فخمة عالية لا تميل الى الركاكة مما يقربها الى اللغة العامية الدارجة ! ولكن الموشحات الاولى التي ابتداها مقدم بن معاني او محمد بن محمود القبري لم تكن ذات لغة فخمة رصينة كما عرفناها بعد لدى عبادة وابن القزاز والاعمى التطيلي وابن سهل ! بل كانت سهلة يسيرة تحكي الطور البدائي للاتباع والمحاكاة ثم توالى الزمن فارتفع بها الى مستوى الاسلوب الرصين لدى كبار الشعراء ! ونخلص من هذا كله بما تقتضيه طبائع الاشياء من الحكم بوجود الاغنية الشعبية اولا او الزجل الغنائي في ابسط حدوده ثم وجود الموشحة العربية ذات اللفظ السلس السهل ثم ارتقاء اسلوبها فيما بعد حتى توازي فخامة الشعر الرصين مع جنوح بعض النظامين الى اختيار العامية عزوفا عن الفصحى ، واطراد النظم بالاسلوبين فصاحة وعامية حتى اشتهر الاسلوب الفصيح بالموشح والعامي بالزجل ! وقد اعقبت فترة ما غلب فيها الموشح العربي دون ان يفقد الزجل وجوده ، ولكن مكانة تأخر فقط ـ ثم اتيح له ان يتزايد ويزيد حتى يكتسح الموشح ! فظن بعض الناس انه انبثق عنه وتفجر من ينبوعه، والامر على عكس ذلك كما أوضحناه .

وقد اكثر الكاتبون عن الموشحات والازجال من ذكر النماذج المختلفة للموشحة المختومة بالخرجة عامية او اعجمية ! وليس هنا مجال الاستشهاد لامر ذائع ميسور ، ففي دار الطراز لابن سناء ما لو شئنا ان نقتبس منه لاتسع النطاق ، ولكننا نحيل اليه والى امثاله ! بعد ان اوضحنا الصلة التامة بين الموشح والزجل لننتقل بعد ذلك الى اثرهما في شعراء التروبادور ، وهو ما عنيناه بهذا المقال.!

* * *

من المعلوم ان الجدال في الحقائق الادبية اكثر اتساعا وابعد تفريعا منه في الحقائق العلمية اذ ان الذوق من ناحية والافتراض من ناحية ثانية يجدان مجالهما في الدراسة الفنية على نحو اوسع منه في الدراسة العلمية ذات الحقائق المضبوطة ، والحدود القائمة ، وقد اتسع الجدال وتشعبت المذاهب بين المستشرقين من فرنسيين واسبان والمان حول صلة الموشحات والازجال بشعراء التروبادور من مؤيد لهذه الصلة ومعترف بها اعترافا يقوم على النصوص الملموسة ، والوقائع المشاهدة ، ومن منكر يؤول الصريح من القصائد . ويمارى في العيان من الحقائق ثم يستسلم الى فروض بعيدة أن وجدت لها مكانا محتملا في التخريج والاستنباط ، فان صمود النصوص المحفوظة لدى المؤيدين مما يهز فروضه المحتملة وتأويلاته المتعسفة ! ومن المؤسف أن من يتعرض للفصل في هذا الموضوع من المستشرقين اللاحقين يذكر الجوانب المختلفة من الراي ثم يحجم غالبا عن ذكر النتيجة الواضحة فيترك الباب مفتوحا لاحتمالات واهية لا تثبت لهبة نسيم .

لقد بحث الاستاذ خليان ربيرا ما بحث حتى اهتدى الى الصلة الواضحة بين شعر التروبادور والموشحات ! وجد هذه الصلة في اكثر من جهة ، وجدها في الشكل الخارجي وفي المضمون الداخلي وفي الثابت من وقائع التاريخ للاشخاص ! وان جهة واحدة من هذه الثلاث لتكفي في اثبات التأثير ، فكيف بها مجتمعات !

وشعراء التروبادور هم الذين كانوا يحيون في قصور الامراء وابهاء الملوك ليتفنوا بالحب والمروءة على نمط خاشع ذليل يعترف فيه العاشق بهيامه وتفانيه ويرسل عبارات التقديس والاجلال لمعبودته الحسناء فهي سر حياته ومالكة قلبه ! ومصدر الانس والبهجة في الوجود ، نظرة عاطفية منها تحيي ميتا يدب البلى في اوصاله ، واخرى غاضبة تميت اقوى الاقوياء من الفرسان ! ثم اخذوا يطوفون بانحاء اوروبا خلال القرون الاخيرة من العصر الوسيط فينشدون الناس منظوماتهم الغنائية التي جلبوا بعضها من الاندلس ونظموا البعض الاخر على غرارها ، ويقول كثير من الباحثين ان كلمة تروبادور مركبة من كلمتين اولاها كلمة تروب ومعناها الاسباني فرقة ، يراد بها فرقة غنائية وثانيتهاكلمة تدور وهي عربية واضحة واذن فالتروبادور هم فرقة من الشعراء يدورون في البلدان ينشدون اشعارهم الغنائية على وقع القيثار !! هذا الغناء الشجي الضارع من ناحية الشكل قد اتخذ مظهر الموشحات والازجال فمتوسط المقطوعات في اشعارهم سبع وهو العدد الغالب في الموشحة والزجل ! ولكل مقطوعة ما لكل موشحة من الاقفال والاغصان والقوافي على نحو ما لم يعهد من قبل في الشعر اللاتيني ! وقد تخلو مقطوعة من المطلع او المركز كما تخلو بعض الموشحات ايضا !

ونظام الخرجة في اشعار التروبادور كنظامه في الموشح

والزجل وله عندهم من الاهمية والاحتفاء ما له في الموشحة سواء بسواء ، ثم ان مجموع الغصن مع القفل يسمى بيتا عند التروبادور وهو كذلك في الموشحات والازجال .

هذا من ناحية الشكل اما التشابه في المضمون فان اخيلة الشعر العربي ومعانيه التي احتضنتها الموشحات والازجال قد انتقلت هي الاخرى في غزل التروبادور فالرقيب والعاذل والواشي ونشأة الحب من اول نظرة ، والتهالك على استرضاء الحبيب وحلاوة الوصل ولذاته وقسوة الهجر وفظاعته ! وصلف الحبيبة وكبرياؤها وقسوة فؤادها وتثاقلها المترفع واباؤها الشموخ ! وحيل الرقباء وملامة العاذلين ، وذهول العاشق وشروده واقباله على الحديث عن محبه ... كل ذلك قد وجد شبيهه في شعر هؤلاء!! وهي عواطف لم تكن ذائعة في غزل اللاتين ، ولن يقول قائل ان الاحساس بالحب عاطفة مشتركة ! فالحب متعدد الالوان والافانين ، وظهوره لدى التروبادور في لون الازجال والموشحات يوحي بتأثره الصريح ! هذا بالاضافة الى قصائد العرب الاخرى غير الموشحات كمقطوعات جماعة الحب العذري بالمشرق وقد كانت مشتهرة متعارفة لدى ادباء الاندلس ! وكالكتب الخاصة بالصبابة العربية من مثل الزهرة والحدائق وطوق الحمامة ! هذه الازجال والموشحات وتلك القصائد العذرية ! مع الكتب العاطفية المشار اليها قد الهمت شعراء التروبادور اتجاههم النفسي ، وجعلت للمرأة في نفوسهم من القداسة والاجلال ما نطقت به اشعارهم الذائعة فجاءت ناطقة بالاحتذاء والتشرب !

وذيوع ديوان ابن قزمان مع شهرته الفائقة لدى الباحثين قد جعله عندهم موضع المقارنة ودليل الاقتفاء ! والحق ان الصلة قريبة بين ديوان ابن قزمان وشعراء التروبادور من ناحية الشكل اما من ناحية الموضوع فقد تبدو الصلة بعيدة في بعض وجوهها لان ابن قزمان لم يكن من ارباب التصون والشرف في غزله بل كان متهتكا مسفا يميل الى الخلاعة واللهو ويدعو الى الاستهتار والاسفاف ! وقد كان ابن عصره دون شك اذ ان قرطبة لعهده قد اخلدت الى الراحة نسبيا بعد ان كفيت شر الفرنجة وسيطر المرابطون على البلاد فاسكنوا الثوائر وبعثوا كثيرا من الاطمئنان واذ ذاك تفرغت القصور للغناء والطرب وماجت الليالي الحالمة بروائع الاوانس من سبايا القشتاليات والجليقيات والايطاليات والبربريات وكل منهن فاتنة مداحة ذات لهو وانس ! بل ان العامة في الطرقات كانوا يستمعون الى صدى الغناء في القصور منبعثا من اشجى الحلوق ، وارخم العيدان ثم يرددونه مصفقين طربين ! ويتحول الليل الى نهار ذي جلبة وضجيج ! وكان ابن قزمان وليد هذه البيئة وهو صاحب خمر ولهو وعبث ، فلم ينضح زجله بما نضح به الشعر العذري من عفاف وحرمان !! واقتصر تأثيره على الشكل وحده ! وقد ذكر الاستاذ جورج كولان في بعض ابحاثه ما يستبعد معه تأثير ابن قزمان في شعر التروبادور لهذا السبب بالذات ! ولكنه اعترف بالتأثير الاندلسي وعزاه الى غيره كالاخطل بن نمارة وكتاب طوق الحمامة لابن حزم وموشحات ابن زهر وابن سهل وقصائد ابن زيدون ! (١) والاخطل بن نمارة هذا من رواد الزجل الاندلسي وقد ضاع من التراث فلم يبق لنا منه شيء ، ولكن حديث ابن قزمان نفسه عنه في مقدمة ديوانه قد حفظ للرائد الكبير سبقه اذ يقول عنه :

« ولم ار اسلس طبعا ، واخصب ربعا ، ومن حجوا اليه وطافوا به سبعا احق بالرياسة في ذلك والامارة من الشيخ اخطل بن نمارة فانه نهج الطريق ، وطرق فأحسن التطريق ، وجاء بالمعنى المضيء والفرض الشريق ، طبع سيال ومعان ، لا يصحبه به جهل الجهال ، يتصرف باقاسمه وقوافيه ، تصرف البازي بخوافيه » .

وعبارة ابن قزمان واضحة في تقديره على اختلال في صياغتها تلتمس اعذاره من تحريف او سقط ! واذا كان الرجل بهذه المنزلة فلا يستبعد ان يكون بين هؤلاء المؤثرين فترن ازجاله وتستفيض قوافيه ويلمح مكانه من قريب .

اما الواقع التاريخي للاشخاص فينطبق بهذا التأثير نطقا جهيرا لا يشوبه التباس ، اذ ان جيوم التاسع دوق اكيتانيا اقدم من نعرف من شعراء التروبادور ، وهو ذو صلة تامة بالثقافة العربية ، وقد اشترك في الحروب الصليبية فرحل الى المشرق سنة ١١٠١ واقام بالشام حقبة وهناك الف العربية وتعلم منها شيئا ذا بال لان المستشرق الشهير ليفي بروفنسال روى عنه في كتابه الاسلام في الغرب والاندلس ص ٢٩٦ (٢) ملخصا لقصيدة تتحدث عن سيدتين قابلهما في بعض رحلاته وحيته كلتاهما بادب جم ودار بينهما وبينه حوار عابر ، وفي القصيدة بيتان صعب فهمهما على النقاد وقد اهتدى اليها بروفنسال وعرف ان مصدر هذه الصعوبة هو عربية الفاظهما مما يدل على ان الدوق على علم بالعربية وان السيدتين كانتا تعرفانها فخاطبهما الدوق بما يعرفان ! هذا وقد سافر الى اسبانيا اكثر من مرة وفي سنة ١١٢٠ ذهب الى ارجون ! هذه الصلات التاريخية بين رائد شعراء التروبادور وبين الشرق في الشام واسبانيا في الغرب ثم هذه الصلة الادبية في نظمه بعض الابيات العربية تؤكد تأثره بموشحات الاندلس وازجالها فاذا نظم بعد ذلك على طريقة الموشحات في الاغصان والاقفال والتقفية وتفنن في الهيام بالحب على نمط قريب من مشارب ذوي العفة والشرف افلا يدل ذلك على تأثير الازجال والموشحات تأثيرا لا يجد شبهة تغيم في عين منصف امين .

تلك حقيقة يؤكدها مع جوليان ريبير كل من نحا نحوه في تأييد الصلة القوية بين الزجل العربي وشعراء

(١) تراجع مقالات الدكتور حسين مؤنس بمجلة الثقافة سنة ١٩٤٦ ففيها افاضة واشباع واقناع . (٢) ترجمة الدكتور السيد سالم والاستاذ صلاح حلمي . (٣) الاسلام في اسبانيا ص ١٢٠ .

التروبادور امثال نيكل وتالجرين وروبير بريفو من كبار المستشرقين ويعلن الاستاذ منندث بيدال اعتقاده الجازم بان الزجل الاندلسي قد انتشر باوروبا بقدر السرعة التي انتشر بها في الشرق ، بدليل ما نظمه جيوم التاسع ولكن معارضيه يواجهونه « بان الدوق وبعض زملائه قد استخدموا تراكيب عروضية تتألف من ثلاثة ابيات مع جزء رابع تتردد قافيته في جميع الابيات لكنهم يهملون استعمال المركز وهو عنصر ثابت في الزجل الاندلسي » .

هذا ما قالوه وقد ذكره بروفنسال في كتابه السالف ص ٢٩٧ ثم شفعه بقوله ص ٢٨٨ :

« وانعدام ابيت من جزأين قافيتهما متحدة في الشعر البروفنسي لا يعد في نظر منندث بيدال دليلا قاطعا لتأييد نظرية المنكرين للتأثير العربي ، وتبريرا لهذا الوضع عمد العالم الاسباني الى تدليل لا يفضي الى الاقناع الكامل فهو يرى ان هذا البيت قد سقط من الشعر البروفنسي خلافا للزجل الاندلسي لان هذا الشعر لم تكن تصحبه الموسيقى لدى انشاده ، وانما كان من شعر البلاط، وينشده تروبادور يحمل آلة موسيقية دون ان يردد البيت احد من الحاضرين وكانوا يقتصرون على عدد قليل من الناس هم السيد والسيدة وبعض الاقارب والاتباع » .

ونحن نعلم ان الموشح والزجل في الادب الاندلسي لم يأخذ طابعا خاصا لا يحيد عنه حتى نبحث عن علة سقوط المراكز في اواسط المقطوعات ! فكل وشاح او زجال كان يجتهد في ابتكاره تكرارا وحذفا وتقفية ووزنا !! والامر في الزجل اسمح وايسر ! فمن الجائر ان تكون هناك ازجال وموشحات لم نرها لا ترى الالتزام التام بالمركز في الوسط او المطلع بل تحتفي به في الاخر فقط ! ونسير الى ابعد من هذا فنقول الا يجوز لجيوم ان يحيد قيد انملة عن نماذج الموشحات والازجال وهل اذا خالفها في شيء ووافقها في اشياء لا يكون متأثرا بها ، ثم لماذا تكون مخالفته النادرة دليلا على عدم التأثر عند هؤلاء ثم لا تكون موافقاته الكثيرة ذات ترجيح وتدليل أن لم تكن ذات جزم وايقان .

وقد وقف الاستاذ جانروي موقفا وسطا بين المعارضة والتأييد ، فهو يسلم باحتمال التأثير فقط ولكنه لا يقطع به اذ ربما كان التركيب الزجلي في رايه مقتبسا من الشعر اللاتيني في العصر الوسط ، والرد عليه من ابسط الاشياء واهونها لان الذين يرون تأثير الشعر اللاتيني مفترضين ، قد عجزوا عجزا تاما ان يثبتوا مثالا واحدا للغناء اللاتيني في الصور الست المختلفة للدور يشترك مع الزجل العربي في نظام ، حتى يقال ان التأثير قد جاء من الاصل اللاتيني ! واذا كان الزجل قد ظهر قبل شعر اول شاعر لاتيني معروف بقرنين من الزمان فلا شك ان الاغنية اللاتينية الحديثة مشتقة من الاغنية العربية الاندلسية لا ان يكون العكس هو الصحيح (٣) .

* * *

على ان مما يوقف النظر في هذا الموضوع صراع الباحثين حول شعر التروبادور اذ بدا به تعقيب منحرف عن الحق ، فبعض مؤرخي الالحان ينكرون قيام اي صلة ما بين شعرائهم المنشدين وبين زملائهم من الاسبانيين والفرنسيين ويرون ان شعرهم الغنائي وليد الاغنية الالمانية الشعبية ! وهم في ذلك يتفقون مع منطقهم الذائع في تفضيل مواهبهم وارتقاء مثلهم عن الناس حتى الآريين الذين هم بعضهم ، اذ ان درجات الآرية تتفاوت صعودا وهبوطا وفق درجات الشعوب ! اما المؤرخون الفرنسيون فقد سخروا من الالمان في ذلك لا ليرجعوا الحق الى نصابه بل ليزعموا ان شعر التروبادور نشأ اول ما نشأ في شمال فرنسا لا في جنوبها وكأنهم بذلك يريدون ان يقطعوا كل صلة تمت الى شعراء العرب بالاندلس ! ولكن الحق لا يعدم انصاره بين اولئك وهؤلاء فقد انصف مؤرخو الطليان العرب واقروا ان جذور اشعارهم نبتت في ارض الاندلس ، ولهم كتب خاصة بتفصيل هذا الموضوع وقد استشهد الاستاذ محمد مفيد الشوباشي في كتابه العرب والحضارة الاوروبية ص ١٠٢ بعالمين كبيرين غير من اشرنا اليهم قبل ذلك تحدثا باخلاص عن هذه الحقيقة فذكر قول (بريفو) في اول صفحة من كتابه « الشعراء التروبادور » نشأ لون جديد من الادب في جنوب فرنسا خلال القرون الوسطى بينما كانت ملاحم الاغريق الوثنية في ذلك الوقت هي التي تستثير مشاعر الناس ، وهذا اللون الجديد أجنبي كذلك عن فرنسا وقد جلبه اليها شعراء التروبادور الذين اغنوا به اللغة الفرنسية المحلية ، واحدث في المجتمع الفرنسي الاقطاعي اثرا بليغا بما عبر عنه من عواطف طاهرة سامية ، وذلك بعد ان انف ذلك المجتمع من بربريته متأثرا بالتيار الحضاري المهذب الذي هب عليه من الاندلس العربية بعد ان تهيأ لتذوق الشعر المهذب » .

كما نقل الاستاذ الشوباشي عن « بيرديه » في كتاب « القصة في سبعة قرون » قوله « نشر العرب في الاندلس خلال القرن العاشر الميلادي حضارة جديدة اصيلة ابتدعوا شعرا غنائيا انسانيا حمله شعراء التروبادور الى الشمال ، وتدل المراجع التاريخية على ان القصور الاندلسية بعد ان احتلها الاسبان ، كانت تذخر بشعراء العرب الذين وقعوا في الاسر ، بينما كانت الحرب لا تزال دائرة بين الاسبان والمسلمين ، ومن السخف ان يتجنب مؤرخو الادب الفرنسي هذه الوقائع الثابتة بالادلة المسجلة » .

ومن الاطناب الزائد ان نفيض في امثال هذه النقول المنصفة اذ تحتشد بها المؤلفات الاخيرة شرقية وغربية ولكننا نكتفي بما تقدم لنذكر اثر العرب في خلق روح غزلي جديد يغمر اوروبا ويهب على اقطارها مضمخا بعبير الاخلاص والوفاء والشوق والتضحية بعد ان كانت آدابها السالفة لا تستلهم في ذلك غير الادب الاغريقي وحده وهو في اكثره متجه الى الحب الفاجر وانصراف الزوجة الى العشيق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عينا حبيبي والحنان

عينـــا حبيبـي والحنـــان
وزهرتـان علـــى الطريـق
قـد ارشدتنـي للطـريـق
وكنت اجهـل مـا الطريـق

عينـــا حبيبـــي فيهمـــا
كـل الرضـــا ، كـل الامان
فـي كـل عـين منهمـــا
نبـــع تفجـــر بالحنـــان

والـزهرتان علـــى الطريـق
تنـــوران لـــي الطريـــق
طـــوقـا نجـــاة أومـــأ
للشـط ، فـانتعش الغريق

مـاذا يكـون العمـر لـو
لـم تبـرز العينـان لـي
مـاذا يكـون سـوى الضياع
سـوى احتضـار الامـــل

مـاذا يكـون الكـون لـــو
لـم تنمْ فيـــه الزهرتان
هـل كنـت احتمل الحيـاة
بكـل اعبـاء الـزمـــان

انـا لست ارجـو مـن حياتي
غـــير مـا قـد كـان لـي
عينـي حبيبـي ، والحنان
ودفـقـة مـــن امـــل

القليوبية — عبدالمنعم عواد يوسف

دون الزوج وملاحم اليونان تضج بشهوة الجسد واتقاد الرغبة واغتصاب الحسان وازهاق الارواح في استهتار وما ابعد ذلك كله عن شعر الحنين والضراعة والعفة الذي بعثه الاندلسيون ثم تأرجت به اوروبا حين حملته نسمات التروبادور .. اجل كانت اوروبا لا تعرف في اشعارها غير الهة الملاحم الاغريقية ووحوش الجبال الاسطورية وخرافات الغابات المليئة بالاشباح والفيلان والبحار المزدحمة بالجن والمردة ثم انقلب المسرح فجأة على يد الاندلس فكانت كتابة ابن حزم واشعار ابن زيدون واغاريد بني عذرة لحونا جديدة توقظ الارواح الغافلة وتتجه الى قليل المشاعر الانسانية ، وتشريح النوازع العاطفية ، وتجعل قلوب العاشقين اقطارا فسيحة تمتلىء بالشوق والاسى والشجن ، وتمور بها عواطف الحرمان والقنوط والحيرة ! مما مهد لادب جديد يتصل بالنفس الانسانية ، ويرى به القارىء هواتف صدره وهمسات جوانحه ونبض عروقه ! وتلك كانت وما زالت رسالة الادب الحي في لبابه الصميم !

ومما يدهش حقاً في مجال المقارنة اقتفاء شعراء التروبادور آثار الاندلس شبرا بشبر ! حتى فيما يستغرب فيه الاقتفاء ويستبعد فقد اتجه الزجل الصوفي على يد « الشتشري » من الموضوعات الدنيوية الى الآفاق العلوية فانطلق يمجد الخالق الاعظم ، كما سبقت موشحات ابن عربي الصوفي الذائع الصيت الى هذا الضرب من الهيام الروحي ! فظهرت آثار ذلك كله في شعر التروبادور اذ أصدر الاديب المسيحي رامون لول وكان يعرف العربية معرفة جيدة مناجاته الالهية في رسائل المحب والمحبوب ! بل آن تقليد التروبادور للاندلس لم يقف عند المجال الادبي وحده اذ تعداه الى اسلوب الحياة ! فيذكر المؤرخون مثلا عن ابن قزمان انه في خريف حياته تنسك وتزهد ولزم المسجد فارغا للصلاة والتسبيح والتوبة والخشوع ، وهم يذكرون نظير ذلك عن زعيم التروبادور جيوم التاسع حيث تصنع التوبة والزهد في خواتم أمره ولجأ الى الدير ضارعا تائبا ! وكم لهما من اشباه .

ولا نحب ان نختم هذا الباب دون ان نمتع القارىء العربي ببعض ما نفحنا به شعراء التروبادور حين حاكوا الحب العذري فذابوا ضراعة ولهفة وحنينا وانطلقت شواردهم السائرة تذكر بابن داود وعروة وجميل وكثير وقيس وابن حزم !! ننقل ذلك عن ترجمات الباحث العربي الدكتور حسين مؤنس فهو من اغرف كتاب العرب باللغة الاسبانية ومن اقدرهم على استشفافها وتعريبها مقدرة تسدي الى الحقائق الادبية جزيل النفع ، وتمدها بالجيد النفيس ! وها هي ذي بعض المترجمات :

« ان ما تبعثه الحبيبة من الغبطة في النفوس ليشفي العليل ، واذا غضبت على احد ففضبها كفيل ان يقتل اوفر الناس صحة وشبابا ، وجمالها يسلب اعقل العقلاء لبه ، ويفقد اجمد الناس جماله ، ويستطيع ان يحيل اوفر المهذبين شرير ذميما يجعل من الشرير انسانا كريما » .

« وعندما يأخذ نهار الربيع في الطول ، اجد في نفسي لغناء الطير وقعا جميلا فاذا انقطع عني هذا الغناء ، تحسست في اعماق نفسي آثار حب بعيد . فتجدني اذ ذاك غريقا في الفكر ، حزينا خافض الراس ، اذ ذاك لا اجد لغناء الطير لذة ولا للزهد فتنة » .

« ليس بعجيب ان يكون غنائي اجمل من غناء اي انسان غيري اذ انا اشد الناس خضوعا للحب وانقيادا لامره فان قلبي وجسمي وفهمي وحسي وجاهي وقوتي كلها رهين بأمره » .

الفيوم ـ دار المعلمات — محمد رجب البيومي

غـربـة

●

من يدي كـر الزمـان
دوّامـات عظـام
موجـه خـط الظـلال
ينحنـي رعـب الخيـال
وأسير في ثرى ارض الغريب
الاهـل فيهـا وجـه جديب
والترب فيهـا مثـل القديد
كنـت بالامس حنينـا كالرقيب
اشتـاق فيهـا للقريب
واليـوم لا وجـه حبيـب
لو رآني يغدو وجهي نـوار

*

(هنـاك فـي برايتون)
بصـارة شمطاء مثـل المحال
في بابهـا عناكب للقفـار
مغمورة مكدوسـة بالرمال
لهـا الحلـى واللآل
عريضة الابتسـام
انامل صفراء ، عـين ونار
دارت علـى باهمـين
ماضي ، حاضري مدى اصبعين
معقـد يحتـال كالثعلبين
ثعبانه يطـير فوق البحار
يغوص ، يمتص لآلـي المحـار
وجـه حبيبي مطـل جمال
امـي صوتهـا يعـم الديـار
ونقاة لهـا مداها الزمان
خط الزمـان
كالسراب
انغامها صداحـة كالكنـار
تلفنـا تحمينا غـب انهيـار
فتنتقي لنـا زهور الحياة
وتسحق الشوك المرير العنيد
يـا امي يا قلبان

ظلـي نحيـل
خطوي عبـث
يحفر بالدود القلوب
يمشي بهـا الى العدم
هناك دربنـا سقيم
هل تعرفـين
يـا امي يا قلبان
لـو تعرفـين

*

(قيس وليلى)
مرا بنـا لو تعرفين
(قيـس)
في راحتيه عقرب بلا سموم
فـي عنقـه
أفعـى تقيـم
أنثـى تظـل حـائرة
بـلا يقـين
قلـب الذكـر
كمثل ((لمبرنث)) قديـم
لـو تعلمـين
يدور كالحصن اللعـين
آثـامه مثـل الجحيم
امي امي لو تعلمين
في قلبنا مـر الفـراغ
سؤالنـا سر اليـم
اراه كالشرق القديـم
بعقـدة دون الحلول
لـو تعلمـين
فيـه عقـد
مثـل الذكـر
فيه قضايا تستكـين

ثريا ملحس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي
من « العروة الوثقى » في لندن

* * *

يعترف للعالم والفيلسوف ريني ديكارت (١٥٩٦ ــ ١٦٥٠) بانه موجد الفلسفة الغربية الحديثة ، لانه اول من نقل الاهتمام في الفلسفة من البحث في العالم كما هو الى البحث في امكان معرفة العالم اصلا . ومع ان الفلاسفة الذين سبقوه بحثوا في مشكلة طبيعة المعرفة ، غير انه وجد منذ حداثة سنه ان كثيرا من هذه الآراء السابقة لا يركن اليها ويجب نقضها دفعة واحدة ولكن على اساس منطقي فلسفي . ومن هنا اخذ ديكارت يبحث في مصادر المعرفة الاصلية ، ورأى ان المعرفة في هذا العالم تأتي عن طريقين : طريق الاحساس وطريق العقل ، وهما في مقابل المادة والعقل اللذين يتألف منهما هذا العالم . (وديكارت من المؤمنين بالثنائية اي بوجود المادة وبوجود العقل او الروح ، مع وجود رابط ثالث بينهما او فوقهما وهو الله . وبدأ بحثه بطريقة الشك في كل شيء ، وصرف همه في البحث الى نقض فلسفة القرون الوسطى والفلسفات السابقة واعتبر ان التجرد عن كل فكرة سابقة هو الخطوة الاولى نحو الوصول الى الحقيقة المجردة البحتة . وخرج من هذا الاعتبار الاولي اي من الشك الى ان الانسان اذا شك فهو مفكر ، واذا فكر فهو موجود . ومن هنا جاء قوله المشهور : انا افكر فانا موجود ، وهو القول الذي خالفه فيه الوجوديون ، كما ذكرنا في السابق ، وقالوا بتغليطه وراوا ان القول الصحيح هو : انا موجود فانا افكر . فالفكر عند ديكارت هو الحقيقة الاولى، في حين ان الحقيقة الاولى عند الوجوديين هي الوجود . وتدرج ديكارت في البحث من اثبات موجوديته الى اثبات وجود الله واثبات وجود العالم . وفي اثناء هذا البحث تعرض ديكارت الى امكان الاعتماد على الادراكات الحسية وعلى الاستنتاجات العقلية، فراى ان الاحساس لا يعتمد عليه في الوصول الى الحقيقة كما ان التفكير قد يتطرق اليه الغلط والانحراف بدليل وجود اعتقادات متباينة في الموضوع الواحد . ولكن الذي لا شك فيه في رأيه ان التفكير شيء لا ريب فيه وانه حقيقة واقعة ، وهو الامر الوحيد الذي يمكن الانسان ان يؤمن به . فهو يقول :

« ومن ذلك استنتجت انني كنت جوهرا تتكون ماهيته او طبيعته من التفكير فقط ، ولا يحتاج ليكون موجودا الى مكان ولا يتوقف على اي شيء مادي ، وعلى ذلك فان (انا) اي العقل الذي به اكون ما اكون ، متميز بكليته عن الجسم» .

فالعقل في رأي ديكارت هو الجوهر ، والاشياء الفكرية كالشك والفهم والاثبات والانكار والارادة والرفض والخيال والادراك كلها اعراض ، بمثل ما تكون الصلابة واللون والشكل اعراضا للطاولة التي يكتب عليها . فكما ان اعراض الطاولة لا يمكن ان تكون الا اذا كانت الطاولة ، كذلك الاشياء الفكرية لا وجود لها الا بوجود العقل .

وفي هذا شبه كبير برأي الفيلسوف الالماني هيكل (١٧٧٠ ــ ١٨٣١) الذي يقول ان ما يعبر عنه بكلمة (انا) هو فكر ، وان هذا (الانا) هو مفكر ، والشخص الموجود والفكر شيء واحد . ويزيد على ذلك هيكل فيقول ان حقيقة الاشياء ليست الا فكرا . ولتوضيح هذا القول يجب ان نرجع قليلا بالبحث الى فكرة الماهية او الذات . فان الذي نراه ونحس به في هذا العالم هو مظاهر الاشياء او اعراضها ولا بد لهذه المظاهر او الاعراض من اساس تقوم عليه وهو الماهية . ولنأخذ مثلا مادة من المواد . فنحن نعرف لونها وشكلها وصلابتها وغير ذلك من الاعراض التي تدرك عن طريق الحواس . ولكن لمعرفة هذه المادة معرفة اوفى نلجأ الى تفكيكها او تحليلها ونقف على العناصر المكونة لها . وقد نقف هنا ونكتفي بهذا القدر من المعرفة . ولكن هذا لا يرضي ، ونشعر باننا لم نصل الى اساس الحقيقة . ولكن اين الحقيقة ؟ هي موجودة ونشعر باطمئنان بانها موجودة، ولكننا لا نعرفها بالحس ، وانما نعرفها بالفكر ، فهي موجودة في الفكر على شكل صورة ذهنية ، فهي اذن فكرة . ولعلنا نتذكر هنا ما قلناه في مقال سابق عن رأي الفيلسوف الالماني كانت (١٧٢٤ ــ ١٨٠٤) في تكوين هذا العالم . فقد قسم هذا الفيلسوف الحقيقة الى(١) حقيقة ظاهرة وسماها Phenomenon و(٢) حقيقة باطنة كنهية وسماها noumenon فالحقيقة الظاهرة انعكاس للحقيقة الباطنة ، ونحن لا نعرف من الحقيقتين الا الحقيقة الظاهرة فقط ، وليس في الامكان معرفة الحقيقة الباطنة . ولكننا نعرف انها موجودة منطقيا، لان العرض ، وهو الظاهر ، لا يقوم الا بالجوهر والماهية . فاين اذن هذه الماهية ؟ نحن لا نعرفها . ولكنها في الفكر . فهي فكرة . وعلى هذا فان هيكل وكانت من قبله يقدمان العقل وحده على غيره ، وهذا ما يخالف فيه الوجوديون ، بل هو ما يخالف فيه الفيلسوف الالماني الاخر نيتشه (١٨٤٤ ــ ١٩٠٠) ، ويخالف فيه بالطبع كيركيغور . ولكن نيتشه ، بمعارضته لآراء هيكل وغيره من النظريين ، وضع نفسه في مصاف الرواد في الفلسفة الوجودية مثل باسكال الفرنسي ١٦٢٣ ــ ١٦٦٢ و هسرل الالماني ١٨٥٩ ــ ١٩٣٨ وبالطبع كيركيغور . ولعله من المفيد هنا ان نلقي نظرة على فلسفة باسكال الوجودية قبل المضي في بحث الحرية وحرية الاختيار ، وقبل استعراض رأي نيتشه في ذلك .

بليز باسكال عالم رياضي وفيلسوف فرنسي . له كتاب باسم « افكار » يعتبر بانه مقدمة مفيدة للفلسفة الوجودية، لانه يتعرض في بعض ابحاثه الى امور يتكرر ذكرها في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابحاث الوجودية . من ذلك مثلا انه يدعو الى معرفةالانسان نفسه في وضعه المحسوس المادي ، ويشك في مقدرةالعقل والعلم على معرفة حقائق الوجود النهائية ، ويصف كينونة الانسان في هذا العالم بانها لا شيء ، ويعتبر الانسان بانه لغز محير يتأرجح بين الروح والجسم ، فلا الروح تفهم المادة ولا المادة تفهم الروح ، وهما اعجز من ان يفهم كل منهما نفسه . وفي احدى اجزاء هذا الكتاب ينظر باسكال في عدم تناسب الانسان مع الكون . فالعالم يحتوي على الكبير الذي لا نهاية لكبره ، وعلى الصغير الذي لا نهاية لصغره . فالنجوم والكواكب والمجرات والمسافات بينها لا يمكن ادراك جسامتها وعظمها ، وكذلك الحيواناتالصغيرة او الجزئيات المادية لا يمكن الوصول الى تقدير صغرها المتناهي . فالانسان واقع بين هذين الطرفين : بين اللانهاية في الكبر واللانهاية في الصغر ، في وضع يتأرجح بينهما ، لا يستطيع معرفة الكبير ولا معرفة الصغير ، فهو مضطر الى معرفة نفسه وما حوله في هذا النطاق الضيق . لهذا يدعو باسكال الانسان الى معرفة نفسه اولا ، لان الانسان لا شيء بالنسبة الى اللامتناهي في العظم وهو كل شيء بالنسبة الى اللامتناهي في الصغر . وكأن الانسان يعيش بين طرفين معدومين : الطرف المتناهي في الكبر والطرف المتناهي في الصغر ، والطرفان معدومان بالنسبة الى الانسان لانهما لا يمكن ادراكهما ، ولا بد للانسان من مقدرة لا نهاية لها في العظم لادراك هذين الطرفين ، وهذهالمقدرة غير موجودة . ولذلك يجب على الانسان ان يعرف حدوده ويقف عندها . فالانسان شيء ولكن ليس كل شيء . ومن طبيعة وجود الانسان انه لا يستطيع معرفة المبادىء الاولى الاصلية التي تنبع من العدم ، ولا يستطيع معرفة الجسامة الغير المتناهية بالنظر الى حقارة وجوده . وكما ان الانسان بجسمه المادي منحصر بين الطرفين اللامتناهيين ، كذلك العقل منحصر بين طرفين ، فهذا الانحصار في كل شيء هو العلامة الفارقة لوجود الانسان والدلالة الواضحة على ضعفه ومحدوديته . ومعنى ذلك أن الطرفين بالنسبةالينا كأنهما غير موجودين ، ونحن بالنسبة اليهما غير موجودين . ونحن نتأرجح بين العلم والجهل ، ونتطوح في هذا الامتداد الشاسع ، ننساق على غير هدى بدون يقين . وكلما ظننا اننا قد استوثقنا من شيء ، فان هذا الشيء سرعان ما يزوغ منا ويخذلنا في ثقتنا به ، واذا تبعناه للاهتداء به تلاشى عن انظارنا الى الابد . وهكذا فاننا لا نطمئن الى شيء يبقى معنا . هذه هي حالتنا في هذا العالم . ومع ذلك فاننا لا ننفك عن السعي لايجاد مكان ثابت نرسو عليه ولا نقلع عن البحث عن اساس راسخ نبني عليه برجايوصلنا الى العلم النهائي . واعظم من ذلك ان العقل الذي معنا ينخدع دائما بالمناظر المتبدلة ، ومهما بلغ هذا العقل من العلم . فعلمه بالنسبة الى اللانهاية كلا شيء ، وهو اشبه ما يكون بكمية محدودة بالنسبة الى كمية لا نهاية لها في المقدار ، او كنسبة صفر الى كمية ما . ولو درس الانسان نفسه حق دراستها لادرك محدودية قدرته على فهم الكون ولعرف عجزه عن المضي في هذه المعرفة . اذ كيف يستطيع الجزء معرفة الكل ؟ والذي يكمل عجزنا عن معرفة الاشياء في هذه الدنيا هو ان الاشياء في ماهيتها بسيطة ، ونحن مركبون من طبيعتين متنافيتين وهما الجسم والروح . وبدلا من ان نقف على حقيقة الاشياء في بساطتها نجدنا نضفي عليها افكارا وصفات من عندنا غريبة عنها . فنحن لا نستطيع ان نتصور ما هي المادة ، ولا ما هو العقل ، بل ولا ما هي هذه العلاقة القائمة بين الجسم والروح . ومع ذلك كله فالانسان هو كذلك ، ويجب أن يقبل بوضعه هذا في الحياة .

ويختم باسكال هذا الجزء من تأملاته بقوله : « اذا ما فكرت في المدة القصيرة من حياتي ، وانا مغمور في اللانهاية من قبل ومن بعد ، وفي الفراغ القليل الذي املأه ، وانا في غمرة هذا الفراغ الشاسع الجسيم الذي لا اعرف عنهشيئا ولا هو يعرف عني شيئا ، اصابني الهلع وتملكني العجب من كوني هنا وليس هناك ، اذ لا يوجد سبب يعلل الوجود هنا لا هناك ، او الكون في هذا الحين دون ذاك الحين . من الذي وضعني هنا ؟ بامر من وبتقدير من قدر لي هذا الزمان وهذا المكان ؟ »

اقوال باسكال هذه شبيهة باقوال كيركيفور التي كنا اوردناها في مقال سابق . ويجدر بنا ان نعيدها في هذه المناسبة . يقول كيركيفور : « يغرز الانسان اصبعه في التربة ليعرف من رائحتها في اي البلاد هو ، وانا اغرز اصبعي في الوجود فلا اشم منه رائحة . فاين انا ؟ ومن انا ؟ وكيف جئت هنا ؟ وما هو هذا الشيء الذي نسميه بالعالم ؟ وما معنى هذا العالم ؟ ومن هو الذي اغواني حتى وقعت في هذا الامر ، ثم تركني هناك ؟ كيف جئت الى العالم ؟ لماذا لم استشر في ذلك ، ولماذا لم اعرف بعاداته وتصرفاته ، زججت بين الصفوف كما لو انني اشتريت ممن اختطفني ، من تاجر بالنفوس ؟ كيف حصلت على هذا الاهتمام بهذه المهمة الكبيرة التي يسمونها بالحقيقة ؟ لماذا ينبغي ان يكون لي اهتمام بها ؟ وهل هي مهمة خاصة ؟ واذا كنت مرغما على المشاركة فيها ، فاين الدليل الذي يوجهني؟ الى اين اتوجه بشكواي ؟ اذا كان على الانسان ان يأخذ العالم كما هو ، أفليس من الافضل ان لا يعرف الانسان هذا العالم ما هو ؟

هذه القضايا المهمة ــ قضية الوجود في هذا العالم ، وقضية الغرض من هذا الوجود ، وقضية الموت بعد انقضاء العمر . وقضية التخيير والتسيير ــ التي هي اشد مساسا بالانسان اهم ما يشغل بال الوجوديين . ومع ذلك فهي ابعد ما تكون عن فهم الانسان وادراكه مهما حاول ذلك . هي قضايا لا يدركها العقل ويعجز عنها التفكير الانساني ، وهي من الاسرار الغامضة التي لا تقبل الحل . ولكنها فيالوقت

نفسه تشير الى وجود معنى خفي لكل منها يقصر عن العقل في الوقت الحاضر وقد يصل اليه فيما بعد ، او انها تشير الى معنى يقصر عنه العقل مطلقا في الوقت الحاضر وفي المستقبل . فالوجوديون بين امرين او بين طرفين ، كما يقول باسكال . ففريق منهم يرى أن هذه القضايا الحيوية تخفي وراءها معاني اساسية وحقائق نهائية يجب السعي لادراكها ، وفريق آخر مثل كيركيفور وياسبرز وباسكال يرى ان القضايا تخفي وراءها معاني وحقائق يقصر دونها العقل . والذي قوى حجة الفريق الثاني ان العلم نفسه قد بين على ان الطبيعة تسير على غير نظام وبدون اتساق ، عرضة للعوارض والمؤثرات الهوجاء . في حين أن العقل السليم الذي نعرفه يتطلب ان يكون العالم سائرا على نظام وقواعد معقولة . فنظرية ال Quantum طلبت الرأي العلمي رأسا على عقب ، واظهرت ان الطبيعة لا يمكن ضبطها بقانون يمكن بواسطته التنبؤ عن التغييرات او التطورات بصورة موثوق بها . ومن ذلك ايضا نظرية النشوء والارتقاء التي ترى ان حركة التطور في الكائنات الحية تسير بتأثير قوى عمياء وبفعل العوارض الشاذة . ونظريات اصل العالم هي من هذا القبيل كذلك ، ومنها نظرية هويل Fred Hoyle التي تقول بان المادة مخلوقة من العدم . واذا اضفنا الى هذه كلها نظريات التقدير والحرية في سلوك المادة وسلوك الانسان تبين لنا أن الانسان لا يزال بعيدا عن ادراك الحقيقة بل ان الحقيقة ، كلما ظن الانسان انه اقترب منها ، تزوغ عنه وتتلاشى . فليس في الوجود شيء محقق ، وليس فيه شيء ثابت . وعلى هذه الحقيقة المرة يبني الوجوديون فكرتهم بان الوجود الشخصي هو الذي لا مراء فيه ، وهو الاساس الذي يجب ان يبنى عليه كل شيء في هذا الوجود ، حتى ان الدين يجب ان يفسر تفسيرا وجوديا ، كما يقول الفيلسوف الديني بلطمن . وما دام هذا حال الانسان من حيث انه عاجز عن فهم الحقيقة في الوقت الحاضر ، سواء ظن انه سيعرفها أو ظن انه لن يعرفها ، فيجب عليه أن يعيش حياته كما هي ، وان يقلع عن السير وراء برق خلب ، وقد كان الانسان في السابق اقرب الى السعادة والطمأنينة ، حينما كان يؤمن في الغرب بالطمأنينة الدينية القائلة بان الله هو العلة الاولى وانه هو المسير لهذا الكون لقصد حكيم . من هذه النظرية كان البدء بالتفكير في هذا العالم ، وعلى اساسها توصل الانسان الى حلول لمشكلاته . ولكن النظرية العلمية التي ثبتت جذورها في الغرب منذ القرن السابع عشر بتأثير العرب اولا عن طريق الفيلسوف الانكليزي بيكن ١٥٦١ ـ ١٦٢٦ عكست التفكير من الاستنتاج Deduction الى الاستقراء Induction وجرى الاستدلال بالطريقة العلمية المعروفة من الجزئيات الى الكليات ، واتجه الانتباه الى البحث والتحقيق في الظواهر والوقائع اولا . ومن هنا انتقل الانسان في تفكيره الى العالم الخارجي ، ولم يعد يتلقى الوحي من عقائده واعتباراته الخاصة . وتمادى به الامر الى ان النفس في الامور الخارجة عن نفسه ، فاصبح غريبا عن كينونته وموجوديته . وهذا هو الذي افزع الكثيرين ، وعلى راسهم الوجوديون ، فاسرعوا الى انذار الانسان من مغبة المصير ، فدعا هسرل الى العودة الى الاشياء ودعم الانغماس في حمأة التفكير المجرد المثالي الذي يحمل الانسان على التحليق في جو الخيالات والتظنيات الفكرية ويجعل من العالم المادي عبارة عن صورة ذهنية مجردة ، كما جرى مع هيكل .

وقد كنا في مقال سابق قد ذكرنا شيئا عن الفيلسوف الالماني نيتشه في بحثنا عن الوجودية ، ولم نستوف الكلام فيه ، وما قلناه عن باسكال وعن تطور الفكر في الغرب يذكرنا بناحية اخرى من نواحي فكر نيتشه في هذه المناسبة ، ويجدر بنا في المقدمة ان نعرض الى تعريف او تعريفين للفيلسوف الوجودي ، فالفيلسوف الوجودي (١) اما ان ينشغل في تحليل طبيعة الوجود الانساني و(٢) اما ان يعمل على تنبيه غيره الى وجودهم والى ضرورة الحرية في حياتهم ، فاذا كان الفيلسوف الوجودي مهتما باحدى هاتين المهمتين او بكلتاهما معا ، فان الفلسفة الوجودية عندئذ لا تكون مقتصرة على القرنين التاسع عشر والعشرين ، والدليل على ذلك ما ذكرناه سابقا عن الفيلسوف الاغريقي القديم سقراط الذي كان يدعو الانسان الى معرفة نفسه ، فسقراط من هذه الناحية فقط يمكن اعتباره فيلسوفا وجوديا ، ولكن نيتشه الذي نحن بصدده الان لم يكن وجوديا بالضبط اذا اخذنا بعين الاعتبار التعريف الذي ذكرناه قبل قليل للفيلسوف الوجودي ، ومع ذلك فقد ابدى نيتشه بعض افكار يمكن اعتبارها وجودية ، فدعوته الى القوة واعتباره ارادة القوة لدى الانسان هي الدافع الاول امر يقربه كثيرا من الفكرة الوجودية ، ثم ان نيتشه يرى ان المخاطرة في هذه الحياة هي قوام الحياة ولذتها ، وهذا يقرب من قول الوجوديين بأن الخطر هو الذي ينبه الانسان الى وجوديته وكيانه ، وهو يعتبر الحياة الدنيا مقدسة دون غيرها ، ولا يرى الرأي الديني القائل بان هذه الحياة الدنيا هي استعداد للحياة الاخرى التي هي مقدسة دون غيرها ، وقدسية الحياة في هذه الدنيا تبرر ما يلاقيه الانسان من عذاب وشقاء في اثنائها ، ويجب على الانسان ان يقبل بهذا الوضع لان الحياة من معناها ان تكون عذابا وشقاء ، وهذا ايضا يوافق عليه الوجوديون عموما ، وفي مقدمتهم الاديب الروسي دوستويوفسكي ، كما بين ذلك فاتاي في كتابه « الانسان وحياته المفجعة » وكذلك اونامونو في كتابه « معنى الفجيعة في الحياة » ، ويشير نيتشه ايضا الى نقطة اخرى ألمع اليها باسكال وهي ان الانسان ليس له آفاق ابدية ولا نظرات محددة يركن اليها ، لان الفكرة التقليدية التي ورثها الانسان في تعليل هذا الكون آخذة بالاضمحلال في العالم الغربي .

لنـدن

حسن الكرمي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



اشبيلية

●

وجـــدي باشبيليـة ابقـــى ... فاكتم هـواي وعاطني صدقـا
انطونيو لـم يدر مـا خبـري ... وانـا عشقـت فتانـه سبقـا
المادولينـا وهـــي سـابيـة ... كانت دليلـي تعـرف الطرقـا
قدسيـة هـي باسمهـا زهدت ... وتدلهـت بجمـالهـا عشقـــا
قدري لقـد وصل الفؤاد بهـا ... سلسلتـه فـوجدتـه عـرقـا
عربيـة فـي وجههـا شبهـي ... هـلا رددت لهـا الهوى شرقـا
شاهدت آثـار الجدود بهـا ... وتركت احجـارا لمـا تلقـى
حنـت الى وطنـي لتنشقـه ... والشـام عطـر اميـة حقـا
لكـن انطونيـو فـرى كبـدي ... بحسامـه واجتـاحني اشقـى
قـالت تعـال اريك مـأثـرة ... بلدي بهـا فـي دهـره يـرقى
فـي حلبـة الثيران كـان دمـي ... وحشاشتي زهقت بهـا زهقـا
فرمى المقـاتل نحـو فـاتنتي ... ـ واغتال ـ قبعة حـوت صعقـا
سـأعود لا القـى سوى حجـر ... مـن قومـي الماضين يستبقـى
تلـك الجرلدا وهـي فرقدنـا ... في الارض ليت دموعنا تسقـى
فـي برجها جرحـي اضمـده ... جرحي يفـوق قياسها عمقـا
ساصيـخ للتكبـير ينشـده ... صوت ، وراء عصوره ، غسقـا
وتمـر بـي يومـا متيمتـي ... فـي ثـوب راهبة لـوت عنقـا
لتـرى فتـى قد شاب مفرقـه ... لكنـه لـم يحسـب الفرقـا
وتسـير نحـو مراقـد سكنت ... اظـلال سرو ، تبتغـي رفقـا
تضـع الازاهـر فـوق عاشقها ... وفـؤادهـا متـأجـج حرقـا

دمشق

زكي المحاسني

ARCHIVE

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

يوسف النبهاني - محمد الصالح عثمان الطباع - محمد الحسيني

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ الشيخ يوسف اسماعيل النبهاني

ولد في قرية ـ اجزم ـ بلواء حيفا عام ١٨٤٩ وسافر الى مصر عام ١٨٦٦ طالبا للعلم وعاد الى عكا عام ١٨٧٢ ودرّس فيها وفي مسقط رأسه ، وفي عام ١٨٧٣ تولى نيابة القضاء بـ «جنين» لواء نابلس وفي عام ١٨٧٦ قصد الآستانة فلبث فيها حوالى ثلاث سنوات محررا في جريدة « الجوائب » وتصحيح الكتب العربية التي تطبع فيها ثم عين قاضيا في كوى سنجق من بلاد الاكراد وعاد الى الاستانة الى ان عين رئيسا لمحكمة البداية في اللاذقية وبعد خمس سنوات تولى رئاسة محكمة الجزاء بالقدس ، وبعد فترة وجيزة ترقى الى رئاسة محكمة الحقوق في بيروت وامضى فيها ما يزيد على عشرين سنة ، ولما اعلن الدستور العثماني عام ١٩٠٨ جاور بالمدينة المنورة متبركا بقبر رسول الله (ص) ولما اعلنت الحرب الكبرى وثار الشريف حسين بن علي على الاتراك هاجر اهل المدينة فهاجر معهم وعاد الى اجزم مسقط رأسه .

كان النبهاني الكبير هذا عالما مشاركا في كثير من الفنون وشاعرا مجيدا ، وزاده ملكة واقتدارا على الكتابة والانشاء بعبارة فصيحة عالية خالية من الركاكة اشتغاله مدة في تحرير جريدة « الجوائب » .

وفي التاسع من رمضان ١٩٣٢ توفي بقريته ودفن في مقبرتها .

نموذج من شعره : ترك النبهاني مجموعات من الاشعار النبوية الجامعة بين الفصاحة والبلاغة والمحسنات البديعية، ولو زاول الادب ـ مع تبحره فيه وتمكنه منه نظما ونثرا ـ لكانت لادبنا المعاصر ثروة ضخمة . وترك كذلك قصائد في مدح بعض المسؤولين نظمها في صدر شبابه واعتذر عنها بان « الشعر صنعة لاظهار المهارة والحذق ، لا للاخبار بالحق والصدق » .

ومن القصائد الوطنية التي خلفها هذا الرائد العربي قصيدة مطولة نظمها بعد ايابه من استانبول وقد صور فيها الهوان والزراية التي يلقاها العربي في عاصمة الخلافة الاسلامية ومنها قوله :

ويممت (دار الملك) احسب انها ... الى اليوم لم تبرح الى المجد سلما
فالفيت فيها امة عربية ... يرى الترك منها ـ امة الزنج ـ اكرما
وما نقموا منا بني العرب خلة ... سوى ان (خير الخلق) لم يك (اعجما)
بني الترك اني ما تكلمت هاجيا ... ولكن قلبي من جفاكم ... تكلما !

من آثاره القلمية : ١ ـ شواهد الحق ، بالاستغاثة بسيد الخلق . ٢ ـ الرائية الصغرى : قصيدة طويلة في هجاء السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا ، ولمحمود شكري الالوسي كتابان في الرد على النبهاني الاول « غاية الاماني في الرد على النبهاني» والثاني « الآية الكبرى في الرد على الرائية الصغرى » . ٣ ـ جامع كرامات الاولياء (مجلدان) . ٤ ـ تهذيب النفوس (مختصر من ـ رياض الصالحين ـ للنووي) . ٥ ـ السابقات الجياد ، في مدح سيد العباد . ٧ ـ هادي المريد الى طرق الاسانيد . ٨ ـ الفضائل المحمدية . ٩ ـ الاساليب البديعة، في فضل الصحابة واقناع الشيعة . ١٠ ـ منتخب الصحيحين . ١١ ـ الشرف المؤبد لآل محمد . ١٢ ـ وسائل الوصول الى شمائل الرسول . ١٣ ـ افضل الصلوات على سيد السادات . ١٤ ـ الانوار المحمدية (مختصر من ـ المواهب اللدنية ـ للقسطلاني) . ١٥ ـ النظم البديع ، في مولد الشفيع . ١٦ ـ طبيب العزاء ، في مدح سيد الانبياء . ١٧ ـ الاحاديث الاربعين ، في فضائل سيد المرسلين . ١٨ ـ الاحاديث الاربعين ، في امثال افصح العالمين . ١٩ ـ حجة الله على العالمين ، في معجزات سيد المرسلين . ٢٠ ـ خلاصة الكلام ، في ترجيح دين الاسلام. ٢١ ـ رياض الجنة ، في أذكار الكتاب والسنة (اربعة اجزاء . ٢٢ ـ المجموعة النبهانية ، في المدائح النبوية . ٢٣ ـ نجوم المهتدين ، ورجوع المعتدين ، في اثبات نبوة سيدنا محمد سيد المرسلين ، والرد على اعدائه اخوان الشياطين . ٢٤ ـ شواهد الحق ، في الاستعانة بسيد الخلق . ٢٥ ـ أحسن الوسائل ، في اسماء النبي الكامل (في نحو ثلاثمئة بيت) . ٢٦ ـ سعادة الانام ، في اتباع دين الاسلام . ٢٧ ـ جواهر البحار ، في فضائل النبي المختار (اربعة أجزاء) . ٢٨ ـ ديوان النبهاني .

٢ ـ الشيخ محمد الصالح

ولد في بيت المقدس عام ١٨٦٧ وتلقى علومه على والده الشيخ سليمان الصالح ثم التحق بالمدارس التي كانت في عهده ، وفي ١٨ رمضان ١٨٩٢ قصد الديار الحجازية وادى فريضة الحج . وبعد ان اتقن الشيخ الصالح حفظ القرآن الكريم وعلوم الدين عين معلما في المدارس العثمانية بالقدس وصدر امر عال بتعيينه (اماما) لدار الحكومة العثمانية في مسقط رأسه وظل (اماما) واستاذا حتى بلغ الاربعين من عمره .

وفي هذه السن رأى اقبال الارساليات الاجنبية على تأسيس المدارس التبشيرية شديدا ولمس تخلف المدارس الحكومية وتعثرها في مجاراة المعاهد الاجنبية فاخذ يفكر

بحاجة مواطنيه لمعهد وطني عال يسد الفراغ الذي يشعر به كل قومي غيور على امته وما زال في تفكيره هذا حتى استجاب لنداءضميره فاقدم غير هياب على تأسيس (روضة الفيحاء) في اواخر عهد الخليفة العثماني السلطان عبد الحميد ، وظلت هذه المدرسة الوطنية مجالا حيويا تنبعث منه اصوات العاملين لبلادهم .

وخلال عمله في حقل التربية والتعليم كان يتأسى احدث النظم التربوية فيأخذ بها ويطبق منها ما يراه مفيدا لتثقيف طلابه ، وما زال ذلك دأبه حتى ادخل على مناهج التعليم المألوفة في ذلك العهد الكثير من الاصلاح والتحسين لاسيما الكتب التي كانت تدرس في روضته . ومن ابرز طوابع ذلك المربي الصالح اقدامه بجراة على تدريس النحو والتاريخ والدين بالعربية بينما كانت تدرس هذه المواد للطلاب العرب في المدارس الاميرية باللغة التركية ، وسدا لهذا الفراغ وضع بين ايدي طلابه الاجزاء التي صنفها الشيخ مصطفى الغلاييني في قواعد اللغة والاجزاء التي الفها الشيخ محيي الدين الخياط في التاريخ ، وبهذه الوسائل الصامتة بث في نفوس طلابه الاعتزاز بالامة التي تحدروا منها ، والمغالاة بالقومية العربية .

وظلت «روضة الفيحاء» ناشطة في عملها ، سائرة على نهجها القومي حتى ادت رسالتها على احسن وجه في زمن مظلم لم يكن فيه من عوامل التشجيع على نشر العلم ما يشحذ الهمم ويزيل العقبات . ومن مآثر ذلك الشيخ الواعي انه ادخل ، في العهد التركي ، الالعاب الرياضية على طلاب مدرسته وقسمهم الى فرق وزودهم ببنادق خشبية كبنادق الجنود وبآلات موسيقية كاملة ، ودرجت تلك الفرق الطلابية على الاشتراك في المناسبات القومية والحفلات الرسمية .

وقبيل نشوب الحرب الكبرى مارس طلابه الفنون الحربية والرياضية ، على ملاعب الروضة ، وكانوا بازيائهم العسكرية واسلحتهم موضع تقدير المسؤولين العثمانيين ، وفي زيارة قام بها الشيخ الصالح الى الاستانة حمل مجموعة من صور طلابه بخوذهم العسكرية واسلحتهم النارية وقابل انور باشا وزير الحربية التركية عهدذاك واهداه تلك المجموعة فابدى الوزير اهتماما بهذه الظاهرة السارة ونفح المدرسة مبلغا من المال .

كانت اعمال الشيخ الصالح بركات على الامة العربية ، وبالنشاط الذي ابداه ، وبالجهد الذي اداه ، انتشر العلم بين مواطنيه واخذ الظلام ينحسر عن عيونهم وخرجت للوجود افواج عربية ، من صنعه ، تجاهر بالامجاد العربية ، وتتغنى بالبطولات القومية ، وتفاخر بالامة التي تحدرت منها وتتيه عجبا بالنبي العربي الكريم الذي بعثه الله هاديا للناس وتباهي بالكتاب العظيم الذي انزله الله على نبيه المصطفى الكريم .

وبعد الاحتلال البريطاني استأنف الشيخ الصالح تأسيس مدرسة وطنية باسم «روضة المعارف» فكانت بحق وحقيق (مصنعا) قوميا لتخريج الشبان الواعين من فلسطين والاردن والعراق ، فكانوا رسل حق وخير وجهاد في كل بلد عربي قصدوه وانارو سبله بمشاعلهم ونفخوا في ابنائه روح التضحية والفداء .

وفي اوائل الحرب العالمية الثانية لحق الشيخ محمد الصالح بربه فكانت وفاته خسارة للشعب العربي في فلسطين الذي خدمه هذا الرائد الماجد بالصمت والتجرد ونكران الذات . وفي الثاني من شباط ١٩٣٩ دفن في مقبرة باب الساهرة مع رمز الاطهار الابرار الذين سبقوه الى عالم الخلود .

٣ ـ الشيخ عثمان الطباع

ولد في غزة هاشم (بفلسطين) عام ١٨٨٢ واتم دراسته الابتدائية في مدارسها عهد ذاك فحفظ القرآن الكريم وجوده ودرس التوحيد والحساب والعبادات ، وكان متفوقا على لداته في دراسته الاولى ، واتجه في دراسته الدينية وفق السادة الحنفية في الجامع العمري الكبير بغزة ، وفي عام ١٩٠٠ يمم مصر لاكمال دراسته في الجامع الازهر وحضر فيه دروس اكابر علماء ذلك العصر كالشيخ محمد السملوطي والشيخ احمد الرفاعي والشيخ محمد بخيت والامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية والشيخ سليم البشري واخذ عنهم الكثير من مختلف العلوم .

وبعد ان تمكن الشيخ الطباع من علوم اللغة والدين ونال الاجازات فيها من مشيخة الازهر الشريف غادر مصر عائدا الى غزة في عام ١٩٠٢ وشرع في التدريس والقاء الخطب في مختلف جوامع غزة الى ان اسند اليه التدريس في الجامع العمري الكبير في عام ١٩٢١ ثم اسندت اليه الخطابة فيه عام ١٩٣١ .

ورأى الفقيد بنظره الثاقب ان غزة مفتقرة الى مكتبة عامة فاخذ على نفسه أن يسد هذه الثغرة ، فشمر عن ساعد الجد والاجتهاد حتى نجح في تأسيس مكتبة عامة خصها بغرفة فسيحة في الجامع العمري الكبير وزودها بنحو من ثلاثة آلاف كتاب من مخطوط ومطبوع .

نموذج من شعره : قرض الشيخ عثمان الطباع الشعر في ظروف ومناسبات ومن شعره هذان البيتان :

الا ان نور العلم للعبد منحة فان جئت بالحسنى اتيت كما تشا
وكنت به بدرا منيرا وسيدا وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

نموذج من نثره : من مقدمة كتابه « اتحاف الاعزة في تاريخ غزة » :

« الحمد لله مدبر العالم بقدرته ، معمر الكون بحكمته ، مغدق الفضل على بلاده ، مفرق الخير في عباده ، جاعل البلاد مواطن ، والعباد معادن ، ميسر كل لما خلق اليه ، مسخر اسباب فضله لمن اعتمد عليه ، احمده حمد معترف بقدره ، رافعا له الوية شكره ، واصلي واسلم

على نبيه النقي ، ورسوله الصفي ، وعلى آله الاطهار واصحابه الاخيار وبعد ،

فهذا كتاب يشتمل على تاريخ غزة ، ذات الفخار والعزة، وما احتوت عليه من المزارات والآثار ، وتراجم جماعة من اعيان علمائها والاخيار ، مع التنويه بما فيها من الاسر الفخيمة ، والبيوت القديمة ، والمندرسة فيها والمتجددة فيها ، وقد اطلقت عنان اليراع في ميدان هذه الطروس ، واتيت بما لم اسبق اليه ، وحليت به جيد هذه العروس ، حبا في العلم ، وخدمة للوطن ، ونشرا للفضائل التي اندرست في هذا الزمن ، ليكون تذكرة لنا ، وتبصرة لما يأتي بعدنا ، فجاء هذا الكتاب موفيا بها ، قائما بعظيم حقها » .

من آثاره القلمية : صنف الشيخ الطباع الكثير من الكتب والرسائل حتى بلغت الاربعين وكان أبرزها : ١ ـ اتحاف الاعزة ، في تاريخ غزة . ٢ ـ خلاصة الانساب لعائلات غزة . ٣ ـ هداية الرحمن في هدم البدع وترك التنباك والدخان .

وفي ربيع الثاني سنة ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م) توفي بمدينة غزة عن ثمانية وستين عاما .

٤ ـ محمد يونس الحسيني
١٩١٠ ـ ١٩٥٢

ولد في بيت المقدس وتلقى دروسه في «روضة المعارف» وتخرج من « دائرة المعلمين » بالقدس وعين معلما في مدرسة الرملة الاميرية فموظفا في دائرة المالية بالقدس ، وما لبث ان التحق بالجامعة الاميركية في بيروت ونال شهادة البكالوريوس في التجارة والاقتصاد وحصل على شهادة باصول المحاسبة واعمال البنوك من جامعة لندن وعلى شهادة في القانون من معهد الحقوق الفلسطيني بالقدس .

وخلال عمل المترجم له في الشؤون العامة تميز بسياسة الحياد والترفع عن الحزبية وعين مديرا فنيا للبنك الزراعي بالقدس فمديرا محليا لبنك الامة العربية فيها ، وبعد وقوع النكبة الفلسطينية عام ١٩٤٨ قصد القاهرة وانضم الى اسرة « بنك الامة العربية » . وفي صيف عام ١٩٥٢ عاد الى القدس وقضى نحبه بنوبة حادة اصمت قلبه في اليوم الاول من شهر رمضان ١٣٧١ (١٩٥٢ م) ودفن في المقبرة اليوسفية .

من آثاره القلمية : كتب الفقيد في التاريخ والادب والاجتماع والاقتصاد ونشر مقالات قيمة في جريدة « مرآة الشرق » المقدسية لصاحبها المرحوم بولس شحاده وصنف كتبا منها :

١ ـ تحليل وعد بلفور (مترجم عن الانكليزية) (١٩٢٩).
٢ ـ التطور الاجتماعي والاقتصادي ١٩٤٦ في فلسطين العربية (١٩٤٦) . ٣ ـ الفكر الاجتماعي . ٤ ـ خواطر ولمحات . ٥ ـ المعرفة التجارية . ٦ ـ المدن الفاضلة (١٩٥١) . ٧ ـ تراث الاسلام (مترجم عن الانكليزية) .

نموذج من نثره : «لقد قسم الفارابي المجتمع الى مراتب تبين مركز الفرد بين الجماعة ، سواء أكان رئيسا ام كان تابعا . وحصر وظائف الناس في المدينة على وجه التحقيق، وجعل من وظائف الرئيس الضمنية ان يضع الخطط ويبين الاهداف والمقاصد للمدينة ويصدر الاوامر ويراقب تنفيذها، اي انه اناط به القيام بوظائف معينة ، او بعبارة اخرى جعل له صفة معينة حتمت عليه ان يقصد بتصرفاته مصلحة المجموع (١) . ومراتب الفارابي تسمى في المصطلح الاجتماعي الحديث مراتب قانونية Formolized Statuses لا يهم المجتمع شخصية الافراد الذين تخلع عليهم الصفة Role بقدر ما يهمه استمرار الحياة والادارة اليومية وسيرهما على الوجه الصحيح من اجل المصلحة العامة . ومراتب الفارابي الاجتماعية تكاد تشبه « الهرم الابتر » Truneated Pyramid شانها في ذلك شأن جميع المجتمعات المؤلفة من طبقات او مراتب اجتماعية ، تقوم ادناها على القاعدة وتنتظم المراتب الاخرى فوقها صعدا ، الدنيا تحت العليا الى اعلى المراتب ، ومما لا شك فيه ان ادنى المراتب في تقسيم الفارابي كانت طبقة العبيد ، وان اعلاها كان الخليفة ، ودونه الملوك ، ودونهم الوزراء ، ودونهم العمال، ودونهم رؤساء الجند ، والجنود ، وجمهور الامة !

ولم يحدثنا الفارابي عما ينتظر كل مرتبة من « فرص الحياة » ويقصد بـ « فرص الحياة » التمتع بطيبات العيش ، كالحرية ، ومستوى المعيشة العالي ، والراحة والاحترام ، وكل الاشياء الاخرى التي يقدر لها المجتمع قيمة عالية ، واهل اعلى المراتب ، او المتنفذون ، هم كما يقول لاسويل (٢) : « الذين يحصلون على اكبر قسط مما يمكن الحصول عليه » ولكن (ابا نصر) بين ان اهل الصناعة الواحدة يتفاضلون بالكمية ، « كأن يكون كاتبان مثلا علم احدهما من صناعة الكتابة اكثر ، واخر احتوى من اجزائها على اشياء اقل : مثل ان هذه الصناعة تلتئم باجتماع علم شيء من اللغة وشيء من الخطابة وشيء من جودة الخط ، وشيء من الحساب ، فيكون بعضهم قد احتوى من هذه على جودة الخط مثلا ، وعلى شيء من الخطابة ، او اخر احتوى على اللغة وعلى شيء من الخطابة مثلا ، وعلى شيء من الخطابة ، او اخر احتوى على اللغة وعلى شيء من الخطابة وعلى جودة الخط ، والاخر على الاربعة كلها » ، فهؤلاء مع انهم من مرتبة واحدة يجب ان لا يتساووا في « فرص الحياة » طبعا ، بل ينال كل منهم نصيبا بمقدار كفاءاته ومؤهلاته » .

عمان — البدوي الملثم

---

(١) قال الفقهاء : « ان التصرف على الرعية منوط بالمصلحة ، وقد سمى علماء الاجتماع التصرف المضاف الى المرتبة او المركز صفة «Role».

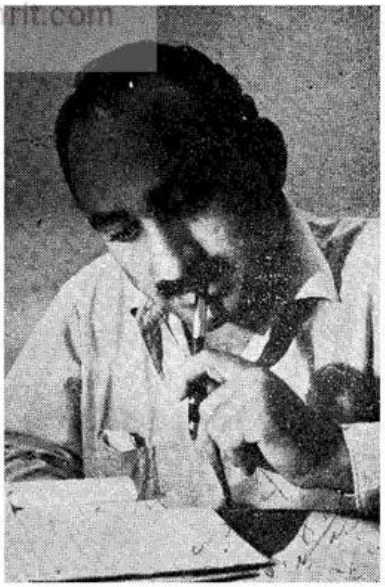
(٢) Harold Lasswell «How gets, what, when, and How» P 3 — 1936

وداع ...

قالت : انك تخيفني واغلقت الباب

●

بلند الحيدري



لا تقلقي

سنمر ... لن نلتقي

وينتهي دربان في المفرق

وكل ما نسيت في هداتي

من حلم شيق

واحرف شاخت ولم تورق

ومن رؤى

اعيدها اليك ... لا تقلقي

لا تفزعي من مزق تجف ... لا تغرقي

لعل ان مر شتاء ـ غدا ـ

ببابك المطرق في صمت ، كئيب ، شقي

تلقين ما تحرقين

تلقين ما يدفيء صمتا حزين

تلقين في ما بقي

من احرف شاخت ولم تورق

دفءا لهذا العالم المغلق

لقلبك المرهق .

*

ـ وانت ..؟

اما انا ... ما زال مجذافيَ في زورقي

والبحر ما زال مدى حالما

يدعو ... وقد اسأل عن مطلق

ـ وانت ...

لم تفهمي .. سدي اذن بابي ولا تقلقي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ايونسكو والموت و«الملك المحتضر»

بقلم جورج سالم

* * *



اشار الكاتب المسرحي المعاصر اوجين ايونسكو غير مرة الى ان مشكلة الموت ، كانت تشغل ذهنه ، وتعتمل في ضميره منذ زمن بعيد ، موغل في البعد . ولا عجب في ذلك ، فان مشكلة الموت تظل دائماً بين العديد من مشكلات الانسان اقساها واعنفها ، لانها ترتبط بسائر المعاني الرئيسية التي يدور حولها تفكير الانسان كالحياة والزمان والابدية والوجود والله ... ذلك بان الانسان ، على خلاف المخلوقات كافة ، هو الكائن الوحيد الذي يعرف انه مائت لا محالة ، واما بلغ الانسان حدا من الوعي والنضج الفكري ، فان معنى الموت يجبهه ، ويقف امامه كسؤال الاسفنكس الخالد في قصة اوديب المعروفة ...

ان هذه المشكلة الانسانية التي اقلقت ايونسكو ، ولبث يفكر فيها ابدا ، قد جسدها اخيرا ، في مسرحيته « الملك المحتضر » وهي اهم مسرحية كتبها ايونسكو بعد مسرحياته الكثيرة التي نالت من الشهرة والذيوع ما لم يتح الا لقلة قليلة من المسرحيات المعاصرة ، وقد بلغ ايونسكو في هذه المسرحية ذروة فنه وشارف روعة الآثار الكلاسيكية الخالدة في شمولها وعمقها وانسانيتها .

والمسرحية هذه لا تجري حوادثها في زمان او مكان معينين ، وليست تتألف من فصول او مشاهد تندرج احداث المسرحية خلالها ، فكأن في مشكلها هذا مسرحية مستمرة ابدا تجري في كل مكان وزمان . اما اشخاص المسرحية فافراد قليلون ، هم « الملك بيرنجه الاول » — وهو بطل ايونسكو المشهور الذي نراه في كثير من مسرحياته ، في « الكركدن » مثلا ، وفي « سيار الهواء » و « القاتل المجاني . — ثم الملكة مرغريت زوجة الملك الاولى ، والملكة ماري زوجه الثانية ، وطبيب ، هو في الوقت نفسه جراح وجلاد وعالم جراثيمي وفلكي ، وجولييت الخادم والممرضة ، وحارس . ومن هذه الفئة القليلة من الاشخاص اشاد ايونسكو هذه المسرحية الكبرى .

وموضوع المسرحية يسير غاية اليسر ، فنحن في قاعة غامضة ، هي قاعة العرش المتهدمة على نحو غامض ، القوطية الطراز على نحو غامض كذلك . ليس فيها غير عرش الملك وعرشان صغيران للملكتين ويقدم لنا المؤلف اشخاص مسرحيته بسرعة ، اذ يعلن الحارس عن قدوم الملك فيجتاز هذا المسرح ويخرج . ثم يعلن عن قدوم مرغريت الملكة الاولى والخادم جولييت اللتين تمران وتخرجان ، وتظهر ماري زوجة الثانية مع الخادم جولييت ، واخيرا نتعرف شخصية الطبيب ، وبذلك نلج مباشرة وعلى نحو سريع هذا العالم الذي خلقه ايونسكو . ولا يلبث ان يطرح امامنا المشكلة طرحا سريعا يسيرا مباشرا ، فالملك موشك ان يموت ، يعرف ذلك الطبيب ، والملكتان كلتاهما ، ولكن كيف السبيل الى انباء الملك . اما زوجه الاولى فمصرة على انبائه بالامر ، وهي على يقين من موته لا يأخذها في ذلك اي شك ، وليست تريد ان تماطل في الموضوع ، وهي تلقي اللوم كل اللوم على زوجه الثانية التي صرفته عن جد الامور صرفا ، فلم يتهيأ لمثل هذا الحادث التهيئة الكاملة المناسبة ، وانفق اوقاته في اقامة حفلات اللهو واعداد المآدب والاحتفالات . اما الملكة الثانية فمتعلقة به تود حياته ، وتحاول جهدها ان تستبعد هذه الفكرة الاليمة وتلوم مرغريت على قساوة قلبها اذ لا تأخذها بالملك اية شفقة . وهي تجتهد في ان تثنيها عما بيتت من اخبار الملك . ولكن اذا لم يكن من كل ذلك بد فليكن اعلامه بامر موته رفيقا رقيقا . ولكن الملكة الاولى تصر على ان قد سبق السيف العزل ، فليس ثمة مجال للاخذ والرد . فلقد تهدمت المملكة وطغى البحر على اليابسة فاغرق الارضيين ، وانسته الملكة الشابة امور الدولة فاهمل البلاد وواجبه نحوها ، واغار جند البلدان المجاورة على اراضيه فسلبوها ، وهزم جنده ، وهرب الشبان ، ولم يبق في البلاد غير آلاف الشيوخ . وبينما هما في حوارهما يدخل الطبيب ، واذا هو موقن بان داء الملك عياء لا برء منه ، وان لا امل في علاجه ولا سبيل الى شفائه . والى ذلك فان ثمة علامة جديدة قد ظهرت ، فكوكبا المريخ وزحل قد اصطدما ، وانفجر كوكبان وفقدت الشمس ستين بل خمسا وسبعين بالمئة من طاقتها ، وتساقط الثلج في القطب الشمالي من الشمس ... ولا يكتفي الطبيب ، وهو العالم الفلكي بذلك ، بل يعلن عما آلت اليه الارض من خراب ودمار في الوقت نفسه ، فالربيع الذي كان يعمر الارض مساء امس قد رحل ، وحل الشتاء محله ، ويبست الاوراق ، وها هي التربة تتنهد وتموت والارض تنشق اكثر من العادة والصاعقة تتجمد في السماء والغيوم تساقط ضفادع ، والرعد يزمجر ...

ثم يظهر الملك ، وآثار التعب والاعياء بادية عليه ، فهو متوعك الصحة ، يشعر بشيء من الضعف ، والوهن ، ويظلع في مشيته ، وتحزم الملكة مرغريت امرها على اعلام الملك بانه مشرف على الموت ، رغم معارضته الملكة الشابة ماري ، ويتلقى الملك هذا النبأ بكثير من البرودة ، فهو يعرف ذلك ، والناس جميعا يعرفون ذلك ، فكل انسان ميت ، والملك يطلب الى زوجه ان تحدثه عن ذلك متى حان حينه ، وهو يعجب منها انها تثير مثل هذا الموضوع في الصباح الباكر . ويؤيد الطبيب ما ذهبت اليه مرغريت ، فلا يزداد الملك الا اصرارا على موقفه ، فهو واثق بان سيموت ، ولكن بعد اربعين عاما او خمسين ، حين يشاء ذلك ، حين يتاح له

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوقت ، او حين يقرر ان يموت . اما الان فهو معني بشؤون المملكة الآيلة الى الانهيار والفناء . ولكن الملكة تنبئه انه عاجز عن القيام باي تحسين في المملكة عجزه عن استعادة صحته نفسها ، وتعلن له في الوقت ذاته انه مائت بعد ساعة ونصف الساعة ، مع انتهاء المسرحية .

الا ان اللامبالاة التي استقبل بها الملك هذا النبأ اول الامر تستحيل الى تمرد ، فيصرخ : « من تجرأ على اصدار مثل هذه الاوامر دون موافقتي ؟ ان صحتي جيدة ... وسأموت حين اشاء ، فانا الملك وانا الذي يقرر . » ولكن الشيء الثابت ان الملك اصبح عاجزا عن اصدار الاوامر ، وان اوامره لم تكن لتنفذ بعد الان ، بل انه نفسه اصبح عاجزا عن اصدار الاوامر ، فان من حوله اصبحوا عاجزين كذلك عن تنفيذها ، وها هي الملكة مرغريت تذكره بانه مائت بعد ساعة وربع ساعة ، وتنصح الملكة الثانية بألا تعمد الى تلهيته ، فقد اصبح على شفا المنحدر ، وسينفذ البرنامج بحرفيته . وليتمن الملك ما شاء ان يتمنى بان يعود الزمان القهقرى ، الى ما قبل عشرين عاما ، بل الى الاسبوع الفائت بل الى ليلة الامس ، الا ان ذلك كله باطل لا يتحقق ، فلم يعد هناك من زمن ، لان الزمان قد ذاب في يده ، وامام احساسه بالمأساة ، بمأساة الزمن الذي لم يبق قادرا على ايقافه ، تند عنه صرخات الذعر والالم : « كلا ، لا اريد ان اموت ، ارجوكم لا تدعوني اموت ، تلطفوا بي ولا تدعوني اموت ، لا اريد ذلك . » ولا يجد الطبيب في هذا كله الا ازمة طبيعية متوقعة ولن تلبث الازمة ان تمر كل ما يشعر به الملك الان حسرة اليمة لانه لم يتنبأ بموته قبل حين . ولكن كان عليه ان يفكر بذلك ــ على حد تعبير الملكة الاولى ــ منذ اول يوم له في الحياة ، وفي كل الايام ، وان يخصص دقائق كل يوم ، ليتفكر في ذلك . كان عليه ان يحمل هذه الفكرة في ذاته على نحو مستمر دائم وراء كل افكاره . الا انه كان يؤجل التفكير في ذلك عقدا بعد عقد وجيلا بعد جيل ، وما اشبهه الان بتلميذ يتقدم للامتحان دون ان يكون قد اعد للامتحان عدته . وها هو يصرخ طالبا النجدة من شعبه ، وها هو يبكي ويستجدي الناس ان يقايضوه حياته بحياتهم . « من يريد ان يمنحني حياته ؟ من يريد ان يعطي حياته للملك ؟ ان يعطي حياته للملك الطيب ، للملك البائس ؟ » ولكن الصدى نفسه كف عن ترداد هذه الصرخات . اذ ذاك ينزع الملك الى الوهم ، فيرى في ذلك كله كابوسا وحسب ، ويرغب عن سماع أقوال الملك ومرغريت ، الا ان جسمه اصبح بادي الوهن ، ورجليه عاجزتان عن حمله ، وذراعيه لا تستطيعان الحراك . بيد انه قد اذعن آخر الامر للواقع ، وها هو الطبيب يشرح ذلك فيقول : « ان الامر يسير سيرا افضل ، فهو يئن ويبكي ، الا انه بدأ مع ذلك يعود الى رشده ، فهو يتشكى ويحتج وهذا يعني انه بدأ يذعن . » واما بلغ الملك هذه المرحلة فانه يجتهد في ان يتغلب على الموت ، وذلك بان يعمل على ان يبقي ذكره بعد وفاته ، كأنما يرى في ذلك امتدادا للحياة الانسانية . « ألا فليتذكرني الناس ، وليبكوني ، وليخلدوا ذكراي في كتب التاريخ جميعا ، وليحفظ الناس كلهم سيرتي غيبا ، فلتكن حياتي وحدها موضوع دراسة العلماء ، لتحرق سائر الكتب ، ولتحطم بقية التماثيل ، وليوضع تمثالي في جميع الوزارات والمكاتب والمديريات ، ولتحمل اسمي الطائرات والبواخر والمركبات ، ولينس الناس بقية الملوك والمحاربين والشعراء والمغنين والفلاسفة ... » لقد بلغ الملك مرحلة الهذيان وبدأ يشعر بالبرد يسري في اوصاله ، فهو يدعو الشمس لمعونته ويجأر طالبا ان يرى ، ويود لو ان الاخرين يدخلون جسمه ليكونوا ذاته ، ويلبسوا اهابه ، ولكنه لا يرى فيهم الا غرباء بعد أذ كان يظنهم اقرباء له . لقد اكتشف الملك وحدته امام الموت ، فما من صديق او قريب او انسان يستطيع ان يحل محله او يشاركه عبء هذه التجربة ومرارتها ، ولكن هل يستطيع من سبقه من الناس الى الموت ان يمدوا له يد العون : « ألا ساعدوني على اجتياز القبة التي اجتزتموها ! من دفعكم الى الموت ، ومنذا الذي جركم اليه ؟ انتم يا من كنتم اقوياء وشجعانا ! » ان ملايين الموتى يضاعفون غمه ، وان العالم كله ينطفىء فيه . واذا كانت الحياة منفى ، كما تزعم الملكة مرغريت ، فانه ليحب هذا المنفى ، وليس يرغب في ان يعود الى وطنه . وهو ، رغبة منه في كسب الوقت ، يعمد الى محاورة خادمه جولييت ، فاذا هو يكتشف ان حياتها ، على ما هي عليه من تعب وارهاق ، مليئة بالجمال ، وان لاتفه شيء حين يكون الانسان على قيد الحياة جماله وغناه ومعناه . يقول الملك للخادم : « هل يضجرك العمل ! ما اجمل ان يضجر الانسان وما اجمل الا يضجر ، وان يغضب والا يغضب . وان يكون راضيا وان يكون ساخطا . الناس يتحركون وانت تتكلمين وهم يكلمونك ، وتلمسينهم ويلمسونك ، ان هذه لحفلة بهيجة وعيد دائم ! »

ونبلغ في نهاية المطاف الحركة الاخيرة في هذا العمل المسرحي . فقد بدا الملك يتخلى عن رغائبه . وفي هذا ايذان بقبوله فكرة الموت واذعان لها . وما الجهود التي تعود الملكة ماري لبذلها في سبيل انقاذه الا جهود ضائعة . فليس للحب ان يوقف موت الملك الوشيك ، ولا تلبث الملكة ماري ان تختفي ، ويختفي اثرها الحارس ثم جولييت وينسحب الطبيب ، ويبقى الملك وحده ترقبه الملكة الاولى مرغريت ، واغلب الظن ان هذا رمز الى ان الانسان يموت وحده بعيدا عن كل عون : فما من احد يستطيع ان يدفع عن الانسان قدره هذا . وتنقطع صلة الملك بالعالم الخارجي ، فها هو ذا قد اصيب بالصمم ، فلم يعد يسمع شيئا ، وكف بصره فلم يعد يرى شيئاً . وها هي ذي الملكة مرغريت في الختام تجرده من اثقال وهمية ، هي الاثقال التي حملها طوال حياته ، فتنزع عنه السيور التي تقيده ، والايدي الممسكة به ، والاعمال التي ينوء بها ظهره ، كما تنزع عنه

جواهره وحذاءه وادواته وعتاده الحربي كي تخلص الى القول له : « وهكذا فقد خلصتك من هذه الشقاوات الصغيرة والقذارات التافهة ، وما عليك الان بعد ان تحررت منها الا ان تسير . » اما مسيرته هذه بعد ان تجرد من المادة فالى اعماق ذاته ، الى اعمق اعماقها ، في صميم الذكريات الملونة ، وتأمره من بعد ان يعتلي عرشه وان يستقر عليه ، فيصعد الملك مغمض العينين ، غائبا عن الوعي ، على الكرسي ، رمز الموت والحرية ، حيث ينبغي ان يتخذ هناك مقاسه الحقيقي . وآذ ذاك تختفي الملكة وبعدها يختفي كل ما على المسرح من نوافذ وابواب وجدران واخيرا يختفي الملك وعرشه ، ولا يبقى على المسرح الا ضياء رمادي .

لا شك في ان ايونسكو قد اراد في مسرحيته ان يعرض بعض الافكار العميقة التي ترتبط بالموت وبمشكلته، مجسدا هذه الافكار والتأملات في الشخصيات التي رسمها وبنى منها مسرحيته وادار حولها العمل المسرحي .

فشخصية الطبيب العالم التي تطالعنا في هذه المسرحية تمثل صورة دقيقة لموقف العلم من الموت . وقد عبر الطبيب عن هذا الموقف في تضاعيف المسرحية . فالموت بالنسبة الى العلم حادث طبيعي خاضع لقوانين الحياة ذاتها ، وهذا ما يفسر موقف الطبيب الحيادي طوال المسرحية ، اذ ان هناك حتمية شاملة وما كان لانسان كائنا من كان ان يفلت منها . يقول الطبيب مخاطبا الملك : «لست تستطيع ان تفعل شيئا في هذا الصدد، يا صاحب الجلالة، ولسنا نستطيع نحن ايضا ان نفعل شيئا ، فما نحن الا ممثلو الطب ، والطب لا يفعل المعجزات .» ولهذا فقد كان قصارى الطبيب ان يفسر هذه الظواهر التي تبدو على الملك، وان يربط النتائج بالاسباب وهو يتتبع مراحل موت الملك تتبعه لظواهر طبيعية ـ ولهذا السبب ايضا جعله ايونسكو عالما فلكيا ـ فهو يسمي كل مرحلة باسمها ويتوقع المرحلة التالية وميقاتها . وليس الملك وموته بالنسبة الى الطبيب سوى حادثة عادية مألوفة . يقول الطبيب بهذا المعنى : « سيصبح الملك صفحة في كتاب مؤلف من عشرة آلاف صفحة ، وسيوضع هذا الكتاب في مكتبة تشتمل على مليون كتاب ، وهذه المكتبة واحدة بين مليون مكتبة ! »

اما الملكة الثانية ماري ، فعلى نقيض الطبيب . أن الملك بالنسبة اليها هو الانسان الوحيد ، والعلاقة التي تربطها به هي علاقة الحب وحدها . ولكن هل يستطيع الحب ، مهما بلغ من القوة ان يتغلب على الموت ؟ تقول للملك : « ان الحب احمق ، فان كان حبك احمق ، وكنت تحب دون تفكير ، وتحب على نحو مطلق فان الموت يبتعد ، وان كنت تحبني ، وتحب كل شيء فان الخوف يختفي . ان الحب يحملك فتترك نفسك ، وان الخوف ليتخلى عنك . » ولكن في هذا الموقف تبدو مأساة هذه الملكة الشابة ، فصراعها مع قدرها الممثل بموت الملك صراع مخفق بائس ، ليس له من نهاية سوى الموت المحتم . تقول عنها الملكة مرغريت : « هي تظن بان ما تدعوه الحب يستطيع ان يتغلب على المحال . » وهي لذلك تسعى لان تستبقي الملك على قيد الحياة ما استطاعت . وهي ترثي مر الرثاء للملك وتندب حياته ندبا أليما : « لم تكن الحياة بالنسبة اليه الا نزهة قصيرة في ممر مزهر ، ووعدا لم يتحقق ، وابتسامة اغلقت على ذاتها . » وها هو الموت الذي دهم الملك يحطم العلاقة التي كانت تربطها به ، ويقضي على حبها الذي لم يعد له معنى حين فقد تجاوبه . « لقد نسيني الملك وتركني ولست اعد شيئا اذا نسيني . لست استطيع ان احيا ان لم اكن في صميم قلبه المستهام . » ولهذا كله كانت الملكة الشابة ماري تشد من عزيمة الملك وتحمله على ان يتغلب على الموت وتجتهد لابعاد هذه الفكرة عنه ، ولكن جهودها كلها لا جدوى منها لان الموت اقوى من الحب نفسه.

واذا كانت الملكة الثانية تمثل الحب والعاطفة فان الملكة الاولى مرغريت تمثل الحكمة والعقل ، وكان الملك بيرنجه عرضة للتمزق بين هذين الصوتين . اما الملكة هذه فقد اخضعت عاطفتها لعقلها ، فهي التي تنبىء الملك بموته ، وهي التي تهيؤه له ، وهي التي تسكت صوت الحب المنبعث من الملكة الثانية ، وهي التي تلوم الملك انه لم يأخذ للامر اهبته ، ولم يفكر بالموت تفكيرا جديا طوال حياته ، ولم يخصه بقسم من وقته كل يوم ، لقد وقفت من الحادثة كلها الموقف الحازم الذي يمليه التعقل والحكمة ، وقد حملها الى هذا الموقف اعتقادها ان الموت امر محتم لا مفر منه ، وان كل انسان فان ، وان الحياة ليست سوى منفى .

ونصل في نهاية المطاف الى الملك بيرنجه وهو الشخصية الاولى والاساسية في المسرحية ، وهو البطل الذي ارانا اياه المؤلف يخوض غمرة الموت ويفصح عما يعتلج في نفسه من مشاعر واحاسيس وافكار وتأملات . والحق ان بيرنجه ليس آلا الانسان في كل زمان ومكان . ولكن ما السبب الذي حدا بالمؤلف فجعله ملكا ؟ يجيبنا ايونسكو عن ذلك بقوله : « لان الانسان ملك ، وهو ملك العالم ، ان كلا منا ههنا ، كأنه في قلب العالم ، وكلما مات انسان فانه يشعر ان الكون كله يتهدم ويختفي باختفائه . ان بيرنجه هو رمز للانسان ، العظيم بقوته وابداعه ، بعلمه وفلسفته وادبه ، بتاريخه الطويل . وينسب ايونسكو الى بيرنجه كل الاختراعات والانتصارات التي حققها الانسان . فهو الذي سرق النار من الالهة ، وصنع البارود والحديد والفولاذ ، وهو الذي اخترع المنطاد والطيارة والدولاب والقطار والسيارة والمحراث والعربات والحاصدات ، وهو نفسه الذي اخمد البراكين وشيد روما ونيويورك وموسكو وجنيف واسس باريس ، وقام بالثورات والانقلابات، وجاء بالديانات وحركات الاصلاح ، وهو نفسه الذي كتب الالياذة والاوذيسة ودوّن التاريخ ، والف المسرحيات تحت اسم شكسبير .

وهذا الانسان العظيم هو في الوقت ذاته انسان بسيط،

خبايا العالم

اديب صعب

عيناك والحان الغزل
ام شلالان من العسل
وحفول الضوء تضمهما
وتلمهما
خصلا تتماوج في خصل ...

عيناك شموع منسيه
في هداة كاتدرائيه
من جدلها في عمق الليل وضواها
باللهب الازرق والاخضر
ولمن تنذر
ولمن خباها من خباها ؟

عيناك وها انذا امضي
في الومض الراعش في الغمض
واغل ، اغل ، اهيم ، اضيع
احداقهما واضيع ...
وتحاوطني الاغوار وتومىء لي جزر وينابيع
في غورهما اسري كاللمح واكتشف
وابوح بما اهوى ، واسر واعترف ...

عيناك شواطىء ، والامواج تذريني ،
وانا البحار الشارد في الانواء الهوج ، فآويني
عيناك هما ، عيناك هما ،
اغوى بهما ، وارى بهما ،
واوسع دربي عبرهما ...
بهما ابصر كنه العالم ، ادرك سر العالم ، احكي ،
بهما اتحقق ان العالم لي وخبايا العالم ملكي ...
عيناك وخلفهما الدنيا ـ
بهما اتغلغل في المجهول ولا اعيا ،
بهما احيا ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فهو جد الخادم جولييت التي لا تفقه غير شؤون النظافة والعمل المنزلي . وهذا الانسان نفسه في عظمته ، وبساطته يقف امام الموت خائفا فزعا . صحيح ان الملك بيرنجه قد جابه الموت في المعارك غير مرة ، ولكن للموت ههنا معنى اخر . فايونسكو يلح الحاحا شديدا على تمسك الانسان بالحياة . وحين يموت الانسان فان الاف العوالم تنطفىء فيه ، واذا كان الانسان يعلم علم اليقين انه مائت ، فان هذا العلم لا يتخذ شكله المأسوي الا حين يدخل المرء في صميم هذه التجربة . تقول الملكة مرغريت : « يظن نفسه انه اول انسان يموت . » فتجيبها ماري بقولها : « كل انسان هو اول انسان يموت . » ولقد اتاحت له هذه التجربة ان يكتشف مأساة الزمان الذي لا يستطيع له الانسان ايقافا ، ولا يمكنه ان يؤثر فيه فيستعيد سنة او شهرا او دقيقة واحدة منه ، كما اتاحت له ان يكتشف وحدة الانسان امام الموت ، تلك الوحدة الرهيبة القاسية ، فما من انسان يستطيع ان يمد له يد العون ، وما من انسان يستطيع ان يموت عنه . حتى الحب نفسه يبدو عاجزا امام وجه الموت اما رغبة الملك في ان يستمر ذكره بعد موته بان يذكره الناس ، وتعلق صوره وتدرس سيرته ، فليس الا نوعا من الرغبة في البقاء بعد الموت او هو نوع من اطالة امد الحياة ولكن هذا ايضا لا يجدي الانسان ، فلن يكون بعد كل هذا الا صفحة في كتاب يضم الاف الصفحات في مكتبة تشتمل على ملايين الكتب بين ملايين المكتبات .

ولنا ان نتساءل اخيرا رغم اعتقادنا بقسوة مأساة الموت، الا يتغير ايقاع هذه المأساة لو كان خلف هذا العالم القاحل الذي خلقه ايونسكو وجه اله يحب الانسان ؟!

حلب — جورج سالم

الاشباح

●

طلعت بأثواب من الظلم ... في جنح ليل جاش بالقتم
وجرت مع الاهواء شائلة ... في حلبة عصفت بمضطرم
رايانها ضربت محلقة ... في شاسع بقوادم الرخم
وتقاطرت عجلى جحافلها ... ترمي بمصطخب وملتطم
لجج من الظلماء ما فتئت ... تنداح في سهل وفي أكم
عصفت ذلاذلها مجلجلة ... في حالك كالعارض العرم
وجرت بمنهل غمائمها ... وقتامها ينهل كالديم
وبكل شعب رايـة نشرت ... للصمت لم تنهض على قدم

* * *

رفع الدجى من حالك طنبا ... مستغلق الاسرار كالرجم
طالت سرادقه محلقة ... في صفحة الجوزاء كالعلم
وسمت رفارفه ومن عجب ... لم تبن بالصفاح والدعم
اوتادها في الارض من قتم ... وسجوفها في الافق من أيم
درجت بها الاشباح راتعة ... في لج ليل فاض بالنقم
وجرت كما شاء الهوى شططا ... في مهيع بالخطب مزدحم
والنصر دون شعابه نشرت ... أشراكه للقنص من امم
والرعب كشر عن نواجذه ... لوقيعة تكشير منتقم

* * *

طمس الدجى ما شع من قبس ... لحقائق سطعت من القدم
واحالها جدباء حالكة ... كنوازع الاوهام والتهم
وعفت يد الظلماء ما سطرت ... اقلام اعلام من الحكم
وتساوت الاضداد وائتلفت ... اشكالها في حالك الظلم
الليل يجمع في مطارفه ... ما بين منفصم ومنسجم
والحسن مثل القبح يستره ... ذيل الدجى ويحور للعدم
تجد الفوارق وهي ظاهرة ... عميت عن الابصار من وصم
ليس القياس بمانع ذللا ... في ظلمة من عثرة القدم

* * *

الارض للاشباح ما عصفت ... لجج الدجى بغوارب الغسم
ضربت جحافلها بمشتبه ... من حالك كنوازع التهم
وجرت جحافلها ومن عجب ... في جريها اهدى من النسم
وبكل ميدان قوافلها ... حشدت بالوان من السقم
ما كان بدعا ان ترى شططا ... والامر للاشباح والرخم
تسري بغاث الطير سارحة ... في ليلها وتعيث كالبهم
وترى كرام الاسد قابعة ... عند الدجى في الغيل من شمم

* * *

عصف الضحى بغوارب سطعت ... دون الربى وشواهق القمم
فتلاشت الاشباح غاربة ... خدر الضحى كاليت في الرجم
طويت عن الدنيا بلا اثر ... في غمرة النسيان والعدم

دمشق

عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور محمد حاج حسين

الموت في شعر عبيد بن الابرص

بقلم محمد حاج حسين

مأساة الانسان ... الموت .

سأل كونفوشيوس بعض تلامذته .. ما الموت ؟ واجابهم : هل عرفنا الحياة حتى نعرف الموت ؟. وهنا تتركز مأساة الانسان الحقيقية عندما يعدو الموت على عزيز عليه، فيستل منه الروح ، فالالم الذي يثوي في اعماقه لا حد له . ويدرك الانسان الضعيف انه ازاء قوة هائلة لا قبل له بمقاومتها هدمت حياته ، ومزقت روحه وقادته الى مأساة جاهمة يستحيل عليه ان يتخلص منها .

ومن مأساة الانسان ازاء الموت تم التكوين الادبي في العالم فالملاحم السامية القديمة هي التي رسمت الخطوط العريضة لهذا التكوين الادبي التي تتركز حول الموت ، ولا تزال حتى الان الينبوع الذي يغرف منه الادب في الدنيا كلها ، فالاديب الموهوب يستمد الهامه من هذه المأساة الدامية الحفيلة بالغصات والاهات ، والتي لا تنتهي الامها. منذ أشهر افضى سارتر بحديث الى مجلة انكليزية قال فيه : ان ازمة الكاتب الحديث هو الجوع ، فيجب ان يكافحه كيلا يكون في خدمة طبقة معينة تمتص دماء الاخرين .. واثار هذا الحديث الكثير من الجدل والنقاش وقال كاتب افرنسي ردا عليه .. ان ازمة الكاتب الحقيقية هو الموت ، فهو مأساة الانسان في كل زمان ومكان .

لقد صدق هذا الكاتب ونفذ الى لب الحقيقة ، فمأساة الموت لا تزال المصدر الاساسي لكل فن جليل . واقدم شعر في العالم هو الذي يرقى الى القرن الثامن عشر ق.م. في عهد حمورابي ، فقد نظمت في هذه الفترة بعض اجزاء ملحمة جيلجميش التي رسمت الخطوط العريضة للتكوين الادبي في العالم .. فجيلجميش .. بعد ان اقل انتصارات ماجدة على عملاق الارز ، والثور الالهي الذي عاث فسادا في المزارع يحاول باستماتة ان يكافح عدوه الالد .. الموت .. وفي سبيل هذه الامنية اجتاز الاهوال حتى وصل الى الجزيرة النائية التي يسكنها احد اجداده الذي عصمته الالهة عن الموت ابان الطوفان ، وكتب له البقاء السرمدي لصلاحه .. وبعد لأي يعطيه شراب الخلود ويعود مزهوا يتوثب فرحا حتى اذا ما رأى غديرا لبى نداء الماء ، وتجرد من ثيابه وراح يسبح في سعادة طلقة ، وفجأة راى افعى عجوزا تلعق الشراب ، فترتد شابة تفور بالحياة ورنحة الالم .. وادرك ان الموت حتم على البشر اجمعين .

وكذلك تصف ملاحم راس شمرا هذا الصراع العنيف بين الموت والحياة .. فالملك كريت .. رغم انه ابن الاله الاكبر آل برز له الموت ليستل روحه وذلك بعد ان عاث ظلما في الرعية .. وبذل مع اسرته الجهود الجبارة ليتفاداه .. بيد ان الموت لا بد ان يسحقه .. وهكذا تناثر امل هذا الملك التاعس اباديد .. فالموت لا يرحم احدا .

ان صراع الانسان مع المأساة .. لا حد له .والحياة في طبيعتها لا تقدم لنا سوى كأس مترع بالمرارة تطفو عليه بعض قطرات من عسل . والاديب العبقري يستمد الهامه من مأساة الموت والحياة ، وكلما تعمقها سمق فنه، والفنان يتميز باحساسه الدقيق الذي ينفذ الى اغوار الاشياء .. ليرى المأساة بالمرصاد ، فلا يجد سوى التعبير عنها تنفيسا عن هذا الرعب الكامن في اعماقه .

لقد ساورتني هذه الخواطر ، وانا اقرأ في ديوان عبيد بن الابرص ، فقد أستطاع هذا الشاعر الجاهلي الفحل ان ينفذ الى لب المأساة ، فوقف امامها حسيرا مبلبلا تضويه لوعة قاتلة ، فقد تعمقها ، واشتد خوفه منها ، ولم يجد سوى الشعر الحي الجميل ليترجم عنها ، ويعبر عن حقيقتها الاليمة ، فليس الانسان سوى كائن بسيط تسحقه مأساة الحياة والموت .. حياته فريسة لهذه الالام المضيضة ، ثم يزهقه الموت ليقضي على كل شيء . والح عبيد على هذه الفكرة الحاحا شديدا ، وجعلها المحور الذي يدور عليه شعره مما يجعلنا نؤكد انه هتف بها عن وعي وادراك وتصميم .

وقف شاعرنا امام الحياة ، فادرك انها عبث في عبث ما دام الموت يبتلع كل شيء ، فالنعمة لا بد ان تذوب ،والمال لا بد ان يسلب ما دام الموت نهاية المأساة . يقول في نفحة حزينة نفذت الى جوهر الحقيقة :

فكـل ذي نعمـة مخلوسهـا وكـل ذي امـل مكـذوب
وكـل ذي ابـل موروثهـا وكـل ذي سلـب مسلوب
وكـل ذي غيبـة يشـوب وغائـب المـوت لا يشـوب

وهكذا اكتنه مأساة الانسان . وليست الحياة سوى عذاب مرير متصل ، فهي خداعة غرارة . يقول بلهجة ثوى فيها الحزن :

والمرء مـا عاش في تكذيـب طـول الحيـاة لـه تعذيـب

وهل يستطيع ان يذهل عن الموت .. وفي كل يوم دليل جديد عليه ؟ وها هم أصحابه يتساقطون امام الموت فرائس هينة ، قد اقفرت منهم الديار ، وغابوا في حفرة بـاردة يذكرونه بالمأساة الدميمة التي لا ترحم :

تذكرت اهل الخير والباع والندى واهل عتاق الجرد والبر والطيب
تذكرتهـم مـا ان تجف مدامعـي كان جدولا يسقي مزارع مخروب

لقد فاضت نفسه بالاسى عند هذه الذكرى .. وهـل يملك الا دموعه يسفحها بغزارة .. ولكن هل تجـدي الدموع امام الموت ؟ والانسان سادر في غلوائه ينشد الحياة المديدة ، ولا يدرك ان في طولها عذابا لا ينتهي . يقول معبرا عن هذه الحقيقة في نفحة تفيض بالتشاؤم :

ترى المرء يصبو للحياة وطولهـا وفي طول عيش المرء ابرح تعذيب

وهل من الممكن ان يتناسى الانسان مأساته ؟ ان الخمر قد تذهل الانسان عن واقعه الحزين فينة من الزمن ، ولكن لا بد للمخمور من الصحو ، وعندها يدرك ان الكفن لـه بالمرصاد ، والقبر يفغر فاه ليتلقفه :

ان اشرب الخمر او ارزأ لها ثمنا فلا محالـة يومـا انني صاحـي
ولا محالة مـن قبر بمحنيـة وكفن كسراة الثـور وضـاح

وما جدوى الانسان بعد الموت ؟ حتى الذكرى الخـيرة يضن الناس بها عليه ، وادرك عبيد بن الابرص ان الانسان متى اصبح رمة بالية انتهى كل شيء .. حتى لو انفـق جميع ماله في الخير لما حمد له الناس شيئا من هذا :

اني وجدك لـو اصلحت ما بيدي لم يحمد الناس بعد الموت اصلاحي
اشري التلاد بحمد الجار ابذلـه حتـى اصير رميمـا تحت الـواح

والمأساة يحملها الغد ، وقد يفتر الانسان ، فيذهل عنها .. بيد ان الحقيقة لا بد ان تتضح ذات يوم له ، فيدرك ان المنية ضربة لازب تنهي كل شيء . يقول في مرارة :

ان الحوادث قـد يجيء بها الغد والصبـح والامسـاء منها الموعد
والناس يلحـون الامير اذا غوى خطـب الصـواب ولا يلام المرشد
والمرء مـن ريب المنـون بغـرة وعـدا العداء ولا تـودع مهـدد

لقد كان شاعرنا يحس بالمأساة احساسا عميقا ، فهـو يعلم ان كر اليوم على الانسان يدنيه من النهاية الفاجعة ، فالموت وراء الناس يحدد لهم حتى اذا ما اشرفوا على نهاية الفاجعة سطا عليهم :

يا عمرو ما راحمن قوم ولا ابتكروا الا وللموت في اثارهم حـادي
يا عمرو ما طلعت شمس ولا غربت الا تقـرب اجـال ليعـتـاد
هل نحن الا كارواح تمر بهـا تحت التراب واجساد كاجساد

والحقيقة الكبرى هي :

ان امامك يـوما انـت مدركـه لا حاضر مفلـت منه ولا بـادي

والانسان يعلل نفسه بالمنى الكاذبة .. انه يهوى الخلود ويجد فيه تسرية وتعزية عن المأساة .. والحقيقة ان الخلود لا غناء فيه ، فهو عدم لانه فناء في جوهره ، ولن يبقى الا وجه ربك :

ما تبتغي من بعد هـذا عيشـة الا الخلـود ولن ينـال خلـودا
وليفنـين هـذا او ذاك كلاهمـا الا الالـه ووجهـه المعبـودا

ولهذا ازدرى عبيد بن الابرص الحياة كما ازدرى الموت ، فقد ادرك المأساة التي تخفق على الكون ، ولا ينجو منهـا احدا ، فسيان عنده الموت والحياة ما دامت النهاية معروفة :

واللـه ان مـت مـا ضرني وان عشت ما عشت في واحده
فابلـغ بنـي واعمامهـم بـان المنايا هـي الـوارده
لهـامـدة فنفـوس العبـاد اليهـا وان كرهـت قاصـده
فـلا تجزعـوا الحمام دنـا فللموت ما تلـد الوالـده
فوالله ان عشـت ما سرني وان مـت ما كانت العائـده

لقد انتهى الى هذه النتيجة الاسية بعد ان ادرك بثاقب فكره ، ورهافة حسه مأساة الانسان ، ووضحت له النهاية التي لا بد منها .. فلم التشبث بالحياة ؟. ولم الخـوف من الموت ؟ يقول ناعيا نفسه :

اقفـر مـن اهلـه عبيـد فليس يبـدي ولا يعيـد
عنـت لـه منيـة نكـود وحـان منهـا لـه ورود

وابت المأساة الا ان تعد له ميتة في نهاية البشاعة ، فقد ام الحيرة منتجعا المنذر بن ماء السماء ، فكانـت منيته الوجيعة التي استقبلها ساخرا منها لانه واثق من نتيجة الحياة . قالت الرواة : « وكان للمنذر بن السماء يومـان معروفان : يوم بؤس ، ويوم نعمة ، فكان اذا خرج في يـوم نعمة يصل اول من يلقاه ويحبوه ويحسن اليه . فبينا هو يسير في يوم بؤسه اذ اشرف عليه عبيد ، فقال لرجل ممن كان معه : من هذا الشقي ؟ فقال له : هذا عبيد بن الابرص فاتى به . فقال له الرجل : ابيت اللعن .. اتركه .. فـان عنده من حسن القريض افضل مما تدرك في قتله مع انه من رؤساء قومه ، واهل النجدة والشأن فيهم ، فاسمع منه ، وادعه الى مدحك ، فان سمعت ما يعجبك كنت قد عفت له المنة ، فان مدحته الصنيعة ، فان لم يعجبك قوله كان هينا عليك قتله . فاذا نزلنا فادع به . قال : فنـزل المنذر ، فطعم وشرب وبينه وبين الناس حجاب يراهـم منه ، ولا يرونه ، فدعا بعبيد من وراء الستر ، فقال له رديفة : ما ترى يا اخا اسد ؟ قال : ارى الحوايا عليهـا المنايا . قال : فعليك بالخروج له ليقربك ذلك من الخلاص. قال : ثكلتك الثواكل .. اني لا اعطي باليد : ولا احضر البعيد .. والموت احب الي . قال له الملك : افقلت شيئا ؟ قال : حال الجريض دون القريض . ثم قال المنذر : قـل في مديحا يسير في العرب. فقال: اما والصبار فما عجل فلا. فقال : نطلقك ونحسن اليك . قال : اما وانا اسير فـي يديك فلا . قال : نردك الى اهلك ونلتزم رفدك . قـال : اما على شرط المدح فلا » ..

وهكذا رفض عبيد بن الابرص ان يطلق الملك سراحه على شرط ان يمدحه .. لانه كان يسخر من الحياة ، ويعلـم

من اشعار الفارس الجديد

شذا النارنج في دربي ، كاحلام الشحارير
تضـج النفحة البلهـاء في حلقي ،
وتجرفني خلال الليل ، عبر مساكب الرؤيا ، تصاويري
عذاب الجرح غلغل في شراييني
وما ذبلت حواكيري !
دبيب الشوق في رئتي ، بقايا منك تشقيني ،
تدمدم ليلتي البيضاء : لا عذراء تروبني ..
ـ ولا شباكها المدروز في حلمي ـ
فعبر ستائر الشمس ..
اماني التي احترقت على شفق غريب اللون كالورس
تفض بكارة الفلس ..
تخمشني رياح الليل .. تذري حقدها المجنون
في عيني ، وتشويني ..
وعند منابت الرؤيا ، بحار الشوق تطويني
مرافؤهـا صـدى امراة مـن التاريخ والعدم
تبعثـر روعة الحلم
يجذف شوقها المزور عبر مفاوز القدم

•

رياح الحب يا وطني ، تهب ، تهب يا وطنـي
ومـاء الملح اشربه زلالا من قواريري
والعـن بذرة الزمن
بيادرنا ، بيادر شوقنا احترقت ، ولا نار بذا الحزن ،
نلملم تركـة الكفن
ويا نافورة « القصاع » يا عمري الذي اقوى
ومـا جفت نوافيري ..
جراح الفارس المنسي ، قلبي شاعر اعمى
ولكني بـلا ماوى
اجرجر حرقـة البصر
تمر حبيبتي الشقراء ، المسها .. فتنكرني
ـ خسئت مطارف القمر ـ
أيـا تجويفة الزمـن ..
اليك مشاتـل الاشعار ، أبهـاء الاساطير
أعمرها حكايات ، شبابيكا مـن النور
ادحرجها منـى ولهانة الرؤيـا امام منافذ الدور
فديت مطارح الاشواق فـي عب الشحارير ...

•

عيون الليل نافذة ، تطـل على ربـا الحبـق
ويـا الحان « نيرون » لهيـب الشعر في سفني
شذا النارنج في دربي ، واشرب علقم الضجر
واجتر الهوى المكبوت فـي قاع بلا صدف ...
لتعلك حلمي امراة
تكشف صدرها المفضوح عن مرج من الترف
ويـا احلام تيمورلنك في تورا الا احترقي
فاشعاري ترش مساءك المذبوح بالعبق ..

•

دمشق مدينتي الحبرى ، ايا ماوى المساكين
تذوبني رؤى النارنج عبر ستائر الغرف ..
صبايا الدور تكويني ..
فيغمر خدرك الضجر ..
وتغسلني جراح الحلم في دنياك يا مطر
أيـا صنـو البساتين
فاعبر شارع القصاع في وجهي صدى باك
لعل حبيبتي الشقرا ، تعود ، وقرب شباكي
ترف ترف آلاف العصافير

دمشق — اسماعيل عامود

ان الموت لا بد ان يعدو عليه عاجلا او اجلا .. فلم هـذا التسويف الذي يكبله فى وعد لا يريد ان يفي به .. فليكـن الموت ما دام لا بد ان يرده .. واختار ميتة شعرية عندما سأله المنذر : يا عبيد اي قتلة احب اليك ان اقتلك ؟ قال : ايها الملك روني من الخمر ، وافصدني ، وشأنك وشأني . فسقاه الخمر ، ثم قطع له الاكحل ، فلم يزل الدم يسيل حتى نفد الدم ، وسالت الخمر ، فمات ..

هل كان عبيد بن الابرص يحس احساسا غامضا بهذه النهاية الفاجعة حتى الح على ذكر الموت الحاحا شديدا .. كأنه يتهيأ لهذه النهاية الظالمة التي اوقعها به ملك تجانف عنه العدل ، وران عليه الاستبداد ؟

الجرجانية — محمد حاج حسين

الطائف

مدينة الزهر والشعر

●

انور العطار

●

دمشق

حي في « الطائف » الربيع الدائم ... ان بدا برعم تلته براعم
هو في الروض زينة تخلب اللب وما الروض غير روح حالم
وهو في القلب فرحة تغمر القلب كأن الربيع خيل موائم
يستعير الجمال منه سناه ... وتلبي الرقى وتسعى التمائم
وترود الظباء دنياه جذلى ... فيحلي اجيادها والمعاصم
يا امير الربا ويا شاعر الدو ... ح ويا مدمع الهيام الساجم
انت في الفكر جدول يتندى ... انت سحر ينسيك سحر المباسم
نسم الوجد في الحمى نسمات ... فشممنا منها عبير النواسم
ما لبان اللوى مدلا على الاث ... ل أبيا على ظباء الصرائم
الأن الهوى سقاه فأصبا ... ه ولا يعرف الهداية هائم

* * *

حي في « الطائف » الربيع الموشى ... بأفانين من خيال ناعم
بضروب من الشحارير هيمى ... حانيات على غصون هوائم
حي في « الطائف » الاناقة واللط ... ف وطف بالحمى الاليف الملائم
بلد الزهر جل من ابدع الزه ... ر واحياه في جفون الكمائم
تتراءى عيون نرجسه الغض صحاحا وهي المراض السواهم
وتلوح الخدود في نضرة الور ... د اذا عل من دموع الغمائم
وثمار النعيم رف سناها ... كاللآلي فرائدا وتوائم
يا لكرم يزينه عنب الخا ... د وفي الكرم تستتر المكارم
العناقيد فيه صرعى نشاوى ... ريمتها من الفروع روائم
يا لها روضة تتيه على الرو ... ض وتفتر عن ثغور بواسم
يا لرمانها الروي على الده ... ر وتفاحها الشهي المطاعم
يا لسحر النخيل في القد ممشو ... قا وفي الفرع وهو جعد فاحم
تترامى ظلاله في مدى الاف ... ق بما يشبه البحار الخضارم
ما انصبايا يرفلن في الوشي احلى ... منه وشيا ولا ادل معالم
شمت فيه الربيع ريا ... ن فيا شعر حي ما انت شائم
ولمست الحسن الذي يسكر الرو ... ح وللحسن حين يجلى مناعم
ولكم اسعد الهوى والاماني ... ولكم انطق الرؤى والطلاسم
فاسأل الرسم من بكاه محيلا ... حين أمسى نهب العوادي الغواشم

* * *

حي في « الطائف » البيان المصفى ... كالرحيق المجود المتقادم
بلد الشعر عز من علم الشع ... ر وما الشعر غير دمع المراحم
زفرات افضى بها القلب اسوا ... ن فكانت أرق شدو الحمائم
علمتنا ان القصيد اذا رق له في النفوس فعل البلاسم
يا له من منادم ملك النف ... س فنعم السمير نعم المنادم
وتغنت بما يقول العوالي ... وتباهت بما يصوغ الصوارم
يا لسان الهوى اذا عي بالقو ... ل ويا عرفه الذكي الفاغم
انت صورته وبينت معنا ... ه ونوهت بالحبيب الظالم
ان تشكي جراحه دامیات ... فبألفاظك الرقاق المراهم
او تناءى الربيع كنت يد الخصـ ... ب فيا موسما شأوت المواسم
انت حادي العصور وهي توالى ... انت رمز العلا وسر العزائم

* * *

يا مصيف الهوى عليك سلام ... من فؤاد على ربوعك حائم
انا شعر على جبالك منشو ... ر وناي على شعابك ناغم
فاقرأ الشوق في عيون القوافي ... ان للشوق في العيون علائم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نظرت الى الساعة قلقا . كان عقرب الدقائق قد تحرك بدم بارد مشيرا الى السادسة مساء . وتصورت سعاد واقفة امام ..... تنتظرني ، وقد ارتمت نظرتها على سيل المارة تحاول عبثا ان تلتقطني بينهم . القيت نظرة على سائق التاكسي الجالس مطمئنا الى يساري ، وخطر لي ان استحثه على الاسراع :

ـ ممكن تعجل قليلا ؟

التفت الي نصف التفاتة وقال بلهجة مستاءة : « الا ترى ان الشارع شديد الازدحام ؟ » وثبت نظرتي الى شارع الحجاز امامي ، ووجدت ، مرتبكا من قلة تبصري ، انه مزدحم فعلا بأرتال طويلة من السيارات الصغيرة المتنوعة الالوان والحجوم . وفوق ذلك، كان بعض المارة يخترقون صفوف السيارات بطيئة السير غير مبالين بنظرات السائقين القاسية . كانت امسية جمعة «شامية» وغاصة بالحركة .

بعد خمس دقائق طويلة انعطفنا الى شارع البرلمان . حينما تأملت الشارع الطويل المزروع باعداد اكبر من السيارات قدرت اننا ، على هذا السير البطيء ، لن نصل قبل عشرين دقيقة . عشرون دقيقة انتظار كانت كافية حتما لتقنع سعاد بأني لن آتي .. حسنا . لا بد ان اغري السائق الشرس بالاستعجال : « اذا أوصلتني للمهاجرين في عشر دقائق سأعطيك أجرة مضاعفة ، ما رأيك ؟ »

لم تكن السيارة تتقدم بأسرع من المشي العادي بكثير ، اما الان فكادت تقف . والتفت الي السائق وقد بدا لي ان بياض عينيه قد احمر قليلا وسط لون وجهه الاسمر الغامق :

ـ قلت لك الطريق مزدحمة !

واجبته متحاشيا ان اثيره اكثر : « طيب ، طيب . امش كما تريد » .

ويبدو ان استسلامي السريع قد زاد في اثارته ، اذ قال لي بلهجة مغضبة :

ـ لا بد انك ترى بعينيك السيارات ... وأولاد الكلب الذين يعرقلون السير ..

بعد لحظة سمعته يكمل بنفس اللهجة المغضبة : طيب .. سأحاول.

وبدأ زمور السيارة يلعلع . وبدأت الاحظ ان السائق لم يعد يسير بالدور ، كما كان حتى الان يفعل ، بل طفق «يدوبل» على كثير من السيارات مرة ذات اليمين ومرة ذات اليسار بمهارة عجيبة. ثم مرق بين سيارتين على يمينه ، وكادت الاخيرة تصطدم بنا لولا ان سائقها شد الفرامل ، مما جعل دواليبها تصطك بالاسفلت . وخيل لي ان السائق معتوه. وندمت على اني استعجلته . خطر لي ان اطلب منه ان يتريث ، الا اني لم اجسر . ربما شتمني ، وربما ...

زخة العرق

بقلم انور قريطي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حسنا ، سأتركه يسير كما يريد . بقي برهة يسير حسب الدور ثم سنحت له ثغرة بين سيارتين على يميننا تماما وتسيران في نفس الاتجاه . ساعة انحرف الى اليمين ليدخل بينهما لمحت الترام . كان مقبلا علينا . ملنا الآن الى اليمين ، لنجد ان الثغرة بين السيارتين قد ضاقت جدا ، بحيث صار مستحيلا ان ندخل فيها . عشرة أمتار بيننا وبين الترام . حاول السائق ان يستدير الى اليسار . خمسة امتار . استدار قليلا . متران . ويبدو ان المفاجأة قد أذهلته : اذ رأيته يكبس على الفرام بقوة، ويجلس كالابله بدون حراك . نصف متر . ورأيت واجهة الترام تزحف نحونا : كتلة من الحديد خضراء ، بدت لعيني ، وانا في سيارة المرسيدس الصغيرة الواطئة ، ضخمة ومرعبة وحية كوحش أصم . لمحت سائق الترام يدور مقبض الفرامل بسرعة . وبقيت الواجهة المرعبة تتحرك . فرفعت ذراعي المكشوفين الى وجهي بدون ان اجد الوقت للتفكير بأي شيء .

رجة شديدة . قطع زجاج صغيرة انهمرت على ذراعي وثيابي. وشعرت حالا بشيء ثقيل ينكبس بسرعة على رجلي . ثم لم أعد احس بشيء.. لم افق الا وانا اعي بغموض أن أيديا تشدني ، وسط ضجة مختلطة مبهمة . فتحت عيني ، فرأيت حشدا كبيرا حول السيارة ، وواحدا يشدني منها ، ولم اع اهمية ما حدث لي الا حينما رأيت الدم يسيل على ذراعي. حينما خرجت من السيارة أحسست برجلي تتدليان بدون شعور مثل خشبتين . قبل ان يدخلوني في سيارة الاسعاف البيضاء القريبة القيت نظرة على السيارة الصغيرة فرأيت ان طرفها الايسر ، حيث كنت اجلس ، متحطم كجانب من علبة كرتون مجعلك .. كذلك رأيت السائق بشاربيه الصغيرين واقفا بجانب السيارة ، وقد بدا عليه انه لم يصب بأذى .

القوني على كرسي جلدي طويل داخل السيارة . وسمعت صوت المحرك ، ثم ادركت من بوق الصوت الحاد اننا نسير بسرعة .

حاولت بفضول ان احرك ساقي ، وسرعان ما ادركت من جديد انهما معطوبتان تماما . الدم الذي سال من يدي بدأ يلوث ثيابي وسطح المقعد . فجأة ، خطر لي ان رجلي ستقطعان . كنت قد قرأت ـ لست ادري اين ، أن العظام المكسورة سرعان ما تتعفن مما يوجب قطع العضو المكسور . وقفزت الى ذهني



صورتي وقد قطعت رجلاي . بدت لي الصورة غير معقولة لحظة ثم تعودت عليها وصدقتها لدرجة ان الخوف جعل فكاي يصطكان، وشعرت بسخونة تتلبسني وتجفف حلقي .. وكاد يغمى علي من جديد .

« هكذا بلحظة .. اصير كسيحا ! سأمشي على عكازين ، أو على كرسي بعجلات ، مشوها ، عاجزا ! ولكن هل هذا ممكن ؟ كيف ؟ ماذا حل بسعاد الان ؟ لا بد انها رجعت الى البيت .. ولكني صرت كسيحا .. الرجلان ، كل ساقي ستقطعان ! الجامعة .. اصدقائي ، اي منظر شنيع سأبدو لهم ! غير معقول .. فقط منذ عشر دقائق كنت كاملا .. رجلان اصطناعيان ! كيف ، هل سأمشي اذا؟ لا . سابقى عاجزا .. وسعاد كيف اخطبها . هل اذهب الى بيتها محمولا ؟ وكيف ادرس في المستقبل؟ مدرس كسيح ! كيف اكتب على السبورة واتجول بين التلاميذ ؟ ستكرهني سعاد ! لا ، ستبكي .. سيغمى عليها ، ربما ... ما في فائدة .. لن تتزوجني !! يا الهي !. ولكني قليل الايمان .. لم اذنب ، مع ذلك ، بماذا استحققت هذا العقاب ؟ انا آسف ، يا الهي ـ عفوا : استغفر الله .. ولكن ما الفائدة ؟ سابقى كسيحا ! مع ذلك ، استغفر الله . يا الهي ! سنة .. عشر .. اربعون سنة ، يا للفظاعة ! هل سأهرم وأنا مقعد ؟ طيلة هذه السنين سابقى اصلي واستغفر الله ؟ اي وضع ! لن اتحمل ـ ومع ذلك ، استغفر الله .

ولكني اذنبت .. طيلة السنين الاخيرة لم افكر فيه .. ولكني كنت مشغولا عنه .. عائلتي.. الجامعة.. سعاد .. كان يجب أن اصلي احيانا، مع ذلك .. انا المذنب ! استغفر الله .. »

سمعت هدير الفرام وصمت البوق الحاد الصوت . جاء ممرضان وحملاني الى نقالة . ونحن نصعد درج المستشفى اغمضت عيني وقد اعتراني يأس وشعور بالذنب عظيم ، زاد في شدته الألم الذي بدا يخترق عظام رجلي مع كل هزة صغيرة .

شعرت بالنقالة تدار وباننا ندخل الى مكان مظلم . فتحت عيني ورايت الممرضين يحملاني الى طاولة للمعاينة جلدية ملساء ، في غرفة مستطيلة معتمة بعض الشيء . دخلت الغرفة ممرضة ، وتفحصتني بنظرة جامدة برهة ثم خرجت بدون أن تنبس بكلمة . ازداد الالم في ساقي . حامت ذبابة على وجهي ثم حطت على انفي ولسعتني . حينما رفعت يدي لأكشها شعرت بألم الجروح فيها صارخا ، فأكتفيت بأن هززت راسي . طارت الذبابة ، ثم حطت من جديد تحت عيني اليسرى . فاغلقت عيني بسرعة لاجعلها تطير . حين طارت رايتها تحوم قليلا ثم تحط على ذراعي الملوثة بالدم . صوت اقدام . ثم دخل رجل طويل القامة وقد بدا بنظارتيه البيضاوين وشعره الاشيب والتجاعيد على وجهه على جانب عظيم من الهيبة . وقدرت انه الدكتور . وقف بجانبي ثم تفحص يدي . وبعد ذلك جس رجلي فصرخت «آه» ولمحت على وجهه سيماء امتعاض ، ورايته يرفع حاجبيه تحت النظارات ، وحسبت انه يتعجب من الحادث الذي صيرني هكذا . فقلت له مفسرا :

ـ حادثة اصطدام .. الترام . دكتور .

ـ لا تتكلم .

كان صوته خافتا لدرجة انه حينما سكتت شفتاه ، بعد الحركة القصيرة، ارتبت في انه تكلم . وعادت الى ذهني صورة نفسي كسيحا ومقعدا فكدت أجهش بالبكاء .. ربما منظر الطبيب الصارم والألم ، الذي اشتد في ساقي ، ضاعفا تعاستي . ووجدتني اصرخ : « دكتور ! رجلاي .. هل ستقطعهما ؟ » لم يتكلم .. بل انحنى ورفع رجلي اليمين وثناها قليلا . فصرخت (تقطيبة امتعاض) ثم رفع رجلي اليسرى و ثناها (لم اصرخ هذه المرة). بقي صامتا ، فظننت انه نسي سؤالي :

ـ دكتور ! هل ستقطعهما ؟

ـ انت كثير الكلام . من قال لك انهما ستقطعان ؟ الكسور عادية . ستشفى في شهر .. او في شهرين على الاكثر .

لم يخالجني اي شعور بالفرح راسا ، الا أن قلبي اخذ يخفق في صدري بقوة .. ولما استعدت في ذهني نوبة الرعب والورع التي اصابتني منذ قليل ، شعرت بجبيني يزخ بالعرق ، من الخجل ربما ، وربما من الالم الصارخ في ساقي .

حلب **انور قريطي**

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

تقدم لجميع الطلبة

في مختلف الصفوف

جميع انواع الكتب المدرسية العربية والاجنبية



صديق شيبوب

صديق شيبوب

المؤرخ، الناقد، والصحفي الاديب

بقلم نقولا يوسف

طوى الموت فجر ٢٢ من ابريل ١٩٦٥ علما من شيوخ الادب بالاسكندرية، ودعامة في صرح الصحافة العربية، ومجاهدا في ميادين الخدمة الاجتماعية، وثاني الشيبوبين الاخوين الكبيرين، واحد المؤرخين لاحداث هذا العصر واعلامه وثقافاته ـ عرك ايامه، وخبر رجاله، وعاش وقائعه، وصور انطباعاته ـ في مئات المقالات والنقدات، والتراجم والتعليقات ـ ما لم ينقطع مسيله نصف قرن كامل !. (١)

وفي مدى هذا النصف قرن من الزمان ـ منذ ان جاء صديق شيبوب الى الاسكندرية فتى في العشرين، ليتخذها وطنا ومقاما الى نهاية العمر، لم تنقطع صلته بحياتها الثقافية، واندیتها الاجتماعية، واهتماماتها التقدمية ـ كاتبا ومحاضرا، وموجها وعضوا عاملا .. فتبنته الاسكندرية، واكرمت وفادته، ووضعته مع شوامخ ابنائها البررة العاملين .. وكان، وهو العربي الغيور يرى الاسكندرية شطرا من وطنه العربي الكبير، الممتد من الخليج الى المحيط، فشمله بحبه والوفاء له جميعا، واعطاه الكثير الاجل، ولم يأخذ القليل ولا الاقل !.

وفي اللاذقية ـ المدينة العربية العريقة ـ الجاثمة على الشاطىء السوري بين البحر والجبال، والمراعي والادغال، ولد صديق شيبوب في ٢٦ يوليه ١٨٩٤ بعد نحو سنتين من ولادة شقيقه خليل شيبوب (١٨٩٢ ـ ١٩٥١) .. وشب في اسرة طيبة متوسطة الحال، تشمل والدين واخين واختين، يرعاها ابوه ابراهيم شيبوب التاجر المقبل على مطالعة القصص القديم .. (٢)

وادخل في الخامسة من عمره « مدرسة الجمعية الروسية » في اللاذقية ليقضي بها عاما، وليعود اليها في الشباب مدرسا ـ وكانت هذه المدرسة بمثابة فرع ابتدائي لمدرستي « الجمعية الروسية الفلسطينية » التي انشئتا في القرن التاسع عشر ـ احداهما ببيت جالا للبنات، والاخرى بالناصرة للبنين، لتخريج المعلمات والمعلمين، وكانت تعلم العربية والروسية، وفي الاخيرة تعلم عدد من الادباء، اشتهر منهم ميخائيل نعيمه، ونسيب عريضه، وسليم قبعين ...

ثم تابع صديق دراسته الابتدائية والثانوية بمدرسة الاخوة « الفرير » باللاذقية . وبها زامل شقيقه خليل الذي تخرج في يوليه ١٩٠٨، وتبعه صديق عام ١٩١٠ وبها درسا العربية والفرنسية وادبيهما، وفي هذه المدرسة وجد صديق من بعض معلميها من حبب الية الادب العربي وحفظ الاشعار، كان يذكر منهم توما اسطفان من طرابلس.

وفي البيت كان والده ـ لضعف في بصره ـ يطلب من ولديه ان يقرءا له قصة عنترة وامثالها، ما غرس في نفسيهما حب المطالعة .. وفي البلدة انشأ الصحفي ادوار مرقس جريدة سماها : « المنتخب » اخذ الصبي يتمرس فيها على كتابة بواكير مقالاته ومترجماته ..

وما ان بلغ صديق السابعة عشرة حتى نزل الى ميدان العمل، فاشتغل معلما للغة العربية بمدرسة الجمعية الروسية السالفة الذكر، وظل بها ثلاث سنوات (١٩١١ـ ١٩١٤) .

واذا بالحرب العالمية الاولى تشب عام ١٩١٤ فاغلقت تلك المدرسة الروسية، وحاقت المشاكل والاهوال بسورية ـ الولاية العثمانية ـ وتعطلت التجارة والملاحة .. وهاجر الكثيرون .. وكان الاب قد توفي في ربيع ١٩١٣ ولحقت به الام بعد عشرين شهرا .. وبلغ نعيهما خليل الغائب في الاسكندرية فرثاهما في شعره .. وارتحل صديق الى الاسكندرية في خريف ١٩١٤ حيث سبقه اليها اخوه خليل في اكتوبر ١٩٠٨، ولحقت بهما بعد قليل شقيقتاهما الكبرى والصغرى ..

وهناك في المهجر السكندري العربي وجدت الاسرة الصغيرة وسطا عربيا لم تشعر فيه بالغربة . فاللغة والعروبة والشعب ثم البيئة البحرية كانت تماثل ما في بلدتهم .. وكانت افواج المهاجرين تتقاطر منذ اواخر القرن التاسع وبخاصة في عهد السلطان عبد الحميد ...

ونزل الشاب الصديق بموطنه العربي الثاني، حاملا معه مؤثرات البيئة الجبلية، وانطباعات الشواطىء البحرية الى جانب السجايا الاصيلة العربية .. وهنا تلقاه شقيقه

الشاعر خليل شيبوب ، فكان له الاخ والمرشد والصديق ، وما لبث ان تعرف في مر الايام بادباء المدينة وفنانيها . فعرف الكاتب الصحفي عبده بدران (١٨٦٧ ــ ١٩٢٤) وكان قد جاء من قرية وادي شحرور بلبنان ، واستوطن الاسكندرية منذ صباه ، وعمل بجريدة « الاهرام » في عهدها السكندري مع صاحبيها ــ ابني خالته سليم وبشاره تقلا ــ وانشأ بها مع الشيخ نجيب الحداد واخيه امين الحداد صحيفة « لسان العرب » اليومية ، ثم اصدر « الصباح » الاسبوعية (١٩٠٠ ــ ١٩٠٦) ، والتحق منذ عام ١٩١٧ محررا بجريدة « البصير » ، وايد بمقالاته الملتهبة ثورة ١٩١٩ الوطنية ، مطالبا بالحرية والاستقلال .

كذلك عرف الصحفي القصاص طانيوس عبده (١٨٦٩ ــ ١٩٢٦) الذي جاء من بيروت ليصدر صحيفتي « فصل الخطاب » و « الشرق » ، وليحرر في «البصير» و «انيس الجليس» ، وليؤلف ويترجم من الروايات والمسرحيات ما ينيف على العشرين . . والصحفي الاديب جورج طنوس ــ المولود بالاسكندرية ــ (١٨٨٠ ــ ١٩٢٦) والذي حرر في المؤيد والوطن والمنبر والاهرام والبصير . . وانشأ مجلات: القصص، والرقيب والكوثر ، والاقلام . . وشارك في ثورة ١٩١٩ بقلمه وناوأ الاحتلال . . . وايضا خليل زينية (١٨٦٥ ــ ١٩٤٤) الذي جاء من بيروت في مستهل شبابه ليحرر في الاهرام ، وصدى الاهرام . . ويراسل الصحف ، ويكتب في البصير (٣) .

وكان خليل مطران قد استقر بالاسكندرية عام ١٨٩٢ ، وحرر في الاهرام ، ثم انتقل الى القاهرة ، ولم ينقطع عن الكتابة ونظم الشعر حتى وفاته عام ١٩٤٩ ولا عن زيارة الاسكندرية وبخاصة في الصيف ، فيعقد بها جلساته . . ويلازمه الشيبوبان اذا حضر ويراسلانه اذا رحل ، فتأثرا بادبه وسماحته ، وظلا الى نهاية حياتهما يدخران له اطيب الذكريات ، وكتب عنه صديق شيبوب الكثير من المقالات والاشارات ، كان مزمعا ان يجعلها نواة لكتاب عن حياة مطران وادبه . .

وبالاسكندرية تعرف صديق بسليم سركيس (المتوفي ١٩٢٧) ، والياس فياض (١٩٣١) ونقولا فياض (١٩٥٩) وبشر فارس (١٩٦٣) . . وبغيرهم من ادباء الثغر وزائريه العرب والاجانب . . وكثيرا ما كانت مقالاته او احاديثه عنهم تتضمن الطرائف والذكريات الشخصية الى جانب الاشادة باعمالهم الادبية . .

ويسجل فيليب طرازي في كتابه : « تاريخ الصحافة العربية » اسماء الصحف العربية التي صدرت بالاسكندرية فيما بين ١٨٧٣ ــ ١٩٢٩ ، فاذا هي في نحو ١٢٨ جريدة و ٨٠ مجلة ما بين كبيرة وصغيرة ، ومعمرة وقصيرة الاجل . . وقد عاصر صديق الكثير منها ، وعرف جل اصحابها ومحرريها . . وكان في مقدمة تلك الصحف العربية السكندرية ، انتشارا واهمية ، اربع صحف يومية هي : « البصير » (١٨٩٧ ــ ١٩٦٢) ، و « وادي النيل » (١٩٠٨ ــ ١٩٣٦) التي رأس تحريرها محمد الكلزة ، و « الاهالي » (١٩١٠ ــ ١٩٢١) ورأس تحريرها عبد القادر حمزة ، و « الامة » التي اصدرها توفيق طنوس عام ١٩١٥ . . وضمت هذه الصحف رهطا من كتاب الثغر القائمين على تحريرها . . وكانت لهم في مكاتبها وفي خارجها ندوات ومجالس . . واندمج صديق في ذلك الوسط الصحفي تربطه به نزعته الصحفية ، واختص « البصير » بمقال اسبوعي تحت باب : «الحياة الادبية» . . كما كان ينشر كلماته ونقداته في غير البصير من صحف ومجلات ، مشهورة ومغمورة ، كلما سأله اصحابها كتابتها . . وقد تظهر له مقالة باسمة في صحيفة لا يعرفها ، ينشرها صاحبها نقلا عن مقالته في البصير او غيره ، او يعيد المنقود نشر كلمته النقدية في مجلة او صحيفة اوسع انتشارا . . (٤) .

وهناك حيث اعتاد الشعراء الشباب السكندريون عقد مجالسهم في القهوة او في « حديقة الشلال » ملتفين حول استاذهم الكبير الشاعر عبد الرحمن شكري (وكان منهم الشعراء : عثمان حلمي ، وعبد الحميد السنوسي ، ومحمد مفيد الشوباشي ، وعبد اللطيف النشار ، وزكريا جزارين، وحسن فهمي ، وعبد الحكيم الجهني) ، كان يحلو لصديق شيبوب ان يستمع لاشعارهم ، ويبادلهم الراي . . وكان لا ينظم الشعر ، ولكنه ظل طيلة حياته مغرما بالشعر والشعراء من العرب وغيرهم ، يطالع دواوينهم ، ويتذوق جيدها ، وينقدها في الصحف ، ويروي لك اخبار الشعراء وما يحفظه من شعرهم ، ولا يفوته حضور المهرجانات الشعرية التي كانت ولم تزل تعقد بالاسكندرية ، وكثيرا ما شارك فيها بالقاء محاضرة نثرية ، كما فعل في مهرجان الشعر العربي الرابع حين القى كلمة عن شقيقه خليل شيبوب ، أو في الحفلات التذكارية لعبد الرحمن شكري ، وعثمان حلمي وغيرهما ، رحمهم الله . .

وتوظف صديق شيبوب في مطلع شبابه عام ١٩١٦ بالمحكمة المختلطة ، ليكسب عيشه ، وساعده على ذلك اتقانه العربية والفرنسية ، والمامه ببعض الانجليزية ، وبقي في هذه الوظيفة حتى ١٩٤٩ حين انتقل الى المحاكم الاهلية . . ولكنه ما لبث ان استقال من هذه الوظائف في فبراير ١٩٥٠ وتفرغ للكتابة والصحافة ، واتخذهما عمله الاساسي حتى يوم وفاته . . واختارته جريدة « البصير » محررا رئيسيا بها ، وكان صديقه شارل شميل مديرا لها . . فبدا في

---

(١) جريدة « المساء » بالقاهرة في ١٣ مايو ١٩٦٥ ــ « صديق شيبوب » ــ كلمة وداع ــ لنقولا يوسف . (٢) مجلة «الاديب» ــ ابريل ١٩٦١ : « خليل شيبوب » لنقولا يوسف . (٣) الكتاب الذهبي في يوبيل « البصير » ١٨٩٧ ــ ١٩٤٧ مطبعة البصير بالاسكندرية . (٤) انظر مقالة لمحمد رجب البيومي ــ « الاديب » يناير ١٩٦٥ عن « صديق شيبوب » . (٥) محمود تيمور ــ مجلة « القصة » بالقاهرة عدد مايو ١٩٦٥ ص ٣٢ .

ذلك العام يتعيش من قلمه وحده ، كما اصبح عضوا بنقابة الصحفيين .. ولم يكن غريبا على هذه الجريدة حيث كان ينشر بها منذ ١٩٢٨ مقالته الادبية كل اسبوع تحت عنوان « الحياة الادبية » .. وظل يحرر هذا الباب حتى اوقف اصحاب « البصير » جريدتهم في اول ابريل ١٩٦٢ — وحينما صدر « البصير » فترة قصيرة عن مطبعة اخرى وادارة جديدة ، كان صديق يراس تحريره ، حتى احتجب نهائيا .. وفي خلال تلك المدة — في حوالي ثلاثين عاما — نشر صديق في البصير بضع مئات من المقالات الادبية ، والنقدية ، والتاريخية ، والتعريف بالمؤلفات والمترجمات ، ودواوين الشعر .. وكتب عن الشعر والكتاب ، العرب والاجانب ، محدثيهم وقدمائهم .. وعلق على الندوات والمحاضرات والمهرجانات .. وبحث في الادب في عهد الثورة ، وفي الادب بالاسكندرية ..

وعندما احتجب «البصير» ، راس صديق تحرير جريدة « الاتحاد المصري » السكندري ، حتى اليوم الاخير من حياته ، ونقل اليها « بابه الادبي » الاسبوعي ..

وكان مكتبه في هاتين الصحيفتين ، موردا عذبا كثير الزحام ، يرده الادباء المقيمون والزائرون ، منهم من جاء للتعارف والحديث ، او للاسترشاد وتبادل الراي .. ومنهم من حمل اليه مقالة او قصة او قصيدة لينشرها له في الجريدة .. او ليهدي اليه مؤلفا جديدا يكتب عنه .. فيقرأ كل ما يقدم له في عناية ، وينشر عن انتاج الادباء تشجيعا للاقلام وبخاصة الناشئة منها .. ويكتب النقد والتوجيه في سماحة ورفق ، ولا يخلو بحثه النقدي من راي خاص او توجيه رقيق ، او تحليل دقيق ..

ولم تكن كتاباته مقصورة على صحف الاسكندرية ومجلاتها ، فكثيرا ما تنقل قلمه خلال الاعوام الخمسين ، بين الكثير من صحف القاهرة والاقطار الشقيقة — كالمقتطف ، والكتاب ، والرسالة ، والثقافة ، ومجلتي بالقاهرة ، ومجلة « الاديب » البيروتية ، و « الحديث » الحلبية .. وغيرها من مجلات قديمة وحديثة ، احتجب بعضها من سنين ..

وكان من السهل ان تجمع هذه المقالات المنوعة المشتتة ، في شكل كتب نقدية وتاريخية ، يتضمن كل منها موضوعا مستقلا ، ينتفع به القارىء في يسر .. وكان صديق قد اصدر مؤلفاته الخمسة المطبوعة ، عن بعض مقالاته بعد ان عدل فيها واضاف اليها .. غير ان عمله الصحفي اليومي لم يدع له فرصة التفرغ لهذا العمل ، ثم لم يفسح الاجل لانجازه ، فترك آثاره جميعا — ما بين مخطوط ومنشور في الصحف — وديعة لدى من شاء من الناشرين .. (ولا ننسى ان الكثير من مقالاته كان يوقعها بحرفي ص.ش) .

اما مؤلفاته المنشورة هذه فهي :

— « جوته » — كتاب موجز عن حياة الشاعر الالماني الكبير ومؤلفاته — ظهر في « سلسلة اقرأ » بالقاهرة في اكتوبر ١٩٤٥ .

— « معارك الاسكندرية » ظهر عام ١٩٦٢ وهو بحث تاريخي يستعرض المواقع الحربية والغزوات التي تعرضت لها الاسكندرية منذ القديم ، والاشادة بكفاح اهلها وانتصاراتهم في تلك المعارك الاستعمارية ..

— « معركة السويس » نشر عام ١٩٦٢ بالاسكندرية تحدث فيه — في سياق تاريخي — عن العدوان الثلاثي على بور سعيد ، وعن هزيمته امام وحدة الشعب وقوة الحق.

— « القومية العربية » ١٩٦٣ كتاب تاريخي يبحث في اصول هذه القومية ومقوماتها وقوتها ، ويعد مرجعا موجزا رائعا في بابه ..

— « شخصيات عربية » ١٩٦٤ ويشمل عددا من المقالات عن خمسة من ادباء العرب : الجاحظ ، ورفاعه الطهطاوي ، وتوفيق البكري ، وجرجي زيدان ، واحمد امين .

واما المؤلفات التي كان يعمل على انجازها ، ونشر اكثر فصولها في « البصير » وغيره من الصحف ، ولم يقدمها للطبع فمنها :

— مجموعة من الاقاصيص الهادفة — نشر بعضها في البصير فيما بين ١٩٢٠ — ١٩٢٢ وبعضها في السنين الاخيرة ، وكلها مؤلفة ، الى جانب عدد اخر من الاقاصيص المترجمة عن الفرنسية ، او من ملخصات القصص العالمي مثل « التلميذ » لبول بورجيه ، وتريستان وايزو .

— كتاب عن الشاعر السكندري « ابن قلاقس » الذي عاش في القرن الثاني عشر للميلاد .. وكان خليل مطران قد نشر ديوانه او معظمه منذ اربعين عاما ..

— ابحاث عن الشعراء : احمد شوقي ، وحافظ ابراهيم ، ومطران ، وابو شادي . وعن الجاحظ ، ومي زيادة ، وجان ارقش ، والمتنبي ، وبلزاك ، وكيركجارد ...

— « سكندريات » ويشمل مقالات منوعة ومحاضرات عامة عن تاريخ الصحافة بالاسكندرية ، وجمهورية اندلسية بالاسكندرية ، والاسكندرية في الف ليلة وليلة ، والادب في الاسكندرية ، ومكتبتها الشهيرة ، ومنارتها ... الخ.

— محاضرات عن : « جبال العلويين » و «الادب الخالد» و « الادب كمهنة » و « الادب في عهد الثورة » ..

— تراجم موجزة عن الكثير من ادباء الشرق والغرب واعمالهم الادبية ..

— نقدات لعشرات من الكتب ودواوين الشعر في هذا العصر ، وتعليق على قصة « اوندين » لجيرودو .. وترجمة كتاب « الكلمات » لسارتر الذي ترجم نصفه ومات قبل ان يتمه .

واسلوب صديق شيبوب في كتاباته الادبية ، وتعليقاته الصحفية ، سهل سلس ، خال من التعقيد والتنميق ، والتكلف والابهام .. وهو دائما واضح ناصع ، تحمل كلماته المعاني الواقية ، والتخفيقات الصحيحة ، والاراء الصريحة — اسلوب معلم واسع الثقافة والاطلاع — يخاطب قراءه والمستمعين اليه ، مبتغيا الافادة والارشاد .. وقد يتعجل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

احيانا انجاز مقالة صحفية في طريقها الى المطبعة فلا تعوزها الدقة والسلاسة ..

وقديما قالوا : الاسلوب هو الانسان ، اي ان اسلوب الكاتب صورة لنفسه ، وكان صديق ، كما عرفه اصدقاؤه جميعا ، رجلا نبيلا كريما ، لم يحد قط عن النزاهة والسماحة ، والصدق والصراحة .. ولسنا نعرف له عدوا واحدا حتى بين الكتاب المتنافسين والمتحاسدين ، وكان منهم من يلجأ اليه للمشورة والنصح . كان صديقا للجميع مترفعا عن الصغائر والدنايا .. وعاش عزبا لم يتزوج ، يسبغ ابوته على تلاميذه ومريديه ، واهله ومواطنيه .. وكان محدود الرزق وعضوا في الجمعيات الخيرية .. ومحدود الفراغ وعضوا في الجماعات الادبية ، ومحتاجا للاعتكاف ومدعوا الى مختلف الندوات والحفلات !..

.. يرثيه صديقه محمود تيمور في قوله : « .. كانت الاسكندرية مقامه ، فيها لمع اسمه ، وبرزت شخصيته ، فلم تكن تخلو منه ندوة من ندواتها جليسا انيسا ، او محاضرا بارعا ، او مشاركا في مسعى من المساعي التي تستهدف خدمة الثقافة والمجتمع ... لم يكن ادبه وليد عاطفة جياشة وقريحة وقادة فحسب ، ولكنه كان مع هذه وتلك يستمد اصالته وقوته من ثقافة عالية واسعةالاطراف والمام شامل بما يجد من تيارات فكرية شتى ... وربما رايته في نقده مؤيدا او معارضا ، بيد انه لا يحتد في معارضة ولا يشتد في تأييد . طابعه الاعتدال ، ورائده الصراحة ، وقوام النقد عنده عفة القلم ... » (٥)

واذا قال الكثيرون ان صديق شيبوب « كاتب كبير » ، فان القليل منهم من يحرص على القول بانه : « قارىء كبير » .. ولقلما يكون الكاتب معلما نافعا ذا اثر قبل ان يكون كثير القراءة واسع الاطلاع .. وقد نشأ صديق اديبا يستهويه الادب والمطالعة منذ صباه الباكر في اللاذقية .. ومنذ ان جاء الى الاسكندرية وهو يتابع تثقيفه الذاتي الذي بداه في صباه .. وكان يعلم انه لا يستطيع ان يثقف غيره بالكتابة والمحاضرة والاحاديث ، حتى يثقف نفسه ويزيدها معرفة .. فلم ينقطع طيلة حياته عن قراءة كل ما يقع له من كتب عربية وفرنسية ــ الى جانب مجلات الشرق والغرب .. فاطلع على بضعة آلوف من تلك الكتب ، وما كان يترجم الى هاتين اللغتين من آداب الشعوب وتراث الامم ، وأعانه اتقانه اللغة الفرنسية على استيعاب روائع الادب العالمي فقرأ في التاريخ والتراجم ، وقرأ القصص العالمي ، وطوف بين دواوين الشعر ينهل منها ويحفظ وينقد .. وعب من كتب العلوم ، والفلسفة والدين واللغة والسياسة .. ولم يقنع بمطالعاته الخاصة في بيته فكان المواظب على المحاضرات العامة ، والمهرجانات الثقافية ، وحفلات الذكرى في مختلف الاندية والمعاهد ، مستمعا او مشاركا في الحديث .. فاذا اوى الى فراشه في هدأة الليل ، فالكتاب في يمينه يتحدث اليه صامتا ، أو جهاز الراديو بجواره يسمعه مسرحية أو حديثا او خبرا حتى يسلمه هذا وذاك الى احلام النوم .. واسلمه الكتاب في ليلته الاخيرة الى عالم الخلود ، ولما جاءوا ليوقظوه في الصباح الباكر ، لم يجدوا امامهم غير جثمان مسجى فارقه الروح الى ربه في سلام ...

ولم يدفعه الى هذا الاقبال على المطالعة والبحث والدرس غير الشغف الغريزي الذي شب معه ، بالتزود بالمعرفة والتثقيف الذاتي .. وقديما قالوا : « فهومان لا يشبعان ، طالب علم وطالب مال » .. وطلب صديق العلم وحده ، ولم يطلب المال ، ولم يعبأ به ولم يجمع منه شيئا .. وكأنما راى ان الغاية من الحياة هي التعلم والتثقف والتطور .. ومن هذا الرصيد الثقافي الضخم ، كان يجري قلمه ويتدفق كالنهر ..

ولا ينسى المتحدثون عن صديق شيبوب تلك الجماعة الادبية التي عاشت بالاسكندرية نحو ثلاثين عاما ، وكان من روادها ومؤسسيها ورؤسائها اعني « جماعة نشر الثقافة » .. فقد اجتمع عام ١٩٣٢ لفيف من ادباء الاسكندرية واكثرهم من الموظفين من تجمع بينهم رابطة القلم ، ورأوا ان يكونوا منهم هيئة تجمع شملهم ، وتنشر نتاجهم ، وتخدم الحركة الثقافية والادب العربي في المدينة .. وكانت الهيئات الادبية العربية يومذاك قلة بجانب الهيئات والاندية والجماعات التي انشأتها هناك الجاليات الاجنبية على مختلف أجناسها ولغاتها اذ كان لكل جالية صحفها ومجلاتها ، وجماعاتها ومنتدياتها ..

ووضعت « جماعة نشر الثقافة » لها قانونا ، واتخذت « نادي الاتحاد العربي بالاسكندرية » مقرا .. كما كانت تجتمع كثيرا في القهوات المطلة على « المينا ءالشرقي » وبخاصة « قهوة كريستال » ، وفي « نادي الموظفين » ، للسمر والمناقشة ، واستقبال الادباء القادمين من الاقاليم .. وانتخبت الجماعة الشاعر خليل شيبوب اول رئيس لها ، فظل يراسها ثلاث سنوات ثم ترك منصبه لغيره وبقي عضوا عاملا بها حتى نهاية حياته (عام ١٩٥١) .. وتتالى على رئاستها كل من الادباء السكندريين : اللواء عبد المنصف محمود ، واحمد الطاهر ، والمرحومين الشاعر عثمان حلمي وصديق شيبوب الذي ظل رئيسا لهذه الجماعة حتى وفاته ، وكان عضوا بها منذ انشائها ..

ولم يفتر نشاط هذه الرابطة خلال تلك الاعوام الثلاثين ونيف ، الا في سني الحرب العالمية الثانية وخلال ضرب الاسكندرية بقنابل الطائرات ، وما تبع ذلك من هجرة الكثيرين من اهلها الى المدن الداخلية .. فكان معظم نشاطها في الثلاثينيات ، واقامت مهرجانات ادبية لابن خلدون ، والبارودي ، وشوقي ، وحافظ ابراهيم ، وفي سنواتها الاخيرة لخليل شيبوب ، وعبد الرحمن شكري ، وعثمان حلمي .. وأخيرا لصديق شيبوب .. وانشأت مدرسة شعبية تطوع اعضاؤها الى القاء الدروس بها ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سهير

الى ابنتي البعيدة عني في الكويت

•

فتق الورد لذكراك جيوبه !
وهفا القلب لدنياك العجيبه
اين انت الآن يا عصفورة زانت جناني
أباحضان الحنان
ام على الاعشاب تغفين ـ واحلام الاماني
ام بذاك الرمل ترتاح خطاك
ام على الامواج تنداح رؤاك ؟

ها انا امضي بذكراك الجميله
للظلال الخضر ... في تلك الخميله
لضياء القمر السحري ... لليل الجميل
لغدير تنمرى فيه قامات النخيل
ولصياد شجي الصوت في ماء الخليج
يحمل الآمال والخيرات للشط البهيج
فمتى يمطني الشوق الى ارض الكويت
وارى اهلي وفردوس اليمام الحلو بيتي !

نيودلهي — يعقوب الرشيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان خليل شيبوب يدرس بها الادبين العربي والفرنسي ، وصديق شيبوب يعلم تاريخ العرب .. كما كان الشاعر عبد اللطيف النشار ، والمؤرخ يوسف فهمي الجزائري وغيرهما يدرسون بعض المواد الادبية والعلوم الاجتماعية والرياضية ..

والحق ان اسهام صديق شيبوب فى نشاط هذه الجماعة خلال هذه السنوات الطوال ، بالمحاضرة ، والتعليم ، والاشراف ثم بالرئاسة ، كان ملحوظا وكان تطوعا بلا اجر .. كما ان مشاركته فى نشاط اندية الشبيبة ، ونقابة الصحفيين ، وبعض الجمعيات الخيرية ، واخيرا في « الهيئة المحلية لرعاية الفنون والاداب بالاسكندرية » كانت جميعا موضع التقدير والاعجاب ..

ومن آراء صديق شيبوب قوله :

« الاديب بالرغم من فرديته فيما يتعلق بالاحساس بالجمال والتعبير عنه ، لا يعيش فى انطواء على نفسه ، ولا ينصرف الى البحث عن ذاتيته ومؤثراته ، بل انه احد افراد امة لها بيئتها وتقاليدها ، ولها مشاكلها التي تعالجها، ولها آلام ترجو الخلاص منها ، وآمال في مستقبل زاهر . وهو يشارك امته فى جميع هذا ـ يتأثر بما تتأثر به من اسباب الخير والشر ، والعزة والمذلة ، والسعادة والشقاء .. وهكذا نجد ان الاديب مواطن ، وهو كأي مواطن له واجبات نحو امته ، وله عليها حقوق » .

واخيرا سكت هذا القلم الذي عمل فى حقل الثقافة والارشاد نيفا وخمسين سنة .. ورحل صديق شيبوب الى دار البقاء عقب سكتة قلبية مفاجئة وهو مستغرق فى النوم ، ومن حوله الاوراق والاقلام ، ونحو عشرة كتب جديدة ارسلها اليه اصدقاؤه الكتاب والشعراء ، ليكتب عنها رأيه فى الصحف والمجلات ، وظهرت يوم جنازته مقالتان له عن كتابين من تلك الكتب ..

وبات تاريخ صديق شيبوب الادبي ، ومن قبل تاريخ شقيقه خليل شيبوب القلمي ، جزءا من تاريخ الحركة الثقافية العربية بالاسكندرية فى هذا الجيل .

الاسكندرية — نقولا يوسف

النساء خطيبات بالفطرة

ترجمها عن الانجليزية **مبارك ابراهيم**

* * *

قال القدماء : ان الفيلسوف سقراط ٤٧٠ ــ ٣٩٩ ق. م. قد تدرب على الخطابة على يد امرأة يقال انها (اسباشيا) او (اسبازيا) ٤٧٠ ــ ٤١٠ ق. م. وهي سيدة اغريقية مغامرة . ولدت ــ على وجه الاحتمال لا التحقيق ــ في مدينة ميليتيوس واشتهرت بجمالها وذكائها وثقافتها الواسعة . وظفرت بحب (بركليس) ٤٩٩ ــ ٤٢٩ ق. م. وقد تزوجها بعد تطليقه لزوجته الاولى .. وكان لاسبازيا الاثر اعظم الاثر في كثير من الشئون العامة . وقد ولدت له ولدا واحدا اسمته (بركليس) على اسم ابيه ..

فان صحت هذه الرواية كان للمرأة في كل زمان ومكان ان تزهى وتفخر وان تختال وتتكبر وان تصعر خدها للناس وان تمشي في الارض مرحا . وان تملأ ماضغيها بقولها : يكفيني فخرا ان سقراط وهو من هو بعد صوت وجلالة قدر كان تلميذا لواحدة من اسلاف المرأة وجداتها ..

ولقد طالما نظرت الى فن الخطابة بوصفه فنا اختصت به المرأة واختص بها .. ولقد طالما تساءلت : لم لا تكون كراسي الاستاذية في هذا الفن على (الاستاذات) لا الاساتذة ؟

ولقد قيل عن بعض الرجال على سبيل المدح انهم يستطيعون التحدث ساعات وساعات في اي موضوع من الموضوعات .. ولكن الحق يقتضينا ان نعترف بان هذا الشرف هو وقف على السيدات وحدهن . ذلك لان كثيرات من بينهن يستطعن التحدث ساعات وساعات عن لا شيء !

ولقد عرفت امرأة كانت تفرع الحديث وتشعبه في موضوع يدور حول حواشي ثوبها واهدابه .. وكانت احيانا تبالغ في لوم خادمتها وتملأ الدنيا دويا اذا كسرت فنجانا من الخزف . وكنت تسمع منها في هذه المواضيع التافهة صنوفا والوانا من التعبيرات البالغة الدقة . والتي يسميها الفرنسيون (كلمات الخصوص Les mots techniques ومن كان يشك في هذا القول فليذهب الى سوق من الاسواق ليشهد العجب العاجب من الوان الجدل الذي يدور بين النساء .

واول صنف اذكره من صنوف النساء الخطيبات هن اولئك اللائي يستخدمن لاثارة اهواء النفوس واشجانها . وهو ضرب من ضروب البلاغة برعت فيه البراعة كلها امرأة سقراط . بل لقد كانت هي في هذه الناحية ابرع واقدر من استاذته الاولى التي اسلفنا القول عنها ..

واما الصنف الثاني فهن اولئك اللائي اختصصن بالتشهير والتعنيف . والنساء من هذا الصنف قد أوتين القدرة على تلفيق الاحاديث وقص اخبارها في سهولة وسلاسة وانسجام . فتراهن تارة يجعلن من الحبة قبة . وتراهن حينا يجعلن من القبة حبة .. وهن حكاءات بارعات يلعبن بالالفاظ والعبارات كما شئن وشاء لهن الهوى .. وهن يقصصن عليك القصة الواحدة في صور عديدة فيجعلنها تارة مأساة . ومرة ملهاة . وطورا بين بين ..

ولقد عرفت سيدة ممن تقدمت بهن السن جعلت من قصة زواج غير موفق موضوع احاديثها طوال شهر كامل . فكنت تراها تلوم الزوجة يوما . وترثي لحالها يوما آخر . وتسخر منها في اليوم الثالث . وتعجب لامرها في اليوم الرابع وتبدي لها من امارات السخط والحنق صنوفا والوانا في اليوم الخامس واخيرا وبعد ان قتلت الموضوع بحثا ودرسا من ناحية هذا الجانب جانب الزوجة راحت تزور الزوجين الحديثي عهد بالزواج ثم اخذت تثني على الزوجة على اختيارها الذي كان رائده العقل ثم اخذت تحدثها حديث الفواشي التي غشى بها بعض الناس ممن خبثت نياتهم والقوا بها ظلالا من القتامة حُولها وتمنت لو انهم كانوا اكثر معرفة بها وعلما ..

ومن ثم يتبين أن القدح والمدح اللذين يجيئان على ألسنة هذا الصنف من النساء انما يراد بهما ان يكونا عونا على تزجية الوقت ..

وهناك صنف ثالث من خطيبات النساء يمكن ان يندرج تحت باب خطيبات (القيل والقال) وبطلاته من النساء صاحبات الفضول اللائي لا يملِلن الدوران في بيوت جاراتهن فترى الواحدة منهن تباهي بفصاحة منطقها في وصف حفلات الافراح . وترى اخرى تبدع في وصف تسريحات الشعر . وتفاخر ثالثة بانها تعرف كل طبق من الاطباق التي تطهى في بيوت الجارات والصديقات .. ثم تظل الرابعة ساعات الاصيل باكملها وهي تمتع صويحباتها بالحديث عن طفلها الصغير وعن امارات ذكائه والمعيته وذلك قبل ان يكون هذا الطفل قادرا على النطق بالحروف ...

وهناك صنف رابع من النساء يمكن ان يسمى بالنساء ذوات الجراة والدلال . والواحدة منهن لكي تتيح لنفسها ميدانا للحديث منفسح الرقعة تراها تكره وتحب .. وتراها تجافي وتصافي في وقت واحد .. وتراها تخترع المعارك اختراعا . وتراها توهم سامعيها ان عليها التزامات وحقوقا لكل رجل من معارفها . ثم نراها تتظاهر بالحزن وقلبها يضحك . وتراها تضحك وقلبها عابس ..

وهي تأتي بهذه الحركات التمثيلية وكأنها لم تزد على ان حركت احدى يديها او اشارت بطرف العين . او عبثت بمروحتها ..

وبعد فلقد طالما تحسرت في استكناه ذلك السر . سر الموهبة التي اوتيتها المرأة في اتقانها فن الحديث اتقانا لم يبلغه رجل من الرجال فخطر ببالي حينا ان ذلك راجع الى ان النساء لم يؤتين القدرة على الكتمان كما اوتي الرجال ..

قلب

●

قلبي يسيح والدنى ترسي ... في شاطىء النيران والبؤس
مراوح الاهواء أشرعة ... جنة بها مركبة الحس
يا صدر يا كهف اللهيب ، على ... رمالك السوداء ما ينسي
حرائق الرومان في كبدي ، ... في محجري خمرة الفرس
والسائح المجنون تجذفه ... الاحلام ، فالاهداب من جبس
كانه محارة علقت ... ما بين غاب الطين والنفس
زرعت في لؤلئها فصحت ... مجامر الالوان في الطرس
بخفقة ، عصف البحار اذا ... طاب لظى ، ورعشة الهمس
جبلته بالشوق ـ مترعة ... اعراقه ـ قيثارة الانس

* * *

لي من جروحي الف خابية ... مرصودة لليل ... للشمس
الوحي فيها روحها مزجت ... بطيب آمالي مع اليأس
تحرني ، للسكب ، قافية ، ... لي ، في صداها ، حطمة الكأس
أنشى كما الخيلان في جزر ... مسحورة برقية العرس
يا نجمة حطت بصدر دنى ... يغوي بها غد رؤى الامس
قلبي يدور والوجود له ... سارية تغدو ولا تمسي
والبدء موصول برحلته ... مع الرياح فهو لا يرسي

موسى المعلوف

وقد يرجع ذلك الى نقص او وهن في القوة الحافظةعندهن وهن لذلك يرين لزاما عليهن انينطقن بكل ما يمربخواطرهن فاكتسبن هذه القدرة بحكم الدربة والمران .. ولقد وعدني صديق لي من ابرع العالمين بالتشريح ان يشرح لسان امراة وان يفتش في زواياه ليعرف ان كان يدخل في تركيبه عصير معين يكسبه الذلاقة والانطلاق . وليعرف ايضا ان كانت الانسجة التي يتكون منها ذلك اللسان قد دخل في تركيبها خيوط اكثر دقة واكثر مرونة او كانت فيه بعض عضلات نادرة تجعله يعلو ويسفل . ويصعد ويهبط في اهتزازات سريعة وذبذبات مفاجئة .. او ان في ذلك اللسان وهو اداة الثرثرة وجهازها بعض القنوات التي لم يكشف العلم عنها الغطاء بعد ، وهي تجري اليه من الراس او القلب . وان هذه القنوات تجلب اليه فيضا منعصارات المخ ...

وبعد فاي الاسباب التي اسلفنا القول فيها هو اقربها احتمالا ؟

واني لارى في ذلك صحة ما قاله ذلك الرجل الارلندي وذلك بعد ان قضى بضع ساعات في حديث مع واحدة من خطيبات النساء وذلك انه قال لها : انه يؤمن الايمان كله بان لسانها يغمره فيض من السرور عند ما يغلبها النعاس. ذلك لان ذلك اللسان المسكين لا يجد لحظة يهدأ فيها ويستريح وهي يقظى ...!

وبعد فان مترجم هذا البحث لسوف يلقى اللهوهو مؤمن الايمان كله بعظم قدر المراة ونبل رسالتها وسمو مكانتها.. وكيف لا ومن النساء : امي .. وزوجي .. وابنتاي .. وخالتي ...

القاهرة

مبارك ابراهيم

المرح والهزل في قصر العدل في فرنسا

الشهود والدعابة المتهمون والدعابة

بقلم جان ـ بول لاكروى ترجمة سمير شيخاني

* * *

الشهود والدعابة

في محكمة الجنايات ، كما في المسرح ، ليس ثمة أدوار سيئة ، بل هناك ممثلون سيئون . وكثيرا ما يتفق أن يتغلب الشاهد ـ وهو ممثل كذلك ـ على المتهم ، ورئيس المحكمة والمحامي ...

كان الكسندر دوماس الابن يدلي بشهادته أمام محكمة الجنايات في مدينة روان ، فسأله القاضي دو تورفيل :

ـ ما هي مهنتك ؟

ـ مؤلف مسرحي ، اذا جاز لي استعمال هذا التعبير في موطن كورناي .

فكان جواب رئيس المحكمة مقاطعا اياه بجفاف :

ـ لا بأس ، فهناك درجات مختلفة في كل المهن !

ولم يكن الرد لطيفا البتة !

ووقفت بعده مباشرة للادلاء بالشهادة ممثلة حسناء ، عزمت على الانتقام لمؤلفها المفضل . فلما سألها القاضي عن مهنتها ، اجابته :

ـ فتاة ، اذا جاز لي استعمال هذا التعبير في المدينة التي يحرقون فيها الفتيات (اشارة الى أحراق جان ـ دارك في مدينة روان) .

كان باسكال غروسيه من شهود اثبات الجرم في دعوى الامير بيير بونابرت الذي قتل برصاصة من مسدسه الصحفي فكتور نوار ، في آذار من سنة ١٨٧٠ . فسأله القاضي السؤال التقليدي :

ـ هل تربط بينك وبين المتهم صلة رحم أو قربى ؟

فكان جوابه : لست ادري ، يا سيدي الرئيس ، فالاميرة ليتيسيا كان لها عشاق كثيرون !

وصلت « غري ديغو » راقصة الفرنش كانكان الشهيرة في ملهى « الطاحونة الحمراء » الى مقعد الشهود في محكمة جنايات السين ، وهي تتراقص وتتمايل لكأنها على خشبة المسرح . فتوجه اليها القاضي ماريلج بقوله :

ـ اهداي ، ايتها الانسة ، فههنا لا ترتفع الساق ، بل الذراع ... قولي : « اقسم على ذلك ! »

وهذه نادرة أقرب الينا من الناحية الزمنية ... ففي سنة ١٩٥٢ جرت المحاكمة الاولى في قضية ماري بينار في مدينة بواتييه . وكان بين الشهود امرؤ يدعى « ديو » مهنته بيع لوازم دفن الموتى واقامة الاضرحة . وجوابا على سؤال القاضي . « هل تعرف المتهمة ؟ » أجاب : « آه ، اجل ، فقد كانت من خيرة زبائني ! »

وفي السنة نفسها جرت وقائع محاكمة ديهاي ، « السجين البريء » . فقد طلب محامو الدفاع عنه أن تدلي زوجته بشهادتها . وقال احدهم لهيئة المحكمة :

ـ ان هذه المرأة ستوضح لكم ما قاسته خلال توقيف زوجها وقد حرمت من كل مورد رزق ، فاضطرت الى رهن منزلها ... اليس كذلك ، يا سيدتي ؟

ـ كان ينبغي أن افعل ذلك ، يا سيدي الاستاذ ، لتسديد أجور المحامين !..

وسنة ١٩٦٠ جرت محاكمة بعض الاشقياء الذين سلبوا بقوة السلاح ، تاجرا في شارع سانتييه بباريس . ومثل الضحية امام القاضي ، الذي قال له :

ـ ولكن عندما قيدك الاشقياء واوثقوك بربطات العنق التي سرقوها من مخزنك ، الم تقل لهم شيئا ؟

فأجابه التاجر الضحية :

ـ بلى ، يا سيدي الرئيس ، قلت لهم : « لا تفعلوا ذلك بهذه الربطات ، فهي من الحرير ... استعملوا تلك الربطات القطنية ! »

ومن اظرف الردود التي صدرت عن شهود ـ ضحايا ما قاله احدهم للقاضي عندما استغرب هذا عدم اتيانه بأي حركة اذ ابصر لصا في غرفته ، وسط الليل :

ـ سيدي الرئيس لقد دهشت حقا ، وتساءلت كيف تسنى له ان يفتح الباب دون ان يوقظ زوجتي !

في كل قضية يستدعى الخبراء على انهم الشهود الرئيسيون . وهناك خبراء في شؤون التسمم .. ومنهم الخبير الشهير اورفيلا الذي كان هدفا لسخرية لاذعة في قضية مدام لافارج الملقبة بأنها اشهر من دس السم في الدسم في القرن التاسع عشر (١٨٤٠) .

فقد لجأ الدفاع الى خبير آخر لهدم كل نظرياته ، يدعى راسباي (وقد اطلق اسمه فيما بعد على احد بولفارات باريس) . وقد تمكن من منافسه الرسمي اذ قال :

ـ يدعي السيد اورفيلا انه وجد زرنيخا في جسم الضحية . طبعا ، فهناك زرنيخ في كل مكان . حتى في كرسيك ، يا سيدي الرئيس . واذا وافق السيد اورفيلا على التعرض للسلق ، فانني واجد حتما كمية من الزرنيخ في احشائه .

المتهمون والدعابة

لا يحتكر القضاة ، ولا المحامون ، ولا حتى الشهود حق التنكيت في قاعات المحكمة . فهناك بعض المتهمين ينافسونهم منافسة شديدة حقا . فهم يتمتعون بالذكاء ، وخفة الروح ، والشجاعة ـ لكي لا نقول بروح المغامرة الخطرة ـ لانهم ، عادة ، يدفعون غاليا ثمن نكاتهم هذه وقت اصدار الحكم (الحديث طبعا يصدق في الواقع في القضايا الجنائية التي تكلفهم اما المقصلة ، أو السجن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المؤبد ... أما في القضايا الاخرى ففي الوسع التنكيت لقاء ثمن معقول نوعا !..) وهذه نكات ملتقطة من القضايا الجنائية ...

عندما كانت المحكمة تنظر في قضية جورج كادودال الذي اتهم سنة ١٨٠٤ بالتآمر على نابوليون ، قال رئيس المحكمة انه اثناء القبض عليه قتل شرطيا هو رب اسرة . فما كان من المتهم الا ان قال :

ـ في المستقبل أجعلوا شرطيا اعذب يتولى امر القبض علي .

قال الجنرال ماليه زعيم مؤامرة اخرى ضد امبراطور الفرنسيين (سنة ١٨١٢) للقاضي الذي سأله عن شركائه في الجريمة :

ـ فرنسا بأسرها . وانت ، يا سيدي الرئيس ، فيما لو نجحت مؤامرتي !

غداة ثورة ١٨٣٠ كان بين الزعماء الثوار الكيميائي راسباي الذي مثل امام محكمة جنايات السين . فأمره الرئيس بالوقوف قائلا : انهض ، يا راسباي !

فلم يتحرك المتهم ، فكرر القاضي قوله : راسباي ، طلبت اليك ان تنهض !

فقال راسباي : سيدي الرئيس ما اعتقدت انك تخاطبني . فعادة يخاطبونني بعبارة « يا سيد راسباي » ، فنحن الاثنين ، على ما اعلم لم نسجن لويس ـ فيليب !

فتردد القاضي لحظة ثم قال :

ـ المحكمة لم تسمع عبارتك الاخيرة انهض ، يا سيد راسباي .

(ان اسم هذا القاضي ليستحق ان يعرفه الخلف . فهو الرئيس سانجياكومي) .

سنة ١٨٨٥ جرت محاكمة السفاح برادو ... وكان المحامي قد انهى دفاعه عنه وكان دفاعا هزيلا . فلما سأل رئيس المحكمة المتهم السؤال التقليدي :

ـ هل لديك شيء آخر تضيفه الى دفاعك ؟

اجاب برادو بكل برودة : اجل ، يا سيدي الرئيس ، ينبغي لي ان اقوم بالدفاع عن نفسي من جديد !

سنة ١٩١٣ ، وفي محكمة جنايات السين ، قال الرئيس لمزور النقد لويس كوزان :

ـ بوسعك ان تنكر التهمة ما طاب لك ، فلن يغير ذلك في الحكم عليك بالسجن مع الاشغال الشاقة . فقال المتهم: ان ذلك ليزعجني قليلا ، يا سيدي القاضي ، فانا لا اعرف أحدا هناك .

تشرين الثاني سنة ١٩٢١ ... محاكمة السفاح لندرو (ذو اللحية الزرقاء) في فرساي . خلال المرافعات لم يتوقف المدعي العام عن القول متوجها للمتهم : « سأطالب برأسك ! » وفي النهاية ابتسم لندرو مرددا :

ـ انك تحدثني دائما عن رأسي ، يا سيدي المدعي العام ولكني آسف حقا الا يكون عندي الا رأس واحدة لأقدمها اليك .

وجرت في هذه المحاكمة نادرة اخرى ، اذ قال له الرئيس :

ـ لقد عرفنا أن كل النساء اللواتي دخلن حياتك اختفين فجأة ، ترى ما رأي اولادك بذلك ؟ انهم ولا ريب يطرحون عليك اسئلة كثيرة ؟

فأجاب لندرو بزهو وتعال :

ـ سيدي الرئيس أنا اجهل ما اذا كان لك اولاد ، وأجهل كيفية تنشئتك لهم . ولكن بالنسبة الي فالاولاد لا يطرحون علي اية اسئلة !

سنة ١٩٣٩ ، وفي محكمة فرساي كذلك ... سأل رئيس المحكمة المتهم وايدمان ، « وحش لافولزي » هل ارتكب حقا الجرائم الاربع المدان بها ، فأجابه :

ـ لقد ارتكبت أسوأ من ذلك .

ـ ما تقول ؟

ـ سمحت بالقاء القبض علي !

أما المتهم الذي يجلس في قفص الاتهام في محكمة الجنح ، فليس متهما كمتهم « الجنايات » ... وعندما يتحدث رئيس المحكمة عنه يقول : « هذا الشخص » أو « هذا الرجل » ... وقد اتفق مرة أن قال متهم ردا على احد القضاة لأنه اعتبر ان كرامته مست بهذه العبارة :

ـ سيدي الرئيس ، أنا لست رجلا ، انا مواطن مثلك تماما !..

وردود هؤلاء المتهمين غالبا ما تكون ارتجالية ، وغير متوقعة . وهذه طائفة منها ... محاورات بين القضاة والمتهمين :

ـ أليس لك سوابق ؟

ـ لا ، ليس لي غير اخت واحدة !

ـ ولماذا سرقت هذه البذلة الجديدة ؟

ـ لكي أتمكن من التقدم بهيئة لائقة أمام عدالة بلادي !

ـ أتقر بأنك مذنب ؟

ـ أجل ، يا سيدي الرئيس ، هيء لي محاكمة بسيطة كما لو كان الامر يتعلق بك .

ـ لماذا رفست حماتك في بطنها ؟

ـ لانها عادت ، يا سيدي الرئيس !

ـ لقد سبق أن حكم عليك في السابق خمس مرات !

ـ صحيح ، يا سيدي الرئيس ، وقد كان ذلك في الريف ...

ـ لقد فاجأتك دورية من رجال الشرطة في الساعة الثالثة صباحا امام الجمعية الوطنية ، وعلى ظهرك سلم من تلك السلالم التي يستخدمها عمال الطلاء . فلماذا كان على ظهرك سلم ؟

ـ سيدي الرئيس ، كان الجو باردا جدا !..

ـ كان يمكن أن تقتل خصمك ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الميلاد

●

يبس النجيع على الجروح .. فمن سيغسل لي جروحي ..؟
من يفتح الشرفات في عيني ، كي افديه روحي ؟
من يصهر الصدىء المخيم فوق تبري ؟
فلقد فرشت على الازقة كل حبزي
وزرعت قرب حروفه ارق انتظاري
عل الرياح تمر تملأ حضن داري
وصرخت حتى بح صوتي .. مات صوتي
لا الريح تقتلع اصطباري ، لا .. ولا الصرخات ....
تشفي داء صمتي

رد انت وحدك توقد الذكرى تذوب لي عذابي
طف فوق ثغر كؤوسنا .. املأ كؤوسي بالشراب
زح ايها الميلاد ... قد طال اغترابي
خب وسط داري ايها الميلاد كي اشكيك ما بي
الرمل يزحف .. مثل موتي ..
مثل صوتي ..
مثل موتي ..
هبني عطورك قبل ان يجتاح قبري
صوتي وحرفي وانتظاري
ودع الرياح تزور داري
فالليل يغرز في قفاري
ظلماته ... ويلف قلبي باكتئابي
ونبت شيبه في شبابي
وضباب هذا البعد يحجب وجه بابي
فمتى سترفع لي حجابي ؟
ومتى ستغسل لي جروحي ..؟

بغداد — فيصل السعد

ـ ولكني لم اضربه الا بالماء !..
ـ ممكن ، ولكن لم يكن ينبغي أن تترك الابريق في مكان الحادث !
ـ يتضح من الملف أن الخمرة هي التي دفعتك الى اطلاق النار على زوجتك .
ـ لا ، يا سيدي الرئيس ، الخمرة هي التي جعلتني أخطئها !
ـ ألست رب اسرة ؟
ـ لا ، عم اسرة فقط ... فلي ابن اخ !..
ـ لقد دخلت على حارسة البناية وبيدك قضيب حديدي !..
ـ لقد اردت ان اقدم اليها تمنياتي فحسب ، ولكني لم أجد زهورا !

اقتحمت السائقة الحسناء الطريق بالرغم من الاشارة الضوئية الحمراء ، وحطمت عمودا من اعمدة الكهرباء ، وقلبت عددا من المشاة ، وقالت للقاضي مبررة تصرفها الاهوج :

ـ ان الألفي فرنك التي أدفعها ضرائب كل عام تمنحني ، على الاقل ، بعض الحقوق !

قال السارق الذي عرفته الضحية :

ـ كذب وافتراء ، فأنا لم اضع قدمي في مسكن المدعي .. وعلى اي حال ، فقد كان مستحيلا أن يعرفني ، ذلك بأن راسه كان تحت الغطاء ، وقد سمعت اصطكاك أسنانه !

بعد اصدار الحكم ، سأل القاضي المتهم :

ـ أراض انت ؟
ـ هذه محكمة رائعة ... سأعود اليها !..

كان المتهم بعيد النظر ، فبعد أن صدر الحكم بسجنه سنتين ، قال للمحامي :

ـ لا تنسى ، يا سيدي ، ان تخبر زوجتي بأنني لن اعود الى المنزل قبل سنة ١٩٦٧ .

وهذا متهم حذر :

ـ لقد حكمت عليك المحكمة بغرامة قدرها مئتا فرنك لاهانتك أحد رجال الامن . فهل لديك ما تضيفه ؟
ـ اجل ، يا سيدي الرئيس ، ولكن بهذه التعرفة ، لا اجرؤ على قول شيء !

لعل افضل نادرة في هذا الباب هي نادرة « المشعوذ ـ الفلكي » المتهم بعدد من أعمال النصب والاحتيال ، الذي قال له القاضي :

ـ أنت يا من تدعي معرفة الغيب والمجهول ، أتدري اي عقوبة ستصدرها المحكمة بحقك ؟!
ـ طبعا ، يا سيدي الرئيس ... ستكون البراءة !
ـ ولكن ، أرجوك ، لماذا تعتقد ذلك ؟
ـ لانه ليس هناك اي قاض في العالم قادر على الهزء بالرجل الذي سيصدر حكما بحقه !

وهناك اخيرا الاقوال التي يهمس بها المتهمون في آذان وكلاء الدفاع عنهم . فقد قال المحامي الشهير موريس غارسون مرة لأحد الذين يدافع عنهم :

ـ لقد طلبت أن تكون زوجتك شاهدة ، وانا واثق تماما من براءتك اذا نجحت في البكاء امام المحكمة !..

فقال له المتهم :

ـ اذا شئت أن تبكي زوجتي ، يا استاذ ، فقل لها انني سأبرا !..

سمير شيخاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



يوسف عبد المسيح ثروة

الانسان بين الطبيعة والاسطورة

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

جون ملنكتن سنج (١٨٧١ ــ ١٩٠٩) كاتب ايرلندي اسهم اسهاما جليلا في رفد مسرح « الابي » المعروف في دبلن بالتعاون مع ييتس والليدي غريغوري والاخوين فاي ، وذلك في مستهل هذا القرن . وقد اكتشفه الكاتب المسرحي الكبير ييتس بباريس اثر اوبته من المانيا ، خائب الظن ، خالي الوفاض ، جريح النفس ، مثقلا بالهموم والغموم ، تملأ جوانحه دوامة من القلق والفزع والجزع ، وسوء الظن في نفسه ، وفيما حوله من بشر . ذلك انه ــ وهو الموسيقي الشاب الطموح المواكب للكواكب في افلاكها ، وجد نفسه بغتة وقد هبط الى الارض مرغما مقهورا مهزوما مبهورا لخيبته في اللحاق بكواكب الموسيقى الالمانية . ومع انه هبط الى الارض في باريس ، عاصمة العقل والجمال والفكر والفن ، فانه لم يجد عندها غير الفاقة والحرمان والعوز ، فاكتوى بالسنة اللهيب هذه حتى كاد يضمحل ويفنى لولا اتصاله بييتس الذي فتح له مجال الحياة من جديد في جزر آران بارلندة ، اذ اشار عليه بالاختلاط بشعب تلك الجزر كي يستقطر منه روح الشعب الارلندي بشاعريته الساذجة اللطيفة ، وكرمه النفسي الجذاب ، وطبيعته المرحة اللامبالية ، وفولكلوره الاسطوري الجميل . ولما كان سنج شاعرا بفطرته فضلا عن الموسيقى التي اكتسبها بدراسته ، ولما كان مولعا بالطبيعة العارية من زخرف الانسان وجد اغراء ييتس تجاوبا في نفسه . فعاد الى وطنه والى جزر آران بالذات سنة ١٨٩٨ ، ومنذ تلك السنة حتى وفاته المبكرة ظل متنقلا كالطائر بين آران ودبلن . وهناك في موطنه كتب مسرحياته « ظل الوادي » و « الراكبون الى البحر » و « بئر القديسين » و « فتى العالم الغربي المدلل » و « زفاف السمكري » و « ديدري فتاة الاحزان » .

يذهب النقاد ــ في تقييم هذه المسرحيات ــ مذهبا يكاد يكون منسجما ، اذ هم يعدون « فتى العالم الغربي المدلل » و « الراكبون الى البحر » احسن مسرحياته . والاولى ملهاة في ثلاثة فصول والثانية مأساة في فصل واحد . وقد بلغ تثمين بريستلي للمسرحية الاولى الى حد القول : ان « فتى العالم الغربي المدلل » هي من احسن الكوميديات التي ظهرت في القرن العشرين (١) ، والملهاة هذه تتناول النفسية الارلندية تناولا فيه الكثير من الصراحة ، في عرضها لها في ريائها الديني وتبعيتها الذليلة للكهنوت ، وفي تمردها البطولي وثورتها الجارفة لكل التقاليد والاعراف ، في تسترها على القبائح والفضائح ، في تساميها على الصغائر والتوافه ، في تأرجح الجمهور الارلندي بين النقيضين تأرجحا يذكرنا بجمهور روما بين خطابي بروتس وكاسيوس قبل مقتل قيصر وبعده . وطبيعي ان تكون لهذه الصراحة عواقبها وردودها في المشاهدين الارلنديين عند تقديم المسرحية على مسرح « الابي » فاستدعيت الشرطة اكثر من مرة لتهدئة خواطر المشاهدين المهتاجين ، الذين عدوا المسرحية لطخة عار لوثت اسم ارلنده الجميل . الا ان هذا الامر لم يقعد بالكاتب عن المضي عما كان ماضيا فيه ، ولا نال من همته القعساء قلامة ظفر ، لان اصالته الفنيه وخياله الرفيع المفعم بالشعر الحي الصادق وواقع الحياة نفسها ، تضافرت جميعا على حبك خيوط مسرحياته فجاءت نسيجا فريدا نابضا بالحيوية والصدق والامانة والروعة جميعا . وكيف لا تكون الحال كذلك ولغته نفسها هي لغة البسطاء من الناس . وفي هذا الشأن يقول سنج وكله اعتزاز وفخر :

« حين كنت اكتب « ظل الوداي » منذ عدة سنين استطعت ان احظى بما لم احظ به من اي معرفة مهما تكن ، كنت اسكن في دار في وكلاو ، قديمة العهد ، تسمح فجوة في ارضية الغرفة التي اسكنها من ان استمع الى ما كان يدور من احاديث بين خادمات المطبخ . وهذا امر على جانب عظيم من الاهمية ، على ما احسب ، ذلك ان في قدرة الكاتب ان يكون غنيا كل الغنى في كلماته ، في بلد يكون فيه خيال الشعب خصيبا ولغته التي يستعملها غنية وحية . وفي الوقت نفسه ، فان ذلك ييسر له ان يضفي على الواقع ــ الذي هو احساس كل شعر ــ شكلا طبيعيا شاملا (٢) » .

وعلى ذلك فان سنج اقتصر على لغة الشعب فيما كتب ، ذلك منه استجابة طبيعية وصلة واقعية وتكملة حية لوجود الكاتب المسرحي الشاعر ، من غير اسفاف وانحطاط وتميع . ومصداق ذلك ان الفظاظة الحوشية لم تعرف ولم تستطع ان تعرف لها سبيلا الى كتاباته ، على الرغم من اختلاطه اللصيق بكل مراتب الناس ومرافق الحياة وسبلها المتعددة .

ومع ذلك فان بساطة الاسلوب وصدق التعبير عن الشخوص في الاداء المسرحي وفي المواقف الاساسية حملتا الكثيرين من النقاد على الانتقاص من شاعرية سنج بصفتها شاعرية سطحية لا تغور الى الاعماق كما هي الحال مع شكسبير . وهذا هو رأي الناقد بيكوك في كتابه «الشاعر المسرحي» : « انها شاعرية في حدود معينة . انها ترتبط ارتباطا وثيقا بالفن الشعبي ، ولهذا الارتباط مساوئه . ان الخيال الشعبي تلقائي وجميل الى حد ما ، ولكنه لا ينقلنا الى اغوار بعيدة ، اذ ان البساطة والصدق لا يكفينا للتعبير عن الفن الناضج ، وهنا يكمن قصور اللغة التي اختارها سنج وسيلة للتعبير » (٣) . اما سنج فانه يرى في اللغة الشعبية خيالا ناريا عظيما ولطيفاً ، انه يجد فيه الواقع حين ينبغي ان يتجسد على المسرح ، ويجد فيه المتعة ومن الجمع بين الواقع والمتعة ينبعث فن درامي عنيف فيه جلال وروعة .

وحين يؤاخذ سنج على عرضه العاري لرذائل الفلاحين الايرلنديين في مسرحيته « فتى العالم الغربي المدلل » يرد على هذه المؤاخذة بقوله : « ان تلك الوحشية ، واذا شئت رذائل الفلاحين الايرلنديين ، شأنها شأن كل الاشياء المهمة ، لا تعود الى مصدر غير غنى طبيعتهم ، وهو امر لا يثمن لان الكلمات تعجز عن ذلك . » واذن فسواء اعرضت الرذيلة ام الفضيلة فالمسألة لا تخرج عن كونها اداء مسرحيا ليس الا مرآة تنعكس عليها الاضواء والظلال على حد سواء. ومن هنا ، فان الهدف ينتفي في مسرح سنج ويحل معه العرض الجيد للحياة ، من غير التفات حتى الى الضرب الكوميدي منه او التراجيدي وهذا ما اشار اليه سانج نفسه في رسالته التي بعثها الى احد الشبان سنة ١٩٠٧ .

ومن هنا فان سنج لا يعنى بالمضمون المسرحي قدر عنايته بالشكل ، وهو في هذا ايضا لا يهتم بجزالة الاسلوب او فخامة المدلولات الادبية ، وانما الذي يعنى به كل العناية هو الشعر الشعبي المتناثر في اللهجة الدارجة ، ظنا منه ان الشعر الحي النابض بالرعشة الشعورية المفعم بمكنونات النفس ، المنسجم مع الطبيعة ومع الاساطير الشعبية ، هذا الشعر هو قوة الحياة ، في استمرارها وغناها ووفرتها وجلالها في طريقها الى الذروة وفي هبوطها الى الحضيض.

والطبيعة في مسرح سنج واضحة قوية الاثر والمعالم ولا سيما في « الراكبون الى البحر » و «ديدري فتاة الاحزان» و « زفاف السمكري » وهي تشكل الجو الشفاف الذي يتراوح بين المأساة والمهزلة في «فتى العالم الغربي المدلل». فالبحر ، وهو تلك القوة الجبارة الجذابة ، والهيدرا الهائلة والقدر المحتم ، لا يرحم موريا الام ، بل هو يجتذب بقوته السحرية ابناءها الستة الواحد تلو الاخر من ستيفان الكبير الى بارتلي الصغير ، هؤلاء الذين اتت بهم الى الدنيا ليكونوا ازاهير تنفح العطر في حياتها الداكنة، لكنهم ذهبوا وتركوها تندب حظها العاثر بين ابنتيها وبين جحيم فقدانها الذي كتب عليها . وعندما يكون البحر قد تسلم منها حصته كاملة غير منقوصة تنهض من مجلسها وتزمجر قائلة : « ها هم قد ذهبوا الان ، ولم يبق للبحر ما يفعله معي بعد . . . انني لن اصرخ واصلي اذا ما هبت الريح من الجنوب ، واذا ما تلاطمت الامواج في الشرق او في الغرب في صخب شديد . » ذلك انها خسرت المعركة وانتصر البحر عليها انتصاره الفاجر الغادر اللئيم ، وانكفأت الام على نفسها بعد ان جف معين صراخها وصلواتها في وقت واحد ، لان عقارب اليأس تمكنت من نهش قلبها حتى لم يبق منه وتر حي او نقطة من دم قان . أما ابنها بارتلي الظالم الذي لم يوفر عليها حياته ، بعد ان توقعت الشر الداهم بقولها : « اليس من الظلم والاعتساف الا يستمع هذا الانسان كلمة من عجوز وهي تحول بينه وبين البحر ؟ » فهو يصر على الذهاب ويقول : « ينبغي أن اذهب الآن سريعا » وهنا تنفجر باكية وتقول : « لقد ذهب الآن ، حفظنا الله ، ولن نراه مرة اخرى . لقد ذهب الآن ، وحين ينسدل الليل البهيم لن يترك لي ولد في هذه الدنيا . » لقد عرف البحر كيف يعذب الام عذاب الهوان ، وكيف يجعلها ترد قول القس الذي قال ان الله العظيم لن يتركها وحيدة ، بعد ان فقدت من فقدت وبخاصة ابنها مايكل الذي لم يمض على فقدانه احد عشر يوما ، لذا نراها تتوجه الى ابنتها نورا قائلة : « ان امثاله (تعني العشر) لا يعرفون الا الشيء القليل عن البحر . . . سيضيع بارتلي . . . فلتصنعوا لي تابوتا من الخشب لاني لن اعيش بعدهم . »

واثر الاتيان بجثة بارتلي الهامدة ترش الام موريا الماء المقدس على قدميه الملفوفتين بثياب أخيه مايكل الفقيد السابق وتقول : « لقد صليت من اجلك يا بارتلي الى الله القدير . واقمت الصلوات في الليل البهيم ، حتى اختلط عليك ما كنت اقول . ولكني بالتوكيد سأحظى الان براحة عظيمة . راحة عظيمة في الليالي الطويلة ونوم عميق . »

وللطبيعة كذلك وجود لا ينفصم عن حياة شخوص « ديدري فتاة الاحزان » فان الوديان والاشجار والغابات وانواع الاثمار والازهار والامواه تتشابك مع الشخوص والاسطورة تشابكا متينا يجعلها وحدة شعرية في سمفونية الحياة الطبيعية والاسطورية والاجتماعية في الوقت ذاته. وهنا تبرز قدرة سنج المسرحية في اضفاء المعالم الانسانية على الطبيعة وعلى الاسطورة والمشاهد الحية بصورة متناسقة منسجمة يسري في عروقها جميعا نسغ من الشاعرية السحرية والحوار اللافح المركز والاداء الطبيعي البسيط الجميل . فحين يحاول كونشبور الملك ان يعزز لافرتشام لانها لا تبذل جهدا يذكر لتدريب ديدري على « مجابهة

---

(١) بريستلي : (الادب والانسان الغربي) . (٢) مقدمة (فتى العالم الغربي المدلل) . (٣) د. عبد الله ع. متولي في مقدمته لـ «ديدري فتاة الاحزان » ترجمة علي جمال الدين عزت . (٤) اعتمدنا في شواهد « ديدري فتاة الاحزان » على ترجمة الاستاذ علي جمال الدين عزت . (٥) هو شفيع ايرلندا في التقاليد الكاثوليكية المرعية .

حياتها المقبلة » تتصدى لافرتشام له بعزم وقوة وتذكره بخدمتها الطويلة وتقول : « انها ليست بحاجة الى ان تأبه بامراة عجوز على حين ان لديها الطيور تلقنها ولديها الغدران تسبح فيها تحت وهج الشمس (٤) »

اما نايزي الذي احبته ديدري وتعلقت به من اول نظرة فقد دهش اشد الدهش عند التقائه بها بعد ان هام هو واخواه بحثا عن ملاذ يتقون به هجمات الطبيعة الغضوب ، دهش الى حد انه قال : «اهو انت التي تجوبين الاحراش وتجعلين طيور السمان من اجل حلاوة صوتك وانت تصدحين بالغناء ؟ »

وبينما العشيقان يتبادلان اللقيا ولواعج الشباب واسباب الوصال وكيف السبيل اليه ، نسمع ديدري تبث لحبيبها آهاتها وآمالها وامانيها وتقول وكلها حرقة : « اولا نحسن صنعا ، يا نايزي اذا ما دفعنا الثمن بالصمت والموت الوشيك لقد مضى علي وقت طويل وانا في الاحراش اهيم بمفردي ، لا اخشى الموت ما دمت اربح مقابله كنوزا خليقة بان تجعل الشمس تحمر من فرط الحقد (الحسد) وهي تمتطي عنان السماء وتجعل القمر شاحبا يشعر بالوحشة وهو يذوب اسى وضنى . » ومما يزيد الصلة بين الطبيعة والانسان اشتباكا هو عقد القران الذي نظمه اينل شقيق نايزي وفيه صلاة تلتمع فيها ايماضات الروح الطبيعية الكونية بشكل جذاب فقد جاء فيها : « باسم الشمس والقمر والارض كلها ، ازف ديدري الى نايـزي ... فليباركهما الهواء ، والماء ، والرياح ، والبحار ، وكل ابراج الشمس والقمر . » وبهذا الشكل الفريد من الصلاة ، انتزعت ديدري من براثن الملك كونشبور ، واصبحت بحكم العقد المبرم زوجة شرعية لنايزي ، لا يفرقها شيء سوى الموت عن بعلها ... وبذلك تم للاسطورة مرادها ، وتمت المأساة بابعادها وآمادها ، وحققت كلمة النبوة ، فالدمار آت حتما على (الستر) اذ لا راد لبد القدر .

لقد استطاع الملك بواسطة عميله فيرجس من ان يقنع ديدري ونايزي واخويه ليعودا جميعا الى «ايمين » حيث عرشه وابهته وسلطانه وقوته وجبروته ، وهناك قضت يد الخيانة على نايزي وآخويه وثأرت من ديدري ثأرا جعل الدم يجمد في عروقها ، جعلها تقف على القبر الذي ووري فيه نايزي واخواه وتقول والحسرة تقطع انياط قلبها وتمزق احشاءها وتدف السم الى انفاسها . «لن يرى ثلاثتكم بعد الآن شبح العمر وهو يتقدم ، او الموت وهو يزحف ، انتم الذين كنتم خير رفاق لي حين كانت النيران تخبو فوق قمم التلال فلا نسير الا في رفقة النجوم . » ثم انها تخص بالذكر حبيبها نايزي في رثائها المر ذي الشجى والشجن فتقول : « لقد كان نصيبك موتا نظيفا ، يا نايزي ، ولست انا التي اتخلى عن راسك يا نايزي ، وقد كنا نقضي الليالي الطوال نشاهد النجوم من خلال الاشجار اليانعة في وادي رواده ، او نشاهد القمر يستقر على سفوح التلال لكي يستريح من عناء المطاف . »

ولما كانت ايمين موضع نقمة القدر فان النيران زحفت عليها واتت على ما فيها من اخضر ويابس وجعلتها كعصف مأكول تذروه الرياح النارية شذر مذر حتى لم يبق اثر من آثار الانسان او الحيوان فيها حتى ان ديدري لم تر مناصا من ان تقول وقلبها ليس الا بضعة من حطام : « اني ارى السنة اللهيب في ايمين ستندلع وسط الليـل البهيم ، ولسوف يكون هناك بسببي قطط برية وبنات عرس تصيح فوق اطلال كانت مأوى لملكات وجيوش ومخزنا لكنوز من الذهب الاحمر ، ومن ثم ستروي الاجيال قصة مدينـة حل بها الدمار وملك اصابه الهذيان وامراة سوف تظل في ربيع العمر الى ابد الآبدين . » هذه كلمات القدر تتوهـج غضبا ، هذه حكم الدهر تنثر المواعظ على الساهين الغاطين في النوم من ملوك وحكام وسلاطين عابثين في اقدار الناس جالبين على انفسهم وانفس ضحاياهم نقم الآلهة الغضبى وعواقب افاعيلهم المفعمة بالغدر والخيانة والعار . لكن هذه الكلمات التي تنطق بها ديدري تتحول الى نجوى تسطع بالرقة واللطف والمشاعر الوجدانية الجياشة عند ما توجهها ديدري الى القمر وما تقوله شهد قلما يتيسر مثله لبشر : ايها القمر الصغير ، يا قمر البان الصغير ، لسوف تشعـر بالوحشة الليلة ، والليلة القادمة ، والليالي الطوال من بعدها وانت تغذ السير في الغاب خلف وادي لاؤوى تفتش في كل مكان عن ديدري ونايزي . »

وعندما يحين الاوان تبرز ديدري مدية نايزي ، وتتصدى لكونشبور (الذي يحاول ان يفعل شيئا ليحول بينها وبين ما تريد) . تقول له وقد دقت الساعة وازف الفراق : « لدي مفتاح صغير افتح به سجن نايزي الذي اوصدتموه على شبابه الى الابد . ارتد الى الوراء يا كونشبور ، فان الملك الاعظم الذي يسلط سيفه على رقبتك قد وضع يديه حائلا بيني وبينك ... » اجل ان مفتاح السجن كان بيدها ، اذ ما ان طعنت قلبها طعنة واحدة حتى انفتح الباب على مصراعيه ودخلت ديدري السجن لتنضم الى رفاقها السباقين الى المحامد والمناقب والمروءة والشهامة ، دخلت السجـن مرفوعة الجبين ، ساطعة المحيا ، امينة على شرفها ، متحدية الحكام جميعا ، فخورة بما اتت وبما اتى به رفاقها الذين واجهوا الموت ببسالة منقطعة النظير ، وكل ذلك حق ، ولافرتشام خير شاهد على ذلك اذ تقول بجوار المقبرة راثية : « ماتت ديدري ومات نايزي . ولو كان في مقدور الاشجار والنجوم ان تموت من الاسى ، لخلفت لنا الليلة سماء معتمة ، وارضا جرداء يابسة في ايمين . »

اما كرستي ماهون بطل « فتى الغرب المدلل » فهو ابن الطبيعة في صراحته التي تسلب الالباب وفي شجاعته التي تأخذ بنواصي الرجال والنساء على حد سواء ولا سيمـا الآنسة بيفين مايك ابنة صاحب الحانة ومأتى شجاعته انه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ضرب والده بفاس شدخت راسه شدخا عميقا فاغمي عليه فظن الولد ان ابّه قد فارق الحياة على اثر الضربة ، وخوفا من رجال القانون وعقوبته فر من مزرعة ابيه والتجأ الى حانة مايكل والد بيفين التي كانت على وشك الاقتران بقريبها شون كيوغ بانتظار رخصة الاب رايلي قس المنطقة. وقبل لجوئه الى تلك الحانة ظلت الوساوس تطارده احد عشر يوما وظلت وعثاء الطريق تنهش قدميه حتى كادالتعب يقضي عليه .

الوقت مساء والحانة قليلة الرواد وصاحبها على موعد في قرية اخرى لحضور مأتم احد الاقارب ، وشوت لا يريد البقاء مع بيفين خوف نزغات الشيطان وتحذيرات الاب رايلي ، والقادم الجديد انسان مجرم ومجرم من نوع خاص اذ انه قاتل ابيه الذي أتى به الى الوجود فكان جزاؤه الابعاد من هذا الوجود ببلطة كافرة نزلت على يافوخه كالصاعقة. الفتاة تستمع الى اعترافات كرستي امام والدها فتجد فيها سحرا وجاذبية وحشية ورجولة تأسر لبها وتخلب قلبها ، حتى انها تقع اسيرة بين قدمي الطارق الجديد ولما تمضي عليه ساعة وبعض الساعة . والان ومع بيفين فتى يمكنه الدفاع عنها ، يصر شون على البقاء معها ، لكن بيفين ترفض ذلك رفضا قاطعا وتدفعه الى الباب وهو متشبث بها ، لا يرغب في مفارقة الحانة ثم يضطر الى ذلك اضطرارا بعد ان يعجز عن مقاومة بيفين العنيفة فتخلو الحانة لها وللطارق الجديد . وهنا تسأله عن حاله فيقول باستياء وقد خلع جزمته : « حقا ، انني متعب وقد مشيت هذه الايام الاحد عشر ، الايام الوحشية والخوف ينال مني ما ينال كلما تيقظت في الليل . » وعلى اثر نظرة الى قدميه الصغيرتين قالت بيفين : « لا بد ان تكون اسرتك اسرة عظيمة ولك هاتان القدمان الدقيقتان ... » فيجيبها (فخورا) : حقا كنا عظماء باراضينا الواسعة في منستر . » ثم يمضي الحوار اللطيف بينهما في لغة شفافة من الصراحة والبساطة واللطف ، ويمضي الليل عطرا رخيا متكاسلا وكل منهما يريده أن يكون اكثر تكاسلا حتى يستمتعا به خير ما يكون الاستمتاع . وبغتة يطرق الباب طرقة تهز جوانح كرستي وتهبط به من عالم الخيال والحب والاحلام الى واقع الرعب والرهبة والخوف . فما يكون منه الا ان يلتصق ببفين قائلا: « اواه ، يا لله ، الوقت متأخر ، هذا ليس وقت قرع الباب، وانا الان خائف من الشرطة والموتى الماشين . » ثم يظهر ان الطارق ليس سوى الارملة كوين وهي لا تريد الا ان تتحقق من الزائر الجديد ومن مدى تأثره بالشراب الذي تناوله ، وهي لم تفعل ذلك الا لان الاب رايلي وشانين كيوغ الواقفين في الطريق ازاء الحانة هما اللذان طلبا منها ذلك وهنا تحتدم بيفين غضبا وغيضا وتريها كرستي متمددا على كيس من القش بين نعاس يجذبه اليه وبين كوز من الحليب ينتظر شاربه . وحين تحققت الارملة من حال كرستي الصاحية الحت بان يرافقها الى بيتها بحجة الخوف والوحدة وكان كرستي أن يفعل ذلك لولا تدخل بيفين واصرارها على ان يبقى معها . وعندما شعر بدفء اللحاف الذي وضعته بيفين على جسمه المنهوك تمطى ارتياحا ورضاء وقال : «عسى الله ومريم والقديس باتريك ينعمون عليك ويجازونك خيرا . » (وبعد خروجها من الغرفة) نراه لا يتمالك من القول: « انه فراش ناعم نظيف . لقد حظيت بعشرة وتوفيق عظيمين ، في نهاية الامر ، امرأتان لطيفتان تتخاصمان من اجلي ... الم اكن احمق ، اذ انني لم اقتل ابي من عدة سنين . »

اما الارملة كوين التي لم تحقق بغيتها في الاستيلاء على كرستي ، فانها استدرجت البنات الى الحانة للتعرف على الطارق الجديد ، وبعد اخذ ورد بين كرستي وبين البنات رأى ان سره قد افتضح ولهذا انتفض من الالم وقال : ما الذي يسرهم اذا هم جلبوا المشنقة لامثالي ؟ » ومما زاد الطين بلة ان بيفين نفسها انضمت الى البنات في مكايدته واللعب على هواجسه ومخاوفه بعد خروجهن من الحانة ، فاسقط في يدي كرستي ورأى الا مفر له من مغادرة المكان والنجاة بجلده من الكارثة المتوقعة ، غير ان بيفين ما لبثت ان اعلنت حقيقة نواياها في الاستبقاء عليه بصفته خادما للحانة الامر الذي اثار شجاه ولوعته وذكرياته التي تحرق الصخور الصلدة فقال : « انك لا تجهلين ما تعنيه الوحشة حين يمرق الانسان بين القصبات والاضواء تتلامع على جوانب الطريق اثر هبوط الليل ، وحين يسير في الاماكن الغريبة والكلاب تنبح امامه وتنبح خلفه، او ان يكون مضطرا للاحتماء بالمدن الكبيرة حيث يسمع وشوشات القبلات ومغازلات الغرام العميق ، في ظل كل حفرة ، وهو في طريقه ، بمعدته الخاوية الهاوية من جوفه . »

وما ان يأتي اول نهار على الالتقاء بين كرستي وبيفين حتى تكون العلاقات قد توطدت بينهما توطدا يوشك ان يطيح بآمال شون كيوغ في الاقتران ببيفين الى حد ان كيوغ يجد نفسه ملزما بالتضرع الى كرستي وقلبه معتصر يكاد ينفجر فيقول له متخضعا : « انها لا تناسبك ، ومزاجها هو مزاج الشيطان نفسه ، لانكما في ايام قليلة ستتخانقان حتما . انها مناسبة لامثالي من الناس البسطاء الهادئين »

وفي ضحى ذلك اليوم تتعالى اصوات من هنا وهناك ، فاليوم يوم المسابقات والمبارزات والالعاب ، وكرستي يفوز بكل الجوائز والجمهور الملتهب حماسة يصفق له ويرقص وينشد ، وبغتة يظهر ماهو عند باب الحانة ، معصوب الراس ، فتواجهه الارملة بما يبدد شكه ويحول بينه وبين ابنه . وعلى حين غرة تلتقي بيفين بكرستي فتبوح له بهواها المدنف وتقول له : ولكن حبك لي سيكون كحب الصيادين حين يطاردون النساء الغرام عندما يهبط الليل في اطراف نيفين . » فيجيبها : « انك ستكونين قليلة الحظ من الفكر ان قارنت حبي بحب صياد او حتى بحب (ايرل)

المائدة

يصور الشاعر في هذه القصيدة ابوة الشاعر الروحية للناس وانكارهم اياه واعراضهم عن عطائه الثر .

في فرحة الدنيا وفيض عطائها ... وجمال طلعة وجهها السام
ابصرت أبنائي جياعا فاكتوت ... روحي بجمر لاهب وضرام
فرحلت عنهم جازعا متالما ... لاصيب ما يحييهم بسلام
فضربت في الآفاق ابحث جاهدا ... واروم من دنياي كل مرام
اطوي البسيطة سهلها وجبالها ... واطوف بين حوالق وحوامي
واغوص في لجج البحار مغامرا ... واسير في الفلوات والآجام
فاخذت من قمم الجبال اباءها ... ومن الكهوف بدائع الاوهام
ومن البراكين الظماء الى السنا ... زفرات اشواق ونار غرام
ومن العيون الجاريات صفاءها ... ومن البلابل اعذب الانغام
ومن الحمام وداعة وسكينة ... ومن السباع شجاعة الضرغام
ومن النجوم الطالعات ضياءها ... ومن الورود براءة الاكمام
ومن العذارى الساحرات فتونها ... ومن العيون عرائس الالهام
وصعدت في الفلك البعيد محلقا ... فشهدت فيه عجائب الاجرام
ورأيت سكان الكواكب قد غنوا ... فيها بعيش ناعم ووئام
فاخذت سر صفائهم وهنائهم ... وطرائف الاهواء والاحلام
ورجعت من سفري البعيد مثقلا ... بغنائمي وحوادث الايام
فحلمت بالقبلات اطبعها على ... وجنات ابنائي وحر سلامي
ودموع افراحي وطيب لقائهم ... وكلامهم عما مضى وكلامي
فسمعتهم يتساءلون وقد بدا ... شيبي وغابت شرتي وعرامي
من ذا الغريب وما يريد بارضنا ... ليست منازلنا له بمقام
انا ذلك الوله المحب ابوكم ... أفتنكرون ابوتي وذمامي
ما جئت اسالكم ولكن جئتكم ... بدمي وكل صبابتي وهيامي
وبزادي الموفور ابسطه لكم ... فرحا واسقيكم عليه مدامي
ومددت مائدتي لهم فتضاحكوا ... مني وعافوا خمرتي وطعامي
فاخذت اطراف اليفاع مضرما ... نار القرى في ليلي ، المترامي
متطلعا في وحدتي مترقبا ... عبر الظلام قوافل الاعوام

حلب — عمر ابو قوس

عندما ستحسين بيدي تحتضنانك وانا اعتصر شفتيك البارزتين بقبلاتي » .

ها نحن سائرون نحو الذروة من المسرحية وقد نكون وصلنا اليها ، وها ان ماهون يظهر مرة اخرى ، وتعلم بيفين بجلية الخبر : ان الاب لم يمت بضربة كرستي ، وان كرستي لم يكن بطلا قاتلا ، ولهذا السبب بالذات انقلبت بيفين عليه، بعد خيبة ظنها فيه، وبعد ان سطا اليأس على قلبها، اذ زالت من عينيها غشاوة البطولة والمجد والوحشية، وهذا ما انتهى اليه ايضا جمهور المصفقين لبطولة « فتى العالم الغربي المدلل» .

وهنا تعالت الصيحات من جديد لا تمجيدا لكرستي واشادة به بل تلويحا بالويل والثبور لمن ادعى البطولة وهو منها براء . وبعد مناوشة بين الاب والابن ، اخذ ماهون ابنه كرستي ومضى به ، وباءت بيفين بخسران مبين ، اذ انها ولا شك اصبحت لقمة سائغة لشون كيوغ التافه المسكين، ولذا نراها تلكمه لكمة شديدة في صدغه وتقول واليأس ينضح من كلامها : « آه ، واحزني ، لقد فقدته ، فقدت (فتى العالم الغربي المدلل) الوحيد . »

بغداد — يوسف عبد المسيح ثروة

السبب المباشر لزواجه

تمثيلية

بقلم جرجي نقولا

عريس جديد في غرفته الخاصة يتلهى بالنظر الى خاتم العرس في اصبعه . يستدل من اثاث هذه الشقة على ان صاحبها صاحب علم وادب . يدخل زائر شاب يحمل هدية .

الزائر ــ (بشوق) هالو .. (يضع الهدية في مكان ويقترب منه) .

العريس ــ (دون ان يتحرك من مكانه او ينظر اليه الا نظرة عابرة) انت لم تزرني بعد . كنت اتوقع زيارتك .

تفضل اقعد . (يرفع راسه اليه) اعتقد انك جئت تستطلع لماذا تزوجت وكيف رضخت للواقع اخيرا . اليس كذلك ؟

الزائر ــ انا ... انا .. (متنقلا بنظره بين العريس والهدية) انا بالحقيقة مسرور جدا لذلك .

العريس ــ (يرى الهدية) ما هذا ؟ هدية ؟ متى كنا نتبع التقاليد التي يتبعها سوانا ؟ بل متى كان هناك حاجز يفصل احدنا عن الاخر ويمنعنا من ان نتصارح ؟

الزائر ــ لا لا ، لكن ...

العريس ــ لكن ماذا ؟ هل قلت لك انا اني احتاج الى هداياك ؟ واية هدية هي ، لماذا لم تسألني قبل ان تأتيني بها ؟

الزائر ــ يا اخي مهلا ورفقا بي ! تكاد تقنعني فعلا انك تغيرت ، لم تكن بهذه القساوة قبلا .

العريس ــ (يضحك كأنه يعتذر) حسنا حسنا . تكلم فأنا مصغ اليك .

الزائر ــ اولا : انت تزوجت . والزواج هو من التقاليد التي يتبعها الناس .. او انه كان هكذا بالنسبة الينا اذا كنت لا تزال تذكر احاديثنا الماضية ؟

العريس ــ وكيف لا اذكر ؟ كمل .

الزائر ــ الزواج من التقاليد التي يتبعها الناس . وانت تزوجت ، اعني انك رضخت لتقليد ما . افليس من الصواب ان ارضخ انا ايضا لتقليد اخر تابع له ، وآتيك بهدية بمناسبة الزواج ؟

العريس ــ (يهز راسه غير موافق) لا لا ، ليس من الصواب ابدا . اتم حديثك اولا ، هل هناك ثانيا ؟

الزائر ــ ليس هناك ثانيا الا اذا وافقتني على اولا ، اولا .

العريس ــ لن اوافقك على اولا ، لا اولا ولا اخرا . من قال لك اني رضخت للتقاليد التي يرضخ لها البشر ؟ هل اتفقنا على ان تقاليد البشر ، او تقليدا واحدا منها على الاقل : الزواج .. هل اتفقنا على ان هذا التقليد لن يصبح من تقاليدنا ايضا ؟

الزائر ــ (يقلب شفتيه) لا اذكر اننا تحدثنا عن مثل هذا الامر من قبل . لكن ..

العريس ــ (يقاطعه) لنفرض اننا تحدثنا ، هل تعتقد كنا نختلف ؟

الزائر ــ لا ادري . المهم : هل اصبح الزواج من تقاليدك ؟ هل صرت تؤمن به كما يؤمن الناس ، ولهذا تزوجت ؟

العريس ــ كلا يا صاحبي كلا . هل قلت لك انا هذا ؟ اوه كم احتاج من تعب وجهد لاجد رجلا واحدا يفهمني على الاقل !..

الزائر ــ يا اخي ! (يصمت اذ يجد ان الصمت افضل) حسنا ، اشرح لي ولا تؤاخذني .

العريس ــ وماذا اشرح لك ؟ انت الوحيد الذي كنت اعتقد انه سيفهم دون ان اشرح له ، بناء على ما يعرفه عني ومني سابقا . المشكلة ان واحدا من كل المهنئين والاصحاب لم يطلب مني ان اشرح له ، لان الجميع يعرفون . ويؤلمني جدا يا صديقي ان اجد انك لا تعرف الا كما يعرفون هم ...

الزائر ــ انت لا زلت انت ، شديد القساوة الى حد لا يطاق .

العريس ــ هذا انا ، وذاك انت . نطقت بالصواب . (صمت) الان انس اني تزوجت ، وتعال رافقني خطوة خطوة لعلك تتزوج كما تزوجت انا ، او تقودك الظروف الى ما قادتني اليه ..

الزائر ــ الظروف ؟

العريس ــ طبعا الظروف . نحن نرضخ للظروف ولا نستطيع الا ان نرضخ لها .

الزائر ــ (يهز راسه حائرا) هذا ليس انت . كنت تقول ان الانسان يصنع ظروفه . يظهر انك تجاوزتني ، وانت تكلمني من حيث اصبحت ، لا من حيث تركتني .

العريس ــ معك حق . فلنبدأ من الاول اذن . فلنبدأ من الاول . (يتمشى مفكرا ويصل الى الباب ، ثم يعود ويقف بجانب الهدية) فلنبدأ من هنا ، من الهدية . (يحملها ويتلمسها باصابعه) دعني احزر ما هي هديتك اولا . يقولون ان الهدايا على مقدار مهديها ، اما انا فاقول ان الهدية على مقدار قيمة المهدى اليه بنظر الهادي . دعني احزر ما هي قيمتي بنظرك اذن ، ومن هنا تعرف ما هي قيمتك بنظري ايضا . (يضع الهدية)

الزائر ــ (ساخرا) لا لا يا صاحبي ! لا تتفلسف . انا لم اقيمك بهديتي ، بل قيمت التقليد الذي اتبعته فقط . صاحبي تزوج ، وهو يؤثث بيتا . فأهديته دزينة من فناجين القهوة . هذا كل ما في الامر .

العريس ــ (يتهالك على كرسي صارخا) دزينة من فناجين القهوة ؟ يا للمصيبة ! لا بد لي ان اصبح تاجرا بفناجين القهوة يوما ، هذا افضل حل .

الزائر ــ غضبت ؟ (يقترب منه) لا تغضب لا تغضب ، سابدلها لك .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العريس ــ لا ، لا لـــزوم لان تبدلها لي . لا استطيع ان اطلب من كل واحد ان يبدل لي هديته. اسمح لي فقط ان اسجل اسمك علـــى اللائحة التي اسجل عليها اسمـــاء الذين اهدوني فناجين قهوة لكـــي اهديك مثل هذه الهديـــة يوما . (يتناول قلما عن طاولة ويكتب علـى لائحة معلقة في الجدار ، لكن القلم لا يكتب) قبح الله هذا القلم ، يرفـض الكتابة . لم يخطر له ان يحرن الا الان . أم تعتقد ان الحبر خلص منه؟ (يتفحصه) لا ، لا يزال ملانا ، ولـم اكتب به بعد المقدار الذي اعتدت ان اكتبه بقلم مثله من الحبر الناشف .

الزائر ــ اسمح لي ان اراه ، لعلهم غشوك به . (يأخذه منه) هذا النوع من الاقلام يا صديقي لا يكتب الا اذا كان راسه الى تحت ، هكـــذا . لا يكتب على الجدار ، يجب ان تكتب به على الطاولة . هات اللائحة الى هنا لاكتب لك اسمي في المكان الذي تريد . (يتناول اللائحة ويبسطها على الطاولة ويكتب) أذكر انك كنت تكره كتابة اسمك بيدك ، الا تزال كذلك ؟

العريس ــ ما لـــك ولي الان . اكتب اسمك بخط واضـــح مقروء ، وليس كالامضاء على كمبيالة .

الزائر ــ (يضغط كثيرا على القلم فينكسر) اخ ، انكسر . (يرميه جانبا ويأخذ قلما من جيبه) قبح الله من باعك اياه . غشك به .

العريس ــ (يلتقط القلم المكسور) بل قبحك اللـــه انت وليس البائع ! كيف كسرته ؟ ولماذا ضغطت عليـــه اكثر من اللازم ؟ هل تدري كم خطأ ارتكبت بعملك هذا ؟

الزائر ــ كم ؟

العريس ــ اولا : صرفت مجهودا في الهواء بلا فائدة . ثانيا: استعملت هذا المجهود بانزال الضرر . ثالثا : احتقرت شيئا كان يستحق الاحترام. رابعا : ...

الزائر ــ (يقاطعه) يا اخي ، بـلا رابعا بلا ثالثا بلا اولا الان ! قل لي اولا : هل انت مجنون ؟

العريس ــ (ينظر اليه هنيهـــة بهدوء) كنت اعلم انك سوف تسألني هذا السؤال . استمر .

الزائر ــ لست مجنونا اذن وتعني ما تقول . قل لي اذن ، في الـ «اولا» التي وضعتها انت : ما هو المجهود الذي صرفته ؟ ما قيمته ؟

العريس ــ قف ! صرفت مجهودا ام لم تصرف ؟ هذا هو السؤال ، ولم نتحدث عن القيمة بعد . فكرة تفجير القنبلة الذرية فوق هيروشيما كانت فكرة ، وفكرة تفجير بيضة فوق مقلاة هي فكرة ايضا . اصرفت مجهودا ام لم تصرف ، هذا هو السؤال .

الزائر ــ (برضوخ) صرفت . قل اذن اعتراضاتي على بنودك الاخرى ، وهات اجوبتك عليها .

العريس ــ حسنا . كان بالامكان ان يصرف هذا المجهود من غير كسر القلم ايضا . انه خطأ على كل حال ، وكسر القلم هو الخطأ الثاني . اما الخطأ الثالث فهو ان هذا القلم صنع ومليء بالحبر لكي يكتب به ولكـي يستعمل حتى النهاية ، لا لكي يرمى قبل ذلك . تقول انه تافـه الثمن ، ربع ليرة لبنانية او اقل ، لا يشتري رغيفا يملأ زاوية في بطن عامل او عاطل عن العمل . عال . هنا ننتقل الى البند الرابع . انتـم تعودتم ان تقيموا كل شيء بالمال ، اما انا فلا أتبع هذه العادة . المال بنظري لـــه قيمته فقط . عجبا للناس : وضعوا المال لكي يمثل قيمة الاشياء ، فاذا به يصبح الشيء الوحيد الذي لـه قيمة ، وبقية الاشياء لا قيمة لهـا خارجا عنه . لكن مالنا ولهذا الان . انا لست رجل اقتصاد ولا رجـــل علم . انا رجل حياة ، عشت ورأيت، وها انا اتكلم . قد تحسبني مجنونا اذا قلت لك اني اقيم المال بالاشياء ، وليس الاشياء بالمال كما يفعل الناس. انا وحدي افعل هذا ، ولا يهمني اذا فتحت بهذا العمل بابا لان يسلبني الاخرون حقي او يعتدون علي ، او يسخرون بي . اذ ن، اذا تحدثت عن هذا القلم يا صاحبي ، فليس على انه يمثل ربع ليرة لبنانية ، بل على انه يمثل صفحات وصفحات كان بالامكان ان يسودها . وقيمة تلك الصفحات من يعلم ما هي ؟ من يستطيـــع ان يعلم ؟ من يقدر ان يعلم حقيقة الحب الذي تكنه ام لوليدها اكثر من الأم نفسها ؟ من هنا تستطيع ان تعلـم قيمة الجرم الذي ارتكبته نحوي يا اخي وصديقي .

الزائر ــ عذرا عذرا . فعلا اسأت اليك كثيرا . سامحني اذا كان هناك مجال للمسامحة . (يمسك بالقلـم المكسور ويحاول ان يجبر كسره بيده) عندي في البيت مادة تلصق هـــذا النوع من الزجاج . اسمـح لي ان آخذه معي وفي الغد اعيده اليـــك صحيحا كما كان .

العريس ــ تريد ان تلصقه ، اليس كذلك ؟

الزائر ــ طبعا .

العريس ــ قل لي: كم ثمن القمقم من تلك المادة ؟ وكم ستصرف مـــن جهد في الصاقه ؟ وكم ستصرف من وقت ؟

الزائر ــ (يضحك من نفسه) معك حق . معك حق . لم يبـــق لي الا الاعتذار اذن ، هل تعذرني ؟

العريس ــ اعذرك ؟ لماذا اعذرك ؟ ماذا يفيدك عذري ؟

الزائر ــ (بعصبية) اف اف . ماذا اقول اذن ؟

العريس ــ من يطلب منك ان تقول شيئا يا صديقي ؟ الا تستطيـــع ان تفكر خارج المال ؟ عودكم المال ان لكل شيء قيمة ، ومـــا لا تستطيعون ان تعوضوا عنه بالمال، تعوضون بالاعتذار وهذا خطأ .

الزائر ــ خطأ ؟

العريس ــ طبعـــا . انت تطلب عذري لانك تضـــع امامك هـــذه الصفحات الطويلة الثمينة التي كـان بامكاني كتابتها لولاك . لكن امر هذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القلم انتهى ، وامر تلك الصفحات لم ينته بعد ، ولا علاقة له بها ابدا. اني اشرح لك طريقة تفكيري فقط ، ولست اقيم شيئا ولا ادعوك الى تقييم شيء . كل شيء كان قد فقد قيمته بنظري عندما تركتني ، هل تذكر ؟ لم يبق حتى للانسان قيمة ، فهل يكون للزواج قيمة ؟ (ناظرا الى الخاتم في اصبعه) شيء مضحك ! انت الوحيد الذي كان يعلم سبب عزوفي عن الزواج في ذلك الحين ، والان انت الوحيد الذي يعلم سبب عزوفي عن ذلك العزوف ، ام انك لم تعلم بعد ؟

الزائر ــ (يقلب شفتيه) علمت وما علمت . اذا قلت لي بصراحة يكون افضل .

العريس ــ يا اخي : بعد ان فقد كل شيء قيمته بنظري ، عدت ورأيت لكل شيء قيمة . اعني اني ابتدأت من الصفر ، وقد يكون للصفر حتى الان قيمة بنظري مثل قيمة الالف . هل فهمت ؟

الزائر ــ فهمت ؟ وماذا فهمت ؟ اذا كنت قد فهمت شيئا قبلا ، الان جهلته . اعتقد انك تريد ان تشرح لي سبب زواجك ، اليس كذلك ؟

العريس ــ (بصبر واناة) اجل يا صاحبي . اريد أن اشرح سبب زواجي .

الزائر ــ دعني اساعدك واقول لك ما فهمته . انت لم تتزوج بسبب خوفك من الشيخوخة والعجز في نهاية عمرك ، ولا بسبب شوقك الى المراة والى الحياة العائلية . صح ؟

العريس ــ كمل .

الزائر ــ صح ؟

العريس ــ صح .

الزائر ــ الواقع انه لا بد ان يكون لهذين السببين تأثير عليك ايضا ، وان تأثيرا خفيا او لاشعوريا ، اي في عقلك الباطن كما يقولون . لكن انا ابحث عن السبب المباشر . والسبب المباشر هو .. هو ... اعترف اني لم اعرفه بعد !

العريس ــ لم تعرفه بعد ؟

الزائر ــ لم اعرفه .

العريس ــ (موجها نحو الخاتم الذي يلبسه في احد اصابعه) لم تعرفه بعد ؟

الزائر ــ كلا . ما هو ؟ (ينتبه لحركته) ما هذا ؟ خاتم الخطبة ؟ دعني اراه . (يأخذه منه ويتفحصه) عظيم ! عظيم ! فصه من الالماس ، اليس كذلك ؟ كم دفعت ثمنا له ؟ لا لا ، لا تقل لي . دعني أثمنه انا اولا . هذا الخاتم يساوي ... يساوي الف ليرة . هل اصبت ؟

العريس ــ (مشدوها) كم ؟ الف ليرة ؟ (يأخذه منه وينظر اليه) .

الزائر ــ هل اخطأت ام اصبت ؟

العريس ــ لا ادري ، ارجو ان تكون اصبت . ثمنه لي احدهم البارحة بثلاث ليرات ..

الزائر ــ (بدهشة) كم ؟ ثلاث ليرات ؟ دعني اتأمله مرة اخرى . (يأخذه منه) غلطان من ثمنه لك بثلاث ليرات . كم دفعت انت ثمنا له ؟

العريس ــ لم ادفع ، وجدته في الشارع .

الزائر ــ وجدته في الشارع ؟ على كل حال ، لا اتراجع عن كلامي . هذا الخاتم يساوي الف ليرة (يعيده اليه) والان ، ما هو السبب المباشر لزواجك ؟

العريس ــ (مصعوقا) السبب المباشر لزواجي ؟ لحد الان لم تعرفه بعد ؟

الزائر ــ لحد الان ؟ ماذا قلت لي لحد الان ؟. كل ما قلته انك عثرت على هذا الخاتم في الشارع ولم تدفع ثمنه ، وان احدهم ثمنه لك بثلاث ليرات . هذا كل ما قلته ، فما علاقته بقضية زواجك ؟

العريس ــ الخاتم، اليس له علاقة بقضية زواجي ؟

الزائر ــ طبعا له علاقة . انه خاتم خطبة ، ثم خاتم زواج . وقد وفر عليك ثمن خاتم ، كائنا ثمنه ما كان . لكني ابحث عن السبب المباشر الصريح لزواجك. ما هو ؟ (لا جواب) كل معارفك تألبوا عليك في الماضي ، واهلك ، واصدقاؤك ، ومحبوك، حتى ان والدتك بكت على قدميك لكي تجعلك تتزوج ، لكن عبثا . ما هو السبب الذي اقنعك الان ان الزواج لا بد منه ؟

العريس ــ الزواج لا بد منه ؟ من قال لك اني اقتنعت ان الزواج لا بد منه ؟

الزائر ــ لم تقتنع ؟ لماذا تزوجت اذن ؟ بالله عليك لماذا تزوجت ؟

العريس ــ (يهز كتفيه) الصدفة . الصدفة شاءت هكذا .

الزائر ــ الصدفة ؟ ما دخل الصدفة بالامر ؟ آ .. تعني انك عثرت على الفتاة التي تقول عنها نحن نصفنا الاخر ؟

العريس ــ (يائسا منه) اوه ما ابعدك عني وما اقصرك من انتفهمني! قلت لك اني قيمت الاشياء من جديد. قلت لك اني تخلصت من قيم المال . انا طبعا لا ازال احب المال ، وارجو ان يكون تقديرك لثمن هذا الخاتم صحيحا . لكن ليس هذا قصدي ، ولا يهمني الثمن بمقدار ما يهمني الخاتم نفسه والغرض الذي صنع لاجله . هذا القلم (يمسك القلم المكسور) يساوي بنظرك ربع ليرة فقط ، اللهم اذا كان جديدا وسالما ! اما بنظري فقد عرفت ما هي قيمته. هكذا اريد ان يكون لكل شيء قيمته الخاصة الحقيقية ، وليس اي قيمة اخرى . فلا اريد ان يتلف شيء ويرمى في الشارع ، لا قلم يمكن ان يكتب ، ولا سيكارة يمكن ان تدخن ، ولا كسرة خبز يمكن ان تؤكل ، ولا خاتم خطبة يمكن ان تلبسه فتاة...

الزائر ــ تعني لانك عثرت على خاتم خطبة تزوجت ؟ يا مجنون !..

جرجي نقولا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نشـــيـدان

●

١ ـ صدق

وابل من مطر مر ، هو الليل بسجني
وصبيب اشوق والحمى يندي ثوب حزني
ودموع القمر المفتم ،...
... اذ تنشق رملا وغبارا
هو بيتي ،
حين يمتد قفارا
عبر اسوار من الموت ..... ويمتد صحارى
هو بيتي .
ذلك الواقف كالتنين ، يمتص سنيني
ويمد المخلب الازرق ، كي تخبو نهارات جبيني
ربما اشتاقتك ـ عند الليل ـ عيناي ..... فاغفو
كالندى ، فوق ذراعيك ...
.... وباب الغرفة ـ العش عن الدنيا يشف
ربما كان ...
ولكني على عينيك ، لا أصلب مجدا
لا أبيع الامل الغالي !...
لكي أسفح من اجلك أقمارا ، ووردا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ـ ((الموت : فارس الحصن المهان !))

ايها الموت ـ الضنى ، لم ينسكب طينك في الصدد ...
.... فتخبو النجمة ، الأم ، كفانوس حزين
لم يجف الجدول الموغل ـ كالحب الجليدي ـ ولم تطمره
أوراق السنين
لم تمت شمس الوجوه الخضر في الساحة ـ كالجرذان ـ ...
..... فلتأفل وجوه الميتين
ايها الحصن المهان
ايها الموت الخرافي ...
سترتد على العتبة اذ تأتي
فتنهاد كسور من دخان
ايها الممسك كالفارس ! ،
في كفك سيفا من رماد
لم تكن في لجة الأسفار يوما سندباد
لم تكن شيئا ....
فتخشاك العصافير ، ويخشاك الجراد
عد الى قمقمك القبو ...
فسوق الوهم غطاها ، وأعياها الكساد

العراق — خالد الخشان



شعر الراعي النميري واخباره

جمعه وقدم له وعلق عليه الدكتور ناصر الحاني ـ راجعه وجمع شواهده ووضع فهارسه عز الدين التنوخي ـ ٢١٥ صفحـــة ـ منشورات المجمع العلمي العربي بدمشق

كان السياسي الكبير « بول كلوديل » سفيرا . وكان شاعرا وكاتبا اديبا مشهورا ، وكادت شهرته في الأدب تلقي ظلالها على شهرته في السياسة . وكنت اوثر أن أتتبع اخباره . وقد عاش في تمجيـــد مواطنيه ، يعترفون له بأدبه ، ويقدرونه قدره في عمله الدولي .

ولما عرفت الصديق الدبلوماسي الدكتور ناصر الحاني سفيرا ، وكنت أعرفه أديبا جامعيا ، ورد مناهل النيل في دراسته العالية ، هششت لموهبته في السياسة والأدب ، وكنت اشعر منذ ابتعدت عن السياسة ، وجعلتني أتقرب من الادب ، في مستهل الشباب ، أنني ما خلقت لها ، لكني كنت حيث أجد سياسيا اديبا ، أحس بحنين اليه ، لأجد فيه ما فقدت في نفسي .

وكان السفير « الحاني » يشعر مني بذلك ، حتى اذا بعدت به نوى قذف هيهات مصبحها من بعد ممساها ، واطلع المجمع العلمي العربـــي بدمشق في مطبوعاته الطريفة كتاب « شعر الراعي النميري واخباره » الذي جمعه ، وقدم له وعلق عليه الدكتور ناصر الحاني ، تلقفت الكتاب شاكرا للمجمع هديته .

والشاعر الأموي الراعي الذي توفي سنة ٩٠ للهجرة ليس غريبـــا عني ، فلقد قرأت ملحمته ـ بضم الميم ـ وهي الوصـــف الذي كان يطلقه نقاد العصور العباسية الأول على القصيدة الكبرى المنسوجـــة كلحمة الثوب وسداه ، وقد كان استاذنا أحمد الشايب في الجامعة المصرية يحلل هذه القصيدة ويشرحها ، في احكام لم يكن مثله عنـــد السابقين ، ولا جرى على غراره « ابو سعيد السكري » راوية الدواوين حين روى شعر الراعي .

وكنت أقول ما كان أجدر الراعي بمن ينشر سائر شعره ، فانـــه عاش مغدورا ، ولم ينل في حياته الشعرية سوى الغبن ، حتى أتيح له من دهره منصف في الدكتور الحاني الذي جلا في مقدمته حياة الشاعر الراعي ، وقرر منزلته الحقيقية في الشعر العربي ، في عهد كان فيه الشعراء الثلاثة جرير والفرزدق والأخطل قد استولوا على أمد الشعر فلم يتركوا على خوان مأدبته لقمة لغيرهم يتبلغ بها . ولم يكتفوا بذلك وانما سدوا منافذ الطريق في الشعر العربي ، عصر بني أمية علـــى سواهم ، ووضعوا الشوك في دروب الشعراء الذين يريدون ليظهروا في عالم السياسة ، فاغلقوا عليهم الباب وكادوا يغلقونه في عالـــم الادب ، لولا أن نبغ من الشعراء الامويين جماعة من الموهوبين الغزلين كابن أبي ربيعة المخزومي ، وجميل وكثير والشاعر نصيب والراعـــي والعرجي .

ولقد وقفت طويلا عندما أفاض الدكتور الحاني فيما جرى مـــن التخالف بين الراعي وجرير ، حين شهد الراعي بتفضيل الفرزدق على جرير ، وكان قد مال هذا الميل بتأثير من ابنه « جندل » . وكان امثال هذه الشهادة يجر تهديم الدار على الشاهد، فكاي من شعراء مسوا كهرباء واحد مـــن الشعراء الهجائين ، فانتفضت اعصابهم ـ على نحو ما نقـــول في حضارة عصرنا فـــي الكهرباء ـ وقد مس الشاعر الراعي جريرا في بهرة صيته وشاعريته ، فعظم عليه منـه البلاء ، فراح جرير يهجوه بقصيدة فيها بيت واحد سار مسير الركبان في كل مكان وهو :

ففض الطرف انـــك من نمير
فلا كعبـــا بلغت ولا كلابـــا

ويصور الدكتور ناصر الحاني كيف كان وقع هذا الهجاء المرير على الشاعر الراعي النميري وكيف غمه هذا الحادث حتى كان سببا فـي كمده ، فمات في السنة نفسها التي ظهرت فيها تلك القصيدة ، وفيها ذلك البيت اللعين .

وقد دعوته لعينا لان الادب العربي نفسه في العصر الاموي ، لم يكن حرا فكان مربوطا بعجلة السياسة ، كما نقول في لغتنا المعاصرة .

وكانت الاحكام الادبية في العصر الاموي وفي حلقات الدرس والبحث في العصر العباسي اذ قامت في الكوفة او البصرة ونهض بها ابو عمرو بن العلاء شيخ النقاد الاول ، وكم اجده معتدلا في نقده على حين نجد ابا عبيدة معمرا بن المثني وابا زيد الانصاري وعبد الملك بن قريب الاصمعي ، وسواهم ، يشحذون مداهم لذبح شعراء وادباء في تفضيل بعضهم على بعض ويعتبر تاريخ الادب هذا التفضيل ، ويسجله علـــى الشعراء والادباء المغبونين ، وكأنه مياسم كاوية على اجسامهم ، كما كانت تكوى الابل بالميسم ليعرف بعضها من بعض .

فاذا كوى جرير بذلك البيت الهاجي المقيت شاعرا كالراعي صار ذلك عهدا وميثاقا في رواية الشعر ، وهذا البيت خاصة ، حتى قلقل هذا الهجاء بني نمير جميعا وكسر شوكة شاعرهم الراعي ، واخرجه مـن نطاق الشعراء الفحول .

اني لست اقبل في عصرنا تلك الاقيسة في النقد ومياسم الهجاء ، فان الشاعر الراعي كان حرا ينزع الى الصراحة ، وابان رأيه في تفضيل الفرزدق على جرير ، وهبت قبيلته تسانده في محنته ونهوه عن الاعتذار الى جرير اليربوعي ، ولم تكن قبيلة يربوع باكرم من نمير عند الفرزدق ، وكانوا في الجاهلية سادة اشرافا كما يحقق الدكتور الحاني .

ذلك ما امسك بي في الدراسة التي قدمها المؤلف لشعر الراعي النميري ، اما شعره فذو منزلة سامقة في الفحولة وقوة السبك في اختيار اللفظ والاسلوب الحر المكين ، وهذه المجوعة من شعر الشاعـر مرتبة على حروف الهجاء جمعها وعلق عليها المؤلف وحشد شواهدها علامة الشام الاستاذ عز الدين التنوخي ، ونظم لها فهارس علمية تعوز الدارسين الجامعيين .

كتبت هذا وانا افكر بادباء العراق واسأل نفسي ـ الا يزال فيهم اديب واحد يعتب علي بانني لا اكتب عنهم الا في القليل . ولعل الكاتب الفذ الاستاذ عبد الخالق عبد الرحمن الذي انصفني من ذلك العتاب ، يجدني مع صحبه الادباء الموهوبين ، كاتبا في ادب العراق .

دمشق — زكي المحاسني

•

الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين

تاليف كامل السوافيري ـ ٦٦٠ صفحة حجم كبير ـ منشورات مكتبة نهضة مصر بالقاهرة

منذ ان وقعت المأساة الفلسطينية والاقلام العربية في كل مكان من ارض العرب لا تفتر عن الكتابة فيها : نثرا وشعرا . فالماساة مصدر وحي كبير

لاخيلة الشعراء ، ولاقلام القصاصين والباحثين والكتاب . ولا اعرف قضية اخرى في العالم العربي نالت من اهتمام ارباب القلم مثل ما نالت قضية فلسطين ، والنكبة الفلسطينية .

والذي يحاول ان يتقصى نتاج الاقلام العربية كله في القضية الفلسطينية فقد يضيع العمر كله دون ان يصل الى ما يريد ، وذلك لكثرة ما كتبوا فيها ، ولوفرة ما كتبوا في الكتب ، والصحف ، والمجلات ـ بغض النظر عما اذا كان في كل هذا الذي كتب حتى الان ما يصل الى مستوى المأساة نفسها ام لا ... ـ يضاف الى هذا ان للنكبة جذورا غير قريبة ، ترجع الى امد ابعد كثيرا من تاريخ وقوعها ، وان الكتابة قد رافقت كل مراحل القضية : منذ ظهور هرتسل والمؤتمر الصهيوني الاول ، الى الانتداب البريطاني الذي كان حجر الاساس في النكبة ، الى النكبة نفسها ، ثم ما بعد النكبة حتى اليوم . وستظل الاقلام تكتب في النكبة وفي القضية الفلسطينية ما دامت النكبة قائمة ، وما دام الحق السليب سليبا ، والارض المغتصبة مغتصبة ، والشعب المشرد مشردا .

على انه ، اذا كان تقصي كل ما كتب في القضية والنكبة مستحيلا ، فان من الخير أن يحاول الباحثون تسجيل جوانب منه تسجيلا يبين مدى الاثر الذي احدثته النكبة في الامة العربية باسرها ، لان الادب صورة الامة ، وهو التعبير المباشر عن شعورها .

على هذا الاعتبار نجد ان من اهم الكتب التي ظهرت في ابراز اثر المأساة في الحركة الادبية في العالم العربي ، الكتاب الجامع الشامل الذي اصدره صديقنا الاديب الفلسطيني الاستاذ كامل السوافيري بعنوان « الشعر الحديث في ماساة فلسطين » .

لقد اقتصرت هذه الموسوعة السوافيرية الضخمة على دراسة اثر النكبة في الشعر وحده ، ولم تتعرض لبقية الالوان الادبية التي اشتركت في تصوير المأساة ، وفي التعبير عن عمق اثرها في نفوس العرب في سائر اقطارهم . ولو شاء السوافيري ان يتعرض لكل ذلك لاحتاج الى عدد كبير من الموسوعات من نوع موسوعته هذه ، والى عمر آخر كعمره للدرس والتدوين .

لقد استعرض الاستاذ السوافيري قضية فلسطين ومحنتها في كتابه هذا استعراضا يدل على وعي وشمول ، وعلى دراسات واسعة لمختلف مجالات القضية وجوانبها : السياسية ، والاجتماعية ، والادبية ، والاقتصادية ، والتاريخية . كما استعرض ما قيل في القضية والنكبة من شعر في فلسطين وفي سائر الاقطار العربية .

واذا كانت المصادر موفورة لديه في ما يتعلق بشعر الشعراء الفلسطينيين والاردنيين بشكل خاص ، فان المصادر الاخرى المتعلقة بشعر غيرهم من شعراء الاقطار العربية الاخرى قد توافر لديه كذلك بشكل يكفي لاعطاء الكثير من الشواهد والامثلة على مساهمة شعراء العالم العربي الكبيرة الواسعة المدى في ابراز اثر النكبة في عالمهم الكبير كله .

ولقد استغرقت هذه الموسوعة من الاستاذ السوافيري جهد اعوام طويلة متواصلة في الجمع ، والبحث ، والتنقيب ، والتعليق ، والاستشهاد ، حتى جاءت موسوعته هذه مرجعا كبير الاهمية في موضوعها الواسع .

يبدأ الكتاب بمقدمة طويلة يشرح فيها المؤلف دوافع الكتاب ، ومراحل تاليفه ، واغراضه . ثم يليها لمحة تاريخية عن فلسطين قبل المحنة . وهذه اللمحة تتعرض تعرضا سريعا لصلة اليهود المزعومة بفلسطين .

وبعد ذلك يجيء القسم الاول ، ويتالف من بابين وسبعة فصول ، تتناول مقدمات المحنة واسبابها ، والحديث عن الصهيونية العالمية ، وتصريح بلفور ، وعن فلسطين في ظل الانتداب البريطاني ، وادوار الكفاح الفلسطيني ، وموقف الشعر من القضية الفلسطينية من عام ١٩١٧ الى عام ١٩٤٧ . وهذا القسم يكاد يقتصر ، الى حد كبير ، على شعراء فلسطين وحدهم ، اذ لم يشترك فيه الاخرون الا في حدود قليلة .

ثم يجيء القسم الثاني ، ويتالف من بابين وتسعة فصول ، تتناول



الاديب

⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

•

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المأساة منذ ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ الى ٣١ ديسمبر ١٩٥٥ ، والادوار التي مرت بها قبل دخول الجيوش العربية الى فلسطين وبعده ، وتتناول الشعر العربي خلال تلك الفترة ، سواء منه شعر الفلسطينيين انفسهم ، وشعر ابناء الاقطار العربية الاخرى كلها . ففي تلك الفترة اشتركت اقلام شعراء العرب جميعهم في تصوير الثورة ، والنقمة ، والالم التي رافقت النكبة وتطوراتها .

لقد سجل السوافيري في كتابه هذا تاريخ القضية الفلسطينية تسجيلا موجزا من الجانب التاريخي والسياسي ، اما من الجانب الشعري فقد جاء كتابه جامعا شاملا ، يدل على ضخامة الجهد ، وغزارة المادة ، كما يدل على الجلد الكثير في الدراسة ، والتنسيق ، والانتقاء .

ويضاف الى فضل المؤلف في ابراز اثر النكبة في الشعر العربي ، وتقديمه الكثير جدا من الشواهد التي يحتاج الباحثون الى الرجوع اليها ، ويجدون فيها العون الكافي ، فضل آخر يستحق الاشادة ، وهو فضل تعريفه بأسماء الكثير من الشعراء الفلسطينيين والاردنيين الذين يجهل الكثيرون في العالم العربي انهم كلهم من ابناء ضفتي الاردن ، واستشهاده بالكثير من شعرهم قبل النكبة وبعدها . لقد استشهد السوافيري بالكثير من شعر ابراهيم طوقان ، وفدوى طوقان ، وابي سلمى ، ومحمود الحوت ، وكمال ناصر ، ومحمد العدناني ، وعبد الرحيم محمود ، وسليمان التاجي الفاروقي ، وابراهيم الدباغ ، وبرهان العبوشي ، ووهيب البيطار ، وابراهيم القطان ، واسكندر الخوري ، ووديع البستاني ، وفتح الله السلوادي ، وهرون هاشم رشيد ، ومصطفى زيد الكيلاني ، وسميره ابو غزاله ، ومحمود نديم الافغاني ، ومحمد رجا السمرين ، وعصام حماد ، ودعد الكيالي ، وعلي هاشم رشيد ، ويوسف الخطيب ، ومحمد العمد ، واحمد يوسف ، وخالد نصره . وجميع هؤلاء ، وسواهم ، هم من ابناء ضفتي الاردن ، وممن كانت النكبة نكبتهم وكانت آثارهم في نفوسهم اعمق منها في نفوس سواهم لانهم اكتووا بها مباشرة .

لقد كانت موسوعة السوافيري هذه في الاصل رسالة للماجستير تقدم بها الاستاذ السوافيري ، ولكنها في الواقع جهد ضخم يستحق عليه كل الشكر ، فقد قدم به خدمة ادبية ووطنية كبيرة للقراء في ارجاء الوطن العربي . ان في كتابه هذا تبصيرا وتوعية ، الى جانب ما فيه من الزاد الادبي الوفير ، ومع التبصير والتوعية اعداد وشحذ للهمم .

حياه الله ، وبارك في جهده الخير المثمر .

عمان — عيسى الناعوري

●

مشوار طويل

مجموعة قصص ـ تاليف عبد المعطي المسيري ـ ٩٦ صفحة ـ منشورات المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر بالقاهرة ـ مطبعة مصر بالقاهرة

لا شك ان اي حديث يدور حول انتاج فني لعبد المعطي المسيري ، يجب ان يتناول الرجل قبل كتابه ، لا بحسبان الصلة الوثيقة بين الفنان وانتاجه . بل لان المسيري ظاهرة ادبية لا تتكرر كثيرا ـ في ج. ع. م. ـ وخاصة في الاقاليم . لقد اضاء هذا الاديب عقولا كثيرة تشابه بما كان يبثه فيها من حب الثقافة والفكر والانسان . ولم تقفه العوائق التي وأدت امثال هذه العقول في غير دمنهور من المحافظات ، فكان له الفضل في ان يتخرج على يديه في قهوته المشهورة التي تعد بحق جامعة شعبية غير رسمية ، اكثر من جيل له مكانته في حياتنا الثقافية عامة . وهو ما كان يرنو الى مثله الآلاف من شباب المحافظات الاخرى ولا يجدونه .

هذه كلمة لا بد منها ، قبل ان نتحدث في هذا المكان الضيق عن المسيري ومجموعته القصصية الجديدة « مشوار طويل » . ويتالف هذا الكتاب من تسع قصص وتمثيلية واحدة قصيرة .

ويتميز عبد المعطي المسيري بروح مرحة تضفي على قصصه او صوره ـ ما كان احرى بمؤلفنا ان يفرق بين هذه القصص والصور حتى لا يختلط الامر على القارىء ، كما فعل الاخير ازاء « الرجل والبندقية » مثلا ! ـ الكثير من الاشراق والبهجة كما في « من ايام الطفولة ـ الرقيب ـ اهل الكهف » .

الاولى عن ذكرياته لهذا العمر الاخضر ووسائل التخويف التي كانت تلجأ اليها عمة الراوي كاداة لتربيته ، والثانية عن جهل الرقيب اثناء الحرب وهو يعتقد ان كل ما يكتبه القصاص حقائق مؤكدة وحوادث واقعية ، فيتهم الرواي الرواسي بما في قصته من اشعال النار في دكان خياط ! والثالثة عن اتهام وجهه اليه البعض بتهديده بالاغتيال . ولم ينقذه منه الا وكيل نيابة اديب ادرك ان الكاتب اي كاتب لا يهاجم بيده وانما يحارب بقلمه .

ومن القصص الطيب في المجموعة « بائع القصب » التي يصور فيها المؤلف لمحات انسانية عميقة لقروي فقير يبيع القصب . يرفض ان يكافئه اصحاب سيارة مرت في الطريق على معونة اسداها لهم . وكذلك قصة « السمفونية الريفية » التي تاثر فيها بطلها بسميتها تاليف اندريه جيد ، وقد حاول المسيري فيها ان يناقش بعض قضايا الفن مثل الانتاج الجيد الذي يشد القارىء اليه حتى ليتحسر على كل صفحة يطويها !

والقصة الوطنية تأخذ من هذه المجموعة حيزا غير قليل ، فهناك الرجل والبندقية ، مشوار طويل ، رسالة من الميدان) . الاولى تصور انفعالات رجل عجوز يتقد حماسا ، اشترك قبلا في المعارك العربية مثل حرب السنوسيين وثورة ١٩١٩ . ولا تمنعه كهولته من الاصرار على تقديم ضريبة الدم والسفر الى بور سعيد ايام العدوان الثلاثي ليشترك في معركتها .

والثانية كذلك تصور اعصاب الناس المشحونة المتقدة بنار الغضب للمعركة الدائرة في بور سعيد ايضا والاشتراك فيها ، يستوي في ذلك الراعي ومتطوع الحرس الوطني .

و « مشوار طويل » التي تقع احداثها على ارض التل الكبير ، تتميز بهذه الظلال الفوية الموحية التي يلقيها امس البلدة ، التي عاشت عليها بطولات مصرية ايام ثورة عرابي وفدائية الضابط محمد عبيد الذي تغنى الشاعر البلدي به في ملحمته الشعبية .

والعمل الوطني الثالث « رسالة من الميدان » ـ تمثيلية ذات فصل واحد ومنظرين ـ تدور ايضا حول بور سعيد ، مصورة الهزة التي اصابت الشعب كباره وصغاره ، شيوخه واطفاله ـ رجاله ونساءه من جراء العدوان الغاشم . فاذا بها تبلور وتكشف معدنه النقي الذي تخفيه روتينية الحياة ، فالام التي كانت تفزع من اقل شيء ، اصبح القتال والموت والتضحية والابن الاكبر الذي يأخذ دوره في الصفوف المحاربة ، اشياء لا ترهبها . وكذلك تصنع كل شخصية .

والظاهرة الطريفة التي يلاحظها القارىء على هذه الاعمال الثلاثة ، ان المسيري يختار هامش المعركة لا ميدان القتال نفسه مسرحا لاحداثه ، وكانه ينتهج منهجا كلاسيا يرفض للدماء المتفجرة واعمال القتل ان تبدو للعيان ..!

ومن قصص المجموعة ايضا ، « يانصيب » التي تحكي قصة فتاة صعيدية فقيرة تبيع اوراق اليانصيب ، زلت فانتحرت واتهم ابوها بقتلها وكان يستطيع ان يبرىء نفسه ولكنه رفض واعترف بقتلها ... « سيقولون انها فرطت بمشيئتها ، ثم ماتت بارادتها . لا . ليقولوا انها فرطت .. ولكن ليقولو ايضا انه انتقم » ! !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



● طه الراوي : حياته جوانب شخصيته ومختارات مما قيل فيه ـ تأليف حارث طه الراوي ـ ٣٤٤ صفحة ـ منشورات المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ـ مطابع كوستاتسوماس وشركاه بالقاهرة .

● مع الشعراء : دراسات وذكريات ـ تأليف حارث طه الراوي ـ تقديم الدكتورة نعمات احمد فؤاد ـ ٢٢٨ صفحة ـ منشورات دار القلم بالقاهرة ـ مطابع دار القلم بالقاهرة .

● كتب قرأتها ـ تأليف المحامي ناجي جواد ـ لوحة الغلاف بريشة جميل حمودي ـ ١٠٠ صفحة ـ مع عدة لوحات ـ حجم كبير ـ مطابع شركة دار الجمهورية (؟)

● مع الشهيد الزبيري : منه .. واليه ـ تعريف لعمر بهاء الدين الاميري ـ مع ثلاث قصائد لمحمد الزبيري وعلي عبد العزيز نصر ومحمد عبده غانم ـ ٤٠ صفحة ـ منشورات لجنة الاعلام لاتحاد القوى الشعبية اليمنية ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الاصلاح الزراعي في تايوان ـ تأليف شن شنغ ـ مترجم عن الانجليزية ـ لم يذكر اسم المترجم ـ ٤٤٨ صفحة ـ مطبعة سيما بيروت

● قطرات من ظما ـ مجموعة شعرية ـ غازي عبد الرحمن القصيبي ـ ١٣٢ صفحة ـ مطابع دار الكتب ببيروت .

● لألاء القمر ـ مجموعة شعرية ـ الدكتورة عاتكة الخزرجي ـ تقديم احمد حسن الزيات ـ اللوحات بريشة جمال كامل ـ الخطوط بقلم سيد ابراهيم ـ ٨٠ صفحة ـ دار ومطابع الشعب بالقاهرة .

● قصائد سايات نوفا ـ قصائد ارمنية ، جورجية ، اذربيجانية ـ ترجمة رئيف خوري والدكتور ميشال سليمان وارمين تاريان ـ تقديم سعيد عقل ـ مع دراسة تحليلية لموروس هاسراطيان ـ ٩٨ صفحة ـ الناشر . فاروجان طوروسيان ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● البطل اللبناني يوسف فرنسيس الحاج ـ تأليف جرجي ابراهيم نصر ـ ١٢ صفحة ـ مستل من مجلة الشرق ايار / حزيران ١٩٦٥ ـ المطبعة الكاثوليكية ببيروت .

● الآنية والمواعين في دير الزور ـ تأليف المحامي عبد القادر عياش ـ ٦٤ صفحة ـ مصور ـ مطبوعات مركز الدراسات التاريخية والجغرافية بدير الزور ، سورية ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● حياة مطران ـ تأليف طاهر احمد الطناحي ـ ٤٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الدار المصرية للتأليف والترجمة (؟) ـ دار التعاون الجمعية التعاونية للطباعة والنشر (؟) .

● موبيديك ـ تأليف هرمان ملفل ـ ترجمة الدكتور احسان عباس ـ ٩١٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● تبديد الظلام او اصل الماسونية ـ ترجمة عوض الخوري ـ تحقيق وتقديم ابو صادق ـ ٢٤٤ صفحة ـ دار منشورات البصري ببغداد ـ مطبعة دار البصري ببغداد .

● الالوهة والخطيئة ـ رواية ـ تأليف عبد الاله يحيى ـ تقديم محمد الراشد ـ مصمم الغلاف غسان فتري ـ ١٨٤ صفحة ـ توزيع دار الكاتب العربي ببيروت ـ مطبعة الوطن العربي بحلب .

● عبارات السلوك عند ابناء دير الزور ـ تأليف المحامي عبد القادر عياش ـ ٤٢ صفحة ـ مطبوعات مركز الدراسات التاريخية والجغرافية بدير الزور ، سورية ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● معروف الرصافي : دراسة وتحليل ـ تأليف الدكتور ممدوح حقي ـ ٨٠ صفحة ـ منشورات دار اليقظة العربية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ريلكه ـ شعر ريزماريا ريلكه ـ ترجمة وتقديم الدكتور ممدوح حقي ـ لوحتا الغلاف بريشة ممدوح حقي ـ ١٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار اليقظة العربية بدمشق ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● العروض الواضح ـ تأليف الدكتور ممدوح حقي ـ الطبعة الثالثة ـ ١٦٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار اليقظة العربية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● مرتفعات ويذرنغ ـ تأليف اميلي برونتي ـ ترجمة وتقديم الدكتور ممدوح حقي ـ الطبعة الثانية ـ ٤٠٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار اليقظة العربية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ديوان الامير عبد القادر الجزائري ـ شرح وتحقيق الدكتور ممدوح حقي ـ الطبعة الثالثة ـ ٢٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار اليقظة العربية ببيروت ـ المطبعة التعاونية اللبنانية بدرعون حريصا ، لبنان .

● تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والامير عبد القادر ـ تأليف محمد بن عبد القادر الجزائري ـ شرح وتعليق الدكتور ممدوح حقي ـ الطبعة الثانية ـ ٩٦٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مع رسوم وصور تاريخية ـ منشورات دار اليقظة العربية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● قصائد ـ مجموعة شعرية ـ عبد الوهاب البياتي ـ الغلاف تصميم احمد مرسي ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات وطبع مطبعة الدار المصرية بالقاهرة .

● قولوا لها ـ قصيدة ـ قبلان مكرزل ـ ٦٤ صفحة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● المدخل الى موسوعة العتبات المقدسة ـ تأليف جعفر الخليلي ـ ٤٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار التعارف ببغداد ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● موسوعة العتبات المقدسة : قسم النجف ـ تأليف جعفر الخليلي ـ ٣٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار التعارف ببغداد ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

وهناك قصة ثانية تتصل بالشرف ايضا لكن بصورة اخرى وهي « بيت الحظ » التي تصور حياة اسرة ريفية تعيش مرحة ساذجة قانعة، فالاب يغني على ارغوله وابنته ترقص على موسيقاه البدائية ، واخرى تغني وصغار يكونون ما يشبه الكورس . ولكن قناعة الابناء بفنهم هذا يعتورها فتور شديد عندما يسمعون الراديو في بيت الباشا . ولا يكاد البك الابن يشاهد الفتاة حتى يخير والدها بين ان تخدمه في المدينة ، او ان يطرده من ارضه التي يستاجرها من الباشا .. ويختار القروي الشرف وابنته ويحطم ارغوله !

المنصورة — علاء الدين وحيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



جولة الأديب في شهر

السياحة في لبنان : صناعة من صناعات القرن العشرين

•

تحدثنا في العدد الماضي من « الاديب » عن السياحة في لبنان ، والمسابح الشعبية واطلاق الحركة السياحية ، وامكانيات الجبل . وفي هـذا العدد نتحدث عن : استثمار المواقع الجبلية ، والعمـل في الخارج ، وكيف يعمل المجلس الوطني للسياحة في الخارج .

استثمار المواقع الجبلية :

اما في ما يتصل باستثمار المواقع الجبلية ـ وهـو القسم الثاني من البرنامج الذي ذكرنا ، فانها ترتدي طابعا فريدا طريفا ، له فائدة خاصة .

والامثلة القليلة التي سوف نسردها في ما يلي ، امثلة بليغة بذاتها . وفي طليعتها اصلاح وتجهيز قصر الامير امين شهاب في بيت الدين ، الذي يعود تاريخه الى اوائل القرن التاسع عشر . فسوف يحول جناح من القصر الى فندق يضم ثلاثين غرفة ، على الطراز اللبناني الذي كان شائعا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

الى جانب الفندق ، يجب توفير مكتبة ، وقاعة معلومات واعلام ووثائق شرح هذه المرحلة من مراحل التاريخ اللبناني ثم قاعة محاضرات لعقد مؤتمرات ثقافية دولية ، وقاعة موسيقى طلقة . كذلك تعرض في القصر الاشياء والوثائق التي ترجع الى عهد الامراء .

وكل ذلك من اجل خلق بيئة تمثل ذلك العهد حتـى الطعام المقدم فانه يذكر بالطعام الذي كان يطبخ في انحاء الجبال من مئة عام . والخدم الذين يدورون حول الموائد يرتدون لباس القصر . الى جانب ليال فولكلورية ومباريات وفروسية وبتنزيه السياح على ظهر خيول مطهمة . وفي جناح آخر ينشأ مركز للآثار وللوثائق التاريخية .

ـ في دير القمر تعد بناية القيصرية لايواء الشباب حتى المئة نسمة .

اما مخازن الاتجار الحريـر فستتحول الى قاعـة محاضرات او مكان لقاء جميع شباب العالم .

ان قصر القيصرية هو القصر الاول للامـراء اللمعيين واشهر هؤلاء الامير فخر الديـن مؤسس لبنان العصري مطلع القرن السابع عشر) اما في طرابلس فان مواجهة خان المنزل (القرن الثالث عشر) التي اشترعت حجارتها ولكنها حفظت ، فلسوف ترمم وتلحق ببناء فندق تستوحى هندسته من خرائط الخان .

ثم ان ادارة الآثار ستضع في تصرف المجلس الوطنـي للسياحة حجارة من طراز القـرن الثامن عشر على مقربة من الخان كي تتحول الى فندق والغاية من ذلـك خلق جو الخانات التي مضى عليهـا ٧٠٠ سنة .

واخيرا فان ممرات جعيتا العليـا ستصلـح بحيث تبقى مفتوحـة للمتفرجين في ايار سنة ١٩٦٦ .

ان تحسين الاماكن الاثرية (مشروع الخمس سنوات) سيغذى من حصة الدولة من واردات كازينو لبنان (٢٥ ٪ من هذه الواردات . وفي السنة الاولى رصد اعتماد قدره ١،٦٥٠،٠٠٠ ليرة لاجل مشاريع خان المنزل في القيصرية ولقصر الامير امين .

وعندما يعلم المواطنون ان موارد السياحة اسهمت عام ١٩٦٤ في الدخل الوطني بمبلـغ ٢٠٠،٠٠٠،٠٠٠ لـيرة يدركون ان ما من توظيف مالي كان اخصب مما انفقت على تعزيز السياحة .

العمل في الخارج

والى جانب هذا النشاط في الجهاز الداخلي يضاعف مجلس السياحة اسباب الدعاية في الخارج وعلى الاخص في اوروبا الغربية القريبة من لبنان ولا سيما المانيا ففي هذه البلاد ارتفع مستوى الحياة الى حد انه مكن الطبقة الوسطى من الوسائل التي تسمح لها بان تقيم اسبوعين في بلادها . بالاضافة الى ان اجور النقل في المدة الاخيرة تدنت بنسبة محسوسة .

كيف يعمل المجلس الوطني للسياحة في الخارج ؟

في اهم المدن الاوروبية مكاتب على طراز المكتب العامل في فرانكفورت .

اتصالات مستمرة بين وكلاء السفر والشركات السياحية واتفاقات للدعاية مع الصحف ومع شركات العلاقات العامة.

رحلات الى لبنان منظمة يقوم بها الصحفيون ووكـلاء السفر والرجال السياسيون ورجال الاعمال ففي المانيـا نشر حوالي ٦٠٠ تحقيق صحفي وست مقالات على اثـر دعوة صحفيين المان لزيارة لبنان . كذلـك فان المجلس الوطني للسياحة بالتعاون مع جامعة لبنان في العالم يتصل بالمغتربين اللبنانيين في القارات الخمس وهو الذي اشترك بمؤتمر رجال الاعمال سيمثل بفضل م.ل.او. في مؤتمر السياحة الدولية الذي سيعقد في مكسيكو تحت رعاية هيئة الامم . والجدير بالذكر ان المجلس الوطني للسياحة قام بعملين يذكران :

ـ ففي عام ١٩٦٦ سينشأ خطان بحريـان الى بيروت تحمل بواخرها سيارات السياح الذين يرغبون في زيارة هذا الجزء من العالم بما فيه افريقية ، على متن سياراتهم .

ـ ان عدة شركات في ايطاليا وفرنسا تفكر في انشاء مراكز فندقية في لبنان لعمـالها ومستخدميها لقضـاء عطلاتهم فيه .

ان صناعة جديدة ولدت ولا تعيش ولا تنمو الا بعمل فني ودأب طويل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ ــ ايها المثقفون اللبنانيون ، اتحدوا

المقال الذي نشرته مجلة «تايم» عن جبران خليل جبران مناسبة جديدة للبحث في موقف الدولة من المثقفين اللبنانيين والثقافة اللبنانية، يذكرنا المقال بحقائق ثلاث :

١ ــ حضور لبنان في العالم ثقافي ، في المقام الاول . فان من يقرأ النتاج الفكري اللبناني يقرأ لبنان : يدخل في أبعاده ، يتفاعل معها ، يصير ، على مستوى الروح ، جزءا منها .

٢ ــ ليس هذا النتاج مصدرا من مصادر الثروة الحضارية وحسب ، وانما يمكن ان يكون ، الى ذلك ، مصدرا من مصادر الثروة المادية . والاحصاءات الواردة في المقال عن مبيع كتب جبران خير برهان .

٣ ــ الدولة اللبنانية لا تقدر اهمية الثقافة في وجود لبنان ومصيره، وهي تقف منها موقفا لا يليق بتراثنا ولا بما نطمح اليه . الثقافة ، كما تراها ، نشب طفيلي ، والمثقفون ، عندها ، «اشياء» غريبة من عالم اخر.

هكذا ، صدفة او قصدا ، تبني الدولة اللبنانية هذا الوطن على مثالها . بالنسبة الى الداخل ، تريد ان يكون غنيمة دائمة بين عدد معروف ، واحد الوجه كثير الاقنعة . وتريد ، بالنسبة الى الخارج ، ان يكون مستودعا مفتوح الابواب للعالم كله ، ان يكون طريقا آمنا للقوافل والبضائع ، مرفأ ضاحكا حتى التهريج في وجه السفن المحملة بالاكداس من كل نوع ، ايوانا مريحا ، فخما ، للزوار والضيوف العابرين .

ان يكون نسخة عن مظاهر الانحطاط في الغرب . (قال لي اكثر من اجنبي : تعودنا عندكم ان نكذب ، ندعى الى لبنان ، فنبتهج ، ظنا منا اننا سنلاقي عالما جديدا يجددنا . لكن، منذ ان نصل ، تصدمنا المفاجأة. نحاط بالاساليب والمظاهر ذاتها التي قرفنا منها في الغرب . نحن نشتاق الى ان نراكم في حياتكم الحقيقية ، الخاصة بكم وحدكم ، الاصيلة ، الصحيحة ، لا في هذه الحياة الزائفة التي تستعيرونها منها . ثم تسالوننا عن انطباعاتنا . ماذا ترانا نجيب ونحن ضيوفكم . انكم تعلموننا الكذب ...)

هكذا تريد الدولة اللبنانية صدفة او قصدا ، ان يكون لبنان . (من المناسب ان نذكر هنا ان الوزارة الحالية ، وهي وزارة مثقفين ، لم تشر بكلمة واحدة في بيانها الوزاري الى الثقافة . المثقفون انفسهم يهبطون ، عند لحظة عجيبة معينة ، في الهاوية التي تتعهدها الدولة وينسون اسماءهم) .

ان ثقافة الشعب ذات صلة جوهرية باستقلال شخصيته وحريتها . ذلك انها تعني فتحه الاغنى والاكبر . ثم ان ثقافة الشعب هي الاساس الاول للحلول التي يقدمها لمشاكله . ولذلك فان البلاد التي لا تعنى بثقافتها ، لا تعرف كيف تجد الحلول لمشاكلها ، ولا تعرف كيف تعنى باستقلالها ولا تعرف كيف تمارس الحرية . وهذه بلاد بلا شخصية .

هل هذا هو المصير الذي نريده للبنان ؟

ايها المثقفون اللبنانيون ، اتحدوا !

٢ ــ الرغيف والكتاب

تلاقي اثارة القضية الثقافية اللبنانية (لا اعني بالثقافة هنا ، التربية والتعليم ، وانما اعني الجوانب الابداعية من النشاط الفكري) صدى وتجاوبا في اوساطنا الفكرية خصوصا بين شبانها الطالعين .

فهؤلاء يعانون ازمة ثقافية حادة . يرون ، من جهة ، ان تلك الجوانب الابداعية من الثقافة اللبنانية (العلم ، الشعر ، الموسيقى ، الرسم ، النحت ، النقد ، المسرحية ، الرواية ..) اما انه غير موجود ، واما انه نادر جدا . وهذا النادر شبه ضائع في العزلة ، او في طغيان المقاييس الجامدة ، او في طغيان الجهل .

ويرون ، من جهة ثانية ، ان حولهم من يصطنعون قناعا من الادعاء يضعونه على وجه لبنان ثم يضعون لبنان مع العالم ، على كرسي فخم في ايوان الحضارة . فوق ذلك : يصدقون ان هذا القناع هو الوجه الحقيقي . واكثر . تدفعكم حمى هذا التوهم الى ان يسلبوا الاخرين امجادهم ، وينتبوها ، بحيث نرى فجأة ، ان هوميروس ، مثلا ، تحول بقدرة الوهم ، وصار لبنانيا !

هكذا نعيش في فراغ مزدوج : منفصلين عن الواقع . منفصلين عن انفسنا . نعيش بلا حقيقة . ويصبح عالمنا الثقافي سطوحا متموجة تعمرها الفقاعات من كل لون !

وفضلا عن ذلك ، وهذا ما يزيد الازمة حدة وعنفا ، يرى شباننا المثقفون الطالعون ان الاهتمام اللبناني العام يتركز على اشكال الحياة ووسائلها لا على جوهرها وغايتها ــ يتركز على الرداء لا الروح ، على الرغيف لا الكتاب ، على كل ما يؤدي الى اعتبار الانسان وسيلة .

طبيعي ان العناية باشكال الحياة وطرائقها امر في غاية الضرورة والاهمية ، لكن هذا يبقينا في نطاق الوسائل . فالغاية هي الانسان ــ تكامل شخصيته وتحقيق ذاته . والاقتصار على الاهتمام بالوسائل ، يؤدي الى اعتبارها غايات ، مما يؤدي بالتالي الى قتل الانسان .

ان علينا حين ناخذ الرغيف بيد ، ان نتناول الكتاب باليد الثانية . ذلك ان محور التقدم ، اخيرا ، يدور حول قضايا الابداع الانساني في العلوم والفنون والفلسفة . فهذه القضايا هي وحدها التي تجعل الانسان سيد تاريخه ، وتمكنه من السيطرة على الطبيعة . وهي ينبوع القيم التي تحفظ تراث الانسان ، وتدفعه الى التجاوز والاستباق ، واضافة ابعاد جديدة الى الحضارة الانسانية . فلا يستطيع اي بلد ان يشعر الشعور العميق الكامل بانه مساو للشعوب المتحضرة المبدعة ، اذا لم يكن قادرا على المشاركة بقيمه الثقافية الخاصة الاصيلة في تراث الانسانية . ذلك ان البلاد التي يقتصر نشاطها الثقافي على الاخذ ، بلاد بلا حقيقة ، ولا شخصية .

لقد برع اللبنانيون في خدمة الوسائل وعليهم الان ان يبرعوا في خدمة الغايات .

« لسان الحال » ادونيس

طالعوا كل شهر

المجلات الثقافية اللبنانية

الآداب الحكمة

العرفان العلوم

فهي تحمل اليكم النتاج الفكري الرصين والابحاث القيمة باقلام خيرة الكتاب والادباء

تكريم مجلة « الاديب »

وفاء للادب وللحركة الادبية في بلادنا ، نستقبل بسرور وتأييد ما يدور ، هذه الايام ، في اوساط اهل الادب عندنا من رغبة في تكريم مجلة «الاديب» بشخص صاحبها الاستاذ البير اديب .

لهذه المجلة الكريمة دين في اعناق جيل من الادباء اللبنانيين الذين نهضت اسماؤهم والتمعت منذ ظهور التباشير الاولى لفجر الاستقلال الوطني اللبناني ثم منذ اطلالة فجر الاستقلال واشراقته على هذه الربوع وبعثه الحقيقة اللبنانية بوجهها الصحيح الصريح ، وما انبعث معها من مواهب جديدة اندفعت للتعبير عن هذه الحقيقة بحرارة وثقة وفرح بالانسان اللبناني الذي اكتشف ، في ضوء الحياة الاستقلالية الجديدة ، عمق ارتباطه بارض الوطن وتاريخه وتراثه الروحي والفكري وبكفاح الاجيال من شعبه .

ان تاريخ مجلة « الاديب » يقترن في اذهاننا جميعا بتاريخ تلك الحقبة التي اخذ فيها الادب العربي بلبنان ينمو في تربة لبنان المستقل مع نماء الحياة الاستقلالية ذاتها .

كم من الاسماء اللامعة اليوم في اوساطنا الادبية والفكرية ، ما يرجع تاريخ تالقها الى يوم كانت مجلة «الاديب» تستقطب في صفحاتها الادباء والمفكرين الوطنيين الاستقلاليين في هذا البلد .

بل ، من الحق ان نقول : ان «الاديب» كانت تستقطب في عهدها الزاهر ذاك معظم المواهب الادبية الطالعة عهدئذ لا في لبنان وحده من بلاد العرب ، بل في سورية والعراق ومصر وغيرها كذلك ، حتى ليكاد يكون من النادر ان نذكر اليوم شاعرا او قصاصا او كاتبا او ناقدا من جيل الشعراء والكتاب والنقاد العرب الذين اخذت تشتهر اسماؤهم منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية ، دون ان نذكر ان مجلة «الاديب» كانت طريقه الاولى الى الاشتهار في العالم العربي .

ثم جدت احوال وظروف على حياتنا العربية غيرت كثيرا من الآراء والاتجاهات والمفاهيم ، فلم يكن للادب الا ان يواكب حركة التغير هذه ، والا ان يتاثر بها ويؤثر فيها ، ثم ان تتعدد المناخات الادبية والفكرية من اجل ذلك .. ولكن «الاديب» ـ بالرغم من ان هذا الانقسام وهذا التعدد قد فرضا عليها نوعا من العزلة القهرية عن ساحة المعركة الحيوية الملتهبة ـ بقيت مناخا ادبيا وفكريا سليما ذا طابع خاص يتميز بالهدوء الى حد التوهم بانه مناخ يقع خارج حدود الزمان والمكان التاريخيين ..

لقد كانت عزلة قاسية جدا هذه العزلة التي فرضتها الظروف على مجلة «الاديب» ، ولكن صاحبها الكاتب الشاعر المرهف الاحساس المفعم باطيب حوافز الخير الانساني ، قد احتمل اعباء العزلة هذه بصبر بطولي ، وهذا ما مكن له ان يظل دائبا ، من غير كلل ولا يأس ، في اصدار مجلته الكريمة ، رغم تعاظم المصاعب في طريقه ، ورغم تعرض طاقته الجسدية للارهاق الفادح .

اننا نحيي هذا الصمود الشجاع ، ونحيي ذلك التاريخ المتوهج الذي انشاه البير اديب بزخم قوي من قلبه وفكره وعزمه وصبره ، ونحيي مجلة «الاديب» العزيزة على قلوبنا جميعا .

انه لحق الوفاء علينا للادب ولـ «الاديب» ان نشارك في تكريم هذا التاريخ الطيب ، بكل ما نستطيع من مشاركة .

« الاخبار »

حسين مروة

البير اديب : ٢٥ عاما في خدمة الادب

بعد اشهر قليلة تدخل المجلة الادبية الكبرى «الاديب» لصاحبها مفخرة ادباء لبنان الاستاذ البير اديب عامها الخامس والعشرين وهي لم تنقطع عن الصدور عددا واحدا . وتكون بذلك قد برهنت على دأب وثبات رغم ما صادفها من العقبات والصعاب .

واذا قلنا الاديب او صاحبها البير اديب فمعناه اننا امام باعث النهضة الادبية الحديثة ليس في لبنان فحسب ، بل في العالم العربي ايضا ، حتى ان جميع ادباء العرب الشباب اليوم لا ينكرون انهم تتلمذوا على الاديب ، وكانت الاديب اول من حضن انتاجهم واخذت بيدهم ، واثرت بهم في نهجهم الادبي وفي توسيع افاقهم وسلوكهم مناحي التيارات العصرية في الادب العالمي ، ولا غرو فقد كان صاحب الاديب اول من بذر ارهاصة الادب الرمزي وأول من اطلق مدرسة الشعر الطلق، الشعر المتحرر من الاوزان والقوافي مع محافظته على الصور والاصالة الشعرية والمعاني العربية الرائعة ، يوم لم يكن هناك احد في العالم العربي يجرؤ على الانقلاب على الشعر القديم او الثورة على قواعد الخليل بن احمد الفراهيدي .

ولا غرو اذا تنادى اليوم فريق من كتاب وادباء لبنان لاقامة مهرجان ادبي ضخم لتكريم البير اديب بمناسبة يوبيل الاديب الفضي ، لا بل الغرابة الا يقام مثل هذا المهرجان ، او لا تساهم به الدولة كما ساهمت في اقامة مهرجان بشاره الخوري او شبلي الملاط ، وكل املنا ان تكون حفلة المهرجان القبلة لتكريم الاديب في مستوى المجلة الراقية التي يصدرها صاحبها في مستوى ارفع الادباء في العالم العربي .. وفي مستوى بيروت التي اصبحت اليوم عاصمة الثقافة والادب والشعر في دنيا العرب .

والسياحة التي تربطها بالاديب اخلص الصداقة واوثق الروابط تضم صوتها الى مكرمي البير اديب استعدادا للمساهمة بكل مستطاعها ليكون مهرجان الاديب مهرجانا للادب العربي المجلي الذي صانته هذه المجلة الراقية طوال الـ ٢٥ سنة من حياة صاحبها .

مؤلفات الروائي السوري

فاضل السباعي

الشوك واللقاء	حلب ١٩٥٨
مواطن امام القضاء	القاهرة ١٩٥٩
الليلة الاخيرة	القاهرة ١٩٥٩
نجوم لا تحصى	بيروت ١٩٦٢
ثريا	بيروت ١٩٦٣
ثم ازهر الحزن	بيروت ١٩٦٣
الظمأ والينبوع (طبعة ثانية)	بيروت ١٩٦٤
حياة جديدة (طبعة ثانية)	بيروت ١٩٦٤

تحت الطبع

رياح كانون

جراة وصدق وفن

انعطافة جديدة في ادب المؤلف

الناشر : المكتبة الاهلية بيروت

مي زيادة في صداقتها

بقلم السيدة ودادسكاكيني

* * *

من اقوال مي : أن الصداقة تزرع الحياة ازهارا . ولقد عرفت مي منذ الطفولة والحداثة صداقة هي أعمق ما في الوجود وأصدق ما في الحياة، ولعلها دون غيرها لا تخون ولا تزول ، تلك هي الطبيعة فقد صادقتها « مي » في وحدتها وغربتها طالبة صغيرة في عينطوره بلبنان ، بعيدة عن والديها ، كانت تتجلى في ظلال الشجر ومنسرح النظر الى شطوط البحر وهبات النسيم وخضرة الارض واطلالة الزهر في الربيع ، وكل هذا كان من كلام صديقتها الاولى : الطبيعة في مجاليها ، ومن ها هنا قالت مي في كلمتها الشعرية : « ان الصداقة تزرع الحياة ازهارا » .

وقد عرفت مي الصداقة في الطير فكان « كنارها » المحبوب يناغيها وتناغيه في اشعاعة الصباح وفي انسياب العشايا ، ومن يدري فلعل همسة سحرية من لغة سليمان في مكالمة الطير قد مرت بروح مي وانسربت الى سمعها ولسانها فكانت تفهم ما كان يقول طيرها الحنون « بينما كنت اقرأ واضحك توقف كناري عن التفريد ، لينظر الي كأنه يقول : ايتها الصديقة الكبيرة لماذا تضحكين هكذا ؟ (١) . »

ولما مات الهزار بكته مي وكتبت في رثائه « طائر صغير أحببته شهورا طوالا ، غرد لكآبتي فأطربها وناجى وحشتي فآنسها ، غنى لقلبي فأرقصه ، ونادم وحدتي فملأها ألحانا » ولما وصفته قالت :

« امتزج ذكره بحياتي فحل عندي محل صديق » كان طائرا صغيرا نسجت أشعة الشمس ذهب جناحيه وانحنى الليل عليه فترك من سواده قلة في عينيه ثم سقطت عليه يد البشر فضيقت دائرة فضائه وسجنته في قفص كان عشه في حياته ونعشه في مماته » .

« في الصباح كنت أجلس للدرس والتحبير فتشمئز نفسي أحيانا من عبوس الكتب ويقف يراعي في يدي فيأخذ كناري في الزقزقة والتفريد وتأتي جماعة طير من الخارج فتوحد التفاريد عند نافذتي كما تمتزج الالحان في قلب الامواج ، اذ ذاك تبتسم الافكار على صفحات الكتب امام ناظري ويتمايل قلمي تمايل الصفصاف عند الغدير » .

وصادقت مي الفن ، فكانت الموسيقى والانغام تبادلها حبا بحب منذ تفتحت فيها المواهب وهي طالبة في المدرسة ، فاذا خلت الى نفسها جعلت اصابعها تداعب اصابع البيانو او اوتار العود ، كانت البيضاوات المرصوصة وهي توزع النغم تلمس بالحنان أنامل مي الفضة التي كانت تشبهها بلونها العاجي ، واما الاوتار فكانت لديها بمنزلة نياط القلوب ، لقد سمعت مي ترجيع اوتارها وفهمت عنها ما قالت في المودة والسلام ، وما عرفت الموسيقى الا معانيها الانسانية المجردة عن البغضاء والمكايد ، ولا بدع اذا احبتها وتخيلت ان السماء جوقة موسيقية بارعة تعزف من الالحان الربانية ما لم تسمعه من هذه الارض اذن ولم يخطر منه على قلب بشر » .

وقالت : ان الموسيقى لتخاطبني بلغة ليس أقرب منها الى ادراكي وعواطفي ، انها تنيلي أجنحة وتطير بي الى عوالم لا يطرقها غيرها . « اشكرك اللهم لانك فطرتني على حب الموسيقى والجمال » (٢) .

وحين أدركت مي أن الانسان لا يستطيع أن يعيش وحده ، وان صداقته لغير الانسان لا تشبع مزاجه ولا ترضي طبيعته واهدافه فتحت قلبها وبيتها للصداقة والاصدقاء ، فذكرتني بنابغة القلم واللسان ابي حيان التوحيدي الذي وقف كتابا من أعز كتبه واغناها بالفكر والفلسفة على موضوع الصداقة والصديق .

وأبو حيان نفسه وقع فيما وقعت فيه « مي » من الايمان بالصداقة حتى كفر بها مثلما كفرت بعد حين ولو أنهما معا تذكرا قول الشاعر :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذعوى وصوت انسان فكدت أطير

لانكر كل منهما على حداثة التجارب والسن فكرة الصداقة والصديق ، ولو عللنا محنة مي وحللنا اسبابها لوجدنا خلو قلبها من الصداقة والصديق بعد أن امتلأ بهما ، هو من جملة الاسباب في تلك المحنة ، فكأي من غني افتقر فتمنى الموت في حال فقره ، وكم من امرأة وقفت امام المرآة فجعلت تعد سنيها وتتأمل في وجهها وهي تذكر شبابها فتمنت الموت ، واما الملوك والكبراء فكم أوصى الحكماء بان نرحمهم بعد عز ومجد ، فمن لي بعد ندوتها العامرة بالصداقة والاصدقاء وامتلاء قلبها بالاحزان بعد وفاة امها وكانت لها الصديقة الصادقة التي استأثرت بها واعدتها لحياة دلال لا تعرف الكفاح .

وربما لم تسعد امرأة في حياتها بالصداقة مثلما سعدت مي بأعز الوانها وبأرقى الاصدقاء ـ والصديقات مكانة وفكرا ، ويقول الذين عرفوها انها كانت ترعى حق هؤلاء ، وتقدر تقاليد المجتمع تجاه صديقاتها من غير ملتها ، على اني لا استطيع أن أجد هذه الصداقة جديرة بالتخليد لانها انفضت عن مي حين ادركتها المحنة ، وانقلب ذلك الود الى اشفاق عليها من بعيد ، ورثاء لمصيرها ، ولو قدر لها ان تكتب خواطرها في عزلتها ومحنتها ، لصبت غضبها على الصداقة الخائبة التي تراءت لعينيها في اخر حياتها كالسراب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأشد ما حز في نفسها وعز عليها ان تتفقد الاصدقاء في المرض والوحدة والعذاب فلا تجد مواسيا ولا مؤنسا، ولا ترى قريبا منهم ولا غريبا ، ومن يدري فربما كانت تتمثل بحكمة من حكم ابي الطيب حين تلفت فلم يجد صديقا واعياه البحث عنه فتمنى ان يجد عدوا مداجيا، فلم يجد ، ووجدت مي القريب المريب والمستغل الحسود، والشامتة بمصيرها .

وكم اتخيل ميا في شجونها وانقباضها وحيدة شريدة، طلع عليها في ظلمات ليلها مردة وشياطين يلقون الرعب في قلبها ويصرخون من جوانبها حتى ملأوا سمعها بمنكر الاصوات وتراءوا لها بايديهم مواقد من الجحيم هجموا بها عليها ليحرقوها ففزعت وصرخت فأشهدوا عليها الناس بالجنون .

ولو اتيح لمي في زحمة الهواجس والهموم ، ان تزحزح عن منكبيها عبء احزانها لتنسمت هواء الحياة كما كانت تتنسمه وانتقمت لنفسها من اصدقائها الذين اهملوها وتخلوا عنها او تناسوها ، فكتبت فصولا خفاقة بالدم والنار ، لكنها رأت ان تكتب بدون خط ولا سطور ، وأن تتكلم بغير تعبير ، فاختارت الصمت والاعراض عن كل صديق حتى لو انها ملكت القدرة لاعرضت عن نفسها ، غير ان هذه النفس التي وجدت ذاتها مفترى عليها حبيسة متهمة بالجنون كابدت من الهم والالم ما لم يكابد مثله الا القليل من المعذبين في حياتهم ورسالاتهم ولو قيضت لمي وهي تعاني العذاب النفسي في وحدتها صداقة انسانية خالصة تخفف عنها بلواها لانستها ما حملت معها من ظلم ذوي القربى الطامعين في مالها ، ولم تكن مي ذات ثراء ، لكنها اصبحت وحيدة وما ادخرت لكهولتها كان يكفيها ، فكيف تترك من غير تنفيص او افتراء ؟ .

على ان ميا اخطأت في حسبانها للصداقة والاصدقاء واعتمادها على دوام الصداقة ، وكيف خفي عليها وهي الذكية التي عرفت عواقب الامور واوائلها ان الصداقة تشبه الزهرة وان لها عمرها وعطرها ، واذا لم تكن قائمة على تبادل المنفعة فانها لا تدوم ، وان دامت فلا بد ان تتحول او تتبدل ، غير اني اعجب لمي كيف كانت تنتظر ود الاصدقاء في عزلتها وهي التي تجافت عنهم منذ دهتها الدواهي وآثرت الوحدة ؟ . وهل فاتها ان الذين آثروها بودهم وتهافتوا عليها بالحنان والاعجاب في شبابها وتألق ادبها لم يشذوا عن طبائعهم اذ كان من شأنهم الاقبال على الانثى طالما وجدوا لديها ما يطيب لهم فيها ؟ وقد طاب لهم في مي ثقافة المرأة المبكرة وسحر فنها وحديثها وروعة ندوتها كل ذلك كان في اطار انوثتها العذبة وطلعتها الجاذبة فلما ولى شبابها وغاض من روضها الماء وذوى الزهر ولم يبق ذلك النسيم العليل يهز الغصون كان من الطبيعي فيما فطر عليه الناس ان يعرضوا عن الحديقة المقفرة .

وتلفتت مي في محنتها لترى صديقتها بنت حواء ، هل سألت عنها وفقدتها بعد ان تخلف الاصدقاء من الرجال ؟ فوجدت تلك القلوب الندايا التي طالما ادعت الاعجاب بها وبأدبها والشوق الى لقائها والحنان عليها قد جفت وصارت على القرب والبعد حجارة لها وشوكا ، وكانت مي تنتظر ان تنسيها النساء قسوة الرجال .

وهذا الامر لم يكن في الفلسفة التطبيقية لمي وعدرها عندنا انها كانت في كل شيء قل او كثر وبعد أودنا مثالية المبدأ والغاية ، وكم من عظيم من الرجال والنساء من أعماق التاريخ حتى اليوم كان ضحية مثاليته التي اقام عليها وعاش فيها ، ولو وقفنا من موضوع الصداقة عند مي موقف الناقد العادل لوجدنا ان ميا ربما كانت هي المسؤولة عن تخلي الاصدقاء عنها بسبب الاحتراز الذي طبعت عليه وعزة النفس التي كانت ترافقها في سيرتها وحياتها كلها ، فهي لم تلجأ الى صديق او صديقة حين اغلقت بابها وفضلت الصمت والعزلة ، وقد جاءها بالرغم من سدودها التي اقامتها بينها وبين الناس من يسأل عنها ويقف ببابها طويلا (٣) فكانت لا تجيب ولا تأذن لاحد بالدخول حسبانا منها بانهم ظلموها باهمالهم ، بعد ان غدر بها بعض اهلها في عدوانهم على تراثها الذي كانوا يرتقبونه على نار .

على ان الصداقة نفسها تأبى ان تزول من المعاجم ومن السنة الناس وقلوبهم ، لانها بحق مهما اعتراها من المثاب، تظل منحة الهية بين الانسان واخيه الانسان ، وهي اذا نامت فلا بد ان تستيقظ واذا شردت فلا تلبث ان ترتد ، واذا غابت فانها لا بد ان تعود ، ومهما يتجهم وجهها فلا بد للابتسامة ان ترجع الى محياها ، وقد عادت الى مي وهي في أشد الحاجة اليها حين حجزت عن الاعين في المستشفى ، فأطلت الصداقة عليها وهي راقدة في سريرها معذبة في نفسها وجسمها ، وفي وجوه جديدة وقديمة كانت غائبة عنها ، فلما التمست لديها المعاذير تقبلتها عاتبة واجمة حتى ارتدت اليها حريتها وخرجت من المصحة الى منزل خاص بها في رأس بيروت ، وهناك تجددت الصداقة بينها وبين الذين ساعفوها وانصفوها (٤) وكان الوجه الحنون الذي لازمها في ساعاتها الحرجة ووحدتها المضنية ، وجه فتاة دمشقية كريمة المنبت والانسانية افاضت الكثير من صباها وحناها على مي فانعشتها كما ينعش الماء النبات الجاف في وجه الشمس وهذه الفتاة الحسناء ذات المروءة

(١) من مذكرات مي . (٢) ازهار حلم لمي . (٣) هو صديقها الوفي الفيلسوف الدكتور منصور فهمي ، وقد ردت له الزيارة بعد عودتها من لبنان . (٤) منهم الاساتذة البير اديب وفؤاد حبيش وسعيد عقل والريحانيان امين والبرت وخليل الخوري شقيق الفارس وانيس ناصيف . (٥) من افضل الرؤساء الذين تولوا الوزارة في زمن الانتداب بدمشق .

من وحي ميلاد المسيح

في يوم مولده المسرة في الورى ... فجلا بغرته الظلام من الثرى
واذيع في طول البلاد وعرضها ... ولد المسيح فما ابر واطهرا
فليفخر التاريخ في اسفاره ... فخرا سيخلد في الدهور مسطرا
لا ينكر الانسان ما اوليته ... من نعمة اذ فاض كفك كوثرا
قال المسيح وفي الحديث هداية ... ان كان شكك في يديك فتبترا (١)
ولطالما اشتقنا لقرب طالما ... كادت بنا الالام ان تتفجرا
تهفو النفوس لحبه مشتاقة ... ويكاد قلب المرء ان يتفطرا
ولقد نذرت الى المسيح قصيدتي ... زينت شعري في مديحي جوهرا
ونظمت من طيب الولادة ناشدا ... وجعلت مدحي في المسيح مكفرا
ورجوت منه غفر ذنبي في الدنا ... ومحبتي في مثله لا تمترى

يا من عرفت الرفق في انجيله ... وجهلت شرعته الحكيمة في الورى
وتركت موطنه العظيم مقسما ... بين الصهايين اللئام معفرا
حاشاك ترضى يا يسوع مذلة ... وترى العقول تباع فيها تشترى
يا سيدي اضحى اليهود بقدسنا ... وهمو همو ابدوا الحديث المنكرا
جحدوك في اقوالهم وفعالهم ... ورموك بالقول البذيء المفترى
كفروا بهديك اذ قدمت لنصرهم ... تبت يدا من رام منك تغيرا
وسموت في بث المكارم في الورى ... حتى بلغت من العلا سامي الذرى
واذا امرؤ ناداك في صلواته ... فكانه نادى السحاب الممطرا
وتملكتني من رؤاه رعشة ... فسهرت ليلي تاركا حلو الكرى
ونظمت شعري في هواه معبرا ... ومرتلا آيات قلبي شاكرا

بغداد — عبد الخالق عبد الرحمن

(١) جاء في الفصل العاشر الآية ٤٢ من انجيل مرقس « فان شككتك يدك فاقطعها فخير لك ان تدخل الحياة وانت اقطع من ان يكون لك يدان وتذهب الى جهنم الى نار لا تطفأ . »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والشهامة هي بدرية عطا الايوبي (٥) التي لا تزال تعيش على ذكرى صداقتها لمي ، وتأسف انها عرفتها وهي كوكب يسري الى الغروب .

وقد كانت هذه الفتاة المثقفة الشاهدة الملازمة لمي في وحشتها وانسها وفي خوفها وامنها وقفت منها على حقيقة محنتها التي اتهمت فيها بالجنون .

فاذا قالت مي عن الصداقة في شبابها وعز ادبها انها تزرع الحياة ازهارا فما اجدرها بان تصور الشوك الذي يرافق الورد ، لتتم فلسفتها الوضعية وهيهات فانها خرجت من الدنيا بدليل مادي على شوك الازاهير الذي ادمى كفيها .

وحين اطبقت عينيها الى الابد كان بجانبها اربعة اصدقاء صامتين بغير دموع ولا شهقات وكأنهم مثلها قد اطبقوا أنفاسهم ، كانوا اربعة كتب في اربع لغات أتقنتها « باحثة البادية » « غرازيلا » « دليل حلمي التائه » ، « صورة دوريان غراي » .

فاذا ضاعت صداقة مي في الدنيا فان في ادبهاوتخليد اسمها وراء القبر صداقة لا تبلى ، ولها فيما تركت من آثار وفيما تأثر به الادب والادباءالذين سعوا اليهاوقدروها قدرها في عمرها الذهبي بقاء الذكر الذي تزيده السنون تجديدا وترديدا .

دمشق — وداد سكاكيني

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي
من « العروة الوثقى » في لندن

* * *

كانت الفلسفة في الغرب في عصورها الحديثة منقسمة الى اتجاهين : اتجاه اوروبي يعتمد على تعظيم العقل واتجاه انكليزي يعتمد على التجربة والاختبار . فبينما كان الفلاسفة في اوروبا وخصوصا في المانيا يرون ان العقل هو المقياس لكل شيء ، كان الفلاسفة في انكلترا يشكون في مقدرة العقل وحده على القيام بهذا الدور ويرون ان التجربة والاختبار هما الحكم النهائي على صحة الافكار والنظريات . ولا يزال هذا الاتجاه سائدا بصورة عامة في بريطانيا ، حيث يرتاب البريطانيون في النظريات المجردة والافكار المنطقية الصرفة ، ويرون ان التجربة خير برهان على صحة المنظومات الفكرية ، وعلى فائدتها من وجهة عملية . وهم بذلك اقرب الى الفلسفة الغالبة في امريكا الشمالية ، وهي « الفلسفة العملية » التي تعتبر في خدمة الغرض المقصود المقياس الدال على صحة الافكار والنظريات . ولعل هذا الاتجاه الفكري في بريطانيا وامريكا الشمالية عموما قد حال دون انتشار الفلسفة الوجودية فيهما .

ولم يتغير هذا الاتجاه الانكلو ـ ساكسوني، وانما الذي تغير هو الاتجاه الفكري الاوروبي . فبعد ان كان الفلاسفة الاوروبيون يعظمون العقل ويعدونه الحكم النهائي في معرفة الحقائق ، اخذوا فيما بعد في التحول عن هذا الموقف وفي الارتياب بمقدرته على ادراك الكون وحقائق الاشياء . وتزعم هذه الحركة ، كما قلنا من قبل ، الفيلسوف الالماني « كانت » . ومن جملة ما قاله هذا الفيلسوف ان للعقل دائرتين : دائرة تختص بالادراك الحسي الذي يقوم عليه العلم الطبيعي ودائرة تختص بالدين والاخلاق ، وان لكل دائرة من هاتين الدائرتين معيارا خاصا . فكأنه بذلك قد جعل الدائرة الثانية مرصدا يرقب منه التفكير العقلي ويحكم عليه بمقاييس مختلفة . وقال ايضا ان العقل هو الذي يضفي على الاشياء صفات غير موجودة فيها . ومن ذلك مثلا ان النظام الذي نشاهده في الحوادث الطبيعية انما هو من صنع العقل ، لانه هو الذي يجعلنا نظن بأن الحوادث تجري على نظام طبيعي ثابت . وقد خالف بهذا الاراء الفلسفية السابقة عن حقيقة الكون . ولنأخذ لذلك مثلا الفيلسوف الاغريقي ارسطو . فان هذا الفيلسوف القديم كان يرى ان المعرفة شيء والاشياء المعروفة شيء آخر . والعلاقة القائمة بين العارف والمعروف لاتغير حقيقة الاشياء ، بل يبقى الشيء المعروف على حاله ، وانما الذي يتأثر بهذه العلاقة هو العقل لانه ، على اثر هذا الاحتكاك ، يكون افكارا وصورا عقلية فيه . وسار فلاسفة القرون الوسطى ، ومنهم الفلاسفة العرب ، على هذه الطريقة .

وكان ديكارت الفيلسوف الفرنسي في القرن السابع عشر يعترف بوجود العالم كاعتراف الفلاسفة الاقدمين ، ولكنه كان يعتبر ان المشكلة الفلسفية الكبرى هي كيفية معرفة الانسان لهذا العالم . فهو قد عاد الى وضع ذي قطبين في علاقة الانسان بعالمه : القطب الواحد هو النفس والقطب الثاني هو العالم . وصرف اهتمامه الى القطب الاول ، واخذ يتساءل عن امكان معرفة الانسان لهذا العالم . وخرج في افكاره الفلسفية التي اودعها كتابه « التأملات » الى ان المعرفة تأتي عن طريقين : الاحساس والعقل . ثم ادى به البحث الى الشك في صحة المعلومات عن هذين الطريقين ، وانكر ان يكون العقل او الاحساس دليلا يعتمد عليه في معرفة العالم الطبيعي . ولم يبق لديه شيء حقيقي يعتمد عليه الا الوجود ، وقال عبارته المشهورة : انا افكر فانا موجود ، فالحقيقة الاولى الثابتة عنده هي انه مخلوق مفكر . وقال ان مجرد التشكك برهان على انه موجود ، فالفكر في رأيه هو الماهية ، او الجوهر وان ما ندركه بالعقل ليس الا اعراضا لهذا الجوهر ، وان جميع مدركاتنا لا تتعدى ان تكون مدركات فقط ، وان العالم الحقيقي لا يزال ممتنعا عن شعورنا به . فنحن اذن لانعيش في العالم ولسنا موجودين فيه ، وانما تكون مدركاتنا صلات تربط بين شعورنا والعالم . وجواب الوجوديين على ذلك بسيط وهو اننا نعيش في هذا العالم .

فهذا الشد بين الفلسفة التي تؤمن بحقائق الاشياء مستقلة عن العقل والفلسفة التي ترى ان الاشياء عبارة عن افكار او صور عقلية ، انتهى الى طريقة ثالثة وهي طريقة الفيلسوف الالماني ادمند هسرل (١٨٥٩ ـ ١٩٣٨)، وهي المعروفة بالفلسفة الوصفية . ويجب هنا التفريق بين هذه الفلسفة والفلسفة الظاهرية . فان عالم الفيلسوف يختلف باختلاف الفلاسفة والنظريات الفلسفية . فعالم الحس العام يتألف في الغالب من اجسام او اجرام مجسمة، ولهذه المجسمات صفات مختلفة كاللونة والقساوة والحرارة والبرودة والحجم والشكل والثقل . وقد لا تكون هذه الصفات على حالة واحدة دوما بل تختلف باختلاف الاشخاص والاحوال . فالشيء يرى صغيرا عن بعد ، ويكون ثقله في اليد اليسرى اكثر منه في اليد اليمنى ، وهكذا . ولكن هذه الصعوبة يمكن التغلب عليها اذا استعملنا المقاييس العلمية ، كأن نقيس الشكل والابعاد بالمسطرة مثلا والثقل بالميزان والحرارة بميزان الحرارة وهكذا . فالمعلومات التي نحصل عليها باستعمال هذه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المقاييس العلمية تعطينا حقيقة الليونة والقساوة ، والحرارة والبرودة والحجم والشكل والثقل هذه المعلومات هي المعلومات الحقيقية ، في حين ان المعلومات الحسية المجردة هي المعلومات الظاهرية . فالصفات التي تقبل القياس وتتحدد بالمقاييس العلمية تسمى « الصفات الاولية » والصفات التي لا تخضع للقياس تسمى «الصفات الثانوية» . ولكنها مع ذلك صفات حقيقية موجودة ، لا تقل في ذلك عن الصفات الاولية . فالاعشاب الخضراء ليست خضراء ظاهريا وانما هي خضراء حقيقيا . ثم ان الاعشاب الخضراء جميلة المنظر ، وجمالها ليس ظاهريا بل هي جميلة في الحقيقة . والجمال هنا مزيج من عوامل مختلفة . ولذلك اطلق على هذه الصفة اسم آخر وهو « الصفة الثالثية » .

اما عالم العلم ، خلافا لعالم الحس العام ، فيتالف من الاشياء التي يمكن قياسها . فهو اذن عالم الصفات الاولية . ولهذا فان العلماء ينكرون الصفات الثانوية والثالثية . فالخضرة مثلا في رايهم ليست الا احساسا ناشئا عن بعض الامواج الضوئية التي تقع على شبكية العين . وهذه الامواج يمكن قياسها ، فهي اذن من الصفات الاولية ، وليست من الصفات الثانوية . ثم ان الاجسام في نظر العلم عبارة عن جزيئات والجزيئات عبارة عن ذرات والذرة مؤلفة من اجزاء دقيقة اخرى او الكترونات تدور في مدار شبه المجموعة الشمسية ، وهذه الاجزاء الدقيقة عبارة عن شحنات كهربائية تسبح في الفراغ . فالجسم الجامد الذي نعرفه بالحس العام عبارة عن فراغ في نظر العلم . ولذلك كان العالم الانكليزي ادنكتن يقول ان الطاولة التي نجلس امامها طاولتان : طاولة الحس العام وطاولة العلم . ومعنى ذلك ان عالم الحس العام عالم يختلف عن عالم العلم . ثم ان اينشتاين انكر ان يكون للشيء حجم وشكل على وجه التحديد . لان هذا الحجم او الشكل يختلف باختلاف موضع المقياس الذي نستعمله وسرعته في الفضاء . وعلى ذلك فان الصفات الاولية لم تعد صفات مطلقة ، بل اصبحت في نظر العالم صفات نسبية ، واصبح الانسان يشعر انه يعيش في عالم مختلف كل الاختلاف عن العالم الذي يعرفه ببدائه العقول . وكلما تعمق العالم في تقصي الاشياء وجد ان المقاييس نفسها التي يستعملها هي ايضا نسبية وليست مطلقة ، ووجد ايضا ان العالم الذي نشعر به وهم من الاوهام . وتطرق الشك ايضا الى العلاقة المعروفة بين العلة والمعلول . واخذ العلماء يشككون في حقيقة هذه العلاقة ، فالرؤية مثلا تنتج عن الاشعة الضوئية التي تخرج من الشيء فتمر في الهواء ، ثم تقع على العين وتسير فيها الى الشبكية فيحدث تفاعل هناك مع الاعصاب التي تنقل ذلك التفاعل الى الدماغ فيحللها الدماغ ويصل الى نتيجة معينة او حلم معين ، بعد هذه السلسلة الطويلة من الاثار والمؤثرات . وهنا يتساءل العلماء : كيف يصح لنا ان نقول ان الحكم النهائي للدماغ يعطينا صورة مطابقة للشيء المنظور او شبيهة به ؟ فالصورة النهائية قد تكون ، بعد هذه التفاعلات والتطورات الطويلة ، شيئا يختلف تماما عن الشيء الاصلي . فالاحكام العقلية النهائية قد تكون شبيهة بشعور المريض بطعم المرارة في الماء العذب او شبيهة بانكسار القضيب اذا نظر اليه وهو في الماء .

وثمة عالم آخر . وهو عالم الماديين . فالفلاسفة يجدون انفسهم بين عالمين : عالم الحس العام وعالم العلم ، وعليهم ان يختاروا واحدا منهما ، ولكن المخرج الوحيد لهم هو ان يعترفوا بان احد هذين العالمين وهمي غير حقيقي ، او انه اعتباري محض . وهنا يأتي دور الماديين . فالماديون يؤمنون بعالم العلم . ويعتقدون ان المادة حقيقة ثابتة اولية ، توجد مستقلة عن العقل ، وهي مصدر احساساتنا ، وآرائنا وافكارنا ، بل هي اساس العقل نفسه . فالعالم المادي ، في راي الفلاسفة الماديين ، هو الحقيقة الوحيدة ، والعقل مشتق من المادة . ولكن الفلسفة المادية في الماضي كانت تعتمد على القول بان الاجسام مكونة من ذرات وان هذه الذرات موجودة فعلا . وهذه فكرة قد نقضها العلم الحديث حينما اثبت ان هذه الذرات عبارة عن الكترونات وان الالكترونات ليست موادا بالمعنى المعروف . ثم ان العلاقة بين العلة والمعلول لم تعد قاعدة ثابتة مستمرة ، بل تبين انها تسير على مبدأ المتوسط الحسابي ، او الاحصائي ، مع وجود شذوذ يزداد وينقص بحسب الاحوال . وتغيرت النظرة الى الزمن والفراغ ، والى المقاييس العلمية نفسها ، فالفلسفة المادية ، على اساس هذه الاعتبارات ، يمكن ان توصف بانها تقوم على اساس واه . ولكن الفلاسفة الماديين الحديثين تحولوا عن موقفهم السابق الى موقف جديد ، وهو ان العالم الحقيقي هو العالم الذي يكشف عنه العلم ، فهو العالم الاولي والحقيقي وليس غيره . وهم مستعدون الى تقبل ما يأتي به العلم ايا كان ، حتى ولو آل بهم الامر الى تغيير فكرتهم عن المادة ، دون ان يتبعوا انفسهم في البحث عن كيفية معرفة هذا العالم . وهو الامر الذي اشغل بال العالم الفرنسي ديكارت كما ذكرنا آنفا .

واذا كنا لا نؤمن بالمادية ولا بعالم الحس العام ، فليس لدينا الا ان نؤمن بما نتلقاه من معلومات عن طريق الاحساس فقط بدون ادخال الفكر في ذلك ، حتى لا نقع في تعقيدات عن اسباب الادراك وكيفيته . فالعالم هو ما نراه ونسمعه ونلمسه ونشمه وكفى . فالمعلومات الحسية التي نتلقاها هي الاساس ، والفلاسفة الذين يرون ان العالم مكون من هذه المعلومات الحسية يسمون باصحاب الفلسفة الظاهرية .

وقبل ان ندخل في بحث الفلسفة الوصفية للفيلسوف الالماني ادمند هسرل . نود ان نلقي نظرة موجزة على ناحية من فلسفة الفيلسوف الالماني الآخر نيتشه (١٨٤٤ —

١٩٠٠) لان لهذه الناحية تعلقا بناحية من فلسفة الفيلسوف اندانماركي كيركيكور الذي يعتبر بانه موجد الفلسفة الوجودية . والناحية هذه هي الارتياب من المنظومات الفلسفية الشاملة التي تسعى لتفسير هذا العالم تفسيرا يعلل الحقيقة بكاملها ، مما يؤدي الى الوقوع في اراء تبعد الانسان عن وجوده وعن معرفته البديهية . فالفيلسوف نيتشه يحتقر هذه المنظومات الفلسفية ويدعو الى العودة الى الارض والى العيش الموجه نحو الارض . وهو على اتفاق تام من كيركيكور في ذلك ، وكلاهما لم يشغل نفسه في تقسيم الوجود الى نفس وعالم ، كما فعل ديكارت ، بل اعتبر الوجود وحدة غير منفصلة . ومع ان ديكارت اوغل في بحثه الفلسفي النظري ، الا انه فتح الطريق امام كيركيكور وغيره من الوجوديين بانه شدد على دور الانسان نفسه في معرفة هذا العالم . وفتح الطريق ايضا امام الفلاسفة الوصفيين ، ولا سيما هسرل ، باهتمامه بالناحية النفسانية الفردية وجعلها اساسا لما يشعر به الانسان في اختباره لهذا العالم ، وكذلك نيتشه ، فانه بتوجيهه الانتباه الى الارض التي نعيش عليها فتح الباب امام التفكير في كيفية العيش وفي كيفية الوسائل المؤدية الى اختبار هذا العالم . فالمسألة تدور حول ما نشعر به عند اتصالنا بالعالم كما هو ، وهذا هو اساس الفلسفة الوصفية .

ونحن نذكر ن فلسفة الحس العام تعتبر العالم مؤلفا من اجسام موجودة في فراغ وزمان وتخضع لبعض السلوك المنتظم الذي يمكن التكهن عنه بقوانين طبيعية . والعالم ايضا يسكنه ناس يتميزون عن الاشياء الجامدة بوجود نفوس لهم . فالاشياء تكون حارة او باردة ، وجميلة او غير جميلة ، والناس يكونون صالحين او طالحين ، وشجعان او جبناء . هذه هي المعلومات التي نتلقاها في هذا العالم . فهذه المعلومات من ناحية بديهية لا يتطرق اليها الشك . ولكن لننظر الان في تلقي هذه المعلومات كيف يكون . اولا نحن نعتبر ضمنا ان الاشياء موجودة في محيط خارج عنا ، وثانيا ان للانسان عقلا يدرك به هذه الاشياء ، وان الانسان يجب ان يحصر اهتمامه في المعلومات المتلقاة وفي التقسيم يثير مشكلات فلسفية نحن في غنى عنها اذا حولنا انتباهنا فقط الى كيفية اختبارنا للاشياء وكيفية شعورنا بها ، مع ايقاف التفكير في حقيقة وجود الاشياء او عدمها وفي قدرة العقل على تصور الحقيقة او عدمها . اي ان الانسان يجب ان يحصر اهتمامه في المعلومات المتلقاة وفي وصفها . فالفيلسوف الوصفي ، في رأي هسرل ، هو الذي يفكر فقط في شعوره بالاشياء وفي وصف هذا الشعور ، بدون الاهتمام بالقوانين الطبيعية ولا باعتبار الاسباب والعلة والمعلول . وهذا ما يعنيه هسرل حينما ينادي بالعودة الى الاشياء ويطالب بحجز معلوماتنا الفلسفية عن العالم ، تفاديا للتشويش الذي يحصل في الذهن ويصرف الفكر عما نشعر به فعلا في اختبارنا للاشياء . ولنأخذ مثالا على كيفية هذا الاختبار . فاننا اذا نظرنا الى شيء مجسم أمامنا فلا نرى منه الا جانبا واحدا ، ولا نرى داخله . فنحن نعرف اننا نرى هذا الجانب فحسب ، ولا نراه كله ، ولا نرى داخله . هذا هو اختبارنا لهذا الشيء ، فلا يجب ان نتعداه وندخل في فلسفات عن طبيعة هذا الشيء وحقيقته او عن صحة رؤيتنا له او غير ذلك . فهذا الانصراف الى هذه الناحية من الاختبار دون غيرها هو الذي يسميه هسرل باسم « الانقلاب » . فالفيلسوف الذي لا يؤمن بالفلسفة الوصفية يبحث في حقائق العالم وفي التوصل اليها ، في حين ان الفيلسوف الوصفي يبحث في الصورة التي يشعر فيها الانسان بهذا العالم . فكأن الفيلسوف هسرل يدعو الفلاسفة الى التوقف موقتا عن التفكير في حقيقة وجود الاشياء الخارجية وعدمه وعن التفكير في عقول بعضهم البعض ، والانصراف ، بعد هذا التحرر ، الا وصف الاختبارات الشعورية ، بدون ان يقحموا انفسهم في هذا الوصف ، وان يكتفوا بموقف المتفرج الذي يشاهد الحوادث عن بعد وهو منفصل عنها . فالمتفرج الذي يكتب تقريره لجريدة او اذاعة يصف ما يشاهده على ما هو عليه ، بدون ان يدخل في ذلك عواطفه او ميوله الخاصة .

هذه الفلسفة الوصفية هي التي كانت صلة الوصل بين كركيكور الدانماركي وبين الوجوديين الذين جاءوا بعده . وقدتعددت نواحي هذهالفلسفة علىايدي الوجوديين المختلفين امثال هايدكر ـ الالماني وسارتر الفرنسي ومرلو ـ بونتي الفرنسي وغيرهم . وهي ليست فلسفة جديدة بالمعنى الدقيق ، بل هي متأثرة بفلسفة « برنتانو »الوصفية (١٨٣٨ ـ ١٩١٧) وهذا بدوره متأثر بفلسفة ارسطو وفلسفة القرون الوسطى .

لندن **حسن الكرمي**

حب بريء

حب تجمر في الرماد
أبى الدناءة ، لا يضيء
بيني وبينك شأن ما
يقضي الوفا : حب بريء
فاذا التقينا قد يبوح
بشوقنا النظر الخبيء

حلب علي الناصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طائر المونى

الى بدر شاكر السياب في عالمه الثاني

* * *

يا طائر الموتى المحوم فوقنا ، وعلى ذرانا
من اي ارض جئت ، كم افقا عبرت من البحار
لتحط فوق يد النار
يا طائر الموتى ، وفي عينيك من الق البراري
ظمأ وشوق يلهثان ويرعشان بلا قرار
لم يبق ماء في جداولنا ، وقد شربت ربانا
حتى مدامعنا ، فجف الدمع ، فاشرب من دمانا
يا طائر الاحباب ، ان طيورنا هجرت قرانا ..

يا طائر الموتى ، عجيب ما سمعت وما تراه
فاحمل ـ رسول الشوق ـ للموتى تحايانا ، وبعضا من ثرانا
واذا مررت على « بويب » بين اعذاق النخيل (١)
خط من الرمل المذاب ـ يسيل فيه دم الاصيل
قف عند (جيكور) ... فان لآلىء الانداء فيها (٢)
اجفان « اقبال » تقطرها لزغب قطا حيارى (٣)
ان مر عكاز .. تراكض ... ثم ترتجف انكسارا
فاشرب من المطر الحزين ... وقل لجيكور سلاما

يا نبع « بدر » يا هواه ، ويا « معابده الفريقه »
يا « منزل الاقنان » ، يا مهد الطفولة ، يا صباه
يا وجه « غيلان » ، ويا قمرا تسامره « وفيقه » (٤)
يا شمس تشرين ، تسير مع « الغريب » على خطاه

... يا طائر الموتى .. وحلق فوق اضواء الخليج
ثم انطلق .. عد دونما ذكرى ليحلم بالمحار
« ايوب ».. بالمطر الربيعي البهيج ...
فجرا يذر على المعابر والعرائش والحقول
بالشمس ، يبهر قوسها الغزلان ، في قمم التلول
وبنجمة الصبح التي نعست ، فاغفت مقلتاها
وعلى « شناشيل ابنة الجلبي » قد القت رداها
وترقرقت سحرا عليها

يا طائر الموتى ، المحوم فوقنا ، وعلى ذرانا
عد دونما ذكرى ، ولا تحمل اسانا
للراقدين ، بلا عيون ، يحلمون بان يعودوا
يوما ... الى ارض يلونها الحنين
... وسيضحك القمر الحزين
للعائدين الى المرافىء ، بعد ان عبروا البحارا
وتعلقوا بالريح ... وانطلقوا .. وقد سبقوا النهارا
... عد دونما ذكرى ، ودعهم يحلمون بان يعودوا
فضلوعهم لا زال فيها ، لوعة ، شوق ، وعود
يا طائر الاعماق ، ان طيورنا هجرت قرانا
فاحمل الى الاحباب ، منا ، الشوق ، اسمعهم هوانا

بغداد — حسين جليل

---

(١) بويب : جدول في قرية الشاعر السياب . (٢) جيكور : قرية الشاعر السياب ، وهي من قرى جنوب العراق (٣) اقبال : زوج الشاعر السياب (٤) غيلان : ابن الشاعر السياب ، وفيقة حبيبة السياب التي اختطفها الموت منه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مندور بين الجمالية والايديولوجية

بقلم فرحان بلبل

* * *

لم ينتقل محمد مندور الى الرفيق الاعلى الا بعد ان أصبح اكبر ناقد في الشرق العربي وبعد ان اعطى النقد دفقة حية تقدمت به وجعلته رائدا وموجها لادبنا العربي . ومن ضجيج المطابع وزخم الحرف وصراع الادب سافر الجسد المسجى بهدوء الموت وكبرياء القبر رحلته الاخيرة فحق لضجيج الالة الذي يبعث الحرف صراعا في حومة الادب ان يعيد النظر في نتاج الراقد بعد ان استقرت آراؤه فهو لن يزيد عليها شيئا ولن يغير من مستقراتها . فالموت يضفي عليها ثوبه النهائي . وسأحاول هنا ان اوضح بعضا صغيرا من نظرات الناقد الكبير .

مندور احد الاشخاص القلائل الذين كان لهم مذهب نقدي واضح مدروس ، فقد بنى مذهبه النقدي على اساس من دقة الذوق وسلامته ومن ثقافة واسعة ادبية وفلسفية وتاريخية وعلى اصالة في التفكير مستمدة من طول التأمل ونظافة العقل ، فهو لم يدخل ميدان النقد دون مذهب واضح ، ولم يترك للمصادفات والظروف أن تبني مذهبه ومنهجه ، ولكنه مذهب لم يجمد عند نقطة واحدة يأبى عليها الجمود عمق التطور وطرافة التجديد . بل تطور مذهبه تطورا كبيرا ورائعا دون ان يفقد اسسه الاولى ، فمنهجه في خواتيم حياته ــ رغم تطوره ــ ذو صلة وثيقة وكاملة بمنهجه في بواكير حياته .

ويقوم مذهبه على جناحين يشكلان دفة المركب الذي ركب الناقد المرحوم عليه بحر النقد المتلاطم خلال عشرين عاما حافلة بالجهد والعرق والتعب . هذان الجناحان هما الصياغة الجمالية وعلم الجمال اللغوي والنقد الايديولوجي. واولهما سبق للثاني وثانيهما متطور عن الاول مرتبط به. فلا بد اذن من معرفة التطور وكيفية الربط بين الطرفين المتلاحمين .

انه يبدأ من علم الجمال اللغوي وبتعبير اخر يبدأ من اللغة ، من الادارة المشكلة من الحروف والالفاظ ، وبالتالي يجب ان نبدأ مع مندور من اول الخيط ، من اللغة ، فهي مفتاح السر كله وحزمة الضوء التي تنير عمل مندور في الاعوام العشرين الحافلة بالجهد والعرق والتعب .

ويبدو واضحا رايه حول اللغة في المقدمة التي كتبها لترجمة كتاب « منهج البحث في الادب واللغة » للانسون ومايليه ، فهو يقول « واللغة هي مستودع تراث الامم لانزال نحن بعيدين عن استخراج ما في حناياها من حقائق انسانية عامة وحقائق خاصة للشعب العربي والعقلية العربية كما رسبت بها خلال القرون المليئة بالاحداث حتى ليصح القول باننا لا نزال نعيش على ما خلفه علماء النحو والصرف والبلاغه الاقدمون » (١)

هذا المقطع يوضح نظرة مندور للغة وبالتالي يندرج بنا في الطريق الصحيحة لمعرفة مذهبه النقدي كله .

واللغة في نظر مندور ليست تقاسيم البلاغيين وليست مناوشات علماء النحو والصرف ، لا ، انها شيء آخر انها كل حي تحوي في حناياها حقائق انسانية عامة ، والادب العربي لم يجمد ويتحجر ويذهب منه الماء والرونق الا عندما تحول النقد الى دراسات بلاغية جافة ، عندما اصبح هم الاديب ان ينساب في السبل البلاغية الجافة التي يراها النقاد سمة البلاغة والفصاحة كما نرى ذلك عند ابي هلال العسكري في الصناعتين ، وكما نرى عند جميع علماء البلاغة المتأخرين ، والادب العربي لم يستيقظ في العصر الحاضر الا عندما اصبح للكلمة مدلول واسع انساني حي ، وعندما اصبح الاديب يرى في الكلمة ظلالا للحياة وتراثا للنفس الانسانية وروحا تخفق في صدر الحروف .

ومندور يصر على هذا الدور للغة ، ونجد في كتابه « النقد المنهجي عند العرب » حماسة طاغية في اصراره على فهم كيان اللغة الحي ، وهذا الموقف من دور اللغة هو البذرة الاولى لمذهب مندور النقدي الذي قام على الجمال اللغوي ومع ان مذهبه النقدي تطور مع توالي السنين الا ان هذا الاهتمام بعلم الجمال اللغوي بقي حتى الصفحات الاخيرة في حياة مندور واضحا جليا ، وبقي الناقد المرحوم حتى آخر همساته النقدية يطلب من الادباء بالحاح حار ان يجعلوا من الفاظهم كوى روحية تهدي القراء والادباء ، وبقي تعريف الادب عند الناقد منذ كتابه « الميزان الجديد » حتى مقاله الاخير « مذهبي في النقد » : « الادب هو كل ما يثير فينا بفضل خصائص صياغته انفعالات عاطفية او احساسات جمالية » .

قلت ان هذا الموقف من اللغة هو البذرة الاولى لمذهبه في النقد . والحق ان نظراته النقدية الاولى كانت تنصب باندفاع جياش نحو هذا الاتجاه حتى كان يطالب بالهمس في الشعر ، وما الهمس في الشعر الا الثورة على قيود البلاغيين من نحو واعطاء الكلمات جمالا واتساقا مع قدرة الالفاظ على اعطاء النفسية الانسانية من نحو آخر ، وفي كتابه « الميزان الجديد » صورة صادقة عن نقده القائم على علم الجمال اللغوي والهمس الشعري .

ولكن مذهب مندور النقدي استمر في التطور حتى وصل الى المذهب الايديولوجي القائم على الهدفية في الادب والذي يجعل من الادب صورة عن الواقع الانساني يهدف اولا واخرا الى الكشف عن الخير والجمال . ويقوم مذهبه الايديولوجي على النظر في مصادر الاديب التي استقى منها عمله الادبي اولا وفي اسلوب العمل الادبي ثانيا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي الهدف الذي يقصده الاديب ثالثا . وهـذا النظر الثلاثي يجب ان يكون متكاملا متداخلا فتصوير الواقع الانساني لتمجيد الخير والجمال يجب ان يبقى انسانيا في الوسيلة والمصادر معا ، فان « النظر في المصادر والاهداف وحده لا يكفي ، بل لا بد من النظر ايضا في طريقه العلاج واسلوبه والروح التي يصدرها عنها الكاتب لنتبين هل هي روح سليمة ام مريضة ، وهل هي روح متفائلة ام متشائمة ، وهل هي روح حانية على البشر محبة لهم ام روح شريرة ساخطة ، وذلك لاننا قد نقع مثلا على قصة او مسرحية تنتهي بهزيمة الشر وانتصار الخير ، ولكننا مع ذلك نحس بان اسلوبها قد كان اسلوبا داعرا مدمرا وقحا يسرف في المباذل ويغري بها اغراء لا يمحوه ولا يشفع له انه قد انتهى الى ادانة هذا الابتذال ونكبته في آخر القصة او المسرحية مما يجعل الخاتمة الخيرة تمحي او تكاد امام سيل الدعارة الفاجرة الذي تخلل صفحات عمله الادبي واشتد بريقه فيها » (٢) .

ولكنا نسأل : كيف وصل مندور الى مذهبه الايديولوجي ؟ وبتعبير اخر كيف اضاف مندور الايديولوجية الى علم الجمال اللغوي ؟ ويبدو لي ان الايديولوجية وليد حتمي لعلم الجمال اللغوي ، ومقدمة كتاب لانسون ومايليه هي المفتاح . فالناقد يرى في اللغة مستودعا لروح الانسانية ولعطاء البشرية بالاضافة الى كونها وسيلة لاكساب فنه فضائل الصياغة الجمالية ، وان للغة دورا حياتيا ، ولا شك ان من يرى في اللغة دورا حياتيا انسانيا تعبر عن حياة الانسان في افضل مظاهرها لا بد من ان يجعل الادب هدفيا .

وعلى هذا اليس علم الجمال اللغوي هو المولد للايديولوجية ؟ اليس الالتحام بين روحية اللغة وروحية الهدف كاملا وتاما ؟ اليس من يرى في اللغة تراث البشرية هو نفسه الذي يطلب من الاديب ان يحافظ على تراث الانسانية ؟ ولذلك فان مندور الايديولوجي لم يتخل عن علم الجمال اللغوي ، ومندور الهادف لم ينس مستودع التراث ووعاء الحقائق الانسانية . فهو يقول « وهذا النقد الايديولوجي لا يمكن في مذهبنا ان يغني باية حال عن النقد الفني الجمالي الذي يتميز به الادب على الكتابات » والادب « هو بتعريف اخر صياغة فنية لتجربة بشرية مما يحتم ضرورة الاهتمام بالصورة الادبية التي يصب فيها الاديب مضمونه الانساني ، وهذه الصورة ليست امرا شكليا ولا نافلة ، بل هي الوسيلة الفعالة التي تكسب الادب مضاءة ، وقدرته على النفاذ الى النفوس من ايسر السبل واقواها نفاذا واعمقها تأثيرا . وخصائص الصياغة تلعب فيها الخصائص اللغوية وطرائق التعبير اللفظي دورا اساسيا لان للالفاظ الوانا وارواحا ولا يمكن ان يسمى الاديب اديبا ما لم يكن قادرا على ادراك الوان الالفاظ وارواحها » (٣) .

ولا بد ان دخول مندور في معترك الحياة العامة واتصاله بالشعب اتصالا وثيقا هو الذي ادى عنده فكره النقدي الايديولوجي فان من يرى الناس وهم يعتركون على صفحات الكفاح البشري ويحس بلهيب جهادهم لا يستطيع ان يتناساهم كما لا يستطيع ان يغفل واجب الادباء نحوهم . يقول « ثم حدث بعد ذلك ان تركت الحياة الاكاديمية في الجامعة لاعمل في الحياة حيث خالطت الناس وتلقيت دروسا مباشرة من الحياة لا تقل اثرا وتاثيرا في تكويني النهائي عما تلقيت من دروس في الجامعات او قرأت من كتب داخل الجدران . وبتأثير هذه الدروس الجديدة اخذت آفاقي النقدية تتسع وتتطور شيئا فشيئا دون ان اتنكر للمرحلة السابقة من حياتي العملية ، فقد ظلت حتى اليوم اصر على القيم الجمالية في الادب عامة والشعر خاصة ، ولكنني اخذت ازداد اهتماما بالحياة واخذ احساسي يزداد شيئا فشيئا بانه لا ينبغي ان يظل الادب والفن متاعا للخوض ولمتذوقي الجمال من الممتازين من الناس بل يجب ان يساهم الادب والفن في خدمة الحياة وجعلها افضل واسعد وخيرا مما هي » (٤) .

ومما لاشك فيه ان موقف مندور من قضية اللغة وتمسكه حتى النهاية بعلم الجمال اللغوي موقف مشرف وفيصل مشرق في اتجاهاتنا النقدية الحديثة ، خاصة وان اتباع المذهب الايديولوجي اخذوا يهملون الاصول الفنية والقيم الجمالية في سبيل الهدف الخير الذي يقصدون اليه .

والمذهب الايديولوجي اليوم في اتساع مع اتساع المعركة التي يخوضها العرب في حومة الدنيا على جبهات السياسة والفكر والاجتماع . وموقف مندور من القيم الجمالية ـ وهو من اصحاب المذهب الايديولوجي ـ استطاع ان يحد من انزلاق اتباعه نحو اهمال الصياغة الفنية ، لان هؤلاء نسوا او تناسوا ان الادب هو « الذي يثير فينا بفضل خصائص صياغته انفعالات عاطفية او احساسات جمالية » واظن ان فضل مندور في التأكيد على القيم الجمالية هو اهم ميزاته الادبية وابرز عنصر في مذهبه النقدي كله .

ولكن مذهب مندور في علم الجمال اللغوي ادى به الى نتيجتين هامتين لم يلتفت اليهما الدارسون ، او ان مندور لم يولهما اهتماما شديدا مع ان احداهما تظهر في اهم كتبه هو « النقد المهجي عند العرب » وثانيهما تظهر في مقدمة ترجمة لكتاب « لانسون ومايليه » غير ان قيمة الناحية الاولى تختلف عن قيمة الثانية ، فبينما تعتبر الاولى كشفا رائعا في توجيه النقد الادبي نجد ثانيهما جرحا في مذهبه النقدي

ولنعرض القضية : في كتاب النقد المنهجي عند العرب يتحدث مندور عن الناقد العربي الذوق « الامدي » في موازنته بين ابي تمام والبحتري ، والحديث ـ في نزاهة مندور ـ يعني ان لا يتناسى ـ وهو يتحمس بحرارة لاهبة ـ للامدي اخطاءه ومن ابرز هذه الاخطاء ان اللغة لا يقاس عليها .

فالآمدي يعلن هذا المبدأ ويزن ابا تمام على اساسه كلما

انتهى في تعابيره الى غير ما انتهى اليه المتقدمون من الشعراء والبلغاء . فهو مثلا ينكر على الشاعر ان يقول « لا انت انت ولا الزمان زمان » ويرى في قوله « لا انت انت » تعبيرا شعبيا وينكر عليه ان يقيسه على « ولا العقيق عقيق » ، والآمدي يقول « انما ينبغي ان ينتهي في اللغة الى حيث انتهوا ولا يتعدى الى غيره فان اللغة لا يقاس عليها » (٦) ، فالآمدي اذن يرفض التجديد في صيغ اللغة وتراكيب الكلام

وهنا يبرز مندور ذاته صاحب مذهب علم الجمال اللغوي وصاحب الرأي في ان اللغة مستودع الامة وتراث الانسانية ، فحياة الكائن الحي عميقة متجددة واللغة هي المعبرة عن العمق والتجدد ، ولذا يجب ان نفسح المجال امام الشاعر كي يجود نوعا من التساوق والتوازي بين حياته الخافقة القلب وبين لغته التي يودعها نفسه وفكره ، ولذلك فمندور يرفض نظرية الآمدي الضيقة ويعتبرها نوعا من شقشقة اصحاب البديع .

والحق كل الحق الى جانب مندور ، فكون اللغة لا يقاس عليها شيء ترفضه طبيعة اللغات وفطرة الحياة ، والحق كل الحق الى جانب مندور وهو ينعي على الآمدي ـ بالاندفاع نفسه ـ نظريته الضيقة ، والحق كل الحق الى جانب مندور وهو يتحدث عن هذه النقطة بانسجام طيع مع مذهبه النقدي .

غير ان مما يؤسف له ان الناقد المرحوم لم يول التجديد عنايته ، ولعل انصبابه على امور نقدية اخرى كان يراها اهم واولى بالرعاية هو الذي شغله عن هذا الجانب الضخم الحي في حياتنا الادبية . وكم كنت اتمنى لو ان مندور ـ بنظرته الثاقبة وذوقه المرهف وثقافته الواسعة ـ قد اشتغل بهذه الناحية لعله يحدد الاتجاهات الاساسية واللازمة في مشكلة التعبير وقضية التجديد اللغوي اذن لوفر على الادباء الشباب مشاكل كثيرة تعترضهم ولأتى برأي جدير بالاعتبار بين آراء المعترکين في خضم الابحاث اللغوية ، ولكن ما صار صار ولعله يكفيه انه بذر البذرة وان كانت صغيرة ووجه الانتباه وان كان جزئيا ثانويا .

بقيت الناحية الثانية ، وتبدو في مقدمته لكتاب لانسون ومايه . يقول : « لقد تقدمت الدراسات اللغوية في الغرب بوزاد الاهتمام باللهجات التي نسميها عامية ونظن انها لا تطرد على قاعدة ولا تستند الى نحو واخذت الابحاث تنهض على التاريخ من جهة والمقارنة من جهة اخرى اما نحن فلا نزال جامدين عند اللغة الفصيحة ولا تزال ابحاثنا تقوم على المنطق المجرد او التأكيدات المسرفة ، ولا تزال مسألة الصحة والخطأ محور مجالاتنا اللغوية » (٧)

في هذا المقطع يتكشف رأي لمندور مخيف خطير ، وهذا الكلام اوله صحيح وآخره صحيح ولكن يفسده التعميم : واوسطه خطأ وقياس فاسد .

اما ان الدراسات اللغوية في الغرب قد تقدمت وزاد الاهتمام باللهجات العامية المطردة على قواعد ثابتة فقول صحيح واما ان ابحاثنا ما تزال تقوم على المنطق المجرد والتأكيدات المسرفة وان مسألة الصحة والخطأ محور مجادلاتنا اللغوية فقول صحيح ايضا لو انه قال في البداية « اكثر ابحاثنا » فان هذا التعميم الحاد مسرف في اجحافه ونحن لا ننكر ان اكثر ابحاثنا اللغوية والنحوية لا تقوم على مبدأ من كشف لغوي يرى في اللغة نموا واطرادا وتجديدا . ولكن هذا لا ينفي اننا بدأنا نتحرر من هذه الربقة القاسية ، وان دراستنا بدأت تأخذ طابعا جديدا يتجلى في ربط اللغة بمجريات التاريخ العربي ومعطيات الوجدان الانساني .

واما اننا لا نزال جامدين عند اللغة الفصيحة فهذا عيب نأباه على لغتنا ونرده في اتجاهاتنا اللغوية وقد قاس مندور هنا شيئا على شيء وخرج بهذا الرأي الذي قد يثلم مذهبه النقدي ثلمة عميقة .

فمندور ـ رحمه الله وعفا عنه ـ نظر الى الغرب فوجد الاهتمام باللهجات المحلية العامية ـ يتزايد ويعطي نتائج باهرة تجعل من اللغة مستودع الامة وتراث الشعوب وتضفي على اللغة حياة جمالية وايديولوجية واسعة ، ونظر الى اللغة العربية فوجد الاصرار والتأكيد على اللغة الفصيحة ووجد الى جانبها ضعفا عاما في الادب وخمودا في التعبير فقاس شيئا على شيء ، وخرج بهذه النتيجة وهي الدعوى الضمنية الى اللهجات العامية .

فقد ظن ان ضعف الادب وخموده نتيجة طبيعية للاصرار على اللغة الفصيحة ، وما دام الغرب قد تقدم ادبه لانتشار اللهجات العامية المستندة الى التاريخ والقواعد المطردة فالقياس يقضي ان يتخلى العرب عن لغتهم الفصيحة وان يميلوا نحو اللهجات العامية المستندة الى التاريخ والقواعد المطردة حتى يمتلىء بروح جديدة .

ولكن مندور في سبيل هذا القياس نسي اشياء عديدة . نسي ان الذنب في ضعف الادب يرجع الى الاديب لا الى اللغة ، والا هل نرجع فشل اللوحة المرسومة الى الالوان والقماش والفرشاة ؟ ونسي ايضا ان طبيعة اللغة العربية تختلف عن طبائع بقية اللغات ، فالعربية لغة كاملة قابلة للنمو والتطور بشكل الفصيح ، وقابلة لاحلال الايديولوجية مذهبا عاما في الادب بينما تعجز اللغات الاخرى ـ ومندور ادرى بها ـ عن القيام بهذا الدور الكبير .

واظن ان اهتمام الغرب باللهجات العامية يرجع الى عدم قدرة لغاته الى استيعاب تطورات الحضارة بشكلها الجامد المقرر ، ولكن هذا لا يصدق على اللغة العربية ، وبالتالي فان

---

(١) منهج البحث في الادب واللغة صفحة ١٢ نشر دار العلم للملايين بيروت عام ١٩٤٦ . (٢) المجلة القاهرية عدد ١٠٣ تموز ١٩٦٥ مقال (مذهبي في النقد) لمندور صفحة ٥٩ . (٣) المصدر السابق صفحة ٥٩ـ٦٠ (٤) المصدر السابق صفحة ٥٩ . (٥) و (٦) النقد المنهجي عند العرب طبعة مكتبة نهضة مصر صفحة ١٢٣ . (٧) : منهج البحث في الادب واللغة صفحة ١٣ .

وحـدي

هدهدي .. هدهديني بوعد نبيل
قبل ان يستجيب لقلبي الافول
وعدك الضائع المستحيل
هـل له من قفـول ؟
يا غناء سـرى من حنايا بخيل !

كنت ارنو الى الافق ذات صباح
فاستهلت على نغماتي جراح
وذكـرت ذات الوشاح
فعـراني النـواح
واستبدت بقلبي شظايا الرياح !

كنت وحدي هناك وكان الغروب
ونضار على الافق زاه يذوب
رغم صوت الطيور العجيب
كان قلبي غريب
فانا كنت وحدي ولا من مجيب

لا تقولي نسيتك وسط الزحام
لا تقولي انتهى حبنا في الظلام
حبنا ليس عنه انفطـام
حبنـا لا ينـام
حبنا قمة تتحدى الانام !

لا تقولي انا قد قلوت الهوى
فانا كل عمري صريع الجوى
ان قلبي صد ما ارتوى
عاش رهن النـوى
هو قد ضل في تيهه ما ارعوى !

يـا نداء على شفتي لا يريم
يا حداء به اتحدى النجوم
استوى فوق ظهر الغيوم
رنحتني الهمـوم
انت لو رمت عدت نشيدا يدوم !

طالعيني ببسمة عهد مضى
لا تقولي نضا جـرحه وانقضى
هو لما يعش مغمضا
هـو نبع الرضا
اودعيني اعش متعبا محرضا !

سوف يبقى هوانا برغم السنين
يتحدى الدنى يتحدى المنون
قد زرعناه فوق الظنـون
منهـلا للعيـون
نحن حلم به غرد الحالمون !

الرياض — حسن عبد الله القرشي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قياس لغة على لغة مع الفوارق الكبيرة بينهما منطق انكر مندور نفسه مثله في مذهب قدامة بن جعفر الاعجمي في كتابه الرائع « النقد المنهجي عند العرب » .

هاتان النقطتان الاخيرتان ـ وهما الهجوم على الجمود اللفوي والدعوة الى العامية ـ تنبثقان معا عن مذهبـه النقدي . فلكي تكون اللغة اداة طيعة في استيداع حيـاة الامة ولتحمي الايديولوجية في الادب يجب ان تكون لغـة مفتوحة تأبى الانغلاق ، وبمعنى آخر يجب ان تسمح لنفسها ـ او ان يسمح لها ابناؤها ـ بالتطور والنمـاء . ولا يتم التطور والنماء الا بالقياس على الاشباه والنظائر وبالسماح للادباء ان يأتوا من التعابير ما شاقوا بشرط ان ينسجـم الابداع مع طبيعة اللغة . وهذا لعمري اروع تطبيق لعلم الجمال اللفوي وللمذهب الايديولوجي فالجمال والخيـر صنوان للتطور والانفتاح مع التقيد بطبيعة اللغة وقواعدها الكبـرى ..

ولكن التطور والنماء يجب ان يصلا الى حد الاتيان بلغة جديدة تختفي تحت اسم اللهجة العامية للغة الفصيحة ، لان الجمال والخير اذ ذاك يصبحان ضحلين مرتهنين بعقـود قليلة من السنين ، فتتخلى اللغة بذلك عن كونها مستودع الامة وتراث الانسانية ويبدو ان اغـراق منـدور فـي ايديولوجيته هو الذي وصل به الى ما وصل اليه . ولاشك انه لو اصر مندور على هذه الناحية لكان قد انتقل نقلـة كبيرة وخطيرة من مذهبه النقدي الرائع الى مذهب جديد لا يبقى على شيء من مذهبه الاول .

وبعد فهذه محاولة لتوضيح بعض جوانب مذهب مندور في النقد ، وهو مذهب جدير بالاعتبار وقمين بدفع النقد الادبي والانتاج الفني نحو مسارب تستحق الخلود ، وهـو مذهب كامل تام ومتطور تام ، ارجو ان يزيد عليه النقـاد اللاحقون وان يتمموا الرسالة النقدية العظيمة التي افنى في سبيلها الناقد المرحوم حياته ، ولا يقدح في قيمة المذهب انه انزلق بعض الانزلاق . رحم الله مندور ، وكفى المرء نبلا ان تعد معايبـه ..

حمص — فرحان بلبل

حنة الشاحبة

للكاتب الالماني هنريخ بـول

مهداة الى الصديقة الالمانية كريستا بيمن

ترجمة عيسى الناعـوري



لم اعد من الحرب الا في ربيع عـام ١٩٥٠ ، وقد وجدت انه لم يبق في المدينة احد ممن كنت اعرفهـم . ولحسن الحظ كان ابواي قد خلفا لي بعض المال ، فاكتريت غرفة فـي المدينة ، واضطجعت على السريـر ، ورحت ادخن وانتظر دون ان اعرف ما الذي انتظره . ولم يكن في نيتـي ان اشتغل . وكنت اعطي صاحبـة المنزل نقودا فتشتري لي كل شيء ، وتطهو طعامي . وكانت كلما حملت القهوة او الطعام الى غرفتي تمكث فيها وقتا اطول مما كنت اريد . لقد قتل ابنها في مكان يدعى كالينوفكا ، وكلما دخلت غرفتي كانت تضـع الصينية من يدها ، وتجـيء الـى الزاوية القليلة النور التي فيهـا سريري . هناك كنت اغفو خاملا ، واقذف باعقاب السجائـر على الجدران ، حتى اصبـح الجدار القريب من سريري مليئا كله بالبقـع السوداء .

كانت صاحبة الدار شاحبة الوجه نحيفة ، وحين كان وجهها يقترب من فراشي في النور الخافت ، كنـت اشعر بالخوف . لقد حسبتها فـي بادىء الامر معتوهة ، لان عينيهـا الواسعتين كانتا ترسـلان بريقـا شديدا . وكانت تسألني وتكـرر السؤال عن ابنها مرارا متعـددة : « أانت واثق من انك لا تعرفـه ؟ ان المكان يدعى كالينوفكا ـ الم تذهـب الى هناك قط ؟ » .

غير انني لم اكن قد سمعت قط بمكان يدعى كالينوفكا . وفي كـل مرة كنت استدير نحـو الحائط واقول : « كلا ، لم اذهب الى هنـاك فعلا . ليس في وسعي ان اتذكره »

ولم تكن صاحبة المنزل معتوهة ، بل كانت امراة دمثة جدا ، وكـان يؤلمني ان تلقي علي تلك الاسئلة . لقد كانت تسألني كثـيرا ، مـرارا متعددة في اليوم الواحد ، فـاذا ما ذهبت اليها في المطبخ كان علـي ان انظر الى صورة ابنها ، وهي صـورة فوتوغرافية ملونة معلقة على الحائط فوق الكنبة . كان ولدا ضاحكـا جميل الشعر ، وهو في الصورة يرتدي بزه الخروج للجنود المشاة .

وتقول السيدة : « لقد اخذت لـ هذه الصورة في الثكنة قبل ان يذهبوا الى الجبهة » .

كانت صورة نصفية : انه يرتدي خوذة فولاذية ، ومن خلفه يمكنـك ان تميز بوضوح شديد صورة قصر خرب ، تتسلق عليه كلـه حشائش اصطناعية .

وتضيف السيدة : « لقـد كـان سائق ترام . كان يحب العمـل كثيرا » . وفي كل مرة تأخذ علبـة الصور الموضوعة على طاولة الخياطة بين ارقع وكباكيب الخيطان ، وتضع في يدي عددا من صور ابنها : افواج مدرسية يجلس فـي وسط الصف الامامي من كل فوج ولد يضع بـين ركبتيه لوحا للكتابة ، وعلـى اللوح الارقام ٦ ، ٧ ، اوخـيرا ٨ . وفي ربطـة منفـردة مشـدودة بشريط مطاط احمر كانت صورة التنـاول الاول : طفل يبتسم ، في بدلة سوداء ويحمل في يده شمعة ضخمة . بهذه الطريقة كان قد وقف امام لوحـة شفافة مرسوم عليها كاس ذهبية .

ثم تجيء صور يبدو فيها تلميذا امام مخرطة ، يتعلم صناعة الاقفال ، وعلى وجهه بعض البقع ، ويده تمسـك بمبرد .

وتقول السيدة : « لم يكن هذا عملا لائقا به . لقد كان عملا مرهقـا » . ثم تريني اخر صورة له قبل ان يصبح جنديا : كان فيها يقف فـي ثياب سائق ترام الى جانب ترام يحمـل الرقم ٩ في المحطة العموميـة ، حيث تصطف العربات في حلقة دائريـة . وقد عرفت فيها موقف المرطبات الذي كثيرا ما كنت ابتاع منه السجائر . لقد عرفت شجرات الحور التي مـا تزال قائمة الى الان هناك ، ورأيـت البيت الذي كان يقوم على بابه اسدان ذهبيان ولكن الاسدين لم يعـد لهما من اثر هناك . وتذكرت الفتاة التـي طالما فكرت فيها ايام الحرب : لقـد كانت جميلة ، شاحبة الوجه ، مستطيلة العينين ، وكانت دائما تركب الترام رقم ٩ مـن المحطة العمومية .

كنت في كل مرة احب ان اطيـل النظر الى الصورة التي يظهر فيها ابن السيدة عند الترام رقم ٩ ، فـي المحطة ، وتخطر في بالي اشيـاء كثيرة : الفتاة ، ومعمل الصابون الذي كنت اعمل فيه حينذاك ، واسمـع قرقعة الترام على الحديـد وارى الليمونادة الحمراء التي كنت اشربها في موقف المرطبات فـي الصيف ، واعلان السجائر الاخضر ، ثم اعود الى التفكير في الفتاة .

وتقول السيدة : « لعلك عرفته بعد كل هذا » !

فأهز راسي واعيد الصورة الـى العلبة : لقد كانت صورة صقيلـة ملساء ، وما تزال تبدو جديدة على الرغم من ان عمرها ثماني سنوات . واقول : « كلا ، كلا . ولا كالينوفكـا ايضا . لم اعرفه فعلا » .

لقد كنت مضطرا الى الذهاب اليها في المطبخ كثيرا ، وكثيرا مـا كانت هي تجيء الى غرفتي . وكنت كـل يوم افكر في ما اود ان انسـاه : ـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحرب ـ فانفض رماد سيجارتي خلف السرير ، واقذفه بعقبها الى الجدار .

وفي بعض الاحيان ، حين اكون مستلقيا على فراشي في المساء ، كنت اسمع خطى فتاة في الغرفة المجاورة، او اسمع الرجل اليوغوسلافي الذي يقيم في الغرفة القريبة من المطبخ يلعن ويتستم وهو يبحث عن زر النور قبل دخوله الى غرفته .

ولم استطع ان الاحظ ـ الا بعد ثلاثة اسابيع من اقامتي هناك ، وبعد ان امسكت بيدي للمرة الخمسين صورة كارل ـ ان عربة الترام التي يقف امامها باسما وبيده محفظة النقود لم تكن فارغة . للمرة الاولى نظرت باهتمام الى الصورة فرايت في داخل العربة فتاةتبتسم ، وقد ظهرت في الصورة بوضوح . انها الفتاة الجميلة عينها التي طالما فكرت فيها في اثناء الحرب .

وجاءت ربة المنزل ، وراحت تتفرس باهتمام شديد في وجهي ، ثم قالت : « هل عرفته الان ؟ » ثم دارت من خلفي ، ومن مئزرها المشمر ارتفعت خلفي رائحة البيزيلا الخضراء

فقلت : « كلا . ولكنني اعرف الفتاة » .

فقالت : « الفتاة » ؟ لقد كانت خطيبته . ولكن لعله كان خيرا له انه لم يعد يراها ابدا » .

فسألتها : « لماذا ؟ »

فلم تجب ، بل ابتعدت عني وجلست على كرسي بجانب النافذة ، ومضت تقشر البيزيلا . ومن دون ان تنظر الي قالت : « هل عرفت الفتاة » ؟

فامسكت بالصورة في يدي بشدة ونظرت الى ربة المنزل واخبرتها عن معمل الصابون ، وعن موقف الترام رقم ٩ ، والفتاة الجميلة التي كانت دائما تركب الترام من هناك .

ـ لا شيء سوى هذا ؟

فقلت : « كلا »

فتركت السيدة البيزيلا تتدحرج الى داخل مصفاة ، وفتحت صنبور الماء فوقها . ولم ار غير ظهرها الضيق .

ـ «حينما تراها مرةاخرى ستعرف لماذا كان من الخير انه لم يعد يراها ابدا » .

فقلت : « لم يعد يراها ؟ »

فنشفت يديها بمئزرها واقتربت مني ، وتناولت الصورة من يدي بعناية شديدة . وبدا لي وجهها اشد نحافة . ونظرت عيناها الى ابعد مني ، ولكنها وضعت يدها على ذراعي اليسرى وقالت : « انها تعيش في الغرفة المجاورة لغرفتك . هناك تقيم حنة . اننا ندعوها دائما « حنة الشاحبة » لان لها وجها شديد البياض . احقا انك لم ترها بعد » ؟

فقلت : « كلا ، لم ارها بعد، ولكنني سمعتها مرات قليلة .. ماذا بها » ؟

ـ « لست احب ان اتحدث عن امرها ، ولكن الافضل ان تعرف انت الحقيقة . لقد تشوه وجهها تشوها كاملا ، واثار الجراح تنتشر عليه باكمله ـ لقد قذف بها الانفجار الى داخل زجاج احد الدكاكين . انك لن تتمكن من معرفتها » .

في ذلك المساء انتظرت طويلا حتى سمعت وقع خطى على قرص الدرج . ولكنني اخطأت الحدس في المرة الاولى : لقد كان اليوغوسلافي الضخم الجثة ، وقد نظر الي دهشا حين رآني اخرج فجأة من غرفتي الى قرص الدرج . فقلت مضطربا : « مساء الخير » ، وعدت الى غرفتي .

وحاولت ان اتخيل وجهها بندوبه الكثيرة ، ولكنني لم استطع ذلك ، وما رايته مرة الا كان جميلا حتى مع الندوب . وتذكرت معمل الصابون ، كما تذكرت والدي ، وفتاة اخرى كثيرا ما كنت اخرج معها في تلك الايام . كان اسمها اليزابيت ، ولكنها كانت تأذن لي بان ادعوها « موتز » ، وحين كنت اقبلها كانت تضحك ، فاشعر بغبائي . لقد ارسلت اليها بعض البطاقات من الجبهة ، وارسلت هي الي بعض الطرود التي تحتوي على بسكوت من صنع المنزل ، كان يصل دائما محطما ، وارسلت الي كذلك سجائر وجرائد . وفي احدى رسائلها كتبت تقول : « انتم ايها الفتيان ستنتصرون ، وانا فخورة بانك هناك » .

ولكنني لم اكن قط فخورا بانني كنت هناك . وحينما كنت احصل على اجازة لم اعد اكتب اليها ، بل صرت اخرج مع ابنة بائع سجائر كان يقيم في بيتنا . كنت اعطي ابنة بائع السجائر صابونا مما كنت احضره معي من المعمل ، فتعطيني هي سجائر . وكنا نذهب الى السينما ، او الى الرقص . ومرة كان ابواها غائبين ، فاخذتني الى غرفتها . ودفعتها في الظلام على ديوان عريض. وما كدت انحني فوقها حتى اضاءت النور ، وضحكت في وجهي ضحكة ماكرة . ورايت في الضوء صورة هتلر معلقة على الحائط : صورة فوتوغرافية ملونة ، ومن حول هتلر على الورق الملون بلون الورد صور رجال ذوي وجوه صلبة ، معلقة في شكل قلب ، كما رايت بطاقات ملصقة بدبابيس .. رجال يلبسون خوذا فولاذية ، وكل صورهم مقصوصة من الصحف . فتركت الفتاة مستلقية على الديوان واشعلت سيجارة ، وغادرت الغرفة .

وفيما بعد كانت كلتا الفتاتين ترسلان الي بطاقات الى الجبهة تقولان فيها ان تصرفاتي معهما كانت سيئة . غير انني لم اجب ايا منهما .

لقد بقيت انتظر حنة فترة طويلة، دخنت خلالها عدة سجائر في قلب الظلام ، وعادت الى ذهني فيها اشياء كثيرة . وحين وضع المفتاح في القفل خشيت كل الخشية ان اقف وانظر الى وجهها . وسمعتها تفتح باب غرفتها ، وتدندن وهي تسير في الغرفة جيئة وذهابا . وبعد ذلك نهضت ورحت انتظر على قرص

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولادة حب

لـك الحـب قولـي متـى نلتقـي ... مـع الحلـم والامـل المـورق
اوان الربيـع انفـلات لخصـرك ... بيـن البنفسـج والـزنبـق
عشقـت غـدي فـي مدى الامنيات ... وانـت مـدى غـدي المطلـق
احبـك امـا حصـدت النجـوم ... بجفنيـك فـي موطنـي الازرق
انـا مـن نجومـك لا اشتهـي ... سـوى اللحـظ سهمـا فهيا ارشقي
لـك القلـب فـي الصدر طير شقي ... فجـوري عليـه ولا تشفقـي
امـا اقسـم القلـب ان لا يغنيـك ... الا علـى آه مغـرورق

احبـك يـا عـودة لـربيعـي ... ويـا صحـوة الطيـب فـي المشرق
احس بعينيـك زهـو السفـوح ... وشـوق الشـواطىء للـزورق
فانـك انقـى مـن النـار ، انقـى ... مـن الطيـف يلهـو بهـدب نقي
اجلـك فـي الحـب ان تصبحـي ... جحيمـا مـن الشبـق المحـرق

فرشت لـك العمـر باليـاسميـن ... وطوقـت روحـك بالـزنبـق
وعتقـت لـي سكـرة امرعتهـا ... الليالـي مـدى جفنـك الـريق
فخفـت المصيـر اذا ما رشفـت ... ومـن يقتحـم مقلـة يفـرق
فـان جنـون الـزنابـق عـرس ... طيـوبـا سينشـر مهمـا بقـي
وان غرامـي الجديـد سيبقـى ... مـع الليـل ، مـع صبحـه المونـق
لانـت انبثـاق الغـرام بقلبـي ... فلـولاك قلبـي لـم يخلـق

موسى المعلوف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدرج . وفجأة ساد الصمت في غرفتها : لم تعد تسير جيئة وذهابا ، ولا عادت تغني . وخشيت ان ادق على الباب .

لقد سمعت اليوغوسلافي الضخم الجثة يدمدم همسا ، ويسير ذهابا وايابا في غرفته ، كما سمعت الماء يغلي في مطبخ صاحبة المنزل ، اما في غرفة حنة فقد كان كل شيء ساكنا ، ومن خلال باب غرفتي المفتوح رأيت على ورق الحائط البقع السوداء العديدة التي تركتها اعقاب السجائر التي كنت اقذف بها على الحائط .

واضطجع اليوغوسلافي الضخم على سريره ، فلم اعد اسمع وقع اقدامه ، ولكنني كنت اسمعه يدمدم فقط . ولم يعد الابريق يغلي في مطبخ صاحبة المنزل ، بل سمعت الغطاء المعدني حين وضعته السيدة على ابريق القهوة . وفي غرفة حنة كان كل شيء ما يزال ساكنا . وقد خطر لي انها قد تخبرني فيما بعد بكل ما يدور في خلدها وانا واقف خلف باب غرفتها . وقد حدثتني فعلا بكل شيء فيما بعد .

ونظرت الى الصورة المعلقة الى جانب الباب :

بحيرة فضية تترقرق صفحتها ، وقد خرجت من قلبها حورية ، شعرها مبلول اشقر ، وهي تبتسم لفتى قروي كان يقف مختبئا في وسط غابات شديدة الخضرة . واستطعت ان ارى نصف ثدي الحورية الايمن ، وكان عنقها شديد البياض .

لست ادري بالضبط متى تم ذلك ، ولكنني بعدئذ وضعت يدي على مقبض الباب . وحتى قبل أن اضغط عليه وادفع الباب ببطء فافتحه ، عرفت ان حنة كانت هي فتاتي : كان وجهها مغطى بأكمله ببقع صغيرة ضاربة الى الزرقة .

وتصاعدت من غرفتها رائحة فطر مطهو في طنجرة .

وفتحت الباب على مصراعيه ، ووضعت يدي على كتف حنة ، وحاولت ان ابتسم .

عمان — عيسى الناعوري

التعبير الشعري عند زهير

بقلم عيسى ميخائيل سابا

* * *

الشعر لحن وصورة وتعبير ، فان خلا من المثلث هذا كان كلاما موزونا ، لا معنى له ، والشعر مأخوذ من الشعور ، يحس الشاعر بما حوله فيتأثر فيجري الكلام على اسلات لسانه لحنا مفرحا يأخذ بمجامع القلب ، او لحنا محزنا ، فيعصر الفؤاد ويدمع العينين . وكم من بيت شعر استفز السامع وبعث فيه حماسة ، وبيت جعله يتأمل ويأخذ بمعناه ويعمل بحكمته .

فمن من شعراء الجاهلية نرى عندهم هذا كله او اقله ، اما شاعر الحكمة فمعروف وهو صاحب من ومن ومن ، زهير بن ابي سلمى ثالث فحول الطبقة الاولى من الشعراء الجاهليين وعليه نعقد الحديث ، يتميز شعره ليس بالحكمة حسب بل بعفة القول وايجاز اللفظ ، ووصف الواقع ، وهو ان قصر في الخيال ، فلا يقصر بتأدية المعنى الكبير بكلام وجيز . والحكم عنده مستمدة من واقع الحال ، من بيئته ، مما كان يجري على السنة الناس ، من امثال وحكم مصدرهما التجارب والاختبار ، لا التأمل بالطبيعة والافلاك . وطبيعة الصحراء لا تبعث على التأمل لعدم تعدد مناظرها ، وهي رتيبة على منوال واحد غير متغير .

فشعر زهير صورة لما كان يجول في خاطره ، من حب للسلام وحجب للدماء ، وكراهية للحرب على حد قوله :

وما الحرب الا ما علمتم وذقتم ... وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها ، تبعثوها ذميمة ... وتضر اذا ضريتموها فتضرم
فتعركم عرك الرحى بثفالها ... وتلقح كشافا ثم تنتج فتتئم

وان نحن نظرنا في ديوانه وجدناه يشيد بممد وحيه هرم بن سنان والحارث بن عوف لسعيهما الموفق بالصلح بين عبس وذبيان ، في ايام داحس والغبراء ، وقد تحملا ديات القتلى وقيل انها بلغت ثلاثة آلاف بعير :

يمينا لنعم السيدان وجدتما ... على كل حال من سحيل ومبرم
تداركتما عبسا وذبيان بعدما ... تفاقوا ودقوا بينهم عطر منشم

والتعبير في شعره واضح بين يجريه على اسلات لسانه هينا ، لينا ، مبينا ما يجول في خاطره ، ومن فضلة القلب يتكلم اللسان :

تزود الى يوم الممات فانه ... وان كرهته النفس آخر موعد

ويفصل لنا الحق في ثلاثة مقاطع :

وان الحق مقطعه ثلاث ... يمين او نفار او جلاء

ومن اجل هذا البيت دعي بقاضي الجاهلية ، وقد اراد بالمقاطع اليمين او المنافرة الى حاكم يقطع بالبينات او الجلاء وهو بيان وبرهان بجلوبه الحق وتتضح الدعوى . والى جانب هذا نتبين في شعره الورع والتدين وايمانه بالبعث والحساب واليوم الاخر :

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ... لتخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في حساب فيدخر ... ليوم الحساب او يعجل فينقم

وان نحن نظرنا في ما ذكرت المجاميع الادبية عنه كالاغاني والشعر الشعراء وطبقات الشعراء وغيرها ، نراهم يجمعون على ان زهيرا احد الثلاثة الشعراء المقدمين على سواهم . ويفضله غير واحد على صاحبيه امرىء القيس والنابغة الذبياني ، لتعبيره الشعري السهل وللايجاز وحذف الفضول وحشو الكلام ، فيودع اللفظ اليسير في المعنى الكثير :

فما بك من خير اتوه فانما ... توارثه آباء ابائهم قبل

ولمدحه الجيد وتجنبه الكذب ، فما كان يمدح احدا الا بما فيه من خلق رضي وبسطة كف وغيرة :

على مكثريهم رزق من يعتريهم ... وعند المقلين السماحة والبذل

ولابتعاده عن التعقيد اللفظي والمعنوي وحوشي الكلام فما كان يعاطل فيه اي لا يداخل الكلام ويعقده واليك قوله :

ولو ان حمدا يخلد الناس اخلدوا ... ولكن حمد الناس يمخلد

فشعره على الجملة يقل فيه الهجاء والهذر ، فهو لا يتناول به الا الصراحة والصدق ، فيضرب الامثال ، وياتي بالحكم لتقريرها في الذهن فعنده المعنى الكثير كما قلنا باللفظ اليسير مثاله :

حمد جمل المبتغون الخير في هرم ... والسائلون الى ابوابه طرقا
من يلق يوما على علاته هرما ... يلق السماحة منه والندى خلقا
لو نال حي من الدنيا بمكرمة ... افق السماء لنالت كفه الافقا

فالصور عنده واضحة والتعبير جلي وان قصر في الخيال فلم يقصر بالتعبير . وقد انتزعه من الحياة الجاهلية والبيئة البدوية المفاخرة بشرب الخمر وقد برأ ممدوحه منها نوعا فقال :

وابيض فياض يداه غمامة ... على معتفيه ما تغب فواضله
اخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ... ولكنه قد يهلك المال نائله

واليك بيتا اتفق العلماء قديما على انه امدح بيت :

تراه اذا ما جئته متهللا ... كانك تعطيه الذي انت سائله

ومما يتمثل به من اقواله :

وهل ينبت الخطي الا وشيجه ... وتغرس الا في مغارسها النخل

ونحن نرى التعبير الشعري عنده يتمشى وروحه المطمئنة بدون تعمل وكد قريحة ، فلفته متينة وتركيبه آخذ بعضه برقاب بعض ، وهو وان اكثر الغريب في شعره

هبـاء

بحنيـن اللالـون كـان اللقـــاء ؟ ... اي حلـم نشرتـــه للعفـــاء ؟
كان احلى ، لو لم ازرك ، فما ابقيت ... للوهـم مـن عطـور الوفـاء ؟
لفتـة اخـت ارزة شمـــاء ... آه يـا ثلـج .. بعض هـذا الشتاء !
فـي عـروقـي احس شيئا جديدا ... كنـت عريتـه مـن الاسمـاء
ايـن ارضـي ؟ زرعـت ارضي فـي ... الملـح فصـارت سفينـة خضـراء ؟
لهف نفسـي . النسر نفسي ، ولكن ... اثقلتـه حديـدة زرقـاء !
لا تعجـل يـا صحو ! دعني ارى .. ... انـي ارى العمـر كلـه للهبـاء

كائن الابعاد

•

وحرقت النهار . كانـت فراشـات ... مـن النهـر عائـدات الـي
تحـت انقـاضـه رأيـت كثيـرا : ... اعينـي ، اضلعـي ، الـزمـان الفي
قلت : شعري ارى؟ ايحرق شعري ؟ ... كـان شعـري للنـاس خيـرا غنيا
ولمسـت الرمـاد . لما يـزل يشرب ... سمعـي مـن الرمـاد الـدوي
برعمت الـف فكـرة . نبع الدرب . ... تذكرتـه المضـي المنسـي
والتلاوين مـن طفولتـي البيضـاء ... عـادت الـي تحنـو علـي
بابتسـام دنـت . واطفأت الضـوء ... وقالـت : « انظـر الـى عينـي
انـني ... » واقتـربت . قبلتها . ... قبلتهـا . والدموع فـي مقلتـي
قالـت : « الان . لا تقتـل انتـي ... ساحرة . لا تقتـل لكي انـا احيا »
وتوارت تقول : « اكتب ، ولا تحرق ... غـدا يعـرفـونـك العبقـري »
وانـا اسبـل الجفـون تلمسـت ... طريقـا فـي داخلـي سريـا ..

حلب

علي الزيبـق

فهو بالنسبة الى جيله وعصره غير غريب ولكنه غريب على ابناء جيلنا . ففريبه كان بينا ظاهرا عند ابناء عصره .

وقل ان تقع على قصيدة له بدون ان يبادرك بحكمة او بمثل ، وان خلت من جمال العبارة فلا تخلو من حسن التركيب والصورة :

وذي نسب ناء بعيـد وصلتـه ... بمـال وما يدري بانـك واصلـه
وذي نعمة تمتهـا وشكرتهـا ... وخصـم يكـاد يغلب الحق باطلـه

فهو في حكمه وامثاله شاعر حكيم وخطيب مصقع يدعو الى العمل الصالح ، وقاض منصف ، لا يرغب لقومـه الا تآلف القلوب والعيش الرغيد ، وصفاء النية والكسـب الحـلال .

ومما يروى عن عمر بن الخطاب الخليفـة الراشدي العادل ، قال لبعض ولد هرم « انشدني بعض مدح زهير اباك» فانشده، فقال «ان كان ليحسن فيكم القول» فاجابه « ونحن ان كنا لنحسن له العطاء » : « قد ذهب مـا اعطيتموه وبقي ما اعطاكم » . ومن هنا نعلم ان الخلود لا يكون بالمال وهو فان وانما الخلود بما يتركه المرء مـن اثر فكري وقول حكيم ، ومبرة تنطق بالعمل الصالح وحب الخير الشامل .

عيسى ميخائيل سابا



عبد العزيز جادو

الرقـابـة والرقيب

بقلم عبد العزيز جـادو

* * *

الرقابة في الواقع بدأت أول ما بدأت في جنات عدن ، وكانت مفروضة يومئذ على التفاحة . وما كانت حواء تميل الى التفاح على وجه الخصوص ، وما كان التفاح ليجتذبها شكله ولا طعمه ، فكم كان لديها من اشياء ألذ وأمتع . وكم كان لديها من صنوف مما لم تره عين ولم تسمع به اذن . وكان كل هذا كفيلا بابعادها عن مجرد التفكير في التحقق أو التأكد من طعم التفاحة ماذا سيكون . وربما لم يخطر لها هذا التفكير على بال الا حينما قيل لها ان التفاحة انما هي فاكهة محرمة . اذن ، فلن يقر قرارها ولن يهدأ بالها حتى تقضمها لتذوقها ، وليكن ما يكون ..

والعالم اليوم اشبه شيء بذلك . ونحن اذا ما اعطينا كل التفاح الذي نريده ونشتهيه فستعافه نفوسنا ولن نلتفت اليه ولن نهتم به . اما اذا امرنا بالابتعاد عنه وعدم لمسه ، فهذا شيء لا يطاق ولا يمكن مقاومته بأية حال ، ولا بد اذن من تخطي العقبات ، وقل بعد ذلك على التفاح العفاء .

هل يمكنك ان تسعيد الى ذاكرتك كيف كان شعورك وانت طفل ، عندما كنت تؤمن بعدم الاقتراب من الحلوى التي في دولاب الكرار ؟ هل تذكر ذلك الدولاب الذي كان يحكم غلقه بالضبة والمفتاح ؟ وكيف كنت تترقب الفرص لكي تختلس نظرة تستشف بها ما بداخله ؟ ثم رف الكتب !

اتذكر عندما قال لك ابوك : « ان هذه الكتب يا بني للكبار فقط وليست للصغار الذين في سنك فلا تقربها ولا تشغل بها مخك حتى تكبر .. وحينئذ يمكنك ان تستمتع بقراءتها »؟

انا شخصيا قد اجتزت هذه الاشياء ، واعتقد انك ايضا قد اجتزتها ، بل لقد اجتازها الجميع بلا استثناء . واني اعرف صديقا اعتاد ان يستعير الكتب من المكتبات العامة ليقتصد ثمن شرائها ، ولكنه مع ذلك ، كلما سمع ان هناك كتابا صودر او ان المسئولين اوقفوا توزيعه ، لا يني عن السعي في الحصول على نسخة منه حتى ولو كلفته اضعاف ثمنها . « وكل ممنوع مرغوب » .

هذا هو عمل الرقابة ، وهذا هو اثرها وتأثيرها ! .. فهي تحدد للشخص ما يجب وما لا يجب . وتفرض عليه ما ينبغي وما لا ينبغي . والانسان بطبيعته يريد ان يأخذ اكثر من حقه ، انه لا يريد ان يحصل على اكثر مما هو موجود في الدنيا فحسب ، ولكنه يريد ان يحصل على ما ليس له وجود في الدنيا ..

ثم ان هناك مقاييس ادبية وخلقية ضرورية ولا شك ، فلا يمكن لاي جمعية او جماعة ان تعيش وان تستمر في تأدية رسالتها بدون هذه المقاييس . هذه المقاييس هي التي تجعلنا نقف سدا منيعا ضد كل ما يخالف العرف وكل ما هو خارج عن المألوف . فانت بكل بساطة لا يمكن ان تسمح بأي حال لمنتجي الافلام ان يعملوا ما يحلو لهم والا فستري عجبا اي عجب . ولا يمكن ان تترك لنا شري الكتب ولا لعارضي اللوحات الزيتية ولا لمخرجي المسرحيات مطلق الحرية لعمل ما يحلو لهم . ولئن فعلت فسيتمادى بعضهم بكل تأكيد في استغلال هذه الحرية فيما يشين بتخطي السدود ، والذهاب الى ابعد الحدود ، مما تحمر له الوجوه .

ولا يزال هناك ـ للاسف الشديد ـ بعض اناس لا يتأخرون عن تقديم او نشر اشياء يحوطها الغموض وتثير الشكوك . ولا يتورعون عن ابداء امور ليس من الذوق ابداؤها . ولا يستحون من التمادي في وصف المباذل على طريقة الادب المكشوف . ويستبيحون لانفسهم الخوض في مسائل لا يستحب الخوض فيها ، ولا سيما اذا كانت بالطريقة المزرية التي يسلكونها .

والرقابة انما تهتم على وجه الخصوص باخلاقنا الشخصية ، وآدابنا ، ولا سيما في المسائل التي لها صلة بالجنس . فاذا لم نراع الذوق والاحتشام فيما نكتب ولو كان عن طريق المجاز والاستعارة ، فالرقابة هنا لا بد ان تصدنا ولها الحق في ان تصفعنا على وجوهنا مراعية في ذلك العدل والانصاف .

والناس جميعا ، سواء اكانوا ذكورا ام اناثا ، عندهم الغرائز الهمجية غير المستأنسة . وانهم ليعتمدون على تلك الميول الموروثة التي انتقلت من السلف الى الخلف منذ العصور البدائية . ولما كانت تلك الميول مخالفة

للقوانين ، وممنوعة منعا باتا فقد احكم ضبطها وصار من السهل التحكم في امرها حتى اصبحت مشتركة بين الجماعة ، مشاعة بين الناس . وبمرور الزمن وتعاقب الاجيال ، ومع التمرين الذي تمرسنا به منذ الطفولة ، تعلمت الاغلبية اخضاع غرائزها الضارية وكبح جماحها . فانت اليوم اذا اردت شيئا في حوزة صديق لك فلن يضطرك الامر الى ان تقتل صديقك لكي تنهب او تسلب منه هذا الشيء . فهناك سجون وقضبان حديدية لمثل هذا التصرف . ولقد سنت الهيئات الاجتماعية القوانين والتشريعات وفرضت عقابا لأولئك الذين لم يتعلموا كيف يحكمون انفسهم ويتحكمون في تصرفاتهم .

وتنظيم الجنس او تقويمه انما هو من اصعب الامور التي تعالجها الهيئة الاجتماعية والفرد على السواء . والامور التي تتعلق بالجنس تثير الفضول وحب الاستطلاع اكثر من اي عامل آخر . ولكننا مع ذلك نشمئز من اي فرد او اي مجموعة من الافراد اذا لم يراعوا في محادثاتهم عدم المساس بما يخل بالشرف او اذا اتجهوا في احاديثهم الى ما يشين او ما يخدش الشعور او ما لا يصح ان يقال . ولكم يثير في نفوسنا من السخط والاستياء ما نقرأه احيانا لبعض الكتاب من المباذل والمجون ما يندى له الجبين .

وهنا يبرز امامنا سؤال عما اذا كان الذوق الاجتماعي يتطلب منا درجات من الكبت الجنسي حتى في المصنفات الادبية والتمثيليات النيرة والافلام السينمائية التي قد لا تكون صمامات امن جيدة . والطب ، على اية حال ، يدرك تماما ان الفرد يمكن ان يعاني ارقا او قلقا او خوفا او جملة من الاعراض العصبية الاخرى بسبب التعبير عن الجنس بطريقة خاطئة ، او بوسيلة سيئة غير منظمة وغير مجدية . فهل من الخير ان ينطلق هذا البخار الزائر عن طريق مسرحية او كتاب او فيلم ؟

نستطيع ان نقول « نعم » كما نستطيع ايضا ان نقول « لا » .. نقول « نعم » على شريطة ان يكون الانتاج ، بغض النظر عن نوعه ، مصورا بوضوح لمسائل الحياة الحيوية ، يلجأ بحق الى الحياة ويلتصق بالحياة . وهو بعد لا يكون متنفسا مأمونا ومنفذا امينا للعواطف المكبوتة فحسب ، ولكنه يغدو ايضا طاقة ادبية ، خلاقة .

ونقول « لا » اذا كان هذا الانتاج يشوه الحقائق او يحرفها ، ويكذب على الحياة وعلى الطبيعة ، ويقدم ما يخالف الواقع ، فتكون النتائج حينئذ أثيمة ، والعواقب وخيمة .

وليس هناك من آذته الدعوة الى الحق ، او أساء اليه افشاء الحقيقة ، بشرط ان تكون الحقيقة كلها هي التي قبلت ولا شيء غيرها ، مما يتنافى مع الذوق واللياقة ، ويمس الاحساس ويجرح الشعور . لان تشويه الحقيقة والتحريف المتعمد لمعناها ليس من شأنه الا خلق هزة او رجعة تهز المشاعر . وهذا هو أس الضلال وجالب الضرر والجهل بالحقائق لم يكن ابدا في اي وقت من الاوقات واقيا اكيدا للاخلاق او دافعا للاذى . ولكن المعرفه ، هي الواقية والمانعة للشر ، بشرط ان تبين بوضوح ان الحلم والتسامح والصفح كلها تؤدي الى نتائج نافعه غير مخربة ولا جالبة للنوائب ! ..

وتركيبنا الخلقي بعضه يرجع الى الوراثة ، وبعضه الاخر الى التمرين المبكر . وهذا التمرين بدون شك له اهميته التي يعتد بها . وعلى هذا فالعادات الحسنة شأنها كشأن العادات السيئة كلتاهما تكونها الاخلاق . ولكن اذا لم تكن العادات الحسنة مؤسسة ومبنية على ملاحظة للحياة صادقة وثابتة فهي لا ترسي الا اساسا مزعزعا فرعا للسلوك الاخلاقي .

والروايات التمثيلية والسينمائية والكتب ، لها بطبيعة الحال ، قيمتها التثقيفية . فهي تحلل الحياة ، وهي تشرحها ، وهي تقلب او تستجوب او تفلسف اساليب التفكير ومناهج العمل التي اسست منذ قديم ، وهي غالبا ما تكون نواة للمستقبل ، وهي كثيرا ما تنبيء عما هو آت . وهي لا بد ايضا ان تعالج بشجاعة وبجراة وبلا خوف او وجل مسائل الجنس بانواعها المتعددة .

وهي بالضرورة تتحدى وتناهض وتدعو الى النزال والجدال والنقاش فيما يمكن ان تنبش عنه وتستخرجه وتعلنه . وقد لا يخلو هذا ، في بعض الاحيان ، من ضرر او اذى . ولكنها اولا واخيرا ودائما ، الحقيقة التي يجب ان تعرف وان ترسم وتصور وترى ، فهي عظم الحياة ونخاعها ، وهي لحمتها وسداها .

والزيغ او الانحراف عن طريق الفن القويم المستقيم ، ليس من المحتم ان يجعل هذا الانتاج فاسدا او غثا او غير ادبي . فقد يكون من اوضح واخلص وارق انواع التسلية واكثرها صراحة ، وقد يكون في هذا الانتاج شيء من النفع والفائدة . حتى ان المسائل الجنسية الابدية اذا قدمت بعدل واعتدال وانصاف فلن يأت منها اي ضرر يعول عليه ولن يحدث منها اي اذى .

ولكن من المؤكد انه سيكون هناك استمرار ومواظبة على خلق تمثيليات تمس الذوق والشعور . كما سيكون هناك ايضا بعض الافلام وبعض الكتب التي تقوم بهذه المحاولة . اما اولئك الذين يذهبون الى ابعد الحدود فيما يكتبون او فيما يعرضون فسيستمرون في السير في طريقهم الى محاولة انتهاز فرصة حنيننا المكبوت وتشوقنا المكظوم ، وانحرافنا الراقد . او بمعنى آخر انهم يستفيدون من ضعفنا . وكلما كانت عندهم القدرة على تلوين هذا الضعف عن اثارة العواطف ، وتحريك الاحساس ، كلما كانت الفائدة اكثر لملء جيوبهم وزيادة رصيدهم .

ومن الطريف ، ان احد الدوافع القوية التي نمتلكها ، تلهمنا بل وتستثيرنا للكشف عن كل ما يمكننا الكشف عنه . فالمجهول يروعنا ويهز مشاعرنا . والامكانيات توقد

الخيال . وكتب اللهو والتسلية انما هي كانولائم المغرية تجتذبنا اليها كالمغنطيس .

وهذه الاعمال ، كيفما تكون ، لا بد مخيبة للامال ، مخلفة للظنون . فأولئك الذين يشاهدون هذه الاعمال ان كانت من المرئيات ، او الذين يقرأونها ان كانت من المؤلفات ، لا يلبثون ان يضيقوا بها ذرعا ويزهدون فيها ، بل ويضجرون منها . واسرع طريقة يمكن ان نتعلم بها كيفية القبض على زمام الدوافع والمثيرات السقيمة بالكبح والقمع هي ان نلم بكل هذه الاعمال ونكون على علم ودراية بالكتب التي لا يعرف مؤلفوها شيئا عن الذوق السليم .

ومهما يكن من شيء ، فقد تعلم الناس ، رجالا ونساء ، كيف يضبطون مشتهياتهم المرضية . فلقد علمتهم تجارب الحياة ان ليس هناك ما يمكن الحصول عليه من الاذعان او الاستسلام الى الدوافع الحقيرة ، الدنيئة ، الا الشعور بالهوان واهدار القيم الانسانية ، وتلويث السمعة ، واهدار الكرامة .. ولقد اصبحت الكتابات الجنسية من الاشياء المبتذلة ، الممتهنة ، التي تعافها النفس ويمجها الذوق ، وباتت من الامور التي لا يرضى بها احد قط ومن الاشياء الكريهة التي يشمئز منها الذوق .

وهنا يعترضنا سؤال عن الذوق مرة اخرى ... لقد خلقنا ، لسوء الحظ ، انا وانت والجميع لكي نقاسي ونتألم ونتعذب بسبب قصور محقق ، فعلا ، لم يكتمل نضجه بعد ولم يتم نموه . وقد يقول قائل ان التصور الشائع والمبتذل يجبر على طاعة الاغلبية المؤدبة ذات العفة والحشمة . وهذا حق ، فعلا ، من جهة معظم القوانين في كتب الشريعة . او لم يكن ثمة لصوص لما اضطر الامناء لتحميل رجال الشرطة مشقة المراقبة والهيمنة .

ولو لم يوجد جنون السرعة ما كان هناك من حاجة الى قوانين تحد من سرعة السيارات لكذا كيلو متر في الساعة . وما كان هناك اي احتياج لما يسمى « قلم مرور » ولا لجندي الشرطة في قسم المرور – يفتح المرور ويغلقه ويقيد مخالفات لمن يعصون توجيهه . ولولا وجود اناس اتخذوا من الرقيق الابيض تجارة لهم ، ومن العهارة والبغاء متكسبا لهم ، لما كانت الرقابة من المسائل الضرورية ، وعلى صورة مشددة .

فنحن لا يزال فينا الفاسد والفاجر ، ولا يزال فينا اناس ليسوا على شيء من الادب او الحياء . بالرغم من النصائح والتعاليم الدينية والتوجيهات التي يبثها رجال الاصلاح . ولكننا حتما مراهقون ، وكالاطفال ، نشتهي كل ممنوع ، ونتوق كثيرا الى ان نفعل ما قررت اللوائح القانونية والنظم الشرعية الزامنا بعدم فعله .

وحينما يقال كل شيء ، ويفعل كل شيء ، يتأثر اناس متفاوتون تأثرا متفاوتا بمؤثرات معينة . وبمعنى آخر ، يمكن ان تعتبر احدى القصص عند البعض خليعة فاسدة ، وعند البعض ادبية ، وعند البعض الاخر موجهة هادفة .

اذن لا يمكن ان يكون ثمة فرد او مجموعة افراد يجتمعون للحكم على اية مسرحية او اي كتاب ويكونون في حكمهم متساوين او منصفين عدول . لان فكرتهم ستتكون ، على الاكثر ، حسب سيكولوجيتهم الفردية . فمن الواضح جدا ان نعرف كيف ان رجلا في لجنة الرقباء يمكن ان يتأثر ، مثلا ، من قصة عن امرأة ادمنت على الشراب ، اذا حدث وكانت امراته او احدى قريباته تعاني نفس الحالة . ونحن اذا تأملنا جيدا ودققنا باهتمام في مسألة الرقابة من جميع الزوايا ، فسنصل حتما الى النتيجة بانها ضارة ومؤذية .

ماذا اذن ؟ ان الشيء الوحيد الذي يمكن ان يساعدنا على تقديم الاحترام والتبجيل للذوق السليم هو الارتقاء بالرأي العام الذي يرضى باحتضانها ويميل الى معاونتها والتكفل بها . ولكن كيف نستطيع ان نخلق او نكون هذا الرأي العام ؟

وهنا ، دون شك ، يبرز سؤال فرد من الافراد : اننا اذا لم نراقب انفسنا ، واذا لم يردع معظمنا الميول الهمجية التي تحاول دائما ان تحقق نفسها وتثبت وجودها في كل رجل وامرأة وكل طفل ، لكان التحصيل الاشتراكي كتحسين سلامة الذوق في الاغلبية ، هراء في الهواء ، او صرخة في فلاة . والنقطة ، مع ذلك ، هي انها في الواقع تدفع الفرد بالرغم منه الى تحسين حاسة الذوق عنده . حتى يقل احتمال حدوث شيء ضار كأن يدوس على اصابع اقدام جيرانه او ان ينتهك حرمة زملائه ، او يعتدي على حقوق الغير . والذوق يجعل الشخص مقبولا لدى الاخرين ، مرضيا عنه . كما انه يؤدي الى التعاون والتآزر في مساعدة البعض للبعض من اجل الاصلاح الاجتماعي ، والرقي الادبي .. والذوق ، باختصار احد الدوافع الثقافية العظيمة التي يمكن اقتناؤها .

ومسألة خلق الذوق او تكوينه تتطلب ، بطبيعة الحال ، التمكن منه في سن مبكرة من الطفولة ونسأل بعد ذلك عن القدر الذي نكبح به الطفل ونقمعه كم يكون ، والى اي مدى نتركه يروح عن نفسه بطريقته البدائية ، والى اي حد نتركه لنزواته الفطرية ، فهذه قضية معقدة ، ومسألة من الصعب حلها ، ولا يمكن الاتفاق بشأنها او الوصول الى تسوية مقنعة او قرار حاسم فيها يكون فيه فصل الخلاف . نعم .. الى اي درجة ، يجب ان نلقن الطفل ونعلمه كيف يكون على نفسه رقيبا ؟ ..

ان اطباء الامراض العصبية واطباء الامراض العقلية معا يعرفون تماما ما هي الافات والسيئات التي يمكن ان تتدفق من الرقابة الذاتية التي تزيد عن الحد المألوف . ومن المؤكد ان شعورنا بالاثم والخطيئة ، واعتقادنا بالدونية واحساسنا بالدناءة والانحطاط والتأنيب الذاتي ، وغير ذلك من الاعراض العصبية انما تتدفق كلها من هذا المنبع العام .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لماذا ؟

لماذا اتيت
بهمسة حب حنون
تغير مجرى حياتي
تغير ذاتي
اتعلم ان حياتي بكاء
وقلبي جماد
وعمري ارتحال
واني اغير نفسي
بشيء بسيط
بهمسة حب تقال

لماذا اتيت ؟
أجئت لابكي اليك
لاندب عمري
لابكي اليك
أجئت لابكي اليك
تنور شمسا
وشمسي تطفأ ؟
أجئت
تفاجئني في رقادي
بحلم الرجاء
تراني افاجا ؟
صباحك من اي فجر

وانت
وزورق حبك
من اي مرفأ ؟
يقال :
خمورك تروي
ففي اي امسية قيل
اني اظمأ ؟
واني احرق قلبي
اجئت تجدد قلبي

تجدد مطفأ ؟

اتعلم اني ليل طويل
طويل ..
وغصة روح
وحسره
نجئت تجدد قلبي

تجدد زهره
لماذا اتيت ؟

انتظرتك امس
بباب الشتاء
مع الليل والزمهرير المخيف
وجئت
ركضت اليك
بكيت
انتحرت بصدرك
كنت لطيف
الم ترني ؟
غلتني من جراد
وكاسي تراب
وزادي رغيف
واني احس
بجوع عنيف
واني اخيف
لماذا تجيء الي
لماذا ؟
الم يكفني بعد
هذا الخريف

الكورة ـ لبنان — ادوار الزغبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اما اننا نكبت لاننا نخاف من مواجهة الحقائق او الظروف فهذا احد الامور . واما اننا نكبت ، من جهة اخرى ، عن علم ومعرفة وبوعي وشعور وبفهم كامل باننا لسنا منبوذين او مكروهين ـ واننا بكلمة اخرى ، نكبت للخير العام وللمصلحة الاجتماعية ـ فهذا شيء آخر !!

والجهل والخوف مضافا اليهما الخجل والحياء ، ممزوجين بالقمع مع الرقابة الذاتية ـ كل ذلك مبعث الضرر والاذى . ولكن ليس ثمة اي انسان يناله اي اذى او يمسه اي سوء اذا هو ردع نفسه وكبحها عن علم ودراية وبحكمة وفطنة وادراك . فلا يعاني من الذاتية المكبوتة ولا يقع تحت صراع نفسي يعجز « الانا » عن مواجهته فيتجاهله فيلوذ باعماق اللاشعور . فهو حينئذ يوقف سيارته عند كل اشارة حمراء ، حتى ولو كان القائم بتنفيذالقانون ليس موجودا .

نعم ، ليكن عندنا ذوق ، ولنكن ذوي حساسية بالنسبة لهذا الواجب من الرقابة ، ولنعمل بما قال وليم جيمس العالم النفساني الشهير : « لنكن عمليين » وهو انما يقصد بهذا ان ننتمي الى المذهب العملي ، مذهب الذرائع ، المذهب القائل بان اهمية المباديء في نتائجها العملية .

ولكي نكون عمليين في هذه الحاسة ، علينا ان نتخذ قاعدة للسلوك ، ونربي في انفسنا نظاما للعادات ، ويكون لنا ميزات وخاصيات نكتشفها في ذواتنا لننتفع بها ، (وكل امرىء رهن بما يؤدي) . وفي هذه الحالة يغدو الشخص اكثر قبولا . وهذا هو الطريق الذي يجب ان ينتهي اليه .

ونحن في الواقع لا يمكن ان نعمل غير ذلك . ويجب ان نكبح جماح انفسنا ، ونكون رقباء عليها باية كيفية وباية حال من الاحوال . واذا لم نفعل ذلك فستكون دنيانا اكثر فوضى ، يضرب في اطنابها الاضطراب كما يجب الا يقف احدنا في وجه الاخر ، ولا يصده عن سواء السبيل .

الاسكندرية — عبد العزيز جادو

المـرح والهزل في قصر العدل في فرنسـا

القضاة والدعابــة

بقلم جان بول لاكروى ترجمة سمير شيخاني

* * *

في محكمة الجنح يمكن العدالة ان ترتاح وترخـي العنـان لنفسها ، فتنزع عن وجهها قناع المأساة لتبدو كما هي في الواقع : اما فتاة طيبة ، او شرسة ، وذلـك حسب طبيعة القاضي الذي يمثلها او مزاجه ! . .

وهنا ، في الواقع ، البطل ليس المتهم ، كما هي الحال في محكمة الجنايات ، ولا حتى المحامي ، بـل البطل هو القاضي .

وعلى ذلك فان اكثر رؤساء محكمة الجنح هم اناس حيويون الى أبعد حدودالحيوية ، لافرق بين اولئك المتذمرين منهم ، أو نافـذي الصبر ، أو الفكهـين محبي الدعابـة ! فبوسعهم ان يكونوا كذلك ، وساعة يشاؤون يمكنهم ان يسمحوا لانفسهم بارسال النكات والاقوال الساخرة أثناء الجلسات . ذلك بأنه ليس في ايديهم الحياة او الموت كما هي الحال مع رؤسـاء محكمـة جنيف . فالاحكـام التي يصدرونها تتراوح بين ايام في السجن او شهور ، او حتى لا تتعدى الغرامات النقدية . وهذه مجموعة من الطرائف والنوادر التي كانت محكمة الجنح مسرحا لها .

* حوار بين متهم وقاض :

ـ سيدي الرئيس ، انا لم افكر .

ـ كان ينبغي لك ان تفكر ،ياصديقي . واذا كان للرجل رئيس كالدبوس ، فذلك لكي يحول بينه وبين الذهاب بعيدا

* قول منطقي لاحد القضاة :

ـ ان المتهم سيتعلم على حسابه ان أشكال العدالة اقـل جمالا ومتعة من أشكال السيدة بران الارملة ، المدعية ، التي داعبها بكل وقاحة في ممشى مظلم ، ليلة الثامن من كانون الاول الفائت ! . .

* كان احد المحامين يترافع منذ ثلاث سـاعات مفرقا هيئة المحكمة والسامعين بخضم من التشريعات، حتى قال: « وسأتلو على مسامعكم ايها السادة نصا آخر هـو السابع عشر في هذه الجلسـة ، وقد اصدرته في ٣ ايار سنة ١٨٩١ محكمة اوليان . . . »

وهنا قاطعه الرئيس بيريفييه بقوله : « أورليـان ، توقف مدة خمس دقائق . رفعت الجلسة . » (أورليان هي في باريس احدى محطات السكة الحديدية .)

* قال احد القضاة لمتهم بقيادة السيارة وهو في حالة السكر : « قرأت في التقرير الطبي أن هناك في الواقع قليلا من الدم في خمرك . . وهذه هي المرة الثالثة التي يحدث لك فيها مثل ذلك . »

* اطال المحامي دفاعه، فقال له الرئيس ميل: «اختصر» فأجابه :

ـ كما تشاء ، يـا سيدي الرئيس ، فانا لـم ارغب في العجلة لكي أتيح الوقت الكافي لخصمي المتأخـر ان يصل في الموعد المناسب . والواقع اني حاولت ان امتع المحكمة قليلا في هذه الاثناء .

* قال القاضي :

ـ في المستقل دعك من هذا الامر ، فالمحكمة تحب ان تختار بنفسها وسائل متعتها !

* ومن القضاة الساخرين ، المتهكمين بلطف ورقة نذكر الرئيس بـول لوسيان فهو الذي قـال في حيثيات احد الاحكام : « على الرغم مـن مرافعة الوكيـل فاننا لا نعتبر المتهم مذنبا » . وفـي احـدى الدعـاوي مس بسخريته الكورسيكيين الذين تنتهي اسماؤهم بلفظة « اي » . ولكنه سرعان ما تنبه ـ بعد فوات الاوان ـ الى ان المحامي الشهير مورو ـ جيافيري يجلس في مقعد الدفاع ، فاذا به يسارع الى القول والابتسامة على شفتيه :

ـ آه ايها الاستاذ ، لكم اعتذر منك . ولكن على سبيل معاقبتي اسمح لك بأن تطلق علي اسم باولو لوسياني .

* كان الرئيس ديليفون يحاكم سياسيا شابا طموحا يدعى غاستون داكوستا ، وكان هذا يرسل التحديـات لمناسبة ولغير مناسبة مما حمل القاضي على تهديده بقوله :

ـ اذا انت واصلت تهجماتك على المحكمة فانـي احكم ببراءتك .

* في احدى الدعـاوى (تضارب زوجـين ادى الى جراح) شدد محامي الزوجة على مظهر الزوج الدميـم ، قائلا :

ـ صحيح انه يسمح للجميع بأن يكونوا علـى شيء من الدمامة ولكن ثمة حدودا ينبغي احترامهـا . حسنا ، ايها السادة ، ان هذه الحدود قد تجاوزها بجراة تبلغ الوقاحة الزوج ! . . ايمكن ان يكون على وجه البسيطة امرؤ ابشع من الزوج هذا ؟

ـ استاذ ، انت نسيت نفسك ! . .

* قال القاضي للشاهدة :

ـ ما عمرك ، يا سيدتي ؟

ـ تسع وعشرون سنة .

ـ المعذرة ، انا لم اوضح نفسي ، ففي اي سنة ولدت ؟!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* وهذا حوار آخر بين متهم وقاض :

ـ سيدي الرئيس أن زوجتي تخونني مع جميع رجال المدينة . انا ملك المخدوعين !

ـ فهتف به القاضي :

ـ كن متواضعا ، يا هذا ، واذكر ان نابليون وموليير كانا قبلك كذلك .

* وبين قضاة محكمة الجنح الذين اشتهروا وتركوا اسما يتردد حتى اليوم ، يبرز اسم القاضي روابيه، رئيس الغرفة الثانية عشرة الذي عرف باللقب الشهير « انرئيس دقيقة » . فالمحاكمات التي كان يترأسها ضربت الرقم القياسي في السرعة ، حتى انه فصل مرة باربعين دعوى في سبعين دقيقة . كان ذلك يجري على الشكل التالي :

ـ الاسم؟ لا فائدة من ذلك فانا اعرفه. اتعترف بالوقائع؟ لا ؟ الكلام لك يا محامي الدفاع ، فأوجز .

فما ان يتلفظ المحامي بجملته الثالثة حتى يقاطعه متلفظا بالحكم :

ـ ثلاثة اشهر ، وغرامة ستة آلاف فرنك . الى الدعوى التالية .

والواقع انه كان لدى انرئيس روابيه جدول للعقوبات فيه بعض الارقام من مثل ثلاثة اشهر سجن ، وستة آلاف فرنك غرامة ، او اربعة اشهر سجن وثمانية آلاف فرنك غرامة ، او ستة اشهر سجن و١٢ الف فرنك غرامة .

وحاول مرة محام يدعى فوريه ان يحتج على تصرفات هذا الرئيس فقال له :

ـ سيدي القاضي ، لقد نظمت دفاعي على الشكل التالي : ربع ساعة للمقدمة ، ونصف ساعة لعرض الوقائع ، وثلاثة ارباع الساعة للمناقشة وخمس دقائق للخاتمة ...

فقاطعه القاضي بقوله :

ـ ابدا بالخاتمة فالمحكمة تصغي اليك ..

* الا ان محاميا يدعى جورج بوران استطاع ان يقدم مرافعته بكاملها . فلما تدخل الرئيس روابيه طالبا اليه ان يختصر في كلامه ، نهض وتلفظ بكلمة واحدة هي : « الرحمة » . وعاد فجلس في مكانه . مما اضطر « الرئيس دقيقة » الذي غلب على امره ، على اصدار الحكم ببراءة المتهم .

* وبقتضينا الانصاف ان نذكر ان المحامي بوران كان له سلف في مثل هذه الامور هو المحامي ليون كلبري الذي ما ان قاطعه رئيس المحكمة حتى انهى مرافعته بأربع عبارات اشار باصبعيه الى موكله قائلا :

ـ هو بريء !

واشار الى المدعي :

ـ هو شرير !

واشار الى الرئيس :

ـ أنت قاض عادل .

ثم جلس مرددا :

ـ أنا ، انتهيت ...

* وقد عرفت محكمة الجنح كذلك « الرئيس الاقصى » . ويدعى دوبوى رئيس الغرفة السادسة عشرة . فلقد كان يصدر اوتوماتيكيا اقصى عقوبة يفرضها القانون مهما تكن الجنحة . وكثيرا ما كانت حماسته تدفعه الى تخطي حدود العقوبة ، فيقول مثلا لسارق بائس : « خمس سنوات سجن » . فيهمس الكاتب في أذنه بكل احترام :

ـ ولكن العقوبة ، يا سيدي الرئيس ، في مثل هذه القضية سنتان فقط .

* اما سلف دوبوى هذا فهو المشترع الاثيني دراكون الذي عاش في القرن السابع قبل الميلاد . فقد فرض العقوبة القصوى بلا اي تمييز على كل الاخطاء موضحا عمله بقوله : ذلك بأن الاخطاء الصغيرة بدت لي انها تستحق الحكم بالموت ، ولانني لم اجد عقوبات اخرى للاخطاء الكبيرة . ولكن الاثيني نفوه عندما لم يعودوا يتحملون وطأته .

* ونعود الى فرنسا في عصرنا هذا فنفرد مكانا للرئيس ريشار ، رئيس الغرفة العاشرة . وقد عرف عنه انه قبل اصدار حكمه كان يلتفت الى معاونه الايمن ويسأله :

« بم نحكم عليه ؟ » . فيجيبه المعاون مثلا : « ستة اشهر » ، فيلتفت اذاك الى المعاون الايسر ويسأله : « وانت ما حكمك ؟ » ، فيجيبه : « اربعة اشهر » . وعندها يصدر حكمه :

ـ ايها المتهم ان المحكمة تقضي بسجنك مدة عشره اشهر .

* اما الرئيس كوب بوي فيلجأ الى نوع آخر من القسوة كأن يتوقف وهو يقرأ حيثيات الحكم حتى اطلق عليه لقب « الرئيس اثارة » :

ـ لهذه الاسباب تقضي المحكمة على المتهم بـ ... ويروح اذ يتوقف عن هذا الحد يبحث في جيوبه عن علبة التبغ ، ثم ينادي المباشر قائلا له : « هنري ، لقد نسيت منديلي ، ولا ريب ، في جيب سترتي ، فائتني به يا صديقي .

في هذه الاثناء يكون المتهم قد تصبب عرقا وهو ينتظر الكلمات الاربع الاخيرة التي ستحدد مصيره ، والحكم الذي يستحقه .

* وهذه النادرة اخيرة عن سادية بعض رؤساء المحاكم :

ـ انت تدعى دوران لويس ، ومتهم بالتشرد ، فهل حكم عليك من قبل ؟

ـ لا ، سيدي الرئيس ...

ـ اذا ، سيحكم عليك !

سمير شيخاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رفعت راسها بسرعة عن لهب وابور الجاز الذي هب في وجهها فجاة . احترقت خصلة من شعرها المحمي . زادت كآبتها لدرجة الرغبة في البكاء . عاصفة من الحزن وجدت في قلبها ملاذا طيبا . بخيوط الامل المهزوم تسحب الدمع عن مقلتيها . تحاول دائما اذابة موجات الضعف القاسية بصهر تفكيرها في العمل . ذبل لهيب الوابور فعادت تعطيه نفسا ليصبح عنيفا . وضعت عليه كسرولة الملوخية ووضعت الحمام على البوتاجاز في كسرولة كبيرة . الموجات الغروبية مركونة في صدرها . تلطمها لطمات خفيفة في احاسيسها . ترد اللطمات بغسل الصحون والملاعق والشوك والسكاكين و .. هدير الوابور جعلها تنهي عملها في المطبخ بشيء من العجلة . لمعت واجهة النملية والبوتوجاز والمغسلة بالماء والتايد ومسحت البلاط . نشفت رجليها والشبشب من الماء بخرقة جافة . وقفت على عتبة غرفة الضيوف . عيناها طاحونة الم تجرش كل ابتسامة . صورته معلقة على الحائط . يبتسم ابتسامة بلهاء .. المرة الثانية التي ضحك فيها . المرة الاولى قبل اربعة اشهر يوم زفافها .

دفعت نفسها ورتبت مزهرية الورد . مسحت الترابيزات ووضعت رجل احدى الكنبات على تهرؤ في السجاد . رشت الغرفة « بالفلت » .. واغلقت الباب .

لم تعط الصالة اهتماما كبيرا جدا لعدم حاجتها لذلك . فقط ، مسحت وجه طاولة الاكل الموجودة هناك .

اتجهت الى غرفته . كان غارقا في النوم . فمه منفرج عن اسنانه الترابية . ذقنه طويلة مقرفة . شعر راسه منكوش بشكل مزعج . يخرج زفيرا مسموعا . تشمئز عندما تجلس معه . حديثه ممل ومتعب .

ـ عيسى ..

ولكزته برفق في كتفه ..

ـ عيسى ..

ـ هه .. هه ..

ـ صباح الخير ..

عرك عينيه باصابعه ..

ـ صباح الخير .. كم الساعة ؟

تناولت ساعة عن الكومودينو الملاصق للسرير . نرات صفحتها .

ـ العاشرة تماما ..

ـ ياه .. افتحي الراديو .. بسرعة .. على عمان ..

الترانزستور على نفس الكومودينو . ادارت مفتاحه . لحسات من السأم اقشعر لها كيانها .

قال المذيع في موجز الاخبار وعيسى منقلب الى اذن تسمع ـ ان اربعة جنود اسرائيليين قتلوا في اعتداء على القدس . صاح عيسى بكل عمقه :

ـ الله الله .. اربعة ؟! .. تصوري يا نجاح اربعة اسرائيليين ماتوا يا سلام ..

اجابته ببرود وعدم رضا :

ـ قم اغسل وجهك احسن لك . قرب ميعاد مديرك خليل افندي وزوجته . وخرجت .

الغمام الاسود يعشش في شرايينها . الطريق المعتم الحزين تبدو نهايته قاتمة كرحلة الامل الكبير . تبحث عن رغوة الحليب والفراء . لحظة الامان .. لحظة تغيب فيها عبر عيني رجل لا قرار لهما . رجل وقور امام الناس . يحلق ذقنه .. بلا شنب ونقوده كما النهر الخالد ! ..

اعتنت قليلا بالطبيخ ثم غسلت وجهها . قدماها ينسحبان خلفها الى غرفة النوم . عيسى يقص بخطواته صفحة ضجيج الوابور الموزون . جلست امام مرآة التواليت الصغيرة المهراة . جففت وجهها . رشته بالبودرة وطلته بطبقة خفيفة من الكريم . مرت بقلم الروج على شفتيها بخفة .. حكت شفتيها ببعضهما . لامست سبابتها قلم الروج ، ووضعته برفق على خديها . دعكتهما . فركت وجهها جيدا حتى بدا بلون طبيعي . دخل عيسى وانصابون على وجهه . لم تنظر اليه عندما تأملها في المرآة . اخذ شيئا وخرج . كانت تسرح شعرها . لاترغب في النظر اليه . لا تحب ان تقرأ ملامحه اكثر مما فعلت . عيناه الصغيرتان اللتان لا تحملان اي تعبير . انفه الطويل المثقوب مرتين بافراط . شاربه البني المضطرب . هو .. هو .. لا داعي لان تقرأ وجهه اكثر . شفتاه .. آه .. لا تعرفان الا الحديث في فلسطين وطاولة الزهر والاصدقاء المتحمسين وليس له من الدنيا غير راتب شهري قليل وبطاقة مؤن زرقاء . رجاها مرة ان تكون محور ما يربطهما من علاقات . يا الله ! اين رغوة الحليب والفراء ؟ .. اين لحظة الامان ؟ .

امطر جرس الباب بفزارة . تحركت كل خلايا جسمها . القت ظفيرتها الفحمية على ظهرها . القت على نفسها نظرة اخيرة في المرآة . رضيت بجمالها . نهضت لتفتح الباب . كان عيسى يسبقها . خليل افندي فقط من غير زوجته . مبتسم بوقار عن اسنان قطنية . وجه حليق املس . بلا شنب . طويل . عريض الصدر . يا لجمال عينيه . عيناه غابتا ظل وليلك ..

بطاقة الحب الزرقاء

بقلم فخري قعوار



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ نجاح .. سلمي على خليل افندي ..

تفاجأت بيد الرجل ممدودة امامها في يده خاتم ذو فص وهاج . مدت يدها بارتجاف فضاعت في يده الكبيرة . شعرت بقشعريرة تسري في جسدها . يده دافئة عظيمة .

قال عيسى مشيرا الى غرفة الضيوف : ـ تفضل . .

سحب يده بلا مبالاة . مدها الى جيب صدريته . اخرج ساعة ذهبية مدورة . اعادها مكانها .

ـ اعتقد انني لم اتأخر ..

قال عيسى : ـ ابدا .

جلس الرجل على كنبة في صدر الغرفة . جعل عيسى بينه وبين خليل كنبة وجلس . نجاح واقفة على العتبة ما زالت تنظر الى الرجل . مر ببالها خاطر جعلها تشعر بالحياء . احمر وجهها بعنف . اذناها حبتا بندورة شتوية . لو كان خليل زوجها .. لو .. هو رغوة الحليب والفراء . في يده لحظة الامان . تصورت ان قلبه عطوف حنون ، وصدره اشد دفئا وامانا من يده . يا بخت زوجته .. آه ..

ـ اين المدام يا خليل افندي .. ؟

قال بصوت وقور معتدل :

ـ حصل ظرف منعها من المجيء

مطت شفتيها بابتسامة لا رائحة لها . خرجت . اطفأت الوابور والبوتاجاز .. صبت الطعام في الاطباق وفكرها في الغرفة الاخرى . يبدو ان الموجات الغروبية مالت الى الهدوء . لمسات خفيفة من الضوء تغطي قمم الامواج الواهتة .

صفت اطباق الطعا مءلى طاولة الاكل . وضعت الشوك والملاعق وفوط السفرة بترتيب اعجبها . تأثرت قليلا لانها نسيت ان تخرج مزهريةالورد قبل مجيء خليل لتضعها على الطاولة . القت نظرة استعراضية على اناقة الطاولة . وجدت نفسها قد نسيت ابريق الماء والكبايات . احضرتها بسرعة !

وقفت امام غابتي الظل والليلك .

ـ تفضل .. الاكل جاهز

تذبذب شنب عيسى باضطراب عندما غمغم : تفضل ..

افرج شفتيه عن اسنانه القطنية .

ـ متشكر ..

خلع جاكيتته . تلقفتها وعلقتها على مشجب قريب . جلسوا .

قال بوقار ـ سآكل لقمتين وامشي ..

لم يعلق احد . قالت نجاح مجاملة وهي تدفع امامه صحن ارز ..

ـ تمنيت ان تكون المدام معك ..

غرف من صحن الملوخية بالملعقة وهو يقول : زوجتي مجنونة ..

اضاف : .. و .. سخيفة ايضا ..

وضع لقمة كبيرة في فمه . اكمل ، وشفتاه تخرجان صوتا مزعجا من عملية الاكل :

ـ غضبت لانني رفضت ان تأخذ الصغير زهير معنا .. مجنونة .. اثارت اعصابي .. فضربتها بمفتاتيح كانت في يدي ..

انجرحت صفحة الحليب والفراء .

اخرجت نجاح صوتا : ياه ؟!

ـ ومنذ ساعة تقريبا خرجت ذاهبة الى البلد عند اهلها .. ومعها زهير .. قال عيسى .. لم لم تستدرك الموقف ؟.

قال : كبريائي يا عيسى ..

في تجويف راسها فراغ . في صدرها فجوة ضاع محتواها . شيء ثمين سقط منها . بحثت في وجهه عن شيئها . لم تجد اللحظة .. لحظة الامان الرطبة .. لم تجد الظل والليلك .. حتى فراغها ظل مشروخا . الرجل يأكل بطريقة غير لبقة . صلعته الصغيرة الملساء تلمع من حركات فمه . يبدو انه شبع . دفع مقعده قليلا الى الخلف .. الحمد لله ..

عيسى يستحلفه ان يستمر في الاكل . الرجل يتشكر ويشعل سيجاره .

عاد الى غرفة الضيوف . وراحت تعيد الصحون وبقايا الاكل وادوات السفرة الى المطبخ . كسرت صحنا .

لم يأت عيسى ليطمئن . يبدو انه تجاهل الموضوع امام الضيف . سمعت الرجل يستأذن للخروج . عيسى يدعوه الى الاستمرار في الجلوس . يرفض لانه سيذهب ليعيد زوجته من البلد . احضرت له جاكتته . ارتداها . صافح عيسى مودعا . صافحها . خيل اليها ان يده اصغر مما كانت ، قبل قليل . هذه يد اخرى وباردة ايضا . سحبت يدها . خرج .

في داخلها فراغ وبقايا كآخر المائدة . بلل خفيف من موجات الغروب . لمسة ميتة لجثة الظل والليلك والحليب والفراء . عطش للحظة غنية حنونة . عيسى مستلق على السرير . خلعت ملابس المطبخ . جلست امام مرآة التواليت . فكت ظفيرتها الفحمية الموجة . يحبه متدفقا كشلال عتمه . كان ينظر اليها في المرآة . نظرت اليه . يحبها ووضعت المشط على الترابيزة الصغيرة . نهضت . وقعت عيناها على البطاقة الزرقاء : « لتكن محور ما يربطنا من علاقات » . وضعت وجهها على صدره . سال الليل على بيجامته الخضراء . رفعت وجهها . تأملته . تأملته طويلا ..

قال : ما لك يا نجاح ..

لا شيء .. لا شيء يا عيسى . احست عيناها ادمعتا . لا شيء . كل ما هنالك انني .. انني ..

ـ احبك يا عيسى .. احبك ..

امطرت عيناها على الحقل الغني . بللت وجهه . شيء مربع ازرق ملقى في قاع فراغها . الشيء يتوهج . وضعت ذقنها على جبينه . لم يرضها ان تنظر الى الوسادة . ازاحت راسها . تحركت الفيمتان الممطرتان. الحقل يوشك ان يمطر ايضا ! ... احست برضاب فمه على شفتيها .

الزرقاء ـ الاردن **فخري قعوار**

الشيخ محمد هاشم ـ الاب مرمرجي محمد عبد السلام البرغوثي

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ الشيخ محمد منيب هاشم

ولد في نابلس عام ١٨٥٥ من ابوين كريمين يمتان بنسبهما لسيدنا جعفر بن ابي طالب أحد شهداء معركة « مؤتة » الشهيرة ، وتعلم القراءة والكتابة ودرس القرآن الكريم في المدرسة الاهلية الكبرى بنابلس ، ولما تمكن من العلوم الابتدائية شرع في طلب العلم ثم بدا له الذهاب الى مصر لزيارة اخوة له يطلبون العلم في الازهر الشريف ، ولم يكد يرى طلاب العلم في أروقة الجامعة الازهرية حلقات حتى تحركت فيه عاطفة البقاء في القاهرة طلبا للعلم فبقي فيها وطفق يتلقى العلوم عن أعلامها في ذلك العصر كالشيخ محمد الانبابي والشيخ ابراهيم السقا والشيخ محمد الاشموني والشيخ ابي العز وغيرهم من شوامخ الازهر الشريف ، وهناك قرأ على اساتذته الفقه واصوله وعلم الكلام والتفسير والحديث والصرف والنحو والمنطق والبلاغة وعلم الوضع وآداب البحث ، فدلل في دراستها على ذكاء مفرط واقبال على هضم المواد التي درسها .

وبعد خمس سنوات سلخها طالبا في الازهر الشريف ، زوده اساتذته المحققون بشادة تدل على مدى ما وصل اليه هذا الفقيه الواعي من التفوق على أقرانه مع صغر سنه ، ومما جاء في شهادة مجيزيه :

« كان ممن ورد علينا من بيوت السيادة والمجد ، ومواضع الرفعة والحمد ، معتصما بتقوى الله فيما رام من الفضائل الازهرية ، مؤيدا بالتوفيق وسامي العزمات القوية ، وعكف على هذا المطلب الاسمى حق العكوف ، ووقف في المقام الاسمى على قدم الصدق فيه أوثق وقوف ، فاسعفته العنايات ، ووالته الامدادات ، فنظم ونثر ، وحرر وقرر ، وادرك في أزهرنا غاية في الاحاطة وقوة الملكة والحفظ مع صغر سنه وقرب عهده بالبلوغ ، حمى فيها حومة الميدان ، وانقطعت عنه مبارزة الاقران ، واذعن لباهر فضله الواقع وحقيقة العيان » .

ترك هذا الشيخ الواعي اثرا طيبا بين علماء مصر ، وربطته صداقة بالشيخ محمد بخيت ، ودرس كلاهما على الشيخ محمد عبده .

وعاد الشيخ محمد منيب هاشم الى نابلس مسقط رأسه يحمل شهادة العالمية من الازهر الشريف لكن نفسه الطموح أبت عليه الوقوف عند هذا الحد بل حملته على زيارة الاستانة وفيها تعرف على علماء المشيخة الاسلامية فكان موضوع تقديرهم واعجابهم بعمله الجم وعقله الراجح ، فعين عضوا في مجلس تدقيق المؤلفات وبعد عامين من هذا التعيين اختير قاضيا شرعيا لطرابلس الشام فكان في عمله هذا مثال العدل والنزاهة ونصفة المظلوم ، مما جعل الاهلين يلهجون بذكره ويثنون عليه . وبعد مدة نقل الى لواء ـ قره سي ـ بالاناضول فأدى وظيفته الشرعية خير اداء ، ثم نقل الى مدينة بنغازي بليبيا وكيلا للقضاء الشرعي فمكث سنة هناك ثم عين قاضيا فيها ، ثم عين مفتيا بنابلس فمكث فيها خمس سنوات ثم انتدبته المشيخة الاسلامية عضوا في محكمة التمييز في الاستانة فلبى الطلب وزاول عمله الجديد بما عرف فيه من عفة ونزاهة . ولما ايقن من اتساع شقة الخلف بين اعضاء هذه المحكمة آثر الاستقالة والرجوع الى نابلس ليقضي فيها ما بقي من ايام حياته وليتلقى الفتاوى من سائر انحاء العالم الاسلامي ويرد عليها نظما .

وسرعان ما رشحه مواطنوه لمنصب الافتاء وظل يشغله الى ان لحق بربه في ٢٥ شعبان ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤) .

من آثاره القلمية : ترك الفقيد الشيخ محمد منيب هاشم طائفة من المؤلفات الفقهية واللغوية التي ما برحت مخطوطة وأشهر ما عرف منها : أ ـ حميد الاثار في نظم تنوير الابصار . ب ـ مجموعة سبع رسائل هي :

١ ـ القول السديد ، في احكام التقليد . ٢ ـ رسالة الكلام على وحدة الوجود . ٣ ـ غاية التبيان في مباديء علم البيان . ٤ ـ رسالة القسطاس المستقيم لما في تبيان التعليم . ٥ ـ رسالة في الكسب . ٦ ـ ارجوزة في علم الكلام . ٧ ـ نظم متن السنوسية (ارجوزة في علم الوضع) . وعلق على كتاب (فتوى خانه الجديدة) تعليقات مفيدة متيمة .

٢ ـ الاب اوغسطين مرمرجي الدومنكي

ولد ببغداد في الحادي والثلاثين من تموز ١٨٨١ وتلقى دروسه الاولية في «المدرسة السورية ـ الكلدانية» بالموصل وزامل فيها نيافة الكردينال تبوني . وخلال سني دراسته كان تواقا للانخراط في سلك الرهبانية الدومنكية وكان لهذه الرهبنة فضل في تسديد خطاه الاكليركية فعين كاهنا في بغداد حيث ادار الكلية السورية ثم في البصرة وتولى تدريس العربية والفرنسية وآدابهما ثم الخطابة والمنطق والفلسفة .

وخلال الحرب العالمية الاولى اصيب بالتيفوس لسهره على المرضى المصابين بهذاء الداء وعهد اليه بادارة الكلية الكرملية وفي عام ١٩٢٠ حقق المسؤولون الاكليركيون رغبته فانخرط في رهبانية القديس دومنيك وفي ٨ تموز ١٩٢٢

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انشح بمسوح هذه الرهبانية واصبح راهبا بسيطا في سان مكسيم بالبروفانس حيث توجد عهد ذاك دار المبتدئين بمدينة تولوز ، وفي ٧ شباط ١٩٢٤ عاد الى بيت المقدس واحتفل برهبانيته احتفالا رائعا صباح ٩ تموز ١٩٢٦ .

وابان تمرسه بالرهبانية الدومينيكية شرع في تعليم اللغة العربية واظهر فيها براعة وعلما وتعمق في دراستها طيلة حياته واشتهر بالنظرية الثنائية والالسنية السامية وقد الف فيها كتبا كانت موضع اعجاب وتقدير علماء العربية اغنى اللغات السامية طرا ، ولعلها اوفر ثروة من النظرية قام بابحاث وتحقيقات لغوية لم ينشر منها الا قسم ضئيل واجرى الاب مرمرجي احصاء لمعجميات سامية فكان على وجه التقريب التالي : « يبلغ مجموع اصول العربية (٧٢٢٠) ومزيداتها (١٢٠٣٢) في حين ان اصول اللغات السريانية والعبرية والحبشية والاكدية مجتمعة تبلغ (٤٩٥١) ومزيداتها (٨٦١٠) ولذا يسوغ القول ان العربية اغنى اللغات السامية طرا ، ولعلها اوفر ثروة من لغات العالم قاطبة » ، وباقتراح من الاب لاكرانج نشر مؤلف تاتيان وعملا بنصيحة الاب ابيل ترجم الى الفرنسية النصوص الجغرافية العربية المتعلقة بفلسطين .

لم يكن الاب مرمرجي لغويا فحسب بل كان خطيبا مفوها وجمع بعض خطبه الدينية والفلسفية ، ولم يحل عمله الروحي المثمر دون متابعة النقل فاقدم على ترجمة انجيل السيد المسيح لمؤلفه الاب لاكرانج والاناجيل الاربعة الى اللغة العربية .

واعترافا بسعة علمه وتضلعه من العربية انتخبه ـ المجمع العلمي العربي بدمشق عضوا فيه عام ١٩٤٧ كما انتخبه المجمع اللغوي المصري بالقاهرة عضوا فيه عام ١٩٥٥ ، وخلال السنوات الطوال التي عاشها في بيت المقدس كان يقصده المستشرقون ويتحدثون اليه باصول وقواعد اللغة العربية وفقهها .

ونشر الاب مرمرجي مقالات لغوية في امهات المجلات العربية كالمشرق والمقتطف والاديب ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، واحسن من الالسن القديمة كتابة وتكلما : العربية ، السريانية ، العبرية ، التركية ، اليونانية ، الاكدية والحبشية ، واحسن من اللغات الاوربية : الفرنسية ، الانكليزية ، الايطالية ، الاسبانية .

وفي اخريات ايامه ساءت صحته فلزم دير الدومنيكان بالقدس ثم اضطر الى دخول المستشفى الفرنسي وفي يوم ٢٨ نيسان ١٩٦٣ انطفأت شعلة حياته وفي اليوم التالي شيع جثمانه جمهور غفير من قادري ادبه وفضله ودفن في كنيسة القديس اتيان بالقدس .

من آثاره القلمية : (١) انجيل يسوع المسيح : وفيه قصة حياته وتعاليمه ومعجزاته ، وقد ترجمه الاب مرمرجي عن الفرنسية عام ١٩٢٨ . (٢) الدياطسرون او الانجيل الرباعي: ترجمه الاب مرمرجي عن الفرنسية عام ١٩٣٥ وعارضه بالترجمات السريانية القديمة . (٣) المعجمية العربية على ضوء الثنائية السامية : نشرها عام ١٩٣٧ . (٤) هل العربية منطقية ؟ : مباحث في الثنائية نشرها عام ١٩٤٧ (٥) محاضرات مختارات : نشرها عام ١٩٤٧ (٦) بلدانية فلسطين العربية : نشرها عام ١٩٤٧ (٧) بلدانية فلسطين العربية : (مترجمة بقلمه الى الافرنسية) ، (٨) قواعد اللغة الاكدية (الاشورية ـ البابلية) (٩) ماهية الثنائية الالسنية والالسنية السامية . (١٠) المعجم الثنائي ـ الالسني ـ السامي . (١١) الازائية الانجيلية : نظمها باليونانية والافرنسية الاب لاكرانج والاب لافيرن الدومنيكيان ونقلها الاب مرمرجي عن الفرنسية الى العربية عام ١٩٤٨ . (١٢) معجميات : عربية سامية نشرها عام ١٩٥٠ .

٣ ـ محمد عبد السلام البرغوثي

ولد في « دير غسانة » بقضاء رام الله وتلقى دروسه الاولية في مدرسة قريته وانهى دراسته الثانوية في الكلية العربية بالقدس عام ١٩٢٨ ونظرا لتفوقه اوفدته مديرية المعارف في فلسطين بعثة الى الجامعة الاميركية في بيروت ليدرس الرياضيات والطبيعيات وفي عام ١٩٣١ نال شهادة بكالوريوس علوم وعاد الى فلسطين وكان اول عمل زاوله التدريس في ثانوية طولكرم الاميرية ومنها نقل مدرسا فمديرا لثانوية البنين في حيفا وبعد ان سلخ فيها سنتين دراسيتين نقل في عام ١٩٣٥ الى القدس ليدرس الرياضيات والطبيعيات في الكلية العربية والكلية الرشيدية وفي عام ١٩٤٤ استقال من التدريس ليعمل سكرتيرا عاما للبنك العربي بالقدس .

وفي عمله الجديد هذا طفق يبث المحاضرات في العلوم والتاريخ والاجتماع من دار الاذاعة الفلسطينية وينشر الافتتاحيات القومية والتعليقات التوجيهية في جريدة « الدفاع » الفلسطينية قبل النكبة وبعدها وعالج ابحاثا في الاقتصاد والعلوم والاداب نشرها في مجلة « الكلية العربية » و « العروة الوثقى » و « المنتدى » .

وتميز الفقيد البرغوثي بذكاء نادر وثقافة ممرعة ، وجمع بين العلم والادب فكان الفارس المجلي . وفي الثامن والعشرين من تشرين الاول ١٩٥٢ توفي في عمان ودفن في مقبرة باب الساهرة ، ببيت المقدس .

من **آثاره القلمية** : ترك المترجم له ثروة من المقالات القيمة والابحاث الرائعة ، ولو قدر لنتاجه ان يجمع لجاء في موسوعة كبرى من العلم والادب والتاريخ والاجتماع .

وفي عام ١٩٤٢ درج على اذاعة احاديث اسبوعية ماتعة من دار الاذاعة الفلسطينية ـ بالقدس بعنوان ديار العرب والاسلام » بلغت ستة عشر حديثا . وتقديرا من المؤرخ البحاثة الاستاذ عجاج نويهض ، مدير القسم العربي في دار الاذاعة الفلسطينية نشر تلك الفصول الرائعة في كتاب « حديث الاذاعة » وهو يحتوي على المختار من الاحاديث

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المذاعة لعدد من العلماء والادباء في الاقطار العربية .

نموذج من نشره : « في مكة انزل الاسلام هدى للناس ، ودعا النبي صلى الله عليه وسلم ، اقرب الناس اليه ليعبدوا الله ، ولا يشركوا به احدا ، فلما انكر هؤلاء على النبي الكريم دعوته الجديدة للحق ، واضطروه ان يرحل عن مكه مسقط راسه ومنزل عشيرته ، الى المدينة دار هجرته ومركز شيعته ، تبدل مظهر الدعوة الاسلامية . فبعد ان كانت دعوة روحية خلقية ، ادغمت بنظام اجتماعي وسياسي ، هو نواة الحكومة الاسلامية الاولى . وهمنا في هذا الحديث تتبع نمو هذا النظام السياسي الذي ولد يوم هاجر النبي وانصاره من مكة ، واستقبله اهل المدينة ، وآزروه وقبلوا دعوته وزعامته الدينية والدنيوية . وقد بقيت المدينة المنورة مركز النظام الجديد ومجتمع قوته ، زهاء اربعين سنة ، اي منذ انتقل اليها الرسول ، حتى استتب الامر لزعيم الشام معاوية بن ابي سفيان ، فنقل مركز الحركة الاسلامية الى دمشق .

خلال هذه العقود الاربعة من السنين ، استطاعت الجماعة الاسلامية الاولى ، ان تنجو من اعتداء قريش في العقد الاول ، وان تنشر الاسلام بين قبائل حجازية قوية . وفي العقد الثاني الذي بدىء بفتح مكة ، والذي ازداد فيه انتشار الاسلام ، فاخذ الناس يدخلون في دين الله افواجا ، تم توحيد كلمة الجزيرة العربية ، وتوطيد الامن فيها ، وسوق رجالها للفتوح . وانتهى عهد المدينة بالنزاع الداخلي ، الذي ابتدأ بالثورة على عثمان ، وانتهى باستتباب الامر لمعاوية » .

وقد جاء وقت كان فيه مركز القوة الاسلامية ، موزعا بين المدينة ودمشق والكوفة ، ولكن المدينة بقيت عاملا سياسيا قويا في حضارة الاسلام ، حتى استتب الامر لبني امية ، وظهرت للوجود امبراطوريتهم العظيمة ، وعاصمتها دمشق .

كان اول عمل في سبيل الوحدة الاسلامية قام بها الرسول ، ان آخى بين انصاره ، وكانوا قبل في نزاع مستمر ، فالاوس والخزرج انصار النبي من قبائل اليمن ، وكانوا قد قدموا المدينة بعد الانهيار الاقتصادي الذي عقب ضعف ملوك حمير . ولكن القبيلتين تنازعتا اشد النزاع بعد هجرتهما الى الحجاز . وكان في المدينة عدا الاوس والخزرج جمهور من اليهود ، ولهم مركز مهم في خيبر وهي مجاورة لاراض زراعية ، وكان اليهود في المدينة زراعا وتجارا . وكان انقسام الاوس والخزرج مما قوى مركزهم . فلما آخى الاسلام بين القبيلتين المذكورتين ، ضعف مركز اليهود ، فهادنوا المسلمين حينا ، وناصبوهم العداء حينا آخر ، حتى غلبوا على امرهم ، واخرجوا من المدينة والحجاز ، في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب .

بعد ان نجا النبي من ظلم قريش ، والف بين الانصار ، سعى في اضعاف مركز اعدائه في مكة ، وكان اقرب سبيل لذلك ، واشد تنغيصا لحياة قريش التجارية ، ان يمنع تجارتها بين الجنوب والشمال ، تلك التجارة التي كانت تمر بجوار المدينة . فاذا وقفت تجارة مكة ، قضي عليها لا محالة .

الى هذه الغاية انصرفت اكثر غزوات النبي واعماله الحربية ، وكان اول قتال بينه وبين مشركي مكة في بدر الواقعة الى الجنوب الغربي من المدينة ، وعلى بعد عشرين ميلا منها ، وهي على طريق القوافل بين مكة والشام ، وكانت (بدر) النصر الاسلامي الاول ، وقد انتصر فيها المسلمون على اكثر من ثلاثة اضعافهم ، وكل من اشترك فيها عرف فيما بعد ، بانه من اهل بدر الذين تميزوا عن جميع المسلمين بغنائم الحرب . وقد حاولت قريش ان تحمي تجارتها وشريان حياتها ، فحشدت جموعا لقهر المدينة ، ونالت بعض النصر في (احد) في السنة التالية لغزوة (بدر) . ثم جمعت اكبر جيش كان في طاقتها جمعه من رجالها ، ومن البدو المجاورين لها ، ومن الاحباش العاملين في تجارتها ، وساقت هذا الجيش الجرار ، بالنسبة الى الفئة الاسلامية القليلة العدد ، الى ابواب المدينة لتحاصرها وتحصر المسلمين فيها . وعرفت هذه الجموع بالاحزاب ، وقد انضم اليها يهود المدينة ، مع انهم كانوا متهادنين مع المسلمين . وكان مما اخرج المسلمين من هذا المأزق الحرج ، ما اشار به سلمان الفارسي على المسلمين ، بان يحفروا خندقا حول المدينة ، فضاق البدو المحاصرون ذرعا بهذا النوع الجديد من القتال الذي لم يألفوه ، ولم يطيلوا الحصار ، بل انصرفوا بعد شهر ، ونجا الاسلام من الفناء وهو في مهده » .

عمان — البدوي الملثم

طالعوا كل شهر

المجلات الثقافية اللبنانية

الآداب — الحكمة

العرفان — العلوم

فهي تحمل اليكم النتاج الفكري الرصين والابحاث القيمة باقلام خيرة الكتاب والادباء



حارث طه الراوي

ايليا ابو ماضي: لمحة عن حياته ونفسيته

بقلم حارث طه الراوي

* * *

في قرية « المحيدثة » اللبنانيه ولد ايليا ابو ماضي خلال سنة من السنين التالية ١٨٨٩ او ١٨٩٠ او ١٨٩١ او ١٨٩٤ فالروايات متضاربة حول مولده ومن الصعب ترجيح رواية على رواية بالرغم من ان جميع الصحف والاذاعات التي نعته ذكرت انه توفي عن ٦٤ عاما اي انه من مواليد ١٨٩٤ (١) واستهل دراسته في مدرسة القرية . ومن سنة ١٩٠٢ (٢) اخذ يبيع السكاير نهارا في متجر عمه ويدرس ليلا الصرف والنحو تارة على نفسه وطورا في بعض الكتاتيب المتواضعة. واصدر في ارض الكنانة سنة ١٩١١ ديوانه الاول المسمى « ديوان ايليا ابو ماضي » الذي اهداه الى الشعب المصري بقوله : « ايتها الامة الودودة . هذا ديواني الذي نظمته تحت سمائك وبين مغانيك ارفعه اليك لا طلبا للمثوبة ولا ابتغاء للشكر ولكن اظهارا لما تكنه جوانحي من العطف عليك والتعلق بك » .

وهاجر ايليا ابو ماضي الى ولاية « سنسناني » في الولايات المتحدة الامريكية سنة ١٩١٢ حيث اقام اربع سنوات يمارس التجارة مع شقيقه مراد . وانتقل ابو ماضي الى « نيويورك » سنة ١٩١٦ حيث اتيح له ان يطبع « ديوان ايليا ابو ماضي ــ الجزء الثاني » مصدرا بمقدمة بقلم صديقه جبران خليل جبران (٣) . ومقدمة جبران لهذا الديوان انما هي مقدمة تقريظ وتعريف لا مقدمة عرض وتحليل ونقد صحيح فقد جاءت مشحونة بالاسلوب الشعري وقد تحدث فيها جبران عن الشعر والشاعر بصورة عامة وختمها بثلاثة سطور تحدث فيها عن شاعرية ابي ماضي بقوله : « وايليا ابو ماضي شاعر وفي ديوانه هذا سلالم بين المنظور وغير المنظور وحبال تربط مظاهر الحياة بخفاياها وكؤوس مملوءة بتلك الخمرة التي ان لم ترشفها تظل ظمآنا حتى تمل الالهة البشر فتغمرهم ثانية بالطوفان » .

ولكن هذه المقدمة تدل على المكانة المرموقة التي تبوأها ايليا في قلب جبران الذي كان يتزعم الحركة التجديدية في المهاجر آنذاك ...

ولم يكن ابو ماضي عندما اصدر هذا الديوان قد تحرر من النعرات الطائفية المريضة البغيضة فقد كان ينتصر للغربيين في المعارك التي دارت رحاها بينهم وبين الاتراك بدافع طائفي بحت . وقد علق « نظير زيتون » على هذه النزعة الطائفية البغيضة التي كان يجاهر بها ابو ماضي تعليقا وافيا في بحثه الطويل « لمحات عن ايليا ابي ماضي » المنشور في العدد الخاص عن ابي ماضي من مجلة «الرسالة» اللبنانية الصادر في ١٥ شباط ١٩٥٨ . وحسبي ان اقتطف من تعليقه السطور التالية :

« اما نحن فما لنا الا ان نحزن ونأسف على جواد كريم كبا فكرا وتبهنس نكرا وانطلق شعرا . اتقول انه كان يعبر وقتئذ عن احاسيس بيئته ومجتمعه اي المغتربين السوريين واللبنانيين في الولايات المتحدة ؟ وانه كان يترجم عن آرائهم وشعورهم ؟ والحقيقة ان جاليتنا في الولايات المتحدة جمعت بشكل غريب بين المتناقضات وقست على نفسها اشد القسوة في تلك التعصبات الطائفية التي قادتها بعض الصحف وسعرت نيرانها بين الموارنة والارثوذكسيين وبين المسيحية والاسلام طورا .. »

ولما تشكلت جمعية « الرابطة القلمية » في نيويورك سنة ١٩٢٠ برئاسة جبران خليل جبران انتخب ايليا ابو ماضي عضوا فيها (٤) . وظل ابو مايضي يحرر في جريدة نسيبه نجيب دياب « مرآة الغرب » حتى سنة ١٩٢٨ حيث تركها واصدر في نيسان سنة ١٩٢٩ مجلة « السمير » التي كان يصدرها مرتين في كل شهر . وفي سنة ١٩٣٦ حولها الى جريدة يومية . وقد كان يكتب اكثر افتتاحياتها ويعالج فيها المشكلات الاجتماعية والسياسية (٥) .

وفي اواخر سنة ١٩٤٨ مثل ابو ماضي مع حبيب مسعود صحافة المهجر في مؤتمر اليونسكو الذي انعقد في لبنان فقضى في وطنه شهرا كان فيه موضع حفاوة الاوساط الادبية والرسمية . وقد منحته الحكومة اللبنانية انذاك وسامي الاستحقاق والارز واقيمت له بتاريخ ٦ شباط ١٩٤٩ حفلة كبرى في دمشق برعاية شكري القوتلي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رئيس جمهورية سورية في ذلك العهد الذي علق على صدر الشاعر وسام الاستحقاق الممتاز وانشد ابو ماضي في هذا الحفل بائيته الشهيرة « تحية دمشق » وظل ابو ماضي يواصل اصدار جريدته (السمير) الى ان توفاه الله في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩٥٧ بعد ان ابتلى بمرض القلب .

ويجدر بي الا اتخطى التجني الذي لاقاه ابو ماضي حيا والتجني الذي لاقاه ميتا . ومن الانصاف ان اترك له الرد على بعض التجني الذي لاقاه حال حياته وان ارد عنه التجني الذي لاقاه بعد ان ذهب الى رحمة ربه ... فقد طبع ديوانه (الجداول) اكثر من طبعة في بعض الاقطار العربية من غير استئذانه ومن غير ان يرسل اليه الناشرون المكافأة المالية الواجبة ... ولم يقف الامر عند هذا الحد بل تعداه الى اسلوب اخر من التجني فقد غنى المغني محمد عبد الوهاب بعض مقاطع من ملحمة ابي ماضي « الطلاسم » من غير ان يرسل له المكافأة المالية الواجبة في مثل هذه الامور ... فكان من الطبيعي ان ينفعل ابو ماضي ويثور وينشر مقالا في جريدته (السمير) تحت عنوان (لصوص الادب) (٦) ومما جاء فيه قوله :

« قد يكون العقار الموروث او المكسوب نفيسا وثمينا . وقد يكون المال من ذهب وفضة هو المرغوب في حيازته . ولكن الادب الذي هو نتاج الروح أنفس وأثمن من العقار والمال .

انما الناس مع اعترافهم بهذه الحقيقة لا يعاقبون سارق الادب كما يعاقبون سارق المال والعقار ولعلهم لا يفعلون ذلك لان السواد الاعظم يملك مالا او عقارا فهو يعاقب سارقها لئلا تمتد يده الى ماله وعقاره . ويتهاون في معاقبة لص الادب لان الادب ثروة الناس الذين ليس لاكثرهم مال وعقار . ولا خوف من هؤلاء اللصوص على بيت ولا على ارض ولا على ذهب مكنون . وقد ابتلى الله صاحب هذه الجريدة بلصوص ادب وقاح في العراق ولبنان فاغاروا على ديوانه الجداول وطبعوه بدون استئذانه وعلى غير علم منه .... »

وجاءنا روكس بن زائد العزيزي عام ١٩٥٦ ببدعة جديدة في كتيبه « فريسة ابي ماضي » ... وهي ان ابا ماضي لم يتورع من سرقة قصيدته الشهيرة « الطين » من قصيدة او كصيدة شاعر بدوي اردني اسمه « علي الرميثي الخريصي الفدعاني العنزي » ... ولا اريد ان اتطرق الى الدوافع التي دفعته الى هذا الاكتشاف الخطير ومن شاء ان يرجع الى الدوافع التي دفعته الى ذلك والاساليب التي اتبعها في هذا المجال فليرجع الى بحث « حكاية الطين وعلي الرميثي » في كتاب « ايليا ابو ماضي (٧) لعيسى الناعوري فقد برهن الناعوري بشكل قاطع لا يقبل الاخذ والرد على ان ابا ماضي كان « ضحية بريئة لاهواء شخصية طارئة » واوضح كيف ان ابا ماضي كان حتى عام ١٩٥١ « من اعظم شعراء العربية في نظر صاحب المقال وكانت قصيدة الطين نفسها من القصائد التي امتلأت نفسه اعجابا بها وسمو روحها الانسانية والتي كان يقدمها لطلابه في دروس المحفوظات منسوبة الى ابي ماضي — لا الى سواه — » ...

فلا حاجة الى تلخيص هذه البواعث والاهواء ... او التعليق عليها ... ومن شاء أن يرجع اليها مفصلة متسلسلة تسلسلا منطقيا فليرجع اليها في كتاب الناعوري ... وسيجد في ص ١٤١ من هذا الكتاب شهادة لميخائيل نعيمه — الذي لم يعرف عنه انه انصف ابا ماضي يوما ما — تثبت ان قصيدة «الطين» هي لابي ماضي لا الى سواه ... وسيجد القارىء ايضا في بحث الناعوري عن « حكاية الطين وعلي الرميثي » عرضا وافيا للتجني الذي لاقاه ابو ماضي من احمد زكي ابو شادي وعبد المسيح حداد ...

وفي عام ١٩٦٠ اصدر ميخائيل نعيمه المرحلة الثانية من كتابه « سبعون » الذي تحدث في فصل من فصوله عن رفاقه في « الرابطة القلمية » فقال عن ايليا ابي ماضي (٨):

« من المحيدثة — لبنان . قصير زهيد الجثة والشعر .

---

(١) راجع كتاب « ايليا ابو ماضي » لعيسى الناعوري — منشورات عويدات ص١٣ — ١٤ . (٢) ذكر محمد قره علي في جريدة الحياة نقلا عن ابي ماضي بالذات انه هاجر الى الاسكندرية سنة ١٩٠١ وذكر جورج صيدح في ص ٣٥٣ ط٢ من كتابه « أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الاميركية » انه هاجر سنة ١٩٠٢ . (٣) ذكر زهير ميرزا في حاشية ص ٩٤ من كتاب «ايليا ابوماضي شاعر المهجر الاكبر — شعر ودراسة» تعليقا على هذه المقدمة انها كتبت لديوان « تذكار الماضي » وهذا خطأ محض . . (٤) قال ميخائيل نعيمه في مقاله « ابو ماضي في حقيقته » المنشور في عدد (الرسالة) اللبنانية الخاص عن ابي ماضي بصدد كلامه عن الجزء الثاني من ديوان ايليا ابي ماضي واثر الرابطة القلمية في شعره الذي نظمه بعد صدور هذا الديوان : «فلا عجب ان يكون أول ما أطل به على العالم العربي (ديوانا) اذا شهد لصاحبه بشيء فبفطرة شعرية لاشك فيها وبطول النفس ونشاط القريحة بحيث يستطيع قارؤوه ان يتنبأ بأن صاحبه مؤهل لان يصبح شاعرا يوما ما . اما الابداع واما الذوق الفني واما المدى الشعري فالديوان يكاد يكون بريئا منها جميعا . ومن اين كان لايليا ان ينتج في ذلك الحين غير ما انتج وافضل مما انتج وهو لا يملك من اللغات غير العربية ولا يطل على اي ادب اجنبي من قريب او من بعيد ؟ لذلك اسعف ايليا كثيرا احتكاكه باخوانه في (الرابطة القلمية) . وقد تمثلت في بعضهم شتى الثقافات . فما علم ان اخذت تظهر في شعره اتجاهات جديدة والوان غير التي استأثرت بديوانه الاول » . وقد علق على هذا القول « مراد ابو ماضي » شقيق ايليا ابوماضي في العدد ٤١٠٩ من جريدة « الدبار » البيروتية الصادر بتاريخ ١٧ اذار ١٩٥٨ حيث قال: « ترى هل كانت الرابطة القلمية معملا لتخريج الكتاب والشعراء او لصنع النوابغ ؟ وكم من الشعراء « اهدتهم » الى العالم العربي ... انها بالعكس كانت تستهزىء بادباء العرب وتصعر الخد للريحاني لانه كان واقعيا ونحاول الحط من منزلته . ونعيمة خاصة كان فؤاده يتلهب حسدا من ايليا ابوماضي لانه بنى شهرته قبل ان نلصق به لصقا عضوية الرابطة الاسمية . وما كان يجرؤ على اعلان حسده لئلا يمزقه قلم ايليا تمزيقا فاعلنه بعد موته . وقانا الله شر الغرور .» .

ابرز ما في وجهه الجبين والعينان . في قيافته بساطة قروية تفتقر الى الذوق . وفي صوته جفاف لا ترطبه عذوبة . قوي العارضة . فياض القريحة . طموح لجوج في بلوغ مطامحه . سريع الاقتباس . واسع الحيلة في كسب رزقه وفي الوصول الى اهدافه . متقلب في صداقاته وعداواته حسبما تمليه عليه مصلحته . فيه شيء من طبيعة الحمامة وشيء من طبيعة العقرب . صادق الريحاني زمانا ثم انقلب عليه فاتهمه بالتجسس للانكليز .

ونقم على جبران فكتب عنه مرة في « مرآة الغرب » في صدد الكلام عن مرضه وقال « العقل السليم في الجسم السليم » . وكان من قبلها قد كلف جبران كتابة المقدمة للجزء الثاني من ديوانه . ودونما اي سبب اعرفه كتب مرة مقالا يهجوني فيه اقذع الهجاء . ثم لم يلبث بعدها ان كلفني كتابة المقدمة لديوانه « الجداول » فكتبتها . وبقيت العلاقات بيننا على اصفاها حتى اخر حياته . واشتبك قبل وفاته بقليل في مهاترة صحفية مع عبد المسيح بلغت منتهى البشاعة والبذاءة من الجانبين .

تزوج ايليا احدى بنات صاحب « مرآة الغرب » . ورزق منها اولادا . اشتغل في اول حياته المهجرية بالتجارة مع شقيق له . ثم في تحرير « مرآة الغرب » و « الفتاة » ثم اسس مجلة شهرية متواضعة باسم «السمير» . وبعد سنوات حولها جريدة يومية . فكانت السبب في انتشاله من ضيق العيش الى شيء من البحبوحة في اخر حياته » .

ولم يكتف ميخائيل نعيمه بهذا التعريف الذي لا يخلو من الحقد والتجريح وانما اتهم زميله ايليا في معرض حديثه عن ثقافة رفاقه في الرابطة القلمية بقوله (٩) (... وهذا القليل الذي كانوا يعرفونه ساعد بعضهم ـ مثل ابو ماضي ـ على اقتباس بعض الموضوعات الشعرية من قصائد كانت تنشر في بعض الصحف اليومية) .

واذا صحت اتهامات ميخائيل نعيمة لابي ماضي ـ والعياذ بالله ـ فلا يصح ـ عندئذ ان نحشر ابا ماضي الا مع الطبقة الرابعة من الشعراء ومع الطبقة الاولى من الدجالين المشعوذين ... ولو كان (نعيمة) سليم القصد في عرض هذه النقائص العديدة عن صديقه وزميله لاكتفى بقوله عن (قيافة) ... صديقه (في قيافته بساطة قروية) من غير ان يذكر (تفتقر الى الذوق) فالتغاضي عن ذكر هذا الامر مما يوجبه (الذوق) السليم ... واما قوله في وصف صوت ابي ماضي (في صوته جفاف لا ترطبه عذوبة) فيثير السؤال الثاني : هل كان ابو ماضي وحده دون اخوانه في الرابطة القلمية ذا صوت جاف لا عذوبة فيه ؟ ولو فرضنا ان هذه الملاحظة قد انطبقت على صوت نسيب عريضه ـ الصديق الحميم لميخائيل ـ فهل كان قلمه يطاوعه على ذكر هذه (العويهة) ـ اذا صح التعبير ـ في صوت نسيب في معرض تعريفه له ؟ .. واما ان يكون ابو ماضي (الجوجا في بلوغ مطامحه) فهذه مزية لاسبة ... ونعم اللجاجة في سبيل بلوغ المطامح .. وما اسمى مطامح شاعر :

نشر الطيوب على دروب حياته ... وسرى هوى في الطيب والانداء
واطل من قلب البخيل سماحة ... وشجاعة في السلم والهجاء
ومشى الى المظلوم بارق رحمة ... وهوى على الظلام سوط بلاء (١٠)

واما عن قوله عنه بانه كان (سريع الاقتباس) فهذا اتهام لو كان معززا بالدليل لسلمنا به مرغمين ذاهلين . ونعيمة لا يجهل ـ وهو من دارسي القانون ـ ان الاتهام بلا دليل حجة على المدعي لا على المدعى عليه ... واذا كان ايليا ابو ماضي « واسع الحيلة في كسب رزقه » كما يقول نعيمة عنه فمن من اعضاء « الرابطة القلمية » كان (اضعف) الحيلة في كسب رزقه في تلك الديار الغريبة النائية ؟ ولا ادري ما المقصود بالحيلة في قاموس نعيمة ... فاذا كان يقصد ـ والاقوال كالاعمال بالنيات ـ ان ابا ماضي لايتورع عن اتباع الوسائل غير اللائقة لكسب رزقه فهو على ضلال عظيم .. وحسبي ان استشهد في هذا المجال بقول رفيق ايليا في العمل توفيق فخر الذي وصف اتعاب ابي ماضي الجسيمة في كسب رزقه الحلال بقوله (١١) :

« عندما ترك رئاسة تحرير جريدة « مرآة الغرب » النيويوركية انشأ مجلة «السمير» فراجت رواجا حسنا

(٥) ذكر عيسى الناعوري في كتابه « ايليا ابو ماضي» منشورات عويدات سنة ١٩٥٨ في ص (٢٦)مايلي عن احدى افتتاحيات ابي‌ماضي الاجتماعية : « اذكر انه افرد مرة افتتاحية الجريدة لمعالجة قضية اجتماعية قبل ان يكترث لمثلها مجتمعناالشرقي فقد قرأ اعلانا في احدى الصحف اللبنانية يبحث فيه صاحبه عن « خادمة لبيته لا يزيد عمرها على١٤سنة » . فعصف الالم بنفسه . فسكبه في افتتاحية جريدته ثورة عنيفة على المجتمعالذي يسمح لطفلة في مثل هذا السن الغضة بان تغادر مقاعد الدراسة لكي تعمل في البيوت لقاء اجر يمنحها الطعام والكساء . وكان رائعا في معالجته لهذا الموضوع قويا في دفاعه عنه ». (٦) نشرت نصه مجلة « الاديب » البيروتية في عدد (آب ١٩٤٧)نقلا عن جريدة « السمير ».

(٧) منشورات عويدات ص ١٢٣ ـ ١٤٢ (٨) ص ١٧٩ . (٩) سبعون ـ المرحلة الثانية ص ١٨١ . (١٠) من قصيدة ابي‌ماضي عن نفسه في حفلةاليوبيل الفضي لجريدة السمير راجع ديوان « تبر وتراب » ص ٤١ ـ ٤٦ . (١١) ايليا ابو ماضي كما عرفته ـ مجلة « الاديب » البيروتية ـ فبراير ١٩٦٠ . (١٢) مجلة «الاديب» ف براير ١٩٦٠ . (١٣) ديوان «تبر وتراب » ط دار العلم للملايين ص١٧٤ ـ ١٧٧ (١٤) قال ، ابو ماضي في العدد ١٨ سنة ١٩٣٥من السمير ، (الكتاب مزروع الحقول بالاشواك الحادة بيد طالما زرعت لجيران الورد حال حياته) . وقال في العدد ١٩ من‌السنة نفسها: (اذا كان يعاب من‌يصلب حيا فما قولك بمن ينبش ميتا من قبره ويمزق عنه الاكفان ويعلقه على صليب من شوك ؟..)

الا ان نفسه الكبيرة كانت تطمح الى اصدار جريدة يومية فاقدم على هذا العمل الخطير بتحويل المجلة الى جريدة يومية في زمن عصيب وبرأس مال زهيد جدا فواصل النهار بالليل عاملا مجدا فأتقن صناعة التنضيد وانطباعة وكان بوسعه ان يقوم مقام اي عامل في الجريدة حينما يضطر احد العمال الى التغيب موقتا . وما زال يسير بسميره من ازدهار الى ازدهار حتى بلغ بـه معارج الفلاح وفاز باقتناء بناية خاصة للجريدة جهزها بسائر ادوات الطباعة

واما قول نعيمة عن ابي ماضي انه (متقلب في صداقاته وعداواته حسبما تمليه عليه مصلحته) فيعني ان ابا ماضي لايعرف غير صداقة المصلحة وانه انسان انانـي (نفعي) . ولماذا نلجأ الى التأويل وقد اغنانا نعيمة عنه بقوله مباشرة بعدهذه الجملة :(فيه شيء من طبيعة الحمامة وشيء من طبيعة العقرب) . ورغم اننا لا ندري كيف تمتزج الطيبة المتناهية ـ طبيعة الحماقة ـ مع الغدر المتناهي ـ طبيعة العقرب ـ في انسان ما فان نعيمة لم يصور لنا الا طبيعة العقرب في ابي ماضي مما يدل على انه يتعمد تهويل الضعف البشري الذي قد يكون ايليا من المبتلين ببغضه وان نفسية ابي ماضي كما يصورها قلم محاسب جريدته ورفيقه الامين توفيق فخر تناقض هذه النفسية المتفسخة التي يصفها لنا قلم ميخائيل نعيمة فقد قال توفيق فخر يصف نفسية ابي ماضي (١٢) ما اليك نصه

« ليس من شاهد ادل على نفسيته واخلاقه من قصيدته التي عنوانها « أنـا » ففيها البيان الصريح عما طبع عليه من المحبة والاخلاص والوفاء لاصدقائه وهذه بعض ابياتها :

حر ومذهب كل حر مذهبي ... ما كنت بالغاوي ولا المتعصب
اني لاغضب للكريم ينوشه ... من دونه والوم من لم يغضب
انا لا تقرني الطيالس والحلي ... كم في الطيالس من سقيم اجرب
اني اذا انزل البلاء بصاحبي ... دافعت عنه بناجذي وبمخلبي
وشددت ساعده الضعيف بساعدي ... وسترت منكبه العريّ بمنكبي
فاذا رآني ذو الغباوة دونه ... فكما يرى في الماء ظل الكوكب

قد يقول البعض ان هذه القصيدة تحوى غلوا فاحشا كما هي العادة المتبعة عند الكثيرين من الشعراء فلاجل نقض هذا الادعاء اقدم دليلين من ادلة عديدة :

عندما اشتدت الضائقة المالية في الولايات المتحدة تلكأ عدد غفير من مشتركي جريدة السمير عن دفع بدلات اشتراكاتهم بضع سنوات وقد نصحه كثيرون كي يحجب الجريدة عنهم فلم يفعل وكان جوابه الوحيد انهم كانوا انصار الجريدة الاوفياء في زمن الرخاء فلا اتخلى عنهم في زمن الشدة . فلما نشبت الحرب العالمية الثانية ونشطت حركة الاشغال العمومية قدر له اولئك المشتركون تلك العاطفة الشريفة واقبلوا على دفع كل ما كان يطلب لـه منهم فتدفق عليه المال بغزارة . ومن مزاياه انـه كان لا يطالب اديبا ببدل اشتراكه ولكنه لا يحجم عن قبول المبلغ اذا ارسل الاديب بدل اشتراكه من تلقاء نفسه .

رافقته سنين عديدة غير انني في السنوات الاخيرة من مرافقتي لـه لم اقض بالعمل سنة واحدة بكاملها فاحيانا كنت اعمل في احدى السنين ساعات معينة اسبوعيا واحيانا اشهرا معينة وكثيرا ما اختلفت واياه وغادرت الاداره فكان يتوسط بيننا المتقدم بالكهنة مكاريوس المر . على ان اختلافا اخيرا حدث بيني وبين ابو ماضي لم يتصل سمعه بالكاهن مكاريوس لانه كان مريضا وفي خطر الموت . وقد توفي بعد يومين من ذلك الحين فوقع علي الاختيار لترأس حفلة تأبينه وكان في عداد المؤبنين ايليا ابو ماضي فاجتمعنا لترتيب امور الحفلة وتصافت قلوبنا فكان ذلك انكاهن الصالح واسطة سلام بيننا حيا وميتا .

قصدت في احد الاعوام القيام برحلة الى الجمهورية الدومنكية فجئته مودعا فقال لي : اني كنت على اهبة ان ادعوك لتناول طعام الغذاء معي . فانتدبنا مطعما قريبا وفي اثناء وجودنا حول مائدة الطعام سحب من جيبه غلافا مختوما ودفعه الي قائلا : اسألك ان لا تفضه الا بعد عودتك الى المنزل . فعملت بموجب رغبته . وعندما فضيت الغلاف وجدته يحوى على حوالة بمائة دولار وبطاقة كتب عليها الابيات التالية :

رافقك الهناء يا رفيق ... وعدت بالتوفيق يا توفيق
يا شاعر اخلاقه كشعره ... متانة كقلبه رقيق
انت صديق لا يحول وده ... في زمن قل به الصديق

ايليا

فاثر بي جدا هذا الاخلاص العظيم وخاطبته شاكرا ومتسائلا لماذا لم يدعني افتح الغلاف بحضوره . فاجاب: لاني اخشى انك كنت ترفض الحوالة بكل تأكيد . ولم ازل احتفظ بتلك البطاقة التاريخية الثمينة » .

واما انه (صادق الريحاني زمانا ثم انقلب عليه فاتهمه بالتجسس للانكليز) فليس في هذا الامر غرابة فالجفاء كثير ما يحصل بين الاصدقاء فيلوث الظنون وينعش الحقد ويستفز الضغينة . الا ان ابا ماضي وان ساءت ظنونه بالريحاني في فترة ما لاسباب نجهلها كل الجهل فانه لم يسمح للحقد ان يستقر في قلبه وما كاد يسمع بنبأ وفاة صديقه امين الريحاني حتى رثاه بموشحه الرقيق « مازال في الارض حيا» (١٣) ونفى في هذا الموشح شكه باخلاص الريحاني في عقيدته السياسية حيث قال :

لم يعفر جبينه في التراب ... لم يوارب في موقف لم يحاب
لم يبع قومه من الاقراب ... لم يعفّر جبينه في التراب
لم يكن خائنا ولا امعيا

واما انه قال عن جبران ذات مرة في جريدة « مرآة الغرب » في صدد الكلام عن مرضه (العقل السليم في الجسم السليم) رغم كتابة جبران لمقدمة الجزء الثاني من ديوان ابي ماضي فهذا يدل على قوة شخصية ايليا بحيث

هذيان حزين

سأبكي ..
كلما لمست ايادي الامس اجفاني
واركل حرفي الملثوغ .. اركله ،
اذا طرقت حروف الامس آذاني
لقد سئمت داور الدم اوردتي
واغنيتي ...
تحن اليوم للماضي ،
لخطوة ضوئي الاولى
نحن لها .. وتذكرها .. وتبكيها ،
فابكي مرة اخرى .. وانتحب

ظلال الامس لم ترحل
ظلالك يا بساتيني
بقلبي .. كلها ظلت .. ولم ترحل
وزرعي لم يعد مهمل
والحاني التي زرعت بقلبك يوم ان كنا
تعود اليوم .. توقظني بقاياها
فالثمها .. اهدهدها ..
وتغفو في شرايبني

لحوني .. كيف انساها ..
وانساك .. ؟
سأبكي كلما لثم اشتياق الروح .. ذكراك
واقضم مر اشواكي
واصفع قلبي المضنى ..
سأصفعه
ليبكي مرة اخرى .. وينتحب

دروب الضوء ...
يا ضوئي .. ويا رفات اجفاني
أأبقى امضغ الحجرا .. ؟
بلا جدوى
ايبقى قلبي المحزون يحفر في دمي قبرا ؟
يسامر صوته السهرا
وينتظر
لعل زهور ماضيه الذي اندثرا
ستبعث مرة اخرى
وتحضنها بساتيني
ازغرد اكثر انثر
على قلبي

لقد سئمت دوار الدم اوردتي
دروب الضوء ما عدنا نطيق الآه .. والقهرا
دعيني المس الجدران اجمع حبر اوراقي
اسامرها . .اذكرها بخطوة ضوئي الاولى
دعيني اطرق الابواب .. اصرخ انني باق
والا فليصب الحزن سما فوق احداقي
لابكي مرة اخرى .. وانتحب
فديتك . مهجتي . قلبي .حروفي كل ما اعشق
فديتك ايها الزورق

ساتي حاملا صوتي
ساتي قبل ان اغرق
باكفاني .. فاندثر

بغداد — فيصل السعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انه لم يكن تابعا لهذا او لذاك فتحول المنة عنده دون مايريد ان يصرح بـه قلمه الحر الجبار . ولا خير في مقدمة تكون كحجر الرحى في عنق المؤلف ...

واما ان ابا ماضي كتب يوما مقالا يهجو فيه ميخائيل نعيمة من غير سبب فمسألة فيها نظر ... اذ لا يمكن ان يقدم على مثل هذا التصرف الا المجنون ولم يتكرم نعيمة عندما وزع العاهات على رفيقه بسخاء بعاهة الجنون عليه فلا يعقل والحالة هذه انه هاجم نعيمة من غير سبب... ولا يعقل ان ميخائيل نعيمة عندما كتب هذا التعريف الزاخر بالتجريح عن ابي ماضي بعد وفاته لم يكن حاقدا على ابي ماضي بسبب ما كتبه ابو ماضي في «السمير» من تنديد ببعض مآخذ كتاب نعيمة عن «جبران خليل جبران» (١٤) واخيرا فليس من صالح نعيمة ان يقول: (وبقيت العلاقات بيننا على اصفاها حتى اخر حياته) لان ذلك يعني – والحالة هذه – ان نعيمة كان يتظاهر بالود والصفاء والمحبة ويكتم في قلبه هذا الحقد الذي اعلنه بعد وفاة ابي ماضي ... سامح الله نعيمة وسامح كل حاقد على شاعر انساني نبيل كابي ماضي ... على انني لا ابرىء ابا ماضي من بعض العيوب والنقائص التي تنسجم مع منطق الضعف البشري ... ولكن يعز علي وعلى كل منصف ان ارى ويرى هذه العيوب تبيض وتفرخ في عقول كبيرة ... واذا بها – وهي العيوب المعدودة – تتكاثر ويزداد خطرها وفقا للاهواء والاغراض الشخصية ...

بغداد — حارث طه الراوي

عندما تهمس الساعة لليل انه بلغ المنتصف . هناك . في رأس الزقاق الطويل ، الذي جعله المصباح الهرم اشبه باخطبوط يمد ارجله الى جهات غير متناسقة ، كان يبدو هيكل انسان يسير متداعيا حتى ليبدو وانه سيقع بعد كل خطوة يخطوها . يغوص الشبح في المياه فيصدم رذاذها الجدار الذي يتلمسه حينا وتصدمه يداه المدودتان حينا اخر وقد انفجرت اصابع قدميه العاريتين المتشققتين، فكانها تحاول الفرار من برودة المياه وقطع الزجاج المسننة .

ويبلغ اخر الزقاق فيقطع ساحة صغيرة ، ويقف امام باب سميك كالح يطرقه بيديه المضغوطتين فيجيبه بعد مدة طويلة صوت ممطوط ناعم به قسوة تلسع القلب :

ـ انت يا حامد ؟!

ـ اجل يا امي .. يكاد البرد يجمدني .

ـ امعك الليرتان ؟؟

فيجيب وهو يخشخش بيده القطعتين الفضيتين وضحكة غريبة تنبث من فمه : اجل يا امي . اكاد اموت جوعا وبردا .

وتفتح له الباب امراة متشحة بالسواد . وجهها شاحب معروق . وتمد له كفها الخشنة ليضع فيها الليرتين ، فتسقطهما في صدرها وتتركه واقفا في الممر عائدة الى المكان الذي خرجت منه دون كلمة ما ، ويسمع صوت انطباق الباب خلفها فيتحرك في الممر ، يتلمس جداره الرطب الى غرفة اكثر دفئا . ويرتمي على بساط غطى جزءا صغيرا من المكان . ويحرك يديه على البساط فترتطم احداهما باناء طعام او بقايا طعام وفتات من الخبز . يلملم كل هذا ويكاد يلصقه بجسده الناحل . ويتبلغه بهدوء ، ثم يدفع بالاناء بعيدا ، وبعد ان يتجشا ملء فمه ويغمغم بكلام يظن معه انه يطرد تلك الاشباح المحيطة به كما يصورها خياله ـ يتدثر باسمال سميكة بقربه ويضع مثلها تحت راسه ، ثم يجول بعينيه في ظلام السقف فلا يبصر شيئا لانه .. اعمى .

كان في الخامسة عندما مات ابوه منذ اربع سنوات . وكان حامد كل تركة الاب الطيب للام الشرسة . واول ما لمس آلام واقعه كان ذلك على يد امه . لم يفسر عقله الصغير سبب ذلك ؟؟ اجريمته هو ان كان قد خالف طبيعة الناس واستقل عنهم بعينين لا تبصران ؟

كان يشعر بانها لا تحبه ، وانها كذلك غير راضية على انه ولدها .. وكم كلفه ذلك الذنب الوانا من الشقاء ، فكان ما يخفف اساه بعض

ليرتان فقط

بقلم محمد نديم

الشيء ابوه الذي ما كان يبخل عليه بكثير من .. الشفقة .

ولكن الاب مات . وسرعان ما تزوجت الام رجلا اخر اخذ يشاركها مهمتها الرئيسية .. التنكيل بحامد وهذه المرة ايضا لم يجد لتلك المعاملة سببا .. وتعودها مع الايام . ثم لم يعد يتقي صفعات ابيه الجديد بيديه . يكتفي برفيف جفونه واحناء راسه بذلة واستكانة .. كان يدفع ذله ثمنا لبقايا طعام اولاد امه ، ولتلك الرقعة من المستودع التي ينام فيها .

وضاق الجميع ذرعا بذلك الاعمى الذي لا عمل له غير الجلوس القرفصاء



وتحريك عينيه المطفأتين في كل الاتجاهات .. وقالت له امه يوما ويدها تعبث بشعر طفلها الصغير الورد الخدين :

اصبحت كبيرا يا حامد . وعليك ان تدبر معاشك من الان فصاعدا .

قال وعيناه ترتجفان :

وماذا سأعمل .

اجاب زوج امه وهو يغمزه برأس حذائه : الشوارع مليئة بالمتسولين .. وليس كثيرا عليك ان تكون متسولا .

وايدته الام بحزم :

ستأتيني كل يوم بليرتين .. وليكن معلوما لديك انك لن تجد في هذا البيت مأوى لك ان اتيت ليلة ويدك فارغة ..

ودارت الايام بحامد والتسول حرفته . كان يقبل الايدي ويذرف الدموع كي تتجمع لديه الليرتان ، ليرتان فقط .. لا يبغي اكثر من ذلك .

وذات ليلة قاتمة الاديم . لم تجد دموعه . ولم يحصل على الليرتين . وانتصف الليل وما ظفر بشيء . وعكس المصباح الهرم خياله الكئيب قادما يترنح . ولم يرتطم رذاذ الماء بالجدار كالعادة ، لانه كان صقيعا يلمع في الحلكة . وكانت ريح شباط تعصف فتحرك المصباح القديم وشعر حامد الاشعث ، وتلسع صدره واعالي ساقيه . وقف امام الباب السميك يلهث وقرعه بيده المزمومة فأجابه بعد مدة صوت امه الممدود :

انت يا حامد ؟!

الا ان البرد كان قد ربط لسانه فلم يجب الا بغمغمة واهنة . اتاه الصوت الممدود ثانية يلسع قلبه :

ـ امعك الليرتان ؟!

ـ لا يا اماه ..

اجاب بعويل وهو يلتصق بالباب ، يحتمي من الريح التي اقتلعت جزءا من اسماله . قالت وصوتها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الموت وقباب الشمس

الى شقيقتي .. وهي تاخذ دربها نحو الله

●

خيط ، من العفة الشقراء .. قافلة ... من دمعنا المر ..ربي .. ضيفك الاتي
من دمعة الطفل انقى من طفولته ... اصفى من الحلم ، في اهداب ريشاتي
علوية الروح .. ما طافت بمقلتها ... غير الصلاة .. واطياف المنيات
ولون مقبرة .. عتماء .. معولة ... تغزو بها الريح ، احضان المتاهات
شالت اليك .. رماد النوح في كفن ... قدت ملامحه الخرساء .. من ذاتي

✲✲✲

في خاطري .. تتلوى الف مقبرة ... نواحة الليل .. نهماء الجنازات
تصب شهقتها الثكلى على كبدي ... ترش بالدمع والاكفان .. ابياتي
احسها صرخة تقتات من شفتي ... تشد للموت .. امالي الحزينات
وتلك اختي اراها .. عينها .. فمها ... تخوض في الشمس ، بكماء الشكايات
تومي الى الله .. كفاها .. عباءتها ... تمد للدرب ، احداقا جريحات

✲✲✲

اختاه..طفلتك الخجلى .. ضفيرتها ... بقية الجرح .. في ارض التعاسات
تسائل الله .. والدرب اللهيف ، وقد ... ادمى تساؤلها المفجوع . .مأساتي
في راحتيها سؤال ، لاهث .. ابدا ... معربد الجوع ، مبحوح النداءات
اختاه .. نعشك في صوتي وقافيتي ... ووجهك الطيف غاف في جراحاتي
اراك ، خلف قباب الشمس غافية ... في خيمة الله . .في عيني المدماة

✲✲✲

اختاه .. اي غد ، دام ، يعذبني ؟ ... غدي !جراح الرؤى.. رجع المناحات
عرسان الموت .. ان نشقى بمولدنا ... وان نموت ... بلا قبر ومرثاة

بغداد — علي جعفر العلاق

يبتعد :
اذن ارقد حيث انت ..
لم يصدق انها ذهبت الا عندما سمع صوت انطباق باب غرفة نومها . لم يصدق انها قاسية الى هذه الدرجة .. وعاد يطرق الباب من جديد ولكن لم يسمعه احد . سوى الريح .. صاح وهو يحس كأن اطرافه تشتعل :
امي افتحي لي .

وصفعته الريح فضاع صوابه وخنقه العويل :
امي اني اموت .. اقبل ايديكم افتحوا لي .
واخذ يضرب الباب بيديه حتى وهنتا ، احس بشيء يدب في جسده .. شيء ثقيل . واشتعل راسه . وبداذلك الشيء الذي يدب فيه اثقل من ان يحتمل . وفتر رويدا رويدا . والتصق وجهه بالباب ثم اخذ ينزلق ببطء حتى تكوم جسده على عتبة الباب ..
عندما بزغت الشمس ثانيه في صباح اليوم التالي وغمرت الزقاق الساكن .. كان اول من دثره شعاعها .. جثة صغير اعمى ؛ تكومت بفم مزموم ويد مفتوحة كانها تطلب من الناس .. احسانا ..

القامشلي ـ سورية — محمد نديم



يوسف عبد المسيح ثروة

الخائضون في الجحيم

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

تنسي وليمز كاتب مسرحي اميركي له شهرة طائرة في مجالات الادب الحي ، واسلوب بارع في تناول الشخوص وقدرة رائعة على تصميم الحبكات المسرحية ، وسبك محكم للحوار باشكاله المختلفة واحواله المتباينة . واعماله الادبية، على وفرتها ، تمتاز بخصال رفيعة تتجلى في صدق لطيف وانسانية شفافة ولغة بسيطة. ومع مرارة الموضوعات التي يتناولها لاستعراضها وتشريحها ، ومع الصراحة الكاملة التي تعتورها، فانه رفيق مع شخوصه حادب عليها ، متساهل مع معاصيها وآثامها ، كريم في معاملته لها ، يأخذ الناس بما هم ، لا بما يجب ان يكونوا ، شعاره النزاهة في القول واللطف في الاداء ، وتخريج الامور تخريجا طبيعيا ، لا تكلف فيه ولا تصنع ، وهو في ذلك تلميذ امين للمدرسة النقدية الطبيعية التي وضع اسسها الكاتبان الفرنسيان الكبيران اميل زولا وغوستاف فلوبير .

اما الموضوع الرئيسي الذي يستأثر منه بالاهتمام الشديد فهو الجنس ، الجنس في عريه ، في واقعه ، في حقيقته في طبيعته الطينية ، في زئبقيته المترجرجة المتحللة من قيود الاخلاق واصفاد التقاليد والعادات . ارض جنسه رخوة لزقة آسنة في اغلب الاوقات ، اما السماء ، في شموخها واعتلائها على الجبال والوهاد ، فداكنة غائمة ، تمطر رذاذا من الغيث احيانا ومن رجوم الشياطين والنيازك والشهب احيانا اخرى ، لكن الصفاء والسماء بعيدان كل البعد الواحد عن الاخر . وعلة ذلك ، ان سماء الجنوب (جنوب الولايات المتحدة) وارضها منذ الحرب الاهلية ومقتل ابراهيم لنكلن وحتى الان ، ليسا بالسماء الاعتيادية ولا بالارض المعروفة .

ومن الامور التي لا يطابها الشك ان تنسي وليمز قد تأثر – في موضوع الجنس – ب د . هـ لورنس ، الكاتب الانكليزي الذي اذهل الجمهور البريطاني بقصته « عشيق الليدي تشاترلي » فاقامه واقعده وروعه وارعبه بصراحته الفاضحة واستطاعته السير في المناطق الحرام ، التي لا تستطيع حتى الشياطين وضع قدم فيها .

ان الجنس لدى لورنس قصيدة اخاذة جميلة الجرس متناسقة متكاملة تتغنى بها الطبيعة باسرها ، وهي تبدو ساطعة لماعة في مختلف مخلوقاتها ، في الوان اسماكها الزاهية ، وريش طيورها وحمرة وجنات بناتها وابنائها من بني البشر . والجنس ، في الوقت نفسه ، هو عنصر الديمومة والاستمرار ، اكان ذلك على الصعيدين الانساني والحيواني ام على اي صعيد آخر مما نعرفه او لا نعرفه من هذه الطبيعة العجيبة التي يزداد جهلنا بها كلما ازددنا اطلاعا عليها . فاذا كان الجنس عنصر الديمومة ، اي عنصر الحياة ، فلماذا كانت تلك الضجة الصاخبة التي قوبل بها كتاب « عشيق الليدي تشاترلي » وبخاصة في انكلترا التي امتازت بمدى واسع من حرية الفكر والرأي ؟ والجواب عن ذلك يتلخص بكلمة واحدة هي الرياء او النفاق الاجتماعي الذي يتبلور في الانفصام الشخصي ، وهو داء وبيل لا زال آخذا بخناق الانسانية ، منذ ان وجد الذكر حيال الانثى ووجد الستار الكثيف بينهما . على ان الصراحة في مضمار الجنس لا تعني ابدا محاولة ازالة الضوابط الخلقية ، وزعزعة المثل العليا في الحشمة والاخلاق النبيلة الرصينة المهم ان الرياء الاجتماعي ، في هذا الصدد ، هو الذي ينبغي مقارعته ومصاولته ، لتنكشف الحقائق ، وتتبدى الخوافي وتتعرى الدهاليز النفسية ، لتمضي اليها اشعة الشمس فتطهرها من عفونة السموم، وتنقيها من ادغال السماجة واكداس التفاهة التي تراكمت مع الزمن حتى خنقت نفوس الكثيرين ، وحاولت ان تسمم غيرهم .

ومن هنا ، فان الجنس المغلف بالرياء ، هو جنس مريض وهذا ما اثبته علم النفس بادلة قاطعة وحجج دامغة، الا ان تعرية الجنس لا تعني التحلل بحال من الاحوال ، ولذا اقتضى الامر ان يكون تناول هذا الموضوع الحساس دقيقا كل الدقة ، سليما من المآخذ الصبيانية الفجة ، بعيدا كل البعد عن التبذل والترخص والانفلات القصدي من المقاييس والقيم الخلقية ، جديا كل الجد في المعالجة بعد تشخيص متأن حذر . ولما كان الانكليز تقليديين بطبيعتهم ومزاجهم ، ولما كان لورنس صريحا ، اشد ما تكون الصراحة ، يعطي للكلمة معناها الطبيعي العاري من غير التفات الى الرمز

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهو على عتبة الموت ينظر اليها نظرات مليئة بالاعجاب الاجتماعي حادا كل الحدة وجسم المجتمع الطبقي البريطاني المريض مليئا بالقروح القائمة والافات الباطنية ، التي هي في اسوأ دركات التعفن والتبزل ، فان من حق الضجة العارمة التي افتعلت ان تكون على اوسع نطاق من الذيوع والانتشار وان يصار الى القانون والنظام لئلا تلوث العذارى وتسمم افكار الفتيان ويهدد المجتمع بافظع العواقب .

ومع ذلك فان لورنس لم يعن بالمضمون الاجتماعي للجنس عناية وليمز به ، لان شاعرية كتاباته تتصف بميزة من الاستعلاء والفردية والانسلاخ ، تجعله في واد والمجتمع في واد آخر وتجعله في جزيرة نائية عن يابسة المجتمع ، انه عندما يتغنى بجسد المراة ، يتغنى بها بصفتها انثى لا بصفتها زوجة تنجب اجيال المستقبل ، ولا شريكة للرجل تعمل على مساعدته واعانته على مكاره الدهر ونوازله ، ولا اما تسهر الليل حدبا على وليدها ، ان الذي يتحدث عنه لورنس هو الانثى ، الجسد في فتونه والغازه ومساربه واسراره ، في شطحاته وتعلاته ، في تقلباته وانثناءاته ، في التواءاته وانحناءاته ، في ايماءاتهوزفراته ، في تنهداته وآهاته وفيما الى ذلك من شؤون وشؤون . على حين ان وليمز لا يمضي كل هذه الطريق مع لورنس ، بل هو قد ينشق عنه ويحتذي طريقا اخرى ، فالرياء مثلا هو المحور الذي تدور حوله شخوص مسرحية «قطة على سطح من الصفيح الساخن» . فالاب الحديث النعمة الذي تدرج من اجير بسيط الى صاحب اطيان كبرى رجل مريض مصاب بالسرطان ، وهو يمقت زوجته التي عاشرها اربعين سنة ولكنه لا يكاشفها هذا المقت والابن الاكبر انسان خبيث جشع يكره والده ولكنه يبدي له المحبة والاحترام ، اما الابن الاصغر فشخص سبق ان كانت له صلات جنسية بصديقه الذي توارى عن الانظار بعد ان تسلمه الموت وهو في ريعان الشباب ، الا ان الجميع ما عدا الاب اناس مراؤون (١) ، لانهم يعرفون حقيقة مرض الاب غير انهم يخفون الواقع عنه ، لان ايامه اصبحت معدودة وكلهم ينتظر ان تكون كذلك ، الا الام الغبية الفشيمة .

اما الوحيدة التي تحب بصدق وتكره بصدق فهي مارجرت زوجة برك ، الابن المنحرف . انها هي النقطة التي تقفز من هنا وهناك على سطح الصفيح الساخن . انها هي القوة الخفية الخيرة في المسرحية كلها . الا ان العقم الذي ابتليت به يحز في قلبها ويجعلها تقول مخاطبة زوجها : « تصور يا برك ، لديهم خمسة ، والسادس في الطريق ، وجاءوا بالمجموعة كلها الى هنا ، كما كانوا حيوانات في سوق المدينة .. نحن لا اطفال لنا بالمرة ، وبالتالي لا نفع لنا بالمرة . هذا بالطبع امر مضحك ، ولكنه ايضا كريه ، مادام هدفهم واضحا . » (٢) الا انها تحاول التعويض عن ذلك العجز المخزي بلفت النظر الى جمال جسمها وكيف ان الاب والاشارة واللمحة الدالة البعيدة ، ولما كان مبضع لورنس والاشتهاء . فلنستمع اليها تحاور زوجها في هذا الشان : « اليس جميلا من ذلك الرجل العجوز الذي يقف على عتبة الموت، أن ينظر الى جسمي نظرة تقدير اظنانني استحقها؟» وحين تذكر ان مي زوجة الاخ الكبير كانت يوما ما ملكة القطن تجيب هازئة: « اما ان مي كانت ملكة القطن ـ كما يذكروننا دائما لكيلا ننسى ـ فهذا شرف لا احسدها عليه. تجلس على عرش نحاسي .. تبتسم وترسل القبل الى كل الحثالة في الشارع » .

غير ان هذا التنفيس الاصطناعي عن آلامها المكبوتة لا يفيدها في شيء عندما تواجه حقيقة حالتها وما آلت اليه بين زوج مخنث عربيد وعائلة كريهة ، ولذا كان شعورها بالمأساة عميقا مزعزعا فيه مرارة الخيبة وحلاوة النضال وصدمة مواجهة الحقائق العارية ، وفيه شجاعة نادرة وصبر جميل واعتلاء على المصاعب المرعبة ، واستهزاء بالمقادير ، واعتراف جريء بالواقع المر ، واقع الجحيم الذي كانت فوق سطحه . وكيف لا تكون حلاوة النضال من ابرز صفاتها وهي القائلة : « ما زلت في الميدان ، وانا مصممة على الفوز ، اي فوز هذا الذي تحرزه قطة على سطح من الصفيح الساخن ؟ بودي ان اعرف .. ان تبقى عليه اطول ما في استطاعتها على ما اظن » !؟ . اما مواجهة الواقع المر والمصارحة بحقيقته فهما يثيران الاسى والاسف والاشفاق ولا سيما لما تنطلق الكلمات التالية من بين شفتيها مدوية عنيفة . « الهروب من مواجهة النار لا يطفيء الحريق . ان السكوت عن شيء يجسم هذا الشيء . انه ينمو ويتقيح في صمت ، ويصير شيئا خبيثا مميتا » . وحين يذكرها زوجها بالشروط التي اتفق عليها للمعيشة معا تنفي هذه الشروط وتنفي حتى المعيشة معه بقولها : « انا لا اعيش معك . اننا نحتل قفصا واحدا » . ثم لا تفتأ ان تتذكر الحال التيهي فيها فينتابها اليأس ويستأثر بها القنوط الى حد القول : « اوه برك . الى متى تدوم هذه الحال ؟ هذا العقاب ؟ الم يمض زمنكاف ؟ الم تنقض مدة العقوبة ؟ وجوابا عن هذه التساؤلات جميعا تردد القول بمرارة مرعبة « انا اشعر طوال الوقت كانني قطعة فوق سطح من الصفيح الساخن . » ومن اجل ان تثير الرجولة في الفتى المخنث تحاول بعث الغيرة في زوجها الاسمي فتقول : « ما زلت ادير رؤوس الرجال في الشارع . في الاسبوع الماضي عندما كنت في ممفيس ، اينما ذهبت كنت اشعر بملابسي تحترق من نظرات الرجال » .

اما حقيقة الفقر والخياضةفي جحيمه حتى الركبة فلا تعبر عنهما كلمات باحسن من كلماتها : « برك . لقد كنت طول حياتي فقيرة معدمة الى درجة تدعو الى الرثاء . هذه هي الحقيقة يا برك » . لكن برك يجيبها ببرود فظيع : « انا لا اقول انها ليست الحقيقة وردا على هذا البرود ،

تستطرد قائلة وكأن فمها بركان يقذف بالحمم لا بالكلمات: كنت مرغمة على ان اعيش عالة على ناس لا اطيقهم . كان لديهم مال وكنت مفلسة . انت لا تعرف ما معنى ذلك .. ان هذه الحالة تشبه كل الشبه حالتك لو كنت على بعد الف ميل من كأس الخمر ، وكنت مضطرا الى السير اليها على قدمك المكسورة بدون عكازة » ثم تمضي في اعترافها فتخبر برك بصلتها الجنسية بسكير متعللة بانها كانت تفعل ذلك ليحلم كل منهما انه كان يتبادل الحب معه ، وعلى سبيل الترضية والتهدئة تستمر قائلة : « ان حبكما كان حبا لا يمكن السير به الى غاية مرضية ولا كان يمكن حتى التحدث عنه بصراحة .. برك انا افهم كل شيء ذلك . وانا .. اعتقد ان ذلك كان نبلا مني والنقطة الوحيدة .. التي اريد ان اذكرها هي ان الحياة لا بد لها من ان تستمر . لا بد للحياة من ان تتصل ، حتى بعد ان ينقضي حلم الحياة . »

الا ان هذا الاعتراف يثير حفيظة برك فيضربها بعكازته التي تخطيء الهدف وهنا تتراجع عن تبرير سلوكها وتقول « اخطأتني . آسفة . انا لا احاول تبرير سلوكي .. انا لا خير في . لا ادري لماذا يحاول الناس الادعاء بانهم صالحون خيرون . ما من احد صالح او خير . قد يستطيع الاغنياء والمرفهون ان يحترموا النماذج الاخلاقية » اما هي فقد « ولدت فقيرة ونشأت فقيرة وتتوقع ان تموت فقيرة الا اذا استخلص برك شيئا مما سيتركه ابوه » وهذا هو بيت القصيد من ملحمة هذه القطة . هذا هو التناقض الاساسي في الحياة باسرها ، التناقض الذي يضع ثقل المال في كفة الاخلاق لترجح ، وبذا تكون الكفة الثانية فارغة ، وكيف لا يكون الامر كذلك ، وليس الفقر الا الفراغ المقابل لكل امتلاء ؟ . انه ضياع لكل معالم الحياة النظيفة واضاعة لكل مناقبها ، وكابوس مسموم يخنق كل نبتة خضراء ناضرة وكل نفس عامرة من الايمان بالانسانية الا النزر اليسير وهؤلاء هم الغالبية العظمى من البشر الذين يحملون اوزار ايامهم متثاقلين متبرمين ، كانهم لم يهبطوا الى هذه الدنيا الا ليسجنوا في اقفاص كبيرة او صغيرة كما هي الحال مع ماجي تلك القطيطة الحلوة الفقيرة ! اما الاب المريض الذي يدرج الى الموت بخطى سريعة فانه يحدثنا عن نفسيته وشخصيته واخلاقيته بلغة لاتنقصها الصراحة حين يتجاذب اطراف الحديث معولده برك الاثير لديه : هناك شيء اتذكره التلال المحيطة بمدينة برشلونة في اسبانيا . والاطفال يهرولون فوق تلك التلال الجرداء بجلودهم العريانة ، وهم يستجدون كالكلاب الجائعة وهي تصرخ وتنبح .. يا لله ! كنت ارمي اليهم بالنقود لاتخلص منهم فترة من الوقت تكفي لكي اعود الى السيارة وامضي في سبيلي » .

ارايت الى اي اسفاف تبلغ هذه الصفاقة التي تنبو عن كل ذوق مهما يكن قليل الحظ من السلامة ، ولكنها تفصح عن صفاقة كل رجل مليء الجيب فارغ الراس ، ولا سيما اذا كان هذا مليونيرا لم يعرف من الحياة شيئا غير الجشع واكتناز المال واحتقار الانسان واقتلاع كل معلم من معالم الخير في نفسه .. واذ شئت فاسمع عينة من فلسفته وهو لا يزال يحاور ابنه برك : « ان الحيوان البشري وحش يفنى ويموت . ولكن كونه يفنى ويموت لا يجعله يشفق على الاخرين .. وبعد ان يناول ابنه عكازته يستمر في كلامه في الحاح وعناد : «ان الحيوان البشري وحش يفنى ويموت واذا كان لديه مال فهو يتستري ويشتري ويشتري . واعتقد ان السبب الذي يجعله يشتري كل شيء يستطيع شراءه ، هو ان في عقله الباطن املا مجنونا في ان الحياة الابدية ستكون من بين هذه المشتريات » . وبعد ان يفضي بفلسفته هذه عن الحياة ينتقل الى الحديث عن الخوف من الموت وبخاصة اثر الاعتراف بحقيقة مرضه الخبيث ، ويقول: « ان الخنزير هو الذي يصرخ من الالم . اما الانسان فيكتم الامر في نفسه ، ولو ان الانسان ليست له ميزة الخنازير . وحين يسأله برك عن معنى هذه الميزة يرد عليه قائلا : « ان الجهل بالموت والفناء راحة . وهي راحة لا يتمتع بها الانسان . فالانسان هو الكائن الوحيد الذي يتصور الموت ويعرف ما هو » .

هذه ليست كلمات انسان يعيش في هذه الحياة ، انها هي وشوشات عفريت لعين يخوض في مسارب الجحيم . فلا ينطق بكلمة الا وسموم الافاعي تفح منها لتزيدها سعارا واوارا وشررا متطايرا وكيف لا تكون الحال كذلك وهو الذي يقول بشراسة ليست غريبة عليه : « كنت طول حياتي كقبضة اليد .. احطم واسحق وامزق بعنف وقسوة . » ولكنه يفكر الان . ففيم هذا التفكير بعد ذلك التحطيم والسحق والتمزيق ؟ انه يفكر في « اللذة مع النساء » وهو يقول في هذا الشأن : « ما زالت في بقية من الحيوية وساختار لنفسي امراة جميلة ابددها عليها .. ساجردها عارية من ملابسها واغرقها في الفراء ، واخنقها بالماس » . وعلى هذه الشاكلة الجنسية البحت ينتهي هذا الرجل الى ما انتهى اليه من انانية فظة ، وسعار جنسي حامل بالمكاشفة والمصارحة . الا انه لا يلبث ـ في هذا المجال ـ الا قليلا ، اذ يعاود محاورة ولده عن سبب ادمانه على الخمر .

« الاب ! .. اجب عن سؤالي . لماذا تشرب ؟ لماذا تبدد حياتك هكذا كما لو كانت شيئا كريها التقطته من عرض الطريق ؟

برك : ساخبرك في كلمة واحدة .

ـ الاب : ما هي هذه الكلمة ؟

ـ برك : الاشمئزاز .

ـ الاب : الاشمئزاز من ماذا ؟

ـ برك : اما سمعت ابدا بكلمة « الرياء » .

ـ الاب : بالتأكيد . الرياء واحدة من هذه الكلمات الرخيصة التي يتبادلها السياسيون التافهون .. فكر في

كل الكذب الذي لا بد على ان اتحمله ، ادعاءات ومزاعم . اليس ذلك رياء . ان اكون ملزما مثلا بحب امك ؟ انا لم اكن اطيق شكل هذه المرأة ولا صوتها ولا رائحتها خلال اربعين سنة .. واتظاهر بحب ابن الكلبة هذا جوبر وزوجته ميي وهؤلاء العفاريت الذين يصرخون في الخارج كالببغاوات في الغابة . والكنيسة ـ انها تضجرني ، ولكنني اذهب اليها . واجلس وانصت الى ذلك الواعظ الاحمق . النوادي الماسون . الروتاري . كلام فارغ » .

وبهذا الافلاس الذي اعلنه الاب يتقرر مصيره النفسي ويدق ناقوس الجنازة قبل ان تنطلق روحه فارة من جسدها مسرورة من هذا الانطلاق كل السرور لانها تخلصت من العفونة النفسية التي اسفت بشخصية الاب حتى هشمت كل آثار الخير في طبيعته . اذ انه لم يسع ، طوال حياته ـ الى شيء سوى ان يصبح مزارعا ناجحا ، على اكتاف العديد العديد من الحيوانات الادمية التي تبيع كدها ، حياتها ، وجودها مقابل لقمة سوداء مغموسة في عرق مر ودم فاسد . وطبيعي ان يكون الرياء هو المستنقع الذي عاش فيه الاب والذي تمكن بواسطته من ان يسرق اتعاب الاخرين ليجمع الاطيان الهائلة وملايين الدولارات ، وهو لهذا السبب لا يتنكر للرياء ، بل نراه يدعو اليه بحرارة الواعظ الذي يستحمقه ، لانه لا يجد بديلا في هذه الحياة فهو يقول : « الاب : لقد عشت مع الرياء ، فلماذا لاتستطيع ان تعيش معه . لا يوجد شيء آخر تعيش معه سوى الرياء هل تعرف شيئا آخر ؟ » فيجيبه الابن بالايجاب موكدا توكيدا ماديا ورافعا كاسه .

« برك : نعم . نعم . هذا ! الخمر . وهنا يسارع الاب بالرد على ابنه بقوله :

« الاب : لكن هذا ليس عيشا ، انه هروب من الحياة . »

الا ان الابن بدلا من ان يرد على ابيه يوكد مقولته :

« برك : وانا اريد ان اهرب منها . »

واذن توصل الاب والابن الى الحقيقة المرة القاسية : ان الحياة هي الرياء . وهل ادل على ذلك من قول الاب : « الاب : ان اشمئزازك من الرياء هو اشمئزازك من نفسك . وهذا ما يوكده برك ويعترف به بصراحة :

« برك : الرياء نظام نعيش فيه . الخمر وسيلة للخلاص ، والموت وسيلة اخرى » ويزيد على قوله هذا بان يقارن بين نفسه وبين غيره : « لعل كونهم احياء هو الذي يجعلهم يكذبون ، وكوني اكاد اكون عديم الحياة هو الذي يجعلني صادقا » .

ولكن سلطان الحياة ، سلطان الرياء والمال ، لا يلبث ان ينتصر في خاتمة المسرحية ، فينهار برك الصادق ليحل محله برك آخر يعرف كيف يستغل الكذب وهو عنصر الرياء الاساسي من اجل مصلحته الخاصة ، وكل ذلك بفضل القطة ماجي التي تستطيع بما عرفت به من تضحية وصبر على المكاره ان تفوز ببغيتها وان تقول وهي المنتصرة الفالبة : اوه ! انت ايها الرجل ! ما اضعفك وما اجملك حين تستسلم في وداعة ! كل ما انت في حاجة اليه هو شخص يستولي عليك في رقة وحب .. وانا استطيع ان افعل ذلك . انا مصممة ان افعل ذلك .. ولا يوجد من هو اشد تصميما من قطة على سطح من الصفيح الساخن . اليس كذلك ؟ اليس كذلك يا طفلي ؟ »

وهكذا يقدم لنا وليمز وصفا حيا للمجتمع المنافق المرائي الذي عاش بين مخالبه واكتوى بناره وخاض نار جحيمه باسلوبه الصريح البديع ولغته الشاعرية الاخاذة من غير تكلف او تصنع ، وهو ـ في ذلك ـ صادق مع قرائه كل الصدق .

اما المكابرة والفخفخة الكاذبة والتعلق السمج بالاوهام فتجدها جميعا متجسدة في شخصية بلانش ديبوا بطلة «عربة اسمها الرغبة» هذه الشخصية التي تمزقها التناقضات بين القديم الفخم والجديد الآسن ، بين بيل ريف ، وبين بيت اختها الحقير في نيو اورليانز ، بين اسرة ديبوا في عظمتها وجبروتها ونبلها التليد ، وبين حقيقة زوج اختها كوالسكي ، الرجل الاعتيادي التافه ، صاحب العضلات والرجولة والدم الحار . لكن هذا التناقض كان ينبغي له ان يسوى مع الرغام ، لو كانت بلانش منسجمة مع واقعها الذي استنزفته كل الاستنزاف في لوريل حيث كانت تتنقل من سرير الى سرير تروي العطشى بشبابها الغض بعد ان تنصلت من زوجها الفتى المدلل المخنث فانهارت كما انهار هو ايضا ، وهكذا ضاعت في لوريل بسبب ضياع آمالها في فتى آمالها . ومع ذلك ، كان حنينها الى حياة الجنوب الاسطورية قبل الحرب ، حنينا عارما قويا فيه جاذبية لا تقاوم ، لهذا نراها تهبط اورليانز وهي تحمل آمالا عراضا ، وترنو الى آفاق وسيعة ، وعوالم جديدة تعيد لها ما فاتها من مجد عتيق وبذخ وفير وكرامة ضائعة ، واذا لم يكن الامر لينتهي الى تلك الجنة فهو حتما منته بها الى الخلاص من جحيم البغاء الذي كانت تخوض فيه كيلا تموت جوعا وكي تستمر متشبثة بالعيش وحسب . الا ان صهرها بدلا من ان يأويها ويحدب عليها يغتصبها ويرمي بها الى مستشفى المجانين بعد ان يفضح امرها لصديقه متش الذي كادت الصداقة تتوطد بينه وبينها لكي تتلوها علاقة فصلة فرابطة !

---

(١) هذا فيما يخص الرضى بالقياس الى الاب ولا شيء اخر ،

(٢) اعتمدنا في شواهد (قطة على سطح من الصفيح الساخن) على ترجمة عبد الحليم البشلاوي لهذه المسرحية .

(٣) المسرحية الامريكية : الن داونر : ترجمة : د. عادل عبد الحق. مجلة المعرفة السورية ع ٣٣ س٦٤ . (٤) عربة اسمها الرغبة ، تنسي وليمز : ترجمة ، عزيز متري عبدالملك .

يصف إلن داونر هذه المسرحية وصفا شيقا فيه ايجاز ودقة واصابة بقوله : « هذه المسرحية لا تختلف في عالمها عن جزيرة يسكنها افراد يشعرون بالوحدة تحيطهم بحار قاتلة من جميع الجهات (٣) وهل اشد فتكا في النفس من بحر الذل والعار والفحش الذي كان يحيط ببلانش في لوريل وهو ما تصفه بقولها : « كنت اضطر الى الاغراء والتضليل واختار لنفسي الالوان الناعمة : الوان اجنحة الفراشة ووهجها حتى احيط نفسي بنوع من الجاذبية والسحر لاتمكن من سداد قيمة .. مأوى ليلة واحدة .. كنت ابحث عن حمى احتمي فيه عندما هبت من حولي العواصف واحاطت بي الاعاصير . كنت اهرب من سقف متداع مثقوب الى سقف متداع مثقوب آخر فلم اجد الامان ولا الاستقرار تحت اي منها . ان الناس لا يرونك ـ الرجال بالذات ـ لا يعترفون حتى بمجرد وجودك ما لم يطارحوك الغرام . وما دام الانسان يبحث عن حماية الاخرين فلا بد له من ان يحملهم على الاعتراف بوجوده (٤) .

وهذه الوحدة التي اشار اليها داونر اشارة عابرة هي الحالة الشعورية المحرقة التي تشوي نفس بلانش شيا فتجعلها تتلوى كانها سمكة في رمضاء من الرمال النارية ولهذا نراها تخاطب ستيلا اختها متعلقة باهداب خيال متش : « اني اريد ان استريح ! اريد ان اتنفس في هدوء واطمئنان ثانية! اجل اريده ـ اريد متش .. بشكل فظيع ! فكري ! اذا حدث هذا فسأتمكن من الرحيل عن هنا وان اصبح بعد ذلك مشكلة « لاحد .. »

وحين يريد وليمز ان يسبغ غلالة رقيقة من الرمزية على مسرحيته هذه ، لكي تكون للرغبة الشهوانية دلالتها المؤثرة يحمل بطلته بلانش على الضحك المتجهم وعلى القول وهي تخاطب متش متسائلة : « هل لا تزال تلك العربةالتي يسمونها الرغبة تطحن الشوارع والطرقات في هاته الساعة من الليل ؟ » الا ان العربة تقف عند باب مستشفى المجاذيب بعد افلات متش من بين اصابعها وتدخل هي في ليل طويل بهيم بعد ان غادرت « عالم البهلوانات والممثلين ، العالم الذي كله زيف وتقليد » وبعد ان كانت تحلم « انها ستدفن في البحر ، وستكفن في كيس ابيض نظيف ويلقى بجثتها من فوق سطح البحر . وقت الظهيرة وفي وهج حرارة الصيف الى اعماق المحيط الذي تشبه زرقته اعين حبيبها الاول » .

اما الطائر الشاعر والموسيقي الفنان ، الذي ينام على مطبات الريح وهي متطايرة متناثرة في الاجواء الزرق اللازوردية فهو يفعل ذلك لانه لم يخلق بقدمين يرتكز بهما على الارض ، هذا الشاعر الموسيقي هو فال بطل مسرحية « اورفيوس هابطا » . ان كارول تطارده وتريده لها حبيبا عشيقا يروي نهمتها التي لا تنقع غلتها ، وكذا تفعل ليدي تورنس العقيم قسرا وجبرا ، وهي المراة المخصاب لو كان لحرثها خط من غيث مخصب . على حين ان بعلها رجل مريض يزوره مبعوث الموت حينا ثم يتركه كي يزيد في الامه واوجاعه واسقامه .. جزاء له على ما اقترفت يداه بحق والد ليدي الذي ذهب ضحية حريق فظيع التهمه مع ما التهم من حانة كرومه الدانية .. لقد اشتراها زوجها جاب تورنس وهي لما تزل في الثامنة عشرة ، اشتراها رخيصة ، لانها كانت كسيرة بعد ان قذف بها الى الشارع اثر احتراق والدها وبقائها فريدة وحيدة .

لقد كانت تكرهه كما كان يكرهها ولكن اصحاب الجحيم يتبادلون الكرة كما يتبادل اصحاب النعيم لطائف المحبة والالفة . وهكذا وقع فال الطائر الشاعر بين فكي هاتين المرأتين ، بين كارول وليدي ، كل منهما تريده لنفسها وهو لا يريد ايا منهما . ان كارول تستجذبه بعنف وتنصحه قائلة : « ما عليك الا ان تمسك بمن يقترب منك بكلتا يديك حتى تتكسر اصابعك كلها » . غير أن نصيحتها هذه لا تفيدها في شيء بل هو يزداد تمنعا تبعا لهذا الالحاح . وحين يسألها عن زينتها التي تجذب الانظار وعن سبب ظهورها بذلك المظهر الفاضح تجيبه باعتداد وتباه وعدم اكتراث . « انني عارضة ازياء ! اريد ان الاحظ واري واسمع ويشعر بي ! اريدهم ان يصرخوا انني حية ، الا تريد ان يعرفوا انك حي ؟ » وعلى ذلك يرد فال : « انني اريد ان احيا وليس من شأني الاكترات بهم وبمعرفتهم . »

اما ليدي ، فما ان تواجه فال او وهلة حتى تسأله : « بالله عليك عم تبحث هنا ؟ فيجيبها : « ابحث عن عمل » وهنا تقول ليدي « الاولاد من مثلك لا يعملون » . فيثير هذا الجواب تساؤله : « ماذا تعنين بالاولاد من مثلي ؟ » فترد قائلة : « هؤلاء الذين يعزفون على القيثارة والذين يتحدثون عن حرارة دمهم » .. وبعد اخذ ورد في موضوع الحرارة ينبري فال لليدي متجهما ويقول : « يقال ان المرأة تستطيع ان تحرق الرجل ، لكني انا الذي استطيع ان احرق المرأة » وحين تذكره انه لا يفعل ذلك الان يجيبها : « لست متعبا ولكنني متقزز » . وعلى اثر فهمها العملي للنار التي تلتهب في نفس هذا الشاعر تسحب ليدي كلامها وتقول : « نعم تستطيع ! تستطيع ان تحرق المرأة وتدوس على رمادها لتتوكد من انطفاء النار » ! ولما تعلمها الانسة بورتر بالعار الذي لحقها من جراء ما فعلت مع فال تجيبها متحدية : « كلا اي عار هذا الذي فعلته . انه سرور عظيم » . وهكذا تتمكن النمرة من الشاعر الطائر ، ثم ينتهيان معا كما تنتهي كل الكائنات على يد زوجها الذي ينفجر ثاره مدويا في رصاصات لعينات . ويستمر جحيم وليمز يتلظى بشخوصه الاخرين .

بغداد — يوسف عبد المسيح ثروة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



سخرية الناي

مجموعة قصص ـ تأليف طاهر لاشين ـ ؟ صفحة ؟ مطبعة

الطاهران : طاهر حقي ، وطاهر لاشين : يصادفنا في فن القصة المصرية اسمان يخلط بينهما كثير من الناس لتشابههما في النطق وفي الاسمين الاول والثاني من الاسم الثلاثي الكامل ... وهما : محمود طاهر حقي ، ومحمود طاهر لاشين ... فكل منهما « محمود » ، وكل منهما «طاهر»، ويفترقان في الاسم الثالث : حقي ، ولاشين . ويجر هذا التشابه في الاسمين الى خلط في نسبة آثار كل منهما الى صاحبه . ولكن لا بد أن نذكر ان محمود طاهر حقي هو صاحب « عذراء دنشواي » التي نشرت في صحيفة «المنبر» مسلسلة سنة ١٩٠٦ ، والتي نشرت مستقلة في كتاب سنة ١٩٠٧ ، ثم أعيد نشرها أو اصدارها في مشروع « المكتبة العربية » سنة ١٩٦٤ . اما محمود طاهر لاشين فهو صاحب « سخرية الناي » التي نعرضها اليوم هنا ، وصاحب « يحكى أن » ـ وهي مجموعة قصصية موعدنا بها في عدد قادم ـ وصاحب « النقاب الطائر » التي ظهرت سنة ١٩٤٠ بينما كانت الحرب العالمية الثانية في ثاني أعوامها ...

بين الهندسة والفن القصصي : لم يكن محمود طاهر لاشين قصاصا متفرغا لفنه القصصي الجديد على الادب العربي في القرن العشرين ، ولم يكن أديبا محترفا يأكل عيشه من مهنة الادب التي لم تكن تفتح بيتا ، ولا تصب في سراج البيت زيتا ... ولكنه كان مهندسا يعمل في الحكومة ، وفي مصلحة التنظيم بالذات ، في وقت عمله الرسمي من الصباح الى ما بعد الظهر ، وفيما بعد ذلك هو حر حين يقرأ ، وحين يؤلف ، وحين يختلف الى مقهى أو ندوة يرسم خطوط قصة ، أو يناقش في قضية أدبية ، أو يجوس خلال الاحياء الوطنية الموغلة في القدم ، العريقة في المحافظة ، فيفتح عينيه على دقائق من مشاهدها ، ويفتح أذنيه على كثير من الفاظها وتعبيراتها ، ويفتح ملاحظته الواعية على كثير من مسالك سلوكها ، ومتاهات تصرفاتها ، ويحاول أن يصل الى أعماق نفسها ليرى مبلغ العلاقة بين الظاهر والباطن ، وبين المكشوف والمستور ...

وليس عجيبا ان يجمع أصحاب الفنون القولية بين أسباب عيشهم ، وظواهر فنهم . فلقد كان في القديم شعراء يشتغلون بالجزارة ، ورتي الملابس ، وتجبير العظام ، وطب العيون ، وخياطة الثياب ، وصناعة الساعات ... والشاعر « السري الرفاء » ، والحسين بن أحمد الجزار ، و « ابن الساعاتي » هم بعض شواهدنا على ما نقول . وما لنا نذهب بعيدا وقد كان الدكتور ابراهيم ناجي طبيبا وشاعرا ، وكان الدكتور أحمد زكي أبو شادي طبيبا بكتريولوجيا وشاعرا ، وكان الدكتور نقولا فياض اللبناني طبيبا وشاعرا ، وكان علي محمود طه شاعرا ومهندسا... فلم لا يكون محمود طاهر لاشين قصاصا ومهندسا؟؟

ولقد دخل القصاص محمود طاهر لاشين « المهند سخانة » ـ أو مدرسة الهندسة بالقاهرة ، كما دخل الشاعر علي محمود طه مدرسة الفنون والصنايع ، وكان الاول في قسم البلديات ، وكان الثاني في قسم المباني . ولا شك أن هندسة البناء وتصميم العمارة قد أثر في الشاعر علي محمود طه ، فتلمح في بناء القصيدة عنده هندسة وتصميما وزخرفة كأنها عمارة متناسقة .. ولا شك أن عمل طاهر لاشين في مصلحة التنظيم قد أعانه على خدمة فنه القصصي ، « فبفضلها ـ أي بفضل وظيفته في التنظيم ـ جاس خلال الاحياء الشعبية ، ودخل العديد من الدور ، وخالط أولاد البلد ، وعرف دخانيق القاهرة » كما يقول الاستاذ يحي حقي في مقدمة لهذه الطبعة الجديدة من « سخرية الناي » ويخيل الي أن الموهبة كانت ستمضي في طريقها ، سواء أكان طاهر لاشين في مصلحة التنظيم أم في غيرها ، وسواء أكان مهندسا أم غير مهندس ، فان الفنان الاصيل الموهوب لا يتورع ولا يحجم عن أن يرتاد أي وسط ، وأن يدخل اي زقاق ، وان يندس بين أية جماعة ، ليصور لنا ما يريد تصويره ...

المقدمات للقصص : ليس عجيبا ولا مستغربا أن يلجأ مؤلف ـ مهما كان لونه ـ الى عمل مقدمة للكتاب الذي يدعه بين أيدي القراء . فهي كلمة رأى المؤلفون من قديم أنه لا بد منها بين يدي كل اثر من آثارهم. وخذ أي كتاب شئت منذ عصر التأليف والتدوين في الادب العربي ، فانك واجد للمؤلف كلمة ، طويلة أو قصيرة يقدم بها بين يدي كتابه ، ويوضح الباعث له على التأليف ، والمنهج الذي انتهجه ، وقد يذكر المصادر التي نقل عنها وأخذ منها ، وقد يبالغ ـ قليلا أو كثيرا ـ من أمر نفسه فيمدح كتابه ، ويذكر أنه المصدر الذي فاق كل مصدر ، والمرجع الذي عليه المعول ! وقد ينكر أي جهد لسابق ، ويستنكر أية محاولة للاحق ـ كما فعل مثلا « ابن الاثير » صاحب كتاب « المثل السائر » في البيان والبلاغة والنقد ، فقد أسرف الرجل على نفسه في المدح والافتخار ، والتباهي والتعالم ، حتى كادت نغمته تكون ممجوجة في الاسماع ...

وقد تطول مقدمة المؤلف طولا يخرج بها عن ان تكون مقدمة ، الى أن تكون كتابا قائما بذاته . وقد تقصر الى حد لا تبلغ معه بضعة سطور . ومن المقدمات الطويلة ، مقدمة المؤرخ ابن خلدون التي كتبها على سبيل التقديم لكتابه في التاريخ المسمى « العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ».

فلا بأس على المؤلفين والادباء والقصاصين والشعراء والعلماء أن يكتبوا لكتبهم مقدمات ، مما لا يزال العمل به جاريا ، والعرف عليه قائما الى يومنا هذا . وكلنا نلاحظ استحداث نوع جديد من المقدمات في الكتب ، وهو تلك المقدمات التي تكتبها غير المؤلفين ، وكثيرا ما يجمع الكتاب بين مقدمة للمؤلف ، ومقدمة أخرى لكاتب يستكتبه المؤلف ، لمكانة خاصة ، أو لتخصصه في موضوع الكتاب ، او لاعتبارات أخرى . وقد لاحظنا أن محمود طاهر لاشين كان يلجأ في مجموعاته القصصية الى كتاب اخرين يقدمون له كتبه ، بالاضافة الى المقدمة التي يكتبها هو . فنرى في الكتاب مقدمتين ، واحدة للمؤلف ، وثانية للمقدم ... وفي كتاب «سخرية الناي» ـ بل في هذه الطبعة الجديدة له ـ نرى ثلاث مقدمات : اولاها حديثة بقلم الاستاذ يحي حقي ـ على نحو ما يجرى عليه العمل في الكتب التي تصدرها « المكتبة العربية» ـ وثانيتها للمؤلف ، وثالثتها للدكتور منصور فهمي صاحب المقدمة في أولى طبعات الكتاب .

واذا كان صديقنا المرحوم الدكتور منصور فهمي قد كتب « لسخرية الناي » مقدمة سنة ١٩٢٧ ، فان المرحوم الدكتور أحمد زكي أبو شادي قد كتب مقدمة « يحكى أن » التي ظهرت سنة ١٩٣٠ . اما « النقاب الطائر » التي ظهرت لطاهر لاشين سنة ١٩٤٠ فقد كتب مقدمتها الدكتور حسين فوزي ، وهو عالم أديب فنان يحسن كتابة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المقدمات ويجيد تدوين الذكريات والمذكرات ...

المدرسة الحديثة والفن القصصي : بعد جيل محمود طاهر حقي ، ومحمد تيمور ، وعيسى عبيد ، وشاتة عبيد ، والدكتور محمد حسين هيكل وغيرهم من رواد القصة العربية ، حمل جيل جديد من القصاص راية القصة ، ولا شك انهم كانوا اكثر ادراكا للفن القصصي ، واكثر تجاوبا مع البيئة المصرية ، واكثر تشبثا بالشخصية المصرية ، واكثر بعدا عن الرومانسية وأسرافها في الخيال ، واكثر قربا من الواقع وتصويرا له واحساسا به . وندع للاستاذ يحي حقي يصور لنا هذه المدرسة الحديثة في مقدمته العميقة الواعية لمجموعة « سخرية الناي » حيث يقول في دقة وعمق ولطافة روح «بالرغم من هذا كله فنحن مدينون للمدرسة الحديثة بالشيء الكثير ، هي التي جاهدت من اجل أن يكون لدينا ادب اصيل ، نابع من كياننا ، وأسلوب متحرر من التكلف والميوعة ، هي التي ثبتت لفن القصة قدمه ووطدت سمعته ، وبشرت بالمذهب الواقعي ، فخلصتنا من نهنهة الرومانسية ، وهي التي حاربت الظلم والفقر والجهل والتخلف والنفاق ـ اكبر اعدائها ـ ورفعت مقام الفلاح ورجل الشارع ، ونادت بالتكافل الاجتماعي ، فمهدت ولا ريب لثورة سنة ١٩٥٢ ، ثم اقامتنا لاشتراكية عربية مستقلة ، لا تتنكر لعقائدنا ومثلنا الاخلاقية .

كانوا جميعا يأخذون عملهم الفني مأخذ الجد ، لا يبتغون مجدا ولا كسبا ، وكانت عيونهم مؤرقة وقلوبهم خافقة بحب مصر ، لم يعشقوا مخلوقا مثل عشقهم لها . كان محمود طاهر لاشين في مسرحها هو ممثلها الاول ، ونجمها المتالق ، وكان الدكتور حسين فوزي هو المخرج والملقن ، هو أشدهم اتصالا بحضارة الغرب وايمانا بها ، وذهنه اكثر تفتحا وادراكا لمعنى الفن ، هو الذي يحرس محمود طاهر لاشين ويحوط عليه بكفيه ، يحثه على الصبر والاجادة وعلى توسيع افقه الثقافي بالاطلاع على أدب الغرب والشرق معا ... هو دليلهم في الذهاب الى مسرح الكورسال لحضور الفرق الاجنبية من موسيقية وتمثيلية . وكان حسن محمود يمتهم برقته وصفاء روحه وكرهه للتعصب واللجاجة ، هو والدكتور حسين فوزي قنطرتهم للعبور الى الموسيقى الاوروبية ، وكان ابراهيم المصري هو الذي يحدثهم عن امجاد المسرح وبلزاك وبقية اعلام الادب الفرنسي ، وكان ناظر المدرسة ـ المرحوم أحمد خيري سعيد ـ هو الذي يسلكهم في عقد واحد ، بفضل سماحته وقدرته على فض النزاع وارجاع كل المناقشات الحامية الى العناصر العملية المفيدة . كانوا جميعا لا يعرفون الدنس ولا الشر والدناءة . وكانوا اذا ضحكوا ضحكوا من قلوبهم وبملء افواههم .. وما كان أكثر ضحكهم ! »

اثر التشجيع ولو كان ضئيلا ... : لقد كان الرواد الاولون في فن القصة المصرية شجعانا أي شجعان ..! لقد كانت التربة جديدة على هذا الفن القصصي ، وكان الاستعداد عند القراء شيئا ضئيلا جدا ، وكانت الشخصيات والمعالم والصفات الاوروبية قد طفت على القصة اول امرها ، وكانت القصة مترجمة اولا ومنقولة نقلا لا يمت الى ارض مصر العربية بسبب ... فالطبائع أفرنجية ، التقاليد أوروبية ، والاسماء أجنبية ، والجو كله خانق يوحي اليك بانك تقرأ لناس غير ناسك .. فلما جاء الرواد أرادوا أن يظهروا الملامح المصرية ، وأن يعبروا عن الشخصية المصرية ، وأن يصوروا السلوك المحلي لا السلوك الاجنبي . وكثيرا ما تقوم العقبات في سبيل الرواد ومن يجيء بعدهم من حملة الرسالة . وهي عقبات يكاد يعيا أمامها أصحاب العزائم ، ويكادون تفتر هممهم،ويكادون يقذفون بالاقلام والاوراق ما دامت لا تحقق لهمهدفا ولا تبلغهم من مأرب ... وكثيرا ما نجد الرائد من هؤلاء وقد سدت عليه المسالك ، وضاقت الدنيا في وجهه ، ويئس يأسا بليغا من مقدرته على المضي في رسالته ، فلجأ الى الصمت ـ وهو أفضل السبل ـ واستعاذ بالترك والهجران ... وقد بلي محمود طاهر لاشين بمثل هذه التجربة المرة ومر بها ، فلما لم يجد جدوى لفنه ، ولا استجابة لدعوته ترك الكتابة ، وهجر التأليف ، وصبر على الصمت عن تأليف القصص عشر سنوات كاملة ، ويصور لنا الدكتور حسين فوزي هذه الحالة الطارئة على طاهر لاشين ، وكيف احياها التشجيع الضئيل قائلا « أما كيف عاد طاهر لاشين الى الكتابة ـ وأرجو ان تكون عودته اليوم لا تردد فيها ولا تبلبل ـ فهذه حكاية أخرى يتمثل فيها اثر التشجيع مهما كان ضئيلا . اطلع هذا القصصي الذي نسي نفسه ونسيه الناس على رسالة أدبية صدرت منذ عام ، قدم لها صاحبها ببحث عن القصة العربية الحديثة ، وقد أشار فيها الى طاهر لاشين اشارة طيبة لا يمكن ان يعرف أثرها في هذا الاخير الا من لاحظ كيف تكفي قطرات من الماء احيانا لتعيد الحياة الى نبات نكس رأسه ذبولا . فعسى ان يتأمل قراء هذا الكتاب ، من أهل الغيرة على الادب ومستقبله في مصر قصة تلك العودة في بساطتها فيحفظوا للعربية الحديثة كاتبا لا يعرف الفرور ، ويكره الادعاء ، وينصفوا هذه القدرة على الحكاية والتصوير ، وذلك التفرد في الاسلوب ... »

بين اليأس والامل : حين كتب محمود طاهر لاشين « سخرية الناي» وأصدرها للمرة الاولى سنة ١٩٢٦ كان يعمل في ميدان يشاركه فيه جماعة من النابهين العاملين على انهاض القصة العربية ورفع لواء الرواية المصرية العربية ، حتى تكون ملحوظة المكان ، عالية القدر بين الاداب العالمية . ولا شك ان الغيرة والوطنية وحب العروبة كان يدفع هؤلاء القوم الى ان يبنوا للفن القصصي في مصر العربية صرحا لا يدانى ، وان يبلغوا به ـ على حداثة العهد ـ حدا يقارب ما بلغه الاجانب فيه ، فان الخطوات في مثل هذه الحالة يجب أن تكون جبارة عملاقة حتى يدرك السائرون ما فاتهم على الدرب الطويل ... وقد كان الواحد من هؤلاء العاملين يعمل بسروروثقة وانشراح واقبال على العمل ثقة منه انه يشارك في بناء نهضة ، ويسهم في اقامة صرح ... وقد عبر محمود طاهر لاشين عن سروره بذلك العمل الادبي قائلا « ومما يضاعف سروري اني أعمل الى جانب طائفة صالحة من خيرة الادباء المستنيرين ، أخص بالذكر منهم : الدكتور حسين هيكل ، ومحمود تيمور ، والدكتور حسين فوزي ، وحسن محمود ، وابراهيم المصري ، وسعيد عبده .. فأولئك هم الذين بكروا في بذل جهودهم ، لاقتحام الطريق الذي يؤدي بالادب العربي الى مكانته ، التي يجب أن تكون له بين الاداب العالمية .. »

بمثل هذه الروح التفاؤلية بدأ طاهر لاشين التقديم لاول انتاجه في القصة القصيرة ، وبعد ثلاث سنوات أصدر مجموعته الثانية « يحكى أن » . وقد كان ممكنا أن يستمر لاشين على الدرب ، وان يواصل السير ، ولكن يظهر أن العقبات التي صادفته كانت أكثر من احتمال صبره ، فلجأ الى الصمت عشر سنوات ، الى ان وجد من الناس من يذكره بكلمة طيبة في معرض الحديث عن نشأة القصة العربية ، وكانت الكلمة الطيبة وجيزة ، الا انها جاءت ـ كما يقول الدكتور حسين فوزي ـ كقطرات الماء حين ترد الحياة الى نبات نكس الذبول رأسه ... »

اللغة العامية وراء كل انتاج .... : عجيب أمر هذه العامية التي كان لسلطانها ـ وهي لغة حديث وتخاطب ـ وقع على نفوس بعض المؤلفين حين يكتبون ويسطرون على الورق . لقد تسربت من العامية الفاظ وعبارات كثيرة الى كتب بعض المؤلفين في التاريخ العام ، كما فعل « ابن آياس » المؤرخ في تاريخه ، فهناك مئات ومئات من الالفاظ والمصطلحات العامية التي دونها ولم يجد حرجا في استعمالها ... ولقد جاراه بعد ذلك مؤرخ مصري ، اخر هو « الجبرتي » صاحب التاريخ المشهور ومدون حوادث الحملة الفرنسية على مصر ، وحوادث

محمد علي .ولقد كان لمثل هؤلاء المؤرخين مندوحة عن الهبوط الى العامية ما داموا لا يسجلون حوارا ، ولا يدونون محادثة ، ولكنهم يسردون الحوادث سردا بلسانهم ،و يروونها بأسلوبهم . أما القصاصون فقد أثاروا مشكلة اللغة في اثناء لجوئهم الى الحوار في قصصهم . فمنهم من آثر أن يكون الحوار طبيعيا بلغة قائله لا بلغة القصاص .

فلجأ محمود طاهر حقي الى الحوار بالعامية في قصته « عذراء دنشواى » ولكن النقاد لم يعجبهم منه هذا الموقف ، فرد عليهم قائلا « ولقد كان من بينهم ـ يعني من القراء ـ من تفضل فانتقد لغة الرواية ، لانه مضيع ـ على زعمه ـ للغة القرآن الشريف ، وغاب عن حضراتهم اني تعمدت الكتابة باللغة العامية : العامية الريفية ، لتكون أوقع في النفس ، وعبارة طبق الاصل لمحادثة سكان القرى ... »

وهكذا نرى ان عامية الحوار في مطالع القرن العشرين لم تكن عن ضعف أو جهل بأساليب الفصاح ، ولكنها كانت شيئا متعمدا ، لتكون صورة حية للغة الحديث بين العوام وأهل الريف ، ولتكون أصدق اداء من لغة مفتعلة لم ينطق بها فلاح ولا صانع ولا طباخ ولا غيرهم من ذوي الشخصيات العامية في القصة... ولجأ الدكتور محمد حسين هيكل الى بعض الحوار أو بعض الالفاظ العامية في حوار قصة « زينب » . وزاد محمد تيمور ـ رحمه الله ـ حين جعل لغة الحوار في المسرحيات عامية صرفا ، استجابة لمطالب المسرح من جهة ، ومطابقة للصدق في الاداء من جهة أخرى .... فلما جاء محمود طاهر لاشين سنة ١٩٢٦ ليدخل بعض الحوار العامي في مجموعة « سخرية الناي » ، وقف له المحافظون ، بل لم يملك المرحوم الدكتور منصور فهمي أن يقول له في المقدمة التي قدم بها هذه المجموعة « ولا يسعني في الختام الا ان امتدح اسلوبك العربي السهل الطلق ، لكني كنت أربأ بجماله ، عما وقف في سبيله المعهد حجر عثرة من لغة العوام في بعض المحاورات...»

الدقة في تصوير الواقع ... : من مزايا القصاص البارع أنه يصف لك ما رآه وصفا مبنيا على الرؤية والمعاينة ، لا على الاستماع والذاكرة ، والقصاص هنا مثل الرحالة ، لا يجود وصفه الا اذا كان نتيجة معاينة وخبرة ورؤية . ويخيل اليك وأنت تستمع الى الرحالة الناقل لا الواصف وصف المشاهد ، انك تستمع الى شيء لا حياة فيه ، ولا حس ، ولا حركة . ان صور القصاص حين تكون وصفا حقيقيا لما رآته عيناه ، تكون اكثر تأثيرا في النفس ، واقرب ادناء الى الواقع ، واكثر امانة في النقل . ولا شك أنك تعجب بوصف طاهر لاشين لصالة المحكمة الشرعية قائلا « كانت صالة المحكمة الشرعية في ذلك اليوم ، مثلها في كل يوم ... غاصة بزبائنها الكرام وغير الكرام ، بين شاك وشاكية ، وباك وباكية ... زوج ضاق ذرعا بامرأته ، وامرأة ضاقت ذرعا بزوجها ، ومطلقة تريد النفقة ، ومطلق يريد استرداد ولده ، وما الى ذلك من أشكال اشكالاتنا الزوجية ، وألوان بلاوينا العائلية . والغالبية الساحقة من هذا الجمع الحاشد من حثالة القوم ، وأهل الطبقة الدنيا من سكان هذا البلد ، حيث الجهالة والحماقة ، وحيث تضاؤل سلطان العقل ، واستفحال أمر الشهوة ...» . أما وصفه « لبيت الطاعة » فهو صورة حية نابضة لمظهر من مظاهر سائدة حرص المصلحون على مكافحتها بما تحمله من عناد ، وتعنت ، وتعذيب بعيد عن الدين . اقرأه وهو يقول في تصوير بيت الطاعة الذي حكم على نعيمة بأن تدخله ... « ودخلت نعيمة بيت الطاعة ، وأنه لمنزل صغير حقير في احدى الحواري ... فيه غرفة متوسطة المساحة ، لها نافذتان تطلان على الحارة ، سمر شيشهما تسميرا ، فلهما اذن العذر كل العذر اذا لم يسمحا لرأس أن تطل منهما ، وليس لاحد عذر في ان يتهمهما بعدم اداء واجبهما من حيث ادخال النور والهواء .. ! وفي الغرفة سرير نص بوصة ، وفيها دولاب نص عمر ، على هذا أبسط الفراش ، وفي ذلك أبسط الملابس.. وعلى الحائط مرآة ما يزال باستطاعة المحقق الدقق أن يتبين فيها معارف وجهه ، وعلى الارض بساط ما يزال باستطاعة المرء أن يجد فيه مواضع لقدمه .. تلك هي غرفة التعسة ...! »

الواقعية وتصوير الكائن : لقد كان محمود طاهر لاشين من السابقين الى التخلص من النزعة الرومانسية الخيالية في القصة المصرية ، وهو في هذا يعد سائرا على الدرب الذي سار عليه طاهر حقي ، ومحمد تيمور ، وعيسى عبيد ، وشحاتة عبيد ، وحسين هيكل ...فلقد ضاق الناس بنزعة الخيال ، وخاصة فيما عربه المنفلوطي واستدر فيه من الدموع ما كان الزمن كفيلا بوقف تياره ... وأصبح تصوير الواقع كما هو غاية القصاص الحديث ...

القاهرة — محمد عبد الغني حسن

•

بحوث أدبية

تأليف عبد الصاحب شكر ـ دراسة ونقد ـ ١٦٠ صفحة ـ مطبعة المعارف ببغداد

تعود كثير من الكتاب والشعراء الوقوف طويلا على أبواب أصحاب المقدمات من أجل الحصول على أسطر يدبجها يراع النابغة الهمام والعبقري المقدام يسميها هو فاتحة ويطلق عليها غيره اسم مقدمة من باب التبرك أو المجاملة ومثل هؤلاء الكتاب كمثل من يتوكأ على عصا وهو يسير في درب شائك طويل بينما تعوزه الجراة ويخونه الاقدام للسير بمفرده في هذا الدرب ... ولله در الاوائل فقد وصلتنا كتبهم خالية من مقدمات أمثال هؤلاء الفرسان على تعاقب الايام والازمان .

على هذه القاعدة الرتيبة المبنية على أساس من المجاملة وحفظ اللقاء خرج الزميل عبد الصاحب شكر في كتابه بحوث أدبية كعادة من تأثر بهم ليقدمه بنفسه لثقته التامة بها ويضعه بين أيدي القراء توخيا للحق عندما يقال وان يكون بين الكتب الادبية لا أن يتوسطها كما يقول في مقدمته .

يضم الكتاب بين دفتيه دراسات لطائفة من الشعراء والكتاب من ذوي الشان في حياة الادب تبدأ بابي تمام وتنتهي بمصطفى صادق الرافعي الى جانب دراسات اخرى في الجمال خالق الغزل والشيب في منظار الادب والشعر الحر والمدح.* ومن هذه الطائفة التي نحن بصددها : البحتري والمتنبي ودعبل وابن دريد وابن حزم والعقيلي من المتقدمين ومعروف الرصافي ومحمد رضا الشبيبي واحمد شوقي وحافظ ابراهيم وفوزي المعلوف ومصطفى جواد من العصر الحاضر .

ان أبحاث الكتاب استوفت العناصر اللازمة لا سيما البحث الذي يتعلق بابي تمام .. أما من ناحية عقيدة الشاعر فانني على خط مباين مع المؤلف فيما ذهب اليه من أن أبا تمام « كان تشيعه أمرا مشهورا » لمجرد قوله :

جعلت هواي الفاطميين زلفة الى خالقي ما دمت أو دام لي عمر

كان الشاعر متنقلا في أرجاء البلاد الواسعة يمدح هذا ويهجو ذاك على عادة أمثاله انذاك حتى استقر به المقام مديرا للبريد في الموصل مدة سنتين ثم وافاه الاجل فيها وعمره يناهز الاربعين وكان خلال هذه السنين في عداء مكشوف وسافر لدعبل بن علي الخزاعي الشاعر المعروف بتشيعه لال البيت عليهم السلام وتضحيته وملاقاته الصعاب من رجالات البلاط العباسي وهو صاحب القول المعروف : « لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك » ! لرايه الحر في مقارعة الخصوم واعتقاده بعدم أحقية الولاة بالحكم .

اعتقد ان المؤلف نفسه معجب بهذا الشاعر لان ذكره يدور في أبحاثه لنستمع الان الى قول المحقق الجليل الاستاذ عبد الصاحب الدجيلي : « ناقض دعبل أبا تمام وكان أبو تمام صديق علي بن الجهم المغالي بنعبه وعدائه لال البيت» ديوان دعبل تحقيق الدجيليصحيفة ٧٦

لقد كان هذا التناقض ظاهرا على لسان كل منهما وكله موجود ومفصل في كتب الادب فليس من المعقول أن يكون أبو تمام متشيعا مما دام مستمرا في تناقضه هذا مع رأس شعراء آل البيت في زمانه وان وجود بيت واحد من الشعر في ديوانه الكبير لا ينهض دليلا أو لا يقيم حجة على اثبات عقيدة الشاعر في وقت تتضارب فيه التيارات العقائدية والاغراض الشخصية والمصالح الفردية التي كانت سببا من أسباب تدهور الدولة العباسية فيما بعد . أما بصدد ما ذهب اليه بروكلمان في كتابه تاريخ الادب العربي وقوله في نصرانية أبي تمام فهذا قول يحتاج الى الادلة القاطعة لعدم وجود الاسانيد التاريخية الدامغة التي تؤيد هذا الزعم .

والتقي مع المؤلف بل أصافحه بحرارة حول دراسته للشعر الحر .. هذا الهذيان المحموم الذي ما زال جاثما على طاولة التشريح حيث تتناوله المباضع لتعمل به ما تشاء دون ان يحس أو يتألم كانه غريب عن تراثنا الذي يتعطر بالخلق والابداع .

لقد بذل المؤلف جهودا مشكورة في اخراج كتابه بحوث أدبية دون ان يتلقى معونة او مساعدة من لجنة تتولى تعضيد النشر أو غيرها من اللجان واخترق الصمت الذي ران على المطابع التي لم تتعود الا على طبع الجرائد الاخبارية اليومية وبطاقات التهنئة والزفاف !

وختاما كان بامكان المؤلف الاستغناء عن بعض العبارات الثقيلة أمثال يوافيع قروم الادب ويرتع بين الوكس كما كان بالامكان مراجعة بعض الاغلاط المطبعية . وتحية للزميل الاستاذ عبد الصاحب شكر على هذا اللقاء الذي أتاحه لنا كتابه على صفحات الاديب الفراء ومعذرة .

الكوت ـ العراق — كاظم محمد حسين

•

قلوب الخالدين

تأليف ابراهيم المصري ـ مجموعة مقالات ـ ١٤٤ صفحة ـ سلسلة (اقرأ) ـ مطابع دار المعارف بالقاهرة

يتبلور الدور الكبير الذي قام به الاستاذ ابراهيم المصري في حياتنا الثقافية والادبية المعاصرة ، بريادته للقصة المصرية التحليلية ، واهتمامه بين قلة ضئيلة من كتابنا بدراسة عواطف المرأة ، ومتابعته للنتاج الثقافي الاجنبي في صوره المختلفة . وكتابه الذي صدر أخيرا « قلوب الخالدين » يكاد يجمع هذه الاهتمامات جميعا ..

والمؤلف لا يقتصر على المعنى الضيق لكلمة قلوب ، فليس عمل القلب ان يكون عش غرام فحسب ، بل هو أيضا باعث كل نشاط انساني في العيش والكفاح والفن.وهذا ما عناه المصري .. ومن هنا أيضا كان اهداء كتابه هذا الى شبابنا ، فالشخوص العظيمة من الرجال والنساء التي يتناولها ، عاشتوأحبت وتعذبت وكانت في حبها وعذابها وكفاحها رمزا للبطولة وعنوان التضحية في سبيل الفكر والادب والفن « فالحياة المليئة كانت قبلتهم ، والسمو بها كان غايتهم ، وصدق العزيمة كان سلاحهم ، وارادة التفوق لانفسهم وللغير كانت مثلهم الاعلى . فمن هذه الامثلة الرائعة ذات التألق الابدي ، يستطيع شبابنا الطامح ان يقبس النور لعقله، والحياة لقلبه ، والخير لنفسه وللناس .»(ص ٥).

والشخوص السبعة عشر التي تناولها المؤلف هي : الروائي الروسي مكسيم جوركي ، والشاعر الروسي بوشكين ، والموسيقي المجري جيرار رالف ، والمصور الفرنسي ديلاكروا ، والشاعر النمساوي ليوبولدهالم ، والموسيقي الفرنسي جوستاف كرواسيه ، والشاعر الروسي فيدور ميرسكي ، والموسيقي الايطالي دونيتزيتي ، والشاعر المجري فردريك رالف ، والاديب الالماني موريس هارتمان ، والروائي النمساوي لوجوس دي زيلاي ، والروائي الفرنسي بلزاك ، والاديبة الفرنسية فرنسواز بارتو ، والمجاهدة التشيكوسلوفاكية برتا سوتنر ، والشاعرة الفنلندية ماريا بوجارت ، والاديبة الالمانية المجاهدة هيلين لانج ، والشاعرة اليابانية ايزومي شبكيبو .

من خلال نظرة شاعرنا القديم الذي كان يؤمن بأن ما الحب الا للحبيب الاول ، يختار ابراهيم المصري زاويته في الحديث عن عدد غير قليل من الشخصيات التي انتقاها ، مثل ليوبلدهالم ، وجوستافكرواسيه ، ولوجوس دي زيلاي ، وفردريك رالف ، والاخير شاعر مجري ترك ديوانا واحدا ، انتهت حياته بمأساة كان نتاجها خمس عشرة سنة عقوبة في السجن وهذا الديوان ! فقد كان فردريك شاعرا قرويا أحب ريفية حسناء أعطت قلبها لشاب اخر خدعها ، فعرضت على فردريك ان يثأر لها منه على ان تتزوجه . وجن شاعرنا فرحا ووعدها ان يتبنى طفلها أيضا ، وعندما قتل الغريم وجاء يعلنها بالنبأ ، وجدها قد قتلت وليدها ! واكثر من ذلك تنكرت لحبه ، فالحقها بعشيقها وابنها !

ولقد حاول الكاتب الكبير الا يكرر نموذج واحد ، ولذلك جاءت فصوله معرضا رائعا بارعا لنماذج بشرية يتسم كل منها بلون خاص ، مثل شخصية برتا سوتنر ، وهي فتاة تشيكوسلوفاكية ـ ولدت فيمدينة براج عام ١٨٤٣ ـ مرهفة الحس ، مشبوبة التصور ، عميقة الشعور بآلام الغير . انتهى بها حبها لمطالعة كتب التاريخ الى بغض الحرب والثورة على فكرتها الملعونة ، فلقد هالها الوقود الانساني والحضاري الهائل الذي تضحي به البشرية في هذا السبيل . وأشفقت على الانسان ومصيره في كل مكان ، فتعذبت عذابا هائلا حتى لم تكن تستطيع ان تذوق طعم النوم احيانا كثيرة . وكانت برتا تحب ضابطا فيالحرس الامبراطوري النمسوي ، يؤمن بأن الحرب غريزة انسانية وضرورة حضارية ووسيلة استعمارية حتمية لمزيد من الاستحواذ الاوروبي على أراض جديدة . فعندما وجد فتاته على هذا النحو قطع كل صلة له بها وخطب فتاة أخرى . ثم تتابع الاحداث ، تنشر برتا كتابها الاولالمعروف « ضعوا السلاح » فيحدث دويا منقطع النظير في دوائر الساسة وأهل الفكر ، ويسعى اليها عدد كبير من زعماء الاحزاب الاشتراكية ، ويتصل بها الفرد نوبل صاحب الجوائز العالمية . وتصبح الفتاة أولى امرأة في اوروبا حملت لواء السلام . هنا يعود اليها حبيبها الفادر الكونت كنسكي معتذرا نادما ، ولكي تستوثق من حبه وايمانه برسالتها تطلب اليه ان يضع ثروتهالطائلة كلها في خدمة مبادئها، ويفعل، ويتزوجان.. ولكن الرجل بعد قليل يتمرد على وضعه ويسوءه الا تتوقع برتا التي حصلت على جائزة نوبل للسلام في هذه الاثناء ـ عام ١٩٠٥ ـ بين جدران بيتها ، فيدب النزاع بينهما الذي يقضي الى الطلاق . وهال المرأة ان تطعن في قلبها وان تظفر بالمجد ثم تفقد الحب . فضل عقلها وتشوش ذهنها ، وظلت أشهر طويلة تعيش في شبه يقظة مخيفة بعد حلم رائع .. لكنها استجمعت ارادتها ونفضت عنها ضعفها وعادت الى حمل رسالتها ، وكان أول ما فعلته مباركة القران الجديد لزوجها الفادر ، ثم مضت غير نادمة او آسفة أو متحسرة تستطرد جهادها بمفردها وتحمل راية الحق والعدل والحرية والسلام .

وفي هذا المجال ايضا نجد قصة موريس هاريمان ، وهو احد كبار ادباء المانيا في القرن التاسع عشر ، الذي كان يضع العقل فوق القلب والانانية فوق الايثار والقوة فوق العدل . فحرم زوجته من

ابنهما لان اهتمامها بوليدها مقتطع من حقه في حب امراته كلـــه ! وتثور الام وتهرب بطفلها وسط الرياح والامطار في احدى الليالـــي ، وعندما يمرض الطفل ويموت يدرك الاديب مقدار جنايته وانه لم يكـن ابدا انسانا ، ويبدأ تحوله عن فلسفته القاسية ..

ومن أجمل فصول الكتاب « في مهب النار » الذي يتناول حادثـة كان لها اكبر الاثر في توجيه حياة الموسيقار المجري الشعبي جيـــرار سباستيان رالف . فرغم انه اقترن بامرأة تركت زوجها الثري وابنتهما لتلحق به ، الا انه اكتشف بعد الزواج انانيتها وغيرتها من فنه الذي ينافسها في قلبه . فتكالبت عليه وحاصرته بين ذراعيها واغرقته في حبها وهو يحاول عبثا ان يقاوم . حتى مرت ثلاث سنوات كامـلات توقف فيها انتاجه تماما ! ثم لحق بصراعه عامل جديد ، هو جراسيـا ابنة زوجته . لقد وفدت على المنزل لسفر والدها الى خارج البلاد ، ومن اليوم الاول أحس ان وجود العذراء الصغيرة الرقيقة أمده بقـوة جديدة . ونشأ بين الاثنين مودة وتعاطف وحب .. لا حب الذكـــر والانثى ، بل حب الصديقين المتوادين . وهكذا تفجر ينبوع الفن مـرة اخرى في اعماقه وأخذ يؤلف من جديد ، ولكن امراته لم تفهم واشتدت بها الغيرة وعولت على ان تحرق مسودة انتاجه الجديد ، وهددت كـل من يمنعها باطلاق الرصاص عليه ، وتقدمت الابنة من أمها تحاول انقاذ المسودة من نار المدفئة . ولكن الام الهائجة لا تعبأ وتطلق المسدس على فلذة كبدها ! ويلعب الحظ دورا كبيرا فلا تصاب الفتاة في مقتـل ، وتثوب الزوجة الى رشدها ، وتستمع الى نصيحة ابنتها في تغييـــر اسلوب علاقتهـا بالزوج الفنان !

ويعرض لنا المؤلف من خلال غرام عميق لمكسيم جوركي ، ابعاد تجربة قاسية مرت به في شبابه فحولت تفكيره وجهة اخرى مختلفة تماما تأثر بها فنه واتسم منهج ادبه . ففي مطلع حياته كان واقعا تحت سيطـرة عالمي تولستوي ونيتشه معا ، كان اقرب بطبيعته الى الاول وبطمـوح شبابه الثائر الى الثاني . وتمت الغلبة لتعاليم نيتشه بما تثيره مـن عبادة القوة والاستعلاء . وكانت الفتاة ابنة قروي تقي ، مرهفة الحس رقيقة الشعور بريئة العواطف ، احبته كما احبها . وامتد سلطان تعاليم الفيلسوف الالماني الى هذا الغرام ايضا ، بل لعل هذه التعاليم سعت اليه متعمدة تريد ان تبلو حقيقة ايمان جوركي بها . وهكـــذا تحول اسلوب جوركي في الاستحواذ على ليزا سوكولوف من مجـرد احتلال قلبها الى صبها في قالب الافكار النيتشية ! فعلمها كيف يقسو قلبها على الغير وتسخر من الضعفاء وتزدري الفلاحين وترفع علـى الفقـراء ، وتحت تأثير العشيق وارضاء الحبيب تغيرت الفتـاة . وعندما تم هذا التحول وتجسد النموذج ، استهول جوركي ما صنـع واستبشع ما فعل . فقد اصبحت ليزا مخلوقا قاسيا صارما جافـــا لا تكاد تنتمي الى الجنس الناعم . فحاول ان يصلح ما أفسده ، ولكن كل شيء كان قد انتهى ، ورفضت ليزا ان تكون العوبة في يد صاحبها، يوحي اليها ويشير عليها اليوم بما ينقضه في الغد . وعندما فشلـت محاولته هرب منها ، فاضطرت ان تدخل الدير يائسة .

واتسم اسلوب ابراهيم المصري كالعهد به دائما بالتحليل العميـق والتعبير الدقيق وتجسيد الملامح وابرازها بصورة شديدة الوضوح . ولعل اروع اللمسات الوضيئة ، تناوله لشخصية الرسام العبقـري الرومانتيكي ديلاكروا ، الذي احب في مطلع شبابه ـ بعد طول بحث ـ ماري لويز بوليه ، وهي مدرسة قروية ساحرة وجد فيها مثله الاعلى في حواء .. امراة سامية القلب والروح ، جميلة ونقية ، ذكيـــة وطاهرة ، مثقفة وطيبة ، تحب الشعب كما يحبه هو ، وتبذل في سبيل كل تاعس محروم خلاصة فكرها وعصارة قلبها . ولكن الفتاة احبتـــه روحا لا جسدا ولذلك عندما طالبها بالزواج ، رفضت . ويصـــــدم الرسام الناشيء صدمة بعيدة ، ويسوء ظنه في النساء جميعا ويتهمهن بالخيانة ، ولا يتقلص حزنه ابدا . فالجرح غائر لا يندمل حتى وهـــو يستمتع بالشهرة العريضة التي واتته بعد ذلك ، فروحه تهفو دائمـا الى المثال الذي حرم منه . وتشاء المصادفات ان يلتقي به على صورة أكمل وابرع في شخصية اخرى هي .. جوزفين دى لافاليت ، التـي احب فيها صاحبته القديمة . ومن هنا نجمت مأساته التي هـــددت حياته . ولقد استطاع المؤلف بدقة رائعة ان يعبر عن تمزق ديلا كـروا بين المرأتين ، وان يحدد انتماء الرسام الى اي من الغرامين .. « أحبها لذاتها واحبها ليقظة ماضيه البعيد فيها . ولكن ذاتها المستقلة لم تكن لتأسره بقدر ما كان يأسره ذلك الماضي البغيض العزيز الممثل فيها . وساقته ذكرى ماري لويز الى الاتصال بجوزفين ، فأحبته المرأة وهـي لا تدري انه انما يحب فيها روح شبابه وصورة ماضيه ، ورغبته الخفية في الثأر لنفسه من ذلك الماضي الذي خدعه ، وغرر به ، وسامه فـي مطلع حياته شر ضروب العذاب ... على انه مع ذلك احب جوزفين . احبها بقلبه وابغضها بخياله . أحبها بحاضره وابغضها بماضيه . احبها بطيبة الفنان ولكنه ابغضها ، وعذبها ، ونكل بها بقسوة الانسان المتكبر الاناني الحقود الموتور الذي يزين له حقده ان يثأر مـن خيـال تقلـص ومات ، في مخلوق بريء مسكين يختلج حبا وأملا وتطلعا الى الحياة !» (ص ٣٧) .

وتتميز (قلوب الخالدين) بسمات معينة بارزة ، السمة الاولى ، ان الحب ليس نزوة طارئة تنتهي بالاستمتاع الرخيص بها ، بـل هـو حدث ضخم غير عادي يترك اثاره العميقة الباقية في نفس صاحبها ، ويفتح صفحة جديدة في حياته ايضا . ويعرض المؤلف الوانا مـن الحب الصادق المقيم الذي لا تشوبه شائبة من تردد أو ضعف ، ويناضل بقوة وتصميم كل العوامل التي تريد افساده . كما في الفصول التـي تناولت لمحات من حيوات ، انوريه دي بلزاك ، وفيدور ميرسكـي ، وفرنسواز دي موتفيل ، وهيلين لانج ، رغم اختلاف شخصيات اصحابها كـل عـن الاخـرى .

والتدين عنصر رئيسي في كثير من شخوص مؤلف ابراهيم المصري ، وصفة بارزة فيها ، ينم عنه سلوكها ويعكسه مواقفها . وهو احيانا يكون أثرا من آثار الوراثة كما في « التجربة الفاصلة » عن حياة جوركي ، فليزا ابنة رجل تقي ، وهذه التقوى كانت احدى العوامل المساعدة في دخولها الدير في النهاية بعد فشلها في حب جوركي . والتديـن لا يقتصر على لون من الناس دون آخر ، ويرفض ان يتحدد في صـورة تقليدية كأن يلتصق مثلا بأبناء البيوتات او ما يطلق عليهم النـــاس المحترمين ! فالتدين اذن تبعا لاحوال الناس وظروفهم الكثيرة التعـدد والعظيمة الاختلاف وخاصة في الغرب الذي يفرق بين الدين والحياة ، فيعطي ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، لا يدمغ مسلك صاحبه الخارجي بل يترسب احيانا كثيرة في أعماقه وداخله . كما بالنسبة الى شخصية روزا ايفانوفنا بنت الليل التي أحبت بوشكين !

وتتبع السمة الثالثة في هذه الفصول من ان كاتبنا الكبير لا يـزال يتابع طريقه القديم ـ كنتيجة حتمية لاتصاله الدائم المستمر بالثقافـة الاجنبية ـ الذي لم يتحول عنه كما فعل غيره من ابناء جيله ، فـي تقديم الجديد والتعريف بالشخصيات الادبية والفنية العالمية غيـر المعروفة للسواد الاعظم من القراء المصريين . وهكذا يضم « قلـوب الخالدين » الكثير من هذه الشخصيات في مختلف مجالات النشـاط الفكـري والفنـي .

هذه هي الخطوط العامة لكتاب ابراهيم المصري ، ولا شـــك ان القارىء قد قضى وقتا طيبا في صحبة فنانه الكبير .

المنصورة ـ ج.ع.م — علاء الدين وحيد

مجهرية هي الاشتباكات . وعندما تثار الخلية تنتشر شحنة كهربائية فيها وفي النهاية الاسطوانية . وهي تصل الى الاشتباك حيث تضعف . وتندفع من مكانها في النهاية الاسطوانية شحنة كريات صغيرة مع مادة خاصة هي الوسيط . وتنفجر الكريات ويصل الوسيط الى غشاء الخلية الثانية الاشتباكي و « ينزقبه » (يزيل استقطابه) اي يزيل شحنته الكهربائية . وحينذاك تندفع موجة الاثارة الى ابعد . وتشكل الوسيطات ادرينالين ونورادرينالين ودوفامين وسيروتونين) من الناحية الكيميائية ما يسمى بالامينات المولدة للحياة . وهذه المواد تصون ارتباط خلايا الدماغ فيما بينها وتضبط نشاط الجسم ولا سيما الغدد الصماء فيه .

وخلال حالات الانفعال او القلق او الاضطراب او النزوع الى الاعتداء يزداد انطلاق الوسيطات في الدماغ . فخلال العمل الفكري الكثيف وكذلك خلال الاضطراب يتصاعد الادرينالين ، مثلا . ويتصاعد النورادرينالين خلال الاثارة والغضب والنزعة الى الاعتداء . واما الدوفامين فيحفز النشاط الحركي كما وان السيروتونين ولا سيما النورادرينالين « يجددان » نشاط جميع قطاعات الدماغ . ان كل عمل الدماغ ، البالغ التعقيد ، من ابسط الافعال المنعكسة المشروطة حتى الفكر المجرد ، يرتبط بتصاعد الوسيطات في اشتباكات العصبونات .

والخمائر هي التي تسوس تركيب الوسيطات وتحليلها في الدماغ . واهم هذه الخمائر هي الـ « مونو امينوكسيداز » . وبامكاننا بتأثيرنا في هذه الخميرة ان نسوي كمية الامينات في الدماغ وان نوجه بالتالي ، الى حد ما ، نشاط الانسان ، النفسي .

وزكب الصيدليون ، بناء على طلب اطباء الامراض العقلية ، مواد تضعف مفعول الـ « مونوامينوكسيداز » ، الى حد كبير . واحدى هذه المواد هو الـ « ايبرازيد » ، انه يستخدم في عيادات الامراض العقلية لمكافحة الانهيار العصبي . معلوم ان هذا المرض يتجلى بانهيار عام ، بعدم مبالاة ، اذ تنخفض الحركية ويتباطأ النطق . وهذا كله مرده الى انخفاض الوسيطات في الدماغ . وخلال ادخال الايبرازيد او مخمل اخر من المخملات المونوامينوكسيدازية يتوقف انحلال الامينات ـ الوسيطات ويشتد النشاط النفسي ويتحسن المزاج ويتسارع النطق والحركات . ويستعيد المريض الثقة بشفائه وبقواه .

ان استخدام المخملات احدث ثورة في معالجة النفوز (النفوز هو مرض عقلي يعرف بالبشيكوز في الفرنسية) الانهياري وهو

في كلمات ...

● ورد في مقال نشره الدكتور ج. ليندنر في مجلة كوسموس الالمانية العلمية بانه استدل من اختباراته الطويلة على ان مرض السداد القلبي لا يعود الى طريق التغذية وحدها فقط ، بل تقوم هناك عوامل اخرى اضافية لذلك ، كالمرح والسرور والارتياح وتوازن النفس الداخلي الى حد ما ، فيعمل ذلك على الوقاية من خطر الاصابة بالسداد القلبي . وقد قام المركز الطبي في اوكلاهوما يستخدم الان حتى في القضاء على الام القلب خلال الذبحة الصدرية وفي تخفيض ضغط الدم . فهذه الظاهرات ترتبط ايضا بانتقال الشحنات في الاشتباكات التي تخضع لتمركز الوسيطات .

واثبتت فلاديميرغوركين في معهد الكيمياء البيولوجية والطبية لدى اكاديمية العلوم السوفياتية ان الـ « مونوامينوكسيداز » هو خليط من الخمائر المتجازئة (الجسم المتجازي) هو الجسم التي تتالف جزيئاته من عدد واحد من الذرات ولكن ترتيبها يختلف وهو الـ « ايزومير » بالفرنسية) المتشابهة الخصائص . وتتصرف كل خميرة منها الى اتلاف وسيط . واذا كان هناك عدة خمائر ، صار من المحتمل امكان ايجاد مخملات تحاصر هذه الخميرة او تلك محاصرة نوعية ، انتقائية . ان ذلك يمكن من تسوية مستوى هذا الامين ـ الوسيط او ذاك دون مساس الامينات ـ الوسيطات الاخرى . واظهرت اعمال المختبر ان بعض المركبات التركيبية والطبيعية تحوز تأثيرا انتقائيا بحثا في اجزاء الـ ـ «مونوامينوكسيداز» . فالـ « ارمين » يكبح الخميرة التي تتلف الـ « سيروتونين » . وابتلاعه يحدث عند الانسان الاضطرابات القصيرة الاجل ذاتها التي يحدثها فائض الـ « سيروتونين » . وتجرب في المختبر الان مئات المواد التي ، بتغييرها مستوى الوسيط تغير على هذا النحو حالة المريض النفسية .

ووضعت طريقة بسيطة وفعالة لتطهير الـ «مونوامينوكسيداز» تطهيرا تلوينيا وحصل على مستحضرات نقية جدا . وقدم تحليل المستحضر المطهر معلومات هامة لفهم البنية مفعول الـ « مونوامينوكسيداز » ، وتؤمل النتائج بان يحصل طبيب الامراض العقلية قريبا على وسائل جديدة لمكافحة الامراض العلقية .

ليونيد كليشتورين

في الولايات المتحدة باختبار أحوال الاصابة بالسداد القلبي في أربع مستعمرات من مستعمرات السكن ، كان يسكن احداها مهاجرون سابقون من المانيا ، واخرى مهاجرون ايطاليون ، وكان سكان المستعمرتين الثالثة والرابعة مختلطي الاجناس . وقد تبين له بان الاصابات بالسداد القلبي كانت تقل في مستعمرات السكن التي يسكنها المهاجرون الايطاليون بالرغم من انهم ولدوا في الولايات المتحدة واصبحوا من ابنائها وتعودوا على أحوال المعيشة فيها . ويعزى السبب هنا الى مرح الايطاليين أكثر من غيرهم وعدم ترك الهموم تتسرب الى نفوسهم.

● حذرت ادارة الادوية الامريكية النساء الحوامل او اللواتي يتوقعن الحمل من تعاطي ثلاثة ادوية تؤدي الى تشويه الجنين مثل الثاليدوميد ، وهذه الادوية هي ، ميكليزين وسيكليزين وكلورسيكليزين . وهي ادوية يوصف بعضها لحالات الغثيان والدوار وبعضها للزكام والبعض الاخر لامراض الحساسية .

● توصل العلماء العرب بالمركز القومي للبحوث بالقاهرة الى تخليق مركبات دوائية جديدة من المخلفات الزراعية أثبتت التجارب ان لها تأثيرا فعالا في وقف نمو الخلايا السرطانية . وقد ارسلت عينات من هذه المواد الى المعهد القومي الامريكي للسرطان أجريت عليها تجارب استمرت ثلاثة شهور واكدت نجاح هذه المواد التي توصل اليها الدكتور نزيه لطيف رئيس وحدة الكيمياء التخليقية بالمركز القومي للبحوث . وسيتم انتاج كمية اخرى من هذه المواد الدوائية تستخدم على حيوانات التجارب تمهيدا لتجربتها على الانسان في حالة نجاحها نماما.

● ادعى محلل كيماوي في انجلترا يدعى د.س. سبولدنغ ان شريحة من اللحم المشوي تحتوي على ما تحتوي عليه ٧٠٠ سيجارة من جراثيم السرطان . وقال المستر سبولدنغ لجمعية الصحة الملكية البريطانية ان الاطعمة المدخنة تحتوي بصورة دائمة تقريبا على اثر من مادة بنزيرين التي تؤدي الى السرطان . وان ارتفاع نسبة الاصابات بالسرطان في ايسلندا ربما عاد الى هذا السبب .

● قالت الدكتورة روزاموند فالينغز في مقال نشرته المجلة الطبية البريطانية ان النساء اللواتي يتناولن حبوب منع الحمل سيسقطن فريسة الصلع . وقالت انها لاحظت ثلاث حالات يتساقط فيها شعر المرأة التي تتناول حبوب منع الحمل . وانه لم يكن قد مضى وقت طويل على كل حال على بدء هؤلاء النساء تناول الحبوب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



جولة الأديب في شهر

حـــول تكريـــم البيـــر أديـــب

لعلك اذا اردت التفكير في وجوه الخير ، ان تفكر بقيم واسمـــاء متعددة : حب الناس والوطن والانسانية ، حب الفن ، وخدمة الادب، الثبات والدأب ، وخدمة القيم . الاخلاص للحقيقة الجسارة على وهب العمر كله للادب ، أي للناس ، لتقدم الناس . لكنك تستطيع ان تجد كلمة واحدة ، اسما واحدا ، يجمل كل هذه الوجوه الخيرة التـي ذكرت ، هناك اسم محبوب من جملة اسماء ، يجمعها كلها في عدسته المضيئة الحارة وهو : البير اديب .

ربما ساجد من يقول لي : طبيعي ان تحبذ تكريم هذا الرجل . فهو احد اساتذتك . وقد كان احد الرواد الاوائل لكل ما اكتشفته واحببته في صباك ، من جميل ، ومهم ، وباق : حب الشعب ، وحب العروبة، ولبنان ، لبنان ـ الثقافة والشعب ، وحب الفن والادب وغناهمـا الروحي . والحقيقة ان البير اديب كان مع عمر فاخوري ، وعبدالله العلايلي ونقولا فياض ، والياس ابو شبكة ، وغيرهم من رجال الادب المرموقين ، مشرقين من منبر « الاديب » ، منـذ شهورها الاولـى ، يضيئون في الاذواق والنفوس كل امكانات الكلمة ـ المشعل ، الكلمة ـ المعول ، الكلمة ـ الصوت المنادي ، الكلمة ـ البقاء .

حقا لقد ابتهجت لتلك الدعوة الكريمة لانصاف البير اديب . ابتهجت لانه احد اساتذتي المربين . لكن هناك في لبنان ، وفي كل قطر عربـي عشرات ، بل مئات ، وربما الالوف أمثالي ، من المثقفين والادبـاء والناس العاديين ممن يستجيبون لداعي الوفاء ويقفون ولا شك مثـل موقفي ، اذ ان لالبير اديب ايادي لا تحصى علـى الثقافة العربيـة الحاضرة . وقد كانت « الاديب » ولا تزال مشتلا لكثير مما نرى مـن ادواح الادب والفن في دنيا العرب ، واغراسه الشابة . فلا عجب اذا تجاوب كثيرون مع الدعوة لتكريم هذا الانسان المخلص لكرامة الناس ، المثابر على اعطائهم ، من جهده ودمه وربما من غذاء عائلته ، قيـم الادب ومجـالات الابـداع .

هذا رجل ضحى باشياء كثيرة . بامكانات المناصب والثروة والجـاه الدنيوي السريع . وصرف الاعتبار عن مواصفات وتساهلات ربما كانت ستمسه في الصميم كرجل شهم ، لكنها كانت سترفعه ، كما رفعـت سواه ، كثيرين سواه ، الى مراتب الثروة والنفوذ والجاه ، ممـن تنازلوا امام سلاطين المال وقياصرة الكذب والدجل ، لكن البير اديب كما يعلم الجميع ، فضل الاعتكاف في محراب الادب والخدمة ، فضل العمل الصامت ، الدائب ، المثابر المصابر ، من اجل مجلته «الاديب» التي بقي يمدها من دمائه واحشائه ، زيتا لمصباح الادب ، ومـن اجل كل ما نحبه ، ويحبه اللبنانيون والعرب،من قيم الادب والفن والاخلاق.

ان الاوساط الادبية التي تتنادى اليوم لتكريم البير اديب على عمله الطويل ، الدائب البطولي ، في اصدار مجلته « الاديب » انما تقـوم بعمل موفق ، يلاقي تأييد جميع المثقفين وجميع الفئـات الوطنيـة والثقافية اللبنانية والعربية والمهجرية والاستشراقية ، وكل محـب للتفتح الانساني والاتصال بين الشعوب ، وكل متطلع الى استكمـال الحياة البشرية بعطاءات الاداب والفنون ، بخدمة « حياة الحياة » كما قال احد الناس معرفا الادب .

ولكن ليسمح لي بقول كلمة صريحة فـي الموضوع ، اساسا وتفصيلا ، فاذا كـان المقصود بالدعوة لتكريم الرجل ، وعملـه ، ومجلته ، هو مجرد كتابة مقالات الثنـاء والاطراء ، ونشر ورود المحبة والتقدير علـى حضن الاستاذ البير ـ وهو شيء جميل بحـد ذاته ، ولا خلاف عليه ـ الا ان المعـروف ان هذه المهمة قد تحققت في الواقع . اذ ان لالبير اديب ، في قلب كـل مثقف لبناني وعربي ، وقلب كل مستشرق يحب تراث العرب ويعمـل لجلاء قيمه وتعميق مدلولاته ، ان في قلب كل انسان يهتم بالادب ، أي بتقدم الانسان ، زاوية مضيئة لالبير اديب ، وامثال البير اديب .

المهم هو ان تتمكن الاوساط والشخصيات الداعية لتكريم الرجـل من تقديم خدمة حقيقية لرسالته التي ضحى وما زال يضحي بالغالي والرخيص من اجلها ، طوال خمسة وعشرين عاما ، والمهم هو ان تتمكن هذه الاوساط من لفت نظر الحكومة والدولة الى دعم مؤسسة كمجلـة « الاديب » ، ما زالت تصدر بجهود منشئها وحده ، تأكل من طعامه ، وتلبس من ثيابه وتصدر اول كل شهر نشيطة معافاة ، ومنشؤها مجهد متعب ، يعاني ما يعانيه من شظف العيش ، وعذابات الجهد الصامد .

وتجمع الاوساط الادبية في لبنان على ان انصاف مجلة « الاديب » وصاحبها ، بوسائل الانصاف التي تحسنها ، احيانا وزارات التربيـة والانباء والخارجية ، حينما تريد نحو بعض المجلات والمطبوعات ، سيكون في الوقت نفسه ، توثيقا لعلاقات ثقافية مع عدد لا يحصى من أدبـاء العرب ، في البلدان العربية الشقيقة ، وفي بلدان المهجر ، دأب صاحب مجلة « الاديب » على ممارسة هذا الواجب وحده تقريبا حتى الان ، لتوثيق الروابط الثقافية والادبية ، وكذلك مع الاوساط الاستشراقية التي تعرف مجلة الاديب كما تعرف نفسها واعمالها . وانا لا اطلـب للرجل ، من الدولة ، صدقة ولا « شوفة خاطر » بل أطالب بتحقيـق واجب وطني وثقافي هو من اول واجبات الحكومة ، ووزارة التربيـة و «الفنون الجميلة » في هذا البلد ، وهو دعم مؤسسة ثقافية واسعة الانتشار ، ولا خلاف على قيمتها او دورها الثقافي والادبي ، مؤسسة حملت اسم لبنان طوال ربع قرن ، الى جميع الاقطار ، وما تـزال . لكن تكريم البير أديب ، التكريم الصحيح الواقعـي ، أي المـادي والمعنوي ، سيكون اعادة الثقة الى الناس بقيم الوفاء والوطنيـة والثقافة . هذه القيم التي ما عدنا نراها أحيانا الا كما ترى شمـس الشتاء مضيئة بكآبة من وراء الغيوم .

جريدة « النداء » — محمد العيتاني

•

منهاجي كمؤرخ في النظر الى العمل الادبي

التاريخ كالفلسفة ودراسة اللغة فرع من الادب . وبين التاريخ والادب البحت صلات كثيرة ولها التحليل وربط اجزاء الموضوع بعضها ببعض. فطالب الثانوي في اوروبا عند معالجة أي موضوع تاريخي او ادبي من موضوعات (الانشاء) ـ او ما يسمى بالافرنجية Composition ، يعمل على ايجاد وحدة متماسكة في الموضوع المؤلف من عناصر مختلفة . وممارسة الكتابة في الموضوع على هذا الاساس لا توجد عندنا لا فـي المدارس الثانوية ، ولا في المدارس العالية والجامعات . ومن اجل ذلك لا تتوافر عندنا ثقافة تاريخية او فكرة صحيحة عن التاريخ والمنهـاج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التاريخي . وقل ان نرى لكبار مؤلفينا وكتابنا كتابا او بحثا ادبيا او تاريخيا متسق العناصر سليم البنيان يشد بعضه بعضا . وقد بدأنا نرى « الحبكة » او الوحدة في بعض القصائد والروايات ولكننا ما زلنا بعيدين عن الغاية .

وقد قرأت اخيرا فصلا لاحد افاضل كتابنا عنوانه « فن التراجم .. وأصدقاء سيد درويش » جاء فيه ان : الجدل الذي احتدم حول الحلقات الاذاعية المسلسلة التي قدمها الاستاذ زكريا الحجاوي عن سيد درويش ، وتلك المبادرة الصارخة من جانب الداعين الى المحافظة على ذكرى سيد درويش وتراثه ، يثيران قضية ارتباط الفنان بالحقائق الموضوعية لحياة الاشخاص ... فهناك بداهة فرق جوهري بين الفنان الذي يكتب ترجمة حياة لشخصيته ... والمؤرخ الباحث الذي يسجل وقائع حياة صاحبها .

ان الكاتب او (الفنان) يجب ان يكون ملما بحقائق الموضوع من الناحية التاريخية الماما تاما وبالمنهاج التاريخي في الوقت نفسه . ومما يؤسف له ان الكثيرين يجهلون ان للتاريخ ناحية فنية عظيمة تتجلى في كتابات المؤرخين الموهوبين ، وذلك في طريقة عرض الوقائع وسردها مع الايجاز والوضوح ، وتجاوب عناصر الموضوع تجاوب الانغام في قطعة موسيقية عالية . ومثل هذا التجاوب الرائع بمفاجآته قد يخيل اليك ان المؤرخ قد رتبه وصنفه وأدقه وأجله مقدما عند وضع (تصميمه) كما يصنع المهندس حين يرسم الجزئيات والكليات تفصيلا قبل الشروع في البناء . والواقع ان المؤرخ يتفق مع المهندس في دراسة الخطوط الاساسية لبنائه مقدما ولكنه يختلف عنه في وضع التفاصيل الدقيقة التي يأتي اكثرها عفوا من طريق الالهام اثناء التنفيذ، وهي تفاصيل لا حصر لها ، ولا يفطن اليها الا الخبير المتذوق .

فالتاريخ اذن علم وفن بمعالمه . ومن السهل ابراز عمل فني جليل في اطار تاريخي صحيح . ولشد ما ادهشنا كاتب المقال المشار اليه حين قال : « يروي اميل لودفيج صاحب الترجمات الشهيرة عن حياة نابليون الكثير من الجوانب الخافية والمواقف التي لا ذكر لها فيما عرف من تاريخه .. وكلها جوانب ومواقف قد يستحيل على اعظم المؤرخين اكتشافها مهما توافرت لهم الحقائق الثابتة عنها . وهذا تماما هو الفرق بين عمل المؤرخ ومهمة المترجم ... ان الاخير هو المكتشف الوحيد لحقائق الشخصية التي يكتب عنها .»

ولو كانت عند كاتبنا ثقافة تاريخية لما كتب ما كتب . اني اعرف لودفيج شخصيا وقد زارني ، وقت ان كنت اعمل في جنيف في سنة ١٩٣٥ ، وأطلعني على تجارب كتاب له عن النيل بالالمانية . فصعقت من هول بعض اخطائه . كتب مثلا انه عند رحيل كرومر من مصر معزولا في سنة ١٩٠٨ كان الفلاحون يضرعون الى الله بأكفهم ان يعيده اليهم ويتحسرون على أيامه .. قلت : ألم تسمع عن دنشواي ؟ قال : لا . قلت : ما مصادرك ؟ قال: كتاب كرومر « مصر الحديثة » وكتاب ملنر « انجلترا في مصر » .. فشرحت له عندئذ مأساة دنشواي ، فأدخل تعديلا فيما كتب ، وأصلح بعض اخطائه ، وأراد ان يشير الى ذلك في المقدمة فمنعته من ذلك بالطبع ، لان كل ما يهم المؤرخ هو ذكر الحقائق.

وفي استطاعة الروائي ان يكون عونا للمؤرخ عند تصوير الشخصيات والمجتمع في عصره كما فعل بلزاك مثلا ، او كما فعل الصحفي والقصاص ادمون آبو ، في كتاب « الفلاح » الذي صور فيه حالة الفلاح بدقة منزهة عن كل شبهة . ويتجلى فن آبو – لا في تزويق الحقائق – بل في اعطاء صورة حيةمن واقع الحياة ، لا نقصان فيها ولا زيادة ، تبدو ملامحها في ثنايا حوار رائع .

والمنهاج التاريخي او العلمي قد طبق في عمق وسعة في دراسة الشخصيات الادبية وتاريخ الادب في فرنسا منذ اوائل القرن التاسع عشر . فتوجد عن الشخصية الواحدة دراسات وابحاث عميقة ممتعة لا حصر لها . وقد ثبت مثلا ان لامرتين يخطىء في تاريخ بعض قصائده كما انه ينحرف عن الحقيقة احيانا فيوصف الاماكن التي عاش فيها او مر بها في رحلاته ، ووصف الحوادث التي يروي تفاصيلها . على اني اعترف انه قد بولغ في تطبيق المنهاج العلمي او التاريخي في الادب حتى ان احد كبار الادباء الفرنسيين وضع دراسة خاصة عن الصلة بين لامرتين ومدام شارل التي تعرف بها على شواطىء بحيرة «اكس ليبان»، وبادلها الحب ، ونظم فيها قصيدة « البحيرة » الشهيرة بعد موتها ، وهي مرثية من اكبر مراثي الحب والنعيم الزائل في تاريخ الادب الانساني . ومثل ذلك انكار وجود شكسبير . كل ذلك ينأى بنا عن جوهر المنهاج العلمي وجوهر الموضوع وينحدر بنا في تفاصيل ومسالك جانبية متشعبة يضل فيها اللب ويحار لانها لا تفضي الى طريق مهيع . واذا كانت هناك قلة من ابيات شكسبير مشكوك في نسبها فان هذا لا يمنع ان اعمال شكسبير في مجموعها تحمل طابع عبقريته وشخصيته .

وهذا امرؤ القيس ، قال لي صديقي العالم الاديب الدكتور طه حسين ذات مرة ، انه لا يوجد له الا ابيات قلائل صحيحة النسب وهي في معلقته . فكان ردي عليه انله عشرات من القصائد ومئات من الابيات التي تدل على عبقرية جبارة . وقد نسبت للبحتري وفرجيل وهوميروس ابيات ليست لهم ولكن ذلك لا يغض من عبقريتهم مثقال ذرة . والواقع ان المنهاج العلمي الادبي لا ينصب فقط على تحقيق نسب الشعر ومناسباته فحسب ، ولكنه ينصب ايضا ، وقبل كل شيء ، على دراسة شخصية الشاعر من شعره ، وادمان النظر في ذلك الشعر والتعمق في دراسته . ولكن ذلك الادمان او التعمق ، ان لم تسانده الموهبة والقدرة على التذوق ، فلا جدوى منه .

وقد كنت شغوفا بقرض الشعر ودراسة الادب منذ الشباب وأصدرت كتاب « شعراء العصر » في جزأين (١٩١٠ – ١٩١٢) وأنا طالب في التعليم الثانوي . وكنت انشر آنذاك المقالات والقصائد في صحفنا الكبرى كاللواء والمؤيد والاهرام والجريدة . فلما سافرت الى باريس ومعي بضاعتي الادبية تفرغت في السنة الاولى (١٩١٣ – ١٩١٤) لدراسة الادب الفرنسي ووضع رسالة عن لامرتين . ثم اتجهت بعد ذلك الى التخصص في التاريخ . ومن حسن الحظ في ذلك الوقت ان الليسانس كانت تشمل ، الى جانب مادة اللاتينية ومواد التاريخ ، مادة اختيارية ، هي مادة الادب ، وان جامعة السربون كانت تضم اكبر اساتذة التاريخ والادب في اوروبا .

كنت في البداية استثقل التاريخ بسبب سوء استعدادي له بعد دراساتي العميقة في مصر . ولكني بعد ايغالي فيه ، وتصعيدي في الناحية المشرقة منه ، ناحية الفن والعلم الصحيح ، اصبحت مولها به . وكنت كلما ازددت ايغالا ، مع كر السنين ، ازددت به عشقا وكلفا .

والواقع ان الادب العربي احوج الاداب عموما الى مؤرخين ادباء يحققونه بعين النقد ، ويحققون اسماء البلاد الكثيرة الواقعة في الجزيرة العربية ، وهي التي يرد ذكرها في الشعر العربي . وقد نشرت مجلة « قافلة الزيت » بعض التحقيقات المفيدة في هذه الناحية وكنا نود السير فيها واستكمالها قدر المستطاع . وحسبنا ان نذكر ان الاجانب وحدهم انفردوا الى الان بأمثال هذه التحقيقات التاريخية الجغرافية الادبية بفضل دراساتهم على المكان ، ورحلاتهم العلمية في ارض الجزيرة . وخطر امثال هذه البحوث بالنسبة للشعر العربي ودراسته لا يخفى على احد . وهاكم مثلا اخر فيما يتعلق بتحقيق الشعر نفسه : حين درست البحتري وأصدرت عنه كتابا في سلسلة «الثوامخ» في سنة ١٩٤٦ ، تبين لي ان له نحو اربعة الاف بيت من الشعر لم يسبق نشرها ، وقد نشرت زبدتها في اثناء دراستي . كما تبين لي – وهذا في نظري اهم – ان شعره المطبوع ، وبعض ابيات من اشهر قصائده التي يتدارسها كبار الادباء والنقاد منذ قرون ، تتضمن اخطاء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كبيرة لم يلتفت اليها احد . كقوله في وصف البحيرة :

تغنى بساتينها القصوى برؤيتها عن السحائب منحلا عز اليها

روى البارودي هذا البيت في مختاراته بهذا النص كما رواه جميع من تقدموه . مع ان كلمة (برؤيتها) هنا لا معنى لها وصحتها (بريتها) يريد ، ان ماء دجلة او البحيرة يغني البساتين القصوى في ارجاء البحيرة عن ماء السحاب . ومن هذا كثير .

وهذا مطران تبين لي ، اثناء مطالعة الصحف القديمة بحثا عن آثار شوقي ، ان له كنزا دفينا من النثر في بطون الصحف . وقد كنت بمعاصرتي لمطران اعلم ان له ايات من النثر الخالد ، ولكني كنت اجهل وجود ذلك النثر في غزارة البحر ، وكثافة الغاب ، وجمال السماء ذات النجوم . على انني لا ادعي اني استنفدت دراسة مطران ، لان بعض المصادر كجريدة « الاخبار » ، التي كان يصدرها الخازن صديق مطران والمحتفي باثاره ، لا يوجد منها الا اعداد قلية في المتناول. وهذه كارثة ادبية تاريخية يجب على مكتبات الشرق جميعا ان تعمل على الحد منها وتداركها .

ومعظم الصحف الاسبوعية واليومية التي نشر فيها شعر لشوقي بعضها لا وجود له او في حكم الذي لا وجود له ، وبعضها كالثوب الخلق ، وستختفي من الوجود بعد سنوات . وحسب القارىء ان يعلم ان جريدة « الجهاد » التي صدرت في اواخر سنة ١٩٣١ ، وكانت تنشر شعرا لشوقي ، تنقصها الاعداد الخمسة والاربعون الاولى .

وقد اضعنا نصف تراثنا الادبي القديم ، لانه كان يعتمد على الرواية وتسجيل الناسخين الجهلاء . ولكننا اليوم مع وجود المطابع والالات الكاتبة والات التصوير وعلم التحقيق ، سنضيع باهمالنا نصف التراث الادبي الحديث ، وهو تراث ضخم ، تراث النصف الاول من القرن الحالي ، تراثنا .

فلنعمل على انقاذه متضافرين .

« قافلة الزيت » ـ الظهران — محمد صبري

•

علماء يبحثون عن وصفة للسعادة

الزوجات والازواج الذين يتشاجرون ويقذف بعضهم البعض الاخر بالصحون والزهريات وغيرها من الاواني البيتية يستمتعون بحياتهم عادة اكثر من هؤلاء الذين يكبتون غضبهم . هذا ما يقوله علماء النفس على الاقل . فقاذفو الاشياء نادرا ما يقصدون اصابة اهدافهم البشرية، والطبق المتحطم على الجدار هو ثمن بخس يدفعه المرء للتنفيس عن مشاعره المكبوتة . والى ذلك ، فان قذف الصحن او الزهرية يؤدي كثيرا من الاحيان الى انهاء الشجار فجاة ـ بالضحك والقهقهة .

توصل الى هذا الاستنتاج ، بصورة مشتركة ، عدد من فرق الابحاث الجامعية التي كانت تبحث عن وصفة للسعادة وتحاول اكتشاف اي نوع من انواع الناس يرجح ان يختبروا السعادة اكثر من غيرهم .

فقد قال فريقان علميان اميركيان ، احدهما من جامعة وزليان بولاية اوهايو والثاني من كلية الطب التابعة لجامعة كاليفورنيا ، ان الذكاء والسعادة لا يتفقان بالضرورة . ويقول هؤلاء العلماء ان الرجال والنساء الاذكياء هم عادة ذوو مزاج عالي التوتر ، ومع انهم يملكون ظاهريا اعظم طاقة للسعادة ، فانهم يقتمون بسهولة ، ويصعب عليهم التخلص من الكآبة .

لكن النساء عامة يملكن طاقة للسعادة اعظم من طاقة الرجال ، كما يعتقد الدكتور دايفد فلينك ، من فريق جامعة كاليفورنيا . وهو يضيف قائلا : « تظهر الدراسات التي اجريناها انه حين ترضي المراة رغبتها في ايجاد بيت وعائلة ، والعثور على زوج محب ، تصبح اكثر سعادة من الرجل » .

ويقول العلماء ان العمل المجتهد والمسؤولية هما العاملان الاكثر اهمية في جعل الرجل المتوسط سعيدا . ورجال الاعمال هم عادة اكثر سعادة من اساتذة المدارس او موظفي المكاتب .

وقام فريق من العلماء من جامعة ويسكونسين الاميركية باستفتاء الف شخص متقدم في السن ، وكاد يجمع هؤلاء على ان اسعد سنوات حياتهم كانت ما بين سن الخامسة والعشرين وسن الخامسة والاربعين . وحين قام فريق العلماء نفسه باستفتاء اشخاص تتراوح اعمارهم حاليا بين الخامسة والعشرين والخامسة والاربعين ، تبين للعلماء ان هؤلاء الاشخاص قلقون لان الوقت يمر سريعا وهم يشعرون انهم لم يحققوا اي هدف بعد .

والغريب في الامر ان عددا قليلا جدا من الذين شملهم الاستفتاء قالوا ان الطفولة كانت اسعد فترات حياتهم ، كما ان معظمهم لم يذكر بصورة خاصة انه استمتع بالسنوات الاخيرة من المراهقة .

ويشير العلماء الى نتيجة غريبة اخرى برزت من دراسة اجريت في فرنسا مؤخرا . فقد تبين بنتيجة هذا الاستفتاء الذي شمل الذكور والاناث ، ان واحدا بالمئة من الرجال فقط ، وخمسة بالمئة من النساء فقط ، يظنون ان الحب ضروري واساسي للسعادة . اما اكثرية الاشخاص الذين شملهم هذا الاستفتاء ، فقد اعربوا عن اقتناعهم التام بانهم يكونون اكثر سعادة لو انهم يملكون المزيد من المال ، وكان المال برأيهم هو الشرط الاول للسعادة ، والصحة الجيدة الشرط الثاني .

لكن العلماء يشددون ، في استنتاجاتهم النهائية الشاملة ، على انهم لم يجدوا ان الثروة ، وحدها ، كانت كافية لجلب الكثير من السعادة الى الناس . كما انهم يشددون على ان معظم الرجال والنساء السعداء الذين التقوهم اثناء الدراسات ، كانوا هؤلاء الذين يقومون بأشق الاعمال ويتحملون اكبر المسؤوليات .

جريدة « لسان الحال »

•



•



نسيم نصر

الى اخي المعلم

بقلم نسيم نصر

اغلب الظن ان النـــاس ما اختلفوا ، في قديم العصـــور ومتوسطها وحديثها ـ في تقدير عامل على ميادين الحياة ، بقدر ما أختلفوا في نظرتهم الى المعلم ووصفه وتصنيفه . ولكن ما احب ان اجمع كلامي عليه ، في رسالتـــي هذه ، ليس تاريخا للمعلم ، وانما هو تذكير بالمهمة التي نحن بها مضطلعون ، بعد ان اعترف للمعلم بانه رائد الاجيال ، ان لم يكن رسولها ، وبانه مخطط الغد ان لم يكن بانيه .

ولما كنا ، نحن ، في هذا الشرق العربي ، مدينـــين في تفكيرنا وفلسفتنا ، واساليب عيشنا ، وتصريف شؤوننـــا لموروث ضخم من الاتجاهات والمعاني ، ولما كان هذا التراث مختلطا ، ولا بد من تناوله بكثير من الوعي والحيطة واشراقة الذات ، كانت مهمة المعلم شاقة ، ومسؤوليته عظيمة . وفي نطاق هذه المسؤولية المحفوفة بالصعاب يتحتم علينا ، يا اخي المعلم ، ان نجري حسابا مع نفوسنا ، قبل ان يحاسبنا ذوو العلاقة بنا ، وان نقدر كفاءاتنا قبـــل ان يقدرهـــا لنا الناس ، في مجالي : الواقع والتاريخ .

نحن ، بفضل هذا المـــوروث المختلط ، نقيم مقاييس الحسن والقبح ، والخير والشر ، وباحكام هـــذه المقاييس ننشىء اذواقنا ونروض طباعنا ، ونمضي ، مستندين اليها ، في ميادين الحياة . غير اننا لا نستطيع ان نهمل المعتقدات الدينية والعادات الاجتماعية والتقاليد البيئية ، في ما نحن قائمون به من عمل ، وفي من هم في عهدتنا من الاجيال الطالعة على الغـــد .

واول ما يجب ان يطالب المعلم نفسه به هو ازدواجية الكفاءات من طبيعية وتحصيلية . فالطبيعية منها تقوم في سلامة الجسم ، وقوة السمع ، وجودة النطـــق والحفظ ، وسرعة الخاطر ، ومتانة الاعصاب ، والنـــزوع الى الفال ، والصبر على المشقة طويلا . ومتى توفرت هذه السجايـــا رافقها ايمان شخصي برسالة المعلم . عندئذ تبدو اهمية النظر في الكفاءات التحصيلية ، من حقول الثقافة العامة تحلي ثمارها ملكة الاذعان للموضوعية ، ومن زاد الثقـــافة المهنية قوامها الضمير المهني .

ولكي لا يغيم القصد ، لا بد لنا من الوقوف قليلا عنـــد بعض هذه الصفات : المطبوعة والمكتسبة ، تنويها بمدلولها في مهمة ، التعليم . فما معنى متانة الاعصاب ، والنزوع الى الفال ، في ما ذكرنا من الطبائع ؟

متانة الاعصاب صفة تمكن المعلم من ان يهذب بالرفـــق ويرشد بالرحمة ويضبط بالهدوء ، وبهذا يبقي على محبة تلاميذه له وينمي ثقتهم به . والمعلم الذي يجد ان من عهد اليه بتعليمهم لا يحبونه ، عليه ان يبحث في اصلاح مـــا بينه وبينهم ، والا فليدعهم لسواه ممن يستطيعون الحفاظ على هذه الصلة الاساسية ، الجامعة المطمئنة . ومتـــانة الاعصاب الضامنة تبادل المحبة بين المعلمين والمتعلمين هي نفسها تكفل الصبر على مشقة التهيؤ الطويل للعطاء السخي .

اما النزوع الى الفال فهو خميرة الصلاح في قلب المعلم! بها يختمر ايمانه برسالته ، وبالتالي ايمانه بالانسان نفسه، انسانا جديرا بالتقدم والحرية . وهذا هو الايمان الذي نحتاجه لناخذ في تربية خلاقة ، نستوحي منها الثقة بان الحياة تستحق ان نقبل عليها ، وان نحبهـــا ، وان لا نالو جهدا في ترقيتها . وهكذا يتولد فينا تـــوق الى جعـــل تلاميذها ابهج قلبا ، واشرق نفسا ، واخصب فكرا مما كانوا عليه قبل ان كانوا في عهدتنا . واين لمن غلب الشؤم على نفسه ان يفتح في صدور الآخرين ورؤوسهم نوافذ على الحياة المشرقة ؟! ونحن ، في هذه السنين القلقة من عمر العالم ، محتاجون ، قبل كل شيء ، الى بث روح الاطمئنان في نفوس الاجيال الطالعة لكي لا يعرضوا عن الحياة قبل ان يباشروها بذواتهم ، او ان يميلوا الى ما فسد منها ، وفي كلا الحالين خطر نستطيع ان نفعل في سبيل تلافيه الشيء الكثير ...!

ولكي يستطيع المعلم الحديث ان يقوم بواجبه يجب ان يكون مربيا ، والتربية ، كما يقول علماؤها ، اعداد للحياة في جميع ميادينها . اذن ، لا مجال للشك ، فـــي ضرورة قسط وافر من الثقافة العامة يحرزه مربي اليـــوم حتى تتهيأ له مؤالفة الطبيعة والحياة الاجتماعية ، ويتيسر له الاخذ باسباب القيم المعنوية والروحية . ومن خلال هذه المؤالفة الشاملة يتسنى للمعلم ان ينفذ الى مفاهيم متنوعة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يدخر منها مؤونة تعينه على مشاركات ذهنية تشحذ ذكاءه وتولد في عاقلته الاذعان للموضوعيـة في ما يـدرس او يُدرّس . وبقدر ما يكون تمرس المعلم بالانضباط الموضوعي تزداد قدرته على العطاء المفيد ، ويشتد حرصه على الوقت، فلا ينفق منه هدرا على جوانب طريق التلمذة او خـارج نطـاقهـا .

وعند هذه الحلقة من سلسلة الحياة المدرسية تتصـل الثقافة العامة بالثقافة المهنية . ولكن ما يؤسف له ، يا اخي المعلم ، هو ان الكثرة من الزملاء مفقود عندها هذا الواصل المفروض وجوده بين المعرفة وكيفية العطاء منها . والاخطر من ذلك جهل بعض الزملاء ان التعليم مهنة أكثر منها معرفة وذكاء . وهؤلاء لو تيسر لهم عمل آخر لما اصبحوا معلمين، فهم ، والحالة هذه ، معلمون على الرغم منهم ، او علـى الاقل ، هم دخلاء على المهنة المضطلعة بتنشيء الانسان .

هنا تجدر بنا الاشارة الى مقومات الثقافة المهنية ليتبين لنا اين بلغنا من المستوى المطلوب في كفاءات المعلم الحديث؟

المفروض في المعلم ان يتهيأ ليهيء ، وان يأخذ ليعطي . لذلك وجب ان يتم اعداد شخصيته قائمة على اربعة اركان: تربوي ، ونفسي ، واجتماعي ، وعملي . فأين واقعنا المهني من هذا الاعداد ؟!

الحقيقة اننا ما نزال في مرحلة يختلـط فيهـا بعض الاختلاط ، القديم من اساليب التعليم بالجـديد منهـا ، فيتزامل المعلم المثقف مهنيا وآخر لا يدري انه يزاول مهنة حديثة ، ليس نقل المعلومات غير الجزء اليسير منها . وفي هذه المرحلة يترافق المعلم ، وريث مدرسة «تحت السنديانة» الحاكم المطلق ، والمعلم الموظف في الدولة او في المؤسسة الخاصة . كل هؤلاء يعالجون مهمة التنشيء على وجوه متنوعة حينا متباينة آخر ، والمثقفون مهنيا قلة بين هذه الكثرة من مزاولي التعليم .

والمعلم الذي ينتظر لبنان ان يكثر امثاله فيه هو الذي يعرف كيف يؤالف بين ضميره المهني وضميره الاخلاقي ، او بمعنى آخر هو من يعنى بالجمع بين الحرية والانطلاق ، وبين التقيد بالانظمة عناية يطمأن معهـا الى قـدر العطاء المعرفي والانضباط التربـوي ، من جهة ، والى تنميـة شخصية الطالب ، من جهة اخرى .

ونحن ، القائمين بالتعليم في لبنان ، والقيمـين عليه ، مدعوون الى الشدة في وضع الشعور بالمسؤولية بمثابـة الضمير المهني ريثما يبلغ اعداد المعلم الحديث درجة مهنية تؤمن سلامة التنشيء على خير وجوهه . لذلك فلنضـع نصب اعيننا ان تكون التربية الوطنية صحيحة الديموقراطية وافضل ما يعتمده المعلم لضمانة هذه الصحة ، ان يوفق ، في نفوس طلابه ، ما بين الحرية الفردية والتضـامن الاجتماعي . فالحرية الفردية هي التي تحبب الى الطالب الاستقلال والتجديد لينشأ حرا من عبوديات : الفكـر والاجتماع والسياسة . والتضامن الاجتماعي هو الـذي يحبب اليه التعاون والحياة المشتركـة ، مجندا مواهبـه لخدمة الحياة الكريمة الحرة ، ويحفزه للدفاع عن كيـان بلاده السياسي .

اذن بين الحرية الفردية والتضامن الاجتماعي تقع نقطة الدائرة من حقل التربية والتعليم ، وحول هـذه النقطـة المركزية يجب ان تتم المؤالفة بين الضمير الخلقي والضمير المهنـي .

واذا كان الضمير الخلقي ، كما عرف ، صوت اللـه في قلب الانسان او محكمته الشخصية ، فالضمير المهني يد الله تشد يد الانسان في طريق الشعور بالمسؤولية ، على ضوء ادراك تبعات المهنة والمحافظة على شرفها والقيام بها على خير وجـه .

اذن فالضمير المهني ميزان يقوم في باطن الانسان من شانه ان يرجح كفة المصلحة العامة على المصلحة الخاصة بما يضع في الاولى من وحي الحق وشرف التضحية ، والامانة للواجـب .

ولئن صح ، كما ادعى بعضهم ، ان الضمير المهني شبح مخيف يضطرب له كل قائم بأية مهنة ، وان قدر بعض المهن لا يساوي بعض ما يفرضه هذا الشبح من شدة ، فاننا يـا اخي ، نحن المعلمين ، احق اصحاب المهن كلها بمثل هـذا الشبح الخيّر ، لما في عهدتنا من جسام الآمال ، وما يرتجى على ايدينا من بناء المستقبل . غير ان هذا المراقب الصارم لا يبدو رهيبا الا لمن يميلون الى التفريط او العبث بالامانة المهنية . اما لمن يحفظون الامانة ويقومون بالواجب فانـه يتحول فيهم الى صفة مناقبية لا تستغني عنها اية مهنة ، ولا سيما التعليم .

فلنجر حسابنا ، يا اخي المعلم ، بيننا وبـين انفسنا ، معتمدين هذا الميزان المهني القائم في باطننـا ، قبـل ان يحاسبنا اي محاسب . وهكذا نكون بحـق رواد الاجيال الطالعة ومخططي الغد ، على هدى الحق والتضحية وشرف المهنـة .

نسيم نصر

لا اعلم

متى خلقت ؟.. لا اعلم !
لانني كل يوم اولد من جديد .
انا كالزهرة التي تذبل اوراقها في المساء
لتعطي الحياة لاوراق
وعطر جديد ، في الصباح .
انني تعبة .. لانني كل يوم امزق الغشاء
الذي يلفني عند الولادة
لاحضر الكفن عند المساء .

حلب **تيماء الناصر**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المعجزة التي تحققت بافريقيا

بقلم محمد جميل بيهم

* * *

تعتبر افريقيا اكبر جزيرة في الكرة الارضية ، وتقدر مساحتها بربع مساحة هذه الكرة . وكانت بما فيها من غابات وادغال ، ووحوش ضوار ، وسحر اسود ، وملل مختلفة ، ولغات متعددة ، تعد بلاد الغرائب والعجائب ولكن وجه الغرابة فيها كان يعود ، على الاصح ، الى تحكم خمسة ملايين مستعمر اوروبي برقاب ٢٢٠ مليون افريقي ، كانوا يستأثرون دونهم بخيراتها ، ويسومون اهلها سوء العذاب ، ثم هم يمنون عليهم ، وعلى غيرهم من المستضعفين ، بانهم يتحملون بعناء اعباء تمدينهم ، واثقال تحضيرهم ، وبانهم رحماء اذ يكافحون النخاسة في ديارهم .

وكانت افريقيا الى وقت قريب المعقل الاخير للاستعمار ، وكان الزنوج من اهلها مستسلمين للواقع السياسي كرها ، عنهم ، وراضخين للواقع الاجتماعي حتى كان ارادة السيد الابيض في صدد حقه بالسيادة على اخيه الاسود امست حنو ارادتهم .

وماذا ينتظر من زنوج افريقيا الذين كانوا يحكمون بالنار والحديد اكثر من ذلك وهم يرون ان اخوانهم في الولايات المتحدة ، وهي حامية الديموقراطية ، كانوا ولا يزالون كذلك ، يشكلون الطبقة الدنيا فيها على رغم ان دستورها الصادر في عام ١٨٦٥ ، الذي نص على تحرير الرقيق ، اعلن المساواة بين الابيض والاسود من رعاياها .

ولكن السنين العشر التي مرت بين عامي ١٩٥٠ــ١٩٦٠ قلبت الوضع السياسي رأسا على عقب بافريقيا ، وقد تعرضت لهذا الموضوع وزارة الخارجية الهندية بتقريرها الذي وضعه الباندیت جواهر لال نهرو رئيس الوزراء ، على منضدتي مجلسي البرلمان يوم ٢٩ آب ١٩٦٠ حيث قال:

« ان التطورات السياسية التي حدثت في البلاد الافريقية خلال السنوات الماضية قد غيرت خريطة القارة : ففي اوائل ١٩٥٠ كان في افريقيا اربع دول مستقلة فقط ، هي مصر واثيوبيا ، وليبيريا ، واتحاد جنوب افريقيا . وكان ما تبقى من افريقيا تحت الحكم الاستعماري لدول غرب اوروبا بصورة ، او باخرى .

وكانت الدول المستقلة تشغل تسع مساحة القارة الافريقية البالغ قدرها ٥ و ١١ مليون ميل مربع ، كما كان عدد سكانها اقل من ربع مجموع عدد سكان القارة . وما حل شهر اغسطس ١٩٦٠ حتى كان الوضع قد تغير تغيرا تاما . ففي التاسع من هذا الشهر بلغ عدد الدول المستقلة في افريقيا عشرين دولة ، يضاف اليها ثماني دول اخرى محدد لاستقلالها عام ١٩٦٠ ــ ١٩٦١ . وتبلغ مساحة هذه الدول ثلثي مساحة القارة ، كما يبلغ عدد سكانها ١٧٨ مليون نسمة من مجموع سكان القارة البالغ ٢٢٠ مليون نسمة . »

وقداستقلت بعدذلك اي في عام ١٩٦٢ روندا وبورندي والجزائر واوغندا ، فاصبح عدد الدول الافريقية المستقلة يومئذ ٣٢ دولة تتمتع بكامل سيادتها . ثم توالى استقلال البلاد الافريقية تباعا في السنين التالية حتى اصبحت القارة الافريقية تتمثل في هيئة الامم المتحدة اوفر من سواها ، وحتى اصبح رئيس هذه الهيئة في دورتهاالاخيرة واحدا منها .

والى هذافان هذا الانقلاب في الوضع السياسي الافريقي رافقه انقلاب آخر في الوضع العالمي لم يحدث التاريخ عن مثيل له . واعني بذلك انتقال السلطة العالمية من حوزة الذين كانوا في الامس اسيادا الى حوزة الذين كانوا عبيدا . فاذا اعتبرنا ان هيئةالامم المتحدة هي السلطة العليابالنسبة للعالم ، وان القول الفصل فيها يعود للكثرة ، جاز لنا القول بان افريقيا التي صار لها اكبر مجموعة اقليمية في هذه الهيئة اصبحت ، بحكم القانون ، صاحبة القول الفصل ، وبان الكتلة الاسيوية ــ الافريقية التي تضم اكثر عدد من اية كتلة اخرى في هذه الهيئة اضحت بالتالي صاحبة الحل والربط .

اما وان هذا الانقلاب العالمي قد حدث في نحو عشر سنين فهو يبدو وكانه معجزة . ولكنه ، وقد وقع في عصر السرعة التي الفناها فالغرابة فيه تبدو خفيفة في نظر المعاصرين الذين اصبحت السنة عندهم بمقدار مائة سنة مما كانوا ، في الامس يعدون .

زد على ذلك ان لاستقلال افريقيا وقيام ٣٥ دول في ارجائها بدل مفهوم المعاصرين عنها . فقد كانت وهي مجزأة بين انكلترا وفرنسا وقليل غيرهما تبدو وكأنها بلادمتوحشة كلها احراج وادغال مليئة بالوحوش الضارية المفترسة . اما الان فقد اصبحت على غير صورتها الاولى ، بلادا كسائر بلاد العالم لها حكوماتها وقوانينها ، ولها سياسيون يساهمون في اعباء النهضة والعمران . على ان الذي تجلى باستقلال افريقيا على اكمل وجه هو مبدأ المساواة الحقيقية بين البشر فلم يعد هناك سيد مستعمر ، وعبد مستعبد ، وان الفضل في كل ذلك يعود الى الثورات التي قررت هذا المبدا ، والى الحربين العالميتين اللتين بدلتا الارض غير الارض . وكم من شر كان مآله برا ، وكم من مكروه كان مصيره خيرا ؟ « وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم . »

محمد جميل بيهم

الالـم العظيـم

مطلق قيدهُ الحكمْ جار في الحب واحتكمْ
شعـرهُ نجمهُ الـذي حيّـرَ الشُّهب في الظلمْ
مِـــن قوافيهِ نسمة أنعشتْ خالي الرَّممْ
كنتُ في الدهر مثلهُ راوياتي مـن العـدمْ
مَنبتي في سفوحِـــه وهو يختال في القِممْ
يا حَنـوناً رأيتـــه خلف جفنٍ من الشممْ
غَلْغَـل النفس لحنـه في منيعٍ من الشَّيمْ
عـذب قيثارهِ شدا حزناً يقدحُ الحِممْ
فحملنـــا همـــه شكوة تنسج الهِمم
لاح حِرمان روحـهِ يـــترامى على النَّهمْ
نهمٌ للعـلى ومـــن نبعـــه عبَّ واستلمْ
كان حيناً على الهرمْ وهو أسمى من الهرَمْ
جاذبتـــني حروفـــه وهي في مَورِئل الذِمم
نسلَ المجـــد عِـــزه في عزيزٍ من الأممْ

* * *

يـا عظيمـاً مُؤآلمـــاً ولقـــد يُعظمُ الألمْ
عبقريـاً خُلقتَ ، لا تدع الشِّعرَ والقـــلمْ

دمشـــق زكي المحاسني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ابرهيم العريض

ابرهيم العريض .. شاعر الحياة

بقلم قدري قلعجي

عالم مغلق لدينا ، ليس في آثاره وانما في سيرته الذاتية ، لا نعرف عنه شيئا سوى انه قضى شطرا من حياته في الهند يدلنا على ذلك بعض ما قيد به بعض سوانحه الفكرية بزمان ومكان ، وانه من ادبائناوشعرائنا القلائل الذين يكتبون بغير العربية ، وان لديه مقطوعات انكليزية بعنوان Sonnets فرغ منها عام ١٩٣٢ ، وما زالت تحت الطبع .

وعلى هذا نرى انه لا مندوحة لنا من عبور واقع حياته الى صورة تلك الحياة في اجلى معانيها واسمى مبانيها ، وهي الكلمة الانيقة الرشيقة الواعية المتفتحة عن الازدهار الفكري والتفجر العاطفي العميق،منظومة كانت ام منثورة، ومن خلال مأثور كلمة امرسن : « سير اعظم النوابغ اقصر السير ، فابناء عمهم لا يستطيعون ان يقولوا لك شيئا عنهم . انهم يعيشون في كتاباتهم ، لذلك ترى معيشتهم في البيت والشارع لا يعلق بها شأن ما » ... وهل من شك في ان كلمة الاديب ، وحكمة الحكيم ، وتراث المفكر ، ولمحات الفيلسوف ، تبقى مهما تواضعت خير ما فيه !..

لذا ، وما دمنا جاهلين سيرة شاعرنا الذاتية ــ وقد يكون ذلك قصورا منا ــ غير ملمين باطراف حياته العملية ، فلندخل عالمه الفكري ، جارين في بعض ميادينه ، محلقين في بعض اجوائه ..

اول ما يجبه دارس اديب الخليج الكبير وشاعر البحرين ابرهيم العريض انه غزير النتاج ، واسع مدى الافق كما ، بعيد مطرح الفكر كيفا ، له اكثر من ديوان ، وقد جرى في اكثر من ميدان . نعرف من آثاره الشعرية : العرائس ، وقبلتان ، وارض الشهداء ، وشموع . وفي هذه الاثار القصيدة الوجدانية المعبرة عن ذاتيته ، والاقصوصة ، والقصة ، والملحمة ، ولهذا يمكننا القول على سبيل التقرير والتسجيل للواقع ، ان العريض هو احد الايادي القليلة في الشعر المعاصر ، التي فتحت ابواب القصيد على نوافذ الحياة المشرعة لمختلف اغراضها وفنونها ، ولا سيما الملحمة والقصة الشعرية ، وانه بالتالي احد الشعراء القلائل الذين تسلموا مشعل الشعر من يمين شوقي بتراث الشعر القصصي ومحاولة النفوذ الى دنيا الملحمة .

وانه لما يذكر لشاعرنا بالخير ، ويدل على رفيع ذوقه وكريم نفسه ، تلك المختارات الشعرية التي جناها جني عاملات النحل ، تطويفا في عالم القافية العربية خلال نصف قرن ، بسلافة تضم خيرة ما جادت به القرائح في عالمنا العربي في مجموعة : « من الشعر الحديث » التي كم توفر على القارىء من وقت وجهد للوقوف على تلك الاوابد في مختلف الاغراض الشعرية الحديثة ، التي هي انعكاس لصورة الجهد الفني وحسن الانتقاء ، لصاحبي الحماسة ابي تمام والبحتري ، لان في كل قصيدة من تلك القصائد المنتقاة ، وكل مقطوعة مصطفاة ، لون لزهرة ، وعبير لوردة ، وجمال للوحة ، وآية من آيات ابداع الكلمة ، في تفتح النفس للمعرفة ، واستلهام الكلمة الطيبة ، حتى لنستطيع القول باننا لو استنطقنا اصحاب تلك المجموعة من شعرائنا ، وسألنا كلا منهم ، ان يأتينا بالرائع من آثاره، وحددنا له الكم من قوافيه ، لما اصطفى غير ما سجله في مجموعته شاعر البحرين ابرهيم العريض .

ومن هذا القبيل ، ولكن بمستوى ارقى ، وبالغرض اوفى ، وابرز لشخصية المختار ، وادل على رفيع ذوقه وعمق معارفه ، وعلو كعبه في عالم الفن والفلسفة الجمالية، كتابه « جولة في الشعر العربي المعاصر » الذي اقل مايقال فيه ، ان ما كتبه في شرح تلك القصائد موضوع دراسات الكتاب يساوي في الروعة تلك القصائد ذاتها ، ان لم يفقها بعمق الفكرة واتساع الافق ، بل بروعة البيان والاداء ، مع ان من ترجم لهم وحلل آثارهم هم الاخطل الصغير ، وعمر ابو ريشة ، والبير اديب ، والصافي النجفي ، وفدوى طوقان ، واضرابهم وانداهم من ائمة البيان ، الذين تخطر كل قافية من قوافيهم في حلة من الاداء المشرق والفن المعجز ، ذلك السحر الذي تجلت فتونه لابي ماضي فقال بأسراره :

واحبس مؤتلق الجمال باصبعي ... في زرقة الافق الجميل العاري
ويبين لي كنه المهابة في الربى ... والسر في جذل الغدير الجاري
والسحر في الالوان والانغام والاد ... داء والاشذاء والازهار
باد .. ويعجز خاطري ادراكه ... وافتنتني بالظاهر المتواري

تلك الاسرار الشعرية والالطاف الفنية ، التي تترجم عن ذاتها بذاتها بروعة الخيال ، ودقة الاداء ، وحسن التخيل ، ولطف الاشارة ، ولكن الشاعر الدارس قد اجتذبنا من خلال لمحاته الذهنية ووميضاته الفكرية ، انطلاقا في جمالها الى

---

* يتابع الكاتب بهذا الفصل سلسلة من الابحاث عن ادباء الخليج العربي ، ويسره ان يتلقى من ابناء هذه المنطقة الفنية بالكفايات ، آثار ادبائهم وسير حياتهم وكل ما يساعد على القاء النور على تلك الطاقات المنسية والمواهب المجهولة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آفاق متناهية الاتساع ، غير محدودة العمق ، اندماجا بالتراث الذاتي للدارس الشاعر الذي نكتفي في هذا الفصل بالاطلالة من وراء مفاليق الفن على « شموعه » التي تجلو الى حد ما ذاتيته بتلك الضربات المبدعة لريشته الملهمةالتي تجمع طلالها والوانها من اغوار الحياة واسرار الطبيعة ، ترجمة للنفس الانسانيةبادق خلجاتها واسمى مشاعرها، ولا سيما ما كانذا صلةوثقى بعاطفة الحب الذييحيطه الشاعر بهالة من التقديس ، في صور ذهنية ان نقلت من عالم الكلمة الى دنيا الظل واللون كانت كأروع ما ابدعت ريشة الفتى الالهي رفائيل ..

لنسمع الى الشاعر وهو يتبتل في محراب الحب ، الى ربة الحسن ابنة الهند بهذه الصلاة ، ولما تقع له عين على ذلك الحسن الذي هو هيكل الجمال مجسما في انثى ، والذي اكتفى امير الشعراء بان غض الطرف عنه اجلالا وهو يتمتم :

صوني جمالك عنا اننا بشر ... من التراب ، وهذا الحسن روحاني
او فارتقي فلكا تاوينه ملكا ... لا تنصبي شركا في العالم الفاني

اما شاعر البحرين واديبها ، فقد ارتفع بصلاته الروحية باهاب آدم الى الملأ الاعلى وهو يردد بصلاة الواجد المأخوذ:

يا ابنة الحسن.. قد عشقتك صوتا ... يتهادى على جناح الاثير
انا اصغي اليك في ظلمة الليل ... كأني في عالم مسحور
ليت شعري..ايضحك البدر ليام ... انا في وسط حفلة للطيور
لم اكن قبل ذلك الصوت ادري ... ان في الارض كل هذا السرور
ما وعت من لحونك الاذن لحنا ... انما غبت .. غبت بين الزهور

ويرف في خاطر الشاعر قول بشار : « والاذن تعشق قبل العين احيانا » فلننظر كيف انعكس هذا المعنى في المخيلة المبدعة من تلك الصلاة الروحية التي هي افضلة قلبه وفيض شعوره ، وكيف اتم هذا المعنى :

يا ابنةالحسن.. عشت اهواك لحنا ... فاذا انت فتنة للرائي
نهلت من جمالك العين ما كانت به الاذن قبلها في ارتواء
كنت اجري مع الخيال الى ان ... لحت لي ، فانتهيت من خيلائي
روعة الحسن في تأمله الصا ... دق اضعاف روعة الاصفاء
اومض الحب في سماء وجودي ... فاذا الكون ضاحك الارجاء
لا تميلي بناظريك دلالا ... امهليني تنفس الصعداء
درة انت ، يا لحسنك في جيد الليالي الحسان ذات بهاء
وردة انت ، يالطهرك ، رفت ... حمرة في خميلة الشعراء
نجمة انت ، يا للحظك اذ يعلن معنى الحقيقة الغراء
حية انت ، يا لسحرك في الاغراء ، اذ تنهلين باستحياء
اعذريني اذا تلمست قلبي ... بين تلك الضفائر السوداء
دمية الهند ! ابدعتك يد الخلاق كي تعبدي ، فهاك غنائي !

ويجدر بنا التوقف هنا قليلا ، ليتملى القارىء معنى شوقي القائل : « او فأرتقي فلكا ، لا تنصبي شركا .. » الذي هو اشبه باصداف لامعة خلابة ، ويقابله بقول شاعرنا ابن بلد اللآلىء الكريمة : « دمية الهند ... » ليرى الى لغة الروح في ابهى صورة من صور انفتاحها على الكون تستوعبه بالتبتل للجمال .. وكذلك لنرجع الى معنى بشار : «والاذن تعشق .. » لنقارنه ونقابله بقول شاعرنا الذي جرى الى آخر الشوط في هذا المضمار :

نهلت من جمالك العين ما كا ... نت به الاذن في ارتواء

ولو شئنا ان نتابع الشاعر في اغنيته الذاتية لطال بنا السبيل وطال ، في رحلة ليس امتع منها للنفس ولا ابدع، تهذب الروح وتجلو صدا الذهن ، ترقق من المشاعر وتسمو بالاحاسيس ، وترتفع بالذائقة الادبية ، اندماجا في حالة نفسية ليس من ترجمة لها ابلغ من قوله هو ، وقد غاب عن الوجود غرقا في لجة العيون السود :

في سكون كانما خفض الليل ... له من جناحه الممدود
فاراني – ولا اراني – غريقا ... غاب في لجة العيون السود

فلنخرج اذن بالقارىء من هذه اللجة من اغاني العريض التي هي اغاني الحياة ، الى الشاطىء المقابل ، شاطىء الاداء الموضوعي ، مما ابدعته ريشته من اقاصيص شعرية نختار واحدة منها ، وهي ليست ارقاها ولا اسماها ، وانماادناها الى قلوبنا لان لحوادثها نظائر كثيرا ما رفت على ثرى اريافنا اختلاجا به واضطرابا في اجوائه ..

وملخص القصة ، وعنوانها « قصة قلب » ، غاية في البساطة التي هي انعكاس الحياة البدوية التي لا تعرف التعقيد او الالتواء .. فتاة نشأت يتيمة الابوين في كنف عمها التاجر الموسر البر بها .. ونمت وطيف ابن عمها النائي عنها – والذي لا تعرف منه سوى الاسم – يملأ عليها حلم حياتها ، فكان قلبها معبد الحب الذي اعتصمت به تعيش له وبه معا ..

وذات يوم ، وهي تحيا ربيع الطبيعة زهرة من زهراته ، وغصنا يانعا في خميلته ، رابها خيال انسان يختلس اليها النظر من خلال الاشجار التي تخطر بينها ، فداخلها الخوف والريبة والقلق ، ونفرت ظبيا شرودا يخفق قلبها باحاسيس غامضة ، واذا بطلوت رقيق وادع يناديها باسمها ويعرفها بذاته .. وكانت المفاجأة المذهلة ، فهو ابن عمها الذي طالما انتظرته وحلمت به !..

وتكبر صورة حبيبها في مخيلتها .. لقد غدا الحلم حقيقة واقعة .. لقد كحلت ناظريها بمرأى من عاشت له وبه .. لكن ، وقبل ان توقد شموع العرس وتقرع طبوله، افاق البيت الذي هو عش الورقاء الطهور ، على مناحة .. لقد مات العم ، وانحسر عن تلك المطوقة الناعمة جناح الرحمة ..

وودع الريف فواح زهرته الانسانية الناعمة ، اذا انتقل بها ابن العم الى المدينة .. وها هي تعيش في كنف من تحب .. ولكن في هذه المدينة الصاخبة اختفت عبارات الحب التي كثيرا ما سمعتها الفتاة من فتاها في الريف ، وعادت احلام العذراء وامانيها طيوفا من الهم واشباحاللقلق والحيرة والتساؤل ، فالفتى العاشق غدا خدين الكؤوس المترعة ينصرف من البيت ولا يأتيه الا غرارا ..

وفي ليلة من ليالي الامل الذي يغالب الالم ، والحلم الذي تغشاه الكوابيس ، اقبل ابن العم الى البيت بعد ان فرغ من معاقرة ابنة الحان ، طلبا للجسد وابتغاء للذة والمتعة ..

وعرفت الفتاة كيف تمتنع ، وكيف تتخلص بكلمة وعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهمسة توسل ، ولكن هل يعرف شيطان الجسد سوى الشر والولوغ في حمأة الرذيلة التي اذا ما حبست مكرت وعرفت كيف تنتقم !..

وعاد الفتى الحانق لا ليكفر عن خطيئته ، وانما ليطعن القلب الذي جرح كبرياءه .. عاد ليأمر تلك التي شغفت به بان تسير وراء زوجها الذي عقد له عليها ، والذي لم يكن الا احد رعاة مواشيه ..

وهكذا عادت ابنة الريف الى فلاتها كسيرة الخاطر ، ولكن عامرة القلب راضية الضمير ، وانما الذي رابها ان زوجها الراعي الطيب يعيش حبها حلما لا واقعا !..

وتتفانى الزوج في خدمة بعلها : تشتغل ، وتكدح ، وتشقى ، وترهق جسدا .. ولكن حلة الفقر التي تسربلتها لم تزد نضارتها الا رفيفا ، ونجم جمالها الا اشراقا ..

وعاد ابن العم الى الريف ليسمع حديث المتحدثين عن الطهر المجسم في اسمى معانيه بابنة عمه .. ونظر الفتى الى من نبذ فاصابه الذهول .. وحدث الزوج ، وراح يسترضي ابنة العم التي كم ود من قبل لو خان نفسه بها.. ولكن ، ها هي تسمع توسلاته فهل ترق لاناته ؟.. هل ترضى بطلاق زوجها الراعي المسكين، وكفاف عيشه ، لتنتقل الى المدينة وتسكن القصر ناهية آمرة ؟..

لم تتردد الفتاة التي كانت تعيش ايام الصبا احلاما تفتحت على صورة ابن عمها .. فان ابن عمها لم يبق الآن في ناظريها سوى صورة .. اما قلبها ، واما عواطفها ومشاعرها ، فقد وهبتها جميعا للراعي الطيب والزوج الوفي .. وهل تقدر الفتاة العربية الا ان تسير السيرة الفضلى ، وتكون القدوة المثلى !

اما كيف جلت الريشة المبدعة تلك القصة البسيطة ، فذلك هو العمل الفني الذي يشارك الخالق ابداعه ...

لقد عمد الشاعر الفنان اول ما عمد الى رسم لوحة عامة للبيئة التي احتضنت تلك السوسنة الانسانية الناعمة ، فاضفى عليها من الرقة والجمال ما يتناسب والنفس البريئة الطهور ، طبيعة فيها الكثير من التناغم والانسجام ، وتناسق هو التعاشق ، في مشاهد تحس من ورائها روح الكون بارزة فاتنة مجلوة كابهى عروس على مرايا الغدران فاتنة لماحة :

في الريف ... حيث تفسر الغدران احلام الجبال
فتحس بين خريرها روح الطبيعة في ابتهال
وكانما الليل الطويل بموكب الزهر الغوالي
يروي الى الآفاق قصة عالم وشك اكتمال
ويكاد يهمس في الدجنة كل نجم بالتتالي :
« نحن الحقيقة ، ما لجلوتنا حدود ، كالخيال »
ويقطر القمري عند الفجر من خمر الليالي
حتى اذا شرعت بحاجبها تطل من التلال
الفيت كل فراشة عذراء تجنح للوصال
وكانما وزن الصداق لها بحبات اللآلي
فاذا الطبيعة حفلة للعرس تفتن من رآها ..

بعد هذا التمهيد الطبيعي لجو القصة بتلك اللوحات المتناثرة عن ريفنا الحبيب ، يقدم الشاعر على مسرح الحياة تلك الفتاة الطهور التي هي ـ وموطن الشاعر مغاصات اللآلىء الباهرة ـ لؤلؤة محارتها النقاوة والطهر ، تعيش في ظل العم الحادب عليها حدب الاب ، يذهب ضاربا في آفاق الارض ليرجع سالما غانما حاملا اليها كريم الهدايا ورائع التحف ، وتحيا لشمعتها التي ترفرف من حولها اطياف الحلم الجميل :

كانت تعيش لشمعها عذراء تنتظر الاناره
في يقظة كالحلم من عهد طوته على الطهاره
فقدت أباها في الطفولة سيدا يحمي ذماره
مكنونة في دلها القروي عن صقل الحضاره
كالدر غلفه القذى عن الفه وسط المحاره
كم جاء بالتحف الثمينة عمها من كل قاره
اذ كان يرحل ـ لا كوالدها المزارع ـ في التجاره
فتقبلتها بالسرور ، وقبلته للبشاره
ان المضيرة بين كفيها ترجرج في الفضاره
ما ابرك العيد الذي في قربه تقضي نهاره
والعم يرعى « يتمها » عهدا يبر به اباها ..

لكن تلك السوسنة الانسانية والدرة التي محارتها الطهر، ليست بالراهبة الناسكة التي تعيش العزلة وتحيا الوحدة ، وان ضاقت النفس بمحيطها الاجتماعي ، فالطبيعة هي منطلقها الواسع ، تبثها احلامها وتخطر على وجهها فراشة ملونة الجناحين ، وزهرة فواحة الشذى ، تنسم اشذاء الريف وتردها زفيرا معطرا بسامي مشاعرها وبريء اهوائها، تطيل التحديق في البحر وتستلهم الافاق البعيدة :

عذراء ان ضاقت بها الدنيا على سعة الرحاب
من نزلها الريفي تحدق في الفضاء على اكتئاب
فهناك يفتن ناظريها البحر من ثبج العباب
في زرقة الافق البعيد كأنه لمح السراب
لا السيب يردعها ولا شوك القتاد ولا الروابي
عن أن تحول كل فجر خطوها نحو الهضاب
حتى اذا ما ذرّ قرن الشمس من خلف الضباب
تلمت كخط اسود بقبابها تحت السحاب
تلك المدائن ، حيث يعمل عمها نفضوَ اغتراب
فتود لو لحقت به ما بين هاتيك القباب
فتحل من دنيا الحضارة ـ كالغزالة ـ في سماها ..

وفي خطرة من تلك الخطرات الخلوية في الدرب المعشوشب الذي كل غرسة فيه حكاية حب وقصة قلب ، ووقفة يستجلي فيها الفنان الف لوحة ولوحة ، خرجت سوسنتنا الندية تبث الطبيعة احلامها ، والطبيعة ترد على كل لفتة من لفتات هذا الريم الشرود بحركة فيها معنى التحية والترحيب ، فاذا بها تشاهد على صفحة الماء وجها انسيا ، وكانت تعتقد انها منفردة في عزلتها فتنطلق على سجيتها :

خرجت تخايل ذات يوم بين احضان الطبيعه
في ملفع بنكاته كالليل اذ يوري شموعه
والعالم الانسي يشهد في مفاتنها ربيعه
والطير ينشدها ـ كما تهوى ـ اغانيه الوديعه
والعشب يثني ركبتيه حيالها ، ليري خضوعه
والزهر يومىء نحوها فتميل شاكرة صنيعه
والماء يلقط كلما ظهرت له ، صورا سريعه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مستجليا في كل وضع فتنة تحني ضلوعه
فتطيل من تسريح مرسل شعرها فوق الشريعه
لكانما هي تجتلي في العين مرآة بديعه
فاذا بها في الماء تبصر ... وجه انسان سواها ..

وتضطرب الحسناء وتذهل ، وتحس نفسها نهبا موزعا بين عوامل متعددة اشد ما فيها ذلك الوخز الذي تحسه بنهديها .. ويا لصوت الحياة يهز كيانها هزا ... وتسائل نفسها عن سر الطارق الجديد ، وكيف نفذ اليها .. لكن اعجب ما في الامر انه يناديها باسمها ، فهو اذن يعرفها.. وكيف لا وهو ابن عمها وان استعاذت منه بالله ، وطلبت منه ان يخلي لها السبيل لانه شتان ما بين نهجيهما :

ما رابها الا فتى يبدو غريبا في المكان
يرنو اليها في مباذلها بخبث .. وافتتان
هي وحدها ، هو وحده ، والطير يصدح بالاغاني
فتحس وخزا ملء نهديها ، وتجهل ما تعاني
ماذا يريد ؟ وكيف جاء ؟ ولم تمر سوى ثوان
وتراه يهتف باسمها ، واذا به عذب اللسان
فكان جمرا بات يلذع وجنتيها ـ وهو دان
قالت : « خلِّ الطريق فان شانك غير شاني
قد عذت بالرحمن منك ..» واوغلت وسط الجنان
واذا به كالظل يتبعها .. واوما بالبنان :
«لا تعجلي! اني ابن عمك ، قد نكرتني اشتباها..»

وتظلم الدنيا في وجه العذراء بانطفاء نور الحياة في عيني عمها ، وتنضم الوردة الفواحة للاناء الجميل الذي هو قصر ابن عمها في المدينة ، وتكابد الفتاة برحاء التمزق الداخلي تجاه الكائن المعبود الذي احبته قبل ان تراه وتخيلته منذ نعومة اظفارها صورة كاملة للرجل ، ولم تكحل ناظريها برؤيته حتى مات عنها العم الحادب ، لكن ما لذاك الذي تابعها في الروض متابعة الظل يتجاهل واقعها في البيت؟.. الا يحبها ؟.. الا يريدها ؟.. سؤال حيّر منها اللب ولم تر محيصا للتنفيس عنه الا ان ترجع الى «دايتها» بالاستشارة، والعجوز خير من تهدي الخطو النزق والطرف الحائر .. وتسيل منها العبرات، وتصعد الزفرات ، وتعاتب الزمان..

ويجيئها في ليلة ثملا ، فيحفل بالسجاف
وكانما في لحظه ما غار من أثر السلاف
فتثرن في اعطافها اجراس وجد غير خاف
ورات ـ لروعتها ـ يدا تمتد من فوق اللحاف
أتخونه في نفسها ؟.. ما كنزها غير العفاف !
فتحس احساس الفريسة وهي تجهد في انحراف
وتصيح: «انت قد جننت! اما تخاف؟ الا ينافي؟ »

وتفلت الفريسة من انياب الذئب الكاسر ، وتنجح في النجاة منه ، ولكن الى اين ؟.. الى قهقهة الجزار وهو يرقص فوق اشلاء ضحيته معربدا .. فقد جاءها بعد ايام يبلغها انه قد عقد لها على راعي خرافه !..

وتعود ابنة الريف الى فلاتها ، لا لتنعم جسما بالراحة ، وانما لتسعد نفسا بافناء جسمها بالكد المرهق والمشقة التي لم تتعود احتمالها ، لترضي ذلك القلب الطاهر الذي ما لامس منها الشفاه وان احست بآي العبادة نحوها تنطق بكل جوارحه ، فتعمل وتكد وتشقى ..

وعاد ابن العم الى القرية بعد حين مع جماعة من رفاق لهوه وعبثه ، ورأى كبيرهم ـ وهو الذي اختبر وجرب ، وعرف كيف ينعم البصر ويمعن البصيرة ، ويعرف مواطن الجمال ـ احدى الفلاحات الكادحات، فاعجبه حسنها وقال:

ما الحسن في حواء موقوفا على ذين .. وذين..
انظر الى تلك البليلة ، وهي تنسل باليدين
والماء يجري فوق كاهلها المقوّس ، كاللجين
حسنا كهذا في زوايا الارض لم ترقط عيني
لا في الرواء ، ولا الخطوط ، ولا اعتدال المنكبين
وانا الذي حيّرت سني راحلا في المشرقين

وينظر ابن العم الى تلك الفلاحة الكادحة :

فيرى لاول مرة حسن الحياة بناظريه
واذا بها ابنة عمه بالسدر تنسل ، لا سواها ..

ويحس الفتى المغرور أي كنز اضاع ، ويود لو استرده بكنوز الارض جميعا ، فيأتي اليها محاولا ، متخذا لغة الروح والجسد معا ، لغة الدنيا مزخرفة ، والاماني قصورا شواهق ، والامنيات احلاما عذابا ، راجيا ان يسمع كلمة واحدة من فيه تلك التي لم يرها الا بعيني غيره ، والتي لم يزدها الارهاق الا نضارة ، وتفتحت برغم البؤس براعم الجمال فيها ..

لقد وقف ليستمع الى كلمتها التي هي قضاؤه وحكمها الذي هو قدره ، وكان موقنا بانه مكفر عن خطيئته ولا شك ، مستعيد كنزه ولا ريب ، لا سيما وان الزوج ترك لها الحرية في الاختيار !..

واختارت الفلاحة الكادحة .. اختارت رفيق حياتها وشقائها :

لا شان لي في غيره ، ما دام لي في الحب خيره
اني رضيت به ، وان تمض الشؤون بنا حقيره
اما هواك ، فقد كفرت به كتابا .. غير سوره
والله ، لو امسى اليك البحر ، تخرط لي شذوره
وجعلت لي ـ في وسعه ـ ملكا تبوؤني سريره
لرفضت بالحسنى عروضك لي ، وقد قبحت سيره
وابيت ان القاك ـ الا مثل ما القاك : صوره

هذه ظلال من تلك الاقصوصة الشعرية التي لم نأخذ منها الا لمحات خاطفة ، والتي ان اجرينا عليها القلم مشهدا مشهدا وفصلا فصلا ، كانت قصة رائعة تشهد للشاعر بالبراعة وسعة الافق وعمق التجربة والاصالة الشعرية ، ولكننا لم نعرض الا لنذر يسير من نتاج الشاعر ، في اجزاء بسيطة من قصة شعرية واحدة ، فكيف بنا لو وقفنا على كنوز هذا الديوان : « الشموع » ، ناهيك عن استجلاء باقي آثاره الشعرية من قصصية محضة الى تراث ملحمي ، فضلا عن آثاره النثرية التي يصح فيها من ناحية الاداء قول الشاعر في تحليل اثر من آثار زميل له : « وفي هذا الاسلوب من اثر الفن طابع النقش البارز الذي ينطق لسان الحجر الصلد في صفائح المرمر بالحفر الدقيق .. » اما من ناحية المعنى والمحتوى فاننا نقول مخلصين ان ابرهيم العريض هو شاعر الحياة بكل ما فيها من غنى وتنوع واثارة تخلب اللب ، وتحرك النفس ، وتدعو ابناءها الى النهل من معينها الذي لا ينضب .

قدري قلعجي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غير مجد

ثريا ملحس

بارد قلبي مثل ثلج يعاني
هابط روحي حيث أمي أمان
كل ذكرى كالصخر فوق اللسان
كل رمش كالشوك كالافعوان
« غير مجد في ملتي واعتقادي »

*

كنت أمسِ بالنور مثل المغاني
كنت أمسِ أراك ملء المكان
اسمع الصوت ساميا بالمعاني
في دروب حفت بكل الهوان
« غير مجد في ملتي واعتقادي »

*

كنت كالطفل سابحا في الحنان
قلب أمي كموطني والجنان
دونها عيني دون رمش تراني
دونها قلبي خائف كالجبان
« غير مجد في ملتي واعتقادي »

*

قصتي كانت في حنايا اللسان
عقدة ألف عقدة كالرهان
بلسما كان لفظها كالجمان
تقرأ السر لي وكالترجمان
« غير مجد في ملتي واعتقادي »

*

يا « سزيف » رد القضا بالطعان
رحمة بالقلب الغريب المكان
كأسير مجاهد في بيان
أخرس الموت كل انسٍ وجان
« غير مجد في ملتي واعتقادي »

*

ترتجي أمي فك اسر المعاني
ترتضي حكما قاطعا كالسنان
عندها الموت رحمة في العنان
رحمة البارىء القدير العوان
كل ما تبغي ركعة في الزمان
كل ما تصبو راحة في الجنان
« غير مجد في ملتي واعتقادي »

*

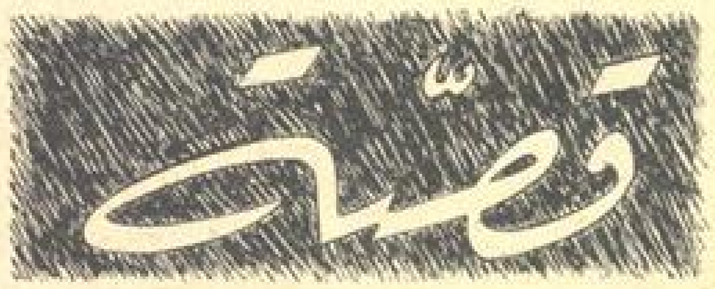
كنتِ أمنا بألف قلب تعاني
كنتِ تحكين باللغى والبيان
كنتِ لحنا مثل الصبا والحسان
صوتك الدفء في عروقي كياني
هل ترى تعزفين لحن الاغاني
نسمع الصوت في رجا البيت ران
« غير مجد في ملتي واعتقادي
نوح باكٍ ولا ترنم شاد »



ARCHIVE.
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدراجة الحمراء

بقلم الانسة رينه عبودي



هذه الدقات المتتالية ، هذه الجموع .. هذه الساعات .

انا لا احفل . وجوه غريبة . انا لا احفل بها .

لم يتغير شيء على كل حال . لن يتغير اي شيء . لولا قبوعه هناك مستسلما حزينا لما صدقت الامر .

لقد اتوا بها البارحة ومن ثم مضوا بها . كانت هي ولم تكن ..

كان يريد سحبي بعيدا عنها . لماذا؟ كنت احاول الصلاة . كنت احدثها. لكن نظراته كانت تنتشلني منها .

لقد ذهب معي هذا الصباح لاختار دراجة ، كان يضع يده على كتفي بقوة واستسلام . ابتسمت في وجهه واخترت دراجة حمراء .

ينسى احيانا انه قد سبق وسألني، فيقول :

ـ هل نظفت الدراجة ؟ نظفها جيدا يا بني .

فاجيب وكأني اسمع سؤاله لاول مرة : لقد نظفتها يا ابي مرارا . لقد ازلت عنها الزيت والشحم كله هذا الصباح .

وفي كل مرة كان يقرع الباب وتتوافد جموع الناس وكان علي ان اتقدم فاحييها ثم اقدم لفائف التبغ .

كانت نظراتهم تلتهمني . اشفاقهم عار . لكني ابتسم وكأن لا شيء قد حدث فتقول احداهن :

ـ يا للغلام الصغير الشجاع .

لا اريد ان انظر اليهم ، لا اريد سماع ملاحظاتهم .

طلبت من ابي ان اذهب الى سمير القاطن على مقربة من بيتنا لكن ابي رفض .

قال : الوقت بات متأخرا ..

ثم عاد يسألني : هل نظفت الدراجة يا بني ؟ نظفها جيدا .

وهذه السيدة تهمس لابي، تريدني ان اذهب لقضاء الاحد عندها .

قلت : لا، لا اريد الذهاب . سامكث هنا ، في البيت ، الاحد .

ويسأل والدي : لماذا لا تريد الذهاب يا بني ؟

فاقول : سامكث هنا ، في البيت ، الاحد .

فيقول للسيدة وهو يهز راسه : دعيه انه يريد البقاء هنا .

وهذه الدقات المتتالية وهذه الجموع وهذه الساعات، وهذه السيدة التي تحاول جر راسي الى صدرها وهذه التي تمسك بيدي وتسألني بصوت منخفض في اية مدرسة انا وتلك التي تحدق بوجهي وتردد لجارتها : كم يشبهها .

ويغادر بعضهم ويدخل آخرون ، مرة هو ساعي البريد وبيده اوراق برقيات ومرة هو الكاهن ، بسمات كلها جد ، والباب لا يكاد يغلق حتى يعاود فتحه ، واحيانا يقول ابي : خذ دراجتك الى مكان آخر .

ان صحن الدار كله مشغول بالمقاعد ولم يبد بيتنا حزينا مثله اليوم . حتى النور الضعيف في اعلى سقف القاعة المشرفة على فناء الدار ، يبدو نورا موشكا ان يموت .

اتخيلها احيانا تصعد السلم هناك، داخلة الى غرفتي وبيدها كأس من الماء . لكم كانت تكره هذه السلالم ، سلالم من على اليمين ، سلالم من على اليسار . كل هذه السلالم كانت تنهك قواها . لكنها كانت دائما تبتسم والكلمة الوحيدة التي قالتها حين شعرت بان قواها في طريقها الى التهاوي يوما بعد يوم . كلمتها الوحيدة قالتها بصوت متعب : اعتقد ان حظي قليل ..

ان عمتي لا تكف عن البكاء . لقد اصبح وجهها شديد الاحمرار . لم تعد جميلة ابدا . وان لم تكن ابدا جميلة كوالدتي . وانما كانت طيبة تحب والدتي جدا . كانت تساعدها كثيرا . اجل اذكر ذلك .. كان ذلك قبل ان تتزوج من الرجل الجالس في الزاوية يطيل النظر اليها منتظرا توقفها عن البكاء .

ابي يظل صامتا ساهما فترات طويلة وحبات السبحة الصفراء تتساقط من بين اصابعه . شعره اصبح ابيض فجأة. انه لا يقطع الوجوم الا نادرا فيقول للحاضرين الجدد :

ـ لقد اشترينا له هذه الدراجة الجميلة حتى ينشغل عنها. هكذا نصحوني ..

ثم يسألني على عادته : هل نظفتها؟

ومرة سمعته من غرفة مجاورة يقول : لقد حضره الاساتذة بشكل جيد لتلقي الخبر ، لقد دخل الى غرفتها حين اعدناها من المستشفى ثم لبث فترة طويلة قرب قدميها يصلي وحين اردت جذبه الى الخارج نظر الي بقسوة وكأنه يقول لي : هذا من شأني وحدي . انه قد اعد اعدادا حسنا لتلقي الخبر اما اخته فقد هرولت مسرعة تغادر الغرفة باكية فزعة . لم تكن قد اعدت بصورة جيدة فلم تتحمل ذلك .. انها الان عند خالتها .

وكنت اقدم السجائر على عادتي ثم اجلس بجوار ابي ومرة قرب دراجتي المستندة الى الحائط . وفيما كنت منصرفا الى تأمل موطىء القدم في الدراجة شعرت بيدين تمسكان بوجهي ، بنظرة حانية تلفحني بقبلة تطير على خدي وكأنها البكاء .. فحاولت بنظرتي الدهشة المتكبرة اقاوم بها فيض الحنان هذا وفجأة وقبل ان اشهق بالبكاء اسرعت اخفض بصري الى موطىء القدم في الدراجة ولم ارفع راسي الا وشعرت ان الباب اغلق اخيرا خلفها وان امي تنام هناك بعيدا هذه الليلة ، وحيدة .

حلب — رينه عبودي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من « العروة الوثقى » في لندن

* * *

المعروف لدى الكثيرين من محبي الفلسفة ودارسيها ان الفيلسوفين الاغريقيين افلاطون وارسطو هما اعظم فلاسفة الاغريق القدماء ، على الرغم من تنوع هذه الفلسفة ومن امتدادها الطويل من ٦٠٠ ق.م الى ٤٠٠ ب.م ، وعلى الرغم من ان الفلاسفة المتأخرين كانوا اقرب الى الناحية العلمية النظامية والى الافكار الحديثة . وقد ظل هذان الفيلسوفان يتمتعان بمكانة رفيعة مدة الفين وثلاثمئة سنة تقريبا ، وكان ضررهما من ناحية التقدم العلمي عظيما ، وذلك لان ما كتباه كان واسطة لجأ اليها رجال الدين في القرون الوسطى للدفاع عن الدين . وقد طمس هؤلاءمعالم ما كتبه الفلاسفة الآخرون من اغريق ورومان مدة الف سنة لان اولئك الفلاسفة كانوا اقرب الى التفكير العلمي الحديث والى الاهتمام بمصير الانسان ومعيشته في هذه الدنيا . والنهضة في اوروبا هي التي بعثت من جديد الاهتمام بالفلسفة الاغريقية والرومانية على عمومها وبدون الاقتصار على فلسفتي افلاطون وارسطو .

وفي ثماني مئة السنة الماضية ، اي منذ القرن الثاني عشر ، اجتازت الفلسفة في اوروبا وفي الغرب عامة ثلاث مراحل تطورية : ١ ــ فقد بدات بالدفاع عن الدين وباتخاذ التفكير الفلسفي واسطة لذلك ، كما فعل علماء الكلام بين المسلمين . ٢ ــ وفي المرحلة الثانية ، وهي العصر الذهبي للفلسفة الحديثة ، اخذ الفلاسفة يحكمون العقل في كل شيء ، ولم يؤمنوا ايمانا اعمى بما تقوله الكتب الدينية . وكانت بداية هذه المرحلة سنة ١٦٠٠ حينما احرق العالم الفلكي « برونو » من محكمة التفتيش الدينية ، ودامت المرحلة حتى سنة ١٨٥٠ : والمرحلة الثالثة ، وهي اقصر هذه المراحل ، تتميز بدفاع الفلاسفة عن العلم النظامي . وهذه ظاهرة غريبة ، لان الفلسفة في الاصل تعتمد على غير ما يعتمد عليه العلم النظامي . فالفلسفة كالدين تعتمد على اعتبارات مسلم بها مقدما ، في حين ان العلم النظامي يستخرج هذه الاعتبارات بعد اختبارات ومشاهدات ، ولا يسلم بها مقدماً .

والمرحلة الثانية من هذه المراحل هي المرحلة التي تسمى احيانا بعصر العقل ، في القرن الثامن عشر بصورة خاصة. في ذلك العصر كان العلماء والفلاسفة لا يرون شيئا يفوق العقل في القدرة على كشف الحقائق والوصول الى اسرار الكون ماديا وروحيا . فالعقل في رايهم هو الحكم المطلق على كل شيء ، لا يأتيه الباطل لا من بيديه ولا من خلفه . هذا التشدد في التمسك بالعقل والاعتماد عليه اعتمادا غير مقيد أثار رد فعل شديد فيما بعد ، واخذ الفلاسفة يشكون في صحة حكم العقل ، كما شك « كانت » و « فرويد » بعده . ولا ننس ان الفلسفة الوجودية كانت رد فعل من هذا القبيل ، وكان رد الفعل عندها انها اشركت الاختبار الذاتي والعواطف في الحكم على الاشياء ، ومعنى ذلك ان عصر العقل كان يهتم بالاشياء او الامور التي يراد معرفتها ، ولكنه لم يكن يهتم بالشخص الذي ينشد هذه المعرفة . فكلمة « ديكارت » المشهورة بقوله : « انا افكر فانا موجود » وجدت رد فعل ضدها ، وصار يقال : « انا موجود فانا افكر » ، اي انا موجود قبل كل شيء ، وان هذا الوجود يجب ان يؤخذ بعين الاعتبار اولا . وكما ان عصر العقل كان رد فعل ضد الفلسفة الكلامية في القرون الوسطى ، كذلك كانت الوجودية رد فعل ضد العقل .

ولكن ما هي هذه الفلسفة الوجودية ؟ للجواب عن ذلك يجب ان نبحث في الفرق بين شيئين مهمين ، وهما : الماهية والوجود . فأن الفلاسفة عموما كانوا ولا يزالون يجردون من الاشياء المادية فكرة خيالية عامة . كأن يقولوا مثلا ان زيدا وعمروا وخالدا يشتركون في صفة جوهرية وهي صفة البشرية او الانسانية ، دون ان يهتموا بزيد ما هو وحده او بعمرو ما هو وحده ، او بخالد ما هو وحده. فالوجوديون لا يهتمون بتلك الصفة الخيالية المجردة، ولكنهم يهتمون بالشخص المعين ذاته ، اي بزيد او بعمرو او بخالد. فهم يرون ان الاكثار من التجريدات المعنوية يبعد الانسان عن الحقيقة والواقع ، فيجب اذن ان لا نعتمد على الافكار المجردة ، وان نعتمد فقط على ما نراه ونختبره ونشعر به بانفسنا ، وعلى ما توحي اليه سليقتنا وطبيعتنا. والوجودية رفض لجميع التفكير المجرد وانكار للفلسفة العلميةوالمنطقية المحضة ، او هي كما قلنا انكار لما يحكم به العقل المجرد . على انه حكم مطلق لا مرد له . ولذلك فان الوجودية لا تدعو الى الاهتمام بهذه العقليات المجردة ، وانما تدعو الفلسفة الى ان تهتم بدلا من ذلك بالانسان على حقيقته وفي مشاعره ومعيشته وتجربته العملية وفي البيئة التي يعيش فيها وفي مقامه وموضعه من الطور التاريخي الذي يوجد فيه ، على ان تكون العناية في البحث متجهة الى جعل الفلسفة طرازا من العيش لا نظاما خياليا مبنيا على المجردات الفكرية الخيالية . ومعنى ذلك ان الوجودية بحكم كونها فلسفة يجب ان تكون فلسفة يعاش بها . والفلاسفة الوجوديون يقولون ان الذي نعرفه من هذا العالم الخارجي لا يخرج عن صور صادرة عن اختباراتنا الشخصية، فالعالم في حقيقته لا يصل الينا الا عن طريق تجاربنا ، وتجاربنا هي التي تصبغ هذه الحقيقة بصباغها الخاص . فالحقيقة في هذا العالم اذن شخصية خاصة ، ولا يمكن ان تكون خلاف ذلك ، ولهذا يجب ان نبدأ من الحقائق كما نراها

شخصيا وكما نشعر بها في اعماق نفوسنا ، لا كما يراه الفيلسوف المثالي او المفكر النظري بآرائه المنطقية المجردة. وخلاصة القول ان الاهتمام في عصر العقل كان بالمعقول المجرد ، فاصبح الآن في راي الوجوديين محصورا بغير المعقول .

وكيف كان منشأ الوجودية ؟ كثير من الكتاب في الوجودية يرون ان الفيلسوف الدانماركي « كيركيغور » هو الذي وضع اساس هذه الفلسفة الحديثة . وبعضهم يرى انها اقدم من ذلك ، وانها تعود الى الفيلسوف الالماني « هيكل » . بل ان بعضهم وجد عند الادريين Gnostics قبل المسيحية وبعدها بقليل ما هو شبيه بالفلسفة الوجودية . وكتب « كاوفمان » عن الوجودية فارجعها الى دوستويوفسكي الروسي (١٨٢١ ـ ١٨٨١) ، ولو ان الفيلسوف الدانماركي (١٨١٣ ـ ١٨٥٥) عاش قبله . ولكن دوستويوفسكي كتب من وحي نفسه ، غير متأثر بمن قبله كما تأثر الدانماركي بالفيلسوف الالماني « هيكل » . ومع وجود هذه الاختلافات ، فان المتفق عليه عموما ان الفيلسوف الدانماركي هو الذي وضع اساس الوجودية ، وهو اول من استعمل كلمة (وجودي) او انه اول من وضع كلمة (الوجودية) .

ولا نريد هنا ان نعود بالبحث الى العهد القديم لمعرفة اصول الوجودية وكيف نشأت ، ولكننا نبدا من الفيلسوف الالماني «هيكل» ثم ننتقل الى الوجوديين امثال «كيركيغور» الدانماركي و « ياسبرز » و «هايدكر» الالمانيين و «سارتر» الفرنسي وغيرهم . ونبدا هذه البداية لان كيركيغور تأثر بآراء هيكل ونفر منها ، وكانت هذه النظرة سببا في ايجاد فلسفته الوجودية ، او وضع الاساس الوجودي الذي بنى عليه « هايدكر » الفلسفة الوجودية بعده ، والفيلسوف هيكل في فلسفته مزيج من الفلسفة العقلية التي تؤمن بالعقل ومن الفلسفة الروحية التي تؤمن بوجود روح لكل عصر ، تظهر متمثلة في نظم ذلك العصر ومؤسساته وعاداته وقوانينه وفنه وشعره . فالانسان في راي هيكل ليس الا صنيع زمانه او عصره ، ولا يفهم الا عن طريق تاريخه . وهذا قريب من قول الوجوديين بأن الانسان لا طبيعة له وانما له تاريخ . ومعنى ذلك ايضا ان الانسان لا ماهية له، وانما هو نتاج التاريخ او العصر الذي يعيش فيه ، وهذا التاريخ في الحقيقة هو من صنع الانسان ، والانسان ايضا لا معنى له خارج التاريخ . فهذه الاقوال يمكن ان تعتبر بانها اقوال وجودية ، ويمكن ان يعتبر هيكل بانه فيلسوف وجودي على هذا الاساس .

ولكن هيكل بهذه الافكار ادخل في فلسفته شيئا من التناقض ، وكان هذا التناقض سببا في انحراف تلامذته ـ ماركس ونيتشه وكيركيغور ـ عنه . وقد ترك لنا كيركيغور حكاية عن التغير الذي طرأ عليه وعن فلسفته الجديدة . يقول كيركيغور انه كان يوما من الايام في احد مقاهي كوبنهاكن في الدانمارك ، يدخن سيكاره كالعادة . فأخذ يفكر في نفسه ، وكيف انه لم يتوفق حتى ذلك الوقت في ايجاد عمل له او اختيار مدار عيش له ، مع ان الكثيرين من رفاقه قد استقروا في اعمال لهم واوجدوا لانفسهم اسماء في التجارة او في عالم التأليف والنشر . كان كيركيغور في هذه الافكار متأثرا بفلسفة هيكل التي كانت طرازا فاشيا في ذلك الوقت ، فقال ان كل انسان يسعى الى تسهيل الامور ، منهمك في جعل المعيشة في متناول اليد ، ولكن لعل الحاجة في هذه الدنيا تدعو الى وجود احد لا يسهل الامور ولكن يصعبها ويجعلها شاقة ، ويسعى الى ايجاد المصاعب ، كما كان سقراط يفعل . ولم يحتج كيركيغور الى البحث طويلا او بعيدا عن هذه المصاعب ، بل وجدها في معيشته هو ، بما اشتملت عليه من الاهواء والهموم وآلام الاختيار لمسلك دون آخر . وعلى هذا الاساس بدأ كيركيغور فلسفته ، يبحث فيه عن وجوده هو ، وكتب ما كتبه في هذا المعنى ، ومعظمه كان بعد سنة ١٨٤٠ . وظلت هذه الكتابات المهمة مجهولة في الخارج مدة طويلة ، ولكنها وجدت اخيرا تربة صالحة بعد سنة ١٩١٨ ، اي بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى ، حينما درسها فيلسوفان المانيان هما « يا سبرز » و « هايدكر » وهايدكر هو الذي طور فلسفة كيركيغور واخرج منها الفلسفة الوجودية بصورة واضحة ، ولم تدخل فلسفة هايدكر الى فرنسا الا بعد ١٩٣٠ ، حينما ترجمت كتبه الى الفرنسية فلاقت اقبالا شديدا من المفكرين الفرنسيين الذين كانوا في ذلك الوقت قد سئموا من المدنية البورجوازية قبيل حادثة مونيخ ، ولكن فلسفة هايدكر ظلت كامنة في فرنسا ، الى أن جاءت الحرب العالمية الثانية فبرزت بروزا كبيرا ، ولا سيما على يد الداعية الاول لها وهو جان بول سارتر ، وكان سارتر في ايام شبابه الاول قد ذهب الى المعهد الفرنسي في برلين ودرس هناك فلسفة « هسرل » وفلسفة « هايدكر » .

كان الايمان بالعقل في القرن الثامن عشر في اوروبا ايمانا وثيقا ، وكان الاعتقاد السائد ان الانسان سائر نحو التقدم بفضل هذا العقل . وفي القرن التاسع عشر بقي الاعتقاد بالتقدم سائدا ، ولكن الاعتقاد كان يرى ان هذا التقدم لا يكون بسبب العقل وحده ، وانما هو تقدم محتوم لا مفر منه ولا يأتي عن طريق المجهود المنظم او التدبير المقصود ، بل يأتي وحده بدون منظم او مدبر . فالتقدم في هذا المعنى تاريخي وطبيعي ، ويكون مسيره مطردا ثابتا ، ومن طور أدنى الى طور احسن منه وهكذا . وقد نشأ هذا الاعتقاد على اثر التقدم الباهر في العلم النظامي وفي العلوم الطبيعية الاخرى . وجاء البرهان على التقدم التاريخي والطبيعي ايضا من ناحية ثانية ، وهي نظرية النشوء والارتقاء التي اتى بها العالم الانكليزي « دارون » في سنة ١٨٥٩ في كتابه المشهور « اصل الانواع » . وكان لهذه

ربيع العمر

وحق هـواك سهمك قـد اصابا
وكنت حسبت ان العقـل ثابـا
ودمع كنـت امسكـه فلمـا
عشقتك ما حسبـت له حسابـا
دعاني الشوق فانهلّت عيوني
تلبي دعـوة الشـوق انسكابا
عرفت السهد حين خطرتِ نشوى
بثوب كـاد يفقدنـي الصوابا
ارى في وجنتيك دماء قلبي
والمـح فـي محيـاك الشبابا
خطـرتِ بارجـوانـي وحلـي
فهبت ، وحـق حسنك ان يهابـا
ربيـع العمـر ايـام وتمضـي
حرام ان نذوق بها العذابا !

لندن — سعيد العيسى

من « العروة الوثقى »

النظرية اثر كبير في الفلسفة ، ولم يضعف هذا الاثر قليلا الا بعد ظهور الوجودية ، ومن الامثلة على تاثير هذه النظرية ان النظرية المادية الماركسية مبنية عليها ، وان « هربرت سبنسر » الانكليزي جعلها اساسا للفلسفة عامة ، وان « نيتشه » الالماني كان اكثر الفلاسفـة تاثرا بهـا ، وان « بركسون » الفرنسي كان من المؤمنين بها . ويهمنا من هذه النظرية الداروينية في بحثنا هذا امران : الاول ان النشوء والارتقاء كان بفعل قوى عمياء عارضة ، والثاني ان هذا التطور كان يستلزم جهادا وصراعا من اجل البقاء ، فمن كان من المخلوقات صالحا بقي على قيد الحياة ، ومن كان غير صالح فني وباد . والامر الاول وهو ان التطور او النشوء والارتقاء كان عارضا وبفعل قوى عمياء تعمل على غير هدى يثير اسئلة مختلفة . منها مثلا : هل العالم سائر بقوة عاقلة تعمل بقوانين ثابتة ؟ وهل يستطيع الانسان ان يغير مجرى التطور وكيفيته بترتيبات واوضاع مصطنعة ؟ وهل معنى هذا التطور ان الانسان يجب ان يغـير نظمه وقوانينه الاجتماعية وعاداته بحسب كل طور يمر فيه ؟

والسؤال الاخير هو الذي يهمنا في الدرجة الاولى لشدة علاقته بالوجودية . وهنا يجدر بنا ان نلقي نظرة على فلسفة « نيتشه » الالماني ، لانه في هذه الفلسفة صلة الوصل مع الوجودية . يقول « نيتشه » ان المبادىء الاخلاقية فـي المجتمع مبادىء نسبية بحسب الظروف ، ويجب ان تتغير كما يتغير كيان الانسان في نشوئه وارتقائه . وبما ان الكيان العضوي للانسان هو الاساس في تطوره ، فيجب اتخـاذ هذا الكيان اساسا للنظريات الاجتماعيـة . وجميع مـا حققه الانسان ويحققه ان هو الا بدافع الغرائز الحيوانية المودعة فيه ، ويجب ان يترك لهذه الغرائز مجالا حرا حتى تعبر فيه عن انفسها . والمبادىء الاخلاقية لا معنى لها في تطور الانسان لان هذه المبادىء يجـب ان تتغير بحسب التطور ، ولان حياة الانسان قائمة على الصراع من اجـل البقاء . فالاقوى هو الذي يجب ان يبقى والاضعف هـو الذي يجب ان يبيد ، ولا مزية للاقوى الا بان يستعمل قوته حتى يستفيد منها على احسن وجه في هذا الصراع . ولذلك فان المبادىء الاخلاقية لا معنى لها في المجتمع لانها تمنع القوي من ان يسود وتحافظ على الضعيف الذي لا يصلح بحكم الطبيعة للصراع والبقاء . ومن مصلحة الضعيف ان يتستر وراء هذه المبادىء ، بل ان هذه من صنـع الضعفاء او من صنع العبيد . واقرب ما يكون الانسان الى صفته الانسانية ان يكون اقرب الى الوحوش ، وفي الحياة الوحشية ليس شيء اقرب الى الصواب من القوة والقتال والافتراس ، والحرب منشأ كل خير في هذه الدنيـا . ويعتقد « نيتشه » ايضا على اساس النظرية الداروينية ان تطور الانسان وترقيه امر واقع ، ولذلك فكر هو في ايجاد انسان متفوق . ولكن هل معنى ذلك ان الانسان يستطيع تغيير مجرى التطور والنشوء على الرغم من ان هذا التطور ، كما قلنا ، يسير بفعل قوى عمياء ؟ واذا كانت الاشياء في تطورها مربوطة بها ، فهل يوجد تخيير او ارادة حـرة ؟ يعتقد « نيتشه » ان في الامكان ايجاد نسل صالح يؤدي الى ايجاد الانسان المتفوق ، ويرى ان التوليد هو السبيل الى ذلك ، كما هو السبيل الى ايجـاد سلالات حيوانية صالحة . ولذلك يجب تعقيم الضعـاف من بنـي البشر وحرمانهم من التناسل ، حتى يتولد جنس يتفوق عن بني البشر . وهذا الاعتقاد بان الانسان قادر على تغيير مجرى التطور او تعجيله يؤمن به كثيرون ، ومن جملتهم «هكسلي» الانكليزي و « ماركس » . فمع ان ماركس يرى ان الوصول الى الشيوعية امر محتوم بحسب التطور التاريخي ، غير انه يدعو اتباعه الى احداث الشيوعية بالثورة قبل الاوان. حتى ان « نيتشه » نفسه الذي يؤمن بنظرية « دارون » ، ومن جملتها ان الانسان مسير لا مخير ، يؤمن في الوقت نفسه بامكان خلق جنس متفوق وايجاد نوع من الانسان المتفوق . فكأن « نيتشه » في ذلك يقترب من النظريـة الوجودية التي تقول ان الانسان قادر على ان يكيف نفسه كما يريد ، ولا عبرة في ذلك للماهية او للجوهر في الاصل. ولعل هذا هو السبب في ان الوجوديين الفرنسيين يمتدحون « نيتشه » كثيرا ، وكأنهم بذلك يردون اليه الجميل لانه كان يعجب بالشعب الفرنسي ، ويعجب منهم بنابليـون الذي اتخذه مثالا للرجل القوي القادر .

لندن — حسن الكرمي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد رجب البيومي

لماذا ضعف تأثير الموشحات في الادب العربي

بقلم محمد رجب البيومي

* * *

ما اكثر ما كتب عن الموشحات ! وما اقل ما اهتدي فيها الى راي مصيب ان الذين يتحدثون عن الموشحات الاندلسية يعدونها وثبة في ميدان الانطلاق ، وخطوة في طريق التحرر ! ويأسفون اسفا بالغا لعدم ازدهارها فيما جد من عصور الادب ! زاعمين ان تحجرها الجامد كان خسارة فادحة لتجارة عظيمة ، لو رزقت تاجرا مجتهدا ، لجادت بالربح الطائل والخير الوفير ! وعلينا الآن ان نكشف عن معدن الموشحات لنرى ان كان ذهبا نفيس القيمة ام انه ذو طلاء مموه يخدع عن حقيقته الابصار !

ولنا ان نسأل : أنشأت الموشحات استجابة لرغبة شعرية في الانطلاق من القيود والتحليق بالمعاني في افق رحيب ! ام انها نشأت لرغبة غنائية في مجتمع يحتفل بالشدو والترجيع ، وتضج به الاوتار والعيدان !

ان المعروف ان الاندلس صارت منذ وفد اليها زرياب من بغداد معهدا فنيا للغناء ، تعطى دروسه في قصور المترفين من الملوك والرؤساء ، وتحتشد طلابه وطالباته من اولي الحناجر الذهبية ، والمواهب الفنية من شبان وشابات ومن حرائر واماء !

حتى كان زرياب يأخذ راتبا شهريا يحسد على نفاسته ويهدى له فوق راتبه في المواسم والاعياد من القصور والبساتين والخلع ما يعيش به عيش الامراء المترفين ، وقد اخلص هذا الفنان الموهوب لفنه ، فزاد وترا خامسا في اوتار العود ، واتخذ من قوادم النسور مضرابا مرهفا ، ووضع تقاليد جديدة لمجالس الغناء بدءا وخاتمة ، وتفرس في تلاميذه وتلميذاته فاختار الموهوب المصقول ونبه عليه الناس ، فجعل العلية من المترفين يتسابقون الى اصطفاء هؤلاء ، واخذت مجالس الغناء تصدح صباح مساء ، لا يتورع عن غشيانها قاض او فقيه ، بل ان قاضي الجماعة محمد بن ابي عيسى خرج لصلاة الجنازة مرة ، فوُجدت على كفه ابيات غزلية سمعها في مجلس الغناء ولم يكن معه ورق ، فسجلها على كفه حتى يحفظها او ينسخها ، وكان الشعراء يدعون من اقاصي الاماكن ، ليسمعوا المغنين اشعارهم ، فيأخذوا منها ما يتفق والغناء ! ومن سار لابياته ذكر في محافل الطرب والغناء تعاظم وافتخر وعد نفسه اصيلا في عالم الفن الرفيع ! وكان الذين يعبرون الطرق من المارة يحبسون خطواتهم حين تصل الى اسماعهم اصوات الغناء من القصور وقد يتعلقون بالابواب والنوافذ ليأتيهم الصوت من مكان قريب ، حدث ان ابن عبد ربه الفقيه الاديب الشاعر كان يمر ببعض القصور ، فوصل الى سمعه من الغناء ما قيد خطوه فأخذ يسترق السمع في الظلام ملصقا اذنه بالجدار ، ولكن صاحب المنزل يرى شبحه دون ان يعرفه فيصب عليه ذنوبا من الماء كي يحجم عن هذا الموقف المريب ! ولو كان صاحب العقد لا يحتفل بالغناء احتفالا يأخذ عليه اقطار السموات والارض لتسلل الى منزله خزيان خجلا ، ولكن حاجته الفنية الى سماع الصوت تدفعه الى ان ينظم من الشعر ما ينفس عن صدره ويقدمه الى صاحب المنزل مخاطبا اياه :

يا من يضن بصوت الطائر الغرد ... ما كنت احسب هذا الضن من احد
لو ان اسماع اهل الارض قاطبة ... اصغت الى الصوت لم ينقص ولم يزد

فتبلغ الابيات مبلغها ، ويخرج صاحب القصر معتذرا نادما ، ويدعو الاديب الفنان فيغير ملابسه ويقضي الليل في طرب وسماع !

هذا الجو الغنائي الذي يتعشق الشدو والطرب مع ما ابدعه زرياب ومن سار سيره ! حين جعل الالحان تختلف بدءا ووسطا وخاتمة في الطول والقصر والارتفاع والانخفاض ، قد اوحى للشعراء ان يبدعوا الموشحات فيشبعوا حاجة فنية لم تكن قائمة لدى مجالس الطرب ببغداد ! ولهذا كان الموشح الاندلسي استجابة لنهضة غنائية جديدة ! ولم يكن انطلاقا للمعاني والاحاسيس وتحررا من قيود القوافي كما يحاول ان يصور ذلك كثير من الكتاب !

تلك قضية هامة ! تحتاج الى بسط وتوضيح ، لان جمود الموشح وتحجره اليابس على ممر العصور يدفعنا الى ان نشخص بواعثه واغراضه وندرك عللـه واوصابه لنسأل انفسنا عنه ، اكان يحمل عناصر البقاء في تكوينه ؟ او ان نماءه المتوقع لدى بعض الباحثين لم يكن مما يتيسر ! اذ ان الموشح لم يكن منذ نشأته دعوة الى التحرر والانطلاق بقدر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما كان ردة الى القيود والاوهاق !!

ان النظرة الساذجة الى خلاص بعض الابيات في الموشح من القافية قد سببت هذا الفهم المخطىء ، ولكن النظرة الفاحصة ترينا في جلاء ان الموشح قد خلص من قيد ليرتطم في قيود وانه سار خطوة واحدة ثم ارتد سريعا الى الوراء خطوات ، فلم يتيسر له ـ والحالة هذه ـ بعض الانطلاق وقبل كل شيء يهمنا ان نقرر بسرعة عاجلة ان الثورة على القافية قد بدات قبل ظهور الموشح وفي مكان غير مكانه ! فمنذ جاء العهد العباسي ، ومسلم بن الوليد وابان اللاحقي وبشار وابو العتاهية ينظمون الرجز في القافية المزدوجة كقول ابي العتاهية مثلا :

حسبك مما تبتغيه القوت ... ما اكثر القوت لمن يموت
ان الشباب حجة التصابي ... روائح الجنة في الشباب
ان الشباب والفراغ والجدة ... مفسدة للمرء أي مفسدة !

كما نظمت المربعات والمخمسات والمسمطات !! وهي كلها ثورة على القافية في الصميم ودعوة الى الانطلاق الفني ! كي يجد الشاعر مجالا رحبا للتحليق ! وفي الاندلس نفسها كانت المزدوجات والمربعات والمخمسات ذائعة مشتهرة ! وقد نظم ابن زيدون من المخمسات اكثر من مرة ! وهو شاعر تقليدي يحتذي المشرق ! ولو قدر للشعراء ان يكثروا القول عن هذه الالوان الجديدة ، لاستطاعوا ان يثبتوا وجودها الفني ، فتألفها الاذواق بكثرة الترداد ! ولكنهم كانوا يبدأون ثم يحجمون ، وكأني بهم يخافون الاتهام بالعجز عن امتلاك القافية والاقتدار عليها ، فهم ـ مع اتجاههم الى الجديد ـ يرتدون ثانية الى عمود الشعر وما اكثر عشاقه ومريديه !!

هذا النوع من المربعات والمخمسات والمزدوجات كان دعوة للتحرر ونقطة تجديدية تنتظر غيرها ! فهل تشبه الموشحات في ذلك لونا منه ام انها اثقلت نفسها اثقالا مبهظا بالقيود ! فكبت باصحابها عن اللحاق !!

يتحدث الدكتور احمد امين عن دور الموشحة ونجاحها فيقول في ص ١٩٨ ج ٣ من ظهر الاسلام « على كل حال ابتكر الاندلسيون فن الموشحات والازجال في اوروبا، وهذا يضاف الى تأثير الاندلسيين في الغرب ، وقد دعاهم الى ذلك ما احسوا من ثقل القيود في الشعر الفصيح من اوزان ووحدة قافية وقيود اعراب فجاءت نوبة هاجوا فيها على هذه الاوضاع كما هاج ابو نواس على بكاء الاطلال، وقد نجحت الموشحات والازجال لان الناس استجابوا اليها في حماسة اذ راوها تعفيهم من القيود وتحررهم من التزام قافية واحدة وتسمح لهم باستعمال الكلمات العامية الظريفة وتحررهم من قيود الاعراب » والمفهوم الصريح من هذا القول ان الموشحات ـ وقد قرنها الاستاذ بالزجل في جميع الاحكام ـ تخفف قيود الوزن والقافية ! وتدفع ناظمها الى التحرر كي يفيض في معانيه كما يشاء ! ولو ان الامر كما قال ! لرأينا فيما لدينا من الموشحات شرقية وغربية فيضا من المعاني المبتكرة ، ونمطا من الخيال الرائع المحلق ، ولكنك بكل اسف ـ تقرأ الموشح فلا تجد فيه ما بالقصيدة من عمق الفكرة ، وبراعة التصوير ، وانسياب العاطفة ! واعمد الى الدليل من اقرب طريق ، فأقول ان ابن سناء الملك قد جمع في كتابه دار الطراز عددا كبيرا من هذه الموشحات ! فهل اذا قراها القارىء متوالية احس لها من الارتياح والنشوة ما يجده لدى كتب المختارات الشعرية من حيوية وتصوير وعمق وافتنان ! او انها تتوالى متشابهة متماثلة لا ترتفع الى معنى رائع الا في القليل النادر وتكاد تدفع قارئها الى التثاؤب والسأم ! ما السر في هذه الضحولة السطحية ، والتشابه المماثل انه يكمن في طريقة نظمها وما ترزح تحته من الاغلال ...

يقول ابن بسام في ترجمة ابي بكر عبادة بن ماء السماء الذخيرة ٢\١ بالصفحة الاولى « وكانت صنعة التوشيح التي نهج اهل الاندلس طريقتها ، ووضعوا حقيقتها ، غير مرموقة البرود ، ولا منظومة العقود فأقام عبادة هذا منآدها ، وقوّم ميلها وسنادها ، فكأنها لم تسمع بالاندلس الا منه ، ولا اخذت الا عنه واشتهر بها اشتهارا غلب على ذاته وذهب بكثير من حسناته .

وهي على اوزان كثر استعمال اهل الاندلس لها في الغزل والنسيب ، تشق على سماعها مصونات الجيوب بل القلوب ، واول من صنع اوزان هذه الموشحات بافقنا ، واخترع طريقها ـ فيما بلغني ـ محمد بن حمود القبري الضرير ، وكان يصنعها على اشطار الاشعار ، غير ان اكثرها على الاعاريض المهملة غير المستعملة ، يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسمطه المركز ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها ولا اغصان ، وقيل ان ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد اول من سبق الى هذا النوع من الموشحات عندنا ثم نشأ يوسف بن هرون الرمادي فكأن اول من اكثر فيها من التضمين في المراكيز يضمن كل موقف يقف عليه في المركز خاصة فاستمر على ذلك شعراء عصرنا ثم نشأ عبادة هذا فأحدث التغيير ، وذلك انه اعتمد مواضع الوقف في الاغصان فيضمنها كما اعتمد الرمادي مواضع الوقف في المركز »

ويقول العلامة ابن خلدون في مقدمته بعد حديث عن الموشحات « وكان المخترع لها بجزيرة الاندلس مقدم بن معافر القبري من شعراء الامير عبد الله بن محمد المرواني واخذ ذلك عنه ابو عبد ربه صاحب كتاب العقد ، ولم يظهر لها مع المتأخرين ذكر ، وكسدت موشحاتهما فكان اول من برع في هذا الشأن عبادة القزاز شاعر المعتصم ابن صمادح صاحب المرّية ، وقد ذكر الاعلم البطليوسي انه سمع ابا بكر بن زهر يقول « كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز » .

ولا يهمنا من هذين النصين ما بهما من الاختلاف حول اسم المخترع الاول للموشحات ولا تحديد مكانة ابن عبد ربه في الموشح رائدا كان ام غير رائد ! ولا الاختلاف في اول

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البارعين اهو عبادة بن ماء السماء او عبادة القزاز ، ولكن الذي يهمنا من ذلك هو ان لدينا نماذج من توشيحات عبادة بن ماء السماء وعبادة القزاز والاول باعتراف ابن بسام اول مجدد مجيد، والثاني باعتراف ابن خلدون اول مجدد مجيد وكلاهما معا يقدم بين يدينا آية سبقه ، ودليل جودته فيما بقي متداولا من توشيحاته !

فلننظر الى وثيقتيهما الباقيتين في مقدمة الموشحات الذائعة ! لنرى بعد ذلك اتحملان عناصر البقاء والنماء ؟ اتصلحان للريادة والتوحيد ؟ ايمكن ان نفهم منهما ـ ومما احتذاهما بعد ذلك ـ ما فهمه الدكتور احمد امين من الثورة على القيود في القصائد والعصف بالاغلال في القوافي ؟ ام انهما ارتدا الى الوراء كما نريد ان نقول ، قال عبادة بن ماء السماء المتوفي سنة ٤٢٢ :

من ولي في امة امرا ولم يعدل يعزل الا لحاظ الرشا الاكحل
جرت في حكمك في قتلي يا مسرف
فانصف فواجب ان ينصف المنصف
واراف فان هذا الشوق لا يراف
علل قلبي بذاك البارد السلسل ينجلي ما بفؤادي من جوى مشعل
انما تبرز كي توقد نارا الفتن
صنما مصورا في كل شيء حسن
ان رمى لم يخط من دون القلوب الجنن
كيفلي تخلصيمن سهمك المرسل فصل واستبقني حيا ولا تقتل
يا سنى النفس ويا أبهى من الكوكب
يا منى النفس ويا سؤلي ويا مطلبي
هانا حلّ باعدائك ما حلّ بي
عذّلي من الم الهجران في معزل والخلى فيالحب لا يسأل عمن بلي
أنت قد صيرت بالحسن من الرشد غي
فاتئد في طرفي حبك ذنب علي
فاتئد وان تشأ قتلي شيا فشي
اجملي ووالني منك يد المفضل فهي لي من حسنات الزمن المقبل
ما اغتذى طرفي الا بسنى ناظريك
وكذا في الحب ما بي ليس يخفى عليك
وكذا أنشد والقلب رهين لديك
ما علي سللت جفنيك على مقتلي فابق لي قلبيوجد بالفضليا موئلي

ولبيان الارهاق والعسف من القيود والاغلال في هذا الموشح ، نمضي في ايضاح اصفاده الثقيلة فنرى انه في اصطلاح القوم موشح تام لا ناقص لانه مكون ستة اقفال ، وخمسة ابيات ، والموشح التام هو النموذج الكامل لديهم للبناء الفني الانيق . فاذا نظرنا الى الاقفال نجد انها في جميع الموشح تلتزم في الضرب قافية اللام فهي من هذه الناحية تتفق مع القصيدة الشعرية ولكنها تزيد عليها بقيدين ثقيلين فهي لا تقتصر على اللام في الضرب ، ولكنها توجبها في العروض ايضا ، وهو قيد جديد لا نراه في القصيدة الشعرية ، الا في المطلع احيانا والشاعر لا يتقيد به كثيرا اذ قد يصرع او لا يقرع دون التزام ! ثم يأتي قيد جديد آخر وهو تقفية التفعيلة الاولى من شطري القفل !! واذن ففي السطر الواحد (وهو القفل) اربعة قيود !! مع انه في القصيدة التي تجري على عمود الشعر لا يزيد عن قيد القافية فحسب !! وقل لي بعد ذلك ايستطيع الشاعر الوشاح ان يعبر عن معانيه النفسية في الاقفال !! ام ان هذه المآزق المتلاحقة تجعله يبحث عن اللفظ المتفق مع النغم دون تقيد بالمعنى المختلج في النفس ! فاين الانطلاق المزعوم اذن !!

هذا بالنظر الى الاقفال ، اما الاغصان فالقافية تنوعت في مقطوعاتها الخمس ! ولكنها لم تكد تشعر بحرية التنوع حتى اصطدمت بقيد اعتى واثقل اذ ان كل شطرة من شطرات الغصن لا بد ان تبدا بتفعيلة مقفاة ! جرت في ، فانصف ، واراف كما في الغصن الاول ، وعلى سننه يسير ما يليه ! واذا كان الشطر من الغصن يبحث عن قافيتين اولاهما في اوله ، والثانية في آخره فأي حرية تلك التي تمتع بها !! واذا اردنا ان نقيسه بالشطر من القصيدة ذات القافية الواحدةفهل نجد لديه ما لديها من السعة والانفساح!!

هذا هو عبادة بن ماء السماء وتلك اول موشحة وصلت الينا في قائمة الموشحات ! اما موشحة عبادة بن القزاز فتالية لها وهي هذه :

بابي ظبي حمى تكنفه اسد غيل
مذهبي رشف لمى قرقفة سلسبيل
يستبي قلبي بما يعطفه اذ يميل
ذو اعتدال يعزى الى ذي نعمة ثابت
من ظلال تحت حلى قطر ندى بايت
وفتور ذو غنج ذو مرشف العس
العبير في أرج والحسن في ملبس
كم يثير وجد شبح بالدنف مكتس
ذو اعتلال لو علا انطق من ساكت
وغزال لو مقلا الحظ عن باهت
نير حد الهوى ان يجدوا حده
كوثر سر الصدى ان يردوا ورده
انظروا محمدا واثدوا عنده
من هلال لو يجتلى جل عن الناعت
وزلال لو بذلا يرتقى للقانت
بدر تم شمس ضحى غصن نقا مسك شم
ما أتم ما أوضحا ما اورقا ما انم
لا جرم من لمحا قد عشقا قد حرم
فالوصال ما قد خلا من أمل فايت
والخيال ما قد علا من تعس فايت
قاتلي اهن دما من قد غدا ملحدا
واصلي كنت فما عما بدا قد عدا
سائلي مستفهما حين الردى اعتدا
لا سؤال عن مبتلى ينحت من صامت
لينال ما أملا والامر للشامت
كم يتيه كم وكم يابى الجوى ان يحول
ارتضيه وان حكم حكم الهوى منالعقول
قلت فيه والحب لم يرض سوى ما اقول
الجمال وقف على ظبي بني ثابت
لا زوال منالحب لا عن عهده الثابت

والقارىء لا يحتاج ان ندله على التعسف المرهق في الاقفال والاغصان جميعا مما نجزم معه جزما اكيدا ان

الوشاح هنا ناظم في مجال ذهني صارم لا ينقل فيه عن عاطفة ما ، ولكنه قريب من شعراء التواريخ الذين يجمعون الحروف والكلمات مطابقة للعام الذي يريدون ! وحسبهم ان يوفقوا الى ذلك في اي عبارة تكون ! والذين يحكمون على الموشحة بانها ميدان للتحرر ليسوا في رايي بشعراء يعرفون مضايق القافية ومرهقات الوزن ! وانما نظروا نظرة طائرة الى الاغصان وحدها في الموشح فوجدوها متنوعة القوافي فوهموا ان ذلك مجال حرية شاسعة ، وجاءت احكامهم تطابق ما يتوهمون !!

قد نكون لدينا موشحات اقل رهقا ، واخف حملا من هاتين الموشحتين الرائدتين ، واقرب ما نقع عليه من ذلك موشحة ابن سهل البديعة :

هل درى ظبي الحمى ان قد حمى قلب صبّ حلّه عن مكنس
فهو في حرّ وخفق مثلما لعبت ريح الصبا بالقبس

وموشحة ابن الخطيب التي عارضها بها ومطلعها :

جادك الغيث اذا الغيث همى يا زمان الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك الا حلما في الكرى او خلسة المختلس

فهاتان الموشحتان بديعتان حقا ! وذلك لان قيودهما في الاقفال والاغصان اخف واهون من قيود الموشحين الاوليين! ولذلك اتسع المجال فيهما للتعبير عن بعض المعاني الرائعة ، وتصوير الاحساسات البديعة !! ولكننا مع ذلك الاعتراف نرى قيودهما اثقل من قيود القصيدة التقليدية ذات القافية الواحدة !! ونرى المجال لدى الشاعر ارحب سبيلا واوسع افقا منه لدى ابن سهل وابن الخطيب حين لجأ الى التوشيح !! ولي ان اتساءل بعد ذلك لماذا لم يظهر من القرن الخامس الهجري الى الآن وشاح عظيم ، يحتل مكانته العالمية لنبوغه في الموشحة وحدها ! ولماذا نجد شاعرا كبيرا كشوقي يعشق الاندلس فيحاول ان يعارض موشحاتها كعادته مع السابقين من الشعراء فلا يفعل ذلك على تمرسه بالنظم في عمره المديد غير مرة واحدة في موشحته عن الداخل ! يبذل في نظمها جهدا تلمسه وراء الشطور والكلمات وكأنه اذ من الله عليه بالانتهاء اقسم الا يعود !! ان السبب الاصيل في جمود الموشحات هو انها لا تحمل عناصر النماء بما يثقلها من اصفاد .

على ان عشاق الموشحات لا يفتأون يختلقون لها الحسنات فاذا قال الاستاذ احمد امين انها تساعد على الحرية والانطلاق ـ وقد عرفنا مبلغ ذلك من الصواب . وجدنا الدكتور الفاضل عبد العزيز الاهواني يسجل لها فضلا جديدا حين يقول بمجلة المجلة فبراير سنة ١٩٥٧ ص ٩٢ « ونحن جميعا نعرف الطابع الذي اتخذته القصيدة العربية ثم جمدت عليه خلال العصور التالية كلها هي قصيدة تنظمها قافية واحدة ، خلافا للشعر القديم عند اليونان والرومان وغيرهم فانه لم يصطنع نظام القوافي ، وكانت هذه القافية الموحدة تكلف الشاعر العربي كثيرا من المشقة وتجعل القصيدة وان اكتسبت بذلك تنغيما لا شك فيه ، تحمل غير قليل من السآمة والملل ، فكان التوشيح ثورة في هذا الجانب فلم يلتزم هذه القافية الموحدة ، وانما نوّع القوافي فاشتملت الموشحة الواحدة على قواف عدة تثير الشعور بالطرافة والتجدد ، وكانت القصيدة العربية زيادة على ذلك تتخذ البيت على قصره وحدة مستقلة قائمة بنفسها يكمل فيها المعنى ولم يتجاوز ذلك الا في حالات يسيرة اعتبرت ضعفا من الشاعر ، وكان نتيجة لهذا ان اصبحت القصيدة ابياتا ينقصها التماسك ، وينقطع معها نفس الشاعر ، ونفس المستمع احيانا كثيرة اما الموشحة فقد ثارت على هذا الوضع ايضا ، فلم تكن وحدتها البيت ، وانما كانت المقطوعة التى تشتمل على جزاين : الغصن والقفل ، وربما بلغ مجموع الغصن والقفل اي المقطوعة ثمانية اضعاف البيت الواحد ، ومعنى هذا ان نفس الوشاح يجد له مجالا اوسع ، ومعناه ان تكون الموشحة اطول امتدادا منها في القصيدة ونظرة بسيطة الى ما نظمه شاعر مثل لسان الدين بن الخطيب من قصائد وموشحات يثبت قيمة هذا الفرق بين الفنين » .

فالدكتور الاهواني بعد ان جزم بأن القافية الواحدة في الشعر العربي تعوق وتسئم وتمل ، وبعد ان برا الموشحة من كل ذلك اضاف لها فضلا جديدا حين اعلن انها تلتزم الوحدة لان البيت بها (وهو مكون من القفل والاغصان) يجعل نفس الوشاح اوسع واطول ويتيح له مزيدا من البسط والتحليل والاطراد ، ولن يكون ذلك في القصيدة العربية التي كانت تنشد وحدة البيت لا وحدة القصيدة . وهذا الكلام يقال نظريا فقط لا عمليا، لاننا حين نقرأ الابيات الموشحة نلمس بها غالبا ما نلمسه في القصيدة من انفكاك في المعاني ، واجتزاء في القول ، ودليلنا الواضح اننا قد استشهدنا في هذا البحث بقصيدتين مشهورتين لوشاحين كبيرين هما عبادة بن ماء السماء وعبادة بن القزاز فليرجع الدكتور الاهواني اليهما وليقدم ما يشاء ويؤخر في الاقفال والاغصان ! فسيجد النهج لا يختلف عن نهج القصيدة الطويلة بحال ، ليأت بأي موشحة وليقراها سفلا وعلوا ، وتقديما وتأخيرا ، فسيجد الوحدة التي يتحدث عنها لا تكاد تذكر ! أجل هناك موشحات قليلة متماسكة متلاصقة تنبيء بالوحدة الكلية ! ولكن مع ذلك ايضا لدينا في الشعر العربي القديم والحديث قصائد كثيرة لا تعوزها الوحدة بحال ، فالفضل في ذلك اذن لا يرجع لموشحة او قصيدة ، ولكنه يرجع الى معدن الناظم ومنحاه ونظرته وعمقه في التحليل وفلسفته في الصياغة والتوليد !! واذا كان الدكتور يرى ان البيت في الموشحة بجزءيه (القفل والغصن) يعطى في مدى قد يصل الى ثمانية ابيات وحدة تامة لا تتاح لبيت واحد من القصيدة المقفاة ! فماذا يقول حين يرى في اكثر الموشحات شبه انفصام بين الاقفال والاغصان ، وهما بيت واحد في الاصطلاح ، ليعاود الدكتور الفاضل معي القراءة من جديد ، فقد ينتهي الى تعديل يغير من حكمه السريع !

اما الباحث الفاضل الدكتـــور احسان عباس فـيرى للموشح الاندلسي مزية ثالثة قال عنها في كتابه تاريخ الادب الاندلسي عصر الطوائف والمرابطين ص ٢٤٤ « ومن ثم نرى ان الموشح هو اول ثورة حققها الشعر العربي في ايثـار للايقاع الخفيف الذي يقرب الشقـــة بين الشعر والنثـر فاضعف من اجل ذلك العلاقات الاعرابية كثيرا ، ذلك اننا نقول حقا ان الموشح معرب ، ولكن الاسكان بالوقف فـي التجزئات القصيرة ، واختيار الالفاظ التي لا تظهر حركات الاعراب في اواخرها يجعلان العلاقات الاعرابية ضعيفة ، ويحيلان الموشح الى مستوى قريب من مستوى الكـلام الدارج اذ اين هي العلاقات الاعرابية في قول الوشاح :

ما اتـم ما اوضحـا ما اورقـا مـا انـم
لا جرم مـن لمحـا قد عشقا قـد حـرم

هذا كلام الدكتور احسان وهو عجيب حقا ! لانه يفهـم من العلاقات الاعرابية العلاقات الظاهرة فقط لا المستترة ولا المقدرة ، واستشهاده هنا مبتور لا يصح على الاطلاق فاين يرجع الضمير في قوله اتم واوضح واورق وانم ؟ انه يرجع الى اول القفل وهو قوله :

بدر تـم شمس ضحى غصن نقا مسك شم
ما اتـم ما اوضحـا ما أورقـا مـا انـم

واذن فلا بد للدكتور ان يستشهد باول القفل ، ليعـود الكلام امام القارىء الى مذكور لا الى غائب يبحث عنه فـلا يجده ! فالعلاقات الاعرابية على اتمها لم يتطرق اليها وهن ما كما يتخيل الدكتور !! اذ ان الوشاح يريد ان يقول ما اتم البدر وما اوضح شمس الضحى وما اورق الغصن ، ومـا انم المسك !! ولا ادري كيف يكون الاسكان بالوقف فـي التجزئات القصيرة واختيار الالفاظ التي لا تظهر حركات الاعراب في اواخرها مما يقرب الشقة بين الشعر والنثر ! اي نثر يقصد الدكتور اذا كان مراده النثر العربي مقالـة وخطابة ورسالة وقصة فهو مما يتقيد بالحركات الاعرابية ولا يقبل التسكين كالشعر سواء بسواء ! واذا كان يقصـد بالنثر (المحادثة باللغة العامية الساكنة الاواخر فهي ليست بنثر عربي) حتى نبحث عن صلتها بالموشح العربي !! ليقل اذن ان الموشح خطوة لمسايرة المحادثة العامية ! وليعد ذلك فضلا كبيرا له ان اراد ...

كلنا نعرف أن المعاني في الشعر الاندلسي بعامة ــ الا ما ندر ــ قريبة الغور سهلة المتناول اذ لا نجد في رجاله من يغوصون على الافكار كذوي القمـــم العالية من شعـراء المشرق ، واذا كنا نعجب بابن زيدون او ابن خفاجة او ابن دراج فكل هؤلاء هضبات متقاربة لا تناطح جبالا شما تدعى باسماء المتنبي وابي تمام وابن الرومي والمعري ولعل اهمال الفلسفة والبعد عن دراساتها في مدى طويـل من حيـاة الاندلس العربية قد ساعد على ما نراه من قرب الافكـار وبداهة الصور ، وتقليد الصياغة ، وان المستشرق الكبـير الاستاذ اميلو غرسيه غومي يعبر عن ذلك في كتابه الشعر الاندلسي فيقول في ص ٦ ترجمة الدكتور حسين مؤنس :

« ولا بد أن ننبه من اول الامر الى ان الشعر الاندلسي عامة فيما خلا بضع شواذ فقير جدا من الناحية الذهنيـة التفكيرية ، ومن دلائل ذلك ان الناحية التي تأثروا بها من المتنبي كانت ناحية البراعة لا ناحيـة التفكـير ، وعاشوا اعمارهم كلها مكبلين بقيود القوالب الشكلية الجامدة ، ومن ثم لم يستطيعوا ان يدخلوا على التغيير من الشعر الا اشياء تمس المعاني ، مثلهم في ذلك مثل اترابهـم من المشارقـة فحاولوا ان يعطوا هذه المعاني صورا جديـدة عن طريـق تقطيرها في انابيق بلاغية، واوغلوا في ذلك حتى استخرجوا منها تلك الزخارف الشعرية الاربسكية التي تشبه ان تكون قصورا حمراء لفظية ، فاذا كانت القصائد الاندلسية المنمقة المترفة المعقدة المثقلة على هذه الدرجة من البعد عن الترتيب الذهني بل من الاحساس الانساني في احيان كثيرة ، فمن الطبيعي ان تنقصها تلك المرونة السائغة التي نجدها في الشعر القديم !! »

واذا كانت هذه الضحولة القريبة تظهر بوضوح في الشعر الاندلسي ، فانها في الموشحات الاندلسية اظهر واوضح لان دواعي السطحية بها اكثر وازم ، فالطرب الاذني هدفها الاول ، والاستجابة الى دواعي الغنـاء مما يمتـع اذواق المترفين في القصور والعامة في ليالي الاعراس والافـراح تتلمس هذا النغم المتتابع المتدارك لتتعالى صيحات الاعجاب والاستحسان حين تتفق المخـارج الصوتية ! وتتوالـى المتشابهات المقفاة ذات التسكين او المد كما يسير الكلام ! واذا كان المفهوم من كلام ابن بسام السابق ان الموشحات قد كانت يسيرة المتناول مبدأ ثم تم تعسيرها على يد عبـادة ثانيا ثم أسمحت بعض الشيء فيما تلا عهده من العصور فاننا لا نعرف شيئا مما كان قبل عبادة حتى نحكم عليـه بعيدا عن الفروض المحتملة ، والتخيلات الراجحـة ، وما عرفناه بعد ذلك يختلف تركيبا وتعقيدا بعضـه الاول عن بعضه الاخير حتى وجدنا موشحات ابن سهل وابن الخطيب وابن زهر قريبة الانطلاق نسبيا اذا قيست بتعقيدات عبادة ومعاصريه ! ومع ما بها من الانطلاق النسبي فـان عشاق الادب الاندلسي انفسهم يحكمون عليها بالضحولة والسذاجة، فالدكتور جودت الركابي يقول مثلا عن موشحة ابن سهل (هل درى ظبي الحمى ان قد حمى) وهي بعد من النماذج الرائعة حقا للموشحات « ص ٣٠٤ من كتـابه في الادب الاندلسي » :

انها تلعب فينا بالفاظها الغزلية وموسيقاها على اننا لا نجد فيها من المعاني ما يسترعي الانتباه وانما هي قصيدة مرنحة نشعر بحلاوة قوافيها المتواترة ونغماتها العذبة ثم يجر هذا الحكم على جميع الموشحات فيقول في ص ٣٠٥ « هذه المعاني التافهة يسترها طلاء خـارجي مستمد مـن ضروب البيان والبديع ... وهي ان عبرت عنها موسيقى ناجحة في الاغلب فانها لم تحوها قوالب متينة من الالفاظ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ترى ساعود ؟

●

الى مَ اعيش بهـــذي الديـار
غريـب الفـؤاد غريـــب المنـــى
تعـود الطيور الى ارضهـــا
وابقـى حبيـس الطمـوح هنا
لقـد ذهـب العمـر الا الاقـــل
ضياعـا وجـــدا وراء الفنـــى
هموم تحز بصـــدر الاديـب
كحـز المواسـي لطول العنـا
بلادي بـلاد الشذى والطيـوب
بـلاد الجمـال مقـر الهنـا
اكـاد امـــوت حنينـا اليهـا
اليس هنـاك مكـان لنـا ؟
البنـان يـا ملهم الشاعريـن
وحلـم الدهور وزيـن الدنـى
لئـن طال هجري ربوع الحمى
وهـدت قواي عوادي الضنـى
فـروحي تلـــوب علـى مائـه
وتمـرح فـي السفـح والمنحنى
واصعـد فـوق جبـال الخلود
واشتف ثـم شعـاع السنـى
واطلـق نفســـي لاحـلامهـــا
فترتـــاد موطنهـــا الاحسنـــا
اعيـش هنـالك دومـا بروحي
وان فصـل البعـد ما بيننا
ترى ساعـود وشيكـا اليهـا
أم انـي اقضي غريبا هنا !!!

لاباز ـ بوليفيا — جورج كعدي

والعبارات ، فلغة الموشحات يغلب عليها الضعف والركاكة، وهي في لينها وحريتها وائتلافها قادت اللغة الشعرية الى الركاكة واساءت من هذه الناحية الى اللغة العربية فاصبح الشاعر الوشاح لا يجد حرجا في التساهل اللغوي طالما يرضي الاذواق العامة كما ترضي الاغاني الشعبيـة هـذه الاذواق ! » هذا وقد حاول الدكتور بعد ذلك ان يجعـل بعض الشعر المهجري المعاصر امتدادا للموشح وهذا خلط واعتساف لان تجديد المهجريين الى اعلى وانحدار الوشاحين الى اسفل ، فكيف يلتقيان !

لقد عجز الموشح ان يحفظ عناصر بقائه لتقيده بالاغلال ، وهو بعد اندلسي اسباني يرضي اذواق المولدين من العرب والاسبان ويساير الاغاني الشعبية هناك في التقفيةوالتلحين، وكنا نظن ذلك من البداهة بحيث لا يحتاج الى نص ، ولكن مذكرة مطبوعة في الادب الاندلسي كانت تدرس سنوات متلاحقة بكلية اللغة العربية تزعم ان ابن المعتـز اول مـن اخترع الموشحات وهو زعم لا يستند الى واقع من ادب او تاريخ ، ولكن خطأ النساخين لديوان ابن المعتز قد جرّ الى هذا الوهم البعيد ، وجاء الاستـــاذ عبد الجواد رمضـان ليرتضيه حقيقة معقولة يدافع عنها فيقول فيمذكرته ص٩٨ عن موشحة ابن زهر المنسوبة لابن المعتز :

ايها الساقي اليـك المشتكـى — قد دعونـاك وان لـم تسمـع

« ورأيي الخاص الذي يوحيـه روح الموشحة انها لابـن المعتز ، ولا ينضح بها الا مثل خيال امير السياسة والادب ، واكبر الظن انه لم يقصد بها الى ابتكار فن جديد ، وانمـا نظمها على طريقة المخمّس الذي نظم منه العباسيون كثيرا لا يساعد على هذا سلامة نظمها العروضي ، وعد هذا النوع في الموشحات من المرذول المخذول الذي هـو بالمخمسات اشبه منه بالموشحات » .

وقد نسي الاستاذ ان لابن زهر من الموشحات ما يماثل هذه الموشحة طريقة وتقفية ، وان نظام الموشحات لم يعرف بالادب العباسي في زمن ابن المعتز ولو عرف لتناولتهالكتب وخلدته المؤلفات ، وعارضه الشعراء ، ولو كان ابن المعتـز وشاحا لذكر مترجموه ذلك عنه ، ولكتب هو بنفسه عن هذا اللون في مؤلفه عن البديع الذي جمع فيه ما هو اهون من الموشحات بكثير ، اما الخـلاف بين المخمسات والموشحات فاوضح من ان يخفى على استاذ جامعي فالمخمّسة تبتدىء باربعة شطور من قافية واحدة ثم تأتي الشطرة الخامسة من قافية اخرى تلتزم في كل شطرة ختامية كقول ابـن زيدون يتشوق الى ولاّدة :

سقى الله اطلال الاحبة بالحمى — وحاك عليها ثـوب وشي منمنمـا
واطلع فيهـا للازاهـر انجمـــا — فكم رفلت فيها الخراند كالدمـى
اذ العيش غض والزمان غلام

أهيـــم بجبـار يعز واخضـــع — شـذا المسك من ادرانـه يتضوع
اذا جئت اشكوه الجوى ليس يسمع — فما انا في شيء من الوصل اطمع
ولا ان يـزور المقلتـين نسام

قضيب من الريحـان أثمر بالبدر — لواحظ عينيه ملئن من السحـر
وديبـاج خديه حكى رونق الزهر — والفاظـه في النطق كاللؤلؤ النثر
وريقتـه في الارتشاف مـدام

هذا ضرب ، وموشحة ابن زهر ضرب آخر يلمس بالنظر المجرد لرصفها المطبعي فضلا عن القراءة والامعان !

وبعد فقد قلت في مطلع هذا البحث ، ما اكثر ما كتـب عن الموشحات وما اقل ما اهتدي فيها الـى راي مصيب ، ولست ادري أأكون فيما كتبت من المبعدين ام من المهتدين.

الفيوم ـ دار المعلمات — محمد رجب البيومي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



سعد صائب

سعد صائب في قصائد من هولندا

بقلم اورخان ميسر

بالرغم مما يجري الان في فييتنام ، وبالرغم من احداث قبرص الدموية ، وبالرغم من الحرب الباردة التي لا تزال تقض على العالم مضجعه ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى اليوم ، وبالرغم من التهديدات الحمراء والسوداء التي يفتن في تبادلها القوتان المتنازعتان سرا وجهرا ... بالرغم من كل ذلك فان العالم ـ كما يشير الى ذلك المنطق العلمي للاحداث ـ يسير الى الامن والسلام والتعايش السلمي ، لا بسبب الخوف من التهديدات المتبادلة ، ولا بسبب النتائج الرهيبة التي من المتوقع ان تنتهي اليها اسلحة الفناء السرية فيما لو استعملت في حرب قادمة، بل بسبب الوعي الفكري الانساني الذي اخذ يفرض وجوده في العالم ، بصورة مباشرة حينا ، وغير مباشرة حينا آخر، وبدا يشق طريقه الى اذهان الجماهير ، بشكل اصبح يطغي فيه على المطامع الغابية المألوفة ، وعلى سياسات التنازع التقليدية ، التي لم تعد على العالم الا بالويل والدمار .

وكلما نما هذا الوعي وازداد ، وكلما تقارب انسان من انسان آخر ، تقاربا صادقا صميميا ، كلما ازدهر الامل في القضاء على جلادي البشر ، وعلى اساليبهم الابليسية . وكلما ازداد الايمان شدة ورسوخا في الوصول الى غد خير هادىء جميل مشرق ، مهما حاولت قوى الشر ان تمد في بقائها وان تطيل اجلها ..

لقد كان للاختراعات والاكتشافات العلمية الحديثة اثرها الفعال في ازاحة الكثير من الحواجز العالمية بين الشعوب المختلفة ، وفي اختصار المسافات البعيدة ، اختصارا جذريا مذهلا ، وفي جعل الارض تبدو وكأنها اصغر حجما واضيق مدى بمئات المرات مما كانت تبدو فعليا في مدرك الانسان قبل سنوات قليلة ، وبصورة خاصة بعد هذه المحاولات الناجحة في عبور الفضاء ، وفي استجلاء كواكب لم نكن نعرف من امرها سوى ما نشاهده من خلال المرقب ، وغير ما تعطينا اياه بعض المعادلات الرياضية في علم الفلك . واذا كان للاختراعات والاكتشافات العلمية الحديثة اثرها الكبير في تحقيق التقارب بين الشعوب المختلفة ، فانه يجب ان نذكر ان للادب ايضا اثرا بعيد المدى في تأمين هذه الغاية ، وذلك عن طريق الاطلاع المتبادل على النتاج الفكري لمختلف الامم، وفي مختلف مراحل التاريخ .

ولما كان من المتعذر على المرء اتقان عدد غير قليل من اللغات الاجنبية للاطلاع على النتاج الفكري الذي تضمنه، فقد جاءت الترجمة لتزيل هذه العقبة ، ولتسهل للقارىء ذي الاهتمام الفكري ، استكشاف عطاءات الاخرين في ميادين الفكر الانساني غير المحدودة .

من هنا تبرز قيمة العمل الادبي الذي يقوم به الاستاذ سعد صائب في جولاته الموفقة في عوالم الادب الاجنبي ، حيث ينقل لنا نقلا امينا صادقا ، روائع من النتاج الادبي العالمي ، فيمكن بذلك الذين يفتقرون الى معرفة اللغات الاجنبية من الوقوف على آفاق جديدة تغنى خبرتهم ، وتزيد من ثقافتهم .

وفي الجولة الجديدة التي قام بها الاستاذ سعد صائب، تناول عددا من الشعراء الهولنديين البارزين الذين ساهموا في بناء الادب الاوروبي في الربع الثاني من القرن العشرين وقد وفق في الاختيار ، كما وفق في الترجمة ، فكان الشعراء الذين تناولهم يمثلون في الادب الهولندي التيارات والاتجاهات المختلفة التي تكون اليوم الادب الهولندي المعاصر .

ولما كان الادب حصيلة لتراث تاريخي واجتماعي ونفسي، ولتفاعل يقوم بين الانسان وبيئته الطبيعية ، لذلك لم يكن للادب الهولندي في الماضي القريب ـ وبتعبير ادق ـ قبل القرن السادس عشر معالم واضحة تميز فرديته وشخصيته تمييزا واضحا عن آداب سائر الشعوب الاوروبية المحيطة بهولندا . وكان في هولندا قبل القرن السادس عشر لهجات مختلفة هي في ذاتها امتداد لاصول نوردية ولاتينية متنوعة حيث كان النزوع النوردي يسيطر على المناطق الشمالية من هولندا ، بينما كان النزوع اللاتيني يسيطر في المناطق الجنوبية منها ، وقد عملت جغرافية البلاد الهولندية عملها الطبيعي ، كما هو مألوف في

(*) مقدمة كتاب « قصائد من هولندا » المعد للطبع .

جغرافية اي بلد آخر ، فتوحدت اللهجات لتجتمع فيما عرف بعدئذ باللغة الهولندية القياسية .

وفي هذه المختارات التي نقلها الينا الاستاذ صائب نلمس كل ما كان في تاريخ الشعب الهولندي من تيارات مختلفة تفاعلت مع النزوع المحلي ، فانتهت الى نتاج جديد هو الادب الهولندي المعاصر الذي له مميزاته وخصائصه المكونة لشخصية ادبية مستقلة .

ان جميع العوامل المختلفة التي اثرت في تكوين الشخصية الهولندية ، عوامل لا يمكن أن نمر بها مرورا ونحن نتحدث عن الادب الهولندي ، والادب الصميمي جزء من صميم الامة .

لقد استطاع الهولنديون ان يذيبوا في كيانهم كيانات متعددة تدفقت اليهم شمالا وجنوبا ، شرقا وغربا ، ولو ان اكثر هذه التيارات ـ كما قلنا ـ قد ذابت في شخصية الهولندي ، ألا ان بعضها ظل ظاهرا يحمل بعض تاريخه ، وبعض تراثه ، فكان للادب الهولندي من النورديين اساطيرهم ، وكان لهم من اللاتين رومانسيتهم . غير ان النوردية لم تعد نوردية غازية ، بل اصبحت نوردية محلية ، تحمل كل الوان وظلال ومروج هولندا ، وكذلك كان التيار اللاتيني الذي لم يعد تيارا لاتينيا ، بل اتشح بكل ما هنالك في آفاق هولندا من ظلال والوان محلية ، حتى اننا لنلمس ذلك فيما سمي باللغة القياسية في هولندا .

لشد ما نعثر في مفردات اللغة الهولندية على كلمات لها اما جذور نوردية او لاتينية ، بيد ان الفرق بعيد جدا بين المشتق والاصل ، مما يدل على طاقة جغرافية البلاد في اذابة كل تيار جديد قد انساب فيها .

ثمة في بعض القصائد التي نقلها الاستاذ صائب لمسات نوردية هي انعكاس للادب الملحمي الذي كان عند الاديب النوردي ، كما ان ثمة ايضا انعكاسا للمسحة الرومانسية التي يمكن ان تعتبر انبثاقا من الادب الفرنسي في الفترة الواقعة بين القرن السابع عشر والتاسع عشر ، بيد ان كل ذلك لم يعد يحمل شخصيته بعد ان ذابت كل عناصره في الجو الهولندي ، فانطلق الادب الهولندي بعد القرن التاسع عشر ليكون ادبا له حدوده وخصائصه ومميزاته ، ولئن اخذنا بقول الناقد الانكليزي الكبير «هربرت ريد» : ان في الادب الهولندي طابعا مبهما من « لونغفلو » و «وردزورث» بيد ان كلا من هذين الشاعرين الانكليزيين قد غنيا الطبيعة ، وعاشا الطير والزهرة والصخرة والجدول والنهر ، الا انهما اخفقا في ان يعكسا لنا ما عكسه الشعراء الهولنديون من ادب شمل الانسان ، ليس في نظرته الجمالية فحسب ، بل شمل ايضا نزوعه الانساني ونضاله ضد الطبيعة ، على اختلاف العقبات التي تخلقها الطبيعة .

ولننتقل الان ـ والمجال لا يسمح باكثر من ذلك بالتحدث عن الادب الهولندي ـ الى ترجمة القصائد الهولندية ذاتها .

لقد سبق لي قبل شهرين ان اجتمعت بصحافي اجنبي يجيد اللغة الهولندية ، وكان من جملة ما بحثته معه قصائد هذه المجموعة ، فقرأ بعضا منها في لغتها الاصلية ، ثم ترجم لي ما قرأه بالانكليزية ، وعند المقارنة بين الجو الذي نقله الي الصحافي ، والجو الذي نقله الاستاذ صائب وجدت أن الجو الهولندي لم يتغير .. ولما كانت الترجمة ليست نقل كلمات ومفردات من لغة الى اخرى ، وخاصة بالنسبة للنتاج الادبي ، بل كانت نقل جو فكري ـ نفسي ، من شعب الى شعب آخر قد تكون بينهما روابط مختلفة وقد لا تكون ، لذلك كان النقل في الفكر من لغة الى اخرى قضية تختلف كل الاختلاف عن الترجمة في مفهومها المألوف .

وكما تأكدت بعد دراستي للمقطوعات التي تضمنتها هذه المجموعة ، فقد تأكدت كذلك ان هذه المقطوعات لم تكن ترجمة بالمعنى التقليدي للترجمة ، بل كانت نقلا لاجواء ادبية من لغة الى اخرى مع المحافظة كل المحافظة على الجو الادبي ، والتنسيق الفني ، والانسياب الانساني .

هكذا استمر الاستاذ سعد صائب في اداء رسالته الكبرى في تعريفنا بانواع من النتاج العالمي غير مقيد بالتزامات معينة ، بل هادفا الى جعل الانسان العربي يتصل باخيه الانسان في هذا العصر الفضائي الذي نحاول فيه ان نعانق الكواكب والنجوم والشموس لنصبح كلا في كون لا يتجزأ .

دمشق

اورخان ميسر

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

البترول عامل وحده وانماء في العالم العربي
لنقولا سركيس

ليش ـ شعر ـ لميشال طراد

ديوان الشعر العربي ـ الجزء الثاني ـ لادونيس

الابواب المغلقة ـ ليوسف غصوب

اكتشاف الحياة ـ لبيير دوسان سين

اشجار الفاكهة ـ لجميل معلا

الصهيونية جريمة العصر الكبرى
لعبد اللطيف شرارة

الوان من الفكر العربي ـ لاسامة عانوتي

نشيد الرخام ـ لنقولا قربان

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

سليم قبعين

بقلم البدوي المثلم

* * *

ولد سليم قبعين في الناصرة ، عاصمة الجليل بفلسطين عام ١٨٧٠ وتلقى دروسه الابتدائية في المدرسة الروسية التي اسستها الجمعية الخيرية الروسية الفلسطينية الارثوذكسية ، في مسقط راسه ، وكان من اوائل خريجي دار المعلمين الروسية ، الذين كانوا يوزعون على المدارس الروسية المنتشرة في فلسطين وسورية ولبنان والتابعة للجمعية الخيرية الروسية الفلسطينية الارثوذكسية .

وبعد ان تخرج المترجم له من دار المعلمين الروسية بالناصرة زاول التعليم في المدارس التابعة للجمعية الخيرية، واقبل على مطالعة الكتب العلمية والادبية باللغتين العربية والروسية وكان يراسل مجلة الجامعة (١) التي كان يصدرها في القاهرة فقيد الادب الرفيع والفكر النير المرحوم فرح انطون .

وابان الحكم العثماني انضم قبعين الى صفوف الساسة المعارضين من العرب وازاء تهديد الحكام الاتراك وجورهم هاجر الى القاهرة في عام ١٨٩٧ وهناك تولى تدريس اللغة العربية في طائفة من المعاهد منها المدرسة العبيدية وشرع في نشر المقالات والابحاث القيمة في امهات صحف ذلك العهد «كالمقطم» (٢) و «المؤيد» (٣) و «الاخبار» (٤) واسهم في تحرير «المحروسة» (٥) لصاحبها المرحوم الياس زخور زياده وغيرها من الصحف الاسبوعية ، واتسمت مقالاته بالوان من الادب الروسي وعرض انماط منه على القارىء العربي .

وفي المقالات التي نشرها تعريف العالم العربي بكبار الكتاب الروس امثال : تورجينيف و بوشكين و مكسيم غوركي ، وغيرهم من اعلام الادب الروسي .

ومنذ زاول التعليم عشق الصحافة ومال اليها بكليته ، وعندما بلغ القاهرة اصدر الصحف التالية :

١ ــ « الاسبوع » جريدة انشاها في القاهرة وصدر العدد الاول منها في ١٩ ايار عام ١٩٠٠ ، ٢ ــ «عروس النيل» مجلة انشاها في القاهرة وصدر العدد الاول منها في ١ آب عام ١٩٠٣ ، ٣ ــ « النيل » جريدة انشاها في القاهرة وصدر العدد الاول منها في ٢٠ كانون الاول عام ١٩٠٣ بمشاركة محمد غانم ، ٤ ــ «سلسلة الروايات» انشاها في القاهرة وصدر العدد الاول منها في عام ١٩٠٩، ٥ ــ « الاخاء » مجلة انشاها في القاهرة وصدر العدد الاول منها في ١ نيسان عام ١٩٢٤ ، وتميزت « الاخاء » بالمقالات والابحاث والطرائف المعربة عن الكتب والصحف الروسية وفي عدادها مقالات طبية مفيدة دبجها مشاهير الاطباء الروس .

وعرف الفقيد بسهره على الشؤون الارثوذكسية العربية ودعمه القضية الارثوذكسية التي يراها كل منصف جزءا من القضية العربية الكبرى فكان يدعو بخطبه ومقالاته الى انصاف العرب الارثوذكس من اليونان واستقلالهم دينيا عنهم ، وتاسيس المدارس الاكليركية لتخريج افواج عربية اكليركية تتسنم ارفع الدرجات الكهنوتية وبهذا يحررون الكرسي الاسكندري اولا والكرسي الاورشليمي ثانيا من العنصر اليوناني بعد ان تحرر الكرسي الانطاكي واصبح رهبانه وكهانه واساقفته ومطارنته وبطاركته عربا !

وبمساعدة اخوانه العاملين معه في الحقل الارثوذكسي انشأ في عام ١٩١٥ جمعية القديس جاورجيوس الخيرية فسدوا بذلك فراغا كبيرا في مساعدة الفقير والبائس والعليل واضافوا اليها مشغلا للفقراء والمحتاجين .

واثناء عمله في المدرسة العبيدية التي كانت ادارتها واموالها في قبضة الجمعية اليونانية والجالية اليونانية في القطر المصري وقامت باموال المحسنين العرب من آل عبيد الذين حبسوا لها اوقافا ذات مدخول طائل ، كان هذا العربي الاصيل يجاهر بعدائه للعنصر اليوناني فناصبه المسئولون منهم العداء وحملوه على الاستقالة من العاملين في حقلي التدريس والاعمال الخيرية التي كانوا يشارفون عليها ، فاضطر الى هجر التدريس وتاسيس « مطبعة الاخاء» واصدار مجلة اسماها « الاخاء » وكرس صفحات منها لتوعية الارثوذكسي العربي وتعريفه بحقه الهضيم ودعوته الى التحرر من سلطان اليونان .

وفي صيف كل عام كان يقوم برحلة الى فلسطين والاردن وسورية ولبنان وعند عودته الى القاهرة يشرع في نشر خواطره ومشاهداته على صفحات الاخاء ويدعو احفاد عدنان وغسان الى التآلف والاتحاد ومحاربة الاجنبي الدخيل .

آثاره القلمية : قرض الفقيد قبعين الشعر وترك للخزانة العربية طائفة من الكتب والروايات ، ودونك اسماء ما وعته الذاكرة منها :

١ ــ حكم النبي محمد : ترجمه عن الروسية وهو في الاصل بقلم الفيلسوف الروسي ليون تولستوي .

---

(١) انشاها المرحوم فرح انطون في الاسكندرية اولا وصدر العدد الاول منها بتاريخ ١٥ آذار ١٨٩٩ ، (٢) صدر العدد الاول منه في القاهرة بتاريخ ١٤ شباط ١٨٨٩ ومؤسسوه صروف ونمر ومكاريوس ، (٣) في العام الذي صدر فيه المقطم صدر المؤيد في القاهرة ومؤسساه احمد ماضي وعلي يوسف ، (٤) في ٢٩ تموز ١٨٩٦ صدر العدد الاول من الاخبار ومؤسسها الشيخ يوسف الخازن ، (٥) في سنة ١٨٨٠ صدرت هذه الجريدة في الاسكندرية لصاحبيها سليم نقاش واديب اسحق ثم نقلت الى القاهرة وآل مصيرها الى الياس زخور زيادة والد الاديبة «مي»

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دمعة

الى صديقي انور الجندي تعزية بوفاة والده

●

همستَ لي في نغم فاجع ... مات أبي في ليل تشرين
خلّاه هل حتم علينا الاسى ... يهدّنا بالف اسفين
يحرقنا يعرق اعصابنا ... في ليله الجهم التلاوين
ماذا على النجم اذا لم يغب ... ودام ليل الخفض واللين ؟!

اطبقتْ جفنيّ على صورة ... اطرّها النيل بنسرين
اذ نحن في الجيزة في داره ... وليلنا طيب البساتين
يهش للضيف فاهدابه ... تفرش اضغاث الرياحين
ينث في الفرفة اقواله ... في منطق حلو التكاوين
بسيطة كانت احاديثه ... لكنها ذات افانين

يا ليتني قابلته مرة ... اخرى وما ليت تواتيني
ملامح من عرب خلّص ... من معشر شم العرانين
تفيض من اطياب نيسانا ... وا اسفا غابت بتشرين

همستَ لي في نغم فاجع ... مات ابي في الليل تشرين
ليلي بكرمنشاه محلولك ... من غربة .. وزدت في الطين

كرمنشاه **هلال ناجي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ــ محكمة جهنم : ترجمه عن الروسية وهو في الاصل بقلم الفيلسوف الروسي ليون تولستوي .

٣ ــ انشودة الحب : ترجمه عن الروسية وهو في الاصل بقلم الكاتب الروسي الشهير تورجينيف .

٤ ــ ربيب بطرس الاكبر العربي : ترجمه عن الروسية وهو في الاصل بقلم الكاتب الروسي الشهير بوشكين .

٥ ــ تاريخ آل رومانوف : وضعه بمناسبة مرور ٣٠٠ عام على حكم بيت رومانوف ونشره في تموز عام ١٩١٢ .

٦ ــ مصرع القيصر نقولا الثاني وهو آخر قياصرة روسيا .

٧ ــ انواع الغرام في باريس : ترجمه عن الروسية ووزعه اهداء على مشتركي مجلة « الاخاء » .

٨ ــ قصص روسية : ترجمه عن الروسية وهو باقلام اعلام القصة الروسية امثال بوشكين ، مكسيم غوركي ، بيتروشيفسكي ، وطبعه في شهر حزيران عام ١٩٢٩ .

٩ ــ مذهب تولستوي .

١٠ ــ السلطان حسين : نشره بمناسبة توليه الحكم في مصر .

١١ ــ الدعوة البهائية ومؤسسوها .

وفي ١٥ كانون الاول عام ١٩٥١ توفي المرحوم سليم قبعين في مصر الجديدة بداء السكري ، تاركا في دنيا الادب امتع الصفحات ، ومخلفا في حلبة الجهاد العربي اروع البطولات .

عمان **البدوي الملثم**



حسن فتحي خليل

بلزاك

بقلم حسن فتحي خليل

"علم" من أعلام الادب الفرنسي لا يمكن انكار عبقريته . وكاتب روائي فذ، يضفي على وقائع الحياةمن خياله الخصب ما يجعلها مشرقة لامعة ، فتشعر بشخصياته حية تعيش بيننا .

ولد في تور عام ١٧٩٩ ، من عائلة متوسطة ، والتحق بالمدرسة ، ولكنه لم يبد استعدادا للدرس ، الا انه مع ذلك كان شغوفا بالقراءة والاطلاع في صدر شبابه . ولقد الحقه والده بالسوربون عام ١٨١٩ لدراسة الحقوق ، ولكنه لم يتم دراساته بها ، وانتهز فرصة وجوده في باريس،فحاول ان يحقق حلمه عن طريق كتابة القصص والروايات .

وزاول مهنة الكتابة ، ولكنه ظل خاملا ، الا ان نجمه بدا يلمع عام ١٨٢٩ حين اخرج كتابه « العصاة » وقد نسج فيه على منوال الكاتب الانجليزي سكوت . واغراه هذا النجاح فواصل التاليف في كفاح مستمر وهمة فائقة حتى اخرج في مدة عشرين عاما عدة روايات طويلة بجانب ما نشره في الصحف من مقالات وقصص قصيرة . ومن اهم رواياته « اوجين جراندیه » و « الاب جوريو » و « الخيال المفقود » وقد حاول ان يضم كل كتاباته في مجموعةواحدة يسميها « الكوميدية الانسانية » فتحتوي بذلك على الوان من الحياة الباريسية والعسكرية وحياته الخاصة ، الا انه لم يستطع الاستمرار في مشروعه ذلك حتى النهاية .

وكان المشهور عنه طيلة حياته انه مبذر مسرف متلاف، مما احرجه وجعله غارقا في ديونه ، فاضطربت معيشته في اكثر الاحيان .

كما ان مغامراته الغرامية كثيرة ، ولكن اهمها واكثرها تاثيرا في حياته تلك القصة التي نرويها فيما يلي :

وقف اونوريه دي بلزاك في نافذة منزله بباريس اصيل يوم من أيام ربيع عام ١٨٣٢ ، والنسيم يهب عليلا منعشا والزهور يفوح اريجها .. وكان يقرأ رسالة جاءت اليه كلها مديح وثناء على كتاباته ، ولما وصل الى نهايتها وجد التوقيع « سيدة اجنبية » . وعاد ينظر الى الغلاف فوجده مختوما بخاتم بريد « اوديسا » ، فارسل زفرة حارة يشوبها الاسف لعدم قدرته على الرد على ذلك الخطاب اللطيف ، اذ ان السيدة لم تذكر له عنوانها في رسالتها .

ودخل عليهحينئذ صديقه الرسام جافارني ولمح الرسائل الملقاة على مكتبه فبادره بالقول : آه يا صديقي بلزاك ، انك اشهر رجل في اوروبا الان، وباريس كلها تحت قدميك ، وما دليلي الا هذه الرسائل النسائية المضمخة بالعطور .. لقد غزوت عالم النساء يا صديقي .

فاجابه بلزاك ضاحكا : ولكني انتظرت هذه الشهرة طويلا ، فانا الآن في الثالثة والثلاثين ، ويبدو لي اني قد خلفت سن الحب والشباب .

فضحك صديقه وقال : كلا .. لا تقل ذلك ، انك مازلت في عنفوان شبابك وفي قدرة قلبك الاشتعال بحب عظيم في اي وقت .. الم تقرأ هذه الرسائل بعد ؟

فقال بلزاك : لم اقض سوى واحدة منها ارسلتها سيدة تعيش بين ثلوج اوكرانيا معجبة بكتاباتي وشاعريتي،معتقدة في عبقريتي ، وترجو مني الا افنيها في موضوعات تافهة يلزمني بها الناشرون .

فقال صديقه : ما دامت هذه الموضوعات تنال اعجاب القراء فلا باس عليك من كتابتها فتربح منها وتسدد ديونك.

فابتسم بلزاك وهو يقول : ديوني ؟. نعم بعد ستة اشهر سأنتهي منها نهائيا .

ولكن جافارني انكر ذلك ، لقد سمع هذا الوعد من قبل مرارا ، وما زال صديقه غارقا في ديونه كعادته ولم يتمكن من سدادها حتى الآن .

وظل هذا الخطاب من اوديسا عالقا بذاكرة بلزاك ، فاصبح دائم التحدث عنه مع اصدقائه ، الى ان وقع بصره فجاة على تلك الكلمات في احدى الصحف يوما، قراها في دهشة: « ان كلمة منك في هذا المكان من هذه الصحيفة تؤكد لي استلامك رسالتي .. فيمكنني اذا ان اكتب اليك في حرية الى ا.ب. من السيدة الاجنبية » . فخفق قلبه وهو يطيل النظر الى مرآته ، فوجد نفسه بدينا متعبا قد انهكه العمل المتواصل ، الا انه كان عبقريا . واحس بالنار تتصاعد السنتها في فؤاده وفي شوق دفين ورغبة جامحة امسك بالقلم وخط هذه الكلمات : « ا.ب. استلم رسالتك وقد سنحت له الفرصة اليوم ليشكرك .. الى اين يرسل رده يا سيدتي الاجنبية ؟ » .

ولكنه لم يتلق جوابا يشفي غليله ، بل وصلته بعدئذ عدة رسائل منها ، قالت في احداها : « يجرفني الشوق الى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صداقتك الا اني اشعر الا فائدة ترجى من ذلك ، انا اتخيل صورتك دائما حتى اعتقد انه يمكنني ان اميزك من بين جموع غفيرة » .

وقد ملأت هذه الخطابات حياة بلزاك ، وزاد اهتمامه بها، واصبحت هي اهم ما يشغل باله في تلك الفترة ، فلم يعد يظهر في مجتمعات باريس كعادته ، بل انقطع اليها، وتوالت تلك الخطابات بينه وبينها ، واصبحت صديقته البعيدة توقع له باسم « ايف » واحيانا « ايفيلينا » . وكانت تفرغ في كتاباتها كل ما يشغل خواطرها من مثلها العليا وخيالاتها التي تملأ حياتها مما أثار اعجاب بلزاك بها .

واخذ هذه الرسائل يوما الى صديقته الحنون مدام دي بيرتي التي كانت تكبره بعشرين عاما وتعطف عليه عطفا كبيرا . ولما قراتها قالت له : « انها تحبك .. واعتقد انك تبادلها ذلك الحب » وبقي بلزاك ساكتا .. حقيقة .. لقد كان قلبه متعلقا بتلك المجهولة ايف . وارسل زفرة حارة ثم قال : « انا الآن في سبيل الانتهاء من كتابي « طبيب القرية » وبودي ان اثير به اعجابها وتحمسها ، فلقد وضعت فيه مثلها العليا التي تحدثني عنها والتي يبدو لي انها تأثرت بها من قراءتها لكتاب « قدوة للمسيح » .

والغريب في الامر انه حين عاد الى منزله وجد طردا من اوديسا ينتظره ، وفضه فاذا هو يحتوي على نفس الكتاب الذي جاء ذكره في حديثه مع صديقته وهو «قدوة للمسيح» .

ودهش بلزاك لذلك الارتباط الروحي الغريب الذي يقيده بتلك السيدة البعيدة فقام يكتب لها : « اني وان اكن ما زلت اجهلك الا اني احبك » .

وهكذا كانت قصة حبهما من اغرب القصص ، ولكنه كان صادقا في عواطفه ، ظامئا الى الحب ، الحب الحقيقي العميق الذي ينبض له قلبه . فوهب نفسه تماما الى تلك المجهولة .

ومرت ثلاث سنوات على هذا الحب العجيب متبادلين رسائلهما دون ان يرى احدهما الآخر ، الى ان غمرته السعادة يوما حين وصله خطاب منها تحدد له فيه ميعادا للقائها وتكشف له عن شخصيتها ، فلم تكن سوى البارونة هانسكا ، سيدة صغيرة جميلة ، في السابعة والعشرين من عمرها ، نبيلة ، مثقفة ، تقيم مع زوجها الشيخ في ممتلكاته باوكرانيا منذ عشرة اعوام . كانت اما لخمسة اطفال مات منهم اربعة ولم يبق على قيد الحياة سوى ابنتها آنا .

وحان الموعد فذهب بلزاك اليه في شوق يلتهب وقلب يخفق . كانت الاسرة تقيم في فيلا تجاه الفندق الذي نزل به في نيفشاتل ، وجاءته رقعة بالخط الذي يعرفه تطلب منه فيه ان ينتظرها بعد الظهر امام بوابة فيلتها الخلفية حيث الحديقة الواسعة المزدانة بالزهور .

وقف ينتظر في اضطراب شديد وهو يسير جيئة وذهابا في عصبية حادة ورغبة جارفة وشوق عنيف لرؤية تلك المجهولة التي شغلته . الى ان لحظ باب الحديقة ينفرج وتنفلت منه سيدة في ثياب بيضاء تضع خمارا على وجهها، خطت الى الشارع الخالي ثم همست « اونوريه » . وتملكته الدهشة حين تأملها ، فهوى على يدها يقبلها ، وسحره جمالها وجلدها الناعم الشاحب وعيناها السوداوان ، وكأنها جنية من جنيات الخيال ، وسمعها تهمس : « فلنذهب الى الغابة » وسارا معا ، كان قلبه يخفق بالسعادة واخذته نشوة الحب وهو يرافقها حتى انتهى بهما المطاف الى شجرة ضخمة وفي ظلها قبلته ايفيلينا في جبينه وحدثته عن حياتها . كان زوجها يكبرها بخمسة وعشرين عاما ، ولكنها مرتبطة به ولا يمكنها الفكاك منه . ونظرت اليه طويلا ثم قالت في صوت عميق: «ولكني احتفظ لك بقلبي وبيدي» . فاجابها في حماس : « وانا اعاهدك باني سانتظرك حتى النهاية » ... وافترقا ...

وجرفته عواطفه ووجد ما يحبه في الحياة ، وتوالت خطاباتها اليه بعد سفرها وقد سكبت فيها حبها وكافة عواطفها ، فكان يكتب اليها : آه يا عزيزتي ايف .. لا ادري كيف يمكنني ان اصور لك حبي » .

وبالرغم من ارهاقه بالعمل واغراقه في ديونه كان يتبعها في جميع تنقلاتها ببلدان اوروبا ليحظى بنظرة منها ، فذهب الى سويسرا وفيينا وبولندا وكل مكان تحط فيه اسرة هانسكا رحالها . واضطر تبعا لذلك ان يتفانى في العمل ليكتسب النقود التي تساعده على القيام بهذه الرحلات ، فكان يقضي اثنتي عشرة ساعة كل يوم ، بل خمس عشرة ساعة وهو مكب على عمله في صبر وجلد . وكانت ايفيلينا تقول له دائما : « سأتزوجك حين انال حريتي » . وهكذا قيدته اليها بذلك العهد الغريب ، وكان خاضعا لها موافقا على رأيها ينتظرها مهما طال به الزمن ، وتسلطت عليه تمام التسلط فكانت ترسل اليه اوامرها من اوكرانيا وتبث حوله جواسيسها في باريس ، حتى انها طلبت منه يوما الا يعاود الذهاب الى الاوبرا بعد ان وصلها انه شوهد جالسا مع احدى السيدات بمقصورتها . وبقي بلزاك بالرغم من ذلك مخلصا لها ولو انه كان احيانا يثور فيبدي سخطه على الورق ويكتب لها : « لقد حطمت قلبي وعصفت بروحي .. كيف تحطين من قدري بشكوكك هذه ؟ » .

وبعد نحو عشرة اعوام من ذلك الغرام العجيب ، كتبت اليه نجمة الشمال وملكة الغرب وزهرة القلوب كما كان يصفها دائما .. كتبت تقول له: « ان زوجها البارون هانسكا قد وافته المنية » . وبدا له حينئذ انها قد نالت حريتها فاسرع يكتب اليها في نشوة مجنونة : « لقد كنت دائما خاضعا صابرا كما طلبت مني يا حبيبتي .. اسرعي بالكتابة الي لاعرف متى تتحقق آمالي فامتلكك » ولكن ايفيلينا ابدت ترددها وقدمت حججها ، ان ابنتها تحتاج اليها وكذلك عمتها ، فلا يمكنها اذا الذهاب الى باريس ، وهكذا تدللت عليه في اللحظة الحاسمة التي كان ينتظرها بفارغ الصبر فحطمت قلبه بيدها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عاد الربيع

ايقظت هاجع لوعتي واثرت شجوي يا ربيع
وبعثت ابّان الغرو ب ملامح الفجر الوديع
وتركت فيض الذكريا ت يهدهد القلب الصديع
ويشيع في اعطافه شوقا خريفيا بديع

بانت مراتع صبوتي وخبت ترانيم البرايا
وقبعت في ركني القصي مرددا تلك الحكايا
وململما ذكرى ربيع مر في صمت العشايا
كان الشباب يذيب اذ ذاك الرؤى بين الحنايا

يا امسي الغالي ويا رؤيا تراود خاطري
ابدا فانت على البعا د صدى يهز مشاعري
قسما بهاتيك الطيو ف من الزمان الغابر
لاظل عمري عابدا عهد الربيع الزاهر

دمشق سلافة العامري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتزوجت ابنتها آنا اخيرا ، وحينئذ سمحت له ايف ان يلقاها في درسدن ، فاسرع اليها بالرغم من كل ما فعلته معه والفاها فاتنة كمهده بها ، واذا به يصيح فرحا : « لم اشعر يوما في حياتي بالسعادة شعوري بها في هذه اللحظة » .

كان حينئذ في الخمسين من عمره ، وكان ما يزال ينتظر في شغف ان توافق على زواجهما ، الا انها كانت ما زالت على ترددها بالرغم من عودتها معه الى باريس ، وبالرغم من انه ابدى استعداده بأن يضع كل ما يمتلك رهن اشارتها ، ولكنه كان عند ذلك قد تغير في نظرها ، فكان يبدو لها رجلا محطما عصبيا مريضا ضعيفا غارقا في حبه لها ، فلم تشبع رغبته ولم تحقق له امله .

وغادرت باريس بعد ان وعدته باللقاء بعدئذ في روما ثم في روسيا . وحاولت الابتعاد عنه بقدر المستطاع ، الا انه ظل يتبعها ويلح عليها حتى اذعنت اخيرا لتوسلاته ، وعقد قرانهما عام ١٨٥٠ ، وكان يقول حينئذ : « اني مجنون من فرط السعادة » .

وهكذا انقطعت مراسلاتهما بعد سبعة عشر عاما انتظرها بلزاك على احر من الجمر ، واجتمع شملهما .. ولكن .. مع هذا لم تدم سعادته سوى خمسة اشهر ، ففي اثناء عودتهما الى باريس تخلفا في دردسن لتشتري زوجته بعض المجوهرات ، وهناك خرّ بلزاك صريع المرض في غرفته بالفندق بعد ان خاب امله فيما كان ينتظره من حرارة عواطفها فقد احس بها حينئذ في برودة الثلج وعرف انها لم تعد تكترث له او تعتني بامره ، بل انصرفت كل الانصراف الى نفسها .

ووصلا اخيرا الى منزله الذي اعده لها في باريس وقد حطمته الديون واخذ منه التعب وهدته خيبة الامل ونال المرض منه كل منال .. وبينما كانت ايفيلينا تكتب خطابا لابنتها تحدثها فيه عن مجوهراتها التي اشترتها حديثا ، كان هو يحتضر في غرفته ، وبجانبه امه التي كانت تسهر على تمريضه وهو يعاني سكرات الموت ..

اما هي .. ذلك النجم الذي كان يتطلع اليه ، فكانت تتثاءب في غرفة زينتها ، بعيدة عنه ، لا تبالي به ، مشغولة بتفاهات حياتها .. وقبل ان تختم خطابها الى ابنتها كتبت تقول : « يبدو لي ان صديقنا المسكين يعاني الآلام من شدة مرضه ! » .

ومات بلزاك .. مات بعد ان تعذب ، وهوى صرح امانيه ، وذبلت الورود التي كان يعتقد انها ستزدهر في حياته ، ودفن في باريس في ٢٩ اغسطس سنة ١٨٥٠ .

وهكذا كانت النهاية .. وما اغربها من خاتمة تنتهي بها قصة غرام عجيبة !

الاسكندرية حسن فتحي خليل



ابراهيم عبده الخوري

شاعرية فؤاد سليمان

بقلم ابراهيم عبده الخوري

شعراء من الجبل تركوا قريضا متعدد الالوان . وفؤاد سليمان ، ابن « فيع » القرية التي تتفنى ، بمنطقة الكورة ، بهدوء عيشها ، خلف قصائد طافت فوق جوها عدة الوان شعرية ، جعلته في طليعة شعرائنا المجلين ، وان وافته المنية وهو في مطلع عطائه . لقد مات وله من العمر تسع وثلاثون سنة .

انه ما خلف قريضا غزيرا . ورغم ذلك فان الذين هم على صلة متينة مع الشعر يندفعون صوب هذا القريض بهمة .

لقد وضع قصائد جبلت بالرقة ، وغذتها عاطفة من فيض خيراتها . انك تقراها بامتنان ، ولسان حالك يقول عندما تنفض يديك منها : هذا شاعر كبير في حبه وخالد ، انه غنى الجمال ، وسجد للحديث الدافىء ، وبكى لذبول الازاهير الضاحة بمختلف الالوان ...

ان العفوية والطبعية التي رافقتا فؤاد سليمان في شعره، اضفتا على هذا الشعر جوا وجدانيا فيه عمق ، يجعلك مشدودا اليه حتى ولو انك انتهيت من قراءة مطلق قصيدة من قصائده . اسمعه يقول في « عطر » من ديوانه « اغاني تموز » (*) :

غن ... احبك ان تغني وتحدث الاطياب عني
غن ... فما عرف الهوى احلى على النغمات مني
انا في الغناء قصيدة حسناء لم انظم بلحن
عيناي ... رف خميلة خضراء من ارض التمني
اشممت عطر غلائلي ؟ عطر يعيش ببال عدن

واسمعه يقول في قصيدة عنوانها « بعدكِ » حيث يتجلى فيها الم الفراق :

بعدك ... لا الدنيا بلون الهناء ولا جبيني في جبين السماء
كان هذا الليل في اضلعي لم يعرف الصبح ولون الضياء

بعدك ... لا نيسان في عرسه ولا الضحى ينشر وهج السناء
كأن في حلقومه بحة مات بها الطيب وغص الغناء

وارتفع حبه الدافىء في زهو وخيلاء في « لون الورد » القصيدة البائية التي اهداها الشاعر الى رفيقة عمره ... الى زوجته :

حنانك ... اي لون اي طيب يهل ، اذا خطرت على دروبي ؟
يكاد القفر يخصب في خيالي ويندى بالشعاع وبالطيب
كانك انت وحدك في الصبايا هوى حلو وكرة عندليب
حملت هواك في هدبي حلما اخاف عليه من غمض مريب
واشفق ان يلم به خيال من الماضي المثقل بالذنوب
فما للاثم في هدبي رف كأن هواك من طهر الصليب
حنانك .. ما لربيع احن وجها واطيب من ندائك : يا حبيبي
اذا تلقين في عيني هما وفي وجهي اصفرارات المغيب
تمسح كفك التعب المندى ويغمرني الضياء..على شحوبي

لقد هام بالحب حتى انه اعلن في قصيدته « رعشة » عن انه شاعر الحب . وقد اعلنها دون اي تردد :

ذقتها في مطلع العمر وهل ارتوي حبا؟ وهل اروي السنين؟
انا في دنياك غريد الهوى شاعر الحب ، وناي المغرمين
ترقص الدنيا لالحاني غدا وتمناني طيور الخالدين

ان حب الشاعر لا يفنى . انه يبقى في شموخه ، ولو انه ووري الثرى :

لا تخافي . انا هناك على الربوة وحدي والحب ملء جفوني
اتغنى مع الطيور وانساب عبيرا ، مع النسيم الحنون
فاذكريني اذا سمعت الشوادي تتغنى لربها ، واسمعيني

وعندما احس فؤاد سليمان بدنو المنية ، بعد مرض دام خمسة اشهر وحير الاطباء ، اطلق لقريحته العنان . فكانت هذه الابيات التي جاءت تدل على انه ما خاف قط من الموت . انه راى في الموت خلوده :

هداة الموت متعة لخيالي وانعتاق لصبوتي وظنوني
يتجلى في الموت عمر غوي هو سر الخلود بعد المنون

وهناك قصائد جبلت بلون العنف . انه حتى في هواه كان احيانا عنيفا . وكانت الصراحة ميزة تحلى بها في كل قصيدة نظم :

فمك الشهي مرغته بالطيب من شفة الجمال
خليه يفرق في دمي خليه يخلد في خيالي
انا في الضلال احبه لون الخطيئة... والضلال

مرة في احدى خلواته ، تذكر واحدة كانت في عمر البنفسج ، افتقدها الى الابد ، فتألم وثار بوجه الموت ، واطلق صيحة ارتج لها كبد السماء ، ثم ذرف الدمع مدرارا وقال :

---

* عرف فؤاد سليمان بامضاء « تموز » الذي كان يوقع به مقالاته في الصحف ، اذ انه احب الصحافة وساهم فيها اديبا وشاعرا وناقدا ومحررا سياسيا واجتماعيا .

يـا قلب ما تبغـي وما ترتجي ؟ مـن ماتـم تمشي الـى ماتـم
يـا جائعـا اطعمتـه مهجتـي يا ظامئـا رويتـه مـن دمـي
يا احمقـا يمشـي الـى قبـره هدمت اضلاعـي ولـم ترحمـي
اسكت . احس الموت في مضجعي وفي زوايـا المخـدع المظلـم
احس فـي صدري دبيب الردى ينسـل فـي جنبـي كالارقـم

وها هو يندب وردة فعلت فيها الرياح العاتية فعلها ، وكان طيبها ينعشه :

انـا يـوم نتفـك الاسى خصلا تموت مع الرياح
لفلفت طيبـك في دمـي ذكرى الفتـوة والمراح
يوم الربيـع وسادتي وندى الربيع على وشاحي

وتثور ثورته على واحدة فقدت معاني الحب النظيف ، فباعت جسدها لكل عابر سبيل ، وكان هو قد تاه حينا في غرامهـا :

انت ؟ ما انت ؟ لطخة في جبيني دنست مفـرق الالـه الصغـير
انت ما انـت ؟ حية في فؤادي انت ما انـت ؟ عقرب في ضميري
انـت انثـى حمـراء لم تبق منها شهـوة الليـل غير بعض القشور
ان روحي تعـاف خمـرة كاس دنسـت وحيهـا شفـاه الفجور
انـت من عالـم التراب تـراب لم يعانق ظـلام روحـك نوري

والشاعر حبذ للذكريات بقاء ، مهما كان نوعها وطابعها . اسمعه في قصيدة ميمية هي « جحيم الذكرى » يطلب من واحدة صرف معها اوقات عبق فيها اريج الهوى ، ان تظل امينة على عهد الذكريات :

في صدرك الدامي تهاويـل شاعر معربـدة مـا بين نهـد ومبسـم
فـلا تنكريهـا فهي منـي بقيـة تـرف بعينيـك وتطفو على الفم
ولا تنكـري تلـك الليالي فانهـا مخلـدة اللذات في شق مرقمـي

وفي هذه الليالي شرب الشاعر وما ارتوى ، حتى حنت الكـاس :

ليالٍ سكارى جنتِ الكاسُ والطلى بثورتها الحمراء ، جنـونَ جهنمِ
لها حِمَمُ المجنـون فـارت دماؤه وشهقـة سكرانٍ ضعيفٍ ، مهدّمِ

وفي قصيدة « البرير الاحمر » يتحدث الى واحدة كان هواه معها عنيفـا :

احسنكِ في وحدة المضجع لهيبـا تسلل في اضلعي
احسنكِ في اذرعي خلجةً تموت وتفنـى على اذرعـي
وفي مسمعـي آهة كالفحيح يقطعهـا الليـل في مسمعي
اشدك في جنـة المبتلـي وبـي عطش القفـر للمنبع
فاطبـق ثغـري على جمرة واغمض جفنـي على شعشع
ففي الليل من عرسنا غصة وفي خاطري سكـرة لا تعي
اشدك... بي ثورة الجائعين والوي على صـدرك الممرع
احترقُ في جمره جبهتي وانشق مـن ناره مصرعـي
وينفلـت الليـل جنيـة تغنـي وترقص في المخـدع

وكما ترك شعرا مجليا ، فانه ترك ايضا نثرا حلق فيه . وقد يكون في نثره شاعرا . خذ مثلا كتابه «درب القمر» وهو مجموعة مقالات كتبها فؤاد في القرية اللبنانية ، فانك تقع على اسطر تعبق بالنفحة الشعرية . وقد لا تخطيء اذا قلت ، وانت تنتهي من مطالعة الكتاب ، ان جوه انما هو جو شعـري .

والشاعر أو الناثر الشاعر اذا شئت ، تعلق بالقرية الى حد الهيام . انه عبدها . عبد ترابها واحجارها واشواكها. غنى اشجارها ، وشدا لازهارها . تحدث الـى فلاحها ، وانصت لسقسقة جدولها . انه اعطاها من نفسـه عطاء فيـاضـا .

والقرية احست بحبه العارم والصافي ، فبادلته اياه ، وفتحت احضانها لتضمه في مطلع شبابه ، ولتضمه فـي عنفوان ثورته ، ثم لتضمه عندما سقط اليراع من يده ، وخيم على الجبل ظلام دامس وسكون رهيب .

اسمعه يصف العين في قريته التي اضحت كالنهر :

« وكأن « العين » الشحيحة ، تحت الدرب اصبحت في ضيعتنا نهرا ، فالجرار الحمر على الاكتاف في جيئـة ورواح في ضوء القمر ...

وكأن العين لا تفور الا في القمر ويبس الماء فيها فـي الشمس .

ولم تعد جرة ، في ما اذكر ، وتذكر الجرار الحمر ، الا مليئة بالماء المطيّب ، وفي فمها وردة حمراء او قضيـب زنبق او خصلة من حبق » .

وفي مقالته « مرايا لم تعد تضيء » من كتاب « درب القمر » تصوير شعري رائع لبيت لبناني مهجور ، فيهانفحة طاغورية كما قال الاديب الكبير المرحوم مارون عبود . يقول فؤاد سليمان على لسان طفل :

« ويا اماه ... في الكرم كان لنا سنديانة عتيقة ، كانت على الدرب .. كبيرة ، تمتد فروعها في كل صـوب .. يفيء اليها الناس ، في عودتهم في ظهيرة النهار ... وهي من الارث الغالي الذي تركه جد العيلة لنا في الضيعة .

فلا السنديانة حيث كانت ، ولا تحتها فيء . والشمس تلهب الدرب بالنار ، في الظهيرة ... »

واسمعه يقول في « شقائق النعمان » وهي مقالـة ماخوذة من كتاب « تموزيات » :

« وهذا البلبل ، على شباك نافذتي ، عرفته امس ...

لقد فر من ضيعتنا في الجبل ليطلب الدفء والعافية هنا ... ما في حنجرته غناء ... لقد جلدت حنجرته في هذا البرد المميت ...

اطلعي ايتها الشقائق الحمراء الحلوة ،

اطلعي قبل ان يموت البلبل على شباك نافذتي ... »

وبعد ، ان شاعرية فؤاد سليمان تركزت ، بوضوح تام، على العطاء القليل الذي ترك . هذا العطاء فتح امامه درب الشهرة ، وجعله بين شعراء الضاد المعاصرين الذين هتفوا للجمال واتخذوا مواضيعهم من واقعهم .

ابراهيم عبده الخوري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

موليير والمسرح الفرنسي

بقلم جـون وود

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

ولد موليير بباريس سنة ١٦٢٢ وتوفي هناك سنة ١٦٧٣ كان والده ، جان بوكلين ، تاجـرا يتعاطى في المـواد المستعملة في التنجيد ، وعلى شيء من الثروة . وقـد اشترى وظيفة في البلاط ثم حولها باسم ابنه عام ١٦٣٧ ، وفي الوقت نفسه كان الصغير بوكلين (الذي اتخذ اسم موليير بعدئذ) يتتلمذ على اليسوعيين ، وينال احسن تربية يستطيع عصره تقديمها له . وبعد ذاك العهد ، يبدو انه درس القانون في جامعة لا تزال مجهولة المكان على التحقيق .

وفي سنته الحادية والعشرين ، وهو على عتبة حياته العملية التي صممت له ، تنازل عن حقوقه في الوظيفة بالبلاط ، ونظم ما تيسر له من حصة من مقاطعة والدتـه المتوفاة ، وربط مصيره بجماعة من الممثلين . نحن لا نعرف الحوافز التي دفعته الى ذلك باستثناء جاذبية المسرح التي لا تصد . الشيء الوحيد الاكيد ، هو انه اختار طريقه ، وكان اختياره نهائيا حاسما . ومنذ ذلك الحين ، وخلال تصاريف الدهر ، التي واكبت ثلاثين سنة على المسرح ، ظلت عاطفته التمثيلية ملتهبة لا يطفأ لها اوار حتى موته.

اما نواة الجماعة التي ارتبط بها موليير فكانت مؤلفة من اعضاء عائلة واحدة ، هي عائلة بيجار . البنات هن مادلين وجنفياف وارمان ، والابنـان يوسف ولويس . وكانوا جميعا اعضاء في الفرقة التي ما ان انخرطوا فيها حتى لم يتركوها قط . ومن المظنون ان مادلين ، اصبحت ــ في وقت ما ــ خليلة موليير ، على انه مما لا شك فيه ، هي انها كانت رفيقته وزميلته الى سنة وفاتها التي سبقت سنة وفاته هو . اما ارمان التي تصغرها بعشرين عاما ، فقد اصبحت زوجته .

لم يصب النجاح مشروعه لانشاء مسرح جديد لمنافسة الفرقتين اللتين كانتا تمارسان التمثيل بصورة دائمة في باريس . فسجن موليير بسبب الديون التي تراكمت عليه، ولم يطلق سراحه الا بتدخل والده . وفي ١٦٤٦ نبذ هو وزملاؤه العاصمة متوجهين الى الاقاليم ، وعاشوا هنـاك حياة الممثلين المتنقلين في الاثنتي عشرة سنة التالية . ومع ان المعلومات عنهم لم تنقطع في العديد من مدن الاقاليم ولا سيما في الجنوب ، الا ان المعروف من مغامراتهم قليل نزر . وعلى كل حال فقد تعلم موليير الصنعة في هـذه المدرسة . وحين عادت الفرقة ادراجها الى باريس فـي ١٦٥٨ ، كانت فرقة مؤلفة من اعضاء حنكتهم التجربة ، وكان على راسها القائد المعترف به ، موليير . اما حصيلة المسرحيات التي احتفظوا بها فكانت من احسن ما عرف يومئذ ، بالاضافة الى عدد من التمثيليات الهزلية القصيرة التي الفها موليير نفسه ، وقد نالت استحسانا من جمهور الاقاليم . ثم حدثت نقطة تحول اخرى في حياته العملية ، وذلك عندما استدعى الملك الشاب لويس الرابع عشر فرقته للتمثيل امامه ، مع ان موضع قدمها كان ضعيفا تهدده الاخطار بباريس . كانت المسرحيـة المختـارة مسرحيـة تراجيدية من تأليف كورني ، اعقبتها تمثيلية هزلية قصيرة من وضع موليير بعنوان « طبيب الحب » وليس لها اثر الان . سر الملك وبذا فتح لها طريق الرعاية والنجاح . ثم نالت الفرقة حماية اخي الملك ، وثبتت نفسها في قـاعة « بتي بوربون » التي تقاسمتها مع الفرقة الايطالية بقيادة الممثل الهزلي العظيم فيوريللي مبدع شخصية سكاراموش ثم مثل موليير « المغفل » و « الحبيب المغيظ » في ١٦٥٩ ثم حقق نجاحـا داويا بـ « المضحكون الدقيقون » وهـي معالجة هزلية حية للحماسة الادبية المعاصرة له . ووطـد هذا النجاح وفاقه بـ « مدرسة البنات » وهي مهزلةشعرية جعلت مؤلفها حديث المدينة . كما انها استفزت حسـد المؤلفين والفرق المنافسة . لكن مكتب البطاقات انتعش بهذا الجدل ، واثبت موليير قدرته على العناية بنفسه في حرب المسارح تلك . لقد ظهر في هذه المسرحية مـدى جديدا من الابداع الهزلي ، وثقة متنامية في حسن الاداء، وميلا لاختراق سطحية الاشياء التقليدية ، الامر الذي اثار ردود فعل ، علاوة على الضحك ، مما جعله اكثـر شخصية اثارة للقيل والقال في عصره . فاذاكانت «مدرسة البنات » قد وضعت معاقل التقاليد على اهبة الحـذر والاستعداد ، فان «طرطوف» . وهي من اوائل الكوميديات العظيمة للهوس الانساني، قد هتكت وفضحت هذه المعاقل. اما المسرحية فتعنى بالدين والنفاق الديني ، وبطرطوف ابدع موليير شخصية لا تنسى . والمسرحية انجاز كبير ، ان في قوتها التمثيلية او في تحديها بمضامينها ، لقـد ضربت العصر ضربتها الشديدة في موضع حساس ، فكان رد الفعل مباشرا عنيفا . وعلى الرغم من تأييد الملك له ، ذلك التأييد المعروف ، فان المؤلف لم يسلم من الهجوم واللعنة والتحريم ، سواء ممن اختار بصفتهم يمثلون قوى النفاق المنظمة المحترفة ، ام مـن العديد من المتدينـين الحقيقيين . والى يومنا هذا ، يوجد اناس ليس كلهم من الحاطين من قدره ، يشعرون ان موليير بهذه المسرحيـة

---

(١) يقصد المؤلف من كلامه هذا ان الكنيسة حرّمت دفنه في ارض مقدسة ، المترجم . (٢) المقصود بذلك الاعتقاد بان العالم وضع علـى اساس تصميم معقول ، وهو سائر وفق هذا التصميم مـدى الزمن ، المترجـم .

وخليفتها لم يهاجم التدين الظاهري بل اسس الدين بالذات . منعت المسرحية من الجمهور ، وحين اعيد تنقيحها وربما تخفيف لهجتها ، في الشكل الذي نعرف ، لم يسمح بتمثيلها قرابة خمسة اعوام . لقد كانت النكسة جدية بالقياس الى موليير ، كما كانت الخيبة مرة ، لكن نتاجه لم يضعف ـ ان العدد المحدود من رواد المسرح يومئذ في باريس جعل المسرحيات الجديدة ضرورة مستمرة . ومع ذلك ، فان موقفه تصلب . اذ لم يعد قانعا بان نجاح المسرحية يكمن في قدرتها على بعث السرور في النفوس. ان وظيفة الكوميدياالان هي انزال العقاب بالحماقة والرذيلة، وفي محاولة للتغلب على الصعوبات التي واجهته، اختار لمسرحيته الجديدة احد الموضوعات الشائعة يومئذ ، وهي قصة دون جوان ، حيث تقتضي العقدة انتصار الدين وخذلان الالحاد . فانتج مسرحية هي من اقوى مسرحياته الهزلية واشدها غموضا ، كانت طرفة ، في تلك الظروف ، من طرف العناد الفني . وهذا ما جعل الالسن تتناوشه من جديد ، لكن المسرحية مثلت فمن ١٥ شباط الى عشرين آذار ١٦٦٥ تم لها خمسة عشر ارتقاء على خشبة المسرح . وهذا عدد كبير بالقياس على تلك الايام ، لكنها لم تفعل ذلك فيما بعد في حياة موليير وحتى بعد قرابة قرنين من وفاته في الشكل الذي كتبها فيه . انها لم تطبع الا في سنة١٦٨٢ وفي طبعة مهذبة . اما كيف سقط التحريم فامر مجهول ، لكن النتيجة كانت مقنعة .

وفي الوقت نفسه كان موليير مشغولا حينا من الزمن بـ « عدو البشر » التي مثلت اول مرة في ١٦٦٦ فنالت نجاحا يسيرا ، لكن معاصريه الثاقبي البصيرة اعتبروها طرفة ممتازة ، وهذا ما اعترف به الخلف بعد السلف ، ذلك انها بيان شامل يتناول الاخلاق والصلات الانسانية ضمن مفاهيم الكوميديا الصرفة . واذا كانت «عدو البشر» ذروة الانجاز الادبي لموليير ، فان طاقته المبدعة وحماسته لم تتخاذلا قط . فظهرت للبلاط مسرحيات رفيعة الشأن من اضراب «امفيتريون» و «النفس» الخ... وهي تتدافع بالمناكب مع مسرحيات المدينة من امثال « البخيل » ... و « سكابين » هذا عدا عن المسرحيات التي نالت رضاء البلاط والمدينة معا ، كـ « السيد البرجوازي » و «المسيو دي بور سيناك » و « الكونتيسة دي ايسكاربوناس » ... الخ وفي هذه السنين استغل موليير باليه الكوميدياستغلالا متزايدا ، سعيا وراء الوحدة المثالية للاداء التمثيلي والموسيقي والرقص . وقد جرب هذا الاطار الفني في باكورة عمله في « المزعجون » وعاد اليه بعد ضجة « طرطوف » و « دون جوان » وذلك في «دواء الحب» .

كان موليير نفسه موسيقيا ، انحدر من جهة والدته من اسرة من الموسيقيين . وكان الملك ، في ذلك الوقت ، مغرما كليا بالموسيقى والرقص ، كما ان البلاط انتظم في هواه واعجابه بهوى الملك واعجابه . وقد وجد موليير في (لولي) مساعدا عبقريا اضفت موسيقاه سحرا على المسرحيات المرتجلة ... لقد تحقق مفهوم الباليه الكوميدية تحققا ناجزا في « السيد البرجوازي » و «مرضى الوهم» والاولى التي مثلت في ١٦٧٠ مضرب الامثال لمزاج تلك السنين في اسعد احوالها .

وبرعاية الملك ، تسنم احدى الوظائف في البلاط على اثر وفاة اخيه سنة ١٦٦٧ واصبحت فرقته (الفرقة الملكية) ١٦٦٥ واخذت تمثل في « القصر الملكي » وكان هذا مسرحا خاصا برشيليو ثم رفع الحظر عن « طرطوف » نهائيا سنة ١٦٦٩ ، ومع ان موليير كان يتمتع بصداقة العظام من رجال عصره ، ومع انه عرف النجاح باوسع قدر ، الا انه كان ـ في حياته الخاصة ـ غير سعيد. توفي ابناه في الطفولة، اما صلته بزوجته الشابة ارمان فقد كانت من السوء، بحيث عاشا منفصلين عهدا ما . ثم تدهورت صحته التي اخذت تزعجه منذ ١٦٦٥ . اما صلاته بلولي فقد تراخت ، لان الايطالي استغل حظوة الملك استغلالا متزايدا لفائدته الخاصة . فنصحه اصدقاؤه ان يتجنب التمثيل ويتمتع برغد الحياة ، لكن عبثا ما فعلوا . فالطريق التي اتخذها في ١٦٤٣ استمر فيها الى النهاية . ففي شباط ١٦٧٣ اخرج « مرضى الوهم » وقام هو بنفسه بدور ارغان ، كان المريض هذا سعيدا على المسرح بصورة تفوق سعادة مبدعه في الحياة ، وفي المرة الثالثة من التمثيل نقل موليير وهو في حالة مرض الى داره وتوفي هناك بعد وقت قصير . بيد ان سمعته لم تنقذه من عقاب المهنة اللعينة وحقد اعدائه(١) ولم يدفن في ارض مقدسة الا بنداء وجهته ارملته الى الملك بالذات .

اما فرقة موليير التي وقفت بجانبه في السراء والضراء ، فقد تماسكت واستأنفت التمثيل مرة اخرى بعد اسبوع من وفاته ، وظلت على قيد الحياة حتى جمعت الوحدة بينها وبين المنافسين القدامى من « هوتيل دي برغون » و « لي ماريس » فكان مسرح « الكوميديا الفرنسية » وهي تجسيد لتقاليد التمثيل الفرنسي من مسرح موليير الى يومنا هذا .

وقائع حياة موليير معروفة جيدا ، لكن الرجل نفسه يزوغ عنا ويروغ . واوصاف معاصريه اشتات مبعثرة ، واكملها من صنع اعدائه الذين يطعنون به وهم مغرضون اما سلوكه في الفرقة فقد كان محتشما على ما يقال . وقد سماه بوالو « المتأمل » وكما يصور نفسه في « عفو الخاطر من فرساي » نراه يعرض مزاجه اول عرض ، فهو سريع خفيف ، متوتر الاعصاب ، نزق ، منغمر في المهمة العاجلة، مهمة معالجة اصعب المخلوقات مراسا ، اعني الممثلين والممثلات . ثم ان صوره الشخصية ترينا اياه رجلا ذا عيون لطيفة وفم واسع . تتحدث ابنة زميله دي كرواسي عنه بعد مدة طويلة ، على ما تتذكر رؤيته في شبابها ، فتذهب الى انه كان ربع القامة ، وشخصية مؤثرة اخاذة ، رزين المنظر ، ذا انف كبير ، وفم واسع وشفاه غليظة

وسحنة سمراء ، وحاجبين سوداوين يستطيع تحريكهما في الوجهة التي يريدها ، فتضفيان على وجهه تعبيرا هزلا مثيرا .

يبدو ان علاقات موليير مع والده كانت صميمية ، على الرغم من اختلافهما المبكر في الاهداف . وكانت فرقته تمحضه الولاء والاحترام سنين عديدة ، وهذا امر غير اعتيادي في المسرح . وكذا صلاته بالملك فهي الاخرى صلات حميمة باستمرار . وقد كان لويس يجد من الضروري احيانا لجم جموحه ، غير انه في الظروف الحرجة ، لم يتوان من دعمه وتأييده بتمييز مقصود . وحين اشتداد الهجمات على « مدرسة البنات » اوضح الملك موقفه الخاص بتخصيص معاش تقاعدي له ، اما « عفو الخاطر من فرساي » وهي رسالة رد فيها موليير على اعدائه ، فتبدو كأنها تفويض ملكي ، وحين اخذت الهجمات الشخصية تتوالى على موليير وزوجته بازدياد مضطرد لا حدود له ، تبرع الملك بان يكون الاشبين لتعميد طفلهما الاول ، وفي اشد مراحل حياته حراجة ، حين كانت « طرطوف » تحت طائلة التحريم وكان وضع الفرقة معرضا للخطر ، زاد الملك من معونته السنوية وانعم عليها بلقب « الفرقة الملكية » . مثل هذه الصلة تشهد على ان الملك كان مستنيرا كما تشهد على حصافة الرعية . اما اهداءات المسرحيات والعرائض التي كان يوجهها الى الملك فتدل على قدرته بصفته من رجال البلاط ، وقابليته للقيام بهذا الدور لتحقيق اهدافه. كما ان الحياة في البلاط كان لا بد لها من توهين قوته ، وربما توهين استقامته الوجدانية ايضا ، ولو لم يكن هذا الرجل ذا صفاء نفسي عميق وشجاعة بعد عواصف « طرطوف » و «دون جوان» وخيبة «عدو البشر» الجزئية لما احتفظ بتلك الحماسة وحب الحياة اللتين توضحتا في الكوميديات المتأخرة . . . ومع ذلك ، فلم تخطر الاوهام على باله . يقول فيلرين في « دواء الحب » : « ان حب الحياة هو اشد المعايب الانسانية باسرها فتكا » ولو لم يكن نفسه هو ارغان على المسرح ، ذلك الانسان الضرير الذي احتال عليه الاطباء ، لكان على المسرح معضلته ذاتها لا غير . ذلك بان الذي اثار الضحك على الاخرين لم يستثن نفسه .

منجزات موليير

من المعايير التي تقاس بها منجزات موليير ، انه لم يعد شاعرا وكاتبا مسرحيا ، ومبدع تقاليد تمثيلية ، بل بصفته رجل اخلاق وافكار كانه معلم ، فيلسوف ، او ميتافيزيقي. فجاءت اجيال من النقاد والدارسين والفنانين ، وعلقوا على ما فكر فيه وقصد اليه ، متناقشين ومتجادلين ، وهذه العملية لا تزال مستمرة . الشيء الوحيد الذي لا يطاله الشك ، هو ان الكوميديا التي كانت مباشرة قبل عهده مقتصرة على المهزلة التمثيلية (Farce) في سماجتها واتصالها الملح بالاوضاع البالية ، والشخوص المعترف بها ، هذه الكوميديا ـ في احسن اشكالها ـ كانت تتمثل في مسرحيات يشوبها التكلف والتصنع ، فرفعها « موليير » في مدة تقل عن عشرين عاما ، الى ذروة الفن العظيم ووضعها في مصف تراجيديا كورني وراسين ، وجعلها موضع تقدير مواطنيه ، وثبت لها وللتمثيل الهزلي مقاييس لا تزال نافذة المفعول في كل مكان من العالم الغربي . ومن هنا فالمسرحيات الى يومنا هذا مصدر سرور وانشراح وتعليق على الحياة يجده الناس صحيحا مصيبا ، وتعبير عن الروح الهزلية التي لم تفقد لذعتها الى الآن . اما اثارة السرور فينبغي ان تكون في المرتبة الاولى ، ذلك بان موليير نفسه كان يحققها . وهو اولا واخيرا رجل مسرح اعتبر محك النجاح سرور الجمهور . شأنه في ذلك ، ولا شك ، شأن استاذ الرقص في « السيد البرجوازي » الذي فضل الثناء المدرك ، غير انه كان يتحرج من اظهار احترامه لجماهير مشاهديه كافة. اما الضحك الذي تثيره مسرحياته فيعبر عن السرور لا عن السخرية . ليس لدى موليير الا القليل من المرارة بغير منة ، ومع التأريخ العاصف الذي واكب بعضا من مسرحياته ، وقوتها التي لا تزال تعكر صفو الامور ، فان نتاجه بصورة عامة ، نتاج سعيد لطيف في اساسه . وفكرة الضحك التي تزيح الهم ، لا تزيحه الا لتستعيد الصحة والانسجام ، وهي ما لا يشتط عنها بعيدا او لمدة طويلة .

ان من يريد اقصاء هموم الايام ،
والاحزان والفجائع والالام ،
والتاعب ذوات الموت الزؤام ،
عليه تجنب حذق الاطباء الماهرين ،
والمجيء الينا من حين الى حين .

هكذا تفني الكوميديا والموسيقى والباليه في « دواء الحب » وهذا الفناء هو ما يعبر ، بغير شك ، عن القيم الاساسية التي احتضنها موليير . ان انشراحه ليس انشراحا سطحيا وليس نتاج فرح طافح او فطنة او تهريج، ولو ان لهذه الامور مكانتها في مسرحياته ، التي هي جزء من موقفه حيال شخوصه وحيال الحياة . تراه يضحك عليهم او يحملنا على فعل ذلك ، ومع ذلك فهو يفهمهم احسن الفهم وقد يصل هذا الفهم الى حد المشاركة الوجدانية . ومن هؤلاء الشخوص هارباكون وطرطوف ودون جوان .

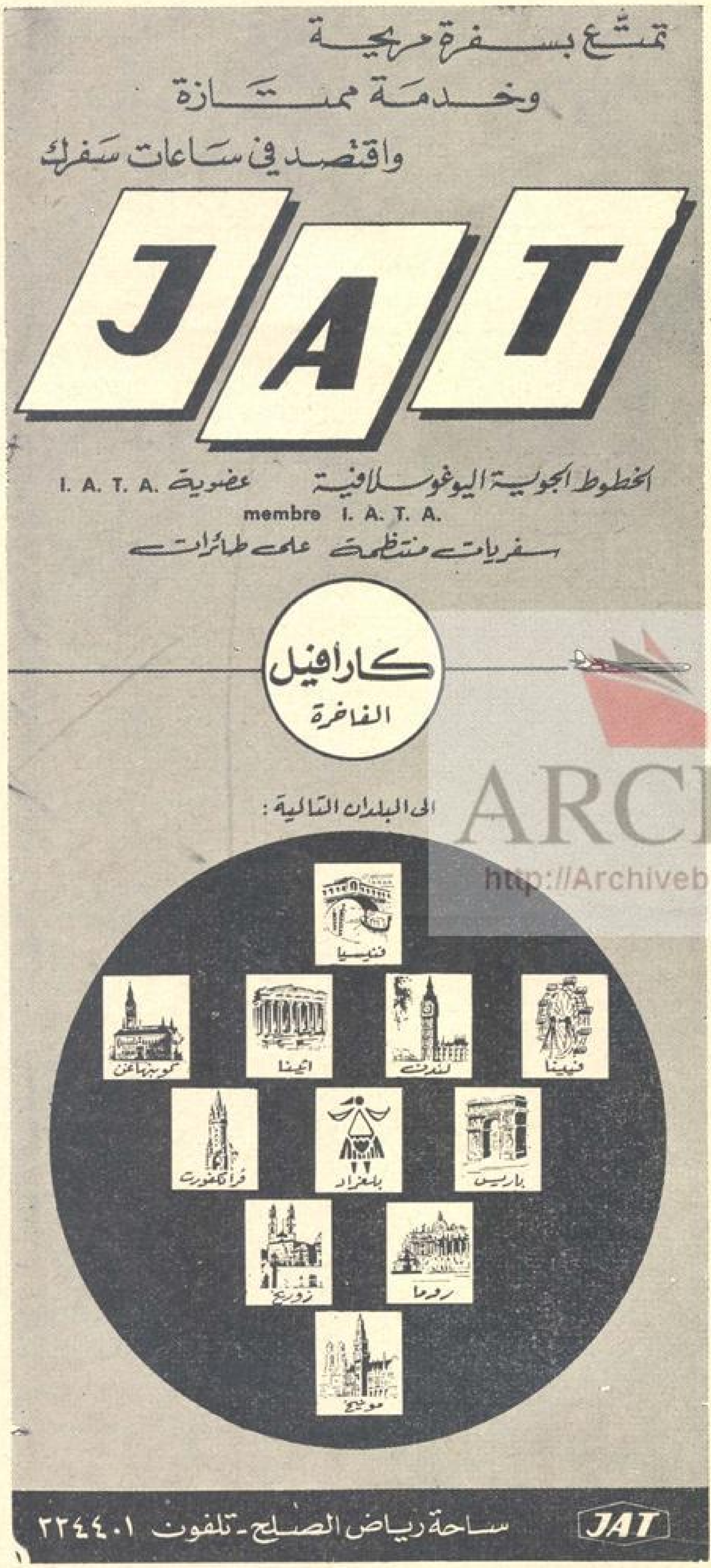
اما نظراته الى الحياة فيظهرها تلميحا لا توكيدا وتصريحا . فهو لا يحتج على طبيعة العالم ولا على وضع المجتمع . ثم انك لا تجد في مسرحياته فضائل بطولية كالشجاعة والولاء والثبات . والنكتة وحدها هي التي تبدو فيها كلمات مثل القدر والحظ والوجود . وكذا الحب والموت والفراق لا تبدو الا في مواضع الهزل . كما ينتفي الاعتقاد بالكمال والقدرة عليه ، وبالتقدم سواء أكان ذلك بشكل فردي ام اجتماعي . فشخوصه هم هم بغير تغيير

من استهلال المسرحية الى خاتمتها . لذا نـرى هارباكون يعود الى صندوق ماله (قاصته) ويظل جوردان في حماقته ودون جوان يلفه مصيره الذي لا مفر منه . ان موليير يرينا الناس في معايبهم وخيلائهم وانانيتهم وسخافتهم ، ومـن اعظم منجزاته انه بتأثير الضحك وبتحليل الكوميديا مكننا من تجربة لحظة الصدق والحق وجعلنا نشعر بفعل العقل والاسهام بمشاعره الوجدانية حيال الانسانية باسـرها . واذا لم يكن ليوكد على نظام من الفضائل فقد جمع شمل متناقضتها كالنفاق والخيانة والرياء ، ووجد متعة بين مـا عليه الناس وما يفكرون فيه ويتصورونه ، بين ما يحاولون فعله وبين ماهية طبيعتهم . انه يظهر الاشياء التي تشوه البشر وتفصلهم عن اخوانهم ، وتعظم اختلافاتهم . ثـم هناك صلات معادة تشكل مادة مسرحيـاته وميكانيكتها ، ثمة سيد ومسود ، وزوج عجوز وزوجة شابـة ، واب وابن ، ورجل مختص بعمل ما وآخر مـن عامة الناس ، وشيطان محتال وانسان مغرر به ، وكل ذلك في مضمون هزلي . وهو جزء من مادة التمثيل الهزلي الخالـد الذي استحوذ عليه وغيّره. وهكذا فمنجزاته تكمن في استطاعته ان يستخدم وسيلة كانـت قبله مشدودة الـى الارض ، محدودة بالتعليق على الاخلاق والصلات الانسانية ، فجعل منها رؤيا جلية للطبيعة البشرية .

يتقبل موليير تقبلا حسنا معقولية العالم (٢) Rationality وملاءمته ومقام الانسان فيه . اما فنه فكان محدود الاماد بتقصد ، وكان في ممارسته له ، ممثلا لعصره وبلده . كان فرنسيا في عصر فرنسا العظيم ، كما اصبح نتاجه جزءا لا يتجزأ من الثقافة الفرنسية . ومما يقال : «ان كل فرنسي يولد على شريعة موليير » . فافكاره وشخوصه وكلماتـه ذواتها اخذت اماكنها في الحياة الفرنسية ، وغدت تعبيرا معترفا به عن العبقرية الفرنسية .

لم يطمح موليير في اكتشاف اقاصي المشاعر الانسانية. فليس هارباكون واليسست (لير) او هاملت . وهو لم يسع حتى ليكون اصيلا او مبتكرا . فعقده وشخوصه وعملـه المسرحي وكلماته بالذات في تعبيرها الملائم عـن اغراضها جمعها من مختلف المصادر الكلاسيكية والمعاصرة ، وهو ـ في استعارته لها من الاخرين ومن نفسه ـ وفي استعماله لها واعادة استعمالها . يطنب فيها اطنابا مضجرا باهتا تافها احيانا . ومع ذلك فعالمه المحـدود عالم حقيقـي ، تتواءم اجزاؤه ، وتستمد شخوصه الحياة من الهام العبقريـة ، وتصدر حركتها المفعمة بالحيوية من حيوية المؤلف الوفيرة، ولما كان هذا استاذ فنه ، نراها تعتلي المسرح قانعة راضية، يطفح عليها رجحان الصدق الذي عجزت القرون عن التقليل من شأنه والحط من قدره العظيم .

بغداد **يوسف عبد المسيح ثروة**



شاكر عون

بقلم جرجي نصر

* * *

هو الكاتب العبقري والمفكر العميق التفكير والخطيب المؤلف المترجم شاكر بن جرجس عقل حرفوش المعروف بشاكر عون ، منسوبا الى عائلة والدته .

ابصر النور في قرية بكاسين (لبنان) سنة ١٨٤٥ ونهل طفلا من عين ذكائها ، ثم نزح ابوه الى وادي جزين حيث يقيم اكثر افراد اسرته ، فاقتنى ارضا خصبة اقبل على حرثها والعناية بها ليؤمن العيش له ولابنائه . ولكن القدر لم يلبث ان حرم الابن عناية ابيه الذي توفاه الله قبل ان يبلغ الصغير العاشرة من عمره ، فلجأت والدته وصغارها الثلاثة الى جزين حيث تقيم عائلتها المنسوبة الى آل عون، وهي اسرة قديمة من اسر جزين ، ومنذ ذلك اليوم ، عرف شاكر باسم اسرة امه ، شأن الكثيرين من اللبنانيين الذين انتسبوا الى عائلات امهاتهم وجدودهم فاشتهروا بها

وقد عهدت امه بتربيته في جزين الى المعلم يوسف صالح رزق (١٨٣١ ــ ١٩١٦) تلميذ مدرسة عين ورقة ، فابدى التلميذ نجابة ونبوغا وتفوقا رغم صغر سنه . وبعد حوادث سنة ١٨٦٠ المؤلمة وقدوم الجيش الفرنسي لتهدئة الحال ، رغب العالم الشهير الكاردينال لافيجري (١٨٢٥ ــ ١٨٩٢) ومؤسس الاعمال الخيرية والعلمية في الشرق الى الحكومة الفرنسية ان تقبل في معاهدها وتعلم على نفقتها اربعين تلميذا من احداث اللبنانيين ، فاستجابت حكومة الامبراطور نابليون الثالث رغبته ، وكلفت المرسلين الفرنسيين واساقفة لبنان بان ينتقوا هذا العدد من الايتام الذين عرفوا بذكائهم واجتهادهم وحسن سيرهم ، فوقع الاختيار على شاكر ، فكان واحدا من اولئك الطلاب .

وسافر هؤلاء التلامذة الى باريس بملابسهم الشرقية اللبنانية الجميلة : فجلباب من الحرير يضمه الى الجسم نطاق ، وعلى رؤوسهم طرابيش مغربية ، ولما وصلوا الى باريس وزعوا على مدارس مختلفة ، فكان من نصيب شاكر مدرسة فرسايل المشهورة .

ولما كان شاكر على قسط كبير من التربية اللبنانية ووداعة الخلق وخفة الظل فقد احبه اساتذته واترابه ، وكان اساتذته معجبين بهذا الفتى الشرقي المتفوق على اقرانه ، مستغربين ان يكون بين الشرقيين ، فتيان يساوون بنجابتهم وحسن اخلاقهم ، الطلبة الغربيين ، وزاد من اعجابهم به ، انه اذ بلغ صف الفلسفة بدت منه دلائل فهم عميق للمبادىء الفلسفية والعلوم الاجتماعية .

ولما اتم دروسه وظهر من نبوغه ما ظهر ، عهد اليه مدير المعهد بعطاء الدروس لابناء الاشراف والاسر العريقة في باريس فكان من تلامذته ابناء اسر « دي بريساك » و « ماكماهون دي كروجان » وغيرهم .

وطال حنين الام الى ولدها الغائب فاخذت تكتب الرسالة بعد الرسالة الى ذوي الامر واليه ، ملحة عليه بالعودة الى وطنه للعناية بشقيقه عبد الله وشقيقته تقلا ، فعاد شاكر الى لبنان مزودا بارفع العلوم التي تؤهله الى القيام بالتعليم في ارقى المدارس اللبنانية في زمن قل فيه من كان يجيد اللغة العربية فضلا عن اللغة الفرنسية وآدابها .

عاد وفي صدره تجيش الامال الواسعة ، ولكنه لم يلبث ان ادركه اليأس لما رآه من انصراف مواطنيه عن الافادة من العلوم العصرية الراقية ، فضلا عن اللغات الحية ، لان النير التركي كان جاثما على لبنان يطفيء فيه كل شعلة من حرية او قبس من نور ، ولم تكن الجرائد يومئذ الا ادوات دعاية لذلك العهد البائد ، تملأ صفحاتها بتمجيد الحاكم الجالس على العرش وتحبيذ اعمال حكومته الغاشمة الظالمة. ولما لم يجد الفتى المتحرر النابغ مجالا لقلمه وتفكيره ونشاطه ، هاجر الى مصر وقد كانت يومئذ دون سائر البلاد الشرقية ، مرتع الحرية ومبعث العلم والعرفان ، وحط رحاله في وادي النيل يلتمس عملا حرا فعز عليه مطلبه ، لان الصحافة كانت تتطلب كثيرا من المال والمجهود ، وعرضت عليه شتى وظائف التعليم بل الوظائف الحكومية لقلة المتعلمين في مصر في ذلك العهد ، فأبت عليه نفسه الطموح النازعة الى الحرية والاستقلال ، ان تتقيد بقيد الوظيفة . وكان لديه القليل من المال ، فاشار عليه بعض من تعرف اليهم من النزلاء اللبنانيين ، ان يضارب في البورصة ، فخانه الجد وخرج من مضاربته خالي الوفاض، وادركه المرض فاعتلت صحته واصبح يعاني الامرين . البؤس والمرض . فعاد الى لبنان مستشفيا خائب الامل .

ودعاه الحنين الى العودة الى البلد الذي ثقفه واظله وانزله منزلا في رحابه، وحدث ان تعرف الى المرحوم المطران يوسف الدبس (١٨٣٣ ــ ١٩٠٧) مؤسس مدرسة الحكمة الشهيرة ، فعرض عليه ان يقوم بتدريس اللغة الفرنسية في ذلك المعهد الناشيء الذي اصبح اليوم يضاهي ارقى معاهد العلم في الشرق فقام بتدريس الفلسفة والتاريخ فضلا عن اللغة الفرنسية ، فاشتهر امره وطار في ارجاء لبنان ذكره لما ابداه من مقدرة في التدريس وعطف على الطلبة . وكانت هناك جمعية علمية معروفة باسم الجمعية المارونية العلمية، فانتخب عضوا عاملا وترك آثارا ادبية فيها.

وظل دابا على التدريس والكتابة ومراسلة الصحف زهاء نصف قرن ولم يقصر نشاطه على التدريس في مدرسة الحكمة بل جاوزه الى التعليم في اشهر مدارس بيروت ، وهكذا تخرج على يديه الكثير من نوابغ رجال الفكر والادب.

وكان رحمه الله يجيد من اللغات : اللاتينية واليونانية والعبرية والايطالية والعربية التي تعلمها في بيروت وقد

بلغ سن الرجولة ، وعلى الرغم من هذا فقد توصل الى التضلع منها والالمام بشواردها، بالاضافة الى اللغة الفرنسية، التي حذق فيها حتى ضارع اكبر الكتاب الفرنسيين ، مما ساعده على نقل الكثير من روائع الفكر من الفرنسية الى العربية .

وقد كان ملما خاصة بالفلسفة وعلم الاجتماع والتاريخ والبلاغة والعلوم الرياضية والمدنية .

مؤلفاته المخطوطة بالفرنسية : وكان على كثرة عمله المدرسي مكبا على الكتابة والتأليف والترجمة وقد الف : كتاب في علم الفصاحة وكتاب في عوائد واخلاق الشعوب الشرقية .

مؤلفاته المطبوعة بالعربية : تعريبه لكتاب خطبة التاريخ العام « لبوسيه » الاسقف الفرنسي المشهور مع الشيخ عبد الله البستاني (١٨٥٤ ــ ١٩٣٠) كما له مقالات ممتعة في فروع الآداب والقضايا الاجتماعية ، كان لها تأثير كبير .

وقد انشأ في سنة ١٩١٠ هو والمرحوم الاستاذ الياس طنوس الحويك (١٨٧١ ــ ١٩٥٧) مجلة « النديم » التي احتجبت عن الظهور في سنة ١٩١٤ وقد اشتهرت هذه المجلة بالجراة في النقد وبمناصرة الادب والادباء ونصرة الضعفاء وانتقاد الادارة الفاسدة .

وبقي حتى ايامه الاخيرة يراسل كثيرا من اصدقائه الفرنسيين ورفاقه في المدرسةمن الذين اصبحوا من اعاظم الرجال في بلادهم ، وعلى الاخص صديقه الحميم المسيو « درّاس » وهذا الصديق الذي شغل باله على صديقه الفيلسوف اللبناني لما انقطعت اخباره ، ولم يكن يعلم بوفاته ، وحدث ان قدم لبنان سنة ١٩٣٣ ابن صديقه هذا، الكولونيل لاوون درّاس ، وهو يحمل رسالة وفاء من ابيه الشيخ الى صديقه القديم شاكر عون ، فلما علم بوفاته ، طلب ان يرى احد ابنائه فهدوه الى نجله السيد ميشال عون ، فسر الضابط به ، واهداه باسم ابيه تحفة ثمينة وهي ، صورة المرحوم والده شاكر عون مع نسيبه ورفيقه في مدرسة فرسايل المعلم يوسف حرفوش (١٨٤٧ــ١٩٢١) لدى وصولهما الى باريس بألبستهما الشرقية ، والصورة زيتية بريشة اشهر الرسامين الفرنسيين المسيو لاكروا .

ولما بلغ من العمر عتيا اعتزل العمل ، فكانت داره مباءة اهل الادب والعلم ورجال الفضل ، يحدثونه ويستقون من ينبوعه الزاخر وادبه الصحيح . وكان رحمه الله ملتزما جانب الاستقامة ، متمسكا بعادات اهله وقومه ، ثائرا على الرذيلة والاخلاق المنحطة ، ناحيا باللائمة على بعض امثال المتأخرين .

وكان مليء القامة ، جهوري الصوت ، شجاعا في ابداء رايه والدفاع عنه ، كما كان فصيح اللهجة ، قوي الحجة، بليغ العبارة ، وقد توالت عليه في ايامه الاخيرة المصائب فروعته بوفاة ولديه جورج وماري ورفيقة حياته ، وهذه الاحداث المتوالية كفت عينيه والزمته داره كئيبا حزينا .

وتوفاه الله في مدينة بيروت يوم الاحد الموافق ٢٤ من تشرين الاول سنة ١٩٢٦ فكان فقده خسارة على الادب والفضل والاخلاق .

بكاسين ــ لبنان **جرجي نصر**

الى شاطئ آخر

●

على الدرب ، سفحنا العمر ، مزقنا خلايانا
وعطرنا ضمير الارض ، ضمخناه الوانا
واسقيناه من دمنا .. واطعمناه سلوانا
فلم يعطف على كبد .. ولم يرحم عذارانا
واسرف في قساوته .. واسرفنا بشكوانا
انطعمه ونحن نجوع ؟
ونسقيه العيون دموع ؟

الام نظل نستجدي طلوع الفجر يا احزان
ولا نحفر ، عبر الليل ، دربا يوصل الركبان
الى دنيا من الانوار ، ينسج فجرها الانسان
نشيد عالما كالحلم ، خلف منازل النسيان
يموج العطر في برديه .. يطفيء غلة الظمآن
ويحملنا الى دنيا
من الالهام والرؤيا ؟

هنا .. في مقلة الغيب يطل الافق المنشود
تعال اليه نعمره .. ونطعمه الليالي السود
تعال نشد خيمتنا .. وراء العالم العربيد
ونسى اننا كنا .. هنالك .. في الاسار عبيد
..هنا تلقي مراسينا.. على شاطئنا الموعود
وننشرها على الدهر
كتابا خالد الذكر

تعال .. نشيع الماضي .. ولا نحفل بالحاضر
ونطفيء في جوانحنا براكين الهوى الثائر
لتونع في حدائقها براعم حبنا الباكر
نغني .. ننحر الاحزان.. نقتل جوعها الكافر
لينهض في ضمائرنا.. وجود.. عالم طاهر
نواسيه .. يواسينا
ويثمر طهره فينا

الكويت **راضي صدوق**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الادب العـربي

المستشرق الانجليزي السير هاملتون جب

ترجمة كاظم سعد الدين

* * *

ان الادب العربي (١) الكلاسيكي هو النصب التذكاري الباقي لحضارة وليس لشعب . وكان المسهمون فيه اناسا من اشد السلالات تنوعا والذين فقدوا مع ذلك لغاتهم القومية وتراثهم وعاداتهم تحت تأثير فاتحيهم العرب وانصهروا في بوتقة وحدة التفكير والمعتقد واندمجوا في امة عربية جديدة أوسع . واستطاع الفرس وحدهم ، ولو بعد ان تشربوا بالخصال والميول العربية ، اخيرا ان يستردوا استقلالهم الفكري والعنصري . وحتى عندما ازيحت اللغة العربية عن مقامها الرفيع في الولايات الشرقية بانبثاق ادب فارسي فانها تمسكت ولم تفقد معذلك بصورة تامة مركزها لغة عامة في الشرع الاسلامي والفلسفة والعلم . ولم يكن ازدهار الادب العربي مشروطا الى درجة قد تكون اعظم مما في الآداب الكلاسيكية الاخرى على وجود مجتمع مثقف فقط بل على سخاء ورعاية ذوي المناصب العليا . فقد عكس الادب بكل امانة الاوضاع المحلية سياسيا وثقافيا لمشاركته التقلبات التاريخية للحضارة الاسلامية . وحينما آل المجتمع الاسلامي نحو الانحطاط فقد الادب حيويته وقوته ، بيد انه ما دام ثمة أمراء او وزراء في احدى العواصم او في غيرها يجدون متعة او فائدة او شهرة في رعاية الفنون فان المشعل يظل يضطرم . لذا نجد حينا منطقة وحينا آخر منطقة غيرها تتسنم مركزا قياديا في الثقافة الادبية حتى الى فترة تتوافق مع الفتوحات العثمانية في آسيا وافريقيا ومع النهضة في اوروبا فخبت الشعلة وان لم تنطفيء حتى اضحت وهجا كليلا . وعاش كتاب القرون التالية لها عدا قلة منهم على الارث العقلي لسابقيهم ، وقد اضافوا اليه قليلا او لم يضيفوا شيئا ابدا . بينما الهم روح غير روح الحضارة الكلاسيكية الانتعاش الحديث للادب العربي الذي نشأ في سوريا ومصر .

وكان مصير الادب كمصير الاداب الكلاسيكية للامم الاخرى ذلك ان كثيرا من المؤلفات القيمة قد ضاعت ، وهو ما نخشاه ، ضياعا لا يعوض . ولما كانت تلك المؤلفات تعتمد في صيانتها على مجتمع غير مكترث لاي شيء خارج النطاق الضيق للشرع الاسلامي وآدابه التابعة ان لم يكن حقا معاديا له فمن المحتمل ان يكون بين المؤلفات الضائعة كثير مما يضفي في نظرنا شرفا مؤثلا على الحضارة الاسلامية . على انه لا تزال اكداس هائلة من اعداد لم تمتد اليها يد التدقيق الا جزئيا باقية في مخطوطات مبعثرة جنت منه جهود الباحثين الاوروبيين الصابرة في القرن التاسع وواصلها بحماسة باحثون عرب وفرس وهنود في القرن الحاضر ايضا ـ جنت حاصلا مدهشا من المؤلفات التي طال عليها الاهمال ذات اهمية ادبية أو ثقافية . غير انه لما كانت جميع المؤلفات الباقية ذات الاهمية تسير عمليا لتكون في متناول المستعربين بصورة سريعة فان قليلا منها يفي بخدمة البحث الاوروبي في ترجمات يعتمد عليها ولو ان العدد في ازدياد كل سنة (٢) .

ولما كان اولئك الذين بوسعهم التفاخر بانهم عرب اقحاح لا يشكلون الا اقلية صغيرة من اولئك الذين شاركوا في بناء صرح الحضارة الاسلامية لذا فان العربي نفسه شارك بنسبة صغيرة في ادبها . على انها قد تخللتها انماط من التفكير والتعبير استقيت من البلد واثرت فيه بفعل الشعب الذي نتجت عنه وخلاله كقوة فاتحة في القرن السابع من عصرنا هذا . وعليه فقبل ان يكون بمستطاعنا ان نتقدم الى موضوعنا الرئيس يترتب علينا في هذا الفصل والذي يليه أن نجمل البيئة الطبيعية واللغوية التي تقولب بها الادب العربي منذ البداية .

فكان مولده في السهل الرملي الذي جزؤه مروج وجزؤه صحراء من وسط الجزيرة العربية وشمالها الشرقي . وفي ما خلا بعض الواحات النادرة فان الارض لكونها جرداء رتيبة وعرضة للتغيرات الشديدة في الحرارة والبرودة والقحط والفيضان لم تستطع ولا زالت غير قادرة على ان تقيم اود جماعات مستقرة . فسكانها بالضرورة بدو يقتاتون في الاغلب على ما تدره عليهم جمالهم واغنامهم مضطرين على التنقل بلا انقطاع من مكان الى آخر سعيا وراء الكلأ النضير . ولا تضطرب حياتهم الرتيبة الا بالملذات العنيفة في سنوات الخير العميم او البؤس المرير في سنوات الجوع او بنجاحهم او فشلهم في غزوهم بعضهم البعض او الجماعات المستقرة لدى تخومهم . هذا ولقد قولبت بيئتهم الطبيعية الدنيوية عاداتهم وتفكيرهم وكلامهم طابعة فيهم ذلك التكرار والتقلبات الفجائية التي تتوالد في كل مظاهر الحياة العربية وادبها تقريبا . فيتحتم ان تكون دائرة الافكار المحيطة بافق هؤلاء البدو ضيقة ، والصراع من اجل الوجود مريرا جدا الى درجة لا يسمح بالالتفات الى اي

---

(١) هذه مقدمة كتاب « الادب العربي » للبروفيسور الانكليزي والمستشرق المشهور جب . وقد انتهت ترجمة الكتاب وهو معد للطبع . ولعلنا سنوافي قراء الاديب الغراء ببعض فصوله القيمة . (٢) تجد قائمة بالمترجمات الرئيسية الى اللغات الاوروبية في قسم المراجع . وقد اشرنا بنجم على اسم كل مؤلف او كتاب ظهر في هذه القائمة . (المؤلف) (٣) هذا القسم هو خاتمة الكتاب المذكور . (٤) على طريقة الشاعر الامريكي والت وتمن (١٨١٩ ـ ١٨٩٢) الملقب بشاعر الديموقراطية . (٥) هو سير وولتر سكوت (١٧٧١ ـ ١٨٣٢) الروائي والشاعر الاسكتلندي .

شيء غير الاحتياجات العملية والمادية في حياتهم اليومية والتي ليس لها الا شأن ضئيل في تصوراتهم المجردة وتأملهم الديني . ويمكن اجمال فلسفتهم في عدد من الحكم السديدة ودينهم خرافة مبهمة . ويعربون عن افكارهم بعبارات متماسكة وتحتوي لغتهم على قليل من التجريدات البعيدة عما يخص الفعاليات البسيطة والصفات الطبيعية.

ولاجل موازنة هذا الجدب الفكري فان اطراد الحياة والبيئة قد افضت الى تطور بالغ الثراء في اللغة في مجال الحياة المادية . وليس المرادفات وحدها اضحت تتكاثر وانما كل صنف من الظواهر الطبيعية مهما بلغت دقته وكل فعالية منفردة مهما بلغت في التعقيد فيعبر عنها بعبارة تلائم نفسها . ويمكن ملاحظة هذه الصفة في اللغة ايضا الى درجة تعظم او تقل في كلام الشعوب الاخرى التي طريقة حياتها المتنقلة ودرجة حضارتها تشابه تلك التي تخص البدو العرب . غير ان اللغة العربية فريدة في جعل مفرداتها الخصيبة تلعب دورا بارزا في ادب حضارة متطورة تطورا وافيا .

على ان اللسان العربي لم يكن الميزة الخاصة ببدو اواسط الجزيرة العربية وشمالها . فقد كان ثمة جماعات مستوطنة من عرب الشمال الذين لهم صلات وثيقة بشعوب ذات ثقافة عريقة النشأة . وكان ثمة بين حضارة اليمن الغابرة في الزاوية الجنوبية الغربيةمن الجزيرة العربية وبين مناطق حدود سوريا والعراق صلات تجارية مستمرة فتحت طريقا للمؤثرات الثقافية لتنفذ الى اواسط الجزيرة العربية . هذا وترعرعت على مدى الطرق التجارية مجتمعات ثابتة كما في مكة وهي تمت الى البدو بصلة النسب من حيث الدم واللغة وتتميز عنهم بوضوح ولكن الى حد قليل في السلوك والمظهر . وفي الحيرة على الفرات حيث حكمت احدى الامارات العربية تحت حماية الفرس وبين الغساسنة وابناء القبائل الاخرى على تخوم سوريا حمل العرب بصورة طبيعية على الاتصال الوثيق بالثقافة المسيحية الارامية . ومن هذه المصادر شق تيار ضئيل من الاصطلاحات الثقافية الآرامية طريقه في اللغة العربية بيد انه لم يترك الا اثرا طفيفا في شكل اللغة ومحتواها شأن ما فعلت الثقافة الارامية في البدو انفسهم والذين حكمت عليهم الطبيعة ان يعيشوا ببساطة فطرية او يهلكوا في صراعهم من اجل الوجود .

* * *

دخل العالم الاسلامي (٣) ، وخاصة ارضه العربية ، عهدا ثوريا ذا خطورة في القرن التاسع عشر من داخله وخارجه . وقد مزق غزو نابليون لمصر عام ١٧٩٨ حجاب الجمود الذي عزل العرب عن الحياة الاوروبية الجديدة ووجه الى روح العصور الوسطى المظلمة الضربة القاضية . واحتل الادب والافكار الغربية مكانا لهما ببطء باديء ذي بدء ولكن بزخم متزايد وانعش انتاج ادب عربي عصري جديد .

صدر عن :

دائرة الدراسات السياسية والادارة العامة

الجامعة الاميركية في بيروت

كتاب

الوثائق العربية

١٩٦٣

اضخم مجموعة للنصوص الكاملة للبيانات والتصاريح والبرامج السياسية للدول والاحزاب والشخصيات في الشرق العربي .

٢٩٠ وثيقة في ٨٥٠ صفحة (الصفحة عامودان)

الثمن ٢١ ل.ل. أو ٧ دولارات اميركية

اطلبوا هذا المرجع الذي لا غنى عنه من :

مكتب التجهيز والبيع ـ الجامعة الاميركية في بيروت

او

دائرة الدراسات السياسية ـ الجامعة الاميركية في بيروت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فمن الداخل استمد الادب الجديد قوته الدافعة من تفاعل حركتين قام كلاهما سوية في سوريا ومصر . وكانت تهدف الحركة الاولى ، متناقضة الظاهر كما يبدو ، الى احياء الادب العربي الكلاسيكي وانتجت سلسلة مدهشة من المؤلفات الادبية التي الهمتها النماذج الكلاسيكية مباشرة او اثرت فيها . وكان مطمح مؤلفيها انتشال اللغة العربية من الانحطاط الذي اصابها في القرون السابقة وتجديد تراث الفن الادبي الكلاسيكي . وقد ايد جهودهم بكل قوة مجموعة من شعراء مصر والعراق الذين زاوجوا سلسلة جديدة من المواضيع الوطنية والمعاصرة بمقاييس التعبير القديمة في الشعر العربي واساليبه ، وايدها ايضا عدد من الصحافيين الذين تثقفوا في مدارس دينية ومن ابرزهم الشيخ محمد عبده (١٨٤٩ ــ ١٩٠٥) .

وصقلت جهود هذه المدرسة الاداة التي حاول بها كتاب الحركة الثانية نقل المواضيع والتكنيك الغربيين . وقد انشأ محمد علي حاكم مصر (المتوفي عام ١٨٤٩) مكتبا لترجمة المؤلفات الفنية وخاصة العلوم العسكرية والطبيعية غير ان الجماعة التي كان لها تأثير اشد في نقل الاراء الجديدة هم جماعة من ادباء لبنان الذين كانوا على اتصال بالبعثات الثقافية الغربية في بيروت . وقد ابتكروا صحافة حولية جديدة ووسائل صحفية عصرية . وقد اثبت هؤلاء بعد ان انتقلوا الى مصر ــ وكانوا في البدء تحت تأثير لبناني كبير وتبع ذلك انتاج مصري وطني ضليع ــ اثبتوا انهم القوة الحقيقية التي ادت الى تبكير نضج الادب العربي الحديث . وكانت الصحافة المصرية اثناء العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر والعقد الاول من القرن العشرين مسرحا لنيل الشهرة الادبية وتطبيق العربية الفصحى على مواضيع عصرية . وكانت في الوقت نفسه مدرسة من الكتاب السوريين ــ الامريكان ــ ينتجون في صحفهم العربية في العالم الجديد اشكالا جديدة في المقالة الادبية « والشعر المنثور » الوتمني (٤) . فبالرغم من انهم كان لهم كثرة كاثرة من القراء واشتهروا في وطنهم الام فان الحرية الصادقة التي تناولوا بها البناء اللغوي الكلاسيكي لم تلق الا اقبالا متوسطا لدى الراي العام الادبي .

وقد لعبت ترجمة الآثار الادبية الغربية دورا حيويا في تطوير الادب العربي الحديث علاوة على ما قامت به الصحافة والكتابة الاصيلة . فلم تكن هذه الترجمات بمثابة ممارسة لتوسيع مدى التعبير الادبي العربي فحسب بل بمثابة نماذج ايضا لما زاول التجربة عدد غير قليل من المترجمين في انشاءات اصيلة شبيهة بتلك . وكان اشدها طموحا محاولة تطوير ادب تمثيلي حاذية حذو التمثيليات الكلاسيكية الفرنسية القديمة ، ويمكن القول ان التمثيليات العربية لم تصب نجاحا كبيرا في القرن التاسع عشر . ومن الناحية الاخرى فقد نالت الرواية شيئا من التقدم وخاصة في سلسلة الروايات التاريخية ، على غرار روايات سكوت(٥) التي انتجها صحافي وكاتب مقالة ومؤرخ لا يكل هو جرجي زيدان (١٨٦١ ــ ١٩١٤) .

وقد اثمرت هذه الجهود والتجارب الحادة في ادب عصري يعبر عن مصالح الشعوب العربية الاجتماعية والعقلية المعاصرة اثناء العقود الاربعة الماضية . وكانت الريادة للقصة القصيرة تليها الرواية الخلقية ثم التمثيلية الادبية . واذا بدانا بالسيرة الذاتية « الايام » ١٩٢٦ من تأليف طه حسين نجده قد زاوج تعمقا متزايدا في التحليل الاجتماعي والسيكولوجي باساليب اكثر مرونة في العرض والابتكارات الاسلوبية . وقد استفادت المسرحية ايضا من هذا التقدم في التكنيك وقد وجدت في توفيق الحكيم نمطا رئيسا في الدراما الادبية والتمثيليات التي تتناول مواضيع اجتماعية حديثة . على ان جميع هذه النتاجات في القصة القصيرة والرواية والتمثيلية تظل مقيدة بآفاق وتقاليد العالم العربي. فهي اشد امتاعا اذا ما ترجمت الى لغة اخرى لكونها وثائق اجتماعية اكثر من كونها اعمالا ادبية .

وجنبا الى جنب هذه الفنون الجديدة لعبت المقالة الادبية دورا بارزا للغاية . ولنقل بصراحة ان هدف كتاب المقالة لم يقتصر على عرض التقويم النقدي للادب العربي الكلاسيكي والادب الغربي ، شأن النقد الاجتماعي بصورة عامة ، وانما جاء لسرد قيم التراث الثقافي العربي باشمل معانيه الى العالم الحديث . وتهتم غالبيتهم ــ على نقيض اسلافهم ــ بالمضمون اكثر من اهتمامهم بالشكل . واستعمالهم اللغة ، شأن كتاب القصة القصيرة والرواية ، ليس الا وسيلة . هذا وان تحصيل الحاصل من مختلف الكتابات النثرية قد وجد لخلق اداة تلبي جميع الطلبات المعاصرة بقوة ودقة ولكن بمقدار ما تتطلب الدقة في العربية درجة معينة من الانسجام والاناقة والمزايا الجمالية التي تختلف بتباين اذواق الكتاب .

وعلى النقيض من الروح العملية الحازمة في النثر ابتعد شعر الفترة نفسها كثيرا فكثيرا عن تقاليد الشعر الكلاسيكي متجها الى حريات الشعر الغربي الحديث . وكان بمستطاع قوة الطموح السياسي والاجتماعي من جهة ، ان تلهم نتاجا استخدمت فيه مواضيع تقليدية موروثة واخرى خيالية لمواقف حديثة ذات تأثير فعال . وفي الوقت ذاته راح اغلب جيل الشعراء الشباب يحاولون خلق شعر سيكولوجي منقطعا عن التقليد الشعري لا في الاشكال النظمية والايقاعية الجديدة فحسب بل في الفروق اللغوية والقرائن النصية. ويبدو بهذا الخصوص ان كثيرا من الشعراء العرب ، رغم انهم اكثر « عالمية » في التكنيك والمواضيع من كتاب النثر العربي ، انهم راضون (شأن بعض الشعراء الغربيين) بالعيش في عوالمهم الخاصة بهم .

بغداد **كاظم سعد الدين**

يوجد شيء عجيب في هذا العالم ، شيء وراء عقولنا له صلة بنا ،ولنا صلة به ، ولا نعلم كيف .

التنويم المغناطيسي مثلا ، كيف يستطيع المنوّم ان يجعل النائم يرى اشياء لا يستطيع رؤيتها وهو في اتم يقظته وغير معصوب العينين ؟ اليس هذا شيئا عجيبا يستحق اعمال الفكر والتأمل ؟ قد يكون بمقدور الانسان ان يتحكم بالاشياء نفسها ، ولماذا لا ؟ قال المسيح : من كان عنده ذرة صغيرة من الايمان وقال لهذا الجبل انتقل من مكانك، ينتقل بالحال. انا اؤمن بهذا الكلام، اؤمن به حرفيا. مرات عديدة جلست أفكر بصديق ، وافكر انه سيأتي الآن ، ويأتي ! جرب هذا الامر انت . انظر الى رجل امامك وقل بفكرك انه سيفعل امرا ما ، سيحرك يده بشكل معين مثلا ، او ينتقل من مكانه ، او يقول كلمة تفكر بها انت . اذا فكرت بكل قوتك ، وكيانك ، ووثقت انه سيفعل ما تأمره به ، فهو سيفعل. جرب، ماذا تخسر؟ انا جربت عدة مرات ، ونجحت عدة مرات . ولو كان عندي الثقة والايمان الكافيين لنجحت كل مرة .

اذن هناك قوى خفية تتلاعب بنا وتتحكم بمصائرنا . لكن هل يكون باستطاعتنا كما يقول صديقي ، ان نتحكم بهذه القوى ، ولو في احيان قليلة ، ونوجهها وجهة معينة ، او نقول ما سيحدث على الاقل ؟

كان لي صديق يقول دائما ، وقد ردد على مسمعي اكثر من الف مرة، انه سيربح يوما الجائزة الكبرى باليانصيب . وكان على ثقة من هذا ، وكنت اهزأ به دائما ، واسخر منه. فلا تهمه سخريتي ولا هزئي ، بل يتقبلهما كأنهما امر طبيعي . وذات يوم جاء الي مسرعا فرحا وبيده ورقة يانصيب وقال:

ـ افتح الراديو . افتح الراديو. الان سيجري السحب، وساربح ستين الف ليرة لبنانية .

نظرت اليه وابتسمت ...

ـ قل اني مجنون . لماذا لا تقول؟

ـ تقليعة جديدة اتيتني بها اليوم: افتح الراديو ، والان ساربح ستين الف ليرة لبنانية ! لماذا اقول لك مجنون طالما ان السحب سيجري الان وسأرى كل شيء ؟

ـ عال ! اتفقنا .

ـ اتفقنا .

على ذكر الجنون ، اقول ان في عائلة صديقي رجلا مجنونا . وهذا ليس حطا من قيمته ، بل على العكس. هناك صلة قوية بين العبقرية والجنون ، وصديقي عبقري . نعم ، هو عبقري رغم ان الناس لم يروا منه ولا من عبقريته شيئا بعد . لكن هو لا يقول انه عبقري ولامجنون قال :

المفكرة الصغيرة

بقلم جرجي نقولا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ المجنون الذي يعرف انه مجنون هل هو مجنون ؟

ـ نعم . مجنون من نوع آخر ، اي عبقري .

ـ اذن لن اكون مجنونا ولا عبقريا.

ـ وكيف ؟ وهل هذا بيدك ؟

ـ طبعا . انا لا اقول ان العبقري هو الذي يعرف كل شيء ، بل بمقدار ما يعرف الانسان ، بمقدار ما هو عبقري . اذا كان مجنونا وعرف انه مجنون ، فهو عبقري . واذا كان فيلسوفا وعرف انه فيلسوف ، فهو عبقري . واذا كان جاهلا وعرف انه جاهل ، فهو عبقري . الا توافقني على هذا ؟

ـ قد اوافقك . لكني اريد ان اسألك اولا ، رغم اني قد اعرف الجواب بنفسي ...

فقاطعني :

ـ اذا كنت تعرف الجواب بنفسك لماذا تسالني ؟ التمتحن ذكائي ؟

ـ ربما . اريد ان اسألك : هل مجرد معرفتك انك جاهل ، تعني انك تعرف شيئا اكثر من انك جاهل ؟

ـ ابدا . تعني اني اعرف اني جاهل فقط ، وهذا يجعلني اتجنب مزالق اعرف اني لن اقوى على اجتيازها .

ـ تعرف انك لن تقوى على اجتيازها ؟ او تشك بمقدرتك على اجتيازها ؟

ـ اشك ، واحيانا اعرف . عندي قوى هائلة ، هذا مما لا شك فيه . لكني أعرف ان هذه القوى قدتقضي على نفسها وعلي ايضا ، وباستطاعتها ان تفعل ذلك . مثلا ، انا اشعر ان باستطاعتي ان اقفز عن راس بناية من ست طبقات الى الارض ولااصاب باذى . لكني ساصاب باذى . قد يكون باستطاعة بهلوان ان يفعل ذلك، اما انا ، وكما انا الان ، فلست معدا لذلك ، فلن اقفز اذن .

ثم استطرد قائلا :

ـ مشكلتي يا صاحبي اني اعرف ان علي ان احد من قوى نفسي احيانا ، وهذا ما يعذبني . المعرفة كثيرا ما تخطىء ، لانها ابنة هذه القوى نفسها التي علينا ان نكبح جماحها بانفسنا .

ـ كيف ؟ لم افهم ما تقصد .

ـ اقصد اني لا اعرف تمام المعرفة متى اكبح جماح نفسي ومتى اطلق لها العنان ، والى اي حد ، لان ليس عندي خبرة سابقة . فلا بد لي من الاتكال على خبرة الاخرين وتجاربهم اذن ، وفي هذا ما فيه من المخاطرة كما تعلم .

ثم بسط امامه ورقة اليانصيب وقال :



ـ اشتريت هذه الورقة من اسبوع ، ولي اسبوع كامل افكر واتساءل : هل امزقها ؟ ام ابقي عليها؟ وللان ولم يبق بيننا وبين السحب سوى بضع دقائق ، لم اصل الى حل بعد .

ـ ولماذا تمزقها ؟ الم تقل انها سوف تربح الجائزة الكبرى ؟

ـ بلى ، سوف تربح الجائزة الكبرى ، ولهذا افكر ان امزقها .

ـ عجبا لك ! اكاد اقول انك مجنون . الأنها سوف تربح الجائزة الكبرى تفكر ان تمزقها ؟ ماذا تقصد بكل ذلك ؟

ـ اسمع يا صاحبي : كنت اقول لك دائما ، وكنت اعلم قبل ان ابتدات اقول لك ، اني ساربح الجائزة الكبرى باليانصيب يوما . واشعر الان ، بل اثق كل الثقة ان هذه هي الورقة الرابحة ـ القوى نفسها التي اخبرتني اني ساربح تقول لي الان ان هذه هي الورقة الرابحة . والان بعد بضع دقائق ، سجري السحب ، وسأكون مالكا لستين الف ليرة لبنانية هيات لها كل المشاريع . لكني سوف امزق هذه الورقة دون ان اصرفها، وساتخلى عن مشاريعي العظيمة كلها وعن الشوق الى مشاريعي العظيمة . قد اربح يوما ورقة بجائزة صغيرة ، فساكتفي بها . اما الستون الف ليرة ، فليست من نصيبي على ما يظهر ـ الان على الاقل .

فلم اتمالك من القول بما يشبه الصراخ :

ـ يا مجنون يا مجنون . . لم افهم ما تقول بعد . اذا كنت تثق فعلا انها سوف تربح الجائزة الكبرى ، لماذا تمزقها ؟ واذا كنت اعددت نفسك لربح الجائزة الكبرى فلماذا تتخلى عنها ؟ لماذا تتخلى عن مشاريعك كلها في آخر ساعة ، بل في آخر دقيقة؟

فهز راسه واجاب بهدوء :

ـ نعم . خير لي ان اتخلى عن كل ذلك وابقى في عقلي الكامل ، من ان اكون غنيا مجنونا . اسمع ولاتقاطعني دعني اتم حديثي . اقول لك بكل صراحة وجراة : اخشى ان اجن اذا ربحت الستين الف ليرة لبنانية ، بل اشعر اني ساجن حتما . هذه بناية من ست طبقات ، لا استطيع القفز من راسها الى الارض وابقى سالما . لم اعد نفسي لذلك ، وهذا كان خطاي الوحيد الذي علي ان احمل نتيجته الان ندما والما وعذابا مريرا .

اسمع يا هذا اسمع ، هل تلومني اذا قلت لك الان انك مجنون فعلا ؟

ـ خير لي ان تقول اني مجنون ولا تثق بكلامك ، من ان تقول اني عاقل ولا تثق بكلامك ايضا .

ـ ماذا ؟ دعنا من الفلسفة الان ! من قال لك انك سوف تجن اذا ربحت ستين الف ليرة ؟ هل انت اول واحد يربح مثل هذه الجائزة ؟ لم نسمع باحد جن من مدة طويلة ، مع ان هناك جائزة مثلها كل شهر تقريبا .

ـ لم نسمع باحد جن ، لكن اولئك كانوا يهيئون انفسهم يا صديقي . كانوا بحاجة الى المال . فلا يكاد الفلس يدخل ايديهم حتى يضعوه في المكان المناسب راسا . اما انا فعندي مشاريع كثيرة كما قلت ، وانا لا اعقد اهمية كبرى على هذه الجائزة التي سوف اربحها الان . اعصابي ضعيفة، واشعر اني نازل تحت احمال لا اقوى عليها . والدي اعصابه ضعيفة ايضا ، وقد اصيب من مدة بصدمة في مثل هذا الموقف تقريبا ، ولولا حكمة والدتي وحكمة الحكماء لبقي حتى الساعة مجنونا . وانا لست اقوى من والدي اعصابا ، اعلم اني لست اقوى منه اعصابا . هو استطاع ان يقلع عن التدخين حالما عرف ان التدخين مضر بصحته ، وانا لم استطع ان اقلع . عندي رفة قلب واخشى من ذبحة صدرية . وانت اول رجل اقول له هذا بعد والدي . ذهبت الى الطبيب المختص ، فقال ان قلبي مثل الصخر، انما علي ان اتخلى عن هذا الوسواس فقط . ولا استطيع ان اتخلى عن هذا الوسواس ، ولا عن التدخين .

ـ ولماذا لا تستطيع ؟ لماذا تبقى موسوسا طالما انك عرفت انك لست مريضا ؟ الا تثق بالطبيب الذي ذهبت اليه ؟

ـ بالعكس . انه الطبيب فلان ، طبيب الامراض القلبية المشهور . مع ذلك اقول اني اعرف عن نفسي اكثر مما يعرف هو . اشعر ان نهايتي ستكون بواسطة ذبحة صدرية ، هذا اذا بقيت ادخن كما ادخن الان . . .

ـ اتشعر فعلا بهذا الشعور ؟ اذا كنت تشعر به فعلا ، فان شعورك وحده كفيل بان يجعلك تقلع عن التدخين . لكنك لا تثق باعماقك على ما يظهر ان التدخين مضر بالصحة الى هذا الحد .

فهز كتفيه واجاب :

ـ قد لا يكون التدخين مضرا بالصحة الى هذا الحد ، اما بالنسبة الي فهو مضر ربما الى حد اكثر . اما ان يكون هذا الشعور كفيلا بان يجعلني اقلع عن التدخين ، فهذه فلسفة لا اوافقك عليها .

ثم رفع راسه واستطرد :

ـ من قال لك اني لست اعد نفسي لان أموت بسبب التدخين ؟ من قال لك اني لا اريد ان اجعل مضار التدخين كلها تتجسد بي كي اكون عبرة للمعتبرين ؟ هذا شيء جنوني ، لكن لا تنس ان في عائلتي رجلا مجنونا ، وان هناك صلة بين العبقرية والجنون . على كل حال ، اشكرك . لولا مساعدتك لما استطعت ان اصل الى حل . لم يبق بيننا وبين السحب الاخير الا بضع دقائق . وخير ما افعله هو ان امزق هذه الورقة ، ان احرقها ، قبل ان يجري السحب . واذا كان لي نصيب بالستين الف ليرة لبنانية ، واذا كان يجب ان اربح ستين الف ليرة ، واذا كانت المشاريع الكثيرة التي اعددتها يجب ان ترى النور ، فساربح مرة اخرى .

واولع قداحته وقرب الورقة منها ، فحلت بينه وبين ذلك قائلا :

ـ اسمع ، انت لا تريد ان تربح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ستين الف ليرة لبنانية خوفا من ان تجن . اليس كذلك ؟ هات الورقة ، بيعا أو غير بيع ، فاذا لا اخشى ان اجـن .

فابتسم ساخرا :

ـ حقا ؟ حقا لا تخشى ان تجـن ؟ وحقا تريد ان تحصل على الورقة ؟

ـ ولماذا لا ؟

ـ هل انت على ثقة انها ستربح الجائزة الكبرى ؟ اذا لم تكن عندك الثقة الكاملة ، فلن تربح ابدا .

ـ أتسخر مني ؟

ـ لا اسخر منك . المشكلة ليست مشكلة ورقة يانصيب ، بل مشكلتي انا . انا كنت اهيىء هذه الورقة لان تربح الجائزة منذ ان عرفت انـي ساربح ، لكني لن اقبضها ، لاني لن اهيىء نفسي لساعة القبض بعد . ولا ادري اذا كنت ساهيىء نفسي يوما .

ـ طيب . الا تريد ان تحرقها ؟ هاتها ، اذا ربحت ام لم تربح ، وخذ ثمنها . اليس افضل من ان تحرقها؟

ـ الا تخشى على نفسك مـن الجنون اذا لم تربح ؟

ـ كلا .

ـ انا اخشى . انا اعرفك وانت تعرفني . انت تثق بكلامي كل الثقة حتى وان كان لا يرتكز على اساس ، يكفي اني انا اقوله . وانا اثق بكلامك هذه الثقة ايضا . والان انت تـرى مقدار ثقتي ويقيني ان هذه الورقـة سوف تربح . فاذا لم تربح معـك ، ستجن حتما . واذا لم تجن ، ستفقد ثقتك بي الى الابد . ولست علـى استعداد لهذا ولا لذاك . اذن الحل الوحيد هو ان احرقها .

وقرب قداحته المشتعلة منهـا ، فصرخت :

ـ اسمع اسمع . اصدقك في كل ما تقول . لكن الا تريد ان تنقل رقمها على الاقل لنرى بعدئذ اذا كانت هي الرابحة فعلا ام لا ؟

فاجاب وهو يقلبها بين اصابعه لكي تأتي النار عليها كلها :

ـ نقلت رقمهـا الـى مفكـرتي الصغيرة ، لا تخف . نقلته الى مفكرتي الصغيرة وها هي بجيبي . لن يقبض احد الجائزة الكبرى هذا الشهر .

وعندما اصبحت رمادا متطايرافي الهواء قال :

ـ حتى وان لم انقل رقمها الـى مفكرتي ، لا يهم . اذا لم يتقدم احد لقبض الجائزة ، فالمعنى انها هي . ولن يتقدم احد .

ـ ولعل هناك مجنونا مثلك حرق ورقته قبل ان يجري السحب ، او اضاعها ؟

ـ لا ، لا يوجـد مجانـين مثلـي

عيـون ليـلى

●

مجرعتـي عينـاك ليـلاي خمرة
مشردتـي في الف شط وساحل
مجردتي عـن زورق فيه مبحـر
منازعتـي طهري .. فلـم آك مرة
مراودتـي عن مهجة بي جريحـة
عيونك ليلى .. امسيات حنونـة
تلـف تباريحـي بأيـد رؤومـة
عيونك موسيقى .. عيونك دعوة
عيونك امطار الربيع .. اذا همت
عيونـك ديوان فريـد .. مرصع
عيونـك مـرآة لقلـب صبيـة
تلفـت فيمـا حولهـا كفـراشـة
تذكرنـي ـ يـا للرؤى ـ باميـرة
تطـل على الافـق البعيـد كأنها
وينبئهـا عمـا وراء امتـداده
وينبىء عن اقدارها .. عن غيوبها
تسائلـه والشوق يأكل قلبهـا
ففي قلبهـا طيف لهالـة فـارس
وفي صدرهـا نهر من الحب دافىء

عصي بها من سكرة الطيب صحوتي
مضيعتي في الف .. الف جزيرة
مقدمتي للمـوج .. يا للضحية !!
بمتهم في خمـرة .. اي خمـرة
لها الله من مفجوعة .. من جريحة
تضم جراحـي اللاعجـات برقـة
تقـدم لي السلوان عن كل نكبـة
عيونـك اغـراء باجمـل رحلـة
فغا الزنبق المعطار في كل روضة
بمعجزة الابداع في كـل صفحـة
تتـوق الى الدنيا بشوق ولهفـة
مرفرفة في الحقل شبـه غريبـة
تلفت فيما حولها .. فوق شرفة
تنـاشـده ان يصطفيهـا بلفتـة
وعما وراء الصمت من كـل قصة
وعن غدها المجهول .. في شبه حيرة
الى غدها .. في جذوة .. اي جذوة
على صهوة .. يعدو اليها بخفـة
وفي روحهـا انشودة لمشوقـة

عيونـك .. ربان لزورق شاعـر
عيونك شطآني .. عيونك مرفأي
عيونك خمـري كيفما كنت شاربا
عيونك مهما جرعتني .. اميرتـي
الا اترعي لي الكأس منها فمرحبا
لاجمل من عمري هواك .. وليتني

توجهـه اقدارهـا كـل وجهـة
عيونك احلامي .. عيونك لهفتـي
ولو سلبتني كـل وعيي ويقظتـي
عيونـك مهما اغرقتني .. مليكتي
بعينيك .. والخمر الشهي .. وسكرتي
سكرت به دوما .. ولم القصحوتي

حلب

ممدوح مولود

يحرقون اوراق اليانصيب او يضيعونها دون ان يعرفوا نتيجتها . وعلى فرض انه وجد ، فيصعب جدا ان تكون تلك هي الورقة الرابحة . الان ورقتي هي الرابحة، وها قد اصبحت رمادا. عليك السلام ايتها الثروة الكبيرة !.

وقال المذيع :

ـ ... والان اليكم السحب الاخير على الجائزة الكبرى ومقدارها ستون الف ليرة لبنانية ، وهي من حق الجمهور حتما . اليكم السحب الاخير .

وسمعنا الدواليب تبرم، وسمعناها تقف ، وسمعنا المذيع يقول :

ـ الرقم الذي ارتسم على الدواليب عندما توقفت للجائزة الكبرى ومقدارها ستون الف ليرة لبنانية هو ٤٥٦٢٧ . سيداتي آنساتي سادتي ، اللجنة تحقق لترى اذا كانت الورقة ذات الرقم ٤٥٦٢٧ هي من الاوراق المباعة ام لا . فاذا لم تكن من الاوراق المباعة فسيعاد السحب مرة ثانية ، وثالثة، ورابعة ، حتى تربح الجائزة الكبرى احدى الاوراق المباعة . لان الجائزة الكبرى ، ومقدارها ستون الف ليرة لبنانية ، هي من حق الجمهور حتما. لهذا فاللجنة تحقق لترى اذا كانت الورقة ذات الرقم ٤٥٦٢٧ هي من الاوراق المباعة ام لا. سيداتي آنساتي سادتي ، انتهت اللجنة من التحقيق، فاذا الورقة ذات الرقم ٤٥٦٢٧ هي من الاوراق المباعة. وعلى هذا فالورقة ذات الرقم ٤٥٦٢٧ هي التي تربح الجائزة الكبرى لهذا الشهر، ومقدارها ستون الف ليرة لبنانية . هنيئا للرابح .. والان نختم حفلتنا بالنشيد الوطني .

التفت الى صديقي وسألته :

ـ ما هو رقم ورقتك ؟

ـ ٤٥٦٢٧ .

ـ امتيقن انت من ذلك ؟

ـ كل اليقين .

ـ دعني ارى مفكرتك . اذكر انها كانت تنتهي بسبعة ، وكان هناك الرقم ٥ ، والرقم ٢ ، والرقم ٦ . لكني لا اذكر ترتيبها ، ولا اذا كانت هناك اصفار ام لا ؟

ومد يده الى جيبه الخلفي كي يأتي بمفكرته ، لكنه لم يجدها. فقال بانشغال :

ـ عجبا ! اين هي مفكرتي الصغيرة؟

ـ اين وضعتها ؟ الا تذكر اين وضعتها ؟

ـ هنا في جيبي الخلفي اضعها دائما عندما اخرج ، ولم اضعها مرة الا هنا .

ـ اواثق انك وضعتها في جيبك الخلفي عندما خرجت اليوم ؟

ـ كل الثقة . وقد سجلت عليها رقم الورقة قبل ان اصل الى هنا . سجلته بهذا القلم ، هوذا القلم فاين المفكرة ؟

واخذ يبحث عنها في كل جيوبه الاخرى ، فلم يجدها . فقلت :

ـ لعلها سقطت منك على الطريق؟

ـ ايعقل هذا ؟ اذكر جيدا اني وضعتها في جيبي الخلفي هنا . مع ذلك فلنذهب ونبحث عنها في الطريق.

كان بيته قريبا من بيتنا ، فخرجت واياه وبحثنا عنها جيدا فلم نجدها. بحثنا في البيت ، في ادراجه الخاصة وفي أوعيته ، وبين كتبه. ولم نترك مكانا الا وقلبناه راسا على عقب . لكن عبثا .

التفت اليه فاذا وجهه بلون الدم، واعصابه متوترة، وجسده كله يرتجف فقلت مهدئا :

ـ لا بأس يا صاحبي ، دعنا منها. الحمد لله انها ضاعت ، فاصبحنا فعلا كأننا لا ربحنا ولا خسرنا .

ـ كلا . لا يرضيني اننا لا ربحنا ولا خسرنا . انا كنت اقصد ان اربح ، فلم اربح بعد كي اقول اني خسرت . اين هي مفكرتي الصغيرة ؟ اين ؟.. اين ؟..

واخذ يضرب راسه بيدين متشنجتين ويردد اين اين . فاقتربت منه وقلت :

ـ اسمع يا صاحبي اسمع . انت رجل ضعيف الاعصاب ، وانت تعلم هذا جيدا . عليك ان تحترس لنفسك من الزعل اذن . دعك من المفكرة الصغيرة ، ما لك ولها ؟ اتريد ان تعرف اذا كانت ورقتك هي الرابحة ام لا ؟ ما عليك الا ان تنتظر الى الغد، او بعد الغد ، او اسبوعا ، او شهرين على الاكثر . شهران هي المدة القانونية لقبض الجائزة . فاذا لم يتقدم احد لقبضها في هذه المدة ، فالمعنى ان ورقتك هي الرابحة . ثم هل نسيت انك تثق انها الرابحة ؟ ونسيت انك قلت لي قبل هنيهة انه ليس من الضروري أن تنقل رقمها ، لانك ستعرف انها الرابحة عندما لا يتقدم احد لقبضها ؟

فاجاب بصوت يائس :

ـ كلا يا اخي ، انت لا تفهمني . انا واثق انها الرابحة ، ولا زلت واثقا لكن يسرني ان ارى بعيني انها الرابحة ، واقول لنفسي : ارايت ؟ هي الرابحة ! لا يكفي ان اكون على ثقة ان باستطاعتي ان افعل امرا ما ، بل يجب ان افعله لكي اقول اني فعلته . انا انسان عادي ، يسرني ان أفخر بنفسي حتى على نفسي ! ولو كنت انت في مكاني لما فعلت الا ما افعل انا . اما ان اعرف ان ورقتي هي الرابحة فيما اذا تقدم احد لقبض الجائزة ام لم يتقدم ، فهذه سخافة ! ما ادراني ان الورقة الرابحة لم تبع على ظهر مركب مسافر ، وقد غرق هذا المركب بمن فيه وبكل ما عليه ؟ ورقتي لم تربح الا اذا رايت انها رابحة . اين هي مفكرتي الصغيرة اين ؟.. اين ؟.. اين وضعتها ؟ اين وضعتها يا مجنون ...

واخذ يلطم راسه ويضرب نفسه ويصرخ اين وضعتها يا مجنون ...

وخرج يبحث عنها في الشارع وفي القرى المهجورة وفي الحقول البعيدة وفي كل مكان . ولا يزال الى الان يبحث عنها ، فاذا وجدها يشفى حتما. واذا لم يجدها ، فمن المستحيل ان يشفى .

جرجي نقولا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكتبة الاديب



الدكتور خالد

رواية ـ تأليف احمد حسين ـ ٥٩٤ صفحة ـ منشورات ومطابع دار القلم بالقاهرة

في اعماق الصمت والظلام ، والدنيا هاجعة ، يختار الاستاذ احمد حسين ان يرسم الخطوط الاولى لروايته « الدكتور خالد » . ومن حق اي مؤلف ان يختار الزمان الذي تبدأ منه قصته والمكان الذي تنطق منه ولكن مؤلف « الدكتور خالد » عودنا في روايته السابقة « ازهار » على ان نقف عند كل لفتة وان نلتمس وراء عمله مزيجا غنيا من الرموز والايحاءات والظلال ... والاضواء ...

ففي هذا الظلام والصمت ، والكائنات غافية نلتقي بالشخصية الاولى في الرواية « فوزي السيد علي » رئيس حركة البعث المصرية ، يتقلب على فراشه في الطرف القصي من شمال البلاد عند ملتقى النيل بالبحر حيث أقيم مصيف رشيد .

وهناك من بعيد فوق قمة قلعة الكبش بالقاهرة نلتقي بالوجه الاخر لهذه الرواية .. عطيات بنت قمر الحبشية ... وزوجها بيومي رمضان .. وهما يتأهبان لرحلة مجهولة .

هنا في رشيد قبيل الفجر يستيقظ فوزي ثم ينظر الى عروسه النائمة في حنان وينطلق ليصلي الفجر .. ثم يذهب الى شرفة العشة الخارجية ليستمع الى هدير البحر الذي يمتص انفعالاته ويبعث في نفسه الهدوء والامان وامام نظر الامواج وهي ترتطم بالشاطىء وتتحول الى زبد ورذاذ ينسى فوزي ما كان يعتلج في صدره من افكار ينسى سقوط الوزارة .. ينسى الخاطر الذي ما فتىء يلح عليه في الاونة الاخيرة وهو ان يتنازل عن زعامة الحركة الى خدمة الدكتور خالد ... تقوية الجيش .. ينسى حتى فكرة قرب اندلاع الحرب .. وهناك في قلعة الكبش عطيات بنت قمر الحبشية تنتفض وهي تسمع المؤذن يدعو للصلاة في الفجر لا ليصلي ولكن لان هذا الاذان بشير بطلوع النهار .. وفي هذا النهار سيتحقق حلم حياتها .. ان سيدها الباشا « شاهين السلانكلي » سيبعث بسيارته لتاخذها وزوجها بيومي الى الاسكندرية حيث ينزلان ضيفين عند الباشا لمدة اسبوع .. ووقفت تتأمل زوجها بيومي رمضان .. وهو يغط في نومه . وعلى الرغم من الظلام الذي كان يسود الحجرة فقد تمثلته بتحوله وسمرته وشاربه الخفيف المتهدل .. ثم تتساءل .. ترى ماذا يمكن ان يكون موقف بيومي من رحلة الاسكندرية ، فوزي السيد علي يقطع شهر العسل ويقرر العودة الى القاهرة ليواجه الاحداث هناك فقد كانت كل النذر تومىء الى اشتعال الحرب ... الدراما الانسانية .

اما عطيات بنت قمر الحبشية المرأة اللعوب المتطلعة فتتأهب للقاء الباشا في الاسكندرية .

ما ابعد البون بين الرحلتين .. وما ابعد الشقة بين الشخصيات .. ولكن المؤلف بحسه الروائي المرهف ، وبرشاقته الفنية ينسج روايته من هذه الخيوط المتنافرة .. فيحيلها الى نسيج جميل منسجم الالوان..

لمسات هنا ولمسات هناك فيشكل هيكل الرواية .. والدنيا في الغبش .. وكان المؤلف يوحي لنا ان الاحداث هي الاخرى في ضمير الغيب .. مثل هذه الكائنات الفارقة في احشاء الظلام وتتحرك الشخوص .. فوزي وعروسه وخادمه وطاهيته من مصيف رشيد الى القاهرة .

وعطيات وبيومي رمضان في محربة شاهين السلانكلي الى الاسكندرية .

وعبر الرحلة تقع حادثة خطيرة لفوزي ، فتنقلب السيارة وهي منحدرة بسرعة من احد المرتفعات .. وكان لا بد ان يصاب من بداخلها بشر مستطير وللمؤلف قدرة خارقة على رسم الاجواء والاحداث في عبارات قليلة تومض وتومي وتنتفض .. فعندما اندفعت السيارة من المنحدر وراحت تنحدر الى الكارثة .. رسم المؤلف هذا المشهد الرهيب بلمسات سريعة متوترة . دوت في نفس فوزي كلمة رهيبة .. حادثة .. حادثة ... حادثة ... وومض في خاطره بآخر ما تبقى لديه من احساس وشعور ـ أتكون هذه هي النهاية .. هل انتهت روايتنا فصولا « ومضت لحظات خيل لفوزي فيها ان كل شيء قد توقف الزمان والمكان والحياة .. ولم يعد ثمة شيء سوى الظلام والعدم ».

وتركنا المؤلف مع فوزي ووفاء والخادم والطاهية والعربة المحطمة في الطريق المقفر الجديب قرب الاسكندرية ولكننا نشعر بالسعادة الغامرة والرضا لان الجميع سالمون .. لم يصب احد بسوء .. الكل يقف في الطريق ينتظر عربة مارة تمد لهم يد العون وتعيدهم الى الاسكندرية .

وهنا تظهر براعة المؤلف الفنية .. حيث يجمع مع هذا المسرح .. في الطريق الى الاسكندرية ابطاله فشاهد الشاويش الذي يسوق عربة « شاهين السلانكلي » يتوقف عن المسير عند فوزي وينزل من العربة ويعاين الحادثة ويصاب بالدهشة البالغة .. ويردد والله يا سيدنا الافندي .. انها لمعجزة .. الحمد لله .. الحمد لله .. هيا معنا .

وتمضي عربة شاهين السلانكلي الى الاسكندرية وهي تحمل عطيات بنت قمر الحبشية .. وزوجها بيومي رمضان والضيوف الجدد .. فوزي ووفاء والخادم والطاهية .. وفي الطريق يسأل الشاويش فوزي عن اسمه .. وعندما يعلم انه رئيس حركة البعث المصرية ، يصاب بذعر وارتباك ويخفف من سرعة السيارة ويقول لفوزي .

ـ اتعرف يا سيدنا الافندي .. لا بد ان تكون من اولياء الله .. هذه كرامة اخرى لا تقل عن كرامة نجاتكم من الموت .. هذه سيارة القائمقام شاهين السلانكلي .. من هيئة اركان الحرب .. الم تسمع عنه ويقول فوزي انه لم يتشرف بمعرفته .. ويصيح الشاويش .. آمنت بالله .. تصور يا حضرة الاستاذ ان شاهين بك لا هم له الا ان يسبك ويلعنك كلما جاء اسمك امامه ويقسم ان مكنه الله منكم لقتلكم جميعا .. وهنا يطلب فوزي السيد علي من الشاويش ان يترك من العربة لئلا يسبب له المتاعب .. فيصرخ الشاويش قائلا والله يا حضرة الاستاذ لو كان على رقبتي يا سلام معقول اتركك في الصحراء خليها على الله .. ثم ينطلق بالعربة الى الاسكندرية ويتعلق بيومي رمضان بشخصية فوزي ، وكانه ايقظ في نفسه شيئا هاجعا ..

.. ثم نعلم بعد ذلك ان فوزي قد عاد الى القاهرة ، ويلتقي في البيت الاخضر مقر حركة البعث بشباب البعث الشباب الجديد ... الذي يرنو الى التغيير والى تحطيم الحياة القديمة وجو القاهرة ملتهب مشحون بالتوتر لقرب اندلاع الحرب .. ويعلن فوزي انه يريد ان يتخلى عن الحركة لخالد امين .. وتندفع فتاة متحمسة هي الدكتورة فاطمة في التصفيق ولكن الدكتور خالد امين يزجرها ويرفض هذه الفكرة ويصر الجميع على ان يظل قائدا للحركة ... وتندلع هتافات الشباب مؤيدة

فوزي السيد علي .. وفي هذا الجو نتعرف على خالد صبري وشكري وغيرهم من الشباب الجديد .

اما عطيات بنت قمر الحبشية فتراها في قصر شاهين السلانكلي في « نريزنيا » وزوجها وهنا يرسم المؤلف في براعة ودقة صورة شاهين .. مع رجل انجليزي هو الكولونيل (سميث) رئيس مخابرات الجيش الانجليزي في مصر ... لقد جاء الى قصره ليتعرف منه على اخبار عزيز باشا الذي رقاه رئيس الحكومة الجديد الى رتبة الفريق وعينه رئيسا لاركان حرب الجيش ... وبعد ان يتطوع شاهين بتزويد (سميث) بكل المعلومات التي طلبها منه يقول له :

ـ هذا الرجل مجنون وكان يجب انتقطع كل صلة بينه وبين الجيش.. ولقد اهانني اليوم وسبني واخرج (سميث) من جيبه مفكرة وقال لشاهين في اهتمام قل لي نص الجملة التي سبك بها امام الضباط فقال لـه شاهين ... لقد قال لي « امش من قدامي يا جاسوس يا قذر احسن اكروشك » وسجل الرجل الانجليزي ما حدثه به شاهين السلانكلي ... ثم انصرف بعد ان اوصى لنا المؤلف في براعة ان شاهين يتقاضى اموالا من المخابرات الانجليزية لقاء ما يؤديه لها من خدمات .. وبعد ذلك ينزل شاهين الى حجرة نوم الضيوف ويلتقي بعطيات بعد ان يكون زوجها قد خرج مع الطاهي .. ويعب من الخطيئة ما شاء ان يعب .

ولا يمكن ان امضي في تلخيص الرواية على هذا النحو ... فهذا امر مستحيل .. لان الاعمال الفنية الكبيرة لا يمكن ان تلخص ولكنني سجلت هذه اللمسات لاؤكد حقيقة هامة ... هي ان المؤلف يمتلك ناصية فنه من استاذية وعمق .. ففي الصفحات الاربعين الاولى من الرواية التي جاوزت الستمائة صفحة استطاع في رهافة ورشاقة ان يرسم كل الخيوط التي تشكل نسيج روايته كلها .. وانه يصور الاجواء والاحداث تصويرا عذبا يثير في النفس الانسانية اروع الانفعالات ... ولا استطيع ان اصف المتاع النفسي ، ولا ان اصور اللذة الفنية والغبطة الروحية التي صحبتني طوال الايام التي قضيتها مع هذه الملحمة الانسانية الجياشة بالفن والجمال والجلال اطالع لوحات فنية شفافة تعبق بعطور الفن .. وارى مشاهد مثيرة واخوض الى اعماق النفس الانسانية وهي تتلوى امام الهول والخراب والدماء ...

ثم اعود لاتساءل ماذا جرى لشاهين السلانكلي وعطيات وبيومي رمضان ..؟ لقد رجت قصتهم نفسي رجا هزتني وانتهت بمأساة مروعة عندما قتل بيومي شاهين وانتحر ...

وماذا جرى للدكتور خالد والدكتورة فاطمة لقد كانت قصة حبهما العذري المحروم تفوق كل تصور ... ثم انتهت بموت الدكتور خالد اثناء غارة جوية على برلين .. مات غريبا وحيدا ..

ماذا جرى لفوزي وصبري ومحيي ... صارعوا الاحداث وصارعتهم ثم قامت الحرب فحطمت كل شيء ؟؟؟

فهل هذه الخطوط كلها هي القصة ؟ هل يريد المؤلف ان يروي لنا قصة مسلية جرت بين شاهين السلانكلي وعطيات بنت قمر الحبشية .. وبين الدكتور امين والدكتورة فاطمة ..؟

اعتقد ان المؤلف لا يقصد الى هذا ... وانما اراد ان يصور فترة من حياتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية تصويرا فنيا ... وهناك فرق كبير بين ان يسجل الانسان تاريخ فترة من الحياة ويرد وقائعها ... وبين ان يصورها تصويرا فنيا موحيا خصبا على هذا النحو الذي صنعه استاذنا احمد حسين في روايته هذي ... هناك التاريخ بجفافه وقسوته وصرامته .. وهناك الفن بشفافيته ورهافته ونضارته ...

ففي « الدكتور خالد » رسم لنا المؤلف لوحات مترعة بالفن والجمال: عن قيام الحرب .. وعن موقف مصر من اعلان الحرب على المحور وعن الانذار البريطاني ... وعن حادث ٤ فبراير سنة ١٩ ... وعن مصير الدكتور احمد ماهر في البرلمان ... وعن الجمعيات الدينية والهيئات الشابة التي وقفت تصارح الجيل القديم ... وصور في عمق قصة الانسانية وهي تتلوى من قبضة الموت والفناء وتتهاوى صروح حضارتها ومؤسساتها العمرانية والثقافية وتسارع في جنون نحو الهاوية السحيقة ... ثم صور في دقة حياة مصر في غضون هذه المأساة الضروس .. مصر بكل شبابها واحزابها وهيئاتها صور الحياة الجادة الصارمة .. وصور الحياة الماجنة اللاهية ... ثم سجل التغير الحتمي الذي اصاب كل شيء بعد الحرب ... لقد سارع الملك بعد ٤ فبراير الى الانحدار والانحلال ... وتغير رئيس حزب الاغلبية وتهاون في حقوق الشعب واستسلم لدفء الثراء والجاه والسلطان ... وتغير الشباب وسرت اليه عدوى الشيوخ فبدأ يقاسم على نفسه ويضل الطريق وتشعب امامه السبوب ... وتغيرت النفوس وبدأت تهفو الى الغنى والمال ، وتتنكر لحياة النضال ، وتحيد عن القيم الانسانية الرفيعة ... وتصور للظلام والخراب وانطماس القيم واختلال المعايير .. وفساد الحياة ... ولم يشأ المؤلف ان يتركنا نهب هذا الصراع العاتي الرهيب ، ولا ان يسلمنا لهذا الظلام الموحش الكئيب ... فرسم لنا شخصية الدكتور خالد امين ذلك القديس الذي يمثل اجمل ما في الحياة ... وارفع ما في القيم ... ووقف بين الخرائب والاطلال ليرمز لانتصار الانسان .. انتصار الانسان على نفسه وعلى الشهوات والمغريات ، وليؤكد دائما ان الحياة اقوى من الموت .. وان السمو والقيم الانسانية باقية على رغم الظلام والفناء .

واستشهد خالد امين في نهاية الحرب .. وكأن الله قد ابقاه طوال الحرب لينصر الحياة ويذود عنها اعاصير الحرب وهولها .. فلما دقت اجراس السلام .. مضى خالد امين الى السماء .. وترك حبيبته فاطمة في آخر الرواية تبكي وتبكي وتغمغم من حين لاخر : ما اقساك علي يا خالد .. ما اقساك علي حيا وميتا ...

في الرواية كل هذه الاحداث والحقائق التاريخية والوقائع الشخصية.

ولكن هل يمكن ان نقول ان هذه الرواية تاريخ ..؟ والجواب بالتاكيد لا .. ليست هذه الرواية تاريخا على الرغم من انها تقوم على مجموعة من الحقائق التاريخية .. فكل ما فيها تاريخ حقيقي صادق .

ولكن هذه المعلومات والوقائع التاريخية تحولت في وجدان المؤلف الى تجربة فنية صافية سجلها على هذه الصورة النضرة الطازجة المشرقة .. وهذا هو السر في جاذبية الرواية ورشاقتها وقربها للقارىء على الرغم من احداثها السياسية والتاريخية .. لقد تحولت السياسة والتاريخ الى فن .. وذاب في الرواية .. واختلط بها .. كما تذوب الخميرة في العجين ويتحول الجميع الى خبز ومن المستحيل ان تفصل الخميرة من العجين بعد ان يتخمر الجميع ويتحول الى ارغفة ناضجة .. وكما يتحول « الاصنص » الى عطر بعد ان يختلط بالسبرتو والماء المقطر ومن المستحيل ان تفصل « الاصنص » عن العطر .

ومن المستحيل ان تفصل السياسة والتاريخ عن الفن في رواية « الدكتور خالد » ولذلك اقرر في غير تردد ان الاستاذ احمد حسين بهذه الرواية .. وزميلتها ازهار يحدث في حياتنا الادبية شيئا جديدا.

ويمكن ان نطلق على هذا الشيء التجربة التاريخية ، او التصوير الفني للتاريخ واعني بذلك ان يتحول التاريخ بما فيه من احداث سياسية واجتماعية واقتصادية الى تجربة فنية تعيش في وجدان المؤلف ويحتضنها فترة من الزمان.. ثم يصورها في عمل فني خلاق.. هنا يكون المؤلف قد انفعل بهذه التجربة وخلطها بوجدانه واضاف اليها من فنه عندئذ يخرج العمل مرهقا حارا عميقا ينبض بالصدق وينتفض بالانفعال.. وهذا هو الفرق بينهما وبين التاريخ ..

وهو ايضا الفرق بينهما وبين الرواية التاريخية التي كان يكتبها «جرجي زيدان » في مطلع هذا القرن .. لقد كان يسجل احداث التاريخ كما هي ويفتعل لها قصة حب ويركب احداثها ويربط بين اجزائها .. ولذلك يمكن بسهولة ان نفصل التاريخ عن القصة .. لانها اجزاء مجموعة ومرصوصة دون ان تفقد خصائصها .. اما التجربة التاريخية فعناصر متعددة تتحول في وجدان الفنان وتتفاعل كما تتفاعل الغازات المختلفة وتصير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شيئا واحدا .. جديدا له خصائص جديدة مختلفة عن خصائص عناصره قبل ان تتحول ..

وهذا ما جعلني اقرر ان « الدكتور خالد » ليست تاريخا .. على الرغم من ان عناصرها من التاريخ .. وانما هي تجربة تاريخية .. وهي مختلفة عن الرواية التاريخية ... ومختلفة عن التاريخ السردي الجاف. ولهذا فما اجدر الاستاذ احمد حسين بالتهنئة على هذه الريادة الجادة في حقلنا الفني ... وما احوجنا الى ان نلتفت الى هذه التجربة الرائدة ونحييها ونعمقها بالدراسة والفهم ... فلا تزال بكرا في حاجة الى مزيد من الكشف والاختبار .

القاهرة — عبد العزيز الدسوقي

●

اوروبا : امس واليوم

تاليف المحامي فتح الله الصقال ـ ٣٠٠ صفحة ـ مطبعة الضاد بحلب

تكررت افضال العالم الكبير الاستاذ محمد عبد الغني حسن علي ، في فترة وجيزة ، تعد بالشهور ، وان كانت تحسب بالاعوام ، أن قرأت له ، وعرفت دوره في عالم الادب ، ودنيا الضاد .

والواقع ، ان الفضل كل الفضل في هذه المعرفة المتصلة النافعة ، يرجع الى الاستاذ وديع فلسطين ، الذي يفتن في عقد هذه الصلات ، بين الزملاء ، على اختلاف المشرب ، وتباين الثقافات ، ويثلج صدره ، ان يلم هذا الشعث المتناثر على خير ما يحب الادب ، ويرضي الادباء .

كان من ثمرة هذه الاتصالات التي يعقدها الاستاذ وديع فلسطين ، صداقة الكاتب الكبير الاستاذ محمد عبد الغني حسن ، التي أعتز بها ، واعدها كسبا على مر الايام ومرجعا ادبيا وتاريخيا ولغويا ، اركن اليه كلما اعوزتني الحاجة ، والحت علي ضرورات اللغة ، واحتياجات الضاد، التي اتى فيها بالمفتن ، وعرك نافرها بما طامن الطريق ، ومهد السبيل امام السيل الجارف من الادباء والمتأدبين الذين يحفظون له اخلاصه للادب ، وسهره على اللغة ورعايته هذا التراث المجيد .

في هذه الشهور القليلة من عمر هذه الصداقة التي باركها الاستاذ وديع فلسطين ، اتاني كتابان من لدن الاستاذ عبد الغني حسن ، احدهما: فضلة يده ، وهو : « مي : اديبة الشرق والعروبة » وثانيهما : فضلة خيره ، وهو « اوروبا : امس واليوم » لمؤلفه الاستاذ فتح الله الصقال ، الذي احاول تقديمه الى قراء « الاديب » وان كان تقديمي لهذا الكتاب لا يغني عن الاطلاع عليه ، وتصفح ما جاء به ، فهو دليل سياحي ، ونبراس يضيء الدروب والمسالك بين يدي الساري في جنح الليل ، او الذي يخبط في وضح النهار ، ولا يملك مقومات السفر او يصاحب الادلاء والعارفين .

وكتاب : اوروبا ، امس واليوم ، من الكتب القليلة النادرة ، التي عمرت بالصدق في الوصف ، واتسمت بالدقة في التفصيل ، وجنحت الى المسلك الانساني الرفيع في الاوصاف والمشاهدات ، مما جعل الاستاذ محمد عبد الغني حسن نفسه يقول : « انك تلمس الانسانية في كل خطوة يخطوها هذا الانسان العربي ، صاحب القلب الكبير ـ فاول ما يشغل باله حين يحط رحاله في بلد اوروبي ، هو دور العجائز والعاجزين .. انها اول ما يفكر في زيارته ، فهو يزور دار العجزة في بودابست ، وفي برلين ، وفي بروكسل ، وفي لندن ، وفي باريس .. وهو يطيل الزيارة في كل دار : يطوف بارجائها ، ويدخل غرفها ، ويعد اسرتها ، ويلاحظ في بعضها وجود غرف بسريرين للمتزوجين « حتى لا يفرق الدهر بين الزوج والزوجة » .. ولا يزال طائفا في اركان كل ملجأ ، حتى لقد دام طوافه في دار العجزة بمدينة فيينا ثلاث ساعات ، ناله منها في نهايتها التعب ، فجلس ليصيب شيئا من الراحة » .

على ان الرحالة القدماء والمحدثين ، وان كانوا قد ذرعوا بلاد العالم ، وجابوا الافكار جريا وراء المفتن من الحوادث والمغرب من الاحداث ، الا ان عملهم ، وان كانوا نواة صالحة لفن الرحلات ، وعجينة طيعة في يد السارين من بعدهم ، والماخوذين بفنهم ، والمبهورين بصبرهم ، الا ان بعضهم قد أصيب بالتذويق في القول ، وغلب عليه الخيال ، فدون ما دوّن ، دون أن يحسب الف حساب للذين سيقلبون بضاعته ويستخرجون منها الخطل والخلل والافتعال !!

غير ان الاستاذ فتح الله الصقال ، بما ركب في طبعه ، وامتزج في دمه ، قد هاله ما هال غيره ، فعمل على ان تكون رحلاته واسفاره ، حقيقة بارزة ، يستنطقها المشاهد من بعده ، ويلمسها كل جوّاب بيده ، قبل ان تقع عليها عينه ، وهذا ما صنعه في هذا الكتاب : زار تركيا ، ووصف مدنها ، وعقد مقارنة بينها وبين سورية ، لا سيما قرى البلدين ، ووصف استانبول ، وحكى تاريخها والدور الذي لعبته ، وتحدث عن شوارعها ، والحريق الذي شب فيها عام ١٨٧٠ والشعوب المتنوعة التي كانت تسكنها ، وكنائسها وفنادقها ومسارحها وقهواتها واسواقها ، وآثارها وجواممها وقصورها وقلاعها ، وتاريخها ، وامبراطوريتها وحكامها ولغتها.

ثم تحدث الاستاذ فتح الله الصقال عن بودابست : مساكنها ودورها ومدنها ، ومعاهدها ، ودور العجائز والعجائزين ، وعدد النزلاء والاطباء والممرضين والممرضات ، وامتد حديثه عن المجد قبل الحرب وبعدها وثورتها الدامية التي اشترك فيها الرجال والنساء ، ثم زار النمساوتناول قهواتها العديدة ، ولواهيها وطربها ، واخلاق اهلها ومزاياها التي يقول عنها : « ان الرجال يحترمون السيدات احتراما عظيما ، فان ايدي السيدات تقبّل ، في كل فرصة ولحظة ، فاذا التقى رجل بامراة يعرفها، قبّل يدها ، واذا رأقص سيدة قبّل يدها بعد الرقص ، واذا دخلت سيدة الى مخزن ، استقبلها صاحب المخزن بالعبارة الاتية : « أقبل يدك يا سيدتي » دون ان يقبلها ، لعدم وجود سابق معرفة بينهما ، واذا ركبت سيدة سيارة عمومية ،نزل السائق من سيارته ، وساعد السيدة على الركوب ، وقبل ان يغلق الباب ينحني امامها باحترام قائلا : « اقبّل يديك يا سيدتي » .

وينتقل الاستاذ فتح الله الصقال الى آثار فيينا البديعة ومتاحفها ومكاتبها ومقابرها وحدائقها وجوها ومعاهدها ومستشفياتها ودور العجزة بها ، ومصيفها المشهور : بدجستاين ، وفنونها وغاباتها ومتنزهاتها ، ثم يقف المؤلف وقفةطويلة امام الموسيقى التي اشتهرت بها فيينا وسالسبورغ، وابرز الفنانين والحفلات التي تقام كل عام ، وفيينا اثناء الحرب وبعدها، واستيلاء هتلر على النمسا ... ثم يدخل الاستاذ فتح الله الصقال برلين ، ويقتحم قصر العدل ، ويصف بنايته ، ولا يفوته أن يذكر عدد الموظفين والمحامين ، والمحاكم الابتدائية والاستئنافية ودار العجائز ، ومجلس النواب والملعب الرياضي والمتاحف والآثار وحالتها الروحية ، ويصف بوتسدام واثارها وكنائسها وقصورها ، ومحلاتها وحديقةحيواناتها والمانيا اثناء الحرب وبعدها ...

ولقد كان لرحلة الاستاذ الصقال الى بلجيكا ، الاثر الواضح في كتابه . اذ تناول في هذه الرحلة سكان بلجيكا ولغتها ومذاهبها ومعاملها واستقلالها ودار العجائز فيها ، وقصر العدل ومجلس النواب ، ومساحة الكونغو ، وتطاحن الدول الكبرى على هذه البقعة الغنية من الارض !!

ويتابع الاستاذ فتح الله الصقال رحلاته ، فيدخل انجلترا ، ويذكر عدد سكانها الذين يعيشون على سطح الارض ، او في باطنها ، ويصف مجلس النواب ، وقصر العدل والمحاكم الابتدائية والاستئنافية ، وعدد المحامين ، ودار العجائز ، والمعالم الاثرية ، والمتاحف والكنائس ، وحديقة هايد بارك التي يقوم انصار الحكومة وخصومها بالتظاهرات السياسية المختلفة ، ويجاهر دعاة الاديان بنشر تعاليمهم ومبادئهم داخلها ، دون ان يحدث في خلال تلك التظاهرات اي حادث يكدر صفو الامن ، او يخل بالنظام ، وان كان عدد المتظاهرين يعد بالآلاف ، ثم يصف المؤلف ، انجلترا اثناء الحرب وبعدها .

غير ان فرنسا ، قد اخذت من الاستاذ فتح الله الصقال كل مأخذ ، بما تمتاز به من سحر وجاذبية : « اما سحرها ، ففي اسراب الحسان ، اللواتي يسرحن ويمرحن في شوارعها ، طول النهار والليل ، وكل منهن ترتدي ثوبا ، يختلف عن سواه . كيف لا ، وباريس هي المدينة التي تبتدع ازياء كل فصل من فصول السنة ، وتنشرها في العالم كله ، فيخضع لها الكبير والصغير . واما جاذبيتها ، ففي زخرفة مخازنها ، وهندسة بناياتها ، وتقسيم شوارعها ، وتخطيط مساحاتها ، وتنسيق حدائقها » ، ثم يصف دور العجائز ومستشفياتها ، وقصر العدل ، ومجلس النواب والكنائس والمتاحف ، والآثار التاريخية ، والمكاتب العامة والحدائق ، والضواحي العديدة التي تشير الى ما قام به ملوك فرنسا من البذخ والاسراف في تشييد القصور الفخمة والحدائق الجميلة ، ورجال الحكم فيها .

ثم يقصد المحامي فتح الله الصقال سويسرا ، ويطوف بمدنها الجميلة: لوزان وبيرن ، وجنيف ، ويصف مقاطعاتها ولغة كل مقاطعة ، ومدارسها وجامعاتها ، ومناظرها الطبيعية الجميلة ، وزراعتها في القديم وصناعتها في الحديث ، وينابيعها واستشفاءها ويأتي على متاحفها واشهر المدن واكبرها ، وكنائسها الهندسية الرائعة ، ثم يرحل الى ايطاليا ، ويزور مدنها ، ويتحدث حديث عالم خبير بهذه البلاد ، وما تضم من كنوز وتحف وآثار وحدائق وبحيرات ومكاتب ومعابد ، ثم البابوات الذين تعاقبوا على هذه البلاد ، ونظام حكمهم ، ثم الحكام الذين لعبوا ادوارا هامة في تاريخ هذه البلاد ، والايام المشهودة التي سجلها التاريخ ، وتحولت على اثرها سياسات ، وتغيرت اتجاهات ، وقامت دول ، وغاصت في لجج ممالك وملوك ، ورؤساء وحكام ، وتالقت شعارات ، وتاهت مبادىء بين القوة والغلب ، وتوارت عن الانظار الى ابد الآباد !!

وفي الحق ، ان رحلة الاستاذ فتح الله الصقال ، التي ضمها هذا الكتاب ، لهي من امتع الرحلات ، لما اتسمت به من صدق ، وصبر في وصف هذه المشاهد المتنوعة التي تكررت في كل مدينة ، دون ان يختلط بعضها ببعض ، او يطغى فيها مشهد على مشهد ، او يدخل وصف في اطار وصف آخر ، مما يخل بالغرض ، او يودي بهذه الامانة التاريخية والادبية ، التي امتاز بها هذا المحامي الفذ من السرد وتعاقب الحوادث « واذا كان مؤرخو ادب الرحلات العالمية يقولون ان الرحالة الانجليزي « ويليام كوبيت » من رجال القرن التاسع عشر ، قد استطاع في كتابه : « اسفار ريفية » ان يصور الريف الانجليزي تصوير الفلاح الصادق الامين ، فاننا نستطيع هنا ان نقول : ان الاستاذ فتح الله الصقال قد صور لنا اوروبا امس واليوم ، تصوير الانسان الفنان المبين » .

واذا كان لنا ان نطمع نحن قراء العربية ، في شيء ، فاننا نطمع في كتاب آخر يضم سائر الرحلات التي قام بها الاستاذ فتح الله الصقال ، بهذا الصدق في القول ، وهذا الباع الطويل في طواعية القلم ، وشفافية الروح وانسانية التفكير ، واهتمامات المحامي البليغ .

القاهرة — ابو طالب زيان

●

عناصر هدامة

مجموعة قصص ـ تأليف يوسف الخطيب ـ ١٤٠ صفحة ـ (مطبعة ؟)

مضى على نكبة فلسطين ست عشرة سنة قال فيها الشعراء والادباء والقصاصون ما شاء لهم الله ان يقولوا ، ولكننا مع ذلك ما زلنا نحس اننا بحاجة الى المزيد من القول . وانني ازعم انه لو اتاحت لي قدرة سحرية قراءة كل ما كتب حول هذه القضية في مختلف فنون القول لوجدت ان هنالك مزيدا من الحاجة الى التأليف والكتابة والنظم او الى التنسيق والتدقيق وابراز تفاصيل هذه القضية على الاقل .

اقول هذا القول بعد قراءتي لكتاب « عناصر هدامة » الذي هو عبارة عن مجموعة من القصص القصيرة الفها الاستاذ يوسف الخطيب واراد لها ان تكون تصويرا لبعض اطراف النكبة . ولا يفهم من دعوتي الى مزيد من الكتابة عن النكبة ان مجموعة يوسف الخطيب غير وافية بمقصده . بل الواقع انني سررت بقراءتها جدا لانها سوف تتيح لجيلنا الناشيء ان يتصور هذه الاحداث بدقة حتى لا تغيب عن مخيلته ، وحتى يبقى دم الثار فائرا في عروقه .

وقبل التعليق على هذا الكتاب باية كلمة لا بد لي من تعريفه لمن لم يقرأه على الاقل : هو مجموعة من القصص القصيرة طبعت بين دفتي كتاب لا يزيد على المئة والاربعين صفحة من القياس العادي . وقد زين غلافه برسم يصور مشهدا من مشاهد احدى القصص ، واحتوى بين طياته على بعض الرسوم الاخرى التي تلتقط المواقف الحساسة من كل قصة ، ووضع له عنوان (عناصر هدامة) . وهدفي من هذا المقال هو ان اعطي تلخيصا موجزا لهذه الاقاصيص ، ثم ارى فيما اذا كانت فعلا لوحات قصصية تصور اطرافا من النكبة الفلسطينية فحسب ، ام ان بعضها ربما كان أعم من ذلك .

١ ـ القصة الاولى وعنوانها « التجربة والايمان » . سلك فيها المؤلف سبيل الترجمة الذاتية ، وبدأها بمقدمة اظهر فيها نقمته على الضمير الانساني المتحجر ، وعلى هيئة الامم المتحدة التي تمثل ذلك الضمير ، وعلى من يحاول ان يلجأ اليها . كما اظهر فيها البطل ندمه على تأخره عن ركب المجاهدين الاول وعلى سوء تصرفه في احدى الحوادث التي جعلت موضوعا للقصة . ثم قرر بان قصته واقعية وليس فيها شيء من الخيال . وملخصها ان صاحبنا كان معلما ومديرا في مدرسة ابتدائية في قرية (بتير) على الحدود بين العرب واليهود حيث يمر خط حديدي يمتلكه اليهود ويسلطون نيرانهم على العرب من خلال عرباته . وذات صباح خرج المعلم الى مدرسته فوجد جمعا من الناس في طريقه ، وحين استوضح الامر تبين له ان عدوانا اسرائيليا قد اختطف حياة احد الفلاحين مع اولاده بينما هم ذاهبون الى الحقل . وثارت ثائرة المعلم وفكر بالانتقام من اليهود وذلك بوضع الغام وكمائن لعربات القطار اثناء عودته . ولكن خطرت له فكرة الاستنجاد بالمدن الداخلية فارسل احد رفاقه لهذا الغرض ، ولم يدر انه هدم بذلك مشروعه قبل ان يضع فيه لبنة واحدة . وما اسرع ما جاء رجال الامن ليكفوه عن تنفيذ خطته ، بل ليقتادوه الى السجن لانه عنصر هدام !

٢ ـ والقصة الثانية عنوانها « ذلك الاعمى » ومكانها احدى القرى الفسطينية التي لم يشأ الكاتب تسميتها فرمز اليها بالحرف (د) وعرفنا انها في منطقة الخليل . وزمان القصة بعد قرار التقسيم بستة اشهر . وقد صور فيها الكاتب البيئة جيدا لدى الطرفين العربي والصهيوني ، ثم انتقل الى حوار كان يدور بين افراد الحامية المتراجعين امام اليهود ، هذه الحامية التي وقفت تحرس القرية مجردة من السلاح، فكانت تعبر في هذا الحوار عن نقمتها على المسؤولين العرب الذين تهاونوا في نصرة اخوانهم . وفي الفقرة التالية من القصة عمد الكاتب الى تصوير القرية عند اذان الفجر ولجأ الى تصوير المؤذن في المسجد وما يقوم به من مهام ، والدرويش الضرير شاهين بطل القصة ، الذي ينام في باحة المسجد تحت شجرة الزيتون ، وقيامه الى الصلاة ، ثم بقية معالم الحياة في القرية من نساء يحضرن الماء او يخبزن او يحلبن البقار عاد في الفقرة الثالثة الى الحامية التي تفكر في الانسحاب قرب اطراف القرية مع السكان لانهم لا يملكون مقاومة . خاصة وقد سكت صوت نيران العدو مشيرا الى استيلائه على المخافر الامامية . واذ ذلك لم يبق امام اليهود الا القرى . واخذ سكان القرية يسرعون الى الرحيل عند وصول اول قذيفة اليهم ، وقد اختلطت لديهم الاصوات بين صياح وعويل ولغط وبكاء مضافا اليها اصوات القذائف . كل هذا وجماعة من المصلين قد عقدوا حلقة ذكر في المسجد . وكان شاهين بينهم ، وقد اخذ يفكر بالفرار مع المؤذن عبد الفتاح ، ولكن المؤذن لم يلق اليه بالا واستمر في

ذكره الى أن انفجرت قذيفة داخل المسجد جعلت الجميع يهرولون على غير هدى واولهم شاهين .

احتل اليهود القرية وتوجهوا بنيرانهم الى القرى المجاورة . وافاق شاهين من اغمائه فوجد نفسه وحيدا ملقى على الارض وتحسس بعض آثار الدم في اطراف رأسه وتذكر رفيقه الذي صحبه من قريته فلم يعثر له على اثر . وبعد فترة من التردد والاضطراب والتفكير سجد سجدتين شكرا لله ثم تابع مسيره نحو المشرق . وقد حدد اتجاهه مستهديا بحرارة الشمس . وفي خط سيره عثر بجثة لم يعرف صاحبها وتوهم انها جثة رفيقه الذي كان معه فناجاه ببضع كلمات ثم واصل طريقه . وارتطم بشجرة بلوط فوقف حينئذ ووضع اشارات حجرية على الارض حتى لا يضيع اتجاهه ثم راح يقطف عساليج المرار من الشجر ، ثم اقتطع غصنا جعله عصى في يده وواصل سيره رغم الجوع الشديد والصعاب الكثيرة والوساوس المختلفة الى ان وصل حقول الكرمة فلم يشعر الا وهو ملقى على الارض منهوك القوى وحوله ثلاثة من القرويين . وكان احدهم يتلمس جسمه ليرى هل يمكن ان يبقى حيا . والاخران يعجبان كيف استطاع هذا الاعمى ان يقطع كل تلك الابعاد ويجتاز كل تلك الصعوبات .

٣ ـ وخلاصة القصة الثالثة المسماة (عائدة مع الصيف) ان احدى الفتيات الفلسطينيات اللواتي انهكتهن الفاقة ، حصلت على ثقافة تؤهلها لشغل وظيفة معلمة . وتعاقدت مع حكومة الكويت للعمل لديها . وقررت ان تغادر اهلها في القدس القديمة في اليوم الثاني لانجاز التعاقد ، حيث تترك امها العجوز واخاها الاعرج العاجز عن العمل ، بعد ان كان قد اصيب في احدى المعارك . وكان من رفقائها في هذه السفرة احد المعلمين في القرية نفسها التي تعمل هي فيها قرب القدس .

٤ ـ « باوطة العروب » وهو اسم القصة الرابعة التي تتلخص بان احد اللاجئين في المخيمات توفيت زوجته بعد ان مرضت عدة ايام ، وكان حزنه لفقدها عظيما . خاصة وانها تركت اطفالا صغارا يحار في كيفية العناية بهم في الشتاء القاسي والبرد القارس ، والامطار تقتحم عليهم خيامهم ويسير سميحها تحت مضاجعهم ، ثم يحار كيف يهيء لهم طعامهم وخبزهم وهو لا يملك طعاما ولا مالا . وفجاة يتذكر مسالة احضار المعونة لهم من وكالة الغوث ، والورقة التي تخوله اخذ هذه المعونة . ويبحث في اطراف ذاكرته عله يعثر على المكان الذي خبأ فيه تلك الورقة فلا تسعفه الذاكرة التعسة بشيء . وحينها يفطن احد الاولاد الى ان امه كانت تخبئها بين ثيابها في صدرها لشدة حرصها عليها . ويصاب الرجل بصدمة كبرى وصراع نفسي مرير: هل يتجرأ ويكشف عن زوجته مرقدها تحت بلوطة العروب ليستخرج الورقة ام يترك اولاده يموتون جوعا . وبعد هذا الصراع العنيف بين وفائه لزوجته وحبه لاولاده وبعد ان يشاور بعض اصدقائه في الامر يقرر ان يحفظ حياة اولاده بانتهاك حرمة قبر فقيدته . ويتضاعف الخطب حين يستخرج الورقة فيجد ان معالمها قد زالت بفعل الطين والمطر ، وحينئذ لا يجد لنفسه سبيلا الا العمل باي صورة كان .

٥ ـ اما « خجو » فانه اسم بطلة القصة الخامسة والاخيرة ، وهو اسم القصة ذاتها كذلك فهذه الفتاة الصغيرة لاجئة فلسطينية تعيش مع اهلها في المخيمات المخصصة لهم قرب دمشق . وقد تعودت بيع اوراق اليانصيب على ارصفة المدينة متملقة كل من تصادفه في طريقها دون ان تكسب اي ربح في اكثر الايام . وقد اخذ اولاد السوء يلاحقونها او يرافقونها . واخيرا وفي احد الايام تختفي الفتاة ولا تعود مساء الى البيت ، وتخرج امها للبحث عنها دون جدوى .

هذه هي اللوحات القصصية الخمس ـ كما سماها كاتبها ، واراد لها ان تصور اطرافا من النكبة . وليس من غاياتي هنا أن ابحث في الناحية الفنية لهذه القصص ، فصاحبها لا يزعم انه من كتاب القصة المتمسكين بمقوماتها ، وان كان يسمي ما كتبه قصصا ويستحق على هذه التسمية محاكمة فنية . واذا كان لا بد لنا من النقد الفني فلعله يرد في مقال آخر . وحسبنا الان انه اعطانا لوحات واضحة من اطراف النكبة خيمت عليها ظلال شاعريته في كثير من الاحيان فجعلتها تنعم بذوائب اشجار خياله الندية . وكل ما اريده هو ان اتبين فقط : هل هذه اللوحات خاصة بالنكبة ـ كما اراد لها يوسف الخطيب ان تكون ـ ام ان بعضها قد خرج عن حدودها وعن العنوان الذي وضع لهذه المجموعة؟

ان الذي يلحظه القارىء من خلال ملخصات هذه القصص هو ان الاولى والثانية والرابعة تخص النكبة حقا وتوضح اثرها على الافراد والجماعات نفسيا وماديا في مختلف ظروف حياتهم التي تحدثت عنها. فالمعلم الفلسطيني حين شاهد مصرع احد افراد قريته مع اولاده يمثل فعلا جوا فلسطينيا خالصا جعلنا نعيش في وسط الاعتداءات الصهيونية التي كانت وما زالت تتكرر على حدودنا . وقد لمسنا واقعية هذا العدوان حين تصورنا الخط الحديدي اليهودي الذي يمر من طرف القرية . وكذلك فان الاعمى حين لم يجد من يقوده الى مأمن من النيران استثار شحنات كبيرة من عطفنا واشفاقنا والامنا العميقة . وهذا التصوير الواقعي له يجعلنا لا ننسى ابدا انه فلسطيني نازح من قريته على غير هدى .

اما الرابعة فانها تكاد تكون اكثر الجميع تأثيرا ، فهي موفقة جدا في تصويرها لهذا الصراع النفسي الذي ثار لدى الرجل بعد ان عرف المكان الذي وضعت فيه فقيدته الورقة . وحار في امره كيف يتصرف ؟! وقد بلغ التوتر النفسي اقصاه حين كشف القبر فوجد الورقة قد تلفت من اثر المياه . ويكفينا دقة وواقعية ان مثل هذا الصراع النفسي خاص باحوال اللاجئين وظروفهم ولا يمكن ان ينطبق على غيرهم .

ولكن اذا ما عدنا الى القصتين ، الثالثة والخامسة ، وجدنا ان ترابط احداثهما مع احداث النكبة ضعيف جدا او كأنه معدوم ، ولذا فان تصويرهما لاحوال اللاجئين الفلسطينيين لا يكاد يذكر . ففي الثالثة فعلا ليس من المحتم ان تكون الفتاة التي تبغي السفر الى الكويت ، لضيق ذات يدها وحرمانها ما يتمتع به اترابها ، فلسطينية الاصل . فكثيرات جدا هن الاواتي تجبرهن ظروف اسرهن القاسية على الاغتراب من اجل رفع مستوى معيشتهن . واذا كان المؤلف قد ظن انه خلق الارتباط المطلوب بين قصته وبين احداث النكبة ، بواسطة الاخ المقعد لاصابته في احدى المعارك ، فاني لا ارى هذا الارتباط الا واهيا ضعيفا لا يكاد يبين . فلو انه رجع بنا قليلا الى الفترة التي اصيب فيها الفتى وغدا عاجزا لوضعنا بصورة ما ضمن احداث نكبتنا ، وذلك بان يعرض علينا مثلا شيئا من ذكريات الفتى عن تلك الفترة او شيئا من تصورات الفتاة لمصيبة اخيها منذ حلولها ، ان قبل سفرها او بعده ، لو فعل شيئا من ذلك لاستطعنا ان نضع هذه القصة ضمن المجموعة الاولى من لوحاته ، ولقلنا عنها ايضا انها تصور طرفا من النكبة . ولكننا نحس انه بامكاننا وبمنتهى البساطة أن نحذف شخصية الاخ ونستعيض عنها بشيء من التعبير العاطفي عن حالة الفتاة او الام دون ان تتاثر احداث القصة مطلقا . وذلك لانها لم تنته بحل عقدة ما على كل حال .

اما الخامسة فانني لم اجد لها اي رابط يربطها بالنكبة بصورة خاصة . فما اكثر الفتيات المتسولات في مدينة دمشق بل في اكثر من مدننا العربية . وما اكثر بائعات اوراق اليانصيب على ارصفة عاصمتنا مع الاسف . ولا بد ان يكون المؤلف قد شاهد العديد منهن اثناء ذهابه وايابه على طريق العاصمة ، وامام ارصفة المتحف والنكبة السليمانية ، وهل باستطاعته ان يقول ان كل هؤلاء الفتيات الفلسطينيات الاصل وانهن اثر من آثار النكبة . اني لاظن ان هذه اللوحة ليست خاصة بفلسطين ، بل انها تتحدث عن نكبة عامة تتوزع خطوطها في كثير من مدن وطننا العربي نتيجة لضعف الامكانيات المادية الذي يحول بين مجتمعنا وبين القضاء على التسول والتشرد .

والذي اريد ان اصل اليه هو ان هاتين القصتين الاخيرتين لا تكادان

تمثلان شيئا من اطراف النكبة التي عناها الكاتب ، بينما قصصه الثلاث الاولى على خلاف ذلك تماما . فلو انه فصل بين المجموعتين ضمن كتابه الواحد وميز بين ما هو خاص بفلسطين ، وما هو عام لمآسي مجتمعنا العربي كله لكان افضل واكثر واقعية .

وعلى ذلك فانا احس باننا ما زلنا عاجزين في كثير من الاحيان عن تصوير واقعنا بواسطة الكلمة ، مهما كان مقدار ممارستنا له وعيشنا بين جوانبه ، واننا اذا استطعنا تصويره فما اكثر ما نعجز عن توضيح صورنا واعطائها صبغتها المحلية الدقيقة او سماتها الخاصة بالموضوع الذي تدور حوله . واني لاحس أن من واجبنا تصوير هذا الواقع وعرضه بمختلف الطرق والاساليب الفنية . ومن اقدر من ابناء النكبة على عرض تفاصيلها ورسم حوادثها الدامية المفجعة . وما اغنى حوادثها بالتفاصيل التي تحتاج الى رسم وتصوير .

لطفية الشهابي — دير الزور — سورية

•

حيـــاة جـديـــدة

مجموعة قصصية لفاضل السباعي — طبعة ثانية — ١٤٥ صفحة — حجم كبير — منشورات مؤسسة المعارف ببيروت

الاستاذ فاضل السباعي طاقة خلاقة ، مجددة بناءة ، تمد المجال القصصي بين الحين والحين بجديد من قصصه ، ومزيد من فنه وانطباعاته ، تطلع مجموعاته القصصية على الناس كفادة مكتملة ، ناضجة متزينة ، تسحر البصائر وتبهر الابصار ، فالغلاف انيق كثوب الفادة المنمنم الموشى ، والورق مصقول كحد الفانية ، والاسلوب رشيق كقد الكاعب ، والالفاظ مختارة على قدود الافكار كما تختار الجميلة الحسناء الفاظها بقدر وحساب .

ولا عجب فالاستاذ فاضل السباعي من رجال القانون ، وهو في انتاجه يحاول ان يدرج تحت القاعدة القانونية قاعدة الشكل والموضوع . ولقد تضمنت مجموعة « حياة جديدة » سبع قصص قصيرة وقصة واحدة مطولة اختتم بها تلك المجموعة التي استهلها بقصة « الصيت والحب » وهي قصة لم يشبها ما بها من اخطاء لا اقول املائية ولكن مطبعية ككلمة « ترئسها » في الصفحة التاسعة و « تئن » في الصفحة العاشرة ، ولا من خطأ لغوي في كلمة « انتداب » في الصفحة العاشرة والاصوب ان تكون « ندب » وكلمة « مواضيع » في صفحة ١٧ والاصوب موضوعات وقد عفى على ذلك ما بالقصة من الفاظ جديدة كلفظة «اليلكية اللون» في صفحة ١٩ ، واقسم غير حانث ما وقعت عيناي على هذا التعبير من قبل، واستميح النقاد والقراء المتعمقين في اللغة وفقهها العذر لي ، فهذا مبلغي من العلم وفوق كل ذي علم عليم .

اما القصة الثانية « ذقون في الهواء » فقد ذيلها بحاشية افسدت او كادت تفسد جو المتعة والمرح الذي تنضح به تلك الاقصوصة فهي اقصوصة رمزية ترمز الى ان الشر يسير في ركاب الخير وان الظلم يسري في جو العدالة ، وهكذا سنة الحياة ، فليس هناك خير خالص ولا شر محض ، بل ان الخير والشر متلازمان ، فاذا اعتقد معتقد ان جو المحاكم والقضاء بما فيه ومن فيه خير كله ، وبعيد عن الشوائب والمثالب وانه متمحض للنزاهة خالص مما يشين فقد جاوز الحق والحد وجافى الواقع والمشاهد. فلم يكن هناك — والحالة هذه — مسوغ لهذه الحاشية التي ساقها المؤلف الفاضل لينفي عن جو العدالة والمحاكم بعض تصرفات موظفيها من ذوي النفوس المريضة ، او ليدفع ما يوجه اليه من نقد زملائه رجال القانون والقضاء ، فكانت هذه الحاشية التي جاءت كقطرات من ماء مثلج نزلت على ناحية امرىء مغرور فاقذعته وافزعته ، والتي جعلت الاقصوصة في نظري تنهار من قطعة ادبية رمزية الى محضر من محاضر الاحوال الرسمية التي تدون في بعض مراكز الشرطة بعد حصول حادث او وقوع جريمة ، محضر يقول كما قالت الحاشية « ان العين ساهرة على حسن تطبيق القانون وهي ترحب بكل شكوى من هذا القبيل وهي تضرب ايدي المسيئين بيد من حديد !! »

والاقصوصة الثالثة « حياة جديدة » هي قصة انسانية في موضوعها وفي خاتمتها وفي هدفها بها لمسات حانية وظلال وجدانية ولقد شاءت انسانية الفاضل المؤلف ان يجعل منها عنوانا لمجموعته القصصية هذه ، على ان الخلجات الانسانية لا تختص بها هذه الاقصوصة وحدها ، بل تشاركها في هذه الخصيصة بقية اخواتها ، ففي كل قصة تجد مشهدا انسانيا ومنحى انسانيا ومجالا من مجالات الانسانية ، ان المؤلف ينزع نزعة انسانية فياضة ، لا في هذه القصة وحدها بل في سائر قصص هذه المجموعة ، وبذا اصبحت الظاهرة التي تبدو بوضوح على هذه المجموعة هي النزعة السامية المثالية النبيلة نزعة الانسانية المشبوبة العارمة ، ولا عجب فقد استوحى المؤلف احداث قصصه من حياة المواطنين الذين يزخر بهم المجتمع ، ولا عجب من اجل ذلك ايضا ان يستهل المؤلف مجموعته الانسانية هذه باهدائها الى الاناسي الطيبين والبسطاء من ابناء موطنه الذين استلهم من حياتهم اليومية قصصه تلك .

اما قصة « الاكذوبة » فهي محبوكة ومنسوجة باحكام ، ولذيذة ، وليت سائر الاكاذيب تنسج على هذا المنوال من الحبكة والاحكام !! وفي قصة « الموعد اللازوردي » بعض الفاظ ضعيفة النسج رقيقة البناء هشة الصياغة من وجهة نظر اللغة العربية الصحيحة الفصيحة، ففي ص٨٠ كلمة «حاجياتها المعيشية» والاصوب حاجاتها لان مفردها «حاجة» لا «حاجية» وفي ص ٨١ « عهود المذاكرة » والاصوب « الاستذكار » اذ المذاكرة « مفاعلة » والمفاعلة ، كما يقول اللغويون ، تكون من الجانبين واستذكار الدرس من جانب واحد فحسب هو جانب المستذكر . اما قصته الاخيرة الطويلة فقد كان التشويق فيها يأخذ باللب فيدفع العين الى ان تسرع ملتهمة الاسطر وقد تترك بعضها لتصل بالقارىء الى النهاية .. نهاية القصة التي ربطه بها وشده اليها براعة من المؤلف ومهارة منه ، براعة نقلت القارىء الى اجواء فيها غير ما يتوقع وغير ما كان يظر او يقدر.. اجواء سجلها فاضل السباعي بلاقطته الحساسة وواعيته المتمكنة وانطباعاته الصادقة فها هو ذا يقدم لنا على صفحات « حياة جديدة » « صورة قديمة » للمغتسل (الحمام) بما فيه ومن فيه ، باثاثه العتيق واناسه ورواده وما يتعالى بين ارجائه من صيحات وابخرة وما بين جنباته من ضجيج وعجيج ، كل هذا صورة صادقة كادت تختفي معالمها في معظم بلادنا الشرقية ، ولكن الفضل لفاضل السباعي اذ دونها بصدق وذكاء في « حياة جديدة » حتى تكون صورة صادقة القسمات والسمات لقطاع من قطاعات حياتنا ، وميزة من اظهر ميزاتنا الشرقية كادت تمحوها يد التجديد والتقدم والابتكار .

وفي الحمام لقطات اجتماعية سجلها فاضل ببراعة الخبير وبراعة القدير ، وما ابدع تلك الشريحة التي توصي فيها الام ابنها بان يقصر من قامته ليبدو اصغر سنا في نظر صاحبة الحمام وما استتبع ذلك من مناقشات منطقية ، وما اروع المقارنة بين قبضة المعلمة في الحمام وبين قبضة المعلم في المدرسة « منذر افندي » وتطلع اليافع بنظر حائر وقلب واجف الى عجوز تشفع له بعد ان ازور عنه نظر الصبايا والجميلات .

غير اني لا اوافق ايضا على الهامش الذي ساقه في نهاية ص ٩٥ والذي اورده عن « كيس التفريك » فكيس التفريك ليس خاصا بحمامات حلب — كما جاء في ذلك الهامش — بل انه منتشر ايضا الى الآن في البقية الباقية من الحمامات الشعبية المتناثرة في القاهرة منذ قديم .

انا اعلم ان صديقي الاستاذ فاضل السباعي ، قانوني واسع الافق لن يضيق صدر قرائه ومحبيه وعارفي فضله وتلاميذه الذين تتلمذوا على نصوصه الادبية المقررة في مدارسنا الثانوية والاعدادية في الجمهورية

ظهر حديثاً



● الظما والينبوع ـ رواية ـ تاليف فاضل السباعي ـ طبعة ثانية ـ الغلاف واللوحات الداخلية بريشة جمال قطب ـ ١٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الاداب ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● حياة جديدة ـ مجموعة قصص ـ تاليف فاضل السباعي ـ طبعة ثانية ـ الغلاف بريشة جمال قطب ـ ١٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ببيروت (لم يذكر اسم المطبعة)

● عقاب الخطيئة ـ مجموعة قصص ـ تاليف عبد الوهاب النعيمي ـ الغلاف بريشة محسن محمود ـ ١١٤ صفحة ـ مطبعة الجمهورية بالموصل

● العمليات الجماعية في المدارس الابتدائية والثانوية ـ تاليف لويس م. سميث ـ ترجمة ابراهيم خليل شهاب ـ مراجعة محمد سليمان شعلان ـ اشراف وتقديم محمد علي حافظ ـ ٦٦ صفحة ـ منشورات دار القلم بالقاهرة ـ مطابع دار القلم بالقاهرة

● شميم العرار ـ شعر ـ غادة الصحراء ـ تقديم جورج غريب ـ اللوحات بريشة رضوان الشهال ـ الخطوط بريشة كامل البابا ـ ١٧٢ صفحة ـ منشورات دار الكتاب اللبناني ببيروت ـ مطابع دار الاخد (البحيري اخوان) ببيروت .

● ميخائيل نعيمة الاديب الصوفي ـ تاليف ثريا ملحس ـ ٢٠٨ صفحة ـ منشورات دار صادر ، دار بيروت ببيروت ـ مطابع دار صادر ودار بيروت ببيروت

● النافذة المغلقة وقصص اخرى ـ تاليف يوسف جاد الحق ـ تقديم وداد سكاكيني ـ ١٧٦ صفحة ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● البحار بيلي بد ـ مسرحية ـ مستقاة من رواية لهرمان ملفيل ـ بقلم لويس ا. كوكس وروبرت شابمان ـ ترجمة مصطفى طه حبيب ـ مراجعة حسن محمود ـ ١٢٠ صفحة ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر (؟)

● تنظيم الفصول الدراسية للتعليم ـ تاليف ج. وين رايتستون ـ ترجمة السيد محمد العزاوي ـ مراجعة محمد سليمان شعلان ـ تقديم محمد علي حافظ ـ ٨٠ صفحة ـ منشورات دار القلم بالقاهرة ـ مطابع دار القلم بالقاهرة

● كيف نفهم سلوك الاطفال ـ تاليف جرترودريسكول ـ ترجمة الدكتور رشدي فام منصور ـ مراجعة وتقديم محمد السيد روحه ـ ١٦٠ صفحة منشورات دار النهضة العربية (؟) ـ المطبعة العالمية بالقاهرة

● قصة السدود ـ تاليف بيتر فارب ـ ترجمة المهندس محمد توفيق محمود ـ مراجعة وتقديم الدكتور محمد محمد حسان ـ مصمم الغلاف طلعت المصري ـ ١٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار النهضة العربية (؟) ـ مطبعة مصر (؟)

● مساعدة الطفل على تقبل ذاته وتقبل الاخرين ـ تاليف هيلين ل. جيلهام ـ ترجمة الدكتور محمد عبد السلام احمد ـ مراجعة وتقديم محمد السيد روحه ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات دار النهضة العربية (؟) مطابع الاستقلال الكبرى (؟)

● هندسة اللحام ـ الجزء الاول ـ تاليف بونيفاس ا. روسي ـ ترجمة الدكتور انور محمود عبد الواحد ـ مراجعة حسن حسين فهمي ـ ٥٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار النهضة العربية بالقاهرة ـ دار ومطابع الشعب (؟)

● نبضات ـ مجموعة شعرية ـ جمال مرسي بدر ـ ١٢٤ صفحة ـ مطبعة دار نشر الثقافة بالاسكندرية .

● كليلة ودمنة ـ عبد الله بن المقفع ـ دقق فيها وعلق عليها ونسقها ـ الشيخ الياس خليل زخريا ـ ٤٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الاندلس ببيروت ـ مطابع دار الاندلس ببيروت .

● اغاريد ربيع ـ ديوان شعر ـ فؤاد بليبل ـ قدم له خليل مطران والياس خليل زخريا ـ ١٧٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الاندلس ببيروت ـ مطابع دار الاندلس ببيروت .

● كتاب المعتمد في اصول الفقه ـ تاليف ابي الحسن محمد بن علي بن الطيب البصري المعتزلي المتوفي ببغداد ١٠٤٤/٤٣٦ ـ اعتنى بتهذيبه وتحقيقه محمد حميد الله بتعاون محمد بكر وحسن حنفي ـ الجزء الاول ـ ٤٦٤ ـ حجم كبير ـ منشورات المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ـ المطبعة الكاثوليكية في بيروت .

● الحب والحرية ـ شعر ـ محمد جميل شلش ـ تقديم الدكتور احمد عبد الستار الجواري ـ ٢٥٦ صفحة ـ منشورات مكتبة النهضة ببغداد ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت .

● نداء الدماء ـ شعر ـ حسن عبد الله القرشي ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات دار العلم للملايين ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● شرارة وقصص اخرى ـ تاليف شفيق معلوف ـ ٨٠ صفحة ـ منشورات دار الاندلس ببيروت ـ مطابع دار الاندلس ببيروت .

● البرامكة والعلويون ـ تاليف جاسم آل كلكاوي ـ تقديم الدكتور يوسف عز الدين ـ ١٦٠ صفحة ـ مطبعة اهل البيت بكربلاء .

● التوجيه : فلسفته واسسه ووسائله ـ تاليف ميرل م. اولسن ـ ترجمة الدكتور عثمان لبيب فراج ومحمد نعمان صبري ـ مراجعة الدكتور عبد الخالق علام ـ تقديم محمد علي حافظ ـ مصمم الغلاف احمد محمد منيب ـ ٥٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار النهضة العربية بالقاهرة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الاشراف والاستشارة ـ تحرير جمعية تعليم الكبار الامريكية ـ ترجمة الدكتور جابر عبد الحميد جابر ـ مراجعة وتقديم الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل ـ ٨٨ صفحة ـ منشورات دار القلم بالقاهرة ـ مطابع دار القلم بالقاهرة .

● قد يكون طفلك موهوبا ـ تاليف روث كارسون ـ ترجمة الدكتور محمد خليفة بركات ـ مراجعة وتقديم محمد كامل النحاس ـ ٦٠ صفحة ـ منشورات مؤسسة الخانجي بالقاهرة ـ مطبعة الاستقلال الكبرى بالقاهرة .

● الهند ـ تاليف اميلي هان ـ ترجمة عفاف محمد فؤاد ـ ٦٤ صفحة ـ مصور ـ منشورات دار المعارف بمصر ـ مطابع دار المعارف بمصر بالقاهرة .

العربية المتحدة ـ لن يضيقوا بهذه الهنات الهينات التي بدت لي في انتاجه الاخير « حياة جديدة » فانني اسوقها لعلها تكون كما قال القائل :

« ما احوج ذا الكمال الى عيب يوقيه من العين » .

ان صديقي فاضل السباعي ـ على الرغم من اني لم اره ولم اسعد بلقائه ـ فاني ارشحه بما انتج في الميدان القصصي لان يتسنم مكانه الممتاز بين رواد العربية الطويلة . وقليل ما هم .

القاهرة — محمود بن الشريف



الدكتور محمد حاج حسين

اللغة والفكر بين ديوي والجرجاني

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

اصبحت معرفة نشأة الكلام من الابحاث الميتافزيقية ، فعلم اللغة لا يقر الآراء الكثيرة المتضاربة في هذا الشأن سواء منها البيولجية او الفزيقية ، أو الاجتماعية التي ذهب اليها الباحثون ، لانه لا يعترف الا بالابحاث الخاضعة لقوانين علمية قائمة على الملاحظة والتجربة ، فأصل اللغة يقوم على افتراضات تحمل في طياتها الكثير من الظنون التي لا تتسق مع العلم .. والاصل النفسي لنشأة اللغة يذهب الى ان اللغة شديده الاتصال بالفكر ، فلا كلام بلا عقل ، وينشأ الكلام عندما نحاول التعبير عن افكارنا ، وهذا معناه ــ في رايهم ــ ان الفكر هو اصل الكلام ، فقد فكر الانسان ، ثم نطق .. ولا يعنون بالكلام التعبير عن الافكار فقط ، بل هو يشمل جميع العواطف والرغبات والانفعال .

وهكذا عظم الاصل النفسي للغة الفكر ، وجعله مصدر الكلام وسببه ، فالصلة بين اللغة والفكر متلاحمة متداخلة لا يمكن فصمها .. ما دام الفكر هو اصل نشأة الكلام .

وهذا الراي يراه كثير من الباحثين ضربا من الرجم بالظنون البعيدة التي لا تحل مشكلة نشأة اللغة ، فهم يرون ان الصلة بين اللغة والفكر معدومة ولا علاقة بينهما البتة ، فاللغة تختلف عن الفكر في طبيعتها ووظيفتها ، فهي لا تعدو ان تكون وسيلة التفكير التي يعبر بها عن نفسه .

وجون ديوي يذهب الى ان اللغة غير الفكر ، ولكنه يعترف بالواشجة القوية التي توثق بينهما ، بل يجعلهما متلاحمين في ارتباط عضوي ، بحيث ان اللغة تتأثر بالفكر، وتؤثر فيه بصوره قوية فالفكر لا يتسنى له السلامة الا اذا اتيحت له اللغة الدقيقة الواضحة ، من حيث المفردات ، ومن حيث نوعها ودقتها ، والفكر المشوش القلق ناجم عن اللغة المشوشة ، التي لم تحسن التعبير عنه ، فاللغة تعبر عن لحقيقة اي انها استحضار سلوكنا ازاءالاشياء ، ومعنى هذا ان اللغة اداة ، وكان الفيلسوف الاميركي مدفوعا الى هذه الآراء انسياقا مع فلسفته البراجمتية العملية ، فليس الهدف الاساسي من اللغة مجرد نقل الافكار والانطباعات والاوامر من شخص الى اخر ، بل هو التأثير في سلوك الشخص الذي تنقل اليه تلك الافكار والانطباعات والاوامر ، ولا يتم هذا النقل على وجهه الصحيح الا اذا فهم الشخص معاني ما يتصل اليه بالشكل الذي يفهمه الناقل ، والا فقدت اللغة جوهرها وذهب التفاهم بددا .

وعبد القاهر الجرجاني كما يقول عنه يحي بن حمزة العلوي صاحب الطراز « اول من اسس هذا العلم ــ البلاغة ــ واوضح براهينه ، ورتب افانينه وفتح ازهاره من اكمامها بعد استبهامها بكتابيه دلائل الاعجاز ، واسرار البلاغة » .

فقد استطاع بعبقرته الوقاده ان يشيد صرح البلاغة على اسس فنية جمالية لم يستطع المنطق ان يستعملها ويحيلها الى اقيسة عقلية جامدة فقد استوعب اسرار الكلام واكتنه روعة جماله . ولو تابعه البلاغيون في نهجه القويم لبلغت البلاغة العربية القمة في ابداعها ، وابتعدت عن السلاسل المنطقية التي صفرتها واحالتها الى جمود وهمود ، ولاسيما بعد ان سيطر عليها السكاكي بكابه المفتاح الذي جعلها تخضع للمنطق واقيسته .

والواقع ان عبد القادر الجرجاني اوتي موهبة فذة في ادراك جمال الكلام البليغ، وتحليله واستنطاق روعته يهديه في هذا ذوق مرهف ، وحاسة فنية خصبة ، فالبلاغة التي دعا اليها هي المثلى التي يجب ان يترسمها البلاغيون لادراك جمال الكلام الفني ، والغوص الى اسراره . واستطاعت عبقريته ان تسبق زمنها ، فقد نبضت عنده افكار عن علاقة اللغة بالفكر هي في صميمها الافكار التي اذاعها ديوي ، وان لم تات بالتفصيل الدقيق والوضوح الذي بدت به لدى الفيلسوف الاميركي . ولا شك ان لتراخي المدة بينهما ، وتطور العلم والحضارة اثره في الطريقة التي وضحت بها لدى الجرجاني ، ولست بزعيم لك ان ديوي عرف الجرجاني او تاثر به وافاد من آرائه . هذا بعيد عن ظني، بيد انني اجد في هذا التلاقي الجميل بينهما دليلا جديدا على عبقرية الجرجاني التي كلما تقادم عليها الزمن زادها صقالا ومضاء فعبد القاهر عاش في القرن الخامس الهجري ، ووصل في هذه الفترة القديمة التي عاش فيها الى افكار ديوي ، او على الاقل استطاع ان يحيط بجوهوها ، ويبرزها

في اسلوب قوي يتقد ايمانا بفكرته والدعوة اليها .

وكما ذهب ديوي الى أن اللغة غير الفكر ذهب كذلك الجرجاني ، فنلاحظ انه في كتابيه : اسرار البلاغة ، ودلائل الاعجاز ، يقر فصل اللفظ عن المعنى ، او بعبارة عصرية نصل اللغة عن الفكر ، ولكنه يخالف ابا هلال العسكري الذي استجاد العبارات الادبية للفظها لان المعاني مطروحة لكل الناس يعرفها العربي ، وغير العربي ، فهو يرى المزية كلها للمعاني . يقول في أسرار البلاغة : « الالفاظ خدم المعاني ، والمصرفة في حكمها ، وكانت المعاني هي مالكة سياستها المستحقة طاعتها فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن ازال الشيء عن جهته واحاله عن طبيعته وذلك مظنة الاستكراه وفيه فتح ابواب العيب ، والتعرض للشين » فعبد القاهر يؤكد ان المعاني هي الاصل ، وليست الالفاظ سوى خدم لها ، فاللغة غير الفكر ، ولكنه يؤكد على وجوب التحامها في ارتباط عضوي ، فالمعنى هو الذي يتحكم في اللفظ ، وهو الذي يستدعيه . ويحمل على العناية باللفظ في دلائل الاعجاز فيقول : « وسبب دخول الشبهة عند من دخلت عليه انه لما رأى المعاني لا تتجلى للسامع الا من الالفاظ ، وكان لا يوقف على الامور التي بتوخيها يكون النظم الا بان ينظر الى الالفاظ مرتبة على الانحاء التي يوجبها ترتيب المعاني في النفس ، وجرت العادة بان تكون المعاملة مع الالفاظ فيقال : قد نظم الفاظا فاحسن نظمها والف كلما فاجاد تاليفها ، جعل الالفاظ الاصل في النظم ، وجعله يتوخى فيها انفسها ، وترك أن يفكر في الذي بيناه ، فعبد القاهر يشجب العناية باللفظ لمجرد جماله فلا قيمة له الا اذا التحم مع الفكر برباط عضوي ، فاللغة خادم للفكر ، غايتها ان تترجم عنه بدقة لانها مجرد اداة لاستحضار سلوكنا ازاء الاشياء ولا يمكن ان يتم هذا الا اذا كانت اللغة وسيلة للفهم بين المتخاطبين .. يقول في أسرار البلاغة : « وهل شيء احلى من الفكرة اذا استمرت وصادفت نهجا مستقيما ومذهبا قويما وطريقة تنقاد ، وتبينت لها الغاية فيما ترتاد » فالفكر لا يحلو الا اذا ابانت عنه اللغة ، فهما متحدان في رباط وثيق لا ينفصم أحدهما عن الاخر ، بل هما متلازمان فاللغة هدفها ابانة مكنون الفكر .. ولا قيمة لها بذاتها مجردة عنه .

ونظرية النظم التي ابتدعها لفهم اعجاز القرآن الكريم هي في جوهرها الاصيل هذا الترابط العضوي بين اللغة والفكر الذي اشاد به ديوي ، فليس النظم كما يقول : « سوى تعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب بعض » فالنظم في هذا التعريف الجامع المانع كلمات تتعلق ببعضها ، وبيان لاسباب هذا التعليق ، ولا يقصد بهذا الا المعنى العقلي الذي يتساوق مع المنطق فاللغة مرتبطة بالفكر تتأثر به وتؤثر فيه لتبرأ من التناقض والاحالة فالاعجاز في القرآن الكريم ليس بالالفاظ ، او بالاعراب ، وليس في الحقيقة او بالتصوير ، وانما هو بكل اولئك وبامر اخر هو المزية الجمالية التي تمنعك ان تبدل حرفا عن موضعه او تأتي بكلمة مرادفة لكلماته الاصلية .

وهكذا نجد ان النظم لدى الجرجاني هو في حقيقته هذا الارتباط العضوي بين اللغة والفكر ، فالالفاظ لا معنى لها الا اذا كانت مرتبة في موقعها ، بحيث تكون خادمة للفكر تنقله الى الاخرين ، وتجلو صقاله وتنير ما استغلق منه فاذا اخل بترتيب لفظة عن مكانها تعثرت اللغة ونأت عن هذا الترابط الشديد بينها وبين الفكر . يقول في اسرار البلاغة : « وهذا الحكم ـ اعني الاختصاص في الترتيب ـ يقع في الالفاظ مرتبا على المعاني المرتبة في النفس ، المنتظمة فيها على قضية العقل ولن يتصور في الالفاظ وجوب تقديم وتأخير وتخصيص في ترتيب ، وتنزيل ، وعلى ذلك وضعت المراتب والمنازل في الجمل المركبة واقسام الكلمة المدونة فقيل من حق هذا ان يسبق ذلك حكم ما ههنا ان يقع هنالك كما قيل في المبتدأ والخبر ، والمفعول والفاعل حتى خطر في جنس من الكلم بعينه ان يقع الا سابقا وفي اخر ان يوجد الا مبنيا على غيره ، وبه لاحقا .. كقولنا ان الاستفهام له صدر الكلام ، وان الصفة لا تتقدم على الموصوف الا ان تزال عن الوصفية .. الى غيرها من الاحكام ..

هذا النص غني في دلالته ، فاللغة التي لا تنتظم مع الفكر بهذه الوحدة العضوية التي توثق بينهما تفقد خصائصها وقيمتها ، فالالفاظ يجب ان تكون مرتبة على المعاني المرتبة في النفس بحيث يكون هذا التلاحم الشديد بينهما ، ليتهادى الفكر واضحا منسقا في جلوة ساحرة بعيدا عن اللبس والغموض ، فعبد القاهر يرى ان قلقلة لفظة من مكانها يجعل المعنى مستغلقا ، واللغة خادم امين لنقل الفكر . والالفاظ لا حياة لها بدون المعاني التي تدور في الذهن . يقول في اسرار البلاغة « فاذا رأيت البصير بجوهر الكلام يستحسن شعرا او يستجيد نثرا ، ثم يحمل الثناء عليه من حيث اللفظ ، فيقول : حلو رشيق ، وحسن انيق ، وعذب سائغ ، وخلوب رائع ، فاعلم انه ليس ينبئك عن احوال ترجع الى اجراس الحروف ، والى ظاهر الوضع اللغوي ، بل الى امر يقع من المرء في فؤاده ، وفضل يقتدحه العقل في زناده » وهذا النص صريح في مرماه ، فليست اللغة سوى لحمة الفكر وسداه ، فالاعجاب بالشعر او النثر لا يأتى من الالفاظ الرشيقة الموسيقية ، بل يتأتى من الفكر الذي يكمن وراءها ، ويختلج في اهابها ، فالجرجاني يعترف بالواشجة الشديدة التي تربط اللغة بالفكر كما وردت عند ديوي ..

ويرى ديوي ان الفكر لا يكون سليما الا اذا اتيحت له اللغة الدقيقة ، والجرجاني دعا الى هذه الفكرة في تشييد صرح بلاغته الباذخ ، فالفصاحة عنده ، ليست بالكلمة ، ولا وصفا داخلا بها ، انما هي الكلمة التي يتداولها الناس ،



قطار الاماني

* * *

لا تعجل ليسهر القنديل ... ودع الليل باشتياقي يطول
فانتظار الجنان اطيب منها ... اوما بالشعاع خط الافول ؟
انا اخشى علي بـرد ارتوائي ... عندنا بالفليل يروى الفليل
فامضي حيث الدروب تنأى ولا ... ينهب من نعمة العذاب الوصول
وابق في الافق للاماني ضبابا ... ينعم الظل ان عراها ذبول
فتراني كما يشهي سراب ... او يحلي ما نعلم المجهول
لا اولي كموسم يانع عفر ... خديه في الصباح الاصيل
وصحيح اتا اذا ما اردنا ... بالهوى نستطيع ما يستحيل
انما الحب ليس يرضى اقتدارا ... وطريق الهناء عجز جميل
انا ان يشقني قطار هيامي ... فالذ الوجود ذاك الرحيل

دكار ـ السنغال — **باسمة باطولي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويعرفونها في استعمالهم ، وفي زمنهم . يقول في اسرار البلاغة : « واما رجوع الاستحسان الى اللفظ من غير شرك من المعنى فيه ، وكونه من اسبابه ودواعيه ، فلا يكاد يعدو نمطا واحدا ، وهو ان تكون اللفظة مما يتعارفه الناس في استعمالهم ، ويتداولونه في زمانهم » . فالفصاحة تكمن في الكلمة المأنوسة لدى جميع الناس ، لانه ادرك ان الفكر لا يمكن ان يكون واضحا الا اذا كانت الالفاظ التي تترجم عنه دقيقة واضحة ، لا يستغربها الناس ، ففاية اللغة ان يفهمها الجميع ، ولهذا وجب الا يكون اللفظ « وحشيا غريبا ، او عاميا سخيفا ، سخفه بازالته عن موضوع اللغة واخراجه عما فرضته من الحكم والصفة » فالالفاظ السخيفة لا تخدم الفكر لانها تنقله مشوشا بادي الاضطراب بحيث يفقد وضوحه ودقته عندما تستعمل كلمات خارجة عن المفهوم اللغوي ، فالفكر المشوش نتاج اللغة المشوشة كما يقول ديوي .. والجرجاني يؤيده بقوله : « والالفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف ، ويعمد بها الى وجه دون وجه من التركيب والترتيب » فغاية اللغة خدمة الفكر بجعله واضحا ودقيقا بعيدا عن كل التواء ، ولهذا وجب ان تكون اللفظة دقيقة في مكانها ، حية في استعمالها لتكون امينة بنقل الفكر ، وافهامه للاخرين ، ولهذا دعا الجرجاني الادباء ان يعيشوا في زمنهم ، ويقبسوا لغتهم من الكلمات الحية التي ينطق بها الناس ، ويتداولونها .. وينأوا بجانبهم عن الكلمات التي هجعت في المعاجم بعد ان فقدت كل حياة بازورار الناس عن استعمالها ، فلا يمكن ان نتصور لفظا من غير معنى : « وكيف يتصور ان يصعب مرام اللفظ بسبب المعنى ، وانت اذا اردت الحق لا تطلب اللفظ بحال ، وانما تطلب المعنى ، واذا ظفرت بالمعنى ، فاللفظ معك ، وازاء ناظرك » ، فاللغة تفقد جوهرها اذا لم تبن عن الفكر ليتم التفاهم ، والالفاظ تتساقط على الورق في سهولة ويسر اذا كانت المعاني مرتبة في الذهن ، فقد ادرك عبد القاهر ان تغيير الالفاظ يتبعه تغيير المعنى .

الست ترى معي ان هنالك قرابة قوية بين افكار عبد القاهر الجرجاني ، وجون ديوي رغم تراخي الشقة بينهما ؟. وهكذا تتلاقى العقول الكبيرة مهما تباعدت بينها الظروف والبيئات .

مكة المكرمة — **محمد حاج حسين**

على ارض العراق

جاءنا من الصديق الشاعر محمد عبد الغني حسن هذه القصيدة التي اعدها لمهرجان الشعر السادس في بغداد و « الاديب » ماثلة للطبع ، ولكي لا يؤجل موعد نشرها نشرنا منها ما اتسع المجال لنشره معتذرين للشاعر الكريم وللقراء الاعزاء (الاديب)

ايها المنذرنا الا تلاقي ... قد تلاقينا على ارض العراق !
هذه بغداد .. لا تكفي يدي ... للتحيات ، فخذها بالعناق !
المسافات طويناها على ... صهوات الريح ، لا ظهر النياق
فكانا قد بلغنا سدرة ... في السموات .. على متن البراق !

هذه بغداد .. هذا كرخها ... واسع الساحة ، ممدود الرواق
تتلقاني ـ على فرحتها ـ ... بدموع جائلات في المآقي
هو دمع الفرحة الكبرى بما ... كان من لقيتنا بعد الفراق
آه ! ما اطيبها من لحظة ... جمعت قلبين كانا في اشتياق !..

قد حططنا الرحل من بعد السرى ... ولمنا الشمل من بعد افتراق
هذه بغداد ! هذي ليلة ... من لياليها الوضيئات البواقي
لست في حلم ، فهذا نخلها ... والفراتان جميعا في نطاقي !
ايها الموهمنا الا تلاقي ... قد تلاقينا على ارض العراق
حمل المنبر منا امة ... جمع الله خطاها في اتساق
ظللتها راية واحدة ... نحو اهداف جليلات ، دقاق
هذه الرقعة من مزقها ... من بلاها بانقسام وانشقاق ؟
قد يطاق الخطب الا فرقة ... فهي خطب فادح غير مطاق ..

هذه الايدي على الحب التقت ... وعلى الود تلاقت والوفاق
اخذت تجربة من امسها ... لقد ترجوه في يوم السباق
ان من حقق مجدا ماضيا ... ليس يعييه من الامجاد باقي ...

هذه قمتكم شامخة ... ليس يرقى مثلها في الارض راقي..
سائلوا الاهرام عن موكبها ... وسلوا البحر يدوي في اصطفاق
فاعيدوا المهد من امنكم ... وانيلوها بكم اسمى المراقي
واعيدوا وطنا مغتصبا ... قد سقاه الدهر بالكاس الدهاق
سلبته منكم شرذمة ... ما لها في كل ارض من خلاق
تبذر الفتنة في كل ثرى ... وتبث الشر في كل نطاق
ركبت فطرتها من حسد ... ومن الحقد لئيما في نفاق ...
سرقوه منكم في وضح ... من نهار ، وليال من محاق
اسألوا الاردن عن مشروعهم ... فيه ما بين اختلاس وارتفاق ..
همهم لو ظمئت ضفته ... بين ايديكم ، ولم ترو السواقي !
اظمئوهم ! واجعلوا اكبادهم ... في اشتعال ، واتركوها في احتراق!
جردوا اسيافكم من غمدها ... لا يهاب السيف الا في امتشاق
هم يعيشون باكباد غلاظ ... أتعيشون باكباد رقاق ؟

أأنا في حلم ام يقظة ؟ ... أنا في الندوة صاح يا رفاقي ؟
هذه بغداد ... ما ايوانها ... مثل ما كان ، وما الطاق بطاق !
فرغ السامر من هارونه .. ... وخلا المجلس من خمر وساقي !
ضجة الثورة لم تبق على ... شفة الثوار كاسا لمذاق !
لم تدع غاياتهم متسعا ... لاصطباح ، او مجالا لاغتباق ..!

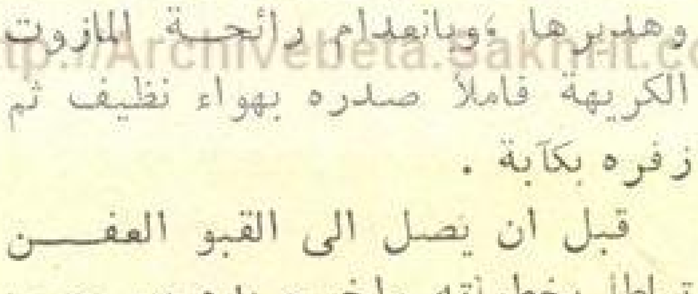
انما الشعر ـ وانتم اهله ـ ... سائق الارواح في اسمى مساق
ملهم الانفس ، بل رافعها ... للسموات .. الى اعلى طباق ..
نغم سار ، وهمس ذائب ... بين قلبين ، وفكر في انعتاق ...

القاهرة ـ بغداد

محمد عبد الغني حسن

العشاء الاخير

بقلم جهاد الكاتب



سكب الليل ظلامه على المدينة ، وراح يشتت دخان المدافىء فترشفه السماء بشراهة . كان « عياش » لا يزال يجرجر اقدامه في الشوارع الفسيحة غير عابىء برذاذ المطر . وكان كلما لفظه شارع ابتلعه اخر باضوائه الكئيبة ، حتى وجد نفسه اخيرا عند خط حافلة «محطة الشام » . واجال بصره في البعيد فلمعت الخطوط الحديدية كطريق ندى انبثق وسط الظلام .. وسمع صفيرا ناعسا فايقن ان قطار الليل اوشك ان يخترق خيوط الدجنة .

وقف « عياش » برهة وهو ينصت الى هدير المجلات المنتفخة بضجيج العودة وفرحتها . ولفحه فجأة هواء ساخن فابتعد هاربا وهو يلف نفسه بمعطف سميك ، ويضغط باصابعه على عدد من الكتب .. تلك هي ليلته الاخيرة في هذه المدينة المتشعبة .

كانت الشوارع قد خلت الا من شتات المارة المتناثرة كذباب اصابه رش من دواء قاتل . وشعر «عياش» وكانما اضواء الاعمدة المرتفعة تزداد اضمحلالا .. وضاقت الدنيا في عينيه رغم سعتها .. وتمايلت الابنية حتى بدت وكأنها تتعانق عند حافة السماء الحالكة السوداء، اما الاشجار فقد تهدلت اغصانها واستسلمت أوراقها لسيف الخريف الاصفر .

كان « عياش » يتمنى ان يطول الليل .. ويطول ، والا ينبثق فجر الغد . انه يشعر وكأنما الارض تثقل قدميه باغلال سوداء لا يستطيع معها حراكا . هنا عندهذه الزاوية ابتسمت له يوما فتاة ناضجة .. وخلف هذه الخمائل ارتشف كأس السعادة مع من احبها .. وهناك ، على الرابية المطلة على حلب كسائح اخذته روعة المدينة ، امضى اياما من المرح اللذيذ في الجامعة مع اصدقاء من مختلف المدن والقرى .. وتحت هذا البناء الشامخ عاش اكثر من سنة في القبو الرطب مع امراة ثرثارة اذهبت الايام بثلثي عقلها ، ورغم هذا فان «عياش» كان يجد في احاديثها التائهة بين الحقيقة والخيال متعة لا تفوق متعة في رؤية فيلم مثير .

وصل « عياش » الى الشارع الهادىء المنبسط خلف الحديقة العامة فتناثرت نظراته بين اضواء الحديقة الصامتة وبين همسات « دار المعلمات » الناعمة وكأنما الفتيات قد احتشدن خلف النوافذ يلوحن بايديهن تحية الوداع . وتنسم برائحة اشجار الصنوبر الراقدة بسكون ، واترع انفه بهواء مليء بدخان المازوت الصاعد من مداخن « شركة الكهرباء » التي خلفها وراءه كاشباح باسقة الطول تدخن لفائفها القذرة في احشاء الظلام . وشعر وهو يعبر الى شارع

«محطة بغداد» بتضائل دوى العنفات وهديرها ، وبانعدام رائحة المازوت الكريهة فاملأ صدره بهواء نظيف ثم زفره بكآبة .

قبل ان يصل الى القبو العفن تباطأ بخطواته واخرج يده من جيب معطفه ، وكانت تعتصر برقية وردته مساء اليوم . وقراها مع نفسه تحت ضوء متأرجح النور ، وتلك هي المرة المئة التي يجدد فيها القراءة ، وكان في كل مرة ينسى بعض الفاظها رغم انها لا تزيد على اربع كلمات .

طوى « عياش » البرقية وعاد يعتصرها في جيبه من جديد .

عندما انحدر بدرجات سبع الى القبو الفاه مفتوحا . واذ ولج الى حجرته انتصبت امامه العجوز صاحبة المكان وهي ترغي وتزبد :

ـ اين كنت ؟ اراهن انطهو المطاعم لا يؤكل . والدك يرسل لك المصاريف لتدرس .. وتنجح .. وتصبح طبيبا .

ورغم ان « عياشا » افهمها اكثر من مرة بانه يدرس الهندسة المعمارية الا انها تصر اصرارا اعمى على انه يدرس الطب ، حتى انها دابت اخيرا على ان توجه اليه اسئلة ملحة عن دواء اوجاع البطن وعن كيفية تقوية البصر والسمع . لقد ادركت العجوز بسهولة تامة ان في الامر جديدا .

كان « عياش » قد خلع ثيابه واندس في فراشه كالسلحفاة ، وتظاهر بالنوم ، فاغتاظت العجوز واضافت على الفور بلين مصطنع ـ انت مريض ؟ قم سأدبر لك «غلوة» تريحك في الحال . يبدو انك لن تقرا شيئا الليلة . ولكن اياك ان تنهض في منتصف الليل ، انك لا تدفع لي اكثر من ليرتين ثمنا للكهرباء طوال الشهر !

رفع « عياش راسه عن الوسادة وقال باقتضاب : اطفئي النور .

بهتت العجوز ، وراحت تقوم بحركات غريبة لتفصح عن غضبها وانزعاجها من هذه الامسية . واذ ايقن « عياش » بانه لن تتركه قبل ان يفضي لها بالخبر عاجلها قائلا :

ـ حسنا . الي بكاس من الغلوة .

جلس « عياش » على فراشه ووضع وراء ظهره الوسادة وراح شاردا في رسم زيتي اهداه له احد الاصدقاء . كانت اللوحة تمثل راعيا يهش بعصاه على اغنامه ، بينما اقتعد فلاح ظل شجرة وارفة عند ساقية خضراء وهو يرسل الحان مزماره . ورغم ما في الصورة من تناقض ، لان الهش لا يلازم الغناء ، الا انها كانت تبعث في نفسه شوقا جارفا لحياة هانئة تسير كالساقية ، وظليلة يتفيأ باغصانها المرموقة . وشعر « عياش » فجأة وكأن رمال الجزيرة والفرات تدمي عينيه ، وحر تموز يلهب جلد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجهه المدور .. لا بد ان يعود اذن الى الرمال واللهب ، وان يكتوي بها كما ذاق مرها من قبل اجداده المساكين .. ثم اي حب له هناك في « البوكمال » ؟ انه يشعر وكأنه خلق ليكون اسير مدينة حلب المتسعة الاطراف ، الصاخبة في الليل ، وانه لم يولد قط في « البوكمال » وازقتها الرملية ، واوراقها المتطايرة ، بين جماعات من الذباب الحائم كالنسور الجائعة .. انه لا يدري اي قوة شيطانية تقلب حبات الرمال نهارا الى ذباب ارعن ..

رجعت العجوز وفي يديها فنجانان كبيران يحتويان الفلوة السحرية . وتذكر « عياش » في الحال كيف انه عندما اتخذ من هذا القبو مسكنا كان يشعر بانقباض كلما اذن ان يعود اليه ليفترش رطوبته ويلتحف رائحة العفن . على انه تآلف مع العجوز سريعا حتى بات يعتبرها جدة ثانية له . ولم يكن ليسمع من قبل بالفلوة في بلدته البعيدة ، والعجوز هي التي اجبرته على احتسائها حتى اصبح اسير نكهتها . ومع هذا فانه لا يزال يجهل ، حتى هذه الساعة ،مما تتألف الفلوة اللذيذة . وكأنما وجدفي جهله هذا عنصراً يضاف الى مكوناتها البرية من زهور واعشاب .

قالت له العجوز ممازحة : ـ اهي واحدة اخرى ايها الشقي ؟ الا يكفيك حب واحد .. ؟

واضافت وهي تضم قدميها وتلوح بكفها : ـ كل الرجال خداعون ... حتى زوجي اللعين كان كاذبا .

وراحت العجوز تعيد سيرة زوجها الراحل مجددا وكأنها تقصها للمرة الاولى .

كان « عياش » لا يزال صامتا .. غارقا في اوجاسه وآماله البعيدة .. البادية له كسراب يلوح وسط الرمال الكثيفة . وما ان انتهت العجوز من سردها المتواتر حتى قالت بعصبية :

ـ اجبني اين كنت ؟ الا تتعشى ؟

سارع « عياش » الى القول وكأنما تذكر امرا هاما :

ـ اجل .. اجل ، العشاء . ضعي كل ما لديك من الطعام . سآكل كثيرا هذا المساء .. انشهوتي للطعام جارفة .. اسرعي يا جدة .

اجابته العجوز وهي تلوي برقبتها نحو المدفأة الصغيرة بشيء من الارتياح :

ـ لن احضر شيئا حتى اعرف ما يجول في خاطرك .

وطمأنها « عياش » في الحال :

ـ سأقص عليك كل شيء بعد العشاء . ضعي كل ما لديك .. كل الاطباق .

قالت العجوز وهي تنفتل الى خارج الحجرة : ـ الحق الكذاب الى وراء الباب .

وضحك « عياش » وهو يسدل جفنيه عن اللوحة الزيتية .

بعد العشاء الذي استغرقت العجوز في اعداده ساعة كاملة عاد « عياش » الى حجرته متثاقلا فلحقته بسرعة ويداها ملوثتان باللبن والبيض وعاجلته بالسؤال :

ـ قص علي اذن .. لقد وعدتني بذلك .. لن انام قبل ان اعرف سرك .

ووجد « عياش » نفسه امام مازق لعين . كان يتمنى ان يعود الى القبو ويرى العجوز نائمة ، وان يرحل عند الصباح الباكر في السيارة الاولى المتجهة صوب الشرق حيث بلدته تطويها مئات الكليومترات من الرمال .. الا انه وجد نفسه امام فخ لا مناص من ولوجه . وتباطأ « عياش » في الحديث فقطبت العجوز وقالت بحدة :

ـ سأبعث الى والدك رسالة . سأحدثه عن خمولك وكسلك . انت لا تقرا شيئا .. وتمضي وقتك في السهر خارج البيت .

ووافاه الضحك ، فهو يعلم انها لا تحسن قراءة ولا كتابة ، ولو احسنتها لما استطاعت ان تخط كلمة واحدة بيدها الراجفة . ثم ان معلوماتها عنه لا تساعدها على ذلك .. فهي لاتدري من اي بلدة هو جاء ، رغم انه ذكرها بها عشرات المرات . ماذا يقول لها الآن ؟ هل يحدثها عن رحيله المفاجيء غدا ؟ وهل ويخبرها بان والده قد سئم الحياة فخلفها من ورائه لامه العاجزة وزوجته العليلة ولاربعة أولاد كلهم من البنات ؟ قال لها وهو يتمدد على الفراش :

الديك سيجارة ؟

انصرفت العجوز في الحال ثم عادت وقد اولعت لفافة تحبذ النسوة تدخينها . وبعد ان قدمتها له قالت بنبرة فيها كثير من نفاذ الصبر :

ـ متى كنت تدخن ايها الشقي ؟

ـ اليوم مساء .

وران الصمت الصارخ على الحجرة

كانت انوار السيارات تخترق بين آن واخر زجاج النافذة المستطيلة الشكل ، المعلقة عند سقف الحجرة ، والمحاذية من الخارج لرصيف الشارع . وشعر « عياش » بالرطوبة تدق ظهره وتلسعه كالسياط المبللة . واذ اراد ان يتدثر باللحاف هزته دمعتان تلألأتا على خدي العجوز فقال وهو يغالب النحيب :

ـ لم تبكين ؟

وللمرة الاولى يعجز لسان العجوز المثرثرة عن الاجابة ، بينما كانت من قبل ترد بالبديهة على كل كلمة تطرق سمعها . واضاف « عياش » بعد فترة من الصمت تخللتها نظرات مبهمة :

ـ ازعجتك يا جدة ؟

وارتسمت على وجه العجوز الوان من التعبير الكئيب ، وبدت وكأنها تقول مع نفسها :

ـ اجل .. اجل .. لقد اذيتني .

مسحت العجوز دمعها بطرف صدارتها ثم قالت بصوت هادىء حزين : ـ هل اطفىء لك النور ؟

نفث « عياش » دخان سيجارته .. وقال : ـ اطفئه بنفسي .

واردفت العجوز وهي تهم بالخروج : ـ اتريد شيئا ؟

وجلب السؤال الى فكره آمالا

خمس قصائد جديدة

٦٥/١/١٥

كل ما قد رأيت في طول عمري ... لم يكن غير ضلة الاوهام
نعمة اسبغت على عقم عيشي ... ومضات الاحلام والالهام
فهنيئا لخاسر ما ثنته ... عن هواه مواعظ الايام

٦٥/١/١٦

طي نفسي ما يخرس النغم الوردي ويضفي على الشروق سوادا
غير اني ما زلت أومن صدقا ... بك يا ماليء البيوت حدادا !
انا ادري اني سأمسي رمادا ... قبل أن يشمل الاخاء العبادا

٦٥/١/١٩

ما اروع الانثى بادوارها ! ... وافظع الادوار في سخفها !
والشاعر الغر باوهامه ... يستنزف الالهام من عسفها

٦٥/١/٢٧

نكثت جراحي بغتة واستيقظت ... نار الهوى بنسيمها ولهيبها
هل ذا السعير عقاب روح آمنت ... بالحب واغترت بعطف حبيبها ؟
لهفي على لحظات نعمى لم تشب ... افراحها بحدادها ونحيبها

٦٥/٢/٣

ان روحي تحيا كل ربيع ، بالرغم من الاشياء المتكررة طوال سنيها المتعاقبة ... حقا ، انها ذرة من الارض . ولا شك انها ستحيا في القبر ، وتتفتح مع التراب خضرة وأزهارا ... ولكنها لن تعشق في وادي السكون ... انها ستظل في حرمانها غير الشاعر الى ابد الآبدين !

ان نعمة الحياة لا تعطى الا للمهتدين من الاحياء .

ان الحب منذ الازل والى الابد ، هو انطلاقة عبر الحدود هيهات ان تتكرد ... هو النار التي لا تخبو والاشراقة التي ترف في الظلمات .

حلب — **علي الناصر**

عديدة . كان بوده ان يقول لها اجل .. اريد اشياء كثيرة ، اريد ان اتابع دروسي واصبح مهندسا وان اتزوج ممن احب ، وان اخلص للاصدقاء .. واحتضن الذكريات الحلوة دون ان تعكرها سحابة طائشة من الغم والكآبة . كان بوده ان يحدثها عن البرقية ، وعن امه .. واخواته الجميلات ، وجدته العاجز .. والبيت الطيني ذي الحجرتين المظلمتين .. ولكنه آثر الصمت ، واكتفى بان قال وهو يخفي الدمع عن العجوز :

ـ كان عشاءا فاخرا لن انساه ابدا .. طول حياتي .

ثم همس كالمشدوه : ـ العشاء الاخير .

ويبدو ان العجوز ، رغم ثقل سمعها ، التقطت كلماته الاخيرة بشيء من الانتباه فابتدرته قائلة :

ـ سترحل . .؟ ارايت غرفة في طابق مرتفع ؟ هذا .. هذا قبو ، ولكنه احسن من الطوابق . هل آذيتك في شيء ؟

وضمت وجهها بين كفيها وراحت تبكي .. وابتسم « عياش » لقد ذابت احزانه الان في انتظار الغد ، واستحال قلقه خوفا غامضا . ليتها تدري كم من الاعماق ستنحدر به الحياة . ولكم تمنى « عياش » ان تسعفه الكلمات ليترجم مأساته للعجوز . لعلها لن تعي من حديثه سوى انه حزين على والده الذي رحل عن هذه الدنيا ، وان عليه ان يعمل ليقدم لعائلته المنكوبة قوت يومها . ان الموت بالنسبة اليها شيء تافه لا يستحق دمعا او اكتئابا ، وان الحياة اشد حقارة من الموت ، والوفاء والاخلاص في عرفها واعتقادها هما الخلود الحقيقي .

فكر « عياش » قليلا ثم قال : ـ لن اعود . سأترك هذه الكتب عندك تذكارا وارجو الا تبيعيها .. لن اقرا بعد اليوم شيئا .

وشعر ، وهو يرمي بقوله هذا ، ان قبره سيكون اشد برودة من هذا القبو العفن .. وانه انما ينتزع عن قلبه الشرايين والاوردة ويلفظها امام كلب هرم .

وبدت العجوز وكأنها خرساء ، فقد تلاشت ثرثرتها عندما نهض «عياش» كالملدوغ واطفأ النور . مضت العجوز نحو الباب وصفقته خلفها بقسوة . وكان عياش قد قذف بنفسه فوق السرير وفي يده ورقة صغيرة .. وخيل اليه انه يسمع غناء المدفأة ، ولهيبها يحتضر بطيئا ، وكأنما هو قيثارة راع حزين .

انه الان يذكر ، وهو ممدد في سريره يحتضنه الظلام الكئيب ، كل حرف من البرقية ، بل ويحفظ ترتيب كلماتها كما هي « احضر حالا ... مات والدك »

حلب — **جهاد الكاتب**

قلعة تدمر

* * *

جثمت بمدرجة الفضاء الابعد ... وكانها قدر بغيب سرمدي
طلعت على الدنيا تشع بساطع ... من روعة كالكوكب المتوقد
وتشوفت حبك الغمام قبابها ... زيافة بتشوف المتمرد
بسطت جناحي جارح في شاهق ... ما بين منفرج وآخر موصد
أنفت مجاورة التراب فحلقت ... مزهوة بسمائها كالفرقد
فكانها لما أطلت عارض ... في الافق جاش بجنحه المتلبد
من كل صرح في الفضاء محلق ... بقوادم مرصوفة من جلمد
من دونها تجد العيون حواسرا ... من رهبة بتبتل المتعبد

درج الزمان بساحها في غابر ... طفلا يتيه بفصنه المتأود
وجرى يدل معربدا بشبابه ... من نشوة عرضت وتيه معربد
وترعرع التاريخ في احضانها ... ما بين سابغة وبين مهند
قامت كمحراب الزمان بمشهد ... وجلت جلائل فنها عن مشهد
قطع من الاحجار أحكم رصفها ... فطن من الصناع محمود اليد
خلعت يداه على الجماد مهابة ... فاذا الجماد من الجلال كمعبد
حار اللبيب بها فاطرق خاشعا ... من دونها بسريرة المتهجد
كانت من التاريخ اروع صفحة ... لحضارة درجت بكل مخلد

دقت روائمها وجل دقيقها ... من كل ركن بالوقار موطد
عمد كمحبوك الغمام تضافرت ... في منهج وتشابكت في مقصد
عقدت اعاليها بكل مشيد ... من رفرف عجب وعقد مفرد
تاج بذروتها تألق مشرقا ... بحضارة سطعت تضيء كفرقد
من كل آبدة ولم تغفر فما ... بلسان حال أفصحت كمفرد
اعلامها منشورة لعظيمة ... وبنودها برقت تضيء بسؤدد
ما كان في الحسبان ثم حجارة ... من قبلها يوما غلت كالمسجد
من دونها خشع الفؤاد وأطبقت ... عين باجفان الطريح المجهد

كيف التفت رأيت شيئا معجزا ... من شيق عجب يروع ومحتد
عمد ممردة القباب تدافعت ... كنوافر بفراوة المستأسد
جثم الزمان بفيئها متأملا ... يستعرض الماضي ويمعن في الغد
وكانما الماضي على شعفاتها ... سطر تلألأ مشرقا في الجلمد

ألفى السكون بساحها سكنا له ... فاناخ يطرق سادرا كالهجد
أعلامه لا تأتلي منشورة ... ملء الفضاء على الصعيد الفدفد
والوحشة السوداء تزخر دونها ... كاليم في جنح الظلام الارمد
عصفت مصفقة تجيش باثمد ... وتسح من قتم السواد باثمد

وعجائب عن غابر مبثوثة ... فوق الصعيد على الثرى المتبدد
صور على الصمت العميق بيانها ... في مسمع الدنيا شدا كمجود
في صمتها بلغ البيان نهاية ... من معجز القول المبين المفرد
ما كان من عور يشوب بيانها ... فيما أبان لسانها عن مقصد
جاءت بما ضاق البيان بشرحه ... من كل فصل محكم ومسدد
يبلى البيان على الزمان ويلتوي ... قول البليغ لحبسة وتبلد
وأرى لسان الفن ليس بملتو ... يوما على كر الزمان السرمدي

دمشق — عدنان مردم بك



محمود محمد سليمان

حدود العاطفة في مدرسة الديوان

بقلم محمود محمد سليمان

معيار الخلود في الشعر ان يهتف باسرار العواطف الانسانية ، فيجد الناس فيه مشابه لما يشعرون والشاعر الكبير كما يقول عبد الرحمن شكري : «لا يكتفي بافهام الناس ، بل هو الذي يحاول ان يسكرهم ويجنّهم على الرغم منهم فيخلط شعوره بشعورهم وعواطفه بعواطفهم» وليس كل شاعر بقادر على ان يكون حاديا لمجد امته الا الشاعر ذا الرصيد العاطفي ، الذي ينفذ بعين الالهام الى حجب الغيب ، ويرف الماضي الجميل لامته على لآليء نظمه ، ومثل هذا الشاعر يقود نهضة امته بفنه الخالب الممتع ، اما اولئك الذين ينظمون بوحي العواطف الموهومة فلا طائل وراءهم ، اذا اعوز الامة اناشيد المجد والقوة ، ولا حظ لشعرهم في بقاء او خلود ، فاذا اردنا ان تستبين الحدود والمعالم التي تكشف عن العاطفة الشعرية كان لهذا البحث قيمته من حيث انه يصحح اعتبارات زائفة في تقويم الشعر كما انه يبين عن وظيفة الشعر الحقيقية ، ويميز الشعراء الذين يحق لهم بقدرة فنهم والهامهم هذا الوصف ، من اولئك الذين يقحمون ابواب الفن الشعري غرورا وجهلا بما يزعمون من ان قصارى جهدهم من استعداد الشعر ، ان يتهيئوا له بآلات من الدراسة ، لا تقدمهم فيه خطوة ، اذا تخونتهم الموهبة والطبع والشعور.

واذا كان شعراء مدرسة الديوان قد حددوا مفهوم الخيال الادبي فقد وضعوا الاعلام الكاشفة عن مفهوم العاطفة الشعرية ، ما حدودها ؟ وما مداها ؟ وكانت نظرتهم الى العاطفة اساسا لما هتف به وجدانهم من الشعر ، وكانت ـ كذلك ـ ضوءا كاشفا عن كثير من الحقائق الادبية . ماذا نقول في شاعر يملأ شعره بالمغالطة الكاذبة ، ويتلاعب بالفاظه ، ويستقيم في نظره الخيال الفاسد ؟!.

لا جدال في ان مثل هذا الشعر لا يصدر عن طبع ، ولا ينبع من عاطفة « بل ان الشاعر الذي ينتقي اساليبه عند النظم انما يصدر شعره عن طبع ناضب ، ليس في اعصابه نغمة ، ولا في قلبه عاطفة » (عبد الرحمن شكري مقدمة الديوان الثالث) .

وليس المقصود بالانتقاء هنا تهذيب الاسلوب وتصفيته ، بل المقصود بالانتقاء ، الترصد لاختيار الاساليب عند النظم وفي حالة المعاناة الشعرية ، وهذا بالطبع تكلف ، يدل على نضوب الطبع وانحلال العاطفة ، ونحن نعرف ان كثيرا من الشعراء المجودين منذ العصور الادبية الاولى كانوا يكرّون على قصائدهم بالتنقيح والتهذيب بعد الفراغ من النظم وانحسار الوحي الشعري وزهير ومدرسته في الادب العربي كانا على هذا المقوال .

وواضح ان الشعراء المطبوعين يعيشون في وهج الوحي والالهام حين ينظمون شعرهم وتنتابهم هزة الانفعال العصبي فتسيل بالبيان السنتهم بلا تعمد لبعض الكلام دون بعض، وليس هناك فرصة لاختيار اساليب البيان وانتقائها ، وانما تتأتى الفرصة للاختيار والانتقاء بعد الفراغ من النظم يقول شكري : « الشاعر الكبير لا ينظم الا في نوبات انفعال عصبي، في اثنائها تغلي اساليب البيان الشعري في ذهنه ، وتتضارب العواطف في قلبه ، ثم تتدفق الاساليب الشعرية كالسيل من غير تعمد لبعضها دون بعض » فالعاطفة الشعرية فورة نفسية تهتز لها اعصاب الشاعر فينفعم بالشعر طلقا سهلا، وينبع من وجدانه المنفعل كما ينبع العطر من الزهر.

ويتضح من هذا ان للعاطفة الشعرية روافد تخالطها وتمتزج بها فالشاعر الذي يهبط عليه الوحي فيستكين لسيطرته مقهورا ، ليفيض البيان من لسانه عفوا بدون معاناة ، لا بد ان يكون معدا لطبع البيان بادمان الدراسة والاطلاع ، ولا بد ان يسعفه الخيال الخصب ، والذوق المصفى يقول شكري : «ادمان الاطلاع هو اساس في الشعر، لانه هو الذي يهيء الطبع ، والشعر هو كلمات العواطف والخيال والذوق السليم فاصوله ثلاثة متزاوجة ، فمن كان ضئيل الخيال ، اتى شعره ضئيل الشأن ، ومن كان ضعيف العواطف ، اتى شعره ميتا لا حياة فيه ، ومن كان سقيم الذوق كان شعره كالجنين ناقص الخلقة ، ويتحقق الذوق السليم في الشعر بالتأليف بين اللفظ والمعنى » . وقد هبط بالفن الشعري اولئك الذين يخضعون الشعر لدواع تمليها المناسبات ، وظروف الاشخاص ورغباتهم ، وكان الشعر عندهم بهذا الاعتبار بضاعة مزجاة ، يسوقونها حسب اهواء الناس وتجارة لا تربح الا حيث يشكلها الشاعر

ويهيئها للعرض والطلب ، وبئس الفن الذي ينزل من سمائه وروحانيته ، الى درك المادية المظلم ! اين العاطفة التي يستوحيها هؤلاء الشعراء ويصدرون عنها وهم يزورون أحاديثهم تبعا لاهواء بعيدة عن احاسيسهم ، واغراض لا تتصل بنفوسهم الشاعرة ؟ اما ان تدفع الشاعر نفسه الجياشة بالخواطر ، الممتلئة بالومضات الشعرية ، واما ان يسكت !

وليس الشاعر ذلك الذي يتصدى لحوادث الناس ومناسبات حياتهم ، فيزعم لهم ولنفسه انه اقدر على ان يصوغ لهم مواقف الافراح واشجان الاتراح ، وهو في الحقيقة لا يجد اصداء لذلك في ذات نفسه . وصحيح ان كثيرا من الشعراء قد انحرفوا عن سواء الفن وجروا الشعر الى غير ميدانه فاوغلوا في العبودية ولصقت بهم سمات الذل والتبعية ، مع ان البيان في السنتهم نعمة تترجم عما اوتوا من احساس ، فهم اذا بطبيعتهم احرار خلقوا ليصوروا للناس جمال الحرية ، ويزخرفوا لهم محاسن الوجود ، فماذا دهاهم حتى اغوتهم المادية ونسوا ان فن الشعر لا يجود الا في ظل الحرية وما كانت الحرية عند الشاعر ان يصدر عن غير ذات نفسه ، ولا ان يصور غير عاطفته وما يحس .

يقول شكري : « ليس الشاعر آلة وزن ، او مصنعا للاوزان ، والشاعر لا ينظم من اجل ارضاء من يسأله النظم، بل لا ينظم حتى تنوبه تلك النوبة فتدفعه الى قول الشعر، ولن يعود في عصر الحرية التي نعيشها ان يكون الفن لصيقا بالاعيان ، وذوي الشأن، استدرارا لمغنم مادي ، او استجلابا لمنفعة من منافع المعاش ، فاننا نأسف لان الادب العربي حفيل بكثير من الشعراء الذين سخروا قرائحهم ومواهبهم العالية لسخرة الملوك والرؤساء ، وسيبقى الشاعر نديم نفسه لا نديم الملوك ، متغنيا بجمال الكون ، شاديا المثل العليا ، التي يحس همسها في نفسه ، وذبذبتها في اعماق الوجدان ! » .

ولا يعني هذا الكلام ان ينعزل الشاعر الحق عن وجدان الامة وتيار الحوادث فيها ، بل ان وظيفته ان يترجم عن وجدانه ووجدان امته ، لان قلبه الوتر الحساس الذي يتأثر بحوادث عصره ومشكلات مجتمعه ، فيخرج انغاما متناسبة مع الحالات المختلفة التي تمر بالامة « والحياة بالنسبة للشاعر الذي يعيش لفنه قصيدة رائعة تختلف انغامها باختلاف حالاتها ، والشاعر الكبير هو الذي يعرف كيف يقتبس من هذه الحالات انغامها ويصوغها شعرا » .

ويقول الاستاذ العقاد : « الشعر حقيقة الحقائق ، ولب اللباب ، والجوهر الصميم من كل ما له ظاهر في متناول الحواس والعقول ، وهو ترجمان النفس ، والناقل الامين ، ولا تنحصر مزية الشعر في الفكاهة العاجلة ، والترفيه عن الخواطر ، لا ، بل ولا في تهذيب الاخلاق ، وتلطيف الاحساسات ولكنه يعين الامة ايضا في حياتها السياسية والمادية ، وان لم ترد فيه كلمة عن الاقتصاد والاجتماع فانما هو كيف كانت موضوعاته وابوابه مظهرا من مظاهر الشعور النفساني ، ولن تذهب حركة في النفس بغير اثر ظاهر في العالم الخارجي » .

وعبارة العقاد الاخيرة تبرز حقيقتين هامتين بالنسبة للعاطفة الشعرية واولى هاتين الحقيقتين انه لا ينبغي ان نعد من العواطف الشعرية ، العواطف السطحية التي تقف عند القشور دون اللباب ، فكثير من الشعر خاض الحياة الاجتماعية ، والاحداث السياسية التي طرات على الامة ولكنه في معيار الفن قليل الجدوى ، لانه وقف عند وصف الحوادث وتسجيلها ، وانتهز الفرصة ليقف من الامة موقف الناصح الامين ومن أجل ذلك عاب العقاد شعر حافظ وشوقي في السياسة والاجتماع ، واعتقد ان الموقف في حاجة الى الايضاح بمثل ، يقول شوقي موضحا ما كان في مصر من انقسام وتناحر حزبي :

الام الخلف يا قوم الاما ... وهذي الضجة الكبرى علاما
وفيم يكيد بعضكم لبعض ... وتبدون العداوة والخصاما
ولينا الحكم حزبا بعد حزب ... فلم نعد الجزاء والانتقاما
وسعنا الامر حين خلا الينا ... باهواء النفوس فما استقاما

ولم يفعل شوقي اكثر من التناول السطحي للموقف ، والوصف القريب الداني، فلم يتغلغل الى الاعماق والجذور، وتلوين الاسلوب بين الخبر والانشاء ، وهو ما يعجب البلاغيين لم يكسب تعبير الشاعر القوة الوجدانية التي يتوخاها شعراء الوجدان في شعرهم الخصب القوي، الامر الذي نلحظه مثلا في هذه القطعة لشكري وهو يؤلف بين العربي والقبطي فيقول :

بنو البهاليل من علياء شاهقة ... ومحتد الصيد لا تمشي له الريب
اذا تناءى بكم عن مجدنا نسب ... فانتم في مراقي مجدكم عرب
ان التآلف لم يترك لنا نسبا ... يلوى بكم دوننا من دونه نسب
اذا الاواصر لم تجعل لنا سببا ... فحرمة الود فيما بيننا سبب
اذا هفوتم رميناكم بمعتبة ... فان هفونا فلا يمكنكم الغضب
يدان ان تعطونا تعطوا يدكم ... كذلك نحن لنا في عزكم ارب
اني على شغفي بالاهل يطربني ... اني اليكم اذا فاخرت انتسب
كان فخرت فيا لصيد الاولى اسروا ... حوادث الدهر لم يخذلهم القلب

والشاعر هنا نأى عن الخصومة والخلاف الموهوم بين المصريين من عرب واقباط .

ليذكر الوشائج الرابطة بين ابناء الشعب الواحد ، وكشف حديثه عن الوشائج الظاهرة والخفية ، وما قصدت بهذا المثل الا توضيح الفرق بين العاطفة النافذة والعاطفة السطحية في الشعر السياسي ، والمسألة اعمق من ان يتناولها مثل واحد ، غير ان خلاصة الراي فيها « ان الشعر الصحيح هو الذي يتعمق وراء القشور السطحية ، مودعا في ابياته سرائر الامة ، وقسماتها النفسية ، لا في المنظور من احداثها السياسية ، واحوالها الاجتماعية ، بل في المكنون من دخائلها ، وسرائرها الباطنة » (شوقي ضيف في « مع العقاد ص ٩٩ ») .

والحقيقة الثانية اننا لا بد ان نعتبر موضوعات الشعر

رسالة

مذ غبت ، غاب القمر
وانسنا ، والسمر
وروعت ارواحنا
وقد دهاها الخبر
واظلمت ديارنا
فما ترى تنتظر
لا صبحنا يهل بالنعمى
ولا يبشر
ولا الليالي مثلما
بالامس كانت تقصر

هلا تعود للحمى
فيستفيق الزهر
وتنتشي اشواقنا
والموسم المنتظر
والف الف نجمة
في افقنا تنور ..
هلا تعود كاد ان
يودي بنا التصور
وانت لا اوفى .. ولا
مثلك كان البشر
يا غاية الروح اما
مع المنى انتظر ...

محمد شمس الدين

وابوابه مهما اختلفت بابا واحدا من الشعور النفساني .

وقد الف كتاب التاريخ الادبي والنقد ان يقسموا الشعر الى ابواب منفردة كالحكم والغزل والوصف وهذا التقسيم يتعارض مع طبيعة الشعر الذي لا يعرف الفواصل والابعاد حين يعبر عن جيشان العواطف وفورة التجارب النفسية ، وما اكثر ما تمتزج القوالب الشعرية في قصيدة واحدة ، وأنت تستطيع ان تجد حكمة الشاعر لائحة في كل اقسام شعره في الوصف والغزل والرثاء . فبأي مقياس نميز قول الشاعر اذا اختلطت فيه الحكمة بالوصف او بالغزل او بالرثاء ، فنجعل لكل فن بابا مقسوما ، وعنوانا واضحا لا يختلط فيه غرض بغرض ؟ « فلا راي لمن يريد ان يجعل كل عاطفة من عواطف النفس في قفص وحدها ... وان تقسيم الشعر الى ابواب منفردة كالحكم والغزل والوصف راي غير سليم ، لان النفس اذا فاضت بالشعر اخرجت ما تكنه من الصفات والعواطف المختلفة في قصيدة واحدة » (شكري مقدمة الديوان الرابع) .

والحكمة التي تخالط اغراض الشعراء وتمازجها هي الحكمة العاطفية التي يمليها الشاعر مصهورة بمشاعره المتأججة ، وليست الحكمة الذهنية التي يمليها الشاعر في صحوة الفكر او يخطفها من حديث الناس ، فاشباه هذه الحكم ليس من باب الشعر في قليل او كثير . يقول شكري : « مقياس الحكمة في الشعر ان يحس لذعها في ذهنه لا يتكلفها ولا ينقلها وحكمة الشاعر تجاربه وخواطره التي ينضجها الشعور والتفكير » (الديوان الرابع) .

ونحن لا نستطيع أن نجد الحكم العاطفية الا في مكانها الطبيعي من حديث الشاعر حيث تكون موصولة بسياق التجربة الشعرية ، مشدودة الى قصيدة الشاعر باسباب متينة ، وآية ذلك انك تنتقل من الغرض الذي يتحدث فيه الشاعر ، وليكن الوصف مثلا ـ الى الحكمة ، فلا تجد فجوة او نتوءا في مساق الحديث، وتنقله بين الوصف والحكمة. مدح المتنبي بدر بن عمار بالشجاعة ، وجعل حظ الشجاعة نصيبا مقسوما بين الممدوح والاسد فقال :

القى فريسته وبربر دونها ... وقربت قربا خاله تطفيلا
فتشابه القرنان في اقدامه ... وتخالفا في بذلك الماكولا
ما زال يجمع نفسه في زوره ... حتى حسبت العرض منه الطولا
وكانما غرته عين فادّني ... لا يبصر الخطب الجليل جليلا

ثم قفّى على هذا الوصف المادح بالحكمة المناسبة للموقف ، فجاءت متلاحمة ملاصقة لحديث الشاعر ، حتى لنعتبر هذا التنقل بين المعاني المختلفة يثري تجربة الشاعر ويعمقها او بالاحرى لا نعتبر حديث الشاعر مزقا من القول، قد ادنى بعضه الى بعض اسباب واهية من الصلات ، وذلك حيث يقول :

انف الكريم من الدنية تارك ... في عينه العدد الكثير قليلا
والعار مفاض وليس بخائف ... من حتفه من خاف مما قيلا

فهذه الحكمة جاءت نتيجة طبيعية لموقف الاسدواقدامه على معاركة البطل دون تهيب واحجام . وهي في الوقت نفسه تتمم صورة البطولة والشجاعة التي يريدها الشاعر اخيرا لممدوحه العظيم ثم هي حكمة عامة اذا افترضنا انها قول مستأنف وحديث غير موصول بتجربة معينة يتحدث عنها الشاعر. ومهما يكن من امر فهي حكمة انضجها الشعور والتفكير ومثلها يحسب في الحكمة العاطفية التي يخصب بها الشعر .

وبهذا المثل واشباهه وهي كثيرة يتأكد لدينا راي شكري الذي المعنا اليه ، من انه ليس صوابا ان نقسم الشعر الى ابواب منفردة ، لان فيض النفس الشاعرة يمزج العواطف والصفات في التعبير الشعري حتى يكون من غير المستطاع ان نجعل كل عاطفة من عواطف النفس في قفص وحدها ، بل قد تتشابك العواطف وتتمازج حتى تكون القطعة الادبية صورة لهواجس نفسية مختلفة الف بينها موقف الشاعر في بعض تجاربه .

الفيوم (ج٠ع٠م) **محمود محمد سليمان**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في كل بيت لها

ثريا ملحس

تخيط لي امي ثياب السرور
وتنتقي لونا بلون الزهور

وبيتنا يزهو بزهر الربيع
اشجارنا مشرورة كالقطيع

هنا لامي طيبها كالعباب
هناك ايديها تحوك الثياب

وخيطها ظل يسامي السماء
وقلبها رحب يضاهي الفضاء

وينحني رأسي بثقل الهموم
بكفها الحبيب تجلو الغيوم

ورحت اعدو في الطريق القديم
وفي فؤادي الف جرح اليم

((أمي)) صرخت مع عويل الرياح
كتمت صوتي لا أصدق الصياح

هلعت ابكي صامتا كالذبيح
يا ليتني شرّعت حرفي الصحيح

في الوجه وجه الموت ذاك الصفيق
انسل كاللص الخفي العتيق

يا ليتني وقفت ضد الموات
خبأت امي في ضلوعي حياة

((أمي)) لمست وجهها باليدين
وشعرها منساب كالجدولين

صفراء أمي كالزعفران القديد
صفراء أمي جسمها كالجليد

ووجهها محنط بالجمال
نور غريب شع فوق الجلال

أمي وكنت الامس لي خير الرفيق
واليوم بعضي هالع كالغريق

شطر هنا وآخر في السحاب
كباحث عن ناطحات سراب

في كل بيت منك امي نسيم
في وجهنا امي بقايا الصميم

في كل بيت منك شيء دلال
وكل قلب ساجد في الليال

في كل دار منك شيء جميل
أسعى لكي اراه مثل العليل

أمي وأمي عزها من جديد
أسعى لكي اراه مثل العليل

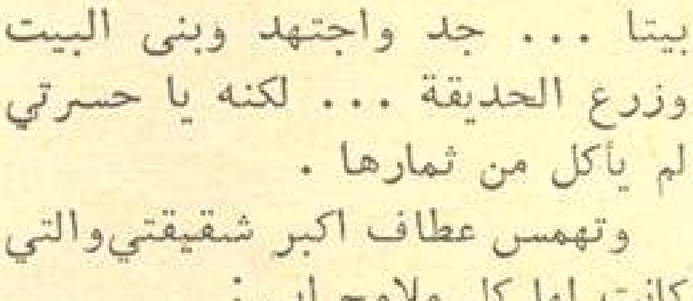
فينا وفي دمائنا كالدبيب
يسري وفي ضلوعنا كالرقيب



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حكاية الرحيل

بقلم ماجد ابو شراد



كانت لنا مدينة ، لهـا بحر تنام فيه الشمس كل مساء ... كانت مدينة لها ابنية متواضعة تأخذ مكانها تحت السمـاء الزرقاء فلا تتطاول لتبعج الفضاء بحجارتها واعمدتها ... حول مدينتي كانت مزروعة منذ الازل تلال رمل لها لون اشقر.. وحول مدينتي كانت تتناثر بيارات برتقال لثمارها مذاق جيد ولازهارها رائحة عطرة.. وكان لنا في مدينتي بيت يقوم عند آخر انحدار للتل الرملي الاشقر الذي كان يحرس المدخل الشرقي لمدينتي .

عمري تسعة وثلاثون .. وانا الآن في مدينة لها بحر تولد منه الشمس كل صباح ... تلك كان لها بحر فيه الشمس تنام وهـذه لها بحر منـه الشمس تولد ... كان هناك لي بيت وارض ... وهنا لي بيت بلا ارض ... وهناك كان لي ماض ، وكنـت املك ناحية يومي، وكنت ازرع احلاما تزهر في غدي ... وانا هنا بـلا ماض .. يومي بطاقة سوداء تسلمني بعناد ونزق الى غد اشد سوادا ... انا هنا بلا جذور ... بلا دعائم ... بلا اصـل ...

ـ اتأكل شيئا ... الجوع يكاد يفريني ...

في كل صباح كانت اشعة الشمس تذيب بحنو حبات الندى المرشوشة على الواح زجاج غرفتي بعد ان تمسح آخر آثار الليل عن ذرات التل الرملي الاشقر ... افتح عيناي وادعكهمـا بلطف وانهض نشيطا لاستقبل يوما جديدا من عمر كنت احبه ... كـان ابرز ما في يومي انذاك ابتسامة رضى تتبرعم على شفة امـي ... كانـت بسمتها برعم زهره برتقال فيه عطاء واعد وله شذى رائحـة طيبة ... كنت اتملى وجه امي المجعد الشمعي اللامع فارى فيه كل معـاني الخـير والحب والعطاء ... كانت تحبنا وكنا نحبها ... كانت في البـدء تود ان تقبلني كل صباح كما تفعل مع شقيقتي واخي احمد ، لكنني تمنعت فقطبت جبينها ثم فردته فهمست بحنو :

ـ اماه ... بسمتك برعم زهـره برتقال فيه عطاء واعد وله شـذى رائحة طيبة ... وانا لا اريد لهـذا البرعم الا ان يظل بكرا نضرا نديا .. لا اريد لآثار النوم تطبع وجهي كل صباح ان تذبل البرعم وتفقده نضارته ...اريده بكرا... وبكرا دوما ...

ويزداد البـرعم تفتحا ونضـارة وتربت بكفها الطري على كتفي وتهمس بصدق وحرارة :

ـ وفقك الله يا محمد ومنحك كل ما عنده من خير وسعادة .

وكانت تجمعنا مائدة الافكار التي كانت تكون في ايـام الصيف تحـت اغصان شجرة الجوافة الضخمة والتي كانت والدتي دوما تتحسس اغصانها بتمهل وتمعن وتهمس :

ـ زرعها المرحوم يوم نزلنا هـذا المنزل ... كان كل ما يتمناه ان يملك بيتا ... جد واجتهد وبنى البيت وزرع الحديقة ... لكنه يا حسرتي لم يأكل من ثمارها .

وتهمس عطاف اكبر شقيقتي والتي كانت لها كل ملامح ابي :

ـ زرعوا فاكلنا ، ونزرع فيأكلون.

وتتمتم والدتي وحبات دمع تكـاد تتسلل مع شواطىء عينيها :

ـ فيكم الخير يا ابنتي ، واطـال الله في اعماركم ...

وتنهض اختي آمال وتقطف حبات الجوافة المبللة بالندى وتضعها فـي طبق فنسارع الى تناولها بنهم وتلذذ وعيوننا تتحاشى ان تلتقي مع عيـون الوالدة التي اضربت عن تناول حبات الجوافة منذ ان حرم منها الذي غرسها وجعل منها اغصان عطاء وخير ...

وينصرف كل فرد من عائلتي الى عمله ... عطاف تبقـى في البيـت واحمد يركب دراجتـه متوجها الـى مدرسته ، وآمال من خلفه تصيـح وترجوه ان يركبها خلفه فيقف قليلا ليوهمهـا بانه ينتظرها حتى اذا مـا كادت تدركه يتركها مبتعدا فتضرب الارض بقدمها الصغيرة وتتوجه هي الاخرى الى مدرستها .

كنت في تلك الايام اعمل مدرسا في المدرسة الثانويـة الوحيدة فـي المدينة ، وكان لي طـلاب كنت ارى الامل في الغد المرجو يتفتح في صفاء عيونهم بساتين دفء وحياة .. كنت احبهم وكانوا يقدرونني ... وكـان كل جهدي ان اروي بساتـين الدفء والحياة في عيونهم بجد واخلاص.. كنت ارى فيهم كلهم اخـي احمد ، فيزداد حبي لهم وتتضاعف جهودي من اجلهم ... كان كـل ما حولـك يدعوك لان تعمل وتعمل دون ابطـاء او تواكل وكذلك كنت...كنت اطمع في غد مشرق وكنت اعلم ان هذا الغد لن يكون الا اذا شاركني كل من حولي في بناء هذا الغد المرجو ... بكلمة واحدة ... كنت سعيدا يا اخي .. سعادة عارمة قوية لا حدود لها ... شيء واحد كان يحـاول ان يغبش صفاء سعادتي ... امـل عزيز كان يعز على امي الا تحققه قبل ان تغادرنا لتلحق بالذي زرع شجرة الجوافة.. قبل ان انام ... وفي بعض الامسيات كانت تجلس على طرف سريري وتطرق فارى الامل مشوبـا بتهيب وخـوف يسبح في صفاء عسل عينيها فاستنتج سلفا ما الذي يـدور في مخيلتهـا ويعذبها فانتظر حتى تهمس :

ـ محمد ...

ـ مـا الـذي تريـده الراعيـة العظيمـة ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrjt.com

ـ محمد ... هل ... هل انت سعيد ؟..

ـ ما دمت كذلك .

ـ شكرا يا ابني ... لكن اريد لسعادتي ان تتم حين ارى لك زوجة.

ـ اشكرك يا راعية .. ولكن مهلا.

ـ مهلا ... مهلا ... متى ننتهي من هذه الـ (مهلا) .

ـ حتى تتزوج عطاف وكذلك آمال ، وحتى يكمل احمد دراسته الجامعية ...

كانت في البدء تستمر في مناقشتي لكنها في الفترة اخذت تقلع عن ذلك، فتغادرني متعكرة مصدومة لتتركني مع رؤى حلوة عذبة ارى فيها عطاف وآمال وقد ضمهما بيت زوجية سعيد وارى احمد محاميا كبيرا ... وارى (سلام) يحبو ويبتسم ... انا ابوه ... وفادية امه ... كنت احب فادية حتى العظام ... وكذلك كانت هي ... لكن واقعي كان يؤجل دوما لقاءنا المعطاء .. ويؤخر بالتالي اطلالة حلوة لابننا (سلام) كنت اعيش على امل ان تكون ... فهل كان هذا اللقاء ؟.. كان ان ازداد الواقع تعقيدا واقع يغبشه دم .. يخنقه دخان .. قنابل تهدم بيوت مدينتي ... تمزق اجساد ابناء مدينتي ... وكنت يائسا ... لكن بعناد ... واظبت على الذهاب الى المدرسة لاجد في النهاية ان ليس ثمة من طلاب بل مقاعد يعشش الغبار في شقوقها فيكسبها لون تراب القبور .. فعدت لاقبع في البيت ونظرات والدتي وشقيقتاي تلهبني في كل لحظة كنت اعيش ... كانوا يريدون ان يقولوا الكلمة ... لكنهم كانوا يعرفون ردي فما جراوا على التفوه بها ... واخيرا .. واخيرا وبعد ان نامت الشمس في بحر مدينتي قلتها ... قلتها وانا اكاد اتمزق ... (لنغادر المدينة) .. وعدت اصعد التل الرملي الاشقر وجلست فوق نعومته وتفرست الغرب ... كان ثمة من اعمدة دخان ازرق ترتفع متلوية في سماء مدينتي ... الطلقات تعوي في سماء مدينتي ... وكانت شمس مدينتي قد نامت في بحر مدينتي مخلفة سوادا اخذ يفرش الارض من حولي.. وصحوت على صوت امي المشروخ :

ـ نحن جاهزون يا ابني .

كانت هناك تحت شجرة الجوافة متشبثة ببعض اغصانها .. انحدرت مع التل مخدرا ممزقا ... ومررت بشجرة الجوافة ... كانت الراعية لا زالت هناك ... توقفت ونظرت في الغرب ... كانت لا تبدو منه الا السماء ... سماء متجهمة مجروحة مخططة بخطوط دم ... وكانت الراعية لا زالت هناك ... شعرت بوحشة قاسية ووددت ان اقول شيئا اي شيء ... لكن لساني كان ملويا بقوة في فراغ فمي وغصة مدمرة تكاد تخنقني ... وتحركت وسحبت الراعية من يدها وحاولت ان اضمها الى صدري لكنها سبقتني الى ذلك وطوقتني بذراعيها وصدرها يعلو ويهبط بنشيج حاولت ان تخفيه فما استطاعت ... وتدلت يداها فأمسكت يسراها بينما كانت يمناها مضمومة باصرار على حزمة اوراق خضراء خشنة ... كانت من اغصان شجرة الجوافة ... وكان هذا آخر عهدنا بالجوافة يا اخي ... فمنذ ان غادرنا الغرب متجهين الى شرق متجهم عابس حرمنا من الجوافة التي كنا ولا نزال نحب ... كان هناك شبه اتفاق بيننا الا نذوق الجوافة..

ـ لنأكل شيئا ... الجوع يكاد يفريني ...

ـ لا رغبة لدي في تناول الطعام..

ـ لكنك لم تأكل شيئا منذ الصباح !!

ـ اي صباح ؟!؟!

ـ صباح هذا اليوم .

ـ هيه ... وهل لهذا اليوم صباح ؟!... انا لا اراه ... لا احس به ... لا اكاد اميزه عن اي شيء آخر ... الصبح يا اخي يغسل السواد ... يغسله عن كل شيء .. لكن هذا الذي تسميه صباحا لا يفعل ذلك ... بالله لا تنظر الي يا اخي ... فنظراتك فيها شيء ... انا لا احب هذا الشيء ... لا احبه ... لا احبه ... نظراتك تود ان تقول من انا ... انا اعرف من انا ... انا مجرد قرمة خشب ... قرمة في كومة يهاجمها النمل كل حين ، يكاد ينخرها السوس ... انا مجرد قرمة مرمية على قارعة طريق ... تركلها قدم نزقة ، تتحسسها يد معروقة مرتجفة ... يد معروقة مرتجفة تحاول ابعاد القرمة عن نار ملعونة.. عن نار ملعونة طاغية ... لا زال الشيء ... نفس الشيء في نظراتك ... يمكنك ان تغادرني لتتناول طعامك.. لكن مهلا ... مهلا ... علك تتوق الى سماع بقية الحكاية ... لا بأس ... لا بأس ... فالدنيا حكاية ... حكاية تبسم مرة وتعبس اخرى ... في الشرق اقمنا ، وفي الشرق شدنا بيتا لنا ... كان كالبيت الذي كان لنا في المدينة التي كانت لنا ... جعلنا له حديقة زرعناها ورودا ورياحين ، وتركنا بقعة داكنة لا زالت داكنة لا زالت تنتظر عرقا داكنا يغرس فيها ليصبح مع الايام شجرة جوافة ... لكن ارض الشرق لا تنبت الجوافة ... فهذا العرق لم يزرع حتى اليوم ... الراعية لا زالت ترعانا .. عطاف الرائعة الحلوة ماتت فجاة بعد ان غادرنا الغرب بعامين.. آمال لها ابن اسمته (سلام) احمد كما كنت اود له ان يكون ، محام ارجو له كل توفيق وسعادة ... وانا هنا ... لا زلت اروي كل يوم حكاية الغرب ... واغصان شجرة الجوافة لا زالت حطبا يتقصف كل لحظة في قلبي ... وتلة الرمل لا زالت تنهال على جسدي المحطم كل لحظة فتخنقني ... وعطاف الميتة لم تزرع ما يؤكل ... وشمس مدينتي لا زالت نائمة في بحر مدينتي ...

الدمام **ماجد ابوشرار**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



جناح الحب

**

هللي للحب فالحب جناح ... يعشق الضوء ويجتاز الرياح
ساحر مفترف اللحظ له ... لمثيرات الاعاجيب اجتراح
وانسياب فوق آفاق السنا ... وعلى النجم ارتقاص ومراح
فانا مذ همس الحب على ... ثغرك الملهوف شعري البواح
صرت مخلوقا جديدا في دمي ... رغد ينشر في النفس ارتياح
نشوة للروح ما اعمقها ... وعلى دنيا الاماني انفتاح
غبطة في القلب انسيت بها ... عبث الماضي وايام الجراح

حبنا يا حلوة العين هوى ... سار كالطيب وللطيب افتضاح
صدفة من صدف الدهر لها ... نبت الورد بصحرائي وفاح
ولقاء نادر جادت به ... في مدى العمر هنيهات شحاح
اغلق القلب عليه هامسا ... في الشرايين بوجد والتياح
ها هنا مرفانا يا زورقا ... كان للتيه واهواء الرياح
ليس بعد اليوم يا مستهترا ... من مراسيك انفلات وبراح !

ايها الحب الذي علمني ... بسمو الخلق والقول الصراح
كيف اسمو فوق اهوائي وما ... يجتنيه الطين من كبح الجماح
وضلوعي مثل ما تدري لظى ... كالبراكين انفجارا واجتياح
وشفاهي ظمأ لا يرتوي ... وعروقي للذاذات صياح
وانا المذنب كم ضل وكم ... انكرت عيناه انوار الصباح
فاذا انت ابتسام غافر ... فوق ثغر كرزي الجرح ساح
واذا الخاطىء مرفوع الى ... قمة الصفح على احلى جناح
وعلى عينيه يبكي ندم ... تاب من نبل سماوي السماح !

حلوتي فينوس يا فاتنة ... جمعت فيها جمالات الملاح
ان لي عبر خيالي حلما ... واعد الثغر ربيعي الوشاح
ليلة قمراء في غرناطة ... وعلى اعشابها الخضر انسراح
ارشف اللهفة من لاهبة ... تتشهى من رحيق الحب راح
وارى اندلس الامس هوى ... شاعريا في مدى العينين لاح
مجد ابائي واجدادي على ... مقلة ترنو واهداب تلاح
ذلك الماضي الذي يبكي له ... وعلى ايامه الزهر يناح

فؤاد الخشن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخرافة .. اصولها ومصادرها

بقلم مبارك ابراهيم

* * *

تقول المعاجم العربية :
الخرافة : الحديث الباطل . واصل ذلك ان رجلا عذريا يقال له « خرافة » زعموا ان الجن اختطفته ثم رجع الى قومه واخبر بما رأى منها فكذبوه حتى قالوا : لا يصدق حديث خرافة ..

ويوجز بعض تلك المعاجم فيقول : ان الخرافة هي الحديث الباطل مطلقا ..

ويعرف معجم «لاروس» الفرنسي الخرافة بما خلاصته : ان الخرافة هي الانحراف بالعاطفة الدينية انحرافا يحملها على ان ترتبط بالتزامات كاذبة . وعلى الخوف من اشياء لا ينبغي ان تكون مبعثا للخوف . وعلى التصديق والايمان باشياء باطلة ولا طائل فيها ..

وتعرف بعض المعاجم الانجليزية الخرافة بما خلاصته :
الخرافة هي الرهبة او الخوف ـ الذي لا اساس له من العقل ـ من شيء مجهول او من شيء خفي غامض . او من شيء متخيل . وبخاصة فيما يتعلق بشئون الدين وامور العقيدة ..

او انها الاعتقاد الديني المبني على اسس من الخوف او الجهل .. او انها معتقد يقوم على عبادة الاوثان ..

ويقول المعنيون بهذه الابحاث من الغربيين :
ان المصدر الحقيقي للخرافة يتبينه المرء في الجهود الاولى للانسان وهو يحاول تعليل وشرح مظاهر الطبيعة . وكذلك وهو يحاول تفسير وجوده هو .. وان من مصادرها كذلك احساس الانسان بالحاجة الى استرضاء الاقدار . والى الرغبة في استجلاب السعد واليمن .. وكذلك من مصادرها الرغبة في تجنب الشرور التي لا يستطيع الانسان لها فهما . وفي محاولته ـ محاولة لا يستطيع لها دفعا ـ التطلع الى كشف حجاب المستقبل ..

هذه المصادر كافية وحدها لان تجعل مما ليس منه بد ان تنبثق تلك الظنون الفجة . وتلك العادات التي لا تزال قائمة لدى الامم غير المتحضرة .. وانه وان تكن تلك الطرائق الفجة قد خلت مكانها في الامم الاكثر تحضرا الى صور من الاساطير تجتذب الانظار فان القوة الدافعة المحركة لتلك العادات والاوهام لا تزال باقية لم يلحقها التبديل والتغيير.

ان تفسير الانسان لعالم دنياه كان دائما يتناسب مع قدرته على فهم اسرار ذلك العالم في غير زيادة او نقصان. ومن اجل ذلك فان الخرافات تتمثل لنا دائما في صورة عادة سيكولوجية لها بعض القدر والقيمة .. واول علامة من علامات الخرافة واول امارة من اماراتها هو الجهل .. ونمثل لذلك بثلاث حالات تمثل واقع الخرافة على ما بين تلك الحالات من فروق شاسعة .. واولى تلك الحالات : رجل من الصين عاش في القرن العاشر قبل ميلاد المسيح، كان يضع امام عينيه « كتاب التغيرات » محاولا ان يحدث عن المستقبل مستعينا في ذلك بالاشكال الهندسية !!

والحالة الثانية : سيدة رومانية تحاول المحاولة نفسها اخرى تقوم على استنطاق الاشكال التي يحدثها الشمع الذائب وهو يتساقط في الماء .. والحالة الثالثة : رجل من المضاربين في سوق الاوراق المالية ، وهو يسعى جاهدا الى التوصل الى وسيلة تكشف له عما خبأه له القدر في صفقة مالية كبرى يريد ان يعقدها .. والعلة المباشرة لكل حالة من هذه الحالات تقوم على الرغبة في معرفة المستقبل. وما دام الانسان انسانا فانه سوف يظل يركن اما الى الكهانة والعرافة لمعرفة الماضي . واما لاختراع كهانات جديده اكثر استمساكا بتعاليم العقل ..

ويقول أحد الباحثين : ان فضول المرء يفوق قدرته على كشف غوامض الطبيعة وعلى ادراك دلالات الحياة . ومن اجل ذلك ترى الانسان في اول عهده بالدنيا قد نسب روحا تنبض بالحياة الى كل شيء من الاشياء والمخلوقات : الى انداده وقرنائه ! والى الحيوانات الدنيا ! والى الاشجار والجبال والانهار !! وقد تكون النتائج التي ادركها يومئذ هي على قدر ما اتاح له ذكاؤه . ولكنها ـ على اية حال ـ هي راس المال الذي استغلته كل الشعوب منذ ذلك الحين . والذي توارثته الاجيال جيلا بعد جيل . وكانها السور المنيع الذي ما كان لها ان ينهدم قبل ان يتاح للاراء المتعلقة بشئون الحياة ـ وهي الاراء الاكثر جدة والاقرب الى الواقع ـ ان تسود وتنتشر .. وهذا الحكم ينسحب ايضا على الخرافات التي ما زالت سائدة الى اليوم . ومثال ذلك هذه المراة المتحضرة التي لا تؤدي زيارة من الزيارات الا اذا عقدت في عنقها احدى التمائم .. ومثال ذلك ايضا هذا الرجل الذي يبادر بمغادرة المائدة التي جلس حولها ثلاثة عشر . وقد امتقع وجهه . وزاغ منه البصر .. والسبب في كلتا الحالتين هو الجهل الموروث . وتلك المراة وهذا الرجل هما ضحيتان من ضحايا ذلك الجهل . مثلهما في ذلك مثل ذلك المشتغل بالارواح الذي حاول ان « يستل » بواعث الغضب من روح غدير من الغدران .. ولا مشاحة في ان الجو الذي يسوده الجهل هو الجو الذي فيه وحده تستطيع الخرافة ان تبيض وتصفر .. ومع الجهل يمشي الخوف جنبا الى جنب .. وللخوف ضروبه واشكاله .. وبعض اسباب الجهل وكذلك بعض اسباب الخوف هي من الامور الطبيعية التي لها ما يبررها .. فاذا زرت انا محطة من محطات القوى الكهربائية ولم اكن اعرف شيئا عن اسرار اجهزتها فاني اجد نفسي مجبرا على التزام جانب التحرز والتوقي في كل ما تمسه يداي . بل اجدني اجعل كلتا

يدي بمنأى عن تلك الاجهزة مخافة ان ارتكب خطأ يستتبع ضررا .. ومن ثم يتبين ان الخوف المعقول هو وليد المعرفة المعقولة لدواعي الخطر .. اما الخوف غير المعقول فهو الخوف الذي يشكل اسس الخرافات .. ولقد كان من سوء حظ الانسان في عصوره المتقادمة ان كانت له تجارب اكثر عددا واشد استعصاء على الفهم .. وكانت قدرته على تناول تلك التجارب بالتحليل قدرة الواهن العاجز .. فالزلزلة ظاهرة طبيعية في مقدورها ان تبعث الرعب في كل القلوب الا من عصم ربك من اصحاب القلوب التي لا تعرف الخوف . فلا عجب اذن ان يخترع العقل البدائي كل فكرة تحوم حول الارواح الشريرة . وان ينسب الى الكهوف والغيران المظلمة انها تفيض بالافاعي وبكل اعداء الجنس البشري التي تبعث الرعب في القلوب ..

وكذلك فان الرعود والبروق والرياح العاصفة . وكل الآفات التي تصيب الزروع . وكذلك ايضا نزول جوائح الامراض المجهولة السبب . ومئات اخرى من حادثات الشؤم كانت في نظر الانسان البدائي اكثر من كونها قوى طبيعية تعمل وفق ما قدر لها .. بل كانت ظواهر وقوى يجب ان تسترضي .. وهذه هي النغمة الثالثة من انغام العقل المنفعل بالخرافة .. ان كل جهود ذلك العقل موجهة دائما الى استرضاء كل قوى الطبيعة سواء منها ما تحكمه القوانين المنظمة او ما يسير سيرا عشوائيا .. ووسائل الاسترضاء هي : الطقوس والشعائر وضروب التفكير التي تقوم على الانقياد والخضوع .. فاذا ما طغى الجهل وفاض الخوف وتولد عنهما احساس بالخطر كانت المعرفة ـ حتى المعرفة الناقصة ـ لها دائما القدرة الكافية على ايجاد طريق للنجاة وخلق سبيل للخلاص ..

ثم نجيء الآن الى اكثر الاسئلة صعوبة وهو : ما سر بقاء بعض الخرافات التي عاشت في الماضي ، ولا تزال متشبثة باسباب البقاء حتى اليوم ؟

ان اول اسباب البقاء ان الخرافة قد كانت دائما تحمل اسباب عدواها . وهي بذلك تسري من جيل الى جيل .. ومن الامور التي تبعث الابتسام ان يجيئك رجل يقول لك انه يؤمن بالسحر والسحرة معللا ايمانه بان في السحر بعض ما يحمل على التصديق . ثم يمضي فيقول : انه لم ير في السحر شيئا طوال حياته يبلغ منه منطقة الاقتناع . ولكنه .. رأى هؤلاء الذين رأوا اولئك الذين رأوا الذين سبقوهم . وقد رأوا آثار السحر واسراره ... والحق ان هذا القائل قد عاش في جو قد سرت فيه عدوى التصديق بالسحر فاستنشقها وسرت في خياشيمه وملأت تلافيف مخه .. فاذا صح هذا اليوم فلا بد انه كان اكثر صحة في القرون الماضية .. ان وجود خرافة مماثلة في كل مكان ـ ولو مع اختلاف في الشكل ـ هو دلالة قوية على تمكن الخوف المعدي ..

ويقول احد الباحثين : ان اكثر الاشياء استعصاء على ان تقتلع جذوره هو التخلص من مضار تصديق الخرافات ، ذلك لاننا قد رضعنا هذه الخرافات مع لبان امهاتنا . ثم صاحبتنا ونحن نحبو ونمشي على الارض فثبتت وتأصلت جذورها وتركت انطباعات لا تنمحي واصبحت جزءا من نسيج بنيتنا فلا عجب اذن ان نرى الطبقات الدنيا من الناس يعتصمون بحبال تلك الخرافات طوال حياتهم ذلك لان عقولهم لم تؤت حظا من الاستنارة بنور التعليم الحر المنطلق . ومن اجل ذلك باتوا غير قادرين على بذل اي مجهود يتناسب وعمق انطباعات الخرافة .. ثم يمضي هذا العالم الباحث فيقول : ان هناك عقلا يميل بفطرته الى تصديق الخرافة مهما عظم قسطه من العلم وزاد نصيبه من الدربة . وهو يمثل لذلك بالدكتور جونسون الذي كان يؤمن بان شيئا من التنفيص سوف يحدث له اذا لم يلمس بيديه كل عمود يمر به في الطريق ..

ومثل ذلك ايضا ذلك الرجل النابه المثقف الذي كان يحمل في جيبه حجرا من الاحجار كتعويذة تقيه شر وقوع المصائب من حريق او غرق ..

هذا ويقتضينا سياق الحديث عن الخرافة ان نذكر بعض ما اخطره بالبال تداعي المعاني .. واول ما يخطر بالبال في موضوع الخرافة هو التنجيم .. ومن الجائز ان يقال ان التنجيم هو اقدم علم في العالم قوامه الخداع والكذب .. ومن الجائز أن يقال ايضا انه اول حدس اريد به محاولة حل لغز الوجود . وقد البسه ممارسوه رداء الرياضيات والعلوم .. ويقتضينا الانصاف ان نقول انه في خلال العصور والاجيال قد تطورت ابحاث التنجيم وارتقت الى حد ما . متوكئة على عضوين من الملاحظة والتجربة . فقد دونت الاوقات التي ولد فيها الاطفال كما دونت مواقع النجوم في يوم الولادة .. وكذلك روقبت حوادث الامراض الخطيرة . ومراكز النجوم في ساعة التدوين .. وكذلك قورنت في عناية ودقة حالات الزواج . وحادثات المصائب في المال وفي الاهل .. ثم اخذ اللاحقون من المنجمين يقارنون ما وصلوا اليه هم بما وصل اليه من سبقوهم من المنجمين حتى اصبح لدى الناس كتب ضخمة تتحدث عن الغامض والخفي مما تكنه النجوم في اطوائها . وحتى لم يخل عصر من العصور من منجمه الذي يحدثه حديث تلك النجوم .. ونحن اذا حكمنا على التنجيم من وجهة العلم قطعنا بانه حديث خرافة .. وهنا يجيء احد المتحمسين للتنجيم فيتساءل : اذا كان الامر كما تقولون فما الذي كتب له البقاء . ولماذا لم يدركه الفناء كغيره من الخرافات التي اندثرت . اوليس بقاؤه شهادة له بانه يقوم على دعامات من الحقائق ؟ والجواب : ان بقاء التنجيم هو شهادة البقاء لحقيقة تتعلق بطبيعة البشر . فالناس يكادون يكونون جميعا فضوليين .. وقل لي بحقك : من ذا الذي يتردد اذا سمع مناديا يقول له : تستطيع ان تعرف مستقبلك لقاء خمسة قروش ؟

والمصدق بالمنجمين يتجنب ركوب البحر اذا كان المريخ في وسط السماء وذلك مخافة ان يقوم المريخ ـ وهو رمز لاله الحرب ـ بتحريض قراصنة البحر ..

والمصدق بالتنجيم لا يستعمل عشبا من الاعشاب الا اذا كان قد تم جمعه في ساعة معينة يوحي بها نجم من النجوم .. وهو يتوقى كل نازلة من النوازل بان يتختم بخاتم من الخواتم رسمت عليه صورة كوكب من كواكب السعد ..

وهذه الصور التي كانت شائعة في العصور السالفة لها امثالها في عصرنا الحديث . لا في الشرق وحده بل كذلك في الغرب. فان نساء لندن، وبخاصة من كن منهن متبطلات ، قليلات هموم القلب .. ان اولئك النسوة لا يبدأن سفرا من اسفارهن قبل ان يستشرن « كتاب دليل العام » ففيه يجدن الاوقات المناسبة والمواسم المناسبة للقيام بالزيارات والرحلات ، وهن يمتنعن . ويظللن رواكد اذا بدت النجوم في صورة عابسة ..

ان فضول الناس ورغبتهم الملحة في الكشف عن حجب المستقبل لا بد قد تبدت يوم كان العقل الانساني في مطلع فجره . ويوم كانت قلوب الناس ـ وهي هي في كل العصور ـ تبدي الرغبة اشد الرغبة في ان يستسلف المرء نظرة مما يجيء به الغد ..

وقد عقد العلامة ابن خلدون فصلا في مقدمته جعل عنوانه : « فصل في ابطال صناعة النجوم وضعف ادراكها وفساد غايتها » قال فيه : « هذه الصناعة يزعم اصحابها انهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها من قبل معرفة قوى الكواكب وتاثيرها في المولدات العنصرية مفردة ومجتمعة فتكون لذلك اوضاع الافلاك والكواكب.. فالمعتقدون منهم يرون ان معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها بالتجربة . وهو امر تقصر الاعمار كلها ـ لو اجتمعت ـ عن تحصيله ، اذ التجربة انما تحصل في المسرات المتعددة بالتكرار ليحصل عنها العلم او الظن . وادوار الكواكب منها ما هو طويل الزمن فيحتاج تكرره الى آماد واحقاب متطاولة يتقاصر عنها ما هو طويل من اعمار العالم . وربما ذهب ضعفاء منهم الى ان معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها كانت بالوحي وهو راي فائل . وقد كفونا مؤنة ابطاله . ومن اوضح الادلة فيه ان تعلم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابعد الناس عن الصنائع وانهم لا يتعرضون للاخبار عن الغيب الا ان يكون عن الله فكيف يدعون استنباطه بالصناعة ويشيرون بذلك لتابعيهم من الخلق .. » انتهى كلام ابن خلدون ...

وبعد فانا ذاكرون خرافة او خرافتين تمثيلا ومفاكهة :

خاتم الزواج : لما كان شكل الخاتم مستديرا فقد قصد بخاتم الزواج ان يكون الحب المتبادل بين الزوجين ، والود الذي يفيض به قلباهما في شكل الدائرة التي لا يدرى اين طرفاها والتي لا ثغرة فيها . والتي لا تنفصم عراها ، ومن ثم فان حبهماسوف يظل باقيا الى الابد وسوف يظل كلاهما عند صاحبه مكين ...

القطط السود : القطط السود عند المصدقين بالخرافات جالبة للحظ . وهي خرافة عاشت في الزمان القديم وهي لا تزال باقية الى اليوم .. ويشترط ان تكون القطة سوداء حالكة السواد دون ان تخالط سوادها شائبة من اي لون آخر حتى وان تكن تلك الشائبة شعرة واحدة .. ولقد فقدت سيدة معاصرة قطتها فبكتها احر بكاء وقالت : ما كنت ابالي لو لم تكن سوداء كاملة السواد . وكأن سوادها قد صبغ صبغة روعي فيها الاحكام البالغ ..

وقد استولت خرافة القطط السود على عقل احد العلية من القوم فكان يستبشر برؤية قطة سوداء في اليوم الذي يخرج فيه للصيد . وكان ظهورها يبشره بيوم مشرق ، صافي الاديم ، موفور الخير والبركة .. وقد كان المصريون القدماء يصدقون بهذه الخرافة في الزمان القديم ...

القاهرة **مبارك ابراهيم**

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

الامل ـ لاندره ملرو

المدار المغلق ـ لجبرا ابراهيم جبرا

رصيد التاريخ ـ جزآن

الخط العربي ـ لانيس فريحة

تاريخ احمد باشا الجزار

الفزالي وابن رشد

ابـن طفيل

الابواب المغلقة ـ ليوسف غصوب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيا يده

●

اديب وليم صعب

●

ترى أي صوت يلجلج في" وأي التفات ؟
ويطرحني في البعيد البعيد ، ويحملني فوق آكام ذاتي .
ترى أي صوت ، رنين العشي ودفء الصلاة ؟
وفي خلجاتي بعث الحيـاة ...

اذا مر فوق الدروب توسع احناءها وتضيع الدروب
وتغرق فيه العيون وتهفو اليه القلوب ...
أسائل عنه الاعاصير ، أي الكهوف كهوفه ؟
وأي الطيوف الرواني طيوفه ؟
عميـق الصدى ، يتزلزل منـه
سـؤال وكنـه ،
أغوص عليه ، أقلب دنياي ، اوغل في كل حكر ووكر ،
وفي كل صدر وخفقـة صدر
اسائـل عنـه ...

ملات الزوال بقاء ، ملات الوجود احتمالا ،
ففي لفتي صارت الشمس لغزا قصي المدى والحياة سؤالا .

وها آنذا في طوافي أبصر سفر الحياة ، بريق التجلي
أقلب اوراقه ، فلعلي
أفتحه وأفض ختومه ،
ويولد في كلماتي التقيد ، وتبعث في" الحياة الحميمه ...

٢

يـد الله أنـت ، يد الله انـت ...
وفـي" تفتحت ، فَ" اختلجـت ،
كانـك أنـت دمي ونواتي .
عبـرت الدروب ولم تعبري ،
وفتشـت عنك ولـم تظهـري
سوى نبضة في مجاهيل ذاتي ...
يـد الله ، عزي يدي ، حركيها ،
وصبي اندفـاق المواسم فيهـا ،
وكونـي التجدد في كلماتـي ...

٣

يد الله ، يا نهرا تندفق من فجوات الكوى الازلية ،
ويهدل فوق الحصى ، ويسلسل انغامه الحالمات الندية ...
تحـوم عليه رفوف الحمائم ، ينقلها شغف واعتراف ،
وتأوي اليه عطاش العصافير ، تأوي الخراف ...
ويعطي ، ويعطي ، فلا صدره يضيق ، ولا دفق الخير ناء ،
مفخرة السكب اغواره الجهم ، تعطي وتدرك معنى العطاء ...

٤

يد الله ، يا حقل جود يفتح غلق البراعم ، دفق البيادر ،
ويخصب احشاءهن العواقـر ...
تبارك هذا الثراب المقدس يطفو ويطفر
ويختمر الفيض فيه ويهـدر ...
نمر عليه ، يدا تتحسس كبر العطاء ، وتستعذب ،
ونجنـي ، ونجني ، ولا ينضب .

٥

يد الله ، يا صاعقا يكفهر وينقض فوق الثرى ويزمجر ،
يقلع ما شاخ منه وناء ، يهدم اطلاله ويمر ...
ترى مـن تبقـى ، تـرى من تقصـف ؟
اذا عاصـف المدلهمات عصف ...
ومن سلم العمـر واستسلما ؟
ومن شرع الصدر أفق مصير يلوح ، وقطر فيه الدما ؟

٦

تحيرت كيف أسميك نهرا وحقلا وصاعقة الفلوات ،
وأنت المفجرة النهر والحقل ، أنت المفجرة الصاعقات ...
أحسك في داخلـي أنهـرا
يضيـع مـداهـا ـ
وأنظر بين ضلوعي ، فأنا اراها وآونة لا أراها ...
وأربط فيك خيوط المصير ، انا ، وأسميك أغوار نفسي ،
اسميـك حدسـي ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٧

عروقك ، هذي العروق الصليبة ، من عمق اي مدى تتفجر ؟
وما يتوثب فيها ، وكيف يثور ، وما نابض يتهدد ؟
الا ضربة من تقاديرها تفتت هذا الزمان المحجر ،
وتبعث فيه الدم المتجدد ، تبعثه قوة لا تقدر ...

٨

يد الله ، ما شكل هذا الوجود اذا لم يكن لتجليك شكلا ؟
وما لونه وهو ليس انعكاسك ؟ ما لونه ، يا يد الله ، أصلا ...
تضمينه بالحنايا ، تلمين ما يتساقط منه ويبلى ،
وتختصرين ، وتبتكرين ، وتستبدلين الوجود باحلى ...

٩

جبلتك العالم المتخطي احاديد ذاتـه
ليسمو نحو ذراك ، ليولد فيك ، ليبلغ قلب نواته ...

١٠

يد الله ، يا لوحة يتمثل فيها الزمان غليقات نفسه ،
ويوقن ما حل فيه وشل خطاه وعطل اعماق حدسه ...
ترامى اليك الزمان خسيف العروق ، مشوه ،
ولـم يتفـــوه ...
ترى كيف يحيا ، واعماقه مفككة ، وصداه خفيت ؟
فلا ذات فيه تقول انا الزمن الجبروت ...
ولملم اذياله العثرات ، وكاد يبعثرها ويموت ...
وفيك توحد هذا الزمان الشريد الشتيت ...

١١

يد الله ، يا مصلتا في ضلوعي يشذب ما هرأته ضلوعي ،
فينبض فيها اخضرار الحقول وهمس الندى وبثيث الربيع ...
تمرين ، يا عصفات الرجاء ، على مبتفاي ، فاستكبر ،
ولولا مرورك لا أتعالى ولا استنير ولا أبصر –
أرحماك ، لو ما تفتحت فيّ ، ظللت شريد الخطى ، عابثا ...
يد الله ، يا يومي الثالثا ...

١٢

عبرناه ، خطوي وطيفك ، هذا السديم ، وآماده وقفاره ،
وما عاد بيني وبينك يكمن جيل الدعارة ، جيل الحقارة ...
وها انذا أتلمس وجهي مليا ، وانفض عنه غباره ،
وأسلخ عنـه الدمى المستعاره ...

١٣

يد الله ، كيف توجهت القاك فيّ ، وكيف تطلعت ، دوني ...
اذا كنت فوق يدي لا أخاف ، ولا ظلمات الرؤى تعتريني .
وجودك يحرسني ويقينـي
ويبعـد عنـي الزمـان البغـي ،
ويبعد عني طيفـا شقي الخطى وثني ...
فيا يده ، يا اكتناه المصير ، ويا ضربة الخالق العبقري ،
لئن غاب عني فجر الفجور ، فقد صرت لي كل فجر سني .
وفتحت فيّ انتفاض العطاء ، وشرعت رحب السماوات فيّ ...
ويرتعش الكون آن أمر على راحتيه صدى ودوي .

١٤

يد الله ، لي انت لي ، ادركتك ظنوني ، وخمر فيك يقيني ،
الا صيري أنت لا شيء نفسي ، الا صيريني ...
وفوق اعتلاء الذرى شرعيني
جمـالا واغنية تتلهب فيها جفونـي –
فلا ، لا أريد جمال الوجود اذا لم تكـوني ...

١٥

يد الله ، رحماك ، اني تعثرت أبصرت نورك ينهل نحوي ...
يد الله ، يا يده ، يا ملاذا يضم ويؤوي ...

١٦

يد الله ، يا شكل هذا الوجود الذي لا يعيه ،
ويا دمه يتفور فيه ويسكب روح الالوهة فيه ...
يد الله ، يا حلمة والنوالا ،
يد الله ، يا غـده والمثـالا ...
يد الله ، يا خلجـا يتدفـق ،
ويا برعمـا مبهـم الشكل ، مغلـق .
يد الله ، يا قلقـا لا يبـين ،
ويـا شفقـا تجتليـه العيـون .
يد اللـه ، يا يـده الحانيه ،
يـد اللـه ، يا حجـر الزاويه ...
يد الله ، يا لهبـا يشرئـب
وتخطـر فيـه الدنـى وتحـب .
يـد اللـه ، يا زمنـا يستجد
يـد اللـه ، يا قـوة لا تحـد ...
يـد اللـه ، يا عاصفـا من لهيـب ،
يـد الله ، يا يـده ، لا تغيبـي ...

١٧

يد الله ، لي أنت لي ، سكب جودك وجهي ، وقد ذراك التفاتي ...
تعاليت منتشيا في هواك ، ونقيـت فيك دمي وصلاتي .
وفيـك تحققت انـي احيـا وانـك انـت غدي وحياتي ...
فيا نظراتي ما بعـد أنت كأمس ، وما بعد يا خطواتي ،
موحدة في غد أنت ، حلو الاسارير ، مختلج القسمات ...
اجـيء الثواني ، وأبدعها كحياتي ، وتفرح بي كلماتي –
اسائلها اين أنت ، وانت مفجرة في ينابيع ذاتي ...

اديب وليم صعب



محمد رجب البيومي

بذرة الملاحم العربية في الاندلس

بقلم محمد رجب البيومي

* * *

كنا الى وقت قريب نقرأ ما رواه ابن عبد ربه في العقد الفريد وابن بسام في الذخيرة والمقري في النفح من الاراجيز التاريخية الطويلة فنمر بها مر الكرام، ولا نجدها تستأهل وقفات جادة للبحث والتحليل، حتى جد من الآراء العلمية حول هذه الاراجيز، ما يجعلنا نقف عندها فنطيل!

لقد استعر الخلاف بين علماء الاسبان وعلماء الفرنسيين حول اصل الملاحم الشعرية التي ظهرت في فرنسا خلال القرن الثاني عشر، وفي اسبانيا بعد ذلك بقليل جدا من الزمن، وحاول كل فريق ان يجعل امته ذات السبق الظافر في الابتكار، وكان أكثر الباحثين يميلون اذ ذاك الى جانب فرنسا، اذ ان سبقها الزمني بمنزلة لامعة في الوضوح فلا محل للقول بأن اسبانيا قد تقدمتها في هذا الميدان، وانتهت المسألة عند ذلك، حتى ظهر الباحث الاسباني الهادف « خليان ريبيرا » فاثبت في ابحاثه الطويلة ان ادب الملاحم كان يملأ اسبانيا المسلمة، وان فريقا من ادباء الاندلس في عهد الاسلام قد وضعوا اساس هذا النوع من الادب المتنازع عليه، فاليهم ـ وبالتالي الى اسبانيا ـ يرجع فضل السبق في الابتكار.

وقد قام الدكتور حسين مؤنس بنقل آراء هذا البحاثة الى العربية، مع التعقيب عليها تعقيبا شافيا وافيا بما يرضي نهم الذين لا يعرفون الاسبانية، ويتشوقون في رغبة مستطلعة ان يلموا باقوال هذا المستشرق الجليل، وكان مما قاله الدكتور مؤنس:

« لاحظ ريبيرا ان المسلمين في الاندلس عرفوا الشعر القصصي وشعر الملاحم منذ زمن مبكر جدا، فقد ذكرت المراجع مثلا ان تمّام بن علقمة من كبار رجال البلاط الاموي في عهد عبد الرحمن الداخل، وابنه هشام كتب ملحمة طويلة وصف فيها فتح المسلمين للاندلس وقدوم عبد الرحمن الداخل، وتأسيس الامارة الاموية في قرطبة كذلك انشأ ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد قصيدة مماثلة لهذه في اعمال بعض الامراء الاخرين، ونحن وان كنا لم نعثر على شيء من هذه الملاحم ـ لعله يريد على جميع هذه الملاحم لان بعضها موجود فعلا ـ الا ان تواتر الاشارة اليها في المراجع يدل على ان المسلمين عرفوا هذا النوع من الشعر ومارسوه ».

وقد فهم الاستاذ ريبيرا مدلول الملاحم على معنى واسع، فلم يقصرها على النمط العربي الموزون ولكنه التمسها في الاساطير النثرية التي تتعلق بالفتح العربي للاندلس، وفي الازجال الشعبية التي كانت تردد باللغة الدارجة بين مسلمي الاندلس اذ ذاك وجعل من الاراجيز المنظومة والاساطير التاريخية والازجال الشعبية وحدة مرتبطة تقيم البناء الملحمي حين تعرض جوانب من البطولة والفروسية، وتبرز عناصر المفاجأة والخوارق في المعارك الحربية، وتتحدث عن الاحتيال والخديعة حين يمهدان للنصر السابق السريع، وقد رجع الاستاذ فيما رجع الى تاريخ ابن القوطية الشهير فنقل عنه كثيرا مما تتضمنه من غريب الخوارق عن الفتح الاسلامي اذ حفل كلام هذا المؤرخ المسلم العقيدة، القوطي الاصل بما لا يكاد يوجد عند غيره من المسلمين، فاذا كانت اكثر المراجع الاسلامية قد تحدثت عن معاملة الفاتحين لاسرة غيطشه، ومروءة العرب وسماحتهم في استرضاء القلوب مما يتفق وروح البطل المترفع كما تصوره الملاحم فان ابن القوطية ينفرد بغرائب تنحو هذا النحو كموقف عبد الرحمن بن معاوية من ارطباس، وقصة ازراق بن ختيل صاحب وادي الحجارة مع موسى بن موسى وامثال هذه الاساطير الشعبية! فانها في راي ريبيرا شعر قصصي ملحمي ـ ايا كانت لغته ـ صدرت عن شعب اندلسي شديد التعلق بابطاله، ولعل من المستحسن ان يرجع القارىء الى بحوث الدكتور حسين مؤنس في هذا الموضوع وقد تابعها مسلسلة بمجلة الثقافة سنة ١٩٤٦ في ثمانية اعداد حافلة بالجديد المفيد!

والذي يهمنا من ذلك كله هو بذرة الملاحم الشعرية الواضحة في التراث الاندلسي، وكيف كان ادبنا العربي صاحب هذه البذرة التي انتقلت منه الى غيره فاقامت بناء عالميا جديدا في دنيا الادب الدولي كما يجزم ريبيرا وتلاميذه الكثيرون!

* * *

يستكثر بعض الباحثين ان يكون في الادب العربي ملحمة ما، واذهانهم تسبق بلا ريب حين تطن في آذانهم كلمة

ملحمة الى الياذة هوميروس ! وكأنهم يقولون في قرارة نفوسهم اما أن تكون الملحمة كملاحم اليونان والا فلا ، وهم يشترطون فيها بناء على هذا التصور :

ان تشتمل على حوادث خارجة عن المألوف ، بحيث يكون ابطالها مردة او انصاف آلهة ، وقد يكونون آلهة احيانا يتقاسمون المعركة ، وينصرون فريقا على فريق وقد يكونون شخصيات خرافية لا وجود لها على الاطلاق ، فاذا تواضعت الملحمة فهي مزيج بين ابطال حقيقيين واخرين من دنيا الخيال .

وهذا الشرط الذي اوحته اساطير اليونان ، يقف حائلا دون الاعتراف بملاحم كثيرة ، فالكوميدا المقدسة منظومة الشاعر الايطالي الطائر الصيت دانتي تصف الجحيم وسكانه وما به من اهوال تجعل الولدان شيبا ، وتعرج على الاعراف فتحدد مكان التطهير والاستنابة بين الجحيم والفردوس ، وابطالها اناس واقعيون يحفظ التاريخ اخبارهم ، ويضعهم دانتي موضعهم اللائق في اعتقاده ، ومنهم قائده الشاعر الروماني فرجيل ، وحبيبته الحسناء بياتريس الفلورنسية التي الهمته اجمل اناشيد الصبابة بل اوحت له بهذا الاثر الفني الجميل ، والكوميدا بهذا الوضع تبتعد كثيرا عن ملحمة هومير !

وكذلك يقال في ملاحم اولاندو الغاضب للشاعر الايطالي اريوستو ، والفردوس المفقود للشاعر الانجليزي جون ملتن ، فالاولى تصف المعارك التي دارت بين المسيحيين والوثنيين اذ تتحدث عن انتشار المسيحية وازدهارها ، وطابعها ديني كطابع دانتي في الكوميديا الالهية ، والثانية ملحمة تصف نشأة العالم وتتحدث عن خروج آدم وحواء من الجنة مستقاة مصادرها من الكتاب المقدس مع اضافات هامة تمخض عنها احساس الشاعر الكبير ! فاذا جاز لنا ان نعد روائع دانتي واريوستو وملتن من الملاحم وهي كذلك فعلا باعتراف الجمهرة من الناقدين فقد ابتعدنا كثيرا عن شرط الخوارق المعجزة للالهة وانصاف الالهة ، وامكننا ان نطلق الملحمة على كل حادثة عظيمة تدور حول بطل عظيم او عدة ابطال يجمعهم خيال الشاعر في نطاق محدود ، ويتصرف بهم كما يشاء ! ولو جاز لنا ان نقصر الملحمة على التعارف منها لدى الاغريق ، فلماذا لا نفعل ذلك بالاجناس الادبية الاخرى غير الملحمة ، فالخطبة مثلا عند الاغريق ، ليست كالخطبة عند العرب في وجه ما من الوجوه ، اذ ان الخطب المروية عن اليونان قضائية سياسية تنتهي باخذ الاصوات من السامعين ، واصحاب هذه الاصوات من القضاة يصدرون احكامها غير مسببة او مشفوعة بحيثيات ما ، وانما يتأثرون تأثرا وقتيا بما يسمعون فيصدرون احكامهم ، وتكون كثرة الاصوات وقلتها هي عامل التبرئة والادانة دون نظر الى حجاج او برهان ! على ذلك مضت الخطب اليونانية التي انتقلت الينا من اشباه بركليس ، وديموسنتيس !! وطبيعي انها بذلك تختلف عن خطب الدنيا في المشرق والمغرب ! ونحن نعرف مدى اشتهار الخطابة لدى العرب في العهد الجاهلي وما يليه ! فلا مناسبة اطلاقا بين قس وسحبان واكثم بن صيفي ، وما تعورف من خطب اليونانيين ! وقد اعترف الكاتبون بخطب العرب دون ان يقيسوها بخطب اليونان ! فلماذا لا نعترف بملاحم العرب وندعي انها تفترق عما تعورف من ملاحم هوميروس !! وكيف يضيق الامر في عيوننا لدى الحديث عن الملاحم العربية بالذات !!

ان من اخطر الاشياء ان نستند الى احكام عائمة لا تعتمد على برهان صحيح فمنذ قال الفيلسوف الفرنسي ارنست رينان ان العقل السامي عقل جزئي لا يصدر عنه اثر كلي متشعب مستوعب ، منذ قال ذلك القول الجريء ونحن نرفض اعترافنا بملاحم العرب لان الملحمة موضوع كلي لا يستطيعه عقل سامي !!

وقد اثبتت الكشوف الحديثة بطريقة لا تقبل الشك فساد هذا الحكم المفرض ، وكان اكتشاف الملحمة السامية قبل الملاحم الاغريقية اول معول في هدم هذه الترهات !! ولن نبعد كثيرا عن موضوعنا حين نستطرد الى ذلك فنقول: من المسلم به تاريخيا ان سكان العراق وبابل واشور وفينيقية نزحوا اصلا من جزيرة العرب في موجات متدرجة حيث استوطنوا هذه الاقاليم ، فهم عرب ساميون ، وقد اكتشفت بعثات الآثار التي بدأت عملها سنة ١٨٤٣ بوساطة قنصل فرنسا بالموصل ! وما وليها من بعثات اخرى فرنسية وانجليزية ! اكتشفت هذه البعثات مكتبة ملك اشور « بانيبال » وبها اثنا عشر لوحا يتضمن ملحمة جليجميش الدائعة الصيت ! وهي ملحمة تتحدث عن بطل معجز امتزجت فيه الالوهية بالانسانية حتى غدا مرهوبا مخيفا يحارب العمالقة ويتوجه الى جبال لبنان لينازل عملاقها الهائل (هومبابا) وتمضي الملحمة في جو اسطوري كجو هومير فتتحدث عن اعاصير الحب والحقد والوقيعة ، وتسرد الخوارق من الانتصارات على المردة والثور السماوي الذي بعثته الآلهة ليدمر المحصولات ويبيد الشجر ويبعث الحرائق ويقتل « جليجميش » ! والافاضة في ادوار هذه الملحمة مما يتعذر في هذا النطاق ، ولكننا نشير الى انها ملحمة عربية سامية ! تبطل نظرية التفكير الجزئي التي هتف بها ارنست رينان وتلقفها من يرجفون بالعرب ولا يطيقون ان يروا لهم خيرا يذكر بحال ، وليت شعري ما يقول هؤلاء حين يسمعون احكام النقاد تجزم بأن ملحمة جليجميش قد انتقلت مع حضارة بابل القديمة الى آسيا الصغرى والجزر القريبة منها فعرفها اليونان ولعلها كانت مصدر الهام لهوميروس لا سيما والتشابه واضح بين الملحمتين يتطلب من يخصه بالتحليل !!

ان الملاحم تنشأ دائما في عهود الطفولة العقلية لدى الامم ، اذ تحاول الشعوب الفطرية في سذاجتها البدائية ان تحلل ما تعجز عن تعليله من ظواهر الكون فتلجأ الى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخرافات ، ثم تسلسل هذه الخرافات حتى تكوّن قصصا غريبة تكون فيما بعد ملاحم بطولية !! ولقد كان للعرب في الجاهلية ملاحمهم دون نزاع لان امة تسكن الصحراء وتتحدث عن الغول والعنقاء ، ويصف شعراؤها منازلةالجن في اعماق الفلوات ـ كتأبط شرا وغيره ـ لا بد ان يكون لها ملاحم بطولية ، لا سيما والغارات القبلية متصلة لا تنقطع ، وايام العرب الحربية لا تحصر !

وقد يسأل سائل لماذا لم نعثر على هذه الملاحم كما عثرنا على الياذة هومير مثلا ، وتعليل ذلك فيما اراه شخصيا واكاد اعتقد انه على جانب من الصواب ان انفكاك الشعر اليوناني من القافية قد ساعد على ضم الاشعار بعضها الى بعض حتى كونت جوانب كثيرة من الالياذة ، وجاء هومير فوجد هذا التراث الكبير امامه فنسقه وضم بعضه الى بعض ، اما اعتماد الشعر الجاهلي على القافية والوزن فقد حال دون ضم هذه الاشعار الى ملحمة واحدة ، فاذا كانت موقعة كموقعة داحس والغبراء او ذي قار او الذنائب فان اكثر من شاعر قد قال في كل موقعة منها ! قال ما شاء من بحره الخاص وقافيته الخاصة ، ومضى الزمان فنسب كل قول الى قائله ، دون ان تجمع اشعار المعركة في ملحمة خاصة اذ وقفت القافية والبحر معا دون هذا الاندماج والالتحام ، ولا كذلك في الشعر اليوناني لان الخلاص من هذين القيدين قد سهل للمتفرق ان يجتمع ويلتئم وبخاصة اذ قام به عبقري جهير كهومير !!

لنا اذن ان نلتمس بذور الملحمة العربية فيما تفرق من شعر الوقائع في الجاهلية والاسلام فاذا امتد بنا الزمن الى العصر الاندلسي فاننا نجد تعديلا جديدا بطرا على ما يعرف بشعر الوقائع وهو ما نلمسه في الاراجيز التاريخية التي اشار اليها البحاثة المنصف « ريبرا » والتي من اجلها اضطررنا مجهدين ان نطوف طوفانا سريعا حول معنى الملحمة ، ومصدرها الاول في الشرق والغرب مما لا بد من الالمام به في هذا السبيل !!

* * *

لقد ذكر العلامة « ريبرا » ان شاعرا كبيرا هو تمام بن علقمة قد انشد ارجوزة تاريخية اندلسية ، والمصادر الاندلسية لا تعطينا شيئا ذا بال عن هذا الشاعر ولا عن ارجوزته الملحمية ، وانها لتذكر انه توفي سنة ٢٨٢ هـ ، وهذا الموعد يوقعنا في تساؤل حائر ، لان ابن المعتز الشاعر العباسي قد توفي سنة ٢٩٦ هـ اي بعد ما يقرب من ثلاثة عشر عاما من وفاة تمام وكنا نعرف ان ابن المعتز هو اول من نظم الاراجيز التاريخية في الادب العربي ولكن لدينا الان ما يوجب ان تكون ارجوزة تمام سابقة له ! لان ابن المعتز نظم ارجوزته في سيرة الخليفة العباسي المعتضد ، وذكر فيها وفاته مما يشعر انها قيلت بعد موت الخليفة سنة ٢٨٩ ، واذن فقد تأخرت ارجوزة ابن المعتز عن ارجوزة تمام لا محالة ، ولكن من يضمن لنا ان نجزم بانتقالها الى الشرق ومحاكاة ابن المعتز لها ؟

يخيل الي اننا لا نستطيع الجزم بذلك عن يقين ، فقد يكون ابن المعتز ممن قرءوا ارجوزة تمام ، وقد تكون ارجوزته في المعتضد من قبيل توارد الخواطر ، يدل على ذلك ان ابن المعتز كان كثير النظم في الاراجيز ذات القافية المزدوجة في غير باب التاريخ ، وهو ما لم يعهد لاندلسي قبله فربما امتد به اعجابه بالمعتضد وحسرته عليه بعد وفاته الى ان يخصه بارجوزة سهلة التعبير عن جميع مواقفه ، حيث لا يتكلف لها تكلف قصائد الرثاء من احتفال بالقافية واهتمام بما برع فيه من غرائب التشبيهات ودقيق الاوصاف ! ولو ان ارجوزة تمام نقلت الى الشرق واشتهرت اشتهارا جعل ابن المعتز يحاكيها لتناقلتها كتب المشارقة كلون جديد ، ولكنها سكتت عنها نهائيا ، ولولا اشارات مقتضبة في كتب الاندلس ما سمع بها العلامة الاسباني « ريبرا » ... فاذا كان ابن المعتز قد مرن على نظم الاراجيز ذات القافية المزدوجة في غير باب التاريخ كقوله مثلا يصف الرياض في منظومته ذم الصبّوح :

الا ترى البستان كيف نورا .. ونشر المنشور زهرا اصفرا
وضحك الورد الى الشقائق .. واعتنق القطر اعتناق وامق
في روضة كحلل العروس .. وخرم كهامة الطاووس
ورياسمين في ذرى الاغصان .. منتظم كقطع العقيان
والسرو مثل قضب الزبرجد .. قد استمد العيش من ترب ند
على رياض وثرى ثري .. وجدول كالبرد المجلى
والسوسن الابيض منشور الحلل .. كقطن قد مسه بعض البلل
وحلق البهار بين الآس .. جمجمة كهامة الشماس
وجانب كاحمرار الخد .. او مثل اعراف ديوك الهند

فان ذلك يسهل لنا القول انه نظم ارجوزته في المعتضد بدءا دون ان يتأثر بشاعر لا يعلم عنه مشرقي ـ فيما نظن ـ شيئا ! اما ارجوزته المعتضدية فسلسلة لم تثقل بمرهقات الصور والتشابيه ، وسننقل هنا افتتاحها ليكون تمهيدا لحديثنا الآتي عن ارجوزة ابن عبد ربه ، لان لدينا بعض ما يقال بصدد الشاعرين الكبيرين ، قال ابن المعتز في مطلع ارجوزته :

باسم الاله الملك الرحمن .. ذي العز والقدرة والسلطان
الحمد لله على الآئه .. احمده والحمد من نعمائه
ابدع خلقا لم يكن فكانا .. واظهر الحجة والبيانا
وجعل الخاتم للنبوة .. احمد ذا الشفاعة المرجوة
الصادق المهذب المطهرا .. صلى عليه ربنا فاكثرا
مضى وابقى لبني العباس .. ميراث ملك ثابت الاساس
برغم كل حاسد يبغيه .. يهدمه كانه يبنيه
هذا كتاب سير الامام .. مهذبا من جوهر الكلام
اعني ابا العباس خير الخلق .. للملك قول عالم بالحق
قام بامر الملك لما ضاعا .. وكان نهبا للورى مشاعا

فانت ترى هذا النظم شبيها بقول العلماء لا بابداع الشعراء وهو الى ان يلحق بمتون العلوم اقرب من ان ينتسب

الى جوهر الادب اللباب ، ونحن لا نظلم ابن المعتز بهذا الحكم فللشاعر تحليقاته السامقة في اجواء اخرى غير هذه الارجوزة ، ولكننا نظلم ابن عبد ربه الشاعر الاندلسي ظلما فادحا حين نجر حكمنا على ارجوزة ابن المعتز الى ارجوزته الملحمية البديعة وهذا ما وقع فيه كثير من الكتاب .

فالدكتور احمد هيكل ـ على حبه لابن عبد ربه ـ ومقاومة آراء من يغمضون عن قيمته الشعرية ، قد حكم على ارجوزته التاريخية حكما قاسيا حين قال في كتابه (الادب الاندلسي ص ٢٥٧) .

« وكما عرف ابن عبد ربه بالمحصات عرف كذلك بارجوزته في الخليفة عبد الرحمن الناصر ، تلك الارجوزة التي مجد فيها الخليفة ووصف حروبه وغزواته ، والحق ان تلك الارجوزة اشبه ما تكون بالمنظومات التاريخية ، فليس فيها من عناصر الشعر شيء ذو قيمة ومن الانصاف للشاعر والشعر ان تعد في انتاجه التاريخي لا في تراثه الفني ! »

هذا حكم الدكتور هيكل ! ولكننا نقرأ ارجوزة ابن عبد ربه فنجدها رائدة في حقلها الملحمي ، لانها لم تسلك مسلك ابن المعتز حين صب حقائق التاريخ على طريقة المتون ، بل كانت اناقته الشعرية تسايره مسايرة واضحة ، وطبيعي اننا لا نطلب منه في عمل مبتدأ كهذا او كاد ان يكون مبتدأ ـ ان يطير مع الخيال في اجوائه فيحمل افكاره الى مطارح عالية في جو من التصوير والايحاء لان ذلك لا يتيسر في فن ناشيء يحبو في مدارج الطفولة ، ولكننا نجد عنده بوادر الجودة حين نراه لا يغفل الوصف الدقيق ، ولا يعدو التصوير المونق ، فالملحمة اولا في بطل واحد ذي معارك مختلفة ، وثانيا تميل الى ناحية الشاعر اكثر من ميلها الى ناحية المؤرخ ، وهو ما تعذر على ابن المعتز مع تفوقه في دنيا الادب بعامة ! فابن عبد ربه مثلا يصف ازدحام الفتن قبل تولية الناصر فلا ينص على ذلك في حكم تقريري كمتون العلماء ولكنه يذكر كيف ضاقت الارض بساكنيها وتخبط الناس في عشواء مدلهمة ، واخذتهم الصيحة حتى حرموا الرقاد ، وتفزعوا في اوقات الصلاة وجلين ان يدهمهم داهم ! وكل ذلك شعر ينحو منحى العاطفة فيثيرها كما يريد اذ يقول :

هذا على حين طفى النفاق ... واستفحل النكاث والمراق
وضاقت الارض على سكانها ... وأذكت الحرب لظى نيرانها
ونحن في عشواء مدلهمة ... وظلمة ما مثلها من ظلمة
تاخذنا الصيحة كل يوم ... فما تلذ مقلة بنوم
وقد نصلي العيد بالنواظر ... مخافة من العدو الثائر
حتى أتانا الغوث من ضياء ... طبق بين الارض والسماء
خليفة الله الذي اصطفاه ... على جميع الخلق واجتباه

وهو اذا تعرض الى هزيمة الاعداء لم يقتضب اقتضاب ابن المعتز ، ولم يخل بالوصف اخلال عبد الجبار زميله الملحمي ـ وسنعرض له ـ ولكنه شاعر متأن متهمل يمر ببنانه على اوراق الورد فلا يتعجل ! وهو بعد في معركة حامية تلهب بالنار وتعج بالدماء . فالعلجان ـ قائدا الفرنجة ـ خائفان مذهوبان ، يفران الى حديقة يظنانها باب النجاة فتفدو حديقة الموت ، يتحصنان بمعقل فيصبح معتقلا ، يستطعمان الماء فتأخذهما السيوف وتتساقط الصخور ، ويمضي سيف الله ليقيم مأدبة حافلة ضيوفها الغربان والنسور وكم ذبح بها من جزور :

تضافر الكفر مع الالحاد ... واجتمعوا من سائر البلاد
فاضطربوا في سفح طود عال ... وصففوا لبغية القتال
فبادرت اليهم المقدمة ... سامية في خيلها المسومة
وردها متصل برد ... يرده بحر عظيم المد
فانهزم العلجان في علاج ... ولبسوا ثوبا من العجاج
كلاهما ينظر حينا خلفه ... فهو يرى في كل وجه حتفه
والبيض في آثارهم والسمر ... والقتل ماض فيهم والاسر
فلم يكن للناس من براح ... وجاءت الرءوس في الرماح
فصادفوا الجمهور لما هزموا ... وعاينوا فوادهم تخرموا
فدخلوا حديقة للموت ... اذ طمعوا في حصنها بالفوت
فيا لها حديقة ويالها ... وافت بهم نفوسهم آجالها
تحصنوا اذ عاينوا الاهوالا ... بمعقل كان لهم عقالا
وصخرة كانت عليهم صيلما ... وانقلبوا منها الى جهنما
تساقطوا يستطعمون الماء ... فأخرجت ارواحهم ظماء
فكم لسيف الله من جزور ... في مادب الغربان والنسور

لا جرم نجد في هذه الملحمة روح الشعر ! واذا الحقها ناقد بالنظم ، فقد ظلم ، وانا لنقرؤها فنرى بها من الوقفات الرائعة ما تجود به قريحة شاعر مليء ، فهو يتحدث عن انهزام قائد افرنجي فيصف المعركة في دقة ثم يقف بخياله عند القائد المنهزم وقد قتل ونصب مصلوبا في مدينته مع نفر من معاونيه اذ امتطى في صلبه مطية قائمة لا تبرح ، صائمة جامدة لا ترمح (١) يقف مباشرا للشمس والرياح يندب نفسه ويرثي بلواه ويحذر اصحابه من سوء مصيره اذ ورد موارد الخزي ونصب للناس مثال الفشل والتهور والخذلان ! كل ذلك يسوقه ابن عبد ربه فيقول في ابداع :

هو الذي قام مقام الضفيم ... وجال في غزاته بالصيلم
برأس جالوت النفاق والحسد ... من جمع الخنزير فيه والاسد
فهاكه من صحبه في عدة ... مصلبين عندنا بالسدة
قد امتطى مطية لا تبرح ... صائمة قائمة لا ترمح
مطية . ان يعرها انكسار ... يطلبها النجار لا البيطار
كأنه من فوقها السوار ... عيناه في كلتيهما مسمار
مباشرا للشمس والرياح ... على جواد غير ذي جماح
يقول للخاطر بالطريق ... قول محب ناصح شفيق
هذا مقام خادم الشيطان ... ومن عصى خليفة الرحمن
فما راينا واعظا لا ينطق ... اصدق منه في الذي لا يصدق!

ان وصفا بديعا كهذا يظلمه الدكتور هيكل حين يرى انه اشبه بالمنظومات التاريخية وهو الى تراثه التاريخي اقرب منه الى تراثه الفني ، ويسبقه استاذنا الدكتور احمد امين الى حكم قريب من حكمه العنيف حين يرى بالجزء الثالث

---

(١) وهي بعد مطية من خشب اذا انكسرت عالجها النجار لا البيطار ! ارايت ابدع من هذا !

من ظهر الاسلام ص ١١٩ ان الارجوزة اشبه ما تكون بالتاريخ المنظوم ليس فيها خيال ولا افتخار ولا شيء من ذلك !!

ثم يقارن ابن عبد ربه بابي طالب عبد الجبار فيرى ص ١٢١ ان ارجوزة ابي طالب اقرب الى الملحمة من ارجوزة ابن عبد ربه ! وهذا ما اعجب له كثيرا ...

لقد عاش ابو طالب عبد الجبار في عصري ملوك الطوائف والمرابطين واشتهر بالشعر حتى عرف كما يقول ابن بسام بمتنبي الغرب وهو وصف تنازعه معه الرمادي وابن هانيء وابن دراج فكل هؤلاء لدى مواطنيهم يشبهون ابا الطيب ! وقد نظم ملحمة تاريخية متأثرا بسابقه ابن عبد ربه دون نزاع حيث ان الارجوزة مدونة بالعقد ، وهو من الشهرة بالاندلس والمشرق معا بمكانة توجب على ابي طالب واضرابه ان يردوا مناهله ! ومع انها من ناحية الكم تقارب ملحمة ابن عبد ربه الا ان هناك فرقا اصيلا بين الملحمتين فصاحب العقد الفريد قد اختص الناصر بملحمته فلم يركض في غير ميدانه وبذلك اتسع المجال امامه للوصف البارع والاجادة اللافتة ، ولكن عبد الجبار بدأ ارجوزته بالتحميد والتسبيح وتعرض الى ما سماه مقدمات من ادلة المعرفة والاستدلال على الصانع تعالى من الصنعة وهو ضرب لا يتصل الى الشعر بسبب ـ بل هو بمتن الجوهرة او بمتن الخريدة في علم التوحيد اشبه ، كان يقول :

وقل بما يقول اهل الحق ... من مثبتي صفات رب الخلق
وادوات الحس يا من يفحص ... عن علمها ومن عليها يحرص
السمع والابصار ثم اللمس ... والشم والذوق فتلك خمس

ثم انتقل الى باب التفكر في الملكوت فتحدث عن الاجرام والافلاك والعناصر الاربعة حيث اطال ، ثم تطرق الى باب بدء الخليقة وذرء البرية فالم بحديث آدم وحواء وقابين وهابيل فاذا قال ما عنده انتهى الى الانبياء والمرسلين ثم الى الخلفاء الراشدين فخلفاء الدولة الاموية فما وليها من رجال الدولة العباسية حتى اذا ذكر ما شاء الله ان يذكر من اسماء الخلفاء والوزراء والاصهار والكتاب تعرض الى الدولة الاموية بالاندلس وتركها الى الحديث عن الفتنة الاولى بقرطبة ثم ملوك الطوائف بعد ذهاب دولة ابن عامر وامراء الجماعة بقرطبة ثم دولة المرابطين الى عهد علي بن يوسف بن تاشفين ! فيا لله من جهد جاهد ذهب في غير طائل لم تتخلله ومضة شاعرية او لمحة ادبية ! بل انصب القول انصبابا يذكرنا بالفيات ابن مالك وجلال الدين السيوطي وابن معطي ! ومع ذلك يقول استاذنا الدكتور احمد امين رحمه الله ان ارجوزة ابي طالب اقرب الى الملحمة من ارجوزة ابن عبد ربه ! يخيل الي ان الاستاذ رحمه الله حاول ان يقول العكس فسبق قلمه ، والا فهو من الفطنة والبصيرة والذوق بحيث لا يصدر عنه هذا الراي في بساطة مستغربة ! مهما يكن من شيء فقد ذكر ابن بسام ارجوزة ابي طالب بالقسم الثاني من المجلد الاول كما ذكر ابن عبد ربه ملحمته بالعقد فليرجع اليهما من يريد الموازنة عن عيان !

على أن هناك ارجوزة ملحمية اخرى للشاعر الاندلسي يحيى بن الحكم الملقب بالغزال وكان شاعرا مطبوعا يتشبه بابي فراس في افتنانه ونزعته الى التجديد ، ويقوم بالسفارة السياسية بين ملوك العرب والروم ، وقد اشار المقري في النفح الى هذه الارجوزة وذكر شيئا منها ! وان وجود اربعة اراجيز تاريخية بالاندلس لينبيء عن مثيلات لا نعرف عنها شيئا ، وهو مما يؤيد الاستاذ « ريبيرا » في شيوع هذا الضرب من الملاحم وانتشاره ثم في تأثيره فيما بعد في الادبين الاسباني والفرنسي معا .

وكان من المحتمل ان يتيسر هذا اللون في المشرق والمغرب معا على ان تكون الاندلس رائدته الاولى دون شك ، ولكن غفوة التجديد فيما بعد زوال الاندلس ! وطغيان المحاكاة في عصور المماليك وما وليها من عهود الانحطاط في الادب العربي قد قضى على هذا الاحتمال ، حتى جاءت النهضة الحديثة ، واحس الشعراء في اوائل القرن العشرين بسيطرة الاستعمار الغربي ومحاولته الجاهدة في اخماد الروح العربية والاسلامية معا ، وكان حاضر الدول العربية اذ ذاك من الاحتلال والسيطرة الاجنبية مما يدعو الشعراء الى التغني بالامجاد العربية الاسلامية القديمة كي يوقظوا الهمم ، ويبثوا الحمية في النفوس ! فانطلق شعراء هذه الحقبة يتغنون باعلام الاسلام وابطال العرب، تحدث حافظ ابراهيم عن عمر في قصيدته الشهيرة

حسب القوافي وحسبي حين القيها ... اني الى ساحة الفاروق اهديها

وتحدث محمد عبد المطلب عن الامام علي بن ابي طالب في علويته الرائعة :

ارى ابن الارض اصغرها مقاما ... فهل جعل النجوم له مراما
زهاه رونق الخضراء لما ... تلفت في مجرتها وشاما

وتحدث عبد الحليم المصري عن ابي بكر الصديق في بكريته الذائعة :

افضني ابا بكر عليهم قوافيا ... وامطر لساني حكمة ومعانيا
وقل لرسول الله لا يخز ذلتي ... اذا لم اكن فيه بقولي باديا

وكانت هذه القصائد الحماسية وامثالها تقال في حفلات عامة تنهض بها لجان محترمة تضم افاضل المصريين ، وقد راس بعضها شيخ شعراء مصر اسماعيل صبري ولعل من البديع ان نذكر ان الشاعر البدوي محمد عبد المطلب انشد علويته في حفل دائري بالجامعة وكان يركب جملا ويرتدي عقالا بدويا وملابس عربيا ، ويقود زمام مطيته عربيان صميمان احدهما عبد الستار الباسل عضو الشيوخ ! مما يصور حنين النفوس الى امجاد العرب ، وذكريات الاسلام!

اما شوقي ، فقد القى بدلوه في الدلاء ، ونظم ارجوزته المعروفة « دول العرب وملوك الاسلام » سنة ١٩١٩ ، وقد اجرى القول فيها على سنن ابن عبد ربه مما يشعر باحتذائه المتابع !! ولا ادري لماذا اكتفى شوقي في ملحمته التاريخية بالسرد التاريخي وحده ، وهو قدير على ان يبعث من روحه الشاعرية ما يجعل ارجوزته جديرة باسمه !! لقد كان لشوقي من ثقافته الغربية في فرنسا ما يدعوه الى ان يفهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هم باغنية

•

حمى شتاء .. وذراع وضيء .. ما الذي يمر بي في المساء ؟
على جبيني ظله الشوق . ما احلاه في ظلمة ذاك الرجاء !
كنت أسيح .. زورقي فرحة والآن امضغ ابتداء الشتاء
خلفت اتعابي على شطها وعدت ـ لا عدت ـ وراء الضياء
ما خلف خطوي ؟ ناشىء الحلم يا خطوي ! وما احبسه ؟ النداء ؟

* * *

الصحو أرضي . اي لون ارى ؟ يا للضباب يمرع الماوراء !!

بـرد

•

جزيرة طرية من دخان قصت جناحيها ... فكان الزمان !
الموت ؟ قنديل ... ولا قصة اجمل منه في زوايا المكان
الناس ؟ خلف قطرة من زجاج سمروا في عربات الثوان
امضغ اجراسا ، وفوضاي ، والصمت ، ونيرانا وراء العيان
... وخلني . موائني رممت بحارها . اكل عمري حران ؟
انا هنا اعرى . ولي لحظتي من الخروف وجهها واليدان !

يا صحو ، يا سكران ! من لا مكان ولا زمان ... جئت قبل الاوان !!

حلب **علي الزيبق**

من الملحمة غير ما فهمه ابن عبد ربه ! ولكنه يحتذي الشاعر الاندلسي غير عابىء بما تتمخض عنه الدراسات الادبية من بحوث ناقدة تحدد صلة الشاعر بالتاريخ ! وترى في استلهام الحوادث شيئا آخر غير السرد المتتابع ، والحكاية السريعة!! بل ان من الغريب ان تكون ارجوزة ابن عبد ربه اوفى شاعرية من ارجوزة شوقي ! ونحن نذكر منها نموذجا يعتبر من احسنها واوفاها اذ يتحدث شوقي عن وداع عبد الله ابن الزبير لامه قبل مصرعه ! ومع ان الموقف عاطفي مؤثر يقتضي من الشاعر ان يبعث حرارة ملتهبة في قوافيه الا ان شوقي كان قصاراه ان يقول :

وضاق عبد الله عن عبد الملك ورأيه الوفاء في الخطب الحلك
فجاء امه وتن كامه لعلها تحمل بعض همه !
فقال ما ترين ؟ فالامر لك للموت امضى ام لعبد الملك
فقالت اذا كنت لحق ثرثا فلا تخالف ما اليه سرتا
او كانت الدنيا قصارى همتك فبئس انت ، كم دم بذمتك
الحق باحرار مضوا قد احسنوا فالموت من ذل الحياة احسن

ولا تقل هنت بوهن من معي فليس ذا فعل الشريف الالمعي
انت الى الحق دعوت صحبكا فاقض كما قضوا عليه نحبكا
ولا تقل ان مت مثلوا بي وطاف اهل الشام بالمصلوب
هيهات ما للسلخ بالشاة الم ورب جذع فيه للحق علم !

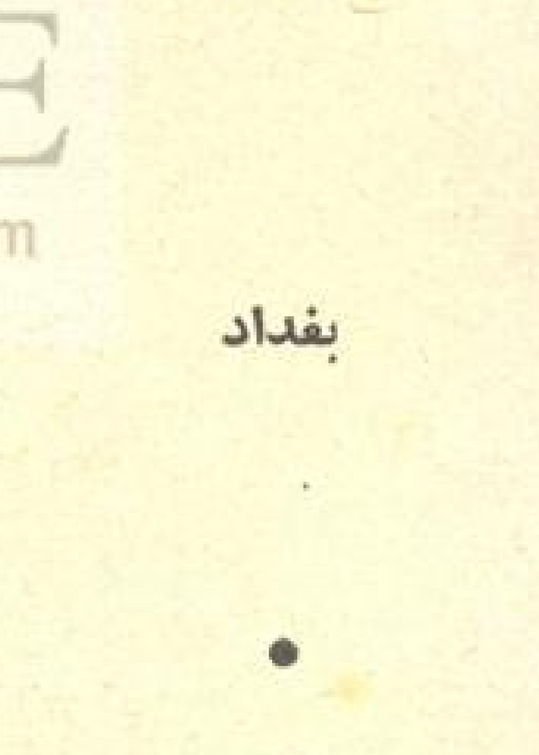
اما الشاعر الكبير الذي يمكن ان يذكر في هذا الموقف بالثناء والحمد فهو الاستاذ احمد محرم اذ نظم المواقع الاسلامية الاولى على عهد الرسول في الياذة ضافية تشمل اربعة اجزاء ، وقد كافاه الله على نيته فنهضت محافظة البحيرة بطبع الياذته والاحتفال بذكراه ، وهي الياذة قوية تمخضت بذرة الملاحم الاندلسية عن دوحتها المورقة ! ولبعض الناقدين ملاحظات على طريقتها ! ولكنها مع ذلك ابداع ملحمي فريد في الادب العربي ! وهو تطور طبيعي لخطوة ابن عبد ربه واضرابه ، فهي مما يذكر في هذا الباب مشيرا الى بعض الوان التأثر بين السابقين واللاحقين !

الفيوم ـ دار المعلمات **محمد رجب البيومي**

شرفة في القمر

صفاء الحيدري

بغداد



عش وانتظر
وانظر بساعتك البطيئة
حدق باحرفها المضيئة
فعسى .. لعل .. يدب .. يمشي
عقرباها
جـرب
عساهـا

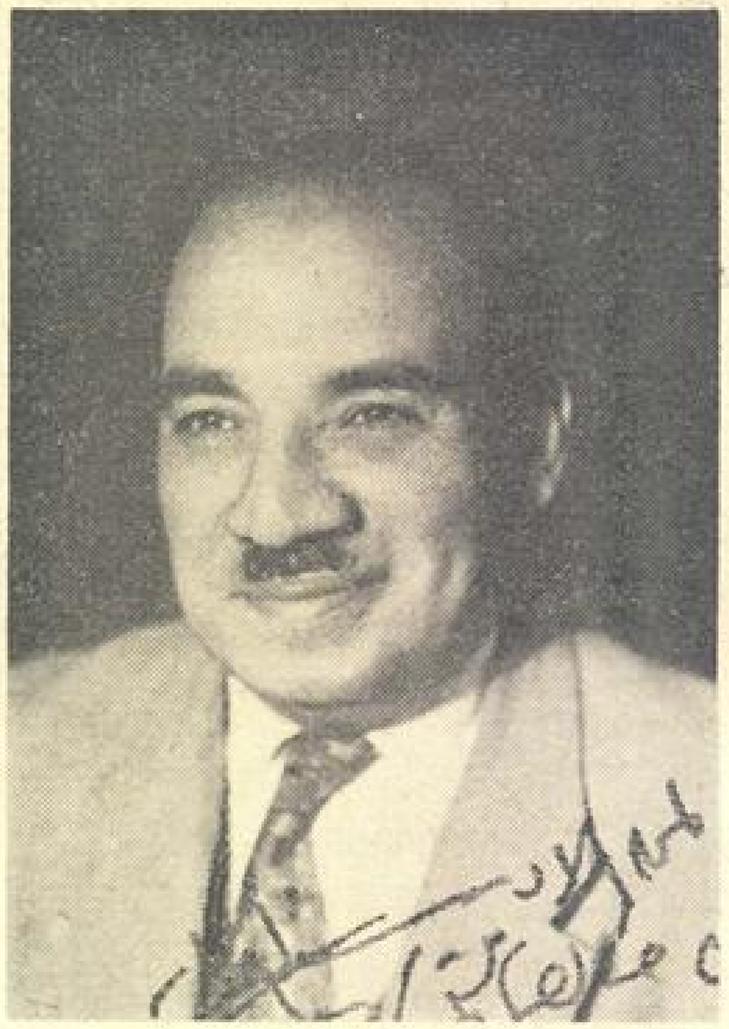
واحص الثواني والدقائق
واسمع كشحاذ صداها
واضرب وقسم محتواها
واجمع ولملم
ما تبقـى
سيكون ثروتك الخبيئة
في شرفة القمر الوضيئة

وامض امض .. شرق .. انطلق
وارسم خطاك هنا .. وثم
واسألني عم
انا جئت اصنع من ثرائي
مما سأترك للوراء
مما جمعت من الثواني والدقائق
من ثروتي الزمنية الكبرى
من الذكرى
تنفس في رقائق

افكارك ـ اتركها ـ جراثيم دقيقة
عاشت تهاجم كل آن من حياتك او
دقيقـة
عبثا تفتش عن حقيقة
ما كل ما تهوى يظل العمر يمنحنا بريقه
كل يشق له طريقه
كل يحاول ان يحرر نفسه ويفض ضيقه
يبقي يديه نظيفتين
ويعيش احدى اثنتين

مهما بحثت عن الشبابيك الصغيرة
في الليل .. في وادي النجوم
عن شرفة لك في القمر
سيظل يثقلك الحجر
وتفوض يوما بعد يوم
في .. ما يسمى بالضجر
في ذلك المستنقع اللزق العميق المعتكر
ويظل منك صدى يفمغم في الوجوم
ولا أثر
قد عاش اياما هنا .....
وانتحـر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



انور الجندي

يوسف عز الدين الطالب المفكر

بقلم انور الجندي

تتكشف صفحات الادب العربي المعاصر عن ملامح جديدة تضفي على كتابنا ومفكرينا قوة وحياة . وفي جميع اقطار الامة العربية اعلام كثيرون تزداد شخصياتهم عمقا واتساعا . وفي العراق يبرز سؤال هام بعد صدور كتاب « شاعرية يوسف عز الدين » السؤال هو : هل هو شاعر فحسب ؟ وعندي انه ليس كذلك ، وان يوسف عز الدين « مفكر عربي » ، له جوانبه المتعددة والشعر جانب من جوانبه . ولقد حاولت عبثا ان اجد في كتاب (خضر عباس الصالحي) عرضا لهذه الجوانب : جانب المفكر والناقد والصحفي .

اما جانب الناقد فيه فيكشف عنه كتابه الضخم « الشعر العراقي الحديث واثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه » . وكتابه « شعر العراق الاجتماعي » ، والتحقيق العلمي عنده تكشف عنه دراسته لمخطوطه «شعر الاخرس» والجانب الصحفي يكشف عنه اشرافه على مجلة الكتاب ومجلة « اقلام » .

وحياة الدكتور يوسف عز الدين لم تكن في يوم من الايام حياة شاعر ولكنها حياة مفكر عربي مكافح . عاش ايامه بين القاهرة ولندن وبغداد في جو الحركة الوطنية العربية مؤمنا بها. وقد كونته في الاصل بيئة العراق العميقة الايمان بالقومية العربية الصادقة اليقين بالوحدة والحرية . وفي خلال اقامته بالقاهرة حيث تلقى تعليمه الجامعي كان مرتبطا بالمعاني الوطنية ممثلة في امتزاج النيل والفرات والتقاء القاهرة وبغداد فلما قصد الى لندن لاعداد اطروحته عاش بقلب عربي في العاصمة البريطانية .

وآية ما يذهب اليه من كفاحه الوطني انه احيل الى المجلس العسكري ايام نوري السعيد وسجن لانه الف جمعية سرية لتحقيق الوحدة العربية .

ومهما قيل من اتساع نطاق شعره الوجداني والعاطفي فانه ظل يعبر عن مشاعره الوطنية في عديد من قصائده . من ابرزها قصيدته حرية الاوطان التي حمل فيها على الاستعمار . ولم يقف افقه عند بلده العراق بل عاش قضية الحرية في العالم العربي كله يتمثل ذلك في قصيدته « ايها النيل » وفي « الجلاء » وفي قصيدته عن مراكش واخرى عن الجزائر .

وحياة (يوسف عز الدين) صورة لهذا الايمان الصادق بالفكر ، فقد استطاع وهو المدرس الذي يعمل في احدى قرى العراق ان يكافح حتى يصل الى ارقى الدرجات الجامعية . وان يرقي الى مركز الصدارة في الجامعة العراقية والمجمع العلمي وجمعية المؤلفين والكتاب العراقيين . وقد لقي في هذا الطريق الطويل العنت والمشقة ، حتى انه في ذات يوم وهو في لندن وقد انقطعت الموارد ان يعود ولكنه حزم امره واحتمل وصبر حتى مرت الازمة ونجا من الفرار .

وبالرغم من اتصاله بالبيئات الاجنبية فقد ظل حفيظا على امانة امته العربية وقيمها ومقوماتها . ينبض بذلك شعره ونثره . وكلها تكشف عن طبيعته « المدرسة الوسطى » الصادقة الايمان بشخصيتنا العربية ذات الملامح الواضحة من ثقافتنا العربية الاسلامية الحية النابضة بالحياة ، وهو يفهم رسالة الاديب العربي فهما عميقا واضحا ، يفهم هذه الرسالة على ان الادب هو قائد الامة وموجهها نحو التقدم والخير والحضارة لانه الصدى الصادق لرغبات هذه الامة والسجل لتياراتها النفسية واتجاهاتها الفكرية .

وعنده ان الادب العربي ادب تطور مع الزمن في اسلوبه وحاجاته وطاقاته المختلفة . فكان خير هاد ونعم مرشد واجمل مصور لمآثر الشعب العربي واجوائه ومشكلاته .

وعنده ان هذا التطور قد ظهر عبر القرون واضحا فقد نهضت الامة العربية من سباتها وايقظتها قوى الاستعمار التي بدات تسحق امانيها وتلوك احلامها وتستهين بكل عربي وبكل مقدس لديها .

ويصور يوسف عز الدين كيف استطاع الادب العربي المعاصر ان يثير كفاحا مريرا ضد الفكرة الاوروبية التي تنادي « الفن للفن » . وكيف سار نحو خلق جيل مؤمن بأن رسالة الادب هي خدمة الشعب العربي والتعبير عن آماله وحاجاته الضرورية لان الفن جزء من حياة الشعب والشعب هو الذي يملي رغباته على الادب الشعبي الخلاق ليدعم النهضة الفكرية ويعيش في مشكلات الامة بكل

كيانه . ومن هنا اخذ الاديب يخرج من برجه العاجي الى تصوير صادق لحاجات الحياة وهو يرى ان الادب الخالد يستند بالدرجة الاولى على عمق التصوير وسعة الافق والموهبة الخلاقة . وان رسم البيئة المعاصرة بصدق وتصويرها بامانة وعمق وتفسير البطولة الشعبية الحقة تفسيرا صحيحا يكسب الاديب الخلود . ومن رايه ان الكاتب العربي هو ذلك الذي يملك العقلية الجبارة على تمثيل الجديد الذي يمر بحياتنا ويصور البيئة التي يعيش الانسان العربي فيها فيسجل حوادثها عميقة ويصور سكونها في واقعية .

وهو يدعو الاديب العربي لان يبني بناء راسخ الامكان للمستقبل العربي ويطالب بتوسيع نطاق ادب الاطفال بما يحقق لهم فهم الحاضر العربي وحتى تتسم حياتهم بالامل الباسم المشرق . وفي مجال النقد يقول : « لا مشاحة ان النقد في بلادنا متخلف لان رواسب الماضي التي تملأ نفوسنا بالحقد على ما اصابنا من محن وما عصف بامتنا من احداث وما اصابنا من جذع وعرى وخوف واضطهاد وركز في نفوسنا ثورة عارمة لم تكن تقدر على افراغها الا بعنف وقوة » من اجل ذلك يرى انه على الناقد الحديث دراسة مشكلات الادب الحديث وما تحتاجه الامة وما تتطلبه من امان عذبة وان تطبق عليه تجارب النقد الثوري الحديث في سبيل ازدهار النقد والتأكيد على الحاجات المساحة المعاصرة . وابراز الظرف العربي الحاضر لكي نفوز بتقدم نقدي » .

ورسالة الاديب عنده لا تقف عند هدم المثل القديمة من الذهنية الشعبية بل عليه ان يسير ليبني من جديد ، ويحمي الثورة الفكرية بدراسة كل شيء جديد في ظروفنا المتنامية ومجتمعنا المتوثب ، وعلى الاديب ان يحارب الظلم والتسلط في مختلف انحاء العالم العربي لان التسلط الفردي يقضي على الروح العربية الشماء التي لا تستكين الا للحق والخير . وما تغنت في احلامها الا بالحرية السمحة في مختلف نواحي وجودها ، والا يسمح الاديب العربي بعبادة الشخص مهما كان له من اثر في الحياة الفكرية والسياسة والادبية لان العربي الاصيل بطبعه يكره عبادة الافراد ولا يؤله الشخصيات . لان عبادة الشخصيات ليست طبيعة العرب انما جاءتهم من القيادات الاجنبية والحضارات الغربية » .

وليس اصدق دليل من اصالة الروح الوطنية للمفكر العربي في يوسف عز الدين من فرضه رسالة عن المعاني الوطنية في البلد الذي كان يحتل وطنه ويصر على عمله هذا . ويعد عمله هذا من اكبر اعماله في مجال الفكر والنقد وقد صور اتجاهه الى هذا العمل حيث بدا يراجع الصحف العراقية من صدورها ويتخذها قاعدته الاولى في البحث لان ما ينشر فيها لا يتغير متى اختلفت سياسة الحكومة واتجهت وجهة جديدة . ثم سافر الى البصرة ، ووجد في مكتبه باش اعيان بعض هذه الجرائد يقول « وكنت خلال عملي في تفحص الجرائد ابعث برسائل دورية للشعراء صغيرهم وكبيرهم ومغمورهم والمشهور منهم واتصل بمن اعرف منهم ـ واعرف جلهم ـ كما اعلنت اعلانات متنوعة في الجرائد والمجلات ولما انجزت ما قدرت على انجازه في العراق سافرت الى تركيا وبحثت في مكتبات الاستانة .

وذهبت الى باريس وفتشت في المكتبة الوطنية ومكتبة فرسايل وفي اثناء اقامتي في انكلترا بحثت في مكتبة المتحف البريطاني». وبعد ان اتم هذا الجهد الضخم في جمع الشعر العراقي الوطني ، بدا في الكتابة باللغة الانجليزية . فكانت مشقة جديدة وجهدا عميق الاثر وخير معبر لهذا الجهد ما كتبه لصديق في اول ايام وصوله الى لندن قال له : اكتب اليك والقلم يهتز فزعا من عميق مشاعري وحنيني الى الوطن وسأهتز منه فزعا عندما اكتب بعد ذلك باللغة الانجليزية . فقد كانت الترجمة وخاصة الشعر عسيرة علي لاني حاولت نقل احاسيس الشاعر كما اتحسسها ، على ان احافظ على الذوق الاوروبي فحاولت ان اترجم حرفيا فلم يكن المعنى واضحا ثم اردت ان اترجم المعاني . وكان من العسير علي ترجمة التورية والجناس والمحسنات اللغوية الاخرى بسهولة ويسر . واخيرا مزجته بين الطريقتين فاستقام لي بعض الامر ..

واشار الى اي مدى كان البحث شائكا فقد تعرض الى بحث الاقطاع والفقر والمرض والجهل . واثر الاستعمار وموقف الحاكمين فيه . وتقدم بهذا البحث الى جامعة انجليزية تحتل وطنه يقول « وانا عربي وابحث مشكلات وطني واكتبها للانجليز الذين سيقررون مصيري ومستقبلي . وطالما نصحت ان ترك هذا البحث وان لا اتطرق الى هذه المشكلات وان اخفف من حقيقتها ولكني ابيت الا المضي في الطريق السليم وابراز الحقائق » .. وكان هذا منه غاية الشجاعة الادبية في مجال الفكر .

وهكذا تتكشف صورة طالما اغضى عنها الباحثون ، هي صورة يوسف عز الدين « الكاتب المفكر » بعد ان شغل الناس طويلا بشخصية « الشاعر » .

القاهرة **انور الجندي**

اعلنوا في

الاديب

المجلة التي تتداولها الاوساط
الاكثر استهلاكا لجميع الحاجيات

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

الشيخ خليل الخالدي

بقلم البدوي الملثم

* * *

ولد في بيت المقدس عام ١٨٦٣ وكني (ابا الوفاء) الخالدي المخزومي الديري ، وتعلم في الازهر واغترف منه كثيرا ، ومن شيوخه فيه وقتئذ الشيخ الشربيني ، شيخ الجامع الازهر

وذهب الخالدي الى الآستانة وتخرج من مدرسة القضاة وتقلد الوظائف فيها وعين عضوا في تدقيق المؤلفات والمصاحف ، وولي قضاء حلب سنة (١٣١٩ ـ ١٣٢١ هـ) (١٩٠١ ـ ١٩٠٣ م) واشتهر كفقيه من فقهاء الحنفية وكهاو للمخطوطات والمدونات والآثار العلمية والفكرية التي خلفها الآباء والاجداد ومعرفة اماكنها .

وولع الشيخ خليل بالرحلات الطويلة الشاقة ، وبلغ به ولعه في هذا المضمار الى حد انه استطاب شد الرحال الى العالمين العربي والاسلامي شرقا وغربا ، وطاف في دور الكتب القائمة في العواصم الاسلامية والعواصم الغربية ووقف على ماضي تلك الخزانات وما احتوته من كتب مخطوطة وآثار محفوظة ونسخ شاردة ، واجتمع له من هذا كله انه اصبح ثقة العالم الاسلامي في التراث العلمي الاسلامي الممثل في الكتب والمدونات والسجلات والمكتبات والكراريس والمخطوطات ، فكنت اذا سألته سؤالا عن كتاب من الكتب الشهيرة تراه جلس جلسة العالم الفاضل وكثيرا ما كان يقبل عليك ، وقد وضع عمامته اللطيفة ، محنية قليلا الى الوراء ، حتى برزت جبهته المهيبة ، وطلعته الجذابة ، ثم اخذ يسرد عليك ان ذلك الكتاب توجد منه نسخة في محل كذا .. وهي اصلية او غير اصلية ، وتوجد منه نسخة اخرى في الآستانة او القاهرة او القيروان او اسبانيا او دمشق او العراق او المدينة المنورة او غيرها من الاماكن .

ثم لا يقف ذلك الشيخ الجليل عند هذا الحد من السرد ، بل كنت تراه يشير الى محتويات ذلك الكتاب ، واذا كان للكتاب الواحد نسخ مختلفة يدلك على الفرق بين هذه وتلك ، كل ذلك بعبارة لينة وكلام عذب وناسوت يملأ قلبك اعجابا واكبارا .

وكان الشيخ الخالدي ، رحمه الله ، يذهب الى اكثر من هذا الحد ، فقد كان يدلي برأيه في ان الكتاب الفلاني يجب ان يطبع وينشر لان مميزاته على الكتاب الفلاني هي كيت وكيت ... ثم يأخذ بالتفصيل حتى لا يترك شاردة او واردة تفوتك .

ومن دواعي الاعتزاز والذهول ان الشيخ الخالدي كان يجيب بكل هذه المعلومات عن ظهر قلب عفو الخاطر ، ومن حافظة لا يعلم الا الله كم تعي من العلم والاجوبة ، وهذا لعمري هو العنصر الاثمن والانفس في مادة العلماء الحقيقيين امثال الشيخ خليل .

وكان في وسعه ، رحمه الله ، ان يجعل اي مكان هو فيه مجلسا من مجالس العلم والمذاكرة ، وهو يذكرنا بكثير من فلاسفة اليونان الذين كانوا يعقدون حلقات العلم في الاندية والساحات العامة وفي الطرق وفي كل مكان .

والعالم الحقيقي ، في اعتقادي ، لا يتقيد بقيود ثقيلة لاشاعة العلم وبثه في الناس ، الم يبلغك ان السيد جمال الدين الافغاني كان يعطي معظم دروسه ، وينشر اطايب احاديثه في بيوت اصدقائه ومنازلهم في القاهرة ؟!

واذا علمت بان الاسلام الصحيح : علم وعمل او عقيدة وسعي او دين ودنيا او نفس وآخرة علمت كذلك ان العلم في الاسلام ملاصق العقيدة الاسلامية منذ اول تكوينها ، والشيخ الخالدي كان في نظري مثالا صادقا كاملا لرجال السلف الصالح ، فكنت اذا لقيته وجلست في مجلسه لقيت منه شلالا من العلوم منهمرا ، وصدرا وعى من العلوم شيئا عظيما ، تسأله عن المسألة في باب من الابواب ، فيؤدي الجواب اليك بكل تواضع وتؤدة ، مفصلا لك ما تريد ، مدققا فيما يعطيك ، ملما بالمسألة من سائر اطرافها !

وكان بذلك الشيخ الوقور الذي جاذبته حبل المراسلة وعرفته عن كثب ، قد خلق ليكون عالما اسلاميا في هذا العصر على طراز العلماء القدامى الذين حفظت لنا الكتب تراجم احوالهم ، وشرحت لنا مزاياهم وخصائصهم ، واشارت الى طراز حياتهم ، وحبهم للعلم وشغفهم به وتحملهم المشقات في سبيل تحصيله ، وشعورهم بامانة العلم التي في اعناقهم ، ويا لها من امانة كبرى !

وبكلمة موجزة كان العلم في صدر الشيخ خليل الخالدي غير محصور ولا مقيد ، وانما كانت العلوم التي اختزنها في صدره للعرب والمسلمين جميعا !

وولع الشيخ خليل بالاندلس ، وكان ولعه بها شيئا عجيبا ، فقد رحل اليها رحلتين كانت الثانية في عام ١٩٣٢ ، ووقف في مساجدها وجوامعها وعلى رأس العمامة او التاج العربي ، واستنطق آثارها ، واستقصى اخبارها ، وبعد ايابه من هذه الرحلة اهدى اصدقاءه رسمه وهو سائح في الاندلس المضاعة .

وبعد ان طوف هذا الشيخ الجليل بالبلاد العربية والاقطار الاسلامية واسبانيا عاد الى بيت المقدس واستقر فيه فترة وشغل منصب رئاسة محكمة الاستئناف الشرعية ، واشرف على ترتيب المكتبة الخالدية ، في باب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بين عامين

●

بين عام مضى وعام جديد بسمة فوق دمعة في الخدود
بسمة للنجاة من قدر الموت ودمع على الليالي السود
كل يوم يمر تزحم خطوي خطوة تقتفي طريق اللحود
ذاك عام مضى بهم قديم ثم يأتي عام بهم جديد
ولو ان الزمان يسمع صوتي لشكوت الزمان جور الوجود
كلما سرنا خلفه يتوارى ثم يبدو لعيننا من بعيد
وشجون منوطة بشجون وقيود موصولة بقيود
حسرة ثم لهفة وشقاء وهموم ما بعدها من مزيد
ورياء وخدعة ونفاق وجحود ما مثله من جحود
وحياة مليئة بالمآسي لا ارى في الانام شبه سعيد
هات لي العود والكمنجة والكاس لاحسو على تناسي وجودي
فضجيج ونشوة وجنون فارقصي يا سماء، يا ارض ميدي
بين كاس ومتعة ونديم وحضور « ممشوقة » وقدود
ترهات هذي ووهم ظنون تتراءى في مقلة العربيد
فغنى متخوم زاد لهو وفقير يرجو فتات الثريد
رب ليل لمحت فيه صباحي ونحوس لمحت فيها سعودي
رب عيد فيه التناقض باد فاضحكي يا شفاه يا عين جودي
رب عيد فيه المناحة قامت اي عيد بالله قل اي عيد

زحلة ـ لبنان **رياض معلوف**

السلسلة ، فانتعشت في عهده وانسابت الحياة الى رفوفها .

اما مكتبته الخاصة به وتضم كتبا نفيسة ومخطوطات نادرة فلا تزال حبيسة في بيته الكائن بالقرب من درج الفوارنة ، خارج الركن الشمالي الغربي من الحرم الشريف .

واشتهر الشيخ الخالدي بخطه البديع الذي تحسبه لاول وهلة رقا مطبوعا طباعة انيقة ، ولا زلت احتفظ ببعض رسائله بين اوراقي التي نجت من عبث العابثين ابان الحرب الفلسطينية .

وفي عام ١٩٤١ عاد الشيخ خليل الى القاهرة ، حاضنة علماء السلف الصالح الذين زينوا الحضارة الاسلامية جيلا فجيلا ، وقرنا فقرنا ، وتوفي رحمه الله في شهر رمضان المبارك من ذلك العام فخسر به العالمان العربي والاسلامي عالما موسوعيا فذا ، وربح التاريخ اسمه ، وهو بين دفتيه عالم جليل من كبار علماء المسلمين .

آثاره القلمية : وترك الشيخ الخالدي طائفة من المؤلفات اهمها :

١ ـ الاختيارات الخالدية في الادب (نحو ٣٠ كراسا)
٢ ـ حدود اصول الفقه .
٣ ـ رحلتي الى بلاد المغرب والاندلس .

وقال احمد بن محمد الهواري في كتابه (معجم الشيوخ) ان للشيخ الخالدي مذكرة في نحو خمسين جزءا جاء فيها على ذكر الكتب والمكتبات التي زارها .

عمان **البدوي الملثم**

ام البنين الفهرية

بقلم ناجية ثامر

من المعلوم ان اول اسرة حكمت البلاد الافريقية وتمتعت باستقلالها الداخلي بعد الفتح الاسلامي ـ هي دولة الاغالبة ـ وقد استطاع رئيس هذه الدولة ومؤسسها ابراهيم بن الاغلب التميمي ان يستقل عن الدولة العباسية في عهد هارون الرشيد ، فترك له الخليفة العباسي تصريف الامور ، لما عرف عنه من الشجاعة والهمة الشماء وحسن التدبير ...

وتعاقبت الاسر العربية التي حكمت افريقيا ، فكان هم امرائها ان يقيموا العدل ويحسنوا تسيير الامور ، ويقوموا بالرسالة التي على كاهلهم خير قيام ، وهي التبشير بالمساواة ودين الحق والاسلام . وكان الفتن اذ ذاك تعم البلاد والقبائل في تناحر لا تكاد تقوم قائمة لاحداها حتى تناهضها الاخرى وتتغلب عليها ، فكان الافراد والجماعات يعيشون في ذعر شديد ، لا يعرفون لذة العيش ولا طيب الرقاد ، ولا يعلمون المصير المظلم الذي يهيئه لهم يوم الغد .. فأمسك ابراهيم بن الاغلب زمام الحكم بيد من حديد ، واخذ يعمل على نشر الامن والامان ، وبث السلام في نفوس السكان ، وبدات افريقيا تفتح عينيها على حياة جديدة ، وتأخذ مكانا ممتازا على سطح الكرة الارضية ، وتحس بوجودها بعد ان عاشت في العبودية المظلمة والرق في عصور الرومان الذين كانوا يمتصون دماء الشعوب التي يحكمونها وتتخلص من السيطرة الغاشمة وعبادة الاوثان .

وتوطد الحكم لبني الاغلب وامتد سلطانهم على افريقيا الشمالية ، وجزائر البحر الابيض المتوسط وانبسط من الجزائر الى طرابلس الغرب ، وبدات هذه الدولة الافريقية العربية تصعد بسرعة الى اوج المجد والازدهار .. واخذ كل فرد من الافراد يحس بوجوده وشخصيته ، بعد ان دان بدين النبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم وآمن برسالته ... أفليس هو الذي نادى بامته ؟؟ ليس من فضل لعجمي على عربي الا بالتقوى ، فقضى بذلك قضاء مبرما على التفريق بين العناصر ، ومنع التمييز بين الطبقات ولم يعد لاي فرد الا ان يباهي بتقواه وحسن فعله ...

فلا المال ولا علو المركز ولا عراقة الاحساب التي كانت توضع في المقام الاول بين الطبقات وتميز بين عنصر وعنصر ، وتسمح للابيض بامتهان الاسود والنظر اليه كما ينظر للحيوان الذي يشترى بالمال ويباع في الاسواق ، ويضرب ويقتل بدون خشية ولا عقاب ...

هذه التقاليد المجحفة قضى عليها الاسلام قضاء مبرما ، وصار لاي مسلم كان في اية ناحية من نواحي الارض ان يرفع صوته حين يكون على حق في وجه اعظم الناس ، ليعبر عن رايه ويجاهر بحقه الذي اصبح يتمتع به ..

وكانت هناك دولة عربية اخرى تحاول هي ايضا ان تستقل بالحكم في المغرب الاقصى ، وهي دولة الادارسة العلويين ، وبذلك كان الشمال الافريقي منقسما قسمين ، قسم يمتد من طرابلس الغرب وتحكمه اسرة الاغالبة ، والقسم الثاني ينحصر في المغرب الاقصى برئاسة الامير ـ ادريس الاصغر ـ وفي عهد هذا الامير اخذت وفود العرب ترد على بلاد الغرب من الاندلس والشرق ، وخاصة من القيروان ، التي كانت تتلقى الوفود العربية ، ومنها تتفرق هذه الوفود وتتوزع على شمال افريقيا كلها . وكان الامير ادريس يرحب بهذه الوفود المتقاطرة ويكرمهم اكراما عظيما رغبة منه في تعزيز ملكه ، ويدنيهم منه ، وبلغ من اكرامه لهم ، انه ابتنى مدينة أخرى لتكون مركز ملكه وجامعة خاصته ، وهي مدينة فاس ، بعد ان ضاقت العاصمة الاولى ـ وليلى ـ بالوفود الواردة من القيروان والاندلس، وكلهم ينتمون لبطون عربية صميمة .

وقسم العاصمة الجديدة قسمين يفصل بينهما نهر سبو ، وسمى القسم الاول ـ عدوة القرويين ـ لنزول العرب الوافدين من القيروان فيها ، ودعا القسم الثاني ـ عدوة الاندلس ـ لسكنى البطون الواردة من البلاد الاندلسية . وانتقل ادريس لعدوة القرويين وبنى قصره هناك وكانت مدينة فاس الجديدة محاطة بسور ضخم ، وفيها الدور والحمامات والاسواق والقصور والبساتين .

ونزحت ام البنين الفهرية الى المغرب الاقصى ، وكان اصلها من القيروان ، وابوها هو محمد الفهري ، واسمها الحقيقي فاطمة ، اما اسم ام البنين فهو كنية لها .

ونزلت في عدوة القرويين واشتهرت بالتقوى والاصلاح والعلم والادب ، وتزوجت هناك ، ولكنها ترملت بعد حين قصير وورثت مالا وفيرا فعزمت على انفاقه في وجوه البر والاحسان ، واعتمدت بناء جامع فسيح في عدوة القرويين ، الذي لا يزال موجودا لحد الان ، وهو جامع القرويين الشهير ، الذي اصبح اكبر كلية عربية في البلاد المراكشية ، ومن اعظم معاهدها الدينية ...

اشترت ام البنين ارضا واسعة قرب منزلها وارادت ان لا تأخذ مواد البناء الا من الارض التي اشترتها بمالها الحلال ، فحفرت كهوفا لاستخراج الرمل الاصفر والحجر والجص ، وحفرت اسسا عميقة في الارض ، فجاء المسجد محكم البناء فسيح الارجاء ، ذا رونق وبهاء ، وجعلت في صحنه بئراحلوا للشراب . وصامت من اليوم الذي بدىء فيه بناء المسجد الى ان تم ، فكانت اول من دخل المسجد للصلاة وشكر الخالق على نعمه .

وامضت ام البنين حياتها متعبدة ، لا تني عن عمل الخير ومعاونة المساكين ، وكان بناؤها للمسجد حافزا لغيرها على انتهاج منهجها من الاثرياء واكابر الرجال ، ولم يجعل

تأملية رقم ٧

هذا الغريب العاري الصدر
الرحالة التائه على الدروب
يعلـق عينيه ابـدا
على جفون الآفاق المحمرة
كئيبا يبدو هذا الغريب
الاشواك الصلبة التي على الدروب
الاشلاء المينة على الجنبات
والعرضات التي تسد المفارق
تفشي زهر الربيع

الحب المحفور على اوراق الخريف
الازهار الملوية الاعناق
الارض المحروقة
والقمر الملطخ بالاوحال
هي لوحة ايامه متحجرة لحد القسوة
ايتها الكائنات الملائكية
يا من تحملين اقراطا من نحاس صديء
كم يبدو مغريا

هذا الشدو البديع للحن حياة لا تصحو !
ان الفرح المدفون في اعماق هذا الغريب
يكفي لمسح كل احزان الخلائق
منـذ ابتداء المحسوس
تيهي انت ايتها الابعاد الكبيرة
تيهي مع الجهل
مع الفقر
مع الضيـاع
فالاوتار العتيدة التي لا تذوب
هي التي تعزف نشيد حواشي الليل
وهي ابدا بعد ذلك
ستشدو من حزن الآخرين
فـرح الوجود
هـذا الغريـب
آفاقـه
ودروبـه
ابدا تعطرها ازهار الحياة

زكريا كايا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المسجد للعبادة فقط ، بل كانت تلقى فيه الدروس الدينية والخطب الشرعية وتدرس فيه العلوم على اختلافها ، حتى صار من اكبر المعاهد العربية .

ويذكر التاريخ بأنه كانت لفاطمـــة اخت تدعى مريم ، سارت سير اختها ام البنين ، وبنت بدورها مسجدا في عدوة الاندلس وبذلك انشيء في فاس مسجدان متقابلان ، احدهما في عدوة القرويين والاخر في عدوة الاندلس من مال الاختين فاطمة ومريم ابنتي محمد الفهري القيرواني .

وبدلا من ان تعيشا حياة بذخ وترف بالمال الذي ورثتاه فكرتا بعمل مفيد ، وذلك بانشاء مساجد تقام فيها الصلاة لذكر الله ، ويتلقى الطلبة فيها العلوم ويتثقفون ...

وهذا برهان على ان المراة كانت تتعاطى شتى الاعمال ، وتحكم في كثير من الامور ، وكان ذلك في مطلع انتشار الدولة الاسلامية ، وكان العلم منتشرا بين جميع الطبقات، وخاصة في الطبقات الثرية ، وكان المسلمون يسعون لعمل الخير ، واقامة صرح الاسلام على اسس قوية ..

ثم بدات الفتن تعمل عملها ، وتدخل الاستعمار ليقضي على المبادىء السامية التي تعمل في النفوس فاخذ الاثرياء لا يفكرون الا بانفسهم ، ولا ينفقون الاموال الا على ملذاتهم الدنيوية ، ولم يعودوا يتحملون النصـــب والجهد ليتعلموا ويتثقفوا اتكالا منهم على الاموال الجسيمة التي يرثونها من آبائهم بدون عناء ولا تعب ، فعظم الجهل بينهم ، وتفشى في وسطهم الفساد ، واخذ اولاد العامة يتعلمون ويتقدمون للامام ، بينما بقي ابناء الخاصة في خمول تـام .. حتى اذنت الساعة ، وظهر الحق وبان .. وعاد الاسلام ليحكم بحكمه العادل ويضع الحق في نصابه ، ويعطي لكل مجتهد نصيبـه ...

فليس هناك احساب ولا انساب ، ولا ثروات ولا الوان .. هناك اعمال وتقوى واجتهاد .. فكل من عمل واجتهد واتقى ربه يجتاز الصفوف ويتقدم للامام وان يكون من ابناء العوام ...وكل مـــن بقي خامـــلا كسولا ، ولا يأبه الا بالملذات ، يتراجع الى الوراء ، وتدفعه الصفوف المندفعة المشتعلة حزما ونشاطا وتدوسه الاقدام ... ولا يغنيه اذ ذاك مال ولا نسب ولا حسب ، ولا ينفعه الا ما قدمه من افعال واعمال ..

والكثيرون ينالون جزاءهم في هذه الدنيا ، قبل الاخرة ، والتاريخ لا يشيد الا بذكر العاملين المجتهدين الذين يضعون مصلحة الامة قبل مصلحة نفوسهم ، لا فرق في ذلك بين ذكـــر وانثى ...

تونس **ناجية ثامر**

سفينـــة نـــوح

بقلم مارتن ترنل

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

« حينما كنت صغيرا جدا كنت لا اجد في الكتاب المقدس كله شخصية انكى حظا واتعس مصيرا من نوح لان الطوفان جعله سجينا في السفينة اربعين يوما . ثم ان المرض ما برح ان اخذ بتلابيبي اياما كثيرة بغير انقطاع حتى اضطررت انا نفسي ان ابقى في السفينة . وعندئذ فهمت ان نوح لم ير العالم احسن مما رآه من السفينة ، على الرغم من كونها كانت مغلقة والظلام يسود الارض » بروست (المسرات والايام) .

ولد مارسيل بروست في باريس في العاشر من تموز سنة ١٨٧١ وهو اكبر ابنين لوالديه . انحدر والده من اسرة كاثوليكية ريفية متوسطة الحال . فكان الدكتور ادريان بروست اول واحد من الاسرة يترك مسقط راسه (ايليه) بحثا عن نصيبه من السعادة بباريس حيث اصبح هناك جراحا يشار له بالبنان . اما ام بروست فهي من اسرة (ويل) اليهودية الغنية .

كتبت مدام دي غرامون عن الكاتب القاص قائلة : (كان على هذا الكائن الصغير ان يتضمن نكهة آل بروست الايليين وروح الكتاب المقدس باسره الذي يتمثل في اسلافه من جهة والدته) (١) واكبر الظن ان امتزاج الاعراق قد لعب دورا حاسما في تكوين شخصيته وتطوراته . فمن والده استمد شعوره بفرنسا التأريخية وهو الشعور الذي يضفي على قصته طابع القوة والتماسك ، واستمد من والدته حساسيته العصبية الرقيقة النادرة وربما اهتمامه بالشؤون التي تخص القبائل والجمعيات .

وعلى الرغم من اختلاف الراي فان بروست ظل لصيقا بوالديه ولم يترك دارهما الا بعد وفاة والدته سنة ١٩٠٥ بعد سنتين من وفاة والده . وعلى اي حال ، كان ــ في جوهره ــ ابن امه ، كما كان اخوه روبير ابن ابيه ، وتأثير اسرته هو التأثير البارز في القصة برمتها . سئل ذات مرة في الرابعة عشرة من عمره هذا السؤال : (ما رايك في التعاسة ؟) فاجاب : (التعاسة هي فراق ماما) .

كان يحب والدته محبة شديدة ، ولذا فان موتها اصابه بحزن عظيم طيلة حياته . وفي التاسعة من عمره بدات هجمات مرض الربو الاولى وقد عانى منها ما عاناه في حياته باسرها . ان سوء صحة بروست كانت دائما سرا من الاسرار . ثمة ميل في بعض الاوساط يعده شهيدا طوال العمر للربو ، لكن الشك يلازم مثل هذا الراي فيتردد في اعتباره صحيحا تمام الصحة .

(يكتب ناقد امريكي قائلا) لا شك في ان هذا الربو كان اضطرابا عصبيا ومن المسموح للمرء ان يفترضه تدبيرا او حيلة عاطفية اكثر من كونها سبب غرائب مزاجه . فقد مكنته في الطفولة من المطالبة بالعطف الزائد الذي كان يرغب فيه من والدته خاصة ، كما يسرت له عذرا يلتمسه لتبرير عاداته الغريبة في اواخر حياته ، تلك العادات التي لم يرد ، ولا شك ، تركها . لكن المرض كان مرضا حقيقيا ومع ذلك فهو يشير الى الخطوة الاولى في العزلة التدريجية من الحياة الفعالة التي كان المفروض منها ان تكوّن وجوده الخارجي . فالصغير مارسيل ــ وهكذا عرف حتى يوم وفاته ــ لم يستطع الا ان يصنع حياته الخاصة ، لانه بالبداهة لم يستطع الاسهام في حياة اترابه واقرانه (٢) .

يبدو كثير من الحق في هذا التحليل . كان بروست رجلا مريضا حقا . لكن المرء لا يسعه الا ان يشعر ان تطور مرضه آن لم يكن منشؤه ، له غرض مقصود بعض الشيء. فاعتزاله العالم كان ضروريا لكتابة ذلك الضرب من الفرائد التي كتبها فعلا ، ومن باكورة حياته عد نفسه انسانا ذا رسالة ، وهذا ما ينبغي لنا تذكره . لقد احب العالم الاجتماعي ولكنه حالما جمع (المادة) التي يريدها ، ربما شعر بالحاجة لتبرير انسحابه من هذا العالم لنفسه .

وهذا راي يبدو انه مؤيد من قبل راي احد المختصين الذين اعتنوا به : « طلبت مشورة موهلين (وقد وجدناه مكبا على تحبير احدى رسائله) . هذا الطبيب وصنوه « منسيان » يعدان احسن الاطباء . فاخبرني ان الربو اصبح عادة عصبية وان الطريقة الوحيدة لمعالجته هو الذهاب الى مؤسسة تناويء الربو في المانيا حيث يمكن القضاء على عادة الربو التي تنتابني (قلت ساحاول) لكني ، حقا لن اذهب ! كما يقضي المرء على عادة المورفين في المدمنين عليه كذلك كانوا يريدون ان يفعلوا به » (٣) .

درس بروست في مدرسة ليسيه كوندورسيه والسوربون . والظاهر هو ان مدرسة كوندورسيه كانت من اكثر المدارس الشهيرة سمعة وتهذيبا . كان النظام لينا، لينا كثيرا لاباء بعض التلاميذ ــ وكان الاساتذة اذكياء لوزعيين فضلا عن حياة ثقافية وفيرة . وهناك صادق روبير دي فلير وجاك بيزيه ودانيل هاليفي وليون برونزويك واصدر بالاتفاق معهم مجلة الكلية . وهناك ايضا ، على حسب اقوال مؤرخي سيرته ، اخذ اسلوبه المشهور طابعه الخاص ، وهذا ما سر احد الاساتذة الاذكياء ، واثار فضيحة مفتش اخم وذلك بمناسبة استدعاء بروست بصفته الطالب

---

(١) مارسيل بروست (باريس ١٩٤٨) ص ٩ . (٢) جوزيف وودكرج في كتابه (خمسة اساتذة) . (٣) من كلام المترجم . (٤) مارسيل بروست . حياته وعمله . (باريس ١٩٣٥) ص ١٨ . (٥) المصدر السابق نفسه . (٦) المقصود بها قصة (البحث عن الوقت الضائع) المترجم . (٧) المقصود به كتاب (المسرات والايام) المترجم . (٨) من كلام المترجم. (٩) ما له صلة ببروست (باريس ١٩٤٧) ص ٤١ ــ ٤٢ . (١٠) دفتر اليومية ــ اندريه جيد ص ٦٩٤ . (١١) كتاب القرن العشرين . أ . بوشيه . (١٢) في كتابه Le Sabbat

الفائز بالجائزة لقراءة مقالته الاسبوعية عند زيارة المفتش المذكور آنفا . وفي تلك المدرسة ايضا اهتم بروست لاول مرة بالتاريخ الطبيعي ، هذا الاهتمام الذي كان له اكبر التاثير في اسلوبه الناضج .

طلب ابو بروست منه ان يدرس القانون او الدبلوماسية وقد فعل ذلك في الجامعة اذ درس القانون والعلوم السياسية . غير انه لم يظهر الا أقل اهتمام بهذه الموضوعات وعلى الرغم من بعض المعارضة من قبل والديه اتفق في الاخير على الا يمتهن مهنة ما .

ومن العسير القول ان الجامعة لعبت دورا مهما اهمية (الليسيه) في تكوينه الثقافي . ولكنه تعرف هناك بشخصية مهمة ، اذ التقى ببرجسون الذي ظهر كتابه « مقالة في معطيات الضمير » سنة ١٨٨٩ . وقد ذهب لاستماع بعض محاضراته التي اثارت اهتمامه بالقضايا الفلسفية . وهذه الصلة قويت بين الرجلين بعد حين اذ تزوج بيرجسون الانسة نوبرجية قريبة بروست من جهة والدته . كانت اسرة بروست على حظ وفير من رغد العيش وهذا ما جعله يستذوق طعم الحياة الاجتماعية من دور نقاهته .

يكتب ليون بيير كوين قائلا : « اننا نجده في الخامسة عشرة من عمره جالسا في صالون مدام شتراوس كأنه خادم مطيع صغير بين قدميها ... اما شخصيات الجمهورية الثالثة البارزون الذين كانوا معتادين زيارة سيدة الدار فكانوا لا يبخلون باهتمام دقائق قلائل يضفونها على محبوبها الشاب مقارنين بينه وبين الامراء الايطاليين في قصص « بول بورجيه » . اما في بيته فكانت مرآته مؤطرة ببطائق الدعوات . كما ارسلت اليه عاهرة مشهورة بكتاب مجلد بقماش حريري اقتطعته من احد فساتينها » (٤) .

والكاتب نفسه يمدنا بلمحة اخرى عنه وهو في العشرين من العمر : « كانت عيناه واسعتين سوداوين براقتين، فضلا عن جفنين ثقيلين ميالين بعض الميل الى جهة واحدة . اما وجهه فكان يعبر عن ارق ما يكون اللطف الذي يتعلق للحظات طوال بالشيء الذي يمعن النظر اليه . وصوته ، انه كان ارق من وجهه لطفا ، مع شيء من البطء في الكلام حاد التكلف لكنه استطاع تجنبه . كان له شعر اسود خفيف كثيرا ما اخفى جبهته وهو شعر لم يعله الشيب قط . ان العينين ، هما على ما يبدوان ، يثيران اهتمام المرء ، فهاتان العينان الواسعتان اللتان تحيط بهما دائرتان بنفسجيتان تعبتان واهنتان مدنفتان بحب الوطن ، متحركتان بسرعة ، تظهران كأنهما تتحركان متتبعتان افكار المتكلم السرية . كانت الابتسامة المستمرة ملازمة لشفتيه ، بعد تردد وترحاب وسرور . كان كابي السحنة غير صقيل، مع طراوة وتفتح عهدئذ . وعلى الرغم من شاربه الصغير الاسود ، فهو يذكرك بطفل عظيم كسول يعرف سني عمره جيد المعرفة » (٥) .

اعتاد في شبابه اكرام وفادة اصدقائه بسخاء كثير ، في دار والديه او في اغلى المطاعم . وفي هذه المناسبات كان يتناول وجبة طعامه قبل تناول اصدقائه لطعامهم ، حتى يجد الوقت الكافي للكلام والحركة حول المائدة ، والجلوس بجانب هذا الضيف او ذاك . يقول بيير كوين « عمل خياله استنادا الى المعطيات الملموسة وتحت سيطرة ملاحظاته » . وهذا ما هو واقع فقد استخدم طريق الملاحظة لرصد ملامح ومظاهر اصدقائه ، هذه الطريق التي قدر لها ان تمده بالعون في كتابة قصته . ثم انه اعتاد كتابة بعض الهوامش على نتف من الورق لتعينه في المستقبل . ثم اصبح ممثلا بالاشارات مشهورا في شبابه وكان يسر جماعته بتقليده اللطيف لاصدقائه . وقد كان من ضحاياه الكونت روبير دي مونتيسكيو ... ومما هو مذكور ان بروست ذهب ذات مرة الى حفلة لا لشيء الا لملاحظة مونوكول الكونت دي ساغان ، وفي مناسبة اخرى زار صديقة له لكي تريه قبعة كانت قد ارتدتها عشرين سنة وقد دهش لانه علم بفقدانها.

نشر اول كتاب لبروست سنة ١٨٩٦ بعنوان «المسرات والايام » وهو مجموعة من القصص والاشعار والتخطيطات الوصفية وهو متاثر ــ على ما يبدو ــ ببودلير . فالاشعار التي تتناول الرسامين والموسيقيين هي نسخة ضعيفة عن (المنائر) وكذلك بالقياس الى نثر جول لافورج وهيوز مانز ومتاخري الرمزيين . اما قيمتها بصفتها الفنية ففيها اختلاف في الراي . فمعاصرو بروست ينفضون ايديهم عنها على اعتبارها عمل شاب متحذلق . الا ان النقاد المتاخرين وكدوا اهميتها لفهم القصة (٦) وعدوها دليلا يشير الى مؤلف « البحث عن الوقت الضائع » القابل . ولو لم يكتب بروست شيئا بخلاف هذا الكتاب (٧) لربما كان الآن نسيا منسيا . ومع ذلك فليس من المبالغة ما قاله اناتول فرانس في مقدمته : «ان توثقه من الهدف الذي يرمي اليه امر مدهش ، وبخاصة بالنسبة الى صياد صغير الى هذا الحد . لكن هذا لا يعني ، باي حال ، الحكم ببراءته ، انما يعني توكيد اخلاصه وصدقه ، الى درجة يصبح معهما ساذجا بطريقة تسرنا اكبر السرور . ففيه شيء من برناردين دي سان بيير مع انحطاط،وشيء من بيترونيوس الساذج» .

وتحت مظاهر الديكورات والحذلقة ، نرى انفسنا ونحن على وعي بموهبة الكاتب التحليلية وحساسيته المرهفة وقلقه الذي سيصادفنا من حين الى حين في القصة . ثم نتعرف على بعض الموضوعات الرئيسة في القصة . فـ « موت بالداسار سلفاندر ، كونت سلفاني » هو حكاية شاب ارستقراطي جميل غني يموت ببطء ، من مرض غير معروف كما نرى شخصية السجين المريض . اما «اعترافات فتاة شابة » فهي تلخص اعتراف فتاة على فراش الموت سارت في طريق الخطأ فدفعت بذلك بامها الى الموت ، ثم اطلقت النار على نفسها . وربما كانت هذه القطعة امتع ما في الكتاب من قطع ممتعة . اني احسب النقاد على حق، هؤلاء الذين اعتبروا هذا الموضوع صورة للفنانة بصفتها

شابة ، وهو امر يشير بكل توكيد الى الانسة فنتول . ثم نأتي الى « نهاية الحسد » وهي تعالج موضوعا لا تحتاج اهميته الى توكيد ، على حين ان الموضوعات الاخرى تخطيطات وصفية تتناول طراز الحياة السائد في المجتمع . ويخيم على كل هذه الموضوعات جو من الحنين الشخصي وشعور بالاثم الذاتي ، وهما ما ينبعثان من آونة الى اخرى في مختلف غراميات بطله وشخوصه في « البحث عن الوقت الضائع » .

في سنة ١٩٠٠ ترك ابوا بروست شارع مالشرب ونزحا الى كورسي رقم ٤٥ . وفي هذه السنة توفي جون رسكن، الذي كان بروست قد اخذ يهتم به ومن ذلك مقالة كتبها في الفيغارو على سبيل الذكرى للكاتب الذي قضى نحبه . ومع ان بروست لم يكن ليستطيع ان يقرا الانكليزية الا بصعوبة بالغة ، فقد اخذ يعمل بمساعدة والدته واصدقائه على ترجمة رسكن الى الفرنسية . فظهرت ترجمة لـ«كتاب اميان المقدس » مع مقدمة وهوامش سنة ١٩٠٤ . وبعد ذلك بسنتين ظهر كتاب « السمسم والزنابق » . ومما يقال ان ام بروست وجدّته قد عرفتاه بالكلاسيات الفرنسية العظيمة للقرن السابع عشر ، بينما عرفه رسكن بالقرون الوسطى. هذا حق لا مرية فيه،غير ان النقاد الذين يدعون بتأثره المباشر برسكن (نظرياته الجمالية واسلوبه النثري) ليسوا على ارض ثابتة كل الثبوت . ان رسكن ، ولا شك ، لعب دورا مهما في تكوين بروست ، لكن نفوذه الحقيقي كان نفوذا غير مباشر في اكبر الظن . لقد ايقظ شيئا كان كامنا في بروست من قبل ، وبواسطته اصبح بروست مدركا لاتجاهه الصحيح .

وعلى اثر وفاة والدته نزح بروست الى شقة ما في شارع هاوزمان رقم ١٠٢ ، وهناك كتب معظم قصته . وهنا انتهت فترة الانسان الاجتماعي وبدات فترة الراهب المعتزل للناس . فبني جدار الفلين المشهور الذي زين بصورة لبروست في العشرين من عمره بريشة جاك اميل بلانش وصورة « الطفلة » لفيلاسكيس . كان بروست دائما حساسا اشد الحساسية فيما يخص بالضوضاء . ومن ذلك انه حين كان شابا قضى معظم العطل الصيفية على البحر في كابورج ... فهو لم يكن ليستأجر غرفة واحدة لنفسه حسب بل الغرف الاربع التي تشرف على غرفته والتي تحتها واللتين تقعان على جانبيها حتى لا يثير ازعاجه صوت احد الضيوف في الغرف المجاورة . كانت شقته في شارع هاوزمان مقفلة النوافذ دائما . فالغرفة الطويلة كان يضيئها مصباح واحد وكانت الجدران تحافظ على لون بني متعفن ، وسبب ذلك يعود الى بروست الذي لم يتطبع مطلقا بطابع الحياة العملية ، ولذا لم يحاول ان يجد من يصبغ هذه الجدران بصبغ له لون اكثر جاذبية . كان قلما يترك سجنه الا ليلا . اما في اوقات الحنين العنيف الذي لشد ما اخذ بخناقه لرؤية زهر الزعرور البري او الزنابق المائية فقد كان يذهب الى الريف في عربة مقفلة تماما كي يتجنب رائحة الازهار التي تثير نوبة الربو ومن خلال النوافذ كان يمتع بصره بمناظر الريف .

ومع ذلك فقد استمر العمل . ومن عاداته انه كان يحضر اصدقاءه الى بيته ليلا غالبا ويستنطقهم بكل دقة عن التقاليد والالبسة والحوادث الاجتماعية . وفي الحالات النادرة التي اغتنمها للخروج من داره وحضور بعض الحفلات قصد الحصول على (مادة) ثمينة لكتابه، كان الارهاق يهده هدا بحيث يضطر الى التعويض عن ذلك بالبقاء في الفراش اسابيع عديدة .

اما استنطاقه للناس عن العالم فلم يقتصر على اصدقائه حسب . فقد كان يقضي الساعات ـ ساعتين او ثلاثا باستمرار ـ مع رؤساء الخدم في فنادق «رتز» و «ودوبر» و « ريزرفوار في فرساي » منهمكا في كتابة وثائق تتعلق بمظاهر الضيوف وسلوكهم .

كانت سيليسته ، خادمة بروست الامينة ، هي التي تعنى به في داره . ثم اضيف اليها زوجها ، سائق التاكسي، اوديلون الباريه واعضاء اسرتها .

وعلى الرغم من سوء صحته ، لم يصرف شيئا يذكر على نفسه . اذ كان يلبس البدلة الواحدة ثلاث سنين . وكلما طعن في السن صرف اكثر فاكثر من وقته في الفراش ، عاكفا على كتابة قصته تسنده الوسائد ، ناثرا الصحائف المتممة في ارجاء الغرفة . وحين نهوضه من الفراش كان يلبس جلبابا لا يستبدله الا اذا تمزق مزقا . ومع ذلك فان تروته ومطالبه البسيطة لم تمنعه من التصور الدائم ان مصيبة حلت بالبورصة فتركته في حال من الفقر مزرية وهذه خلة عصابية اخرى .

لم تكن كتابة القصة وزيارة الاصدقاء شغله الوحيد في اخريات ايامه . فقدم الامير انطوان بيبسكو رايا فحواه ان بروست في اعتزاله شعر بحاجة اشد للاتصال بالعالم الخارجي من تلك الفعاليات (يقصد كتابة القصة وزيارة الاصدقاء) (٨) وهذا الامر حمله لان يكون مراسلا له لا يكل ولا يمل . والقليل ، القليل جدا ، من هذه الرسائل تحتوي على معلومات ثمينة عن تاليف القصة . عمل بروست على اخبار اصدقائه بحالته الرديئة ، اولا باول . ولشد ما كان يود اقامة حفلة عشاء في فندق رتز لاصدقائه ، لكن الحفلة التي سبقت اختها المنوي اقامتها ، اعطته درسا ليقيم الثانية في غرفة منامه ، بالقرب من فراشه . وكذلك كان يشعر بأقتراب اجله ، وفي ذات مرة التبست عليه قناني الادوية فاخذ دواء مضرا وتناوله فكاد ان يقتل نفسه . ثم وقع بروست في حيص بيص عندما طلب منه كتابة مقدمة لكتاب « جاك أميل بلانش » فانهمك في سرد تفصيلات دقيقة اثارت ضجة من الاضطراب والتشويش . وفضلا عن ذلك فقد قاد الحركات الادبية من فراشه ، فراسل « سودي » بصدد تعليقه على اخر مجلد من قصته . كما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتب ما عنّ له من ملاحظات لطيفة بخصوص كتاب لاحد اصدقائه . وطبيعي ان يسير كل شيء في الطريق الخطأ ومن ذلك ان « نوفيل ريفو فرانسيز » نشرت ملاحظة كادت تكون قاصمة الظهر . كما هاجم دار غاليمار لتباطئها في اعادة طبع « ظل الفتاة الشابة في الازهار » وكاد يجن جنونه لان احدا من باعة الكتب في الارياف لم يسمع بكتابه « سدوم وعمورة » وهذا ما ابلغه اياه اخوه . ثم نراه يتساءل لماذا يصر ذلك الطباع الشقي على وضع علامة مد على كلمة (سدوم) !

يتحدث كل اصدقاء بروست الذين كتبوا عن سيرته او كتبوا مذكرات بشأنه ، متناولين بكل حرارة سلوكه اللطيف الجذاب فيطنبون في كيل المديح له لما امتاز به من لطف ورقة وكرم . وعلى سبيل المثال ، حدث ذات يوم ان بول موران اخبره بانه يبحث عن طبيب باريسي معروف ، استشارته غالية جدا ، وفي اليوم الثاني دهش لتسلم مبلغ كبير من القاص اكبر من اجرة الطبيب بكثير . وبعد مراسلة طويلة اضطر ان يتفادى ضربة مميتة توجه الى القاص الواهب ، باللجوء الى مختلف الحيل ، ليسمح له برد المال الذي وهبه اليه . ولم يقتصر كرم بروست على اصدقائه فحسب . فان سخاءه كان اسطوريا في هباته للخدم ايضا الامر الذي اثار من حين الى حين ارتباك ضيوفه في المطاعم . وذات مرة في نهاية احدى هذه الحفلات ، حينما كان بروست يوزع هباته السخية لجميع الخدم الذين خدموه ، لمح صبيا فجأة وهو يشاهد ما جرى . فقال احد الضيوف (تعال يا مارسيل) (انه لم يفعل لنا شيئا) فجاء الجواب (لا بأس) (كان يبدو حزينا في وقفته تلك وهو ينظر الى ما يأخذه الاخرون) .

ومع هذه الافضال ، علينا حين نقايس بين مختلف الصور التي انحدرت الينا عن الرجل ، علينا ان نشعر بفقدان شيء يزوغ ويروغ عنا ، فجوة بين بروست وكتابه. هل يمكن لهذا الراهب المتألم ، هذا الصديق الكريم ذي القلب الطيب ، ان يكون الشخص نفسه الذي كتب هذه التفصيلات المطنبة عن الغيرة والرذيلة ؟ ايمكن ان تكون اي صلة بينه وبين بطل القصة الحانق الذي يبدو مصرا على تعذيب نفسه واصدقائه بشكوكه المرعبة والذي يستخدم الاصدقاء والخدم في التجسس على خليلته ، فيحملها ، في الخاتمة حملا على الانتحار ؟

ان اللمحات التي نستشفها من بروست تذكرنا احيانا بالطريقة التي يقدم بها شخوصه الينا . والانطباع الذي نستحصله يجعلنا نشعر وكأننا نقلب صفحات حافظة صور (البوم) عائلية فنجد فيها الصور الذاوية للكاتب القاص في مختلف فترات حياته . ومع وجود فجوات في المجموعة يسعنا ان نرى (المؤلف) بوضوح وهو في الخامسة عشرة من العمر جالسا بين قدمي مدام شتراوس ثم نراه في العشرين . الا ان الصور المتأخرة بدلا من ان تكون واضحة جلية فهي صور تقليدية . في هذا الصدد يتحدث بيير كوين فيقول : « لقد غيره المرض تغييرا تاما . فكان وجهه شاحبا ومنتهيات شاربه غير متساوية . اما انفه فقد كان مقوسا واما وجنتاه فكانتا غائرتين . الا ان عينيه كانتا اشد لمعانا . وحين ابتعاده عن الفراش اعتاد ان يقابل زائريه بجلباب ذي لون اصفر غامق . كان يشعر بالبرد اشد ما يكون الشعور ، ولذا نراه يرتدي اشرطة قطنية على (ياقة) قميصه وقفازات قطنية في يديه وشباشب في قدميه . هذا فضلا عن جهازه الخاص بالتبخير الذي ظل يبعث برائحة كريهة طوال الوقت . فبدا وكأنه ساحر خرافي في مختبره . وما الموتى الذين احياهم والذين تعرف بهم سوى شخوص قصته » .

لا تزال الصورة صورة راهب لكن كاتب سيرة باستخدامه كلمة (ساحر) ربما قدم الينا انطباعا جديدا مخيفا بعض الشيء من غير ادراك لذلك . وبالفعل استعمل كاتب ناقد آخر كلمة (مخيف) . فنرى ما كتبه فرانسوا مورياك في هذه الصورة « كأني اشاهد مرة اخرى تلك الغرفة المخيفة في شارع هاملين ، وتلك المدفأة السوداء وذلك الفراش الذي استعيض لحافه بمعطف وذلك القناع الشمعي الذي يمكنك من القول ان مضيفنا كان يرصدنا ونحن ناكل من خلاله ، هذا القناع الذي لم يبد منه شيء حي سوى الشعر ... قد كان بروست يبدو كأن اكثر من نصفه في عالم العدم ، متجها الى ذلك الطحلب الهائل المتكاثر الذي غذاه بكيانه ، بعمله » (٩) ...

وهذا الانطباع يؤكده تقريران آخران كتبا في نحو خاتمة حياته. قال اندريه جيد « كان من وقت الى آخر يدعك انفه بحافة يده التي تبدو ميتة باصابعها المدودة الجامدة. لا شيء افظع من هذه الايماءة المرتبكة المجنونة التي تشبه حركة حيوان او انسان مجنون»(١٠) وقال ادمون بوشيه «كان وجهه يشبه قناعا أوتاده في الحائط كيلا تظهر ملامحه السمحة وكان وطواط العزلة المصاص يحيط بعينيه فيبدو كذلك في المرآة . اما حين كان يقف فمظهره يحملنا على الاعتقاد بانه انسان ميت تسنده مساند في تابوته . لم يكن ليبدو انه يرى شيئا ، فهل كان يكدس كل شيء في مختبر تفسخه ؟ » (١١) هذه صور يضفي عليها بوشيه صفة الرعب والخوف . لكن كلمة (مخيف) تحتاج الى تفسير . يقول موريس ساش بهذا الصدد « يظهر لي انني اكتشفت في قساوات هذا الرجل قساوات طفل ، كما فهمت ان « البحث عن الزمن الضائع » عمل ادبي من صنع طفل مسخ مرعب ، ذهنه مفعم بتجربة الانسانية كلها وروحه لا تتجاوز العشر سنين عدا » (١٢) .

لا شك في وجود شيء مرعب مخيف في هذا الرجل وهذا ما يتجلى في اكثر اجزاء القصة رصانة ، كما اننا على علم بالطفولة المخيفة التي تختفي وراءها . كان بروست ذا شخصية ثنائية . فالراهب المتعذب اللطيف واقع حي ،

ملهاة لم

الحيوان المرعب ، نيوبه ، اظفاره في جسمنا
عيونه غبراء جاحظة ، وجسمه بحيرة جفت
لم يبق غير ملح قاتل ، يزرع العيون بالرمد
تثيره الرياح ، تلقفه الجبال . يجمد الهجير والخضراء

قالت جدتي بانهم رووا لها ما تناقلوه من زمن
بأن وحشنا اقام في واد عميق يمج بالكهوف
وجاءه المطر ، اذابه ، ارسله للبحر
وعاد من جديد في النبات في الشجر
ظنوه مات وانتهى
لكنه صرخ . عضهم . نهش

عيونك اللئيمة تنام بعد أن انام
تطل في الصباح باكرا فاقشعر
اختفيت منك في خزانة الكتب
قبعت في شباك غرفتي
اختفيت تحت لعبة بليدة
حديقتي غبراء . مصفرة الورق ناخرة الثمر
وتطل من فوق الجبـل .
حديقتي مكثت في عيونها
قطتي اجلستها كما تريد . رميت رأسها على اطرافها
الممـددة

كلبنا المسكين يحاول الهرب
يلحق العصفور والدجاجة ، ويضرب الذبابة
ينهش جلده حينا ، وينبش التراب احيانا
عبثا فالخيمة الغبراء تغلق الافق
ونحـن تحتها . فلم الهرب

سألتهم : لا شك ان الخيمة الغبراء صغيرة وضيقة
والناس في بلاد الغرب سعداء
هناك الوان كثيرة تشغل العيون ، تبهرها .
بيوتهم كبيرة جميلة، انيقة مريحة . في حدائق خضراء
والناس سادرون في شوارع فيسحة جميلة .
لكنهم قالوا : كنا هناك . وخيمة الملل والضجر اوسع
والسأم الملعون فيها يعربد
والناس فيها تائهون ضائعون ، لبعضهم لا يهتدون .
اذن فكلنا سواء في الالم
عبيد للسأم ... ينهشنا يمضغنا . يركلنا
نحاول الهرب فنحفر الطرق
نصنع الدمى نلهو بها
ولكن يلهو بنا السأم ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاردن — اميرة ابو حجله

كما كان الكائن البشع الذي يحوم في المجازر والمسالخ بحثا عن عجل مذبوح ، او كان يلتذ بنخز الفئران بحضوره حتى الموت ، كما كان منهمكا في غرائب اخرى سنبحث عنها في مكانها المناسب .

نشرت « سوان » على نفقة المؤلف سنة ١٩١٣ ولم تحظ بغير التفات يسير . الا ان بروست ظل يعمل في قصته طوال الحرب ولم ينشر شيئا الا بعد ان اعادت دار غاليمار نشر « سوان » سنة ١٩١٧ . ثم لحقتها « ظل الفتاة الشابة في الازهار » سنة ١٩١٨ وقد منحت جائزة غونكور عقب سنة . وهذه كانت بداية مجد بروست . وعلى الرغم من الكثير من التقريع الذي ووجه به في وطنه فقد اصبح بين ليلة وضحاها شخصية اوروبية .

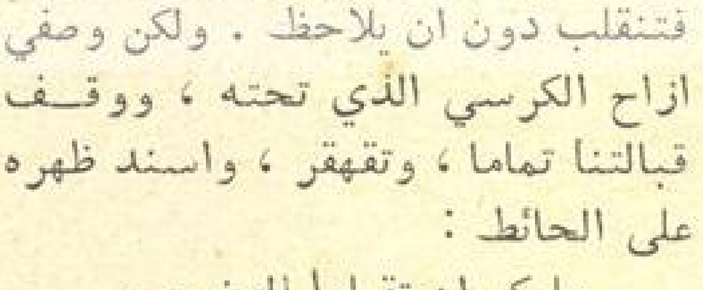
ثم ظهرت « طريق آلا غورمانت » والقسم الاول من « سدوم وعمورة » سنة ١٩٢٠ . اما القسم الثاني من « سدوم وعمورة » فكان القسم الاخير الذي ينشر في حياة المؤلف الذي توفي في ١٨ (نوفبر) تشرين الثاني ١٩٢٢ . اما « السجين » فنشر سنة ١٩٢٣ و «البرتين ..» ١٩٢٥ و « الزمن المعاد » ١٩٢٧ .

تبدو حياة بروست لمعظمنا كدرة داكنة ، ومن بعض الجهات مقرفة مفزعة . ومع ذلك ، فمن الناحية الفنية يوجد في هذه الحياة شيء غريب من الاستقامة . ان انطباعنا عنها يشير الى ان كل شيء تآمر ليعينه على كتابة الكتاب الذي قدر له منذ ميلاده ان يكتبه ، محولا تلك الحياة على ما دعاها سارتر الى (قدر) مقدر . لقد كان لاستقلاله الاقتصادي الدور الرئيسي في استطاعته كتابة ذلك الكتاب الفريد . ومهما تكن اسباب مرضه الغريب ، فهذا المرض كان ضروريا لمشروعه كما كان موت والديه في الوقت المناسب ضروريا . كان سنة ١٩٠٥ مدركا اعمق الادراك برسالته ، فجمع مواد هائلة للقصة وتهيأ كل التهيؤ لكتابتها . ومهما يكن من امر ، فهو لم يكن ليجهل ان والديه لا بد ان يفتاظا اشد الغيظ من محتوياتها ، ولو انهما عاشا فمحبته لهما ربما كانت تمنعه من الشروع في كتابتها الى وقت يكون فيه الاوان قد فات .

بغداد — يوسف عبد المسيح ثروة

مخدوعين

بقلم مصطفى ابو النصر



كانت مسألة حياة او موت ، لذلك لم يستطع احد ، ان يتحرك ، او حتى ان يرفع عينيه . ورغم ذلك فقد كان لا بد لواحد منا ان يتكلم ، ان يقول اي شيء يمكن به تحديد الموقف . وبعد حوالي خمس او ست ثوان ، تمكن فؤاده من رفع راسه ، وكان غرضه من ذلك ـ وقد عرفناه فيما بعد ـ ان يلقنا جميعا درسا لا ننساه. وحين رد عليه وصفي ، بأنه ليس هناك اي معنى ، لم يحر جوابا ، وانما ابتسم ، وحاول ان يجعل ابتسامته تنم عما يجول في خاطره .

كانت الساعة حوالي العاشرة مساء ، وكنا نجلس حول المائدة ، وبدانا نلعب ، وتكومت الفلوس في الوسط ، وكان وصفي هو الخاسر . وفجأة ـ وبدون مقدمات ـ قبض وصفي على المبلغ كله ، وبسرعه دفسه في جيوب جاكتته ، واعلن انه قد استولى على المبلغ ، وبالطبع لم يعجبنا هذا الموقف ، ولم يكن امامنا الا ان نفعل شيئا . كنا ثلاثة ، وكان هو واحدا ، كان يمكن ان نضربه ونسترجع المبلغ ، ولكنه كان اسرع منا ، فقد اخرج مسدسا ، ووضعه امامه على المائدة . وكانت عيناه كعيون الصقر ، حادة وشريرة . ولا بد ان احدنا ، قد فكر في خطف المسدس ، ولكني لست متأكدا من ذلك ، وتكلم فؤاد ، وكان صوته خافتا ، يخرج من اعماق حنجرته مرتعشا :

ـ ما معنى هذا يا وصفي ؟

وحدد وصفي نظراته فيه قائلا :

ـ ليس له اي معنى ، ذلك ما اريده ، انت تعرف السبب ، ما رايكم ؟

وسؤاله الاخير لم يكن يعني شيئا، وهو بالطبع لم يكن ينتظر اجابة .

كان تحديا صارخا لنا ، والمسدس ما زال على المائدة ، فوهته مصوبة لنا ، يرقد على جنبه الايمن ، بحيث لو اراد وصفي ان يمسكه ويطلقه ، لكان ذلك سهلا ميسورا بدرجة لا تصدق . وكنت في مواجهة وصفي تماما ، وكان يمكن ـ باقل حركة ـ ان اقلب المائدة عليه ، ولكن من كان يضمن انه سيكون اقل سرعة مني ؟ وربما استطاع ان يتصرف بسرعة مذهلة ، وبشكل حاسم في اقل من ثانية واحدة . وامرنا ان نبسط ايدينا على المائدة ، واعتقد رضا انه اذكى من وصفي ، فجعل يديه اقرب ما تكون من المسدس ، ولكن وصفي كان قد صوب فوهته الينا وهو قابض عليه ، واصبعه على الزناد . ليست العبرة في اطلاق الرصاص، ولكن في تحديد الهدف ، اذا اهتزت يده ولو درجة واحدة ، لتغير الهدف ، ربما تحطمت الصورة المعلقة فوق راسي.

لو ان قطر المائدة اقل مما هو عليه الآن لامكن ان المس وجهها واحديها فتنقلب دون ان يلاحظ . ولكن وصفي ازاح الكرسي الذي تحته ، ووقف قبالتنا تماما ، وتقهقر ، واسند ظهره على الحائط :

ـ عليكم ان تقبلوا الوضع .

هكذا قال وصفي ، وهو يقلب المسدس في يده ، وتبادلنا نظرات خائفة . ولا ادري ما الذي كان ينوي ان يفعله رضا ، حين ازاح الكرسي الذي يجلس عليه الى الخلف ..

ـ مكانك لا تتحرك .

لم نسمع بعد ذلك اي صوت او حركة . فجأة اطلق وصفي ضحكة عالية وقال :

ـ جبناء .. لصوص ،

كانت جباهنا قد بدأت تلمع عرقا ، تحت وهج المصباح المدلى من السقف. وشعرت بسخونة تصعد الى راسي :

ـ هذه سرقة .

هز وصفي كتفيه باستهتار قائلا :

ـ سمها ما شئت ، تلك هي ارادتي ... انصحك ان تسكت .

تلاقت النظرات ، ثم اتجهت الى المسدس . كان اسود فوهته مصوبة لنا . رضا قد جمد في مكانه ، بعيدا عن المائدة ، فؤاد مبسوطة يداه امامه، اما انا فقد كانت اقل ضغطة على الزناد ، ستقتلني حتما . ليس هناك اي معنى للموت في سبيل لا شيء ، او حتى في سبيل بعض الفلوس . على ان الموت شيء طبيعي جدا ، وحقيقي للغاية ، كل ما هو امامي يحدد الوضع على كيفية رائعة . اذا انا مت ، كان ذلك عبثا سخيفا ، ولعبة وضيعة لا ضرورة لها ، ولكن اذا مات غيري ، فسيكون الوضع مغايرا تماما، اما اذا كان وصفي ، ولكن هذا مستحيل . لنبدا اذن بطريقة اخرى، ولكن وصفي نطق قائلا :

ـ رضا .. احضر لي كوب ماء .

لم يتحرك رضا في اول الامر وظن ان المسألة مجرد سخرية ، او هي في الواقع انذار بعدم التحرك . ولكن وصفي نطق بالفاظه ثانية ، وكانت خارجة من كل فمه ، فتحرك الكرسي، وكان صوته كمنشار . دارت رؤوسنا تجاه رضا ، كان يقف ببطء وحذر ، وعيناه مركزتان على المسدس :

ـ لست جبانا ، حينما اقرر قتلك سانبهك قبل ذلك ، ستموت بعد ان تكون قد عرفت تماما انك ستموت .

حين انتصب رضا واقفا ، خيل الي ، انه لن يستطيع المشي ، ولكنه بدأ يخطو ، ولم يكن لاقدامه اي صوت . كان ظهره ـ حينما ابتعد ـ منحنيا ، وكانت راسه تفكر في النظر الى الخلف ، الا انه لم يلتفت . واعتقدنا ان وصفي ، ربما صوب اليه رصاصة في ظهره ، وقد تأكدت من

هذا الاعتقاد ، حينما نظر الى فؤاد نظرة استطعت منها ان افهم ما دار في راسه . ولم يكن في مقدورنا ـ بالطبع ـ ان نصرح بهذا الاعتقاد . وحتى اذا استطعنا ، فقد تكون هذه الفكرة لم تجل بخاطر وصفي نفسه.

تأخر رضا ، او هكذا خيل الى وصفي . اما نحن فلم نكن نستطيع ان نحدد سير الزمن على الاطلاق .

ـ رضا .. هات الكوب بسرعة .

ولكن رضا لم يرد ، فكرر وصفي النداء،وكانت نبراته مليئة بالتهديد. وتمنيت لو ان رضا جاء بسرعة، حتى نخرج من هذه الازمة على شكل ما . واخيرا ظهر وفي يده كوب الماء . توقف لحظة ، ثم نظر الينا، وكان في نظراته رعب هائل . لم نلتفت اليه وهو يتقدم من وصفي مقدما الكوب ، وانما كانت نظراتنا قد جمدت على المسدس . واعتقدت انها فرصة ، ربما لا يمكن تعويضها بعد ذلك . ولكن رضا كان من الجبن بحيث لم يجرؤ على اغتنام الفرصة . اما فؤاد، فقد اعتقدت للحظة ، انه ربما اصيب بالشلل وهو جالس هكذا . اذن لا يمكن لاحد ان يتحرك سواي.استطيع اذا ما رفع الكوب نحو فمه ، ان اقذفه باي شيء ، ودارت عيناي بسرعة ، لا شيء على المائدة ، غير علبتي الكوتشينة ، ان ذلك ملائم تماما . لم يعد المسدس يهمني ، ولا حتى وصفي نفسه ، اما رضا فلم يخطر لي على بال . ظلت عيناي متصلبتين على العلبتين ، ولكن احسست بعيني وصفي تحدقان في يبدو انه قد فهم ما اريد ان افعله . كانت الكوب في يده اليسرى ، والمسدس في اليمنى ، ورضا يقف بالقرب منه ، كان مطمئنا ، لم يعد هو المقصود ، اما فؤاد ، فقد بدا مستسلما تماما ، ومستعدا لاي تصرف يمكن لوصفي ان يأتيه . كنت قد تأكدت من انني المقصود ، كانت نظراته الي قد تجددت تماما ، وبريق غريب قد التمع في عينيه ، وبدات افقد الاحساس بكل ما حولي ، فخيل الي ان الموقف قد امتد ، وان الزمن قد فقد حركته ، وانها لحظة ابدية ، لن تنتهي الا بمعجزة ، وفجأة اطلق وصفي ضحكة عالية قائلا :

ـ جبان .. جبان .. سأعلمك كيف تكون شجاعا .

صدمني شيء في وجهي ، انحدر الماء على صدري ، وتسلل عبر القميص ، فاحسست به باردا ، ولكني لم اتحرك ، بقيت كما انا ، عيناي متصلبتان على الماء المنسكب على المائدة ، لم يعد اي شيء يعنيني، كل ما كنت اريده في تلك اللحظة ، شيئا لم استطع تحديده . ولكنه قال :

ـ رضا .. ارجع مكانك .

اقترب وصفي من المائدة ، ووضع الكوب الفارغ عليها ، ثم تقهقر ، والتصق بالحائط والمسدس ما زال موجها الينا .

كنت قد بدات اتذكر السبب ، الذي ربما من اجله اتخذ وصفي هذا الموقف ، الا انني لم اكن متأكدا تماما ، وخشيت ان انا صرحت به فربما لا يكون هو السبب الحقيقي ، فاكون بذلك كمن اعترف بجريمتين في الوقت الذي هو فيه متهم بجريمة واحدة . لذلك فضلت ان اظل صامتا ، فلا شك انني المقصود بما حدث . واذا كان وصفي قد اخذ فلوسنا نحن الثلاثة ، فان ذلك ـ اغلب الظن ـ بدافع من الفرصة التي يجب اقتناصها ، وها قد نجحت الحيلة . على ان المسدس الذي في يده ، لا يعني شيئا تافها ، وهو في نفس الوقت يمكن به تحديد كل موقف بطريقةحازمة . لم يكن احد منايعرف ان وصفي يملك مسدسا ، ربما كانت الدهشة ، والتصرف غير المسبوق بأي مقدمات هو الذي حدد موقفنا ، وعلى اية حال ، فليس من المعقول ـ اذا تكلمت الآن ـ ان يطلق علي النار ، ولكن من يدري ؟ يستحسن ان اصمت ، ان اظل صامتا .

كان وصفي يقف مشدودا ، على الرغم من انه قد اسند ظهره على الحائط وكانت عيناه لا تطرفان ، بل انه لم يحولهما عني .. انا بالذات ، ولم يكن باستطاعتي ، ان اظل محدقا فيه . واحسست باهتزازات مرتعشة تنتظم رجلي وذراعي . سأعترف .. سأعترف بكل شيء ، كل شيء لا بد ان اعترف به ، اذا كان قد قرر فلا فائدة من الاعتراف ، الا انها فرصة في المائة ، والخاسر في المعركة لا يمكن تحديده ، علي اذن ان اعترف ، ان اقول كل ما يمكن ان يكون سببا في .. دقت الساعة .

ـ الساعة العاشرة والنصف .

كانت الساعة معلقة على الحائط الايمن لوصفي ، وكان يمكن بحركة بسيطة ان يلمحها ، ثم تابع كلامه قائلا :

ـ آن لي ان انصرف ، لن اعود الى هنا ثانية ، آذا فكر احدكم مرة ثانية في اللعب ، فعليه ان يلعب بشرف ، وعلى اية حال فسأحتفظ بالنقود لنفسي ، ليس امامي غير هذا ، واظن ان ذلك هو العدل . . . اليس كذلك ؟

لم يرفع احد منا راسه ، وادركت انه كان يراقبنا منذ زمن ، الا انه استطاعان يحتفظ باعصابه طوال تلك المدة . وعلى ضوء جملته هذه استطعت ان استعيد الليالي الكثيرة التي كنا فيها نتفق نحن الثلاثة عليه. ولكن مع ذلك فهو غبي ، غبي جدا ، اذ لم ينتبه الى اننا ، وان كنا نغش، فهو ايضا كان يغش ، وكنا نتركه يغش مرة مقابل مرات من جهتنا ، ثم ان غشه لنا كان بارادتنا .

القاهرة **مصطفى ابو النصر**

اعلنوا في مجلة

الاديب

حيث يبقى الاعلان عرضة للانظار شهرا كاملا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكتبة الأديب



عالم حر جديد في اسيا وافريقيا والوطن العربي

تاليف محمد جميل بيهم ـ ٣٩٢ ـ حجم كبير ـ منشورات مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

استاذنا الجليل محمد جميل بيهم بك باحث اتاه الله بسطة في العلم وجلدا عليه وامانة فيه . قل ان تمر سنة او اقل دون ان نقرأ له كتابا جديدا او طبعة جديدة من كتاب نشره من قبل .

اقرأ الآن اخر كتبه : « عالم حر جديد في آسيا وافريقيا والوطن العربي » فاجد فيه خصائص الاستاذ جميل بك في جميع ما قرات له : الاستيعاب ، والجد ، وامانة البحث ، والاستقلال في الرأي ، على رغم المساس ـ بل التعرض والتصدي احيانا ـ بالبحث والتحليل لامور شائكة وموضوعات تبلغ مبلغا كبيرا من الدقة بين المعسكرين : الغربي والشرقي ، وتتعلق باوضاع دقيقة ايضا في بعض بلاد افريقيا والوطن العربي . وهذه مزية الباحث الشجاع المحايد التي نجدها بارزة في كتابه هذا ، كما نجدها قوية بارزة ايضا في كتابه السابق : «اسرار ما وراء الستار ، الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية كانك تراهما » .

صدق وانصاف : في كتاب جميل بيهم هذا « عالم حر جديد » نجد صدقا موجعا ولكنه شجاع يدمغ به الاستعمار الاوروبي ـ بمقياس عصرنا ـ لشعوب افريقيا ، فهو يذكر مؤتمر برلين (١٨٨٤ ـ ١٨٨٥) ويحدد نتائجه بانها : « اعظم عملية تقسيم بعد البابا ـ عملية البابا ـ بورجيا الذي كان قد قسم في معاهدة تورداسيلاس العالم المجهول (امريكا) بين اسبانيا والبرتغال ، ذلك العالم الذي كان معروفا عندهم بالهند الغربية » . ثم يذكر خطوة ثانية في تقسيم افريقيا بين الدول الاوروبية هي الاتفاق الفرنسي الانجليزي الذي عقد بينهما سنة ١٨٩٨ (على اساس اطلاق يد كل منهما في المناطق التي تطمع بها) « فيها » ، وخطوة ثالثة في هذا السبيل هي مؤتمر اسبانيا الذي عقد في سنة ١٩١٩ للتفاهم على تقسيم البقية الباقية من افريقيا ودخول ايطاليا في سوق الشراء والمساومة لبسط نفوذها على ليبيا . وهو في هذا التقرير لا ينفرد بالرأي ،بل يستند الى مؤرخين اوروبيين مثل « شارل هنري فافرود » وغيره ـ ص ٢٨ ـ ٢٩ .

هذا عن الاستعمار الغربي ، فاذا جاء دور الكلام عن الاستعمار الشيوعي بسط حجة موسكو التي : « تسيطر على هذه الدول ـالاوروبيةـ بالحديد والنار ولا تعترف بانها تفعل ذلك بدافع الاستعمار ، وانها تبرر وجودها هنا بحجة ان حكومات تلك الامصار اعتنقت الشيوعية برضاها وانضمت الى محور موسكو باختيارها وهي انما تضطلع بالسيطرة عليها من اجل حمايتها وحماية شيوعيتها وذلك حبا في خير الانسانية ... وبذلك تجري روسيا مجرى الدول الغربية المستعمرة التي كانت تمنن العالم (تمنن عليه) بانها تحمل الى القارات الاخرى اعباء نشر المدنية » ـ ص ٤٠ . وهو في هذا التقرير ايضا لا ينفرد بالرأي ، بل يستشهد على ذلك فيقول : « والواقع ان الاستعمار واحد سواء أكان غربيا ام شرقيا هو وليد العدوان والقوة . وقد اعترف ستالين بذلك عندما دفعته حدة الغضب على تيتو الى ان ينسى التحفظ الديبلوماسي فقال : ان الجيش الاحمر ، وليست ارادة الشعوب ، هو الذي اقام الدكتاتوريات الشيوعية في اوروبا الشرقية . واذا كانت الاقليات الشيوعية في فرنسا وايطاليا تظفر بالحكم فان ذلك يعود الى ان الجيش الاحمر ، لسوء الحظ ، لا يمكنه ان يسدي الخدمات اللازمة للحزبين الشيوعيين في ذينك البلدين . » ص ٤٠ ـ ٤١ وهو في هذه المرة لا يستشهد بحديث مؤلف ، بل يستشهد باعتراف قطب شيوعي من اكبر اقطابها وحكامها ، هو ستالين .

وجميل بيهم يجد ، في الوقت نفسه ، شجاعة لان يقول كلمة يصف بها بعض دول هذا الاستعمار بانها « ارق » في استعمارها واكثر كياسة وانسانية وتعقلا : « ... فكانت ـ اي انجلترا ـ لا تكتفي باستنزاف خيرات المستعمرات كما فعلت هذه ، بل تسعى لتحسين احوالها ورفع مستواها الاقتصادي والاجتماعي على امل ان تنال المزيد من الفائدة اذا ادركت تلك البلاد نصيبا مرموقا من اليسر والتقدم . وظلت بعد ذلك تمتاز في هذه السياسة الاستعمارية عن الدول الاخرى التي جاءت تزاحمها في الاستعمار . وآية ذلك ما نراه من البون الشاسع بين البلاد الهندية التي دخلت في حوزة انجلترا او بين تلك التي كانت من نصيب هولندا وفرنسا ، على ما بينهما من الجوار . » وهو في هذا التقرير نفسه يقول ان انجلترا كانت تفعل ذلك : « على امل ان تنال المزيد من الفائدة » .

محايد : ونجد في الكتاب مظاهر كثيرة ، غير هذه ، للحياد بين معسكري الشرق والغرب ، فهو يدفع كليهما باوصاف واحدة ويضعهما في موضع واحد من حيث الاستعمار .

يذكر ، فيما يتعلق بالاستعمار الغربي ، وثيقة اعلان الاستقلال الامريكي سنة ١٧٧٦ التي تعلن ان الناس : « جميعا خلقوا سواسية ، وان خالقهم وهبهم حقوقا معينة لا تقبل التحويل ، منها الحياة والحرية والسعي لتحقيق السعادة ... الخ » يذكر هذه الوثيقة واشباهها ، ومواثيق الدول الاوروبية للعرب بتحقيق استقلالهم بعد الحرب . ثم يقول ـ بل يثبت بالدليل والبرهان ـ ان المعسكر الغربي ، بما فيه امريكا ، خان هذه المواثيق كلها وغدر العرب وغيرهم في هذه الحقوق غدرا واضحا مزريا مفضوحا .

ويذكر ، فيما يتعلق بالمعسكر الشيوعي ، مثل هذا الغدر والكفران ايضا . ويضرب لذلك الامثلة بالصين وغيرها ثم ينتهي الى نتيجة صريحة يقول فيها : « هذه المساعدات للشعوب في الماضي ، وللدول الناشئة في الحاضر ، تجعلهم جميعا يتناسون ما يعلمون من خطر الشيوعية ، ويغضون الطرف عن الامثولة التي وقعت في الصين وغيرها ، ثم يمضون في سبيلهم يبادلون موسكو الود تحت ستار الحياد ، حتى يقضي الله امرا كان مفعولا . وكانهم في شغفهم بالاستقلال وفي حبهم للاستقرار يداوون الادواء بالتي كانت هي الداء . » ويذكر في استدلاله على ذلك كلمة نهرو : « اذا كانت الشيوعية شرا فالاستعمار اسوأ منها بكثير . » فالاستعمار اسوأ منها بكثير . »

وتشيع في الكتاب كله هذه الروح من النخوة العربية والاعتزاز بالعرب والحرص على استقلالهم ومستقبلهم ولكن على اساس من التاريخ والعلم وسلامة الادراك .

ومن اكثر صفحات الكتاب صدقا واثارة هذه التي كتبها عن مأساة فلسطين ويد انجلترا وامريكا فيها والتي قرر فيها هذه الحقيقة : « اما نحن العرب فانا لن نجد اي عذر للولايات المتحدة ما زالت ـ التي ما زالت ـ تقف دائما الى جانب الصهيونية العالمية المغتصبة ، ففلسطين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا البلد المقدس العربي الذي انتزع منا انتزاعا بغير حق ، بتأييد امريكا للغاصبين ، سوف يبقى المقياس الوحيد الذي نقيس به مواقف الدول ، وذلك ما دامت الامم في الوجود وما دام العرب ودامت فلسطين الخالدة».

على هذا النسق من الاستيعاب ، والحياد ، وسلامة الحجة ، وقوة العاطفة ، يسير الاستاذ الكبير جميل بيهم في كتابه الذي يتضمن اربعة عشر فصلا هي : الصراع بين الشرق والغـــرب ، الاستعمار الروســي والسوفياتي ، ظلم الانسان للانسان تحت مظلة الاستعمار ، تصدع صرح الاستعمار وانهياره ، الانقلاب السياسي في التوازن الدولي ، اسهام الشعوب الاسيوية والافريقية في القضاء على الاستعمار . وفي هـذا الفصل نجد صفحات خصصها للحديث عن : « مصر قاعدة الشعـوب المناضلة ضد الاستعمار » لخص فيه الجهد الفائق الذي تبذله الجمهورية العربية المتحدة لمناصرة الشعـوب المبتلاة بالاستعمـــار ـ من ص ١٢٩ الى ١٣٥ .

ثم يجيء الفصل السابع وما يليه : انتفاضات اسيا وافريقيا ضـد الاستعمار ، المستعمرات والمحميات في افريقيا السوداء كيف انتفضت وكيف تحررت ، الصراع بين الكتلتين الشرقية والغربية واثره في تحرير الشعوب ، سياسة الاتحاد السوفياتي في الحـــرب الباردة تؤمن لـه الانتصار ، الحرب الاقتصادية بين المعسكرين في البلاد العربية وانتصار المعسكر الشرقي ، الكتلـة السوفياتية تكسب البلاد الافريقية الســوداء بالمساعدات المالية والاقتصادية ، الكتلة السوفياتيـــة تكسب البـــلاد الاسيوية بالمساعدات المالية والاقتصادية ، والفصل الاخير يتضمن خلاصة الكتاب ومجموعة هامة من الوثائق وخرائط للوطن العربي واسيا وافريقيا، وهي خرائط الحقت بصلب الكتاب وتضمنتها صفحاته .

في هذا الكتاب القيم استطاع الاستاذ جميل بيهم ان يقدم للقارىء العربي دراسة ممتازة مستوفاة عن مأساة الاستعمار في العالم ، وعـن الجهود التي بذلت للقضاء عليه على النطاق الدولي والمحلي .

وقد الحق به جدول يصحح بعض الاخطاء المطبعية ولكنه لم يستوعبها. واريد هنا تصحيح واحد منها هو اسم الرحالة البحري العظيم « ابـن ماجد » فقد ورد في اكثر من موضع باسم «ابن مجيد» وهو ، كما وصفه المؤلف ، « احد مشاهير بحارة العرب » بل لعله اشهرهم واعظمهم قيمة. وهو الذي سار مع فاسكو دي جاما البرتغالي وكان دليلا له في كشف طريق الهند الجديد « رأس الرجاء الصالح » في جنوب افريقيا .

مصر الجديدة — محمود الشرقاوي

●

مناجيات للكتب والكتاب

تاليف محمود تيمور ـ ٢٢٨ صفحة ـ منشورات دار الثقافة بالقاهرة ـ مطبعة دار الجيل للطباعة بالقاهرة

الاديب العربي الاستاذ محمود تيمور من اكثر ادباء القاهرة قربا الـى قلوب الادباء والشعراء الشبان فهو لا يكاد يرفض دعوة الى محاضرة او ندوة او حفل ادبي ولم يعتذر قط عن كتابة مقدمة لكتاب آمن بموهبة صاحبه واستعداده لمواصلة السير فيالدرب الطويل درب الاداب والفنون.

وهو بجانب ذلك محبب الى الادباء الشيوخ اصدقاء العمر وزملاء القلم فقد عاش عمره عف اللسان لا يهاجم زميلا وان اختلف معه في الرأي وان هاجمه ناقد او اديب صد السهام عن صدره في رفق تعلو شفتيه نفس الابتسامة التي لا تفارقه وهو يسطر صفحات قصة او مسرحية جديـــدة .

وكتاب « مناجيات للكتب والكتاب » الذي صدر له اخيرا يضم بـين دفتيه آراء صاحبه في ٣٤ كتابا جلها لقصاصين وشعراء عرب معاصرين وبعضها لقصاصين اجانب وهذه الاراء سجلها تيمور في مناسبات مختلفة ... بعضها نشر اصلا كمقدمات للكتب التي اصدرها ادباء شبان وبعضها اعدها بمناسبة الاشتراك في ندوات او محافل ادبيـة والبعض الآخـر رسائل بعث بها المؤلف الى اصدقائه الذين اهدوا اليه مؤلفاتهم يبثهم عواطفه نحوهم وآراءه في مؤلفاتهم ..

ومن رسائله الرقيقة التي سطرها لزملائه شيوخ الادب رسالته الى الاستاذ محمد فريد ابو حديد التي يعرض فيها لكتابه « انا الشعب » والتي يقول في مطلعها :

« اخي الاستاذ الكبير محمد فريد ابو حديد

من حقك علي وقد امتعتني بكتابك الجديد « انا الشعب » ان اهنئك به واني لازجي اليك هذه التهنئة في اكبار لك واعتز بك تهنئة مخلصة صادقة بقدر ما في ادبك الفني الممتاز من صدق واخلاص .. »

ويستطرد تيمور مستعرضا القصة حتى يضع يده على موطن القوة فيها وهو البعد عن الاحداث المثيرة والاسلوب الخطابي وهي آفة كثيرة من الكتاب الذين يتعرضون في سياق قصصهم لمواقف البطولة ، والوطنية ... وفي ذلـك يقول :

« واجمل ما شاقني من قصتك انك على ضخامة الموضوع ونبالة الفكرة وشرف الهدف انك لم تحاول ان تروع قارئك بالمثير من الفواجع والاخطار والمفاجآت فهذه قصتك تترسل هينة الاحداث هادئة الاسلوب مألوفـة الشخوص تتلمح فيها سذاجة حياتنا الواقعية ودماثة طبعنا القومـــي وتستبين بها صورا من الشخصيات المصرية الواضحة في انسانية عريقة».

ومن بين المقدمات التي كتبها اديبنا الكبير وضمنها كتابه اختـــرت مقدمته لكتاب « قصص شامية » للاديبة « الفة عمر باشا الادلبي » ففي هذه المقدمة تبرز مقدرة تيمور . وهي جزء لا يتجزأ من شخصيته ، على ان يقول الحق كل الحق في هينة ورفق دون اثارة حفيظة او اراقة دماء.

فرغ تيمور من قراءة هذه المجموعة فوجد انها شأن كثير من المجموعات القصصية الحديثة فيها لمسة الفن لكن ليس فيها البناء المتكامـل فمهد للقـارىء بقولـه :

« سوف يفرغ القراء من هذه المجموعة وقد اختلفوا اذواقا واهـواء تتفاوت مراتب اعجابهم بهذه القصة او تلك ولكنهم سيتفقون جميعا على ان كاتبة قصصية قد بزغ نجمها في ادبنا العربي الحديث . »

ويستشعر تيمور اهتمام المؤلفة بالاسلوب اكثر من اهتمامها بالموضوع والهدف فيعاتبها في ذلك عتابا حلوا جميلا لا تكاد تحس معه مـــرارة العقـاب .. فيقول :

« ومهما تكن غلبة الرأي القائل بان القصة يجب ان يكون لها موضوع وهدف وان تستعلي فيها جانب الفكرة وأن تكون تجربة من الحياة لها اثر في التعريف بالحياة فلا ريب في ان القصة في اول الامر وآخره ادب ، والادب الوان والحظ العظيم فيه لامتاع النفس برقة الحديـث ولطف المناجاة وعذوبة السمر وفي اكثر اقاصيص هذه المجموعة نماذج طيبة لهذا الضرب من الحكايات التي تدخل في باب الاسمار تهش لهـا النفوس وتلذ الاسماع ... »

ويستشعر ايضا قلة حظ قصصها من الحوار فلا يتوانى عن الاشارة الى ذلك في مقدمته في لباقة وحذر شديدين .

« والكاتبة في اقاصيصها تمضي في سرد المواقع وسياقة الاحداث لا يخلو سردها وسياقها من تصوير ولكنه تصوير قليل الحظ من عنصر الحوار وليس ذلك عن قصور منها في عقد المحاورة بين الابطال وانما هو اتجاه ومنهج ولو انها عنيت في تصويرها بعنصر الحوار لكانت لها فيـه آيات .. فان المحاورات القليلة في اقاصيصها تدل على فطنة ولباقة في تصريـف الحديث ... »

وقد خصص تيمور جزءاً من حديثه عن الكتب لمناجاة اصحابها وأفرد لذلك فصلا في نهاية الكتاب اسماه « مع المؤلفين » وبداه بالحديث عن « يحيى حقي » « وفجر القصة المصرية » واشار في مقدمة حديثه ـ وهو صاحب الحس المرهف ـ الى الحرج الذي احس به عندما دعي لمناقشة ذلك الكتاب « فأنا احد الذين تحدث عنهم المؤلف في كتابه وقد اعتبرني خيطا من خيوط ذلك الفجر فكان علي ان اترك ميدان مناقشة الكتاب لغيري ... »

ولكنه ما يلبث ان يطرح هذا الحرج جانبا ويتحدث عن صلته القديمة بالاستاذ يحيى حقي « عرفته اول ما عرفته على صفحات جريدة «الفجر» عرفته كاتب قصة ولا اذكر عنوان القصة التي قرأتها له اولا ولكني ما زلت اذكر طرفا من احداثها .. مشاجرة على السلم بين قطيع من القطة تقنيه سيدة عجوز حمقاء كان صياحها يعلو على مواء القطة فاذا هي واحدة من القطيع . وقد بدأ تعرفي الى يحيى حقي بفضل هذه المشاجرة الهوجاء فكانت بيننا صحبة كريمة ما زالت حتى الآن في مكان الاعزاز والتقدير .. »

ومن خلال صلته بيحيى حقي يستطيع ان يحدد معالم شخصيته «اروع ما يمتاز به يحيى حقي ان فيه حدة ذكاء وفيه رهافة شعور تتيحان له مهارة التقاط الصورة الفنية في الحياة والمجتمع .. »

وينتقل بعد ذلك الى الحديث عن كتابه « فجر القصة المصرية » فيقول : « لا شك في ان الكتاب في جملته يحمل هذا الطابع طابع الذكريات ومن ثم يبدو فيه بشكل واضح تداعي المعاني واستطراد الحوار وربما يلاحظ الناقد من اجل ذلك الطابع الذي اشرت اليه ان مؤلف الكتاب لم يلتزم فيه الاسلوب المنهجي في البحث والاستقراء والتحليل ففي الكتاب شيء من الاجمال وفيه ايضا شيء من الاغفال ...

ولكن الكتاب على الرغم من ذلك وثيقة ثمينة لتاريخ الادب على وجه عام وتاريخ القصة على وجه خاص وهو مادة غزيرة لذلك التاريخ وقد احتوى اشارات تاريخية ولمحات نقدية جديرة بكل اعتبار .. »

وكاني بتيمور يصف بعين الغيب كتابه « المناجيات » وهو يتحدث عن « فجر القصة » فكتابه يصدق عليه الكثير مما قاله عن كتاب صديقه يحيى حقي ، اليست مناجياته للقصص والقصاصين العرب وثيقة لتاريخ القصة ومادة لذلك التاريخ تحتوي على اشارات ولمحات جديرة الاعتبار..

واخيرا فقد احسن المؤلف اذ ضمن كتابه دراسة لاربعة كتب من شوامخ الادب العالمي هي « مذكرات آدم وحواء » لمارك توين ، « وبيت الدمية » لهنريك السن ، و « ذهب مع الريح » لمرجريت متشيل ، و « الزنابق الحمر » لتاجور . وهذه الكتب ليست غريبة على قراء العربية فقد نشرت لها اكثر من ترجمة في السنوات الاخيرة .

ولا غرو ان يشعر القارىء بعد ان يفرغ من قراءة هذه « المناجيات » انه كان في رحلة ساحرة طاف خلالها برياض الادب قديمه وحديثه والتقى اثناءها بكثير من حملة الاقلام لقاء مباشرا فيه الكثير من الحقيقة والقليل من الخيال ...

الاسكندرية — فوزي عبد القادر الميلادي

•

ابراهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته

تأليف البدوي الملثم ـ ١٨٤ صفحة ـ منشورات المكتبة الاهلية ببيروت المطبعة (؟)

الاستاذ يعقوب العودات « البدوي الملثم » واحد من ادبائنا المعاصرين

صدر عن :

دائرة الدراسات السياسية والادارة العامة

الجامعة الاميركية في بيروت

كتاب

الوثائق العربية

١٩٦٣

اضخم مجموعة للنصوص الكاملة للبيانات والتصاريح والبرامج السياسية للدول والاحزاب والشخصيات في الشرق العربي .

٢٩٠ وثيقة في ٨٥٠ صفحة (الصفحة عاموديان)

الثمن ٢١ ل.ل. أو ٧ دولارات اميركية

اطلبوا هذا المرجع الذي لا غنى عنه من :

مكتب التجهيز والبيع ـ الجامعة الاميركية في بيروت

او

دائرة الدراسات السياسية ـ الجامعة الاميركية في بيروت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الذين أولوا اهتمامهم ، ووجهوا عنايتهم نحو أحيـــاء تراثنا الفكري ، وابراز صورة واضحة لوجه الادب في دنيانا العربية ، وذلك عن طريق ما قدمه من بحوث ودراسات بوأته مكانته بين ادبائنا المعاصرين .

و « ابراهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته » هو عنوان آخر كتاب صدر له عن شاعر من اكبر شعراء فلسطـــين في فترة ما قبل النكبة ، واكثرهم تحسسا للواقع الذي كان يعيشه وطنه انذاك ...

الكتاب يتناول ناحيتين ، او قل خاصتـــين هامتين في شعر هـذا الشاعر ، درس في فصل منه الجانب الوطني في شعره ، وفي الآخر الجانب الوجداني ، مع ترسم كامل لمراحل حياته ، واستجلاء ما خفـي منها ، ورصد دقيق امين لما مر في حياة الشاعر من احداث وتطورات كانت سببا في تغيير مجرى حياته وشعره .

وهذا الكتاب كان قد صدر من قبل في كتابين كل منهما مستقل عن الآخر . الاول « الغواني في شعر ابراهيم طوقان » وكان قد صدر عام ١٩٥٧ ، تناول فيه بالدراسة شعر ابراهيم الغزلي والوجداني . امـا الثاني ، فهو : « الوطن في شعر ابراهيم طوقان » ، رسم فيه صـورة واضحة لوطنية ابراهيم ، وعرض لشعره عرضا ، يمكننا ان نقول عنـه وافيا ، وقد صدر عام ١٩٦٠ وهذا الامر لم يشر اليه المؤلف في كتابـه هذا من قريب او بعيد ، ولكنه اخبرني عنه في رسائله الي .

وقد رأى الاستاذ الباحث اصدار هذين الكتابين وضمهما في كتـاب واحد بطبعة جديدة امرا ييسر للباحث والمتتبع والقاريء ـ على حـد سواء ـ دراسة جانبين هامين من شعر هذا الشاعر .

قدم الاستاذ موسى سليمان للكتاب مقدمة ضافية ، تكلـم فيها عـن الشاعر ، وابرز بعض الملامح الهامة من حياته الشعرية والقومية، فقال: « ... ابراهيم طوقان شاعر غريب غرد في قومه فلم يسمعوا ولم يعوا ، لقد جرح الفناء منه الحنجرة ، وبح منه الصوت ، وانهد منه الحيل ، حتى تلاشى الامل ، وقومه عنه لاهون حتى ضاعوا وضيعوا معهم وطنـا ابيا عزيزا على قلوب العرب اجمعين ، هو درة الاوطان . » ص ٧ .

وعرج بعد هذا على مؤلف الكتاب ، ليقول : « فلقد استطاع مؤلف هذا الكتاب الاديب يعقوب العودات ، ان يعطينا ، عن ابراهيم الشاعر ، صورة وضاءة مجلوة جلاء لا اصدق ولا اروع ، فهو يرافقه مرافقة الاخ لاخيه ، والحبيب لحبيبه ، يخطو حيث يخطو ، ويسير حيث يسير » (ص ٨) .

وهناك ملاحظتان اود تسجيلهما هنا ، ارجو من الاخ المؤلف ان ينتبه اليهما في طبعات كتابه القادمة :

١ ـ جاء في ص ١٤ قوله : « وفي اليوم الثاني من شهر ايار ١٩٤١ خبا وهج ذلك الشعاع الساطع . » ويقصد به ابراهيم . والحال ان المرحوم ابراهيم توفي في اليوم الثاني من الشهر المذكور ، كما جاء في ص ١٠٢ من الكتاب ذاته ... واغلب الظن ان ذلك جاء سهوا .

٢ ـ جاء في ص ٨٧ من قصيدة للشاعر ، كتب مطلعها هكذا :

قد شهدنا لعدلكم بالعداله وختمنـا لجندكم بالبساله !

والصواب هو : قد شهدنا لعهدكم بالعدالة

لقد اعطانا المؤلف صورة واضحة جلية عن حيـاة ابراهيم وشعـــره ونضاله الوطني في سبيل قضية العرب القومية .. كل ذلك بلقطات بارعة ، وتحليل يعتمد على المنهجية في بعض الاحيان ، ولم يدع شاردة او واردة الا وسجلها ، ولم يترك حدثا قال فيه ابراهيم شعرا الا وبيّن اسبابه ، واوضح نتائجه ... كما ضمن كتابه بضعة قصائد ومقطوعات لم يضمها ديوان الشاعر المطبوع .

ولكن الذي لا بد من الاشارة اليه ، هـو ان هنـاك جوانب عديـدة ، وخصائص هامة في شعر ابراهيم لم تدرس الدراسة التي تستأهلها ، ولم تقيم على اساس نقدي حديث .

ودراسة الاستاذ البدوي الملثم هذه ضمت الدقة والاحكام ، وحملت بعض الشمولية والموضوعية ، اضافة الى دقة العرض وسلامته . فقد عرض لآرائه بامانة ، ولم يدع حادثة هامة مرت بحياة الشاعر الا وقف عندها ، وحللها ، وذكر ما قال فيها من شعر ، فلا يتركها الا بعـد ان يشبع شغف القارىء ، ويسد حاجة الدارس . فانه عمل جدير بالتقدير، قمين بالاعجاب هذا الذي اضطلع به الاستاذ المؤلف ، فقد بذل قصارى جهده في سبيل اخراج هذه الدراسة الموضوعية التي سدت فراغا في المكتبة العربية ، واعطت صورة واضحة الملامح عمن كتبت عنه . فللاخ الاستاذ يعقوب العودات تهنئاتي الحارة على هذا الجهد المشكور .

العراق ـ سامراء **ماجد صالح السامرائي**

●

انغام حائلة

مجموعة شعرية ـ روحية القليني ـ صفحة (؟) ـ مطبعة (؟)

صدر الديوان الثاني للصديقة الشاعرة روحية القليني بعنوان « انغام حائلة » والمعروف ان الشاعرة اصدرت من قبل ديوانها الاول « همسـة روح » وهناك بون شاسع بين الديوانين كما تقول الشاعرة وكما يظهر في الديوان الثاني من تطور في الشكل والمضمون الشعري وقد قدمت لديوان الشاعرة الاميرة دنيا عبد الحميد فقالت : « يظهر في الديوان الى جانب القدرة الفنائية الجميلة والحماس الوطني وروح الوفاء المتجلية في المراثي فهو معنى الايمان بالله في مراثيها وقصائدها الصوفية وهذه النواحي كلها تتخلل الديوان وتضيء جوانبه » .

والديوان يحتوي على مجموعة من الاشعار القيمة الوجدانية والوطنية والصوفية فهي تبدأ ابتهالاتها لامها فتكتب عنها قصيدة كاملة وتهديها الديوان.

والاشعار من حيث المضمون كانت مجددة واعطت عطاء طيبا وكذلك من حيث الشكل العمودي اذ استطاعت الشاعرة ان تثبت ان الشعر العمودي قادر على استيفاء التجربة والتعبير الجديد . ولكن لا بد ان اهمس في اذن الصديقة وجود الرتابة الموسيقية في بعض القصائد حيث تتكرر القافيـة والنفس الشعري في قصيـدة « الام » وقصيدة « ايمـان » وقصيدة « رثاء الجرنوسي » والمقطع الاخير من قصيدة « حيرة » امـا قصيدتها في رثاء اخيها فلم تصل في اعتقادي للمستوى الشعري لان الشاعرة قدمت لنا وزنا مكررا ومعان مكررة ولم تصل الى لمستوى فدوى طوقان في رثاء اخيها . فاو قارنا بين قصيـدة فـدوى « على قبره » وقصيدة روحية لوجدنا فرقا شاسعا وبطبيعة الحال لم تصل لحرارة عاطفة الخنساء حيث تقول :

يذكرنـي طلوع الشمس صخرا واذكره لكـل طلـوع شمس
ولـولا كثرة الباكـين حولي على موتاهـم لقتلـت نفسي

وبجانب هذه الملاحظات البسيطة لا انكر اعجابي بباقي القصائد ولا بد ان اسلط الشعاع على قصيدتها « قبل الوعد » التي تقول فيها :

أختاه قولي اي ثوب من ثيابي ارتدي
ماذا سيظهر فتنتي لمـا ارو حواغتدي
انت الخبيرة بالهوى وانا بذوقك اهتدي
ماذا بحقك قد صنعت لتجذبيه فاقتدي

وتمضي فتاة العصر في التجمل للحبيب القادم ويتخلل القصيـدة الخوف من الجنس الآخر دائما وهو موجود بطبيعة الحال في كل امراة :

لكن اخاف اذا التقينا ان تذوب صراحتي

ولكنها تعود لتكمل الزينة وتعد الفرقة الزرقاء وعقود الياسمين . وقصيدة « قبل الوعد » من اروع القصائد التصويرية في رأيي .

وعندما تصف الشاعرة الربيع فتصفه على الطريقة القديمة وان كان ربيع روحية اجمل وارق . وهي لا تفتأ تعترف بانها انثى فيها كل صفات الانوثة ومكر النساء حيث تصد عن الحبيب وهي تحبه كل الحب :

اغـرك منـي صفاء ابتسامـي وسرك منـي رقيـق كـلامـي
خدعتـك لكـن هـو الكبريـاء فمهما دعانـي ساخفي غـرامي

وروحية متصوفة تسبح في آفاق الايمان والروحانية وان كـانـت تجربتها الروحانية غير عميقة لا تصل لمستوى رابعة العدوية او ابـن الفارض وهي معذورة لان الحضارة الحديثة والواقع يقطعالتجربة الشعرية الروحانية لان النفس الانسانية كنهر دائم الجريان لا يقر على حالةواحدة.

وهناك قصيدة جميلة استرعت انتباهي وهي قصيدة « دموع الشاعرة » نجد فيها نفس روحية وصفاء وجدانها وهي خلاصة التجربة عندها :

ليس شعري كلمات انه الحان قلبي
صفته في الليل يحكي عمق اشجاني وحبي
وسالت النجم يرعى ساهرا قلب المحب
يرسل النجوى شعاعا تسحر اللب وتسبي
سهري يا نجم وجد وحنـين ونواح
ووسادي وحده يعلـم اسرار الجراح
ارسم البسمة زيفا عندما يأتي الصباح
واغني مثل طير شفه الوجد فناح
وعلى درب الحيارى افرش الورد المعطر
امسح الدمع بكفي وبقلبي منه اكثر
ومع الباكين ابكي وعلى اللوعة اسهر
كم اواسي الناس لكن لشجوني لست اظهر

وروحيةبجانب وجدانياتها شاعرة وطنيةتفرح للفلاحلعودته لارضهوتشاطر الشعوب العربية الامها فتحيي الجزائر وجميلة وتكتب عن بور سعيد . وهي لا تنسى شعب فلسطين المشرد فتتحف ديوانها بقصيدة « عـودة الاحرار » تصف فيها الطفل الشريد واللاجيء وزمهريـر الشتاء وتورد صور من النكبة وان كانت غير عميقة التجربة في هذه القصيدة الا انها صادقـة العـاطفـة .

اما بعد فهذا ديوان روحية القليني الثاني « انغام حالمة » وهذه كلمتي الموجزة التي لن تؤخر ولا تقدم في عظمة الديوان كعمل فني وفكري وهذا الحكم العابر انما هو من باب « النقد التاثري » وروحية قبل كل شيء صديقة مخلصة وشاعرة كبيرة ومع اعجابي بهذا الشعر العظيم وهـذه الشاعرية الاصيلة اقول للاخت الكبيرة الى الامام يا شاعرة الطليعة والى اللقاء في ديوانك الثالث ان شاء الله .

القاهرة محمد عز الدين المناصرة

●

مـــع الطليعـــة

تاليف فؤاد صروف ـ ٢٣٢ صفحة ـ المطبعة (؟)

كان لا بد لي ، وانا الذي عشت في دار « المقتطف والمقطم » اكثر من عشر سنين اتعلم الصحافة ، وأشافه رجالاتها ، واحضر درس التوجيـه الرشيد الذي كنا نتحلق حوله في كل اسبوع ، على يد العالم الجليل فارس نمر ، احد اصحاب هذه الدار الصحفية الكبيـرة ، فضلا عـن التوجيهات اليومية التي يمليها علينا ، او يرسلها للاطلاع الاستاذ خليل ثابت ، او تلك الجلسة الممتعة التي كان يتصدرها الصديق الاستاذ وديع فلسطين ، ويخضرها جل اهل العلم ، وارباب القلـم ، سواء من سكـن القاهرة ، او جاء من بلد بعيد ، ليسمع او يناقش ، او يجادل ، او يعرض ما عنّ له في مطالعاته طيلة ايام الاسبوع ، كان لا بد لي من ان التقي مع احد اصحابه في كتاب او كتب ، او حديث عابر ، اعرض فيه وجهـة نظري ، نحو صاحب هذا الكتاب ، او هـذه الكتب التـي اربت علـى الثلاثين : علما وتربية وادبا ...

كانت هذه الدار التي وجهت الصحافة العربية هذه الوجهة السليمة على صغر حجمها ، وقدم بناياتها ، تضم اصحابها الاعلام ، والعاملين في حقل الصحافة الناضجة الناجحة التي نسج على منوالها في العلموالادب والاخبار ، كثير من الصحفيين في اكبر الدور الصحفيـــة ، التي يشار اليها الآن ، واصبحت عنوانا على الصحافة المتقدمة بما ترسمته من فن في « المقطم » او ما اخذته من علم من : « المقتطف » .

والواقع ، ان اصحاب هذه الدار ، كانوا يفسحون صدورهم لكل من يريد الانتساب اليهم ، او يمضي معهم على جادة الطريق ، وكان الاستاذ فؤاد صروف شانه شان والده واعمامه ، يهمه ان يأخذ بيد هؤلاء ، الذين يحومون حول الدار او يدخلون ، وعندهم امل التخرج على يديه ، او بين اكناف هذه الدار الواسعة التي مضت في رسالتها ، تحدوها الرغبة في السمو، وتتيه بما تنشر من خبر صادق او بحث سليم ، او رأي سديد .

على اني ، وان كنت معنيا بما ينشر هنا وهناك من ادب وعلم ، الا انني لم اكن اعنى بما ينشره فؤاد صروف من بحوث ، او ما يخرج من كتب ، الى ان لفت نظري الاستاذ وديع فلسطين ، الى كتاب : « مع الطليعة » الذي نادى فيه صاحبه : كل من يستشعر في صفحاته طائفا من عنايـة بمعنى او خشوع لذكرى ، فهو من ذويه الادنين ..

والعجيب انني استشعرت في كـــل صفحاتـه العناية ، وخشعـت لبضاته ، فكنت من ذويه الاقربين ، فعلا وقوة ...

وكتاب : « مع الطليعة » التي تناهز فصوله الثلاثين ، يعمر بالتوجيهات والتراجم ، ويعنى بالتربية ، ويضم الرأي الفرد ، والحكم السليم ، مما جعل لنكهته الشهية ، ان تجتذب اليها الجائع ويلوي اليها الصادي ، يوم لا يكون هناك ري ، يبل الاوام ...

والذي يقرأ قول فؤاد صروف : « اشعر بزهو يهز كياني ، وبغبطة ترفع رأسي ، اذ استجلي اننا تقدمنا الى هيكـــل العلم والمعرفة مع سائـر الشعوب ، ووضعنا بعض الحجارة في اساسه » يختال تيها ، ويعجب للمسات هذا العالم ...

ثم يضع الاستاذ فؤاد صروف ايدينا على ما يجب علينا : « فالواجب النابع من اعماق النفس ، واغوار الشعب ، وعبـــر التاريخ ، وواقـع الانسانية ، يفرض على ابناء الطليعة في كل جماعة وكل بلد ، ان يقبضوا على عنان العلم من اجل الفهم والقدرة والانشاء ، وان يعبوا من مناهـل التاريخ من اجل العزيمة والحكمة ، وان يستشرفوا العالم ، زمـانـا ومكانا ، اخذا وعطاء ، من أجل السير في موكب الحضارة وتوجيهه ، وان يتقدموا في شجاعة وصلابة الى حمل اعباء التبعة الاجتماعية من اجل الاصلاح ، وان يروا بالبصيرة الرؤى الرائعة ، التي تنتظر من يحققها من الطلائع والرواد . فاذا فعلوا فقد نالوا من التربية الصحيحة المتكاملة لبابها ، واسبغوا على معهدهم شرفا لا يطاوله شرف وعلى مجتمعهم نعما لا توزن ولا تقاس ، وكانوا الرواد الذين يضفر لهم التاريخ اكاليل الغار وان عذبوا واضطهدوا واستشهدوا ، فاذا هم بما كانوا وما صنعوا علم مضيء على طريق الانسانية الصاعد الى الذرى . »

ثم يحرص الاستاذ فؤاد صروف على الاشادة بفضائل العلم ، ويجعله كل شيء في التقدم والحضارة : « اما الصفة الواحدة ، فهي القدرة النابعة من امتلاك ناصية العلم ، ومن السجايا العقلية والخلقية التي لا بد من توافرها لتحقيق هذا الامتلاك ، التي يؤتيها العلم الصحيح كل من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أمتلـــك ناصيته » . « ومن هنا اقوى للمقبلين علـى التخصص فـي الدراسات العلمية ، لا تهملوا الآداب والفنون ، وللمقبلين على التخصص في الدراسات الادبية ، لن تكونوا ادباء حقا ، اذا نفضتم ايديكم من فهم بعض القوى العلمية الفاعلة اقوى فعل ، في حياة الناس » .

ويحدد العلامة فؤاد صروف الرجل المثقف بانه : « ينبغي ان يكون ذا عقل صقلته الرياضة الفكرية ، والتمرس باصول العلوم والفنون ، دون ان يكون ـ ضرورة ـ عالما متمكنا او فنانا مبدعا ، او فيلسوفا . ويجب ان يكون ذا عاطفة ارهفها التذوق الفني ، في جميع الفنون الرفيعة . فهذه العاطفة المثقفة لا تغني عنها معرفة ، مهما تتسع وتعمق ان كانت معرفة وحسب ، عن الفنون . اما التذوق الفني الاصيل ، فيقتضي ان يلازمه ويغذيه قسط من معرفة ، تسعف النقد السليم ، وفي هذا الاندماج سر النشوة الفنية » .

« والرجل المثقف اخيرا ، هو الرجل الذي يعتز باولوية الفكر السليم، فلا يكابر في امر عن عناد ، ولكنه يملك الشجاعة التي تمهد له الاستمساك برأي يراه صوابا ، وان عز الانصار ، او تمهـــد له الاعتراف بالخطـا بوداعة ، اذا رأى وجه الخطا فيما رأى » .

والرجل المثقف في رأي فؤاد صروف ، اخيرا ، « هو الرجل الذي يدرك : « السعادة المتزنة » و « الاتزان العقلي والعاطفي » ، بمعاشرة مبدعي الثقافة والمثقفين ، احياء ، وآثارا باقية على الدهر » .

وليس ادل على حب الاستاذ فؤاد صروف للثقافة ، من انه يوجهنا الى كيف نقرأ ، ويهتم الاهتمام كله بسرد شيء مما وقع له ، فيقول : « وقد تعودت منذ حداثتي انني اذا دخلت دارا مهما تكن صغيرة فاول ما التفت اليه ، مكان الكتب فيها ، فان لم اجد فيها بضعة كتب ، تدل على حياة النفس والعقل في تلك الدار ، شعرت انني في قفـر خال مـن الخضرة والمـاء » .

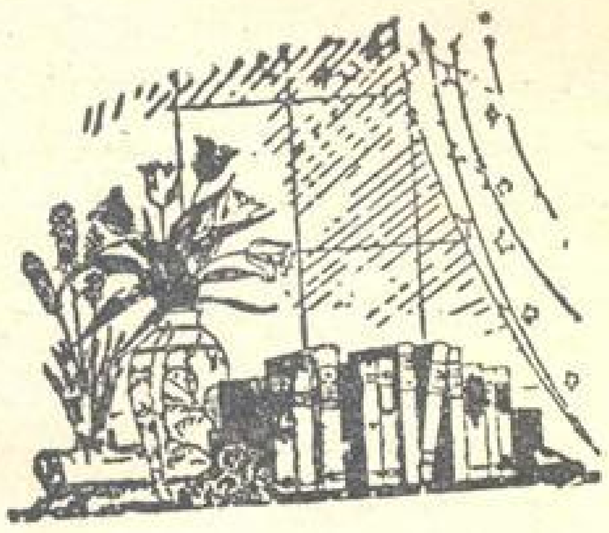
« وايا كان غرضك من المطالعة ، واسلوبك فيها ، فالامر الذي لا ريب فيه ، هو ان المكتبة المختارة الخاصة ، ليست مـن الكماليات بل مـن الضروريات ، ومطالعة الكتب الممتازة ـ قديمها وحديثها ـ لها نشوة دونها نشوة الراح ، ومنها فائدة لا توزن بدرهم او دينار » .

ويتحدث الاستاذ فؤاد صروف ، عن اتجاهه الى الناحية العلمية في كتابته ، ويرجع ذلك الى نشأته بين احضان « المقتطف » وما كان عليه عمه الاستاذ يعقوب صروف بين اهل العلم والفكر ، وانصرافه ، في عهد الطب ، الى العلوم الطبيعية ، « جاء انصرافي ، في فترة طويلة من حياتي، الى التاليف العلمي الميسر ، نتيجة لعاملين اثنين ـ اولهما عنايتي ، في عهد الدراسة في الجامعة ، بالعلوم الطبيعية دون اغفال الادب والتاريخ واقتناعي ، بان العهد المقبل في تاريخ البشر ، وتاريخ العرب بوجه خاص، مرتبط اوثق ارتباط ، بتقدم العلم تقدما اصيلا وبتطور الزراعة والصناعة القائم على العلم ، وبأخذنا نحن في لبنان والبلاد العربية بتلابيب العلم ، كما فعلنا في حقبة ثانية من تاريخنا العريق ، والتوسل به لانهـــاض الشعب بتحسين صحته ، والانتفاع بموارد الطبيعة في ارضنا . وقـد اجتمعت هذه المعاني في نفسي حتى صارت في منزلة عقيدة اؤمن بها ، ومهمة احاول ان اضطلع بها ما استطعت .

واما العامل الآخر فاوجزه بكلمة واحدة هي « المقتطف » . وقد كانت مجلة « المقتطف » في ايام دراستي ذات منزلة عالية عند جماعة المثقفين في العالم العربي . وكان بينهم من يعدها « معلما » لجيل او اكثر منهم. وكان عمي ، يعقوب صروف ، احد اثنين انشآها يوم ان كانا استـاذين في الجامعة ، وكنت اذا عدت الى بيتنا في حدث بيروت ، في اجازة من الجامعة ، اعكف على مجلدات « المقتطف » اطالعها ، حتى لاحسب اني طالعت اكثرها ، فالتقت في نفسي العقيدة والمتعة والرغبة في ان احذو حذو عمي عسى ان يروقه ذلك ، وان انال بعض التقدير الذي كان يستمتع به بين اهل الفكر والعلم » .

ثم يتحدث الاستاذ فؤاد صروف عن الصحافة ويتناول علاجها ، بعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الاديب

⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العـادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابهـا سواء نشرت ام لـم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : (الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819)
(المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139)

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البـير اديب

تعريفها وتوضيح رسالتها ، ثم لا يفوته ان يعالج مشكلة الامية ، ويرسم الخطوط الواضحة لادوائها ، فيقول : « بيد ان الامية ينبغي ان تمحى ، لا لزيادة القدرة على الانتاج وحسب ، او لتوفير اسباب الصحة وحسب، وان كانا كلاهما ، خيرا اساسيا ينبغي ان تحدي اليه الركائب ، بل محوها واجب ، لان هذا الانسان الذي برأه الله ونفخ فيه من روحه ، لن يستطيع ان يخطو على الطريق المفضي الى تحقيق بعض انسانيته وكرامته ، ان لم تتح له الفرصة ليعب من مناهل الحكمة البشرية المفرغة في قوالب شتى من الادب العالمي العالي ، وان لم يتمكن من فهم تاريخه القومي ، فيتعرف الى بعض اخطائه حتى يجتنبها ، والى بعض امجاده حتى يستوحيها . فهذه الذخائر التي تفتح له « الكلمة » ابوابها الموصدة، تتيح له على مراحل ، ان يرتفع درجة درجة على سلم الثقافة ، التي تصقل الملكات ، وتهذب الفطرة ، وتجعل الناس ادنى الى التفاهم والسماحة ، والتعاون على الخير » .

وللاستاذ فؤاد صروف قدرة عجيبة على الارتجال في اي مجال من مجالات العلم ، او محفل من محافل الادب ، فاذا ما انتهى الحفل ، وتفرق الجمع ، وعاد الى بيته ، وجلس الى مكتبه ، استطاع ان يدون ما القاه دون اعداد ، واستعادة ما حدث به ، على كثرة تزاحم المحافل ، وتعدد الكلمات وتفرع المناقشات التي تدور هنا وهناك ، و « المنجدات » و « الكشاف » و « يوم الشجرة » شواهد على هذا الاستعداد ، وبواسق على : « ربنا ، في هذه الارض المختارة ، نوزع اليوم اغراسا ندية ، فباركها في مهدها ، بمحبتك ، وارشد في سراديب التربة جذورها الطرية ، وارفع اغصانها الى السماء ، وامنحها القدرة على النماء والعطاء ، حتى تؤدي فريضتها ، ظلا وزهرا وثمرا ، لعبادك المسبحين بنعمتك وحمدك آمين » .

ولقد اسهم الاستاذ فؤاد صروف بقلمه في دراسة هؤلاء الاعلام الذين تاهت بهم الدنيا ، وكانوا النبراس المضيء في مجالات العلم والادب والريادة ، فبدأ بالاخطل الصغير ، ثم ثنى بسعيد تقي الدين ، ثم ثلث بالرافعي ، ثم تناول طاغور والياس فرحات وشبلي الملاط وابراهيم المنذر وبهيج مراد بارودي وجميل تلحوق واحمد عارف الزين ومحمد سلام وميخائيل شديد وحسن كامل الصباح ويعقوب صروف وعيسى اسكندر المعلوف ...

والحق ، ان الاستاذ صروف ، قد نهج نهجا جديدا في دراسة الاعلام ، ورسم خطوطا بارزة في هذه الدراسة الماتعة ، فبدأ بالعصر الذي عاش فيه العالم او الاديب ، واثر العصر في شخصه ، وتاثر الاديب او العالم به ، وبما دار فيه ، واستعراض التواريخ المتصلة بحياة هذا البطل ، وقسمه حلقات واثر كل حلقة وقف على ابوابها المؤرخ له ، بعد ان فرض نفسه بسلاحه ، على دخول معركة الحياة ، واثبات ما له من حقوق ، تجاه التاريخ الذي دان لكل هذه العبقريات التي ارخ لها فؤاد صروف ، ووقف واياها في ميادين النضال ، يحملون شرف الكلمة ، ويدافعون عنها في صبر وأناة ...

ولا يسع اي كاتب مهما اوتي من البيان ، وملك ناصية القول ، الا ان يكبر في فؤاد صروف العقل والمعرفة ، ويتمنى ان لو كان له انداد ونظراء ، ديدنهم العلم ، وشاغلهم الاطلاع ، وسلاحهم فل الحجة بالحجة ، ومقارعة الخطوب ..

وهو في كتابه هذا، كما في جميع كتبه التي من طرازه ، مثل : «على الطريق » و « عند الباب » يجمع في شخصه رحابة ذهن الفيلسوف ، ودقة ذهن العالم ، وصفاء ذهن الاديب ، ورجاحة ذهن الحكيم ، فيؤدي لها جميعا حقوقها كاملة بما دان له من حصيلة فكرية غزيرة ، وبما انفعل به من تفكير ذاتي تاجم عن تلاحم هذه الثقافات جميعا ، وتلاطمها في ذهنه الولود المنجاب الناضج .

القاهرة — ابو طالب زيان



ظهر حديثا

● عالم حر جديد في اسيا وافريقيا والوطن العربي ـ تاليف محمد جميل بيهم ـ ٣٩٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● القيم الروحية في الشعر العربي قديمه وحديثه ـ تاليف ثريا عبد الفتاح ملحس ـ ٤٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكتاباللبناني ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ادونيس وعشتروت ـ ملحمة شعرية ـ فؤاد الخشن ـ ١٤٨ صفحة ـ مع عدة لوحات ـ منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● اوراق عمر ـ شعر ـ غادة سلهب ـ لوحة الغلاف بريشة محمد علي الخطيب ـ ٩٦ صفحة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الاصالة في الشعر الشعبي العراقي ـ تاليف جميل الجبوري ـ ٦٨ صفحة ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد ببغداد (لم يذكر اسم المطبعة).

● دنيا ـ مجموعة شعرية ـ ايوب عباس ـ ١٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● مع الادب العاملي : دراسة ونقد وتحليل ـ تاليف علي الزين ـ ٢٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة سميا ببيروت .

● الضواري وعيون الاطفال ـ شعر ـ احمد دحبور ـ مصمم الغلاف احمد دراق ـ ١٠٨ صفحات ـ مطبعة الاندلس بحمص .

● راحل عبر الافق ـ تاليف بنيامين يوسف كاندلو ـ ترجمه من اللغة الارامية سيمون ملكوم اميرخاص ـ ٤٨ صفحة ـ مطبعة شفيق ببغداد .

● ثوار ـ شعر وطني ـ لمجموعة من الشعراء ـ تقديم الدكتور محمد ثابت الفندي عميد كلية الاداب بجامعة الاسكندرية ـ ٢٥٦ صفحة ـ منشورات الهيئة المحلية لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية بالاسكندرية ـ مؤسسة بور سعيد للطباعة والنشر (؟)

● لقطات ملونة ـ مجموعة شعرية ـ سعد البواردي ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات دار الاشعاع (؟) ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت .

● نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما ـ تاليف امين الريحاني ـ الطبعةالثالثة ـ اشرف على تصحيحه وطبعه البرت الريحاني شقيق المؤلف ـ ٤٩٦ صفحة ـ منشورات دار الريحاني للطباعة والنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● احمر من الحمار : قصص جد وقصص مزاح ـ تاليف ميشال نقولا ـ ١٤٢ صفحة ـ مطابع سميا ببيروت .

● بيان الواقعية الايحائية : نظرية الفنان رولان خوري ـ تاليف الدكتور نهاد رضا ـ ٥٦ صفحة ـ مع ٨ لوحات لرولان خوري ـ منشورات الصفا بحلب ـ مطبعة الضاد بحلب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجذور الحديثة لمشكلة الازدواج اللغوي ١٨٨٠ - ١٨٩٠

بقلم الدكتور صالح جواد الطعمة

ليس من شك في ان الازدواج اللغوي في العربية يعد من ابرز القضايا الفكرية التي شغلت رجال الفكر والثقافة في العالم العربي منذ بدء النهضة الجديدة حتى يومنا هذا . ولا تزال هذه المسألة اللغوية موضع نقاش وجدل في مؤتمراتنا المختلفة ، (تعليمية كانت ام ادبية ، ام مجمعية) او بين حملة الاقلام على اختلاف ميولهم وتخصصهم . وذلك امر طبيعي بالنظر الى خطورة المسألة ذاتها، وعلاقتها بابعاد سياسية وادبية وثقافية او دينية ، غير ان معظم المحاولات او الدراسات العربية ظلت تدور في حلقة مفرغة، بعيدة عن صلب المشكلة ، متأرجحة بين الدعوة الى تفضيل العامية على الفصحى كلغة الحياة والثقافة ، او القضاء عليها . وكان من نتائج هذا المنهج ظهور دراسات ومقالات مثقلة بالتكرار وتبادل التهم وخصائص اخرى هي اقرب الى الطابع العاطفي غير العملي منه الى النهج الموضوعي الهادىء . فتارة نسمع بان المشكلة « خرافية » او انها اثر من آثار الاستعمار ، واخرى تجد اصحاب هذه الدعوة او تلك يتهم بعضهم الاخر بانهم دعاة هدم او رجعية ، ثم تهدأ العاصفة حينا لنواجه المشكلة مرة اخرى ، ولعيد ما قيل من قبل كما لو لم تكن هدفا لمحاولات مماثلة .

ولست اريد بهذا الادعاء بان من الممكن التخلص من العناصر العاطفية في معالجة موضوع يمس مصير الكيان العربي الموحد ، بل اريد القول باننا غالبا ما نجانب تفهم المشكلة تفهما علميا او معالجتها معالجة تقودنا الى حل ، او تضيف الى معلوماتنا ما يلقي الضوء على تاريخ التطور اللغوي للعربية ، بسبب ضعف العنصر الوصفي في منهجنا، واقحامنا فيه امورا من طبيعتها خلق جو حزبي مفتعل بين انصار هذا الحل او دعاة ذلك المذهب .

ان من اوليات المنهج العلمي الارتكاز على اساس الوصف وجمع الحقائق كما هي ، لا كما نود ان تكون ، وتحليلها او تفسيرها في ضوء ما توصل اليه العلم ، ونحن بالرغم من الضجة الكبرى المستمرة حول المشكلة اللغوية ، لا نزال نفتقر الى دراسات وصفية دقيقة تعنى بتقرير الفروق اللغوية ، وحقيقة اللهجات المعاصرة ، واختلافها من بيئة الى اخرى ، وما يحيط بموضوع الانتقال من العامية الى الفصحى من امور كظاهرة « التدخل » في اكتساب عادات لغوية جديدة واتقانها ، وما له من آثار في النمو العقلي للفرد (١) .

ان القول بان الاعراب هو الفارق الاساسي الذي يميز الفصحى من العامية ، او ان التعليم سيزيل الفروق ، او ان اختلافا كهذا طبيعي في كل لغة ، او غير ذلك من الاحكام ، لا يرسم الا صورة مشوهة للواقع اللغوي ، ولقد كانت « لجنة العامية والفصحى » في مجمع اللغة العربية بالقاهرة على حق حين قررت بان الطريقة المثلى في مواجهة الاختلاف بين العامية والفصحى ، هي اللجوء الى المسح اللغوي ، كما يمسح المهندس ميدانا من الميادين ليعرف حدوده وخصائص سطوحه ، ومعادن ارضه ، وحين وسمت كثيرا من المحاولات السابقة بالعفوية او اقتصارها على اشياء مفردة (٢) .

واذا كتب لقاريء ان يتتبع جذور المشكلة في معظم المجلات العربية وحدها كا «لمقتطف » و « المشرق » و « الرسالة » و « الضياء » و « العرفان » و « الاديب » و « الآداب » لهاله مقدار ما كتب حول الموضوع ، ولاصابته الدهشة لما افتتن به كتابنا من حب للاعادة والتكرار حتى ليصح القول بان ما نسمعه اليوم من آراء ، او ما نتتبع من محاولات لا يختلف جوهريا عما نشر خلال العقد التاسع (١٨٨٠ ـ ١٨٩٠) من القرن الماضي .

ان سبب اختيارنا لهذه الفترة لا يعني انها شهدت الاستجابة العربية الاولى للمشكلة ، اذ من المتوقع ان نجد محاولات اخرى قبل التاريخ المذكور كمعالجة «مارون نقاش » عام ١٨٤٧ * لمشكلة الحوار باللغة العامية في احدى مسرحياته ، بل يعود الى كونها تمثل سلسلة من المحاولات المنظمة التي هدفت الى تناول الازدواج اللغوي على اساس جديد نسبيا يتعارض والمنهج التقليدي الذي سار عليه علماء اللغة العرب في دراساتهم عن « لغة العوام او العامة » .

واول ما يواجه به القاريء في هذه المحاولات نزعة تشكيك او شك في مدى فاعلية الفصحى او كفاءتها كلغة للثقافة ، وهي مظهر من مظاهر الاتصال بالغرب ، والوقوع تحت تأثيره ، وجزء لا يتجزأ من الاطار العام لاستجابة المفكر العربي او المسلم للعنصر الغربي الجديد في حياته . اذ كما بدا المفكر العربي يتساءل متشككا عن مدى صلاح مؤسسات مجتمعه وتقاليده في بناء حياته الجديدة ، بدات حالة اللغة العربية تثير شكوكه ، لا سيما وقد اصبح لها دور اكثر فاعلية من ادوارها السابقة في الحياة الفكرية بعد خمود طال عدة قرون . وكان من الطبيعي ان تجد هذه النزعة بيئة صالحة لها في « لبنان » و « مصر » حيث توطد النفوذ الغربي ، واتخذ اشكالا مختلفة .

واغلب الظن ان الفكر العربي كان لا بد ان يعنى بهذا الموضوع الحيوي حتى ولو لم يكن للاستعمار يد في تشجيع الدعوة الى العامية ، او التخلص من الفصحى (٣) ، اذ ان عملية التعليم الشامل ، والنزوع الى محو الامية ، ـ وهي ظاهرة حديثة في تاريخ الحضارة الانسانية ـ تستلزم

اسهل الطرق واقصرها في تعميم القراءة والكتابة والمعرفة الاساسية ، وذلك يعتمد اعتمادا كبيرا على طبيعة لغة التعليم ذاتها .

ولهذا نجد ان محرر « المقتطف » يتناول موضوع « اللغة العربية والنجاح » من زاوية جديدة ، زاوية البعد بين الفصحى والعامية ، فيعزي تقدم الغرب الى التقارب بين لغة الكلام ولغة الثقافة فلغة الكتب ـ كما يقول ـ « لا تفرق كثيرا عن اللغة التي يتكلمون بها فيفهم العامي منهم كتاب الفلسفة كما يفهم العامي مناقصة بني هلال وينتفع عامتهم بالكتب كما ينتفع خاصتهم ، ولهذا نرى سبل النجاح مفتوحة لخاصتهم وعامتهم على حد سوي وبضاعة العلم رائجة عندهم اي رواج (٤) » .

ثم ينتقل الى المتكلمين باللغة العربية مشيرا الى ان « كتبنا ولا سيما كتب العلوم مكتتبة بلغة غير اللغة التي نتكلمها والبعد بينهما كالبعد بين الفرنساوية والانكليزية او بالحري كالبعد بين اللاتينية والايطالية فاذا اردنا ان نطلب النجاح من بابه فقد اشار ذوو الالباب بواحد من ثلاثة امور وهي : اما ان نستبدل لغتنا بلغة اخرى وهذا ما لا نرضاه لانفسنا ولا يرضاه غيرنا لنا ، واما ان نكتب كتبنا باللغة التي نتكلم بها كما فعل الايطاليون ، والاروام وغيرهم من الامم ، وما من مانع يمنعنا عن مجاراتهم فنضبط لغة التكلم الشائعة في البلدان العربية ونكتب كتبنا بها ونكون قد جرينا هذا المجرى الطبيعي القاضي على اللغات ان تتغير بتغير الازمان ، واما ان نعلم اولادنا التكلم بالعربية الصحيحة حتى تصير ملكة فيهم فيتكلمون كما يكتبون وهذا على ما نظن اشرف الطرق وآمنها وانفعها لان العربية الصحيحة واسعة المتن مضبوطة القواعد غنية بالكتب يمكنها ان تجاري العلم اكثر من كثير من لغات الارض (٥) » .

وبالرغم من ان كاتب المقال المذكور آثر الحفاظ على اللغة الفصيحة فانه لم يجد مانعا يحول دون اختيار العامية كحل يتناسب و « المجرى الطبيعي القاضي على اللغات ان تتغير بتغير الازمان » وبذلك ادخل عنصرا منهجيا غير مألوف او مقبول في التفكير العربي يشكك في صلاح اللغة ، بدلا من كفاءة المتكلمين بها .

ولعل لهذا الحل علاقة لمحاولة اجنبية سابقة قام بها عالم اللغة الالماني « سبيتا ١٨١٨ ـ ١٨٨٣ » حين اعتبر في مقدمة كتابه (٦) عن اللهجة المصرية اختيار العامية مسألة حياة او موت بالنسبة لمصر ، كما تطرق الى ما تسببه الفجوة بين اللغة المكتوبة واللغة المحكية من تاثير سلبي في فعاليات الاقطار العربية عامة . وتساءل اخيرا عما يجنيه التلميذ من فوائد « لو كان له ان يكتب اللغة التي يتكلم بها بدلا من ان يكره على كتابة لغة غريبة عن الجيل المصري المعاصر ، غرابة اللاتينية بالنسبة للشعب الايطالي (٧) » .

غير ان هذه الدعوة لم تلق ـ كما هو متوقع ـ غير استنكار المفكرين العرب الحريصين على تراثهم ، وقد سارعوا الى دحضها وكان في مقدمتهم الشيخ خليل اليازجي الذي كتب في المقتطف تعليقا بين فيه ان « لغة العامة لا تغاير الفصيح في غالب الامر الا من جهة الاعراب » ، وذكر ان الحائل بين اللغة والفهم « ليس من قبل اللغة وانما هو من قبل المستعملين لها على الاكثر ، وذلك ان اكثر الكتاب في هذه الايام مولعون بتنميق العبارات متهافتون على اختيار الغريب وتحسين كلامهم بالاستعارات والتجنيسات والتوجيهات العلمية الى غير ذلك مما يتجه القصد فيه الى شيء في نفس الكاتب غير المعنى المقصود بعبارته فيسقطون في وضع الشيء في غير محله وحينئذ

---

(١) قام « ارسنيان » بتحليل عشرات الدراسات التي تناولت اثر الازدواج اللغوي في نمو الطفل ، ووجد ان نسبة كبيرة منها تدل على ان لهذه الظاهرة اللغوية آثارا سلبية . راجع : Arsenian, Seth. « Bilingualism in the Post - war world» Psychological Development 42 : 65 - 86 (1945) انظر : weinreich, Uriel Languages in Contact (New York: 1953) P. 116.

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية ٧ : ٢٢٣ ـ ٢٢٤ (٩٥٣) . * ارزة لبنان : نشر وجمع نقولا نقاش (بيروت : ١٨٦٩) ص ٩١ . وانظر المسرحية في الادب العربي الحديث : محمد يوسف نجم (بيروت :١٩٥٦) ٤٢١ ـ ٤٢٢ . (٣) من الطريف ذكره ان احد الكتاب العرب في مطلع القرن العشرين حاول ان يعزي محاولات المستشرقين لدراسة اللهجات الى اصول عربية مستشهدا بقول ابن خلدون عن حالة اللغة العربية في عهده : « ولعلنا لو اعتينا بهذا اللسان العربي لهذا العهد ، واستقرينا احكامه نعتاض عن الحركات الاعرابية في دلالتها بامور اخرى موجودة فيه ، فتكون لها قوانين تخصها . ولعلها تكون في اواخره على غير المنهاج الاول في لغة مضر » معقبا عليه بقوله : « فاخذ ذلك المستشرقون من الافرنج واعتنى بعضهم بتدوين اللسان واستقراء احكامه » . راجع : روحي الخالدي (المقدسي) « تاريخ علم الادب عند الافرنج » الطبعة الثانية (القاهرة : ١٩١٢) ص ٤١ . (٤) « اللغة العربية والنجاح » المقتطف ٦ : ٣٥٢ ـ ٣٥٣ (١٨٨١) . (٥) المصدر نفسه ص ٣٥٣ .

(٦) Spitta : Grammatik des Arabisehen Vulgaerdialectes Von Oegyten. (Leipsig: 1880)

(٧) لاحظ مقدمة كتاب ولمور The Spoken Arabic of Egypt (London : 1901).

(٨) خليل اليازجي « اللغة العربية والنجاح » المقتطف ٦ : ٤٠٤ ـ ٤٠٥ (١٨٨١) . (٩) « مستقبل اللغة العربية » المقتطف ٦ : ٤٩٥ (١٨٨١) . (١٠) المصدر نفسه ص ٤٩٤ . (١١) المقتطف ٦ : ٥٥١ـ٥٥٦ (١٨٨٢) . (١٢) المقتطف ٦ : ٥٥٦ ـ ٥٦٠ (١٨٨٢) . (١٣) المقتطف ٦ : ٦١٨ـ٦٢١ (١٨٨٢ . (١٤) راجع مثلا : «كشف الغطا عما في كلام الممكن من الخطا» بقلم ح.ح. المقتطف ٦ : ٦١٠ ـ ٦٩٤ ـ و « نجاح الامة العربية في لغتها الاصلية » لمتري قندلفت : ٦ : ٦٩٤ ـ ٦٩٦ (١٨٨٢) . (١٥) المقتطف ١١ : ٧٤ ـ ٧٧ (١٨٨٦) . * راجع ما قاله « دفرن » عن اسباب تفضيله العامية المصرية : سليم خليل النقاش : مصر للمصريين ٦ : ٩٤ (الاسكندرية ١٨٨٤) . (١٦) المقتطف ١١ : ١٤٨ ـ ١٥٠ (١٨٨٦)

(١٧) Verhandlungen des V11 Internationalen Orientalisten - Congress (1886) wien 1888. PPt 69 - 104.

وانظر : محمد خلف الله احمد : معالم التطور الحديث في اللغة العربية وآدابها (القاهرة : ١٩٦١) ١٥٣ ـ ١٥٦ . (١٨) محمد خلف الله احمد ـ المصدر المذكور ـ ص ٥٧ ـ ٥٩ .

يذهب المعنى شهيد الالفاظ التي انما اجتلبت لاجله ويضيع المراد من تقريرها (٨) » .

فاليازجي لا يلقي اللوم على البعد بين العامية والفصحى، بل يرى نقصاً او تعقيداً في طريقة استعمال اللغة في الكتابة ، ومن هنا جاءت دعوته الى « مراعاة العامة قبل الخاصة واختيار اوضح الالفاظ واسهل الاساليب بحيث يكون الكلام ظاهر المراد مفهوم المغزى » ، ومما يجدر ذكره ان محاربته الدعوة الى استبدال الفصحى بالعامية لم تشر الى ما ينجم عنها من تمزيق لشمل العرب ، بالرغم من انه اعترف بان لغات العامة تتباين تباينا لا يقل عن التباين بين احداها وبين اللغة الفصيحة ، بل اقتصرت على معالجة الموضوع معالجة تكاد تكون لغوية متجنبة ـ بقصد او دون قصد ـ اقحام الاعتبارات السياسية او الدينية .

وقد اثار « اليازجي » مسألة لغوية وجيهة تتصل بنشوء « اللغة المشتركة » ، على اساس احدى اللهجات العامية القائمة ، وصعوبة تحقيقها قائلا : « فأي تلك اللغات اخترنا للكتابة فيها تفضي بنا الى مثل ما فررنا منه ، وعليه فلا بد في ضمن هذا المطلب من تحويل لغات البلاد كلها الى لغة واحدة ، واذا كان ذلك فلا جرم ان الاولى والاسهل رد الالسنة الى اللغة الفصيحة » .

والظاهر ان انصار اختيار العامية لم يشاءوا العدول عن دعوتهم الخطيرة ، فقام من اسمى نفسه بـ « الممكن » ـ تفاؤلا بامكان ما يذهب اليه على حد قوله ـ يتحدث عن « مستقبل اللغة العربية » متخذا مما اصاب اليونانية واللاتينية والسنسكريتية اطارا لتفكيره ، ليؤكد حتمية وقوعه وقتا ما بالنسبة للعربية ، فهو يقول :

« . . ثم انه اذا صار الاعتماد على اللغة العامية لا تتلاشى اللغة القديمة بل تحسب كاليونانية واللاتينية والسنسكريتية ويصير الناس يتفاخرون بمعرفتها كما يتفاخرون بمعرفة تلك اللغات . . وعندي ان هذا لا بد من وقوعه وقتا ما فعلام لا نكون نحن المبتدئين فيه ؟ . . » (٩) ، ويرى في موضع آخر من مقاله امكان جمع «العربية العامية» وضبطها لتوافر « الوسائط » الممكنة من ذلك « فكما تيسر لعلماء القرون الاولى للهجرة ان يجمعوا العربية القديمة مع قلة وسائطهم يتيسر لعلماء هذا الزمان ان يجمعوا العربية العامية ويضبطوها ولا سيما لان الوسائط الممكنة من ذلك قد صارت اضعاف اضعاف ما كانت حينئذ . . (١٠) » .

و « الممكن » بدعوته هذه لم يدرك حقيقة الاختلاف بين اللهجات العربية المعاصرة واستحالة اختيار عامية ما من غير الابقاء على الازدواج بالنسبة للمتكلمين بغيرها على الاقل، كما حاول الايهام بان « الخسارة من ترك اللغة العربية لا تذكر في جنب الفوائد التي تنتج من الاعتماد على لغة العامة » متجاهلا عظم التراث الذي ترتبط به الفصحى ، وتعذر الحفاظ عليه عند التحول عنها . اما المقارنة التي عقدها بين العربية واللغات الاخرى فلم تأخذ بنظر الاعتبار الظروف المغايرة التي تحيط بكل لغة وما لها من دور في حياة المتكلمين بها ، والاسس اللغوية ـ على ما لها من استقلال نسبي ـ لا ينظر اليها بمعزل عن السياق الاجتماعي العام لانها تتأثر ـ في احيان كثيرة ـ بعوامل ثقافية او سياسية او دينية او اقتصادية لا تتفق والقوانين الداخلية للغة .

ولم يكن ينتظر ان تسمع دعوة « الممكن » من غير ان تلقى معارضة شديدة ، وكانت « الجمعية الادبية الدمشقية» في مقدمة المتصدين لها فنشرت بيانا بعنوان « نجاح الامة العربية في لغتها الاصلية » (١١) ذهبت فيه مذهب « اليازجي » وكررت بعض ما قاله بشأن استعمال العامية، ولكن ردها اضاف او اكد الجانب القومي للغة في الدفاع عن الفصحى ملمحا الى ضرورة الوحدة اللغوية والى ما اسمته بالمحذور السياسي الذي عرفته بانه « محو الجنسية المؤذن بالضعف والذل والخسف اذ لا تضيع لغة امة الا بعد اضاعة نفسها واضمحلال جنسها . . » .

ونشر لاسعد داغر تعليقه « استحالة الممكن اذا امكن (١٢) » وقد ردد فيه موضوع التباين بين اللغات العامية حتى في اطار قطر واحد فقال : « ان في سوريا لغات شتى عامية تباين بعضها مباينات من دونها المباينة بين اللغة الفصيحة واللغات العامية » واضاف الى ذلك دعواه بعدم صلاحية لغة العامة لان تكون لغة الكتابة .

وبالرغم من ان «الممكن » قد عاد الى الدفاع عن رايه(١٣) محاولا دحض ما ابداه معارضوه من اراء فاننا نلاحظ انفراده بالدعوة اليها في وجه اجماع على خطورة ما يدعو اليه ، وضرورة الالتزام بالفصحى والعمل على تيسيرها(١٤) ويبدو ان « الازدواج اللغوي » بقي موضع بحث ونقاش في تلك الفترة ، اذ نجد محرر « المقتطف » يعود الى اثارته في مقاله « تولد اللغات ونموها (١٥) » متحدثا عن نظرية التطور في اللغة وتميز كل فرد بما له من لهجة او لغة تختلف عن لغة غيره من ابناء جلدته ، ومشيرا الى موقف العرب المعادي من لغة التكلم بالقياس الى بعض الشعوب الغربية كقوله : « فالرومان المتكلمون باللاتينية قام فيهم ملوك وشعراء اعتنوا بتدوين لغة التكلم فكان منها اللسان الطلياني وبقيت اللغة اللاتينية في مقامها العلمي ، وكذا اليونان دونوا لغة التكلم المشتقة من اللغة اليونانية فكان منها اللسان الرومي واما نحن المتكلمين بالعربية فلا نزال نهمل لغة التكلم وننوي ان نلغيها ونعود الى لغة الكتابة ويخالفنا في ذلك كثيرون من الافرنج مثل الكونت لندبرج اللغوي الاسوجي واللورد دفرن السياسي الانكليزي * وغيرهما ممن يقول ان لا بد من تدوين لغة العامة والاعتماد عليها » .

ثم تطرق الى محاولة « المقتطف » السابقة ومناوءة الراي العام لتدوين لغة العامة واضطرار اصحاب «المقتطف» الى اغفالها لانهم وجدوها « تتعرض لمسألة سياسية مهمة

لا يمكن للمقتطف ان يخوض فيها » . ولكنه لم يتردد في التحدث ، ولو تلميحا ، عن دور الادب في السمو بلغة العامة الى المستوى الادبي مستندا الى بعض المحاولات في الايطالية : « ولا يبتعد ان يقوم من اهل الوطن من يقدم على تأليف كتاب طلي بلغة العامة فيفتح الباب للتأليف فيها كما فعل الشاعر « بطرس دلي فيني » في اللغة الايطالية.. ».

وعالج « نعمة شديد يافث » الموضوع من وجهة اخرى تربوية داعيا الى تسهيل النحو ، ولا شك في ان ما جاء في مقاله « اللغة العربية والوقت (١٦) » يصدق في غالبه على حالة تعليم اللغة العربية في مدارسنا ، فالمتعلم كان ، ولا يزال ، عاجزا عن الالمام بالقواعد حتى بعد دراسة طويلة تزيد عن عشر سنوات ، ولذلك فهو يلتمس الحل ، ضمن اطار الفصحى ، في البحث عن طريق امين يصل بنا الى « ما نعبر به ـ كما يقول ـ عن افكارنا وتعرب افكار غيرنا بعبارات عروبتها خالصة في وقت لا يتجاوز السنتين او الثلاث » .

وكان من نتائج الاهتمام بالمسألة اللغوية ظهور دراسة حفني ناصف « مميزات لغات العرب (١٧) » وقد قدمها لمؤتمر المستشرقين السابع المنعقد في « فيينا » عام ١٨٨٦ وهي تعد في طليعة المحاولات العربية الحديثة لدراسة اللهجات المعاصرة على اسس علمية ومقارنة خصائصها بما يوافقها في اللغة العربية الفصحى ، وتتبع جذور المشكلة التاريخية مبتدئا باللهجات المصرية وعلاقتها بلهجات القبائل المختلفة . ولم يكن نزوع « ناصف » الى هذا اللون من الدراسة اللغوية ناجما عن مشاركته لراي الداعين الى العامية او تفضيل اللهجات على الفصحى ، بل كان يهدف الى وصف الواقع اللغوي في مختلف الاقطار العربية والافادة من المواد اللغوية في توضيح نواح مختلفة من تاريخنا العربي الاسلامي . وقد تبعتها ، بعد سنوات ، محاولة عربية ثانية استهدفت دحض ما يقول به دعاة العامية من عرب او مستشرقين وذلك عندما شارك « امين فكري » في مؤتمر المستشرقين (استوكهلم ـ ١٨٨٩) بدراسته « نبذة في ابطال راي القائلين بتعويض اللغة العربية الصحيحة باللغة العامية في الكتب والكتابة(١٨) » وقد تناول فيها مسألة البعد بين لغة التخاطب واللغة الفصحى ، وما يسبب من عرقلة للتقدم محاولا التدليل على ان البعد اللغوي مبالغ فيه فهو يرى « ان اللغة العامية ـ خصوصا في مصر وسورية وجزيرة العرب والعراق وتونس وطرابلس الغرب ـ لم تبعد عن الفصيح بما تصير به لغة مستقلة ، وان فساد النطق ليس من الملكات التي يلحق محوها بالمستحيلات بل ازالته ايسر من جعل اللغة العامية لغة مستقلة يتفاهم بها في العلوب والآداب » ، كما انه يؤكد في دراسته ضرورة الوحدة في اللغة الفصيحة لتقدم العرب في جميع احوالهم ، غير انه لم يجد ما يبرر اهمال المفردات المستعملة في لغة العامة ، او تجنب اختيار التراكيب الغريبة من تآليف العامة ، على شرط الصحة والفصاحة ، وذلك لايمانه بوجوب التقريب بين لغة التخاطب والفصحى .

هذه هي الاسس الجوهرية التي تناولها الجدل بين انصار الفصحى ودعاة العامية قبل اكثر من ثمانين عاما ، واذا قارنتها بما ينشر عن المسألة ذاتها من دراسات لوجدت انها لا تزال تطغى على نهجنا ، واننا ـ نتيجة لالتزامنا بها وخضوعنا لها ـ لم نقصر في تفهم طبيعة المشكلة اللغوية تفهما موضوعيا سليما فحسب ومن ثم في معالجتها معالجة تخفف من آثارها في جهودنا التربوية والتثقيفية ، بل تركنا لسوانا من رجال العلم في الغرب او الشرق مسؤولية القيام بدراسات حقلية او صفية واعداد المعاجم التي تتناول اللغة الفصحى ـ كما تستعمل اليوم ـ ومعظم لهجاتها .

امريكا ـ جامعة انديانا **صالح جواد الطعمة**

الصمت

لا تخجل
ادخل بيتي
اغرق قنديلك
في زيتي
ولنرقص
في قلب الصمت
تحرسنا الهة الموت

بابي مشرع
اسمع
الهة العصيان
تفرع
ادخل
جر خطاك الخجلى
جر الشوق الكهلا
اهلا ..
خبيء في احشائي الثكلى
هذا الجسد الوحلا
خبئه
ولنطو الصمتا
ولندفن آلهة موتى

ناصر بوحيمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الوعـــــــد

●

فُتحَ الباب بعـد قرع لجوجٍ عـن فـم هش للسلام وحيـًّا
قلت من أنت فاستعار وقـــد جفَّ ، جواباً من ناظريه نديًّا
أَنا ليلى ، ألست تعرف ليلى ؟ من ترى خلتني هدًى أم ثريًّا
قـــد كفاني سؤال عينيك من أنت ،! فلا تقسُ بالسؤال عليـًّا
فتفرست في معـــالم حسنٍ طـامس سحره وكانَ جليـًّا
فتبينت غـــير مبسم ليلى وتبينت غـــيرَ ذاك المحيَّا
قلت ما لي لديـك حاجـة قلب مـــا الذي تطلبين انتِ لديًّا
قالت: الوعد كيف أُنسيت حلماً لـك عنـدي أودعته مقلتيًّا
قلت يا ليـــلى علمتني الليالي حـين يَمطلن أن اكون نسيًّا
ربَّ أُمنيـــة بهـــا فجعتني رجعتْ لي مذْ صرت عنها غنيًّا
عدتِ ليلى كما وَعدتِ ولكن لم يعد ذلك الجمـــال فتيًّا
أَجهشت بالملام ليـــلى كأني أنا شوّهت حـــلمي الذهبيًّا
أَين ذنبي وقدّك اللدن يُلوى هـــل تريني لويتـــه بيديًّا
أين ذنبي وثغركِ النضر يذوي هـــل تريني أَذقتـــه شفتيًّا
إن تلومي المسيءَ ، هن الليالي فيك يا ليلى قـــد أسأن إليًّا
أنت لم تكذبي بوعدك لكنْ أَنت وَعد به كذبنَ عليًّا !!

فارس سعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من « العروة الوثقى » في لندن

* * *

الذين يبحثون في الوجودية من حيث نشأتها يبدأون احيانا بالفيلسوف الدانماركي « كيركيفور » ، بل اكثرهم في الحقيقة يبداون بهذا الفيلسوف . ولكن بعضهم احيانا يذكر الفيلسوف الالماني « هيكل » من قبله ويقولون انه كان الباعث على الفكرة الوجودية لدى « كيركيفور » ، وبعضهم الاخر يذكر « هسرل » بانه هو الذي مهد السبيل بعد « كيركيفور » أمام الوجوديين امثال « هيدكر » و « ياسبرز » الالمانيين ، بل امام « سارتر » الفرنسي . وقد يذكر الباحثون شكسبير الانكليزي بانه وجودي ، ويذكرون معه المركيز دي ساد (١٧٤٠ ـ ١٨١٤) ودو ستويوفسكي (١٨٢١ ـ ١٨٨١) ، وغيرهما ممن لا يظن بأن لهم اية صلة بالوجودية . وكتب الكاتب الامريكي اولسون مقدمة لتاريخ الوجودية فعاد به الى الفلاسفة اليونانيين ومن جاء بعدهم في القرون الوسطى والفلاسفة الفرنسيين في القرن الثامن عشر و « سبينوزا » (١٦٣٢ ـ ١٦٧٧) من قبلهم ، ثم الى « هيكل » (١٧٧٠ ـ ١٨٣١) ومن جاء بعده . والكاتب الامريكي لا يعني بالطبع ان فلاسفة اليونان او فلاسفة القرون الوسطى كانوا وجوديين بالمعنى المعروف ، ولكنه اراد ان يشرح الخطوات التي مرت بها الفلسفة الغربية الى ان انتهى بها الامر الى الفلسفة الوجودية . ويفهم من هذا بالطبع ان الفلسفة الوجودية لها جذور بعيدة في الماضي ، وانها نشأت في تربة غربية كانت قد مهدت لها في ادوار مختلفة . ويفهم منه ايضا أن اتخاذ الوجودية فلسفة في غير تربتها ان هو الا من قبيل المحاكاة والمتابعة السلبية . ولا أعتقد ان الناظر في معنى الوجودية يستطيع ان يفهم هذا المعنى اذا هو لا ينظر اولا في مناشىء الفلسفة الغربية واطوارها فأن هذه الفلسفة منذ نشأتها عنيت عناية كبرى بمعنى الحياة في هذه الدنيا وبالغاية منها ، وبالدور الذي يلعبه الانسان فيها . وللفيلسوف الالماني كتاب كبير الفه في هذا البحث وسماه « معضلة الحياة الانسانية » أتى فيه على اراء الفلسفة في مكان الانسان من هذه الحياة . وهو في رايي من احسن ما كتب عن هذا الموضوع ، ولعله يكون خير مقدمة لدراسة الملابسات الاولى للفلسفة الوجودية ، ولو أن المؤلف لم يقصد بكتابه ان يكون كذلك ، كما قصد الكاتب الامريكي اولسون المذكور انفا . ولعل من المفيد في هذا المقال ان استعرض هذه الناحية من الفلسفة الغربية باختصار ليكون هذا الاستعراض مقدمة لما قد اكتبه عن هذه الفلسفة بشيء من التفصيل في المقالات الآتية .

يقول الكاتب الفيلسوف الانكليزي (فورتفورد) في كتابه عن سقراط وسلفه وخلفه ان الانسان في حياته الفلسفية يسلك مسلك الطفل في حياته . فالطفل (أولا) لا يفرق بين نفسه والاشياء المحيطة به في الاسابيع الاولى من حياته ، ويرى ان كل شيء يلتقي به هو جزء من نفسه . فاذا كان الدور الثاني بعد شهر أو شبيه ذلك أخذ يشعر بوجود أشياء خارج نفسه ، وهذا هو الدور الذي ينفصل فيه العالم الخارجي عن العالم الداخلي ويصبح الاول مستقلا عن الثاني . ويمثل هذا الدور ناحية مهمة من الفلسفة الغربية وهي الناحية المادية التي تؤمن بوجود أشياء حقيقية بذاتها سواء شعر الانسان بها أو لم يشعر ، كما يمثل الدور الاول ناحية اخرى وهي الناحية المثالية التي تقول بأن الاشياء لا وجود لها في الحقيقة وانما توجد اذا نحن شعرنا بها عن طريق الحواس . ويمثل الناحية المادية فلاسفة اليونان القدماء المعروفون بالفلاسفة الايونيين والفلاسفة الانكليز الاولون والفلاسفة الفرنسيون في القرن الثامن عشر وماركس . ويمثل الناحية المثالية افلاطون ، وهو زعيم المثاليين ، والفلاسفة في القرون الوسطى والفيلسوف الانكليزي باركلي والفلاسفة الالمان كانت و فختي وهيكل .

وفي الدور الثالث من حياة الطفل ، يبدأ العقل في التفكير بهذه الاشياء وكيف تكون معالجتها والتفاعل معها . وهذا هو الدور الاخلاقي ودور تنظيم المعيشة في المجتمع ، وكيف يجب ان يكون سلوك الانسان في حياته . وفي الدور الرابع ينتقل الفكر الى النظر في أسرار الكون وفي التعجب من القوى الطبيعية ، وهذا يؤدي بالانسان الى الاعتقاد بوجود قوى روحية تهيمن على هذه القوى وتسيرها . ومن هنا يكون الايمان بشيء غير الاشياء المادية أو الطبيعية .

ولا يعني هذا التقسيم بالطبع ان الفلسفة في تطورها سارت على هذا النمط او هذه السلسلة من الادوار . ولكن الفلسفة كانت تمر بشيء من هذا التقسيم ، ولكن الادوار كانت تختلط وتتشابك . فالفلسفة اليونانية بدات فلسفة مادية ، تهتم بمعرفة سر هذا العالم ، على ايدي الفلاسفة الايونيين امثال تاليس وديمقريطس . فهي فلسفة اهتمت بالعالم الخارجي اي باكتشاف الطبيعة . ولكنها تحولت على يد سقراط من العالم الخارجي الى العالم الداخلي ، واتجه الانتباه الى الانسان نفسه والى معرفة نفسيته ، بعد أن اخفق الفلاسفة القدماء في اقناع المفكرين بصحة ارائهم عن هذا العالم . واعتبر سقراط هذه الاراء من قبيل العبث لانها ابعدت الانسان عن البحث في نفسه وفي مصيره وفي مسلكه في هذه الحياة ، وما الغاية من

العيش في هذه الدنيا . وكان سقراط في مقدمة الذين قالوا بأن الغرض من الحياة هو السعادة ، وبأن السعادة لا تنال الا بكمال النفس . وقد اختلف الفلاسفة منذ سقراط في معنى هذه السعادة ، وقسموا الناس الى ثلاثة أقسام : ١ ـ اللذين يرون السعادة في اللذة ٢ ـ الذين يرونها في النجاح والشرف والشهرة ٣ ـ الذين يرونها في العلم والحكمة . فسقراط ، كما قلنا ، يرى السعادة في كمال النفس عن طريق الصلاح ، وهذا يكون عن طريق المعرفة اي معرفة النفس ومعرفة الخير من الشر. فكأن سقراط بهذا القول قد سبق الوجوديين بالدعوة الى الاهتمام بالنفس قبل الاهتمام بالعالم الخارجي. وقد سبقهم ايضا بقوله ان الانسان حتى يكون شخصا كاملا يجب عليه ان يكون مستقلا بذاته من ناحية اخلاقية وان يتصرف بحياته بنفسه . وهو وان خضع لسلطة خارجة عن نفسه فانه يبقى هو المسئول عن اطاعة هذه السلطة بمحض اختياره . ويجب على الفرد ان لا يستسلم لكل مبدأ اخلاقي في هذه الحياة ، بل يجب عليه ان يمحض هذا المبدا وان يحكم عليه حكما عقليا ، فاذا لم تثبت لديه صحته فعليه ان يرفضه . هذه الاقوال وامثالها هي التي اثارت السلطات المدنية عليه وعدته مفسدا للشباب وهداما للمجتمع وخائنا للدولة ، فحاكمته وحكمت عليه بالاعدام سما . ولذلك فان الوجوديين الذين يدعون الى تحرر الانسان من كل قيل ويلقون عليه مسئولية الاختيار في تصريف حياته انما يرددون كثيرا من اراء سقراط. وكاد سقراط بهذه الاقوال ان يقترب من العقيدة الوجودية وهي ان الحقيقة ليست موضوعية ولها وجود ذاتي ، بل انها شخصية تتأثر بنفسية الشخص وبعوامله العاطفية . ولكنه فتح الباب امام السفسطائيين والرواقيين في زمانه ومن بعده فتوسعوا ببعض افكاره وزادوا عليها .

والدور السفسطائي في الفلسفة اليونانية يمثل دور المراهقة في الانسان على راي فورتفورد المشار اليه آنفا . فان المجتمع اليوناني بعد الحرب الفارسية في الربع الاول من القرن الخامس قبل الميلاد كان شبيها بحالة المراهق الذي يريد ان يتحرر بنفسه من قيود مجتمعه . وفي تلك الحالة قام السفسطائيون ينادون بمعارضة قوانين الدولة والعادات المتبعة في المجتمع لانها منافية للقوانين الطبيعية. وقالوا ان الفرد حر في ان ينشد ما يراه مناسبا له من حيث ملذاته ومنافعه الخاصة . ومن اشهر الاقوال السفسطائية قول «بروتاكورس» بان الانسان هو معيار كل شيء ، اي ان ما يراه الانسان من نفسه هو معيار الحكم على الاشياء ان كانت خيرا او شرا ، ولا توجد معايير مطلقة يعرف بها الانسان الحقائق او الدين او الاخلاق . وكان السفسطائيون يقولون ان الدين والاخلاق من صنع الانسان ، وكذلك التقاليد والعادات المتبعة . فكانوا بذلك معول هدم في المجتمع ، وكانوا عاملا كبيرا على نشر افكار تحللية ، ورد بعضها في كتابات « ايسكلس » حين قال ان العالم مبني على الشر ، وانه لا يوجد في السماء ولا في الارض شيء يمكن الانسان ان يثق به او يركن اليه . وهذا القول ، كما لا يخفى ، شبيه باقوال العدميين Nihilists الذين يعد الفلاسفة الوجوديون من جملتهم . وجميع الافكار الهدامة للمجتمع اكسبت السفسطائيين صفة السفسطة بمعنى المراوغة في الكلام واستعمال المنطق في احقاق الباطل او في ابطال الحق . وزعيم هذه الطبقة هو الفيلسوف « بروتاكورس » ، وله آراء قريبة من آراء الوجوديين . فهو يقول انه لا وجود لشيء اسمه حق او باطل على الاطلاق ، وان الاشياء لا حقيقة لها الا ما يتراءى للشخص عنها ، وان الانسان هو معيار كل شيء .

والرواقيون يعالجون مشكلة الانسان من ناحية اخرى . فانهم يقولون ان السعي للحصول على الملذات في الحياة لا يؤدي في النهاية الى التمتع بهذه الملذات مدة طويلة ، فالمجاهدة في تطلب ذلك مضيعة للقوى وللوقت . والحل الوحيد للابتعاد عن حياة خادعة غارة هو كبت الشهوات والقبول بالاشياء على ما هي عليه ، فليس في الامكان ابدع مما كان . واذا كنا لا نستطيع التحكم بالاقدار الخارجة عن طوع ارادتنا، ففي امكاننا التحكم برغباتنا وآمالنا ومخاوفنا. والحياة في هذه الدنيا يقتضي لها التسليم ، بدون طموح او مغالبة . ومع ان هذه الفلسفة قد نصفها بفلسفة الاستسلام والاستكانة ، غير ان لها صفة اخرى وهي صفة التحكم بالنفس ، وممارسة الارادة القوية . فهي من هذه الناحية تنم عن حيوية كبيرة ، والفرق بينها وبين الفلسفات الاصلاحية هي ان الفلسفة الرواقية لما كانت لا يستطيع اصحابها تغيير المجتمع ، عمدوا الى تغيير النفس ايمانا منهم بان هذا السبيل هو خير ما يسلك لنيل راحة البال والسعادة . وفي هذا شيء من فلسفة العزلة عن الناس او من فلسفة التنسك التي دعا اليها ابو العلاء المعري ، ولعل بين مجتمع الرواقيين بما فيه من اضطراب وتفكك شبها بالمجتمع الذي كان يعيش فيه ذلك الشاعر العربي. والاعتماد على قوة الارادة في فلسفة الرواقيين شبيه بما يقول به الوجوديين عن اتخاذ القرار الحاسم عند تأزم الامور . ثم ان الرواقيين في سلبيتهم اقرب ما يكونون الى الوجوديين من حيث ان هؤلاء يدعون الى سلبية من نوع آخر وهو نقل الصراع من صراع مع القيم الخارجية الى صراع داخلي .

وحركة الرواقيين لها عكس في حركة الفلاسفة اليونانيين بعد سقراط . فافلاطون مثلا يرى ان الاشياء على قسمين : قسم دائم ثابت ، وقسم في دور التغير والصيرورة دائما. فالاشياء في هذا العالم هي من القسم الثاني ، فهي لذلك احط منزلة من القسم الاول ، وهي لا تستحق العناية التي تستحقها الاشياء في القسم الاول . فعلى الانسان اذن ان يسعى للتقرب من الحياة المثالية للوقوف على الحقائق

المجردة في هذا الكون . وهذه الفلسفة هي فلسفة معظم الفلاسفة المسيحيين في القرون الوسطى ، بل هي من صفات الديانة المسيحية التي تحتقر الدنيا وتدعو الى الملكوت السماوي . وعلى هذا فان افلاطون يرى ان الاشياء التي تستحق التأمل والنظر اليها هي المثل العليا التي تتصف وحدها بالكمال وبالثبات . اما ارسطو ، تلميذ افلاطون ، فلم يعترف لافلاطون بان الاشياء في هذا العالم ليس لها كمال ولا ثبات ، بل قال ان كل شيء في هذا العالم له ماهية يشترك فيها جميع الاشياء التي من نوع واحد ، وان هذه الماهية ثابتة دائمة ، فاذا مات انسان مثلا فان الماهية تبقى في النوع وفي الناس الغابرين بعده. وسيأتي الكلام على هذه الفكرة عند الكلام على « هيكل » الفيلسوف الالماني وعن مخالفة « كيركيفور » له ، تلك المخالفة التي كانت فاتحة للفكرة الوجودية .

ولكن اهم الفلاسفة الاولين في تطور الفكرة الوجودية هما « سينوزا » و « هيكل » . فالفيلسوف سينوزا لا يهتم باقوال افلاطون ، ولا يعتقد بوجود اله كالذي تعتقد به اليهودية والمسيحية . فهو يعتبر الطبيعة أوجدت نفسها بنفسها . فالوجود كله هو الحاوي على كل شيء ، وليس لشيء مخلص منه ، وكل حادث يجري في هذا الوجود يجري بحكم الضرورة ، بحسب قوانين مقررة . فالرجل العاقل اذن هو الذي يرى راي الرواقيين ، فلا يسعى الى تغيير الاشياء في محيطه ، بل يقبل بالاشياء كما هي . ويقول سينوزا ان سبب الخوف والحسد والغضب والاسف ان الانسان يريد الاشياء ان تكون على غير ما قدر لها . ولكنه لو سلم بالامر لكان خلوا من منغصات الحياة . ويمثل سينوزا على ذلك بقوله ان الانسان يغضب ويحتد اذا سرق شخص منه شيئا ، ولكنه اذا تذكر ان هذه السرقة هي من مقررات الطبيعة التي لا مفر منها فانه قد يجنب نفسه كثيرا من المتاعب والالام . فيجب اذن توسيع افق الفكر في هذه الحياة واخذ الامور على علاتها . وفي هذا مصدر غزير من موجبات السعادة والهناء ، وفيه عون كبير على توقي شرور المجتمع ومصائب العيش . بل ان الانسان بذلك يتحلل من الارتباط بحطام هذه الدنيا ، ويتحرر من العواطف التي تلازم الارتباط بهذا الحطام . وقد يخطر في البال هنا ان في فلسفة سينوزا هذه كثيرا من الفكرة الاسلامية والعربية ، وهذا ليس بمستبعد لان سينوزا كان على اتصال بشيء من هذه الفلسفة عن طريق الفلاسفة اليهود في القرون الوسطى، وهؤلاء كانوا ، كما هو معروف، تلامذة للفلاسفة العرب . وسنأتي في مقال لاحق على فلسفة الفلاسفة الفرنسيين في القرن الثامن عشر وفلسفة « هيكل » تمهيدا للدخول في بحثنا عن تطور الفكرة الوجودية بعد هذه المقدمة .

لندن — حسن الكرمي

سهام كيوبيد

●

«جلسا بميدان بيكادلي في لندن ... في رحاب تمثال كيوبيد ، يتناجيان ويتلقيان بقلبيهما سهام رسول الحب ... »

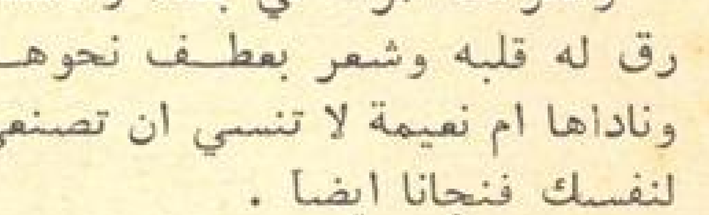
« كيوبيد » صفق اذ راى
قلبي وقلبك يرقصان
وعلى اديم رحابه
من لوعة يتشاكيان
يتناومان فيضحكان
ويصحوان فيبكيان
اطرقت يشملك الحياء
وتلك من شيم الحسان
ويداك ترتعشان ...
بالارض البليلة تعبثان
شفتاي تمتما الى
شفتيك ... ما لا تفهمان
هي آية في الحب
تتلوها الشفاه عن اللسان
او سر هذا الكون
باح به الجنان الى الجنان
وسمت بروحي نشوة
عبرت ... ولكن في ثوان

قلبان بالشوق العنيف
وناره يتأججان
قلبان للحب المقدس
والطهارة هيكلان
قلبان قد كتما الهوى
ومضت تبوح المقلتان
قلبان ، والدنيا تضج ،
تلفت يتهامسان ...
قلبان مغتربان ... يلتمسان
في النجوى الامان
يا ليت لم نصح اذ
غبنا .. ولم يئن الاوان ...
يا ليته وقف القضاء
هناك ... او وقف الزمان !

لندن — **سعيد العيسي**
من العروة الوثقى

حطبة امرأة صغيرة

بقلم عبد الرحمن ابو عوف



كان الغروب يزحف بوحشته ويفرق بسمرته الجبل والنيل والاشجار ، وهبت نسمات طرية منعشة ...

غير انه لم يشعر بالمتعة في تأمل الغروب من هذا المكان كما تعود كل يوم ، بل ان الشرفة تبدو له ضيقة رغم اتساعها وخواطر محمومة تدور في راسه وثمة شيء غريب يحترق في داخله .

فهو كلما خلى في البيت وهذه المراة وطفلتها الصغيرة وشعربحركتها في الشقة ولمح خطواتها البطيئة الريفية ادرك انها تحت يده تطيع اوامره في طيبة حلوة كوجهها الصغير الدافىء كلما تملكته حالة اضطراب وقلق .

لقدحضر هنا عند اخيه في الصعيد من اربعة ايام ممنيا النفس بتمضية اجازة هادئة وها هو لا يجد الهدوء فهذه المراة الصغيرة التي تعمل عند اخيه بجسدها الممتلىء تثير فيه كل كوامن الشهوة ولقد قاوم هذهالخواطر ولكنه يشعر بمضي الوقت بزبول في ارادته وكان شيئا يقوده لطريق مجهول .

وكان الليل قد تكاثفت ظلمتهوخيم السكون حول الشرفة وسبحتاشباح المنازل المتباعدة بانوارها الضئيلة في بحور من الليل وكانت تمر اشباح رجال ونساء على الجسر وبدا نقيق الضفادع يمزق رهبة السكون وصمم على ان يقوم ويفرق نفسه في القراءة وادار مفتاح النور ولكن النور لم يضاء فعاد الى مكانه في ملل وافكار كثيرة تضنيه افكار عن المراة وعالمها وكيف يدخله ويعرف ما يدور فيه .

لقد مرت سنوات المراهقة في عصبية وقلق ووجد نفسه في الحادية والعشرين ولم يقرب امراة وها هي الظروف تقدم لهفرصة نادرة ، فالمراة منذ ان حضر الى البيت وهي تتودد له وتضحك في سذاجة كلما واجهها وترخي عينيها .

وهذا الصباح كانت تجلس الى الغسيل وتكشف عن ركبتيها المستديرتين في اغراء ولم تتحرك عندما شعرت به يمر خلفها وحاولان يقنع نفسه انه يضخم اشياء عادية وان خياله المحموم هو الذي يصور له هذه الاشياء بهذه الطريقة وفوجىء بشبح المراة يتحرك في الحجرة ويقترب من الشرفة واحس بها وبدا الجو يعبق برائحتها وادار راسه فوجدها تقف وراسها الى اسفل ويديها تعبثان بجلبابها وطال الصمت لحظة فقطعته المراة في صوت منخفض هامس :

ـ اي خدمة يا سيدي ... اصل اصل نعيمة نامت .

وحاول ان يخفي اضطرابه ويطفىء النار التي اشتعلت في داخله في كلمة لفظها في توتر .. اريد فنجان قهوة .

وتحركت المراة في بطء وانكسار رق له قلبه وشعر بعطف نحوها وناداها ام نعيمة لا تنسي ان تصنعي لنفسك فنجانا ايضا .

وردت عليه وعينيها ترنو اليه في ود :

ـ الله يخليك يا سيدي .

وعاد يمسح بعينيه الجسر والفضاء والمشاعل المنثورة على الجسر وحولها الصعايدة يجلسون فيحلقات واصوات متباعدة تتلاقى في صوت واحد يلتقي بنقيق الضفادع وعواء الكلاب من بعيد وشعر بحنين الى الجالسين حول النار وهي تتوهج وتضيء وجوههم السمراء الصلبة وحول حلقاتهم تتحرك على الارض ظلالهم وتهتز .

وتمنى لو شاركهم هذه الجلسة وشرب الشاي الاسود واستمع لاحاديثهم ولغطهم وحضرت المراة ووضعت في خفة امامه فنجانالقهوة وكوب الماء وشعر باضطرابها وهي تحمل له كوبا صغيرا مملوءا بالقهوة فاخرجها من موجة الخجل التي اغرقتها قائلا في نبرة تودد :

ـ لماذا لا تجلسي يا ام نعيمةوتشربي القهوة هنا وتكومت المراة على الارض امامه وعدلتفي ثيابها وبدات ترتشف هي كوب القهوة في لذة وتنظر اليه نظرات مغلفة ببريق من الدهشة والاستكانة وقرر ان يبادلها الحديث لعله يطرد الملل الذي بدا يشعر به في هذه البلدة الهادئة .

ـ قولي لي يا ام نعيمة ما هي بلدتك .

واجابت بعد فترة دهشة اطلت من عينيها :

ـ ابو قرقاص يا سيدي .

ـ وايه اللي جابك المنيا ؟

وتنهدت المراة ومرتسحابة خفيفة عكرت صفو وجهها المستدير ورنت بعيدا نحو الجبل وتمتمت في صوت ضعيف :

ـ الحوجه يا سيدي .

واحس انه مس منها ذكرى اليمة وانب نفسه غير ان حب الاستطلاع دفعه ليستزيدها .

ـ احكي لي يا ام نعيمة .. وكيف حضرت الى المنيا .

وكانت قطة ام نعيمة قد تسربت الى الشرفة وحومت حولالمراة فمدت يدها ومسحت بها على راسها واخذتها في حجرها واستكانت القطة في احضان المراة وعينيها تضيء في حجرها المظلم .

كانت ثمة علاقة تقوم في ذهنه بين عيون هذه القطة وعيون المراة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والنظرات المتواضعة المتسائلة المستأنسة كل هذا جعله يشعر بالقرب اكثر لهذه المراة الجالسة تحت قدميه .

وطلب منها مرة اخرى ان تحكي نـه .

وتحركـت الشفاه الصفيرة ورن صوتها في الشرفة بدا متهدجا ثـم اخذ يقوى شيئا فشيئا .

ام نعيمـة تنشأ كمـا ينشأ آلاف غيرها من بنات الصعيد لم يكن عند ابوها طـين وكان يغيب عـن الدوار شهورا مع انفار الترحيلة ، ثم يحضر فيملأ عليهم الدوار بالـزاد والطعـام والملابس والحلوى وساعتها كانت امها واخوتها يتحركون في الدوار في فرح وسرور وحبور وكم دارت هي واولاد الكفر في الفيطان واستحمت في مياه الترعة الدافئة تحت الشمس الحنون واحيانا تجمع روث البهائم واحيانـا تسرق عيـدان القصب وتقف هـي والاولاد على الجسر ليبيعوا لاصحاب العربات المارة ، وغالبا ما تسرح بخيالها مع القطار الذي يمر كثعبان ضخـم مخترقا الكفر كانت الوجوه النظيفـة الحمراء والنساء الجميلات بملابسهن النظيفة خلف نوافذ القطار تجعلهـا دائمـا تحلم بالحياة الموجودة وراء الفيطان والكفر ، الحياة التي يأتـي منها القطار ويذهب اليها .

وكبرت ام نعيمة كما تكبر البنات في الكفر وتزوجت ايضا كما يتزوجن في الكفر كان صالح ابن عمها وجاء مع الطبل والرجال والحمل وحملوها في دوار ابيهـا وسط غناء وزغاريـد الاقارب الى دوار صالح وعاشت مع صالح كما عاشت امها مع ابيها فصالح يغيب ايضا عـن الدوار مع عمـال الترحيلة ويحضر اليها بعد كل غيبة ومعه ملابس من البنـدر وكحـل ومناديل الوانها جميلة واحبها صالح دائما واكثر عندما ولدت له نعيمة .

وغاب صالح في الترحيلة ذات يوم وقلقت عليه وحلمت احلاما مزعجـة واخيرا عاد اليها .

عاد يلعن ويسب مقاول الترحيلة ويقسم بشرف ام نعيمة الا يعود يعمل مع هذا اللص وقرصته البطالة بنابها الازرق ورحل عن الكفر الى المنيا عند قريبهم الممرض بمستشفى المديرية .

وكم حاول صالح ان يجد عملا دون جدوى واخيرا جاء الفرج واغـراه واحد في بلدته ان يعمل في القاهرة ام الدنيا بعمل معه في اعمال البنـاء فهناك البيوت بكثرة والعمل مضمون والرزق وافر ودفعت الفكرة صالح الى القاهرة واقامت هي مع زوجـة الممرض القريب لهم واغراها الممرض ان تخدم في بيت طبيب المستشفى وتجمع لها قرشين هي الاخرى حتى يعود صالح فيمكن ان يعيشوا بمـا كسبوه ويفتحوا دكانا صغيرا ، وكـان ينظر لوجهها وهي تحلم بعودة صالح وبالدكان وبقلبها الذي يأكلها عليه من خطر المدينة الكبيرة عليه وفي عينيها بريق وتصميم وشعر انها تكبر وتكبر امامه وتملأ الشرفة .

وكان القمر قد توسط السمـاء وبدات انواره تغمر قطاعات كبيرة من السحب المتحركة في بطء وتكاسل في افق السماء اللانهائية .

وبدات اجزاء من الجبل والنيـل تتضح وادار مفتاح النـور ففوجيء بالنور يضاء .

وشعر براحة وخـدر يتسرب الى جسده وظل يتأمل المراة وهي تبلـع ريقها وتدعو لزوجها وارتفع بكاء نعيمة الصغيرة على بعد فقامت المراة لتـرى ابنتها وكان يتمنى هو ان يقوم ويقبل نعيمة الصغيرة ويطلب منها في صمت ان تغفر له ما دار في راسه من رغبة مجنونة في امها .

القاهرة — عبد الرحمن ابو عوف

وهـم ...

*

كان حلما .. واندثر
ومضت ايامنا ، فابتسمي ..

ليس ما عشناه الا محض وهم وصور
قد علاها اليوم قبر من غبار اسحم
يا لـه من حلم !
اخضر اللوحة ريان نضر
سفعته الريح في ليلة رعب .. فانتحر !
وبقينا بعده محض غريبين عبر
بهما يوما قطـار الزمن
ومضى يبحث في صحرائنا عن مدن
يلفظ الناس زمر
في زواياها .. ويأتي باخر
ويضيع العمر في هذا السفر
ضائعا يبحث عن معناه بين الدمن
فـي نهـار مظلم ..

كان حلما .. واندثر
ومضت ايامنا .. فابتسمي !.

بغداد — شاذل طاقة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طاغور والطفولة . .

بقلم ليلى المالح

* * *

لم اكن استطيع ان اجد لطاغور صورة غير صورة الهند نفسها ، ثلوج هيمالايا ، كبرياء الجبال ، والحنو الدافىء الذي يحضن ارض الهند . . . الفانج الدفاق الكتوم . . . الفانج الذي شهد اكثر من حكاية واكثر من عبقرية . . والبحر العميق العميق الذي روى قصة شمس الشرق ، روعة الشرق وعبقريته . ذاك هو طاغور . . طاغور الهند والشرق بل طاغور العالم .

سألت طفلا ، كان في الحادية عشر من عمره ، اتعرف من هو طاغور ، اسمعت باسمه ، فلم ادهش اذ قال . . طاغور . . لقد خلق لنا ، ومات من اجلنا . . لقد كان صديقنا جميعا . . كان يروي حكاياتنا . . نحن الصغار . . حكايات دنيانا . . حكايات اغانينا . . لا يا صديقة . . . انا اعرف طاغور .

وطاغور الذي احب الاطفال كان بدوره طفلا صغيرا كهؤلاء الذين يحبهم ، ففي عام ١٨٦١ وفي السابع من شهر مايو استقبلت مدينة كلكتا طاغور الطفل . لم يكن رابندرانات عبقري الاسرة الوحيد ، فاسرته واحدة من اسر الهند العريقة ، ذات صيت ذائع ، وثقافة عميقة سواء في دنيا السياسة ام دنيا الادب . كان جده راعيا للفنون والاداب في عصره بينما كان ابوه من اعظم المصلحين الاجتماعيين ، هذا بالاضافة الى ان اكثر من واحد في اسرته قد نبغ في الرسم والموسيقى والادب ، كأنما كان النبوغ وراثيا في اسرة رابندرانات طاغور هذه .

ولعل نشوء طاغور في جو ثقافي كهذا اتاح له فرصا عديدة جعلت منه عظيم الهند فيما بعد . في سن مبكرة ابدى ولعه بالادب والتمثيليات ، وفي الرابعة عشرة من عمره نشر متفرقات من الشعر والنثر في بعض المجلات . في السابعة عشرة الف اولى تمثيلياته رودرا ستاندا وهي في ١٤ مشهدا ولا تتجاوز ابياتها ٨٠٠ سطر .

ولم يكن عطاؤه في مجال الادب وحده ، بل لقد شارك اخاه جيوتي في تأليف بعض الالحان والاغاني كانت تمهيدا لوصول رابندرانات الى درجة منظورة من الفن الموسيقي كانت اكمالا للموهبة الفنية التي رزق بها . . وهي موهبة الرسم . ان عطاء كهذا يندر ان يجتمع لشخص واحد . وان يتجسد في انسان واحد نبغ فيه ، ولكن طاغور كان ذلك الانسان الشاعر ، القاص ، الفنان ، المسرحي والموسيقي المعلم والمربي . كان كل شيء في شيء واحد . جسد واحد وربما كان هذا العطاء الدفاق الخير وهذه الروح المستعدة دوما للبذل من اجل الافضل ، وربما كأن هذا هو السبب الاول لنيل رابندرانات طاغور جائزة نوبل في عام ١٩١٣ .

في الحقيقة اننا نشعر دائما بوجود طاغور الانسان ،ربما لانه يشعر دائما بوجودنا نحن البشر ، لانه يقدر قيمة الانسان بحد ذاتها ، لانه يقدس الانسان ففيه تتجلى قدرة الخالق . وبما ان طاغورا عاش من اجل كل البشر . فلم لا يحبه جميع البشر . لقد كان بقربهم جميعا . بقرب كل فرد . كان ينصحه وكان يعلمه . رآه يختلف مع اخيه فاوجد السلام بينهما . رآه ينغمس في المادية التي تسللت الى عالمه فحاول ان ينقذه منها ، ورآه يحاول ان يسيطر ، ان يحد، ان يصبح جشعا فقال له على لسان الطفل الملاك :

« انهم يصيحون ويقاتلون ، يحك في صدورهم الشك واليأس ، انهم لا يعرفون نهاية لمنازعاتهم . دع حياتك يا طفلي ، تتألق بينهم ، كشعلة من ضياء سني نقي ، دعهم يفزعوا ، مبهورين ، الى الصمت . انهم قساة في جشعهم وحسدهم ، ان كلماتهم كمدى خبيئة ظمأى الى الدم . اذهب الى هذه القلوب العذبة ، وقف بينها ، واحدر اليها نظرتك الرقيقة ، كالسلام الرحيم المتطامن من السماء الى كفاح النهار . دعهم ينظروا الى وجهك يا طفلي ، ليتأتى لهم فهم معنى الاشياء كلها ، دعهم يحبوك ، ليحب بعضهم بعضا . تعال واجلس في قلب اللانهاية يا طفلي ، وحين ينشق الفجر ، افتح قلبك وارفعه كزهرة منورة ، واحن راسك حين تغرب الشمس ، وتمم في صمت ، عبادة النهار» .

فطاغور خاطب العالم كله ، فلم يعن كون طاغور شرقيا ان يهب نفسه من اجل الشرق وحده بل كانت تجارب طاغور العديدة هي هدية رابندرانات للعالم نفسه ، العالم الذي استقى تجاربه منه . فقد زار طاغور اكثر اقطار العالم ، واطلع على ثقافات متعددة ، كانت الثقافة الانكليزية اكبرها تأثيرا وبخاصة بعد زياراته لانكلترا نفسها وبعد قراءاته المتعددة على جوانب الكتابات الانكليزية المتعددة . كل هذا لم يترك اثرا في نفس طاغور فقط وانما ترك بالتالي آثارا في حياة الغرب خاصة فقد حاول رابندرانات اكثر من مرة ان يساعد الغربيين في حياتهم وان يخلصهم من الجو المادي الذي يعيشون فيه ، فانطلق يحدث الجميع ، يحث كل ابيض وكل اسود ببساطة طفل ونبي . وكانت الملايين تستمع اليه من خلال المذياع بينما كانت صوره مادة حية ينقلها الفنانون بالوانهم لتعيش من بعدهم الى جانب تماثيله التي ملأت المعارض في ارجاء العالم . ومع هذا فقد كان طاغور لا يحفل بشيء من هذا . بل كان اني ذهب واني توجه لا يعنى باحد الا بالاطفال ، ربما لانه كان يشعر بانهم هم الذين يستطيعون فهمه فقط .

دمشق — **ليلى المالح**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد رجب البيومي

يقظة التفكير الاوربي وصوت ابن رشد

بقلم محمد رجب البيومي

* * *

الفلسفة اسلوب ومنهج قبل ان تكون معارف وكليات ، وذو الفلسفة عميق الفكرة بارع التحليل يسبر الاغوار ويرصد الابعاد والاطوال ، لذلك كان اصحاب الفلسفة ممن يمارسون الادب على جانب قوي من البصيرة والنفاذ ، يصدرون عن اصالة حية ، ويتجهون بأفكارهم الخصبة وجهات سديدة صائبة ، وقد اورثوا الادب في شتى فنونه المختلفة من مقالة وقصة ورسالة وملحمة دسامة قوية حية فوجهوا الادباء الخلص الى العمق والاحاطة والاستشفاف ، والاحتكام الى موازين دقيقة في المقدمات والنتائج ، اما الفلاسفة الادباء ممن رزقوا روح الفنان وعقل الحكيم ، فقد جاءت كتاباتهم نمطا رفيعا من الابداع ، فمقالات بيكون الادبية تجمع بين العمق الفلسفي والخيال الادبي جمعا رائعا يدهش القارىء ويروعه ! واسلوب فولتير ذو سحر رائع لا يقاوم لان الفلسفة الصائبة تحيط به من اقطاره وتوطىء له الدعائم والاسناد ، ولولا نصيب ويلز من الفلسفة ما اقتعد ذروة الادب في تاريخ انجلترا المعاصر !! ومهما وجد لدى كتاب اوروبا في عصور النهضة من دسامة وقوة فمرجعه الى تعاطي الفلسفة والصدور عنها فيما يتناولون من بحوث !! لذلك لا نكون مبالغين حين نجزم بأن أسلوب الفلسفة في البحث قد اكسب الادب قوة حية جعلت رجاله زعماء نهضات ودعوات ! ومن قل نصيبه منها فهو دون أصحابها استقامة سبيل واتساع أفق وارتفاع تحليق!

وحين نرصد مهاب الفلسفة على أوروبا في افتتاح عصر النهضة ، نجد ابن رشد صاحب الصوت المجلجل في ايقاظ الاسماع وتنبيه الغافلين الى اساليب الفلسفة ومناهجها في البحث والدراسة ، ثم يأخذنا العجب كل العجب اذ نرى هذا الفيلسوف الاندلسي المسلم لا يجد حواريه في ابناء لغته ودينه من المشارقة ، ولكنه يجدهم في اليهود من اطباء واحبار وفي المسيحيين من اباطرة واساتذة وكهنة ، هؤلاء هم الذين نقلوا كتبه وشروحه وترجموا افكاره وبحوثه ، فهدتهم الى مفاتيح الثروة الفكرية الخالدة واصبحوا بها اغنياء مترفين !

قدر على ابن رشد ان يأتي بعد الفزالي ، ليرى نجاحه الساحق في هدم الفلسفة بالمشرق حيث حاربها ابو حامد محاربة مكتسحة ظافرة ، حاربها باسلحتها المنطقية بعد ان خبرها ووقف على ما ظنه مقاتل مبيدة، وقد قسم الفلاسفة الى طوائف مختلفة ، فطائفة جحدت الصانع وقالت بقدم العالم وطائفة انكرت البعث وما يعقبه من ثواب وعقاب ، وآخرون توغلوا في دراسة الرياضيات والطبيعيات والمنطقيات والالهيات ، فأصابوا مرة واخطئوا مرات ! وقد اختلط الخطأ لديهم بالصواب اختلاطا لا يثمر غير التخبط والارتكاس ثم مضى ينقض براهين الفلاسفة بامثالها مستعينا بالاقيسة والحجج العقلية تارة وبالادلة الشرعية من نصوص قرآنية واحاديث نبوية تارة اخرى ، نأهجا نهج علماء الكلام في الرد والتوهين ، ثم اعلن في النهاية فقدان الثقة باقيسة المنطق وبراهين الفلسفة ورأى في التصوف منجاة الحائر، وملجأ المسترشد ، اذ يدرك به من الاطمئنان النفسي ما لا يدرك بالحجج والاقيسة وكان تصوف الفزالي تصوفا معتدلا بعيدا عن مغالاة النظريين من ذوي الشطحات وقريبا من منهج الصحابة في الزهد والخشوع والتواضع فوافق اهواء الناس لعهده ، فاعتنقوه عن اخلاص ورغبة ، ونفروا من الفلسفة نفورا جعلها مدعاة الزندقة وباب الالحاد .

وقد حاول ابن رشد ان يعيد للفسفة مقامها لدى المسلمين بعد أن تساقطت مترنحة تحت ضربات الفزالي فألف كتابه تهافت التهافت يرد به على كتاب الفزالي الشهير تهافت الفلاسفة ، وقد قال في مقدمته ان تعرض ابي حامد الى مثل هذه الاشياء على هذا النحو لا يليق بمثله لانه لا يخلو من احد امرين : اما انه فهم هذه الاشياء على حقائقها ثم ساقها على غير وجهتها وهذا فعل الاشرار ، واما انه لم يفهمها على حقيقتها فتعرض للقول فيما لم يحط به علما وهذا من فعل الجهال ، والرجل يجل عندنا عن هذين الوصفين ، ولكن لا بد للجواد من كبوة ثم مضى يناقش ابا حامد في كل ما تعرض له ! ولكن كتاب ابن رشد عن الفزالي لم يجد من يقرؤه في الشرق ، وظلت آراء الفزالي في الفلسفة راسخة لا تتزعزع ! حتى مطلع القرن العشرين اذ نقل الاستاذ فرح انطون فلسفة ابن رشد الى قراء العرب مترجمة عن رينان ! فبدا الفيلسوف الاندلسي يأخذ مكانه

لدى ابناء لغته ودينه ! اما اثره البعيد في التفكير الاوروبي بعامة منذ فارق الحياة فهو ما نحاول ان نجلوه في هذه السطور لنرى كيف دقّ الاجراس المرنة في عالم نائم غافل فلفظت المضاجع على رناته المجلجلة جنوب النائمين !

لقد جاء دور ابن رشد في المعترك الفلسفي بعد ان تقدمه في الشرق افذاذ نوابغ من امثال الكندي وابن سينا والفارابي واخوان الصفاء ممن اسهموا في البناء الفلسفي اسهاما تردد صداه في كل مكان حتى وصل الى الاندلس فانتج بهآ فلاسفة حكماء من امثال ابن باجه وابن طفيل وابن زهر وكأن الاقدار قد جعلت ابن رشد خاتمة هؤلاء ليستطيع ان يقرأ ما كتبه سابقوه قراءة الفاحص الناقد ثم يضع النتائج النهائية لدراسته المتأملة ! وهو بعد صاحب ذهن فلسفي بعيد المطارح ، وقد عشق ارسطو عشقا تمكن من نفسه وسيطر على نزعاته حتى عده المثل الاعلى للفكر في الحياة بل ارتقى به عن الحدود البشرية الى ان صار في اعتباره المفكر الالهي ، وقد قال عنه في مقدمة كتابه عن الطبيعيات انه اعقل أهل اليونآن وواضع علوم المنطق والطبيعيات وما وراء الطبيعة اذ ان جميع من اتوا بعده من الفلاسفة لم يستطيعوا ان يزيدوا شيئا عما وضع او ان ينقدوا قضية وصل اليها ، ثم قال «فلا ريب في ان اجتماع هذا العلم في انسان واحد امر عجيب يوجب تسميته ملكا الهيا لا بشرا ولذلك كان القدماء يسمونه ارسطو الالهي ! »

وقد دفعه هذا التقدير البالغ الى شرح اكثر ما كتب ارسطو من المؤلفات شروحا مختلفة منها الوجيز والمتوسط والمبسوط ، واذا كآن ابن سينا قد خالف ارسطو في كثير من قضاياه فان ابن رشد قد هاجم مخالفيه ، ووقف وقفات حاسمة امام ما عورض به واصبح في نظر التاريخ الفلسفي الشارح الاكبر لفيلسوف اليونان ، وتعرض الى محن كثيرة من لجاجات العامة حتى نفي الى غير موطنه ، وطرد من المسجد حين أمه للصلاة، ولكنه لم يتخل عن منهجه الفلسفي بل شغل وقته بالشرح والدراسة حتى هيأت له الاسباب من نقل شروحه وآرائه الى اللاتينية لتكون مصباحا هاديا ينير الدراسات الفلسفية ، ويبرز ارسطو في وضع جديد ! ولا يمكننا ان نحدد اثر ابن رشد في انهاض الفكر الفلسفي باوروبا الا حين نعرف حال الفلسفة في القرون الوسطى قبل ابن رشد ، فقد تأكد لدى بعض الافهام ان الفكر الاغريقي قد زحف الى اوروبا الغربية مع الزحف الروماني وان العرب بناء على ذلك لم يضيفوا شيئا ذا بال الى الفلسفة الاغريقية اذ ان ترجمات ابن رشد وشروحه لم تات بجديد حين نقلت الى اللاتينية ، بل كانت نسخا مكررة للذائع المشتهر ، وهذا خطأ ظالم مفرض ، لان الباحث في تاريخ اوروبا خلال العصر الوسيط يرى ان الكنيسة كانت تدرس الفلسفة الاغريقية من خلال المعتقدات المسيحية فهي تدور بها في مجال العقيدة لتؤيد ما لديها من نصوص حتى ليخيل لقارىء هذه الفلسفة ان ارسطو وافلاطون واحزابهما قد وجدوا بعد المسيح ليؤيدوا تعاليمه ويجروا في فلكه ، وقد حظر البحث عن أي حل من الحلول الفكرية لا يلائم النصوص ولا يسير وراءها شبرا بشبر ، واذا كان الفيلسوف سانت اوجوستان قد فطر الى التناقض الصريح بين مسائل الفلسفة الاغريقية والدين المسيحي فانه لم يعلن ذلك صريحا كما ارتآه بل جعل يوفق بين الآراء في اسلوب متكلف ينادي بالافتعآل ! وكان خيرا له ان يعلن آن الفلسفة الاغريقية شيء آخر غير تعاليم المسيح ! بل ان المسيح لن يكون صاحب رسالة كبيرة اذا كان جميع ما أتى به موافقا لما سبق أن حكم به ارسطو وافلاطون واذا كانت الفلسفة الاغريقية تسير على هذا الوضع الكنسي فان شروح ابن رشد واضرابه لها فاجأت اوروبا بالطريف ! ودفعت بالانظار المتطلعة الى افق جديد .

وقد منيت الفلسفة الاسلامية باضطهاد أليم من الراي الغربي العام ، اذ تواطأ اكثر الباحثين على انها نقل وترديد لفلسفة الاغريق ، فهم يردون ما عبر عنه الفريد جيوم في تراث الاسلام حين قال « ان الشعوب الناطقة بالضاد لم تفعل شيئا اكثر من انها استولت على الفلسفة اليونانية التي كانت شائعة بين المسيحيين من اهل سوريا والمثقفين من اهل حران والوثنيين ثم اضافت اليها بعض عناصر استمدتها من فارس والهند وآن من الحق ان نرد الفلسفة العربية في مادتها وصورتها وغايتها الى حضارة البلاد التي غزاها العرب وان نعتبر الفلسفة اليونانية المعين الذي استقوا منه مذهبهم » وقريب منه قول ارنست رينان « ومن عجائب القدر ان هذا الجنس السامي الذي استطاع ان يطبع ما ابتدعه من الاديان بطابع القوة في اسمى درجاتها لم يثمر ادنى بحث فلسفي خاص وما كانت الفلسفة قط عند الساميين الا اقتباسا صرفا جديا وتقليدا للفلسفة اليونانية !! » الى امثال هذين الرأيين لعشرات الباحثين مما تفيض به صفحات القوم دون انصاف وتحقيق ، والرد عليها واضح صريح لا يعتسف بالباحث في شعاب وعرة منقطعة تكتنفها الاشواك والصخور بل يدعوه الى قراءة ما انتجه فلاسفة الاسلام حين تمسكوا بحرية الفكر التي دعا اليها القرآن ونأوا عن التقليد الفاضح الذي عابه الاسلام فناقشوا في علم الكلام ما يتعلق بالازل والابد وحرية الارادة وافعال العباد وقدرة الله مناقشة تعتمد على الدليل العقلي اعتمادا اساسيا فاذا استندت الى النص فذلك استئناس لا استدلال ، وقد انتقلت مؤلفات ارسطو وافلاطون الى الاوروبيين محاطة بالفكرة الاسلامية وبشروح المفكرين من امثال ابن سينا والفارابي وابن رشد ! وبهذه الشروح اطل العالم الاوروبي على نمط جديد غير مألوف ! واستيقظ من سباته ليرى موقفين متضاربين موقف الكنيسة حين تجعل العقيدة المسيحية مبدأ لكل بحث فلسفي ، وموقف فلاسفة الاسلام حين يحتكمون الى المنطق بحججه واقيسته مجردا عن كل فكر سابق !! هذا الموقف الجريء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قد دفع بالفلسفة الاغريقية دفعة جديـدة اذ ابعد عنهـا الكنيسـة واصبحت بشروح العرب ذات اتجاه جديد !! واذا كان من الفلاسفة الاسلاميين من خالفوا الجمهور في بعض الاصول فذلك شيء طبيعي لا بد ان يتمخض عنه اختلاف العقول وتباين النظرات ، وهو مما يشير الى الحرية التامة حين تكتسح القيود والاسداد .

نستطيع بعد هذه الالمامة ان نتابع تأثير ابن رشـد فـي اوروبا الغربية ، فنرى انه برغم قلة تأثيره في المشرق او فقدان تأثيره على وجه التحديد اذ ذاك قد نال اكبر شهرة عند اليهود باعتباره شارحا لكتب ارسطو ، فكانت شروحه تنقل الى اللاتينية على انها نصوص يقينية ، ومن اشهـر مقدريه معاصره الشهير موسى ابن ميمون اذ بذل اكبر جهد في انشاء مدرسة رشدية ونقـل شروحه الى العبريـة واللاتينية ، غير اننا نرى باريس في حياة ابن رشد تتأثر بالمناهج العربية اذ تصبح مركزا للفلسفة المدرسية ثم تمتد بها الايام فتصبح في مطلع القرن الثالث عشر حومة جدل فلسفي ينهج منهج المسلمين ، ويصل صداه الى الدوائـر الكنسية فتصدر قراراتها بتحـريم الترجمات العموميـة والاكتفاء بالترجمات القديمة ! ومعنى ذلك ان تدور الفلسفة الارسطالية في نطاق المسيحية من جديد ! وان تبتعد عـن شروح العرب ذات الفكر الاستقلالي والطابع الحر الفريد.

وكان من المصادفات ان يتبوأ فردريك الثاني امبراطورية صقلية سنة ١٢١٥ ، ومع اشتراكه في بعض الحمـلات الصليبية الى الشرق فقد كان عدوا من صفوف الاصدقاء ان جاز هذا التعبير ، وقد اتصف بصفات رائعة قـل أن تجتمع في انسان فهو يجيد ست لغات وينظم الشعـر ويعجب بفنون التصوير والنحت والموسيقى ويؤلف فـي علوم الحيوان والطير ويشذ عن تقاليد الكنيسة فيميل الى التسامح الديني ويجمع في بلاطه اليهودي والمسيحـي والمسلم ، وقد عشق الشرق فعاش عيشة رجاله يتكلـم العربية ويناقش مفكري العرب ، وينأى عن التعصب فـي جرأة وثورة ، وكان شديد الاعجاب بفلاسفة المسلميـن الذين يقرأ كتبهم في لغتها العربية ، ويظهر عطفا كبيرا على اساليبهم في البحث والتفكير حتى تشيع لاكثر ما نادوا به من معتقدات ، مما اضطر البابا الى تكفيره واعلان مروقه ، وقد أسس في سنة ١٢٢٤ جامعة نابولي وجعل مهمتهـا الاساسية ان تدفع العلم العربي الى اوروبا فوضعـت الترجمات على يد أساتذتها من العربية الى اللاتينية وانتدب بعض اساتذتها الى زيارة طليطلة سنة ١٢١٧ لنقل شـروح ابن رشد على كتب ارسطو وترجمتها ، وقد قام الاساتـذة الموفدون برسالتهم واعانهم على تحقيقها نفر من احبار اليهود ممن تتلمذوا على اثار ابن رشد وهتفوا بفلسفته .

وقد عقد الاستاذ ديلاسي اوليري المستشرق الانجليزي فصلا طويلا عن أثر الفلسفة العربية في المدرسة اللاتينيـة



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العـادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

•

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد أدنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد أدنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابهـا سواء نشرت ام لـم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ (Dir : 223819)
المنزل ٢٢٥١٣٩ (Dle : 225139)

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البـير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بكتابه الشهير « الفكر العربي ومكانه في التاريخ » ترجمة الدكتور تمام حسان تحدث فيه عن اثر الفلسفة الرشدية واطوار تأثيرها حديثا مسلسلا يؤرخ خطوات هذا التأثير على مدى الاحقاب المتتالية حتى ينتهي بها الى وضعها الراهن في الفلسفة الحديثة ، فيذكر أن القرن الثالث عشر قد أكمل ترجمات آثار ابن رشد الفلسفية الى اللاتينية جميعها ، وقد ذاعت على أيدي مؤيديه ومعارضيه جميعا ، فالمؤيدون يبسطون ما قال الفيلسوف العربي ، والمعارضون يحاولون تفنيد آرائه بعد أن يبسطوها بسطا واضحا فتشتهر وتذيع ، بل ان احد هؤلاء المعارضين يضطر الى نقل كتاب « تهافت الفلسفة » للغزالي محاولا أن يفحم به آراء ابن رشد وكأنه يعتصم بالافكار الاسلامية حين أعوزه ان يثبت للرجل الكبير ! وقد التفت الاستاذ ديلاسي اوليري الى نقطة عجيبة حقا حين قال ص ٢٩٣ ترجمة الدكتور تمام حسان « وكان ثمة حد فاصل بين رشد الشارح الذي عومل باحترام كبير كشارح لنصوص أرسطو وبين ابن رشد الفيلسوف الذي كانوا يعتبرونه ملحدا وتبدو المسألة كما لو كان ثمة سياسة متعمدة للوصول الى ارسطو عن طريق التضحية بالشراح العرب » . ومعنى هذا أن شروح ابن رشد على ارسطو مقبولة لانها في وجهة نظرهم تمثل الفيلسوف اليوناني ، أما آراؤه الخاصة فمرفوضة لانها تمثل الفيلسوف العربي ، وهذا الفهم على غضاضته الخلقية ودلالته النفسية مخطىء مضحك ، لان شروح ابن رشد لا تمثل ارسطو وحده ولكنها تمثله في مرآة ابن رشد ، والفرق بعيد بينها وبين الترجمة اذ ان الترجمة نقل خالص اما الشرح فتفسير وتحليل وتعليل ، وكثيرا ما يفهم الشارح أقوال غيره من وجهة نظره فهو ذو شخصية واضحة منفصلة في التصور والادراك والتعليل !! فالذين يحترمون ابن رشد الشارح بحجة أنهم يبحثون عن ارسطو قبل كل شيء قد أخطأهم السبيل ، وهم في حاجة الى من يقول لهم لقد فرض عليكم الشارح نفسه مفكرا وفيلسوفا وهذا ما تحذرون ! اما اذا كانت هناك سياسة متعمدة للوصول الى ارسطو عن طريق التضحية بالشراح العرب فان هذه السياسة لم تتحقق على وجهها المنشود لان هؤلاء الباحثين عن ارسطو لم يتح لهم أن يجدوه عن غير طريق العرب ! حتى انهم حين عثروا بعد ذلك على النصوص الاغريقية الاولى في لغتهم اليونانية لم يستطيعوا فهمها الا بالشروح العربية مقارنة وتحليلا الى ان مضت مدة طويلة نهمت فيها هذه النصوص الاغريقية فهما تنوسي معه ما ساعد على توضيحه من شروح ابن رشد !

والذين يتحدثون عن اثر الاندلس في اليقظة الاوروبية في غير مجال الفلسفة من المجالات الحضارية والفنية لا يواجهون صعوبة كبيرة في توضيح دورها الكبير حيث تبدو الحقائق سافرة غير ملتبسة ، ولكنهم حين يتحدثون عن اثر الاندلس في مجال الفلسفة يجدون من يلبسون عليهم القول متعللين بأن قصارى جهد فلاسفة الاسلام انهم تراجمة ناقلون او شراح مفسرون ! وهم يتعمدون اخفاء ما يعرفونه من الحقائق في فلسفة الاسلام اذ ان اسلوب مفكريه في البحث الفلسفي قد تميز في علم الكلام تميزا يصعب انكاره ، فهو اسلامي الوجهة والروح والمشرب ، وان اصطنع سبيل الفلسفة في البرهنة والاستدلال فذلك مما يمس الشكل الخارجي في ترتيب الجدل ومساقه ، اما حقائقه الجوهرية فاسلامية خالصة جاء بها دين يرتكز على العقل ويدعو الى الحرية والتفكير في ملكوت السموات والارض ، وقد استطاع الاستاذ : ت ج ديور مؤلف تاريخ الفلسفة في الاسلام أن ينصف المسلمين بعض الانصاف حين تعرض لتحديد ما سماه فضل المسلمين على الفلسفة النصرانية في العصور الوسطى فقال في ص ٢٨٦ نقلا عن ترجمة الدكتور ابي ريده :

« اما اهم اثر للعرب فهو ان النصارى بعد قراءتهم لمؤلفات العرب ولا سيما ابن رشد صاروا يرون في نظريات أرسطو رأيا خاصا ، فاعتبروها الحقيقة العليا ، ولم يكن بد من ان يفضي هذا الى تصادم بين علوم العقائد والفلسفة او الى احراج بينهما بل كاد يؤدي الى انكار العقائد الكنسية واذن فقد كان تأثير الفلسفة الاسلامية على تطور العقائد الكنسية في العصور الوسطى حافزا من ناحية وعاملا على الهدم من ناحية اخرى ، لان علم الكلام والفلسفة لم يستطيعا ان يسيرا في العالم النصراني مستقلين كل على جادته لا يتعرض لصاحبه كما قد حدث عند مفكري الاسلام ثم ان علوم العقائد النصرانية كانت في القرون الاولى من نشوئها قد افرطت في اخذ الفلسفة اليونانية حتى اصبح الانفصال بين الدين والفلسفة غير ممكن بل كانت تستطيع فوق هذا أن تهضم أشياء قليلة اخرى وكان هضم الفلسفة اليونانية اسهل على العقائد الاسلامية البسيطة التي ليس فيها كثير من الاراء الفلسفية منه على العقائد النصرانية المركبة بما فيها من فلسفة .. الخ » .

وهكذا كان انتشار الفلسفة الاغريقية على يد العرب ترجمة وشرحا وتعليقا تمهيدا لقيام النهضة في النصف الاخير من القرن الخامس عشر اذ بدأت الفلسفة تؤتي ثمارها فتوجه العقل الاوروبي توجيها جديدا يستند الى حرية الفكر ، وشعور الانسان بشخصيته واقتداره على التفكير الذاتي مستقلا عن غيره ، وقد ذهب في هذه الحرية الى ابعد مدى حتى تصدى لفلسفة ارسطو نفسها فنقدها وكشف عن ثلومها ! واهتدى الى فلسفة حديثة انتجت مفكرين قادة وفلاسفة مصلحين ، وانتقلت بضوابطها واهدافها الى الادب الخالص فبسطت آفاقه وعمقت مجراه ، وجعلته وليد تأمل دقيق ، وتحليل نافذ كشاف .

الفيوم : دار المعلمات **محمد رجب البيومي**



محمود محمد سليمان

حدود العاطفة في مدرسة الديوان

بقلم محمود محمد سليمان

ما اكثر ما تمتزج احاسيس الشعراء ، اذ لا فاصل بين العواطف حين تعتمل في ضمير الشاعر ، فاذا صور شاعر مثلا منظرا دميما فواضح انه لا يقصد تصوير الدمامة لذاتها وانما يستعين بها على اثارة احساسات مركبة غير التي ينبهها في النفس منظر الدمامة ، ولا يعقل ان يقف الشاعر عند حد ايلام النفس بتصوير المنظر القبيح ، فوراء هذا التصوير عواطف متمازجة من السخر والهزؤ والاضحاك وبهذا يحقق الشاعر هدفه الفني من الامتاع والتسرية . يصف ابن الرومي شخصا دميما فيقول :

اقصر وعور وصلع في واحد
شواهد مقبوله ناهيك من شواهد
تخبرنا عن رجل مستعمل المقافد
اقماه القفد فاضحى قائما كقاعد

وهذه الصورة تحمل السخر والضحك ، وتثير الوانا من المرح والخفة وكلها بالطبع مقصود في فن الشاعر وليس حتما ان يكون في صور الدمامة تكلف الرشاقة او تصنع الوقار من الشخص الدميم ليظهر الشاعر اغراض السخرية والاضحاك من المهجو فقد تكفي الصورة المرسومة في تحقيق الغرض .

يقول المازني : « ونحن نرى الشعراء والمصورين الذين يدركون غايات فنيهما لا يطلبون الدمامة لذاتها وانما يتخذونها سلما الى تحريك الاحساسات المتزاوجة فيضيفون اليها تكلف الرشاقة او تصنع الوقار او مبالغة فيما يراه لنفسه فيخرج لنا صورة مضحكة » (١) .

وكما يختلط الخوف بالامل يختلط الغضب بالرغبة في الثأر والتشفي يقول ابن الرومي لابن المدير :

ادعو على الشعراء اخبث دعوة اذ مجدوك وغيرك الامجاد
قل لي باية حيلة اعملتها هتفوا بانك ـ لا حفظتـ جواد
لكن اخال معاشرا خيبتهم نصبوا الحبائل للاسى فاجادوا
أثنوا عليك ليستميحك غيرهم فيخيب خيبتهم وتلك ارادوا

وفي هذا النص يمتزج في نفس الشاعر الاستصغار بالغضب والتشهي لاخذ الثأر .

« كذلك يرتبط الحزن والاسى بذكريات السعادة فالقلب يتعلق مرة بالسار ، واخرى بالمسيء من عناصر العاطفة ، ويتنقل الشاعر من هذه الى تلك تنقلا هو اشجى واكثر متاعا من عاطفة السرور الخالصة (٢) » .

وازدواج العاطفة وتشابكها على هذا النمو يؤكد لدينا مرة ثانية أن الشعر ليس ابوابا منعزلة منفصلة ، بل هو باب واحد من العاطفة ، وليكن وصفا او غزلا او حكمة ، فانه من الصعب ان نميز تجارب الشعراء ـ وهي مواقف من اعماق النفس ـ الى مجموعات تحكم بعناوين صارمة ، لاننا بهذا الصنيع لا نصف تجارب الشعراء الوصف الصحيح .

وعاطفة الشاعر المحب اوسع العواطف ، لانها جماع العواطف النفسية ، وحب الجمال حب للحياة ، ذلك ان الذي تهفو نفسه الى حب الجمال يتعلق بالحياة في مظاهرها وصورها الكثيرة ، بل تنفتح نفس الشاعر للوجود ليرى الزهر والنهر والطير والقمر صورا من فتون السحر والجمال تغرى بها نفسه ، ويهيم بها وجدانه، فعاطفة الحب هي التي ارت الاعرابي القمر على بيت محبوبته اجمل منظرا ، وارق مشهدا منه على بيوت الجيران ومن الطبيعي ان تثور حماسة عنترة في لهيب المعركة الشديدة ، نابعة هذه الحماسة من حبه الكبير لعبلة ، وتقترن الحماسة في نفسه بالحب على هذه الصورة البارعة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها برقت كبارق ثغرك المتبسم

بل ان عاطفة الحب تعمق وجدان الشاعر حتى يصبح قلبه مركزا يتصل بالكون والطبيعة اتصالا واسعا على نحو ما نرى في قول قيس لبنى :

وان تك ليلى قد اتى دون وصلها حجاب منيع ما اليه سبيل
فان نسيم الجو يجمع بيننا ونبصر قرن الشمس حين تزول
وارواحنا في الحي بالليل تلتقي وتعلم أنا بالنهار نقبل
وتجمعنا الارض الفضاء وفوقنا سماء نرى فيها النجوم تحول

ويرى الاستاذ شكري : انه ليس من شروط الغزل تعليق العاطفة بفرد ، اذ ليست محبة الفرد للفرد الا مظهرا من مظاهر هذه العاطفة الواسعة التي تحنو على كل جمال يتجلى في الوجود ، ولعل قيس ابن الملوح كان يشبب بليلى

(١) حصاد الهيشم للمازني . (٢) المصدر السابق . (٣) مقدمة الديوان الرابع . (٤) الرسالة . (٥) مقدمة الديوان الرابع لشكري. (٦) شوقي ضيف (مع العقاد) .

التي في دنيا الناس لا بليلى العامرية » (٣) .

والعاطفة الصادقة لها دلائل من التعبير ، ومن موقف الشاعر ، واذا صدق احساس الشاعر كان لصدقه هزة ينتعش بها تعبيره مهما كان ضعيف الحظ من البيان ، ولا يضل الناقد عن الصدق في شعر الوجدان ، لان له حرارة لا يتبدد اثرها ولو اغرب التعبير ، ولكنه يضل احيانا اذا كان الشاعر بارع الصنعة ، فلا يدري : اشاعره وجداني فاقت صنعته لنشوة وجدانه ام متواجد سترت صنعته الفائقة عاطفته التي لبست بالصنعة ثوب الصدق .

وعلى هذا النمط الاخير نجد شاعرا كالبحتري يجيد تمثيل الصدق في الانفعال بخدمة الصناعة حتى لا تشك في صدقه الا اذا اسعفتك القرائن ، وبدرتك الدلائل من ظروف التعبير تمسح عن نفسك آثار الوهم ، وتجلو لك الحقيقة التي ظهر بها فن البحتري في تاريخ الادب : براعة في الصنعة تمثل لك الموهوم من العواطف حقا لا شك فيه ولا افتراء .

قال يرثي المتوكل :

ادافع عنه باليدين ولم يكن ليثني الاعادي اعزل الليل حاسره
ولو كان سيفي ساعة الفتكفي يدي درى الفاتك العجلان كيف اساوره

والقصيدة كلها تمثل براعة الصنعة لا عمق العاطفة وآية ذلك ان البحتري ما كان يستطيع لبقية من شجاعة فيه ، ان يدفع عن صديقه المتوكل باليدين ، ولو فعل لخفقته السيوف خفقا وكان من الهالكين ولعلمه بهذه الحقيقة التجأ الى الستر في القصر يحتمي فيها ويطلب النجاة فهل كان حقا يساور الفاتكين بسيفه اذا تمكن منه ؟ لا نظن ذلك ولكن يبقى براعة الصنعة وتمثيل الصدق العاطفي ، الامر الذي يدهشنا لبراعة البيان من شاعر يلبس ثوب الممثل فيختلط في نظرنا فنه بالحقيقة وهنا تبدو مشكلة : لقد اعترفنا بان الصدق العاطفي اساس التعبير المؤثر الجميل ، والصدق يلمس التعبير بحرارته فيغفر لبعض هناته ، بل ان الصدق في اكثر الاحيان يسوّي التعبير ويصقله فكيف يكون في تقدير الفن شاعر يمثل الصدق مجرد تمثيل فينوح ولا اثر للحزن في قلبه ، ويتشجع ونفسه تنتفض من الرعب . ويتصابى ووجدانه فراغ من لهيب الحب ؟ ولا نقصد بهذا ان نسمه بالزيف لاننا لا نقدر على مواجهته بالتزييف لان حوله نسيج البيان لبّس علينا موقفه العاطفي فكان عسيرا ان نفصل بين تعبيره وبين الحقيقة التي مثلها فاجاد التمثيل . يقول متغزلا :

اانت ديار الحي ايتها الربى الانيقة ام دار المها والنعائم
وايامنا فيك اللواتي تصرمت مع الوصل، ام اضغاث احلام نائم
لعل الليالي يكتسين بشاشة فيجمعن من شمل النوى المتقادم

قلب هائم يطير مع الذكريات الحلوة ، ويراوده الامل البسام في اللقاء الحبيب . وهل تملك في هذا البيان فصلا بين الوجدان الصحيح أو التعبير المتقن الذي اجاد تمثيل الوجدان الصحيح . ومذهب البحتري في التعبير قد يتسع له الفن ويقدره قدره على اساس ان البحتري يمثل لونا من العاطفة الشعرية يسميها عبد الرحمن شكري العاطفة الفنية ، تلك التي تبدو في تعبير الشاعر وزان العاطفة الصادقة ، بسبب ابتداع الشاعر في التعبير واقتداره على الافتنان في تصوير المواقف العاطفيةفالموقف العاطفي عند البحتري صورة تمثيلية يجيد الشاعر حبكها ببراعة تعبير لا تشك في انه الصدق الذي هتف به الوجدان. وحين نحاول ان نحسم الامر بين العاطفة الصادقة والعاطفة الفنية ايهما اولى بطريق الفن ؟ نقتنع كما اشرنا من قبل بمزية العاطفة الصادقة في التعبير ، وان الشعراء الذين يعبرون عما يجدون في انفسهم من مشاعر الصق بالفن وامسى به رحما ، لانهم اجدر ان يبلغوا من نفوسنا كل تأثير ، وان يستخرجوا منا كل اذعان ، اما الذين يمثلون العواطف بصدق التعبير فلهم براعة الصنعة التي يقدرها الفن وفي فنهم متسع للتأثير ، ذلك ان تعبير الشاعر مرآة نستشف منها نفسه فاذا اجاد تعبيره الى الحد الذي يلهينا عن تتبع مسارب نفسه ، اهو صادق في وجدانه ام يمثل الصدق ؟ ـ اغنانا فنه الشعري في امتاع النفس، وتعاطف الوجدان . والممثل الذي يمثل العواطف المختلفة فيجيد تمثيلها نعيش في فنه معجبين ، وقد يتسلط فنه على نفوسنا لبراعة محاكاته فنتلهى عن تمثيله ونخدع به كاننا نرى الحقيقة ماثلة لا فنا يصور الحقيقة فلماذا لا يكون الشاعر احيانا كالممثل يتقمص الشخصيات المختلفة بعواطفها وانفعالاتها ويكفينا من فنه انه اجاد التعبير .

يقول شكري : بلغت جودة الصنعة في شعر البحتري مبلغا جعلها تحاكي العاطفة والوجدان واتقان صناعة البحتري محاكاة صدق العاطفة صفة في كبار الممثلين . والممثل الكبير اذا مثل الحزن او الحب لم تفرق بين الحقيقة والمحاكاة ، بل ان المحاكاة تعبير حقيقة حتى ان الفنان نفسه قد يخدع بمظهرها في نفسه كما يخدع المعجبون بفنه ، ومن اجل ذلك تختلط حقيقة العاطفة ومحاكاتها في حياة الفنان كما تختلط الحقيقة ومحاكاتها في فنه (٤) .

ومهما يبلغ الشاعر بصنعته اوج الفن ويجد تمثيل العواطف فانه لا يبلغ مرتبة الشاعر الهاتف عن وجدان صادق، ولا يغفر للشاعر الصناع الذي يجيد تمثيل العواطف بصنعته اننا نقدر فن الممثل على المسرح باجادته تمثيل المواقف المختلفة . الفنون اشقاء ، ذلك لان طبيعة موقف الشاعر كفنان تختلف عن طبيعة عمل الممثل ، فالممثل يلبس اثوابا مختلفة ، ويتقلب بين الشخصيات المتعددة ويغنيه في عماله اجادة التقمص ، وحبك التعبير ، وربما اسعفته البراعة الذهنية اكثر مما يسعفه التواجد وتكلف العواطف المناسبة لكل شخصية والشاعر غير ذلك اذا كان ضروريا لفنه ان يشف تعبيره عن طاقة اصيلة من الوجدان، وان يكون صادقا في حديثه لتوقف المتعة في حديثه على جمال الصدق وصدق العواطف ، وان الصنعة البارعة التي تختلط فيها الحقيقة بالتمثيل اكتسبت شارة من الفن ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لان الشاعر لم يتخل فيها ـ وهذا ما احسب ـ عن التمسح بالصدق لانه يعيش في شعور مكتسب خيّله لنفسه وان لم يكن اصيلا ولا دافقا ، انه يشعر حين يقول ولكن شعوره لا يبقى بعد حديثه لصيقا بنفسه يصدر عنه القول افانين بعد افانين ، شأن الشاعر الذي تحتفر العواطف العميقة في قلبه اخاديد ، لا يفتأ يردد انغامه المستعذبة من اعماقها كلما اهتز به الوجدان .

ونسأل هنا ما الذي يهز وجدان الشاعر ؟ كل ما في الوجود يهز وجدان الشاعر والشاعر الكبير ينظر الى الحياة ومشاهدها بعين مفتوحة يقظة ، ويختزن منها منابع في نفسه للشعر والالهام « ومناظر الحياة على اختلافها ريح تهيج امواج نفس الشاعر فيعلوها درها واصدافها » (٥) .

والشاعر يبرز عواطفه رفافة على مشاهد الحياة كبيرها وصغيرها فتستوي فنا رائعا ، يصل الى النفس في شوق ورغبة مثلما فعل العقاد في قصيدته « كواء الثياب ليلة الاحد » :

اسلموك الحلل كالربيع الجديد
في احمرار الخجل او صفاء النهود
تشتهى بالقبل لا بمس الحديد
يا لها من فنون بهجة للعيون

طويت كالعجين فاطوفيها الجمال
لمسة باليمين عطفة بالشمال
والعجين الثمين في استواء المثال
فيه ماست غصون من جناها الجنون

زد نصيب الحبيب من هوى وابتسام
بالكساء القشيب رف حول القوام
لك فيهم نصيب غير كي الفرام
عند برج الشجون هم هم المكتوون

« لقد تحول الكواء وناره والثياب التي يكويها الى موضوع نفسي كبير ، فيه الناس ومشاعرهم ، وآمالهم ، وما يلبسون يوم الاحد ، وما يطوف بخيال شبابهم من الحب ، وبذلك صعد العقاد الى معارج الشعر والفن ، وكأنما كانت بيننا وبين هذا المشهد الحسي الذي نبصره في غدونا ورواحنا فواصل ، وما كادت باصرة العقاد تلمسه حتى تبين ان هذه الفواصل اقواس وهمية وانه يحمل من رؤى الشعر ما يخلب الالباب » (٦) .

ولا تنعكس مشاهد الحياة على قلب الشاعر انعكاسا مباشرا فيردها في تعبيره الشعري بالصورة التي انطبعت في قلبه ، ولكن وجدانه اعمق من الانطباع المباشر الذي يدفع الى التعبير المماثل ذلك ان وجدانه القوي يسنده ذهن خصب قوي وخيال مجنح طائر وكل اولئك يتمم براعة فنه ، فقد يرى الشاعر المنظر الدميم فيطير الى آفاق شائقة من الجمال نحسها في تعبيره . سئل جيد وربنى المصور الايطالي من اين لك هذا الخلق الرائع الذي تظهره في صورك فقال لسائله : انظر ! ثم اتى بشيخ قبيح واجلسه امامه نموذجا ورسم صورة رائعة لفتاة كأنما جمعت بين جمال الملائكة وجمال الحور . ثم قال : أترى في هذا الشيخ الدميم مثل هذا الجمال ؟! نحن اصحاب الفنون نحمل في نفوسنا دنيا اجمل من دنيا الناس ؟.

الفيوم **محمود محمد سليمان**

المنزل المهجور

●

هجرتك اذري الدموع الحرارا
فما كان بعدي عنك اختيارا
ولكن خضوعا لحكم الزمان
وواقع عيش بغيض يجارى

لقد تم ما شاءه لائمي
وحدث عنه الصحاب جهارا
فعدوك رقما اباه الحساب
وعدوا نزوحي عنك انتصارا
وقالوا ترنم لهذا الخلاص
ورب خلاص يكون انتحارا !

كأني اراك كئيبا لهجر
عقوق اخال الربيع اصفرارا
فيا لك حلما سخي الوعود
وفردوس حب جميل توارى
ويالي مضنى اضاع الاماني
وحير حدس الظنون ... وحارا
تساءل بعد غياب مرير
يخبيء تحت الرماد الجمارا
اضاقت عليه الجواء الفساح
ام ان السواعد باتت قصارا ؟!

تقيم العيون ويا جنة
ستذبل فوق التلال انتظارا
اتيت اودع هذا المطل
وشطا يحيل الشموس نضارا
وقرميد زهو يغيم انطفاء
لهذا الفراق ويخبو احمرارا
يحوم هدبي فوق الزهور
وعند القناطر يغضي انكسارا
واسكب شوق الضلوع الحواني
مذيبا لهيب الجفون اعتذارا
لعل بقايا الدموع الحرارا
تلاقي لديك لذنبي اغتفارا

فؤاد الخشن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عنـد بـابـك

الى زوجي الحبيبة ذكرى لقائنا الاول

عبد المنعم عواد يوسف

القليوبية ـ شبين القناطر



وتركت قلبي عند بابك ، لا رفيق ولا انيس
ودخلت متقد الشعور اصارع الشوق الحبيس
وأنا اتمتم : لا غـرام
فالقلب عند الباب ، نام

وجلست قربي ، في سكون
ونظرت نحوي ، والعيون
فيها رجاء
فيها نـداء
فغضضت طرفي في حياء
وحبست شوقي من جديد

واهتز كوب الشاي في كفي ، على ثوبي ، وسال
فخجلت من نفسي ، ولاح من العيون صدى ابتهال
ونظرت نحوي ، في فتون
وهتفت من خلف الجفون
لا ، لا تبـال
لا ، لا تبـال
ومسحت ثوبي والعيون
عيني وعينك في سكون
تتعانقان
تتفاهمان
ففضضت طرفي في هوان
وحبست شوقي ، من جديد

وسمعت الكلام ، ولا احب من الكلام
وتململ الشوق المكبل ، في احتدام
وقرات لي شعرا قديم
وسرحت والشعر القديم
ورجعت من كوني السعيد
فحبست شوقي من جديد

وسمعت صلصلة القيـود
عبـر امتدادات الحـدود
متناثرات
متحطمات
وبدت هناك بباطني تنمو ورود
وسمعت في الاعماق الحان السعود
وشممت انسام الهوى العذب الجديد
والشوق يرتع ، لا قيـود
والوجد يسأل : هل يعود
وشعرت بالحـب الوليـد
وبانني احيا هنا في قلب روض من جمالك
وعرفت انني ، يا حبيبة ، لم ادع قلبي ببابك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

الدكتور حسين فخري الخالدي

بقلم البدوي الملثم

* * *

ولد الدكتور حسين فخري الخالدي في بيت المقدس (١٨٩٤) من اسرة كريمة المحتد ، وانشأه والده المرحوم الشيخ راغب الخالدي نشأة طيبة ، ورعاه احسن رعاية مع اخوته الدكتور حسن واحمد سامح وغالب ويعقوب واسماعيل ، وتلقى دروسه الاولية والثانوية في مدرسة المطران بالقدس ، ودرس الطب في الجامعة الاميركية ببيروت وتخرج منها طبيبا قبل نهاية الحرب العالمية الاولى ، وعمل طبيبا في الجيش التركي واسهم مع احرار العرب في ثورتهم التحررية ضد الاتراك .

وبعد ان طويت راية بني عثمان من البلاد العربية قام في سورية الحكم العربي الفيصلي فالتحق الدكتور الخالدي بمصلحة الصحة العامة وعين طبيبا في حلب ، وما ان دك الفرنسيون عرش فيصل بن الحسين واطاحوا به في عام ١٩٢٠ وتشتت العاملون في الحقل الوطني شرقا وغربا حتى عاد الدكتور حسين الى مسقط راسه وتولى اكبر منصب عهد به الى عربي ابان الانتداب البريطاني على فلسطين ، اذ عين نائبا لمدير الصحة العام ، وظل يشتغل هذه الوظيفة الى ان خاض معركة انتخابات بلدية القدس في عام ١٩٣٤ وفاز مع مرشحي قائمته على منافسه المرحوم راغب النشاشيبي ، وعين رئيسا لبلدية القدس .

وفي عام ١٩٣٥ الف حزبا سياسيا في فلسطين اسماه « حزب الاصلاح » وبعد فترة قصيرة من هذا العام شبت ثورة عاتية في فلسطين التهمت الاخضر واليابس وهنا راى رجال الثورة و « مؤتمر الشباب الى ائتلاف الاحزاب » ان لا بد من التنظيم فحملوا زعماء الاحزاب السياسية على التكتل في جبهة اسموها « اللجنة العربية العليا » وقد تألفت صباح ٢٥ نيسان (ابريل) ١٩٣٦ على النحو التالي :

الحاج امين الحسيني ، رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، رئيسا ، وعضوية كل من : راغب النشاشيبي ، رئيس حزب الدفاع ، الدكتور حسين فخري الخالدي ، رئيس حزب الاصلاح ، عبد اللطيف صلاح ، رئيس حزب الكتلة الوطنية ، جمال الحسيني ، رئيس الحزب العربي الفلسطيني ، يعقوب الفصين ، رئيس حزب الشباب ، الفرد روك ، عوني عبد الهادي ، رئيس حزب الاستقلال ، احمد حلمي عبد الباقي ، ويعقوب فراج .

وفي عام ١٩٣٧ اعتقل الانكليز الدكتور الخالدي مع عدد من اخوانه العاملين معه في الحقل الوطني ونفوهم الى جزر سيشل جزاء الثورة الفلسطينية التي تلظت نارها ، والتهب اوارها في البلاد ساحلا وداخلا .

وعندما دعت بريطانيا رهطا من زعماء العالم العربي ورؤساء حكومته الى لندن لحضور « مؤتمر المائدة المستديرة » المنعقد في قصر سان جيمس ، اطلقت سراحه مع رفاقه ، واشترك في الوفد العربي الفلسطيني في ذلك المؤتمر الذي صدر « الكتاب الابيض » بعد فشله في عام ١٩٣٩ ، وعاد الدكتور الخالدي الى القدس يشكو ورفاقه عللا تأكل اجسادهم لسوء المناخ في سيشل ، واسهم ، رغم الداء الذي اصابه ، في الحركة الوطنية واستانف عمله في « حزب الاصلاح » وقضى سنوات الحرب العالمية الثانية في فلسطين لا ينفك عن النضال الوطني بقلمه ولسانه وتوجيهه .

ولما انتهت الحرب وعاد النشاط السياسي الى اوجه عادت « الهيئة العربية العليا » الى سابق جهادها وتولى فيها امانة السر ودعا الى تأسيس « بيت المال العربي » التابع للهيئة العربية العليا لمواجهة الاحداث الجسام التي راوا ميزانها مائلا لمصلحة « اليهودي المدلل » وقد انشأه الانكليز وحلفاؤهم واقاموه على ساقين من حديد !

وعندما عمد الصهيونيون الى لغة الغدر والاجرام وسفك الدماء وتقتيل الابرياء ، واقدموا على مذبحة دير ياسين الشهيرة ، التي ستظل سبة وعارا في تاريخ بني صهيون ، لتمثيلهم بالاطفال والنسوة والشيوخ ، ابان غياب الرجال عن القرية في نضالهم القومي ، عقد الدكتور الخالدي مؤتمرا صحفيا فضح فيه جريمة اليهود النكراء ، ونشر على العالم تفاصيل المجزرة الرهيبة ، وصحب منظمة الصليب الاحمر الى آبار قرية دير ياسين لانتشال جثث الاطفال والنسوة من العرب وقد مثل فيها اليهود الغادرون اشنع تمثيل !

وفي احلك ايام النكبة وقف الدكتور الخالدي مع شعبه المشرد ، حاملا اعباء المسؤولية في خطوط النار ، وبعد وقوع النكبة الفلسطينية يمم « غزة هاشم » واشترك في المؤتمر الفلسطيني المنعقد هناك وشغل منصبا وزاريا في حكومة عموم فلسطين التي كان يراسها المغفور له احمد حلمي عبد الباقي .

وفي عام ١٩٥٠ عاد الخالدي المجاهد الى القدس وعين حارسا للاماكن المقدسة بارادة من الملك عبدالله بن الحسين وفي عام ١٩٥٣ عين وزيرا للخارجية الاردنية في وزارة الدكتور فوزي الملقي وعين في مجلس الاعيان ، وعندما الف السيد سمير الرفاعي الوزارة في عام ١٩٥٥ عين الدكتور حسين وزيرا للخارجية الى ان الف نفسه الوزارة التي خلفت وزارة السيد سليمان النابلسي في

١٥ نيسان ١٩٥٧ ولكن وزارته لم تعمر الا اسبوعا فعاد الى منزله المتواضع في اريحا ، وظل على اتصال دائم بالحياة العامة ، وحز في نفسه ان تهاجم الدعاية الصهيونية العرب عرقا وموطنا ودينا في الكتاب الشهير « الخروج » EXODUS لمؤلفه الكاتب الاميركي الصهيوني LEON URIS واخرجته الصهيونية العالمية فيلما غزا كل صقع وناد ، فعكف الدكتور الخالدي عاما ونيف يؤلف كتابا بالانكليزية يرد فيه على تخرصات الصهيونية ردا مدعما بالارقام والوثائق ، وليلة فراغه منه امضيت واياه في منزله ساعات طوالا في الحديث عن كتابه المخطوط واقترحت عليه مكاشفة المسؤولين في الامانة العامة لجامعة الدول العربية بالقاهرة في امر طبع كتابه ونشره ففوض الي الامر شريطة أن يتم طبعه ونشره في المانيا .

وعندما بلغت القاهرة نقلت للمسؤولين في الامانة العامة رغبة الدكتور الخالدي فوعدوني خيرا لكن الكتاب الذي قضى الدكتور حسين في تصنيفه عاما ونيف ما زال مخطوطا ... يغط في نومه !!

عرف الفقيد الكبير بزهده في المناصب ، وطهارة السيرة والسريرة ، والترفع عن الصغائر والابتعاد عن الشهرة والاضواء ، والعناد في سبيل الحق ، واشتهر بمقالاته التوجيهية التي كان ينشرها منذ كشفت الصهيونية العالمية عن أوراقها ، وكان يحترم الصحافة وحرية الراي وله جولات في السياسة المحلية هاجم فيها الاستعمار الغشوم ، والانتداب الظلوم ، وقارع الصهيونية وكشف عن اباطيلها وسؤاتها !

وفي السنوات الاخيرة التي امضاها بين اريحا ـ القدس ـ عمان كان ينشر مقالات رائعة في صحيفة « الجهاد » المقدسية بتوقيع « الشيخ » ومن ابرز تلك المقالات ما كتبه في « الجهاد » بعنوان « صداقة بالنبوت» وهاجم فيه تمبلر وحلف بغداد !

نموذج من نثره السياسي : في خريف عام ١٩٥٥ كتب الدكتور الخالدي السياسي العميق النظرة ، البعيد المرمى ، مقالا بعنوان « مناطق النفوذ » تحدث فيه حديث البصير الخبير بخبايا السياسة وافانينها ، عن « غوا » في الهند و « ايريان » في اندونيسيا في وقت لم يكن الناس يعلمون اين تقع « غوا » و « ايريان » في الغالب من « اطلس » الارض او « خارطة » الدنيا ! قال « الشيخ » رحمه الله واسكنه فسيح جنانه :

« لا تزال عقلية الغرب في معاملته للاقطار العربية الاسلامية كما كانت عليه في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن الحاضر ، وهي عقلية مستمدة من معاهدة او اتفاقية « سايكس بيكو » وامثالها ، في زمن كانت اكثر الشعوب الشرقية الاسيوية تغط في سباتها العميق ، وتئن وتتوجع من سياط المستعمرين تنهال على ظهورها !

ويشاء ربك ان يتغير الزمن وتدور عجلة التاريخ ، ويزول عهد الاستعمار ، فتتحرر الشعوب تدريجيا ، ويعز هذا الامر على الدول الاستعمارية الكبرى كبريطانيا وفرنسا، كما يعز ايضا على بعض الدول الاستعمارية الصغيرة كهولندة والبرتغال ، فبعد ان خرجت الاولى من اندونيسيا لا زالت تتمسك بـ « غينيا الجديدة » وكأنها قطعة من هولندا ، وظلت الثانية تعسكر وتتمسك بمستعمرة «غوا» في الهند ، وكأن حياة البرتغال او مماتها مرهون ببقائها هناك !

اما بريطانيا وفرنسا فبعد ان خرجتا من الهند وبورما وسيلان ومصر والعراق والهند الصينية وسورية ولبنان لاسباب عدة ، وفي مناسبات مختلفة ، فقد ظلتا مع ذلك تتمسكان بمعاهدات واتفاقيات قديمة بالية فرضت فرضا على حكام بعض المناطق والمقاطعات الاخرى ، واصبحت بنودها واحكامها ابدية سرمدية لا يمكن ان تلغى او تعدل او تبدل !

ورات هذه الدول الاوروبية الاستعمارية الكبرى ، بعد ان رحلت عن البلدان التي اشرنا اليها ان تستعيض عما فقدته من حكم مباشر او غير مباشر ، لمثل هذه البلدان وان تقسمها مرة اخرى الى مناطق نفوذ تحت ستار المحافظة على الامن والنظام في العالم . ومن المؤسف ان تجاري الولايات المتحدة تلك الدول الانعزالية الى بضع سنين خلت ، هذه الدول الاوروبية فتتسابق واياها في اقتسام مناطق النفوذ بما ترسله من بعثات وما تنفقه من دولارات .

وغريب ان يذكر اهتمام دول الغرب خاصة في البقعة التي تسكنها الشعوب العربية الاسلامية وان تدعي هذه الدول ان بلادنا العربية تشكل الخطوط الدفاعية الامامية عن امنها وسلامتها . وكأن الله سبحانه وتعالى قد خلقنا لنكون ترسا لحماية الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وحائطا نتلقى ضربات أعدائها عندما تحين الساعة !

من اجل هذا يريدوننا ان نرتبط بعجلتهم ، ويريدون منا ان نعقد معهم المعاهدات والاحلاف ، ويريدون منا ان نكون حلقات في سلسلة دفاعهم ، ويريدون هذا كله بلا ثمن او مقابل ، بل ويريدون منا اكثر من هذا وذاك ان ننسى الاساءة وان نطوي صفحة الماضي ونهادن عدونا اللدود الوحيد ، وان نقطعه بلادنا ووطننا ونقبل بالتشرد !

ونظرة واحدة الى خارطة البلاد العربية وما يضمرونه لها من تقسيم الى مناطق نفوذ متعددة كفيلة بالكشف عن نواياهم !

فالريف العربي المسلم منطقة نفوذ اسبانية ، وطنجة وما جاورها منطقة نفوذ دولية ، وتونس ومراكش منطقتا نفوذ فرنسي ، فرضت عليهما الحماية الفرنسية فرضا ! والجزائر العربية المسلمة قطعة من فرنسا ولكنها تحكم بالحديد والنار ! وليبيا المتحدة التي تشمل طرابلس وبرقة

الى الفقيد السياب

الوميض الذي انكرته عتمة معابرنا

*

جيكور .. من للهوى يروي حكاياه ... من يصلب الآه فجرا في حناياه ؟
من يشكو للربوات الغافيات .. هوى ... من يغزل النعمة العذراء كفاه ؟
من للغروب .. اذا رش الدروب وما ... من يسكر الكون من اصداء شكواه ؟
من يطفيء الجرح في عينيه .. منتحبا ... وترفض المعزف المرنان يمناه ؟

جيكور .. يا ضحكة السياب .. لملمها ... من ليل عينيه ... من تهمام دنياه
يا قهقهات جراح في جوانحه ... تفتات احرفه .. تدمي بقاياه
ويا فحيح الرمال اللاهثات لظى ... يا جهشة الجدول المضنى بمجراه
هل يذكر الليل.. والغيمات .. معزفه ... وزغردات جرار الطيب ، نجواه
والزورق الحالم الغافي .. ايذكره ... هل دغدغت غفوة المجداف ذكراه
المرفأ المطفأ الاعراس .. احزنه ... صمت الخليج .. ونوح الشط ابكاه

يا شاعر الآه .. لم تضحك لنا ضفة ... ولا شدى معزف « جيكور » لولاه
يا غنوة الجرف .. يا سلوى قوافلنا ... يا غازل الصحو من ايحاش منفاه
ويا حداء .. يحث الركب .. يقحمه ... درب الربيع.. وحضن الصبح مرساه
ويا مسيح الحروف الخضر .. نصلبه ... ورعشة الخافق المحزون مثواه
«هابيل» !! يا جرحنا الدامي حناجرنا ... انا مهامه .. فاغفر ما جنيناه

بغداد

علي جعفر العلاق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفزان منطقة نفوذ بريطانية ـ اميركية ـ فرنسية ! ومصر والسودان ودار فور وكوردوفان مناطق نفوذ بريطانية ، وشبه جزيرة العرب منطقة نفوذ امريكية بما فيها من نفط، اما المشيخات والامارات الممتدة على سواحلها فهي جميعها تحت النفوذ البريطاني و « تتمتع » بالحماية البريطانية المباشرة ! والاردن والعراق مناطق نفوذ بريطانية تغلغل اليها النفوذ الامريكي ايضا ، وسورية ولبنان كانتا من مناطق النفوذ الفرنسي ، وتتأرجح اليوم بين هذا والنفوذين البريطاني والامريكي ، والمفروض ان ثماني من هذه المقاطعات العربية تشكل في مجموعها الوحدة الاقليمية المعروفة باسم « الجامعة العربية » وان ستا منها اعضاء في هيئة الامم ، لها من سيادتها ما لغيرها من الدول الكبيرة والصغيرة الاخرى ، فهل يتناسب استقلالها وسيادتها مع تقسيمها الى مثل مناطق النفوذ هذه ؟

وهل ترضى الشعوب العربية ، بعد ان تحررت واستقلت، ان تعود الى حماية او وصاية او انتداب من نوع جديد وان يكون مستقبلها ومصيرها رهنا بما يبيت لها في باريس او لندن او واشنطن او جنيف ؟! »

كان الدكتور حسين فخري الخالدي سياسيا بارعا بعيد النظر ، عميق الفكر ، خصب القلم ، وكان ينظر الى القضايا العالمية الهامة بمنظار السياسي الحكيم ، والخبير العليم !

وكان من كبار المجاهدين الفلسطينيين وقد اسدى لقضية بلاده احسن الخدمات ودافع عنها خير دفاع وبذل في سبيلها وسبيل العروبة اصدى التضحيات ، ووقف ايامه ولياليه على الجهاد من اجل امته وبلاده !

وليلة الرابع من رمضان المبارك ١٣٨١ الموافق الثامن من شباط (فبراير) ١٩٦٢ توفي الفقيد في مستشفى السلط اثر وعكة اصابته ودفن في المدينة التي راى فيها النور واحبها وذاد عن حياضها منذ عرف طريق الجهاد وحمل رايته !

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

قلب الام

بقلم عبد القادر سعود

لشهر رمضان في حلب ميزة ينفرد فيها عن بقية اشهر السنة ، وخاصة بالنسبة للاولاد حيث يتساهل معهم ذووهم ويسمحون لهم بالخروج من البيت مساء والتأخر بعض الوقت فهو موسم دوري يجتمع فيه ابناء الحي في « سوق رمضان » يسمرون ويلهون ويسهرون ما طاب لهم السهر ، اما القلة منهم فينتظرون خروج « المسحر » بطبلته ليطوفوا معه على بيوت الحي يستمعون الى الحانه واراجيزه التي يوقظ بها النيام لتناول طعام السحور ...

... ولم يكن « عصام » غريبا عن حيه فقد تعود الخروج الى «سوق رمضان » بعد الافطار مهتبلا فرصة مغادرة والده البيت الى مكتبه يستأنف عمله اليومي ، وفي السوق يلتقي بزمرة من رفاق الحي يتجمهرون حول بعضهم، او يتحلقون حول بدوي وافد من البادية يمازحونه او يلقون ـ على غفلة منه ـ باحدى المفرقعات بين رجليه فيضطرب ، ويفزع وينفجر الاولاد ضاحكين مسرورين ...

وطبيعي ان يذر الخلاف قرنه بين الرفاق ، وتنشب الخصومات بينهم لاتفه الاسباب او دونما سبب ، ويشاء الله أن يختلف « عصام » مع «صالح» جاره في الحي وزميله في المدرسة وتكون احدى المفرقعات محور الخلاف ومداره ، وينقلب اللهو عبوسا وتجهما يرين على الوجوه ، ونظرات حمقاء ، تطفى على العيون ، ويعلن « صالح » مخاطبا رفيقه بتحد : « انتظرني حتى اعود من البيت » .

... ويذهب « صالح » الى بيته ، في حين يبقى « عصام » مع شلة من اترابه يتابعون سمرهم ومرحهم بقلوب وادعة خالية ، واذا بصالح يعود بارا بوعيده ، وينادي :

ـ تعال ... يا ...

ويقترب عصام بقلب سليم، ونفس مطمئنة هادئة ، وبلمح البصر يستل صالح سكينا كان قد اخفاها في كمه، ويضرب بها بطن رفيقه فيلقيه ارضا في بركة من دماء ، فاقد الوعي يحشرج ويتلوى ... وفي بضع دقائق كانت عربة الاسعاف تنقله الى مستشفى « الهلال » الحكومي ، وفيه لم يجد الوالد المفجوع العناية المرجوة فضلا عن عدم وجود الطبيب الاخصائي الخبير ، فاضطر الى نقله الى مستشفى « النجم » الخاص حيث ادخل غرفة العمليات فورا باشراف نخبة من امهر أطباء البلد .

اما في الحي فقد انتشر الخبر بسرعة ، وعم اغلب البيوت حتى تناهى الى عم الجريح الذي يقيم على مقربة منهم ، فيخف مسرعا ليستطلع الخبر ، ويلتقي بأم عصام ، ويجري بينهما حوار ...

ـ ابن اخي « عادل » ؟!..

ـ انه في المكتب ، ولم يعد حتى الآن ، ولعل امورا هامة شغلته فتأخر ...

وودعت العم حتى الباب الخارجي وبينما كان يهم بمغادرة الدار رجته قائلة :

ـ ان عصاما لم يعد من « سوق رمضان » ، لقد تأخر على غير عادته ، واخشى عليه قسوة ابيه وشدته ، ارجوك ان تعمل على اعادته الى البيت فورا فقد مضى شطر من الليل غير يسير .

ويجيب العم :

ـ آمل ان القاه ، وساعيده بيدي، اطمأني واهداي .

... ولم يكد العم يغادر البيت حتى يلتقي بامراة من قريبات أم الجريح جاءت تستوضح الامر وتستجلي حقيقة النبأ ، فيطلب اليها بالحاح شديد بضرورة كتمان الخبر عن الوالدة وعدم مفاتحتها به تلميحا او تصريحا خشية حدوث ما لا يحمد عقباه لما يعرفه من شدة تعلقها ببكرها ووحيدها وحبها له ...

*

... وعلى طرقات مضطربة ، وفي تلك الساعة المتأخرة من الليل تفتح الام الباب لتجد قريبتها ، وبعد تحية قصيرة مبهمة سألتها :

ـ اين عادل ؟!..

ـ لم يعد بعد ، ولعل تصفية حسابات الشهر الماضي وضرورة انهائها اجبرته على التأخر حتى الساعة ...

وينتقل الحديث ، ويتشعب ، وبين فترة واخرى تكرر الزائرة سؤالها عن عادل ، وعن عصام ..

ومن هذه الزيارة ، ومن خلال الاسئلة المتواترة ساور القلق قلب الام وداخلها الشك ، وتزاحمت الافكار السود في راسها ، وصاحت :

ـ قولي ... بالله اين زوجي ؟ ، هل اصابه سوء ، او ضحي ، لم هذه الاسئلة .

ـ لا شيء ـ تجيب الزائرة ـ ، فقد جئت استشيره في امر يتعلق ببيع عدد من اسهم شركة النسيج ..

والمراة بطبيعتها لا تستطيع المحافظة على سر لفترة طويلة ، فهي وان حاولت كتمانه فلا بد وان تظهر آثار منه على لسانها عفوا ، او تتحرك شفتاها بشيء منه دونما قصد او تنم عنه قسمات وجهها ونظراتها .. ومع ذلك فقد صبرت الزائرة على السر بعض الوقت ، والى حين ... فاذا بها تترك الغرفة وتتجه الى غرفة شقيق آخر للزوج يقيم معه بنفس الدار ، وتطرق الباب بلطف ، ثم تشتد ، وتوقظه ، وتنادي زوجته

بصوت خافت جاف ..

ـ افيقوا .. ما لكم تغطون في سبات عميق ؟!.. افيقوا قتل«عصام» ... لقد قتل ...

اما الام فقد تطرق اليها الشك منذ تركتها قريبتها ، وزادها فزعا ذلك الحوار الهامس المرعب ، فراحت تصغي بكل جوارحها ... فاذا بها تسمع طرفا من الحديث الدائر ، وتصل الى سمعها عبارة « قتل عصام .. لقد قتل .. » فتصيح ، وكأن مسا من جنون قد اصابها او تيارا من كهرباء قد صعقها .. 'قتل ... 'قتل .. 'قتل ..

وفيما كانت تردد هذه الكلمات ، كانت يداها تنهال على خديها تخديشا ولطما .. لا تعي ما تفعل ، ولا تعرف ما تقول ، وفيما كان الموجودون في صحن الدار غارقون في وجوم مرعب، صعدت الام الى غرفتها ، وغابت لحظات ثم عادت لتقول :

ـ اشهدوا .. انني شربت زجاجة محلول الـ د.د.ت ، وانني قررت ان اموت ... انه لخير لي الف مرة ان اموت من ان اسير في جنازة عصام .. انه لخير لي ان انتهي قبله من ان ارى نعشه محمولا امامي ... انا لا اطيق الحياة بعدك يا وحيدي.. هيا خذوني اليه ، لعل وجهه آخر ما اراه في هذه الدنيا ، ولعل قبلة اطبعها على ثغره تكون آخر ما اودع به هذه الحياة .

*

... ويخرج العم ليستأجر سيارة ينتقل فيها الجميع الى مستشفى اعتاد الاب التردد عليه ولكنهم لم يجدوه هناك ، فتابعوا سيرهم على الاقدام الى مستشفى «الهلال» فقيل لهم بان الجريح موجود في مستشفى « النجم » ، كل هذا دون ان يخطر في بال احد من المرافقين ان يدخل الام المنتحرة احد المستشفيات التي مروا بها لاسعافها ..

... ويمر الوقت شديدا ، قاسيا، والسم ينفذ الى دم الام ، ويسري في جسمها وزاده السير على الاقدام تسللا الى بدنها ، وتفاعلا مع دمها .. وفي الطريق الى مستشفى « النجم » اوقفوا سيارة اجرة ، وبعد لحظات من ركوبها بدات اعراض السم تظهر على وجه الام ، ويتغير لونها ، ويصفر وجهها ، وتجحظ عيناها ويلتوي راسها ... وتخور قواها .

.. وتصل السيارة الى المستشفى المقصود ، وفيما كان الاب واقفا في غرفة العمليات يشهد العملية التي يجريها الاطباء لابنه ، يصله نبأ زوجته فيسرع اليها ويحملها حيث يضعها امام الطبيب الذي ترك غرفة العمليات وخرج يفحص المصابة .

ـ لا امل في انقاذها يا استاذ ، البقية في حياتك ، قال الطبيب ذلك ونظر الى الزوج المفجوع نظرة عزاء واشفاق ... ثم دلف الى غرفة العمليات يتابع عمله مع زملائه لانقاذ الولد .

وهكذا فارقت الحياة ، لم تر وحيدها ، ولم تطبع على ثغره قبلة الوداع وكان لها ما ارادت .. ماتت ولكن ولدها ما زال على قيد الحياة ، ونجحت العملية وغادر المستشفى بعد اسبوعين .

ترى هل يستطيع الولد ان يفي امه بعض حقها عليه لو اقام على قبرها دهره .. وافنى في ذكرها عمره ، وسكب على رمسها دمه ودمعه ..؟

يقينا لا يستطيع ... ولن يستطيع .

حلب **عبد القادر سعود**

الحرية

انا ما زلت مغلفة بغشاء من الدموع
أنظر من خلالها الى الدنيا
انني كالجنين .. الذي يسبح في احشاء امه
انني ارى احيانا هذا الجدار
يتكاثف حتى يكاد يخنقني
هذه الجدران التي تؤلف المدن
تحجب عني حقيقة الاشياء
اين النبع الصافي الذي يسقي البراري ؟
اين العصفور البري الذي يلتقط من يدي حبوب القمح ؟
اين ذلك الغزال الصغير ..
الذي ينطلق مع الريح بين الحشائش نحو الحرية ؟
انا منهم .. انا من النبع .. من الحشائش
انا لم اخلق لكي اعيش بين الجدران
ان النوم على اديم الحقول لاهنا عندي من النوم على فراش وثير
وان سماع طنين النحل وزقزقة العصافير
لاطرب عندي من سماع اجمل اغنية
ايتها الطبيعة !
خذيني بين احضانك ..
فانا هاربة من المدينة
التمس من اوديتك عمق الحياة وصدقها
ومن سهولك براءة الجمال وروعته
ومن جبالك معنى الوقار .

حلب **تيماء الناصر**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اللغة العربية في جمالاتها

بقلم جبران جبور

* * *

اللغة العربية او سحر البيان ومجازات القلب والافتنان لغة الذوق والجمال ومطارح الامال، لغة الثنائيات والمثلثات والمترادفات والمتعاكسات لا تنبش جواهرها المكنوزة بحديث او مقال ، ولكن وهي ديني ، وديدني لا بد لي ان افتح عيون قارئيها واشنف آذان سامعيها ببعض الكلمات التي يستأنف معها متعشقوها عشقهم وهم اليها ينظرون :

قال الجلجول وهو شاعر مقل ذكره ابو العلاء المعري في رسالة الغفران من كفرطاب :

ستي ان اعياك حملي فاحمليني زقفونه

وقال البهاء زهير وهو يدفع بقوله اللحن عن لفظة الست :

بروحي من اسميها بستي فياخذني النحاة بعين مقت
يرون بانني قد قلت لحنا وكيف وانني لزهير وقتي
ولكن غادة ملكت فؤادي فلا عجب اذا ما قلت ستي

ولا بدع فلفظ الست العامية الفصحى ست الجلجول والبهاء زهير هي ستي وستك ايها القارىء وهي في مقدمة الفاظ اللغة العربية المنطوية على جمالاتها . فتأمل انهم دعوا الست بهذا الاسم لانها تملك الانسان من جهاته الست وهي فوق ـ وتحت ـ وشمال ـ ويمين ـ وخلف ـ وقدام.

ولندع الست تملك في قلوبنا الجهات الست ولننقل الى قبلة طيبة شهية لم يتصورها شاعر من قبل لا في الجاهلية ولا في الاسلام . وهي قبلة شق التينة ـ اي ثمرة التين ـ المشقوقة ـ قالت احداهن : « كان يقبلني شق التينة » فقيل لها وما شق التينة ؟ قالت ان يأخذ شفتي العليا بيد والشفة السفلى بيد ويقبلني ما بين الشفتين ... فما أجمل اللغة ، وما ابدع الخيال ، اللغة التي تقدم لك مثل هذه الست وهذه القبلة .

وتستهويني لفظة « سليم » وهو الذي لدغته الافعى وخاف عليه اهله ان يسلم فسموه سليما بعكس معناه تيمنا بشفائه وسلامته .

ومن ادعيتهم للمرء الذي يتمنون له السلامة الدائمة قولهم « بك داء الظبي » وهو كلام في ظاهره دعاء على الانسان بالداء وفي باطنه دعاء له بالشفاء . لان الظبي لا يصيبه الداء في حياته البتة حسب قولهم فيبقى مدى عمره معافى حتى يأتيه اليقين الذي لا مفر منه ...

ويحضرني قول الحطيئة في الهجاء اذ قال :

تنحي واجلسي مني بعيدا اراح الله منك العالمينا
اغربالا اذا استودعت سرا وكانونا على المتحدثينا

... والغربال لغة ما ينخل به والرجل النمام ، وكان الرجل النمام غربال لا يبقي ولا يذر فتأمل . والكانون ، وهو شهر في قلب الشتاء ، والرجل الثقيل ، وهل اثقل من برد الكوانين .؟ فلاحظ جمال هذه الكلمات المنطوية على صور الحياة الواقعية الطبيعية ... وارجع معي الى بعض الكلمات العربية الفارسية في اللغة كالبربط ومعناه آلة الطرب المعروفة بالعود . وقد ورد في كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني قصة اعرابي في عرس قال : آمنت بالله اولا ، وبك ثانيا ، وبالربط ثالثا . ومن فهم العربية والفارسية عرف ان العود ما سمي بربطا الا لانه اشبه بصدر البط والصدر بالفارسية برفقيل بربط . والثقافة والتثقيف واراهما مشتقتين من الثقاف وهو لغة آلة تسوى بها الرماح وليستا من الحذق والخفة والفطنة كما هو مبين لغة في القاموس. واتصور الرجل المثقف انه الرجل الذي كان معوجا فقوم بالعلم لا الحاذق الفطن ، قال عبيد بن الابرص يرد على امرىء القيس :

يا ذا المخوفنا بقتل ابيه اذلالا وحينا
ازعمت انك قد قتلت سراتنا كذبا رمينا
انا اذا عض الثقاف برأس صعدتنا لوينا
نحمي حقيقتنا وبعض الناس يسقط بينا وبينا ...

والزعرور لفظ ينطوي على جمال حقيقته ومعناه الرجل السيء الخلق وما سمي بهذا الاسم الا لانه يشبه الزعرور النبات الشائك السيء الثمرات . قال المتنبي وهو يهجو :

سموك زيتونا وما انصفوا لو انصفوا سموك زعرورا
لان في الزيتون زيتا يضيء وانت لا زيتا ولا نورا

ومن مجازات القلب البديعة في اللغة قوله تعالى في سورة النجم « ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى » والقاب لغة الطرف والقوس لها قابان وهما السية والمقبض . ومعنى الآية الكريمة شدة الدنو وكانت قبل القلب « قابا قوس » فقلبت قاب قوسين لجمال الآية واعجازها وبديعها ... وفي الحديث الشريف « اياكم وخضراء الدمن » جمال وابداع تصوير وهي المراة الحسناء في المنبت السوء . وكأن مثل هذه المراة اشبه بخضرة تلك الدمن القذرة يستوي منظرها الرائي وهي لا تطيب شما او اكلا لقذارتها . قال الحريري لمن جاءه مستكبا وكان اي الحريري دميما قصير القامة :

ما انت اول سار غره قمر ورائد اعجبته خضرة الدمن
فاختر لنفسك غيري انني رجل مثل العيدي فاسمع بي ولا ترني

ومن الكلمات المستحبة لدي كلمة « ضيفن » قال المتنبي في قصيدته :

الحب ما منع الكلام الالسنا والذ شكوى عاشق ما اعلنا
لعنت مقارنة اللئيم فانها ضيف يجر من الندامة ضيفنا

والضيفن هو من يجيء مع الضيف متطفلا وكما تطفلت النون على آخر لفظة الضيف هكذا يتطفل الضيفن على الضيف . فانظر الى الذوق والجمال والفن والابداع في هذه اللغة .

رنـــــدا

رقصت لنا .. رندا .. هنا
غصن تاود وانثنى
ساق لهيـف
فـوق السنا
والمنحنى
خطو .. رفيف
شرب الدفوف
رقصت لنا ...

هامت باجنحة الفراش
وعلى التلاويح العطاشر
نهـد طفر
فوق اللحون .. فانكسر
شـوق الوتـر
.. رنـدا .. هنـا
ركـب سنـا
مـن حولنـا
لعبت .. وكم لعبت بنـا
يا ليت شعري .. ما المنى

عصرت صباها قصيدة
يـا للنغـم
بلغ القرارة من دمـى ..
حتـى القمـم
ركعـت هنـا

نسي الوجـود وجوده
وقف الزمن
ضحـك العبير .. فاينا
لم ينتش مثـل العبير ؟.

يا باقـة
ملفوفة .. بين الوهـج
هفهافة .. متنقلـه
لا تستقر على هـدى

مدبـرة
حينـا .. واخرى مقبلـه
فكانهـا متوسله
او انهـا متوغلـه
كالحلم في ارجائنـا
كانت تعوم .. مثل الالق
او كالنجـوم
حتـى الخطـى
ما تلتقـي
درب هنا .. او مفتـرق

قـدم ، وساق
كيـف اللحـاق ..

يا نقلة اللحـن الشرود
مـن غيرنـا
زحـم المراكـب للخلود
غنـى الصبـا
غنـى الوجـود
وهب الفراش جناحـه
وهب الخيالات الصعود
وهب القـدود
شعرا شفيفا .. او نشيد
ردي لنـا
ابـداعنـا
امـا نجـود

رقصت لنا .. رندا .. هنا
غصـن تاود وانثنى
ساق لهيف
فـوق السنا
والمنحنـى
خطو ... رفيـف
شرب الدفوف
رقصت لنا .. رندا .. هنا

ابراهيم خير
ام درمان ـ السودان

واني اختتم هذا الحديث بقولي ان اللغة العربية تنقسم في بيانها الى اربعة اقسام منها : ما مات مجازه وماتت حقيقته ، ومنها ما بقي مجازه وحقيقته ومنها ما ماتت حقيقته وبقي مجازه ، ومنها ما بقيت حقيقته وحدها ومات مجازه . ومن القسم الاخير قول احد الشعراء يمدح اميرا في يوم عيده قال :

انت كالدلو لاعدمناك دلوا ... من كثير العطا قليل الذنوب
انت كالكلب في الحفاظ على الود ... وكالتيس في قراع الخطوب

قيل فلما سمعه رجال الامير عمدوا الى سيوفهم وجردوها اليه فاستوقفهم وفهم من منشده انه يمدح كرمه وامانته وشجاعته فشبهه بالدلو والكلب والتيس .

وهكذا سمي مروان الحمار آخر ملوك الامويين لصبره .

قالوا وبقي ذلك البدوي في قصر الامير نديما يتنقل من بستان الى بستان وجاء يوم وقف فيه الشعراء ينشدونه فهب ذلك البدوي يحمل اليه الورد والآس قال :

يا من حوى ورد الرياض بخده ... وحكى قضيب الخيزران بقده
دع عنك ذا السيف الذي جردته ... عيناك امضى من مضارب حده
كل السيوف قواطع ان جردت ... لكن سيفك قاطع في غمده
ان شئت تقتلني فانت مخير ... من ذا يعارض سيدا في عبده

ولو سبر اللبيب الحاذق عمق الخيال واحصى ملامح الجمال في هذه اللغة لشده بصورها وانفعالاتها وانعكاساتها وجمالاتها وقال مع ابي الطيب :

وكم من عائب قولا صحيحا ... وافته من الفهم السقيم
ولكن تاخذ الافهام منه ... على قدر القرائح والعلوم

كفرحاتا ـ لبنان **جبران جبور**



حسن فتحي خليل

كيتس .. وملهمته فاني

بقلم حسن فتحي خليل

* * *

ولد جون كيتس عام ١٧٩٥ من اسرة رقيقة الحال ، وقضى طفولة لاهية عابثة ، ثم انتظم في سلك الدراسة فاظهر ذكاء عجيبا في الدرس والتحصيل مما بشر بنبوغه وعبقريته، واضطر بعد ان وافت المنية والديه ان يغادر المدرسة ويعمل ليقوم بأوده ، فالتحق باحد المستشفيات للتدريب على الجراحة الى ان عين مساعد جراح .

وفي خلال هذه الفترة اتصل بالشاعر لي هنت الذي كان له تأثير كبير على افكاره ، فهيأ له طريق الشعر والادب، فهجر مهنته وسار في الطريق الذي رسمه له هنت . وبدأ ينشر الشعر وساعده شيلي وكان ممن يقدرونه فأخرج مجموعته الشعرية الاولى عام ١٨١٧ ولكنها لم تلفت اليه نظر النقاد او القراء ، ثم اتبعها بقصته الشعرية انديميون عام ١٨١٨ ولكنها لم تصب نجاحا في بدء ظهورها ، فقد هاجمها النقاد في قسوة ، ومع ذلك لم يفقد كيتس الثقة في نفسه وكان يقول : «أعتقد اني سأنضم الى زمرة الشعراء الانجليز الخالدين بعد مماتي » ولعل عزمه هذا وايمانه بنبوغه هما اللذان ساعداه لينتصر على نقاده ويثبت مركزه الادبي ، فتوفر اعواما كاملة على دراسة شكسبير واستقى من ينبوعه العذب الفرات ، ولما استكملت شخصيته الادبية نموها دانت له الشهرة لافراطه في حبه لفنه ورغبته الدائمة في الكمال الادبي .

ولكنه مع هذا كان ضعيف البنية هزيلا ، ويقولون انه ورث مرض السل عن والدته فكان لذلك اكبر الاثر في حياته .

ولقد حدث ليلة من ليالي سبتمبر عام ١٨١٨ ان كان يشرف على تمريض اخيه الاصغر توم العليل ، وكان جون قد سبق أن اخبره انه قبل حضور دعوة وصلته عن سهرة في احد منازل اصدقائه ، فالح عليه شقيقه المريض ان يذهب ، ولكن جون اعتذر بشتى المعاذير ، فتارة هو لا يرغب في صحبة او رؤية احد خلال تلك الامسية ، واخرى انه يود البقاء في المنزل منفردا . ولكن اخاه المريض جعل يدفعه للخروج دفعا وهو يقول : « ان شابا في الثالثة والعشرين مثلك يجب ان يملأ الدنيا مرحا وسعادة والا يبقى منفردا منزويا في ركن داره مشرفا على مريض مثلي في طريقه الى الموت » .

ولم يجد جون كيتس بدا ازاء اصرار شقيقه من ان يقوم الى ملابسه يرتديها ، وسار في الشوارع ينعم بذلك المساء اللطيف ، ولم يذهب الى الحفل راسا ، بل عرج على الحديقة الصغيرة واستمتع بالنسمات الرقيقة تختلط بالضحكات السعيدة ، وبعدها دلف الى منزل صديقه المجاور فجلسا يشربان ويتحدثان عن صحة اخيه الى ان دعاه صديقه للذهاب معا الى الحفل وهو يقول : « لقد حان الوقت ، هيا نذهب .. فهناك فتاة .. » فرد كيتس : « فتاة ! اذا فلن اذهب » .

فقال صديقه : ما الذي تضمره للنساء يا صديقي ؟ ولماذا تحتقرهن هذا الاحتقار ؟

فأجابه : انهن يضيعن أوقات فراغي سدى ، فهن يتغابين ويتزوجن الى ان يوقفن في شباكهن زوجا ، ثم يحملن ويلدن اولادا مثل توم لا ينالون من هذه الحياة سوى الالم ، فكيف اذا تطلب مني ازاء هذا كله ان احب واتزوج؟

فقال صديقه : اذا فانت لا تنوي ان تكون زوجا سيد منزل ورب اسرة .

فقال كيتس : وانى كان لي منزل واسرة طيلة حياتي ! لقد ربتني جدتي وكانت اختي صغيرة ولم اكن اعرف شيئا عن النساء ، وكنت اعتقد انهن ملائكة نسيجهن النقاء والطهر ، ولقد غازلت فتيات كثيرات ولكن سرعان ما سئمت شخصياتهن التافهة السقيمة .. دعني الآن اعود الى اخي المريض فأنا راغب عن لقاء هذه الفتاة .

فجذبه صديقه من ذراعه وهو يقول ... والزواج ؟

فأجابه جون .. ارجو الا اتزوج ابدا .. فاني افضل العودة الى منزلي وهو خاو بدلا من ان اجد فيه اجمل فتيات كريستندوم . وعلى كل حال فلا تيأس يا صديقي .. لاني قد تزوجت زئير الرياح وعصفها وتبنيت النجوم الزاهرة في السماء !..

ودفعه صديقه فذهبا معا الى الحفل برغم احتجاجاته ، فالتف اصدقاؤهما حولهما ، وجعلوا يشربون ويسمرون حتى نسي جون احزانه وآلامه وبدا يتكلم ويناقش ويضحك ويلهو الى ان دخلت سيدة المنزل الى الحجرة وبصحبتها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تلك الفتاة التي لم يسبق له ان وقعت عليها عيناه .. كانت صغيرة جميلة تبدو عليها مظاهر الصحة الوافرة ، فلم يرفع بصره عنها واضطرب وبقي صامتا يشخص اليها كالابله ، حينما كانت زوجة صديقه تقدمها اليه . ولما انحنى عليها يحييها كان بصره ما زال عالقا بوجهها الجميل .. وارتج عليه فلم يعرف ماذا يقول وخفق قلبه خفقانا شديدا ، واحس بشعور لذيذ يسري في كيانه كله .

وكان هذا هو اول لقاء بينه وبين فاني برون محبوبته العزيزة التي كان لها بالغ الاثر في مجرى حياته .

كان حينئذ في الثالثة والعشرين من عمره ، بينما كانت فاني في التاسعة عشرة فحسب وهز هذا الحب الاول مشاعره ووجدانه حقا ، فلم يكن قد احب من قبل ، بل كان كل همه في الحياة هو ان يؤدي تلك المهمة الادبية الكبرى الملقاة على عاتقه والتي كان يشعر انه انما ارسل الى هذه الدنيا ليتمها ، وكان يقول دائما : « اني اطمع في ان اقدم للعالم عملا خالدا يبقى على مر السنين بعد وفاتي» .

واشعلت تلك الحبيبة الجميلة خياله والهبت مشاعره ، فاذا بقصائده الممتازة تترى ، واغانيه واناشيده تتوالى ، ولمع نجمه في سماء الادب .. حتى انه كتب في احد خطاباته حينئذ يقول : « أن الحب يخلق جوهر الجمال » ، وهكذا كتب أخلد اعماله بعد لقائه بفاني برون ملهمته الجميلة .

واحبته فاني برون حبا عميقا ، وليس ادل على ذلك من انها قبلت ان ترتبط به وهو ما زال شاعرا خاملا لم تذع شهرته بعد ، ولا يمكن أن يمد اليها يد المساعدة التي ترجوها في حياتها، او يفرش طريقها بالورود التي تحلم بها.

وتأججت عواطفهما وارتبطا برباط الحب فاغرقها في فيض من خطاباته الغرامية التي تعتبر كنزا من كنوز الادب الانجليزي الخالدة ، فكتب لها مرة يقول : « كان يروعني ان يموت انسان شهيد العقيدة ، الا انني على اتم الاستعداد لان اموت شهيد حبك ، ومن اجلك يا حبيبتي .. ان دستوري هو الحب وانت عقيدتي الوحيدة » .

وهكذا رفعته عاطفته الخالصة نحو فاني برون في شهور قليلة من شاعر مشكوك في شهرته الى عبقري خالد .

ولكن جسده الضعيف وصحته المعتلة دائما لم يحتملا كل هذا الاجهاد، فخر صريع المرض ولاذ فراشه مدة طويلة، وكانت فاني تحنو عليه وتزوره فتضفي انواعا من السحر على حبهما ، فكتب اليها يوما يقول : « سأتخيلك هذه الليلة وكأنك فينوس آلهة الجمال ، وسأبتهل اليك واصلي لنجمك كأني وثني » .

وكتب أيضا يقول : « انك دائمة التجدد ، فقبلاتك الاخيرة هي اشهى ما ذقت من قبلات ، وابتساماتك الآن تسحرني اكثر من ابتساماتك السابقات ، ولفتاتك الحالية تبعث فيّ النشوة كما لم تبعثها من قبل ... حينما مررت بمنزلي بالامس يا حبيبتي غمر قلبي الاعجاب بك كأني اراك للمرة الاولى ، ولا اذكر ان ذهني وروحي وقلبي قد اصابها جميعا من فنون السعادة ما اصابها بمجرد رؤيتك انت فحسب .. وحينما تشاركينني حجرتي تغادرني افكاري ومتاعبي وآلامي وتبقين انت مالكة علي كل حواسي » .

وازدادت علته وثقلت عليه وطأة المرض فاضطر لان يسافر الى ايطاليا عام ١٨٢٠ ومن هناك كان يلاحقها بخطاباته ، ولكن يبدو ان المرض والوهم قد اثرا عليه ، اذ خيل اليه انها قد نسيت عهد حبهما لبعدها عنه ، فاعتلجت نيران الغيرة في قلبه ، وملأت عليه حياته ، فكتب اليها مرة وهو يقاوم ذلك الداء العضال على فراش الموت ومرجل غضبه يغلي :

« اني اضرع اليك بدم المسيح الذي تعتقدين فيه الا تكتبي اليّ اذا كنت قد اقترفت شيئا يؤلمني رؤيته خلال هذا الشهر ، لعلك قد تغيرت عن ذي قبل ، فان كان الامر كذلك فأنا راغب عن الحياة ، وارجو ان تكون هذه هي ليلتي الاخيرة ... فاني لا اقوى على العيش بدونك على شرط ان تكوني عفيفة طاهرة » .

بل كان يطلب منها في نوبات غيرته العمياء هذه ان تترك كل مسرات الحياة كما تركها هو تحت وطأة مرضه الفتاك، فكتب اليها يوما يقول :

« ان ذهابك الى البلدة بمفردك كان صدمة شديدة لي ، ولكني ارجو ان تعديني الا تعاودي ذلك ثانية حتى اتمالك قواي » .

ولكنه يعود الى هدوئه وثقته فيها ، فاذا هو وقد اشتدت به العلة واحس بشبح الموت يدنو منه يكتب الى صديق عزيز له يقول : « ارجو ان ترعى مس برون حين تلحقني المنية ، لعلك تتصور ان لها خطاياها ، ولكني ارجو ان تعتقد من اجلي انها نقية طاهرة » . ثم يقول له ايضا وهو يودعها ويسترضيها عن طريق صديقه : « لم استطع حصر فكري في فاني ، ولكن الراحة التي اشعر بها الآن انها هي لاستغراقي ساعات طويلة في التفكير فيما اهدته اليّ ... ذلك الخنجر في علبته الفضية ، وتلك الخصلة العطرة من شعرها ما زالت محتفظة باريجها الحلو ... وذلك الكتيب الصغير في غلافه المذهب ... دعها ترى كل هذه الاشياء ... فلا يمكن ان اقول اكثر من ذلك » .

وفتك به المرض فتكا ذريعا فلم يقو على مقاومته او مغالبته حتى عاجلته المنية عام ١٨٣١ بعد ان قضى فترة خاطفة هي ستة وعشرون عاما .. قضاها في هذه الدنيا التي لقي من آلامها الكثير ومن سعادتها لحظات خاطفات ، وبعد ان ترك للادب ذلك التراث الخالد .

وهكذا انطفأ السراج الذي ما بدا يضيء حتى نفخت فيه ريح الموت العاتية فأطفأته وخبا نوره .

الاسكندرية **حسن فتحي خليل**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رسالة
الى امراة لئيمة

عبد الرحمن سالم عاليه

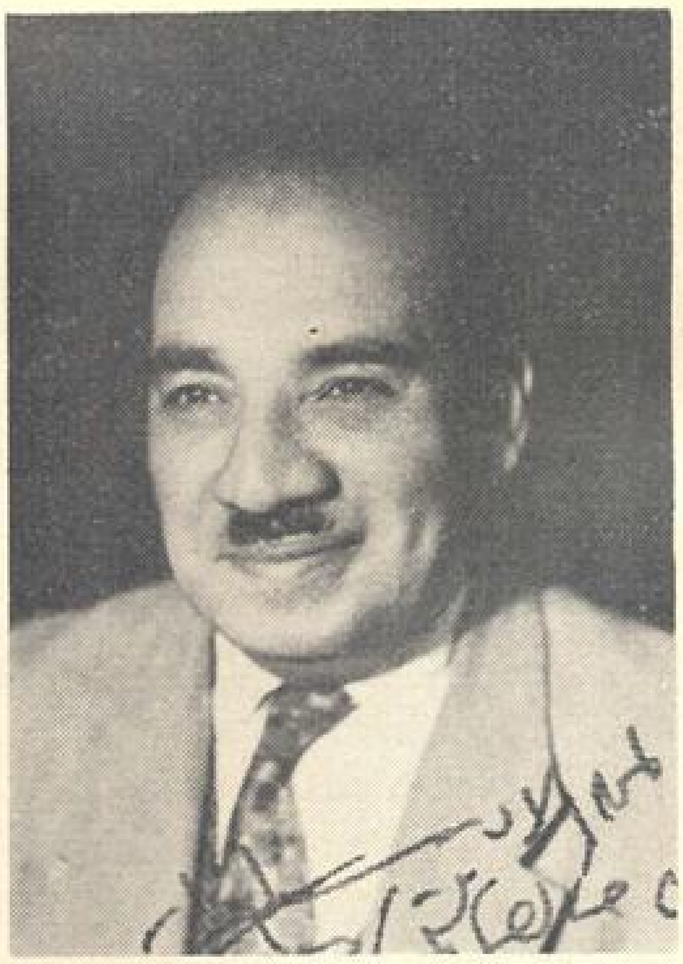
طولكرم ـ الاردن

وكفرت بي رغم الهوى المشبوب يحرق اضلعي
رغم التياعي ... رغم بؤسي ... رغم نوحي المفزع
رغم انكساري ... رغم فرط تألمي وتوجعي
رغم اشتياقي يستجيرك ... رغم هول تفجعي
لم ترحمي قلبي الجريح ، ولا ضراعة ادمعي
ونزعت اجمل برقع
وانسقت في تيار ثورة قلبك المترفع
وتركتني أبكي على اشلاء حلمي الممتع

ماذا دهاك ترى وغيض فيك ينبوع الحنان
فطفقت ويحك تصرخين بغير عقل واتزان
أأنا الذي ـ بعد الوفاق ـ أهان عرضك في الصميم
ورمى ببيتك في الجحيم
واحال اسمك في الورى رمزا لعار مستديم
أختاه لا تتسرعي
تلك الحقيقة فاسمعي
ما زلت اذكر اذ لقيتك في طريق العمر مره
منبوذة تتبرمين بعيشة نكداء مُره ...
تبكين كالثكلى على عمر يضيع بلا حساب
تشكين مثلي وحدة حرمتك من متع الشباب
فمددت كفي احترام
وهتفت من قلبي ودمعي في انسجام
أختاه انك لن تضيعي هكذا بين اللئام ...
لن تحزني ... لا ... لن تُضامي
ما زال يحيا في الورى بعض الكرام
اني صديق فلتسيري فوق دربي في سلام
ومددت كفك في احتشام
ومكثت بعض العام سائرة معي عبر الطريق
واذا بحبك يستفيق
والشهوة العمياء تعصف في دمائك كالحريق
فهمست في اذني : تعال
لا تخشى من قيل وقال
كسر ضلوعي ... ضمني ... اطفيء لهيبي
نم فوق زندي ... شدني ... اغرق بطيبي
فوقفت مضطربا وفي شفتي سؤال
وركعت بين يدي تبتهلين لي أي ابتهال
وغرقت في دنيا الخيال
وسكرت من خمر الجمال
وصحوت اذ بك تصرخين بغير عقل واتزان
لم يا جبان
اغويتني وأهنت عرضي في الصميم
ورميت بيتي في الجحيم
وأحلت اسمي في الورى رمزا لعار مستديم

أوهكذا أضنيت قلبا كاد ينفطر التياعا
وتركتني في وحدتي ... ما قلت لي حتى : وداعا
ماذا أقول لك الفداة ... أهل لقولي الآن قيمه
ضيعتني ... اغرقتني في بحر آلام وخيمه
دنستني ... علمتني معنى الجريمه
أرهقت احساسي باخطاء مروعة جسيمه
ماذا أقول : الا أغربي اني عرفتك يا لئيمه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



انور الجندي

احمد عبده الشرباصي المهندس الفقيه

بقلم انور الجندي

* * *

كان ذلك ذات صباح من ايام الشتاء المشمسة عندما كنت في الطريق الى دمياط ، بعثة من وزراء الثورة ، تقصد الى حيث تواسي مهاجري بور سعيد خلال ايام العدوان . وفجأة وقفت العربة امام مبنى صغير ، له سور وحديقة وداخله بيت متواضع يوحي بانه بيت احد مهندسي الري، وقفت العربة فجأة ونزل الرجل الكبير الذي كنا معه ليسلم على ذلك الرجل العجوز الواقف ازاء المبنى .

ونزلنا لنعرف السر .. واكتشفنا من بعد . انه الجنايني . او « الخولي » الذي كان يعمل مع « احمد عبده الشرباصي » مهندس الري منذ ثلاثين عاما ، وكنت اقول « يخدمه » لولا انه يكره هذه العبارة ولا يرضاها . فقد رأى وزير الاشغال انه من الوفاء وقد مر بهذا الطريق ان يسأل عن ذلك الرجل العجوز ويترجل ليقول له كيف حالك .. وكيف اولادك . واهلك .

ولننظر لنرى هذا « المنزل الاول » للرجل الذي يدير شئون الري في بلادنا والذي استطاع ان يعرف عن امر النيل وفروعه وترعه وغدرانه وقنواته ما يدهش العقل ، حتى لكأنما تقصى هذه الشبكة المائية بدقائقها . وبلغ نهاياتها ولم يكن ذلك امرا مبالغا فيه . فقد وقف مرة في مجلس الامة وتحدث عن ذلك حديثا مذهلا . فلم يترك ترعة او قناة او رشاحا دون ان يلم به ويلم بما يتصل به من اراضي وزراعات وقرى واسر وفلاحين .. فهو يعرف اكثر من ٩٠ في المائة من اسر القطر المصري وعائلاته . حتى اذا اوردت له اسم اسرة قال لك : هل هي التي تقيم في المنوفية ام الشرقية ام البحيرة .

واذا ادهشني هذا الالمام بالاوردة والشرايين في الدورة النيلية على هذا النحو ، فقد اقول هذا « مهندس » ري عاش مع النيل معركة طويلة ، منذ تخرج من مدرسة المهندسخانة في الثلاثينات ورآه وهو يفيض ويفيض . ويغرق القرى ويتخطى السدود ويأكل الجذور ، ويذهب بمحاصيل القطن وشاهده وهو يفيض وينطوي ويخف ويصل الى التحاريق ولقد رآه من منبعه الى مصبه . وشاهده عند البحيرات في الجنوب . وعند فروعه الازرق والابيض في السودان وعلى طول طريقه حتى مصبه . ثم قرأ عنه كتب العلم ودرس ما كتبه عنه المهندسون الكبار وفي مقدمته وليم ويلكوكس . وشهد في خلال ذلك انشاء عشرات السدود والقنوات . وامضى سنواته الاخيرة في السودان قبل ان يوكل اليه امور الري في مصر سنوات الثورة . وفي ظل ذلك بدأ العمل الضخم في السد العالي. كل ذلك كان من صميم عمله . عمل المهندس .

ولكني حين رأيته يقف بعربته ويترجل فيحدث «الخولي» الذي كان يعمل معه منذ ثلاثين عاما اكتشفت « الانسان » ذلك الانسان الرقيق القلب . المؤمن التقي . المشرق النفس بالصفاء والوفاء .. من خلف ملامحه الجادة وطابعه العملي .. انه رمز على المصري العربي الاصيل ابن الوجه البحري الواعي . الذي امدته معاشرته للنيل وللفلاحين خبرة وحنكة وحذرا .

فلما بلغنا دمياط وزار الوزير المهاجرين وطوف بجموعهم ثم اتيح له ان يجلس في حديقة النادي . تحلقنا حوله مع الذين جاءوا لاستقباله فاذا بي اكتشف شيئا جديدا . ذلك هو جانب المفكر الاديب الباحث .

كان حديثه يوحي بذلك الفيض من الثقافة الواسعة والاستيعاب المستنير انها عصارة ايمان بامتنا وتراثنا وقيمنا العربية الاسلامية . انه ثمرة هذا الجيل الذي مارس الحياة والفكر في فترة ما بين الحربين ، وشهد في مطالع شبابه ثورة ١٩١٩ وسمع من آبائه بثورة عرابي . وفي هذه المنطقة من الوجه البحري كانت روح الخصومة للانجليز متقدة دائما في اوار لا يضعف ولا يخفت ، الصورة كلها من حولهم توحي بالثأر والكراهية . التل الكبير ، دنشواي ومشانقها « حسن طوبار » واسطوله ذو الخمسمائة سفينة ومقاومته لنابليون . علي مبارك المعلم المصري الذي خرج من احشاء الشعب واستطاع ان يصل

---

* احمد عبده الشرباصي نائب رئيس الوزراء ووزير الاوقاف وعضو المجمع اللغوي هو غير احمد الشرباصي الاستاذ بالازهر .

ان ارقى مراكز القيادة . محتفظا بمثله وقيمه يدعو الشباب الى مجلسه فيحدثهم . ويدفعهم على العمل وعلى اعلان كلمة الحق . وعلى مجابهة الحكام الظالمين . « دنلوب » ومقاومته للثقافة العربية الاسلامية . كل هذه هي ضمائر الفكر واطار الصورة النفسية التي عاشها هذا الجيل من الشباب الذي كان احمد عبده الشرباصي من طلائعه ثم هذه الصورة التي عاشتها مصر بعد ثورة ١٩١٩ وكيف انهارت الثورة وتحطمت القيم . وغلب الصراع الحزبي وتخلفت فكرة الكفاح الوطني وراء مطامع الحكم وكراسيه. والبرلمان والانتخابات وصورها ووسائلها . ثم هذه الاصوات الجديدة التي برزت لتكشف الحزبية وتقاومها وتمهد للقضاء على العهد كله . العهد الذي بلغ فساده غايته ..

وفي خلال هذا التاريخ الطويل كان احمد عبده الشرباصي مهندس الري ينتقل من مكان الى مكان في قلب ريفنا . بين الوجه البحري والقبلي . ويعيش الصورة الحقيقية لاعمال شعبنا وامتنا . وهو في خلال ذلك قارىء لا يتوقف يقرا في القديم والجديد . في الشعر والادب في التراث العربي الاسلامي الغزالي وابن تيمية وابن حزم ويحفظ من اشعار الجاهلية ما يصعب حفظه اما المتنبي والمعري وجرير والفرزدق وابو تمام فلا يفوته بيت من الحكمة او بزوغ من ذاكرته القادرة ، يستشهد به ويشرحه ويعرف دخائله من جوانب البلاغة والنحو وصلته بالتاريخ والسير .

فاذا اتصل الامر بالفكر العربي الاسلامي ، بالقرآن او الحديث كان امره كذلك حفظا وفهما ومعرفة لاسباب النزول وظروفه . ولعله مستطيع في ذلك كله ان يجادل المتخصصين في الفقه او التفسير او البلاغة او النحو « قوي الحجة واسع الافق » لا يمل ان يطالع المطولات بحثا عن لفظ أو كلمة ، حفياً بان يعرف تطور الكلمات واشتقاقاتها كما يحب ان يعرف اصول النصوص ومادتها ويلم بالرجال والرواة والانساب على نحو علمي لا حد لروعته .

وقد يدهش هذا سامعه ، حين يجمع بين البراعة في مادته الاساسية الهندسة والري وما يتصل بهما وبين الدقة في مفاهيم الادب والفقه واللغة ولكن استاذه محمد حمزه اللغوي الحجة صاحب المؤلفات البلاغية المعروفة يقول انه كان كذلك منذ مطالع شبابه كان في الثانوي طلعة بعقلية علمية واسعة الآفاق تلم بالعلم والادب معا . وربما اخضعت الادب لاسس العلم وقواعده فلا تؤمن الا عن اقتناع ولا ترضى الا بالدليل والحجة .

وفي مجال العلماء الذين اتصلوا بالادب والفكر نجد الكثيرين ، ربما نجد الشعراء من المهندسين والاطباء ،كناجي وعلي محمود طه ، ونجد الفلاسفة الموغلين في دراسات العقائد وعلوم الاجتماع كالفيلسوف الجزائري ، مالك بن نبي فهو مهندس ، ربطته بالشرباصي صلات التقاء الفكر في مجال الدراسات العلمية ، والابحاث الفكرية الاسلامية.

ولقد اتيح لي ان القى الاستاذ احمد عبده الشرباصي في امسيات متعددة في « ندوة الباقوري » فاذا بي اجد انه قد الم الماما كاملا بكل ما صدر في ذلك اليوم من مؤلفات وكتب وما عالجت الصحف من قضايا الفكر والاجتماع . فاذا هو صاحب راي نافذ . يقوم على خبرة واسعة بشئون الحياة الى حصيلة من الثقافة والفهم الدقيق لتاريخ مصر والعرب والاسلام فكنت ادهش كيف اتسع وقته لذلك بالرغم من اعبائه في عمله الرسمي الشاق .

ولعل هذا الجانب المدخور في مفاهيم الفكر العربي الاسلامي في نفس المهندس العالم ، صاحب مناسيب النيل ، والقناطر والسدود والري والصرف هو الذي اهله لمجال العمل الجديد الذي حقق فيه نجاحا كبيرا ، ذلك هو مجال الاوقاف والازهر وشئون المجلس الاسلامي الاعلى ودار القرآن وما سوى ذلك من اعمال منوطة به الاذن .

تستمع اليه في حديثه في احدى مهرجانات الثقافة الاسلامية يقول :

« لقد حفظت القرآن في المكتب وظللت اتلوه واتدبر معانيه ، لكنني لم ادرك ابدا معانيه التطبيقية كما ادركها الآن في مجتمعنا هذا . لقد كان قلبي ينفعل به انفعال كتاب مقدس نزل من السماء على قلب المسلمين ولكني لم ادركه ابدا ولم اتفهم معانيه ابدا كما اتفهمه الآن ويخيل الي ان هذا الكتاب قد نزل على مجتمع يشبه مجتمعنا الحاضر في كثير من الاحوال .. » وانا لم اكن ادرك نعمة الله حيث يقول : (واذكروا نعمة الله عليكم ، اذ كنتم اعداء، فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا) الا حينما ادرك الآن ما يضطرب به العالم الاسلامي ، من تلك الخلافات التي استنفدت طاقتهم وما يبذله زعماء المسلمين من جمع الكلمة ، هذا الاتحاد ينقذنا كثيرا مما نحن فيه من تبديد لطاقتنا واستنزاف لمواردنا وتضييع لكرامتنا .

نحن في مجتمعنا هذا جديرون بأن نأخذ العبرة من القرآن حتى لكأنه كما قلت قد نزل على مجتمع مشتت مفرق كمجتمعنا هذا .. نعم نحن جديرون بأن نأخذ العبرة من القرآن .. »

لقد رايت الشرباصي عن قرب عالما مهندسا . وعالما مفكرا . في مجال الثقافة خطيبا بليغا رائع الاداء وباحثا لغويا يزاحم المتخصصين بمنكب عريض ، وقارىء دقيق القراءة لكل ما يصدر من آثار يناقشها في تبسيط وبلورة وهضم كامل ، ولعل له آثارا مكتوبة قليلة حبذا لو اخذت طريقها الى النور لتمنح فكرنا العربي الاسلامي شيئا جديدا وخصبا . ولعل في اختياره عضوا في مجمع الخالدين هذا العام خلفا للاستاذ لطفي السيد ما يدفعه الى تحقيق هذا الامل .

القاهرة **انور الجندي**



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان
المحاضر في كلية الاداب بالجامعة الاردنية

حبيبي .. جاك !!

كنت اجلس اليه ، وهو يطوي من يده ديوان شعر بالفرنسية ، وما ان فرغ من تحيته لي ، حتى اشار الى الديوان الذي طواه ، ليقول لي :

أتدري اي ديوان هذا ؟!

قلت : من اين لي ان اعلم الغيب ؟ اي ديوان هو ؟!

قال : انه ديوان جديد ، لاحد الشعراء الفرنسيين الشبان ، وقد سجل فيه عواطفه ، على نحو يثير في نفسك البهجة والحبور ، او يثير فيها الحزن والاسى ..

قلت : ان وصفك مشوق ، فهل لك ان تسمعني لونا من الوان هذا الشاعر ، الذي استحوذ على اعجابك ، وحاز رضاك دون تحفظ ؟

قال : واني لن اطيل ترقيك لما طلبت ، فهذه قصيدة كنت اقرأها قبل حضورك ، يصف الشاعر فيها ، احاسيس فتاة مات خطيبها في الهند الصينية ، يقول فيها :

كانت تقف امام النافذة المفتوحة ..
ونسائم الاصيل تتسرب منها ..
فتعبث بذؤابتها الشقراء الناعمة ..
وفي يدها البضة صورة ذلك الفتى ..
وقد امتلأ وجهه شبابا ونضارة ..
وعلى كتفيه كواكب الجندية اللامعة ..
فخرجت من شفتيها المرتعشتين زفرة حرى ..
ارتجفت لها مجاري التنفس في النحر الجميل العاري ..
وانسكبت من العينين الزرقاوين ..
اللتين اذبلهما الحزن والاسى ..
قطرات من اللؤلؤ سالت على الخد الاسيل المتورد ..
وتمتمت بصوتها الخافت : قتلوه ..
قتلوه اولئك البرابرة المتعطشون للدماء ..
قتله وحش بشري ..
يزحف اليه بين الوحول ..
والخنجر المرهف الحد مثبت بين اسنانه ..
حبيبي جاك ..
احقا انني سوف لا القاك ..

وهنا زفر صديقي زفرة حرى ، كأنما هو قد تأثر بالفاتنة الفرنسية المفجوعة بخطيبها . وقال لي والتأثر يبدو في نبرات صوته ، قال : كيف ترى ؟!

قلت وانا اتصنع الاسى مشاركة له :

انه شيء مؤثر .. ولقد كان صاحبك موفقا في وصفه ، وحسبك انه جعلني اشاطره المشاعر ، فأتصور الكاعب الفرنسية ، بذؤابتها الشقراء الناعمة ، ونحرها البض العاري ، الذي يكاد يشق عما تحته من مجاري التنفس ، وعينيها الزرقاوين تفيض منهما لآلىء الدموع ، على الخد الاسيل المتورد ..

نعم .. انه شيء جميل ، أن يعرض الشاعر بين يديك هذه الصورة للفتاة الفرنسية ، وخاصة اذا كان قد لوعها الحزن ، واذبلها الاسى ..

ولكن .. هل لي ان ابتعد بك قليلا عن هذا الجمال الحزين ؟!

قال صاحبي ، وكأنما ايقظته من حلم :

الى اين تبتعد بي ؟!

قلت : الى اولئك المتعطشين للدماء .. الى ذلك الوحش البشري الذي كان يزحف الى خطيبها بين الوحول ، وقد امسك خنجره المرهف بين أسنانه القاسية ، دعني اصل بك الى هذا الوحش البشري بالذات ، هل كان يفعل ذلك في باريس ؟ هل كان يهاجم خطيبها في بيته الوادع هناك ؟ هل جاء اليه في ظلمة الليل ليعكر صفو عيشه ؟ هل فعل ذلك هذا الوحش البشري في فرنسا ، ام كان يفعله في وطنه ، الذي سلب المستعمر حريته واستعمر ابناءه ؟!

لا يا اخي ..

انك تشاهد الصورة من طرف واحد ، ولو نظرت اليها من سائر اطرافها ، لرأيت فيها ان ذلك الزاحف بين الوحول في ظلمة الليل ، والخنجر بين اسنانه ، لم يكن وحشا بشريا ، وانما كان بطلا ماجدا ، يدافع عن وطنه ، دفاع اليائس المستميت .

وهنا طوى صاحبي ديوان شعره ، وهو يقول :

كنت اظنك تتذوق الشعر ..!!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قميص عثمـــان

ان لي قارئا يقراني في كل ما انشره ، من اول حـــرف اخطه ، حتى اخر اشارة اختتم بها كلامي ..

يقراني هذه القراءة الجاهدة المريرة المتلاحقة ، لا ليفيد علما ، او يكتسب معرفة ، او يزيد اطلاعا ..

كلا . . والف كلا .. حاشاه ان يفعل كذلك من اجل ذلك.

فهو يوقن احر اليقين ، ان ما بلغه من مراتب المعرفة ، ليس بعده مبلغ ، وان علمه لا يصل الى مثله علـم ، وان اطلاعه فاق ما وصل اليه الاقدمون والمحدثون ..

انه يعتقد ذلك ويدعو اليه ، ويسخر من حوله يدعون اليه بمثل دعوته ، وقد اوصل الى يقينهم : ان ما يقولـه عن نفسه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ..

وتسألني : في م قراءته اذن لما تكتبه ؟!

واجيبك : ان بذلك كله ، يحاول ان يجد فيه مغمزا ، وان يصل منه الى موضع ، يدلف من قبله الي ، لينالنـي بلواذع الكلم ، ويكزني ما وسع جهده ، بكوعه وبوعـــه ، لينحيني عن طريقه جملة وتفصيلا ، ليسير فيه ملوحـــا بيديه ، متمايلا بعطفيه ، وعذره الى نفسه : انه لا يريـد ان يقف على طريقه احد ..

وتقول لي : وما الذي بلغه من ذلك كله ؟!

فاقول لك : لا شـــيء ..

ولكنه حتى لا يعود يخفي حنين ، تشبث بما عثر عليـه من اخطاء في الطباعة ، فجعل منها قميص عثمان ، وزعـم ان الكاتب اصبح لا يقوى على كبح جماح قلمه ، فارخى له العنان يسير كيف يشاء . ثم يضرب بقبضة يده علـى موضع تلك الاخطاء، ليؤكد زعمه هذا ،وبثته في الاذهان.

وحين لا يشاهد ممن يستمع اليه الا ابتسامـــات الاشفاق ، يعود ثانية الى سمت وقاره ، ليقول : انهـــم يخطئون على حسابه كثيرا ،وكان جديرا بهم ان لا يخطئوا.

قلت : انك يا صاحبي محظوظ وانت لا تدري ..

قال : واين مكان ذلك ويحك ؟

قلت : مكانه ان تجد من يقـف فوق راسـك بسيـف ملاحقته وتحريه ، فاذا انت تحاسب نفسك عسيـــــر الحساب ، قبل ان تخرج على الناس بما تكتب ، ومـــاذا تريد اكبر من هذه النعمة ؟!

فابتسم صاحبي وصمت ..

وكأنما ايقن انني اهون عليه الامر ، فلا اقيم له كبيـر وزن ، فقبل مني ذلك ، وامسك ..

كـل نـادر .. غريـب !!

ان الذي تواطأ عليه الناس ، ووصلوا فيه الى الحـــد الذي تلاشى عنده سؤال وجواب ، حتى استقر عند مـا يشبه التسليم ، وان كان لا يشبه القبول والرضا ..

اجل ، ان هذا الذي تواطأوا عليه ، هو ان لا يكون بين الرئيس ومرؤوسه ، الا ما يكون بين تابع ومتبوع ، وآمـر ومأمور ، ومطيع ومطـاع ..

فهو لا يناقش في خشونة الطلب او قسوة التساؤل ، ممن تقدمه وعلا عليه ، لانه لا يقبل ان يناقشه احد ، حين يفعل ذلك مع من يليه في المرتبة ، وينخفض عنه في المقام.

تلك سنة تلاحق عليها السائرون ، فما يعترض علـى ذلك معترض ، بل ان التساؤل والاعتراض ، تلوح ظلامهما على الوجوه حين لا يكون ذلك ..

وهذا ما حدث لي بالامس ، اذ كنت اجلس في مكتـب احد المسؤولين ، فدخل عليه تابع له في العمل ، وجـرى بينهما نقاش ، وتوالى سؤال وجواب ، وتلاحق الاستفهام والتحري ، حتى استوفى ذلك المسؤول غايته ..

وكان الذي استلفت نظري فيما سمعته ورايته ، ان لا تكون هنالك خشونة طلب ، ولا قسوة تساؤل ، ولا جفاء حديـــث ..

لا ، لم يكن شيء من ذلك ، وانما كان احترام في حـد الاعتدال ، لا يذهب الهيبة ، ولا يرفع الكلفة ، ولا يزيـل التحفـظ .

ورايت ذلك الرئيس ، يصل من نقاشه مع تابعه ، الى حد يغريه ان يراجع اسلوبه الذي يسير عليه في عمله ، فاذا هو يلتفت اليه متوددا ، ليمدح سيرتـه ، ويثني على حسن تصريفه للامور ، ثم يجعل ذلك مدخلا الى ان يقول: ان المنهج الذي تعودت السير عليه ، هو ان افيد مـن تجارب الاخرين ، فهل لك أن تتيح لي مثل هذه الفرصة ، لانتفع مـن خطتك في عملـك ، فتطلعني عليها مجتمعة متكاملـة ؟!

ذلك مشهد لفت نظري ، واثار دهشتي ..

وقد لا يكون فيه موضع للغرابة ، ولا مكان للدهشة ، فذلك ما يجب ان يكون بين الناس ، ما دام يتيح لهـم ان يصلوا الى ما يهدفون اليه من غايات ..

ولكن الذي يجعله غريبا في نظري ، أن تجد من يسير عليه نادرا بين سواه ، والنادر بطبيعته موضع للدهشة ، ومكـان للاستغراب ..

هاتـوا برهانكـم !!

قال لي : ارايت اولئك الهامسين من خلف المناكب ؟!

انهم يقبلون عليك بوجوه تفضح دخيلة نفوسهم ، التـي اظلم فيها الحقد ، وازدحمت في جوانبها عقارب الضغينة، فيدب واحدهم نحوك دبيب المخمور ، ويحني اليك عنقه ، ويطوح راسه خلف كتفك ، ويهدل اجفانه حين يعتكر في عينيه غبار الوشاية ، وترتجف الغضون عند جانبي فمه ، وهو يهمس بصوت ابح ، كأنما هو فحيح الافعى ، ليمضي يفرغ في اذنيـك : قال زيد .. وفعل عبيد ..

ولا تسلني ما يبلغه امثال هذا من الافاكين ، وانهـم كثيرا ما يصلون الى بعيد الغايات ، عن هذا الطريـــق المعوج ، وكثيرا ما ينالون الابرياء ، الذين لا علم لهـم بشيء مما قالوه افتراءا وعدوانا ..

وكثيرا ما يقوضون البيوت الامنة ، وقد نفسوا على من

فيها ان يعيشوا في دعة وطمأنينة واستقرار ..

وكثيرا ما يذهبون النعمة ممن هي في يده ، ولتذهب هدرا الى الشيطان ، فحسبهم ان يجدوا مكانها البؤس والشقاء . وذلك ما يرضيهم ويبهج قلوبهم ..

نعم ، كثيرا ما يصلون الى ذلك وامثاله ، وسلاحهم كما قلت لك ، ذلك الهمس الابح ، وتلك الايماءات الخرساء، وما يلي ذلك من عينين زائغتين ، ومسحة مكفهرة ، ويد خفيفة الحركة ، تؤمن على ما يجري به اللسان ..

قلت لصاحبي :

حسبك .. لقد جسدت لي ذلك النمام في صورة ناطقة هازلة ، على نحو ذلك الذي يسمونه (الكاريكاتور)..

ولكني أقول لك :

ان هذا السلاح قديم ، وقد كانت له دولة فدالت ، ويكفيهم ان يجدوا في هؤلاء الواعين،ممن بأيديهم المقاليد، من يقول لهم : « هاتوا برهانكم .. او اصمتوا .. »

اجل ، يا اخي ..

يكفيهم ان يجدوا في هؤلاء الواعين ممن بأيديهم المقاليد ، من يقول لهم هذا القول ، ليوقفهم به عند الحد الذي كانوا ينطلقون منه الى غايتهم الخبيثة ..

عند باب الاحزان

رايتها تقف هناك ، ساكنة الحركة ، ساهمة الوجه ، راعشة الشفتين ، تحدق بنظرها عبر الممر الطويل ..

فشبهتك بذلك الذي ينظر الى الافق ، بكل ما في نفسه من تحفز وترقب ، ينتظر أن يطل عليه بشير يحمل اليه البشرى ، فتملأ نفسه بالغبطة والفرح والمسرة ، او نذير يحمل اليه نبأ الفاجعة ، فتعكر صفو عيشه ، وتبدل ما هو فيه الى هم وغم وحزن ..

وطال بها الانتظار ، وطالت مراقبتي لها ..

واخيرا اطل الجمع الحاشد ، واقبل يزحف نحو الممر ، وقد اختلط فيه حابل بنابل ، وكلهم يحمل بيده شيئا يحرص على أن يعبر به الممر ، ليكون رسالة الشوق اللاهب ، تتقراها العيون ، وتتلمسها الايدي ، وتذوق بها حصادا من الجهد المسلوب ، الذي طالما سكبت فيه ذوبا من النفوس ، وفيضا من الحرمان والعرق والدموع .

وبانت تفاصيل هذا الجمع ، فاذا هم مزيج حائر ، تزاحمت فيه اخلاط من الناس ، فشيخ يدب على عصاه ، وعجوز تشبثت بكاهل حفيدتها ، وفتيان وفتيات وصبية ، تقرأ في ملامحهم جميعا من الشوق واللهفة ، ما لا يحيط به وصف ، ولا يستوعبه تفصيل ..

وتلاحقت انفاس المرأة الواقفة عند عدوة الممر ، تلاحقت لاهثة ، مبهورة متقطعة ، وفجأة هتفت من قرارة نفسها ، وقد التمع في وجهها بريق من الغبطة ، هتفت بصوت ابح :

« مرتا .. ابنتي .. ابنتي مرتا .. حبيبتي .. » .

وركضت بخطوات كليلة ، وهي تبسط ذراعيها ، لتستقر بهما على كتفي تلك الفتاة النحيلة السمراء ، التي اقبلت عبر الممر مع الجمع الحاشد ، وهي تقود بيدها صبيا دون العاشرة ، وتحمل بالاخرى صرة اجهدها حملها.

وهجمت الغبطة العارمةعلى قلب العجوز ، فتهاوت على كتفي ابنتها الوحيدة ، التي حجبتها النكبة عن رؤيتها سنين عديدة ..

وافلتت الفتاة النحيلة السمراء ما في يديها الاثنتين ، وانحنت على امها العجوز ، تسعفها وتحنو عليها ، وتغسل وجنتيها المتفضنتين بدموعها السخينة ، وتفرغ في اذنيها وهي لا تعي ، بصوت هامس حنون ، الكثير الكثير من عبارات المودة والحب ، التي فاض بها قلب فتاة يائسة ، كتب عليها ان تذوق اليتم بكل ما فيه من مرارة ، وامها لا تزال على قيد الحياة ..

تلك صورة من مأساتنا الفاجعة ، شهدتها عند باب الاحزان ، عند (بوابة مندلبوم) في بيت المقدس .

وانها لواحدة من كثيرات ، يشهدها الناظرون عند هذه البوابة . فتذكرهم بالجرح البالغ ، الذي سيظل ينزف دما ، الى ان تحطم هذه البوابة ، ونزيل اثارها من وجودنا العربي ..

عمان ـ الاردن **محمد سليم رشدان**

يائسة

*

تحطم حلمي الذي اعبده
فتحطمت حياتي معه
وتساءلت نفسي في لوعه
لاي شيء اعيش
بعد ان تحطم الحلم المعبود
وسدت امامي جميع الدروب
طرقت ابوابا عديده
فلم يجبني سوى الصمت
وصدى طرقاتي يتردد
فيبعث القشعريرة في نفسي
ويذكرني بمدينة الموت
واعود لوحدتي ويأسي
وللسؤال الذي تعيده نفسي
لاي شيء اعيش
بعد ان تحطم الحلم المعبود
وسدت امامي جميع الدروب ؟

الخبر **سارة بوحيمد**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اسماك ... لطيور البحر

●

افكار مهاجرة

الافكار تهاجر من رأسي اسرابا ، اسرابا
وبعضها يموت في الخليج المعتم هناك
في الخليج الذي انتشى يوما
بنبيذ افكاري الذهبية
ونشر اشرعة احلامي البيضاء
المسافرة ابدا مع الغيوم والرياح
نحو مدن تعبق في اجوائها روائح الغابات
عبير الاصداف والاسماك البحرية ...
رأسي اصبح مدينة حضارات مندثرة
وشاطئا بلا متنزهين ، بلا حدائق ، بلا مقاهي عامرة ...
اما الخليج الذي سكر يوما بنبيذ افكاري الذهبية
فيصرخ الآن ، باشداق امواجه المتكسرة على الصخور ...

عصفور بحري

ايها المسافر نحو مدينة البحر والصنوبر والارز
اوصيك ان تجلب لي معك زجاجة مليئة بماء البحر
زجاجة صغيرة ايها المسافر
علني اصطاد من خلالها عصفورا بحريا
هاربا من غابات الصنوبر المغتسلة ابدا بهواء البحر
عصفورا في قصيدة حرة ...
علني اشم روائح البحر الممزوجة بطعم الملح
وقوارب الصيادين ... ودخان البواخر المسافرة ...

تشـــرد

لقد جبت البراري ، الشطآن النائيـة
وتشردت ... وقضيت ليالي باكملها متسكعا
في الطرقات ، المقاهي ، الخمارات ، والشواطىء
ارنو الى وجه السماء الذي صيرني
دوامة من تشرد وضيـاع ...
الحظ ، كان ، ولا يزال عدوي منذ الازل
وما زلت اتحداه بكبرياء همجية ...
الشاطىء كان يرأف بقلبي المسكين
واشرعة المتنزهين ليـلا
تبكي على القلب الذي يتناثر زبدا وجراحا
على الصخور ، والرمال الساهرة ...

اشعار مذهبـة

ان عينيها تترصدان قلبي ، كباشقين
من وراء الزجـاج
كعيني صياد ينتظر بلهفة
سربا من البط البري او طيور الحجل ...
يا لعينيها المفترستين ...
هذا انا ، شاعر مشرد
كل كنوزي في الحياة ، جنون شاعري
وقلب ينبض ابدا بحب الشعر والحقيقة والجمال !!..
... واشعاري المذهبة ، ترى متى يضمها كتاب انيق
عل حبيبتي الحلوة ، ذات العينين المفترستين
تحلم ساعات مع اشعاري المذهبة ...

دمشق

سليمان عواد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غوغول الانسان والقاص

بقلم ليون سبلمان

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

نقولا فاسيليفيتش غوغول ـ يانوفسكي (ترك الكاتب القسم الثاني من لقبه الثنائي بعد أمد من الزمن) . هذا الانسان (صاحب هذا الاسم الطويل) وصل الى بطرسبرغ في اواخر كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٢٨ بعد سفر شاق طويل . لقد قدم من اوكرانيا مخلفا وراءه مقاطعة عائلته في فاسيليفكا ، ووالدته الارملة ، التي كانت يومئذ في اواخر العقد الثالث من عمرها . (توفي والده حين كان في السادسة عشرة من عمره) واربع شقيقات اكبرهن في الثامنة عشرة واصغرهن في الرابعة . كانت مقاطعة الاسرة ذات مساحة متوسطة وادارة رديئة جدا . كانت قلة المال عند الاسرة قلة مزمنة ، الا ان الارض الاوكرانية الطيبة كانت من العطاء والرفد بحيث ان اقل جهد يستدر عطاءها لو صدر من قبل سادتها او عبيدهم .

لم يكن مع غوغول الشاب (الذي لم يكد يبلغ العشرين حين وصوله العاصمة) غير كمية قليلة جدا من النقود وقليل من رسائل التعريف ذات الجدوى اليسيرة ، ودبلوم حصل عليه بعد ان امضى ثماني سنين في مدرسة داخلية في مدينة نيزين الاوكرانية . كانت تلك المدرسة حسنة المستوى بالقياس الى مستويات تلك الايام . غير ان سجل غوغول لم يسطع بامتياز ما ! لكن نجمه لمع في التمثيليات الطلابية وخاصة في الادوار الهزلية التي اجاد فيها كل الاجادة . كما ان غوغول جلب معه مسودة غير كاملة لقصيدة قصصية طويلة بعض الشيء . وهذا ما كان سره الذي احتفظ به لنفسه .

ان غرض غوغول ، على الاقل ، غرضه الذي جاهر به ، وسبب قدومه الى بطرسبرغ ، هو الدخول في وظيفة حكومية . هذا ما فعله بعد نحو عشرة اشهر من وصوله ، وبعد تردد كثير . الا انه لم يمض في الدوائر الحكومية سوى خمسة عشر شهرا تقريبا . فكر غوغول مليا في خدمة الحكومة قبل وصوله الى عاصمة الامبراطورية ، مفضلا وزارة العدل . انه سيصبح خادما عظيما من خدام المصلحة العامة ، يشار اليه بالبنان لنزاهته وحكمته . لكن خيبة الامل في الوظيفة الحكومية واجهته قبل ان يتسلم العمل الاول . ومع ذلك فهو لم يبعد عن اعتباره طرقا اخرى الى العظمة . والواقع ، انه ان كان واثقا من شيء ما ، فهذا لا يعني الا اعتقاده الجازم بان حظه في الحياة حظ متميز بارز . كان الخلود هدف الشاب الرئيس حين دخوله الحياة . لكن نداء القدر ، على حتميته ، لم يحدد مسيرة رسالته الجليلة ولا طريق العظمة التي قدر عليه اتخاذها .

بعد نحو خمسة اشهر من وصوله الى بطرسبرغ اكمل غوغول قصيدته وطبعها على نفقته . (او بالحري على نفقة والدته) . ذلك بانه ارسل نداء يائسا الى بيته طالبا ثلثمئة روبل لحاجة مستعجلة غير محددة) . كانت القصيدة رومانية والمانية . عنوانها واسم بطلها : هانز كو خلكارتن . وعلى اثر نشر تعليقين غير مرضيين سحب المؤلف النسخ المباعة . (عدد النسخ المباعة ثلاثة) واحراقها . لقد كان من حسن حظه انه استخدم اسما مستعارا . ولم يعرف ان غوغول هو ناظم القصيدة الا بعد مضي عدد من السنين . ثم جرت حادثة غريبة اثر كارثة (كوخلكارتن) : فقد تسلم غوغول مبلغا من المال من والدته لتوفية الفوائد المترتبة على مقاطعة الاسرة . فبدلا من دفعها ابحر على ظهر سفينة الى ميناء لوبيك الالماني . كانت رسائله الى والدته بليغة مفعمة بالعاطفة لكن الاضطراب اكتنف اسباب سفره المفاجيء وخططه عن المستقبل . وبعد ستة اسابيع قفل غوغول عائدا من المانيا الى بطرسبرغ . والمرء يجد ، سواء في رسائل غوغول المبكرة اي التي كتبها قبل نزوحه الى بطرسبرغ ام في رسائله المتأخرة ، يجد اشارات الى خطتين عن مستقبله على الاقل . اولاهما هو العمل في وظيفة حكومية ، والاخرى هي حلم اكثر من كونها خطة ، لكنها حلم يعود بين آونة واخرى ، ومؤداها : ترك بيته ووطنه والذهاب الى بلاد اجنبية ، فريدا ، حاجا يبحث عن طريقه للوصول الى معبد مجهول ، ومذبح سري عليه يود تقديم نفسه ضحية .

وهذا الموضوع موجود في الرسائل التي كتبها حين كان في السابعة عشرة من عمره وهو الموضوع الرئيس في ابيات قصيدته المهلهلة التي تسرد قصة شاب الماني ترك الراحة والسعادة وذهب حاجا بيده عصاه الى بلاد قصية . ومهما يكن من امر فانه ، في الختام ينبذ مسعاه بحثا عن (المطلق) ويعود الحاج الى مدينته ليتزوج الانسة لويزه مضحيا بالمثل الاعلى في سبيل اغنية من اغاني الرعاة .

وفي سنة ١٨٣٦ عاد ناظم « هانزكو خلكارتن » مرة اخرى الى ظهر احدى السفن المتوجهة الى ميناء لوبيك وهامبورغ . كان هذا بعد سفرته الاولى بسبع سنين . وما عدا شتائين امضاهما في روسيا (١٨٣٩ ـ ٤٠) و (١٨٤١ ـ ٤٢) فان غوغول هذه المرة قضى في الخارج اثنتي عشرة سنة ولم يعد الى الوطن الا سنة ١٨٤٨ اي قبل وفاته بأربع سنين .

وفي غضون السبع سنين ونصف التي قضاها في بطرسبرغ خدم غوغول خمسة عشر شهرا في الوظائف الحكومية وثلاث سنين في مدرسة للبنات تدعى (المعهد الوطني) ثم عين مساعد استاذ في التاريخ بجامعة بطرسبرغ

وقضى سنة يقدم فيها محاضرات لم تشهد على لوذعية عميقة خاصة به . وفي الختام ، ومع مرور هذه السنين اصبح كاتبا مشهورا . جاء النجاح بعد نحو سنتين من نشر « كوخلكارتن » السيئة الطالع « أماس في مزرعة قرب ديكانكا ـ ايلول ١٨٣١ ، اذار ١٨٣٢ » وهي مجموعة قصص اوكرانية كانت قد نالت استحسانا حماسيا وهذا النجاح اعقبه النجاح تلو النجاح .

جاء فرار غوغول الاول الى بلاد اجنبية سنة ١٨٢٩ على اثر فشل قصيدته (قصيدة ينبغي للمرء ان يتذكر انها تتحدث عن الفرار الى بلاد اجنبية) . وبعد ذلك بسبع سنين أي في سنة ١٨٣٦ حدث سفره عقب اول تمثيل لـ « المفتش العام » التي هي ، ولا شك ، أعظم كوميديا كتبت بالروسية ، وهي التي لم تترك المسرح الروسي قط من يوم تمثيلها الاول في نيسان ١٨٣٦ . كانت المسرحية لمعاصريها مدعاة للاخذ والرد وشيء من اللفظ في النقد . ومهما يكن من أمر فان عنف كلام غوغول وشدة خصومته اضطرتاه الى ترك وطنه .

فهل كان لا بد لـ « كوخلكارتن » ان يعاد تمثيلها لتبرر فراره الجديد ؟ اضاف غوغول الى عدم ثباته الغريب سببا آخر لرحيله : فقد عزم على ان يكرس نفسه لعمل عظيم فيه تصور روسيا بأسرها . ولاكمال هذا المشروع العظيم كان عليه الابتعاد عن روسيا .

كان هذا العمل هو « النفوس الميتة » كتب غوغول الفصول الثلاثة الاولى قبل تركه روسيا . وقد سافرت المسودة معه بحرا الى لوبيك ثم عبر المانيا الى جنيف و « قيقي » التي يقربها على سواحل بحيرة جنيف حيث استأنف العمل هناك . واستمر به في باريس ثم في روما حيث قضى غوغول فترات طويلة من حياته في غضون اعوام النفي التي فرضها على نفسه .

اكملت « النفوس الميتة » سنة ١٨٤١ ونشرت سنة ١٨٤٢ . فنالت استحسانا حماسيا . وكان غوغول حينئذ في الثالثة والثلاثين .

اما السنوات العشر المتبقية من حياة غوغول فقد كرسها لوضع تتمة لـ « النفوس الميتة » فشرع في كتابة مجلد ثان قبل اكمال التنقيحات الاخيرة للمجلد الاول . لكن غوغول لم يرض بعمله فدمر المسودة سنة ١٨٤٥ وشرع في العمل من جديد .

وفي سنة ١٨٤٨ عاد الى روسيا من سفرته الى البلاد المقدسة . كانت لديه اربع سنين اخرى ليحيا . اما موته في شباط (فبراير) ١٨٥٢ فكان من حصيلة عمله ، فقد فرض على نفسه صياما قاسيا (كان صوم الخمسين) ثم رفض كل نوع من أنواع الطعام . كما اسرع الاطباء المتحمسون اكثر من اللزوم ، الكليلو العين ، في نهايته . كان غوغول مريضا نموذجيا بالوهم عدة سنين ، وكان يتشكى ويبحث عن ادوية لاعراض نسميها الان اعراض مرض نفسي كاذب . وفي هذه المرة كانت مخاوفه من المرض محقة وكان تشاؤمه عن موت مبكر في مكانه .

ففي ليلة الحادي عشر من شباط (فبراير) أي قبل عشرة ايام من وفاته احرق غوغول في مدفأة مكشوفة مسودة المجلد الثاني من « النفوس الميتة » .

وفي بداية المراحل الاخيرة من عمله في المجلد الاول سيطر على غوغول مركب نقص : اي انه هو المختار لابلاغ رسالة فيها وعيد ونذير لمواطنيه ، رسالة الحق فيها قوة قاهرة بحيث تستطيع اعادة بناء الكيان الاخلاقي لروسيا بأسرها . ان صورة نفسه بصفته سياسيا عظيما ومصلحا اخلاقيا ظهرت مبكرة جدا في حياة غوغول . ثم انحسرت في عدد من السنين ، سني ابداع غوغول الفني العنيف . ثم ما لبثت ان طفحت الى السطح مرة اخرى وهي اعنف ما تكون قوة وشدة .

ان ما كان يسعى غوغول لانجازه من عمله العظيم ذاك هو الجمع بين صورتين نموذجيتين ، بين الشاعر العظيم وبين القائد او السياسي الذي تكمن سلطته في عبقريته ومعرفته للحقيقة . على أي حال ، كان الجمع مستحيلا لذا استنفد غوغول موهبته الخلاقة في محاولته لاستخدامه لها كأداة للدعاية الاخلاقية . وكلما كان يشغل نفسه بمشروعه العظيم كان الشك يعذبه : الم يخطىء في الاعتقاد بانه اختير لرسالة عظيمة ، وأذا اختاره الله لذلك فلماذا لم يهبه القوة التي يحتاجها لحمل ذلك العبء ؟ ام انه لم يكن جديرا بذلك الخيار ؟ فصلى لله أن يعيد اليه قواه المبدعة حتى يستخدمها في خدمته . لكن هذه القوى لم تعد اليه ، فكان هذا نذيرا بهدم جدارته امام وجه الله .

من التخمينات المعقولة ان غوغول لم يدع دور الرسالة المسيحية الا لان ذلك كان نتيجة لشعور بالاثم عميق دفين . فاذا كان الامر كذلك ، فمحاولته لتحمل اعباء رسالته لم تستجلب له غير الشواهد الجديدة على اثمه وتشديد مخاوفه من العقاب . لقد قرأ الرسالة المقدسة قراءة مغلوطة .

كان اعتزازه بنفسه هو الذي حمله على الاعتقاد بان كتابه سيجلب الخلاص لمواطنيه ، وحيث انه وليد الخطيئة فينبغي تحطيمه . وبعد ذلك لم يبق غير الموت ، او بالحري الحياة وهي وحدها التي يسعه تقديمها الان تضحية منه . .

اعمال غوغول الادبية ـ على حسب موضوعاتها ـ يمكن ان تقسم الى ثلاث مجموعات ذات ثلاث مناطق جغرافية : روسيا الريفية ، اوكرانيا ، بطرسبرغ . تصور « النفوس الميتة » روسيا الريفية ! وقصبة صغيرة هي مشهد « المفتش العام » و « العربة » . وتمثل « تاراس بولبا » المنطقة الاوكرانية وهي من اعظم اعماله طموحا في استنادها الى (مادة) اوكرانية . اما بقية المختارات فهي تعود الى دورة بطرسبرغ . اما موضوعات قصص بطرسبرغ فتعبر عنها احسن التعبير قصة « المعطف » وهي من اسمى انجازات غوغول الادبية .

من الممكن للمرء ان يجادل فيذهب الى ان بطل «المعطف» ما هو الا معطف (كما ان العربة والانف ضروريتان للقصتين اللتين تحملان هذين العنوانين) . الشخص الرئيس في القصة هو انسان مغمور اكاكي اكاكييفتش باشماتشكن . (هذا هو الاسم ولقب الاسرة وبينهما اسم الاب ، على حسب التقاليد الروسية .) اشتغل اكاكي اكاكييفتش سنوات عديدة في دائرة حكومية ببطرسبرغ ، في استنساخ الوثائق الحكومية . (كان هذا العصر عصر الريشة قبل اختراع الطابعة او حتى ورق الكاربون) . استحالت حياة هذا الانسان القميىء الاصلع المسن الذي لا يكاد ينطق الى عمل مستمر في استنساخ الرسائل بعناية عظيمة وبعضها التي يحبها في شيء من الانشراح ايضا . كان يذهب الى دائرته صباح كل يوم ويعود متأخرا مساء الى غرفة صغيرة حيث يأكل وينام ويقوم بالمزيد من الاستنساخ . على كل حال ، كان عليه ان يقطع مسافة لا بأس بها مرتين في اليوم الواحد ، وبذلك كان يعرض نفسه لضجيج الشارع المكتظ والاسوا من ذلك تعريضها للبرد القارس والرياح الهوج والعواصف الثلجية التي تمتاز بها المدينة الشمالية . لا بد للمرء ان يتقي عناصر الطبيعة لكن اكاكي اكاكييفتش لم يكن ليملك وسائل الوقاية الكافية . كان يملك معطفا رثا باليا ، وذات يوم حمله الى الخياط على امل اصلاحه ، فسمع خبرا وقع عليه وقوع حكم الموت ! المعطف لم يعد صالحا للتصليح ولا بد من صنع واحد جديد . وبالحكم الذي اصدره الخياط تبدا آخر فترة من حياة اكاكي ، ومع قصرها فقد كانت مفعمة بالمجد والمأساة . فاولا اصبح المستحيل واقعا : تمكن اكاكي بحرمان نفسه من كل شيء من توفير دراهم كافية لشراء معطف جديد فريد في فن الخياطة (بياقة من احسن فراء القطط يبدو من بعيد كأنه فراء السنسار) ومن هنا ، فأكاكي الذي تجاهله زملاؤه ، والذي كان هدف تكتهم العملية ، اكاكي هذا اصبح موضع التهنئة والترحيب من قبل اصحابه الذين ساووه بأنفسهم حين دخوله الدائرة مرتديا المعطف الجديد . وفي المساء نفسه دعي الى حفلة عيد ميلاد اقامها احد رؤسائه حيث احتفل بالمعطف وبصاحبه . وفي طريق عبوره لساحة مهجورة واسعة وهو في سبيله الى البيت قادما من الحفلة هاجمه اللصوص وسلبوه معطفه . لم يحظ اكاكي بأي مساعدة على الرغم من صراخه وارتجافه وحيدا في الليل . وعند بحثه عن حماية لدى « شخصية مهمة » يطرده هذا الرجل المحترم بصوت مرعد للدلالة على الاهمية . ثم يهاجم في الشارع مرة اخرى لكن من قبل عاصفة ثلجية . وهذا العدوان يقضي على اكاكي اكاكييفتش فعلى اثر اصابته بالبرد يموت بعد يومين .

لا تنتهي القصة بوفاة اكاكي لكنها تنتهي على حسب النص (انتهاء خياليا غير متوقع) . فبعد وفاة أكاكي تحدث حوادث سلب كثيرة ليليا في شوارع بطرسبرغ وتنتشر اشاعة بين الناس ان الذي يسلب المعاطف هو روح كاتب مات من قريب . أما امر الشرطة بـ « القبض على الروح حيا ام ميتا » فهو امر غير ذي جدوى . ثم تنقطع الهجمات الليلية بعد حادثة سلب كان ضحيتها الشخصية المهمة الذي انتزع منه معطفه النفيس . ان الشخصية المهمة يتعرف على اكاكي اكاكييفتش في الرجل الذي هاجمه . وعلى اثر ذلك يحاول احد الشرطة القبض على « الروح » لكنه يكف عن ذلك حين يجابهه « الروح » المديد القامة ، الضخم الشاربين بضربة بجمع يده . على اي حال ، هذه السمات ليست سمات اكاكي لكنها سمات من اعتدى على اكاكي . وهذا التشابه يعيد بكل لباقة (النهاية الخيالية) الى ساحة الواقع .

يمكن للمرء أن يتعرف بكثير من التوكيد المعقول على ثلاثة مصادر لـ « المعطف » استمد منها غوغول خياله المبدع . (سجل الحادثة معاصر له) وهي تتطرق الى كاتب حكومي نقير اشترى بعد اشهر من الحرمان والارهاق بندقية صيد ، فبينما كان يصطاد البط البري في قارب صغير انسلت البندقية من يديه وسقطت في الماء وضاعت. الا ان للقصة نهاية سعيدة فقد قدم زملاء نمرود التعس بندقية جديدة له ، نمرود هذا الذي كان طريح الفراش ، مريضا يعذبه الحزن . هذا موضوع رغبة عارمة وملكية قصيرة الاجل وخسارة . اما حكاية السلب الذي تعرضت له الشخصية المهمة (على يد الروح على ما يظن) فيمكن تتبع آثارها في الوقائع والنكات التي سجلها بوشكين بتاريخ ١٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٣٣ . « في المدينة لفظ عن حادثة غريبة في البنايات العائدة الى دائرة الاصطبلات الملكية هي ان الاثاث اخذ يقفز ويدور حول نفسه ، اخذت السلطات علما بالامر فأصدر الامير ف. دو لفوروكي امرا بالتحقيق في الموضوع . استدعى احد الموظفين قسا لكن الكراسي والمناضد لم تستطع المحافظة على الهدوء اثناء خدمة القداس . كانت التعليقات شتى . قال ن . ان الاثاث يعود الى القصر الملكي ويريد ان ينقلها الى قصر اينتشكوف . لم تكن الشوارع امينة . هوجم سختيلين في ساحة القصر وسلب . طبعا الشرطة لم تكن مهتمة باللصوص والشوارع بل ان السياسة كانت شغلها الشاغل . »

وهذه (الكراسي القافزة) وجدت سبيلها الى قصة « الانف » لغوغول . « كان الناس في ذلك الوقت تحت تأثير الغيبيات . فمن مدة قصيرة اثارت التجارب المغناطيسية جوا عاصفا . وكانت حادثة الكراسي الراقصة في شارع الاصطبلات لا تزال طرية الاثر ، واخذ الناس يعيدون ويكررون عن انف كوفاليف المخمن العقاري الذي يشاهد رائحا غاديا في شارع نيفسكي في الساعة الثالثة بعد الظهر بالضبط . »

اما بخصوص حوادث السطو في الشوارع فان كلا من الضحيتين كان شخصية مهمة ، بل مهمة جدا ، فالاول هو

الجنرال سوختيلين والثاني هو الكونت بلودوف وزير الداخلية بالذات لا غيره . وبما ان حوادث السطو وقعت في شهر كانون الاول (ديسمبر) فمن المحتمل اكبر الاحتمال ان الكونتين سلبا معطفيهما . كان بوشكين ، اعظم شعراء روسيا ، صديقا لال غوغول ، لذا يحتمل انه قص الحكاية على غوغول ، او ان الاخير قد سمع نتفا من مصدر آخر ، اذن ليس المهم معرفة المصدر المباشر .

عنوان « المعطف » في نسخته الاصلية « حكاية عن كاتب يسرق المعاطف » . اما تطور منطق الحبكة القصصية فيبدو كما يلي : كاتب فقير يخسر اثمن ممتلكاته وشخصية مهمة يسلب معطفها ، وللجمع بينهما على صعيد واحد ، يسلب الكاتب الفقير معطف الشخصية المهمة ، الذي (كي نجعل الخسارتين متجانستين) لا يفقد بندقية صيد في البحيرة، بل هو شأنه شأن الشخصية المهمة ، يفقد معطفه . والتجانس ، على المستوى الاخلاقي ، هو انتقام او جزاء . ومثل (العين بالعين) مثل تجانسي ، ولذا ينبغي ان تكون الشخصية المهمة مسئولة عن الكارثة التي اصابت الكاتب . قد لا يكون بالبداهة هو اللص السلاب ، لكنه مسئول بصورة غير مباشرة على الاقل عن وفاة الكاتب الفقير . والكاتب الميت هذا ، طبعا لا يستطيع الانتقام لنفسه الا اذا انحدرت القصة الى ساحة الفنطازيا (الخيال) وهي فنطازية لكنها (في الحقيقة) ليست كذلك . ذلك ان الاشاعة هي مصدرها بالاضافة الى ضمير الشخصية المهمة التي اصابها البلبال. و (الواقع) انه سلب من قبل الشخص نفسه الذي سلب اكاكي . وهنا ينبغي ذكر مصدر آخر محتمل ، وقد ابان هذا المصدر الدارس الهولندي ف. س. دريسين . وهو يتعلق باسطورة القديس اكاكي من قديسي الكنيسة الروسية في القرن السادس عشر . كان القديس اكاكي طالب دين في احد الاديرة ، وقد مات بعد تسع سنين من الاهانة والتحقير على يد استاذه . وقد تقبل تلك الاهانة وذلك التحقير بغير تأفف . اما هذا الاستاذ فلم يحظ بضمير سليم منذ ذلك الحين حتى انه اخذ بفكرة مؤداها ان اكاكي لم يمت حقيقة. وذات يوم ذهب الى ضريحه وسمع صوتا يقول « انا لست ميتا ، لان الانسان الذي يعيش في الطاعة قد لا يموت . » وقصة اكاكي غوغول هي ايضا قصة الاهانة والتواضع . وعلى كل حال ، فان تواضعه لم يكن مطلقا . ذلك بانه ابتاع معطفا جديدا فرضته عليه الظروف كما فرض عليه كل شيء آخر ، (فما يقع في القصة يمسه مسا قريبا) الا انه، حين اضطر الى الاعتراف بحتمية ايجاد معطف جديد شعر برغبة عارمة نحوه . ثم تمتع بتملكه وسر بنصره القصير الاجل ، برفعته (المدوخة) في المكانة الاجتماعية ومساواته بالاخرين . وبهذا الشكل نقض اكاكي اكاكييفتش قانون التواضع حتى ولو بصورة عرضية .

يقول مثل روسي (ان الناس يستقبلونك على حسب ملابسك ، ويستودعونك على قدر نباهتك) . لم يكن اكاكي نبيها قط لكنه ملك ليوم واحد في حياته ، البسة محترمة ولذا استقبل استقبالا لائقا بها . كان المعطف العتيق مهلهلا (يسع المرء ان ينظر من خلاله) واللباس الذي (يستطيع المرء ان ينظر خلاله) و (يرى اللابس نفسه) يعرض الانسان الى السخرية وعناصر الطبيعة . ان الناس سيضحكون عليه وسيرتجف من برد الشتاء . لكن اليس اللباس ضربا من القناع التنكري ؟ اليس من الفش ان تستقبل على حسب ملابسك لا على ما انت عليه حقيقة ؟ لم يكن اكاكي ، في لباسه الجديد ، يملك شيئا من النباهة او الفضيلة اكثر مما كان يملك في لباسه العتيق. لقد استقبله الناس ورحبوا به سيرا على تقليد مضحك . واللباس ، ايا كان تقليد مضحك لكن على المرء ان يرتدي رداء ما . فالانسان يموت اذا هو اختار الا يرتدي لباسا ، ان يكشف على حقيقته ويعرض كما هو .

قد يكون هذا التناقض الاخلاقي الظاهري موجودا في ذهن غوغول وراء ما هو اكثر بداهة (والذي ليس من الضرورة مناقضته) اعني ان اكاكي اكاكييفتش كابد الظلم وقد وجد ، بعد موته على الاقل ، شيئا من رفع الحيف ، عندما اصبحت الشخصية المهمة بدورها ضحية لعملية سطو في الشارع .

ان ثمة طرقا كثيرة توصل « المعطف » بقصص غوغول الاخرى . ولنضرب لذلك « العربة » مثلا فالطريق الموصلة اليها تتبدى في الدوار الذي يصيب بطل القصة منذ البداية حين يمتزج الملاك تشيرتوكوتسكي بالضباط الخيالة السكارى المقامرين المتباهين الزاهين في حفلة الجنرال . وبعد خروج السادة من القصر اثر مأدبة العشاء الفاخرة يستجلب الجنرال فرسه الكميت ويعرضها امام عيونهم المعجبة ، لكن الملاك تشيرتوكوتسكي يخبر الجنرال بامتلاكه لعربة هي طرفة من طرف فيينا تعدل في قيمتها اربعة الاف روبل . ثم يعقب ذلك بان يدعو الجماعة كلهم الى مقاطعته في اليوم التالي ليتناولوا عشاء مبكرا وليتفحصوا العربة . وعلى كل حال ، هذه كانت بداية سقوطه . صاحب العربة ينسى ان يذكر لزوجته الدعوة الى الوليمة حينما يصل الى بيته فجرا . ثم لا يلبث ان يستيقظ عند وصول جماعة العسكريين فيصاب بالهلع وينتزع منامته ويفر الى الاسطبل وهناك يختبىء في العربة . كان المخبأ غير صالح في الواقع ، وسواء وجد العشاء ام لم يوجد فان الجنرال وحاشيته المحترمين قرروا فحص العربة ومن ثم اكتشف صاحبها في ملابس النوم تحت مشمع العربة . وهكذا تعرى السيد تشيرتوكوتسكي امام اعين الجماعة ، باختفائه داخل شيء بنى عليه خيال عظمته . تمثال عار يصاب بالخجل فيختبىء في ركيزته . ففي داخل رمز المجد المنهار كان الانسان نفسه مختفيا بعد الزراية به وبعد عريه الذي لا يدفع عنه شرا . ان المادة المكنوزة لا تضيع في هذه

القصة لكنها تفقدسطوتها ونائدتها ، انها تصبح عربة (اعتيادية) اراد السيد تشيرتوكوتسكي ان يباري بها فرس الجنرال الكميت ذت البوز الناري .

اما قصة « الانف » فهي حكاية خسارة واستعادة . خسر احدهم انفه ثم استعاده صاحبه الشرعي . انفصل هذا الانف من صاحبه واتخذ دور بيروقراطي رفيع الشأن ثم اعيد الى مكانه الطبيعي في وجه احد المرؤوسين ، على اهميته . لقد عثر على العديد من المصادر الادبية لقصة غوغول الا ان هذه المصادر لا تقلل في شيء من اصالتها . ان الانف هو رمز الذكورة (وفقدانه يوحي بالاخصاء وهو حافز طالما تردد في كتابات غوغول) ...

غير ان الرداء ، اي رداء ، هو الحافز بوصفه رمزا للمكانة الاجتماعية في « مذكرات مجنون » وهي سجل غزو جنون تدريجي يتعرض له كاتب (المذكرات) وهذا الجنون الذي هو – في الواقع جنون العظمة يصيب هذا الكاتب الفقير الذي يشتغل في وظيفة حكومية يكتشف انه ليس الا فرديناند الثامن ملك اسبانيا . ثم يظل ردحا من الزمن مغموراً غير معروف ، ثم يقرر ان الوقت قد حان لاظهار حقيقة شخصيته فيقول متأملا « آه لو كنت متمكنا من الحصول على رداء ملكي من أي نوع كان . ارى من السخافة ، ان يصنع الخياطون واحدا من هذه الاردية. لذا قررت ان اصنع لي رداء من احسن معطف املكه وهو الذي لم البسه الا مرتين ... فضلت ان اصنع ذلك الرداء بنفسي . فاغلقت بابي كيلا ارى ، قطعت معطفي بالمقص شرائط كثيرة ، ذلك بان الرداء ينبغي ان يكون من طراز مختلف تماما » . وما ان رأته الخادمة مارفا اول مرة بـ (ردائه الملكي (حتى) اطلقت صرخة مدوية .)

لقد كان معطف اكاكي علامة الاحترام المطلوبة من قبل المجتمع ، وحالما اصبحت هذه العلامة جاهزة ، اعترف المجتمع بصاحب هذا المعطف وارجع له كرامته الانسانية (لكنه خسر هذه الكرامة بفقدانه للمعطف) اما كاتب المذكرات فقد تجاوزت (انانيته) حدود المعقول ولذا نراه يعجز عن الوصول الى ما كان يصبو اليه فالقصر الاسباني الذي يعتقد بوجوده فيه يتحول الى مستشفى للمجاذيب.

ان للمكانة الاجتماعية موضوعات مختلفة لاختلاف مستويات الواقع ، من ارتفاع وهبوط ، وهذا ما نجده في كوميديا غوغول المشهورة « المفتش العام » وفي قصته « النفوس الميتة » ففي الاولى يجنح موظف بسيط الى قصبة صغيرة وهو في طريقه من بطرسبرغ الى موطنه ، فيحسبه الموظفون الفاسدون مفتشا عاما متنكرا بزي آخر وهكذا يجد نفسه في وضعية تنهار فيها الحواجز جميعا ، فيستطيع ان يطلق كل خيالات العظمة من عقالها ، هذه الخيالات التي يؤمن بها البيروقراطيون المرعوبون... ثم يكتشف امره بعد ان يكون قد ملأ القلوب رعبا ، وبعد أن يفر في وقت مناسب ، وهذه هي العودة مرة اخرى الى الواقع ، الى حيث لا مكانة له ولا هوية .

اما تشيتشيكوف ، بطل « النفوس الميتة » فهو نصاب غشاش والظروف التي اعتقد فيها الناس انه شخصية مهمة ظروف ليست عرضية انما هي من صنعه نفسه . ومع أن امره يكتشف ايضا غير ان الناس لا يقتنعون بهذا الاكتشاف .. يصبح تشيتشيكوف افاقا رومانسيا مخطرا حتى يظن انه نابليون بونابارت الفار من جزيرة القديسة هيلينا . وخيال العظمة هذا اصطنعه تشيتشيكوف بذاته وهو ما استمر متوسعا في ذهن المجتمع اجمالا .

وبعد ، نأتي الى « تاراس بولبا » وهي الملحمة الاوكرانية التي تختلف كل الاختلاف عن قصص بطرسبرغ في موضوعاتها وميولها . المكان هو موطن غوغول ، اوكرانيا ! الزمان هو الماضي السحيق حين هب الشعب الاوكراني مناضلا ضد مضطهديه البولنديين . تمتاز الشخوص بالحيوية كما تمتاز البستهم بالوانها الزاهية وكذلك كلامهم . انهم شجعان غير هيابين ولا وجلين وهم كرماء عنيفون بدائيون يتمثل الشعر بهم . لهم عوائل وهم يحبون النساء غير انهم اشداء غير مترددين حين تحين الساعة لفراق نسائهم وركوب ظهور الخيل والجنوح الى الحرب والقتال .. اما تاراس العجوز فاشجعهم وهو القائد المحبوب والمحترم من قبل رجاله . كان ابناه جديرين به ، وهكذا اعتقد الناس . لكن احدهم يقع في شباك حب فتاة من بولندا ويقترف اثم الخيانة . ثم تسير القصة مدفوعة بتناقضات العاطفة العارمة ، خلال مشاهد من الحب الرومانسي والمعارك العنيفة والخيانة والعقاب والبطولة والمغامرة وتنتهي بوفاة المحارب العجوز وتاليهه .

ان « تاراس بولبا » ملحمة تؤرخ عهدا رومانسيا وهي تماثل قصص سير ولتر سكوت ، وبطريقة ما قصص جيمس فينيمور كوبر ، الكاتب الذي اعجب به غوغول والكثير من اجيال الكتاب الروس . ان القصة عمل روائي تاريخي وقد حاول فيها غوغول ان يعيد خلق فترة عوضا عن أن يقدم شخوصا او وقائع تاريخية . اما تاراس وابناه فعمل من صنع الخيال . ومع ذلك تذكر بعض الشخوص الواقعية القليلة واهمها القائد القوزاقي اوسترانيتزه وتحت امرته قاد تاراس احدى الكتائب . تواريخ غوغول في القصة مبهمة لكن حملة الجنود القوزاقيين بقيادة اوسترانيتزه ضد البولنديين جرت سنة ١٦٤٧ . وقد بدات هذه الحملة بانتصار مدو احرزته القوات القوزاقية واستمرت بسلسلة من الاندحارات التي كان منها فرار اوسترانيتزه الى الشرق ، الى منطقة واقعة تحت حماية موسكو .

يبدو ان لغوغول اهتماما خاصا باوسترنيتزه هذا ولعل ذلك يعود الى الواقعة التي انتصر فيها على البولنديين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الظل وحارس المقبرة

(الاقواس الكبيرة حديث حارس المقبرة ، والصغيرة حديث الظل)

(قطار الثواني بشوق يشد الهزيع الاخير
لقد مر .. ما من جنازه ..!!
ساغفو ـ وما هم ـ من مات .. مات .)
ويغرق في بركة الصمت بوح الاغاني الهزيله .
ويذوي .. يموت الصدى .
« ترى نمت يا فارس الليل ، يا حارس المقبره ؟!
ترى نمت يا ...؟ »
وغرغر صوت الضجيع العجوز كشاة ذبيحه .
« لقد نام حتى الخلاص ،
وعشعش فيه الكرى . »
مزاليج خشخاشة صدئت من غبار السنين
تصرصر .. يفتح باب عريض الجناح .
« رويدك يا كف .. يا صوت كفن قرار التراب ،
وبلل بدمعك اسنانك الظامئات ،
تلمس بقربك شيئا طريا .. بقايا جديله ،
لآخر جمجمة امس جاءت هنا ... »
يغرغر صوت العجوز ونيسان سقف غيوم جميله ،
« ترى يا صرير المزاليج ايقظته ؟!
تلمس طريقك هيا ..
نجوم لياليك ما غبشت بعد .. هيا . »

*

قريب تغطي عيون السما راحتاه ،
على دربه خيط نور شد حداة القوافل ،
يمسح افقا ، يلملم من امس تاهوا ..
ويورق وردا وكمأى ، ودردارة طيبه ،
يحدق في الحارس الخوف
يدعو له ان يظل عشيق النعاس :
« نمط .. ادر ظهرك الرخو للعابرين ..
ادر يا بليد الحواس
ايا متعب الروح يا فارس المقبره
ففي صلب ارضي حقول خزامى وآس . »

*

ويخطو على حائط المقبره :
« ترى نمت يا ...؟!
وداعا صديق الليالي العتاق
وداعا ايا بوم يا عاشق الثرثرات . »
وقهقه ـ يختال وحيا ـ هلال البشاره
فنجم الخراب ،
تلاشى صدى ... يا خساره ..!!
وسحت دموع المطر ،
فازهر جرجيرنا في السواقي
وحتى عيون الصبايا .. صبايا المدينه
فما عادت الريح بنت المدار ،
تحوم على المنفخ .. تمضي .. تذر الغبار ،
وتزرع في رحم الارض ملحا ونار ..

*

آفاق الصباح الجديد وارخى على الكون ظله ..
وحارس جبانة الحي ما فتحت مقلتاه ،
لماذا ؟.. لماذا ..؟

سورية

فايز خضور

جرت على مشارف فاسيليفكا وهي مقاطعة الاسرة ، حيث قضى فيها غوغول بواكير سني حياته . . .

ملاحظة اخيرة لا بد من الالتفات اليها ، يقع احد الاخوين بولبا في غرام فتاة بولندية فيخون شعبه ورجولته التي هي الفضيلة السامية لدى كل محارب ، ولذا يقضى عليه القضاء المبرم . ومن هنا ، فالحب في عمل غوغول ، لا يمثل الا خطرا يهدد كيان الانسان نفسه الا اذا سخر منه وحط من قدره في اوصاف السعادة الزوجية التي تخص هذا المخلوق الغريب الذي هو الانسان الاعتيادي . وهكذا فان الحب كان غريبا لدى غوغول نفسه ، سواء اكان مأساويا مدمرا أم هزليا مضحكا، ذلك بانه لم يملك تجربة من تجارب الحياة الجنسية .

بغداد

يوسف عبد المسيح ثروة

اعياد البؤساء

بقلم عدنان المنيعي

وبدات خيوط الفجر تتسلل بدعة وهدوء ولم يستشعرها غير الديكة المنتصبة فوق الاكواخ القديمة الغاطة في نومها حيث علا صياحها مرحبة بالغبشة الجديدة . وما على الشمس لتطلع فوق هامات النخيل الا محاولات من الجهد يسيرة تغلف بعدها الكون بالوان فضية وهي تصعد في رحلتها السرمدية عبر السماء . وغطى على صيحات الديكة اعوالات من الكلاب ملأت الفضاء حشرجتها وهي تهز الذيل طروبة تنهب الارض ركضاتها جيئة وذهوبا .

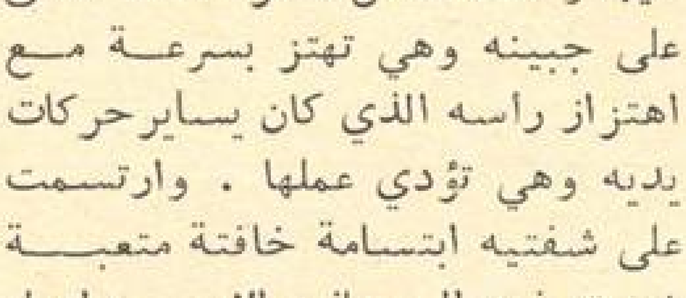
بدات الحركة تتململ صاحب الكوخ الملقى بعيدا على الرابية وغالبت اجفانه بقايا من النوم لا زالت عالقة عليها حين افرجها لتبصر النور غامرا بقاع الارض . وعلى اسعالات الرجل المزكومة المتلاحقة بدات الحياة تدب فيمن هو مسجى على مقربة منه . وما هي الا هنيهات من الزمن حتى انتشر من في الكوخ .. زوجة واربعة اطفال . انهى الرجل فطوره الفقير وانتحى جانبا من الكوخ ليكمل حياكة ما بدا به من عمل اليوم الفائت . واذ ما اخذت اصابعه مواضعها الرتيبة راح في دوامة من الافكار تعتصره وهواجس تدوخه وتقض مضجعه . لم يبق العيد ان يحل غير اسابيع من الزمن ما اقصرها ليأتي بتبعاته التي ينوء تحت عبئها كاهله . ان مكسبه لغير كاف أن يعيله وعائلته . تراه في الكوخ قابعا نهاره وما يتسير له من ليله يكدح ويثابر ، يستنزف الطاقة البشرية ويصارع العوز حتى تذبل الشمعة وتخور قواه عن حمل راسه فيستسلم لنوم عميق . فكيف اذن بحوله تدبير الامر واطفاله قد حال على ثيابهم الدهر فرثت ولم تعد بذات نفع . واولاد الجيران ، ماذا سيقدم لهم حين يقبلون عليه صباحا وفي عيونهم من التوقع الشيء الكثير . لم يجد صاحبنا بدا من التعويض عن ذلك بساعات اخرى من العمل المضني وكيف له الخيار وهو في بيئة لها من التقاليد ما لهذه التي هو عائش فيها .

بدات زوجه تلحظ هذا التغير المفاجيء في سلوك زوجها ازاء عمله فهو يستيقظ باكرا قبل موعده بوقت ليس بالقصير ليبدا العمل ولا يكف حتى ساعات متأخرة من جوف الليل حيث تعم هداة السكون فلا يسمع الا وشوشات سعف النخيل اذ تلاعبها الريح واعواد القصب على مقربة منه وهي تتلوى متكسرة تلتهمها نار اوقدها لشاي يكرعه بين الفينة والفينة ليطيل من امد صحوته .

كانت زوجه شديدة الرغبة لتحدثه في هذا الامر وتلفت نظره الى صحته التي اخذت تسوء بشكل ملحوظ . وذات مرة فيما كانت جالسة قبالته رات الفرصة لها ان تفاتحه الحديث فبادرته بكلمات متعثرة : ابو علي .. اود ان اقول . وهنا رفع بصره المرهق اليها وخصلات من شعره الكث تتدلى على جبينه وهي تهتز بسرعة مع اهتزاز راسه الذي كان يساير حركات يديه وهي تؤدي عملها . وارتسمت على شفتيه ابتسامة خافتة متعبة شدت فمه الى جانبه الايمن . وادرك من قسمات وجه زوجه ما تريد قوله فتمتم وهو يحدق في وجهها : لا احتمل رؤية اولادي عرايا ايام العيد . قالت وهي مشدوهة وقد احست السبيل ينقطع امامها : عرايا ؟

مرت الايام تباعا وابو علي لا ينفك مثابرا في ذلك الكوخ المنسي مواصلا نهاره من العمل مع اكثر ليله . بدا الضجر يحوم حوله وعافت نفسه ما هو فيه ، ملأ الحنق صدره واشتعلت فيه الضغينة . ماذا ان هو اغلق باب الكوخ ليحول بينه وبين ما يسمونه بالعيد ؟ ماذا ان ترك اطفاله بالعتيق مما يلبسون ؟ وراح يجيل الطرف في انحاء الكوخ وهو يراه يضيق به ويضيق حتى لكأنه يأخذ بخناقه . تشنجت يداه وحدقت عيناه بخيوط النور البيضاء المنسلة عبر ثقوب حصير الكوخ . عدل من جلسته ومد في رقبته ليعب من الهواء ما يعيد اليه حيويته . تأوه مرة اخرى . ولكن لم كل هذا الشقاء ؟ ماذا لو ترك اطفاله بالرث من الثياب ليكونوا رمزا لواقع مرير لا خيار له فيه وفقر لا حول له بدفعه ؟ ماذا لو لاكته السن الناس ؟

وبحركة انفعالية سحب سيكارة واشعلها من موقد النار ثم دسها بين شفتيه المتصلبتين ومج منها مجتين ثم نفث الدخان في الهواء فراح يسبح بحلقات في سماء الكوخ وصاحبنا ينظر اليها وهي تبتعد عنه رويدا رويدا حتى سرح معها خياله بعيدا حيث ايام الطفولة . ايام كان يعد الايام قبل العيد عدا حتى اذا ما قرب يومه يعد الساعات ولا ينام الا ومعه ما اعد ليوم العيد بعد ان يقضي نهاره بالبشر مع صحبه من الاطفال يحلمون بسعادة الايام القابلة وحلاوتها . لذعت حرارة السيكارة التي لم يبق منها غير عقب قصير انامله فرماها عنه بعد ان عمرت نفسه ببعض الطمأنينة وعاود عمله باكثر جدية واعظم نشاط . انصرمت الايام واحس بانه قد وفر ما يمكنه كساء عائلته . كف عن العمل ونفض عنه غبار الايام الحالكة ونهض يسر زوجه عزمه الذهاب الى السوق ليبتاع ما تحتاجه هي والاطفال . تراقصت اسارير الزوجة وطفح وجهها بشرا وهي تكاد لا تستقر مكانها ناسرعت تسمع اطفالها النبأ السار .



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشاعر

قال : ارجو ، وراح في الصمت يضنيه ... سؤال ، ويعتريه سعال
كلما ضمه مع النجم ليل ... هيجت روحه الظنون الثقال
ثم مد اليد التي صاغها من ... قلبه الراعش الخفوق الخيال
قطعة تبدع الحياة من الحرف ... فتحيا بوهمه الاجيال
يمسح الشهد عن بقايا جفون ... خلفتها له الليالي الطوال
كيف يرجو ؟ وما ترى ذاك يرجو ؟ ... كل دنياه لهفة .. وانفعال
عمره لعنة الهوى ، كلما آب ... الى الليل آب منه الخبال

ايها الشاعر المهوم في الافق ... تمهل ، فانت في الافق مفرد
عالم الناس ابدعته ليالي ... سهدك المر ثم شاؤوك مسهد
لفه السهد في بقايا امان ... ضيعتها الحياة شيئا فشيئا
فانثنى يعصر الاسى كاس راح ... تبعث الانس في دياجيه حيا
ليته ، ليته درى امس ان العمر ... يومان يمعنان مضيا
كلما تاه في مطاوي الزمان ... الجهم يوم طوته ذكراه طيا
لهفة العمر لفتة الكون للامس وشهد الدجى اذا قال اعيا
المنى ، ما المنى وذكراه تحيي ... لهفة الكون للمنى حين تحيا
يقطع العمر يرتجي في اساه ... المر من كاس عمره المر ريا

لامك الناس أن تنكبت عما ... يألف الناس من طريق ممهد
قيل جنب به الرؤى ، كدت لو يدرون ماتى طريقك الوعر تعبد

هده اليأس ، كلما قال ارجو ... رده قبل ان يتم القضاء
فانثنى يعلك الدخان فتبني ... في سحاباته الرؤى ما تشاء
باعه الليل نفضة الحس وابتاعت له خفقة الشقاء السماء
واحتواه الوجود تسبيحة العمر ... الى الله ان يدوم الصفاء
المنى صفقة الوجود الى النفس ... اذ تاه فيه منها النداء
لم يعد في وجوده غير دنيا ... ظنه هاجها الرؤى والعياء
كاد لولا بقية الكاس يقضي ... حسرة قبل ان يموت الرجاء

حمص — بسام جندلي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهكذا غادر ابو علي كوخه واطفاله الاربعة يودعونه غناء ورقصا . وراح الاب في السوق يدقق النظر في معروضاتها حتى وقع بصره على قماش زاهي اللون اختار ان يكون مشترى له . وبعد ان انتهى من كل شيء دس يده في جيبه ليخرج المبلغ اللازم الا ان يده لم تصل قعر جيبه بل امتدت لتخرج من الجهة الاخرى. سحب يده ليمدها مرة ثانية وهو غير موقن بما حصل فنزلت لسبيلها . امسك بطرف سترته وحدج فيها فهاله ما رأى . لم يصدق عينيه وهو يجد شقا مستقيما اسفل جيبه ويمتد بطوله بحيث يتعذر على الفلس ان يستقر دون ان يسقط . اغمض عينيه نصف اغماضة وهو يحاول ان يفهم اي شيء . أسرع يدس يديه في جيوبه الاخرى نابشا زواياها علّه وضع النقود فيها . سحب يده ببطء شديد وتسمرت قدماه في الارض وهو ينظر امامه فلا يرى . انحسر الدم عن وجهه فاصفر وغاصت خداه وجحظت عيناه وبدأت شفتاه ترتعشان . ثم اطبق جفنيه وزم شفتيه وكأنه بدا يشمئز من رؤية الناس ، الناس الذين سلبوه ثمرة كفاحه المضني وخلاصة اتعابه . رفع بصره الى اعلى وادار ظهره لصاحب الدكان الذي لم يزل مادا ذراعه بالقماش وسار بخطى مريضة واهنة حتى اختفى بين الجموع .

انديانا ـ امريكا — عدنان المنيعي



مكتبة الاديب

دراســات ادبية

تأليف يوسف الشاروني ـ (؟) صفحة ـ مطبعة (؟)

الكتاب الذي نعرض له الآن يجمع بين دفتيه مجموعة مقالات مختلفــة موضوعاتها اقتطفها الاستاذ صاحب الكتاب من شجرة المعرفة التي نماها بقراءاته على مدى السنين لم يتوخ فيها وحدة الموضوع الواجب توافرها فــي الكتــاب ...

ولعله لم يهتم بهذه النقطة باعتبار الكتاب دراسات ادبية ولكن هذا لا يجعلني اغتفر هذه الهفوة ... والــذي يجعلني ادقق في وحــدة الموضوع ، ووجوب وجود خط طولي ينظم افكار الكتــاب هو ان معظم الكتاب ينتهجون هذا المنهج لانه ايسر السبل الى اخراج الكتاب دون عناء.

والاستاذ الشاروني يناقش في مقالته الاولى الوسائل التي يتخلص بها البطل من المآزق التي يقع فيها ، مقدما نماذج من القصص الشعبيــة والملاحم كالاوديسا وعلي زيبق وهو يرى « ان حسن التخلص وقــوة الارادة وتصميم البطل على مواصلة رحلته هي الوسائل الانسانية البطولية التي بها يتخلص من مثل هذه المآزق » .

ثم يقارن بعد ذلك بين البطل القديم والبطل الحديث الــذي فقــد الوسيلة التي كان يعتمد عليها البطل القديم وهي العقل والايمان والمحبة والصدقة لان في هذا العصر اختفت القوى الخارقة وحل التسلح محل القوة الجسدية ولم تعد هناك كهوف بل توجد تعقيدات روتينية .

وفي المقال الثاني يناقش غواية المرأة للرجل ومحاولته هدايتها متتبعا صور هذه الغواية منذ اغوت حواء آدم واخرجته من الجنة حتى العصر الحديث مستدلا على ذلك بعديد من القصص مثل بجماليون لبرنارد شو وجسر الشيطان لعبد الحميد جودة السحار وبجماليون والرباط المقدس لتوفيــق الحكيــم .

ولقد حلل هذه الاعمال وقارن بينها .. وفي صفحات اخرى يفرق بين الملهاة والمأساة عند ارسطو وبرجسون ...

ولقد اكتفى في بعض الصفحات بعرض كتاب « ما الفن » لتولستوي ، ثم نجده يقدم دراسة مستفيضة من خلال تجاربه ككاتب قصة يمــارس عملية الخلق الفني عن سيكلوجية التعمير الفني مفرقا بين لحظة الانفعال وحال الانفعال . ويرى ان العمل الفني الجيد هو ذلك العمل المقرون بالانفعال لان الكاتب في لحظة الخلق الفني يذوب شعوره اي كل تأثراته الفنية في اللاشعور لان « هذا الذوبان اذا بين الشعور واللاشعور في عملية التعبير الفني يوحد بين مستويات الادراك الانساني ، مستــوى الادراك الحسي ومستوى الادراك الوجداني ومستوى الادراك الفكري » .

كل هذه الموضوعات السابقة تستهلك نصف الكتاب ، اما النصــف الثاني فقد افرده لقضية الفصحى والعامية عارضا آراء الفريقين فقــط دون تعليــق ..

وبعد هذا العرض الموجز اريد ان اناقش الاستاذ الشاروني في بعض النقاط التي اختلف معه فيها معه وهي :

اولا : قوله ان البطل الحديث عدم الوسيلة ليتخلص مما يواجهه من مشاكل ... ثانيا : قضية العامية في الحوار ... ثالثا : قضية الازدواج في اللغة وتقريره ان العامية كانت احدى لهجات العرب .

اما النقطة الاولى فلقد اقتصر في حديثه عن بطل القصة الشعبية والملحمة فقط ثم نجده يصدر حكما عاما وهو ذلك الذي ذكرناه آنفا ليشمل الاعمال الادبية على اختلاف انواعها .. وكان يجب ان يراعي الدقة عند اصداره الحكم وذلك لان لكل نوع من الاعمال الادبية قواعد خاصة به وخصائص فنية معينــة .. وشيء آخر ، من المعروف ان المجتمعات في تطــور مستمر وتتطور تبعا لذلك وسائل الحياة فيها وبالتالي يتطور التفكير الانساني ، فالمجتمعات القديمة تختلف اختلافا تاما عن المجتمعات الحديثة من ناحية وسائل المعيشة والظروف التــي تحيط بالانسان وتؤثر على تكوينه الجسماني وكذلك تختلف في مستوى الادراك العقلي .. فانسان هذا العصر يمتلك من القدرات والامكانيات ما لم يتوفر لاخيه الانسان قديما الشيء الذي يجعله يمزق ستائر الخرافات والاوهام ويتخلص من التحليق في الافاق البعيدة على بساط سحري او على كف عفريت ، لقد اصبح الانسان في عصر الآلة هذا مؤمنا بنفسه لانه سيطر على معظم قوى الطبيعة واخضعها لارادته فبديهي ان يتحلل من اية قوة تساعده على حل مشاكله معتمدا في ذلك على عقله فقط فهو المنار الذي يهديه ولذلك نرى ان معظم الاعمال الادبية في الغرب تمجد هذا الانسان دون تعقيدات روتينية .

اما كتابة السرد باللغة العربية والحوار باللغة العامية في القصــة لضرورة تحتمها الواقعية لان اللغة تعبر عن شخصية صاحبها باعتبارها احدى التصرفات التي تساعد على تحديد ابعاد الشخصية .

اما عن اقتران اللغة العامية بالواقعية فلي سؤال : هل الواقعية واقعية المضمون ام واقعية الشكل ؟

ان الواقعية هي واقعية المضمون اما اللغة ما هي الا وعاء يصب فيه الافكار والادب ككل عمل فني جميل يجب ان تكون اداته من السلامــة والفنية ما يوفر له المستوى الجمالي الرائع ، اذ لا يصح ان نضع طعاما في وعاء غير نظيف بالطبع تعافه النفس فهذا ما ينفر منه الذوق السليم ، اما ان اللغة تحدد ابعاد الشخصية فان هذه الابعاد يمكن التعرف عليها عن طريق عناصرها الخلقية والساوكية التي يكشف عنها الاديب خــلال العمــل الفنــي .

اما القضية الاخيرة وهي قضية الازدواج فهو يرى ان العلاقة بــين العامية والفصحى علاقة اخوة اكثر مما هي علاقة امومة فيقول « لهذا فليست لهجاتنا العامية الحاضرة وليدة فساد طرأ على اللغة الفصحى كما قد يتبادر الى الذهن بل هي تطور للهجات عربية اخرى كانت موجودة جنبا الى جنب مع اللهجة التي قدر لها ان تصبح الفصحى فيما بعد.. فعلاقة الفصحى بالعامية علاقة اخوة اكثر مما هي علاقة امومة » .

واعتقد ان هذا ليس صحيحا وذلك لان العرب في جاهليتهم كانوا يتحدثون اللغة الفصحى بالسليقة ، وبسهولة ويسر دون معاناة او ثقل ولقد وضح ذلك الجاحظ في كتاب البيان والتبيين قائلا « كل شــيء للعرب فانما هو بديهة وارتجال وكانه الهــام وليست هناك معاناة ولا مكايدة ولا احالة فكرة ولا استعانة ، انما هو ان يصرف وهمه الى الكلام والى رجز يوم الخصام او حين ان يمتح على رأس بئر او يحدو ببعير او عند المقارعة والمناقلة او عند صراع او في حرب ، فما هــو الا ان يصرف وهمه الى جملة المذهب والى العمود الذي اليه يقصد فتاتيــه المعاني ارسالا وتنثال عليه الالفاظ انثيالا ثم لا يقيــده على نفسه ولا يدرسه احدا من ولده . وكانوا اميين لا يكتبون ومطبوعين لا يتكلفون ، وكان الكلام الجيد عندهم اظهر واكثر وهم عليه اقدر واقهر » . فاناس يرتجلون الشعر ارتجالا ويتحدثون العربية الفصحى دون تعليم يصدق انه

كانت لهم لهجة عامية ، هذا امر ليس من السهل التسليم به ، امـا العامية فلم تنشأ الا نتيجة لظهور اللحن بين العرب نتيجـة لاختلاطهـم بغيرهم من الالسن الاعجمية بعد ظهور الاسلام ثم اخذت هذه الظـاهرة تنمو حتى فشت وتمكنت بين اللسان العربي .. وتدليلا على قولي هذا اسوق ما قاله الاستاذ مصطفى صادق الرافعي في « تاريخ آداب العرب» في معرض حديثه عن نشأة العامية :

« قد علمت كيف بدآت العامية ؛ وكيف خرجت من اللحن ، وان ذلك لم يكن الا في اوائل الاسلام ، فلا عبرة بما يهجس به بعض اولئك الذين نراهم في مجازفتهم وتخرصهم كانما يشرحون للناس علم الغيب ، فيزعمون ان العامية كانت لغة بعض العرب في الجاهلية الاولى وان القوم كان لهم فصيح وعامي » واستاذ آخر هو الدكتور حسن عون يؤكد في كتـابـه « اللغة والنحو » ان العرب لم يكن لهم عامي وان كان يختلف مع الاستاذ الرافعي بأن اللحن كان ينطق به العرب المقيمون في اطراف البادية نتيجة لقربهم من حدود الاعاجم .

واخيرا بقي مأخذ نأخذه عليه في منهجه الذي اتبعه في عرضه لتلـك القضية ، ذلك المنهج الذي أبان عنه في نهاية الكتاب مصحوبا باعتذار للقـــارىء :

« واني لاعتذر لاني حاولت ان اقف بقدر الامكان موقفا موضوعيا وان اوضح آراء الاطراف المتنازعة ، او ما يمكن ان تكون اراؤهم فانني اعرف انني بذلك لم ارض لدى القارىء هذه الحساسية المانوية .. على حد تعبير البير كامي ، التي تقسم كل شيء الى خير وشر ومنتصر ومنهزم فلا بد من الانتصار لفريق دون آخر ، فيصادقني القارىء او يعاديني وهو احساس يرضيه فيكلتا الحالتين،ولكني ضحيتبارضاء رغبتهلاني وجدتان القضية ليست من اليسر بحيث ينقسم المتنازعون فيها الى فريق منتصر وآخر منهزم » .

وكان حريا به ان يذكر رايه بدلا من التزامـــه الموضوعية والحيـاد مضحيا بقارئه .. ذلك القارىء الذي اصبح لا يستسيغ مثل هذا العرض الذي يلتزم بحشد مجموعة من الآراء فقط .. ومن المعروف ان هـــذه القضية كتب عنها الكثير .

ان القارىء في هذا الجزء من الكتاب يجوس خلاله ليبحث عن بصمات المؤلف وشخصيته .. ولقد كنت انتظر من الاستاذ الشاروني ان يجتهد في ابداء رأيه مستعينا بتجاربه ككاتب قصة ويكون باجتهاده هذا قـد أضاف لبنة جديدة في بناء صرحنا الادبي .

القاهرة — ابراهيم عيسوي سعفان

●

١ ــ مخائيل نعيمة : الاديب الصوفي

تاليف ثريا ملحس ــ ٢٠٨ صفحة ــ منشورات دار صادر ، دار بيروت ــ مطابع دار صادر ودار بيروت ببيروت

٢ ــ القيم الروحية في الشعر العربي : قديمه وحديثه

تاليف ثريا عبد الفتاح ملحس ــ ٤٣٢ صفحة ــ حجم كبير ــ منشورات دار الكتاب اللبناني ببروت ــ (لم يذكر اسم المطبعة)

في اعقاب عام ١٩٦٤ زودت الكاتبة المبدعة الاستاذة ثريا ملحس خزانة الادب العربي بالاثرين النفيسين المذكورين في مستهل هـذه المجالة ، وتنويها بالجهد الذي بذلته الاستاذة ملحس في تصنيف هذين الاثريـن نرسل في كليهما كلمة حق وانصاف وحياد .

أ ــ مخائيل نعيمة : الاديب الصوفـي

كل من قرأ ــ مخائيل نعيمة ــ في سائر الكتب التي تناولت سيـرة حياته وادبه ، مدبجة باقلام متباينة الاهواء ، مختلفة النزعات ، عرفه

احرقوا جميع الكتب

فان في كتاب « جمهورية افلاطون » غني عنها جميعا

هذا ما قاله الفيلسوف أمرسون في الكتاب الخالـد

جمهورية افلاطون

ويضيف الفيلسوف الاميركي قائلا :

« عن افلاطون تصدر كل المسائل التـي ما زال المفكـرون والكتاب الى يومنا هذا يكتبونها ويتناقشون فيها ... ان كتبه هي توراة المتعلمين منذ اثنين وعشرين قرنا ... فسانت اغسطين ، وكوبرنيس ، ونيوتن ، وبهمن ، وسويدنبرغ ، وغوته هم كذلك مدينون له . هو الرائد وهم التابعون ، لانه مـن الانصاف ان ننسب الى هذا « المعلم العظيم » كل التفاصيل التي تستخرج من فلسفتـه ... افلاطـــون هو الفلسفة ، والفلسفة هي افلاطون . انه لمن مجد البشر ومن هونهم ان لا يستطيع سكسوني ولا روماني زيادة فكر واحد على مقرراته . لم يكن له زوجة ولا اولاد ، ولكن المفكرين في كل العالم المتمدن هم وارثوه المتسمون بسيماء عقله ... لقد طبعت كتـــب افلاطون كل مدرسة من مدارس التعليم ، وكل محب من محبي الفكر ، وكل كنيسة وكل شاعر ... واكثر ما يثير اعجابي « العصرية » الواضحة في روحه واسلوبه . ان فيه جرثومة اوروبا التي نعرفها ، بتاريخها ــ تاريخ اسلحتها وفنونها . انك تستطيع ان تتبين كل لذاتها ومميزاتها في عقل افلاطون ــ ولا تستطيع ان تتبينها في احـــد قبله ، لقد تفرغت هـذه العناصر ونزلت في مئات من مجلدات التاريـخ لكن عنصرا واحدا جديدا لم يضف اليها . ان هذه « العصرية » المتجددة هي مقياس العظمة في كل فن ، لانها تدل على ان صاحبها لم يفتر بشيء محلي ، زائل ، بـــل عني بالصفات الحقيقيـة الخالدة ... ما اكثر العصور التي كرت وهو لا يزال جالسا على عرشه لا يقاربه احد ؟ »

صدرت الطبعة الكاملة ــ الثمن ٦٠٠ ق.ل.

دار الكاتب العربي

للتأليف والترجمة والنشر

بيروت ــ بناية عمر الخيام ــ ص.ب ٣١٥٧

هاتف ٢٩١١١٨ ــ ٢٤٠٥٠٦ ــ ٢٤٠٥٠٧

من جانب وخفي عليه من جوانب اخرى ابرزها ادبه الصوفي .

والقارىء العربي المعني بادب المهجر عاش دهره مؤثرا فئة على فئة بداعي ان في عداد اولئك الرواد فرسانا حلقوا في لون معين من الوان ادب المهجر ندّ عنه الاخرون .

وظلت الناحية الصوفية في ادب ـ نعيمة ـ بلا دراسة عميقة الى ان هبت الاديبة الكبيرة الاستاذة ثريا ملحس الى التخطيط لدراسة شاملة مركزة ، فسلطت اضواءها على ـ نعيمة ـ وجلت الجانب الصوفي من ادبه بدراسة ذاتية مشرقة اتسمت باسلوب رصين وبعرض مشوق ، فاذا بالقارىء الذي عرف نعيمة انسانا شاعرا وفيلسوفا متاملا ، يجد فيه بعد قراءة هذه الدراسة الماتعة اديبا صوفيا ، فيقبل عليه بشغف ولذة ، ويلج هيكله ، ويمجد فيه شطحات الصوفيين واخلاقهم ونزوعهم الى عالم علوي !

والقارىء العربي الذي لم يحظ بعد بتلك الدراسة الماتعة سيظل في منأى عن ناسك الشخروب واسراره واطواره الى ان يستمتع بهذا الكتاب فيطل على جوانب علوية من جوانب الفيلسوف المتأمل الذي يفيض ادبه اشراقا ونورا ، ويضوع قلمه مسكا وبخورا .

ب ـ القيم الروحية في الشعر العربي : قديمه وحديثه

تعتبر الاستاذة ثريا ملحس الشعر فضيلة تتغنى بالقيم الروحية المطلقة، وفكرا وتجربة انسانيين ، وهذا الاعتبار ولد فيها رغبة البحث عن القيم الروحية في تراثنا الشعري القديم ، والاستقصاء عن تلك القيم في تراثنا الشعري الحديث منذ العصر الجاهلي الى عام ١٩٥٠ ، وسلخت في التنقيب عن تلك القيم الروحية عامين متتاليين قرأت خلالهما شوامخ الدواوين الشعرية تالدا وطريفا ، وتوفرت على مطالعة العشرات من مجموعات مجلاتنا الادبية الشهيرة ، واحاطت بالفكر العربي القديم ، لتدرك مدى ماهيته وتأثيره في الشعر العربي القديم ، محاولة بذلك فتح باب جديد في دراسة ادبنا المعاصر !

وقدمت ثريا لموضوعها الطريف فصلا صورت فيه الصراع بين المادة والروح في الفكر الانساني ، منذ كان ذلك الفكر حتى عصرنا الحاضر ، واشارت الى تأثير الفلسفات والتيارات الاجنبية في تقدير الادب وفهمه ، وحاولت ، وهي المسلحة بثقافة ممرعة ، ان تصور علاقة الادب بالفلسفة والعلم والدين ، وتظهر قيمة الادب من حيث هدفه الروحي والانساني !

ان موسوعة « القيم الروحية في الشعر العربي : قديمه وحديثه » هي اول لبنة في واجهة هذا المبحث النفيس ، وهو الاول من نوعه في ادبنا المعاصر ، ولقد حلقت فيه الاستاذة ثريا تحليقا قصر عنه الكثيرون من حملة الاقلام في البسيط العربي ، وجلت القيم الروحية والانسانية في شعرنا العربي على اختلاف عصوره ، وبهذا قدمت لادبنا المعاصر خدمة يذكرها الباحث المنصف بمداد الشكر ، وفتحت امام هواة الادب آفاقا فسيحة من التأملات النفسية ، والوجدانيات الصوفية ، وقدمت لهم باقات زاهية من الشعر الوجداني والفلسفي ودللت على ان في شعرنا العربي تالدا وطريفا ، قيما روحية ، وسورا علوية ، تشد المرء الى الملأ الاعلى وتفجر فيه انغاما صوفية يرتلها في حلقاته واسحاره ، وينشدها في خلواته واسماره !

أقف عند هذا الحد من الحديث عن هذه الموسوعة مكرها على الاجتزاء ورجائي ان يتاح للقارىء النابه الاستمتاع بهذه الموسوعة الفريدة ، والانكباب على فصولها ليرى اي اثر نفيس خلفته ريشة الاستاذة ثريا على ادبنا المعاصر !

وقبل ان امسح القلم اسجل في هذه العجالة كلمتين بريئتين يدفعني الى تسجيلهما التنويه بالجهد المشكور الذي بذلته المؤلفة في هذه الموسوعة الكبرى المباركة !

اما الكلمة الاولى : فاعتباري هذه الموسوعة خير كتاب صدر في مستهل عامنا الحالي ، واما الكلمة الثانية : فهمسة القيها في اذن الاستاذ سعيد عقل ليلقي نظرة على هذه الموسوعة النفيسة ، وانا على يقين جازم من ان جائزته سائرة الى الاستاذة ثريا تقديرا منه للجهد الذي بذلته في تصنيفها ، ولعل (ابن حلال) من قراء هذه المجلة الزاهرة يسترعي انتباه الاستاذ عقل الى اقتراحي المتواضع ليطلع بدوره على « مخائيل نعيمة : الاديب الصوفي » و « القيم الروحية في الشعر العربي : قديمه وحديثه » وانا الضمين بانه مقدر ادب الاستاذة ملحس التي تعمل في صمت وهدوء وتؤدي رسالتها في صدق واخلاص .

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم

●

ابن المعتز العباسي

تأليف الدكتور احمد كمال زكي ـ (؟) صفحة ـ العدد ٣٦ من سلسلة اعلام العرب ـ مطبعة مصر بالقاهرة

شاء الحظ ان يكتب الدكتور احمد كمال زكي عن « ابن المعتز العباسي » كتابا جديدا ، لم اطلع عليه الا منذ ايام قلائل ، بعد ان كتب الدارسون ما كتبوا من دراسات اصيلة ، تعد حجر الزاوية في فهم السيرة الشخصية والفنية لهذا المفكر الكبير .

وفي رأي الدكتور احمد كمال ان كل ما كتب عنه ، من مثل كتابي « ابن المعتز وتراثه » في طبعتيه : الاولى التي ظهرت عام ١٩٤٩ في نحو ٤٠٠ صفحة ، والثانية التي ظهرت عام ١٩٥٨ في اكثر من ٨٠٠ صفحة ، وما اضفته الى تراث ابن المعتز من جديد ، بنشري لاول مرة لرسائله ، وبتحقيقي لكتابه « البديع » ، ومما كتبه عنه الاستاذ الاهل ، والاستاذ الكفراوي ، في رأيه ان كل ذلك لم يخرج قط عن الفلك الذي قطعه الدكتور طه حسين في محاضرته عن ابن المعتز وشعره التي نشرت في كتابه « من حديث الشعر والنثر (ص ٥ ابن المعتز ـ احمد كمال زكي).

بل في رأيه ايضا انه ـ مع محاضرة الدكتور طه عن ابن المعتز ، وما كتب بعدها من دراسات حوله ـ بقيت سيرة ابن المعتز ناقصة ، ولذلك فقد كتب كتابه ليخرج بسيرة فنية لهذا الرجل .

ومع ان الدكتور احمد كمال لم يجهد نفسه في هذا البحث ، الذي وجد مراجعه ، ووجد نصوصه ايضا كاملة ومستوفاة في كتابي عن ابن المعتز ، فضلا عن كتاب اخر لي عنوانه « التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي » نشر منذ اكثر من ثمانية عشر عاما .. فاننا ننظر لنرى كيف كتب الدكتور سيرة فنية لهذه الشخصية الخالدة .

درس الدكتور ابن المعتز الشاعر في اربع صفحات من كتابه (٢٥٧ ـ ٢٦١) ، ودرس ابن المعتز الكاتب في ثلاث صفحات (٢٦٢ ـ ٢٦٥) ، ودرس اثره في البيان في صفحتين (٢٦٦ و ٢٦٧) ، وعرض لابن المعتز الناقد عرضا خاطفا اثناء الكتاب .

واعتقد ان الدكتور يوافقني على ان هذه الجوانب هي اهم ملامح شخصية الرجل ، فاذا كان قد استغنى عن دراستها بدراسة قصة حياته ، على نمط ما كتبته أنا في ايجاز في الباب الاول من ابواب كتابي « ابن المعتز وتراثه » ، فان ذلك يكاد يكون اخلالا شديدا بالسيرة الفنية لابن المعتز ، الذي اعلن في اول الكتاب انه سوف يمزج فيها بين التاريخ العام والحادثة والشخصية والنظر الداخلي (ص ٨) ، وانها تاريخ فني لم يقتحمه قط خيال (ص ٦) ، وانه خضع فيها لمنطق السيرة الفنية كما يحدده المتخصصون ، من امثال اندريه موروا وغيره (ص ٦) .

واعتقد ان السيرة الفنية لا يمكن ان تخطىء ابدا في حياة صاحبها ، ومع ذلك فان الدكتور ينص على ان ابن المعتز قتل عام ٢٩٦ هـ : ٩٠٩ م

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(ص ٣) . وارجو ان يرجع الدكتور الى كتاب حجة في مثل هـذه المواضيع ، مثل « التوقيقات الالهامية » ، ليرى ان اليوم الذي قتل فيه ابن المعتز ، وهو يوم الخميس ٢ من ربيع الثاني ٢٩٦ هـ ، يوافق ٢٩ من ديسمبر عام ٩٠٨ م ، لا عام ٩٠٩ م .

وكتاب السيرة الفنية لا يمكن ان يناقضوا انفسهم فيما يكتبون عن الشخصيات التي يتعرضون لدراستها ، ومع ذلك نجد الدكتور يخصص الباب الاول من كتابه لدراسة « الامير الرجيم » كما سماه ، ويخص فصلا من فصوله ، هو الفصل السادس ، بالكلام على هذا الامير الرجيم، ويقول عن ابن المعتز : انه كان يخدع النساء (ص ١٧) ، وانه أسلم قيادة للشهوة دون ان يخطىء الهدف (ص ١٧) ، وان شعره كله رصد فيه مجونه بلا خزي ولا شعور بالعار (٢٥٧) ، وانه كان على غير ما فطر عليه كل البشر (٢٢) ، ويسميه « الامير المتعطل » (ص ٣٣) ، وانه حين كان يلمح جارية او يشهد في الطريق مركبا لاحدى المحصنات يتجه نحوها بغريزة تتقد ، حتى لتنتفض اعراقه ويفقد عقله ، وهو لا يخجل من ذلك ، بل يصرح به في وقاحة نادرة (٤٨) ، ويذكر هوايته بالنساء التي كانت تقوى منه فحولته الشابة (ص ٥١ و ٥٢) .

ولا ادري كيف تسيغ السيرة الفنية مثل هذه الكتابة الصارخة التي لا تمثل ابن المعتز ، ولا عصره ، في قليل ولا في كثير . مع ذلك يناقض الدكتور في ذلك كله نفسه ، فيقول في ص ٢٦٤ : من السخف ان يفهم بأن ابن المعتز لم يعش الا للذته .

اية مناقضة غريبة في فهم الشخصية والكتابة عنها ، يمكن ان يقع فيها دارس بمثل ما وقع فيه الدكتور .

ومن تمام كتابة السيرة الفنية الا يقع الاستاذ الجامعي في خطأ لا يمكن تصور وقوع احد فيه ، ومن مثل ذلك ما يقوله الدكتور وهو يتحدث عن احداث عام ٢٩٦ هـ الذي قتل فيه ابن المعتز : « نحن الآن في عام ٢٩٦ هـ . ولم يعد هناك من يقرأ ابن المقفع ولا ابا حيان » (ص ٢٠٤) . واظن الدكتور نسي انه اذا جاز ان يقول ذلك عن ابن المقفع (المتوفي عام ١٤٢ هـ) ، فانه لا يجوز ان يقوله عن ابي حيان (التوحيدي) المتوفي عام ٤٠٠ هـ ، أي بعد عام ٢٩٦ هـ باكثر من قرن من الزمان ، لعل الدكتور كان يعتقد ان ابا حيان معاصر لابن المقفع ، ويجيء عام ٢٩٦ هـ ، فلا يوجد من يقرأ الرجلين .

وفي الكتاب يجعل الدكتور ابن المعتز قد « بلغ قمة النجاح » ، ولكن هو نجاح فحولته بطبيعة الحال كما يقرر ذلك الدكتور نفسه (ص ٦١)

ولعل ذلك تأكيد لمنهج الدكتور في كتابة السيرة الفنية ، هذا المنهج الذي لا بأس فيه من ان يستدل الدكتور على ان ابن المعتز كان يتعقب الجواري ببيته المشهور :

شغلي اذا ما كان للناس شغل دفتر فقه او حديث او غزل

وعلى بعد هذا الاستدلال ، فان الدكتور يجعل الغزل بعيدا عن معناه مرتين : الاولى انه يجعل معنى الغزل هنا تعقب الجواري ، والثاني انه يجعله بمعنى التغزل ، لا بمعناه الصحيح ، وهو شعر الغزل ، حيث يقول ابن المعتز : اذا كان للناس شغل فان شغلي هو القراءة والمطالعة في كتب الفقه والحديث وفي اشعار الغزل .

وبمثل هذا البعد في فهم شعر ابن المعتز ، الذي وقع فيه الدكتور وهو يكتب سيرة ابن المعتز الفنية ، انه يجعل هم الشاعر تعقب الفتيات والنساء في الطريق ، واذا لمح جارية او شهد مركبا لاحدى المحصنات اتجه نحوها بغريزة تتقد ، حتى لتنتفض اعراقه ويفقد عقله وهو لا يخجل من ذلك بل يصرح به في وقاحة نادرة كما يقول مستدلا على ذلك ببيت ابن المعتز :

جعلت عقلي لشهوتي عبدا وصار غيي عند الهوى رشدا

ولا ندري كيف يصح مثل هذا الاستدلال عند كتاب السيرة الفنية امثال الدكتور المؤلف .

وفي ص ١٥ من الكتاب يتحدث الدكتور في سطور معدودة عن قتل ابن المعتز وبكاء جاره العلوي عليه ، وانه خرج من الدنيا غريبا كما دخلها، ثم يقول : ان هذا العرض الخاطف يعطينا صورة عامة عن حقيقة هذه الشخصية التي يعرفها عصرها كل المعرفة .

ولا ادري : اي عرض هذا ، وكيف يعطينا هذا العرض صورة عامة عن هذه الشخصية ، فضلا عن حقيقتها . وفي ص ٩ يقول الدكتور ان فترة السنوات التسع (٢٤٧ ـ ٢٥٦ هـ) ، اي من ميلاد ابن المعتز الى مقتل ابيه ، هي التي شهدت مولد الشاعر واستوفت صباه . ولست ادري كيف يستوفي الانسان صباه في سن التاسعة ليرجع الدكتور الى علماء النفس في مثل هذه القضية .

واذا كان الدكتور لا يذكر اسماء الكتب التي الفت عن الشخصية التي يتناولها ، حتى ليسمي كتابي « ابن المعتز وتراثه في الادب والنقد والبيان » باسم « ابن المعتز في الادب والنقد والبيان » ، فان من الصواب ، الا ينسى تاريخ اهم الاعلام الذين عاصروا ابن المعتز ، مثل المبرد ، الذي يجعل الدكتور في هامش ص ١٣٣ وفاته عام ٢٨٦ هـ لا عام ٢٨٥ هـ كما هو الحقيقة .

والدكتور يتصور ان ابن المعتز في كتابه « البديع » « لا يستبعد ان يكون قد استعان ببعض شواهد كتاب الخطابة لارسطو بعد تعديلها وتغيير الاعلام فيها (ص ٢٦٧) كأن اللغة العربية ينقصها الشواهد الكثيرة على التشبيه والاستعارة والكناية وسائر الوان البديع . ولو كان الدكتور قد قرأ كتاب « البديع » لابن المعتز لعلم ان عدم استبعاد ذلك غير صحيح ، لان الشواهد التي فيه كلها من الشعر الجاهلي والاسلامي والمحدث ومن كلام البلغاء العرب من الجاهلية حتى عصر ابن المعتز ، ولم يستشهد فيه ابن المعتز بشيء لنفسه الا ببعض ابيات قلائل لم ينسبها الى قائلها غالبا . وكان من تمام السيرة الفنية ان يقف الكاتب على الاقل على كتب الاديب الذي يترجم له .

والدكتور حين يعرض لكتاب « البديع » يؤكد ان ابن المعتز قد أخذ بعض مصطلحاته من كتاب الخطابة لارسطو ، (ص ٢٦٧) ، دون ان يرجع الى كتاب الخطابة نفسه ولو في احدى ترجماته ليؤكد هذا الحكم او ينفيه ، وفي هامش الصفحة نفسها يقول : « يقرر الدكتور مندور في

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

مذكرات الملك عبد الله

الاعلام والدولة لحسن الحسن

وتجدون فيها

اكمل نوعية في الكتب العربية القيمة



ظهر حديثاً

● قوت الارض والقوت الجديد ـ تاليف اندريه جير ـ لم يذكر اسم المترجم ـ اشراف ومراجعة الدكتور شكيب الجابري ـ ٢٤٠ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطبعة منشورات عويدات ببيروت .

● الهندسة والمهندس في تقييم الهندسة والمهندس ، الهندسة الادارية والمهندس الاداري ، المهندس والعلاقات الانسانية ، التعليم الهندسي في البلاد العربية ـ تاليف المهندس محمود الشكرجي مدير المكتب الهندسي للدروس والانشاءات ببيروت ـ ٣٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات عويدات ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الناعقون ـ رواية ـ تاليف بلزاك ـ لم يذكر اسم المترجم ـ قدم لها وراجعها الدكتور شكيب الجابري ـ ٣١٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطبعة منشورات عويدات ببيروت .

● مكتبة المثنى : لصاحبها قاسم محمد رجب ـ الفهرست السابع ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م ـ تقديم كوركيس عواد مدير مكتبة المتحف العراقي ـ ٥٦٤ صفحة ـ مطبعة شفيق ببغداد .

● المدار المغلق ـ مجموعة شعرية ـ جبرا ابراهيم جبرا ـ ١٤٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ببيروت ـ مطبعة قلفاط ببيروت .

● اوروبا امس واليوم ـ تاليف المحامي فتح الله الصقال ـ تقديم محمد عبد الغني حسن ـ ٣٠٠ صفحة حجم كبير ـ مع عدة صور ـ هدية مجلة الكلمة لقرائها ونصرائها ـ مطبعة الضاد بحلب .

● روما وامبراطوريتها ـ المجلد الثاني من « تاريخ الحضارات العام » ـ تاليف اندريه ايمار استاذ في السوربون وجانين اوبوايه امينة متحف غيمه ـ ترجمة يوسف اسعد داغر وفريد م . داغر ـ ٨٦٦ صفحة ـ مع عدة رسوم ولوحات تاريخية ـ وجدول زمني مقارن وجدول للاعلام ـ حجم كبير موسوعي ـ منشورات عويدات ببيروت ـ دار الارشاد للطباعة ببيروت .

● مآرب اخرى ـ مجموعة قصص ـ تاليف ناشد سعيد ـ ٢٤٠ صفحة ـ منشورات دار الثقافة بدمشق ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● مباحث في الادب الشعبي ـ تاليف عامر رشيد السامرائي ـ تقديم الشيخ جلال الحنفي ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد العراقية ـ مطابع شركة دار الجمهورية للطباعة والنشر ببغداد .

● الحركة المسرحية في العراق ـ تاليف احمد فياض المفرجي ـ مراجعة امل جواد حسن ـ مصمم الغلاف شوكت الربيعي ـ خط العناوين بريشة احسان ادهم ـ ٨٨ صفحة ـ مطبعة الشعب ببغداد .

● الموشى او الظرف والظرفاء ـ تاليف ابي الطيب محمد بن اسحق بن يحيى الوشاء ـ تقديم كرم البستاني ـ ٣١٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار صادر ودار بيروت ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الخبز في دير الزور : صنعه وانواعه وما اليه من عادات ومعتقدات وامثال واغنيات ـ تاليف المحامي عبد القادر عياش ـ ١٠٦ صفحة ـ المطبعة السليمية بدير الزور سورية .

● آثار الاردن ـ تاليف لانكستر هاردنج ـ تعريب سليمان موسى ـ راجعه وتحرى ما فيه من حقائق : ذوقان الهنداوي ، محمود سليمان العابدي والدكتور محمد حسين علي ـ ٢١٨ صفحة ـ مع عدة لوحات ثرية ـ حجم كبير ـ منشورات اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر ـ اخرجته مجلة « رسالة المعلم » ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● اصداء حب ـ رواية ـ تاليف ميشال موسى ـ تقديم جورج سلستي ـ ٢٧٠ صفحة ـ منشورات دار اعلام الفكر ببيروت ـ مطبعة قلفاط ببيروت .

كتابه « النقد المنهجي » انه اطلع على ترجمة حنين بن اسحاق لكتاب « خطابة ارسطو » بمكتبة جامعة القاهرة ، وذلك يدل على عدم اطلاع الدكتور عليه ، وهو في مكتبة الجامعة على مقربة منه ، ولقد رايته عام ١٩٤٠ في مكتبة الجامعة اثناء دراساتي لكتاب البديع لابن المعتز .

وفي ص ١٨ يذهب الدكتور الى ان ابن المعتز نفي مع امه وجدته الى مكة بعد مقتل ابيه ، ونفي جدته معلوم دون نفيه هو وامه ، وكان سنه اذ ذاك نحو الثماني السنوات .

واسلوب الكتاب بعد ذلك كله يشتمل على كثير من الابتذال والاخطاء الفنية التي كنا نحب ان يجنب الدكتور كتابه اياها ، ومن مثل ذلك :

ـ لم يكن هكذا طوال نصف الدهر الذي عاشه (ص ١٥) ، واستعمال الدهر في القرن غير مألوف .

ـ راحت جدته ـ بما ملكت من اموال ، وبما كانت امه تاخذه من المعتمد الذي اصدر امره لعفو عنها ـ ان تؤدبه (ص ١٨) . ومع ان امه لم تكن موضع عقاب ولا عفو ، فان قول الدكتور « ان تؤدبه » من الاخطاء البدهية التي لا يمكن ان يقع فيها امثاله من الجامعيين .

ـ ابن المعتز اولى بتسود البيان (ص ١٠٨) .

ـ الحياة اكبر من ذلك واعقد (١٧٤ والصحيح : واشد تعقيدا .

ـ مجالات فوضى قمد الاتراك على اطلالها وايديهم تقطر بالدماء (١٧) .

ـ كان يستقبل سنواته الاولى بشر عظيم (١٨) .

ـ قد يكون مغامرا خسيسا الى يوم او الى ساعة او لحظة ، ولكنه لا يعدم بعد ذلك ان يكون طيبا رزينا (٢٢) .

ـ كان ابن المعتز في ذلك الحين ياكل الفاكهة الفاخرة بمثل الاستهانة التي يبتلع بها العامة حبات التمر والشعير (١٨ و ١٩) .

ـ كان ابن المعتز نباتا طفيليا في دنيا القصور (١٦) .

الى اخطاء مطبعية كثيرة ، من مثل : ابو احمد العباسي بن الحسن (١٠٨) وصحته : العباس ، ومن مثل : اطل نهاري (٤٢) وصحتها : اظل ، ومن مثل : ويا لامل الذي يراوجه (٢٥٧) وصحتها يراوحه .. وذلك كثير جدا .

وارجو ان يتقبل الدكتور كلمتي هذه بقبول حسن ، وله مني عظيم التقدير .

البيضاء ـ ليبيا — محمد عبد المنعم خفاجي



الدكتور محمد حاج حسين

الجفاف الفني

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

مأساة الفنان تبلغ ذروتها عندما تخمد جذوة الفن فيه ، ويكف عن الابداع الفني ويلف ويدور محترا نفسه ، مكررا ما سبق ان فاض منه ، فلا عجب اذا رأينا عبقريا مثل همنجواي ينتحر عندما احس ان معينه الفني نضب ، وافتقد في نفسه تلك القدرة السالفة على الابداع ، فاذا بها حاقدة هامدة لا تسري فيها تلك النار القدسية التي كانت تسمو بانتاجه الى افق يمور بالعبقرية .

والفنان الاصيل بطبيعته نزاع الى الكمال الفني ، فهو لا يكف عن التطلع اليه مهما كان عسير المنال ، صعب المرتقى فروحه اليقظة تدفعه اليه دفعا مضحيا بكل شيء حتى يصل اليه ، واذا اقترب منه ، واقبل الناس على انتاجه يجدون فيه اشواقهم ونفوسهم ، وانتفضت فيه حياتهم بكل افانينها بذل جهدا جبارا ليحتفظ بهذا المستوى الذي بلغه ، فامنيته تتركز دوما في التفوق الفني ، وهو يطلب المزيد من هذا الابداع ، فاذا جفت قريحته ، وتنكر له الفن حطمته المأساة ، ولاعه اليأس ، واحس بهذا الاسى الرهيب الذي يجعل حياته تافهة لا تحمل اي معنى ، فحياته تتركز في هذا الابداع الذي جعله هدفه في الحياة لانه يرضي حاسته الفنية ، وبالتالي ينعم في سعادة رضية لا يعرفها الا كل من فرغ من عملية ابداع فني ارضى بها نفسه ، وارتاح لها وجدانه .

والطبيعة البشرية قاصرة عن بلوغ الكمال الفني ، ولكن الفنان نزاع اليه ، همه ان يدنو منه ، وحياته لا غناء فيها ان لم يبلغه ، فهو يضحي في سبيله بكل شيء ، يكد وراءه ليتصيده ، ويتبتل في محرابه ، واحيانا يواكبه الحظ ، فيبدع اثرا فنيا يسمق الى الذروة ، فتصفق له الدنيا وتحدجه الشهرة ، ويحاول ان يحافظ دوما على هذا المستوى الرفيع ، او يتخطاه مدفوعا بقوة لا قبل له بها ليتفوق في أبداعه حتى اذا هبط عن مستواه ، اقبل النقاد على آثاره يجرحونها ، استبد به اليأس واستحالت حياته الى ظلام . والواقع ان الفنان اكثر الناس فهما لانتاجه ولهذا تسحقه المأساة عندما يكبو ، فيعمل لاستعادة مجده الغابر ، وكثيرا ما يتعثر ، ويهبط عن مستواه الذي عرف به .. وتمضه الحسرة ، وتند منه الانغام الفاجعة على هذا المصير السيء الذي آل اليه ، ولا يستطيع انسان ان يتصور هموم الفنان البالغة اذا ما شاء الحظ العاثر ان يؤدي به الى هذه النتيجة .

ورب قائل يحلو له الزعم ان الفنان لا يرى ناحية الضعف في انتاجه ، فعيناه معصوبتان بغشاوة صفيقة تمنعانه من النفوذ الى آثاره ، وتقديرها حق قدرها ، فهو لا يرى ناحية الضعف فيها ، وذلك لان انتاجه حبيب اليه ، اثير على قلبه ، لانه فلذة منه قبضته من روحه ، صب فيه خلاصة اعصابه ، وسكب فيه دمه ، ولهذا يرى كل ما يفيض منه يسبح في روعة باقية . والحق ان هذه النظرة سطحية ، لا تنفذ الى اغوار الحقيقة ، وقد تصدق على الفنان المتوسط .. أما الفنان الاصيل ، فهو يدرك ادراكا واعيا قيمة انتاجه الفني ، ويحاسب نفسه عليه حسابا عسيرا ، فاذا تجانف عنه الابداع الفني ، وابتعد عن الكمال المنشود شعر به شعورا اكيدا ، لانه ـ بطبيعته ـ ناقد يدرك الجمال الفني بحاسته الفنية التي لا تكاد تخطيء ، فيصلى العذاب ، ويغريه الشقاء ، ولا يستطيع ان يخلد الى مجده السابق الذي اثله بعبقريته ، فدائما يطلب المزيد ، فعند ميلاد كل اثر فني يتوخاه انضر واقوى من اخيه الماضي ، لانه لا يتطلع الى الماضي ، بل يرنو الى الحاضر ، والمستقبل ، فهو يريدهما اكثر وضاءة والهاما ، فالعالم الذهبي يكمن في انتاجه الجديد . هذه هي طبيعة الفنان الموهوب لا يقدر ان يحيد عنها قيد انملة فهدفه التفوق في كل اثر يبدعه ويسعى اليه بكل ما حباه الله من قوة ودفع والهام . والفنان مستعدا ان يضحي حياته في سبيل فنه ، فحبه لفنه سرى في دمه ، واصبح الرابطة الوثيقة التي تشده الى الحياة ، وتجعله يتشبث فيها ، وكل ما عداه ثانوي بالنسبة له .

والفنان المبدع يساوره الخوف باستمرار من هذا الجفاف الذي يئد شعلة الالهام فيه . واذا فقد ثقته بنفسه اضطرم به اليأس القاتل ، وتناوشته الارزاء ، فالثقة في النفس عماد الفن ، ولا يمكن للفنان ان يقر وتهدأ بلابله الا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اذا انطلق في عالم الابداع قوي الايد ، ملتهب الروح حتى اذا ما تنكرت له الاصالة الفنية سهل الموت في نظره ، فعماد حياته فنه ، وهذه الحياة نفسها لا معنى لها الا اذا كانت وقودا لهذا الفن حتى يبلغ الذروة التي يتوق اليها .

لقد كان جوتيه يتلهف على ان يموت ، وهو في شرخ شبابه كما مات صنوه شيللر، وفي اعتقادي ان هذه الامنية لا ترجع الى رغبة الشاعر العبقري في ميتة رومانتيكية تحف به في ريق الشباب لتكون أبلغ أثرا في الذكرى . كما حدث لشيللر ، بل هي تحمل في طياتها معنى بعيدا قد يكون راجعا الى أن شيللر قد مات ، وهو في اشراق عبقريته ، لم يعرف انتاجه الجمود والخمود . فهل ثمة مانع يحول دون جوتيه والتلهف على هذه الميتة ، وعبقريته في شبابها وتوقدها ؟

الا يخشى كل فنان في اعماقه هذا الجفاف الفني الذي ينحدر اليه ، فيفله عن الابداع ؟ ويخيل الي انني لم اذهب بعيدا في حدسي رغم ان عبقرية جوتيه ظلت محتفظة بعنفوانها المشبوب حتى آخر حياته .

ان الفنان يكتنه نفسه اكثر من الاخرين ، فهو يعلم موسم الاخصاب والتدفق فيه ، كما يدرك موسم الجفاف الذي يذبله ويذويه ، فنفسه كتاب مفتوح امامه يقرأ فيه اسرارها ، ويتبين سرائرها .. وهو عندما يحس نذر الجفاف لا يستسلم اليه ، بل يحاول ان يتفاداه ويسحقه ، فينكب على الانتاج الكثير احيانا ليقنع نفسه والناس بأن معينه الفني لم يجف ، وكثيرا ما يبوء بالخيبة ، ولكن هذه الخيبة لا تقعده عن مواصلة الكد في سبيل انتاج افضل واروع ، فهو متشبث بفنه لا يريد أن يضحى ظله ، او يبدو عليه التهافت .. ولكنه ـ لسوء حظه ـ لا يستطيع الابداع ، فالجفاف قد هيمن عليه ، واحال قريحته الى جدب ، وحيويته الى جمود ، وفنه الى اجترار .. واملـه الى يأس مظلم ... وها هو يرى ازدراء القراء عنه ، وهجمات النقاد تلسعه .. وهل لحياته معنى بعد هذه الكارثة الماحقة ؟

وهذا سنكلر لويس ـ الروائي الاميركي الشهير ـ عندما نال جائزة نوبل عام ١٩٣٠ قال في خطابه الذي القاه في اكاديمية السويد بهذه المناسبة انه يحس انه بلغ من السن مبلغا لا يستطيع معه ان يسهم في دفع عجلة الادب الاميركي الى الامام كما يعمل ادباء الشباب المبدعون كهمنجواي ، ووليم فولكنر ، واضرابهم من الشباب النابغ الذي شق طريقه في عالم الابداع .. وعاش بعدها عشرين عاما لم يكف لحظة عن العمل الجاد ، والتأليف المستمر ، ولكن ـ لسوء الحظ ـ قد ادرك الجفاف الفني ، فلم يستطع أن يبلغ المستوى الفني الذي بلغه في روايتيه الشهيرتين بابيت ، والشارع الرئيسي ، فانتاجه قد هوى ، وفقدت عبقريته بريقها الذي جعله اول كاتب في اميركا ارسخ جذور الرواية الاميركية وجعلها تخرق الحدود ، وتصبح عالمية .

والواقع أن مأساة هذا الكاتب لا حد لها ، فقد لمع اسمه حتى اضحى اكبر كتاب اميركا ، ثم هوى من شاهق الى الحضيض ، واليوم ، وقد مضت على وفاته سنوات قليلة يكاد لا يذكره احد ، فالنقاد اهملوه ، ووجدوا فيه كاتبا من الدرجة الثانية ان لم تكن الثالثة ، وهكذا هوى النسر من قنة الجبل مهيض الجناح ... ومأساته بلغت ذروتها عندما اخمد الجفاف جذوته المتقدة .. ورغم الاربعين كتابا التي الفها ، ولاقت رواجا منقطع النظير صهره النقد ، واحاله الى هباء .

والحق ان الانتاج الفني لا علاقة له بالشهرة ، فهنالك كثير من الفنانين الاصلاء ازور عنهم معاصروهم ، ولم يحظوا بالمجد الذي يستحقونه ، ثم جاءت الاجيال التي اعقبتهم ، ففهمتهم ، واعطتهم حقهم ، واصبحوا خالدين يقبل عليهم الناس في تجلة وقداسة ، كما ان كثيرا من الفنانين نالوا شهرة زائفة ، وحفيهم المجد من كل صوب ، ثم غربلتهم الايام ، واصبحوا نسيا منسيا فلا يبقى الا الانتاج الاصيل ، فهو وحده الذي يصمد للزمن واحيانا كثيرة تعمل ظروف خاصة في رفع اسم فنان الى الاوج ، بيد ان هذه الظروف سرعان ما تتبدد ، ولا يبقى سوى الفن الخالد . والامثلة على هذا لا تحصى ، ويكفي ان نتذكر روديارد كبلنج الذي كان يعد اول شاعر في انجلترا ، وها هو الآن يتراجع الى المرتبة الثانية بعد ان خف البريق الذي كان يحيط به كشاعر الامبراطورية البريطانية .. وها هو سومرست موم الكاتب العالمي الذي لم يلاق كاتب ما لاقاه من مجد وشهرة وثراء بسبب اقبال الناس على انتاجه الخصب ، ومع هذا يرى فيه النقد قصاصا عاديا موفقا ، عرف كيف يفهم نفسية الجماهير ، فيقدم لها غذاء شهيا راق لها ، ورغم هذا لا يسمو الى مرتبة القصاصين العباقرة الذين حلقوا في سماء الابداع .

ولا بد لنا ان نتساءل .. هل تشيخ العبقرية ؟ والواقع يدلنا على انها قد تشيخ وتهن وتتبدد ، وتخونها القدرة على الخلق الفني ، ولا تحتفظ بقوتها ، وفتوتها الا اذا بلغت مبلغا عظيما من القوة والمضاء ، والملاحظ ان العباقرة الذين يستطيعون المحافظة على مستوى انتاجهم الرفيع هم قلة ، ومن هنا جاء تكرار الفنان لنفسه حتى قيل ان العبقري لا ينتج سوى كتاب واحد في حياته وانتاجه الآخر ليس سوى تكرار له ، والواقع انه من المستحيل الا يكرر الفنان نفسه ، بل نذهب الى اكثر من هذا ، فمن الصعوبة بمكان ان يحافظ على مستوى هذا التكرار ، فسرعان ما ينهار ، وتخبو عبقريته .

ان الابداع الفني أمر عسير ، صعب المنال لا تبلغه الا القلة الممتازة من افذاذ الفنانين الذين همست العبقرية اسرارها في ارواحهم الظميئة الى الجمال والخير والحق ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومما لا مراء فيه ان العبقري يبذل جهودا مضنية في كل أثر يبدعه ليتفوق به ويسمو ، ولكن طبيعة الاشياء تحتم عليه الا يبلغ ما يريد .. وهذا فيكتور هيغو رغم عبقريته المضيئة اجمع النقاد على القول ... أن ادبه سيظل خالدا تقرأه الاجيال ، ولكن هذه القراءة ستقتصر على مختارات من ادبه المتعدد الالوان ، هذه المختارات التي توهجت فيها عبقريته ، وحافظت على مستواها الفني الرفيع ، اما الكثرة من آثاره ، فلن تصمد للزمن ، وسيصيبها الذبول والفناء .

لقد حاول الباحثون تفسير عملية الخلق الفني ، ومعرفة اسسها النفسية ، ورغم ما اتوا به من اراء صائبة قامت على الدراسة والملاحظة الدقيقة للفنانين ، غير انهم — في الحق — لم يستطيعوا ان يفسروا هذه العملية الخارقة تفسيرا صحيحا تطمئن اليه النفس ، فاكتناه سرهاالعويص صعب المرام ، لانها عملية معقدة ، ولا نملك امامها سوى العجز .. لنفرغ الى القول انها هبة من الله تعالى يخص بها بعض عباده الممتازين ليريقوا على الدنيا الجمال ، وينشروا فيه الخير والحب ، ويسفحوا على الانسانية هذا الابداع الذي يدفعها قدما الى حياة تترقرق فيها العذوبة والنقاء.

ومعرفة الاسباب التي تؤدي الى جفاف هذه العملية العسراء ونضوبها مسألة اكثر غموضا والتواء وتعقيدا ، فليست هنالك مقاييس علمية دقيقة لمعرفة هذه الاسباب. لماذا يعتريها الخمول ، ولماذا يذويها الفناء ؟ لم لا تزيدها الايام نضجا وقوة ، وتترعها بهذا اللهب القدسي الذي يؤججها حتى تحافظ على مستواها الرفيع ؟ اسئلة عويصة لا نستطيع الاجابة عليها اجابة شافية . وكل محاولة لتفسيرها ، لا بد ان تبوء بالخيبة ، فنحسن امام مأساة العبقرية في شموخها وسقوطها في كل زمان ومكان .

ومنذ القدم ، والناس حيارى في ادراك هذه العملية ، فاليونان ردوها الى ربات الشعر الذي صورهن هوميروس يغنين للالهة صحبة ابولون اله الشعر ، وذكر الشاعر هزيود انهن بنات زيوس اله الالهة ، وان عددهن تسعة . وهكذا علل اليونان عملية الخلق الفني بقوى خارقة ردوها الى زيوس ، ثم الى ديونيزوس اله الخمر ، قبل ان يهتدوا الى ابولون . وحاولت الفلسفة ان تدرس هذه العملية ، ولم تأت الا بافتراضات وهمية لا تستطيع ان تنير سرها الغامض ، فأفلاطون يرى ان الشعراء تستحوذ عليهم الشياطين ، فهي تلهمهم روائعهم ، ويجمعون انغامهم الشعرية من اودية ربات الشعر ، فارواحهم تطير اليها ، وترتادها وتقبس منها هذا الالهام الذي يفجر النغمات العذاب على السنتهم ، وكذلك فعل الرومان متأثرين باليونان الذين تتلمذوا لهم ثقافيا فالآلهة هي التي تنفث الشعر الرائع على لسان الشعراء .. انه الهام يأتي من عالم بعيد . واكتفى العرب بعبقر ارض الشياطين الذين يلقون الشعر في روع الشعراء ، حتى انهم سموا شياطين بعض الشعراء ، واختلقوا القصص التي تروي هذه الصحبة بين الشاعر وشيطانه ، وحددوا شيطاني الشعر الجيد والشعر الرديء ، وهما الهوبر والهوجل ، وظلت هذه الافكار مسيطرة على شعراء العرب حقبة مديدة من الزمن .. فالالهام الذي يأتي من عالم بعيد هو النار التي تؤجج عملية الخلق الفني ، والشعراء تتملكهم رؤى بعيدة هي التي تنفث على السنتهم الشعر .

وفي القرن التاسع عشر يتحدث كثيرون من الشعراء عن هذا الالهام ، ففيكتور هيغو يؤكد انه عندما ينظم شعره تتراقص امامه على الورق كائنات لطيفة في نهاية الرقة والجمال ، فهي التي تفجر ينابيع الشعر في اعماقه ، ووليم بلايك الشاعر الانكليزي الصوفي يحدثنا بانه عندما كان يذهب الى الغاب ليبدع شعره في حضن الطبيعة كانت مخلوقات لطيفة ذات اجنحة ذهبية تقفز على افنان الشجر تجاذبه الحديث . وكثير من الشعراء الملهمين ذهبوا الى هذا الالهام البعيد . وفي رأيي انهم صادقون في دعواهم ، ففي غضون الانتاج الفني يغيب الفنان عن وعيه ، وتنتقل روحه الى عالم بعيد ، فهو ينفصل عن واقعه ليعيش بكليته في الجو الذي يبدعه ، ويندمج فيه حتى لا يحس بوجوده، ويتعذب في تنسيق فنه ، فلا غرو اذا خيل اليه ان هناك كائنات لطيفة يراها تجاذبه الكلام ، وتهمس في قلبه الالهام ..

وحاول العصر الحديث ان يدلو بدلوه في تفسير عملية الابداع الفني ، وعصرنا يتسم بالروح العلمية ، فلا يعترف بالآلهة والشياطين ، وشجب عملية الالهام التي تأتي من عالم بعيد .. ورأى ان هذه العملية المعقدة لا تبدأ مع الفنان عندما يحاول الابداع ، فهي تبدأ قبل ذلك بكثير ، تعيش في اعماقه وتنسج خيوطها الدقيقة في وعيه ولاوعيه حتى اذا نضجت وحان ميلادها تساقطت على الورق كما تتساقط الثمرة الناضجة ، والباحثون يردونها الى تفسيرين اجتماعي ونفسي ، فاصحاب المذهب الاول يعللونها بالمجتمع فليس الفن سوى تمثيل لنزعات الناس وتقاليدهم ، فهو يجسم طابعا حضريا معينا ، والمذهب الثاني يرى انها عملية فردية يمكن تفسيرها اذا عرف الباحث بما سبق الابداع من قراءة ومشاهدات وتأملات لدى الفنان ، ومدى المشكلة التي تعيش في ذهنه .

وهكذا نجد ان كل تفسير لهذه العملية مهما بلغ من السعة والعمق لا يمكن ان يبدد هذا الغموض الذي يكتنفها . وكما اننا لا نستطيع سبر غور هذه العملية كذلك لا نستطيع ان نفهم مأساة الفنان في هذا الجفاف الذي يبعده عن الاصالة فليس هنالك ضربة يتلقاها الفنان مثل هذه الضربة القاضية التي تجعل قريحته كليلة ، وجذوته خامدة ، وتحيل حياته الى جحيم ، بل تقضي عليه بالموت .

مكة المكرمة **محمد حاج حسين**

في عيدها

في عيدها كانت سمائي تبرق
وكان همي يطرق
يمتد حول الارض مع روادها
حاموا وراء المركب
لو اوقفوا .. لو ضيقوا
لو اوماوا .. لو اصعقوا
والموت ذاك الارعن
قالوا الدنى بلا مدى
ونحن جوف نطرق
نمشي بلا قلب بلا آمالنا
نقتات دودا مالنا
اجوافنا دمارنا
والارض تلك الجانحه
وتخلـق
من فوق حرف كالعصا
لا ماء فيه ولا رؤى
يا قبرها يعاوه زهر يعبق
فيه الصدى يعاو ودوما يأرق
ينهار صرح يخفـق
صـوت خبـا
وبيتنا برد صقيع ضيق
كأرنب لف الاذن
فـي الزاويـه
كنقطـة
صفر وصفر يابس لا يخاق

في عيدها كانت سمائي تبرق
وكان همي يطرق
حكاية قصيرة
كحبة ملفوفة بلا ازل
كلفتة تجر من ورائها اعلى الثقال
تجرها .. تجرها
وتحفـر
تلوي يدي وأبحث
عن عشبة حيرى المنى
لأنقيها باليـد
لكـن يـدي
اصابعي بلا يـدي
ودربنا اشواكنا
حياتنا كموتنا لا نشهق
وانملي جبالنا
يدي اخدرار كالامل
عيني يدي
يـدي قدم
كلعبة معجونة لا تورق
لم تنهها يد الاجل
من صنع امي هيكلي
لوني ورأسي والعقد

في عيدها كانت سمائي تبرق
وكان همي يطرق
أدافع ..
أدافع ..
أصد عنها ملتقى
من الـردى
في جولة من اجلها
أصد عنها حكمه
وأحدس ..
وأهـدس
وأنحني ...
أمي فلن يرضى سواها بيتنا
ففاشم حكم الذكر
وساذج مثل القمر !
كالطفل يقتات الضرر
وكالحجـر

ثريا ملحس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نظير زيتون

ابو الحسن محمد علي الطاهر

بقلم نظير زيتـــون

* * *

قلم ذهب . ومداد لهب . وخلق عجب . وحرف عربي النسب ، زكي الحسب . مضري الغضب . اصيل الادب . وجهاد مصصل ذو لجب . يمت الى المروءة بالف سبب . صاب عنيد لا يأخذه فتور ولا وصب . فما تأرج الوفاء الا كان له به العبير واللقب ، وكان له بالفضـــل المسماح مـــا يغني عن النشب ، وكان له بالتضحية الملى منتهى الارب ، وخير ما أحتسب ..

سلخ الخمسين والستين في مقارعة الاستعمار . يصليه حربا حروفها من نار . حروف كمضاء المهند البتار . في كف عملاق جبار . ينهال به ذات اليمين وذات اليسار . دفاعا عن الحرية والاحرار . وحفاظا على قداسة التـــراث العربي الزهار . من عبث الطغاة الاشرار . لا يثنيه وعـــد مكار . ووعيد غدار . ولا يفت في عزمه سجن وتشريـــد واسار . بل يمضي قدما بايمان راسخ لا يزعزعـــه رعـــد واعصار . ولا يتطرق اليه شك وعثار . والايمان عناد نير واصرار . ومنار تهتدى به البصائر والابصار . وسيف لا ينبو في كف المكافح المغوار ..

سلخ الخمسين والستين في النضال القلمي النبيـــل ، ومكافحة الاستعمار الوبيل ، ومجادلة السياسي المشعوذ العميل ، والوطني الزائف الدخيل . مضحيا في بذل جزيل متفانيا غيورا كأنه وصي وكفيل . مرتلا رسالته الحرة اوقع ترتيل ، ابيا كريما في سراوة خلق اصيل . وندبا منجادا في مروءة همام أثيل . واذا « دار الشورى » في القاهرة موئل حفيل ، وظل ظليل ، ومربع خليل وسلسبيل ونخيل ، وكأنها حرم بجيل ، يرد الطرف وهو كليل ، فهي للاحرار والمضطهدين حمى وسبيل . وهي للمستنيرين علم ودليل ، وهي للحرف العربي زيت وقنديل . وهي للوطن العـــربي قرآن وانجيل ..

وكم « للشورى » في سبيل الحريـــة والاحرار مـــن صولات وجولات . وكم لها من صفحات مشرقات . فهـــي طورا نسيمات ونفحات وبسمات وعندلات . وتارة صيحات وصرخات . ونيران مشبوبـــات . وحـــروف عاصفات . وبركان يقذف الحمم المتسعرات ، وللحق غضبـــة تهـــز اقلاع المستعصيات . وللحق صولة متأججة الوثبات . مجلجلة النبرات ، وللحق ثوره على الباطل ، وان مدججا بالحراب والبندقيات ، والدبابات والطيارات . والاساطيل الماخـــرات ..

وكم « للشورى » من موقف رائع اللفتـــات . جـــريء اللمحات . نافذ النظرات . متعالـــي الجنبات . في اياد بالصوارم مفرورقات . وعيون ترقرقت فيها للمودات آيات وآيات . وسواعد مضطرمة النبضات . تجردت لدفـــع الظلامات ، ونصرة الحق في زحمة الشدائد العاتيات ..

ولقد خاض ابو الحسن على صفحات «الشورى» معارك قومه قطرا فقطرا ، من المغرب الى الجزائر وتونس وليبيا ومصر وفلسطين وسورية ولبنان والعراق ، وشبه الجزيرة العربية من الخليج العربي شرقا الى البحر الاحمر جنوبا ، فبحر الظلمات غربا . خاض معاركها مقداما غـــير هياب ، يـــوم كان الاستعمار وحشا اسطوريا بمئـــين الرؤوس والاذناب . مشحوذ الاظافر والانياب . يتقيأ النار والحديد في تنعاب الغراب ، وقد ارتمى بكلاكله على صدور الشعوب مزمجرا زمجرة الغلاب ، يمتص ما ساغ ويلتهم ما طاب . وكأنه قدر في كتاب . وشيطان في محراب ، فما تهيب ابو الحسن ولا لانت شكيمته ، بل هب هبـــة الغضاب ، يناقشهم الحساب ، مناضلا جسورا في حرفه الوثاب . وايمانه العربي الهياب ..

ولقد ترصدوه وتربصوا به وسلبوه عيشه الرحراح . فكانت له جراح . تفتحت عن حروف فصاح . وكانت له انراح ، هي في مغزاها افراح . ولقد سقوه من التعذيـــب والتسهيد ثمالة الاقداح . وزجوه في غياهب السجـــون كمجرم سفاح . وهو الكريم الندب المسماح . وامعنوا في البغي لعلهم يطفئون نور ذلك المصباح ، ولعلهم يخنقون ذلك الصوت الحر الملحاح ، وما دروا ان ليل الظلم مهما يطل فلا بد ان ينجلي عن صباح ، وان للحرية والقومية والانسانية ايمانها الوضاح ، وزندها النفاح ، ونشيدها الفتاح ..

وكان اذا انلت من براثنهم ، بثوا عليه العيون والارصاد.

ونصبوا له حبائل الصياد . فيعمد عندئذ الى التمويه والخديعة ، متنكرا في زي حبشي حالك السواد . او في عمامة شيخ ولحية وجبة ، وخطى اعتزاز واعتداد . او في شكل صعيدي نشيط ممراح تلعاب حديد الفؤاد . او في متشرد متسكع تشف اسماله عن امجاد واحقاد . او في اعرابي جحجاح بعقال وكوفية وعباءة شيخ من اياد . وتراه حينا يتحدى الرقباء وعينه لهم بالمرصاد ، ويمكر بهم ويرمقهم شزرا ماردا على المراد . ويسير بخطى وئيدة وفي النفس كبرياء وعناد . وفي الشفتين من اللعنات آحاد في آحاد ، وفي الصدر زمزمة آساد . ويمر الشهر تلو الشهر بين وساد وسهاد . وتجوال مجهول الابعاد . مستنبطا للخديعة افانين الاضداد . حتى اذا صفا الجو واطمأن الى السلامة عاد الى الجهاد . بحروف كأنها شوك القتاد ، في حلاقيم المستبدين الاوغاد ..

وكانت فلسطين وهو ابنها البار تعاني محنتها الكبرى ، وقد انتابتها الشدائد تترى . وتوالت عليها العسرى بعد العسرى. وتألب عليها المتآمرون ولا من يحس ولا من يرى. فينادي متلهفا متفجعا في صرخة حرى : وافلسطيناه . يا وطنا اضعناه . ويا تراثا قدسيا فقدناه ، ويا ذبيحا خذلناه وغدرناه .. واعرباه ، وآاسلاماه . وامسيحاه .. كم تركنا للابناء من لعنات تتقاذفها الشفاه . وكم تركنا للتاريخ من عار يلطخ الجباه فوآتعساه ، ويا ويلاه ..

* * *

ولقد التف حول ابي الحسن في دار « الشورى » القاهرية عدد كبير من زعماء السياسة العربية ، والعاملين في القضايا الوطنية . من طلاب الاستقلال والحرية . ومعظمهم لاجئون او اشباه لاجئين ، نزحوا عن اوطانهم بعدما اضطهدتهم السلطات الاجنبية ، وطاردتهم وأخذتهم بالقسوة والشدة ، ولكن وجدانهم القومي ابى عليهم الاذعان للامر الذي فرضته القوة المسلحة ، فنقلوا ميادين نشاطهم الى القاهرة ، وكانت مصر على ما تعانيه آنئذ من جور الحكم الاجنبي ، قبلة الانظار ، وملجأ الاحرار ، وملتقى الوطنيين الابرار ..

وكان لهم في ابي الحسن وجريدته ذلك الصديق المعوان . وذلك الاخ الاريحي الجنان . وذلك الرفيق المتفاني في رعاية الاخوان . يتعهدهم بجليل المساعي ، ويرفدهم ببيض الايادي ، ويدفع عنهم شر العوادي ، ويفرج عنهم بما ينقع النفوس الصوادي ، وابو الحسن هو دائما ابو الحسن بصدق الولاء ، وكبرياء الوفاء ، والغيرة على الاصدقاء ، ورفعة الاباء . هو دائما ابو الحسن بوجهه الوضاء . وقلبه المعطاء ، ويده البيضاء ، وجبهته الشماء . وهمته القعساء ، هو دائما ابو الحسن في السراء والضراء، والعسر والرخاء ، لا يقبض يده على اللأواء ، ولا يتصام عن نداء ، ولا ينسى ابدا ما يحمله من جلال الرسالة الزهراء ، وكرامة جراح الشرفاء . في معارك الظلام والضياء ، والمسكنة والسناء ..

عرفنا ابا الحسن محمد علي الطاهر اول ما عرفناه على صفحات جريدته الشورى حين كنا في مهجرنا البرازيلي نتحلق في الاندية ، وننصرف الى قراءتها بعناية ورغبة . كانت اجرأ الصحف الوطنية واقواها شكيمة في دحض اباطيل الاستعمار والكشف عن الوجوه المبرقعة بالوطنية ، واصرحها في تفسير دقائق القضايا العربية وحقائقها ، ولا اغلو اذا قلت انها كانت دليلنا الى الزعماء العاملين في الحقول السياسية ، وسبيلنا الى استجلاء الحركات القومية ، والتيارات الحزبية . وكان الامير شكيب ارسلان، فسح الله له في الجنان ، يراسلها من جنيف ، ويؤثرها بغرره ودرره وخطرات فكره . ويخصها بزمزماته وشظايا حملاته ، في غضباته وانتفاضاته ، ونفحاته وعندلاته ، ولعل ابا الحسن هو اول من نعته بامير البيان . فجرى اللقب بعدئذ على كل لسان . وكانت بينهما أواصر ود وريان، لا يفصمها مكان ولا زمان ..

واذا كنا قد راينا في صاحب الشورى ذلك الكاتب السياسي الواسع الاطلاع ، الشديد الاضلاع ، الواسع الباع ، في قلم مطواع ، تأنس بصريره النفوس والاسماع ، فقد راينا ايضا ذلك الناقد الساخط اللاذع ، والزاجر الوازع ، وناسج النكات البارع ، الى وصاف طريف ، في حس رهيف . وحرف تريف ، وذوق لطيف ، وكأنه مصور نافذ النظرات عميق الشعور ، يجمع بين المنظور وغير المنظور ، ويحيط بالمعلوم والمجهول ، وكأنه رسام يعبر عما تختلج به النفوس من محسوس وغير محسوس . وله في مؤلفاته فنون ودروس ، فتشوقك بعد هذا قراءته ، وتعجبك وضاحته ، وتفريك ظرافته ، وتشرح صدرك فكاهته ، وما ألبقه نديما تحلو منادمته ، وسميرا تزهو مسامرته . وتراه يأخذك بين جد وهزل . الى القول الفصل . في اسلوب جزل ، ومجنى سهل ، واذا انت بين شهد النحل ، وكأس الخمر والخل ، والماء والظل ، وعقل الشيخ ومرحان الطفل ، وهو اسلوب لابي الحسن اصيل ، لا يدانيه فيه مثيل ولا عديل ..

* * *

ثم دارت الايام دورتها ، ووثبت الاقطار العربية وثبتها . واستردت حريتها وعزتها ، وفرضت على الاستعمار بطولتها ، ورفعت للمجد الويتها ، واذا باولئك الذين كانوا منكوبين ولاجئين ، واشباه لاجئين في مصر ، ممن صادقهم ابو الحسن ورعاهم بقلمه الحر ، ودفع عنهم العسر والضر، اذا باولئك الذين كانت لهم دار « الشورى » موئلا حفيلا ، وظلا ظليلا ، يرتفعون الى مراتب الوزراء ، ورؤساء الحكومات ، ومجالس النواب ، ورئاسة الدولات ، يتصدرون في المحراب ، ويقودون الاحزاب ، وتزدهيهم نشوة السلطان والالقاب ، واذا هم الحكام واصحاب النهي

و لامر (١) وسبحان من فجر الماء من الصخر . ولف الظلمة بشعاع الفجر . وكسا عري الروض بالزهر . وفلق الصدف عن الدر ..

ويا لاحكام الله كم تنطوي على سر مدفون بسر ، يحار في فلسفتها الفكر ، فكيف نفلسف الخير ، وكيف نفلسف الشر ؟ وألا فكيف تهبط النعمة على قوم ، وتنصب النقمة على قوم ، وكلاهما في البذل والفضل سواء . أهذه طبيعة الاشياء ؟ أهذا هو منطقها والقضاء ، تحرم من تشاء، وتعطي من تشاء ، بين اكفاء وغير اكفاء ؟

فلقد جاهد ابو الحسن محمد علي الطاهر اقسى الجهاد وابره . وخاض معارك امته العربية ، في دنياها الواسعة ، ولقد أضطهدوه وسجنوه وشردوه . ونفصوا عيشه ، وتوعدوه . فاحتمل الاذى صابرا مكابرا في سبيل وطنه وامته ، فماذا كان حظه ؟ وماذا كانت مكافأته بعد ما استرد الوطن السلطان ، وحطمت الامة سلاسل الطغيان ، وانتصبت سيدة في الايوان ، في هالة من السؤدد الجذلان ، والتاريخ النشوان ؟

ماذا كانت مكافأة هذا المناضل السخي ، والمجاهد الوفي ، والمقدام الابي ، والصديق الاريحي ، ماذا كان حظه من الناحية المعنوية على الاقل ؟

اخجل لامتي ان اجيب عن هذا السؤال ..

ورضي اباء الكبرياء لابي الحسن محمد علي الطاهر ان يكون زارعا غير حاصد ، لا له ولا عليه .. وعاش الدجل السياسي والصحافي والادبي ، وعاش الرياء الاجتماعي والنفاق الوطني ...

ثم دارت الايام في دنيا العرب دورة جديدة ، اسفرت عن بروز مدرسة قومية حديثة ، هي المدرسة العقائدية ، التي نسفت المدرسة الوطنية البرلمانية ، وهي المبدأ والاصل ، وزحزحت رجالاتها ، وانكرت عليهم كل ما اسدوه من فضل ، وما جردوه من عزم وتفان ونصل ، ولكن لكل عصر عقل متجدد . ولكن ثورة طموح متوقد ، وهدف متجسد ، وانطلاق متجود وحكم متسدد متسود . وكان بدهيا ان تتغير المعاني والمفهومات ، وتمرع الاجتهادات والتفسيرات ، وان تنطوي من التاريخ السياسي صفحات وآيات ، وسائر من ضمهم من رجالات ..

وكان طبيعيا بعد هذا ان تضيق رقعة الدنيا العربية في وجه ابي الحسن ، وقد انسدت امامه الابواب ، على كثرة الاخوان والاصحاب ، فاذا اقامته لبنانية ، وجنسيته مغربية ، وخمرته تونسية ..

* * *

ما كتبت هذه الكلمة لاشيد بذكر ابي الحسن محمد علي الطاهر ، ولا لانوه بمآثره الوطنية ، ومواقفه الجريئةالابية، وعوارفه السخية ، وسائر ما اتصف به من الاريحية والحمية ، ما كتبتها لارصع مفاخره بجوهرة جديدة ، او ازيد قلادته بدرة فريدة ، فحسبه ما يحمل في جوانحه من القيم المثلى ، التي لا تفتقر الى تزكية وثناء ، ولا تحجبها سحابة دكناء ، ولكن ضميرا عربيا انسانيا ابى علي السكوت، وللحق في ذمتنا عهد لا يعرف الاخلاف ، وميثاق لا يتطرق الى حروفه ذبول وجفاف ، وواجب ناداني فارسلت كلمتي مصحوبة بتحية اخوية ، صداحة سنية ، صادقة وفية ، والكلمة الحلوة اوقع في نفس المهدي ، منها في نفس المهداة اليه ، واشهى لقلب طارحها منها لقلب المطروحة عليه ...

حمص — نظير زيتون

(١) كانت دار « الشورى » بالقاهرة مقيلا ومقرا لعدد من كبار رجالاتنا المجاهدين خلال الاربعين عاما الماضية ، على ايام تشريدهم وغربتهم في مصر ، وكان منهم السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية سابقا ، والسيد الحبيب بو رقيبة رئيس الجمهورية التونسية حالا ، وقبلهما الملك ادريس السنوسي ملك ليبيا الحالي ، والامام محمد البدر عندما كان وليا لعهد اليمن ، وسلطان لحج السابق علي عبد الكريم . الخ ....

عودة الربيع

مهداة الى صديقي الشاعر فؤاد الخشن تحية لملحمته «ادونيس وعشتروت»

سار طيف الربيع في ارض لبنان الها يدير الهوى باجمل كاس
وتناغى زهر يهيم بزهر وهزار يشدو باعذب جرس
والصبايا سألن اين « فؤاد » هائم الروح بين حسن وحس
اين هدب يظل يفزل ذهلا شاعريا ما بين صمت وهمس !
مبدع الرائعات من نادر الشعر عذارى ما ملن يوما لرجس
هل هجرت الربيع والطيب والشعر وعفت الهوى طفولة غرس
قيل هذا !... فارجعتك حسان افتديهن يا فؤاد بنفسي
بينهن الالهة البكر فينوس تاج السنا برفة خمس
فيفيق الغرام في قلبك الناسي لهيبا يضيء هيكل قدسي !

الشارقة — صقر بن سلطان القاسمي

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من « العروة الوثقى » في لندن

* * *

قد ذكرت في مقال سابق ان الرواقيين بين مفكري الاغريق القدماء سعوا الى التخلص من مساوىء المجتمع الذي كانوا يعيشون فيه بواسطة ضبط النفس والسيطرة على السلوك وبواسطة ممارسة قوة الارادة ومتع الشهوات . وكانوا بذلك يعزلون انفسهم عن مجتمعهم ويهتمون بمصلحة اشخاصهم الذاتية . وعلى العكس منهم مفكروا القرن الثامن عشر في اوروبا عامة وفي فرنسا خاصة في عصر التنور. فان هؤلاء المفكرين كانوا يدركون ان اصلاح مجتمعهم الفاسد لا يمكن ان يتحقق بالمجهود الفردي وحده كما كان يظن الرواقيون، بل لا بد من احداث تطوير عميق في ذلك المجتمع وتغيير النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية حتى يتسنى للفرد ان ينال ما يصبو اليه من رفاهية وتنعم بالمعيشة ، ويكون له مجال لاثبات موجوديته واستيفاء شخصيته . فهم على نقيض من الرواقيين يرون ان الفرد مكلف باستعمال عقله وجسمه لتحوير محيطه الخارجي وليس لتحوير رغباته وشهواته . فالعالم الخارجي في رأيهم هو الذي يجب ان يتغير وليس العالم الداخلي في نفس الانسان لان الانسان مقدم في الاعتبار على المحيط، ولانه هو العاقل المفكر القادر على وضع النظم الجديدة بدلا من النظم البالية، ولان سعادة الانسان في هذه الحياة هي الهدف الاول . ولكن هذا الهدف لا يمكن الحصول اليه الا اذا تضافرت جهود الافراد معا في مجتمع ما ، وحينئذ لا يصبح الهدف هدفا فرديا بل يكون هدفا جماعيا يشترك في الوصول اليه المجتمع بكليته ووحدته المتكاملة . وهذا هو الذي ادى الى ظهور الفكرة الانسانوية Humanism في اوروبا ، وخصوصا على يد الفيلسوف الفرنسي اوغست كنت في القرن التاسع عشر بعد اخفاق الثورة الفرنسية . والمهم في الامر ان الاهتمام بالفرد بذات حدته اصبح نقطة الانصراف في التفكير الفلسفي ، وان الرجل العادي، دون الملك او الاقطاعي او كبير رجال الدين او الامير ، اصبح موضع التقدير والعناية من اصحاب الفكر . ومعنى ذلك ان الرجل العادي اصبحت له كينونة تستحق الرعاية والانتباه ، واصبح هو بنفسه شاعرا بوجوده المنفصل عن مجتمعه وبالواجبات تجاه معيشته وصلاح حاله . وبدلا من ان يكون المجتمع وحده هو الذي يشغل اذهان المفكرين من حيث اصلاحه وتنظيمه ، اخذ الفرد يشاركه في هذا الاهتمام ويحاسبه حسابا عسيرا اذا جار عليه او هضمه حقه في العيش بامان وراحة بال . فكأن سقراط قد بعث من قبره ، وكأن فلسفته الداعية الى اهتمام الانسان بنفسه قد عادت الى الوجود .

ولعل الرجل العادي او العامي في السابق كان ينظر اليه نظرة منحطة ، ورثتها الاجيال عن الفلسفة الافلاطونية . فان افلاطون كان يقسم الوجود الى طبقتين : طبقة الكينونة المثالية وطبقة الصيروره العادية . فالاشياء عنده تكون اما من الطبقة المثالية واما من الطبقة العادية . مثال ذلك: الجمال بمعناه المجرد هو من الطبقة المثالية ، وصورته لا تحول ولا تزول وتدوم الى الابد . والجسم البشري وان كان جميلا ، هو من الاشياء المتغيرة المعرضة للنمو وللفناء ، وهو أحط درجة من درجة الجمال . وكذلك الافراد ، فمنهم المثاليون كالفلاسفة ومنهم العاديون كالعبيد . وعلى هذا بنى افلاطون نظام جمهوريته . وجاء ارسطو فلم يؤمن بتقسيم افلاطون ، وقال ان الاشياء المثالية الجديرة بالتامل والسعي للتقرب منها لا وجود لها ، وانما الاشياء الجديرة بذلك هي الماهيات . اي ان لكل كائن ماهية خاصة يشترك فيها جميع افراد ذلك النوع ، وتكون هذه الماهية دائمة الوجود لا تنقص من النوع الانساني مثلا ولو ان هذا النوع فقد عددا من افراده . والذي اريد ان اقوله هنا ، دفعا لتطويل الكلام ، هو ان افلاطون ، ومن بعده ارسطو ، جعلوا للاشياء صورة مثالية قد يتمتع بجزء كبير منها بعض الاشياء او الاشخاص ويتمتع بجزء قليل منها غيرهم ، فيكون مقامهم في هذه الدنيا بقدر هذا التمتع . هذه الفكرة هي التي طغت على الاذهان في القرون الوسطى جميعها وصبغت بصباغها تفكير الكثيرين ، بل قد يصح ان يقال انها فكرة جارت التاريخ البشري باجمعه ، بحسب اعتبار الناس في العصور المختلفة لنوع تلك الماهية . فقد يكون معيار الاعتبار الشجاعة مثلا او العلم او الدين او المال او غير ذلك . فكان الناس تعلو مراتبهم وتسفل بحسب ما يكون لديهم من تلك الماهية ، كثيرا كان او قليلا . وعلى اي حال فان الرجل العادي في جميع هذه المظاهر والفلسفات كان دائما في المرتبة المنحطة ، اما لانه كان ناقص العقل ، على رأيهم ، او ناقص العلم او الدين او المال او غير ذلك . فاهتمام الفلاسفة والمفكرين به من جديد ، وخصوصا بعد النهضة في اوروبا ، دليل على ثورة ضد المبادىء القديمة. ولعل هذا الاتجاه الجديد هو الذي اوجد للرجل العادي مكانته الحاضرة ، ورفعه الى مستوى غيره ، بحيث يصح ان يقال ان العصر الحاضر هو عصر الرجل العادي .

ولنعد الان الى تكملة مقدمتنا للفلسفة الوجودية التي انحرفت عن الفلسفة المثالية بزعامة افلاطون وعن الفلسفة العقلية بزعامة الفيلسوف الالماني المشهور «هيكل» . ومع ان الفلسفة الوجودية في صميمها وليدة القرن التاسع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عشر ، غير ان لها جذورا تمتد الى ابعد العصور في القدم. ولعل القارىء الكريم يدرك من المقالات السابقة كيف انتقل الاهتمام من الكل الى الجزء وكيف ان الانسان بمفرده اصبح مركز البحث والعناية ، وان هذا الوضع لم يكن في الحقيقة على سبيل الطفرة بل تدرج في تطوره حتى وصل الى الفلسفة الوجودية . ومن اطرف ما وقعت عليه ان احد العلماء في كتاب له عن الادرية Gnosticism ربط بينها وبين الفلسفة الوجودية ، مع ان الادرية على اختلاف طوائفها ترجع الى ما قبل المسيحية ، ولو انها اشتد ساعدها في القرن الاول والقرن الثاني بعد ميلاد المسيح. وهذا هو الحال مع اساطين الوجودية مثل شلنغ وكيركيفور وهايدكن فانهم يستشهدون بسقراط ، ومن ارتابها الاول في ذلك القرن شلنغ و ماركس الالمانيان وكيركيفور الدانماركي ، ثم جاء بعدهم نيتشه ودلتي وهسرل الالمانيون ، ثم هايدكر وياسبرز في المانيا ومارسل وسارتر وكامو في فرنسا . ومن هنا يتبين ان الفلسفة الوجودية وليدة التفكير الالماني في الاصل كما نعرفها الآن على الاغلب . ولعل القارىء الكريم يستغرب من ادخال ماركس في عداد الفلاسفة الوجوديين ، وخصوصا اذا تذكرنا ان الماركسية تختلف عن الوجودية بانها تهتم بالمجتمع على حساب الفرد ، في حين ان الوجودية تهتم بالفرد قبل كل شيء . ومع ان القارىء محق في هذا الاستغراب ، غير ان الوجودية مرت في عهدها المتاخر بادوار ، وكان لماركس دخل في احد هذه الادوار . فان المفكر الوجودي يعتبر ان المصلحة الشخصية هي الدافع الاول في سلوك الانسان . ومع ان هيكل يعترف بان (المصلحة) هي المحرك الاول في التطورات التاريخية ، غير انه اضاف هذه الى قوة مثالية سماها Idea تهيمن على مجرى التاريخ فقلل بذلك من اهميتها . وجاء ماركس وقال أن (المصلحة) هي التي تجمع بين افراد فريق معين ، فتدفعه الى الثورة . وهو يرى ان هذا الفريق في طور الراسمالية هو فريق العمال . فماركس اذن من بين الاولين الذين اشاروا الى عامل (المصلحة) كما يؤمن بها الوجوديون ، ولكنه خالف هيكل ورد نظريته المثالية في التاريخ . والخلاف بين هيكل صاحب الفلسفة المثالية والفلاسفة الذين جاءوا بعده مثل كيركيفور كان من اعظم الاسباب في تنشئة الفلسفة الوجودية .

ويجدر بنا هنا ان نجمل الادوار التي مرت بها الفلسفة الوجودية في اثناء تطورها . وان نتكلم على طرف من فلسفة هيكل بقدر ما لها من التعلق بالفلسفة الوجودية ، وان نتذكر ان الوجودية في معظمها رد فعل لفلسفة هيكل، وهي فلسفة مثالية كما قلنا . ولنتكلم اولا عن (الحقيقة) عند هذا الفيلسوف ، لنعرف وجهة الخلاف بينه وبين كيركيفور . فهو يقول ان الحقيقة هي التطابق بين الشيء وبين فكرتنا عن هذا الشيء ، او التطابق بين الشيء وبين محتوى الفكر . فلو قلنا ان فلانا صديق بحق فان ما نعنيه هو ان مسلك هذا الشخص يتفق مع فكرتنا عن الصداقة . وكذلك فان الجندي الحق هو الذي يبدي صفات تتطابق مع فضائل الرجل المحارب ، اي ان سلوكه يكون موافقا لماهية الجندية . وعلى هذا فان الفرد يكون فردا حقيقيا اذا كان على وفاق مع ماهيته الفردية ، اي مع ما يجب ان يكون عليه . ومعنى هذا كله ان هيكل يفكر بوجود صفات مثالية مجردة ، كما كان يفكر افلاطون . ويقول ان كلمة (أنا) ، وان كانت تشير الى شخص بعينه ، فانها تدل على صفة عامة للانانية ، يدخل تحتها جميع من يقول (أنا) وهذه الصفة فكرية مجردة ، ولذلك فان الشخصية عبارة عن فكرة محضة . وهذه العلاقة الوثيقة بين الشخص والفكرة تجعل من الاثنين شيئا واحدا ، وتجمع بين الفكر والكائن في وحدة واحدة . ورد كيركيفور على ذلك يتلخص في شيئين : وهما ان الحقيقة ليست ذهنية مجردة وانما هي بحسب الشخص ، وان الوجود يفصل بين الفكر والكائن ويجعل الكائن حرا بنفسه . فليس في هذا الوجود نماذج مثالية كالماهيات التي كان يعتقد بها ارسطو ، وليس الانسان مرغما على الانطباع بطابع هذه النماذج . فمصير الانسان وكيف يكون موكولان الى الانسان بنفسه ، والانسان بنفسه هو قبل كل شيء . ويجب علينا ان لا نفكر بالصور والنماذج المثالية التي تبعدنا عن واقع الحال ، بل يجب ان نشعر بانفسنا وبكينونة كل فرد على حدة ، وبانفصال هذه الكينونة عن غيرها . وقد نكتفي بهذا الحد عن فلسفة « هيكل » الآن ، ولعلنا نتعرض للموضوع في مناسبة اخرى .

ولكن الفلسفة الوجودية مرت في ثلاثة ادوار . وقد بدات البحث اولا في الفرق بين «الماهية» و «الوجودية» في عرف فلاسفة الاغريق وفلاسفة القرون الوسطى . واول شيء يصر عليه فلاسفة الوجودية هو ان الشيئين منفصلان لا متحدان ، وان الكينونة او الحقيقة ليست هي « الماهية » ، ولا سيما اذا كانت هذه الكينونة ليست موضع الاختبار والتحسس بها ، لان الشيء المهم في هذا العالم هو ما يختبره الانسان ويعرفه بنفسه مباشرة ، ولا شيء اقرب الى الانسان والى معرفته من وجوده هو ومن اختباراته الذاتية المباشرة . ومحصل كلام الوجوديين هو أن الاشياء يجب ان لا تعرف على الحقيقة الا من خلال الواقع الاختباري لا من خلال الماهيات التي هي عبارة عن صور مثالية كصور أفلاطون وهيكل من بعده . وكان هذا الدور الذي انصرف فيه المفكرون عن المثال الذهني المجرد الى الحقائق الواقعة المجربة مباشرة هو الدور الاول في فلسفة الوجودية ، ويشمل مدة عشر سنوات تقريبا من سنة ١٨٤٠ الى ١٨٥٠ . وفي سنة ١٨٤١ القى «شلنغ» محاضراته في برلين ، وكان بين الحضور « انكلز » صديق ماركس وكيركيفور . وفي سنة ١٨٤٣ صدر كتاب

للفيلسوف فورباخ بعنوان مبادىء فلسفة المستقبل . وفي سنة ١٨٤٤ كتب ماركس كتابه عن الاقتصاد الوطني والفلسفة . وفي السنة نفسها صدر كتاب كيركيفور بعنوان « شذرات فلسفية » ، وكتاب شوبنهور بعنوان « العالم ـ ارادة وفكرة » وكان له فيما بعد تأثير جسيم على الفلسفة الوجودية . وفي سنة ١٨٤٥ ـ ٤٦ كتب ماركس كتابه عن المثالية الالمانية وعن فورباخ ، وصدر في سنة ١٨٤٦ كتاب كيركيفور عن الفلسفة الوجودية في اوائلها .

وتلا هذا الدور دور من الفتور في تطوير الفلسفة الوجودية ، والتفت المفكرون الى المثالية الجديدة للفيلسوف « كانت » ، وعدوا ماركس وفورباخ بأنهما من دعاة المادية ، وبقي كيركيفور منسيا غير معروف ، وصرف النظر عن شلنغ وآرائه الوجودية . ولكن ظهرت مع ذلك في هذا الدور ومضات فلسفية أقرب الى الوجودية ، وعرفت هذه في العقد التاسع من القرن التاسع عشر بفلسفة الحياة . وفي هذا العقد ظهرت اهم كتب الفيلسوف « نيتشه » ، ونشر « دلتي » في سنة ١٨٨٣ كتابه في فلسفة الحياة ، وفي سنة ١٨٨٩ اصدر بيركسون الفرنسي كتابه عن الضمير ومع ان فلسفة الحياة التي اوجدها دلتي لا تطابق الفلسفة الوجودية تماما، الا انها في كثير من اغراضها متطابقة معها.

وفي الدور الثالث امتزجت فلسفة الحياة هذه بفلسفة « هسرل » الذي حول الانتباه من الاشياء نفسها الى الفكر الشخصي الذي يتحسس بهذه الاشياء . وجرى في هذا الدور ايضا اكتشاف فلسفة كيركيفور وفلسفة ماركس الاولى . ويتميز هذا الدور بظهور هايدكر وياسبرز في المانيا وظهور الاشتراكية الدينية فيها ، وبظهور مارسل وسارتر وغيرهما في فرنسا وايطاليا واسبانيا .

ويجوز لنا ان نعتبر الفلسفة الوجودية بانها على الاغلب رد فعل معاكس لفلسفة « كانت » وفلسفة « هيكل » . فهي ترى ان قيمة المعرفة ليست بالنسبة الى الحقيقة وانما بالنسبة الى المشاعر التي تقوم في نفس الانسان ، وهذه هي التي تعطينا صورة عن حقيقة العالم ، فلا فرق اذن بين العالم الخارجي والعالم الداخلي . وهي غير ميتافيزيكية ، ولا تعترف بان الوجود والماهية شيء واحد . والمشاعر التي تقوم في نفس الانسان هي بتأثير المجموعة العصبية والغذاء والمحيط .

ولمعرفة اصول هذه الفلسفة لا بد لنا من الرجوع الى معاني (الماهية) و (الوجود) في الفلسفة القديمة . فالماهية هي التي تقرر الشيء ما هو في حقيقته ، بعكس (الوجود) الذي يقرر الشيء بحسب ما هو كائن او معروف . فالانسان مثلا شيء يتميز عن غيره بماهيته (الانسانية) ، والوردة مثلا تتميز عن غيرها بماهية (الوردية) وهكذا ، والماهية ليست كائنا بالمعنى الفلسفي ولكنها تكون في مجال القوة ، اي انها تظهر الى حيز الفعل عن طريق الوجود ، وبذلك تجعل للشيء نوعيته الخاصة . فالماهية لها قابلية الوجود ، وهي في حيز القوة لانها حقيقة غير تامة ولا توجد بذات حدتها . ولكنها تبقى محافظة على قوتها في كل وقت ولو انها تمثلت في الوجود . فنقول مثلا ان ابريق الماء يحتفظ بقوته على استيعاب الماء ولو انه مملوء بالماء في الوقت الحاضر . ومعنى ذلك ايضا ان الماهية لا تختفي بمجرد ظهورها الى عالم الوجود ، وتحتفظ بحقيقتها الخاصة بها المتميزة عن حقيقة الوجود . ولذلك فان الماهية شيء من الاشياء ، وكائن من نوع ما . ولكنها لما لم يكن لها وجود خاص بها ، فانها كائن غير تام . ولا تستطيع الماهية ولا الوجود ان يكون احدهما منفصلا عن الآخر، ولا يتم الواحد منهما الا بالآخر. وكلاهما كائن غير تام ، والماهية تشترك مع الوجود بقدر قوتها ، والوجود يشترك مع الماهية بقدر تنوع هذه الماهية . والمهم في الامر ان نلاحظ هنا ان طبيعة الشيء او ماهيته وحدها لا تؤلف حقيقة ذلك الشيء .

لندن **حسن الكرمي**

على العهد

أتيه بدنيا صباها الوديع
ومن عذب احلامها ارشف
واصدح في اغنياتي العذاب
ليهتف في الحب من يهتف
واشدو بشعري شدو الطيور
فيهتز قد لها اهيف
وابعث الحاني المرهفات
على نغم ساحر تعزف
واطلق للقبلات العنان
فيترفها خدك المترف

حببت الحياء وسحر الجمال
فاضحى هواك بنا يعصف
ويوحي باطيافه الحائمات
ويترع قلبي بما يرهف
دلالك والبسمات الحسان
هموم المنى لها تكشف
انسالك يا منهل الظامئين
وانت بما ـ يدعى ـ اعرف
فديتك يا سلوة المستهام
سابقى على العهد لا أخلف

بغداد **حسين الصدر**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ضجر

***

غمر الليل بالكآبة ليل ... مدلهم يجيش بالانواءِ
فاستتر الفضاء اذ نشر الليل ... جناحا في شملة سوداء
واستطابت حلو المنام عيون ... أجهدتها بهارج الاضواء
النفوس الظمئى يهدهدها الشوق ... فتغفو على نشيد الرجاء
والفؤاد الجريح يطعمه الوجد ... بوعد من كاذب الاهواء
نام من في الوجود غير كئيب ... يتلظى من وحشة وعناء
ليت شعري من ذا أثار شبا الوجد ... بصدر الحسناء عند المساء
درجت والظلام منعقد الذيل ... بذعر كالحية الرقطاء
واستترت ببرقع من ظلام ... حين راحت عن اعين الرقباء

سئمت وحشة السماء فولت ... بجفاء وجهها الى الدامساء
علها تستبين في البحر امرا ... كتمته جوانب الجوزاء
فاذا بالنداء يخنقه الموج ... ويخفي المحيط كل نداء
وتضيع الامال في لجج الماء ... وتطوى الاخبار طي الخفاء
كم حزين اتى الشواطىء يستجلي ... ببشر غوامض الاشياء
يسأل البحر عن حبيب تناءى ... مستعيدا ايام عهد اللقاء
وينادي العبّ هل من رجاء ... في لقاء الحبيب بعد التنائي
اي شيء سوى التبرم يتلى ... في زفير المحيط من انباء
ينفث البحر نفثة الالم المر ... كمضنى يجود بالحوباء
ثائر صاخب يزمجر هدارا ... ويرغي من قسوة وجفاء
تتهاوى امواجه حين يهوى ... كخيول في حومة الهيجاء
ولصوت الرياح انة شكوى ... من حزين في فحمة الظلماء

ضاق صدر الحسناء ذرعا فراحت ... تترامى شطر الحمى من عياء
شفها ان يضيع في صخب الموج ... لفاها وينطوي كالهباء

دمشق

عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مأساة البطل في القصة القصيرة اللبنانية

بقلم نعيم حسن اليافي

* * *

ان الذي يتتبع بالدراسة معظم الاعمال التي اصدرها الجيل الرائد والجيل المكون للقصة القصيرة اللبنانية تلفته ظاهرة تكاد تشترك فيها جميع شخصيات هذه القصص . وهي انها تنتهي ـ غالبا ـ بالموت او بشكل من أشكال المأساة .

ولم توجد هذه الظاهرة ـ في راينا ـ اعتباطا بغير دلالة ، فهي ترتبط الى حد بعيد ـ عند الفحص ـ بالموقف العام للكاتب نحو الحياة ، وبوجهة نظره التي تغشى (خلفية) القصة ، وبكلمة اخرى ان الموت ليس افتعالا في تصوير الشخصيات يؤكد فيه الكاتب تعاستها ، ويعذرها في آثامها ، ويثير في القارىء عاطفة الشفقة عليها كما هو الحال عند الرومانسيين ، انه هنا تحكمه (وجهة نظر) معينة اجتماعية وفنية معا ، تصدر عن شعور واحد ، وروح واحدة ، وتجمعها (رؤية) واحدة يقدمها الكاتب الى القارىء ، وتبرز في الانطباع الاخير للقصة . وكأنه يقول له : هذه انا وهذه هي الحياة .

وسنتخير لدراسة هذه الظاهرة اعمال ثلاثة كتاب من الجيلين على السواء نعتقد انهم ابرز من كتب القصة القصيرة اللبنانية واعطاها قيمها ، ووهبها وجهها المشرق ، وهم : ميخائيل نعيمة ، وتوفيق يوسف عواد ، وسعيد تقي الدين .

ينبثق موقف ميخائيل نعيمة في مجموعتيه القصصيتين خاصة « اكابر » و « ابو بطة » من تقسيمه الانسان الى (مجموع) والى (فرد) ، الاول منهما كم مبهم مهمل حائر صابر متألم ، ونعيمة لا يؤمن بهذا (المجموع) ، والثاني منهما هو الفرد الواحد المتميز التواق الى التغلب ، وهو يؤمن به اشد الايمان ، ويقابل في قصصه بين الاثنين ، ويضع الثاني في مواجهة الاول او في مواجهةالآثار الشريرة التي تركها في نفسه ، اي انه يضعه في موقف الصراع معه او مع آثاره . وينتهي من هذا الصراع في بعض شخصياته بالهروب ، بشتى اشكال الهروب ، ولكنه غالبا ما يودي بها الى المصير البائس الحزين الى الانتحار ، وبكلمة ادق الى الموت ، (انظر في هذه النهايات قصصه : العاقر وشورتي في المجموعة الاولى ، وستوت ، كسار الحصى ، على الله ، صادق ، ذنب الحمار ، او ليست بأم ، عصفور وانسان ، هدية ، ابو بطة ، المسيو الفونس ، دجاجة ام يعقوب ، اليوبيل الالماسي ، شهيدة الشهد ، هدية الحيزبون ، وغيرها في المجموعتين الثانية والثالثة) .

والكاتب يرى في ذلك ان المجتمع البشري بقيمه المختلفة القومية الوطنية والدينية ، وبعاداته وتقاليده، ينز بالصديد والحقد والبغضاء ، وما اوثانه الا أشراك يحسبها الانسان حبال الخلاص واطواق النجاة والامان ، حتى اذا ما اسلم زمام امره ، واحاط بها عنقه ، وتعبدها ، اخذت بيده الى الهاوية الرأعبة الى الموت ... فالمال في (هدية الحيزبون) يدفع الانسان ليضحي في سبيله باعز ما يملك ـ ولده ـ فاذا المال في النهاية سراب ، واذا الذي ضحى يلحق بضحيته ... والدولة ، وما الدولة ؟ هذا الوثن الثاني ، بكل ما تحمل من دلالة وطنية او قومية ، اليست هي انت ... انا ... وغيرنا ... ولولاي ولولاك ولولا غيرنا لما كانت ، فهل من حقها اذا حمت حياتنا وبيوتنا وحرياتنا ، ان تسلبنا حياتنا وبيوتنا وحرياتنا ساعة تشاء ؟ الغدر الحارس الذي يقضي على محروسه ! اما كان خيرا للحمل لو لم يحرسه الذئب ؟!.

لا تنقذ (الفرد) او الانسان اوثان الاول (المجموع) او (المجتمع) لانها اوثان باطلة ، لا تنقذه سوى العودة الى نفسه ، يقلم اظافرها ، اظافر الشراسة والشراهة وحب الفتك ، وما يرافقها من بغض وجشع وغضب وانتقام وسواها ، فهذه كلها اظافر تليق بالوحش ولا تليق بالانسان، فلا بد من تقليمها لمن شاء ان يكون انسانا وان يعيش مع الناس في سلام ، وفي الوقت الذي تتقلم فيه الاظافر ، ويصفي الانسان نفسه من ادران المادية ويعدها لتقبل (الاشراق) ، تصبح الانسانية شركة بين الناس جميعا فيدفأ قلب الله « ويذوب الجليد » ، اما ما دام في الوقت الراهن يحجب هذا الاشراق عن نفسه ، ولا يعدها الا لتقبل قيم المجتمع ومبادئه ويستسلم ذليلا طائعا لاصنامه وشهواته فانه سيظل ينحدر وينحدر من سيء الى اسوا وسينتهي ولا شك الى النهاية البشعة القاتمة الى الموت.

وعندما ننتقل الى توفيق يوسف عواد والى مجموعاته الثلاث «الصبي الاعرج» و «قميص الصوف» و «العذارى» فانا نرى ان الحياة ذاتها تشكل عنده في جميع فصولها مأساة الانسان الكبرى لانها تنتهي بالموت ، وما دامت تنتهي بذلك فان (قيمها) تتساوى ، فالترهب والزواج والموت هي في الشكل الاخير معطيات واحدة «.. سامضي قبل ان يأتي صاحبي الذي كتبه لي القدر في لوحة لاقول له « السر » ، اما انتما فطوبى لكما لانكما ستقولانه بكلمتين اثنتين ، مختلفتين في المظهر ، متحدتين في الجوهر ،طوبى لكما مرة اخرى ووداعا !

وشهقت شهقة ، فصرخت الوسطى : ـ اختاه .

وهتفت الصغرى : ـ افديك بروحي !

ولكنها كانت قد هوت الى الارض ، فانحنتا عليها تولولان:

ـ هي العاصفة التي هبت في الليل قد قصمت ظهرها.

ـ لو عاشت الى ان يأتي الصبيان والصبايا .

ـ ... الى ان تبوح بسرها .

ـ ماتت ولم تعرف الالم .
ـ استراحت .
ـ ... قبل ان تعرف ما هو التعب .
ـ هنيئا لها !.
ـ رحمها الله !.

وبعد فترة صمت ثقيل مدت الصغرى باذنها للهواء وهتفت :

ـ اتسمعين ؟!
ـ ماذا ؟
ـ لقد جاؤوا ! »

فالموت هو قمة مأساة الحياة ، به يفسر عواد ـ كثيرا ـ حركة الحياة وعناصرها الفعالة ، ويتكشف هذا خاصة في قصته « ميثاق الموت » التي دارت حول عنصر الوهم او الايحاء الذاتي يذكرنا ـ غالبا ـ بعنصر النبوءة في المسرح الاغريقي القديم ، ففرانسوا البطل الشجاع الذي خاض غمار الحرب الاولى واصطلى بنارها كان يؤكد بينه وبين نفسه ولكل اصدقائه انه سيموت ، وتنبأ بذلك حين راهن بالعشور على حقيبته وسط آلاف الحقائب ولكن معارك الميدان لم تلب نداء احساسه الغامض بل على العكس فان الحرب وضعت اوزارها ، وظلل السلام اطراف المعمورة ، ونقل فرانسوا مع من نقل في سيارة عائدا الى بيته ، وفي الطريق ما تزال الفكرة تلح عليه ، تراود ذهنه وترقص امام عينيه :

ـ هذا هو ، هذا هو .
ـ ماذا ؟
ـ البيت ! البيت ! بيتنا !.. اسرع ايها السائق اسرع ! هاي ! هاي ، اتريد ان تقلب بنا السيارة (والتفت الي برزانة متابعا) الموت ايضا موجود تحت دواليب السيارة ، اليس كذلك ؟

واخيرا تصدق النبوءة ويتحقق الوهم « .. فلما وصلنا امام البيت رفع كفه ليدقه ، ولكن يده وقفت في الفضاء فجأة ، فسألته ما به ، فادار وجهه الي ببطء عظيم كأنه صخر يتحلحل ، وانفتحت عيناه في عيني ، جامدتين هائلتين ، فاردت ان احول عيني عن تينك العينين فلم استطع وانتظرت ان يحولهما هو عني فلم يفعل ، فحاولت ان اقول له شيئاً فلم تطعني شفتاي ، فجعل قلبي يخفق واحسست بمثل الاختناق في حلقي ، فعزمت ان ارفع يدي الى كفه الباقية ازاء الباب ، فالتصقت بثيابي ، ومرت دقيقة طويلة ، طويلة كأنها دهر ، وعيناه في عيني براقتين كالزجاج على شمس الهجيرة حتى سمعت صرير الباب تفتحه يد من الداخل ، فارتعدت ، ورفت عيناي ، وانحلت عقدة لساني وهممت بان ...

فاذا بفرانسوا يقع على عتبة بيته جثة هامدة !

وهذا كله معنى ما نقوله من ان الموت هو العنصر الذي يستغرق مواقف عواد في تفسيره لحقيقة الحياة ولحقيقة الوجود .

اما قصص سعيد تقي الدين في مجموعاته « الثلج الاسود » و « موجة نار » و « غابة الكافور » و « ربيع الخريف » فانها تعطينا نفس النهاية : الموت او المأساة ولكن في (طعم) آخر ، فالكاتب يعتقد بان المال قنينة ديناميت اذا اشتبكت عليها اصابع المرء فيجب ان يرمي بها الى اقصى ما يقدر مخافة ان تنفجر بين يديه ، ان الاماني ـ في رايه ـ تفسد عندما تتحقق ، واللذة لا تكون الا في العذاب والنصب واللهاث . هذه وجهة نظره ، وقد جاءت شخصياته تحمل او تطبق (وجهة النظر) هذه ، فهي في حياتها تتعب في جمع المال وقد تحتال وتعيش على الحلال وعلى الحرام ، وتتاجر بالقيم في سبيل المادة ، حتى اذا ما بلغت ـ الواحة ـ وتجمعت بين يديها خيرات الدنيا وتفجرت في جيوبها كنوز المال حلت الكارثة ، وجاء غضب « تقي الدين » ، موتا او شللا او مرضا او تعويقا باية صورة من الصور ، ليكون كل ذلك جزاءا عادلا من جنس العمل يذكر الشخصية بشهوتها وجشعها ويحملها في نفس الوقت مسئولية تمريغ مثاليتها بالطين .

هكذا يموت « فهد السرحان » في « حلم البولفار » مع من مات في هزة ارضية حلم بها لغيره فقضى بمثلها ، و « جمال السفبيني » في « موجة نار » ووهبة في « افاقة » تشل يداهما ، الاول لاحجامه عن توقيع الشيك والثاني لانه ذبح «سعيد الحوراني» من الوريد الى الوريد ، و « جيمس الكبير » في « الطابة الخضراء » الذي كان يحتكر الملاح ويجمع الملايين من اجل ابنه يموت هذا الابن بالسل جزاء ما فعل ابوه ، و « ريموندو » الصحفي الذي باع ضميره للشيطان رسمت « غابة الكافور » ـ التي نالها ـ باشجارها على وجهه فحكم عليه بالعزلة والابتعاد عن الناس ، وحمدان المرابي في « ظل الموت » لم تنفعه توبته فكانت نهايته السجن . (وانظر كذلك في نهايات المأساة هذه قصصه) « الكتاب العظيم » «الملك فرنندس» «الصورتان» «القدم الناطقة» «ضيعة الكلاب» «المرحوم» «قصة غير عادية» «المرساة» وغيرها) .

ولئن استطعنا في حالة نعيمة وعواد ان نربط بين (موقف) الكاتبين و (مأساة) الانسان كما تبدو في قصصهما فان هذه العلاقة في اعمال تقي الدين تتعدى حدود (الموقف) لترتبط ـ فيما ارى ـ بدوافع سيكولوجية ترسبت في اعماقه نتيجة حياته الانفعالية المضطربة التي عاشها في الفلبين اعواما طويلة ، وبكلمة اخرى اقول ان النهايات الحزينة التي صارت اليها شخصياته ليست مجرد نتائج حتمية لاعمالها الشريرة فحسب ولم تصدر عن (رؤاه) الفكرية فقط وانما هي قبل ذلك مرارة عميقة ضجت في اغوار نفسه فاظهرها حين لم يقو على اخفائها ، واذا رجعنا الى نفس الفترة التي عاشها في « الفلبين » مهاجرا يسعى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مبتسمة

●

تبتسم .. تبتسم بها الصفاء يحلم
كأنها عنقود ضو ء للصباح ملهم
او انها همسة حب ـ لم يهدهدها فم
او انها رف الندى يرشف منه البرعم
ففي التفاتها منى وفي خطاها نغم
تشرق عيناها وفيـ ـها للفؤاد بلسم
فتضحك الروح لها ويجمل التكتم !

زنبقة الصباح جل ـ المبدع المعظم
تحكمي فأنت من يظلم حين يحكم
ونحن للظلم أسا رى يستبينا الالم
فناره برد عليـ ـنا وجواه مغنم

تبتسم .. تبتسم فللدراري موسم
وللصبا تألق وللربيع مقدم
ابصرتها في الليل تز هو والنجوم حوم
ووجهها البدر وهل بدر سواه يبسم ؟
منطقها يعذب وال حديث سحر مبهم
والشوق في البعد لها والقرب عات مضرم

عاشت كما تبغي وعا ش العطر والترنم !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرياض — حسن عبد الله القرشي

وراء المادة وما سبقها من ظروف نشأته وهجرته واسبابها على السواء فاننا نجد ان الالم كان عنصرا من عناصر هذه النشأة القاسية ، ثم كان التوتر النفسي الشديد عنصرا آخر ، وكان بعد هذا وذاك الارتباك والاستهتار والعزم على الانتحار وسائله المفضلة الى تجسيم المه القديم واظهار توتره النفسي الآتي فلماذا لا يكون العذاب الذي يجعل شخصياته تعيش فيه ويذيقها صنوفه من جهة ، والنهايات المفجعة غير الباكية من جهة ثانية هما معا وسيلتاه الوحيدتان الى الانتقام من الناس ؟ ان الهرة تلاعب الفأرة قبل الفتك بها ، وان القاتل يقف عند جثة القتيل صائحا : قتلته لاني احبه ، وقد يكون ذلك دفاعا من الكاتب عن (المثال) الذي مرغه هو ومرغته بالوحل معظم شخصياته ولكن ليس من شك في ان الدوافع البعيدة للنهايات الحزينة التي انتهت اليها شخصياته وما رافقها من التوتر والعذاب ومن الموت ايضا كان يتربص بها الدوائر ويكاد يذيلها من الوجود قبل ان تحمل من الوجود .. وارتعاش النفوس ، واضطراب الاجسام .. وفرق الارواح .. كل ذلك يرجع في النهاية الى (سادية) المؤلف نفسه .

ومهما يكن من امر هذه السادية عند الكاتب فانها قد انتهت بشخصياته الى نفس النهاية البائسة التي انتهت اليها شخصيات زميليه السابقين ، الى قمة المأساة ، الى الموت ، وهي ظاهرة تلفت النظر في القصة اللبنانية القصيرة وقد تتعدى ـ في تعليلها وبيان اسبابها ـ حدود وجهات نظرهم ، ولا تقف عند رؤاهم ولكني لا استطيع ان ابت في ذلك بصورة قاطعة لان الدلائل التي بين يدي لا تزال غير كافية .

القاهرة — نعيم حسن اليافي

كان

يعوم في سحابة حزن رمادية . تضغط على روحه . وبانت لـه انجـدران ، والناس ، والمخازن بحر حزن غامق ، راكـد ، تتأسن فيه الكلمـات ، الصـدى ، النظرات الباهتة الصدئة .. واحس باختناق ، دوار . كأنه يسقط في اعماق دوامة هائلة . كحجر قذف في بئر دامس يملأه فـراغ ، كثيـف ، صامت .. همدت مشاعره .. طنين خافـت في اذنه .. احاسيسـه تتكثـف تتجمع في نقطة ، بـؤرة متوترة .. تناهت اليه هلاهل حزينة تتدفق من صـوت فيروز .. صـار حزنه اخضر .. اثمله .. بهجة تنبع من الحزن .. تفمـره .. حدائـق احلامه تلوح له .. عيونه نحلة بـين ازاهيرها .. وهتف فرحه ، ساحيا، واكتب ، واعشق .. انا احبهـا .. ضحكاتها الصغيرة طير يحملني الـى عالم غامض بكر ، ان لها وجهاحقيقيا لا طلاء فيه ، كعينيها ، كضحكاتها .. اذهب اليها ، واخبرها اني احبها.. لا اشك فيها .. لا .. لا اقول لها احببتك .. اننـا مشدودان ، ولا مهرب لنا .. لا مهرب .. اضحكي لي . اضحكي .. واغرق في ليـل عينيها .. وأد الصمـت الاغنية .. هرب حزنه .. احترقـت حدائـق احلامه .. تساقط خواء في اعماقه .. هوة تفتح شدقيها في داخله .. نظراته تتساقط في ركام الفراغ .. استحوذ عليه هدوء .. شعر بتعب كأنه كان يصارع اعصارا .. خشـي ان يسقط مرة اخرى في غيهب .. يهوي من حالق .. احاسيسه تلهث .. الظلال حيوان اميبي ضخم يتحرك باتجاهه .. الشارع ينضح ناسـا .. يقتربون من مكتبته .. لا يعبأ بهم.. يقفون برهة .. يواصلون سيرهم .. تلـج عيونهـم حانة سويس بوفيه ، ومقهى البرازيلية .. يمضغون ملامح الجالسين .. يتبادلون نظرات جوفاء كسلى .. يجترون كلماتهم اليوميـة .. تقترب دفقة اخرى من كتبه .. تقلـب عناوينهـا .. صورها .. وتعيدها .. اقتربت امرأة . تضوع عبير انوثتها ، التصقت عيناهالشبقتان بوجهها . لثمت عينيها . اختطفهـا خيالـه .. نأى بها عن الناس .. الجدران .. طوقته بذراعيها .. قرا لها مقاطع من قصيدة عيون الزا .. شعر الزا .. امتـص شفتيهـا .. انتزعت نفسها من خياله . ابتاعت قصة حب سخيفة ، وانصرفـت . تألم لانه قرا مقطعا من عيون الزا .. ازدحمت في اذنيه اصوات متناخرة .. الكلمات اليومية ..

اشتريت حذاء ..

اي لون ..؟

متعب

بقلـم جاسم الجوي

اسود ..

بعـد ثلاث سنوات استحـق التقاعد ..

معدتي تؤلمني افرطت في الغداء..

جاءني طفل جديـد .. صـاروا ستـة ..

انظر . انظر كم جميلة ..

نمت اليوم اربع ساعات في الظهر.

شعر انهم ضده . كلماتهم اسـواط تلهب مشاعره .. نسيـج عنكبـوت يحاصره . يلتف حـول عنقـه .. وسقط في صحـارى موحشـة .. الغربة تعذبه . بركة نار تحرق اهابه .. وتستبد له لتحرقه .. ارتعش جسمـه .. الجـدار . الشوارع . السيارات الكلمات صار لونها رماديا .. رعب يهاجمه ابصر امامـه رأس بائع الصحف الصغير يهوم من النعاس .. شعر باضطراب .. كان يفزعـه نوم الظهيرة . يحس عندما ينهض من النوم كأنه نام مئة عام في كهف عصر آخر .. حاول ان يفكر بشيء آخـر يذود عنـه النعاس .. فتهـافتـت عليه كلمات امـه الضارعـة تغريـه بتناول الدواء وينام .. كان يحبها ، هي الشاهد الوحيد على العذاب .. واستجاب لها مرة ، ونام ، فجثمت على صدره الف سنة .. ولم يكررها .. كان يحاول اقناعها بعدم جـدوى الدواء ..

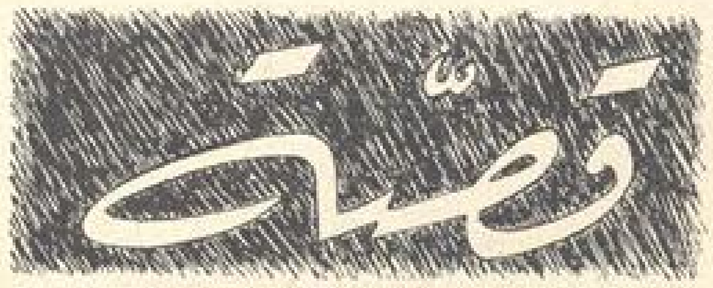
لا فائدة منه .. لن ينفعني دواء.. السـل احس دبيبه في رئتي ..

وفكر ليتني استطيع ان اخبرها . اجد مبررا آخر اقـوى .. مبـررا منطقيا .. منطقيا .. سترتعب لـو قلت لها لا ارغب في الحيـاة .. لا ارغب. وتفكر امه . عنيد منذ طفولته .. كان يومها صبيا .. يذهب الـى المدرسة يجمد البرد القارص دماءه. فسأله المعلم بعطف ..

خضير اليست لديك سترة ..

فانتفض احس بعيون الطلاب انشبت نظراتها في كبريائه ..

وقال لابيه لا احتمل هذا البيـت لننتقـل الى آخر .. مللت هـذا الشارع . الجدار الاصفر الطويـل ، يمتص دمائي ، سور يسد المنافذ.. لقد امتـلأ الطريـق بخطاي .. ام محمود التي لا تفـارق باب دارهـا تفحصني بعينيها . تنفذ نظراتها الى عظامي .. لا احتمل هذا البيت .. تسألني دائما عن صحتي واقـف لاجيب ... واجيبها .. كانت امـه تتوقع انه سيكبر ، يتوظف ، ينشىء اسرة تحمل طفله .. ولكنه .. لـو يشرب الدواء .. سيموت .. ويؤلمها اصراره ، فتنكفىء باكية .. ويتألم.. فيذهب اليها، يداعبها ينتزع ابتسامة منها ، ابتسامة تتوهج بين دموعها..



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تبتل

لا شيء غير صداقة الشعر ... وتبتلي لحبيبة العمر
وغيوم عينيها ... ولهفتها ... لفراق ارض النور والعطر
وتلهب الحرف الذي لهثت ... انفاسه بعروقي الحمر
ورؤى افاعي اللحن يرقصها ... الحاوي الاصم... ومارد العصر
متشنج الكفين في نزق ... متمردا ... متطاير الشعر
او ناعما تسري عرائسه ... مجلوة في عالم سحري
سكرى ... كرقرقة الشراع على ... نهر يفضضه سنا البدر

* * *

الشاعر المراح مكتئب ... بعد النعيم مشتت الفكر
لا شيء غير وجيب خافقه ... متفجع النبضات في الصدر
وحبيبة ترنو مسائلة ... عن سهده... وتحارف في الامر
ما باله في لحظه قلق ... متململ ... وغمامة تسري
يا ليل هل تشجيه امته ... ام عصره المملوء بالشر
وضياع مطلعة المسيح على ... ايد تبيع المهد بالتبر
ام هجره للريف المه ... ونزوحه عن موطن الزهر
جلساته في ظل قنطرة ... بيضاء مشرفة على البحر
ووميض قرميد تغلله ... شمس الضحى بخيوطها الشقر

* * *

أضياع هذا الخلد يحزنه ... ويميت بسمته على الثغر
أيبوح للعين التي سالت ... لا ... لن يفتق برعم السر
لتظل من يهوى منعمة ... بمدينة العتمات والخمر
ويظل لليل الذي نعبت ... اضلاعه للصمت ... والصبر

فؤاد الخشن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويفكر بالدواء .. ثم يعدل .. وهو يرى ابتسامتها .. سقط راس الصغير النائم في الهواء .. فاعتدل ، واسند راسه ثانية الى الجدار ..

كان الناس يهربون من الشمس يلوذون بالظلال ، وفي السماء خليج ازرق تطفو على سطحه غيمة بيضاء، مضيئة ، .. ازداد الالم في صدره .. الحمى تشتعل في عروقه .. رأى وجهه على زجاج سيارة وقفت امامه اخافته ملامحه . تجاعيد وجهه الزرقاء .. عمري ثلاثون سنة ... مسيرة تعسة .. متعب .. متعب.. ان عمري الف سنة .. الف .. تثاءب. احس انه فأر في فم قط يركض به .. ويثب . النعاس يداهمه . يربض امامه . يحدق في عينيه .. وتتخدر .. وهن يسري في جسمه .. الجدران .. الشوارع .. الشمس تنام بائع الصحف نائم .. اغمض عينيه . تحرك راسه .. اصابه ذعر .. دعك عينيه .. سدد نظراته الى معرض الاحذية الذي يواجهه . كان صاحب المعرض يتحدث ايضا .. وحنق عليه .. لم يره لحظة صامتا .. ذهب يوما اليهم ليعرف حديثهم وجدهم يستعيدون احاديث قديمة ، يصغون اليها بشغف ، واذا استنفدوا احاديثهم ليتحركون كأنهم اضاعوا شيئا . فيغنون وينقرون الارض باقدامهم ..

احس انه على حافة بئر . لا يستطيع ان يتماسك الارض تنهار تحت قدميه .. يسقط بسرعة من قمة شاهقة الى اعماق سحيقة .. صمت كثيف .. سمع ضحكات .. ضحكاتها الصغيرة تحمله كحلم ...

بغداد **جاسم الجوي**



محمد رجب البيومي

رثاء المدن بين الاندلس والمشارقة

بقلم محمد رجب البيومي

* * *

حين كتب تاريخ الادب العربي في اوائل هذا القرن على نهج الاستشراق ، اضطر رجاله الى الالمام باحكام عامة حالفها الصواب في اكثرها ، وبقي بعضها مجالا للبحث والدراسة، وكان نصيب الادب الاندلسي من هذه الاحكام الصائبة موفورا بلا شك ، ولكن اضطرار باحثيه الى اثبات فروق كثيرة بينه وبين الادب العربي بعامة أوقعهم في بعض الخطأ الظاهر كقولهم ان رثاء المدن فن اندلسي اوحت به مآسي الحوادث هناك ، وقد رسخ هذا القول رسوخا مكينا حتى وجدنا اطروحة جامعية حديثة تتحدث عن نكبة فلسطين وما قيل فيها من الشعر ، فترجع بالاثر الى اشعار النكبة في الاندلس ! وهو غلو في الاستنتاج لا نرى داعيا الى التمسك به ، وحتى راينا نفرا من اعلام الكتاب كاستاذنا احمد امين يعلن خلو الادب المشرقي من مراثي المدن ويعلل بما يعن له ، ونحن نعرض راي هؤلاء ممثلا في قول صاحب ظهر الاسلام ج ٣ ص ٢٨٧ .

«لقد راينا مدنا في الشرق تتساقط تساقط اوراق الشجر تستوجب الرثاء والبكاء كما سقطت بغداد في ايدي التتار، وازالوا كل ما فيها من مظاهر المدنية والحضارة ، وفعل التتار بها ما لا يقل عما فعله الاسبانيون في الاندلس ، وغزا هولاكو وتيمورلنك ونحوهما بلاد الشام ، واسقطوها بلدا بلدا ، فما راينا عاطفة قوية ، ولا رثاء صارخا ، ولا ادبا رقيقا ، ولا تاريخا مسجلا !! كالذي رايناه في الاندلس فان قلنا أن هذه الناحية في التاريخ الاندلسي اقوى واشد لم نبعد عن الصواب » .

وعبارة استاذنا الكبير رحمه الله على شيء من التناقض اولا واخيرا ، اذ ان قوله فان قلنا ان هذه الناحية في التاريخ الاندلسي اقوى وأشد لم نبعد عن الصواب قد يبدو متعارضا مع قوله فما راينا رثاء صارخا ولا ادبا رقيقا ولا تاريخا مسجلا !! لان القول الاخير يعترف بوجود هذا اللون على نحو اقل من لون الاندلس والقول الاول يكاد يحكم بعدمه !! مع ان المتصفح لكتب الادب والتاريخ يرى رثاء المدن ذائعا في كل محنة تجد ، ولم يتعرض أمثال الطبري وابن الاثير والمسعودي لمحنة ما الا رووا عنها في كتب التاريخ ، فضلا عن كتب الادب الخالص ، نماذج رائعة فيها الرثاء الصارخ والادب الرقيق ، والتاريخ المسجل كما كان يريد استاذنا الدكتور احمد امين وسبيلنا الآن ان نفصح عن ذلك موجزين !

لم يكن للشاعر الجاهلي قبل الاسلام مدن يبكي عليها ، فهو ينتقل في الصحراء الواسعة من مكان الى مكان طلبا للمرعى وسعيا وراء العيش ، واذا الم ببعض مدن المناذرة بالحيرة والغساسنة بالشام فهو المام المسافر المتكسب الذي لا يشغله ما يراه في الحضر عما خلف في البادية من نوق وخيام واصحاب ، وشعراء الحضر في الاقليمين مناذرة وغساسنة لم يجدوا من الحوادث الهائلة ما يدعوهم الى رثاء المدن اذ ظلت سليمة آهلة تحظى بسيطرة الملك وابهة السلطان ولكن شعراء البادية في تنقلهم المتتابع بالصحراء، كانوا يألفون مرابعهم ، ويبكون على فراقها اذا اضطرهم المسير الى انتجاع موضع عشيب ، والشاعر الذي يبكي الربع الدارس والطلل الماحل ، ماذا كان ينتظر منه لو عاش في مدينة آهلة ثم نكبت في كارثة فادحة ! لا بد انه كان يرسل المعلقات الرنانة في توضيح عاطفته النائمة وشجنه الملتاع ! على ان ما لدينا من ادب الاطلال في الجاهلية وصدر الاسلام ادب عاطفي صادق اللهجة ، صريح الدلالة على هيام العربي بارضه وتعشقه الصحراء وحنينه الى منازل احبابه ! وما شوه هذا الادب الجميل الا تكلفه الزائف عند شعراء بني العباس ممن اغرموا بمحاكاة اسلافهم لا عن حنين للربع او هيام بالطلل بل كي ينهجوا المنهج الجاهلي في القصيد ، وزاد ما قاله هؤلاء المحدثون عن حده حتى استثقل ومج ، وعادت كراهيته عفوا الى ذلك الادب الاصيل مما قيل في الجاهلية وصدر الاسلام عند بعض المتسرعين، اما الذين يعرفون منازع الشعر ويقيمون احكامهم على اصالة العاطفة وصدق الاحساس فيضعون ادب الاطلال في عصورها الاولى موضعه الاثير ، ويرون فيما قاله امرؤ القيس بدارة جلجل وزهير بدمنه أم أوفى وعنترة بدار عبلة في الجواء ادبا حي العاطفة صادق التعبير ، واذا جمعت الاطلال بعضها الى بعض فهي مدينة زائلة بكاها الشاعر الجاهلي فصدق البكاء !؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد تطور ادب الاطلال فيما بعد الى ادب الآثار ، فاصبح الشعراء يجدون في قصور التاريخ واواوينه واهرامه ومسلاته منادح واسعة للقول ، وان كان الشاعر في وصف الآثار واستجلاء عظمتها الغابرة يتحدث عن عاطفة عامة مشتركة يجد صداها لدى كل مواطن مثله ، اما شاعر الاطلال فيصدر عن عاطفة ذاتية ينفرد بها في الاعم والاغلب، واذا شاركه فيها انسآن آخر فان الشاعر لا يكترث به بل كل همه آن يفرج عن صدره هما يرين عليه بما ينظم من ابيات ولحيوية هذا الادب وصدقه اصبح ذا متعة وانس لقارئه المتذوق ، وان لم يكن من ساكني البادية وعاشقي الاطلال والربوع !

* * *

كانت بغداد اول مدينة تعرضت للتدمير والحريق في صدر الدولة العباسية حين استعر الخلاف بين المأمون والامين وهجمت الخراسانية بمجانيقها ورماحها وخيولها ، واشتطت اشتطاطا ظالما في نسف بغداد وترويعها ، وقد زاد الطين بلة ان اهتبل الفرصة فريق من الاوشاب والرعاع فتسوروا القصور والمتاجر واقتحموا الدور ، ونهبوا الاموال وهتكوا الاعراض ! وكانت محنة مروعة لم يكن احد ليتصورها في عهد بني العباس ، وهم الذين قد جعلوا بغداد حاضرة العالم باسره وعاصمة الاسلام في اقاصي اقطاره وكانت منذ سنوات قليلةتنعم بابهة الرشيد وعظمته، ويعد القاصون ارحلهم لينعموا بمشاهدتها وقد قطعوا الشهور ذوات العدد ضربا في الطريق وتجوالا في الانحاء مستسهلين الصعاب ، ليتحقق حلمهم البعيد برؤية بغداد، فلما حلت النكبة الفادحة وقف الشعراء الرسميون من مادحي الخلفاء والوزراء ينظرون على من تدور الدائرة ليشمتوا به ثم ليتجهوا الى غريمه الظافر يهنئونه بالنصر ، ويختلقون له روائع البطولة والنجدة وبعد النظر ،ويجعلونه معجزة الانقاذ ، ومؤئل الرجاء ، ولكن شاعرا خاملا بذكره ، نابها بجودته ، لم يكن يؤثر الرؤساء بامداحه بل كان يجعل شعره مسلاة نفسه ، ومنتفس شجونه قد هاله ان تصبح بعداد العظيمة موضع الحسرة والفجيعة وتعاظمه ان يجد السفلة من الاوشاب يراسون المظاهرات لاقتحام الدور واغتصاب الاموال ، وسلب العفاف ، فارسل زفراتهالحارة كاوية لاهبة في قصيدة مؤثرة باكية تجاوزت المائة من الابيات ، هذه القصيدة الرائعة لم تحفل بها كتب الادب ، فتشيد باتجاهها الواقعي ، وتعبيرها المؤسي ، واتساع منافذ الشعور وابعاد الخيال ومطارح التصوير لدى قائلها، وهو بعد لا يشعرك انه ناظم يتعمد الوصف ويحفل بالجزالة ويمهد لضروب الاستعارة والتشبيه ، ولكنك تقف منه امام نهر مطرد المسير دافق التيار ، وحسبه ان ينقل عن نفسه ما يجيش بها من هدير ! هذا الشاعر الذي حفظ كتاب الطبري وحده قصيدته هو ابو يعقوب اسحق الخزيمي الذي لا تكاد تروي كتب الادب شيئا عن تاريخه وشعره وانما هي سطور متفرقة تقال في كل شاعر ! على ان مرثيته لبغداد كانت ابلغ تعريف به ، وقد تعرض بدءا الى عزها السالف ومجدها الغابر فرسمه في صورة سهلة لا تكلف بها ، وانما هي حديث شعري يحمل رصيده النفسي من الايحاء والتلوين اذ يقول :

اذ هي مثل العروس بادنها ... مهول للفتى وحاضرها
جنة دنيا ودار مغبطة ... قل من النائبات واترها
درت خلوف الدنا لساكنها ... وقل معسورها وعاسرها
وانفرجت بالنعيم وانتجعت ... فيها بلذاتها حواضرها
فالقوم منها في روضة أنف ... اشرق غب القطار زاهرها
من غرة العيش في بلهنية ... لو ان دنيا يدوم عامرها
دار ملوك رست قواعدها ... فيها وقرت بها منابرها
افراخ نعمى في ارث مملكة ... شد عراها لها اكابرها
فلم يزل والزمان ذو غير ... يقدح في ملكها اصاغرها
وافترقت بعد الفة شيعا ... مقطوعة بينها اواصرها
اورد املاكنا نفوسهم ... هوة غي اعيت مصادرها
ما ضرها لو وفت بموثقها ... واستحكمتفي التقى بصائرها
واقنعتها الدنيا التي جمعت ... لها ورغب النفوس ضائرها

أرأيت هذا الحديث السهل المؤثر ، لا يعمد الى قعقعة صاخبة تصك سمعك ، ولا ينادي صاحبه على نفسه بالرصانة المفتعلة ليذهب له ذكر في جودة الحوك وزركشة الوشي ! وانما هي نظرة المتأمل ، وعبرة الذاكر حتى اذا ادكر الامس بمباهجه انتقل الى الحاضر بدواهيه فقال :

يا بؤس بغداد دار مملكة ... دارت على اهلها دوائرها
امهلها الله ثم عاقبها ... حين احاطت بها كبائرها
بالخسف والقذف والحريق وبا ... لحرب التي اصبحت تساورها
كم قد رأينا من المعاصي بها ... كالعاهر السوء نام عاهرها
حلت ببغداد وهي آمنة ... داهية لم تكن تحاذرها
طالعها السوء من مطالعه ... وادركت اهلها جرائرها
رق بها الدين واستخف بذي ... الفضل وعز النساء فاجرها
وخطم العبد انف سيده ... بالرغم واستعبدت مخادرها
وصار رب الجيران فاسقهم ... وابتز امر الدروب ذاعرها
من ير بغداد والجنود بها ... قد ربقت حولها عساكرها
كل طحون شهباء باسلة ... تسقط احبالها زماجرها
يلقى بفي الردى اوانسها ... يرهقها للقاء طاهرها
والشيخ يعدو حزما كتائبه ... يقدم اعجازه يعاورها

هذا كله بعد الانس السابغ ! والنعيم الضافي والعز المقيم !

يا هل رايت الجنان زاهرة ... يروق عين البصير زاهرها
وهل رأيت القصور شارعة ... تكن مثل الدمى مقاصرها
اين الظباء الابكار في روضة ا ... لملك تهادى بها غرائرها
اين غضاراتها ولذتها ... واين محبورها وحابرها
بالمسك والعنبر اليماني والاطيا ... ب مشبوبة مجامرها
يرفلن في الخز والمجاسد والمو ... شي مخطومة مزامرها
فاين رقاصها وزامرها ... يجبن حيث انتهت حناجرها
تكاد اسماعهم تسل اذا ... عارض عيدانها مزامرها

هؤلاء الاوانس النواعم النوافح العبقة من المسك والعنبر يرفلن في الخز والمجاسد قد صرن وسط الازقة صارخات باكيات يسألن اين الطريق ؟ ولم يكدن يبرزن وجوههن للشمس اذ يمرحن في الابهاء والمقاصير حتى اختطفتهن

حرب زبون لا رحمة لديها ولا عطف فهن كما قال الشاعر :

معصوصبات وسط الازقة قد ... ابرزها للعيون ساترها
كل رقود الضحى مخباة ... لم تبد في اهلها محاجرها
بيضة خدر مكنونة بررت ... للناس منشورة غدائرها
تعثر في ثوبها وتعجلها ... كبة خيل زيفت حوافرها
تسأل اين الطريق والهة ... والنار من خلفها تبادرها
لم تجتل الشمس حسن بهجتها ... حتى اجتلتها حرب تباشرها
يا هل رأيت الثكلى مولولة ... في الطرق تسعى والجهد باهرها
في اثر نعش عليه واحدها ... في صدره طعنة يساورها
خرقاء تلقى النثار من يدها ... يهزها بالسنان شاجرها
تنظر في وجهه وتهتف بالثكل ... وعز الدموع خامرها
غرغر بالنفس ثم اسلمها ... مطاولة لا يخاف ثائرها !

هذا شعر صادق مؤثر ! وتصوير حي باهر لكل عذراء رقود الضحى منعمة لا يعرف اهلها صورتها لشدة تصونها ثم هي تذال في الطريق منشورة الغدائر تعثر في ثوبها ولا تقيم الخطو اذ تعجلها كبة خيل تختطف الاوانس من هنا وهناك تسأل اين الطريق والنار من خلف وامام ! اما الثكلى ذات الولد فتولول اثر النعش تنظر الى غريمها القاتل صارخة في وجهه ! ولصدرها شجون لا يبلغها التعبير ، ومن قبل هذه العذراء البكر ومن بعد هذه الثكلى الشبيب صور للاسى رسمتها القصيدة فكانت ابلغ مرثية قيلت في بغداد ! ولا نحب أن نطيل الوقوف لديها كما تستأهل دراسة وتحليلا فلها اخوات اخر من بنات الشعر ينتظرن !

اما رثاء البصرة لابن الرومي فمن اروع آثار هذا الشاعر الفذ ، فقد راعه ان تصبح البصرة بين عشية وضحاها مرعى مباحا لهمل الزنج وطغام السوقة اذ اشعلوا الحرائق بها من ثلاث جهات ، فكانت النيران تتقابل كي تحصد ما أتت عليه من قصور وارواح واموال ثم اشاعوا وطلبوا ممن بقى على الحياة ان يلجأ الى المسجد الجامع كي يأمن على نفسه فصدق الناس لعظيم الهلع ما يسمعون وهرولوا الى بيت الله لائذين ، فحاصرهم السوقة من الزنج واعملوا سيوفهم في الرقاب دون رحمة حتى لم يبق احد ممن اعتصم ببيت الله !! وصارت البصرة انقاضا سلط عليها البشق والحريق فما ترى غير وجوه قد رملتها الدماء وطئت بالهوان والذل ، واذرع منثورة على الطريق لا تجد راحما يجمعها ليدفنها في مكان حتى حق لابن الرومي ان يقول :

بينما اهلها بأحسن حال ... اذ رماهم عبيدهم باصطلام
دخلوها كانهم قطع الليل ... اذ راح مدلهم الظلام
كم اغضوا من شارب بشراب ... كم اغضوا من طاعم بطعام
كم ضنين بنفسه رام منجا ... فتلقوا جبينه بالحسام
كم اخ قد رأى اخاه صريعا ... ترب الخد بين صرعى كرام
كم مفدى في اهله اسلموه ... حين لم يحمه هنالك حامي
كم رضيع هناك قد فطموه ... بشبا السيف قبل حد الفطام
كم فتاة بخاتم الله بكر ... فضحوها جهرا بغير اكتتام
صبحوهم فكابد القوم منهم ... طول يوم كأنه الف عام
من رآهن في المساق سبايا ... بعد ملك الاماة والخدام

هذه المعاني تتكرر دائما في مراثي المدن ، دون ان يقلد فيها شاعر سواه لان الواقع المفجع نفسه قد تكرر فتكرر معه خيال الشاعر وتصويره ، وقد ذهب بعض النقاد الى موازنة بين قصيدتين اندلسيتين تضمان امثال هذه المعاني فحكم للسابق بالابتكار وللاحق بالتقليد ! وهذا لعمري خطأ واضح لان التفات الشاعر الى روعة الاحداث المذهلة لا يجعل تشابهها مدعاة لاغفالها ، وما زلنا نقرأ امثال ذلك حين تحين مناسباته ، ولكل شاعر طريقته الخاصة التي يصور بها مشاعره ! ولا تظن ان رثاء المدن وحده هو الذي يضم هذه المشاهد ، فالبحتري مثلا يرثي المتوكل على الله فيتلهف على قصر الجعفري وانسه ، على نحو قريب مما نرى ، ويتحدث عنه اذ ريع سربه ، واذ ذعرت اطلاؤه وجآذره ، واذ صيح فيه بالرحيل فهتكت استاره وستائره وما زالت امثال هذه المشاهد تثير المشاعر وتذكي الجوانح، فتداولها الشعراء كل ينسج على منواله ما استطاب من لدن الخريمي وابن الرومي وشعراء النكبة في الاندلس الى حافظ ابراهيم في زلزال مسينا وحريق ميت غمر ثم الى ما تلا ذلك من حديث فلسطين ! فالقول هنا بتأثر اللاحق سابقه بعيد عن مطارح الصواب ! على ان الجدة حقا لدى الشاعر العبقري تظهر في الوانه وصوره من ناحية وفي وثبات خياله من ناحية ثانية فابن الرومي يطفر بخياله طفرات موفقة حين يتصور يوم الموقف الاعظم امام المنتقم الجبار وقد هرع الناس الى المحشر الرهيب بين يدي رب العالمين فسألهم عز وجل عن مأساة البصرة ونادى معاصريها من المسلمين متسائلا ؟ اما غضبتم لوجهي ؟ اخذلتم اخوانكم وقعدتم قعود اللئام ! لم لم تغاروا لغيرتي فتركتم الحرمات لمن احل الحرام ؟ ثم يتصور بعد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صاح بالناس اين كنتم حين صرخت كرائم الدور وامحمداه ! لم لم تجيبوهن وقد استنجدن برسول الله وهو دفين تحت التراب ! هذا نمط من التخيل العبقري لا يقدر عليه غير شاعر من طراز ابن الرومي حين يقول :

اي خطب واي رزء جليل ... نالنا في اولئك الاعلام
كم خذلنا من ناسك ذي اجتهاد ... وفقيه في دينه علام
واندامى على التخلف عنهم ... وقليل عنهم غناء ندامى
واحيائي منهم اذا ما التقينا ... وهم عند حاكم الحكام
اي عذر لنا واي جواب ... حين ندعى على رؤوس الانام
يا عبادي اما غضبتم لوجهي ... ذي الجلال العظيم والاكرام
أخذلتم اخوانكم وقعدتم ... عنهم ويحكم قعود اللئام
كيف لم تعطفوا على اخوات ... في حبال العبيد من آل حام
لم تغاروا لغيرتي فتركتم ... حرماتي لن أحل حرامي
ان من لم يغر على حرماتي ... غير كفء لقاصرات الخيام
كيف ترضى الحوراء بالمرء بعلا ... وهو من دون حرمة لا يحامي
واحيائي من النبي اذا ما ... لامني فيهم اشد الملام
وانقطاعي اذا هم خاصموتي ... وتولى النبي عنهم خصامي
مثلوا قوله لكم ايها النا ... س اذا لامكم مع اللوام
امتي اين كنتم اذ دعتكم ... حرة من كرائم الاقوام
صرخت يا محمداه فهلا ... قام فيها رعاة حقي مقامي
لم اجبها اذ كنت ميتا فلولا ... كان حي اجابها عن عظامي
بأبي تلكمو العظام عظاما ... وسقتها السماء صوب الغمام
وعليها من المليك صلاة ... وسلام مؤكد بسلام

وقد عجبت لقول استاذنا الدكتور احمد امين « لقد سقطت بغداد في ايدي التتار وأزالوا كل ما فيها من مظاهر المدنية والحضارة وفعلوا بها ما لا يقل عما فعله الاسبانيون في الاندلس وغزا هولاكو وتيمورلنك ونحوهما بلاد الشام واسقطوها بلدا بلدا فما راينا رثاء صارخا ولا ادبا رقيقا » اذ ان الواقع أن بغداد رثيت برثاء كثير في هذه المحنة كما رثيت جميع المدن التي اسقطها هولاكو وتيمورلنك ! ولكن هذه المراثي لم تبلغ من الروعة مبلغ مراثي الخزيمي وابن الرومي وامثالهما لانحدار الشعر العربي بعامة في عصور الغزو التتري ، فلم يكن للعربية اذ ذاك من فحول الشعراء من يطيلون الملاحم في التفجع والحسرة كما لم يكن لها اذ ذاك ايضا من يجيد الاغراض الاخرى من غزل ووصف وامداح !! انما كان لدينا شعراء فهموا مدلول الشعر على غير وجهه وقد افسدتهم سيطرة النقد القائم على تفضيل التلاعب اللفظي والمحسن البديعي ، ومع هذا كله فقد قام من يقولون الشعر بواجبهم نحو هذه المدن الجريحة فعبروا عن الشعور الاسلامي كما يستطيعون ، والاستاذ احمد امين احد الذين اشتركوا في تأليف « المنتخب المدرسي » فلا بد ان يكون قد قراه واقره ، فكيف يغفل عما به من رثاء بغداد ـ وهو مثل من امثال ـ للشاعر شمس الدين الكوفي ومن ابياته :

ان لم تقرح ادمعي اجفاني	من بعد بعدكم فما اجفاني
انسان عيني مذ تناءت داركم	ما راقه نظر الى انسان
ما لي وللايام شتت خطبها	شملي وخلاني بلا خلان
ما للمنازل اصبحت لا اهلها	اهلي ولا جيرانها جيراني
وحياتكم ما حلها من بعدكم	غير البلى والهدم والنيران
اين الذين عهدتهم ولعزهم	ذلا تخر معاقد التيجان
كانوا نجوم من اهتدى فعليهم	يبكي الهدى وشعائر الايمان
افنتهم غير الحوادث مثلما	افنت قديما صاحب الايوان
ما زلت ابكيهم والثم وحشة	لجمالهم متهدم الاركان
حتى رثى لي كل من ما وجده	وجدي ولا اشجانه اشجاني

هذا نمط مما قيل وقد شغل فيه الشاعر عن تسجيل دوافق اللوعة بمراعاة الجناس بين اجفاني وما اجفاني وبين انسان العين والانسان وحول الطباق بين الموت والحياة والعز والذل! وهذه محنة الادب بعامة في عصور الانحطاط.

اما الشاعر الفارسي العملاق سعدي الشيرازي فقد تأوه للمحنة ، ونظم فيها باللسان الفارسي شعرا يذيب الجماد ، كما نظم فيها بالعربية شعرا يرتفع كثيرا عما قاله معاصروه من شعراء العرب ! ومن الطريف ان الجزء الرابع من كتاب المطالعة العربية وقد كتب عليه ان الاستاذ احمد امين من مراجعيه قد نشر جزءا من مرثية الشيرازي لبغداد ، وهي وان كانت اقل من شعره الفارسي جودة واتقانا الا انها ممتازة بين زميلاتها من العربيات المعاصرات!

اما رثاء دمشق حين سقطت في ايدي التتار فمما نتمثل به هنا قول الشاعر علاء الدين العزولي :

اجريت جمر الدمع من اجفاني	حزنا على الشقراء والميدان
لهفي على وادي دمشق ولطفه	وتبدل الغزلان بالثيران
واحسرتاه على دمشق وقولها	سبحان من بالفل قد ابلاني
لهفي عليك محاسنا لهفي عليك	عرائسا لهفي عليك مغاني
ما كان اهنا العيش فيساحاتها	والدار داري والزمان زماني

ولا اظن القارىء في حاجة الى الاكثار من هذا الوصف التقليدي وانما نسطر بعضه على سبيل المثال .

واما مراثي المدن بالاندلس فقد تكرر الحديث عنها وافردت له كتب وفصول .

الفيوم ـ دار المعلمات — محمد رجب البيومي

وعد

يا برعما تفتحا
يا بسمة ان أشرقت
منه على جدبي اطل القطر ريان نديا
تبسم الكون وفاض الظل بالنور وضيا
يا صدفا ما املحا
الى الاعالي حلقت
يشع فيه الدر بالاشراق والنور غنيا
احلام حب ظل للفيمة والنجم نجيا
يا حلما مجنحا
وفي ثراه اينعت
استشرفت روحي به افقا جديدا عبقريا
شجيرة يخفق فوق زهرها الطل رويا

يا باحثا عبر الازل
يا شفة ما انعما
للحب عن سر كبير ضل في ثغر صغير
فلتحطموا انوالكم يا ناسجي اغلى الحرير
كأس دهاق لم تزل
ويا رحيقا بلسما
تدور لم يرو الندامى لا ولا مل المدير
عمري فداء رشفة لذت وفاحت بالعبير
كم علل بعد نهل
حلاوة لكنما
تجرعوها والهوى سر كما كان كبير
لا الشهد يدري كنهها ولا معتق العصير

يا باب جنة الهوى
ما زال ما احرزت من سر على الوهم خفيا
تطلعت الى الذرى
آمال قلب عاش بالابهام والغيب حفيا
بورك فيها من رؤى
ابديت منها لمحا اذ جدت بالوعد سخيا

ايوبوادفيل — جمال مرسي بدر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

صالح الصمادي

بقلم البدوي الملثم

* * *

ولد صالح الصمادي عام ١٨٩٣ في نابلس ، المدينة التي دوخت الغزاة الفاتحين ، وافاءت على فلسطين وشقيقاتها العربيات عشرات من الزهرات الشذية الفوح ، المعطرة الارج ، وافواج من الرجالات المثقفين ، المغالين بامتهم ، المعتزين بنبيهم الكريم ، الفخورين بكتابهم العظيم !

ودرس صالح العلوم الابتدائية والاعدادية في مسقط راسه ، وانهى دراسته في سلطاني بيروت ومن عاصمة الساحل اللبناني يمم الاستانة ودخل جامعتها التي تخرج منها العشرات من احرار العرب ومثقفيهم ، ونال شهادة كلية الحقوق في علم السياسة والحقوق .

ومنذ حداثة سنه الى عام التحاقه بجامعة الاستانة تميز المرحوم الصمادي بحماس لعروبته واندفاع في مناهضة من يؤذي قومه ، ويسعى الى قهرهم واذلالهم ، وطمس معالم تاريخهم والغض من امجادهم .

وفي الاستانة انضم صالح الى « المنتدى الادبي » (١) وجاهر بتأييد الحركة العربية الحديثة ، والدعوة الى استقلال امته والاعتراف بحقها في الحياة ، ولشدة حماسه النابع من قلبه الطيب اطلق عليه رفاقه العاملون معه في الدعوة العربية لقب « شيخ العرب » .

وفي عام ١٩١٦ دعي صالح مع زميله العالم المرحوم عادل زعيتر الى الجندية وعين كل منهما ضابطا احتياطيا ولما اضطهد الترك العرب ونشبت الثورة العربية هرب مع المرحوم زعيتر ونفر من الشبان العرب من الجيش العثماني، واجتازوا جبل العرب الى قبيلة الرولا فقبيلة الحويطات التي كان يتزعمها عوده ابو تايه ، ولقوا الاهوال في طريقهم الى الجيش العربي اذ ضلت قافلتهم السبيل في البادية التي بين هاتين القبيلتين ففقدوا الماء ولحقهم من العطش الشديد ما جعلهم مشرفين على الموت ، ولا امل لهم في الحياة ، ثم ذهب فارسان من القافلة ، احدهما الى الشرق والاخر الى الغرب ، علهما يعثران على نبع ماء ، وما هي الا اربع ساعات حتى جاء الخبر بالاهتداء الى بئر فوقع صالح وعادل ورفاقهما ساجدين لله تعالى ، ووقفوا نفوسهم على امتهم التي تحدروا منها وعاهدوا الله على ذلك ، ثم اقبلوا على الماء وارتووا ، ثم توجه جمعهم الى الامير فيصل بن الحسين قائد الجيش العربي الشمالي في ابي اللسن .

وقبل أن يلحق صالح وزملاؤه من الضباط العرب بالجيش العربي المعسكر في ابي اللسن، سجن في الاناضول ونظم في سجنه شعرا قوميا رائعا ، ومن قوله متحديا اعداء امته :

ما راعني انني اغدو صريع اذى وسط السجون ومصلوبا على النصب
لم يلهني عن بني قومي وعن وطني وعد الطغاة وبذل المال والرتب
ان يقبض الحر او يبقى فان له ذكرا يخلد في الاسفار والكتب

وقال فقيد العروبة من قصيدة اخرى :

قد اوجس الاتراك منا خيفة فاستحسنوا اطفاء كل منار
فزججت في قعر السجون وما دروا ان المحابس جنة الاحرار
ان كان ذنبي ان اعلم امتي فاستكثروا من هذه الاوزار
ان يصلب الاعداء جسما فانيا فالروح تاوي مسكن الابرار
تبقى البلاد اذا تعهد امرها عدل ولا تبقى مع الاشرار

ودخل الجيش العربي الفاتح دمشق وعلى راسه الشريف فيصل بن الحسين وبعد ان استتب الامر عين صالح سكرتيرا لوزارة العدلية في عهد وزيرها المرحوم اسكندر عمون فاستاذا في معهد الحقوق بدمشق .

وبعد ان اجتاحت سورية رياح الفرنسيين ودك العرش الفيصلي خرج صالح مع من خرج من اخوانه الاحرار الى عمان ، مكان التجمع العربي بعد أن بلغها الامير عبد الله بن الحسين لاسترداد سورية من ايدي الغاصبين ، ونتيجة لمساندة الانكليز في الاردن الفرنسيين في سورية ، استحوذ اليأس على رجالات العرب وقادة حركتهم ، فبارح عمان من بارحها من الاحرار ، واقام فيها من اقام من المناضلين ، وكان صالح من الفريق المقيم ، وبعد ان تالف مجلس المستشارين برئاسة المرحوم رشيد طليع عين صالح حاكم صلح في عمان فرئيسا لمحكمة بداية السلط فعضوا في محكمة الاستئناف بعمان ، ونظرا لخلافه مع وزير العدلية نقل صالح حاكم صلح وقاضيا شرعيا لقضاء جرش وبعد مدة استقال وعاد الى عمان ليزاول المحاماة ، فكان فيها المثل الاعلى للمحامي الشريف ، النظيف اليد ، الطيب الاحدوثة .

واحياء لحركة التحرر العربي ولذكر «جمعية ام القرى» التي وفاها حقها المرحوم الشيخ عبد الرحمن الكواكبي ، رائد الوعي العربي في كتابه « مذكرات جمعية ام القرى » تأسست في عمان عام ١٩٢٣ جمعية سياسية سرية باسم

(١) انشىء « المنتدى الادبي » في عام ١٩٠٩ ومؤسسوه هم : عبد الكريم قاسم الخليل ، يوسف سليمان حيدر ، سيف الدين الخطيب ، جميل الحسيني ، رفيق رزق سلوم ، على ان يكون ندوة للشبان العرب في الاستانة ، يجتمعون فيه ، ويختلفون اليه لاستماع المحاضرات التي كانت تلقى فيه ، ومطالعة الكتب والصحف ، وكان ياوي اليه من الطلاب العرب من لا تساعده حالته المالية على المبيت في الفنادق والبيوت ، وعاش «المنتدى العربي» في الاستانة حتى١٩١٥ فاغلقته السلطات التركية بعد ذلك ، وادى خدمات جليلة للعرب ، وبلغ شاوا عظيما في ميدان السياسة لم تبلغه جمعية من الجمعيات الاخرى ، خصوصا ابان عقد الاتفاق بين الزعماء العرب والاتحاديين ، وكان الوزراء والعظماء والكبار يحضرون حفلاته بلا انقطاع ، ولما ضاقت به الدار القديمة التي كان يشغلها في « بار ماق قبو » انتقل الى دار فخمة واسعة من حي « كدك باشا » .

مـــدى

●

دوامـــة . وانت . شبـــاك ، مـــا ارحبنا ! والدرب .. يا للفـــلال !
الحـــيرة السمراء عينـــاك ، والصدر اللـــذيـــذ نفـــرة للجمـــــال
حمامتي ، الريـــح ... أي انتظـــار ؟ وانـــا ، لـــو تعلمـــين ، الســـؤال
حمامتي ، الريح ... لا تهدئي . لمـــي بعينيـــك شرود الخيـــال
افهم . لا ابوح . احلى . تظـــل عفـــة الحب بنـــا ، والكمـــال
أخضب القلب بأغنيـــة مـــن اللعـــل في دروب المحـــال
أصيّر الاخصـــاب كوخـــا لنـــا نسكنـــه عـــلى قـــديم التـــلال
افهـــم . لا ابـــوح . والامس لا اسألـــه . الأمس لفح الرمـــال
ملء يدينـــا نحن : الصحو . يـــا ما الصحو ادمـــاه كثيف الظـــلال
قـــد هيـــأ الله لنـــا سهـــرة ، وقـــرب دار ، ولقـــاء حـــلال
ملء يدينا نحن : الحب . بوحي... آه بوحـــي ... تتفتـــق دوال !
أتعبـــتِ أم أتعبـــتْ ايامنـــا ؟ ولم يـــزل في شفتينـــا ابتهـــال
قربت .. قربت .. فمـــا حيرة ؟ ما طائر في الصدر؟ ما.؟ ما الدلال؟
أأسأل القـــرط ، أم الكحـــل ، أم أحدوثة العقد ، وغمض الوصال ؟
أخـــاف أن عـــريت اوهامنـــا فيخجل الحب الكـــريم الخـــلال
ظلي . ويـــا الاجمـــل ظلي : انـــا تاريـــخ ظـــن فـــي سراديب بـــال
أراك حسبـــي ، وتحبيننـــي . ومن بعيـــد : من بعيد ننـــال ...
وان غفـــوت اســـمـــع المشتهى يقول لي ... يقول ما لا يقـــال !

دوامـــة . والدرب ؟ هذا المدى دحرج في عيني لون الضـــلال !!

حلب **علي الزيبق**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« جمعية ام القرى » وكان صالح في عداد مؤسسيها وهم: علي رضا الركابي ، محمد الشريقي ، صالح الصمادي ، توفيق سنو ، امين الجعفري ، عبد القادر الجندي ، عبد الستار السندروسي ، مسلم العطار ، طـارق الجنـدي وغيرهم .

وعندما نشطت حركة المعارضة الاردنية ضـد الانكليز والمعاهدة الاردنية ـ البريطانية نال المرحوم صالح الصمادي امتياز جريدة اسماها « صدى العرب » وصدر العـدد الاول منها في ١٣ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٧ ، وكانت هذه الصحيفة القومية مسرحا لاقلام اعلام المعارضة ، فلم يرض المسؤولون عن هذا (الصدى) ، وبعـد عام مـن صدورها صدر قرار من المجلس التنفيذي (مجلس الوزراء بلغة اليوم) بتعطيلها لنشرها مقالا لاذعا انتقد فيه كاتبه ، وهو المرحوم الصمادي ، مشروع المعاهـدة الاردنيـة ـ البريطانية ، واقامت النيابة العامة الدعوى على صاحبهـا فحكم عليه بالسجن مدة شهر ونصف الشهر ، لكن الامير عبد الله بن الحسين اصدر ارادته بالعفو عن صالح وكفتَ التعقيبات القانونية بحقه .

ولبث صالح يعمل في الحقل الوطني ، ويشيع روح التوعية في صدور الطلاب والمعارضين ، وكانت تربطني به روابط الادب والاخاء والمودة ، وفي ليلة من ليالي شتاء عام ١٩٣٣ كمن له وحش بشري ، وهو خارج من « مقهى حمدان » بعمان في طريقه الى بيته ، واهوى عليه بهراوة غليظة اصابت راسه ، وبعد ايام قلائل قضى هذا الوطني المؤمن نحبه ، وفاضت روحه الى بارئها هربا من شرور الناس ، وبموته خسرت القضية العربية مناضلا شريفـا طيب السيرة ، شب على حب قومه والمغالاة بوطنه العربي الكبير ، والذود عن حياضه ولو ادى به ذلك الى التهلكة والنطع والاستشهاد !

عمان ـ الاردن **البدوي الملثم**

ابن روميو

تمثيلية فكاهية

للروائي الفرنسي الساخر هنري بيير كامي

ترجمة سمير شيخاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفصل الاول

(المشهد يمثل قاعة العمل في منزل آل كابيوليت) .

كابيوليت الجليل ـ عبثا احاول استنطاق محفوظات اسرتي النبيلة . يستحيل اكتشاف اصل الحقد الازلي المتبادل بين اسرتي كابيوليت ومونتاغيو .

السكرتير ـ لقد فرغت الآن من الاطلاع على آخر رق ، فلم اعثر فيه على شيء .

كابيوليت الجليل ـ لا بأس . كنت اود الاطلاع على اصل حقدي المفترس على آل مونتاغيو . ولكن هذه ابنتي جولييت تدخل الحجرة .

جولييت ـ ابتاه ، استودعك سر نفسي .. انا احب روميو ، ابن آل مونتاغيو . وهو يحبني . اعقد زواجنا .

كابيوليت الجليل ـ المطهر ! انت تتزوجين ابن عدوي التقليدي !تنتقل عيناي من محجريهما اذا انا منحت موافقتي . لقد ابديت رأيي !

الفصل الثاني

(المشهد يمثل شرفة جولييت) .

روميو ـ انه منتصف الليل . ها انذا امام منزل جولييت . الخزانة ذات المرآة مشدودة الى شرفتها . انها الاشارة المتفق عليها . يمكنني ان اصعد . لاضعن هذه السلم المبتذلة على الجدار ، ولاصعدن الى شرفة جولييت لاعلق عليها سلمي الشعرية الحريرية . (يتسلق ويعلق السلم الحريرية على الشرفة) . الآن لانزلن ، فأبعد سلم الحديقة المبتذلة، واتسلق نهائيا السلم الحريرية . (يعود فيصعد الى الشرفة) .

جولييت ـ روميو العزيز ، بسبب الحقد المتوارث ، ابي يرفض الموافقة على زواجنا .

روميو ـ ان اهلي كذلك عنيدون، ولا يلينون . والحقد الازلي الذي يفرق بين اسرتينا يصنع بؤسنا وتعاستنا .

جولييت ـ لم يبق امامنا سوى الموت .

روميو ـ لا ، ايتها العزيزةجولييت لقد استشرت ناسكا عجوزا من اصدقائي . فاعطاني مخدرا من صنعه .

جولييت ـ انا لا افهم شيئا .

روميو ـ ستفهمين . ان هذا المخدر الذي سنتناوله سيمنحنا مظهر الموت ، ويجعلنا نرقد قرابة ستين سنة . ولدى استيقاظنا ، يكون حقد ذوينا قد هدا ، ولا ريب . واذ ذاك يمكننا ان نتبادل الحب في امان واطمئنان .

جولييت ـ ولكن ، ايها العزيز روميو ، اذاً انا لم اخطىء في الحساب ، فاننا نكون لدى استيقاظنا قد بلغنا الثامنة والسبعين من عمرنا، ما دمنا الآن في الثامنة عشرة ؟!

روميو ـ لا ، فهذا المخدر العجيب يحفظ الشباب . فبعد ستين سنة نستيقظ من رقادنا ونحن في ميعة الصبا والشباب ، كما نحن الآن !

جولييت ـ انه لامر رائع. لنشرب ولكن قبل ذلك ، لنضع على الموقد هذه الرسالة التي نوصي فيها بدفننا معا . لنشرب !

روميو ـ لنشرب ! (يشربان ، ويستغرقان في النوم) .

الفصل الثالث

(المشهد يمثل حجرة) .

روميو ـ كل شيء تم بنجاح . لقد رقدنا ستين سنة تحت تأثير المخدر . مساء امس ، حوالي الساعة السابعة والربع ، استيقظنا واستطعنا مغادرة ضريحنا العائلي دون لفت الانظار .

جولييت ـ ونحن ما نزال شابين جميلين مثلما كنا يوم وفاتنا المصطنعة.

روميو ـ سيكون باستطاعتنا ان نتبادل الحب بحرية . جميع ذوينا ماتوا منذ زمن طويل . آل كابيوليت وآل مونتاغيو انتهوا بالتذابح حتى آخر واحد منهم . نحن الخلفان الوحيدان لهاتين الاسرتين المتعاديتين.

جولييت ـ لا ، ايها العزيز روميو، لانني ساصبح اما .

روميو ـ ستصبحين اما ؟

جولييت ـ اجل . لقد نسيت ان اطلعك على الخبر .. فقبل تناولنا المخدر كنت حاملا منك .

روميو ـ يا للجنون ! اذن فانت حامل من ستين سنة ؟

جولييت ـ اجل ، ولم يكن بوسعي ان اضع طفلي اثناء رقادي .

روميو ـ حقا ما تقولين ، ما دمت كنت في سبات طويل . ولكن ليس لدينا وقت نضيعه . سأهرع من فوري الى الطبيب .

الفصل الرابع

(المشهد نفسه) .

روميو ـ انه لامر غريب . لقد وضعت جولييت طفلا في التاسعة والخمسين . ان هذا البريء العزيز يخيفني بلحيته الرمادية الطويلة . ولكن هوذا بين ذراعي المرضعة .

الابن ـ لتحل عليك اللعنة يا ابتاه. ان امي قد اطلعتني على حكاية المخدر. بفضل اختراعك السخيف قضيت في عزلتي الكئيبة المظلمة هذا العمر دون ان استطيع ان احيا حياتي . بفضل حبك الانانى ادخل هذا العالم في السن التي يقترب فيها المرء من خروجه من العالم . والسخرية الكبرى في الامر انني ابدو جدا لوالدي .

روميو ـ عفوا ، يا بني ، عفوا !

الابن ـ لا ، لتكن ملعونا ! انا لم استطع ان انمو نموا طبيعيا لاني ضغطت طوال خمسين سنة في احشاء امي .. تجاعيد جبيني وحدها ازدادت عمقا سنة بعد سنة . لحيتي وحدها نمت وعلاها البياض . لتكن ملعونا لانك سببت لابن العقد السادس ذل رؤية نفسه ملفوفا بلفائف الطفل الرضيع .

روميو ـ انا احبك رغم كل ذلك. انت ابني ، انت من دمي . دم آل مونتاغيو .

الابن ـ (صائحا) ـ آل مونتاغيو! يقول آل مونتاغيو ! ان هذا الاسم وحده يجعلني اغلي غضبا ! اني اشعر برغبة شديدة للتقتيل ! القتل ، القتل ! ويها لاهل مونتاغيو . (يدير مصاصته بيده ويرمي بها روميو) .

روميو ـ (واقعا ارضا) ـ ابني ، قتلتني ! سأموت بعد دقائق .

جولييت ـ (هارعة) ـ يا للسماء! ماذا يجري ؟

روميو ـ سأموت ايتها العزيزة جولييت كابيوليت .

الابن ـ (صائحا) ـ كابيوليت ! لقد سمعت ذلك جيدا ! كابيوليت ! ان هذا الاسم يجعلني فجأة اغلي غضبا . القتل ، القتل ! ويها آل كابيوليت . (يخنق جولييت) .

جولييت ـ سأموت .

المرضعة ـ ماذا فعلت ايها الولد الشرير ؟

روميو ـ (بصوت ضعيف) ـ ان اقتراب الموت يمنحني ذكاء كبيرا . نحن نموت ضحية حبنا المشؤوم . ابننا من ناحيتك تجري في عروقه دماء آل كابيوليت . لم يستطع ان يتحمل رؤية واحد من آل مونتاغيو .. حقده للجنس استيقظ في نفسه. من اجل ذلك قتلني . (يموت) .

جولييت ـ (بصوت ضعيف) ـ قضاء وقدر ! ان هذا الطفل تجري في عروقه كذلك ، من ناحية روميو ، دماء آل مونتاغيو . قتلني بسبب حقده على آل كابيوليت . (تموت) .

الابن ـ (صائحا) ـ انه لامر رهيب .. ان الدماء المتعادية دماء آل كابيوليت وآل مونتاغيو ، تتعارك في نفسي . ويها لآل كابيوليت ! ويها لآل مونتاغيو ! (يتناول سكينا بكل يد) .. الموت لآل كابيوليت ! (يطعن نفسه ناحية اليمين) . الموت لآل مونتاغيو (يطعن نفسه ناحية اليسار ويقع ميتا) .

المرضعة ـ قضاء وقدر ! قضاء وقدر !

سمير شيخاني

خمس قصائد اخرى

الى سعيد عقل

١٩٦٥/٢/٧

الآن ادرك قلبي ان جاز حقا حدوده ... فراح يلهو ويلهو بالذكريات البعيده
كالببر اما تراخت عقباه ، والضعف اودى ... ببطشه وقواه ... في الصيد يدعو حفيده
هذا الذي في صباه الادغال ترعش منه ... اخنت عليه الليالي ... فصيرته قعيده

١٩٦٥/٢/١٩

رتلت ما قد عناك رمزا ... فسر بلواك لا يباح
وخفت والمرء ذو حياء ... فصم في قلبك النواح
يا راحلا ... والجمال باق ... هل حز في نفسك البراح ؟

١٩٦٥/٢/٢٦

مباح ... وهذا حق كل معذب ... لان يعصر الايام خمرة اسعاد
فماذا تبقى للتعفف بعدما ... تنوح ايمان الشقي بالحاد ؟
دعوه.. فصدق الموت اودى بلبه ... وكبل ما يصبو اليه باصفاد...

١٩٦٥/٣/١

نشاطك سر اهتمامي الغريب ... ورعشة قلب يخاف السكون !
الا ايقظي فيه غافي الهوى ... بزوبعة حلوة من فتون
وحشي الجنون يثير الجنون ... وهل في الحياة نهى كالجنون !

١٩٦٥/٣/٩

شوهتها يا نار ... شوهتها ! ... اواه ، هل تدرين ما تصنعين ؟
الحسن اغناها بزاهي الصبا ... وانت بالتخريب .. لم تولعين ؟
بالله يا مرآتها ... بالوفا ... صوني كما قد كان ما تعكسين

حلب **علي الناصر**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العرب في ميورقة

بقلم الدكتور فؤاد جبور حداد

من « العروة الوثقى » في لندن

* * *

اتيح لي في الصيف الماضي ان ازور مجموعة من الجزر تقع شرق اسبانيا اسمها جزر البليار وتتألف من ثلاث جزر هي ميورقة وهذه الجزيرة الكبرى وتتوسط جزيرتي منورقة في الشمال وايبيزا في الجنوب (ولعل الاسم ايبيزا تحريف للاسم العربي القديم لها اليابسة) .

واول ما استرعى انتباهي وانا في ميورقة عروبة بعض الاسماء فيها ، فهناك مدينة اسمها « بني سالم » واخرى « الباهية » وثالثة « الجيدة » ورابعة « حمص » . وقام قاربان بنقلنا من جزيرة الى اخرى كان اسم الاول «نزار» والثاني « امينة » .

وعندما وصلنا العاصمة « بالما » رايت في الدليل انه توجد في المدينة ثلاثة اثار باقية تعود الى ايام العرب في الجزيرة وهي قصر الامارة واسمه اليوم « قصر المدينة » وهو لا يزال حتى الآن مثالا للفن العربي المغربي ويستعمل اليوم كمركز للشرطة والبوليس والآخر مجموعة من الحمامات العربية ويملكها رجل اسباني يتقاضى رسما زهيدا مقابل ان يطوف بالزائرين فيها وهي تشبه الحمامات التركية اليوم ، والامر الثالث شارع اسمه « شارع المدينة » له اقواس مغربية وينتهي (بعقر المدينة) وهو لا يزال كما كان عليه ايام الحكم العربي ويشبه شوارع القدس القديمة اليوم .

احببت ان اعرف المزيد عن تاريخ العرب في تلك الجزر فراجعت النفح والمغرب والذخيرة فوجدت انه كان للعرب في تلك الجزر تاريخ ادبي وسياسي عظيم . فقد امتد الحكم العربي هناك اكثر من ٤٠٠ سنة كانت فيها تلك الجزر عربية تماما وكان اهلها لا يتكلمون الا العربية . ويقول ابن سعيد في كتابه « المغرب في حلى المغرب » (فتح هذه الجزر عبد الله بن موسى بن نصير ولكن تم الفتح ايام عبد الرحمن الاوسط اذ جهز عبد الرحمن اسطولا من ٣٠٠ مركب الى جزيرتي منورقة وميورقة لاضرار اهلها بمن عبر بها من مراكب المسلمين ففتحها سنة ٢٣٤ هـ) .

بعد ذلك يبرز اسم هذه الجزر ايام ملوك الطوائف بروزا ظاهرا عندما استقل بها الملك مجاهد العامري .

كان مجاهد بن عبد الله العامري يلقب « بملك الجزر ودانية » . واما دانية فهي من اعمال بلنسية في الاندلس وكانت دائما متصلة بالجزر سياسيا واداريا . وكان لمجاهد وخليفتيه اقبال الدولة وناصر الدولة بلاط يقصده الادباء والشعراء من كل مكان . ولم يكن ليقل كثيرا عن مستوى بلاط المعتمد بن عباد . ففي بلاط ميورقة نجد جماعة من اكبر ادباء الاندلس في ذلك القصر مثل ابن سيدة وابن اللبانة وابو العرب الصقلي وابن حمديس وادريس ابن اليمان ، هذا بالاضافة الى الادباء والشعراء المحليين وهم كثر .

ومن القصص التي تظهر اهتمام ملك ميورقة بالادب والادباء ان ابا غالب بن التياني وهو من اعلام اللغة قد صنف كتابا وقف عليه مجاهد العامري فاعجبه فبعث اليه بالف دينار وكسوة على ان يزيد فيه انه صنفه باسم مجاهد العامري فقال ابو غالب ان كتابا صنفته لله وطلبة العلم لا اصرفه على اسم ملك ، واعاد الى مجاهد الالف دينار والكسوة . فزاد في عين مجاهد وعظم في صدور الناس وقيل في ذلك « هكذا ينبغي ان تكون الملوك وكذا يجب ان تكون العلماء » .

اما ابن اللبانة فقد اشتهر امره عندما اتصل بالمعتمد فقد قال فيه مدحا كثيرا وقال فيه بعد نكبته رثاء كثيرا ايضا ، وبقي وفيا لذكرى المعتمد طول حياته . ولكن لابن اللبانة تاريخ ادبي في ميورقة قبل ذهابه الى المعتمد وبعده . فقد عاش في ميورقة ايام ناصر الدولة يمدحه فيجزل الاخير في عطائه . ومن قوله في ناصر الدولة :

غمرت بالاحسان ارض ميورقة ... وبنيت ما لم يبنه الاسكندر

وقوله في وصف ميورقة :

بلد اعارته الحمامة طوقها ... وكساه حلة ريشه الطاووس

فكانما تلك المياه مدامة ... وكان ساحات الديار كئوس

وبقي الحال كذلك الى ان حدث له ما حدث للمتنبي في بلاط سيف الدولة فقد حسده الشعراء المحليون واخذوا يؤلبون عليه الامير . فضاق ابن اللبانة بهم ذرعا وطلب من الامير ان يسمح له بالذهاب . وقال في ذلك :

عسى رافة من سراح كريم ... ابل ببرد نداه الغليلا

وعلي اراح من الطالبين ... فاسكن للامن ظلا ظليلا

ومن بله الغيث في بطن واد ... وبات فلا يامنن السيولا

لقد اوقدوا لي نيرانهم ... فصيرني الله فيها الخليلا

افر بنفسي ولو اصبحت ... ميورقة مصرا وجدواك نيلا

وذهب ابن اللبانة الى المعتمد وبقي عنده حتى نكبته ولما زال ملك المعتمد لم يستطع ابن اللبانة العيش مع المرابطين فعاد الى ميورقة ومات هناك ودفن فيها ازاء ابي العرب الصقلي .

وذهب ايضا ابن حمديس الى ميورقة بعد زوال ملك المعتمد وفي ديوانه قصيدة طويلة يمدح فيها ناصر الدولة ويصف خيلا اهديت اليه . ولعل ابن حمديس قد وجد في ميورقة جزيرة تذكره بوطنه الام جزيرة صقلية . وتختلف المراجع في مكان وفاة ابن حمديس او بعضها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقول انه توفي في ميورقة ولكن المرجح انه توفي في بيجاية .

اما « ابن سيدة » فقد كان منقطعا على الامير مجاهد العامري وتفرغ ايامه للعلم والدرس ووضع كتابه «المحكم» ايام حكمه وبتشجيعه .

والشعراء الذين قصدوا ميورقة ايام حكم ملوك الطوائف كثيرون منهم ابو حفص بن برد والفضل بن الدراج وابو عبد الله محمد بن خلصة . وهذا ابن الدراج يمدح ابن مجاهد فيقول :

واذا ما خطوب دهر اطافت ... وانافت كانها الجن تسعى
كلاتنا من لسعهن أيادي ... ملك يكلا الانام ويرعى
ملك ان دعاه للنصر يوما ... مستضام كفاه نصرا ومنعا
او عراه السليب صفرا يداه ... جمع الرزق من يديه واوعى

وقال أبو عبد الله محمد بن خلصه يمدح اقبال الدولة :

اطع امر من تهواه ، من عز قد بزا ... كفى بالهوى ذلا وبالحسن معتزا
ولما لحاني الدهر لحو العصا ولم ... اجد من بنيه غير ما زادني وخزا
جعلتك لي حصنا ونبهت مقولا ... جرازا جذاذا لا كهاما ولا كزا
ليمنح بك الله الاماني والمنى ... ولا تفجع الآداب فيك ولا ترزا

ومن الطريف انه يتبع الطريقة العربية القديمة في المدح اذ يبدأ بالتغزل اولا ثم يتخلص منه الى الممدوح .

وقد انتجت جزيرة ميورقة عددا لا بأس به من الشعراء والادباء المحليين كني بعضهم باسم ميورقة مثل ابو الحسن نور الدين الميورقي وابن عبد الوالي الميورقي . ومنهم من لم يكنى باسم الجزيرة مثل أبو جعفر البني وعبد البر ابو محمد بن فرسان .

اما ابو الحسن الميورقي فيقول عنه صاحب نفح الطيب « كان من الفضلاء العلماء وله مشاركة جيدة في العلوم وله نظم حسن » ومن شعره :

وذي هيف راق العيون انثناؤه ... بقد كريان من البان مورق
كتبت اليه هل تجود بزورة ! ... فوقع (لا) خوف الرقيب المصدق
فايقنت من (لا) بالعناق تفاؤلا ... كما اعتنقت (لا) ثم لم تتفرق

ومن شعراء ميورقة ايضا ابو جعفر البني ولهذا الشاعر قصة محزنة فالظاهر انه كان بقدر اجادته للشعر مستهترا في حياته الى حد الاسراف . ويصفه صاحب المسهب فيقول « من سوابق حلبة عصره وغرر دهره . وهو مطبوع النظم نبيله . واضح نهجه في الاجادة وسبيله ، ما نطق متشرعا ولا نظر متورغا ولا اعتقد حشرا ولا صدق بعثا ولا نشرا . . . الخ » ويظهر ان الرأي العام في ميورقة قد اجبر ناصر الدولة على نفيه فاقلع في البحر ثلاثة اميال ونشأت ريح ردته فلم يتجاسر احد من اخوانه على زيارته فكتب اليهم :

احبتنا الاولى عنتوا علينا ... فاقصونا وقد ازف الوداع
لقد كنتم لنا جذلا وانسا ... فما بالعيش بعدكم انتفاع
اقول وقد صدرنا بعد يوم ... اشوق بالسفينة ام نزاع
اذا طارت بنا حامت عليكم ... كأن قلوبنا فيها شراع

ومن شعره ايضا :

نظرت اليه فاتقاني بمقلة ... ترد الى نحري صدور الرماح
حميت الجفون النوم يا رشا الحمى ... واظلمت ايامي وانت صباحي

ومن شعره ايضا :

قالوا تصيب طيور الجو اسهمه ... اذا رماها فقلنا عندنا الخبر
تعلمت قوسها من قوس حاجبه ... وايد السهم من الحاظه الحور

اما جزيرة منورقة فمن اشهر ادبائها واليها ابو عثمان سعيد بن الحكم القرشي . وقال عنه ابن سعيد خبرني احد من اجتمع به انه لقي منه برا حبب اليه الاقامة في تلك الجزيرة المنقطعة . وذكر انه ركب معه يوما فنظر الى حمالة سيف ضيقة قد اثرت في عنقه فامر له باحسان وغنباز وكتب معه :

حمالة السيف توهي جيد حاملها ... لا سيما يوم اسراع وانجاز
وخير ما استعمل الانسان يومئذ ... لحسم علتها الباس غنباز

(والغنباز) عند اهل المغرب صنف غليظ من الملبوس يستر العنق ومن شعره ايضا :

ليس المدامة مما استريح له ... ولا مجاوبة الانغام والوتر
وانما لذتي كتب اطالعها ... وصارمي ابدا في نصرتي قلمي

وقد استقل ابن الحكم في ميورقة عند اختلال امر الموحدين في القرن السابع الهجري وتوفي عام ٦٨٠ ودام سلطانه عليها نحوا من خمسين عاما .

اما جزيرة « يابسة » فمن اشهر ادبائها ابو علي العبدري اليابسي وذكر صاحب الذخيرة ان صلته على القصيدة كانت مائة دينار ولا يمدح احدا الا بهذا الشرط . وقال عنه ابن بسام « صار شعره سمر النادي ومقول الحادي وتمثل الحاضر والبادي وطفق يتردد على ملوك الاندلس تردد الكاس على الشرب ويجري على اهوائهم جري الماء على الفصن الرطب » .

ومن شعره في لحية طويلة عريضة :

او انها دون السماء سحابة ... لم تخترقها دعوة المظلوم

ومن شعره ايضا :

ثقلت زجاجات اتتنا فرغا ... حتى اذا ملأت بصرف الراح
خفت فكادت تستطير بما حوت ... ان الجسوم تخف بالارواح

ومن ادباء جزيرة « يابسة » ايضا ابو بكر العطار اليابسي، وقد عاش في مدة ملوك الطوائف . ومن شعره :

والجيش قد جعلت ابطاله مرحا ... تختال عن خيلاء السبق العتق
هي البحور ولكن في كواثبها ... عند الكريهة منجاة من الغرق

وعندما جاء المرابطون عينوا على الجزر عبد الله بن محمد المشهور بابن غانية ثم ملكها بعده اسحق ثم ابنه عبد الله ثم صارت للموحدين وتوالت عليها ولايتهم الى ان اخذها الاسبان من ابي يحي بن عمران التينملي وقال عنه المقري في نفح الطيب «كان بخيلا غير حسن التدبير سامحه الله».

وهذه رواية ابو عميرة المخزومي في كتابه تاريخ ميورقة عن سقوط الجزيرة في ايدي الاسبان ، قال :

« ان سبب سقوطها ان اميرها احتاج الى الخشب من جزيرة يابسة فأنفد قطعة حربية اليها علم بها والي طرشوشة الاسباني فجهز اليها من اخذها . فعظم ذلك على العالي وحدث نفسه بالانتقام فلما سمع ان مركبا جاء من طرشوشة ومعه مسطحا من برشلونة ارسل ولده الى جزيرة يابسة فاخذها واخذ ايضا مركبا كان هناك لاهل جنوه . وظن انه

بلادي ربيع

قفي واسألي عن رفيف المنى ... ولا تسألي عن مسير العمر
وحيي الربيع باضحوكة ... يحييك ما طال عمر الزهر
وسيري مع الليل في سره ... مسير النجوم وسير القمر
فناء هو العمر في صمته ... وما الليل الا السرى والسمر

* * *

تقولين : ما انت والحب والذكريات وعمر شرود الصور
ودنيا هوى لم تزل كلما ... تناءت رددت اليها البشر
كأن الهوى شعلة كلما ... خبت زدت عودا فزادت شرر
انا شاعر من سفوح الشمال ... انا .. من بلاد الجمال العطر
بلادي لها الشمس تهليلة ... على جبهة الصبح لا تنحسر
بها فاسيون ، كعرش الاله ... يشق السماء رحيما .. خطر
بها بردى .. بردى نفحة العطر والخمر والوشوشات الزهر
بها جنة الخلد ، مهد الربيع ... على شرفة الكون لا تندثر
انا قادم من بلاد الفوى ... بلاد الجمال الندي النضر
باعماق قلبي رؤى شاعر ... خفوق المنى راعش المنتظر
وهذا ربيع ، وعمري ربيع ... وعمر الربيع رقيق الصور

* * *

قفي واسألي عن اماني الشباب ... ولا تسألي عن ضحايا القدر
وكالروض لا تسألي العابرين ... أشوك جنى غرسه ام زهر
وكاللحن مري على السامعين ... ولا تسألي ما مصير الوتر
وكالغصن رفي على العاشقين ... ولا تسألي عن مسير العمر
قفي ، زورة العام عود الربيع ... وخفق المنى شعلة تستعر
ودرب الزمان طويل المدى ... له روضة بالمنى تزدهر

حمص — بسام جندلي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غالب وغلب وغاب عنه انه اشأم من عاقر الناقة . فلما بلغ الاسبان ذلك جمعوا ٢٠ الفا من اهل البلاد وجهزوا ١٦ الفا في البحر . ومن سوء الاتفاق انه حدثت فتنة في ميورقة بين الناس امر الوالي على اثرها ان يأتيه صاحب الشرطة باربعة من كبراء المصر فساقهم وضرب اعناقهم وكان فيهم اثنان خالهما ابو حفص بن سيري ذو المكانة الوجيهة . ففضب ابن سيري وعاهد نفسه على طلب الثار واصبح الوالي يوم الجمعة منتصف شوال والناس من خوف الحالة في اهوال ومن امر العدو في اهمال واذا بفارس على هيئة النذير دخل على الوالي واخبره ان الاسبان قد اقبلت وانه عد سبعين شراعا فأمر الوالي بالتجهز . وفي الثامن عشر من شوال وهو يوم الاثنين وقع المصاف وانتصر العدو ونزل الاسبان على المدينة من جهة باب الكحل . ولما رأى سيري ان العدو قد نزل على البلد خرج الى البادية ولما كان يوم الجمعة الحادي عشر من صفر قاتلوا في البلد قتالا شديدا . ولما كان يوم الاحد اخذوا البلد واخذ الوالي وعذب اما ابن سيري فقد صعد الى الجبل وجمع ١٦ الف مقاتل وما زال يقاتل الى ان قتل يوم الجمعة في العاشر من ربيع الآخر سنة ٦٢٨ هـ . وجده من آل جبلة بن الايهم الغساني » .

وتقول المصادر الاسبانية ان جيمس الاول ملك كاتلانيا جهز حملة من برشلونة في ٥ سبتمبر سنة ١٢٢٩ م نزلت في ميورقة على بعد ١٧ كيلومتر من العاصمة وفي ديسمبر من نفس العام احتل العاصمة وكون فيها مملكة توارثها اولاده من بعده .

هذه لمحة عن تاريخ ٤٠٠ سنة قضاها العرب في ميورقة اما اليوم فليس لنا فيها الا قصر الامارة وحمامات صغيرة وشارع ضيق .. ولله ملك السموات والارض .

لندن — فؤاد جبور حداد



حسن فتحي خليل

تولستوي .. وامرأته سونيا

بقلم حسن فتحي خليل

* * *

قليل هم الخالدون الذين نشعر بهم دائما وكأنهم ما زالوا يعيشون بيننا بالرغم من مضي تلك السنين الطويلة على مغادرتهم دنيانا ، وقلما نجد كاتبا مجيدا امكنه ان يؤثر على العالم باجمعه بكتاباته كما فعل تولستوي ، فهو ذو ملكة فنية جبارة وشخصية ممتازة .

ولد ليونيكولوفتش تولستوي عام ١٨٢٨ والملعقة الذهبية في فمه، وتقلب في اعطاف النعيم، وعاش عيشة الرفاهية وتمتع بمسرات الحياة جميعها ، وقضى شبابا فائرا، انتهب فيه الملذات ، من خمر ونساء ، حتى الميسر كان له فترات حية في صدر شبابه . والتحق بالجامعة مرتين ثم زهد فيها ، وحاول ان يكون موظفا ولكنه فشل . ولما مل حياته العابثة انضم الى فرقة القوزاق وحارب معهم .. ثم عاد الى حياته المدنية وروى ظمأه حتى الثمالة من اللذات الدنيوية وتمتع بمسراتها ما شاء له التمتع .. واذا به وقد تقدمت به السن يبدأ في ذلك التحول الذي ملك عليه لبه وتفكيره .. وتشاء له فلسفته التي اعتنقها ان يبدل من حاله، فيتنازل عن املاكه جميعها ويعيش عيشة التقشف ويعمل في الارض بيديه ويلبس لباسا خشنا كأحقر الفلاحين ويشعر بلذة كبرى وسعادة دافقة لكل ذلك .

ولو وقفنا قليلا نتدبر اسباب ذلك التحول الغريب، وهو الرجل الذي قضى سنين طويلة من حياته غارقا في اللهو والعبث واللذات .. نجد ان تولستوي كان ذا نفسية قلقة متبرمة دائما ، ولعل من اسباب هذا القلق النفساني ذلك التنازع بين شخصيتين ، شخصية الرجل الملحد العابث اللاهي ، الباحث عن لذائذ الحياة دائما ، وشخصية الرجل الديني الاخلاقي الذي يضع نصب عينيه ان يتأمل ويبحث في معاني الحياة قبل ان يلامسها . ويبدو ان الدافع الى زهده هو خوفه من الموت بينما كان هذا الخوف ذاته سببا مباشرا في اقباله على ملذات الحياة واندفاعه في التشكك والالحاد .

والحقيقة ان تحوله هذا لم يكن مفاجأة ، فان مبادىء الدين كانت موجودة في زوايا نفسه ، غير ان كل ما في الامر ان نقطة الارتكاز بين شخصيته قد انتقلت من ناحية الى اخرى ، وكان ذلك التحول الذي لا بد منه نتيجة لظروف حياته وعمله السابقين .

لقد كان شعوره نحو الطبيعة شعورا بدائيا ، فهو يحس دائما انه جزء لا يتجزأ منها ولعل ذلك هو احد اسباب هيامه بطبقة الفلاحين ، لمعيشتهم الطبيعية الساذجة، مما دعاه لان يحمل على المدنية الحديثة الفاسدة ، فهذه النظرة مصحوبة بعاطفته التي تسوقها نحوها تكونان ناحية من نواحي عقلية تولستوي . اما الناحية الاخرى فهي خوفه الدائم وتشككه وتحليله كل ما يعترضه مما دعاه للانفراد الذاتي الذي هو طبيعة كل من ينطوي على نفسه ، واذا هو بعد ان يشبع غريزته في التأمل يجد ان السعادة هي في المعاونة والحب والخير بين البشر وبعضهم ، ويجد ان المدنية الزائفة تحول دون ذلك فيدعو الى الاخذ بالحياة الاولى .. الحياة الطبيعية الهادئة التي تقوم دعائمها على تلك الخصال الحميدة ، ولقد اوضح نظريته هذه باسهاب في كتابه « اعترافات » عام ١٨٧٩ .

كان تولستوي حذرا في مسألة الزواج ، وكان يعتقد دائما انه شيء رهيب يخافه ويخشاه، وكانت علاقاته الاولى مع نساء كثيرات لا تتعدى الحب ، ولو حبا عفيفا او حبا جنسيا في بعض الحالات ، كحبه لامرأة ريفية تدعى اكسينيا اثرت عليه تأثيرا عميقا دام مدة طويلة ، ولعل قصته معها هي اصل قصة « الشيطان » التي كتبها حينئذ ولقد دامت علاقته بها مدة ما ، ولكنه تخلص اخيرا من عبوديتها ، او عبودية جسده بمعنى اصح ، ووجد نفسه في اشد الحاجة الى الزواج . وجعل يفكر في زوجته المستقبلة وقد اشترط فيها شروطا خاصة ، الى ان وقع في حب سونيا بهر ، وهي الابنة الثانية لعائلة يعرفها . فكتب عنها في يومياته ، في ٢٣ اغسطس سنة ١٨٦٢ : « اني خائف ماذا لو دلت تلك التجربة على رغبة خاطفة في الحب ، وليست حبا دائما حقيقيا » . ولكنه عاد فكتب فيها يوم ٣ سبتمبر « لا اعتقد ان مستقبل حياتي مع اية زوجة يضارع ما يبدو لي الان مع سونيا .. المستقبل السعيد الهادىء الخالي من المخاوف ، او اي بادرة من

بوادر الاسف » .

وفي ١٣ سبتمبر كتب : « انا احب حبا لم احبه في حياتي من قبل .. انا مجنون .. وسأطلق الرصاص على نفسي اذا سارت الامور على ما هي عليه .. لا يمكن وقف عواطفي نحوها » وفي اليوم التالي كتب : « كل يوم يمر اعتقد فيه اني لن احتمل المزيد من شعوري بالسعادة .. سأذهب في الغد اليهم وسأصرح لهم بكل شيء والا فاني انتحر » .

ومع ذلك لم يتقدم اليهم الا بعد ثلاثة ايام ، فطلب يد ابنتهم ، فقبلوه زوجا لها في الحال . وطلب منهم زفافا سريعا .

لم ينم في الليلة التي سبقت عقد قرانه، فقد كان مثقلا بالشكوك والمخاوف والريب .. كان يشعر برغبة في الفرار هاربا ، وكان الزواج قد حددت له الساعة الثانية مساء ، وكان من غير اللائق ان يطرق الخطيب منزل خطيبته يوم عقد قرانهما ، الا انه ضرب بالتقاليد عرض الحائط وذهب اليها وجعل يسألها : اتشعر انها تحبه حقا ، ام هل من الاوفق ان ينفصلا قبل فوات الوقت .. وبكت سونيا وهي تؤكد له حبها وانه ما من شيء يستدعي قلقه هذا . وشعر بحماقة فعلته هذه ، فقرر الزواج منها . ولم يهرب بعد الزواج كما كان يتوهم ، فقد كتب في يومياته بعد ثلاثة شهور من زواجهما : « لا اعتقد ان احدا يشعر بمثل سعادتنا » .

وجرفته عواطفه حتى اصبح يؤدي كل اموره في سرعة وبدون تفكير او تروّ كسابق عهده ، وهدأت فورة شهور الزواج الاولى ، فتكشف له الوهم ، وابتدأ يأخذ الغضب مكانه في مجرى حياتهما ، لم يظهر منه أي اعتراف بفشل ذلك الزواج الا بعد ستة عشر عاما او ثمانية عشر ، وما من احد خلال هذه الاعوام الطويلة شك في توفيقه في زواجه . ولكن الحقيقة ان تولستوي بعد ستة اشهر من زواجه لا اكثر ، قد كشف الهوة الروحية التي تفرق بينه وبين زوجته ، فكتب الى شقيقتها الصغرى ذلك الخطاب الرمزي الذي جاء فيه :

« لقد حدث شيء عجيب يا عزيزتي ثانيا .... انت تعرفين ان شقيقتك آدمية من لحم ودم مثلنا ، وتعلمين انها تتنفس انفاسا كأنفاس الناس حادة ، وتحرك اطرافها في كل الجهات كما يحرك الناس ، وبالاختصار هي من مادة البشر ... ولكن انظري ماذا حدث :

فجأة في ٢١ مارس سنة ١٨٦٣ في الساعة العاشرة مساء ، حدث ذلك الحدث الفادح الذي ازعجنا معا ... فانيا !... انا اعرف انك احببتها دائما ، ولا ادري ما هو الشعور الذي سيبعثه هذا الحادث في كيانك الان .

لقد استيقظت مبكرا في ذلك اليوم ، وقمت بنزهتي المعتادة ، وتناولنا معا طعام الغداء ، ثم العشاء . وكانت هي تقرأ (كانت ما زالت تقوى على القراءة) وكنت اشعر



تولستوي بريشة احد الفنانين الروس

بالهدوء والسعادة .. وفي الساعة العاشرة مساء قمت الى فراشي ، واخبرتني سونيا انها ستتبعني الى الفراش .. واثناء نومي سمعتها تفتح الباب ، وطرقت اذني زفراتها، وكانت تخلع ملابسها . ثم احسست بها تتقدم الى الفراش ففتحت عيني و .. رأيت !! لم تكن سونيا التي نعرفها جميعا هي التي رأيتها ... بل سونيا اخرى مصنوعة من الخزف !! وانك تعرفين الدمى الخزفية ذات الاذرع العارية ، تلك الدمى تشبه الاجسام البشرية تماما ، فها هو الشعر المطلي بالسواد يعلو رأسها ، وها هما العينان الواسعتان بحدقتيهما المرسومتين ، وها هي ثنايا القميص على الجسد العاري تبدو كالطبيعة تماما .. هكذا كانت سونيا . فلمست ذراعها ولكني وجدتها ناعمة باردة ، وخيل الي اني ما زلت نائما ، فتيقظت ... ولكنها كانت ما زالت واقفة امامي جامدة لا تتحرك . فسألتها : « هل انت مصنوعة من الخزف ؟؟» واذا بها تجيبني دون ان تفتح فمها ذا الشفتين المدهونتين باللون الاحمر : « نعم .. انا من الخزف !! فشعرت برعشة تسري في جسدي ... ونظرت الى ساقيها فوجدتهما من نفس المادة ، وكانتا مستندتين الى حامل خزفي ايضاً .. وعليك يا عزيزتي ان تتصوري ما اعتراني من الرهبة والخوف . حينئذ لم اصدق شعوري وبدأت اناديها . ثم تحسستها ثانية ، فكانت ناعمة الملمس باردة ، كانت جامدة ذات مظهر خارجي فحسب ، كانت اجزاء وجهها وجسدها هي هي التي اعرفها جيدا ، حتى قميصها ، فقد دققت النظر فيه فاذا به نفس القميص الذي كانت تلبسه من قبل . ولكنها كانت تمثالا من الخزف !!

ووجدتني في حالة مؤلمة لا ادري ماذا افعل او اقول . ولعلها كانت ترجو أن تعينني على ما انا فيه .. ولكن كيف تقوى على المساعدة مثل هذه المخلوقة الخزفية ؟ ! كانت لا تنظر الي .. كانت تنظر الى الفراش ، وفقدت سلطاني على نفسي فامسكت بها فلم اشعر باي تأثير لاصابعي في جسدها الخزفي البارد . ومما زاد في عجبي انها اصبحت خفيفة كوعاء فارغ ، ثم اذا بها فجأة تنكمش ويصغر حجمها حتى اصبحت في حجم ابهام يدي .. فوضعتها على الفراش ، واذا بي اسمعها تقول : « لماذا اصبحت من هذه المادة ؟ » فلم ادر كيف اجيبها !.. واذا بها تقول ثانية : « هل تشعر بفارق بيني اولا وبيني الان؟» فلم ارض ان ابعث الالم الى نفسها فقلت : « ان هذا شيء لا اهمية له بالنسبة الي .

ونمنا تلك الليلة . وفي الصباح تركت الحجرة دون ان انظر اليها . ولما عدت في الظهيرة وجدتها كما كانت اولا ودائما ، من مادة البشر ، فلم ارغب في ان اخبرها بما حدث بالامس حتى لا تتألم .. انها مخلوقة آدمية امام الناس دائما ، ولكن حين تنفرد في حجرتها اعود فاراها على هيئة ذلك التمثال الخزفي الصغير » .

ويبدو لنا من هذا الخطاب بعد الشقة بين روحيهما ، ويظهر الشعور الذي احس به تولستوي ازاء زوجه .

ونجد رأيه في الزواج في رواية «الحرب والسلم» وهي اولى رواياته التي كتبها بعد زواجه . فقال على لسان الامير اندرو وهو يخاطب بيير « لا تتزوج ابدا يا صديقي العزيز ، هذه هي نصيحتي لك ، لا تتزوج الى ان تقنع نفسك بانك قد قمت بكل ما تقوى عليه ، وحتى تكون قد هدأت ثورة حبك للمراة التي اخترتها ، فيمكنك رؤيتها على حقيقتها . انك ترتكب بغير هذا خطأ شنيعا .. تزوج حين تتقدم بك السن وتشعر انك لا تصلح لاي شيء سوى الزواج ، والا فقدت كل ما هو عظيم ونبيل في شخصك .. نعم .. نعم .. لا تنظر الي في دهشة .. فاذا تزوجت ، وكنت ترجو لنفسك ان تكون ذا خطر في المستقبل ، فانك ستخيب ، وستشعر في كل خطوة ان كل شيء بالنسبة اليك قد انتهى .. وان الابواب كلها قد اغلقت في وجهك .. الا باب حجرة الجلوس حيث تجتمع بامراة غبية جاهلة ! » .

وقبل نهاية الرواية المذكورة يحدثنا تولستوي عن بيير الذي تقمص شخصيته كما تقمص شخصية الامير اندرو فيقول : « واصبح بيير رهن اشارة زوجته ، فمنذ ايام زواجهما الاول اعلنت ناتاشا رغباتها واصدرت اوامرها . وتولت بيير الدهشة من نظرته الجديدة التي احسها نحو زوجته ، واحس ان كل لحظة من لحظات حياته اصبحت ملكا لها وللعائلة » .

وكتب تولستوي بعد ثلاثين سنة من ذلك ، في مايو سنة ١٨٩٣ يقول : « اني اذكر ماذا فعل ذلك الزواج بي . انه شيء فظيع ! » .

وهكذا تطورت افكار تولستوي عن الزواج بعد هذه التجربة القاسية ، واذا به في قصة انشودة كروتزر يعلن رأيه ونظريته التي اصبح يؤمن بها والتي تقول : «ان الحياة الزوجية تتسمم اذا ما قامت على علاقات متبادلة اساسها الرغبة الجنسية فقط ... ان الاستسلام الى هذه الرغبة نتيجة الدمار دائما » .

ولما بلغ الثانية والثمانين من عمره آثر الهرب من بيته وزوجه ليقضي بقية ايامه في عزلة ولكن لحقته المنية بعد ايام من هربه في السابع من نوفمبر عام ١٩١٠ .

وهكذا بدأ حياته مترفا واختتمها متقشفا ، وقضى فترة منها مرتابا متشككا واخرى متصوفا ... ومات تولستوي ذلك الارستقراطي المغرور في بداية حياته ، والفلاح المتواضع في نهايتها . كما يموت غيره .. ولكنا نحس دائما انه يعيش خالدا بيننا بكتاباته التي لا تبلى جدتها ابدا .

الاسكندرية **حسن فتحي خليل**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ماذا نقرأ؟ هل نقرأ ليوسف السباعي

بقلم لطيفة الشهابي

* * *

السؤال الذي يصادفنا ، نحن مدرسي ومدرسات اللغة العربية باستمرار هو : ماذا نقرأ ، وهل نقرأ لفلان ، وهل نقرأ لفلان ..؟ وانا شخصيا لا أمنع طالبة من قراءة شيء لانني اعتقد ان الطالبة هي التي تكون نفسها وتوجه قراءتها، وليست القراءة وحدها هي التي تخلق الطالبة . وبتعبير اصح انني أظن ان تماذجا عجيبا يحصل بين المقروء والقارىء فينتج شخصية الاخير وأسلوبه ، ولذلك اجعل دوري دوما مقتصرا على النصح والارشاد لا على القسر والالزام . وحين يوجه الي مثل هذا السؤال ابادر الى سرد اسماء عدد من المؤلفات لكبار كتابنا تصلح كلها لقراءة هذا الجيل. ولكن ما اسرع ما يبتدرني بعض الطالبات بالسؤال : هل القصة الفلانية ليوسف السباعي حسنة ؟ وهل القصة الفلانية لاحسان عبد القدوس حسنة ؟ فأقف قليلا قبل ان اجيب ، ثم اقول صادقة : انني لم اقرا لهما قصة واحدة ـ مع الاعتذار من الاستاذين القصاصين ـ فيعتقد السامع انني اماري في قولي ، وان غايتي ابعاد السائل عن هذين الكاتبين لاسباب يتفننون في تعليلها حسب خبراتهم في كتابة هؤلاء القصصيين . وقد جاءتني احدى الطالبات مرة ومعها قصة « ناديا » ليوسف السباعي بجزأيها ، بعد ان قلت لها اني لا اعرفها ، سلمتها لي وقالت انها قرأتها فوجدتها جميلة ، وقد لا تعجبني انا . وطبعا مفهوم الجمال الادبي عند الطالبات لا يكاد يختلف في شيء عن مفهومات الجمال الاخرى عند البدائيين ، اي انهم يحسون بذلك احساسا غامضا لا يستطيعون شرحه ولا تعليله ، ولا يرون فيه الا الاشياء المادية او المثيرة . وقرأت القصة بصفحاتها الالف ، وكدت أحس بمقدار فهم الفتاة لها . وخلاصتها لمن لم يقرأها هي التالية :

يرتكز كيان هذه القصة على حياة فتاتين توأمتين سميت باسم واحدة منهما وهي « ناديا » رغم ان كلتيهما كانتا تسيران بخطى متماثلة الا قبل النهاية بفترة وجيزة حيث تموت « منى » ولا يبقى لدينا الا « ناديا » . ان التوأمتين ولدتا من اب مصري مثقف وام فرنسية ، وقبل ان تتجاوزا سن المراهقة عزل ابوهما من استاذية الجامعة مع من طهرت منهم الاجهزة بعد قيام الثورة ، رغم براءته من كل ما لصق به من تهم كان سببها الوشاة والحساد . وقد اثر ذلك في نفسه ودفعه الى محاولة السفر الى فرنسا للعمل فيها ، ولكن حال بينه وبين ذلك حادث حريق حل في بيته واصاب « ناديا » واثرت به المفاجأة من جديد فعادت له نوبة الذبحة الصدرية ، التي اصابته عقب خروجه من الجامعة ، وكانت في هذه المرة قوية قضت على حياته . ثم قست الحياة على العائلة ودفعت بالام الى ان تفكر مجددا بالسفر الى فرنسا لتتخلص من الجو المشحون ، وتم سفر الام وابنتيها ، وحصلت الفتاتان على عمل في مدرسة اهلية في « جاب » بفرنسا ، وسكن الجميع في بيت الجدة القديم . ولكن كل واحدة من الاختين خلفت وراءها في مصر حبيبا يعز عليها فراقه وان اختلفت علاقتها معه باختلاف طبيعتها الخاصة . فـ « منى » المرحة المحبة للعب والدردشة تركت في القاهرة « عصاما » الذي طالما لعبت معه وسبحت ومرحت وصارحته بحبها وصارحها برغبته الصادقة في الزواج منها بعد اتمام استعداده للحياة العائلية ، وكانت الاتصالات بينها وبينه دائمة . و« ناديا » خلفت وهما كبيرا في خيالها يمثله الدكتور الجراح «مدحت» الذي احبته برزانته وصلابته وهدوئه وخشونته وملامحه القاسية رغم انها لم تحدثه قط ولم يعرف هو شيئا عن حبها له حينما كانت في مصر . وقد بذلت اختها شتى المحاولات لتجعلها تحتك به او تتعرف عليه، ولكن طبيعتها الانطوائية لم تسعفها بشيء . بل ازداد انطواؤها وبأسها بعد ان اصيبت بندوب في رقبتها اثر ذلك الحريق الذي شب في بيتهم بالقاهرة ، وقد جعلتها هذه الندوب تواصل تلفيع رأسها (بالاشارب) وتخفي به كل اجزاء رقبتها ، وتعتقد انها لا يمكن ان تري رقبتها لاحد ، ولا لمن تحلم به ليلها ونهارها. ولكنها تتجرأ مرة وتراسل صاحبها باسلوبها الجاف ، في اول الامر ، والمنسجم مع طبيعتها ، ويتلقى الرسالة فيظنها من مجهول أو ماجن عابث ثم يستشف شيئا من الصدق والاستعطاف فيها فيجيب عليها باشد من جفافها متسائلا عمن تكون صاحبتها وماذا تريد ؟ ومنذ ذلك تستمر المراسلات بين الحبيبين عن بعد ، مع ان فكرة اللقاء كانت تخيف « ناديا » وتطير لبها . ولكن قوة العلاقة بينهما تبلغ شكلا يجعل « مدحت » يفكر بالسفر جديا الى « جاب » ، وتراوده الفكرة باستمرار بعد ان تبادل الصور مع صاحبته ، وكانت في اول الامر ترسل له صورها القديمة قبل ان تبلغ سن الشباب ثم عاتبها على فعلتها فحارت كيف تعالج القضية : انها لا تريد ان تتصور بالايشارب ، ولا ان تنزعه خشية ظهور اثر الحريق ، ثم تهتدي الى حل فترسل صورة اختها التوام التي تشبهها كثيرا . وعندما تصله الصور والرسائل الاخيرة يقوى عزمه على السفر ، ويقرره في فترة معينة ، تصادف قبيل العدوان الثلاثي على مصر . وحين يصل الى «جاب» ويدق باب البيت الذي وصفته له « ناديا » في رسائلها ووصفت كل ما حوله ، تخرج « ناديا » لتستقبله بعد ان فجعت باختها وآلمها المصاب كثيرا ، ويسألها « مدحت » عن ناديا فتجيبه بانها ماتت وهي تعني (صاحبة الصور الاخيرة) ويصاب الرجل بصدمة مجزعة ولا يعرف ماذا يفعل ، ثم

يذهب معها لزيارة قبر « منى » أو « ناديا » كما يظنها هو، ثم يطوف البلدة مع الفتاة ذات (الايشارب) حزينين صامتين ، دون ان يدرك انها هي المقصودة بالزيارة، ويعرج بعد ذلك عائدا الى مصر . وهنا يبلغ اليأس ذروته عند «ناديا» وتفكر بالانتحار بعد ان فقدت كل امل لها بالمراسلة او الزيارة ، اذ اصبحت « ناديا » ميتة في عرف «مدحت»، ولكنها تستجمع شجاعتها وتكتب لصاحبها رسالة مطولة تشرح له فيها كل شيء وتنبئه عن رغبتها في الانتحار بعد اليأس الذي حل بها . وحين يقرأ الرسالة تستولي على ذهنه فكرة واحدة وهي انقاذها من الانتحار بأقرب وسيلة ويمتطي اول طائرة الى جنيف ، ومن هناك يحتال في الدخول الى فرنسا حيث يكون العدوان الثلاثي على اشده، ويكون المصريون ممنوعين من عبور حدود فرنسا ، ولكنه يدخل خفية بواسطة حيلة ويصل الى « جاب » فيجد « ناديا » لم تنفذ مخططها الجنوني بعد ، ويعود بها الى القاهرة ، فترى خطيب اختها في المستشفى اثر اصابته في المعركة ، وليس له علم بموت اختها ، وتجد محبها السابق الذي لم تكن تبادله الحب ، ولم يكن يعرف كيف يعبر لها عن حبه ، ثم تودعه قبل ذهابه الى بور سعيد حيث استشهد هناك . ثم تواصل حياتها مع زوجها « مدحت » بعد ان تقوم والدته باعداد لوازم الزفاف .

***

هذا هو الهيكل الاساسي للقصة . وهناك الى جانبه روح وطنية توشيها وتشغل قسطا ليس بالقليل من حوارها واحاديثها ، خاصة وان حوادثها تدور زمنيا ما بين ايام الجلاء وتأميم القناة والعدوان الثلاثي . وهذه الناحية هي التي تصور للكثيرين ، فيما اظن ، صلاحية هذه القصة للقراءة ، حيث ان مؤلفها لم يهمل وطنه ، ولم يكن ابطال قصته منحلين اخلاقيا . ولكن اظن كذلك اننا نقرأ من اجل انفسنا ومن اجل وطننا ، ومن اجل اسلوبنا قبل كل شيء، واخص الطلاب والطالبات هنا دون غيرهم .

١ ــ لا شك في ان قارىء « ناديا » يحس بانها امتعته اشد الامتاع نفسيا بما فيها من مرح ونكات وتسلية وخفة روح تصور حياة اخواننا المصريين ادق تصوير ، وتعطينا صورة للانسان الهادىء بينهم كيف يعيش ، واعني بذلك « مدحت » وكيف كان محورا لاجمل انواع الفكاهة ، فلقد كانت تنسج الفكاهة في حضوره من قبل زميله وصديقه « جاد الله » وفي غيابه من قبل اخت صاحبته « منى ». ثم هي من جهة اخرى تنقلنا الى طبيعة جبال الالب الفرنسية وما فيها من خضرة وثلوج ومياه واشجار ، وتحكى لنا التعاطف الانساني بين البشر مهما كانت انواعهم واجناسهم واديانهم خصوصا حين وفاة « منى » . هذا الى جانب بعض المواقف الشديدة التأثير والتي لا يملك القارىء فيها حبس دموعه كما في وصف وفاة «فاضل» الاب ثم موقف العمة الشرس من بنات اخيها وكذلك وصف وفاة « منى » وقدوم « مدحت » وتوهمه ان المتوفاة هي « ناديا ».

٢ ــ أما من جهة وطننا فانها تصور لنا اصدق العواطف نحو الوطن وتعطينا صورة مثالية لاسرة تفجع باكبر فرد فيها سنا ومنزلة ، بعد كارثة اصابته في وظيفته ، وفي فترة من فترات الحكم ، ثم هي تبقى موالية لهذا الحكم مئة بالمئة لانها تحس انه يخدم الوطن ويسعى لصالحه . وان هذه المثالية سيأتي دور مناقشتها في ختام هذه الكلمة .

٣ ــ اما من الناحية الاسلوبية فلا اظن احدا يخالفني في اننا لن نستفيد شيئا من القوة في اساليبنا بقراءة امثال هذه القصة ، اذا لم يكن العكس . قد يستفيد القارىء منها فنيا اذا امتلك ناصية الاسلوب فيقراها ويعرف محاسنها ومآخذها من حيث هي قطعة فنية ادبية، اما من جهة الاسلوب فلا . ذلك ان المؤلف يكثر جدا من استعمال العامية ولذا فاني اعتقد ان اجيالنا الصغيرة تحب كثيرا هذا النوع من القصص وتميل الى مجاراته في العامية ظنا منها انها تقلد كتابا وتكتب لغة فصحى ، ويكاد يكون هذا الامر سببا من اسباب انحطاط الاساليب في مدارسنا.

ان هذه القصة مع ما فيها من عواطف ذاتية ومشاعر وطنية صادقة ، ومع ما فيها من مواقف انسانية ، ورغم بعدها عن الافاضة في تصوير العناصر الشريرة في الحياة، هذه العناصر التي لا يكاد يخلو منها مكان ولا زمان ، اقول مع ذلك ورغم ذلك فانها لم تخل من بعض المتناقضات التي تعلو على الواقع وتجعلنا نحس ببعده عنا . ونلاحظ ذلك في نقاط :

١ ــ اولى هذه النقاط هو ولاء الفتاتين لحكومة الثورة رغم ان اباهما قد ابعد في عصرها عن الجامعة واصابه مرض نتيجة لذلك اودى بحياته . انني لا اكاد اصدق ان مثل هذه الاسرة يمكن ان تكون بمثل هذه الوطنية التي صورها بها الكاتب خاصة وان الام فرنسية الاصل . قد يقال بان وطنيتهما ناشئة عن وطنية الشابين اللذين تبادلتا معهما الحب . ولكنني ارى ان مشاعر « ناديا » الوطنية كانت تفوق مشاعر اختها رغم انها لم تعرف شيئا عن اتجاه « مدحت » الوطني لعدم اتصالها به في اول الامر .

٢ ــ النقطة الثانية وتتعلق بما حدث لـ « منى » من مرض مفاجىء اودى بحياتها رغم اننا لم نصادف مثل هذه الازمة الصحية او ما يقاربها لدى الفتاة خلال احداث القصة مع ملاحظة ما قامت به من العاب كثيرة مجهدة . فهل يمكن ان نعزي ذلك الى شعورها الحزين الداخلي من اجل اختها التي لا تجرؤ على مقابلة خطيبها ؟! ان شيئا من ذلك لم يتضح خلال القصة . قد يقال بان الكاتب كان يلمح كثيرا الى خشية الام عليها بعد المرض الذي اشار اليه في اوائل قصته ، وكان يشير الى تحذير « ناديا » لها من ارهاق نفسها ، وهذا صحيح الا ان الاحداث التي عبرت جعلتنا نعتقد ان « منى » قد اصبحت اقوى من اختها . ثم بعد

الى سعدي الشيرازي

افتحي النافذة يا شيراز شمسك لا تغيب
وافرشي دربك وردا ، واقاحا وابتسامات العذارى
وليالیك تذكرنا ، والاف الحكايات الطويله .
عيد « سعدي » مولد الحب واصداء السنين.
واغاني ومواويل عزفناها قرب نبع من قصائد.
فالاساطير اغاني ، الف « بروين » تغنت
يا صدى الماضي القريب .
يا بيوتا حملتنا ما نطيق
كلما مرت حكايات الصغار
طفلتي « شهناز » احلى الاغنيات .
يا عذابات الكبار .
يا سموما قطروها في اواني من بنفسج
يا صديدا ، عصروه ، في حبيبات عيوني
رحت اصرخ .
يا عذابات السنين

* * *

دفئيني ، يا كلستان الحبيبه
في شرائط من حرير
ضمدي جرحي العتيق
يا صدى « بروين » يا حرفا توهج من سنين
يا زهورا قطفوها ... ورموزا رسموها
في دروب مقمره ،
والليالي مزهره

* * *

عدت يا « بروين » احمل في متاهات حياتي
يا عذاباتي المقفره .
افتحي النافذة يا شيراز وغني رباعيات قديمه
وازرعيني اقحوانه .
واحصديني ياسمينه
ليتني اعزف في دربك يا «بروين» قيثارة حبي
ليتني مت على دربك يا شيراز بلا كفن
لان ربيعنا بلا همس بلا نجوى
خريفنا عاد بلا ضحكه ، بلا غنوه

شيراز عبد الكريم احمد الحمود

ذلك فوجئنا بذلك النزيف الصدري المخيف الذي كان سببا لموتها .

٣ ـ النقطة الثالثة اننا نلاحظ شبه عجز من الكاتب عن تصوير الصراع النفسي الذي مازج عواطف « ناديا » يوم ذهبت تطوف في « جاب » مع « مدحت » . فلقد كان هذا الاخير في غمرة الحزن ، ولم تكن الفتاة تدري هل هو حزين على صاحبة الصور ام على صاحبة الرسائل ! فامتزجت في نفسها عواطف الحزن والغيرة والفرح ، انها تحس بالحزن الشديد على اختها وتشعر بالغيرة اذا ما راودتها قضية الصور ويداخلها الفرح حين ترى «مدحت» الى جانبها وذلك ما لم تكن تحلم بتحقيقه . ان الكاتب لم يستطع ان يبرز لنا هذه الاحساسات واضحة في ذلك الموقف بل اشار اليها اشارات عابرة فيما بعد . واذا كان المؤلف قد اظهر لنا عنصر الغيرة عند ناديا من اختها المتوفاة بأشكال مختلفة فانني لا اقره على هذه التسمية . فلم تكن ناديا لتغار من شقيقتها ولكن ربما كان ذلك نوعا من الحزن والندم على تصرفها الخاطىء حين غامرت بارسال صور « منى » الى « مدحت » على انها صور لها هي .

***

اظنني الان بعد ان اشرت الى المواقف التي تعترضنا حين تسألنا طالباننا ماذا نقرا ؟ وبعد ان تناولت بشيء من التفصيل قصة « ناديا » وملاحظاتي المتنوعة حولها ، من حيث هي نموذج من قصص يوسف السباعي ، وشرحت بعض الدوافع التي تجعلنا نقرأ وننصح بالقراءة ، اظنني بعد ذلك كله محقة في ترددي حين تقول لي طالبة : هل اقرا ليوسف السباعي او لاحسان عبد القدوس ؟ فنحن غايتنا قبل كل شيء ان نعلم العربية ، وان نجعلها اداة طيعة للفهم والتعبير والتذوق ، فاذا كنا ننصح انسانا بان يقرأ ليقوي اسلوبه فليس من المنطق في شيء ان نرشده الى امثال هذه القصص . واذا كان من هواة المتعة والتسلية فقط فليقرأ ما يشاء دون ان يسترشد بآرائنا نحن . وان كانت له غاية فنية من قراءة القصص كأن يأخذها نماذج يستشهد بها في الموضوعات المتعلقة بالقصة الفنية فان لي معه رأيين : الاول يتعلق بالقارىء الذي هو في طور التكوين الاسلوبي ولا انصحه بالقراءة الا لمن صحت اساليبهم وسلمت لغتهم وتعبيراتهم في قصصهم . والراي الثاني يتصل بمن يعتقد انه امن العثار في كتابته ، ولا اظن هذا الفريق بحاجة الى نصح امثالي ، فهو يستطيع ان يقرا ما يشاء لانني لا اعتقد ان اسلوبه قد استقام الا بعد ان قرأ قدرا مناسبا من الكتب القيمة والقصص الصحيحة الاسلوب .

والرأي الاخير عندي هو ان نقرأ اي شيء ولاي كاتب وفي اي وقت . ويكفي ان نعتاد على القراءة ونهوى المطالعة حتى نستطيع الفهم والتعبير والتذوق . وليست عمليات الانتقاء هذه الا بسبب كثرة الانتاج الفكري الذي يملأ المكتبات بانواعه المختلفة ، وبسبب هذا العصر الذي يسمى عصر السرعة والذي جعلنا نحس بضيق الوقت في كل لحظة .

دير الزور ـ سورية **لطفية الشهابي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ظلال الالهة

بقلم آرثر ملر

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

كتب تولستوي كتابا سماه « ما هو الفن ؟ » ومؤدى مضمونه يكاد يذهب الى ان معظم القصص والمسرحيات والرسوم ليست من الفن في شيء بل هي الغرور بعينه وان الايقاع الذي ينبعث من منجل الفلاح الروسي وهو يتأرجح لهو اكثر فنية من كل الرقصات المؤداة على المسارح المسكوفية . وكذلك رسوم الفلاحين على جوانب عرباتهم فهي ابلغ اصالة من جميع الرسوم في المتاحف . اعتقد ان الشيء الذي ثبط عزيمته اكثر من اي شيء آخر هوحتمية انتهاء الابداع الفني وصيرورته حرفة من الحرف ، فبعد ان كان الفنان طبيعيا بالبداهة أصبح ، وفي اسرع ما يمكن من الزمن ، داعيا ذاتيا ، ومن هنا فقد استغل مواهبه بغية الربح او المقام الاجتماعي او لمجرد عدم الحصول على عمل تزيه .

ومع ذلك استمر تولستوي في الكتابة . الحق ، على ما اظن ، اننا عاجلا او آجلا مضطرون الى معرفة ما نحن فاعلون ، ولعلنا نقبل بمصيرنا ذاك بصفته حقيقة واقعة عندما يحين اوانه . لكن التعرف الذاتي على الاحتراف لا يتطور الا باعادة الموضوعات الرئيسة انفسها في مسرحيات مختلفة . اما بالقياس الى المسرح نفسه فالتقييم الذاتي لا يتأتى الا بالطريق ذاتها . نحن ، على ما احسب ، في نهاية مرحلة . لقد اعيدت بعض الاشياء مرارا وتكرارا بحيث يستطيع المرء ان يتكلم على التقصيرات التي ينبغي الاعتراف بها ، كيلا يصبح مسرحنا مسرحا سخيفا منحطا يجتر ما لا بد من هضمه .

لا يستطيع احدنا ان يتكلم على التقصيرات من غير ان يتساءل عن المستويات الفنية . فقد يبدو تحديد مابالقياس الى بعضهم كأنه ارض واسعة سعة العالم وهو على الضد من ذلك بالقياس على بعضهم الآخر .

(ثم يتطرق الكاتب الى حياته في مشيغن بعد الحرب العالمية الاولى وما اعقبها من التدهور الاقتصادي الهائل المعروف وتأثير ذلك في مستقبله الادبي وعنف هذا التأثير في آماده واعماقه ويستمر متحدثا عن تلك الفترة . «المترجم») ثم يستطرد قائلا : لم اقرأ الكثير من الكتب في تلك الايام فقد كان التدهور الاقتصادي كتابي . وبعد ذلك بسنين تمكنت ان انسج في حبكة واحدة ما كان لدي من مشاعر واحاسيس وانطباعات عن تلك الايام . ومن هنا احس الناس بان كل شيء اصبح جادا . فلا بد من وجود جراد غير منظور يأكل المال قبل تمكنك من الامساك به . كان عليك ان تكون من اصحاب درجة الدكتوراه لكي تحصل على عمل . اما المحامون فكانوا يبيعون الاربطة . فكل امرىء كان يحاول ان يبيع شيئا ما الى غيره من الناس . وقد أرسل مدير احدى البورصات الى السجن لتصرفه الشائن في صكوك الاعتمادات ... والحق ان كل ما حدث في ذلك العهد حتى سنة ١٩٢٩ لم يكن الا زيفا في زيف ... ان ما اعطانيه ذلك العهد ، على ما اتصور الان ، لم يكن سوى شعور بعالم غير منظور . لقد كانت الحقيقة تتراكم سرا في طريقها الى الذروة على حساب قوانين خفية لتحطم الاوهام في الوقت المناسب . وبهذا المعنى كانت سنة ١٩٢٩ سنتنا الاغريقية . ان الالهة تكلمت ، الالهة اللواتي تسببت في تسييب حكمتها او في تحريفها : مدنية كان لها ان تستمر قدما والى اعلى استنادا الى المضاربة والمقامرة والرشوة واكل الطلاب بعضها بعضا ، حسبت «المجتمع» قبل الانهيار (الاقتصادي) الناس الاغنياء المكتوبة اسماؤهم في (السجل الاجتماعي) . اما بعد الانهيار فالمجتمع اخذ يعنى زيارات اناس غرباء يدقون بابك لعلهم يجدون فرصة لغسل النوافذ وقد اغمي على بعضهم بسبب من الجوع وهم على مشارف الابواب ...

اخذت اقرأ الكتب بعد بلوغي السابعة عشرة من العمر ، لكني لم اكن لاصطبر على كل لون من الوان الادب . وحتى في ذلك الوقت لم اكن لاعتقد في استطاعة الانسان ان يتحدث عن العالم الذي يعيش فيه ، وكيف يحصل على معيشته وما هو ليس في بيته وفراشه بل في مجالات عمله . اتذكر الآن قراءتي لبعض القصص وتعجبي منها . كيف يحصل هؤلاء الناس على معيشتهم ؟ متى يعملون ؟ اذكر اني سألت هذه الاسئلة نفسها عن المسرحيات القليلة التي رأيتها . فقوانين القدر الخفية لم تحم فقط في سلوك الناس بل وفي صورة اشد في العالم الذي يقع خلف بيت الاسرة . حيث هناك الالهة الكبار الذين يستطيعون سخطهم ان يحيل رجلا محترما ناجحا فخورا الى انسان اشبه شيء بهيكل خائف مهما ظن في نفسه ومهما قرر او لم يقرر .

وعلى ذلك فان قوة الظروف هي التي جعلتني مسحورا بهذه العملية العارية من باكورة حياتي وبغير وعي مني كيف يمكن للعالم ان يغير شخصية الانسان ، والسؤال الاصعب ، كيف يمكن لهذا الانسان بدوره ان يغير العالم، عالمه هو ؟ لم يكن هذا السؤال اكاديميا او ادبيا او دراميا لاول وهلة . انما كان مشكلة عملية تتعلق بالشيء الذي تؤمن به للسير في الحياة . فمثلا اينبغي للمرء ان يعجب بالنجاح ــ فقد كان هناك اناس ناجحون حتى في ذلك العهد. ام ينبغي للمرء ان يرى في النجاح وهما يتبدد وينتهي الامر بصاحبه الى المهانة والتحطيم . واذن اكان النجاح

امرا لا اخلاقيا ؟ ـ اذا كان كل شخص في حارتنا لا يملك سيارة (بويك) حسب بل لا يملك فطورا فما الذي نعتقد فيه ؟

حين كنت في المدرسة الثانوية وانا اتخبط في الجهل، وقع في يدي كتاب « الاخوة كارامازوف » والله يعلم كيف جرى ذلك . كان ذلك ذات يوم ممطر منعني من لعب الكرة فبدأت في قراءة الكتاب ظانا انه قصة بوليسية . كنت دائما ابارك دوستويفسكي لكتابته باسلوب يستطيع اي احمق فهمه . طبعا ، ليس للكتاب اي علاقة بالانهيار الاقتصادي ، ومع ذلك ، وعلى الرغم من الاسماء الروسية فقد اشتد ميلي اليه ، وزاد تعلقي به ، اكثر من الصحف التي كنت اقرؤها يوميا. ويومئذ، لم افكر قط فى التساؤل عن ماهية السبب . اعتقد الان ان السبب كان الصراع بين الاب والابن فضلا عن شيء اكثر من ذلك واعني به ذلك التغلغل الذي يتجاوز المشاهد الخاصة والشخوص بغية الوصول الى القوانين الخفية ، الى حيث توجد الالهة التي تجتر وتقرر ، الى المكان الذي فيه صخرة يستطيع الانسان ان يقف عليها من غير اوهام ، فيصبح بذلك انسانا حرا . ومع ذلك تبدو الشخوص متحررة من السببية النظامية .

والشوق الذي شعرت به ذلك اليوم نحو نوع من الاتصال بالمنطق الخفي هو الشوق نفسه الذي كان في الكتاب . صحيح انه لم يقدم لي اجوبة لكنه بيّن لي اني لم اكن الوحيد المفعم بمثل هذا الضرب من التساؤل ، فانا لم اعتقد ولم استطع ان اعتقد بعد ١٩٢٩ في الواقع الذي رأيته بعيني . لقد كان هناك عالم غير منظور ، مليء بالاسرار والمفارقات لا يلين في طريقه يتقاذفه السبب والنتيجة . حدثني الكتاب فقال : « في العالم نظام خفي . اننا نعيش بسبب واحد هو اكتشاف طبيعة هذا النظام . ان الاخيار هم الذين يفعلون ذلك . واما الاشرار فيقولون : لا شيء وراء وجه العالم ، تحت سطح الواقع . لن يجد الانسان السلام الا حين يتعلم كيف يعيش بصورة انسانية ، في وفاق مع تلك القوانين التي تقرر طبيعته الانسانية . ».

... ثم قرات ابسن في الكلية وبعدئذ سمعت باني كنت اقرأ مسرحيات تتناول المشاكل . لم اكن اعرف ما كان يعني ذلك، فاخبرت انها تدور حول المشاكل الاجتماعية كلامساواة النساء . والنساء اللواتي تعرفت عليهن لم يكن باي حال اقل من مستوى الرجال ، لم اجد شيئا من هذا الضرب من المشاكل في (بيت الدمية) . انني لم اتصل بابسن لانه كتب عن المشاكل ، بل لانه كان بذاته عملية وضاءة، لا شيء في مسرحياته يقوم بنفسه ولا سطر واحد، حتى ولا يمكن عزل ملمح من الملامح ، فهي جميعا لا تدعك تأخذ انفاسك بيسر .

ومن مؤلفاته التي قرأتها الحين بعد الحين بين الاعاجيب الجديدة كما هي الحال لدى دوستويفسكي وصلت الى فكرة ما ينبغي أن يكون عليه الكاتب من وضع . هذان الكاتبان هما اللذان أصدرا الاجازة، اذا صح الكلام، الاجازة الشرعية الوحيدة التي افهمها للتجاسر على الكتابة . ان المرء يحق له ان يكتب بسبب من حاجة الناس الاخرين لاخبار عن العالم الداخلي ، واذا ما استمروا طويلا بغير مثل هذه الاخبار فسيصيبهم مس من الجنون لخواء حياتهم وسخفها . وباكبر جراة فهمت ان الكاتب العظيم هو محطم الخواء ، هو الانسان الذي يصبح امين سر الالهة الخفية التي تتحكم في القوانين الباطنية التي تشدنا ببعضنا جميعا وتحطمنا اذا نحن لم نفهمها . وما الخواء الا الحياة التي تعاش بغير تأريخ .

وبمرور الزمن ، كثير من الزمن ، اصبح واضحا لدي اني لم اكتب تقارير الى الاخرين بل لنفسي بالدرجة الاولى. لم اكتب لاجد طريقا في العالم حسب ، بل لكي اكون على مبعدة منه ، كيلا تبتلعني الحوادث العفوية غير المعقولة .

قرات الاغريقيين والتعبيريين الالمان في الوقت نفسه بصورة عرضية تماما فدهشت من تشابه وسائلهم الدرامية في شأن واحد ، انهم ـ فيما يقدمون ـ يقدمون القوى الخفية وليس سمات الكائنات البشرية التي تقوم بادوار هذه القوى على المسرح . اخبرت بان مسرحيات اسخيلوس يجب ان تقرأ بداهة على مستوى ديني ، وهي مسرحيات عادية الان . لم استطع فهم ذلك الامر ، اذ لا ينبغي ان يكون المرء متدينا لكي يرى في قارتنا الخاصة الخطوط التي هي ليست انسانية ولا سماوية بل شيء بين تلك وهذه . ومثلنا على ذلك هو زعيق الفوغاء الذي هو ليس صوتا انسانيا لكنه مكون من اصوات انسانية تجمعت حتى اصبحت صوت قوة ميتافيزيقية .

قرأت اونيل في تلك الايام كما قرأت كل شيء آخر، متطلعا الى كيفية صياغة المعنى . وفي احد المؤتمرات الصحفية قال شيئاً كان يبدو في تلك السنين تحديا للاهتمامات الاجتماعية التي واكبت الثلاثينيات . قال : «انا لست اهتم بصلات الانسان بالانسان بل بصلاته بالله.» حسبت ذلك القول اشد ما يكون رجعية .

وبعد عدة غارات على مسرحيات الواحدة تلو الاخرى فهمت ما كان يعنيه وهو ما اعنيه انا بصورة درامية لا ايديولوجية . ومهما يكن من امر كنت أعتنق مذهبا ما ، يمتاز بقوى تشبه قوى الالهة . وهذه القوى تتمثل في الازمة الاقتصادية والمؤثرات السياسية التي لوت ومزقت وفتتت ودمغت كل شيء وكل انسان حطت عيناي عليه .

قرأت مدة سنة في علم الاقتصاد واكتشفت كيف يتخلص اساتذتي من آرائهم المبتسرة التي لم تكن اقوى اساسا من آرائي ، وهكذا فعلم الاقتصاد يسعه ان يقيس خطى العملاق لكنه لا يستطيع التطلع الى عينيه .

وقرأت مدة سنة علم التاريخ وفقدت آخر وهم بهذا الشأن في الساعة الثانية والنصف بعد ظهر احد الايام .

ففي قاعة احدى المحاضرات قام احد الطلاب ليسأل الاستاذ عما اذا كان يعتقد ان هتلر سيغزو النمسا . ولمدة ربع ساعة اخذ الاستاذ ذو الاهتمامات الانسانية اللبرالية يبرهن كيف انه من المستحيل على هتلر غزو النمسا ... وفي الساعة الثالثة سمعنا بغزو هتلر للنمسا . وهكذا نبذت التاريخ. لقد كنت اعلم علم اليقين ان هتلر سيغزو النمسا.

وبهذا المعنى كان الوقت ملائماً للنضج لان الاخرين ايضا لا يعرفون شيئا . فالقواعد والنظم لم تكن الا استمرارا للقواعد والنظم القديمة. وهكذا فالمسرحيات القديمة تخلف مسرحيات جديدة والتواريخ القديمة تخلف تواريخ جديدة ... وحين تبدع الحياة مسرحية جديدة يحرك المسرح اطرافه ويستيقظ من سباته (الاصطناعي) ليرى واقعا اعتياديا ، حين يمسك بتلابيب الحاضر ليصبح تأريخا .

بدات اتكلم على المستويات . لقد درست هذه القضية دراسة مستفيضة ولذا يصح عرضها بصراحة. ان مستواي مستمد بالتوكيد، من حياتي في الثلاثينيات، ولكني اعتقد بانه قديم قدم الدراما نفسها والشيء الذي فعلته هو انني حملت على النطق بلهجة الثلاثينيات . انني اسأل في المسرحية اولا السؤال الدرامي : ما هي اقصى طاقتها ؟ وكيف يمكن تفجير تلك الطاقة ؟ ثم السؤال الانساني : ما هي صلتها الحاسمة بديمومة الجنس البشري ؟

وقبل الاستمرار بطرق هذين السؤالين اود ان ابادر الى القول ان غرضي لا يزال يتركز في اضفاء بعض الضوء على حالتنا الدرامية الراهنة ، هذا التحدي الذي يظل امامنا قائما. سأتوقف لحظة أو لحظتين للتحدث عن الكاتب الذي كان مع ابسن ذا تأثير هائل في مسرحنا سواء عرفنا ذلك أم لم نعرف .

من العسير على المرء ان يتصور اي كاتب مسرحي يقرأ تشيخوف ولا يحسده على سمة واحدة من سمات مسرحياته هي سمة الاتزان . وفي هذا الشأن اظنه اقرب ما يكون الى شكسبير . فهناك اختصار في التشويه الذي تحدثه مقتضيات الرصد الزمني على المسرح وهناك تقليل من صف أوراق اللعب للفش بها ، وقليل من الخوف خشية الافتضاح ، ويسير من الارتعاب مما هو بطولي . اما لمساته فهي رقيقة ناعمة ، وكذا عينه فهي ساخنة سخونة جعلت الاسطورة التشيخوفية في مسرحنا اسطورة انسان عاطفي تقريبا وكاتب لم تكن مسرحياته الا مراثي عصر ميت وملاحق له .

ينبغي استطرادا ، القول انه لم يكن الكاتب الروسي الوحيد الذي يبدو وكأنه يتناول كل شخوصه بصفته ذات صلة بهم . ان هذه السمة ليست سمة تشيخوف وحده بل هي سمة معظم الادب الروسي ، ولم اذكر ذلك الا لكي انسبه الى هذا المزاج واقصيه عنه في الوقت نفسه .

تشيخوف مهم بالقياس الينا لانه استخدم اداة في مناجزة ضربين متناقضين من وجهات النظر في المسرح . فيبدو احيانا ، كما هي الحال بالنسبة الى ولتر كير، معينا للدراميين المسنين على التوكيد المفرط في التأمل الباطني اذا لم نقل الشعور بالشفقة على النفس . واذا نحونا نحو وجهة النظر هذه ، يصبح تشيخوف كاتبا مسرحيا يشتغل في التحليل النفسي الشاذ والسكون الجامد من هؤلاء الذين تجري في عروقهم دماء زرق سود بمزاجهم الداكن. وقد استهجنه الكثيرون من اليساريين في الثلاثينيات بصفته عاجزا عن الروح الجهادية وبسبب الخلط بينه وبين الناس الذين كان يكتب عنهم .

اما مسرحياته فستبقى على الزمن ، على ما اظن ، لكنه غير ذي جدوى اذا ما احتذي حذوه في هذا الصدد .. فمدنيتنا اشد عنفا بما لا يقاس من مدنيته ، واذا جرب المرء اعادة خلق مزاجه فهو حتما سيشوه مدنيتنا هذه . والامر الذي هو اكبر أهمية من ذلك ، على حسب رأيي ، هو ان تعاسات شخوصه مهما كانت فهي تنسجم مع مسالكهم في الحياة في كفاحهم ضد تقاليد كانوا يدركونها اشد الادراك ، تقاليد عدوا تدميرها نهاية لآلامهم . وسواء اكانت كتاباته صادقة موضوعيا ام لم تكن فذلك خارج عن الصدد طبعا . المهم انهم (اي الشخوص) كانوا يستطيعون النظر الى الوراء ، الى زمن كان فيه الحوذي شابا صغيرا سعيدا لان يكون حوذيا، زمن كانت فيه حياة الاسرة متأصلة الجذور يتدرج نماؤها باتزان مع السنين المارة بهدوء، وبكلمة اخرى، زمن كان النظام فيه مسيطرا على العلاقات الانسانية ... ومن هنا فبستان الكرز يقطعها رجل يملك عقارا حقيقيا، ومهما يكن هذا الانسان لطيفا ، فان عليه ان ينظف الارض لتطور آت .

واقرب صلة بهذه التقاليد نجدها لدى تنسي وليمز.. اننا لا يمكن ان نعيد اخراج ما كتبه تشيخوف لاننا خلفنا وراءنا الاعتقاد بتفوق العلاقات الانسانية على الضرورة الاقتصادية . لقد تخلينا عما كان يدعى في زمنه نضالا حيا . نحن نعتقد ، أو على الاقل ، نؤمن بالبداهة ، بانه كلما حدث صراع بين العلاقات الانسانية والضرورة الاقتصادية فان النتيجة ليست حتمية حسب بل هي تقدمية حين تنتصر الضرورة وهي منتصرة بلا ريب ولا شك .

ومهما يكن من شيء ، فان الموضوع الرئيسي الذي اريد التطرق اليه هنا بالقياس الى مسرحنا هو انه بينما يفسح المجال واسعا لبصيرة تشيخوف النفسية الثاقبة ، وبينما ان اهتمامه الاكبر يحتضن الحياة الروحية لشخوصه ، فمدى رؤياه لا يتوقف عند القضايا النفسية الفردية. هاكم خطبة على سبيل الذكرى – وهي واحدة من العديد من الخطب التي لا تتفق مع التشخيصات التقليدية لهذه المسرحيات التي يزعم انها مسرحيات تطهيرية – وهي لا تعنى بشيء عنايتها برسم شخصية واقعية وتأمل باطني. يتحدث فيرشينين في « الاخوات الثلاث » فيقول : « ماذا لي ان استزيد من القول في هذا الفراق؟ ماذا لي ان اضع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من نظريات ؟ (يضحك) . الحياة صعبة . وهي تبدو للكثيرين فارغة لا امل فيها ، ومع ذلك ينبغي الاعتراف بانها أخذت تتوضح وتصبح اكثر سهولة تدريجا ، وهي تبدو وكأن الزمن ليس بعيدا ، الزمن الذي فيه تصبح مفعمة بالسعادة . (ينظر الى ساعته) حان وقت ذهابي ! في الايام السالفة كان الناس منهمكين في الحروب مالئين حياتهم بالمسيرات العسكرية والغارات والانتصارات. اما الان فكل ذلك امسى شيئا من الماضي ، خلف وراءه فراغا عظيما لا شيء يشغله حتى الوقت الراهن ، هذا الشيء الذي تسعى الانسانية اليه باحثة عنه باشتياق وحرقة وهي ستجده حتما . اواه لو كان ذلك سريعا . اذا لم تعرفوا مقصدي انني اعني ارتباط الصناعة بالثقافة والثقافة بالصناعة... (ينظر الى ساعته) لكني اقول حان الوقت لذهابي...»

وبكلمات أخر هذه ليست مجرد مسرحيات للتمرين في علم النفس . انها محبوكة حول نقطة جد دقيقة تتناول وجهة نظر ليس تجاه الشخوص حسب لكن تجاه المحيط الاجتماعي الذي يعيشون فيه ... ليس من الوقت ما اوفره للتنقيب عن المسرحيات الواحدة تلو الاخرى . كل ما قلته يعني هذا : بالرغم من كل مهارتنا في التقنية ووسائل الاضاءة الجيدة والترتيبات المسرحية ، ومع غنى مسرحنا وحريتنا في قول ما نرغب فيه من قول ، فان رؤيا هذا المسرح تضيق سنة بعد اخرى وهو يعيد بصورة جيدة ما فعله من قبل واحسن فعله .

استطيع أن اسمع منذ الان نقادي يتشكون من اني اطالب بالرجوع الى ما يسمونه مسرحيات المشاكل . ذلك نقد مهم لانه يتحدث ع ن شيء مهم يدور حول الناقد . ذلك يعني انه لا يستطيع ادراك الانسان الا بصفته كيانا منفردا وما الصلات الاجتماعية الا اشياء القيت عليه القاءا، اشياء لا تؤثر فيه الا اذا وعى المجتمع وعيا . الى هذا الحد ارجو ان أكون قد اوضحت نقطة هي ان المجتمع موجود في دخيلة الانسان والانسان في دخيلة المجتمع وانكم لا تستطيعون ان تبدعوا ماهية نفسية صادقة على المسرح الا اذا فهمتم علاقات هذه الماهية اجتماعيا وسطوتها في ان تجعل منها ما هي عليه وتمنعها من ان تكون ما ليست منه في شيء. فالسمكة في الماء والماء في السمكة .

اعتقد اننا وصلنا في امريكا الى نهاية مرحلة لاننا نعيد ما كتبناه فصلا اثر فصل على الرغم من الواقع الذي يشهد على عدم ادراك اي منا لذلك . وفي كل نجاح نحرزه شبه باخيه في طبيعته وفي اصول ادائه . نجد في كل مسرحية انسانا ذكرا عادة وهو في غالب الاحيان حساس يندفع اما الى التمرد القتال أو الى الضعف (التناسلي) بسبب من تحجر والديه وبخاصة والده. نظرة سريعة غير مستقصية تذكرنا بـ « انظر الى الوطن يا ملاك » و« الظلام على اعلى السلالم » و« قطة على سطح صفيح حار» و« قبعة ملأى بالمطر». اود ان أؤكد انني لست هنا ناقدا لهذه المسرحيات بصفتها مسرحيات ولا انوي مقارنة كل منها بالاخرى. انما انا انظر اليها بصفتي شخصية غريبة جاءت من المريخ، وهي ستدهش حقا من هذه الظاهرة السائدة .

انا لا اقول بوجود (عيب) في هذا الموضوع الرئيسي يكفي انني كتبت عنه اكثر من مرة واحدة وهو موجود في صميم التطور البشري باسره وصداه يمتد الى «هاملت» و« روميو وجوليت » و« الملك اوديب » . ان الذي انقده هو ان مسرحنا يكاد يقتصر باهتمامه على النتائج . فحين يقف الوالد ينتهي العالم وفي المكان الذي يقف فيه الولد ينبغي للعالم ان يبدأ منه وعلة ذلك انه اما يصبح ضعيفا جنسيا او متمردا او فارا من الساحة غالبا. ما العيب في هذا ؟ الا يحدث ذلك دائما ؟ لا بد من ذلك والا لما اعاد كتاب المسرحية هذا الموضوع الرئيسي ولما كان له هذا السحر الذي يجتذب العديد من الجماهير .

ليس القصور في الموضوع بل في اخفاقه ليوسع نفسه بحيث يفتح مجالا للاسباب الاساسية. المسألة، في الواقع، لا تتعلق بمجرد خيبة الاطفال او بافلاس السلطة الاخلاقية لدى الابوين بل في وعيهم المشترك بعلية خفية في وقتنا هذا . واذا كان هذا الموضوع يتكرر بهذه الصورة فهذه ظاهرة يحق لها ان تدعى ظاهرة اجتماعية عامة. ومن هنا، من الملائم ان نقول ان رؤيا هذه المسرحيات بقابليتها الكامنة لم تحقق اهدافها ، وظلت قدرتها الجمالية الكمالية غير منجزة ولعل اهم من ذلك كله وجود انحطاط عصبي في هذه الرؤيا بصورة ضمنية بالاضافة الى تلاشي القوة التي تستوعب العالم باسره على المسرح وهو العمل التأريخي الدراما الرفيعة . سر حالتنا لا يزال باقيا غير مكشوف ، لكننا نعرف عنه اكثر ما يبدو على المسرح .

انا لا أطلب اي شيء جديد بل شيئا قديما قدم الدراما الاغريقية . حين ابدع تشيخوف ذلك الانسان الذي يكاد يكون كاتبا ذاتيا بطله « فيرشينين » واخرين كثيرين في مسرحياته مموضعا (١) Objectify المسائل الاجتماعية التي اثارتها مسرحيته « الاخوان الثلاث » انما وضع نفسه في اطار التقاليد العظيمة التي تدفع بالفن الى الحركة بالنظر الى ديمومة الجنس البشري .

اننا نحن المجددون او بصورة ادق نحن لعب ان رفضنا ان نعكس على مسرحنا مستوى من الادراك الموضوعي الواسع المنتشر في حياتنا خارج المسرح .

اني اطالب بوضع الدنيا على المسرح العائلي « الاسرة المسرحية » لكني ابادر وانهي كلامي ، على ان يكون ذلك من وجهة النظر الدرامية ، من ناحية الدرامي وهو يجهد لتعزيز قوة مسرحياته ومسرحه ...

وجملة القول من الضروري ان يتمكن المرء من استيعاب

---

(١) ـ هذا اصطلاح فلسفي بمعنى جعله موضوعيا ، وانا ادين به ، على ما اعتقد للدكتور كمال الحاج . المترجم

من اغاني القافلة

صغيرتي ، يا موعـدا في غد .. من الشروق، والرؤى .. والظلال
القاك ، ينبوعـا ، يبل الصدى .. في رحلة خلـف سراب المحـال
أطل في عينيـك ، مستلهمـا .. أشـلاء مـاض ممعن في الزوال
رفعتـه فوق جبـين الرؤى .. كمـا يشاد الصرح فوق الرمـال
مضى مع الريـح ، الى عـالم .. خلف صحارى الغيب .. خلف الخيال

* * *

وكنت ، يا صغيرتي ، شاعرا .. يـلون الدنيـا بأحلامـه ..
ويوقد الشمع لها .. عـابدا .. يطعمهـا أعـذب ايامـه ..
يمنحهـا الحب ، ولا تـأتلي .. ناكـرة ، تغـلو بايـلامـه
تطفىء عينيـه ، باعصارها .. يعبـق برداهـا بأنسامـه
وتقلـع البسمـة عـن ثغـره وتسكب المـوت بأنغـامـه

* * *

ولى زمـان الخصب .. يا ويلنا مـا عاد غير الموت .. من حولنا
نحن ، تيـاهى ، في ضمير الدنى ضاعت خطانا في دجى دربنـا
ترابنـا المؤول ، في غربـة .. يحـن ، كالشـوق ، لايامنـا
وموسم الخصب غـدا شاحبا .. يتوق أن يونـع في ارضنـا ..
جفت ينابيع المنى .. وانطوت .. لا ومض في الاعـين غير الضنـا

* * *

صغيرتي .. أنت هنـا عـالم .. من غير لون .. مستباح، شريد ..
الشمس لا تشرق في ارضـه .. ولا يغنـي بلبـل غـريـد ..
وكـل معنى خيّر .. خـالد .. تموت سيماه ، ويفنى الخلود ..
انت، هنـا، غريبـة يا «رلى» .. بنت غريب ، مستذل ، طريد ..
يعيش للموت .. ومـا مـن منى يحيا لها العمر .. سوى ان يعود

* * *

فخبئي الجرح .. ولا تحفلي .. فالصدر اولى ان يـوارى الالـم
وابتسمي .. الحـزن يا طفلتي يطفىء في جنبيـك نـار الحمم
واوقدي شمعـك .. ان الدجى يضيّـع الدرب .. وراء الظلـم
تربتنـا السمراء .. ظمآنـة .. وليس تسقيهـا دمـوع النـدم
خلي دمـاء الجرح .. يا طفلتي نسقي ثراهـا عنفوانا .. ودم !

الكويت **راضي صدوق**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما يراه كما هو وكما ينبغي ان يكون او لا يكون. ان خيبتنا الراهنة في التمييزيين ما هو منحط او رفيع من الامور بين ما هو مسهب وضيق نسبيا ، تتركنا كما تترك معظم النقاد تحت رحمة (النتائج) اي ان مسرحية مهما تكن غير ذات شأن يذكر وانتهت نهاية ناجحة تعدل ـ في جودتها ـ مسرحية عظيمة ذات ابعاد اوسع واهم .

والنتيجة الوحيدة لهذا الوهن في عدم التمييز بين اقدار الامور واهميتها ، تتلخص في الحكم علينا بان نظل نقبع في اطار فن تآفه القيمة والثمن ...

بغداد **يوسف عبد المسيح ثروة**

كلهن سواء

بقلم قاسم جودة

يتململ سعيد في فراشه ثم يرفع يده ليفرك عينيه بشدة ، ويطل بعينين شبه مغمضتين عبر النافذة الزجاجية ، الظلام دامس !. يغمض عينيه ثم يجذب طرف اللحاف ويدفن راسه تحت الوسادة ، بعد وقت لا يدري اطال ام قصر يصحو على صوت مترجرج يناديه :

ـ سعيد ... سعيد .. اصح يا بني .. عما قريب تشرق الشمس.

يتململ ثانية في فراشه الدافىء قبل ان يفتح عينيه ويلقي تحية الصباح على والدته العجوز ، ازاح طرف اللحاف عن جسده فشعر بالبرد القارس يلسع جسده ، فكاد يعيده ثانية لولا ان تذكر ان عليه عملا يجب ان يقوم به اليوم .. وكل يوم.

يسير الى ركن الغرفة الصغيرة حيث وضع ابريق فخار ، يمسكه بيد ويضم اليد الاخرى التي لم تلبث ان امتلأت بالماء ، يرفعها الى وجهه بتأفف وضيق .. ايجب ان يغسل المرء وجهه كل صباح ..؟ وبمثل هذا الماء البارد ..؟ لو كان غنيا لما كانت هناك حاجة الى استعمال الماء البارد ... لا حاجة على الاطلاق ، يكفي ان يفتح صنبور الماء فيأتيه ماء دافىء من « البويلر » ، وترك لخياله العنان .. وايضا زوجة جميلة تكون بجانبه تقاسمه الفراش ... تشعره بالدفء ، وتذكر « سليمة » فطفت على وجهه ابتسامة امل وترقب ... وحدث نفسه « يجب ان اعمل ... نعم يجب ، وان ارهق نفسي حتى أحقق لها السعادة التي تتمناها » .

ويتنبه الى صوت والدته تدعوه الى الفطور ، فيضع الابريق ويرفع يده اليمنى ماسحا وجهه المبتل.

تناول كوب الشاي وقطعة الخبز الجافة مع قطعة من الجبن الابيض على عجل ثم انتعل حذاء الكاوتشوك « المرقع » وحيا والدته مغلقا وراءه باب الغرفة .

يا الله !! ما اقسى هذا الصباح ! برد قارس ! ويضع يديه المثلوجتين بجيب سرواله « الخاكي » ويقوس ظهره .. يتمخط بشدة ثم يرفع عينيه الى بناء صغير امامه ، النافذة الخضراء مغلقة .. الآن لم تستيقظ سليمة ؟.. في كل صباح تكون بانتظاره على النافذة فيلقي عليها تحية الصباح ... اووه ما بال النافذة مغلقة ..؟ يجب ان يراها ... لن يستطيع العمل دون رؤيتها ، ويطلق من شفتيه صفيرا خافتا ويلتصق بالجدار درءا للبرد ... وانتظر .. ما بالها لم تظهر ... يا الله ...؟ عبثا ينتظر ! واحس بجسده كقطعة من ثلج ، ولكنه احتمل وقاوم نفسه بعدم الذهاب ، حدث نفسه وهو ملتصق بالحائط بعنف « ربما تكون نائمة » نائمة !! وتتركه في هذا الجو ..؟ ما اقساها !! أيطرق النافذة ..؟ جنون !! ربما يكون معها احد من اهلها ثم لم يطاوعه قلبه على ازعاجها .. دعها تحلم وتتنعم بالدفء اتراها تحلم به ..؟ من يدري ! لقد حام الليلة حلما مزعجا فاستيقظ على اثره ليرى دموعه تبلل خديه ووسادته ... ماذا يكون مصيره لو ماتت سليمة كما حلم الليلة ...؟ ما اقساه من حلم !!

ويسمع صوت خطوات ثقيلة تقترب منه ... « سليمة » لم تظهر بعد ، يجب عليه أن يرحل في الحال، غير مستحسن ان يراه انسان في وقفته هذه ، ويقتلع قدمه من الارض اقتلاعا ويسير بخطوات متثاقلة .

الشمس بدأت بالقاء أشعتها الذهبية ، ويحس سعيد بدفء قليل يسري في اوصاله فيخرج يديه من جيب سرواله ويفركهما ببعض بعنف محاولا تدفئتهما .

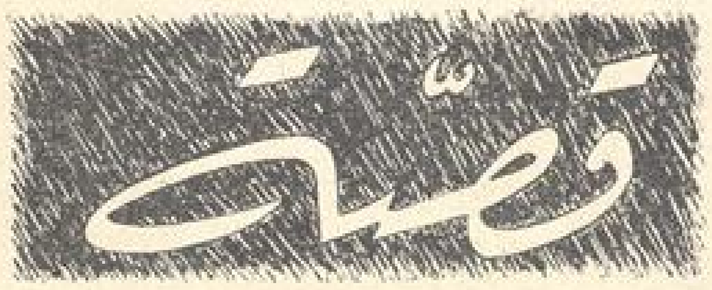
اخيرا يصل مكان عمله ، المكتبة ما زالت مغلقة ! ويتذكر صاحبها السمين .. لا بد انه ما زال نائما في فراشه ينعم بالدفء ، وهو هنا يقاسي البرد ! اهذا عدل ..؟ حدث نفسه « غدا سأصبح مثله ، لن انهض من الفراش قبل الثامنة ... وما حاجتي الى النهوض بعد ان تكون جيوبي مليئة بالنقود ..؟ ثم وبجانبي زوجة طيبة وجميلة كسليمة .. »

الساعة السابعة والنصف ... ويسمع صوت سيارة تقترب ثم تقف امامه ، ويرفع عينيه ليطالعه صاحب المكتبة بكرشه الضخم ووجهه الممتلىء وعينيه المحمرتين ثم « طربوشه » الاحمر الفاقع .

ويهرول سعيد تجاهه ملقيا عليه تحية الصباح ويتناول منه مفتاح الباب، ما ازعج صوت الباب الحديدي عندما يرفع الى اعلى ..!! بالداخل يشعر الانسان ببعض الدفء، ويتجه صاحب المكتبة الى مكتبه الانيق بينما يقبع سعيد خلف « الفترينه » على كرسي صغير منتظرا وصول الجرائد.

منذ خمس سنوات وهو يعمل في هذه المكتبة، كل صباح يحمل الجرائد والمجلات ويأخذ طريقه الى السوق مزعجا المارة بنداءاته المتكررة .. الدفاع .. الجهاد .. « الحق آخر الانباء » « حدوث زلزال فى اليابان ومقتل ٣٧ شخصا» . وعند الظهيرة يعود ثانية الى المكتبة ويتناول رغيفا من الساندويش ثم ينتظر صحف المساء حيث تبدأ جولته الثانية في الاسواق .

نهاره عمل متواصل ، ينتظر الليل بفارغ صبر حتى يريح قدميه



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المتعبتين .. كم راودته نفسه على ترك العمل ! ولكن من اين يأكل ويطعم والدته العجوز ..؟ ثم كيف يستطيع الزواج من سليمة ..؟ وهذا هو المهم !

قبل سنتين ابتدات قصة حبه مع سليمة ، ومنذ ذلك الحين وهو يعمل بجهد مدخرا بعض المال حتى يأتي اليوم الموعود ... سنة كاملة مرت دون ان يعلم انسان بقصة حبه ولكن اخيرا اكتشفت والدته الحقيقة، توقع ان تثور ولكن هذا لم يحدث بل باركت حبه واخذت تفتر على نفسها ليدخر بعض المال حتى تفرح به .

وتقف سيارة بباب المكتبة فينهض مسرعا ليأخذ الجرائد الصباحية منها ، ويبدأ عمله ... يضع الجرائد والمجلات تحت ابطه ويأخذ بالنداء والهتاف ... الجهاد ... الدفاع ... وتأخذ يده تمتد تحت ابطه من حين لآخر مناولا الجرائد لمن يطلب.

ويقترب من بيت الاستاذ « عبد الرحمن» فيعرج عليه ويقرع الجرس ... كل يوم يقرع هذا الجرس ومنذ سنة كم هو لطيف وطيب الاستاذ « عبد الرحمن » . قبل شهرين نمت بينهما صداقة متينة ، فقد كلفه الاستاذ بالقيام برسول الحب بينه وبين فتاة يحبها لانه راى سعيد يذهب كل يوم بجريدة لبيت الفتاة. وقد سر سعيد ايما سرور بهذه المهمة، فهو يحب ، واكثر ما يسعده ان يرى حبيبين ينعمان بالسعادة والهناء .

ويفتح الباب ، الاستاذ على غير عادته ! من اين هذا الشحوب الذي يكسو وجهه ..؟ ثم اين بسمته الرائعة التي كان يقابله بها ..؟ ولم يشأ سعيد ان يسأل عن السبب ، فليس من عادته التدخل بشئون الغير ويناوله الجريدة ويهم بالانصراف ، لكن « عبد الرحمن » يستوقفه :

ـ لحظة سعيد ... عندي رسالة الى (...)

ويدخل الاستاذ ثم يعود مسرعا وبيده مظروف ابيض ويناوله لسعيد .

ـ لا تنتظر الجواب .

حدث سعيد نفسه « عجيب امره اليوم! لا تنتظر الجواب !! كما يريد». لكنه يتنبه الى ان الظرف مفتوح فيقول للاستاذ .

ـ المظروف مفتوح ...

يرد وهو يغلق الباب .

ـ لا بأس ... لا بأس .

نزل سعيد الدرجات وهو لا يزال يفكر « شحوب وجهه ... الابتسامة اين هي !! ثم هذا الشرود ، وعدم الانتظار لاخذ الرد .. في كل مرة كان يأخذ رسالة كان ينتظر جوابها ، اما اليوم ... لم لا يريد جوابا لرسالته » ؟

قلب المظروف بيده .. ترى ماذا يحمل من اخبار ...؟ وراودته نفسه على قراءة الرسالة ، ولكنه احجم ، قال لنفسه « ليس هذا بطيب » . ولكن الفضول غلبه وبيد مرتجفة اخرج الرسالة وبدا يقرأ .

« آنستي :

لا ادري لم كلفت نفسي عناء الكتابة اليك بعد الذي رايته البارحة ! من كانت حبيبتي ، من عاهدتني على الود والوفاء ، من كنت حبها واملها الوحيد ، اجدها بصحبة انسان اخر بمكان مشبوه وفي وضع مستهتر ، لا اريد بهذه الرسالة ان اعاتبك او ان اترك لك المجال لتبرئة نفسك ، انما ما اردته ان تعلمي ان ما كان بيننا قد انتهى . والسلام » .

طوى سعيد الرسالة ثم اعادها للمظروف ثانية ، سحابة من الحزن دكناء كست وجهه « يا لك من غبي معتوه ، كيف سولت لك نفسك بالاطلاع على اسرار غيرك حتى تفاجأ بما تكره ...؟ هل تصورت يوما ان تكون هذه نهاية للحب ...؟ ويح هذه المراة كيف سولت لها نفسها على الخيانة ..؟ كيف طاوعها قلبها ..؟ واخيرا قرر « انها بلا قلب » .

بعد لاي وصل بيتها فقرع الجرس ولم ينظر الى من فتح الباب بل امتدت يده بالجريدة والرسالة وقفل راجعا لا يلوي على شيء ... لكن طرق اذنه صوت يقول ..

ـ الا تعود لاخذ الرد ...؟.

عاد ثانية الى المكتبة يجر نفسه جرا ، معدته خاوية لكن لا شهية له .. ما كان اقساها هذه المراة ..اهان عليها الحب لهذه الدرجة ...؟ لو كان حكمها بيده ما ابقاها لحظة على قيد الحياة .. انها مثال للرذيلة والفسق ... وتصور سليمة .. مثال الطهر والعفة ، كيف تنتظره كل يوم بلهفة .. ولكن القلق بدا يساوره .. لم لم تنتظره صباح اليوم ... اتكون كهذه ..؟ وسارع بطرد هذه الوساوس .. ربما لم تكن قد استيقظت من نومها ... « نعم لا بد ان يكون هذا ... » وارتاح لهذا القرار .

وفي المساء عاد الى البيت منهوك القوى ... القى بتحية المساء على والدته العجوز ، ثم خلع حذاءه الكاوتشوك فنفذت الى انفه رائحة كريهة نتنة ، فقرر ان يغسل قدميه، وتذكر الماء البارد ثانية فاقشعر جسده ، لكن ما العمل ..!!

سكون ووحشة يخيمان على الغرفة فليس هناك من صوت سوى مضغ الطعام بين فكي سعيد .. ولم يحتمل سعيد هذا السكون .. اعصابه بدات تتمزق . قال :

ـ ما بك يا امي ...؟ الا تتحدثين ... الا تقولين شيئا ...؟

ردت بشيء من الحيرة .

ـ وماذا تريدني ان اقول ...؟

ـ اي شيء ... تحدثي .. ما بالك صامتة على غير عادتك ...؟.

عادت تقول بنفس الصوت والحيرة.

ـ بعض الاحيان يكون الصمت ابلغ من الكلام .

قال بدهشة .

ـ ماذا تعنين ....؟ .

ـ لا ادري ماذا اقول !!.

ترك سعيد اللقمة التي بيده واقترب من والدته قائلا ـ لاول مرة ـ

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

صرخة في وجه دعي

أقصر ! عرفتك ، لا تزد هذا زمان الادعياء
الحب فيه ... مزاعم معسولة ، لفظ خواء
الحب فيه ... بلاغة خطب تبدد في الهواء
الحب عندك ... عالم مذ كان ليس سوى رياء
تبنى القصور به ، وته لؤها بالوان الطلاء
وتحوطها بالزهر ، ير فل في البشاشة والبهاء
وتبث في جنباتها الـ أطيار تصدح بالغناء
دنيا من الزيف الجميـ ـل تصوغها ، محض ادعاء
دنيا من الالفاظ .. تلـ ـمع ، في ظواهرها الرواء
كم من غريرات دفعـ ـت الى جوانبها ، اماء
هن الفراشات التي للموت ، يجذبها الضياء

أحسبت انك بالكلا م الحاو تخدعني ؟ هراء
اذهب فلست كمن عرف ت ايا دعي من النساء
أظننت ان الناس يا مسكين كلهم سواء
أحسبتنا كلا فراشات ينوح لها الضياء
فتطير في شوق اليه وفيه يختبىء الفناء
لسنا فراشات جميـ ـعا ، يا دعي ، ولا سباء

انا قد عرفتك ، قد هتكـ ـت الستر ، فانكشف الغطاء
وبدا الذي تخفيه من زيف ، بدا كل الرياء
عريت روحك كلها مزقت ذياك الرداء
فبدوت قزما تافها لا ، لا تطاول ، لا اجتراء

اني كشفتك ، قد محو ت الزهو ، فانهدم البناء
دنيا الاكاذيب التي شيدتها ، دنيا الدهاء
سقطت كاوراق الخريـ ـف ، تناثرت عبر الفضاء
ووقفت وحدك ، عاريا كالمسخ ، في هذا العراء
ورجعت وحدي في طريـ ـق النور ، رأسي للسماء

شبين القناطر ـ ج.ع.م — عبد المنعم عواد يوسف

بعنف :
ـ ماذا حدث ..؟ اخبريني ..؟
ضربت كفا بكف قائلة :
ـ سليمة .
فصاح جزعا ...
ـ ما بها ... هل حدث لها شيء
... هل ماتت ...؟؟؟
ـ ليتها ...
ونظرت اليه قبل ان تكمل .
ـ لقد هربت مع الفران .
لم يقل شيئا ، لكن ثم تعبيرات تائهة ارتسمت على محياه ، وانفرجت شفتاه قليلا عن كلمة حاول ان يخرجها لكنه لم يستطع .

طولكرم ـ الاردن — قاسم جودة

مكتبة الاديب



ادونيس وعشتروت

ملحمة شعرية ـ فؤاد الخشن ـ ١٤٨ صفحة ـ مع عدة لوحات ـ
منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

كلما فكرت بفؤاد الخشن شاعر الريف والمرأة الرجل الذي خمر الجمال في نفسه وهلهله على سجاياه النعمة ، ثم اطلقه نواسم تومض بالدل واللين لكأنها عرائس ملوك تخطر بالديباج والحرير ، كنت احار كيف يفتح له وقد هدهده ريف سخي العطاء ومحاسن مغرية المياسم ان يروح الى الملاحم ولا يفقد من ارجه الشعري ما يحمله الندى عن جفاف الورد.

وقد اصبحت هذه الحيرة توقا الى لقيا شاعر الريف والمرأة على ملحمته ادونيس وعشتروت فما تحللت من اقمطتها الا وعلى يدي منها ما تنقله جيوب العطار ، وفي داخلي ازدياد للاخذ ، فالخير عمم والفلال فوق الحاجة وكان ان الذي حرت من امره وظننته سببا مانعا للدخول الى هيكل الملاحم ، هو الذي آهل فؤاد الخشن ان يدخل محراب ملحمته ـ ادونيس وعشتروت ـ على خيلاء المواكب المظفرة .

حلاوة الكلمة وملاستها التي ضرها الريف والقى عليها اكثر من وشاح، والرقة المنهلة من الحرير السائح على الاجساد الريانة مسحت عن الجو الملحمي الحدة والنزق وطيعته جوا ناعما رخيا ، فكان لنا ، من مدخل الملحمة حتى حرفها الاخير ، لعبة الحان تغني جزالتها عن التطلع الى التفاف الطيب واين جوانبه ، فالميزة الفنية التي اهلت فؤاد الخشن لارتقاء برجه العاجي كشاعر الريف والمرأة هي التي ، بطريقة غيرمباشرة القت اليه مفاتيح ابواب الملاحم المسحورة .

منذ الحرف الاول من هذه الملحمة ، ادونيس وعشتروت ، استطاع فؤاد الخشن ان يؤهل الزمان والمكان للجو الذي يريده ، لا سيما والموضوع لا يبعد كثيرا عن الريف ، اذا لم يكن من صميم الجمال المشترك بين المرأة والريف ، فنجده وقد سمى الامكنة باسمائها ، يحد لها الافاق ويجلو الاجواء :

نحو شط في مدى المشرق ... فضي الرمال
لاصق في لازور والافق ... عطري الظلال
صيغ من ذوب الصبابات ... ومن لون الخيال
مرحا للحب والتيه ... لربات الجمال
خلفه شم جبال ... تختفي خلف الضباب
تحت طيات غلالات ... من النور المذاب
وعروش من غصون الارز ... خضراء القباب
ركزت في القمم السمر ... على هام السحاب

هنا نلاحظ ان اللحن مهر اللون بافياء القت على الصورة غلالات واوشحة جعلت الواقع يبارح مكانه الى ما وراء الواقع فيبدو المشهد وكأنه ينفتح عن مطاو. كلما لففت منها غلالة تكشفت عن هالات واضواء تشف عن مناظر اكثر بهجة واروع افتنانا ليروح بك الى اشياء احببت النظر اليها والاستماع الى غنتها لكنها بقيت تحت رواء باهر حتى اتيح لها من يكشف عنها الغشوة .

يقول اوسكار وايلد الاديب الايرلندي في كتابه الخالد ـ من الاعماق ـ ... وكما تاخذ الاجساد جميع انواع الاغذية وتحولها الى عضلات قوية ورواء وفتوة هكذا يتناول الفنان جميع الانفعالات والمؤثرات والدوافع ويصهرها في نفسه ثم يطلقها روائع فنية ... وقد استطاع فؤاد الخشن ان يحوز صفة الفنان المولد ، فبين يدي اربع قطع فنية تناولت اسطورة عشتروت ، كل واحدة منها اخذت ناحية وهي قصيدة شكسبير ، وعذارى افقا لفريد مدور ، وعشتروت للدكتور حبيب تابت، والنشيد لاحد شعراء قبرص وضعه خصيصا لموكب عشتروت وترجمه الى اللغة العربية فيلسوف الفريكه امين الريحاني ..

هذه القطع الاربع الخالدة ، لم تؤلف في ممجوعها لحنا مكتملا لسفر الحياة الذي ارادته اسطورة عشتروت ، بل بقيت ومضات من تلك الحكاية الابدية ، حكاية الولادة والموت والبعث ، حكاية الحب والطهارة، التي شاءت النزوات ان تحولها فيما بعد الى ارجاس مع الابقاء على الفكرة الاساسية ، استمرار الحياة في التوالد لكان فصولها هي الفصول الاربعة بالذات ..

في القطع الاربع التي ذكرت ، كثير من الشعر والخيال والموسيقى والجمال والاتزان لكنها بقيت كالعازف على كمان مبتور الوتر ، حتى جاءت ملحمة ادونيس وعشتروت تقوم بذاتها وحدة تامة ليس للاسطورة فحسب بل لواقع الحياة على شتى نواحيها فلم يكتف الشاعر باللفتات العابرة ومداواة الجمال على ضربات من هنا وهناك ، بل ابتداء مع البدء ينتهي الى حيث يجب ان يرتفع حجر آخر في بناية تشاد ليس على انقاض الاولى بل فيجوارها، فقد مشى الدرب قبل ان تمشيها عشتروت ذاتها في موكب لبناني يتناسب وروعة القادمة من وراء الغيب

وافاق الزهر في فينيقيا ... ذات صباح
فاذا في الشط انوار ... وترجيع صداح
وفراش يغمر المرج ... بالوان الجناح
وغبار ذهبي ... سكرت منه الاقاحي
واذا في الشط في تلك الرمال السمر طفله
حسنها حسن غريب ... لم تر الاعين مثله
كلما سارت على الشط ... بخطوات مدله
قبل الرمل خطاها ... قبلة في كل نقله

ويسير مع الاسطورة محسا للجمال راسما للدروب والشعاب ، ككل ريفي عريق بنعم الريف حتى اذا شاءت له الهنيهة تقطبا وعبوسا ، مزج الهم حتى مع البرعم المتفتق وضرب بهما وجه البهجة فاذا لدينا جمال الاسى واقتتال الخيبة مع الامل على اناشيد فيها الحزن ضرب من الكمال الروحي الشفاف ..

اظن هذه الميزة الفنية في شعر فؤاد الخشن قد جاءت نتيجة حياة عاشها هو هنيهاته الحيرى فكانت الدليل الى النبض الخافت والصاخب في آن واحد الذي حمله الى استلام الجمال على شتى معانيه واشكاله.

فوقها ستر شفيف ... من رمادي السحاب
مثقل بالدمع في رعشاته ... ظل اكتئاب
وعلى الارض رداء ... من غلالات الضباب
متعب اللهثة يبكي ... مثلها موت الشباب
تعمل الاظفار بالنهدين ... تمزيقا مريعا
فوق من غنت لعينيه ... فما كان سميعا
تنثر الحسرة واليأس على الحسن دموعا
تنبت النرجس احداقا تكالى وولوعا ..

لسنا لنذهب الى مدارج الملحمة مدرجا فقد تفقد كثيرا من

الرواء والحياة اللذين اكسبها اياهما الشعر ، انما لنا ان ننوه بما ادخله عليها صاحبها من جديد لم تمر به ايدي من تناولها شعرا مما جعلها تأتي مكتملة الوحدة الملحمية لانها حملت بين طياتها سيرة اختصرت فيها الاعصر ، جامعة في تقطير مكثف حلاوات الفكر الانساني على نقي خيال فكان لا بد له من الذهاب الى الميثولوجيا اليونانية التي هي حتى يومنا المصدر الوحيد للاساطير واحاديث الارباب وستبقى كذلك حتى يتاح لنا الكشف عن تراثنا في رأس شمرا او في اي من مدننا الخالدة امثال جبيل وصيدا وصور ، لذلك نراه قد اضفى لونا جديدا على هذه الاسطورة عندما ذهب الى هوميروس في كتابه ـ الادوسي ـ مصورا لنا هدز ـ اي مملكة الاموات ـ لكأنه اعتلى مع المعري او دنتي ، مركبة الخيال الى اعماق الجحيم ..

مما لا جدل فيه ان الفنان يعايش روائعه ، فهل وجد فؤاد الخشن جحيمه ونعيمه على هذه الفانية فاستطاع ان يجمع في قبضة واحدة مآسي الحياة سقمها وعذابها وآلامها مع الفرحة الكبرى والبهجة الرضية، والارتياح المنعم ، ثم ، وقد صهرها في ذاته ، يطلقها بوحة فيها الانغام على انسجام فلا ينبذ وتر وترا ، بل سوحة ملحنة موقعة فيها من اللون ما فيها من الصوت الملائم للواقع والزمان ، لنجد انفسنا في صميم هدز.

.. وانتهى الوادي بسد من غمامات مطيره
فوقه جمجمة تملأها الطين كبيره
مد فيها الطحلب الرطب من الدمع جذوره
وبدت من محجريها ازهر الليل النضيره
.. ها هنا مملكة الاشباح دنيا اللاحدود
روعة المطلق والصمت وعمق اللاوجود
كل يوم ها هنا نغفو على وعد جديد
كل سد حين يهوي يتجلى عن سدود

من المؤكد ان فؤاد الخشن التقى جميع ضروب الحياة ، وكم سواه عايشها ايضا لكنه خرج منها صفر اليدين بينما استطاع هو ان يقيمها وينقيها كالصناعي الماهر ثم يتركها لوحة تتهاوى عليها الافكار فتالق على نضارة حسبها انها استطاعت ان تماشي جمال ريفنا ، وما في جبلنا الاخضر من مؤتلقات محاسن وفكر تندفع الى الاعلى في انتجاعها مرامي الارواح ، فاذا بها مضمرة مرهفة الحس للاخذ والعطاء مما :

خلجات التربة العطشى شفاه ظامئات
وعروق الكرمة الصفراء شوق وصلاة
وشقوق الارض افواه ابتهال
هامسات يا عيون الغيث باسماء اين القطرات
رمقا من زبد الموج تهاوت باتئاد
سرب اطفال فراشات مرفات صواد
زغبا من ريش نجمات شقيات السهاد
نتفا من نرجس السفح ومن فل الوهاد .

وبعد انها لعبة ترف لعبها فؤاد الخشن في ملحمته ادونيس وعشتروت حيث سلط الاسطورة على الحقيقة والحقيقة على الاسطورة مازجا بينهما على اناقة ذهبت بمزية كل منهما لتكسبهما صفة جديدة تتفرد بذاتها ، فقد تلاعب ، من وراء ذوقه المرهف بضروب الفن حتى اتيح له ان يجعل من الملحمة انشودة ومن الانشودة ملحمة ، مثيرا عاطفة في الخيال تقربه الى التجسد حتى اذا كان اللمس انسلت الاطياب على ضجيج الى حنايا اللامحدود حيث الارواح على مراشف الورد واكمام الزهر في ربيع دائم :

واذا الزهر لحاظ وشفاه حاكيات
انمل تومىء للحب وغمز والتفات
وغوى شال طروب وخصور طيعات
وسنا هدب ذهيب هي في الليل صلاة
وكؤوس افرغت في الفجر اشواق الضلوع
نافضات عن عقيق الجفن حبات الدموع

واخيرا صدرت الاجزاء الاربعة من :

شيم العرب

تأليف فهد المارك

موسوعة فريدة في القيم العربية والبطولات

الفذة والسير الخالدة

١٥٦ قصة حقيقية

فيها من آيات الوفاء والشجاعة والاباء والكرم

والمروءة والنزعة الانسانية ما يجعل امة العرب

موضع اعتزاز وفخر

ملاحم التاريخ العربي والتراث الاسلامي

والنهضات الحديثة جمع المؤلف فصولها وجلا

غوامضها ونظم عقدها في هذا السفر النفيس

فغدا مرجعا لا تستغني عنه مكتبة عامة او

خاصة واضحى خير ما يقتنيه الطالب لمعرفة

عناصر القوة والمجد في وطنه وشعبه

يطلب من دار الكاتب العربي في بيروت

ومن المكتبات الكبرى في البلاد العربية

ثمن الاجزاء الاربعة ١٩ ل.ل.

دار الكاتب العربي

للتأليف والترجمة والنشر

بيروت ـ بناية عمر الخيام ـ ص.ب ٣١٥٧

هاتف ٢٩١١١٨ ـ ٢٤٠٥٠٦ ـ ٢٤٠٥٠٧

فافاق النـــور رفافا عـــلى الزهـــر الولوع
وافـاقت ارض لبنـان عـلى طيف الربيـــع .

وانه لربيع دائم الاخضرار مع ملحمة ادونيس وعشتروت فقد اطلقتها مخيلة شاعر ، تفاكه والجمال ، على نثر اطياب وتجاذب الحان .

فوزي سابا

●

امير البيان شكيب ارسلان

تاليف احمد الشرباصي ـ جزءان ـ ٩٢٣ صفحة ـ مطابع دار الكتـاب العربي بالقاهرة

الاديب اللبناني الكبير الذي ولد على بعد عشرة اميال من بيروت في بلدة تسمى « الشويفات » عام ١٨٦٩ ، وقدر له ان يعيش عمرا مديدا بلغ سبعة وسبعين عاما ، قضى منها في الكتابة ستين . والذي تعلم التركية، والفرنسية ، والانجليزية ، والالمانية الى جانب لغته العربية .. فافاد من ذلك فائدة كبرى ... هو شكيب ارسلان ... موضوع الكتاب الذي بين ايدينا ... والكتاب هو الرسالة التي نال بهـا فضيلة الاستاذ احمد الشرباصي درجة « الماجستير » بتقدير ممتـاز ، من معهـد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ، مع توصية بطبع الرسالة على نفقة المعهد .

وفي هذا البحث الاكاديمي نلتقي بدراسة تاريخية ، ونفسية ، وفنية. كما نلتقي بالعرض والرصد ، والتفسير والتحليل ... ثم التقييم .

وقارىء الكتاب يحس ان الاستاذ الشرباصي لم ينحرف عن المسار الذي خططه لنفسه منذ شرع يحرك قلمه على الورق ، ودانت له الخيوط التي تحرك عمله الفني العظيم ، حتى استطاع ان يصل الى قلوبنا بالاقناع ، ويصعد الى القمة بالابداع .

والنقطة الاولى الجديرة بالتنويه ... هي التوفيق في اختيار الموضوع فما احوجنا اليوم الى مزيد من الالتفات نحو الزوايا المنسية من تاريخنا الادبي لنمسح عنها غبار الزمن .

الجزء الاول يحتله ستة ابواب : في الباب الاول يتناول المؤلف عصر شكيب من ناحيتيه السياسية والاجتماعية بما ضمه من نشاط متنـوع خلال ما يزيد على ثلاثة ارباع قرن ، في فترة شهدت نهضة ادبية ضخمة نتيجة الاحتكاك بالثقافات الاجنبية الواردة ، وذلك في اخريات القرن التاسع عشر ، واوائل القرن العشرين .

وفي الباب الثاني نزداد تعرفا على « الامير » ... حياته ، ونسبه، وطائفتـه .. وهي طائفـة « الدروز » ، ويعلـل شكيب لتلك التسمية فيقول : « انما سموا الدروز نسبة الى نشتكين الدرزي العجمي احـد دعاة الحاكم بامر الله الخليفة الفاطمي » ..

ونخرج من هذا الباب بدراسة تامة لمراحل نشأته ، وفترات تعليمه ونتعرف على من اثروا فيه ، وفي مقدمتهم الرجل الذي نفث في الادب نفثة قوية ، وهز الشرق هزة عنيفة ، ذلكم هو : جمال الدين الافغاني، الذي اثر في : محمد عبده ، وعبد الكريم سلمان ، وابراهيم اللقاني ، وسعد زغلول ، وابراهيم الهلباوي ، والبارودي ، والمويلحي ...الخ... فلم يكن عجيبا ان يتاثر شكيب بنثره ، غير انه قد تاثر كذلك بابي اسحاق الصابي ، وابن المقفع ، وابي بكر الخوارزمي ، والهمذاني ، وابن خلدون وغيرهم . وفي هذا الباب رصد لكثير من رحلاته ... وقبل ان يطوي المؤلف اوراقه في هذا الباب ، عاد بنا مع شكيب من تطوافه الى الوطن.. ليعقد تعارفا سريعا بيننا وبين زوجته واولاده .

اما الباب الثالث فهو مجال دراسة خصبة لجانب من جوانب شكيب الادبية المتعددة .. فقد كان شكيب ناثرا مجودا ، ذا منهج خاص فـي النثر ، كما كان شاعرا مبدعا .. يجمـع الى ذلك سعـة افق الناقد ، وبراعة قلمه ، وحسن تذوقه ، ثم هو بعد ذلك لغوي صاحب دراسات لغوية ثرية .

اما النثر فيلم به الاستاذ الشرباصي الماما متسع الجنبات .. وقـد كان الاسلوب في عصر شكيب يميل الى المزاوجة في العبارة ، والولع بالسجع والميل للتراكيب القديمة .. محاكاة لابن المقفع ، وعبد الحميد الكاتب ، وابن العميد ، اما شكيب فقد مال الى قصر الجمل ومتانتها .. ومال الى السجع في مطلع حياته الادبية ، مجاراة لعصره .. لكنه كان يميل الى التخلص منه احيانا ، ويشيع في اسلوبه الاقتباس من القرآن الكريم او كما يعبر الاستاذ المؤلف : « حرص على الجملة القرآنية» تماما كما كان يحرص مصطفى صادق الرافعي .

ومن الملاحظات القيمة هنا ، ما يشير اليه المؤلف من شيوع ظـاهرة صوتية في كتابات شكيب ، وهي جلجلة العبارة اي : « تضمنها الفاظـا فيها شدة صوتية ما عند نطقها ، او طول في مبناها يقصده المتكلم لتقوية معناها » .. وظاهرة لغوية اخرى كثيرا ما يعني بها دارسو فقه اللغة.. وهي : « الاقتراض » ... والاقتراض ظاهرة شائعة لدى معظم الامـم المعاصرة ، وغير المعاصرة . ولم تجد اية امة ناهضة بأسا من اللجـوء اليها .. وهذا النوع الذي اعنيه ، والذي تهدف اليه ملاحظة المؤلف : هو الاقتراض في الاساليب ... وقد شاع لدى الادباء الذين نهلوا من الثقافات الاجنبية ، وانتشر اليوم في المجال الادبي ، ولفة التخـاطب عـلى حد سواء ... وجرى عـلى قلم شكيب سنـة ١٩٣١ في كتابه : الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج الى اقـدس مطـاف ... من ذلك قوله : « من الاماكن الحجازية الملأى بالمستقبل » .

وهكذا تطرد الدراسة الفنية لنثر شكيب : سجعه ، وترسله، واقتباسه من القرآن ، وجلجلة عباراته ، وميله للتكرار والاسهاب .. امـا لقب « امير » فينالـه بمبررين : مبرر اجتماعي ، حيث كان من اسرة «ارسلان» وهم امراء لبنان ، ومبرر ادبي ، وهو الذي شاع وانتشر ، حيث سمي « امير البيان » ، وكان صديقه احمد شوقي « امير الشعراء » ، وان كان قد جمع اللقب بينهما في المنزلة الادبية ، فقد دنا كل منهمـا من الاخر حين انعقدت بينهما صداقة قوية ، حتى انه ما يموت شوقي عام ١٩٣٢ حتى يؤلف شكيب كتابه : « شوقي او صداقة اربعين سنة » .

وكان اول ذكر للقب امير البيان ، في رسائل السيد رشيد رضا الى شكيب ، عام ١٩٢٤ ، وان كان قد لقب بالقاب اخرى مثل : كاتب الشرق الاكبر ، واديب العصر ، ونابغة الزمان ... الخ.. فقد كان جديرا بها، حيث تعددت طاقاته وامكانياته ، يساند ذلك عزيمة قوية لا تلين ، حتى قال عن نفسه : « فأنت ترى ان همتي همة شباب لا همة شيوخ » فقـد ادركته الشيخوخة ، لكنها لم تنل من قوته الفنية ... وينضاف الى ذلك انه كان لا يتقاضى اجرا عن مقالاته ، وانه كان متدفق الوطنية ، حتى كان من اواخر الكلمات التي داعبت شفتيه قبل موته قوله : « اوصيكم بفلسطين » ..

وننتقل الى الباب الرابع من الكتاب .. لنلمس نفس الروح السابقة .. لكن الانطلاق هذه المرة مع شعر شكيب حيث يلم به المؤلف الماما دقيقا ، اعتمد على حسن تذوق ، ودقة فهم ، وقوة ذاكرة ... والديوان الاول لشكيب هو « باكورة » ، وطبع عام ١٨٨٧ ومنه شكوى شكيب :

فالله يـا دنيـا حيـاتك كربـة ... وفيك غراب البين ما زال ينعب
رأيتك محض الغش في محض قدرة ... فلا منك رهبان ولا فيـك أرغب
واني وان ضـاقت عـلي مـذاهبي ... لديك فصدري من فنائك أرحب
أرى بك من نكدي وصبري عجائبـا ... واعجب من حالي وحالك أعجب

وقد تناول المؤلف الديوان بالبحث فاشار الى المحسنات البديعة في شعر شكيب ، وتقليديته ، واقتباسه من القرآن الكريم ، ومحاولة صنع الملحمة ، حيث كتب قصيدة « معركة حطين » ، واخرى عام ١٩٣٠ اثر زيارته للاندلس ، موطن تراثنا الحضاري العريق في العصور الوسطى، وانطلق فيها متعديا مئة بيت . وما بين صفحة ٢٩٤ ، وصفحة ٣٠٤ ، نلتقي بقضية من اخطر القضايا التي شغلت بال النقاد ، واستولت على اهتمامات المعنيين بالادب ، دارسين وقراءا ، وهي شعر المدح، والتكسب.

وبمقدار ما يباح لنا ان نفسح في ذاكرتنا التاريخية مكانا مرحبا بشعر المديح الجاهلي ، وما بعد الجاهلي .. وبتحديد ادق .. الى ما قبل العصر الحاضر .. اذا ابيح ذلك قبل الان ، فانه سيكون من العسير ان يباح اليوم الا على حساب الفن ، ومعاييره . والاساس الذي ترعرع على صعيده شعر المدح هو ان سيد العشيرة او رأس القبيلة كان النموذج الذي يحتل دروب التفكير ، والتوقير آنذاك ، وبذا استحق حلل المدائح وزخارفها .. ومهما حاولنا التماس المبررات لشكيب ، وغير شكيب ان يجري على هذا النهج فانه يبقى بعد ذلك تساؤل هو : هل معنى ذلك ان شعره كان عبدا لمجالات التكسب به .. هل عادى عرائسه ، وشياطينه الشعرية ، وغفل عن اعماقه ، وهرب من عواطفه ، وتجاهل تجاربه ، ونسى معاناته ؟

انه يشير الى من عاب عليه وعلى شوقي ذلك اللون من الشعر ، ثم يدافع عن وجهة نظره ، مشيرا الى اصطفاء الملوك لشعرائهم ، ويجعل ذلك : « رمز الامة وعنوان الملة » .. ولكن رأيه يصطك بعدة ملاحظات وتساؤلات للاستاذ الشرباصي كان من اجملها في نظري استشهاده بابيات للبارودي ومنها :

الشعر زين المرء ما لم يكن وسيلة للمدح والذم

واذا كان المدح مظنة زيف العاطفة ، وسطحيتها فان الرثاء ينأى عن فطنة انطفاء العاطفة ، وبرودها ولعله من اجل ذلك ، لم تظل معالجة هذا الموضوع في الكتاب .

وفي ست صفحات تتجلى روعة التناول في بحث : الصورة الشعرية لدى شكيب . ولا يسع قارىء هذا الباب الا ان يعجب بحسن التناول وبراعته ، فقد اتكأ المؤلف على معايشته الطويلة لشعر شكيب ، فكان موفقا في اختياره ، وموفقا في دراسته الى حد كبير .

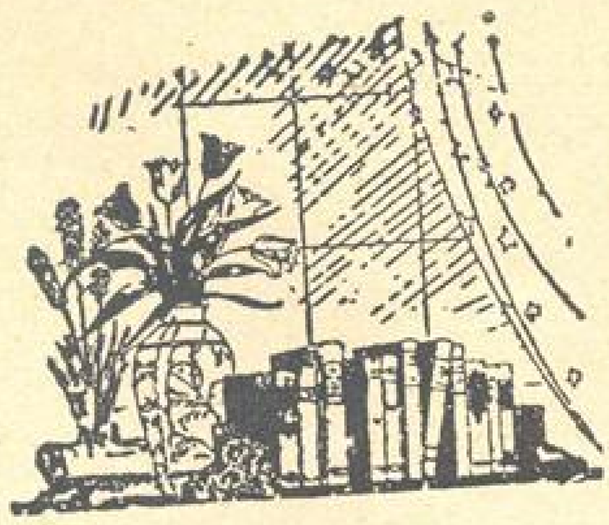
وقد قسم المؤلف الباب الخامس وهو « شكيب الناقد » الى شطرين. في الشطر الاول : تناول آراءه في الشعر ، وفي الثاني آراءه في النثر. والشعر لديه لا يحسنه الا اصحاب « السليقة الفائقة والطبيعة الصافية التي لا تتاح الا للاحاد ، ولا يؤتاها الا الافراد » .. وهو هبة من الله ، وقوة روحية يفيضها على من يشاء من عباده فتحلق به في سموات الخيال ، وهو يرى انه « ما من بوتقة لسبك الشعوب خير من الثقافة» وان « رابطة الفكر اقوى من رابطة الدم » .. ويكره الادب المكشوف وينفر منه . وفي نهاية الباب يركز المؤلف ، في خلاصة وافية ، آراء شكيب عن النثر والكتابة ، فهو لا يرى الخروج على قواعد اللغة ، ويقرر ان لكل عصر اسلوبه .

والباب السادس يناقش جانبا آخر ذا اهمية في حياة شكيب ، وهو شخصيته كلغوي .. اهتماماته اللغوية ، ومساجلاته ، وخاصة تلك التي كانت بينه وبين اليازجي دفاعا عن صديقه شوقي اثر نقد اليازجي لرواية شوقي « عذراء الهند » . ومن اخطر آرائه واكثرها قيمة تقريره ان كتب اللغة ليست هي كل شيء ، ونتيجة لذلك صحح كثيرا من استعمال الكلمات مثل : استاثر ، واحتمى ، وبادح ... الخ.

وفي الجزء الثاني يتعرض الباب السابع لكتب شكيب ، ما طبع منها، وما كان مخطوطا ، وما كان مقترحا . ثم نجد في هذا الجزء ملحقين : الاول : لرسائل شكيب ، والثاني لقصائده ... وهكذا نعود مع المؤلف من رحلته الطويلة التي كلفته السهر والسفر والبحث والتمحيص.. والتي استغرقت ـ فيما اعلم ـ سنوات سبعا من الترحال ، والمعاناة .. نعود بزاد كبير من المتعة والمعرفة .

وبعد .. فالمؤلف ليس بحاجة الى الاشارة الى طريق الاسهام الطويل الذي سلكه عبر سنوات عديدة قدم فيها للمكتبة العربية ما ينيف على العشرين كتابا ما بين الدين والادب والتصوف والتاريخ .

واكثر ما ينتزع اعجابي : ولعه بالطرافة .. فهو رجل دين ينطلق ليكتب في « حركة الكشف » ، وهو اديب يتعمق في التصوف ، والصوفية ، ثم يهدي المكتبة العربية منذ سنوات مؤلفه القيم الفريد : في عالم



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

•

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد أدنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد أدنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المكفوفين .. الى آخر ما هنالك من روائع سبقت الكتاب الذي بين ايدينا ... الكتاب الذي لم يكتمل منهجه ، ويتضح هدفه فحسب ، بل جمع الى ذلك كله ان دعم ركنا من الاركان الثرية في ميدان التاريخ الادبي .. وهنا تكمن دلالة هذا الجهد الكبير ..

القاهرة — يوسف حسن نوفل

●

مآرب اخرى

مجموعة قصص قصيرة ـ تأليف ناشد سعيد ـ ٢٤٠ صفحة ـ منشورات دار الثقافة في دمشق ـ مطابع الانشاء بدمشق

لا تزال القصة القصيرة في سورية تبحث عن طبيعة ملائمة ، ومناخ صالح ، تبني فيه دعائمها وحياتها الانسانية الحضارية في كل مناخاتها الادبية والفكرية .. ولا يزال كاتب القصة القصيرة يركض وراء ابطاله، يتصيدهم في انفعالات عصبية مرهفة .. فيخرج بهم عن مألوف الحياة الاجتماعية الواقعية القاسية ، الى اطار فكره المشبع باضطرابات ثقافية مذهبية ، تلقطها من هنا وهناك ، دون تركيز على تصرفات الناس في مجتمعه الذي يظهر امامه في كل لحظة من تحركه في حياته اليومية الدائمة ..

فهو ـ اي الكاتب ـ لا تزال تغويه الافكار المستوردة .. بيد انه يحاول ايجاد هويته وتحديد سماته في قسرية بالغة .. فلو انه عاش جانبا من قصصه ، لأجاد ، ذلك لان الحياة ـ اي حياة واقعية ـ لا تخلو من الاثارة ، وان خلت من الحواشي الملهمة لمتاه الفكر .. اذ ان المفروض على من يعاني كتابة القصة القصيرة ان ينتقي ظاهرات الناس الاكثر حيوية وفعالية وانسانية في تبديلات التطور، ويعالجها في بصيرة حاذقة، وعقل ذكي حصيف ، وتجربة مباشرة صادقة ، فيها العذاب والالم ، حتى يترك لها الاثر البالغ في التصرفات والاعمال والاهداف .. لان من مهمة الكاتب ـ المفكر ـ ان يلتزم اظهار نزعات الحياة البشرية ويرصد نقاطها البارزة ، ثم يعطي الحلول الناجعة لها ، او يقدم الادلة على تخبطها ، او معاناتها للاحداث المعيشية والذاتية في اطار من الحيوية المجدية والسحر ، مستشفا من وراء ذلك احوال الانسانية المتداعية ، كي يرفع بها الى الافضل ..

والقصة ـ في رأيي ـ من انجع الوسائل الحضارية القائمة التي تبرز معالم وقضايا الانسان المعاصر ، وخاصة في بلادنا العربية .. انها الان (طفرة) ادبية تظهر في طبيعة الكاتب العربي ، يريد من خلالها وبواسطتها التعبير عن شؤونه وقضاياه ومشاكله عن طريق مدلول مسلسل للحوادث التي يعيشها.. هذا الطريق الذي وجد فيه الكاتب العربي بغيته وضالته الحديثة ، كنوع خاص من انواع الادب المعاصر .. مثله كمثل الشعر والمقالة .. والبحث او التحليل ..

.. وفعلا ، فقد حاول الكثيرون من كتابنا في سورية معالجة امورهم وقضاياهم الاجتماعية عن طريق كتابة القصة ـ وبخاصة القصيرة منها ـ فهل نجح هؤلاء ..؟ ام حاولوا ان ينجحوا ..؟ ام ما زالوا في سبيل البحث عن النجاح ..؟

اسئلة كثيرة تقف في حلوقنا ، نخاف طرحها .. لكننا نتجرأ، ونتجاوز حدود التردد ، لنقول : أن ثمة « محاولات » تطرح في سورية لتركيز القصة في هذه البقعة من الوطن الام .. وهذه المحاولات لو فكر صانعوها بما يدور حولهم من حوادث اجتماعية واخلاقية وفردية ، وما يصادفونه من تحولات ذاتية في الشخصية العربية الجديدة للانسان المعاصر في بلدهم ، ذلك الانسان الذي يحاول التخلص من قيوده التقليدية ، ومن رتابة ماضيه المقيت ، لكان لهم محاولات اكثر حدة ، واكثر حرارة ، من تلك التي لم يظهر منها حتى الان الا الاستغراق في الفردية والانانية ، والشهوة المتكالبة على النفعية المادية ، حتى تنشر اسماؤهم على الورق المصبوغ بحبر المطابع ، فكأن القضية ، قضية سباق في ميدان الظهور، والتبختر على حافة الشهرة ، ليس الا ...

ولكن ، ثمة شيء اهم في نظر الحياة ، يقضي بان نزج فيه بمشاعرنا، ورصيدنا الفكري والعلمي ، كي ينصهر في مرجل الحياة الحاضرة ، ثم نستخلص منه معادن متينة تلمع في الوجه العبقري ، وتتحدى شمس الخلود .

هذا ، وفي نظري بأن من أصعب الاعمال الكتابية الادبية ـ كتابة ـ القصة القصيرة ، ذلك لما في خلقها من تكثيف وضغط لابعاد الحياة وجوانبها العديدة ، ولما في وضعها من ذكاء يحتاج الى الموهبة والعلم ، والوعي الاكيد في الثقافة ومشاكل الناس فردا فردا ، ومجموعة مجموعة.

وبالرغم من فقدان هذه الادوات عند كاتب القصة في بلدنا ، ورغم عدم تمرس الكثيرين للحياة التي يمثلونها ويعكسونها في كتاباتهم ، فاننا لا بد ان نجد من يبرهن لنا عن محاولته فيها ، هذه المحاولة التي لا يخشى منها قط ..

فـ« ناشد سعيد » وهو من الذين يمارسون كتابة القصة القصيرة منذ سنوات، يغرينا للسير في طريقنا نحو ايجاد، او عثور على(المحاولة)، فقد ظهر علينا في هذه الايام بمجموعة من قصصه القصيرة ، ضمها في كتاب واحد اسماه « مآرب اخرى » . فما هي هذه المآرب ؟ يا ترى..؟ سؤال يترك ـ القارىء المثقف ـ في حيرة حيال هذه المآرب .. وهل يجوز لنا ان نسميها مآرب ..؟ ام هي عبارة عن تسلسل حوادث ، مخطوطة ، أحس بها ناشد ، فلفظها قصصا قصيرة في كتابه هذا ..

لقد دون ناشد في مجموعته فقرات عن حياته .. بانه : ولد في اللاذقية عام ١٩٣٨ وتطوع في الجيش عام ١٩٥٦ وقدم استقالته عام ١٩٦٠ وعاد فدرس الحقوق لمدة عامين ، ثم طلب لتأدية خدمة العلم عام ١٩٦٢ وانهى خدمته عام ١٩٦٣ وانتسب مجددا الى الجامعة لدراسة الفلسفة ، ولكنه دعي لخدمة الاحتياط عام ١٩٦٤ .. من هذا التسلسل الحادثي ، الحياتي ، التبديلي ، يتبادر الى فكرنا ان في صفحات الكتاب مواقف تلهب حقا .. اذ ان هذا التبديل في حياة الجيش والدراسة في الجامعة لا بد وان يخفي في تكوينه وفوضويته انسانا عملاقا ، يسبر قلقه وضياعه .. ثم يعطينا النتيجة الايجابية الحتمية لهذا التراوح في الدارة الحيانية التي عانى الكاتب تياراتها الصاخبة القاسية ..

ان ناشدا ـ في هذه المجموعة ـ لم يقدم الينا شيئا من هذا القبيل، بل اعطانا نمطا آخر من القصص القصيرة كل واحدة منها تعبر عن نفسها، ضمن اطار حياتي خاص « فالقماط والوصية » قصة الانسان من المهد الى اللحد .. قصة سجنه وقيوده منذ أن يبدأ جنينا في بطن امه، الى ان يصبح رجلا ، فعاملا في الحياة .. ثم يتزوج ، ثم يصبح كهلا ، الى ان يموت ويدفن عاريا « بلا كفن ، فانه لم يعد يستطيع احتمال المزيد من الاقمطة ، اعفوه من هذا القماط الاخير على الاقل ..» وتنتهي القصة عند هذا الامر القاطع .. جميل ان ندخل في قلب المأساة .. ولكن الاجمل ان ننتهي ببطولة ، ونتحدى ، لنكون الوجود .. الا ان معالجة «ناشد» لهذه الاقمطة جاءت عفوية ، بحيث استطاع رصد جوانبها ، النقلة تلو النقلة ، الى نهاية الشوط ، ولكن دون ايجاب هادف .. لان موت الفرد ليس نهاية العالم .. فموت البطل بعد تجارب حادة ، هو الاستمرار للحياة دون ريب .. والا فالاستسلام اجدى ، ولتخل الحياة من الالم ، ولكنها (محاولة) فيها اشياء من المعاناة لم تعمق بعد في القصة .. ولعل ذلك ما يوحي بعدم قدرة السرد القصصي عن تعميق جذور التجربة الفعلية ، بخلاف الشعر او النحت ، مثلا ..

بيد ان قصتي « الخدعة » و «الاخطبوط خارج الماء» تكادان تعبران على بناء واحد في الاسلوب ، والتكنيك الدرامي .. ولكن البناء الخارجي

يقتصر على ابراز الجوانب الخارجية اكثر دون الدخول في موضوعية (الحدث) بشكله وبعده الذاتي . اذ ان (الحادث) الذي ربطه ناشد في مصير البطل الذي حكم عليه بالاعدام (باسم الشعب) لانه ارتكب جريمة قتل، والجريمة هذه بحد ذاتها (جريمة) مرتكبها يستأهل الاعدام .. لكن الدافع على ارتكابها (حادث) بسيط .. او سبب جد تافه .. وضع ساعة عند الساعاتي .. ويماطل هذا الساعاتي ، او يخالف موعد اعادة الساعة الى صاحبها ـ المحكوم عليه ـ في الوقت المحدد بعد التصليح، فيقتل الساعاتي ـ ان البطل المجرم في القصة ـ يروي الحادثة،ويعترف بالقتل ، ولكنه يعتبر نفسه الضحية ، لم ..؟ لان الساعاتي ـ القتيل ـ خدعه ، وهو ، ـ المجرم ـ يكره الخدعة منذ ان كان صغيرا ، وقطعوا من جسمه (لحمة) في عملية الختان ..

ان ربط (الخدعة) بحادث قتل ، شيء لم يشعرني بصحة هذه المعاناة .. وعلى كل حال ، فالقصة هذه حشرت باسلوب تقريري محض امام منصة المحكمة .. اما الثانية ، وهي « الاخطبوط خارج الماء » فانها ايضا تعتمد على الحادثة البسيطة . فسلوى نموذج انثوي جميل للرسام « وليد ».. الساقان في جسد سلوى هما نقطتا مركز الفرجار، وسيفزو الرسام اوروبا بلوحاته عن ساقي سلوى .. لان بلاده ـ وهذا فيالقصة طبعا ـ تعاني من العقم ، وعدم تقدير الفنان لما يعانيه من بؤس وعدم الاعتراف .. ولكن سلوى تحب كانثى . ان نداء غريزيا في اعماقها يتوجه كل يوم الى وليد .. واما وليد فانه يحب (الفن) .. وفي لحظة غامضة تترك سلوى وليد ، وتجف القريحة او تكاد عند الرسام.. ويحاول هذا او يحظى بساقين كساقي سلوى ، ولكن دون جدوى .. وبينما يكون وليد وصديقه خالد في طريقهما الى كلية الفنون ، وبعد ان يدلفا الى سيارة وقفت امامهما بمحاذاة الرصيف .. يقول احدهما للسائق : اسرع الى كلية الفنون الجميلة في شارع بغداد .. ويسرع السائق .. وفجاة يصرخ وليد : (ها هي سلوى .. لقد لمحت ساقيها..) ويصرخ في اذن السائق « قف » وينزل وليد ، ويركض بلا وعي ليقطع عرض الشارع الى الرصيف المقابل . فيصطدم بسيارة عابرة ، ويموت .. وتغمغم (فتاة) رشيقة الساقين ـ وهي سلوى طبعا ـ فيما بينها وهي دامعة العين : « حسنا .. كان يرغب دائما بالكف عن التزييف ، سوف لن يضطر بعد الان الى رسم الاخطبوط خارج الماء ..»

انا شخصيا لم استطع مقارنة العنوان بحوادث القصة التي انتهت هذه النهاية السينمائية المفجعة ، ولعل صديقي ناشد اراد شيئا آخر، رمزا .. غموضا ..؟ لا ادري . ولكن في القصة الكثير من المواقف ـ الرومانتيكية ـ الحلوة الشيقة ، والاثارة لكل شاب ، بيد ان (الحادث) فيها يكاد يكون مستفدا مع حادث جريمة القتل في «الخدعة» والتي كانت مسبباته غريبة ، كما هو الحال في «الاخطبوط خارج الماء» بالنسبة لصرع وليد وظروفه ..

في المجموعة خمس عشرة قصة ، ولا بد من ان تكون عند ناشد سعيد الان ، هي خير وابقى ، ولكن بالنسبة لي ، فقد انسجمت مع عدد منها كـ « سائق الترام » واعتقد بانها القصة الوحيدة التي التصقت بي التصاقا واقعيا ، كما انها الوحيدة التي جعلتني ارتبط بدمشق، المدينة التي عشت مراحل تطورها منذ ما يقارب الثلاثين عاما .. ارتباطا وجدانيا وحنينيا ، فـ « المرجة » و« القصاع » وقضبان الحديد التي كانت للترام ، واندثرت الان تحت الاسفلت في شوارع دمشق الجميلة الرشيقة . .كل هذه المعالم قد غادرتني الى حيث كوى الذكريات ..

ان قصة « سائق الترام » هي قصة العامل .. اي عامل في الشعب الكادح ، يعيش اجزاء عمله جزءا جزءا منذ دخوله بوابة الزمن العملي، حتى خروجه منها ، متقاعدا ، وناشد سعيد ، استطاع ان يرصد لنا كل الجوانب الواقعية الحياتية التي يعيشها سائق ترام في دمشق خلال اعوام واعوام . فكان ناشدا كان فعلا (سائق ترام) ولعله عاش فترة يراقب هذا السائق بين القصاع والمرجة ، وبين المرجة وحي الميدان ..

انه مصير واقعي جديد يربطه ناشد بسائق الترام ، ونهاية هادئة لبطل قصته هذه ، فيها تحفز من جانب آخر لحياة افضل .. اذ بعد ان يمل السائق حياته ، يقول وهو يقذف الى الخارج ببصقة كبيرة تجمعت تحت لسانه من نافذة الحافلة التي الى يساره : « تفوه .. دنيا مثل هذه الحافلة .. مزمار يوقفها .. ومزمار آخر يجعلها تسير ..».

ان هذا التحكم اللاذع من جانب السائق لحياة رتيبة تمشي على قضيبين حديديين اعواما واعواما ، لجديرة بان يتمرد عليها الانسان، وان يتفلل عليها ، لعله يلقى افضل منها . انه الطموح ، والطموح خلاق ، وسائق الترام هذا يترك في خيالنا واعماقنا رغبة في الاستمرار في دجور الحياة حتى نلتقي بالنور لا محال ..

ان قصص ناشد ـ في رأيي ـ يمكنها ان ترسم لنا حياة واقعية في بعض مناخاتها الراقية ، لو تصيد لها الحوادث الخصبة التي تقع بين ظهرانينا وفي مجتمعنا التقدمي الباسل الذي يحاول الان نبذ أقمطته التقليدية ، والتخلص من انشوطته البالية .. انه ـ بحق ـ يستطيع ذلك ، اذا رصد الوقت الخصب ، والوعي ، وانتبه الى متطلبات الافراد الجزئية التي تنعكس على سمات المجتمع العامة .. انه يستطيع ان يكتب لنا قصصا ذات طابع واقعي جيد ، لان الذي يكتب «القماط والوصية» و« اعواد القنب » و« الغيوم على الارض » يستطيع ان يعطينا نماذج قصصية حية ، بلا شك ..

واخيرا ، لا آخرا ، آخذ على ناشد تكراره لكثير من الكلمات ـ المفردات ـ ورصيده ـ على ما يظهر ـ منها قليل ، ففي قصة واحدة « القماط والوصية » تكررت كلمة (شد) كثيرا ، ومع هذا فناشد من الشبان الذين لا يحاولون استيراد الافكار ، ومن ثم صهرها في رمزية باهتة .. بل يمكن ان نعتبره من الذين يحاولون من جوانب المجتمع بطرف جناحيه الصبغين باكثر من لون حلو هادىء ، ترتاح اليه النفس والعين والقلب معا .. ولكن على شرط ان لا ينتهي بنا الى فواجع كلاسيكية لابطاله في المستقبل لان اجمل ما في الحياة الاشراق، والاستمرار في تمرد بناء رائع .. ولناشد الان مني تحية حنان وتشجيع .. انها تحية المآرب الادبية الاخرى ..

دمشق

اسماعيل عامود

من اسرة تحرير المجلة العسكرية

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

اشهر القصص العالمية ـ للمنشورات العربية

ترجمتها نخبة من اكبر كتاب العربية

الاعلام والدولة لحسن الحسن

تأريخ احمد باشا الجزار

الشباب و « روح العصر »

* * *

ليس « العصر » هنا بمعنى الجيل generation الذي يعرف مداه عادة بثلاثين عاما ، وليس ايضا بمعنى القرن الذي يبلغ مائة عام ، وانما هو الفترة التي تتميز بطابع رئيسي في الحضارة ، كالطابع العلمي او الذري او السرعة ، او مثل ذلك ، كما يعلم القارىء الكريم . وعلى هذا فقد يكون طول العصر الذي نعنيه خمسين عاما وقد يكون اقل او اكثر . ولا ريب ان سرعة التطور الحالية في العلوم والاجتماع اشد من سرعة التطور فيما خلا من العصور ، ولذلك تجيء فترة « العصر » التي نحددها هنا اكثر ايجازا واقل طولا .

وقد اصطلح بعض الكتاب من قبل على ان يكون « الشباب » فترة ما بين البلوغ وسن الاربعين ، وذلك على الرغم من التعريف اللغوي الذي يضع الحد عند الثلاثين . ولست ادري مبلغ ما في هذا الاصطلاح من الصحة او الدقة ، لكننا لا نخطىء كثيرا في ضوء الواقع الحديث اذا رضينا به واتفقنا عليه .

وانت حين تتخطى الاربعين وتروح تنعم النظر فيما يسمى « روح العصر » في فترة كالفترة التي نجتاز اليوم ، وبخاصة حين التدقيق فيما تدور حوله افكار الشباب وتعتلج به نفوسهم ، تتمنى لو تظل مشربا بهذه الروح او ملما بها حتى لا يتخطاك الزمن فتفكر بعقلية الماضي وتقصر عن اللحاق بما يمثل روح العصر ، او التعرف بما تقتضيه هذه الروح .

والذي يحفز الى تقصي هذه الناحية عندي هو الريب الشديد فيما اذا كانت روح العصر كما يتبدى بها عدد كبير من الشباب في اميركا واوروبا وجانب من الشرق ـ الذي هبت عليه هذه الروح ـ اقول فيما اذا كانت هذه الروح حقا هي روح الفترة الراهنة من القرن الحاضر .

فمما هو معلوم على كل حال ان الفترة التي نحياها الان تتميز بالتطور العلمي السريع خاصة ، ولا سيما في ابحاث الذرة والفضاء ، كما تتميز بثورة سياسية عالمية سريعة كذلك مليئة بالمفاجآت ، تسايرها تطورات اجتماعية شاملة لا شك في صحة اتجاهها في الغالب وملاءمة مراميها لصالح البشرية التي تكتب لها الحياة على وجه هذه الارض . غير اننا لا ننسى بالنسبة الى الشباب هذه « الثورة » الجنسية التي يكاد ينحصر فيها عند الاصغر منهم تمثيل « روح العصر » .

وعند ذكر الثورة الجنسية لا بد من القول بان اجيال الشباب السابقة في مطلع هذا القرن ، والى حد اقل فيما بين الحربين العالميتين الاولى والثانية ، كانت تمثل روحا من العصر اكثر جدية وانبل مرمى واحرص على فضيلة او قيمة من القيم الثابتة . وليس هذا القول من قبيل تقديس الماضي ، فاني في الحقيقة اتلمس هنا روح العصر في هذه التطورات الكبرى التي عددت . ان هذه « الثورة » الاخيرة التي القت بالمراهقين ومن جاورهم في احضان الجنس انما تمثل الذهول والشرود اللذين طبعا الشباب بالطابع الذي نتحدث عنه ـ الذهول عن الجد من الامر والشرود من المظاهر الاساسية للتطورات العلمية والسياسية والاجتماعية التي تتم على ايدي الرعيل الاسن من الشباب الحاضر . وهذا الرعيل في الغالب هو الذي تنعقد على هامته « روح العصر » او يمثل بافكاره وجهوده هذه الروح . على ان شيئا لا ننساه في هذا الصدد ، وهو ان شباب العصر جميعا على الرغم مما اشرنا اليه هم في الحقيقة امضى ذكاء واغزر علما واوسع خبرة من شباب الاجيال السابقة ، كما يجب ان لا ننسى ايضا ان الحضارة ليست نتاج الشباب وحدهم .

« روح العصر » كما يمثلها الشباب الحاضر اذن ليست واضحة كل الوضوح ، فهي مزيج من الجد والهزيمة ومن القوة والخور ومن الادراك والذهول ومن الايمان والشك ... الخ . وليس من ريب عندي مع ذلك في ان هذا المزيج المربد من القيم والخصائص سيصفو ، وان مخاوف العصر ستزول ، وان ما يلقي بفئات كثيرة من الشباب في مطاوي الذهول والهرب والكفران ستختفي معظم عوامله ، فتخلص البشرية او تكاد الى وضع يجعلها اكثر انسجاما مع مقتضيات التطورات الايجابية التي لخصنا . ومن هذا تنتهي البشرية الى حال من الاستقرار والاطمئنان .

والذي يحملني على هذه النظرة على الرغم من الضباب الكثيف الذي صورت هو ما اسلف من التطورات في تاريخ الارض ، جمادا وحياة وانسانا ، وما يقتضيه مذهب التطور المادي والعضوي كما عرفناه الى الآن ، بل الى ما تشير اليه الاسس العميقة للنزعات الظاهرية من « روح العصر » الحاضر .

عمان — محمد اديب العامري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من « العروة الوثقى » في لندن

* * *

كانت المرحلة الاولى في فهم معنى الوجود هي مرحلة التفريق بين معنى الوجود ومعنى الماهية ، بمعنى ان الماهية هي الاصل والوجود هي الفرع . فهي سبب التنوع في الاشياء عند ظهورها بالصور الوجودية ، ولكنها مختلفة عن الوجود . فالماء مثلا لا يحده شكل او مقدار ، ولكنه متى كان في وعاء ما ، فان شكله يصبح محدودا كما يصبح مقداره ، فالماهية كالماء في انطلاقه من القيود ، حتى اذا دخلت في الوجود اصبحت محدودة معينة بالصورة الوجودية . ثم انه لو لم يوجد شيء سوى الوجود لكانت الاشياء كلها من نوع واحد وعلى صورة واحدة غير محدودة . وهذا ما ينطبق على الذات الالهية ، فانه لا يوجد في هذه الذات سوى الوجود ، ولذلك كانت واحدة وغير محدودة .

والمرحلة الثانية في معنى الوجود عند علماء الكلام وفلاسفته هي ان الماهية والوجود شيء واحد في الذات الالهية ، وهما كذلك في الكينونة المطلقة . ولكنهما مفترقان في الكائنات غير المطلقة اي في الكائنات المحدودة .

والمرحلة الثالثة كانت على ايدي الفيلسوفين الالمانيين « كانت » و « هيكل » وكان من نتيجة البحث ان « كانت » وجد مطابقة بين الكائن والتفكير ، بمعنى ان الشيء هو شيء بحسب ما نحقه في الذهن . اما « هيكل » فقد عكس فكرة علماء الكلام وقال ان المطابقة بين الكائن والفكر تشمل جميع الكائنات ، فالشيء المحدود هو غير محدود أيضا في ماهيته وفي وجوده .

ولا فائدة الآن من الكلام عن المرحلتين الاولى والثانية ، بعد ان نسختهما المرحلة الثالثة ، او بعد ان نسخت الجميع الفكرة الوجودية الجديدة التي لا تهتم بالماهية كما تهتم بالوجود . وقبل الدخول في مرحلة الوجودية لا بد من شرح آراء « كانت » أولا ثم آراء « هيكل » بصورة بسيطة .

يعتقد الوجوديون ان وضع الانسان في هذا العالم وضع مشوب بالقلق والخوف والخشية . فالانسان لا يعرف كيف يكون مصيره فيه ولا مصيره بعده . ثم ان الانسان ، مهما بلغ من العلم . يظل جاهلا بالحقائق الباطنية في هذا الكون وليس في امكانه الوصول الى هذه الحقائق . فكأنه يعيش في حياة منعزلة عن الحقائق الاولى ، لا غاية لها ولا هدف ، سوى ان الانسان يعيش مدة على مسرح الدنيا ولا تلبث هذه المدة ان تنقضي . ولكن الانسان في هذه المدة المغمورة بالظلام الدامس يكون ضحية الخوف والخشية والقلق ، ويكون في حالة دائمة من الكبد او عذاب النفس . وهذا العذاب على انواع ، منها عذاب النفس الكينوني ، وعذاب النفس الخاص بالاوضاع الوجودية ، وعذاب النفس الخاص بالحرية .

والكبد او عذاب النفس الكينوني هو ما يعتري الانسان حينما يفكر في هذا العالم ويرى ان الوجود والعدم شيئان ممكنان في هذا العالم ، بل ان كل موجود فيه قد يصبح معدوما في اقل من لمح البصر . واذا فكرنا في هذا العالم بانه مخلوق من العدم او ان الكائنات قد تتحول الى رماد شعرنا بهذا العذاب . وقد اعرب كثيرون من شعراء العرب في الجاهلية والاسلام عن سرعة زوال الدنيا وعن سخافة التعلق بها ، وذكروا امثلة رائعة على فناء الممالك واندثار الدول وانهدام القصور . وهذا قس بن ساعدة مثلا يقول:

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رايت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورايت قومي نحوها تمضي الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقين غابر
ايقنت اني لا محالة حيث صار القوم صائر

او خذ ما يقوله عدي بن زيد :

رب ركب قد اناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال
عصف الدهر بهم فانتقلوا وكذاك الدهر حال بعد حال

ومن ذلك ايضا قوله :

اين كسرى كسرى الملوك انو شروان ام اين قبله سابور
لم يهبه صرف الزمان فباد الملك عنه فبابه مهجور
وتفكر رب الخورنق اذ اشرف يوما وللهدى تفكير
فارعوى قلبه فقال وما غبطة حي الى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والامة وارتهم هنالك القبور
ثم صاروا كانهم ورق جف فالوت به الصبا والدبور

ويجدر بنا هنا أن نلفت الانتباه الى كلمة (الدهر) او (الدنيا) التي يستعملها العرب في شكواهم من (الزمان) ، والى معنى هذه الكلمات ، فان العرب في الجاهلية وفي الاسلام كانوا يتصورون (الدهر) او (الزمان) كأنه قوة غالبة تتحكم بمصائر الناس ، او كأنه شيء منعزل عن الكائنات المعروفة يؤثر تأثيراته بطريقة خفية باطنية ، وكانت الصورة التي كان يتصوره فيها العرب والمسلمون ايضا اقرب ما تكون الى الآلهة عند الاغريق القدماء او عند الشعوب البدائية . ومما لا شك فيه ان العرب كانوا يشعرون بالخشية والرهبة والاجلال عند ذكر الدهر او الزمان .

ومن اقرب الاقوال لاقوال العرب عن الدنيا والدهر وتقلب الاحوال قول الشاعر الايطالي ليوباردي يعبر فيه عن شعوره بعذاب النفس . فهو يقول :

« سيأتي زمان تنطفىء فيه وتفنى هذه الدنيا وهذه الطبيعة نفسها . وكما جرى تماما لافخم الممالك والامبراطوريات عند بني الانسان ، وللاشياء العجيبة التي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تم الوصول اليها في هذه الممالك والامبراطوريات ، وكانت في غاية من الشهر في زمانها ، ولم يبق منها أثر او ذكر في هذه الايام ، كذلك العالم بأسره والصروف والرزايا التي تعتور المخلوقات باجمعها لن يبقى منها أثر واحد ، سوى صمت مجرد وسكون بالغ العمق يمتلىء بهما هذا الفضاء الفسيح المديد .

وهكذا فأن هذا السر الرائع الرهيب للوجود في هذا الكون سيطمس ويكون مآله الفقدان قبل ان ينطق به اللسان او يفهم » .

ولهذا الشعور بعذاب النفس تعليلات مختلفة ، ولكن الذي لا خلاف فيه ان سر الكينونة في هذا العالم غير مفهوم ولا يمكن فهمه ، فالانسان من ذلك في عذاب نفساني . وتكلم عن ذلك الفيلسوف البريطاني « هيوم » ومن تبعه من الآخذين برايه ، فقالوا ان الكينونة الاصلية او الحقيقة الاولى لا يمكن الوصول اليها ، وانما الذي نصل اليه هو امثلة او صور عن هذه الحقيقة . وثبت ذلك ايضا الفلاسفة العمليون في امريكا بزعامة «بيرس» و «جيمس»، وقالوا ان الحقيقة الاصلية لا يمكن ادراكها وفهمها ، ولا يمكن ان نعرف سبب وجودها ولا ماهيتها النهائية . ولذلك انصرف الفلاسفة العمليون في امريكا الى عدم البحث عن الحقائق الاولى وانما اكتفوا باعتبار الحقيقة بحسب الواقع ، وقالوا ان الحقيقة هي التي تثبت صلاحها من ناحية عملية ، وربط هؤلاء بين عدم مفهومية حقيقة العالم وبين عذاب النفس الوجودي . وانضوى الى هذه الفكرة الفلاسفة اليقينيون بقولهم ان مشكلات الحياة الباطنية لا يمكن الوصول اليها حتى ولو اجيب عن جميع اسئلة العلم .

وخلاصة الامر ان الكبد او عذاب النفس ينم عن ان العالم والانسان معه على السواء لا معنى لهما ولا مجال للوصول الى حقيقة السر في وجودهما ، وقولنا ان كينونة الانسان غير قابلة للفهم والادراك وانها خالية من المعنى هو بمثابة قولنا ان الانسان لا يعرف السبب في وجوده وانه لا يستطيع الوصول الى سر المصير الخاص به . وحالة الانسان هذه من الجهالة والحيرة شبيهة بما عبر به « هايدكر » بقوله ان الانسان قد القي به في هذا العالم ثم ترك هناك ، فكأن الانسان قد اسلم الى الاقدار كما يسلم المرء في آخر لحظة من حياته . وقد نقول في وصف هذه الحالة المحزنة ان الانسان قد انسلخ وتجافى عن مصدر كينونته. ثم ان حقيقة هذا العالم الاولى غير مفهومة ولا معنى لها في آخر الامر ، وهذا معناه ان وجود العالم لا يمكن تعليله او تفسيره وانه لا علاقة بين وجود الانسان ووجود هذا العالم في تقدير شامل واحد ، اي ان العالم لم يخلق من اجل الانسان ، فكأن الانسان يحيا في عالم ليس له ما يبرره في خارجه ، وليس له معنى سوى المعنى الذي نسبغه عليه نحن بما لدينا من تفكير محدود . وعلى هذا فان الانسان منسلخ عن العالم الذي يعيش فيه . فهو منسلخ عن مصدر كينونته من جهة وعن العالم الدنيوي من جهة اخرى . فليس لديه ما يعتمد عليه من الارشاد للوصول الى الحقائق العلوية ولا للوصول الى الحقائق الدنيوية ، وارشاده الوحيد هو نفسه ومشاعره الخاصة ، كالذي يهيم في الصحراء بدون معالم او منائر يهتدي بها ، فليس له الا ان يعتمد على نفسه وان يحكم على الاشياء برأيه المجرد ، مستعملا في ذلك دافع حب الحياة والرغبة في الخلاص من هذه الحيرة .

ولنعد الآن الى الكلام عن آراء الفيلسوف « كانت » في موضوع المرحلة الثالثة من مراحل تطور فكرة الوجود . فقد اعلن هذا الفيلسوف في اواخر القرن التاسع عشر انه قد احدث في الفلسفة انقلابا شبيها بالانقلاب الذي احدثه « كوبر نيكوس » في علم الفلك . وذلك انه قال ان الحقائق المسماة بالحقائق الشاملة الضرورية في الطبيعة ليست موجودة في الاشياء انفسها ، وانما هي صور فكرية يفرضها العقل البشري على الاشياء . فالاشياء اذن على قسمين : اشياء لها ذاتية بانفسها واشياء هي من تصوير العقل البشري . واطلق «كانت» على القسم الاول اسم Noumena وعلى القسم الثاني اسم Phenomena ، بمعنى ان الاول له ذاتية بنفسه وان الثاني ليس له ذاتية بنفسه وانما هو من صنع الفكر البشري . وقال « كانت » ان عالم الاشياء الذاتية بانفسها عالم لا نعرف عنه شيئا مطلقا الا انه موجود . اما عالم الاشياء المعروفة لدينا بالاحساس كما في الظاهر فهو العالم الذي يحيط به العقل البشري عادة . والامر المهم في هذه النظرية الفلسفية الانقلابية ان العالم الحقيقي الذاتي الماهية لا تمكن معرفته ، ولذلك يجب الاهتمام بالعالم الثاني المعروف بالاحساس والادراك ، ويجب ايضا لهذا السبب ان يكون شعور الانسان الداخلي هو المقياس والمعيار في حياته . ومعنى ذلك ان الانسان منقطع عن مصدر الحقائق العلوية الاصلية ، وليس له الا ان يعتمد على نفسه وعلى آرائه الخاصة في حياته في هذا العالم الظاهري الذي يرتبط هو به بروابط لا انفصام لها ، لانه هو من هذا العالم الظاهري واليه . والقوانين الطبيعية التي يكتشفها الانسان في عالمه هذا هي القوانين التي يعيش بها والتي تؤلف جزءا لا يتجزأ من هذا العالم. وبما ان العالم الذي له ذاتية بنفسها لا يمكن ان تمتد اليه يد الادراك او الشعور ، فهو لا يخشى منه ان يعدو على العالم الظاهري ويشوش انظمته .

هذا ما يقوله « كانت » في تقسيمه الاشياء الى ذينك القسمين . اما الفيلسوف الفرنسي « سارتر » فيطلق على عالم الكائنات التي لها ذاتية بانفسها اسم « الكائن بذاته » ويطلق كلمة (العالم) على عالم الاشياء التي يدركها العقل البشري في ظاهرها بحسب تقسيم «كانت» . ولكن « سارتر » لا يرى ان الانسان يعيش في عالم واحد ، لان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الموجة الضاحكة

* * *

وطفلة من بنات الموج ضاحكة ... تجري ومن حولها للموج اطفال
تمارس الوثب فوق الصخر عالمة ... بانها في الغد المرجو شلال
يشدها جاذب الدنيا ويدفعها ... فلا يقر لها في حالة حال
غدا تطير بها للجو عاصفة ... فتنثني وهي في الآكام هطال
غدا يطوف بها الوادي رحيق شذا ... فكل ساقية كأس وجريال
ترنمي طفلة الشطآن وابتهجي ... فما يروعك عن دنياك ترحال

وديع ديب

كل انسان له عالم خاص به يعيش فيه . وهو لا يوافق « كانت » على ان عالم الاشياء التي لها ذاتية بانفسها منفصل تمام الانفصال عن العالم الظاهري الاخر الذي يعيش فيه الانسان ، ويرى ان ذلك العالم يوشك في بعض الاوقات ان يعدو على العالم الظاهري ويخترق حدوده ، وبذلك يلوح في فكر الانسان صورة عن الحقائق الاولية ، وان كانت هذه الصورة غير واضحة احيانا او ناقصة احيانا اخرى . ولهذا يرى « سارتر » ان العالم الظاهري هو كالطلاء على سطح عالم الكائن بذاته او كالقشرة الرقيقة ، وقد يخترق الشعور هذا الطلاء او هذه القشرة فيصل الى الاشياء على حقيقتها . ويفرق « سارتر » بين عالم الحقيقة وعالم الظاهر بقوله ان عالم الحقيقة لا يحده زمان ولا مكان ، ويرى ، كما يرى « كانت » ، ان الزمان والمكان من صنع الفكر الانساني وانهما تابعان للعالم الظاهري لا لعالم الاشياء التي لها ذاتية بنفسها . وبما ان الانسان لا يمكن ان ينسجم مع عالم الكائنات التي لها ذاتية بنفسها ، لان معيشة الانسان امر مربوط بزمان ومكان وهذان من اقسام العالم الظاهري ، لذلك فان التوتر لا بد حاصل بين العالم الظاهري والعالم الحقيقي ، ويكون الانسان نقطة هذا التوتر ومحوره ، فتكون حياته بسبب ذلك حياة تنغيص وكبد وعناء .

ونحن نرى من هذا كله ان الفكر الانساني حتى القرن التاسع عشر لم يتخلص من تلك البذرة التي بذرها افلاطون في الميدان الفلسفي ، وكان من نتيجتها تقسيم الاشياء الى حقيقي وغير حقيقي ، وحصر الحقيقة في الصور المثالية التي توجد في عالم غير عالمنا الظاهر هذا . وقد تطورت هذه الفكرة وآلت الى تقسيم الاشياء الى فاعل ومنفعل ، واطلق (الفاعل) على الاشياء ، التي هي خارج الانسان ، واطلق (المنفعل) على الانسان نفسه . وهذا التقسيم الذي يفصل بين الانسان وعالمه الخارجي ظل مسيطرا على الفكر الغربي منذ النهضة الاوروبية ، وادى الى شطر التفكير الفلسفي الى مذاهب مادية واخرى معنوية وجدانية . فبعض الفلاسفة عظم الفكر والعقل وجعل الحقيقة فكرا محضا ، وبعضهم عظم المحسوسات والمادة وجعلها كل شيء ، فكان منهم دعاة المعقول وعلى راسهم « هيكل » ، وكان منهم دعاة المحسوس امثال « ماركس » ، وكان منهم اليقينيون امثال « كونت » الذين لا يؤمنون الا بالعلم النظامي Science . وانقسمت النظرة الى الانسان الى انه مخلوق مفكر فقط ، او الى انه شيء من الاشياء كالاشجار والاحجار والمواد الاخرى . وكان اكبر مشجع على هذه الفكرة الثانية الرقي العلمي منذ القرن السابع عشر والتطور الصناعي ونشوء الراسمالية ، وتعاظم شأن الآلات والفنون الصناعية مما جعل الانسان آلة من الآلات يشرى ويباع ويسخر كما لو كان سلعة من السلع او مادة من المواد الخام . وتغلب الانسان على الطبيعة بفضل الرقي العلمي والصناعي ابعده عن الطبيعة وجعله منسلخا عنها وغريبا في محيطه .

فالوجودية في الحقيقة هي رد فعل ضد الفلسفة المثالية التي تعتبر الانسان كائنا مفكرا لا غير ، وضد الوضع الصناعي الذي جعل من الانسان شيئا من الاشياء المادية . وفي راي هذه الفلسفة ان الحقيقة لا تأتي عن طريق الفكر المجرد وحده ، ولا عن طريق العلم النظامي وحده بالاختبار والتجربة ، وانما تأتي عن طريق الفرد بكامل كينونته وعواطفه وظروفه . واشار الى ذلك « كير كيغور » بقوله : « لا توجد الحقيقة الا كما يوجدها الفرد في مسلكه » .

لندن — حسن الكرمي



انطون قازان

فـؤاد سليمان

بقـلم انطـون قازان

* * *

وددت لو نذهب اليوم الى فيع، لنتأكد من ارض هذا الغريب. على انه ، وان اهم الباحثين صلة الاديب بارضه ، فكم من حكمة ما عرفت لها ارض، حتى قيل انها من السماء ، وكم من رموز بشرية اغفال عثر على لوحاتها في كهوف دهرية ، وباقات شعر من قطوف الزمن ، رصدت كما على باب جن ، أو جمعت في قمقم والقيت في البحار ، من مارد عطار ، ثم فضت عن جهالة في التسمية ، لتغدو مشاعا انسانيا.

وعفو اهل فيع ان رحت ابحث عن ارض شاعرهم ، حسبها في العز انها انبتت اديبا ، ما كاد ينقضي من عمره الابدي بضعة اعوام ، حتى راحت تشتهيه لها غير قمة ، ويتمناه غير فضاء .

فؤاد سليمان الانسان المجنح ، لامس شيئا من هذا البعد الانساني ، الذي لا يبلغ الا بزاد من الاصالة الادبية العريقة، وهتاف من اعماق الحياة .

كثرت في نفسه الهواجس الكبار ، وغرته الابواب المغلقة ، فراح يعصف بالحرف ، في جنون بهي ، وقد اصيب بشره تجديدي ، قلما اصيب بنعمته سواه .

حكايتنا معه حكاية متعبة .

نجاوره على حذر ، ثم لا نرضى ان نراه من بعيد .

انه غير العاصفة ، فهو يروع ويحب في آن .

حمل اليك ما تحمل الطفولة الهوجاء في بيتك . كلما بعثر من ثمين رياشك ، وحطم من نوادر مقتنياتك عاجلته بالقبلة على جبينه ، وقلت : سلمت يداك .

وهذا المتململ ، المنتفض ، الرافض ، الصارخ ، الناقم ، الملح ، مقلق جواره ، انك تمسي معه ، لفرط نفاذه اليك ، وكأنك حال من احواله .

هي الطاقة العارمة ، تتفجر في اعماقه ، فاذا منها شظايا على وجهك .

ما تمثلته يوما هداة ، ولو إلى حين ، حتى امام الجمال ، وراحته . كأنه واجد في نفسه جمالا اعمق ، او كأنه ذاهب لمرافقة هذا الجمال بدءا بتكوينه .

انه يفتش من حيث لا يدري عن متاعب ، اعفاه الله منها ، وابى هو ذلك الاعفاء .

فؤاد سليمان مضيع شيئا في حياته ، وربما اشياء . واذا ما وجد مضاعه ظنه غيره .

متعَب ، متعِب ، ويا ما اهنأ الادب فيه !

كتب ، كما توجع الفكرة في البال ، وما استراح لهناءة التجسيد . يهدم ، ويبني ، ويحتقر الانتهاء . انه في لحاق الهموم ، دون ان يحد اعتيادها من وجعه .

تقاومه الخاطرة ، فيتململ ، ويروح يغالبها بالصبر ، والقدرة ، والعناد ، الى ان يتم له الابداع ، فتراه يلهث حتى التلاشي ، ولا عجب ، انه يتنازل عن اجزائه .

دروب ، مشاها على ضوء قمره ، فكان بعض حزن ، وشجا طويل .

ويأبى ان نكتفي له بما نسميه غربة ، انه في المعترك ، يغالب نوازع النفس الغريبة ، ليبقى دوما في صفاء المحرقة.

ادرك ان للناس احسابا معه ، فارهق عصبه بعزمه ، وسبقت حياتِه طلابه ، فكان من ضحايا الاربعين .

انه اديب هادف بمقدار ما هو اديب مترف .

اذا احببته ابغضت الكذب والحقارة والرياء ، ومشيت معه الى شريف غاياته .

لقد قرأ على اهل زمانه ، ثم جازهم الى المقبلين .

حرمته الايام ان يمرن ، فاستعاض باستيعابه الباكر .

تعاقد والحياة على ان يستورد منها ادبه ، فغب حينا من الالم ، واستل احيانا من نشوات المجان ، وانطلق في اي حال كما الامراء الشباب ، يصرف من ذاته في لامبالاة السخي اصلا .

ادبه حاجة طبيعية ، تريد ان تعيش ، ان تقتات ، ان تزود. ومن هنا انه ظل في كتاباته منافذ للنفس وما اختنق تحت اقمطة الفن واحكام اطاره .

نظم شعرا ، فتقطع اوصال ، وهدر دماء . ويختصر الديوان كما تختصر النشوة .

انه سطع العبير ، وشق الفجر ، وهروب الحلم . ويبقى كل هذا ، في اعجوبة ، لا السحر فيها ، ولا خدر الاوهام

---

* القيت في الجامعة الاميركية في بيروت في ذكرى الشاعر .

كبرياء

هاتي همومك يا ابنة النار ... مثلي اراك .. غريبة الدار .!
هاتي همومك واطرحي شجنا ... ادلى به ... ليلي وعيشاري ..
غنيت حتى بح بي صوتي ... وبكيت حتى انفض سماري .!

*

هذي عيوني .. هل بها قبس ... الا ظلالك .. ملء اغواري ..
مدي يديك .. ولامسي كفي .. ... أخشى عليك .. لهيبها الساري..

*

هاتي همومك.. فالاسى قدحي.. ... من نخبه .. بايعت اقداري
وكر الافاعي كم تلقفني .. ... وامتص من عصبي واوزاري
وعلى المجامر .. كم رعى شغفي ... صمت النظى .. ففمست اظفاري
جدفت حتى ضل زورقها .. ... من طول رحلته واسفاري
ونصبت فوق النجم خيمتنا .. ... وعلى الشذا علقت قيثاري ..
وعلى عيونك كان منطلقي ... وعلى يديك .. هتكت اسراري !!

*

ولقد حسبتك غيمة طرحت ... ظل الطريق .. فكنت اعصاري..
فالكبرياء لديك اغنية ... انفاسها .. من ثقب مزماري ..
ان تشمخي يوما بعاطفة .. ... شم الجبال .. هوت لامطاري .!
ستظل حتى الموت اغنيتي ... وتطاول الاقدار .. اسواري ..
فارخي رموشك واحجبي لهبا ... في ضفتيها واستري عاري ..
فاذا تساءل بعض من يهوى ... سر الخلود فهاك تذكاري ..
لن انحني .. للريح ان عبثت ... يوما .. اصابعها .. بازراري ..!

القاهرة ... فتحي سعيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بل حروف مثقلة بما يشبه النعيم .

ما اقلقته مدرسة ادبية ، بل اهمه ان يقطف من كل عاصفة هبتها المنعشة .

ان صوت الكبرياء المنبعث من سطوره يأبى اي انتماء .

لقد اخترقت ادبه قوى من غير ما نألف ، فعبارات لا لجام لها ، ونبرات ما روضت ، كأنه آت الينا من جزر بعيدة ، فعلى ردائه ظل من الوحشية الرائعة .

ولكم شاقني ان اتخيله ، ذلك الفتى العصبي ، وقد مزق قميصه في ذهابه وراء الفراشات على احواض فيع ، او في ايابه من نصرة حق .

انه الاديب الضاري .

قلم عاصف ، لون ليخط حفرا . فمعادن الكلم طيعة على لهب نفسه . لقد اعطى الالفاظ معنى احر ، والكلمات لفحا اسخن . ففي كل مرة تطرف العين صفحة من ادبه تصدمك الغرابات .

فؤاد سليمان عطية من غلف الايام .

ما كاد يموت حتى تحول بقاء . لقد قضى على ادراج المجد .

ظل يجهد محاولا ان يختصر المسافة بين انتاجه ومراده حتى غدا ظله بالنتيجة معادلا لقامته .

ولائم ، مدها هذا الجائع الملهوف ، وطويت ولائم المتخمين .

فيا تموز ،

لا من بلاد فارس مساكب الورد ، ولا من قصايا الجزر معرشات الياسمين . انها مواسم النسم ، هب من ارض فيع ، فاحتوته الدنيا ، على ائتلاق الحروف والاضواء .

فؤاد سليمان ، حسبك ، اننا ، لشهامات عمرك ، بتنا نؤثر العمر القصير ؟

انطون قازان



دقـات قلبي

الى اخي سعيد عقل

●

اهديتفي هذه الصفحة من «الاديب» اشعارا لاحباي، فيهمالبير اديب وجورج صيدح وامين نخلة وجان كميد ووديع فلسطين ووداد سكاكيني ، وهم يعيشون في قلبي ، واليوم أهدي هذه الاشعار الى سعيد عقل الذي رأيته منذ ثلاثين عاما آبو للون الشعر في لبنان ، حتى تجسم اليوم حقيقة عربية كبرى تشع بالفكر والشعر ، بعبقرية جبار ، وبراءة طفل . **(المحاسني)**

●

قلبي يـدق بإلحـاح على صدري ... كأنه اليد تبغي الفتح في الاسر

الباب أُغلِـق لا مفتاح هلك يدي ... ولست سجّـانه والعذر لا عذري

قـد كان عصفوره غنى على فَنني ... عصر الشباب وأنى طار؟ لا أدري؟

لم يُرضـه قفص يحويه من ذهب ... ومـا أطاق حيـاة النّهى والامر

نهـر على العمر يجري في تدفقه ... دَمي ، فما شأنه طول المدى يجري

النهر راح بـلا عَوْدٍ ومرَّ بـه ... مـاء تتـابع عـبر السهل البحر

لكن نهري في عَوْدٍ بلا ملل ... فأين دلتاه في أيّ ألدجى تسرى

تمـر أحبـابه حسرى مُفكِـرةً ... لا عشب الضّـفة اليسرى على النهر

أنام عـــلَّ دوِياً منه يهجرني ... على الوساد فألقى الصوت في سري

وأحسبُ الحـلم يسليني ويبعدني ... وكم تنبهت والانفـاس في ذعر

إن لطّـخوا القلب بالآلام جئت به ... الى الجحيم أُزيـل الهـمّ بالطهر

فقال دنتي لفرجيل : يطارحنا؟ ... أما كفـاه المعرّي لعبـة الدهر

لديه في الجنـــة الغناء محشرها ... وكوثر بالجنى المعسول يستمري

للشّـعر قلب وعذب الفن خفقته ... دُل الأنام عليه وانتظر دوري

«سعيد يا عقل يا روح الشعور فتى ... قد كنت أُسطورة في خاطر الشعر

حتى تمثلت في العرباء مُنيتهـــا ... حقيقة سطعت في هبَّة العصر

دمشـــق **زكي المحاسني**



محمد رجب البيومي

مصرع حجر بن عدي شهيد الرأي

بقلم محمد رجب البيومي

* * *

علقت بذهني شخصية حجر بن عدي في وقت مبكر من طفولتي الادبية ، اذ شاءت المصادفات ان تكون رواية غادة كربلاء للمرحوم جورجي زيدان من اوائل قراءاتي وقد تحدثت عن حجر حديثا بطولياً رائعا يتفق مع ما سجله التاريخ له من شجاعة جريئة ، وزاد المؤلف الكبير فأضاف الى شخصية البطل الشهيد شخصية والده عدي ، ومع ان التاريخ الرسمي قد سكت أو كاد عن رسم وقائعه فان جورجي زيدان قد جعله احد ابطال قصته ، فهو يلحق الادب الثاكل بشجعان الاساطير تارة، ويدرجه بين القديسين والنساك تارة اخرى ، ومع ان القصة التاريخية تتحدث عن مصرع الحسين ، فتصور مأساة تفتت الجُمّاد وتذيب الصخور مما يعقل ان تطغى بفجائعها المذهلة على كل شخصية أخرى في الرواية حقيقية او متخيلة ، مع ذلك كله فقد ظلت شخصية عدّي كما حددها المؤلف تملأنواحي القصة حياة ودهشة ! وانا في حاجة الى ان اشير اليها ، لاوضح ما يستطيعه الكاتب الفنان حين يفرض على التاريخ شخصا كبيرا ينطقه باللفظ ويدفعه للعمل ويمنحه المعجزات حتى يستحيل في ذهن القارىء شيئا ذا بال بل شيئا معجزا يتعجب منه وله ! والمؤلف من وراء ابتكاره الاسطوري يخدم الحقيقة التاريخية في كثير ، فهو مضطر الى ان يصور مشاعر الانتقام والثأر ، ويتحدث عن نيران الحفيظة والغيظ ويرسم احابيل الدهاء والمكيدة فاذا استطاع ان يبلغ ما يريد مجتميا بشخصية يفرضها على الناس في روايته البديعة ، فقد عرض جانباً هاما من الوان الصراع بين النفوس البشرية كما كان او كما يمكن ان يكون !

ماذا اريد ان اقول !

اريد ان اسجل اني انتبهت الى تاريخ حياة حجر البطل الحقيقي من خلال ما قام به والده الاسطوري من خوارق تفتح بها ذهن الكاتب الكبير جورجي زيدان! فهو في مرآته شيخ يروع بغرابة هيئته وخشونة لباسه اذ كان من الشيخوخة بحيث لم يبق في راسه ووجهه شعرة سوداء حتى يخيل الى الناظر اليه عن بعد انه عمامة بيضاء قد برز منها انف وعينان سوداوان احدق بحدقيتهما قوس الشيخوخة يعلوهما جبين متجعد ، وهو بعد لا يمشط شعره ولا يغسل وجهه يصحبه كلبه لا يفارقه ولا يرتدي غير ثوب كمسوح الرهبان لا يعرف له لون لقدم عهده وما رأى من تقلبات ! ومن غرائبه انه لا يأوى الى غرفة ينام فيها بل يتوسد الزوايا المختلفة وآونة يبيت في الغوطة على بعض الاشجار او تحت بعضها على انه لا يذوق اللحم ولا الخبز ولا يأكل غير الفاكهة يجمعها من اطراف الشجر بالبساتين حيث لا يعترضه معترض تهيبا له !

وهو في سنه المعمرة يقوم بما يقوم به الشباب ، فيتسلق الاشجار ، ويحمل بعض احبائه على ظهره اذا تحتم ان ينقذه من كارثة ! ويشق الصحراء ويعبر البحار ، ويقطع الليالي سيرا على قدميه من قطر الى سواه ! اما كيف تنكر هذا الجبار في ثوب الراهب ، فلانه كما يرى المؤلف والد حجر الصريع هاله ان يقتل نجله غدرا بيد معاوية وان يفارق الكوفة الى الابد ليقبر في دمشق، واحس الوالد حنانا الى ملازمة القبر ! وكيف وانى ! وعشرات الحراس يرتقبون لا بد ان يتنكر ليأتي القبر كما شاء ، وليقول الناس راهب مخبول يأتي الخلوات ، وينام بين الاضرحة ، ولا يضر احدا من الناس ! اما هذا الراهب العجيب فقد جعله المؤلف يدس السم في طعام يزيد امير المؤمنين بعد ان قصرت مكيدته عن معاوية في حياته واذ ذاك يشتفي صدره لانه ادرك الثأر ، ولم ينم على ضيم واهتضام ! وقد كشف عن نفسه في نهاية الرواية فقال :

« اما سبب تكتمي فذلك اني حين اصبت بمقتل حجر، لم يعد يحلو لي البقاء وظل قلبي عالقا بالانتقام ، فعللت نفسي بموت معاوية ومبايعة الحسين وجعلت مقامي فوق قبر ابني في غوطة دمشق استنشق ترابه واتنسم ريحه فلما لم يظفر الحسين بالبيعة وتولى الخلافة يزيدصبرت في انتظار الفرج او الموت وظللت اكاتم امري واخفي وجهي حتى لا يعرفني احد . وقد عاهدت الله منذ مقتل حجر الا اقص شعري ولا آكل غير الفاكهة ولا آوي الى المنازل حتى شفيت غليلي وثأرت من يزيد !

هذه الشخصية الاسطورية ، اتحدث عنها الان تمهيدا شائقا لشخصية حقيقية قامت بدور بطولي ختم بالاستشهاد واذا نجحت الاسطورة في تقريب حقائق التاريخ وتلوينها

فقد ضمت لها مكانة بارزة في دنيا الادب والفن ! ونحن بعد في شوق الى ان نتحدث عن عدي بن حجر حديث المؤرخ الدقيق فنقول عنه معجبين .

حين تمت كلمة الله وأشرق نور الاسلام في فجاج الارض وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم شاب قوي في ملأ من قومه ، يتقد حمية ، ويلتهب فتوة ونشاطا ، فتلقى اصول الاسلام ، وسمع عن صاحب الشريعة ، ثم رجع الى قومه ، وقد شغف بالدين الجديد فاخذ يتعمق اسراره ومبادئه ، ويستظهر قرآنه واحاديث نبيه . حتى اصبح من دعاته الغيّر ، وحماته الذادة ، وكان الذي يوقد احزانه ويؤجج شجونه انه لم يسلف يدا سابغة في نصرة دينه ايام بدر واحد والاحزاب وتبوك وخيبر ففاز غيره بمثوبة الجهاد ، وفرحة النصر ، بينما قعد به الحظ والسن معا ، فجاء في مؤخرة الركب بعد ان اشرقت الشمس وعم الضياء!

وما كادت جيوش الاسلام تتقدم غازية مجاهدة ، حتى اسرع حجر بن عدي فانضم الى كتائب الشام ، وابدى من ضروب البسالة وافانين البطولة ما اثلج صدره ، واسكن قلقه ، وتقدمت الجيوش الظافرة في طريق النصر ، حتى بلغت القمة ، واوفت على الغاية ، والبطل الشاب لا يقنع بنصيبه الممتاز في الجهاد والجلاد بل يطير الى بلاد فارس فيعسكر في نهاوند ، ويبعث في قلوب اصحابه الحمية والعزيمة ، حتى تعلو كلمة الله ، وتنهار معاقل المجوسية ، وبذل جهده المدخر في سيطرة الحق واستعلاء كلمة الرحمن .

كان حجر بن عدي جريء اللسان كما كان جريء القلب سواء بسواء ، فكان يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر في قومه ، حتى هابه اصحابه ، وقدموه في الراي والمجلس ، ونزلوا على حكمه في امورهم الخاصة والعامة ، وهو لا يحيد عن دينه في قضية ، ولا يخالف قرآنه في مذهب ، وكانت خلافة عثمان رضي الله عنه مرحلة هدوء واطمئنان بالنسبة اليه فلبث بالكوفة زعيما مسالما في قومه ، لم يرفع سيفا في حومة ، او يركب جوادا في ميدان! ولكن الخليفة الراشد عثمان يذهب شهيدا الى ربه ، وتتجه الانظار الى الخلافة الاسلامية ، فيحوزها امام الحق ، وينازعه جماعة في امره ، فيضطرب حبل الفتنة ، وتتسع شقة الخلاف ، ويتفرق المسلمون طرائق قددا ، لكل وجهة وامام ، وحجر بن عدي يستعرض الحوادث ويزن الشخصيات ، ثم يتعمق الامور فيسبر المطامع والاهواء . ويرى الحق مؤتلقا في جبين الامام علي كرم الله وجهه ، فيسارع بالانضمام الى معسكره ولم يشأ ان يعتزل الناس حتى تنجلي السحب وينقشع الضباب ، بل راى المشاركة الفعلية واجبا حتما تفرضه الرجولة ، ويوجبه الدين في مساندة الحق وازهاق الباطل ، وكانت عقيدته تدفع به الى التضحية في نصرة صاحبه ، فهو كرم الله وجهه ابن عم الرسول ، وزوج المطهرة البتول ، وفارس الاسلام في مآزقه وخطوبه ، وعلم التشريع والفقه والقضاء ، وصاحب الخلق المحمدي النقي ، فهو احق من يتولى امر الاسلام ، دون ان يوزن به احد تحمله الارض وتظله السماء !! وقد تحول اكباره لعلي الى هيام عنيف ملك عليه مشاعره ، فاتجه معه الى معارك الجمل وصفين والنهروان وناضل وكافح في نطاق خاص رسمه الامام ، اذ انه كان يؤثر العافية ما استطاع ولولا ذلك لماجت سيول الدماء بالبطاح والكثبان ، وكلما تأزم الموقف بعلي وتكاثفت امامه الحوائل والموانع تأسف حجر والتاع ، وعجب لدنيا غادرة تملي للذوي الاطماع ، وتنكل بالاحرار . وكان مصرع الامام الشهيد كرم الله وجهه نارا مشتعلة تأججت في احشاء حجر فقرحت اجفانه ، واسهدت ليله ، واسلمته الى هم مقعد ، وحزن مقيم !!

ثم ولي الامر معاوية ، واستوطن حجر الكوفة ، بعد ان قاطع الحسن غاضبا لاستسلامه ، وهاله ان يسمع اللعنات القاسية تصوب الى علي فوق المنابر دون خجل واستحياء ، والقوم مطرقون لا يتناهون عن منكر سمعوه ، فصاح بالخطيب مقاطعا منكرا ، وانضم اليه نفر من معشره ، ووجد الحق نصيره في حجر ، بعد ان ماتت الرجولة ، وغاضت ينابيع الوفاء .

وكان المغيرة بن شعبة والي الكوفة في خريف حياته ، فلم يشأ ان ينكل بحجر وما لبث ان اخذ مكانه زياد بن ابيه ، فاكثر من الوعيد والتهديد ، وارسل الخطب الضافية محذرا منذرا ، وحجر بن عدي امامه كالصخر الجاثم لا يتزحزح عن موقف يعلم فيه العدالة والحق ، وقد اصطنع زياد بادىء ذي بدء شيئا من الرفق واللين مع حجر ، وآثر ان يستميله بعرض زائل ، وعارية مستردة ، ولكن هيهات ، فقد رسم لنفسه طريقا سويا ، وانى له ان يحيد ؟ ، ولم يكتف بالاحتجاج الصارخ على سب علي ، بل انتقد الوالي الظالم في شئونه المجحفة بالعدالة ، ووقف امامه يجلجل بالنذير ، ويعترض الباطل في مده السريع ، وقد قتل عربي ذميا ، فاكتفى زياد بالدية دون ان يرضى بها ولي الدم ، واصر حجر على القصاص تنفيذا لشريعة الله فأذعن زياد مكرها ، وطوى الضلوع على حقد متأجج وغيظ مرير ، وكان امر زياد مع حجر عجبا اي عجب !! فقد سلخا معا حقبة طويلة يعملان في جند علي ، ويقاتلان بسيفه ويبذلان دمهما تحت رايته ثم لوت الدنيا عنق زياد الى معاوية ، فانتسب الى غير ابيه ، وشرفه الخليفة الداهية باخوة مزعومة ، دون ان يسنده نص في كتاب ، او شهادة من ثقة عادل !! واذ ذاك غره الغرور فاندفع الى الجهة اليسرى يحارب اصدقاء الامس ، ويتبرم بحجر ويضيق بمذهبه السياسي اعنف ضيق ، واكبر الظن انه كان يعاني عقدة نفسية من استلحاقه الجريء ، فاصحابه يتهكمون به في صدورهم ، والسنة السوء تترامى به في الاصقاع النائية ولا بد من المضي في سبيله الجديد مهما ازداد التهكم ، وكثر اللغط عليه في الحديث ، وعليه ان يبدأ بحجر هذا فقد امسى لا يطيق له منظرا او يسمع عنه حديثا ، وذات

يوم صعد الى المنبر ، وتعمد ان يطيل في غير طائل ، حتى ضجر الناس ، وصاح حجر « الصلاة ! الصلاة ! » وصاح معه اصحابه ، فقطع الخطبة مكرها ونزل الى الجماعة ، وقد اضمر في نفسه اسوأ ما يضمر رجل لرجل ، ثم اخذ يتمتم في طريقه ، « ويل أمك يا حجر بن عدي !! لقد وقع العشاء بك على سرحان !! »

لقد تأزم الموقف بين الرجلين ، فهل ثكل حجر عن موقفه الجريء ؟ كلا ثم كلا ، فهو لا محالة يلعن من لعن امامه الشهيد ، ويشغب عليه واليا كان او خليفة او اميرا ، حتى هجمت عليه شرطة زياد مدججة بالسلاح ، فاقتادته الى غريمه الحاقد ، وقد قذف به الى السجن مع ثلاثة عشر رجلا من اصحابه ، بعد خطوب دامية ، وكوارث رهيبة ، واخذ يجيل الفكر في ابادتهم ابادة ساحقة ، ولا بد من افتراء اكاذيب فاحشة تبرر القتل والاستئصال في اعين الناس ، فاخذ يجمع اهل الكوفة ، ويستمع الى خصوم عدي في امره ، فكأن اعنفهم لا يزيد عن انه نال من معاوية اذ نالوا من علي !! وذلك امر لا يوجب ابادة واستئصالا في منطق الاسلام ، وان كان جريمة شنعاء في منطق زياد ، وخطيئة تتزلزل لها الاطواد وتنفجر البراكين !! ماذا يصنع ابن ابيه في غريمه العنيد ؟ انه اجبر ابا بردة بن أبي موسى الاشعري فكتب له شهادة « بأن حجرا واصحابه قد خلعوا الطاعة ، وفارقوا الجماعة ، وبرئوا من خلافة معاوية وهموا باعادة الحرب جذعة فكفر كفرة صلعاء !! » ثم امضاها كثير من الشهود يزيدون على السبعين ، وفيهم اناس من ابناء المهاجرين والانصار ، وافحش زياد فذكر عدة اسماء لم يشهد اصحابها على افترائه ، ثم بعث بكتابه الافك الى معاوية كوثيقة كافية للادانة ، وكان شريح القاضي ممن ذكر اسمه دون ان يعلم ، فجزع جزعا شديدا ، وكتب الى معاوية ، يزكي حجرا ، ويتبرأ من دمه ، فأسرها في خاطره واضمر في نفسه غدرا اي غدر ، وقد سار اليه ركب حجر بالسلاح والجنود ، فتمكن من غريم قوي عيوف ، وطفق يمهد لاعدامه ، ويتخذ من كتاب زياد دعامة يتكيء عليها في ادانته ، فهو يقرؤه على أصحابه مستهولا مكثرا ، ويتلو اسماء الشهود مكررا ، ثم يستشير الحاضرين كأن ليس له نية سابقة في الغدر والاعدام ، فيسمع من يشير عليه بالحبس او النفي ، وكلاهما دون ما في نفسه فهو حريص على اراقة الدم دون اي عقاب ، وقد شفع اهل الشام في سبعة اشخاص ممن حق عليهم القول في رأيه ، فقبل شفاعتهم ، وجاء اليه من يشفع في حجر ففضب اعنف الغضب ، ورفض رفضا لم يدع مجالا للاستبقاء ، ثم تقدم الى الاسير المكبل يسأله عن علي ، فاثنى عليه اجمل ثناء ، وادركته بطولة اللسان ، وجراءة القلب ، وهو يرى السيوف اللامعة ، والاكفان المنشورة ، فندد بما احدث معاوية من امور لا تتفق ومبادىء الاسلام ، ثم تقدم الى الموت مع من بقي من اصحابه ، مبتهجا بالشهادة ، واثقا من القصاص الحق ، وطارت الى السماء روح ابية صادقة لتتبوأ مقعدها الخالد بين اناس عرفوا الحق فاتبعوه ، وحسن اولئك رفيقا .

وما كاد مصرع حجر يدوي في آفاق الدولة الاسلامية، حتى بلغ السخط مداه على معاوية ، ففزعت عائشة ام المؤمنين ، وبكى عبد الله بن عمر بالمدينة ، وتذمر معاوية بن خديج بمصر ، وقام الربيع بن زياد في خراسان بمأتم نائح ، واعتكف مالك بن هبيرة بمنزله بالشام ، اما الكوفة عرين الاسد الصريع فقد قامت بها المنائح الجازعة ، رغم سطوة زياد وجبروته ، وفاض الشعر بمراثيه الحزينة . فسجل زفرات تحرق الاكباد ، وانك لتستشعر اللوعة حين تسمع من تقول :

الا يا ليت حجرا مات موتا	ولم ينحر كما نحر البعير ،
تجبرت الجبابر بعد حجر	وطاب لها الخورنق والسدير
فان يهلك فكل زعيم قوم	من الدنيا ، الى هلك يصير

وقد ادرك الخليفة الاموي زلته الخاطئة ، وعرف موقعها الاليم من النفوس ، فأخذ يستميل اقارب حجر بالمال تارة، وبالقدر والقضاء مرة اخرى ، وقد اعتزله مالك بن هبيرة في منزله فبعث اليه بمائة الف درهم ، وقال له : « ان امير المؤمنين لم يمنعه ان يشفعك في ابن عمك الا شفقة عليك وعلى اصحابك ، أن يعيدوا لكم حربا اخرى ، فيكلفك الشخوص اليه ، ويكون في ذلك من البلاء ما يكون » وهو تبرير مخجل ، وتمحل بغيض شفعت له النقود فأغمضت عين مالك ، وقطعت لسانه ، الى حين .

على ان معاوية وقد اسكت مالكا لم يستطع ان يسكت نفسه بتبرير صادق لموقفه ، فقد استباح ـ وهو امام المسلمين ـ دماء اناس عصمها الله ان تراق دون ان يسمع لهم ، او يأذن في الدفاع لمن الصقت به التهم الزائفات ، وقد اكدوا له انهم ثابتون مع الجماعة على بيعته ، فانهارت بذلك كل دعامة يمكن ان تسنده في بطشه ، وجاء من الامر ما لا تقبل فيه شبهة واعتذار .

وقد ظل بعد ذلك حائرا قلقا يتصل بالعلماء كعبد الرحمن بن ابي ليلى ، فيصارحونه بالخطيئة والمعصية في قتل حجر واصحابه ، وتراه زوجته وهو يصلي ذات مساء فيطيل الصلاة . فتقول : ما احسن صلاتك ، لولا انك قتلت حجرا ثم يأتيه اجله فيكون مما يردده في احتضاره ، « ويلي منك يا حجر ، ان يومي معك لطويل » .

لقد استشهد حجر بن عدي ، فضرب المثل لمن بعده في شجاعة الرأي وقوة العزيمة ، واشهد التاريخ ان الاسلام قد انجب ابطالا يؤثرون الشهادة على الحياة دون ان تخضع نفوسهم لبهتان ، أو تستنيم ارواحهم الى ضلال .

الفيوم ـ دار المعلمات **محمد رجب البيومي**

على امواج من الصوت مترعة .
على احلام ذراع شجرة باسقة .
على اسراع المطر في الهطول .
على تدفق الغيوم من كل صوب .
ادخن سيجارة ..
البارحة كنت انزل سلم المؤسسة وانتظر مستندة الى الحائط قدوم السيارة . كانت تطالعني وجوه من هنا ، وجوه من هناك . ابواب تدفع من بداخلها ، الناس تسير على الرصيفين ، تجتاز الشارع ، تمر السيارات ، العربات ، الحمير ، الدراجات ، مسرعة .

على امواج من الصوت مترعة ، على احلام ذراع شجرة باسقة ، تنام اليوم وجوه كانت ضاحكة . والمطر يهطل برشاقة ، باسراع بغزارة عليها .
الحياة تقف امامي كلوحة عارية . كتمثال من الشمع . ضاحكة عابثة ، قاسية ، تدعو الى القنوط منها .

ما يهمني هذا التراب الذي تهددني به ، تهدهدني به .
التراب .
على امواج من الصوت ، مترعة ، اتابع رقصتي ، بنشوة السكران المتألم ، ما همني هذا التراب ، الحياة تمثال من الشمع ، سرعان ما تضيع معالمه بقليل من الاشراق ، من الشمس .

الا يمكنني ان انسى ذلك الوجه ، وذلك الوجه ، وذلك الوجه ، وانظر الى اللا ذكرى ؟
ان ارض المسرح من خشب : اقدام الراقصين تضرب عليها . وجنات الفتيات موردة ، الفم ينفرج عن لؤلؤ ابيض . رؤوس الفتيان شامخة ، انفة ، سراويلهم سوداء عريضة ، جزماتهم لماعة ، قوية . ويختال جميعهم بالعنفوان ، بالفرح المترع ، على امواج من الصوت .
وادخن سيجارتي الثانية .
الهواء يصفر في الخارج . يحاول اختراق الابواب المغلقة . كصوت التأنيب ، كصوت الندم ، كصوت البكاء .
الهواء يصفر ، يا للجبن .
اقف وعلى صدري لافتة تقول : جبانة انت .
والهواء يصفر وقد اخترق الابواب ووصل الي .
واشعل لفافة تبغ جديدة .
كنت استند على الحائط منتظرة السيارة ، والوجوه تدفق ، واجمة او سعيدة ، ساهمة او مستبشرة ، ثم يترقرق وجهها ، ثم وجه اخر .. ثم يختفي الوجهان . كل منهما كان يحييني بابتسامة ، من قريب او بعيد .
بكلمة تتدحرج كقطعة من الماس ،

العندليب

بقلم الانسة رينه عبودي

ثمينة .. مجانا .
كل دموع العالم لا تكفي لرثاء العالم .
هكذا سمعتهم يقولون .
انا لست جبانة .
وتمتلىء المنفضة بأعقاب السجائر الملتوية البيضاء ، لكأنها ظهور كهنة بلباس ابيض منحنية على الارض .
على الرماد . على التراب .
ان الطرقات الطويلة التي تصل المدن ، القرى ، ببعضها البعض ، قد اصطبغت بالدماء .
لكن الانسان العاشق يغمض عينه على صدر من يحب وهو يجتازها مسرعا .



والانسان الكهل متعب ، لا يقوى على البكاء .
والطفل لا يعي ، لا يفهم .
والطريق يظل مصطبغا بالدماء حتى يمتصه التراب آخر الامر .
ويتصاعد الدخان الى سقف الغرفة ، يحط هنا وهناك ، على الستائر ، على الجدران .
يجب ان اضع اطارا للوجوه التي اختفت . ان هذه الوجوه تطاردني مهما تواريت عنها . تلاحقني باستمرار يجب أن اضعها ضمن اطار ، او ادق بها مسمارا في جدار ما واعلقها في مكان واحد لا يتغير .
ان الروح ما تزال فيها . انها تتغذى من روحي . تتجول معي ، تقتحم علي عزلتي .
هل يمكن ان نحارب الواقع . ان نقطعه اربا . ان نتجاهله . ان نقذف به الى اقصى الاقصى .
الواقع يجهر بوجوده . بقسوة بصرامة بسخرية مرة .

*

وصوت حنون هامس قرب اذني يقول لي :
ـ ماذا لو ذهبنا اليها . ماذا لو وضعنا فوق الحجر هناك بعض الزهور ؟
وانفر هاربة مرتعدة .
ـ لا !
واردد لنفسي . لا والف لا . لا استطيع .
واتخيل اليد الناعمة البضة ، والذراع الذي كانت تظهر من كم القميص .
واهز راسي . لا استطيع .
تلك العيون التي كانت مسرحا لشتى النظرات ، ذلك الفم الذي كان يضج بالكلام ، بالضحك . تلك الجبهة التي كانت كشرفة قصر عالية تشرف ، تشرق ، على كل شيء .
ـ لا ، لا استطيع السير الى قبرها .
انني اهديها كل يوم باقات من الزهور ، في نفسي ، غير انني لا استطيع ان امضي الى المكان الذي لا اريد تصديق وجوده .
وصفير الرياح يمر من قرب البيت ، يلامس الجدران من الخارج ويصل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صدى ضوء

ظل نهار .. واخضرار ... صوتها ... اي بهار !
تحبها ؟ تسالني ... كأس وخمر وجرار
احبها ؟ هذا الدوار : احبها ؟ يا للدوار !
الحلم ؟ ما خضبني ... احياه ... الحلم نهار
السفر الجديد ؟ في ... عينين لمتا بحار
اللون ؟ ما احلى ! انا ... ارى ... فاعبر الجدار !!

أي لقاء ! يا هناء ... الوهم ... ينضج الثمار
وجهك ابيض الشراع ... وجهك الحمام طار ...
وتسبلين جفنها ... الاحلام ، والاحلام نار
والصمت ما احلاه في ... خديك ! من غير ازار ...
أقرؤه : يقول لي ... من هاهنا درب المحار
أي لقاء ! رفة ... من الاساطير الحرار !!

اللون من صحو بلادي ... وبعينيك انتظار
يا حلوة اللفتة ! يا ... صوتك في قلبي اخضرار
انا الذي سألت عنه ... يا انا الاهل الفخار
بالله قولي . ما رأيت ؟ ... النهار في احتضار ؟
بالله قولي . آه لا ... احلى ارى خلف الستار !

لو نلتقي ثانية . ... والليل ... ما هذا الاسار ؟

حلب — علي الزيبق

رغم الابواب الموصدة الي
ـ جبانة انت . جبانة .
وادخن ساعات الليل . ابحث بدون جدوى في المذياع عن صوت عندليب، اهيم على امواجه المترعة . على احلامه التي تشبه ذراع شجرة باسقة ، تشبه المطر الفرح في اسراعه في الهطول ، تشبه سور الغيوم وقد تدفقت جماعاتها من كل صوب .
ابحث في المذياع عن صوت عندليب، دون جدوى .

*

اشراقة الفجر باتت قريبة ، لن يبقى من هذه الليلة الا هذه المنفضة باعقاب هذه السجائر .
سأغسل وجهي وارتدي ثيابي بعد قليل وامضي الى شأني . فساعات نهاري قد بيعت منذ زمن طويل . بعتها وكل ما حولي يهز يدي مهنئا ، مسرورا. انني امنح ساعاتي كل يوم في نفس المكان لنفس العمل .
وحين يمضي النهار وتنقضي ساعاته كما انقضى النهار الذي قبله ، سأعود وتعود الوجوه التي توارى اصحابها تدور حولي ، تريد مني قوتها .
انني اعطيها من نفسي مرغمة ، مشفقة.
ويحدث احيانا ان انفجر باكية ، لعلها ترحمني . لكن نظرتها الحزينة اليائسة ، تعود بي الى ان افتح لها صدري واجعلها تعيش ساعة من عمرها الغريب ، ثم ساعة اخرى ، ثم ساعة ايضا .

*

واحيانا ، احن من جديد الى صوت العندليب .
الى صوت الاحلام الجميلة .
احن الى النوم دون يقظة فزعة .
الى الامواج الوردية .
احن الى الوجوه التي اراها كل يوم ، حية .
الوجوه التي لم يوارها التراب ، الوجوه التي تستنشق الهواء وتعرف الضحك والبكاء وتحب صوت العندليب . فاذهب بخيالي اليها ، المسها ،اتلمسها ، ابتسم لها ، اعانقها بحرارة قلب مضطرب ، قلب متعطش للحياة الطيبة ، الحلوة .
ويأخذ بنفسي تيار قوي ، يلح علي بتأمل من مات وكيف سنموت ، وتيار اخر يطالبني بقوة ان افكر بالعيش ومن يعيشون .
ويمضي الليل ، ليلة اخرى ، تلو الليلة ، ويعود الغد ، فأقصد مكان عملي وبيدي ساعاتي التي تسخر تارة لجمع احرف ، اخرى لطرحها ، ومرة لتجزئتها ، ويستمر ذلك حتى انقضاء النهار . وهكذا !.
ومع ذلك لا اصدق ان عمري يمضي وان وجه احدى صديقاتي قد بات تحت التراب في ركن بعيد من المدينة.

حلب — رينه عبودي

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

يوسف العيسى – عبد الله مخلص

رشدي صالح ملحس

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ – يوسف العيسى

ولد المرحوم يوسف العيسى عام ١٨٧٠ في يافا بفلسطين ، وتلقى علومه في المدرسة الارثوذكسية وظهر ميله الى الصحافة منذ حداثة سنه ، واسهم في اصدار جريدة « الاصمعي » بيافا مع المرحوم حنا عبد الله العيسى وصدر العدد الاول منها في الاول من ايلول عام ١٩٠٨ .

وبعد ان تخرج من المدرسة اصدر مع ابن عمه المرحوم عيسى داود العيسى جريدة « فلسطين » اليافية وتولى رئاسة تحريرها وصدر العدد الاول يوم السبت الواقع في ١٤ كانون الثاني عام ١٩١١ .

وخلال وجوده في يافا عمل في الحقلين العربي والارثوذكسي العربي ، ففي الاول كان في طليعة المنادين بحرية البلاد العربية ، وفي الثاني كان يطالب مع اخوانه بحقوق الغرب الارثوذكس في فلسطين والاردن ، تلك الحقوق التي اغتصبها الرهابين اليونان وهضموها وابوا ردها الى اصحابها الشرعيين !

وعند نشوب الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٨) سيق « ابو خالد » الى الديوان العرفي بدمشق ليحاكم هناك بتهمة الدعوة الى انصاف العرب وتحريرهم من ظلم الاتراك الذين استباحوا حقوقهم ، واغتصبوا اقطارهم ، وشردوا سراتهم وعائلاتهم الى مجاهل الاناضول ، لقتل الحركة العربية ، ووأد اصوات الاحرار المنادين بالحفاظ على عروبة بلادهم ، وانقاذ بني جلدتهم من التتريك والانصهار في بوتقة العنصر الطوراني .

وظل يوسف العيسى في سجن دمشق الى ان زال الحكم العثماني عن البلاد العربية وما ان دخل الجيش العربي سورية حتى انشأ في دمشق جريدة « الف باء » وصدر العدد الاول منها في اليوم الاول من ايلول ١٩٢٠ .

وعند صدور هذه الصحيفة القومية سئل المرحوم العيسى عن سبب تسميتها « الف باء » فكان جوابه : « اننا معشر العرب ما زلنا في اول ابجدية السياسة العالمية ، ولم نحفظ من حروفها سوى حرفي « الف » « باء » ! »

وظل الفقيد يشرف بنفسه على سياسة الجريدة ويوجهها بآرائه السديدة ، وافكاره العميقة ، وسلخ من عمره اربعين عاما في صناعة الحبر والورق ، وقد فهم ان الصحافة قوة تنفع ، وسيادة ترفع ، فارادها محبوبة لا مرهوبة ، وكبيرة لا صغيرة ، ومتزنة لا متسرعة !

وتميز « ابو خالد » بالاعتدال والاتزان والسمو في خلقه وقلمه وتفادي الالفاظ النابية ، واشتهر بانشاء افتتاحية كل عدد من اعداد « الف باء » وكتابة « مباءة نحل » التي كان ينشرها في الزاوية اليسرى من صدر صحيفته ، وكانت « مباءات نحلة » لذيذة شهية المذاق ، يقبل عليها القراء وعلى الافتتاحيات بشهية الجائع ، اذ كانت تنطوي على نقدات لاذعة كابر النحل !

ولقد ظلت « الف باء » مستمرة في الصدور حتى اعلان الوحدة بين سورية ومصر عام ١٩٥٨ وقد توفي صاحبها عام ١٩٤٨ قبل قيام الوحدة بعشرة اعوام ، ومما تجدر الاشارة اليه ان ثلاثة من اعلام الادب العربي المعاصر انضموا في مستهل صدور « الف باء » الى قلم تحريرها وهم الشاعر الكبير الاستاذ شفيق معلوف وشقيقه عريس الخلود المرحوم فوزي معلوف والنقادة الشهير المرحوم احمد شاكر الكرمي المعروف بتوقيع « قدامة » .

لقد عرف الفقيد يوسف العيسى بارائه السياسية الصائبة وتقديره للامور مقدمات ونتائج ، اذ كانت الحوادث تثبت صحة ارائه ، وكان رحمه الله ، احد اربعة من الصحفيين العرب الذين نبهوا الى خطر الصهيونية فناضلها بقلمه على صفحات جريدته ، وباحاديثه الطلية الموزونة في مجالسه وندواته !

وامتاز المرحوم العيسى في كتابته بميزتين هما : الصراحة القصوى والايجاز ، فهو قليل الكلام في كل موضوع يخوضه ، الا انه ناصع الحجة ، يصيب مفصل الغرض الذي يرمي اليه من اقرب طريق واحكمه ، وبالجملة فهو فيلسوف في طريقة تفكيره ، اديب في التعبير عنها .

وقبل ان يغمض الردى عينيه بساعات قال وهو على فراش الموت : « لا اريد ان اموت قبل ان اتمم رسالتي القومية ، وارى العلم العربي يرفرف عاليا على هضاب فلسطين بكاملها ! » .

٢ – عبد الله مخلص

ولد المرحوم عبد الله مخلص عام ١٨٧٨ في بلدة «عينتاب» من اعمال محافظة حلب وعرفت اسرته فيها بـ – بيت شبجي خوجه زاده – وكان ابوه ضابطا في الجيش العثماني فجاء بولده طفلا الى فلسطين ونشأ الطفل في « جنين » من اعمال لواء نابلس ، وبحكم عمل والده في حيفا نقل عبد الله الى جارة الكرمل ، وتعلم فيها واجاد مع العربية التركية والفارسية ، وكتب كثيرا في الصحف السياسية والمجلات الادبية منها مجلة « المقتبس » لصاحبها المرحوم محمد كرد علي وقد انشأتها في القاهرة اولا ثم نقلها ، بعد

اعلان الدستور العثماني ، الى دمشق .

كما نشر ابحاثا طريفة في مجلة « النفائس العصرية » وفي « مجلة المجمع العلمي العربي » بدمشق وفي مجلة « الزهراء » لصاحبها الشيخ محب الدين الخطيب في القاهرة و « الكشاف » البيروتية ، ولو جمعت مقالات ومحاضرات هذا المؤرخ البحاثة كلها في كتاب ذي اجزاء لكانت منه موسوعة نادرة المثال في مختلف الوانها ومواضيعها ، وتقديرا لقلم هذا المؤرخ الجليل وعلمه انتخب عضوا في المجمع العلمي العربي ، وابان اقامة المترجم له في حيفا شارك في الاعمال الوطنية وعمل في التجارة .

وفي العهد العثماني تقلد الفقيد اعمالا في سكة حديد الحجاز لكنه مال الى الدرس والمطالعة وممارسة الكتابة في الابواب التي وجد نفسه مطبوعا عليها ، ولشغفه بالتاريخ الاسلامي وولعه بالادب العربي جمع مكتبة قليلة النظير في فلسطين ومعظمها من الكتب العربية الاسلامية التي عني بها كبار المستشرقين .

وشغل هذا المؤرخ البحاثة مديرية الاوقاف الاسلامية بالقدس ، ومن هنا هانت عليه الاسفار داخل فلسطين ، حتى توسع في الدراسات الاثرية الاسلامية والمسيحية ، ووضع كتبا تطالع اسماءها في خاتمة هذا المقال .

ولما اقتربت ساعة الصفر عام ١٩٤٧ في فلسطين ، واكفهر الجو ، وكان الفقيد مريضا في بيته بالقدس ، وكان بيته قريبا من الحي اليهودي ، شعر بالخطر المحدق بمكتبته فنقلها نجله السيد صلاح مخلص ، بطلب من والده الى دمشق .

من آثاره القلمية : خلف الفقيد طائفة من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة منها :

(١) تاريخ الخليل . (٢) تاريخ صفد . (٣) تاريخ بيت لحم . (٤) اداوت الحرب عند العرب . (٥) الزينة عند نساء العرب . (٦) ملابس العرب . (٧) ابيات العادات . (٨) الاشارة الى من نال الوزارة : تأليف ابن الصيرفي علي بن منجب (١٠٧٠ ـ ١١٤٧) في الدولة الفاطمية وقد حققه المرحوم عبد الله مخلص وعلق عليه وطبع في مطبعة المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة عام ١٩٢٤ . (٩) المسلمون والنصارى : محاضرة القاها في احد اندية حيفا ثم طبعت في كراسة بحيفا عام ١٩٢٩ . (١٠) جب يوسف الصديق وقبره : كراسة تضمنت تحقيقات واستنتاجات ، نشرت اولا في مجلة « الزهراء » بالقاهرة ، ثم جردت وطبعت في المطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٩٢٩ . (١١) بديعية العميان او الحلة السير في مدح خير الورى : تأليف ابن جابر الاندلسي . (١٢) النرجس وما قيل فيه نظما ونثرا . (١٣) سيرة السلطان محمد الفاتح : نقلها عن التركية .

وفي اوائل عام ١٩٤٨ ، اي قبل ان يجتاح الاعصار الهائل فلسطين العربية ، طوى الردى وجه هذا العالم الجليل ودفن حبر التاريخ والمعرفة في بيت المقدس .

٣ ـ رشدي صالح ملحس

في نابلس العربية ، العروس المزينة بشبانها المثقفين ، الفنية برجالها الواعين ، ولد رشدي ملحس عام ١٨٩٨ ، وتربى تربية دينية وترعرع في بيئة اسلامية محافظة ، ودرس العلوم الابتدائية والاعدادية وقسما من الثانوية في المدارس العثمانية وانهى دراسته الثانوية في سلطاني بيروت .

وقصد رشدي استانبول تطلعا لمستقبل زاهر مضمون تدعمه الكفاءات ، ودخل ـ مدرسة العلوم المالية ـ وتخرج منها ، وكان اثناء دراسته يقضي ساعات فراغه في ادارة مجلة « لسان العرب » (١) لمؤسسها المرحوم أحمد عزة الاعظمي (٢) ويسهم في تحرير بعض مقالاتها وتصريف شؤونها الادارية ، اذ عرف منذ حداثة سنه بميله الى الصحافة .

وفي الآستانة اندمج رشدي في الحركة العربية الحديثة ونشاط رجالها ، وكان في طليعة الشبان العرب الذين بذلوا جهودهم في تأسيس المنتدى الادبي الذي كان موئلا لرجالات العرب وطلابهم .

وفي الحرب الكبرى دعي الفقيد الى الجندية فخدم كضابط احتياط في لواء الجليل بفلسطين ، وكانت الناصرة مقر عمله ، وبعد ان سكنت نأمة تلك الحرب الضروس يمم دمشق واصدر فيها جريدة «الاستقلال العربي» (٣) بمشاركة المرحوم معروف الارناؤوط ، وكانت هذه الصحيفة رائجة السوق .

وبعد ان عصفت رياح فرنسا بالدولة العربية الفتية في سورية عمل رشدي في المنظمات السرية لمقاومة فرنسا فاخرجته سلطات الاحتلال مكرها وعاد الى نابلس عام ١٩٢٢ وفيها اسس « النادي العربي » وشغل رئاسته ثلاث سنوات .

وبعد ان تغلب المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود على المغفور له الملك حسين بن علي وعلى نجله المغفور له الملك « علي » قامت الدولة السعودية وتأسست جريدة « ام القرى » (٤) باشراف المرحوم يوسف ياسين ، ونظرا للصداقة التي ربطت الشيخ ياسين بالسيد ملحس دعي السيد رشدي للاسهام في تحرير هذه الجريدة فوافاه الى الحجاز وتولى زمام العمل فيها وبعد فترة نقل الى

---

(١) صدر العدد الاول من هذه المجلة الشهرية في الاستانة بتاريخ ١١ اذار ١٩١٣ . (٢) كاتب عراقي اسهم في الحركة العربية وتاريخها ، ولد ونشا في بغداد ، وتخرج بمدرسة الحقوق بالاستانة واصدر بها مجلة « المنتدى الادبي » ثم « لسان العرب » فكانتا ترجمان الحركة العربية في عاصمة بني عثمان ، ولما نشبت حرب ١٩١٤ سجن واوذي ، ثم استقر في بغداد فانشا مجلة « المعرض » وانتخب نائبا عن بغداد مرتين وصنف كتاب « القضية العربية » في ستة اجزاء وتوفي عام ١٩٣٦ مفلوجا ببغداد . (٣) صدر العدد الاول منها بتاريخ ١٤ تشرين الثاني ١٩١٨ . (٤) اول صحيفة صدرت في عهد الملك عبد العزيز آل سعود بمكة المكرمة في عام ١٩٢٥

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غنوة طائر غريب

أختاه .. يا جزيرة الاحلام
يا زهرة وديعة ترف في ابتسام
يا قطرة الضياء في محاجر الظلام
يا واحة الهدوء في مفازة الايام
يا غنوة نديانة تطوف بالانام ..
.. في ليلة مخمورة الانسام ..
توزع الاشواق والغرام
في عالم يحن للاشواق والغرام ..!!

تموت عند بابك الاحزان
ويمحى الشقاء والهوان
يا كعبة الامان من مخاوف الزمان
يا نغمة محبوبة تنساب من « كمان »
يا لمسة فنانة من شاعر فنان
يا منهلا مقدسا يرف في امان
للعاشق الظمآن
يا نجمة رفافة الاضواء للحيران
انا هنا حيران
يا نجمتي انا هنا حيران
اسير في طريقي الطويل
وليس لي سواك من دليل
تنام في رحابك الاضواء
وينتشي الصباح والمساء
يا بهجة الحياة يا رجاء ..

قد كنت مثل طائر غريب
اليفه قد ضل عنه ساعة الغروب
فاصبح الوجود في عيونه كئيب
غناؤه ـ يا غنوتي ـ نحيب
صباحه يلفه الضباب

وروضه ـ في عينه ـ خراب
والحسن ـ حتى الحسن ـ اضحى عنده عقاب
دنياه ـ يا دنياي ـ صارت كلها عذاب
آماله تبخرت واصبحت سراب
عصفورتي .. اني هنا مجير مرتاب
اعيش في الشباب
لكنني لم ادر ما الشباب ؟!
حتى عرفت روضك الحبيب
وحلقت مشاعري في افقه الرحيب
.. سجدت ، انهل السنا من نبعه الرطيب
وارشف الحنين
لعلني امزق الجراح والنحيب
من عالمي الكئيب ..!!

ما اجمل الحياة يا ريحانتي .. لو تسمحين..
بلمسة الطيور للغدير
وقبلة الانداء للزهور
وخفقة الانسام بالعبير
ازفها ـ يا منية الغريب ـ
تحية من شاعر غريب
يؤنسه ابتسامك الحبيب
ينور الحياة والدروب
وعمره الحديب ..
ويرسم الآمال والافراح
في عالمي ، بريشة الصباح
ريحانتي .. يا غنوة المطر
ترقرقت في مسمع التراب
فاخضر وازدهر
تحية الخلود .. يا قمر ..!!

القاهرة البيلي عبد الحميد حسن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الديوان الملكي السعودي مساعدا لرئيس الشعبة السياسية، فرئيسا للديوان الملكي .

وصف لي اخوان هذا الفقيد انه نبت عصاميا واشتهر بدماثة الخلق ، وعفة اللسان ، ونظافة اليد .

آثاره القلمية : كتب الفقيد رسالة عن المجاهد المغفور له الامير محمد الخطابي خلال حروبه مع اسبانيا وفرنسا ، وخلال عمله في المملكة العربية السعودية طبع في مكة المكرمة الجزء الاول من كتاب « اخبار مكة » لابي الوليد الازرقي ، وعليه حواش وتحقيقات بقلمه ، والحق بهذا الجزء ثبتا تاريخيا يتضمن ما طرأ على بناء الكعبة المشرفة الى آخر مرة انهدمت وبنيت في عهد السلطان مرادالثاني.

وحقق المرحوم ملحس المواضع الجغرافية التي وردت في الشعر العربي القديم وصنف كتابه قاموس الاعلام الجغرافي للمملكة السعودية ولقد اطرى مجهوده هذا الدكتور شارلس ماتيوس ، الاميركي الجنسية ، والاخصائي باللهجات الحديثة غير العربية في المهرة والشحر والظفار، ونوه بعمله هذا وعلمه المؤرخ العالمي الحر الدكتور ارنولد توينبي .

وترك الفقيد مؤلفات لم تطبع وفي الثالث والعشرين من شهر كانون الثاني ١٩٥٩ توفي اثر نوبة قلبية حادة ودفن في « جدة » .

عمان ـ الاردن البدوي الملثم



انور الجندي

نـدوة الباقوري

بقلم انور الجندي

* * *

عرفت بلادنا ندوات العلم منذ قديم ، ولطالما برزت من هذه الندوات افكار وآراء كان لها اثرها في تعميـق الوعـي وتزكية النهضات فان قضايا الفكر حين تبحث في مجالات برئت من الاهواء وحفت بالنوايا الصادقة وشارك فيها كثير من اهل الفضل ، انما تجيء احكامها صافيـة عذبـة .. تكشف الطريق وتضيء السبيل امام الباحثين والعلماء .

وكذلك كانت ندوة الباقوري في خلال السنوات الماضية حين تعقد مساء الجمعة في مكتبة الشيخ المفصلة عن بيته شتاء وفي حديقة الدار صيفا . ويؤمها عدد كبير من اهـل العلم من امثال المهندس احمد عبده الشرباصي والدكتور أحمد غلوش والفيلسوف مالك بن نبي والشيخ عبد الجليل عيسى ولفيف لا يحصى من علماء الازهر واساتذة الجامعات والصحفيين والأطباء والمهندسين . ولا يخلو الامر من عدد من شباب البلاد العربية والاسلامية المثقفين ممن يزورون القاهرة فضلا عن اعلام ووزراء من مختلف الاقطار .

ولم تكن الندوة في الحقيقة ذات طابع مميز ، او تجري في طريق مرسوم وانما هو الحديث يجري فيها حسبمـا تتجه الاقطار أو تكون المناسبة . فاذا كان هناك زائر مـن الصين او اندونيسيا او المغرب او السنغال مضى الحديث حول احوال المسلمين في هذه البلاد . وتقاول ثقافاتهـم واقطارهم ومؤلفاتهم .

فاذا جاء الاستاذ احمد عبده الشرباصي ـ وقلما يتغيب ـ فان الحديـث دائما يدور حول اللغة وعلومهـا ، والشعر القديم وفنونه ، وحول تحقيق كلمة او عبارة او رأي مما يتطلب البحث طوال السهرة في المعاجم ولسان العـرب وكتب اللغة ويشترك في هذا البحث الاستاذ محمد حوزه استاذ دار العلوم القديم . وربما جرى البحث حول مسألة فقهية او تشريعية أو رأي المذاهب المختلفة في هذا الامر او ذاك هناك ينبري الشيخ عبد الرحيم فوده فيأخذ جانب الرأي المعارض فاذا كان المجال مجال الحديث في التصوف والروحانيات كان قصب السبق للشيخ سليمان ربيع .

وربما ورد الندوة الشيخ محمد اللطيف دراز والشيخ عبد الجليل عيسى او الشيخ عبد الاخر ابو زيد وكلهم مـن اساتذة الباقوري . وهناك يجري الحديث عن ذكريـات الحياة الازهرية في أسيوط والقاهرة . ويتصل الحديث غالبا في ندوة الباقوري بتفسير القرآن او تحقيق اللغـة وهما الامران الغالبان على أحاديث الندوة .

فاذا ما خرج الحديث عنهما الى الاشخاص قال الباقوري: دعوا مجلسنا تحفه الملائكة فيعود الحديث مرة اخرى الى مجال العلم والفقـه .

ولم يكن الحديث في اغلبه عن الاسلام وانما كان فـي الاغلب عن صلة الحياة بالاسلام ومفاهيم الحضارة والمدنية وموقف الاسلام منها . والباقوري في هذه الناحية يحمل طابع المصلحين . على الطريق الذي رسمه الشيخ محمـد عبده وغيره من المجتهدين والمتحررين من قيود الجمود ، فمن رأي الشيخ أن الاسلام سمح ، وانه يتقبل الحضارة في جوانبها الايجابية ويفتح الطريق امام النهضة وعنده ان باب الاجتهاد مفتوح وأننا لا بد ان ننظر من افاق اوسع ولا ندع الناس يتركون دين الله ، بالتضييق عليهم وقـد اباح الاسلام الترخص في ظروف الاضطرار ، وكان موقفه من العلم سمحا كريما .

ولطالما بدت ندوة الباقوري في الشتاء اكثر جدية وبدت في الصيف اكثر طرافة ذلك انها في خلال الشتاء حـين تجتمع في المكتبة الفسيحة الضخمة التي تضم اكثر من ثلاثة آلاف مجلد ، من أمهات الكتب يجري الحديث حول التحقيق العلمي او اللغوي فيكون من اليسير الرجوع الى هذا الكتاب او ذاك ، وربما اتخذ الشيخ ديوانا او كتابا فقرأ فيه ، وربما كان هذا الكتاب ديوان الشاعر القروي الذي يشغف به الباقوري شغفا بالغا ، ويردد شعره في القاء جميل رائع وربما قرأ في كتاب الرافعي وحي القلم ، فاختار صورة جميلة رائعة ، وربما قرأ الاستاذ احمد عبده الشرباصي في كتاب حضارة العرب لجوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر فجلا جوانب من هـذه الحضارة التي قامت بدور خطير في حياة الانسانية ثم لقيت العقوق من بعض الباحثين الغربيين حتى انصفهم لوبون . ولم يغب المتنبي والمعري والبحتري وشوقي عن الندوة الا لماما .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واحيانا يفتتح الباقوري الندوة بسؤال في مسألة من مسائل الفقه او اللغة تكون قد صادفته في قراءاته في الصباح ، ويدع الحديث فيها يجري الى غايته وتختلف وجهات النظر وتنكشف جوانب من هنا او هناك ثم يراجع هذا القاموس او ذاك المرجع ، ثم يعود الشيخ فيلتقط الحديث من حديث فتتلخص وجهات النظر في براعة ودقة ثم يخلص الى النتيجة التي قلما يختلف معه فيها أحد .

ولعله مما يدهش انك تجد في كل اسبوع مؤلفات جديدة ، صدرت في بغداد او تركيا او الباكستان ، وربما قرأ رسائل من هنا او هناك جاءت تسأل عن امر من الامور.

وربما حظي التاريخ ودراسات الاعلام والبطولات بقدر لا بأس به من الاهتمام ولكن تظل اللغة والفقه هما المادتان الهامتان لانهما هما المادتان اللتان يشغف بهما الباقوري ويبرز فيهما . فالغزالي وابن رشد وابن تيميه وابن خلدون وابن القيم تترد اسماؤهم دائما كانما كانوا يحضرون كل ندوة .

ولطالما جرى الحديث حول مؤلفات غربية عن الاسلام او في ترجمة القرآن او الحديث وردت من الهند او اوربا. فلقد كان اصدقاء الشيخ من كل مكان يغمرونه بانتاجهم وآثارهم في الفنون التي يحبها .

وكان الشيخ يقرأ كل شيء . وربما ولى اهتمامه للمؤلفات الغربية عن الاسلام والعرب والجمهورية العربية مهتما بالنظريات العلمية والفكرية الجديدة ليعيش مع الاحداث ويناقش ويستمع الى كل جديد .

اما الندوة في الصيف فهي دائما تحمل طابع الطرافة انها بعيدة جدا عن المكتبة تقوم بين اشجار البرتقال والليمون والمانجو ويتردد عليها الكثيرون في ليالي الصيف الندية والحديث فيها ينساب رقراقا . وربما جاء مقرىء له صوت جميل فقرأ بعض آيات القرآن. واحيانا نسمع شعرا جميلا رائعا . فان الباقوري يحفظ الوفا من المنظوم . فضلا عن شعره هو الذي يقوله احيانا حين تهتز نفسه لذكرى من الذكريات وما حفظت الا قوله في تكريم الرسول الكريم وهي قصيدة طويلة بلغت اكثر من مائة بيت :

هو الرحمة العظمى تطلق غيثها ... ففي كل قطر سحائبها قطر
له المجد لا يبلى على الدهر ذكره ... اذا حجبه المفتون او جهل الغمر

ولا يصل الحديث الى روعته الا حين يتحدث الباقوري عن اطراف من رحلاته ومشاهداته حيث طاف باندونيسيا والصين والهند والباكستان وبلاد العرب والاندلس وهو الذي ألم اذ ذاك باحوال الامم وتطورها ونهضاتها . فاذا استشهد بامر من هنا او امر من هناك عرفت مدى اتساع افق الرجل الذي اتيح له ان يمضي سنوات طويلة في الرحلة بين اقطار العالم الاسلامي . ثم اتيح له من بعد ان يرحل في اسفار التاريخ واللغة والفقه والتفسير والحديث سنوات ايضا . فاذا بهذا المزيج من القراءة والخبرة يكون تجربة ضخمة وعصارة شهية لرجل نشأ في الازهر اولا ولكنه استطاع ان يحلق في آفاق المعرفة وان يعيش تجربة اليقظة والنهضة . ويشارك في ثورة الازهر سنة ١٩٣٥ ويرأس اتحاد الازهر ويعمل في عديد من المجالات الوطنية حتى اختارته الثورة وزيرا للاوقاف في مستهل عهدها فاتيح له ان يعمل ويتكلم . وهو الخطيب والكاتب في بلادنا وخارجها ثم لم يلبث ان اتيح له ان ينصرف الى الدراسات والابحاث ويلقى بالآراء والناس في ندوته وخلوته فاذا هو مفكر من كبار المفكرين . يعالج الامور في رفق وانأة . وينظر الى القضايا في دقة وحنكة وسلامة بصيرة ونقاء ضمير . صادق الايمان بثورتنا الكبرى واعمالها الخالدة. قوي اليقين في دور هذه الامة العربية الاسلامية .

ومع ذلك فان الباقوري لم يكتب كثيرا ولطالما رغب زواره ان يكتب كتابا ضخما في ايقاظ المعاني الروحية وتصحيح بعض المفاهيم الفكرية والاسلامية على النحو الذي يتحدث به . فكان يعزف عن الكتابة عزوفا . ولكن ربما استطاعت احاديثه في ندوته ان تصبح مجلدا كبيرا من احاديث الرأي والفكر والادب والثقافة غير ان هذه الاحاديث ايضا مضت . وان خلقت في كثير من نفوس من حضروها جذوة من اليقظة وعمق الفهم والسماحة لا تنطفىء . وما اظنه كتب في خلال اجازته هذه الا مقالة في وفاة المرحوم صلاح سالم . ولكن هذا لا يمنع من انه قطف كثيرا من ذخائر التراث العربي الاسلامي واودعها جذاذات يستطيع ان يرجع اليها اذا اراد . واليوم ينفتح امام هذه الشخصية الذكية مجال جديد . هو مرحلة ثالثة في حياته الفكرية ذلك هو مجال العمل الجامعي والتربوي الذي ارتبط به في اول الشباب . (١)

ولطالما رغب كثيرون من رجال الصحافة الى الباقوري ان يكتب مذكراته وذكرياته وينشرها في صحف التعاون وظل هذا الأصل قائما دون تحقيق . والذين يعرفون الباقوري يعرفونه محدثا كما يعرفونه خطيبا ولكنه قلما يتخذ من الكتابة وسيلته الى الافضاء .

ولقد كان في الامكان ان تكتب ذكريات طفولة الباقوري من خلال ندوته فلطالما تحدث عن مطالع هذه الحياة في باقود من اعمال محافظة اسيوط في ٢٦ مايو سنة ١٩٠٩ ثم ترددت على المعهد الديني في اسيوط وقراءاته وتطلعاته في هذه المرحلة وقد انغرست في نفسه بذور العمل الذي اتجه اليه فهو الخطيب الوطني الشاعر الذي يشارك في تأبين امين الرافعي بقصيدة عصماء في هذا السن الباكر . ثم هو المشغول بامر ترجمة القرآن او ترجمة معانيه وكانت من الاحداث التي عزت عالم الفكر والصحافة ثم هو يرد القاهرة عام ١٩٢٩ منميا فيها حياة الطالب الازهري . فما يلبث ان يتصل بالهيئات الفكرية والثقافية ويستمع الى عديد من المحاضرات والخطب . ويتصل كثيرا بجماعة الشبان المسلمين ويتعرف الى عبد الحميد سعيد ومحب

(١) الباقوري الان يلي منصب مدير عام الجامعة الازهرية .

ثغر

●

ثغر بحجم الفستقه　　سبحان رب نسقه
هو برعم متفتق　　او وردة مغرورقه
ضحكاته الحان طير　　في الشفاه مزقزقه
قبلته فاذا الشفاه　　على الشفاه معلقه
ورشفت خمرة ريقه　　مسكية ومعتقه
فنايت عن افق الجمود　　وعن حدود ضيقه
وقضيت في ملكوته　　لحظات حب شيقه

* * *

وقد اشرأب معربدان　　الى العيون المحدقه
في رأس كل منهما　　كرة بقد البندقه

حلب　　عبد الله يوركي حلاق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدين الخطيب وعبد العزيز الثعالبي ويمضي في طريق الثقافة الوطنية معهم . فاذا به ابرز قادة ثورة ١٩٣٥ في الازهر . وفي هذه الفترة التي يحسن الحديث عنها الشيخ عبد الرحيم فوده كان دوره كبيرا ، الخطيب الجهير الصوت ، البليغ العبارة ، ثم هو منشىء المنشورات السرية التي كانت توزع هنا وهناك فتسير القلق ، وهو المثالي صاحب القيم فما ان علت صيحات الازهريين باسم المطالب حتى صرخ الباقوري قائلا : لا ليس للازهريين مطالب . انما نحن نجاهد لحماية كرامة الوطن والدين والعلم . ونجحت الثورة وحققت اهدافها . ولمع اسم الباقوري واوشك ان يسافر الى اوربا ليحرز اجازة الدكتوراه غير انه اثر ان يبقى في مصر ليواصل العمل الوطني والثقافي والاسلامي .

وجاءت الحرب العالمية الثانية ليصبح الباقوري من السجناء في معتقل ماقوسه في المنيا وتوفي والده وهو في السجن فلم يسمح له بتوديع جثمانه . وظل الباقوري مرتبطا بالعمل الوطني والسياسي والاسلامي في مجال واسع من الهيئات والاحزاب والجماعات وهو في كل هذه المراحل واضح الشخصية له طابعه الاستقلالي الخالص .

حتى جاءت الثورة ، فوجد فيها امله الذي كان يرقبه على مدى الاعوام، فآمن بها وصرف مشاعره وجهده وقدراته اليها . ثم كانت رحلاته واسفاره واعماله المختلفة في مجال الوطنية والثورة والاسلام . فلما بلغ الخمسين من العمر كان له ان يلجأ الى عزلة روحية عكف فيها على تجديد نفسه ومشاعره بالدراسات الاسلامية والعربية والتاريخية منها والعقائدية والفقهية ، في مجال اللغة والفقه والسنة والتفسير على نحو عميق اشرقت نفسه خلالها اشراقة الايمان والسمو . وتكشفت له ابعاد عميقة لاعمال جديدة من اجل العروبة والاسلام .

القاهرة　　انور الجندي

اللغة العربية في جمالاتها

بقلم جبران جبور

* * *

اشرت في القسم الاول من باب (اللغة العربية في جمالاتها) ان الكلام العربي باعتبار فصاحته وبلاغته اربعة اقسام في حقيقته ومجازه .

وسأبحث في القسم الثاني من هذا الباب في الكلام العربي الممات والمنقول والتصويري المنطوي في موته ونقله وتصويره على جمل . . . وزيادة في الايضاح اقول : ان من الكلام ما اهملت حقيقته ومجازه كالرت والقب وقد استعمل مجازهما الاول بمعنى الباسل المقدام والثاني بمعنى الرئيس والملك . ومنه ما اهملت حقيقته وبقي مجازه كالجذع او (الجدع) عند العامة في مصر فهي تستعمل للاطراء ومعناه من البهائم قبل الثني ومن الناس الشاب الحدث . ويقال الدهر جذع ابدا اي شاب لن يشيخ .

وهناك ما بقيت حقيقته ومجازه كقولهم للشاعر الفحل الفحل قال ابو الطيب المتنبي :

ما كل من طلب المعالي نافذا فيها ولا كل الرجال فحولا

والقسم الرابع والاخير هو ما اهمل مجازه وبقيت حقيقته وقد سبق ان مثلت عليه وكقولهم لعمرو بن معدي كرب سيد العرب الثور كما لقب حمزة بن عبد المطلب بالجمل . ولا يزال الثور لقبا للسيادة حتى اليوم في السودان على اننا من وجه آخر نرى قوما لا يستكرهون ان يلقبوا بالسرحان وان كان ذلك لقب الذئب . ولا تخلو جاهلية من جاهلية الامم الراقية من ذكر مثل هذه الكلمات وقد حذف الافرنج امثال (بوب Pope) الانكليزي هذه التشابيه من الياذة هوميروس في ترجمته (وساحدثك عن هذه اللغة في الالياذة في موضوع قادم اقارن فيه بين هوميروس وشعراء الجاهلية) .

ومن الكلام الممات ايضا وقد اهملت حقيقته ومجازه معا اسماء ايام الاسبوع ، فقد استعملوا لفظة اول ، لليوم المعروف بالاحد واهون ، اطلق على يوم الاثنين ، وعرف يوم الثلاثاء عندهم بجبار ، وقد سموا يوم الاربعاء دبار ، ومؤنس هو يوم الخميس ، وعروبة هو يوم الجمعة وشبار يوم السبت . هذه هي الايام العربية الاولى التي سبقت ايامنا .

وقد ذكرها المسعودي في كتابه مروج الذهب قال الشاعر :

اؤمل ان اعيش وان يومي بأول او باهون او جبار
او المردي دبار فان افته فمؤنس او عروبة او شيار

والجمال في اللغة ان هناك اياما مؤنسة يتفاءلون بها ويتيمنون كيوم مؤنس الخميس واياما يتطيرون منها ويخافون كيوم دبار المردي المميت . ولا نزال نحن نتبعهم في تطيرهم وتيمنهم في ايامنا لذلك قال احد الشعراء المحدثين متيمنا بيوم الخميس يوم مؤنس في الاصل :

وفي يوم الخميس قضاء حاج ففيه الله يأذن بالدعاء

ولو سمحت لي اداب اللغة لغيرنا في علم الصرف والنحو الاسماء الخمسة لاقول لك انها الاسماء الستة في المطولات والاراجيز . وقد حذف الاسم السادس منها حرصا على التهذيب والادب . . . وكما يطيب لي ان اعرف باللغة التي مات مجازها وحقيقتها معا كذلك انتقل الى ما نقل من الكلم من وضعه الاول الى وضع ثان عند المحدثين واذكر في طليعة اولئك الشيخ الكبير العلامة ابراهيم اليازجي الذي نقل كلمات السيارة والطيارة والهاتف وغيرها من حقيقتها التي وضعت لها في الاصل الى حقيقة اخرى تمشيا مع التطور الحديث في ميدان رقي الشعوب وتقدم لغاتها . فقد جاء في القرآن الكريم سورة يوسف قوله تعالى : « وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون » والسيارة لغة هي القافلة : وكلمة الطيارة استعملها ابو القاسم الحريري في مقاماته قال : فالقى نفسه في طيارة وعبر الى الجانب الغربي وهي نوع من القوارب معروف آنذاك . والهاتف والهواتف وقد ذكرها المسعودي في مروج الذهب قال : فاما الهواتف فقد كثرت في العرب واتصلت بديارهم وكان اكثرها ايام مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومن حكم الهواتف ان تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئي .

فتأمل كيف نقلت هذه الالفاظ وكأنها اخترعت اختراعا لسلامة ذوقها ودقة تعبيرها . . .

ولو سبرنا غور هذه اللغة لوجدنا فيها الفاظا وتركيبا تغنينا بجمالها عن الكثير من الغريب فلا نتهمها بالافلاس. ومن تأمل في القاموس لفظة تنور مثلا وعلم ان معناها الرؤية عن بعد (تنوروا النار من بعيد) تبصروها ومن قرأ بيت امرىء القيس :

تنورتها من اذرعات واهلها بيثرب ادنى دارها نظر عال

من راجع هذه المراجع ومن اطلع على لفظة (تليفجن) الانكليزية وعرف أن معناها الرؤية عن بعد لما تردد معي في استعمال لفظة المتنور (بفتح الواو) للتليفزيون . بل لعرف ان التلفزة والرؤية عن بعد والتنور كلها بمعنى واحد.

ومن جمال اللغة عندهم انهم يسمون جواريهم وغلمانهم باحسن الاسماء وابناءهم باقبحها كقولهم لغلمانهم جوهر ، ومرجان ، ولابنائهم كليب وذؤيب .

سئل اعرابي لماذا تسمون عبيدكم باحسن الاسماء وابناءكم باقبحها ؟ فقال عبيدنا لنا وابناؤنا لاعدائنا ويعني انهم حرب على اعدائهم . . .

ومن جمال الالفاظ في اللغة العربية ان تقول للراس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصورة المسحورة

طفل رضيع ضاحك ابدا ... يرنو الي بوجهه النضر
علقته فوق الجدار على ... عهد الشباب الزاهر العطر
ومكثت ايامي اشاهده ... واري به امنية العمر

* * *

ومضى الشباب كأنه لجج ... تهوى الى اعماق منحدر
والطفل يضحك حين ابصره ... فيزيد في همي وفي فكري
اتراه يشعر بي فيضحك لي ... ام قد كبرت ورابني بصري

* * *

وافقت امس من الكرى تعبا ... فكانني اقبلت من سفر
متذكرا ما مر من عمري ... فوق الطريق الموحش الوعر
متطلعا لثمالة بقيت ... في الكأس احسوها بلا كدر
وبجانبي عرسي ممددة ... والنوم يحملها الى القمر
حيث الصغار البيض قد ملأوا ... ساحاته كروائع الزهر
فترى لها من بينهم ولدا ... زاهي المحيا اشقر الشعر
فتضمه وتشمه فرحا ... وتحس فيه بنشوة الظفر
ويظل يضحك وهي ترضعه ... ويمص ثديها كمعتصر
حتى اذا ما استيقظت رجعت ... للارض تشكو خيبة العمر
وتعود تكلؤني وأكلؤها ... وتظل من امري على حذر
تخشى هواجس يعترضن لها ... في الصبح والامساء والسهر
سود هواتف ماعدون لها ... ما في فؤادي من هوى الاخر
يا بؤسها من زوجة عقمت ... قهرا وترجو رحمة القدر
غيري معذبة ويعجبها ... صبري الطويل ولات مصطبري
ويسرها عسري ويرعبها ... من ان تصاب بضرة يسري
واظل ارحمها وأكلؤها ... من غير ما شكوى ولا ضجر
وبمهجتي نار مسعرة ... من انني غصن بلا ثمر
واغرورقت عيناي من حزن ... بالدمع ثم جرى على الاثر
ونظرت ناحية فطالعني ... وجه الرضيع الضاحك النضر
اتراه يشعر بي فيضحك لي ... ام قد كبرت ورابني بصري
ورأيته يهتز مضطربا ... متلفتا من قبضة الجدر
ويمد لي كفيه مبتهجا ... وينقل القدمين في حذر
في عمره الثاني ويدهشني ... اني اراه مسرع الكبر
حتى استوى مثل ابن عاشرة ... يمشي بلا وهن ولا خور
ودنا الي ولست احسبه ... اياه لولا صحة النظر
ام أن بي مسا يعاودني ... ام قد كبرت ورابني بصري
لا شيء بي مما احاذره ... غير الهموم السود والفكر
اني لابصره واسمعه ... والحق ليس ككاذب الصور
أبتاه اني جئت معتذرا ... اولست طول الدهر منتظري
قد عوقتني عنك عائقة ... فنأى المزار وطال بي سفري
ثم انحدرت اليك يا ابتي ... عجلان عبر عوالم أخر
فضممته للصدر مبتهجا ... وفرحت حين اتى على قدر
وشممت في انفاسه نفسي ... ولمست فيه حرارة البشر
ابتي شوقي لا يقاس به ... شوق الثرى الظمآن للمطر
ابني اني قد جررت على ... نفسي ونفسك اعظم الضرر
لما حبستك ظالما وأبى ... دهري علي سعادة الاسر
وبكيت من فرح به وبكى ... بمدامع تنهل كالدرر
لكنه يرتد مبتعدا ... عني ويرجع مفرط الصغر
ابني لا تبعد عن النظر ... يا خير منتظر ومدخر

* * *

وغدا كواحدة من الصور ... وتجمدت عيناه كالحجر
عينان قائلتان لي ابدا ... لا شيء يمحو صفحة القدر

حلب — **عمر ابو قوس**

بطيخة وهو استعمال معروف عند عامة اللبنانيين . قال ابو دلامة :

الا لا تلمني ان فررت فانني ... اخاف على بطيختي ان تحطما
ولو انني ابتاع في السوق غيرها ... وجدك ما باليت ان اتقدما

ويعجبني قولهم في العناق : عانقته عناق اللام للالف قال الشاعر :

رأيت شخصك في نومي يعانقني ... كما تعانق لام الكاتب الالفا

والموليا المعروفة بابي الزلوف هي الموليا او نوع من الشعر بحره البسيط اخترعه اهل واسط فاقتطعوا من البسيط بيتين وقفوا شطر كل بيت بقافية تعلمه عبيدهم وصازوا يتغنون به في رؤوس النخل وعلى سقي المياه وكانوا يقولون (يا مواليا) ثم استعمله البغداديون فلطفوه حتى عرف بينهم وشاع بعد نكبة البرامكة في عهد هارون الرشيد الذي حرم على اتباعهم ان يرثوهم بشعر موزون فصيح فقامت جارية وانشدت :

يا دار اين ملوك الارض اين الفرس ... اين الذين حموها بالقنا والترس
قالت نراهم رمم تحت الاراضي الدرس ... وسكوت بعد الفصاحة السنتهم خرس

وكانت تردد يا مواليا . هذا هو اول مواليا في التاريخ كما نسميه اليوم شروقي . ولا يزال غناء المواليا في حقيقة ايقاعه وانغامه وتعدد اوزانه وقوافيه رثاء حتى اليوم اشبه برثاء تلك الجارية اولئك البرامكة ولو نظم لغير فنون من فنون الشعر . . .

كفرحاتا ـ لبنان — **جبران جبور**

حكواتي الضيعة

بقلم نصرت توفيق خريش

لم اكن اعلم ان ابا منصور هو حكواتي الضيعة ، فلقد تغيبت عن الضيعة قبل ان اعرف وجوهها ، ولئن كنت أعرف ازقتها حاراتها . لقد بعدت عن الضيعة منذ ذلك المساء الذي فرك فيه ابي اذني وقال ، والله سأدخلك ايها الشقي مدرسة داخلية لا تعود منها الا وانت نظيف اللسان ، كفاك من معاشرة ابن هندومة وابن « ابو مشحوذ » !..

منذ ذلك اليوم الذي ما تذكرته الا ويدي فوق اذني احميها واتوجع ، غبت عن ضيعتي الجميلة ، وما غيبني عنها الا لساني الوسخ ... مرات كثيرة ، وانا في المدرسة ، ولاول مرة اغادر اهلي ، كنت اقول في دخيلة كياني ولدت اخرس اللسان كابن العموري ، ليتني كنت كذلك لما خنقتني عنتريات الناظر في حوش الكسليك ، ولما امسكت انفاسي في عز الحر ، لئلا يحصيها علي الاب المدير فيفرض عليها ضريبة الركوع وجها لوجه مع الحائط الاصفر !..

ما علمت ان ابا منصور هو حكواتي الضيعة الا عشية يوم من ايام العطلة الصيفية التي كنت اعود فيها الى التفرس بوجوه قريتي ومعالمها ، فاضيف الى دائرة معارفي اشياء جديدة غبت عنها بداعي لساني هذه الكرة اللحمية التي يقول الناس عنها انها نظفت وتعافت في بهمة مستشفى المدرسة وخشونة الاب المدير والاستاذ المناظر ، كنت اتمشى على السطح بعد ان تسللت اليه عن طريق سطوح الجيران ، والسطوح في القرية لشدة تقاربها ، تقدر ان تجتازها دونما صعوبة فكثيرا ما يصافح القروي جاره من الشباك لمجرد ان يفلت يده من وراء ظهره ويحركها باتجاه انفه ليمسك الجهة المقابلة ويتبارك بالتحيات المتبادلة .. كنت اسير على طول السطح ، ذهابا وايابا ، وكنت اخشى ان اسقط الى الشارع الضيق ، لولا اضواء هذا القمر الصغير الذي هو وزارة اقتصاد في الجبل ، وزير مال يحرص على الخزانة ، فبفضل انواره تطفأ الانوار على السطيحات ، وتطيب الحكايات والمسامرات تحت العرائش ، كل الناس خرجوا تلك الليلة الى سطيحاتهم ، حتى هذه الارانب الغبراء التي ربتها لنا امي على السطح خرجت من علبها تسير ازواجا وتتسامر زرافات زرافات... وتحتي في الشارع المحشو حيث بعض من بقايا الظلام ، كومة من الناس أجتمعت في حلقة حول جارنا ابو منصور حكواتي الضيعة ليكمل لهم حكاية الامس ولينقذ لهم عنترة من الاسر ...

تلك كانت أول مرة اتعرف فيها الى وجه « ابو منصور » حكواتي الضيعة العائش على لسانه .. القابع في عباءته ... السيد السند الذي يقرأ مكاتيب القوم ويرد عليها ، والكل يطلب رضاه ويدعو له ، فقلمه الغزار حنّن القلوب البعيدة وانهالت على القرية الحوالات المصرفية ..

اجل انه الفاتح ، فتحها على الجميع وما هذه المكاتيب المسوكرة التي يحملها موزع البريد الا دليل على فتحه المبين.

ابو منصور حكواتي الضيعة هو فاتح ابواب البحر . « الله يحنن على كل الناس يا رب » بهذه العبارة كان يستهل قراءة المكاتيب قبل ان يفضها من غلافاتها ، وكان حريصا على فتح المظروف بحيث يمزق الغلاف من احد اطرافه حفاظا على العنوان ، وتأمينا لسلامة الجواب .

وكبر ابو منصور ... وشاخ... وبقي الوحيد في القرية ممن لا يوازيه في العمر احد ... وكأن الزمان اشفق على ابناء القرية فأمد بعمره ليعطيهم من حلاوة لسانه احاديثا مسلية ، ولينعم عليهم من تحنان قلمه خيرات تأتيهم من وراء البحر!.

واليوم وبعد غيابي مرة اخرى ، عقب رجوعي ، وجدت ان الليل في الجبل ثقيل وطويل ، لا لشيء ، بل لان ابا منصور ، الحكواتي الظريف قد مات وانطفأت حكاياته ، وغابت امسيات السمر عن السطيحة الجارة ،ولكن ماذا ترك لنا ابو منصور، رحم الله نفسه ، غير الحكايات والامسيات ؟!.. الغني يترك الغني ، والفقير يلد الفقير ، والذكي يطلع اولاده اذكياء، والاغبياء اباؤهم اغبياء، فكثيرا ما نتوارث صفات الوالدين.. نعم ماذا ترك لنا ابو منصور ؟ سؤال طرحته على نفسي غير مرة فلم الق له جوابا الا ما رأيته في دار المرحوم « ابو منصور » :

في الشقة الاولى شاب يعمل منجدا ، يندف الصوف بالقوس ، يعمل نصف نهار ، والنصف الباقي يقضيه بصيد العصافير ، في خراج القرية ، ليزيل بالهواء الطلق ما علق بصدره من قذارات القطن المندوف !. هكذا يعلل ، وهكذا يقول ، بعد أن يعرفك بنفسه انه « نواز » ابن المرحوم « ابو منصور » ! ..

سألت « نواز » مرة ، الم يخلف ابوك سواك ، قال بلى ، في الشقة الثانية اخي « اسطفان » ، وكمثل من يبحث عن شيء مفقود ويجده ، ركضت الى « اسطفان » ودققت الباب حتى كل متني ففتح شاب على وجهه غبار الاموات ، وكدت ارجع ، الا انني سألته هل انت « اسطفان » ابن المرحوم ابو منصور ، قال نعم

بدر شاكر السياب

●

يا حائر النفس في بحر من الفكر ... قد ابت بعد طويل البحث بالظفر
ظللت تضرب في آفاقها قلقا ... وعامل اليأس في جنبيك والضجر
ذو العقل يشقى اذا كانت مطامحه ... سباحة بمسير الشمس والقمر
يظل يبحث في دنياه عن مثل ... عليا . غدت بسناها بغية البشر
من غير شاعرها المفتون يطلبها ... في كل سطر من التاريخ والسير
قضى الليالي اليف النجم فازدهرت ... امجاده الزهر في غر من الصور
قالوا شططت وما في الرأي من شطط ... وانما سعي فنان ومبتكر
فالشاعر الحر تستهويه اودية ... يرى بآفاقها ومضا من الفكر
ومض يرى فيه امجادا لموطنه ... وبينات من الآيات والسور
يا بدر قد كنت في اوطاننا نغما ... يوزع الحب في الصحراء والحضر
وهبت قلبك للفصحى . وكنت لها ... تجود من موطن الالهام بالدرر
ورحت في غفوات الليل ملتمسا ... در المعاني برغم الجهد والسهر
وثرت ضد قوى الطغيان منفجرا ... تطالب القوم بالشورى . بلا حذر
والشاعر الحر لا يرضى مهادنة ... في صالح الشعب رغم الضيق والكدر
ضنوا عليك بما تهوى وليتهمو ... ضنوا على الفكر بالعدوان والفرر
فهمت في فلوات الارض مفتقرا ... الا الى الصبر والايمان والفرر
وصرت ترسل الحانا مفردة ... يزهو بها الفكر في الآصال والبكر
يحدوك للعرب اخلاص قد اتقدت ... منه الحماسة ضد الظلم والغير
وقفت كالطود لا ضعف ولا خور ... وهل ينال العلى يوما اخو خور
وفي كفاحك للانسان مفخرة ... طلعت فيها طلوع البدر . فافتخر
ارض العراق فقدت اليوم نابغة ... من النوابغ ملء السمع والبصر
فبدرك الشاكر السياب قد عصفت ... به المقادر لم تترك ولم تذر
اودت بجسم نحيل هده مرض ... لولا التصبر لم يخطر ولم يسر
ارض العراق وهذي لوعة صدرت ... من الكويت سلي قلبي عن الخبر
ففي الكويت قضى السياب رحلته ... واسلم الروح بين الصحب والسمر
ودوا لو انهم يفدون شاعرهم ... لولا القضاء ولولا منتهى العمر
لكن بدرا وان ضم الثرى يده ... يظل يهدي المعالي يانع الثمر
فالجسم للارض . اما الروح باقية ... على الزمان تبث النور في العصر
وروح شاعرنا الصداح طائرة ... في ساحة الخلد ذات الماء والشجر
وسيرة الشاعر الوهاب خالدة ... تمهد السبل للطماح في السحر
يا بدر مرحى فانت اليوم رائدنا ... في عالم الفكر والآداب . فازدهر

سفارة الكويت ـ تونس — فاضل خلف

وتركني ادخل الغرفة ، فيما راح هو يتابع الدق على عود ذي اوتار نحاسية براقة ، وكدت اضحك لو لم آسف ، عندما قارنت بين وجه العود ووجه اسطفان ... فالعود بصحة جيدة ، واسطفان كمن نجا من حادث اصطدام، الا انه تنهد وعاد يداعب الاوتار ليبعث انغاما شجية ... ورأيت شيئا من المرح يطفو على وجهه عندما رآني انصت الى عوده ، وإلهو بالاستماع اليه ، وكأن هذا الاينأس اضاء المكان حوله وحمر خديه بالعافية !... فتابع يدق ورفعت اصبعي لاتكلم فضحك ، ثم نظر الي نظرة عزيزة واشار الي بعدم الكلام.. غير انه لم يأمر طوال ساعة كاملة ، ولم اقاطعه ، بل صمت ليستكمل هبوط الوحي ... ولما وجدت ان الوحي طال !.. استنهضت نفسي وخرجت واذا بجمهرة من الشباب تجمعوا في الشارع يضحكون علي.. فتساءلت لماذا ؟ فاقترب اكبرهم مني وقال : اسطفان مجنون . قلت ولكن اخوه العاقل فواز لم يعلمني بذلك ، قال فواز نصف مجنون .

وتابعت طريقي .. وتواريت في الشارع الضيق ... شاكرا الله على سلامة خروجي من دار ابو منصور ، مرددا في نفسي :

سبحان من يوزع العقول على الناس! المرحوم ابو منصور كان كومة عقل (مسكين ذلك الحكواتي) لم يخلف الا انصاف الرجال !..

عين ابل ـ لبنان — نصرت خريش

التفوق الحضاري للمسلمين في صقلية

بقلم يوسف حسن نوفل

* * *

لم يتوان المسلمون عن ممارسة ابداعهم الفني في مجالات شتى منذ عهد ابراهيم بن الاغلب الى اسد بن الفرات الذي قاد اسطولا في منتصف شهر ربيع الاول ٢١٢ هـ ليفتح بلرم ولتصبح صقلية في ايدي المسلمين ومن يومها وقناديل الفكر تسخو باشعتها لتبدد سجف المظلة التي صنعتها العصور الوسطى .

وعلى الرغم من ان صقلية شهدت تنافسا بين العباسيين والفاطميين كان من نتائجه انتقال الحكم من يد الاغالبة الى بني ابي الحسين الكلبيين ، فقد نشطت شتى القطاعات العمرانية ، والثقافية ، مع هدوء وامن اجتماعيين عادوا على البلاد بالتقدم الحضاري والنمو الفكري مما مهد لصقلية ان تتزعم حركة فكرية تنافس مثيلتها في الاندلس، ومصر والقيروان ، بل قدر لها احيانا ان تحتل الصدارة بالنسبة لسائر المراكز الاسلامية حتى ليقول المؤرخ الفرنسي جوستاف لوبون :

« ان ما حققه العرب في وقت قصير من المبتكرات العظيمة لم تحققه امة ... وانهم انشأوا دولة تعد من اعظم الدول التي عرفها التاريخ وانهم مدنوا اوربا ثقافة واخلاقا» .

وعلى الرغم ايضا من تعدد الاجناس التي عايشت هذا العمر الحافل من مسلمين : شرقيين وغربيين كان منهم الشامي ، والسوس ، والباغاني ، والكلبي والقيس والكتامي واللواتي والبربري والفرس والزنجي. ومن صقليين واغريق ولمبارديين ويهود على الرغم من ذلك فقد توحدت الانطلاقة واجتمعت الوثبة والتقت الطفرة ، يضاف الى ذلك ان صقلية كانت منطقة عبور ثرية لكل ما انتجته القرائح العربية فتيسر للثقافة الاندلسية القيروانية والبغدادية والمصرية ان تعبر عن طريقها .. فقدر لصقلية ان تنمي الرصيد الحضاري للمسلمين ، وداعبت انامل المسلمين الصخر لتحيله الى قصور جميلة فتجلى ذلك في المساجد واذا كان ما تبقى من مباني العرب في صقلية قليلا الا انه يضم بين جنباته ملامح الفن العربي الذي كان مدرسة فنية قائمة بذاتها تجمع الى الاناقة براعة اللمسة وفنية الشكل . وكان من اشهر تلك الآثار قصران هما : قصر القبة وقصر العزيزة وهما قرب « بلرم » . وحين نطالع ما يكتبه الادريس في وصف بلرم مشيدا بفخامة قصورها ، وكذلك ما كتبه غيره من مؤرخي العرب مثل ابن حوقل ، وياقوت والقزويني نحس بشيء من المبالغة لكن ذلك الاحساس سرعان ما يتلاشى حينما ينضاف الى ما قاله الادريس ما تحدث به الراهب ثيودور حيث اشاد بطريقة التزيين بالرخام الثمين والفسيفساء واحاطة ذلك كله بالرياش الواسعة الحافلة وقد حدث ان اسر ثيودور في اثناء حصار سرقوسة (٧٧٨م) ونقل الى بلرم فاتيح له مشاهدتها عن كثب فلم يسعه الا ان يمدح قصور هذه المدينة ومساجدها .

وسرعان ما اقتبس الاوروبيون من الفن الاسلامي بصقلية وخاصة طريقة تخطيط الواجهات في المباني الرخامية ، وكذلك مآذن المساجد ، وابراج النواقيس التي اتخذت في كنائس ايطاليا في عصر النهضة اشكال مآذن المساجد والتي نقل عنها « دن » ما صمم من ابراج عند ترميم ثم اعادة بناء كاتدرائية القديس بولس في لندن . وانتقل التأثير الى بيزا ، وجنوا ، وفلورنسا وغيرها من مدن ايطاليا حتى ان اسماء القلاع كانت تبدأ دائما بلفظ « قلتا » اي قلعة . ويؤكد ذلك (ريبل) الذي يقول : ان العرب حملوا الى صقلية فنونهم وقناطرهم العالية الجميلة ونقوشهم من المقرنصات والقاشاني ذي الميناء الرخامي الملون .. وفي الصفحات القديمة حيث تؤرخ الكتب العربية للآثار الاسلامية نجد صفة الجامع الاعظم في بلرم : « تغرب عن الاذهان لبديع ما فيه من الصنعة والغرائب المفتعلة والمنتجة والمخترعة ومن اصناف التصاوير واجناس التزاويق والكتابات » . ولعل من بواعث الدهشة ما نعلمه من ان مساجد بلرم كانت تنيف على ثلاثمائة مسجدا حتى ان ابن حوقل ـ المتحامل على مسلمي صقلية ـ يقول « ولم ار مثل هذه العدة في بلد من البلدان الكبار على ضعف ساحتها ولا سمعت به . »

اما المجال الثقافي فتشمخ فيه صقلية عملاقة آلاقة ولعل اصدق ما يقال في هذا الصدد ما ذكره « فيليب حتي » : « وعلى الاجمال فان صقلية تعد ثانية بعد اسبانية من حيث الدور الذي لعبته في نقل الثقافة الى الغرب ، ولكن دورها دون شك يفوق الدور الذي لعبته سوريا زمن الحرروب الصليبية » .

وتوافد عليها الراغبون في الترجمة مثل (اديلارد اوف باث) الانجليزي الذي سافر الى صقلية ليعمل على ترجمة الكتب الرياضية والعلمية ... ذلك ان المسلمين هناك كانوا يمسكون بطرفي حضارتين بأعد بينهما الزمن : حضارة قديمة ظلت مجهولة امدا طويلا وحضارة حديثة يمكن القول انها التراث الحي للمسلمين .

وقد ساعد انتشار صناعة الورق وشهرة صقلية به على كثرة انتاج الكتب المشهورة في المشرق والمغرب العربي ونتيجة لهذا كثر المتعلمون وصار الشعب يعرف القراءة والكتابة في الوقت الذي كان ارفع الناس مكانة في اوربا لا يعرفها .

وتكونت المكاتبات العامة والخاصة على نحو ما كان معروفا بالاندلس ابان نهضتها الاسلامية حتى لقد وجد من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذوي الدخل الضئيل من كان يحرم نفسه جيد الطعام وغالي الثياب ليتمكن من شراء الكتب كما حدث للقاضي « عبد الحق » الذي باع حوائج داره ليشتري كتاب «التقريب» .

وقد كان من السهل ان ترتحل الكتب من « القيروان » الى صقلية ولهذا فليس ببعيد ان تكون كتب العسكري والرماني قد عرفت هناك . وكما صنعت صقلية في العهد العربي صنعت ايام النورمان واستوردت الكتب من الخارج مثل كتب المسعودي واليعقوبي والجيهاني وكتاب الجغرافيا لبطليموس والمجسطر .

ودخلت اليتيمة للثعلبي صقلية وكذلك المدونة والموطأ وديوان المتنبي ودواوين شعراء المشرق وعرفت صقلية كتاب : مقدمة ابن باشاذ ، وأدب الكتاب لابن قتيبة والعمدة لابن رشيق الذي اختصره فيما بعد احد الصقليين ، وكذا كليلة ودمنة .

وانتصرت اللغة العربية وعاشت في الاثار والنقود وفي بعض الالفاظ الصقلية والايطالية وما تزال بعض الاماكن بصقلية تحمل اسماء عربية ولا سيما اسماء القلاع والمراسي والشوارع . وظهرت اللغة العربية في الالقاب مثل : امير ،لامراء ، والقائد . وفي دائرة المعارف (المجلد ١٠ ص٧٤٢) والصقليون ... يختلفون لهجة عن الايطاليين فان في لغتهم كثيرا من الكلام العربي » .

واتخذ العلماء مجامع علمية تشبه الى حد كبير مجامع اليوم، واذا كان ابن حوقل يتحامل على الصقليين لكثرة المساجد لديهم كما يتحامل عليهم لكثرة متعلميهم أو كما يقول مدعي التعلم ... فاني ادفع تلك الحملة القاسية التي تبدو خلال حديثه . اما كثرة المساجد فانها ليست دليل غرور وادعاء كما يذهب بل هي ضرورة استلزمتها الجلسات الغامرة بالمناقشات العلمية المتواصلة . اما كثرة المتعلمين بحجة الهروب من الجيش فان ذلك ليس دافعا وجيها في نظري . والذي اراه حقا ان كثرتهم كانت وليدة ظروف مجتمعهم ... فتفوق أسد ابن الفرات (من اصحاب مالك) والمهندس محمد بن عيسى بن عبد المنعم والشاعر بن حمديس ، والشريف الادريس الجغرافي الكبير وابن القطاع صاحب الدرة الخطيرة والقضاعي والشافي والسمنطاري الخ ....

وقد عمل المسلمون في صقلية بنظام البعثات حيث نظم الادريس بمساعدة روجار بعثات العلماء الجغرافيين الى الشرق والغرب وكان نتيجة ذلك دراسات جغرافية ضخمة تضمنتها موسوعته الكبرى (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) .

ويمكن ان يقال ان صقلية شاهدت ازدهار ثقافة واسعة الجنبات حيث اجتمع الى ذكريات الحضارات الماضية منابع ثقافة متدفقة فامتزجت الثقافة الشرقية بتراث اليونان والرومان وتكون من ذلك كله لون خاص ذو ملامح اصيلة.

وكان للانتعاش الاقتصادي والاستقرار الاجتماعي والسياسي وتكامل حلقة الاتصال الثقافي بين الاقطار الاسلامية في الاندلس وصقلية والشام ومصر ، كان ذلك كله فضل ازدياد النشاط الفكري في غضون القرن الثاني عشر . وتحت سماء صقلية قدر لاولئك اللغويين ان يواصلوا ابحاثهم القيمة امثال : علي بن حمزة ، وابن عبد البر وصاعد ، وابن القطاع ، وابن مكي .

كما قدر لناقد كابن رشيق ان يصقل الذوق الادبي ولفقهاء مثل : عبد الحق ، والسمنطاري ، وابن مكي ، ان ينموا الدراسات الدينية ، وغزت مؤلفات عديدة آفاق العالم الاسلامي مثل : المبتدا (في ثمانية آلاف بيت) وتثقيف اللسان ، وبهذا اتيح لمترجميه كفردريك الثاني وجيرارد الكريموني ، ويوجين وقسطنطين (رئيس مدرسة سالرنو) قدر لهؤلاء وغيرهم ان ينقلوا ذلك التراث الضخم الى الانسانية في كل مكان فاكدوا بذلك التفوق الحضاري للمسلمين في صقلية .

القاهرة — يوسف نوفل

الحب الصامت

*

هل تداوي عذاب نفسي الجريحه
لو تراني معاك كنت صريحه
ام ترى تجرح الفؤاد وتلقي
حبي البكر في مهاوي الفضيحه
يخفق القلب اذ تمر بقربي
وانا رهبة بوجهي مشيحه
ايه يا شاعر الصبا كن طموحا
مثلما كنت في هواك طموحه
مد لي كفك الحنون وداعب
وردة في ربى جناني الفسيحه
واسقني من حنانك الثر علي
انعم اليوم بالحياة المريحه
لك كنزي مدى الحياة مباح
وبكنزي على سواك شحيحه
كم اناديك في غياهب ليلي
بدموع معبرات فصيحه
ولكم اشتكي تباريح وجدي
وانا الزم الفراش طريحه
كلمة منك تغسل السقم عني
وتحيل الشجون ذكرى مليحه
ان تكن في تدللي مستريحا
فانا — يا معذبي — مستريحه

عمان — عبد الرحمن سالم عاليه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يوجين أونيل

بقلم مارتين براون

ترجمة ماهر شفيق فريد

* * *



ولد يوجين اونيل في ١٦ اكتوبر ١٨٨٨ بمدينة نيويورك. ولم يكن قد جاوز الثلاثين الا بقليل حين غدا يعد رائد الكتاب المسرحيين الامريكان . وقد كان لمثل هذه المكانة في عشرينيات القرن التاسع عشر من الدلالة ما لا نجده قبل ذلك او بعده : ففي تلك السنوات انتجت امريكا المسرحية الامريكية بحق . وحتى قيام الحرب العالمية الاولى كانت الكتابات الامريكية لخشبة المسرح تعتمد على النماذج الاوربية اعتمادا كبيرا حتى اذا طفرت امريكا طفرتها الكبرى نحو القوة خلال تلك الحرب اخرجت جيلا من الكتاب الذين سرحوا الحياة الامريكية بلهجة ولغة امريكيتين . وليس سيدني هيوارد وجورج كوفمان وروبرت شروود والمر رايس وبول جرين وليليان هيلمان الا امثلة قليلة لهؤلاء الكتاب المبرزين . على ان ليوجين اونيل عبقرية تجعله على رأسهم جميعا .

ولهذه العبقرية بضع جوانب تصرف القراء الاوربيين عنها . فهي عبقرية عنيفة لا ترقق الفكاهة من حواشيها الا لماما . وهي توجه اهتمامها في اغلب الاحيان الى الحياة الخشنة . ولربما بدت كتابات اونيل على شيء من الاحتقان او حتى المرض على أن التعرف العميق عليها خليق بالكشف عن خطأ مثل هذا الانطباع . فالحياة السفلى في مسرحيات اونيل منتزعة من تجاربه . لقد (شق) طريقه الى كثير من ارجاء العالم برا وبحرا وخبر الحياة القاسية القانطة وذلك قبل بلوغه الرابعة والعشرين حين هدده مرض الدرن وقضى خمسة أشهر في مصحة وبذلك تغير طريق حياته ووجد متسعا من الوقت لاكتشاف اهليته للكتابة .

على ان هذه الحياة التي يعرضها في مسرحياته ليست واقعية فحسب وانما هي تتسم دائما بلمسة شاعرية . ولئن كان اونيل ثائرا اجتماعيا ، لقد ندد باولئك المغلولين بالعرف والساعين الى ارتقاء سلم المجتمع . لقد كانوا عميانا بينما كان الذين يعيشون في أسفل هذا السلم من البساطة الى الحد الذي أمكنهم معه ان ينظروا من خلال بؤسهم وان يبصروا النجوم .

كان اونيل يجرب دائما اشكالا مسرحية جديدة واستطاع بهذه الطريقة ان يساعد على انماء المسرح الامريكي مساعدة بعيدة المدى بالغة الاهمية . وكان قارئا نهما : (قرأت كل شيء وقعت عليه يدي : الاغريق والاليزابيثيين . الحقيقة كل الكلاسيات . كما قرأت المحدثين جميعا بطبيعة الحال : ابسن وسترندبرج ــ لا سيما سترندبرج) .

ذلك ما قاله وقت ان شرع يكتب المسرحيات في حماس. ولقد كان هذان الكاتبان الاسكندنافيان ــ مضافا اليهما الكاتب الالماني ودنكايند ، اقوى المؤثرات على ذهنه . ولقد قيل دائما انه اقتفى اثر التعبيريين الالمان في اوائل العشرينيات : تولروكيزر . على انه قد توصل في حقيقة الامر الى بعض افكارهما من تلقاء نفسه . لقد حافظ دائما على ما تخليا عنه : وهو جعل الفرد الانساني الدافع الاصلي للدراما. ولم يكن الانسان عنده مخلوقا مجردا او آليا قط.

والحق أن ما بذله لتحرير المسرح من مواضعات الشكل البالية قد افضى به الى الاتجاه المقابل. وفي احدى مسرحياته الاولى من ذوات الفصل الواحد « قمر جزر الكاريبي » نراه يستغني فعلا عن العقدة استغناء يكاد يكون تاما وذلك ليسمح لشخصيته الرئيسية بان تكشف عن نفسها متحدثة عن احلامها بصوت مرتفع . ويمكننا أن نستمع هنا ايضا الى ذلك النثر ذي الايقاع القوي الذي راح يطوره طوال اكتسابه الثقة . فنثره هو الوسيلة الصالحة لنقل شخصياته العالمية التي تسري فيما تلا ذلك من مسرحيات.

ونجد ان كل واحدة من مسرحياته « الامبراطور جونز » « القرد الكثيف الشعر » « الاله العظيم براون » تمعن في التجريب امعانا جريئا .

وككل ثائر حق بدأ اونيل بالتعرف راسا على ما كان يثور عليه . وكان ابوه جيمز اونيل ممثلا مثقفا من المدرسة القديمة . وكان يوجين يسافر معه احيانا ويمثل ادوارا ثانوية حتى اذا هو ادرك في ١٩١٣ انه قدر له ان يصبح كاتبا مسرحيا كان قد سبر اساليب المسرح البالي وحيله . (وقد وصف حياة اسرته في « رحلة النهار الطويلة في الليل » وصفا قويا متقنا) .

ولم يكن من الميسور لمثل هذا الكاتب المسرحي عدو المواصفات ان يشق طريقه مباشرة الى برودواي . وهو مدين باخراج مسرحياته الاولى لجماعة بروفينستاون تحت تحت اشراف جورج كرام كوك . ونجد ان اغلب مسرحياته ــ حتى منتصف العشرينيات ــ قد عرضت لاول مرة في قرية جرينوتسن تحت اشراف كوك . ومن ذلك الحين صار يحتل مركزا في امريكا لا يختلف عن مركز ج. ب. شو في انجلترا : لقد غدا الثائر الشاب استاذا عجوزا ! ومن بين مسرحياته المكتوبة في السنوات السابقة مباشرة لوفاته (عام ١٩٥٣) احدثت مسرحيتان بالفتا الطول فيهما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابقى الآثار وهما : « بائع الثلج يأتي » و « رحلة النهار الطويلة » .

وفي هذا المجلد الاول نجد ثلاث مسرحيات تنتمي الى فترة بدء العشرينيات . وقد شوهدت « آناكريستي » لاول مرة في نسخة مسماة « كريس كريستوفرسن » عام ١٩٢٠ . وكريس ــ قبطان زورق الفحم ــ يقوم على شخصية واقعية شاركت اونيل غرفته في بيت جيمز القس .

(كان قد جاب البحر حتى مل ذكره ولكنه لم يكن يعرف شيئا آخر سواه . وعندما كان شزيكي في غرفتي كان عاطلا ولم يكن يريد الذهاب للبحر فكان يمضي وقته في عب الويسكي والتهكم على البحر) .

هكذا وصفه اونيل في مقاله من النيويورك تايمز (٢١ ديسمبر ١٩٢٤) . ولقد كانت عبارة كريس المشهورة : Dat de Davil sea منبعا للخيط الاساسي في المسرحية ولهذا لم يبد الحاح كريس عليها مبالغا فيه على ان تراجعه الى المركز الثاني في مسرحية « آنا كريستي » يبدو معرقلا للموضوع . فقصة آنا تغدو مركز المسرحية وهي قصة مؤثرة حقا . على ان شخصيتها لا تقنعنا اقناعا تاما . فالفتاة التي نلقاها عاهرة اول ما نلقاها لن تلبث ان تتحول الى فتاة (طاهرة الروح) حقا طوال المسرحية . وختام المسرحية يلائم مسرحا بالغ العاطفية اكثر منه حصيلة لتغير حقيقي فيها . على ان هذه المسرحية ــ رغم عيوبها ــ من احب اعمال اونيل الى الجمهور .

و « الامبراطور جونز » اول انموذج هام لانزال المسرحية الى خيط واحد هو الذي يسم تعبيرية اونيل . فهي تعرض قوة ايقاعاته مع استخدام الطبول . وان استحضار المتوحش النبيل واثر الرعب البدائي فنيا ليؤثر فينا ويعاودنا . انها مسرحية قصيرة تقتصر على احداث تأثير تجميعي موحد ولكنها تؤدي على خير وجه ما رسمت لنفسها ان تؤديه .

و « رغبة تحت اشجار الدردار » (١٩٢٤) عمل اكثر حذقا الى حد كبير وهي من اجمل ما خلقه كتاب المسرح . انها مأساة في نطاق التعريف الصارم لهذه الكلمة وهي تحدث الاثر التطريدي الذي ربط ارسطو بينه وبين المأساة . فافريام ــ الاب ومالك المزرعة ــ شخصية مأساوية البناء ينجم سقوطها عن كبريائها وان كان يعبر عن القيم الخالدة التي يمثل لها . ويضع اونيل ازاءه العاشقين الشابين الملتهبين . والمسرحية مقامة على ارض صلبة وهي موحدة في نطاق طاقم مركب يرينا افراد البيت جميعا . والبيت هنا رمز الامتلاك . وان هذه التجربة لتذكرنا بـ «الناسجون» لهوبتمان . ويمكننا ان نعد هذه المسرحية من بين اوائل الكلاسيات التي انتجها المسرح الكلاسيكي .

القاهرة **ماهر شفيق فريد**

المدينة الغاربة

●

وحدي هنا القى بي البحر وعاد
ارنو الى مدينتي
يغوص في احشائها الاصيل
الضفة الغريقة الابعاد
مغسولة بالدم
آثار جرح البحر قبل الرحيل
في الليل حيث قسمت جدرانه
الى سلال
محشورة فيها ازاهير نديه
مخنوقة فيها الشفاه
هل ازرع الاغراس من دمعي
في مقلتي شعاعة خافتة الانين
ام انشر الغصون
لتشرب الظلال
عصفورة مريضة محمولة الجبين

*

عيناي ضفاف مثقلة بالاشجار الهرمه
وجذور جبال سود تنمو في عيني
الشوك الابيض يرعى في اعشاب القمه
ترويها انهار الغار
تطفو فوق الامواه
اوراق ذابلة الافواه
نحتت من جرح غائر
بليت خيطان نسيجه في المرج
ذابت في ماء الانهار
ذابت في خيطان الشمس الفرقى
في اكوام الثلج
ملقى انت في العاصفة
يا ملقى ينخره الصدأ
ابكيك سدى يبكيك سحاب
ذرات رماد اله النار
ذرات رماد مآقي الشمس
لسماء عارية غرقت في ريش عقاب .

حلب **ظهير كنيفاتي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العاب الكعاب في دير الزور

بقلم المحامي عبد القادر عياش

صاحب مجلة صوت الفرات ورئيس تحريرها

* * *

الكعاب والاكعب والكعوب جمع كعب . والمقصود هنا هو كعب الخروف . وهو عظم غير عادي عند مفصل الساق والفخذ ، يكون في اليدين. تتوفر فيه اشكال من الاستدارة والتجويف والاحدداب والطول والعرض المتناسبين والسمك، مما جعله موضع الاختيار ليكون اداة لعب ، يختلف حجمه باختلاف سن الخروف ، والغالب بحجم التمرة المتوسطة.

العاب الكعاب قديمة عند أبناء الفرات ، ولابناء دير الزور ــ حاضرة الفرات ــ بصورة خاصة ولع شديد بها ، وهي كثيرة متيسرة ومبذولة عندهم لكثرة ما كان يذبح في المنطقة من الخراف التي كانت كثيرة العدد لوفرة المراعي وجودتها ولقلة تصدير الاغنام ، ولرخص اسعارها خاصة في الربيع وهو موسم نتاجها ، ولتفضيل السكان لحم الخراف على غيره من أنواع اللحوم الاخرى .

يحصل الصبيان على الكعاب اما من اهلهم واقاربهم وجيرانهم ، واما بمبادلتها على اشياء زهيدة ، واما بالربح من بعضهم بعض او شرائها بثمن بخس ، وكل واحد منهم يسعى بان يحوز اكبر كمية من الكعاب ممكنة ، ويبلغ عدد ما يملكه البعض منهم الف كعب أو يزيد ، يتفاخرون بمقدار ما يملك الواحد منهم ، ويعنون بانتقائها وتنظيفها وصيانتها حتى انهم يضعونها في علب الخشب او الصفيح . ويحفرون بطن بعضها لصب الرصاص فيها ويسمى (المرصرص) وله دور خاص في اللعب . ولكثرة الكعاب وجدت حولها العاب عدة ، لكل منها اسم واصول مرعية ، ولاشكالها عند وقوعها على الارض اثناء اللعب مصطلحات خاصة ، وبحسب تلك الاشكال يربح اللاعب او يخسر .

لقد عثرت البعثة الاثرية الفرنسية التي تعمل في الحفريات براس شمرا (أوغاريت) على الساحل السوري على كعب فيه رصاص . يدل ذلك على قدم اللعب بالكعاب عند الشعوب السامية . وقد عرف العرب الجاهليون اللعب بالكعاب ، وجاءت الفاظ خاصة بها . في المخصص ــ تجامح الصبيان ــ رموا كعبا بكعب حتى يزيله عن موضعه ، وجمخ الصبيان بالكعاب وجمحوا . قال ابو عمرو انجمخ الكعب ــ انتصب . وقال صاحب العين جبخوا بكعابهم اي رموا بها لينظروا ايهم يخرج فائزا . والجبخ صوت الكعاب والقداح اذا اجلتها .

وفي اللسان جمحوا بكعابهم كجبحوا ، وتكامح الصبيان بالكعاب اذا رموا كعبا بكعب حتى يزيله عن موضعه . وفي القاموس ، الجبخ ــ اجالتك الكعاب في القمار . وفي المخصص ، الشذق ــ الكعب الذي يلعب به . وارتب الغلام الكعب ورتبه ــ اثبته ، وغير ذلك الفاظ اخرى .

وجاء الكعب في شعر الشاعر العباسي ابي نواس حيث يقول من قسم له :

حلفت اليوم بالطنبو ر والكعبين والنرد
وبالشرب من الراح على النسرين والورد

ولما كان الديريون يرجعون بانسابهم الى قبائل عربية ، فان العاب الكعاب التي يمارسونها انتقلت اليهم لا ريب من اجدادهم الجاهليين والاسلاميين . ولئن لم تردنا اوصاف وتفاصيل العاب الكعاب عندهم ، فان هذه عند ابناء الفرات تحتفظ بكثير من اوصاف واصول الالعاب القديمة ، وان اختلفت بالاسماء حيث تنوسيت القديمة او حرفت، وحلت محلها اسماء اخرى هي المعروفة اليوم . وهي تختلف عن بعضها البعض في المناطق العربية . ولم تجر مقارنة بين الاسماء القديمة والحديثة ، وبين الاسماء في المناطق العربية للالعاب الاهلية، لعدم توفر الكتابات بهذا الموضوع. فما زلنا نهمل شعبياتنا (فولكلورنا) .

وهذه هي المصطلحات المحلية التي تتشكل بها الكعاب عند رميها اثناء اللعب وبحسبها يربح اللاعب او يخسر .

يسمون بطن الكعب وهو مكان الجورة (خرجي) وظهره المقابل وهو المدبب (دبعي) او دباع . و (فرس) عندما يكون جالسا ونقشه الى اعلى و (جحش) عندما يكون جالسا والنقش الى اسفل . و (الشقيطي) الكعبان اللذان يلعب بهما على انهما فص او زهر . و (الشقطة) هي ان يأتي الكعبان عند رميهما اثناء اللعب دبعي ودبعي او خرجي وخرجي و (خلفة) ان يأتيا خرجي ودبعي . واذا خرج فرس وفرس ، او جحش وجحش ربح الرامي ضعفا . وان جاء فرس وجحش خسر ضعفا . واذا جاء فرس وخرجي ربح الرامي الكمية المقامر عليها .

ويطلقون على الكعبين اللذين يتخذان فصا لفظ الكعب وهو اداة القمار ، ونسميه (الوزود) يلعب به الكبار على نقود ، ويلعب الصبيان على كعاب او لوز المشمش .

احسب ان لفظة (الوزود) متأتية من اللفظة القاموسية (الزدو) ، في القاموس ــ زدي الجوز ، وبه لعب ورمي به في المزداة وهي الحفيرة . وفي اللسان ــ الزدو كالسدو. وفي التهذيب لغة في السدو وهو لعب من الصبيان بالجوز، والمزداة موضع ذلك . وزدا الصبي الجوز يزد وزدوا ــ لعب ورمى به في الحفيرة وهي المزداة .

واداة القمار عند الصبيان كعب واحدة يختارها اللاعب من بين كعابه يتوفر فيها الثقل والنظافة ، تسمى (اليمنة) لانها تمسك باصابع اليد اليمنى . ولكل لاعب يمنته الخاصة به يحتفظ بها لكل العاب الكعاب . وهذه هي اسماء معظمها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مع وصف موجز لكل منها وقد اختفت جميعا .

١ ــ الوزود ــ يقعد اللاعبون على الارض بشكل حلقة صغيرة في البرية او في الخرابات او في مقبرة في الغالب. ومكان الصبيان الطرقات . وامام كل لاعب مادة القمار على الارض ، ويتعين البادي ، وهذا يمسك الكعبين ــ وقد هيئت تهيئة خاصة مسبقة ــ بين اصابعه الثلاثة الابهام والسبابة والوسطى من اليد اليمنى ، متطابقين ــ الفرسان الى اعلى والخرجي مقابل مثيله ، يبدأ بالذي على يمينه ، وهذا يعزل مقداراً من مادة اللعب امامه ويبرزها قائلا (شيش) فيقول ماسك الفص ــ وزود ، ويرمي الفص وسط الحلقة من ارتفاع نحو نصف متر . واذا خشي الماسك من رمي الفص من ارتفاع اقل فله ان يضع يده على الارتفاع المطلوب ، ويطلب الى المزدى اي ماسك الفص ان يرمي به من فوق يده قائلا من هنا حلال عليك . اي اذا ربحت فيكون ذلك بلا غش ويكون ربحك حلالا . واذا كان المزدى قد دخله ربح ، وكان الفص بيده ، وحضر صاحب له ووقف عند راسه وقال له : اضرب لي عيون ، فاذا وافق يقول عند رمي الفص وهو في دوره على مقدار ابرزه لاعب : عيون فلان ، فيعقب صاحبه بقوله . ياكل اي تربح . فاذا ربح اخذ صاحبه المقدار المفرز . وفي السنين الاخيرة بطل اتخاذ الكعبين اداة للقمار عند الكبار ، وحل النرد والدامة والدومنة وورق اللعب بانواعه محله .

٢ ــ الطمة ــ يحفر عدة صبيان حفيرة في الارض الى جانب حائط ، ويخطون خطا على بعد ثلاثة امتار من الحفيرة ، يقفون عليه ، ويرمي كل لاعب ثمانية كعاب في الحفيرة ، وما لم يسقط فيها اعيد اليها ، واللاعب الذي يستطيع اسقاط كعابه الثمانية برمية واحدة في الحفيرة يربح كعابها .

٣ ــ كلشة ــ يخط صبيان على الارض دائرة بقطر اربعين سنتمترا ، يرمي كل واحد منهما فيها كعبا ، ويبدأ احدهما ويعين بالقرعة ، يقذف بكعبه وهو على الارض بالاصبع الوسطى منفلتة من الابهام في اليد اليمنى الكعب الثانية فان اخرجها من الدائرة ربحها ، على ان تبقى كعبه في الدائرة . وان خرج الكعبان فذلك (كلشة) يعاد اللعب . وكلما ربح احدهما كعبا لعب الخاسر على آخر .

٤ ــ زليط ــ يخط عدة صبيان دائرة في الطريق او البرية بقطر متر ونصف ، ويخطون قطرها . وعليه يضع كل لاعب عشرة كعاب ، يتوسط كعاب الجميع كعب واقف يسمى (زليط) . وعلى بعد اربعة امتار من طرف الدائرة يقف الصبيان ويبد كل منهم يمنته يديرها بين اصابع يده اليمنى يمرنها ويستحثها ، ويتعين البادىء بالقرعة فيسدد يمنته الى زليط ويرميه بها . فان اخرجه من الدائرة كسب كعابها . واذا لم يخرجه واسقط كعابها اضاف بعددها الى الصف . ويأتي دور الذي يليه .

٥ ــ الطلعة ــ يخط عدة صبيان خطا مستقيما ، يضع كل واحد منهم عليه ثلاثة كعاب ، يبدأ احدهم ــ ويتعين بالقرعة ــ فيرمي كعبه من مكان الكعاب الى الامام على بعد عدة امتار ، فاذا جاء فرس ابقاه بمكانه ، ويأتي دور الآخرين يرمي كل كعبه ، فاذا اصاب احدهم فرس الاول ربح الكعاب ، فان لم يصب احد الفرس ربح صاحبها الكعاب ، فان لم يجيء كعب الاول فرسا ، يرمي الصبيان كعابهم ، فمن كان مكان سقوط كعبه ابعد يبدأ من مكان كعبه ، يسدد الى الكعاب المصفوفة ويرميه به ، فان ابعد احدها عشرة اقدام عن الصف فاز بها جميعا ، وان اصاب بعضها دون ان يبعده عشرة اقدام خسر (مات) ويبدأ من يليه .

٦ ــ الخطة : يخط عدة صبيان دائرة مع قطرها متر ونصف ، ويضع كل واحد على القطر عشرة كعاب ، ويقفون على بعد اربعة امتار من طرف الدائرة ، ويبدأ احدهم ويرمي بكعبه الكعاب المصفوفة . فما اخرجه منها خارج الدائرة ربحها ، ويستمر يلعب ، واذا اسقط كعابها دون ان يخرجها من الدائرة اضاف الى الصف بعددها ، ويأتي دور الذي يليه .

٨ ــ الجاقول ــ يلعب بها الصبيان في الطرقات على كعاب . والكبار في البرية في الربيع على نقود . يكون مع كل لاعب كرة حجرية صلبة مصقولة ناعمة اصغر من الجوزة تسمى (كلة) تصنع في البلد . يختارون ميدانا سهلا تجري فيه الكرات يسمى (سلهوب) هو في الاصل مجرى سيل . يضع كل لاعب في الميدان كعبا بين الواحد والآخر ثلاثة امتار . ويتعين البادي ويسمى الوالي ويقول واليتي ، ثم الثاني ويسمى اكنجي (تركية) والاخير يسمى اخو الوالي . ومن نقطة معينة يجري الاول كرته وهو قاعد على الارض في السلهوب يقذفها باصابع يده اليمنى باتجاه الكعاب او النقود ، فاي نقد مسته كرته ربحه، واذا مست كرة اخرى خسر صاحبها اربعة كعاب فضلا عن كعبه في الميدان ، واذا مست كرة اللاعب جميع الكرات ربح صاحبها من كل لاعب اربعة كعاب مع كعاب الميدان . ويقال فلان صفى الداس . وهو دورة من دورات اللعب . ويقال نبز الكلة اذا جعلها ترتفع قليلا عن الارض غير المستوية حتى لا تصطدم بالحصى فيتغير اتجاهها .

٩ ــ سلطان مملوك ــ يأخذ ثلاثة شبان كعبا يلقيه الاول فاذا خرج فرس فالاول سلطان واذا خرج للثاني فرس او جحش فهو وزير . والثالث يسمى الجدي . يقول الوزير للسلطان : سلطان مملوك ؟ يجيب ــ عرب سالوك . فيقول الوزير ــ شو تؤمر على هل جدي المحكوك ؟ يقول السلطان: آمره بان يبوس الارض . وله ان يأمر بغير ذلك .

دير الزور ــ سورية **عبد القادر عياش**

الرماية المحكمة

بقلم الكسندر بوشكين

ترجمة عيسى الناعوري



كان معسكرنا في مدينة (ن) . وحياة الضابط في الجيش معروفة جيدا ، ففي الصباح رياضة بدنية ، وركوب خيل ، ثم غداء مع الكولونيل او في مطعم يهودي ، وفي المساء شراب ولعب ورق . ولم يكن في مدينة (ن) اي بيت مفتوح امامنا ، ولا فتاة واحدة يمكن الاقتران بها . وكنا نجتمع معا في غرفنا حيث لم تكن تقع عيوننا الا على رجال في لباسهم العسكري .

مدني واحد فقط كان مسموحا له بالاختلاط في مجتمعنا . كان في نحو الخامسة والثلاثين من عمره ، ولهذا كنا نراه كبير السن بالنسبة الينا . لقد اعطته تجاربه ميزة علينا، كما ان كآبته المألوفة ، ومظهره المتجهم ، ولسانه اللاذع تركت في اذهاننا الصغيرة انطباعات عميقة . لقد كان وجوده محاطاً بشيء من السرية الغامضة . كان روسيا في مظهره على الرغم من ان اسمه كان اجنبيا . ولقد سبق ان خدم في فرقة الفرسان بامتياز . وليس ثمة من يدري لماذا احيل على التقاعد واستقر في مدينة بائسة ، يعيش فيها عيشة فقيرة ولكنها في الوقت عينه عيشة تبذير . كان دائما يسير على قدميه ، وكثيرا ما كان يرتدي معطفا اسود مهلهلا ، ولكن ضباط فرقتنا كانوا دائما موضع ترحيب وحفاوة على مائدته . والصحيح ان عشاءه لم يزد قط على لونين من الطعام او ثلاثة ، كان يعدها جندي متقاعد ، غير ان الشمبانيا كانت تجري فيه كالماء . ولم يكن احد يدري شيئا عن ظروفه ولا عن دخله ، ولم يجرؤ احد قط على سؤاله عن ذلك .

كان لديه مجموعة كتب ، اغلبها روايات وكتب تتعلق بالشؤون العسكرية . وكان يعيرنا اياها للقراءة راضيا قريرا ، ولم يطلب الينا ردها ابدا ، ومن جهة اخرى لم يقم مطلقا باعادة الكتب التي كان يستعيرها الى اصحابها . وكانت تسليته الكبرى هي الرماية بالمسدس . لقد كانت جدران غرفته ملأى بالثقوب من اثر الرصاص كأنها خلية العسل . وكان مظهر الترف الوحيد في الكوخ الذي يسكنه هو مجموعة من المسدسات ، وكانت المهارة التي اكتسبها في استعمال سلاحه المفضل نادرة وعسيرة التصديق ، فلو أراد ان يرمي اجاصة موضوعة على قبعة انسان ، لما تردد احد من فرقتنا ان يجعل من رأسه هدفا لرصاصته .

وكثيرا ما كانت تدور احاديثنا حول المبارزة ، ولكن سيلفيو ـ هكذا سأدعوه ـ لم يكن يشترك فيها . وحين سئل مرة عما اذا اشترك قط في قتال ، اجاب بالتأكيد اجابة جافة ، ولكنه لم يدخل في شيء من التفاصيل ، وكان واضحا ان مثل هذه الاسئلة لم تكن تروقه . فكان يخيل الينا أن ضميره مثقل بذكرى ضحية تعسة اوقعها سوء الطالع تحت رحمة براعته الرهيبة . ولم يدر في خلد احد منا ان يظن فيه شيئا من الجبن او ما الى ذلك . وان هناك اناسا يكفي مظهرهم لكي ينفي عنهم اي اثر من مثل هذا الظن . الا ان حادثة غير متوقعة حدثت فأذهلتنا جميعا .

في احد الايام تناول نحو عشرة من ضباطنا العشاء مع سيلفيو ، وشربوا كثيرا كالعادة . وبعد العشاء طلبنا الى مضيفنا ان يتولى البنك في لعبة الورق ، فظل يتمنع وقتا طويلا ، لانه قل ان مارس لعب الورق ، ولكنه رضخ في النهاية ، فامر باحضار الورق ، ووضع نصف مئة من قطع العملة الذهبية على الطاولة وجلس يوزع الورق . فأخذنا اماكننا من حوله وبدأ اللعب . وكان من عادة سيلفيو الصمت المطلق في اثناء اللعب ، فهو لا يجادل ، ولا يدخل في التفسيرات ، فاذا اخطأ احد المقامرين في الحساب ، دفع له الفرق حالا ، او استرد منه الزيادة . كانت هذه العادة فيه مألوفة لدينا ، وكنا دائما نتركه يتصرف على طريقته الخاصة . غير انه في تلك المناسبة كان بيننا ضابط نقل الى فرقتنا حديثا . وفي اثناء اللعب اخطأ هذا الضابط سهوا في نقطة واحدة مراراً متعددة . فما كان من سيلفيو الا ان اخذ الطبشورة وكتب الحساب الصحيح حسب عادته المألوفة . فظن الضابط ان سيلفيو قد اخطأ ، فراح يشرح له ما يراه صوابا ، فلم يعره سيلفيو اهتماما بل استمر يلعب صامتا . فنفد الضابط صبره ، فتناول الفرشاة ومسح ما كان يظنه خطأ . فأخذ سيلفيو الطبشورة وصحح الرقم مرة اخرى . ومع حميا الخمر، وحرارة اللعب ، وضحكات الزملاء ثار الدم في رأس الضابط ، واحس انه اهين اهانة بالغة ، وفي سورة غضبه امسك بشمعدان نحاسي على الطاولة وقذف به سيلفيو ، ولكن هذا نجح في تحاشيه بشيء من الجهد . فتولانا الذعر جميعا . ونهض سيلفيو ، يعلو وجهه بياض الحنق ، وعيناه تقدحان شررا ، وقال :

« سيدي العزيز ، تفضل بالخروج، واحمد ربك على ان هذا قد وقع في منزلي » . ولم يخامر احدا منا شك في ما ستكون النتيجة ، واخذنا ننظر الى رفيقنا باعتباره قد جاء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اجله لا محالة . فانسحب الضابط وهو يقول انه على استعداد لان يرد على اهانته بالشكل الذي يريده غريمه . واستمر اللعب دقائق اخرى، ولكن احساسنا بأن مضيفنا متهيج بحيث لا يستطيع الانتباه الى اللعب جعلنا ننسحب في اثر زميلنا الاخر ، فانصرفنا الى ثكناتنا بعد ان تبادلنا بضع كلمات حول ما نتوقعه من حدوث شاغر في فرقتنا عما قريب.

في اليوم التالي ، في مدرسة الفرسان ، كان كل منا يسأل الاخر عما اذا كان الملازم المسكين ما يزال حيا . فاذا به يظهر بيننا . فألقينا السؤال عليه هو نفسه . فأجاب بأنه لم يتلق بعد جوابا من سيلفيو . فأصابتنا دهشة بالغة . وذهبنا الى سيلفيو فألقيناه في ساحة المنزل يطلق رصاصة في اثر رصاصة على آس (من ورق اللعب) ملصق على البوابة . فاستقبلنا على عادته ،ولكنه لم يشر بكلمة الى حادثة الليلة الماضية ، ومضت ثلاثة ايام وما يزال الملازم حيا . فراح كل منا يسأل الاخر في حيرة ودهشة . « امن الممكن ان يمتنع سيلفيو عن المبارزة ؟ » .

ولكن سيلفيو لم يبارز خصمه . لقد اكتفى بتفسير هزيل جدا ، وتصالح مع غريمه . وكان هذا سببا في هبوط قيمته في نفوس شبابنا جميعا . ان فقدان العزيمة لهو آخر ما يمكن ان يغتفره الشبان ، لانهم يعتبرون الشجاعة راس الفضائل الانسانية كلها ، وهي عندهم تبرر كل خطأ ممكن . ولكن كل شيء زال تدريجا ، ثم استرد سيلفيو نفوذه السابق .

انا وحدي لم اعد استطيع التقرب اليه كما كنت سابقا . لقد حبتني الطبيعة خيالا مرهفا ، ولهذا كنت من قبل اكثر الجميع تعلقا بالرجل الذي كانت حياته لغزا ، والذي يبدو لي انه بطل قصة غامضة . وكان هو يحبني كثيرا ، على الاقل كان معي وحدي يتخلى عن لهجته الساخرة المألوفة ، ويتحدث في مواضيع مختلفة ببساطة وبشكل مقبول على خلاف العادة . اما بعد تلك الامسية السيئة فقد ظلت حية في ذهني فكرة شرفه الذي تمرغ في الدناءة ، واللطخة التي ظلت عالقة به خطأ منه ، ولذلك لم اعد اعامله كما كنت اعامله من قبل . كنت اخجل من النظر اليه ، وكأن هو من الذكاء والخبرة بحيث لا يخفى عليه ذلك ، ولا يفوته معرفة السبب . وكان هذا يكدره كثيرا ، على الاقل لاحظت مرة او مرتين رغبته في ايضاح الامر لي ، غير انني تحاشيت اعطاءه فرصة لذلك ، فتخلى عن المحاولة . ومذ ذاك لم اعد اراه الا في محضر من زملائي، وانتهت احاديثنا الودية والسرية القديمة نهائيا .

ان من يعيشون في وسط المثيرات التي تزخر بها العاصمة لا يعرفون شيئا عن التجارب العديدة المألوفة لدى سكان القرى والمدن الصغيرة ، ومنها مثلا ، انتظار وصول البريد . ففي ايام الثلاثاء والجمعة كان مكتب فرقتنا يغص بالضباط بعضهم ينتظر النقود ، وبعضهم الرسائل ، وغيرهم الصحف . وكانت الطرود تفتح حالا ، والضباط يتناقلون نبذا من الاخبار من واحد الى اخر ، فيقدم المكتب من كل ذلك صورة ملأى بالحيوية والحركة . وكان سيلفيو يتسلم رسائله بواسطة الفرقة ، ولذلك كان يحضر عادة هناك لتسلمها .

في احد الايام تلقى رسالة ، فاخترق ختمها بنظرة فيها كل معاني فروغ الصبر . وحين قرأ محتوياتها لمعت عيناه بالشرر . وكان كل من الضباط مشغولا ببريده، فلم يلاحظوا شيئا من ذلك .

وقال سيلفيو : « ايها السادة ، ان الظروف تقتضي رحيلي مباشرة . سأسافر الليلة ، فأرجو ان لا ترفضوا العشاء معي للمرة الاخيرة . سأكون في انتظاركم » ثم التفت الي واضاف قائلا : « سأكون في انتظارك انت ايضا ، فلا تتأخر » .

ثم اسرع في الانصراف ، وبعد ان اتفقنا على الاجتماع في منزل سيلفيو افترقنا الى ثكناتنا المختلفة .

وصلت الى منزل سيلفيو في الوقت المحدد فوجدت الفرقة كلها تقريبا هناك . كانت كل امتعته محزومة ومهيأة للرحيل ، ولم يبق سوى البار والجدران المثقبة بالرصاص . فجلسنا حول المائدة ، وكان المضيف في احسن حالات المرح ، وسرعان ما انتقلت عدوى مرحه الى الجميع . واخذت اغطية الزجاجات تفرقع ، والاقداح تمتلىء دون انقطاع . وفي غمرة النشوة وحرارتها رحنا نتمنى لصديقنا المزمع السفر رحلة طيبة وسعادة كاملة . وحين نهضنا عن المائدة كان الوقت متأخرا من الليل . وبعد ان ودعنا سيلفيو جميعنا اخذني بيدي وانا اهم بالانصراف ، وابقاني معه قائلا بصوت منخفض :

« اود ان اتحدث اليك »

فوقفت خلفه الى ان انصرف الضيوف ، وبقينا وحدنا . فجلسنا متقابلين واشعل كل منا غليونه صامتا. كان سيلفيو يبدو شديد الاضطراب فلم يعد يظهر على وجهه أي اثر من مرحه الشديد السابق . وكان الشحوب الشديد في وجهه ، وعيناه المتقدمان ، والدخان الكثيف الخارج من فمه ، تخلع عليه مظهرا شيطانيا حقا ، وانقضت دقائق عديدة ، ثم قطع سيلفيو الصمت بقوله :

« قد لا يرى احدنا الاخر مطلقا بعد الان . ولكن قبل ان نفترق اود ان اوضح لك شيئا . لعلك لاحظت انني قليل المبالاة برأي الاخرين ، ولكني احبك ، واشعر بأنه سيؤلمني كثيرا ان اتركك وفي نفسك عني فكرة خاطئة » .

ثم توقف قليلا ، واخذ يحشو غليونه ، ورحت انظر صامتا الى الارض . ثم تابع حديثه :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« لقد بدا لك غريبا ان لا الجأ الى تصفية كافية مع ذلك السكـــران (ر) . ولكنك ستوافق مع ذلك انه ما دام لي حق اختيار السلاح ، فقد كانت حياته بيدي دون شك ، بينما لم يكن هناك خطر على حياتي . وفي وسعي ان انسب صنيعي هذا الى الكرم والحلم وحدهما ، ولكنني لن اكذب عليك ، فلو كنت واثقا من ان في وسعي ان اعاقب (ر) دون ان يكون في ذلك ادنى خطر على حياتي ، لما صفحت عنه » .

فنظرت الى سيلفيو مذهولا . لقد كان ذلك الاعتراف منه مفاجأة مذهلة لي وتابع سيلفيو كلامه :

« هكذا تماما ، ليس لي حق في ان اعرض حياتي للموت ، فمنذ ست سنوات تلقيت صفعة على وجهي،وما يزال عدوي حيا » .

فهاج بي الفضول حتى بلغ منتهاه، فسألت :

« الم تبارزه ؟ ام لعل الظروف ابعدتك عنه !»

فأجاب سيلفيو : « بل بارزته ، وهذا تذكار من تلك المبارزة » . ونهض سيلفيو وتناول من احد الصناديق قبعة حمراء عليها شرابة مقصبة (كالتي يدعوها الفرنسيون قبعة البوليس) ووضعها امامي . كان فيها اثر رصاصة نفذت منها على بعد بوصة واحدة من الجبين . وتابع سيلفيو كلامه :

« انت تعرف أنني خدمت في احدى فرق الفرسان ، وطباعي معروفة لديك جيدا ، فانا معتاد ان اكون في مركز القيادة . لقد كان هذا شأني منذ الطفولة . في ايامنا كان الانغماس في الملذات هو الموضة الدارجة ، وكنت انا اكثر الرجال خشونة في الجيش . كنا نتباهى بالسكر ، ولقد تفوقت في السكر على (ب) الشهير الذي تغنى به الكاتب (د . د .) وكانت المبارزات في فرقتنا كثيرة الحدوث ، وكنت في كل منها تقريبا اما عنصرا ثانيا واما اساسيا . وكان رفاقي يعبدونني بينما كان قواد الفرقة ــ وكثيرا ما كان هؤلاء يتبدلون ــ ينظرون الي باعتباري شريرا لا بد منه .

وكنت اغتبط بشهرتي هذه هادئا، او صاخبا ، حين انضم الى فرقتنا شاب ينتمي الى اسرة غنية بارزة ــ ولن اذكر لك اسمه ــ . لم يحدث قط ان التقيت بشاب محظوظ كهذا . تصور في نفسك الشباب ، والذكاء ، والجمال ، والفبطة اللامحدودة ، والشجاعة التي لا حد لتهورها ، والاسم اللامع ، والغنى البعيد ، تصور كل ذلك ، وعندئذ يمكنك ان تكون لنفسك فكرة عن التأثير الذي هو واثق من ان يحدثه فينا . لقد شعرت بان تفوقي قد اهتز ، اما هو فقد بهرته شهرتي فراح يتردد الي محاولا صداقتي ،ولكني تلقيت ذلك ببرودة، وعند ذاك ابتعد عني دون ادنى اسف. فصرت اكرهه واحقد عليه . وان نجاحه في الجيش وفي مجتمع النساء قد ساءني الى اقصى حدود الاساءة . فرحت اتحرش به لمشاجرته ولكنه كان كل مرة يرد على عباراتي بعبارات بائة اشكل منها براعة وجزما ، واكثر تسلية دون شك . وبينما كنت انا اشتغل بالغضب كان هو يتندر ويلهو . واخيرا في حفلة رقص اقامها ملاك بولندي ، كان هو فيها محط انظار السيدات ولا سيما صاحبة الدعوة التي كنت على علاقة معها ، همست في اذنه بملاحظة كانت تحمل اهانة كبيرة . فاشتعل غضبا وصفعني على وجهي . فانتزعنا سيفينا بسرعة ، وعند ذاك شحبت وجوه السيدات ، فافترقنا ، وفي تلك الليلة عينها تهيأنا للمبارزة .

« كان الفجر قد اخذ يبرز وقد وقفت انا في المكان المعين ، ومعي شهودي الثلاثة ، انتظر بفارغ الصبر وصول خصمي ، ورأيته يقبل من بعيد . كان يسير على قدميه ، مرتديا ثيابه العسكرية ، ومتقلدا سيفه ، وفي رفقته شاهد واحد . فتقدمنا للملاقاته ، وراح هو يقترب حاملا قبعته بين يديه ملأى بالكرز الاسود. وقاس الشهود لنا اثنتي عشرة خطوة . كان علي ان اكون البادىء باطلاق النار ، غير ان اضطرابي كان شديدا بحيث لم اكن استطيع أن اثق من ثبات يدي . ورغبة في ان اعطي نفسي فرصة للهدوء تركت له الطلقة الاولى فلم يشأ خصمي الموافقة على هذا . عند ذاك تقرر ان تجري القرعة ، فكان الدور الاول له . فسدد المسدس نحوي فنفذت الرصاصة من قبعتي . وجاء دوري الان . لقد كانت حياته في يدي أخيرا . فنظرت اليه ورحت اتفحص ملامحه لعلي ارى فيها اثرا يدل على اضطراب او ظلا للخوف ، غير انه كان واقفا امام مسدسي يلتقط حبات الكرز من قبعته ويتناولها ، ثم يبصق بذورها من فمه فتكاد تصل الى موضع قدمي . فاثارني هدؤه هذا اثارة لا حد لها . فقلت في نفسي: « ما الفائدة من تجريده من الحياة ما دام لا يقيم لها ادنى وزن ؟ » ودار في ذهني خاطر خبيث، جعلني اخفض مسدسي . ثم قلت له : « يبدو انك لست مستعدا للموت في هذا الوقت، فانت تريد ان تتناول فطورك ، وانا لا اريد ان اعوقك عنه » .

فاجاب : « انك لا تعرفني مطلقا ، فتفضل باطلاق النار ، او كما تشاء انت مدين لي بطلقة ، وساكون دائما في خدمتك » .

« فعدت الى الشهود واخبرتهم بانني لا رغبة لي في اطلاق النار في ذلك اليوم . وهكذا انتهت المبارزة .

« واستقلت من عملي ، واقمت في هذا المكان ، ومنذ ذلك الحين لم يمر بي يوم دون ان افكر في الانتقام ، وها قد جاءت ساعتي الان » .

وتناول سيلفيو من جيبه الرسالة التي تلقاها صباح ذلك اليوم وناولني اياها لاقراها . لقد كتب اليه احدهم (ولعله وكيل اعماله) من موسكو يخبره بان « شيخصا » يريد ان يتزوج فتاة صغيرة بارعة الجمال .

وقال سيلفيو : «في وسعك ان تعرف من هو ذلك « الشخص » . انني ذاهب الى موسكو . سنرى اذا كان الان سيواجه الموت ، وهو على عتبة زواجه ، بمثل تلك اللامبالاة التي واجهه بها وهو يأكل حبات الكرز » .

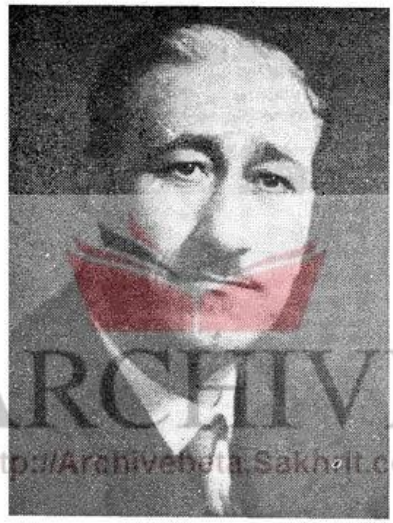
عند هذه الكلمات نهض سيلفيو ، وقذف بقبعته الى الارض ، وراح يذرع الغرفة جيئة وذهابا كنمر في قفصه . لقد اصغيت الى حكايته صامتا ، وكانت تتناهبني مشاعر غريبة مؤلمة .

ودخل خادم يخبره ان الجياد مهيأة ، فشد سيلفيو على يدي بقوة ، وتعانقنا ، ثم جلس على العربة التي كان فيها صندوقان يحتوي احدهما على المسدسات والثاني على الامتعة. وتبادلنا كلمات الوداع مرة اخرى ثم مضت الجياد مسرعة .

*

ومضت عدة سنوات شدهتني فيها الشواغل العائلية حتى استقر بي المطاف في قرية صغيرة فقيرة من مقاطعة (ن) . واشتغلت بالزراعة ولكنني كنت لا انقطع عن التحسر سرا على حياتي السابقة الملأى بالحيوية واللامبالاة . وكان اصعب شيء عندي هو ان اعتاد على قضاء امسيات الربيع والشتاء في وحدة تامة . الى ساعة العشاء كنت استطيع ان اقضي الوقت بشكل او بآخر ، فاتحدث مع قائد المركز ، او اتجول على ظهر الحصان لتفقد العمل ، او امضي لاتفرج على الابنية الجديدة ، ولكن عندما يهبط الظلام كنت احتار فعلا في ما اصنع بنفسي . الكتب القليلة التي عثرت عليها في الخزائن وفي غرف المستودعات حفظتها كلها غيبا ، وكل الحكايات التي استطاعت مديرة منزلي كيريلوفنا ان تتذكرها، سمعتها منها مرارا ومرارا ، واغاني المرأة القروية ولدت عندي شيئا من الضغط الخانق . وحاولت ان اتعاطى المشروبات الروحية ، ولكنها اصابت راسي بالصداع . واعترف ، اضافة الى هذا ، انني كنت اخشى ان يثملني الهم ، وهذا اشد انواع الثمل الما ، وقد رايت منه امثلة عديدة في مقاطعتنا . ولم يكن لدي جيران قريبون سوى اثنين او ثلاثة من السكارى الذين يكون حديثهم في الغالب فواقا وآهات ، وكانت الوحدة افضل من معاشرتهم .

على بعد نحو اربعة اميال من منزلي كان يقوم منزل فخم من املاك الكونتيسة (ب) ، ولكن لا يقيم فيه



عيسى الناعوري

•

احد سوى الوكيل . ولم تزر الكونتيسة منزلها ذاك سوى مرة واحدة خلال السنة الاولى من حياتها الزوجية ، واقامت فيه شهرا واحدا فقط حينذاك . ولكن في الصيف الثاني من حياتي في هذه العزلة ، وصل تقرير يقول ان الكونتيسة قادمة مع زوجها لقضاء الصيف في هذا المنزل . وفعلا وصلا في مطلع شهر حزيران .

ان وصول جار ثري حدث مهم في حياة القرويين ، يظل الملاكون وعيالهم يتحدثون عنه طوال شهرين قبل وقوعه ، وطوال ثلاث سنوات بعد حدوثه . امتا انا فيجب ان اعترف بان انباء وصول جارة جميلة شابة قد ترك في نفسي اعمق الاثر واقواه ، فكنت اتحرق شوقا الى رؤيتها . وفي يوم الاحد الاول بعد وصولها ذهبت بعد الغداء الى قرية (أ) لكي اقدم واجب التحية للكونتيسة وزوجها ، بصفتي اقرب جيرانهما واكثر خدامهما تواضعا .

وقادني احد الخدم الى مكتب الكونت ، ثم مضى ليعلن عن حضوري. كانت الغرفة الرحيبة مؤثثة بكل ما يمكن من الفخامة والترف . كانت الجدران مخططة برفوف الكتب ، وعلى كل منها تمثال نصفي من البرونز ، وعلى رف المدفأة الرخامي مرآة كبيرة ، وعلى الارض قماش اخضر مغطى بالسجاد .

ولما كنت غير معتاد على الفخفخة في قريتي الفقيرة ، ولم يتح لي ان ارى ثراء الاخرين منذ زمن طويل ، فقد رحت انتظر ظهور الكونت بشيء من الرعشة ، كصاحب حاجة من الاقاليم ينتظر دخول الوزير .

ثم فتح انباب ، ودخل الغرفة شاب وسيم في نحو الثانية والثلاثين من العمر . واقترب مني الكونت بمودة وصراحة ظاهرتين . فحاولت ان ابدو مسيطرا على نفسي، وشرعت اقدم نفسي ولكنه سبقني . ثم جلسنا معا ، وسرعان ما بدد حديثه ما بي من تهيب وانكماش . وما كدت استعيد مظهري العادي حتى دخلت الكونتيسة فجاة ، فازداد ارتباكي اكثر من قبل. لقد كانت جميلة حقا. وقدمني الكونت اليها ، فرحت احاول استعادة وضعي الطبيعي ، ولكنني كلما حاولت الظهور بمظهر هادىء ازداد شعوري بالارتباك . ولكي يعطياني فرصة استعيد بها رباطة جأشي وآلف فيها هذه المعرفة الجديدة شرعا يتحادثان معا ، معتبرين اياي جارا طيبا ارتفعت الكلفة بينهما وبينه . في تلك الاثناء

رحت اذرع الغرفة ، واتفحص الكتب والصور .

انني لست خبيرا بالصور ، غير ان احداها استرعت انتباهي . انها تمثل منظرا في سويسرا ، ولكن لم يكن التصوير هو الذي استرعى انتباهي ، بل كون القماش مثقوبا من اثر رصاصتين اخترقتاه ، احداهما فوق الاخرى مباشرة .

فالتفت الى الكونت وقلت : « هذه رمية رائعة » .

فاجاب : «نعم ، انها طلقة مدهشة» ثم تابع : « هل تجيد اطلاق النار ؟ »

فاجبت : « بشكل مقبول » . وقد سرني ان يتحول الحديث اخيرا الى موضوع مألوف لدي . وتابعت كلامي « على بعد ثلاثين خطوة استطيع ان ارمي ورقة دون خطأ ـ واعني ، طبعا ، بالمسدس الذي تعودت استعماله » .

فسألت الكونتيسة باهتمام كبير ظاهر في نظرتها : « صحيح ؟ وانت ايضا يا عزيزي ، أتستطيع ان تصيب ورقة عن بعد ثلاثين خطوة ؟ »

فاجاب الكونت : « سنجرب هذا يوما ما . في الماضي لم تكن رمايتي سيئة ، ولكن لقد مضى علي اربع سنوات لم المس فيها مسدسا » فعلقت على هذا قائلا : « اوه ! في تلك الحالة استطيع ان اراهن على ان سعادتك لن تصيب ورقة عن بعد عشرين خطوة . ان المسدس يحتاج الى تمرين يومي مستمر . انني اعرف هذا بالتجربة . في فرقتنا العسكرية كنت معروفا بين احسن الرماة ، وقد حدث مرة انني لم المس المسدس لمدة شهر كامل ، لانني ارسلت مسدسي للتصليح ، فهل تصدق يا صاحب السعادة ، انني حين عدت الى اطلاق النار بعد ذلك اخطأت اربع مرات متتابعة في اصابة زجاجة على بعد عشرين خطوة ؟ وقد حدث ان الكابتن ، وهو من ذوي النكتة والدعابة المرحة ، كان قريبا مني فقال لي : « من المؤكد يا صديقي انك لن ترفع يدك ضد زجاجة بعد الان » .

كلا يا صاحب السعادة يجب ان لا تهمل التدرب ، والا فقدت يدك حالا مقدرتها على اصابة الهدف . ان ابرع رام عرفته في حياتي كان يتدرب على الرماية على الاقل ثلاث مرات كل يوم قبل العشاء . لقد اعتاد ذلك مثل اعتياده شرب قدح البراندي يوميا .

وبدا الكونت والكونتيسة مسرورين لانني بدأت اتكلم بطلاقة . وسأل الكونت :

« واي نوع من الرماة كان ؟ »

« لقد بلغ من احكام الرماية ، يا صاحب السعادة ، بحيث انه لو رأى ذبابة تقف على جدار ـ انك تبتسم ايها الكونت ، ولكنني اقسم لك بالسماء ان هذا صحيح ـ لو رأى ذبابة لنادى قائلا (كوزكا ، هات مسدسي) فيحضر له كوزكا مسدسا محشوا ـ بنغ . واذا الذبابة مسحوقة على الحائط » .

فقال الكونت : مدهش وماذا كان اسمه ؟

ـ « سيليفيو يا صاحب السعادة »

فهتف الكونت مذعورا : «سيلفيو؟ وهل عرفت سيلفيو ؟ »

ـ « وكيف كان يمكن ان لا اعرفه يا صاحب السعادة ؟ لقد كنا صديقين حميمين ، وكانت فرقتنا تستقبله كأخ ضابط . ولكن لقد مرت خمس سنوات لم اسمع فيها شيئا من اخباره . واذن فانت ايضا تعرفه يا صاحب السعادة ؟ »

ـ « اوه ، نعم ، لقد عرفته معرفة حسنة . هل اخبرك قط بحادثة غريبة في حياته ؟ »

« اتعني سعادتك الصفعة التي نالها على وجهه من احد المحتالين في حفلة الرقص ؟ » .

« وهل اخبرك باسم ذلك المحتال ؟ »

كلا يا صاحب السعادة ، انه لم يذكر اسمه قط ... « ثم تابعت مستدركا بعد ان حزرت الحقيقة : آه ، عفوك يا صاحب السعادة !... لم اكن اعرف ... امن الممكن ان تكون انت ؟ »

فاجاب الكونت ، وفي نظرته حرج غريب : « نعم ، انا نفسي ، وتلك الصورة التي اخترقها الرصاص هي تذكار للقائنا الاخير » .

فقالت الكونتيسة : « آه ، يا عزيزي ! بحق السماء لا تتحدث عن ذلك ، انه ليرعبني كثيرا ان استمع الى هذا الحديث » .

فاجاب الكونت : « كلا ، سأروي كل شيء . انه يعرف كيف اهنت صديقه ، ومن العدل ان يعرف كيف انتقم سيلفيو لنفسه » .

ودفع الكونت كرسيه نحوي ، ورحت اصغي بكل اهتمام الى القصة التالية :

لقد تزوجت منذ خمس سنوات ، وقضيت الشهر الاول ـ شهر العسل ـ هنا في هذه القرية . انني مدين لهذا المنزل باسعد لحظات عمري ، كما انا مدين له بواحدة من اشد الذكريات الما .

في احدى الامسيات خرجنا معا للنزهة على جوادينا وقد حرن جواد زوجتي ، فانتابها الخوف ، وسلمت زمامه الي وعادت الى البيت ماشية. واما انا فعدت على ظهر حصاني . وفي ساحة البيت رأيت عربة سفر ، وقيل لي ان رجلا ينتظرني في مكتبي ويأبى ان يذكر اسمه ، ولكنه يقول ان له عملا معي . فدخلت الغرفة ورأيت رجلا في الظلام يعلوه الغبار ، ولحيته مضى عليها عدة ايام دون حلاقة . كان يقف هناك قرب الموقد . فدنوت منه محاولا ان اتذكر ملامحه .

فقال بصوت اجش : « اتراك لا تعرفني ايها الكونت ؟ » .

فصرخت : سيلفيو ! واعترف انني احسست فجأة بشعر رأسي يقف كله منتصبا .

فتابع كلامه : « تماما ، ان لي طلقة مستحقة ، وقد جئت لكي افرغ مسدسي . أأنت مستعد ؟ »

كان مسدسه يطل من جيب جانبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تدرعت اثنتي عشر خطوة واتخذت مكاني هناك في الزاوية ، وانا اتوسل اليه ان يعجل باطلاق النار قبل ان تصل زوجتي . فتردد ، وطلب انارة الغرفة . فجيء بالشموع ، ثم اغلقت الابواب ، وامرت بعدم السماح لاحد بالدخول ، ثم عدت ارجوه ان يطلق النار . فسحب مسدسه وسدده نحوي ... فرحت احسب الثواني ... وانصرف تفكيري اليها . ومرت دقيقة رهيبة ، ثم خفض سيلفيو يده وقال :

«يؤسفني ان المسدس ليس محشوا بحبات الكرز ... ان الرصاصة ثقيلة . ويخيل الي ان هذه ليست مبارزة ، بل هي اغتيال ، وليس من عادتي ان اسدد رصاصي الى رجل اعزل . فلنبدأ المبارزة من جديد . سنجري القرعة لنتفق على من يبدأ اولا» .

فدار رأسي بشدة ... اظن انني اعترضت ... واخيرا حشونا مسدسا آخر ، ولففنا ورقتين ووضعهما في قبعته ـ القبعة عينها التي اخترقتها رصاصة مني من قبل ـ ومرة اخرى سحبت الرقم الاول .

ـ فقال : انك محظوظ بشكل شيطاني ، ايها الكونت . واتبع كلامه بابتسامة لن انساها ابدا .

لست ادري ماذا جرى لي ، ولا كيف استطاع ان يضطرني الى ما فعلت . غير انني اطلقت النار فاصبت تلك الصورة .

واشار الكونت باصبعه الى الصورة المثقوبة ، وكان وجهه مشتعلا كالنار بينما كان وجه الكونتيسة من الخوف اشد بياضا من منديلها ، واما انا فلم استطع ان احبس تنهدة في حلقي .

وتابع الكونت حديثه : لقد اطلقت النار ولكنني اشكر السماء لانني اخطأت الهدف. ثم جاء دور سيلفيو ... لقد كان في تلك اللحظة رهيبا حقا ... رفع سيلفيو يده ليصوب المسدس نحوي ، واذا بالباب ينفتح فجأة ، وتهرع ماشا الى داخل الغرفة صارخة فتلقي بنفسها على عنقي ثم فرد الي حضورها كل شجاعتي .

فقلت لها : الا ترين يا عزيزتي اننا نمزح ؟ لماذا انت خائفة ؟ اذهبي واشربي كأس ماء ثم عودي الينا . ساقدمك الى صديق وزميل قديم .

ولكن ماشا ظلت غير مصدقة ، فالتفتت الى سيلفيو الرهيب وسألت : ـ « قل لي ، هل يقول زوجي الحقيقة ؟ اصحيح انكما تمزحان فقط ؟ »

فاجاب سيلفيو : انه يمزح دائما ايتها الكونتيسة . في احدى المرات صفعني على وجهي مازحا ، وفي مرة اخرى اخترق قبعتي برصاصة مازحا كذلك ، والان حين اطلق علي النار فاخطأني كان كل ذلك مزاحا . وانا الآن بدوري اشعر بميل الى المزاح كذلك .

قال ذلك ورفع يده بالمسدس ليصوبه نحوي على مرأى منها ، فرمت ماشا بنفسها على قدميه .

فصرخت بها حانقا : انهضي يا ماشا الا تخجلين ؟.. وانت يا سيدي الا تكف عن الهزء بامرأة مسكينة ؟ هل تطلق النار ام لا ؟

« الكوميديا الانسانية » .

« الانسانية » فقد وضعت بتقصد لتحدي اقدم لنا منظرا شاملا واسع الاطراف على اطلاقاقاصيص متشابكة ، كان ستتذكرني دائما مصنفة على وفق لضميرك . اختلافات العالم

ثم استدار لينصرف ، ربما لاندفاع قليلا عند الباب ونظر الى الصفترى التي اخترقتها رصاصتي ، واطلق عليها رصاصة دون تسديد ، ثم اختفى . أما زوجتي فكانت قد غابت عن الوعي ، ولم يجرؤ الخدم على ايقافه ، فقد كان منظره وحده كافيا ليملأ قلوبهم رعبا . فنزل الدرج ، ودعا الحوذي ، ومضيا بعربتهما قبل ان أتمكن من ان اثوب الى رشدي .

ثم صمت الكونت ، وبهذه الطريقة عرفت نهاية القصة التي كانت بدايتها قد تركت لدي من قبل اثرها العميق جدا . انني لم اعد أرى بطلها مرة اخرى ، وعلمت ان سيلفيو قد قاد عصابة من الثائرين في اثناء ثورة اليكسندر ابسيلانتي ، وانه قد قتل في معركة سكولياني .

عمان — عيسى الناعوري

بمناسبة حلول

موعد الامتحانات الرسمية

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

تقدم

افضل الكتب التي منها يستمد

الطالب المعرفة لضمان

نجاحه في الامتحانات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اوج القصة الفرنسية الحديثة

بقلم ج. م. كون

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

باستهلال القرن التاسع عشر ، لم تعد الكوميديا او المقالة او الفلسفة او التاريخ او الموعظة بقادرة على اطفاء غلة القراء وخاصة الذكور منهم ، لان الامكانيات الطباعية الحديثة جعلت للقصة قراءها ، كما ان ظهور الطبقة المتوسطة واشتراك المرأة في الحياة الفعالة وسعا من مجال الخيال القصصي ، فلم يعد الصدق القصصي ضروريا كما كانت الحال بالقياس الى الكاتبين الانكليزيين سكوت وديفو ولا اللجوُ الى التقاليد التي استتبعت ظهور « اميرة كليف » والصلات المخطرة (١) . ثم حدثت الردة الملكية بعد الثورة وما اعقبها من احداث ضخام . واول الكتاب الذين واكبوا هذه الردة هو بنيامين كونستان (١٧٦٧ — ١٨٣٠) وهو سياسي ليبرالي الف قصة تحت عنوان « ادولف » ثم ثناه بـ « الكتاب الاحمر » . كان هذا الكاتب عشيقا لمدام ستايل ، صاحبة الصالونات المشهورة ، المعروفة بفتنتها الاخاذة ، التي كانت محط الامال وقبلة الرجال . ان القلب والعقل هما الشغل الشاغل الذي ركز عليه الكاتب اهتمامه واولاه كل جهده ، فاعمل في هذا الموضوع فكره تشريحا ودرسا وبذا حاول ان يتجاوز « فرتر » ويستعلي عليه . اما الينور ، بطلة القصة ، فهي خليلة خيالية لادولف ، وهي اكبر منه سنا ، انتشلها من السأم والتبرم ، لكي تملأ بعض الفراغ في نفسه ، ذلك الفراغ الذي لم يفهمه فهما صحيحا تاما ، وعلى الضد من شخوص « الصلات المخطرة » فانه لا يسر باغوائها ، وحين يرنو الى التخلص منها يتدخل الالتزام الاخلاقي في صميم الموضوع . فلا تتم نجاته منها الا بالتخلي عنها ، وهذا ما يدفعها الى الموت دفعا ، بعد ان يكون قد اختار خليلة اخرى . ان « ادولف » ترينا مأساة الناس الحساسين في مجتمع فاقد الحس . اما بطله الذي هو طفل عصره فيبدأ في فقدان ايمانه بنفسه ويستمر المجتمع بغير تبدل او تغيير .

ومن كتاب هذه المرحلة هنري بيل (١٧٨٣ — ١٨٤٢) الذي فاق كونستان في عالم القصة ، من حيث اجادته ولوذعيته وقدرته التحليلية واوصافه الدقيقة واقتصاده الرائع في رصف كلماته ووضعها في مواضعها الملائمة وقد اتخذ هذا الكاتب اسم ستندال ، نظل هذا الاسم متعلقا به اكثر من تعلق لقبه . استخدم هذا القاص حياته نفسها موضوعا رئيسيا لكتابته ، فبنى منها حبكات تتناول بالبيان المراتب التي تفصل الحب عن حب الذات . كان ستندال ضابطا غير حربي في جيش نابليون ، وقد كان من مؤيدي الثوار الايطاليين ولو تأييدا غير فعال . وبعد ان اصطدم بالحب وجها لوجه اصيب بنكسة شديدة ، فقضى سني حياته الاخيرة في زاوية مهملة من ايطاليا بصفته قنصلا لفرنسا في سيفينافيتشيا . اما نفسيته فكانت مقسمة بين عقله النير الذي يمثل القرن الثامن عشر وبين نوازعه العاطفية التي ظن انها من نزوات دمه الاسباني . كتب اول ما كتب « في الحب » وهي دراسة غير عاطفية تناولت هذا الموضوع في تشعباته الكثيرة . ثم اعقبه بـ « راسين وشكسبير » وبذا انغمس في تيار المناظرات الادبية حيث ايد الرومانسيين ثم تنصل منهم سريعا لاعتقاده بان هذه المدرسة الجديدة شديدة الكاثوليكية وكثيرة الاسرار . على النقيض من عنعناته المناوئة لرجال الاكليروس وهذا ما نراه واضحا جليا في « الاحمر والاسود » حيث يناصر الحمر ضد السود .

اما بطل « الاحمر والاسود » فهو جوليان سوريل ، وهو شخص اجنبي عن المحيط الذي انتقل اليه ، فيه ما في ستندال من ثورة فكرية عاصفة ، وهذا امر نجده واضحا في جميع مؤلفاته ، لانها تعكس بامانة وسهولة نفسية الكاتب بحيث تجد شخصيته جلية الوضوح ، مكشوفة الملامح في ابطاله وخاصة في جوليان سوريل ، الذي تحط به احوال حياته المرعبة في دار احد الاغنياء لتدريس ابنه بعضا من المعلومات الاولية ، ولكنه بدلا من ان يولي وجهه شطر مهنته وما انتدب اليه يفري زوجة مخدوعه . ثم يتصل بفتاة اجنبية مثله فتتوشج بينهما صلات الحب العنيف والمقت العنيف ، الاول كل حيال الاخر ، والثاني يجمع بينهما من جهة ، وسائر العالم من جهة اخرى .

ان جوليان سوريل لم يكن ليخشى شيئا خشيته من الفضيحة ومن الاستخفاف وزراية الناس ، وبسبب من ذلك كله قتل خليلته الاولى وتحمل الموت على المقصلة .

قد تعد « الاحمر والاسود » ميلودرامية اكثر من اللزوم ، لكن دقة الملاحظة النفسية ومشاهدها الفظيعة الفاضحة وحوارها الاعتيادي ، الذي نجابه امثاله كل يوم ، هذه الامور جميعا تكشف عن التناقضات والصراعات التي تناوشت اذهان شخوصه . اما اللارومانسية الساخرة المنحدرة احيانا الى الرقة واللطف والشفافية فقد جعلت من القصة شيئا اعظم بكثير من حبكتها . ومهما يكن من امر فان شخوص ستندال متعددة المشارب ، يزدهيها دهاء شديد يجعلها لا تستطيع القيام بادوارها بنفسها ، ولذا نراه يلعب بها كيفما يشاء وعلى النغمة التي يريد .

ثم نأتي الى رائعة ستندال الثانية « دير بارم » . تستمد حبكة هذه القصة وجودها من اقصوصة ايطالية جرت حوادثها الخيالية في دولة بوليسية خيالية ايضا وفي فترة من التاريخ غير معروفة ، لكنها قريبة العهد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والبطل ، فابريس ، هو انبل نفسا من جوليان واقل منه تحسبا للعواقب ، يرمز سجنه الظالم في القلعة الى وقوع الناس غير السياسيين الطيبين المسالمين في شراك السياسة. والواقع ، فان استنتاجات الكتاب السياسية هي اجلى واوضح من تلك المنثورة في « الاحمر والاسود » وهنا تبدو الميلودرامية اقرب ما تكون الى السخرية وتكون النهاية تهكمية غير مقنعة .

لقد اطلق سراح البطل من زنزانته من طريق مؤامرة قذرة كتلك التي ادت به الى السجن . اما علاقته الغرامية بابنة السجان فتصبح ، بمرور الزمن ، مؤامرة من طراز اجتماعي رفيع ، ثم ينجح في تسنم منصب ديني عالي الشأن . ثم يزداد عدد اتباعه ومريديه لما عرف به من (تقى واخلاقية مثالية وفصاحة كلامية) . ان اللبرالية لا تنتصر بل نراها تضعف وتتلاشى وتترك السبيل امام الدكتاتور ليكون اوسع كرما واندى يدا ، لانه لم يعد يجد قدامه اعداء مختبئين . ومن هنا ، فان الشخوص وطبائعها وحوافزها ومنافساتها أكثر اهمية من الحبكة نفسها .

لم يعرف ستندال باسلوب شخصي معين ، انما كان يكتب عفو الخاطر والمناسبة كيفما اتفق وبلغة بسيطة ساذجة لا تفرق في شيء عن الحوار الاعتيادي المعروف ، وهذه اللارومانسية الصلعاء البلقاء لم تحصل له غير قراء قلائل في حياته ، وقد رضي بهذه القسمة المقدرة له واستسلم اليها ، انتظارا لمعرفة قدره ، حق قدره ، بعد مائة سنة من وفاته ، وهذا ما تحقق اذ تمكن « احمر » الثورة الجمالية من الانتصار على « اسود » الظلامية والهوى والتحامل . وبذا انتصر ستندال على اعدائه انتصارا مبينا واصبح اسهامه في العمل الادبي المجيد حقا لا ينكره عليه مكابر ، واصبحت كل قصاصة من الورق خلفها اسهاما لتعريفنا بهذا الرجل الذي لا ينضب معينه .

ان الرأي العام في القرن العشرين تقبل اونوريه دي بلزاك (١٧٩٩ ــ ١٨٥٠) بتحفظات اكثر مما فعل تجاه نوستان او ستندال ، ومع ذلك فهذا كاتب ابدع عالما كاملا يمثل فرنسا الردة الملكية احسن تمثيل ومع انه كان ملكيا ، على النقيض من ستندال اللبرالي المستقل ، فانه كان متعلقا بالقصة البرجوازية التي وضع اسسها ريستف دي لابريتون ، كاتب القرن الثامن عشر ، المعروف بصراحته ولذعته واسهابه واطنابه . كان بلزاك يعتمد اعتمادا تاما على التفصيلات الواقعية الدقيقة ولذا قضى الكثير من وقته في تجميعها حتى تكون مادة كتابته وافية، ومع هذا الاعتماد على الواقع في كتابته ، فقد كان موقفه من الحياة موقفا سحريا في اساسه . اشتهر بلزاك بطموحه البالغ للشهرة والمال والخليلات والقصور والمرتبة الاجتماعية ، فعد هذه الاشياء مادة الحياة المعاصرة وجوهرها . لكنه فضلا عن ذلك رأى وجود احتمالات لتجارب اخرى وانجازات غيرها وعلى هذا الاساس بنى « الدراسات الفلسفية » وهي جزء من كتابه العظيم « الكوميديا الانسانية » .

اما « الكوميديا الانسانية » فقد وضعت بتقصد لتحدي كوميديا دانتي ، وهي تقدم لنا منظرا شاملا واسع الاطراف والآفاق ، متألفا من قصص واقاصيص متشابكة ، كان الغرض منها تصوير الانسانية باسرها مصنفة على وفق نظرية خاصة في الفكاهة ، وعلى حسب اختلافات العالم الحيواني . تتحرك شخوص بلزاك جميعا تبعا لاندفاع عاطفة منفردة ، وكلها مخلوقات بيئتها الخاصة . فترى المحتالين والبخلاء والمحاربين القدماء والعوانس والصحفيين الطموحين ، تراهم جميعا مدفوعين بمطامع وكراهيات وغراميات خشنة عنيفة . وعلى الضد من التمايز الذهني لدى ستندال ، فان شخوصه لا تعرف هذا الامر ، مما جعلها اولى بالنجاح من شخوص ستندال ، وبالتالي جعل الحدث يلائم الشخص احسن الملاءمة . لذا نجد القارىء مأخوذا بالحوادث النموذجية ، ملاحظا تنكر بنات غوريو الثلاثة لابيهن العجوز واستنزاف ثروة آل هيلو من قبل قريبهم الفقير الدنيء النفس المنحط العقل ، والكوارث المالية التي جرفت سيزار بيروتو ، تاجر العطور ، ذلك الانسان الضعيف في تفاؤله ، ونجاح مؤامرة خادمه الفاضل ، الذي اصبح بارون بوبينو في المستقبل .

كان بلزاك من المهتمين العظام بجمع المعلومات العامة والفرائد الثمينة وقد ضمن كل ذلك في قصصه . ولما كان صغيرا التحق باحد المحامين ، وعنده تعلم تفاصيل القانون الجنائي ، وهذا ما اغنى متن قصة «سيزار بيروتو» ولما تقدمت به السن بعض الشيء ، اشتغل في مهنة الطباعة والنشر ، ومعرفته بهذه الصناعة مونته بمادة قصته (اوهام ضائعة) . غير انه لم يستمد من سيرة حياته الا الشيء النزر . ومع ذلك فرؤياه لعالم النساء المتاجرات باعراضهن والاغنياء الداعرين كانت تجمل من هذا المجتمع المتميز عن سواه ، شيئا بعيد المنال بالقياس اليه وهو ذلك الخادم الفقير في منشئه . اما اشخاصه الفاتنون فهم اناس فضوليون ، اصحاب بنوك ارتقوا الى ما ارتقوا اليه من لا شيء ، واناس خلعاء مشهورون كراستيناك ومجرمون سريون كفوترين . اما بطلاته فيشبهن بطلات دكنز ، نساء كثيرات الفضيلة ، قليلات التجربة العقلية .

ليس من قصة كاملة في « الكوميديا الانسانية » ومع ذلك فـ « قس تور » هي اعظم نجاحا من كل ما كتبه تزولوب (٢) . اما مشاهده الباريسية او التي استمدها من الريف فكلها مفعمة بالحركة والحيوية . وفي « الدراسات الفلسفية » عدد من الحكايات تعدل حكايات هوفمان او تبزها ، في صبغتها التأريخية الغريبة وفيما

---

(١) مؤلفة القصة الاولى هي مدام دي لافايت ومؤلف القصة الثانية هو دي لاكلو وقد ترجمت الى العربية ، المترجم . (٢) هو القاص الانكليزي المعروف مؤلف « ابراج بارتشيستر » ويعد من كتاب الدرجة الثانية وهذا ما يقصده الكاتب بقوله (المترجم) . (٣) من كلام المترجم .

تثيره من فزع ورعب ، وما تدل عليه من معرفة سرية . ان كتابات بلزاك المبكرة عرفت بتأثرها بنفوذ ولتر سكوت والسيدة رادكليف ، وبي غضون الدور الرومانسي كان اقبال الجمهور على القصة التأريخية شديدا وبخاصة ما له صلة بالعصور الوسطى التي اعتبرت بالقياس الى الرومانسيين ، العصر الذهبي .

ومن الكتاب الذين كتبوا في هذا الشأن فيني وهوغو والثاني هو مؤلف القصة العظيمة « نوتردام دي باري » وقد شاركه في جهاده هذا الكسندر دوماس (١٨٠٢ — ١٨٧٠) وهو حليفه في حربه المسرحية، وقد كتب العديد من الحكايات المتعلقة بفرنسا في القرن السابع عشر ، فاثبتت هذه الحكايات جدواها باقبال الجمهور عليها اقبالا منقطع النظير ، حتى انه جمع عددا من المساعدين لزيادة الانتاج على نطاق واسع . اما اكثر هؤلاء الكتاب اصالة فهو بروسبير ميريميه (١٨٠٣ — ١٨٧٠) وهو لغوي وعالم آثار يزين كتابته اسلوب اخترعه بنفسه اختراعا ، ومع ذلك فهو يقل عنهم شعبية وشهرة . ومريميه ، بصفته كاتبا تأريخيا ، يمتاز بصفائه ووضوحه وصدقه بالقياس الى دوماس . وصورته لمذبحة سانت بارتيليمي في كتابه « سجل تأريخ حكم شارل التاسع » هي ادعى الى الاقناع والتصديق من وصف دوماس للحوادث نفسها . كان مريميه رومانسيا كابحا جماحه ، مع عزلة تشبه عزلة ستندال صديقه . لذا فاقاصيصه القصيرة التي تعالج حياة الناس الغريبي الاطوار ، والتي تتناول حكايات العواطف الجائحة في اسبانيا ، ليست بذات اثر كبير وجدوى مهمة ، وهي طرف من القصص الساخر ، ومصداق ذلك « كارمين » و « كولومبا » .

ان اعظم شخصية روائية في ذلك العصر ، كانت امرأة انتحلت اسم جورج صاند (١٨٠٤ — ١٨٧٦) ويعود الكثير من شهرتها ، كبايرون ، الى اسطورة حياتها . فحوادثها الغرامية العاصفة مع دي موسيه وشوبان والكثيرين غيرهما ، وانوثتها الجامحة وانسانيتها ، جلب لها العديد من قراء قصص العاطفة المحرمة والتمرد الاجتماعي .. اما كتبها التي لا تزال تقرأ فهي قصص الرعاة التي كانت قد كتبتها في النصف الثاني من حياتها ...

اما القصتان اللتان فاقتا كل ما كتبته جورج صاند فهما « بؤساء » فكتور هوغو وقصته « كادحو البحر » وبطل القصة الاولى هو جان فالجان ، الانسان الذي تحمل ما تحمل من عذاب السجن والقهر والاضطهاد ، ومع ذلك ظل راسه عاليا شامخا ، لانه عرف الحق فاتبعه ، وتنصل عن الباطل فزهقه ، والقصص من اطول قصص القرن التاسع عشر وهي تنافس « الحرب والسلم » في طولها ، لكن فيها الغث والسمين من الاداء القصصي ، ومن الاصالة القصصية والحشوية الاعتيادية التي هي اشبه ما تكون بالتقارير الصحفية المملة ذات الاطناب غير اللازم والاستطراد غير اللائق (٣) . ومع ذلك ، فالينابيع الانسانية الثرة العميقة التي تكتنفها وتجعلها من اعظم القصص المشربة بالروح الانسانية الرفيعة ، وهي تزود القارىء الذي يستطيع متابعة القراءة بغير ملل او كلال ، بفيض من الانارة الانسانية.

كانت جورج صاند في اواخر حياتها موضع ثقة غوستاف فلوبير (١٨٢١ — ١٨٨٠) الذي كان يصغرها بعشرين سنة ، والذي كان يجهد نفسه في كتابة قصة بعد ان اتم وضع قصتين ، والقصة التي كان يجهد نفسه في وضعها هي « التربية العاطفية » وعلى الضد من ستندال او جورج صاند او بلزاك كان فلوبير بحاجة الى تلقائية هؤلاء ، اما ما امتاز به وعده فضيلة فهو ضرب من الدقة اللفظية التي لم تكن سوى وعكة نفسية . اما اخلاصه لفنه الذي وكد عليه في كل رسائله فلم يكن غير الوجه الثاني من حياته الجافة الفارغة وصداقاته التي ذبلت واضمحلت ، وغير برودة تجاه خليلاته ، واعتماده المديد العهد على والدته المسنة . ثم لنلتفت الى « مدام بوفاري » ، طرفة فلوبير ، فقد استغرقت اربع سنين ونصف لكتابتها . وهي قصة معتنى بها ، تتناول حياة امراة تافهة ، متمردة على محيطها النورماندي المتزمت ، وهو المحيط الذي كان منشأ حياة فلوبير المتبرمة ومدارها . لا سيرة شخصية واضحة هنا . ومع ذلك فقد اندمج فلوبير ببطلته اندماجا كليا ، حتى انه لا جعلها تقضي على حياتها بتناولها جرعة من الزرنيخ ، مرض هو نفسه عدة ايام . سيق الكتاب للقضاء بتهمة الخلاعة والمجون وهذا ما زاد الطين بلة لاشمئزاز فلوبير الاعتيادي من العالم ، لكن هذا الامر دفع بالكتاب الى الشهرة .

ثم كتب فلوبير « سالامبو » وهي قصة ، مليئة بالوثائق كاختها « مدام بوفاري » تتناول قرطاجنة القديمة ، وهي محتقنة بالتفصيلات الكثيرة الملونة . اما « التربية العاطفية » وهي التي تقص حكاية جيله ، بآماله الثورية ، فالذي يفسدها هو الضغينة التي تكتنفها لا وفرة التفاصيل التي تتناثر هنا وهنا . وبهذا الشأن كتب مرة الى جورج صاند قائلا: «آه كم انا متعب من العامل القذر والبرجوازي الضعيف والفلاح الاحمق ورجل الدين الكريه » ومن هنا فلم يكن قادرا على ان ينشر النعمة الحية التي واكبت ذلك الفجر الثوري . واحسن ما فعله انه رسم صورة للحب الرومانسي دون اللجوء الى السخرية التي كومها على ايما بوفاري لانها عاشت في فردوس شبيه بذلك الفردوس الذي امتاز باحلام المراهقة .

وبعد أن كتب فلوبير « الحكايات الثلاث » شرع في كتابة « بوفار وبيكوشيه » لكنه لم يتمها وذلك بسبب التبرم الذي اخذ بخناقه والاشمئزاز الذي جعله ينفر من عمله الادبي نفسه ، والقصة هي خلاصة السخافة التي تتأتى من المواقف المضحكة التي يدفع بشخوصه السخيفة اليها دفعا.

تستند شهرة فلوبير الى صناعته الكاملة ، وقد نال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بصفته فنانا أكثر مما هو اهل له من الثناء والمديح ، ومع ما في تقنيته من لوذعية تامة، ثمة شيء مفقود في عمله باسره، ذلك انه يفتقد اتساع رؤيا ستندال ، وقدرة بلزاك المبدعة العظيمة ، وعمق فهم دوستويفسكي ، او العطف الهادي الذي منحه تولستوي الى آنا كارينينا ، وهي امراة تشترك في سمات كثيرة مع ايما بوفاري .

ومع فلوبير دخلت القصة الفرنسية في دور الضمور والانحلال . فتلميذه غي دي موباسان (١٨٥٠ — ١٨٩٣) كان شابا ذا موهبة غير محدودة ، كرس نفسه تقريبا لكتابة القصة القصيرة ، وقد نجح في احسن ما كتب في ابداع صفحات قلائل فيها من الواقع الاخاذ ما كان يقتضي لفلوبير قصة كاملة من اجل ان يماثله في حيويته . غير ان موباسان كان من طراز الكتاب ذوي الوزن الخفيف ، يبلغ ارقى مدارج السعادة حين يرسم الشخوص النورمانية بعاطفته الساخرة الحادبة ، وحين يتناول الحوادث الصغيرة التي تلازم قضايا الجنس في اخفاقها وانتصارها ، في هبوطها وارتفاعها . عاش موباسان على قلمه بعد تخليه عن وظيفته ، وهذا ما حدا به الى ان ينتج انتاجا غزيرا . ثم انحطت صحته فاضطر الى الاعتماد على التعابير الميكانيكية الامر الذي جعله يعد من الكتاب الثانويين حتى في يومنا هذا . اما موقفه من الحياة فقد كان موقفا تشاؤميا لانه لم يمنح احدا من شخوصه فضيلة اعلى من طيبة القلب البسيطة . وفضلا عن ذلك فانه لم يقحم نفسه في التعليقات الاجتماعية . اما احسن ما كتبه فهي « بول دي سويف » من الحكايات النورمانية ، وكذلك « بيت مدام تيليه » و « زهرة مدام هسون » والجميع قصص لا يمكن نسيانها لما فيها من طرائف ونكات وسمو ، وبساطة شخوصها الارضية . و « بيل — امي » ربما هي احسن قصصه الست القصيرة ، وهي تتناول حياة صحافي ، يعرفها موباسان احسن المعرفة .

اما الاخوان ادمون (١٨٢٢ — ١٨٩٦) وجول دي غونكور (١٨٣٠ — ١٨٧٠) اللذان كانت قصصهما مليئة بالوثائق كما هي الحال في « سالامبو » فهما اكثر من معاصريهما من الكتاب جدية الا انهما كانا اقل حظا من النجاح . لقد كتبا عن حياة العمال والسرك وتحدثا عن مشارف العالم الفني وجمعا كل التفصيلات ذوات الصلة بموضوعاتهما حتى التعابير العامية السائدة لم تكن لتنجو منهما . ومهما يكن من امر فان شهرتهما لم تبق على الزمن بسبب قصصهما ، بل بسبب تعليقاتهما التي تناولت كل الفنون في عالمهما الخاص تناولا حيا ، فيه عمق واصالة وملاحظات دقيقة بارعة . ولعلهما قاما بدور اعظم مما اصابهما من نصيب من الشهرة في الحقل الادبي ايضا ، ذلك انهما من اوائل القاصين الذين ابدعوا بطلات عصابيات . ولا شك في ان الاسلوب البسيط الذي امتازا به هو الذي اثار ضغينة فلوبير عليهما .

وفي هذه المجموعة من الكتاب الواقعيين يبرز اميل زولا (١٨٤٠ — ١٩٠٢) وهو الذي سار بالنظرية الواقعية من الواقعية المحضة كما كان يبغيها فلوبير وموباسان الى مرحلة الطبيعية التي توصل اليها الاخوان غونكور في قصتهما العمالية « جيرميني — لاسيرتو » وقد عرفهما زولا في مقدمة « تيريز راكين » بكونها تشريحا ادبيا . نظر زولا الى الانسان نظرة فسيولوجية عارية وجعل من نفسه عالما . لكنه ، كان — في الواقع — ميلودراميا كهوغو ، وقد قال ذات مرة : « العمل الفني هو زاوية من زوايا الطبيعة ينظر اليها الناظر على حسب مزاجه » . كانت طبيعته الخاصة ذات حماسة ، غاضبة ، ومبدعة ابداعا عنيفا . ولما كان عصره عصر نظريات وتجارب في موضوع الوراثة ، كتب عشرين قصة عن اعضاء اسرتين متصلتي الرحم ، هما اسرتا روغون ومكار . وقد تصور ، انه بهذا العمل قد ادى خدمة مهمة للعلوم . ومهما يكن من امر ، فالواقع ، انه وصف عالم الامبراطورية الثانية بشيء من الشمول الذي طبقه بلزاك على عالمه مع بعض التحديدات .

ان نظرية المدرسة الطبيعية تقتضي ، او بالحري لا يبررها شيء كاهتمامها بحياة المومسات والسكارى واللصوص . ولذا فسلسلة روغون — مكار ليس فيها الا القليل من جاذبية « الكوميديا الانسانية » او سلسلة الكاتب الاسباني بيريز غالدوس . على اي حال ، تعد «جيرمنال» التي دبجها زولا من الروائع العظيمة التي تشهد على مكانته في عالم الادب الرفيع ، وهي قصة تبحث عن عمال المناجم والمناجم التي يعملون فيها ، وهي اقرب ما تكون الى الملاحم ، في عصر كان والملاحم على طرفي نقيض . فالحياة الصعبة القاسية والاحتمال والصبر واجواء الظلام والعمل الاجماعي والمعاناة الاجماعية ، كل هذه الامور تجعل « جيرمنال » ديوان شعر بدائي ، تلك السمة التي يجدها المرء لدى وتمان الشاعر الامريكي العظيم ، وهذه الجلالة الخشنة نفسها تكتنف قصته L'Assommoir قصة الحانة ، واية حانة !

كان زولا ، شأنه شأن موباسان ، يسير على حافة الحياة الصحفية دائما . غير انه ، على الضد منه ، غمر نفسه في قضايا عصره ودافع بكرم عن الكابتن دريفوس المسجون ظلما وعدوانا ، كما بشر باشتراكية انسانية علمانية .

اما النظريات الخاصة بالمدرسة الطبيعية فقد دفعت باحد الاعضاء الثانويين في هذه الحلقة، وهو ج.ك هويزمان (١٨٤٨ — ١٩٠٧) الى التطرف فيما تورط فيه من انحطاط وتعلق به من المذهب الجمالي والكاثوليكية الرومانسية ، وكل ذلك بسبب من اشمئزازه من الواقع الذي كان تحت انفه . كان هذا الكاتب مخلصا لفنه بعصبية كما كانت الحال مع فلوبير ، وقد طور اسلوبا اشد في التعقيد من اسلوب فلوبير ، ولذا فبحثه عن الجنائن الاصطناعية تجعل قراءته متعبة مملة .

الظمأ والينبوع

مهداة الى الصديق الروائي فاضل السباعي من وحي روايته
« الظما والينبوع »

قـل : غوي ... فلست انكر اني بـين ايديـك قد نشرت جناحـي
يا لسقيـا الجمال : يسكر من شوقي ، ويلقـي الفتـون في اقداحـي !
أي خمر سكبتـــه فشراعي بين ايديـــه ملهـــم ... ووشاحـي !
الظـــلال المفتـان تترع اقداحـي حميـا ... فأيـن ايـن صباحي ؟
الكـــؤوس الشقـراء تفنـج من حولي ... فانسى بين الكؤوس جراحي
لا تلمنـي ... فنشـوة الشعر اقوى من عتاب ... ومـن ملامـة لاح

تلـك دنيـا من رائـع الفـن تدعونـي اليها ... فكيف كبح جماحي ؟!
تلـك دنيا سحريـة الصنع قد عجت ... وماجت بما يثيـر رياحـي
كيـف اطـوي الحنـين وهي تناديني اليهـــا بدفئهـا الممـراح ؟
بـين هذه السطور تعتلـج الاقدار ... تطفي ... بنابهـــا السفـاح
بين هذي السطور تضطرب الاهواء ... تفري ... في الف ساح وساح
بين هـذي السطور ملحمة كبرى ، لعمـري ، مزروعـــة بالاضاحـي
معـرض زاخـر ... تالـق شـلالا ... لسقيـــا الابصار والارواح

قـل غوي ... فلست انكر اني شاعر الحب ... والهوى ... والملاح
كيـف أجفو الجمـال حين يساقيني مشوقـا ... ارق .. اعذب راح ؟
كيـف أعصـي الجمـال حـين يناديني ... وآمر الجمال كل طماحي ؟
يا لتلك العيون تفرع في شوق ... وتبكي مـــن وجـدها الملتسـاح !
يا لغصـن الريحـان يوشك ان يذوي ... ويعيى عن نهلة من قراح !
يا لتلـك النهـود تأكلهـا الشكوى ... وتفنـى فـي لهفة الاجتياح !

قلـت : عف الفتـى وأعرض مثنافا ... وأغضى عـن الشذا الفـواح
قلـت : عف الفتـى ... فيالعفـاف عـن جـلال المـروءة السمـاح !
يـا لـرزء الربيـع يلهـث ظمـأنـا ... وتشـذو دروبه بالاقاحي !
كيـف يشكو الجمـال وهـو امير ... وهو احرى بأن يلم جراحـي ؟

حلب — ممدوح مولود

ولا بد لنا في الختام من ان نذكر الفونس دوديه (١٨٤٠ ـ ١٨٩٧) . اتصل هذا الكاتب بالحلقة الطبيعية من طريق اواصر الصداقة ، غير انه لم يتقبل قط النظريات المتطرفة مع العلم انه كان مقتنعا بفضائل جمع الوثائق . وقد اصدر اول ما اصدر «رسائل طاحونتي» وهي وصف يستند ـ في اصوله ـ الى سناد بروفنسالي ، ثم أستمر في تقديم صور كاريكاتورية لطيفة عن الجنوبيين الثرثاريين في سلسلة «تارتارين» . وعندئذ بلغ النضج في (الطبيعية) في كتابيه « جاك » و « صافو » لكنه خفف من غلوائها بعاطفيته الكسول . عد فلوبير دوديه كاتبا ساحرا كما اثر فيه زولا بعنفوان قوته . لكنهما خابا كلاهما في الاختبار النهائي ، لان احدا منهما لم يهتم اهتماما اصيلا بـ (الجمال) وهذا حكم قد يكون عادلا بحق الحركة الطبيعية باسرها ، ولو ان وجهات النظر الحديثة في تقدير الجمال تختلف عن وجهة نظر فلوبير . لان الجمال اذا كان لا بد له من الاندغام في الرؤيا الصادقة العميقة ، وفي لمحات الفنان التي تنحدر الى الصلات الخفية والجذور الرئيسة ، فان زولا ودوديه ليس وحدهما اللذان سيفشلان في هذا الاختبار بل فلوبير نفسه سيظهر فراغه .

ومع ان الحركة الطبيعية عاشت في فرنسا امدا قصيرا فانها اثرت تأثيرا كبيرا في معظم كتاب اواخر القرن التاسع عشر ومن هؤلاء جورج مور وارنولد بنت وجورج غيسنغ وهاوبتمان وسترندبرغ وحتى تولستوي لم يخلص من هذا التأثير الذي اشتد ساعده لكونه يعكس زاوية من زوايا العالم المظلمة بصورة صريحة واضحة .

بغداد — يوسف عبد المسيح ثروة



ابراهيم عبده الخوري

شاعرية عبدالله غانم

بقلم ابراهيم عبده الخوري

* * *

للقرية اللبنانية نصيب كبير في العطاء الادبي . ولبسكنتا ، الرابضة بدلال على كتف صنين ، نصيب بعدما انبتت رجالات برعوا في انتاجهم الادبي . والشاعر عبد الله غانم واحد من هؤلاء .

هذا الانسان صرف عمره بين اجواءات الادب . كان استاذا للادب العربي طوال خمس واربعين سنة متوالية . وعمل تحت لواء صاحبة الجلالة ، فأصدر جريدة «صنين» يوم كانت هذه البلاد بحاجة الى صحافة كبرى . ثم اسس مجلة شهرية اتخذت طابعا اجتماعيا ، واسماها « الدهر » وقد اشترك في تحرير « صنين » و « الدهر » معظم الاقلام الطليعية عندنا آنذاك ، امثال : الياس ابو شبكة ، ميخائيل نعيمه ، رشيد ايوب ، نعوم لبكي ، نقولا رزق‌الله.

والى جانب عمله الصحفي كان عبد الله غانم يبحث ويراجع في تاريخ البشرية القديم . كان يضع القصص‌ذات المواضيع اللبنانية الصرفة ، والمنطلقات الانسانية الشاملة . كان يعد المقالات النقدية عن واقع الادب المعاصر ، ويعيد النظر في تمثيليات قصيرة . كان يضع قصائد فلسفية وغزلية ووطنية وسياسية ...

صاحب هذه العطاءات استطاع ان يوفق بين الكلمة المنثورة والكلمة الشعرية . مؤلفاته النثرية دلت على سعة اطلاع وعمق بصيرة . وهي :

ـ « كتاب الاجيال » يقع في اجزاء ثلاثة ، وهو دروس في الميتولوجيا وتاريخ الحضارات . وقد طبع منه الجزء الاول فقط .

ـ « شيطان البرج » تمثيلية مطبوعة .

ـ « بعد الخطيئة » مجموعة قصص مطبوعة تتميز باللون الاقليمي .

ـ « جبل النساك » رواية مطبوعة تدور حوادثها في احدى القرى اللبنانية ، وقد تكون بسكنتا بالذات .

وله مجموعة قصص قصيرة بعنوان «راهبة وسمسارة» ، ودراسات نقدية في الادب والادباء بعنوان « الحضارة الادبية » ، ومسرحية اطلق عليها اسم « شيرين » ، ومجموعة تمثيليات ومقطوعات وجدانية ، كما له بحث‌طويل بعنوان « شرح القصيدة المزدوجة في المنطق لابن سينا » . وكل هذه لم تطبع بعد .

اما انتاجه في الحقل الشعري ، فانه على رحابة . له فيه تمثيلية شعرية باللغة العامية ، وهي تحت الطبع ، واسمها « نتيجة الحلم » ، ودواوين اربعة طبع منها واحد فقط وهو « العندليب » .

وضع عبد الله غانم « العندليب » بالعامية . فضم بين دفتيه قصائد فلسفية ووجدانية .. ذاع صيتها تحت الآفاق الشعرية ، ونقلت الى الفرنسية والانكليزية والاسبانية ، واذيع قسم منها من معظم محطات العالم . كما لحن اغلبها ، ولا سيما « دقت على صدري » التي تغنيها فيروز ، وها هي :

دقت على صدري وقالت لي افتحوا
تا شوف قلبي ان كان بعدو مطرحو
وان صح ظني وشفت لو عندك رفاق
بسترجعو وما بعود خليك تلمحو .
وان صح‌ظني وشفت لو عندك رفاق
بسترجعو وبنسى ليالينا العتاق
قلبي ان هجرتك يدبحو مره الفراق
وان ضم عندك ـ كل ساعة بتدبحو

اما الثلاثة الباقية فهي « الرؤى ، ضباب ، فوق الضباب » .

«الرؤى» مجموعة قصائد اجتماعية ووطنية وسياسية، قالها الشاعر في مناسبات مختلفة وتقع في جزأين . وانت تقراها تجد ان صاحبها اتبع فيها النهج الكلاسيكي على تجديد في التركيب ، واضفى على معانيها وصورها تلاوين جذابة .

و « الضباب » مجموعة شعرية في جزأين ايضا . انها عبارة عن قصائد متشعبة المواضيع ، منها الموضوع الاجتماعي والموضوع الغزلي ، ومنها الفكري والفلسفي . وقد تدفقت في جميعها شاعرية عبد الله غانم هدارة كشلال جزين . وزخرت بمضامين جديدة . وجاء اسلوبها سلس المأخذ . اما اللغة فمشرقة على بقاء .

تأخذ مثلا قصيدة « جبل الآلهة » فتطالعها بشوق بالغ . تتعلق ، في النهاية ، بمعانيها الى حد الهيام ان كنت وطنيا مخلصا . و « جبل الآلهة » ما هو الا وطن الارز بالذات ، الذي تغنى الشاعر بقراه المغمورة بالكلأ المائج ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وينابيعه المتدفقة في دوامة من على السفوح الشامخة ، وانهاره التي يحكي بعضها قصص الحب الخالدة على توالي الازمنة ، والذي هتف لانطلاقة الحرف من شطآنه . يقول:

وقرى كالجراح في الكلأ المائج
مغمورة بلون الاماني
وينابيع مرغيات على السفح
ومنهوكة على الشطآن
لذة السمع والعيان وجو
عبقري لريشة الفنان
فوق اكتافه « مشالح » تأريخ
ومن جيده عقود بيان
مسحته الوهة الارض بالحسن
ولفته بالهوى السكران
صبغت نهره دماء أدونيس
فتذكارها من الارجوان
عبقت شيحه بنفحة افروديت
مسفوحة على الغدران

وفي ختام قصيدته يهتف لبلده مرتع الزهى وموطن الجمال في هذا الشرق :

بلدي مرتع الزهى ومراعي
الحب غابي ـ وعرفه بستاني
أيكون الجمال في غير لبنان
شقيق الجمال
في
لبنان ؟

وفي قصيدة وجدانية عنونها « لو » يوجه كلامه الى واحدة كان يطيب له ان يهف اليها وجدا . . ان يدنو ثغره من شفتيها . كان يصبو بلهفة الى لقياها ، فينعما سوية بهوى طالما تاقت اليه نفس بشرية :

فلو تكونين مثلي
مشيئة واعتقادا
وغيبة ومعادا
اما تكونين ؟
كوني !
حتى نغيب كلانا
على ضباب هوانا
كوني
كما يشاء هوانا !

اما « فوق الضباب » فانه يختلف عن سابقيه . انه قصيدة في تسعة اناشيد . كل نشيد مؤلف من عشر رباعيات . وتتميز جميع الاناشيد بالفكر الجديد ، بالفكر الفتح . وهي عبارة عن جولة في الحياة تتسم بطابع فلسفي اخاذ ، وبشمولية ثقافية . وكانت من العوامل الطليعية التي اعدت للشاعر مكانة قوية في دولة المنظوم .

اللغة التي بها جبلت الاناشيد كانت متينة السبك ، وسريعة التناول . والاسلوب الذي ماشاها هيمنت عليه جاذبية .

واسمعه يهاجم في رباعية «المجرمون» المأخوذة من نفس نشيد « الظلمة البيضاء » ، عن ابتعاد النّاس عنه وتنكرهم له بعدما قسى الدهر عليه :

هجرتني مباخر الناس لما نام فالي وفارق الزهر حقلي
فكاني امسيت في الناس غيري وتجرعت غربتي بين اهلي
انا ما خفت من تبدل نفسي فهي نفسي في الصبح او في المغيب
عجبي ان تكون للدهر عين ذات علم وغيرها ذات جهل

واسمعه يهاجم رباعية « المجرمون » المأخوذة من نفس النشيد ، واحدا من اصحاب الثروات كان الشاعر يتفانى في خدمته ، ثم يعمل في بنيان حياة له ترتكز على هناءة وطمأنينة بال . وبدلا من ان يحقق ما تصبو اليه نفسه ، واجهته نكسة اصابته في الصميم ، ذلك ان الثري عمد الى تطويق بنائه وهدمه ، وقد اراد له ان يموت فقيرا . كما انه هاجم في الرباعية ذاتها احد الاقوياء الذي رفض ان يكون للشاعر عمر قائم على قوة :

وخدمت الغني ابذل عيني في رضاه ومرقمي ويديا
فاحب الغني ان اطوي العمر فقيرا ليستمر غنيا
وخدمت القوي اعطيه من ضعفي عزما وبسمة من قطوبي
فاحب القوي ان اطوي العمر ضعيفا ليستمر قويا

وهذه رباعية « الوهة البدء » ، من نشيد «بين الفصول»، يشير في ختامها الى ان الامومة والابوة هما الوهة الارض منذ بدء الخليقة :

وزعي من ثميلة الكوب في دنياك اكواب صبوة وفتوه
وتغني بالامس واسقي الاماني حياة واطعمي الضعف قوه
واحبي فالحب في الارض كرم وخمور في السماء حميا
افكانت الوهة الارض عند البدء الا امومة وابوه

وفي رباعية « جذور الارض »، من نشيد « سرير الختام » النشيد التاسع والاخير من « فوق الضباب » ، نقع على لوحة فنية رائعة لانطفاء شعلة الحياة في الانسان :

دندنت قبة الكنيسة بالحزن فميت وراءه احياء
جزرت موجة الحياة وفي خرطومها دمعة بكتها السماء
ايها الراقدون انتم جذور الارض تفدو وجودها السرمديا
وسرير الختام درب اليه وذنب الصباح هذا المساء

ان كتاب « فوق الضباب » لهو بحق عمارة شعرية كبيرة ، آذ فيه خصبت شاعرية ابن بسكنتا وفاضت . وقد قال ميخائيل نعيمة في مقدمته له :

« فلا ضيق في النفس ، ولا اسفاف بعد تحليق ، ولا انكماش بعد انطلاق . بل هناك اوزان تكر كر الجدول الصافي ، ومعان يأخذ بعضها بعناق بعض ، والوان تنسجم انسجام الزهر في المرجة الخضراء ، وقوافٍ تنزل ـ في الغالب ـ نزول الغلق في القنطرة » .

وقصارى القول ، ان عبد الله غانم شاعر فيلسوف . حفل انتاجه بمواضيع جديدة ، شديدة الطرافة ، وصعبة التأدية في احيان عديدة . ولهذا الانتاج جذور في الكلاسيكية الحديثة على تنويع في الاشكال والانغام . وسوف يبقى في اشراقته ما ظل شعاع دولة المنظوم في سطوع .

ابراهيم عبده الخوري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



خطـوات في الغربـة

مجموعة شعرية ـ بلند الحيدري ـ ٢٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ مطابع الخال اخوان بيـروت

الشعر في الشكل ، رصف يؤدي الى عمارة ، ولكنه ان لم يعبر عن حالة يجيء شلوا يقتصر وجوده على المرور من مهد الى لحد .

الاشياء قلبت مرات ، وجدت بوجوه ، ثم انطوت ، والقول فعـل . الفكرة عمل . بيد أن الذي يتخطى من ذلك معبر الفناء ، أي الزمـان ، قليل . لماذا ؟ لان معه جواز سفر ، جواز السفر هذا لهـب الـذات ، فسمه ـ اذا شئت ـ موهبة ، شهودا ، تجاوزا كل واقع الى عالم اخـر هـو أكمل وأجمـل .

الحالة تطلب الشكل ، الظهور من رحم الذات الى الوجود ، شأن أية رغبة ، أي جبل ، ثقل الارض المحمومة تقذفه ، فيتبرد ، ويشكل وجـوه الارض . الحالة مراحل ، ودرجات . التعبير عنها مراحل ودرجات .

من هنا قال النقاد : الموهبة منوط وجودها بالتجربة . من هنا نتعرف الى الموهبة من حيث أنها تراث ، أي تجربة سابقة ، والى التجربة في أنها معاناة ، اصطدام بالوجود ، فهي لذلك ثقافة ، ومن الثقافة نظرة الى الوجود تشرف ، تتأمل ، تستطيل بالاحلام الواعية ، وهذه وحدها تمـد جسرا بين الواقع المتهم بالعناء ، بالاثم ، بالحرمان ، بالملل ، بالفشاء ، بالتمزق ، وبين المصير الذي ليس موتا ، أو عدما ، بل كمال جليـل ، وصفاء جميل . أما المصير الكوني فهو الرصد الراعب الذي يهول بفول الموت في وجه كل حياة . الفن ، الفلسفة ، الصوفية ، الدين ، وسائـل اربع لتبرير الموت ، لاعلان أن الحياة تستحق ان تعاش ، وان الصمـت أعمق كلام ، اذ هو رحلة في أعماق الذات ، لتقف النفس على حـدود تخومها ، فتعبر الى عالم أوسع وأرحب ، لم نجـد له اسما الا أنه عالم المطلـق .

كل شعر رصف ، ليس شعرا . كل حالة لا تجد الشكل تموت علـى المدخل ، لهذا رأينا ان عناق الاطار والصورة التزام للولادة ، لتجسـد الابداع ، ولهذا أصبح فرض حق ان يدرك الشاعر مقدار الكلمة من حيث هي وسيلته الى الحالة .

الكلمة حروف ... الحروف اصوات ... الاصوات حوادث قديمة ، ولتكن حكايات موجزة ، ولتكن الاصوات رمزا لها .

الكلمة اذن عالم تام ، كائن حي مستقل ، مربوط بعوالم اخرى ، لهـا دلالتها في ذاتها ، ولها في التركيب دلالتان ، كالارض تدور حول ذاتها ، وحول الشمس ، وللشمس عالم اخر يدور ، وكل في فلك يسبحون .

دراسة الشاعر في كتاب الكلمة التي هي الوجود ، الفكر ، الخلق ، تحمله على تصنيفها الى فئات ، كالاحجار المقصوبة ، كالالوان ، كالحركات والانغام . بعض الاحجار يصلح للزاوية ، للقنطرة ، للعمود ، للاسـاس للسطح . بعض الحركات يجيء زاخما ، مهينا ، ذاهلا ، ضاحكا ، بائسا ، واللون منه الحار ، البارد ، القاتم ، الباسم ، القاحل ، المورق . النغمة ، كلمة ، لون ، حركة ، انها ابرع ما يدخل دون جواز الى أعماق الـذات ليفضح كل سر خزنته انسرائر .

في الادب كلمة شعرية ، وكلمة شحفـة لا توحي . في الشعر انمياز على سائر الفنـون لانه يختصرها ، وهي لا تستطيع أن تؤدي مهمته.

*

«بلند الحيدري» شاعر يشهد عصره ، يحضر زحفه بشتى وسائل الفنان المتاهب ، معـه الشاعرية ، موهبة وتجربة ، وهـو لاحالـة كينونته خبير بما للكلمة من قدرة ، وقـدر ، لذلك يمد يده الى معجمها الذي في ذهنه ، يده التي تحركها الحالة ، فيرصفها بوعـي ، فاذا بها تحضر غير متخلية عن الفكـرة ، والعاطفة ، والخيال ، والموسيقى ، وهي عناصر الشاعرية الحقة ، واذا به يوفر لنا الصورة ، والنغمة ، والمنحوتة ، وحركة تملأ المدى .

« بلنـد » فـي « خطـوات الغربة » شاعر ، وقليل هم الشعراء عند مختلف الشعوب ، بيد أن الشاعر الحق هو شاعر يتخطى الشعوب ، والعصور ، الى كل شعب وعصر ، وبلند شاعر يتسلسل الديوان فـي رحلة ، تسلسل خطوات الغريب ، ليتنقل في مدارج ثلاثة : ما بيـن ١٩٤٤ ـ ١٩٤٧ ، ما بين ١٩٤٧ ـ ١٩٥٧ ، ما بين ١٩٥٧ ـ ١٩٦٤ .

تنقلا ينفي به اسطورتي الالتزام ، والفن للفن ، ليقيم حضوره لا فـي عصره ، بل في وجوده ماردا ، تمر العصور على سفحه ، فيرى دخـان « روما » النيروني ، وعناء « سيزيف » الوجودي ، الـى بلاهيـات «زوربا» الاغريقي وعدميات المعري، وشوبنهور ، ازاء النزق النيتشوي ، والتفحـم المتنبوي ، علـى مسحـة من عهر بودليـر ، وحنـان طفلـي من أنسام الناصره مثلما هو على سطوح نفسه ، يجري في زورق الشعاع، والنسيم ، فوق الخضرة ، والنضرة ، كذلك هو في زاوية البيـت ، يذيب الثلج، يمرع الدفء ، صنو ما يعبث على الشاطىء بالاصداف ، يهتز لنداء الاعماق ، فيوغل ليلا في بنات الف ليلة وليلة ، ليتصفح أشرعـة سندباد عند اي عباب ، ثم يصفو ، أو يرسي ليقبع في مهجور كلواذي ، وذات الاكيراح ، وطيرناباذ ، نؤاسي خابية هشت له بتذكـار بغدادي الاطياف ، لا يزال يستر عري المساحب ، مساحب من جر الزقاق علـى الثـرى ...

الكتاب الرحلة ، يقع في مايتي صفحة ، مهر غلافه برسوم تجريدية ، مد بين صفحاته خطواته المغتربة ، بنسق انيق ، مفصح ، حركي . يدور حول الهواجس ، الاحلام ، يرتمض عند الواقع المتهم ، ينطلق في اجـواء الكون بانسان شهد عصره ، ووجوده ، جرحته السياسـة فـي اليد ، والخطوة ، والقلب ، والعين ، ورفعته المرآة الى افق النوع ، مثلما لوثته في مخدع المهر ، طابت له الحياة فرضي لمحات ، قست عليه فسخط ، وسخر ، ثم جلجل وحطم .

كلماته العوالم ثلاث : الصمت ، الدرب ، الغربة .

الصمت : يقول فيه ما لا يقال . انه حديث بلند ساعة يخلو الى ... او تنزرع الخيبة بين عينيه ، وفي مجرى دمه ، ساعـة يمـد له المجتمع تفاهات العبودية ، ميوعات الشخصية ، اهتراء الاصطلاح . عندما تحبـك السياسة أحابيل الشعوذة ، المؤامرة ، المرابحة . فترة تتدحرج القيـم جمجمة منخوبة ، وقوالب مسكوبة ، خطفة ما تبدو له الحياة سرابـا ، يبابا ، دخانا ضبابا ، فيصطدم بالقدر ، صمت ، صمت ، صمت .

« للكلام قيمة الذهب ، للصمت ما هو أغلى وأحب ، ساعة يشتعـل القلب بالبغض أو الحب . »

الكلمات « لابيرسامان » وفي اجوائها تذكار صمت الحيدري . صمت « بلند » قمقم يغلي فيه مارد سليماني .

الدرب : بغداد ، العصر ، الانسان عند كل قدر !

الغربة : هذه الحياة في معلومها ، ومجهولها . هذه النفس لمحة يتآزم فيها الشعور بتبعة الوجود ، برعب العدم . غربة لمسنا خطواتها عنـد

الاغارقة في نكران « جورجياس » في عبث « ارستيب » في معاودة « بروميشيه » وتصوراتها في دنان الحسن بن هانىء ، واجفالة علي بن العباس ، والحسم المعربد عند « الخيام » كما شهدناها في عدميـــة « كفكا » وعصبية « كامو » وكما نستعرض مسرحياتها في وجه كـــل نهـار أو ليـــل .

المرحلة الاولى : يقابلنا « مدفن الظل » بمسحة من الرمز ، بظل مـن السمو واقعية ، بنبض من الرومنطية ، ولكن الاثر الغالب في القصيـدة يدرج في شعاب الواقع ، وكلاسيكية العمود السئم . يغوص في ظلالـه فترة ، ثم يرده الهاجس الى سطوح الرؤية فيبدو تعبا من الحر، والنعاس، والجهد ، ثم يصفق بجناحيه وراء رؤيا هاربة . في القصيدة ذروات ، ساعة يبث نبضـه في الاشياء فترتمض حيوية . وفيها فتور يلتفت بنا الى رصفية القدامى ، وهو في الوجهين يدور في دربه ، وصمته ، وطينه.

عالما شامخ الذرى ،
يتأبـى .
أن يرى نفسه حكايـة طينـه .

يكاد هذا التعبير يشرح الاجواء التي انسحبت فيها اجنحة القصيدة ، « تسمرت في سكينة نفسي » و « أتنزى حيثما شئت ضحكة ملعونة »

معظم قصائد هذه المرحلة ، ترينا امكانية الحيدري في عرام زاخم يغلي ضمن ذاته ، ثم تحط به فترين على صوره رمادية فاترة ، رتيبة ، وقـد ينتفض في بعض الخواتم ماردا يلم ريشه الذي توزع في ميدان المعركة ، أو مخاض الحالة ، ثم يلحق برياحه . اذ يختطفك جناحاه في :

ومات ما كان ، سوى خطوة لـما تـزل تبحث عـن مهرب

من « الطاحونة » « وحول الابد الاسود » الذي يذكر بالشاعر اللبناني المرحوم « أديب مظهر » « وشنج النار » من « سميراميس » « والبهـو حفنة من ذهول » في عروق السكينة الملساء يهبط بك عند تتابع واوات العطف ، الى فقرات لا يستقيم معها أود الحالة من طراز : « دودة الطين في الدم الماسور » « ايقظ الموت في ذرى آشور » تزرع الحس فـي الفراش الغدور » فتحسن ان الشاعر لما يستطع ان يتخلص من رواسب القافية والعمودية ، وبرودة المناخ ، على أنه جاء فتيا في المطلع والختام ، كشهقة انتظار لموافاة موعد ، أو رعشة وصال غب استيفاء متعة .

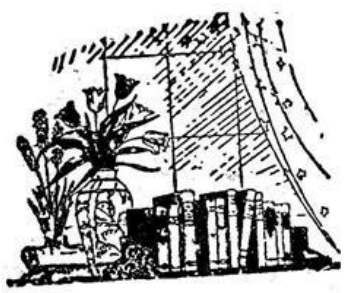
اما « لن اراها » فليت انها لم تندمج في سياق الديوان !

عندما يدرك « بلند » ان الفلسفة ، والصوفية ، لا تقصدان لذاتهما في الشعر يتحدر بانطلاق الجدول ، وينساب رف اجنحة السنونو ، وساعة يداور ليزرع اشجاءهما يبدو العجز ، ويطفر السأم ، في مثل « همـس الطريق » « ويا طفلتي » « في الارض » ولكن ذلك الدرب الهامس ان فوت علينا المتعة ، ففي « الباب المهجور » شحنات نابضة بالحياة والفن ، مجدولة الرونق بالياف الذكرى ، تواكبها « الى اين » .

سوى أن قصيدة « الكوخ الوردي » تبقى سامقة تدل على أخواتهـا بالظل ، واللون ، والثمر . فيها سياق معزوفة من نشوة الالهة ، وسقسقة من جداول تستلين على مروج الفردوس . واحساس بالاشياء تافههـا ، وعظيمها ، يرفع الشاعر الى رتبة المريد في شعر العرب .

وصل « شلي » الى قمة الابداع في « القبرة » وابن الرومي الى ذروة التنفس في وجوه الاشياء المبعثرة في حديثه عن « الشكير » وهو العشب ينمو على جنبات الطريق ، وسما « بلند » بالحديث عن « الشيئين » سموهما ، فجاء بتعبير مدهش عن التفاهة العظيمة .

المرحلة الثانية : عمر القصائد السابقة من المرحلة الاولى ثلاث سنوات، اما هذه المرحلة فعمر قصائدها عشر . لم يتبدل فيها الموضوع عـن : الطريق ، السكوت ، الزمان ، انما تبدلت افاق التجربة الشعريـة عنـد « بلند » فنحن معه ازاء مناخ جديد ، تهب فيه نسائم العصر ، وأشعـة تنطلق من ظروفه . يقفز شاعرها بها الى مطلع القلة من شعراء العربية المعاصرين ، مسجلا مع رفيقيه البياتي ، والسياب رحمـه الله واطال بعمرهما ، التماعات البيارق الرائدة ، القائدة في شعرنا العربي ، فكانوا



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العـادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

•

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد أدنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد أدنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابهـا سواء نشرت ام لـم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819 — المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البـير أديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مع القلة من اللبنانيين باعثي طماح ،وراسمي افاق ومواكبي مشارف العصر.

أنوه بقصائد : « عقم » « اعماق » أدهش « بساعي البريد » هذا القصر المشمخر الذي لم يترك لطيور الدين والفلسفة ان تحط بالبق من حطها على شرفاته دون أن تخدش للفن حرمة ، أو تثير في بال صفائه نأمه . اعجب ب «غدا نعود» حيث يلعب فيها بلند بالزمان لعبة البراثن بالفرخ، فترى وهج آماله ووثوقها ، وطفولتها ، ساعة لها بالزمان معري ، فكان يشير باصابع معروفة لا لحم عليها .

بلند يكفن الميت بحرير ، ويضع في كفي « سيزيفه » قفازين من مخمل ، ويفتح على « سد » المسعدي كوى يلعب فيها الهواء ، فتعذوذب له صفحات الماء . من هذا النسق العالي « وحدتي » « صورة » « يا صديقي » « الخطوة الضائعة » . يتهافت ، ويفتر في بعض قصائد هذه المرحلة ، عندما يتراخى عن عقد الخناصر بين المعطى الفكري ، والشحنة الشعرية ، فتنشز قافية ، أو يتراتب وزن ، فتجتر نثرية طفيلية غربتها عن جوه .

المرحلة الثالثة : تلك التي يباشر فيها الحيدري ظروف وجوده ، تمتد في مدى سبع سنوات ، فهي أخطر مراحل حياة الشاعر من الوجهة الادبية ، ومعاناة شؤون الوجود . فيها مرت ببغداد شؤون وشجون ، وكان « لبلند » اعتساف قضية ، بعضها مرتبط بالعراق كلها ، وبلاد العرب والشرق الاوسط ، وبعضها منوط بقضية تخص الشاعر ، ومنها ما يلامس مشاكل العصر ، وتطور المبادىء الانسانية ، ومثلها في اطار اشتراكية ، وجودية ، رأسمالية ، شعوبية ، قومية ، شرقية او غربية ، لم يكن بلند خارج الهيكل ، او على هامش الحوادث ، بل اصابه منها نصيب كبير ، فطفا ، وانغمر ، ورضي وسخط ، وهو اليوم وان كان بين أهل بأهل وجيران بجيران ، الا انه في شبه غربة ، وعلى شراع وحشة . بلند هنا في حضور الشاهد الذي لم تطرف له عين ، بل هو ينام باحدى مقلتيه ويتقي ... يقابلك في هذه المحطة « بخبر عتيق عن عشرين الف قتيل » مستخدما اللمسات الخفية ليفصح عن فاجعة عظمى ، تزرع بقلم « بلند » في النصف الثاني من القرن العشرين كلمات شجرا كانها رؤوس الشياطين ، أو زعازع هولاكية ، يجفل من هولها الزمان .

من روائع هذه المرحلة « اريد ان » « الى ولدي » « في الاربعين » « الى مدينتي » . في بعض هذه العمارات يستلين سقفه فلا يساوي اساسه ، تقل الخاتمة عن المطلع ، تمتد بعض الفجوات النثرية ، ولكنها لا تكاد تبين ، فالحيدري في هذا القسم اطل على مستوى طموحه ، وعقد عناقا بين مسافتيه ، واقعه وحلمه ، ذلك هو كما اراد ان يكون ، فتلقى صولجان الشاعرية بيد رائد مريد .

اذا كانت السمفونية تنقلك الى عالمها ، منسابا على أمواج وشاحها المطوف ، ثم تعود بك الى عالمك الارضي فلا تفيق من غيبوبة مع طيوف السماء الا بعد فترة ، ولا يضيع من شميمك عطر الفراديس البعيدة ، الا بعد ان يكر ليل ، ويمتد نهار ، وتتلمس ريشك فاذا على كل جناح الف لون فتغتبط بالذكرى ، وتبقى لك زادا مهما تمادى العمر .

اذا كانت هذه خواتم السمفونيات ، فليست الموسيقى بعيدة عن افاق الشعر ، فأعظم الفن هو ما نقلك الى عالمه ، ثم حطك على ترابك ، ولكنك لا تعود من رحلته الا بعد حلم ، ويقظة، بعد تذكر ثم نسيان ، ثم تذكر أبدا.

وقصيدة بلند الاخيرة التي سمى باسمها الديوان ، والتي هي عصارة روحه ، واصداء أعماقه :

« خطوات في الغربة » تقابل الخفقة الاخيرة من السمفونية ، ساعة يهدل القائد جناح يديه ، ليؤذن بعودة الشراع من رحلته والاهداب من حلمها ، وليفتح للاذان هدير الشاطىء بأمواجه المتسفة .

« خطوات في الغربة » رائعة الديوان ، ومن نوادر الشعر الذي يتخطى العصر ، والبيئة ، والجنس .

ربما وجد المطل على مشارف «بلند» الملاحق خطواته في غربته ، وهنا في تذويب المعطى الصوفي والفلسفي في مجرى انسجاباته الشعرية ، فانخفض جناحه عن « خليل حاوي » ، وربما قصر نفسه عن سلسلة الايماءات الجارحة ، في حلبة صراع قومي ، فلم يجدول من الشفار ، والحراب موجا « كادونيس » أو يرفع مشكلة الان الى محكمة الزمان ، وقد تجده متوقفا عند هندمة الشكل اكثر من البياتي ، او تفتقد في شعره محلية طفحت بها قصائد صاحب « جيكور » .

القضية العربية ، الكردية ، الاشتراكية ، الرجعية ، قضايانا . بلند يحيا في غمرة آتونها ، وهمرة شظاياها ، لها نصيب جانبي من حضوره ، وكان حقها اكثر من نظر شزر . في العراق ريف ، وأزقة الف ليلة وليلة، وتاريخ هارون الرشيد ، تاريخ العالم انذاك في مدينته الاولى كما يقول « بروكلمن » ، مدينة السحابة التي تلتزم بخراج الرشيد ، مدينة السندباد ، وابن عبيد ، والموصلي ، والنؤاسي والنظام . فيها ظمياء ، وليلى المريضة ، عند الرصافة والجسر ، فاين « برومیثية » « بلند » تلك التي تطال السماء ، بالتركز على الارض ؟

في العراق ، ان أمسك « السياب » بزمام ريفه ، يخضل صوره على افاق الناس ، والبياتي بقضايا وطنه ، وانسان عصره يدندن بها مع كل ريح ، فان « بلندنا » سيبقى على جانبيته ، شاعر المخدع ، والجراح ، واللفتات النادرة ، عند جلجلته ، وفي أغوار صمته البعيد ، وحسبه ان تلوى في دربه المتعرج بين السفوح والذرى ، انه يعلن ميلاد طريق « رحب » بعيد .

وحسبي ، ان لم الح على مقاييس « أبي هلال » « وعبد القاهر » انني لمست في هذا المعرض ومضات من « أبي حيان » « والجاحظ » . وان لم اتشبث بمذهبيات « تين » « وسنت بوف » « وبرونتيير » انني ملت الى طلة « جول لمتر » وتفويق « مكليش » وتنسيق « لاسل آبر كرومبي » فبلند يستحق ان نروي عند نتاجه ، وأن نستلهم لتقدير عطائه، فلريشه جناح لم يكل عن مطارحة الغيوم ، والانسحاب على رفرف النجوم. وهاد ، ذرى ، نسائم أعاصير ، مباهج فواجع . تلك هي الحياة ، ولجناحي الفنان أن يحطا كيف شاء ، ومتى أراد ، وأين اختار ، فلانطلاقه بحار الملهمين وأجواء مراتعهم ، وحدهم لهم أن يكتشفوا المعابر الجديدة ، الى الغاية التي تحتضن الاشياء بين ذراعي المطلق .

علي شلق

•

أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الاميركية

تأليف جورج صيدح ـ طبعة ثالثة ـ ٦١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار العلم للملايين بيروت ـ (المطبعة ؟)

يلمس الدارس لادب المهاجر ، تواضع الشاعر الاديب الاستاذ جورج صيدح في هذا الكتاب الضخم ، الذي زادت صفحاته على الستمائة ، قطعا كبيرا ، وهو يقدمه الى ادباء العربية والباحثين في اركان الدنيا ، فيقول في معهد الدراسات العربية :

« أتمنى لو كنت الان مستمعا بين المستمعين ، أصغي الى احد كبار المحاضرين الذين ألقوا هذا المنبر ، فأرتوي بأدبه واستنير بعلمه ، فانا ما عدت من المهجر لاعلم بل لاتعلم . ان من غادر وطنه العربي في مطلع الصبا ، وقضى عمره في اوساط أعجمية اللسان ، وفي أعمال لا تمت الى الادب بصلة ، يشعر متى عاد الى داره بالمدى البعيد الذي يفصله عن قافلة الادب الحديث ، وبالحاجة الى مراجعة الكتب المدرسية لاستنباط القواعد والشواهد التي ركدت في ذاكرته على مر الزمن » .

والكتاب ، كما يقول صاحبه ، دراسة واقعية ، يشد من ازرها التاريخ في الاحصاء والتسجيل والاستنتاج والشواهد . وهو تاريخ للهجرة مع بواعثها وتياراتها وخط الادباء منها ، والجو الذي نشا فيه الادب المهجري، وتعريف لادب المهجر في نشأته ومراحل نموه ، وأثره في الادب العربي

العام ، والاداب العالمية : خصائصه ورسالته ونواحي نشاطه ، وطعون خصومه فيه ، ثم دراسة السير والاثار ، لكل أديب : يقيم في شمال اميركا أو جنوبها ، غير دراسة الادباء المغمورين المتفرقين في مختلف الجمهوريات الامريكية . ثم وضع الشاعر الامانة في مقدمة الاعتبارات في كل ما خطه قلمه في هذا الكتاب .

ولقد قسم الشاعر الاديب : جورج صيدح كتابه هذا الى عدة فصول ، ووقف عند كل فصل يسوق الادلة ، ويورد الشعر ، ويعنى بالاستطراد المستملح ، ويتفرد بالتاريخ الاصيل .

ففي الفصل الاول : تناول الباحث ، هجرة الادباء في التاريخ القديم ، وذكر اول شاعر عربي دعا الى الهجرة ، والدوافع اليها ، ووضع المهاجرين في جل المهاجر : سواء منهم من أفاد او استفاد ، وخسارة البلد المهاجر منه ، وان كانت هذه الهجرة ضرورة لا مهرب منها في ظروف خاصة ، ثم اصبحت مغامرة لا مبرر لها عندما تغيرت الظروف !!

على أن الاستاذ صيدح ، اراد لكتابه الا يكون كتاب ادب وحسب ، فوضع قلمه في عداد المؤرخين ، وتناول القوافل التي بدأت تزحف الى المهاجر ، وحقق رواية الاستاذ فيليب حتي ، ونفى ان تكون رحلة ـ القس الموصلي : الياس بن حنا الى اميركا ، هي أول هجرة ، بل كان المهاجر الاول هو : انطون البشعلاني اللبناني ، ثم تبعه افراد من سكان سوريا ولبنان بعد الحادثة المعروفة بحادثة سنة الستين .

ثم ذكر مراحل الهجرة وبواعثها وادب المهاجرين ، واثر هذا الادب وكتبه ومحاوراته والنهضة الادبية الحديثة ، وخصائص الادب المهجري ، ورسالته ، الانسانية والقومية والاجتماعية واللغوية ، ورسالته العربية المحلية ، والتأثر والتأثير ، وسر التفوق ، ومناحي هذا الادب ، وما قيل منه في المناسبات ، والحفلات ، وشواهد ذلك ، ثم اسهام الادب المهجري، في الاستجابة ، وتجاوبه مع الادب والحياة ، والعيوب التي اتسم بها ادب المهجر في الحفلات ومآخذ النقاد على هذا الادب ، ثم اورد اراء الادباء : مؤيدين وناقدين ..

وعقد الشاعر فصلا خاصا عن الادباء في الولايات المتحدة الاميركية ، أحصى فيه النابهين من ادباء المهاجر ، ووازن بينهم وبين غيرهم من اولئك الادباء في سائر الجوالي ، وأثر كل منهم في مناحي الادب المهجري، والرابطة التي جمعت بينهم ، وآرخ لكل على حدة ، والدور الذي لعبه في دنيا الاغتراب ، ثم تناول هؤلاء الادباء في البرازيل ، وما خلفوه وراءهم من تركة ، وما تركوا للاجيال من تراث ، غير أولئك النفر ممن حملوا مشعل الادب ، وجابوا الاقطار ، وان كان لم يكتب لهم النجاح الذي كتب لغيرهم في العلم والادب والشهرة وبعد الصيت .

والواقع ان الباحث الاديب صيدح ، لم يفته ، أن يؤرخ لادب المهجر في الارجنتين ، ويذكر الادباء الذين توافدوا على هذه الارض ، والغرض الذي نزحوا من اجله ، ويضرب الامثلة على هذه الهجرة النابضة النافعة ، ويتناول الصحافة العربية في تلك البلاد ، ويعرف بالادباء في المكسيك وفنزويلا والاكوادور وشيلي والجمهوريات الاخرى ، ثم يختتم هذا البحث القيم بالامسية التي قضاها في معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة، غير المناظرة التي أقيمت في الجامعة الاميركية وكان موضوعها : « أثر المهجر في الشعر العربي » ثم ذلك الثبت الذي سجله الاستاذ صيدح في امانة حول ما دار حول محاضرته من معارضة وتأييد ، وتعليق الاستاذين نظير زيتون ، والياس قنصل ، والاراء التي قيلت في هذا الكتاب .

والذي يستحق الوقوف عنده في هذا السفر الجليل تلك الزوبعة التي قامت حوله ابان صدوره ، واستقدام صاحبه للمحاضرة ، ووقفة الاستاذ عزيز اباظه من جهاد الرجل ومكانته ، والظن في أدب المهاجر الذي اثبت وجوده ، وأصبح لا يستغنى عنه : شاء الشاعر عزيز اباظه ام لم يشأ ..!!

كتاب الاجيال الحديثة في عصرنا المتفجر

الثورة

عناصرها ـ تحليلها ـ نتائجها

تأليف : كرين برنتون

تعريب زياد عناب وشجاع الاسد

اعمق دراسة عن طبيعة الثورة وتركيبها ، واوفى مرجع عن الثورات الكبرى التي غيرت وجه العصور الحديثة

كتاب لا بد منه لكل قارىء ، سواء أكان من انصار الثورات او من خصومها .

من فصول الكتاب : الطبقات والعداء الطبقي ، الارتجال او التخطيط ، نماذج الثوار ، مشكلة المعتدلين ، المتطرفون والسلطة ، الانقلاب العسكري ، جهاز الديكتاتورية ، الارهاب والبعد عن الثورة ، روسيا هل هي ثورة مستمرة ، التغييرات في الانظمة والافكار ، خلاصة لعمل الثورات .

الثمن ٦٥٠ ق.ل.

الانسان الحديث

دراسة في مزاجه وقضاياه

تأليف جوزيف وودكرتش ، ترجمة بكر عباس

للانسان الحديث مزاج خاص ومشكلات خاصة ، وهذا الكتاب الذي اثار ضجة كبرى حين صدوره في الولايات المتحدة وترجمته الى اللغات الاوروبية يلقي اضواء كاشفة على طبيعة هذا الانسان ، والقيم التي ينزع اليها ، والازمات التي يعانيها ، والصدام العنيف بين مثله وواقعه .

كتاب لا بد منه لفهم روح العصر وانسان هذا العصر الحديث !

الثمن ٣٠٠ ق.ل.

دار الكاتب العربي

للتأليف والترجمة والنشر

بيروت ـ بناية عمر الخيام ـ ص.ب ٣١٥٧

هاتف ٢٩١١١٨ ـ ٢٤٠٥٠٦ ـ ٢٤٠٥٠٧

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اذ لعل خير رد على تعصب الشاعر التمثيلي قول ايليا ابو ماضي : « ان اخواننا في مصر الناهضين علينا بلا وزر ، قد بهرهم ان تبنى فئة قليلة من الادباء العرب في العالم الجديد ، دولة رفيعة للضاد ، لم يقم مثلها في التاريخ . ولعل اكثر ما ازعجهم واقلقهم تهافت الشباب على الطعام الروحي الجديد الهابط عليهم من سماء المهجر ، فراحوا يستحدثون له العيوب ، تنفيرا للارواح العطشى عن هذا المنهل العذب » .

واغنى من هذا الرد قول الشاعر : جورج صيدح نفسه :

يا وارد النيل لا تنزل بساحلـه ... ان كنت تخشى زحام المورد العذب
كنانة الجود ان ضاقت فنادقها ... نزلت من صدر اهليها على الرحب
لا يسألون عن الاحساب ضيفهم ... ما دامت الضاد تنميه الى العرب
ان العروبة جذع لا تزعزعـه ... عوارض الدفع في الاغصان والجذب
تباين السحب في لون ومتجـه ... يـزول عند احتياج الارض للسحب
يممتكم وصـدور الريـح واغـرة ... اجتاحها ونجوم الظهـر فـي دربي
حتى وقفت على أعواد منبركم ... كأنـه منبـر أصحابه صحبـي
ولست أول صـب غـره قمـر ... ومـا درى القمـر الغرار بالصب
ما كنت اجهل مـن اثاركم أدبـا ... يطـوي المهاجر من قطب الى قطب
لكـن من زاركم ادرى بما جمعت ... سمـاء مصر من الاقمـار والشهب
دنيا من العلم والاعـلام مقبلـة ... ودولـة من شبا الاقلام والقضب
نذرت حبـي لاهل الشام قبلكمو ... لما عرفتكمو اشركت في الحب ..

ان من يشعر بهذا الشعور الجميل ، ويقرض هذا الشعر الرفيع ، لا يجـوز أن نتخاصم واياه على غير قضية ، أو نرميه بما ليس فيه ، ويكفي ان ينشأ أدب عربي في تلك المهاجر الاعجمية ، ويدخل تلك البيئـات الاعجمية ، ويكفي هؤلاء النفر فخرا ، ان يرعوا هذا الادب ، ويعملوا على النهوض بـه والوقوف بجانبه ، ويمشوا به في كل مكان . اما ان نقف منه موقف الغيرة ، فهذا ما لا يحمد من أدباء القوة الذين يحاولون الهدم، ولا يهمهم ان تقام لبنة في أي مكان في صرح الادب العربي الذي علـى مجده يعيشون ، ومن التحلق حول ركبه يبرزون .

يكفي الاستاذ الشاعر جورج صيدح ، ان كتابه تغلغل في كل نفس ، ودخل كل قلب ، وامتزج بعقل كل اديب بما يضم من ادب عال ، ولفظ مصقول وتحقيق امين ، وحبكة فنية لا يعتورها الخلل ، او ينفذ الـى مساربها العناكب .. فالواقع الذي لا جدال فيه ، ان الاستاذ صيدح :

« لم يلق الكلام على عواهنه في هذا الكتاب ، ولم يصدر آراءه اعتمادا على ذوقه الخاص ، او على مزاجه المحدد .

كل شاعر من شعراء المهجر وصفه بانه مبدع، اثبت له ما يؤكد ابداعه.

كل صفـة من صفـات العبقرية عرضها لاديب مهجري ، الحقهـا بالبيان الذي يؤيدها .

بل هو قد غالى في مواضع بالادلة . حتى كدنا ان نرى من خلالهـا تقديره بالحدس ، ان بعض النفوس لا تنقاد الى الحق ، الا اذا جرعتها كأس الاقناع الى الثمالة .

ان في هذا الادب الذي اتسع له ، ان يطعم جانبا كبيرا من الادب العربي بالروح العصرية ، نورا يؤذي رمد الذين استبهر جهلهم .

هذا ادبنا ـ معروض جانب منه في هذا الكتـاب ، فعودوا اليه ، وطالعوه بامعان ، وانكروا حسناته ان كنتم قادرين .

الا ترون في صفحات الكتاب ، جمال اسلوب ، وبراعة تحليل ، وصدق استنتـاج ؟ » .

والحق ، ان جورج صيدح بكتابه هذا ، قـد أثرى المكتبة العربية ، وجعلها في غنى عن ان تضم كتبا اخرى في الموضوع ذاته ، او البحـث عينه ، ولو كره الذين يعيشون عالة على غيرهم بادبهم واسمهم وحياتهم، ويؤذي نفوسهم ان يكون لغيرهم هذا الانتاج الضخم الـذي تتيه به العربية وتفخر .. وحبذا لو كان في العمر بقية ، ويخرج لنا شاعرنـا واديبنا : جورج صيدح ، ابحاثا ممتعة ، وتحليلات اكبر لهذا الادب الذي نحن في حاجة الى التزود منه ، ودراسته على الطريقـة الصيدحيـة الواعيـة ...

القاهرة — ابو طالب زيـان

•

كتـاب الانس

تاليف سمير شيخاني ـ ٦٢٢ صفحة ـ حجـم كبير ـ منشورات دار السمير للطباعة والنشر ببيروت ـ مطابع جوزف سليم صيقلي ببيروت

يطيب للمرء وهو يقطع صحراء عمره الطويل ان يرمي عصا الترحال عند واحد يبردعينيه بوضاح رقراقها ويروي ظمأ الضلوع بالبليل من مائها. وما واحة العمر الا طرائف تلتهب لسماعها العينان ضحكا فننسى ما كان من عناء المسير ومن رتابة الدرب الطويل ومخاوفه ومسؤولياته وفي كتـاب الانس طرائف من هذا النوع تبعث في النفس مرحا يصير لنا الدنيـا حلـوة باسمـة ..

يفعل رقيق الحسن في النفس ما تفعله النادرة . وفي كتـاب الانس الوان من هذا الجمال ... قصائد تحكي سمات المحاسن واخبار العشاق المتيمين فتروي لنا ما كان من شأن علي بن الجهم غاديا رائحا بين الرصافة والجسر ونحكي ما جرى لعمر بن ابي ربيعة ليلة نعم بوصال نعم فـي ليلة ذي دوران ...

هذه بهجة الحياة : ابتسامة تثيرها نادرة ولغز يلهو به خلد ولوحة تخط سمات الحسن ، وهذه الالوان الثلاثة ضمنها سمير شيخـاني كتاب الانس .

بين ضفتي هذا الكتاب الف نادرة ونادرة ، قالها رجل مضى عهـده وانقضى ، واثارها اخر ما زال يعيش بيننا ، صاحب هذه الطرفة قريـب نعرفه وصاحب تلك من بلد غريب بعيد ، الا اننا نضحك على قرار كل نادرة دون ان نفرق بين الطرفة التي شط مداها والنادرة التي عاشهـا يومنا ، ولا نشعر بحدود تفرق بين الانسان واخيه ... ونراه يلتقـي معه على بعد المدى عند رجفة حرف ضاحك ، عند بسمة رقراقة تعيد الحيـاة اليه ..

هل تعلم يا صاحبي ان الجاحظ مات منذ الف ومئة سنة ؟ هـل تستطيع ان تتصور هذا الزمان الطويل ذكريات طفولتنـا لا تزيد على العشرين وهي اذا ما بدت للعين تراءت بعيدة سحيقة ، اما ابو عثمان فما زالت نوادره دافئة ضاحكة في كتب الادب والنوادر وما كتاب الانس الا واحد من تلك الكتب التي احيت الماضي وسخرت بالزمان يوم جعلـت رفيف الحرف سفيرا يحمل نشوة الاجداد الى مرابع الابناء .

ويلتقي القديم بالحديث في كتاب الانس وتبدو النادرة محورا رائعا يدور ويدور كاراجيح ايام الموالد ، فرسان تلك الاراجيح ابو عثمـان وتشرشل وتليران وابو دلالة وبوب هوب .. اليس رائعا ان تجمع ارجوحة واحدة نماذج من الناس باعد بينهم الزمان وجمعهم هذا المحور السحري الضاحك الذي يدور فتدور معه العيون وتصدح لمعانيه الحناجر بالف (فاه وفاه) ، وانا لنشتهي ان تلتقي شعوب الدنيا على مسير واحـد التقاءها ، والنادرة في كتاب الانس لا تقتصر على فئة من الناس فهذا الحبر الاعظم يوحنا الثالث والعشرون صاحب طرفة من الطراز الاول ، فقد طرق سمعه ذات يوم في بعض شوارع روما هذا القول رددته احدى النساء لرفيقتها : رباه ! ما اضخم جثة هذا البابا ! فالتفت اليها خليفة بطرس الرسول قائلا : ولكنك تعرفين يا سيدتي ان مجمع الكرادلة ليس

مباراة للجمـال .

ويروي لنا سمير شيخاني من هذه النوادر ما نملا به السلال يوم نفدو الى مجالس الاخوان نتحفهم بما يبعث في نفوسهم ما طاب من المباهج الحـلال .

فالاحبار الاتقياء والسياسيون الكبار والفنانون والادباء كلهم يعيشون النادرة وعلى هذا الحد يلتقي الانسان باخيه ، الصغير بالكبير ، الذين ودعوا بالذين ينتظرون المصير .

وليست الفكاهة اللون الوحيد في كتاب الانس ، ان فيه لالغازا يلهو بها الخاطر ، الغازا شغلت اجدادنا يوم نظموا فيها مئات الاشعار ، فهذا شاعر من الشعراء في مجلس من مجالس الانس يتيه بلغز نظمه ويسأل الاخوان عن المعنى الخفي الذي استتر وراء هذه الحروف :

اخـرس ينبيك باطراقـة ... عـن كل ما شئت من الامر
يذري على قرطاسـه دمعـة ... يبدي بها السر وما يـدري
يرى اسيرا في دواة وقـد ... اطلـق اقواما من الاسـر
اخرق لو لم نبره لـم يكن ... يرشـق اقوامـا ولـم يبر
كالبحر اذ يجري وكالليل اذ ... يغشى وكالصـارم اذ يفري

واني لاتخيل القراء وهم يبحثون عن هذا الاخرس الناطق عن : هـذا الاسير يطلق الانام من اسرهم وهو في سجن الدواة ... عـن البحـر الذي يجري .. عن الليل الذي يغشى .

ويطيب للمرء الذي يضحك ويلهو ان يعلم سر غده ، في كتاب الانس من اسرار الغيب الشيء الكثير ، تنبينا به بروج السماء ! هذا الفتى من برج الحمل فليستمع الى مصيره الذي سطره النجم ونقله العراف ، وعلى صاحب البرج ان يصدق او لا يصدق ومصيره على اي حال نافذة يقوده اليها المنجمون يطلون منها على الافق المجهول ليرضى صاحب البرج بوهم الحقيقة بعد ان عجز عن معرفة كنه الغيب .

جميلة هي الحياة يوم تكون طلة باسمة على الافق المجهول يقودنا اليه المنجمون وجميلة هي الحياة يوم تملي العين آثار المحاسن وفي كتـاب الانس صور للجمال وقصص للمغامرات في قصائد شهيرة حلوة قالها عمر يوم عاش تجربة ليلة ذي دوران مع محبوبته الحلوة (نعم) وقالها ابن زيدون يوم قارن بين الامس واليوم وراح يقول :

اضحى التنائي بديلا مـن تدانينا ... ونـاب عن طيـب لقيانا تجـافينـا

يطيب للقلب ان يسرح في مدى هذه المشاعر ليرى عمر وابن زيدون وابن زريق وابن الجهم ، الاول يحكي لنا نعيم الوصال الحق والاخيـر يروي لنا ما كان من ذلك الغدو والرواح بين الرصافة والجسر ليذكرنا بغدو الفتيان ورواحهم عند المساء في وقتنا الحاضر بين بوابة الصالحية وجسر فكتوريا في دمشق .

وهم يرشفون بالرمش ما عجزت عنه الانامل ويرددون مقاطع حـرى لشاعر عاش تجربة التصابي منذ اكثر من الف سنة :

عيون المها بين الرصافة والجسر ... جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

وهذا ابو الحسن الحصري الضرير يناجي الليل الطويل ويقول :

يا ليل الصب متى غده ... اقيـام الساعـة موعـده

واني لارى على صفحات كتاب الانس لسان الدين بن الخطيب وهو يمد يد الرجاء الى الساقي يستجديه .. اسقني يا حامل الكاس بشراب فقد جفت الشفاه من لثم تلك الخدود .

حياة هو كتاب الانس يوم تكون طرفة تلهم الناظرين ، ولغزاً يسرح على شطه الوجدان ، وحسنا تتملى العين معناه ، فترضى .

دمشق — سيمون حمصي

مدرس الادب العربي في المدارس الثانوية



● خطوات في الغربة ـ مجموعة شعرية ـ بلند الحيدري ـ ٢٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ مطابع الخال اخوان ببيروت .

● واحدة تكفي ـ مجموعة قصص ـ مصطفى ابو النصر ـ ١١٢ صفحة ـ المؤسسة المصرية العامة للتاليف والانباء والنشر الدار المصرية للتاليف والترجمة ـ دار الثقافة العربية للطباعة (؟) .

● فارس الخوري وايام لا تنسى ـ تاليف محمد الفرحاني ـ تقديم حسن الحكيم رئيس الحكومة السورية الاسبق ـ ٥٢٨ صفحة ـ مصور ـ حجم كبير ـ مطابع دار الغد ببيروت .

● لكل حب قصة ـ مجموعة شعرية ـ شوقي بغدادي ـ لوحة الغلاف بريشة فاتح المدرس ـ الخطوط لمحمد قنوع ـ ١٧٦ صفحة ـ مطبعة الاعتدال بدمشق .

● مذهب الدروز والتوحيد ـ تاليف عبد الله النجار سفير لبنان ، مدير معارف جبل الدروز سابقا ـ ١٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار المعارف بمصر ـ مطابع دار المعارف بمصر القاهرة .

● الفروسية في الشعر الشعبي السوداني ـ تاليف سليمان خالـد عبد المحمود ـ ١٠٤ صفحة ـ مصور ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● في البدء كان الصمت ـ قصيدة سمفونية ذات ثلاث حركات ـ علي الجندي ـ ٨٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المؤسسة الوطنيـة للطباعة والنشر ببيروت ـ مطبعة النجوى ببيروت .

● ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي ١٢٣٣/١٢٩٠ ـ عني بجمعـه وشرحه وترجمة اعلامه وسرد الحوادث التاريخية المذكورة فيه محمد علي اليعقوبي عميد جمعية الرابطة الادبية في النجف الاشرف ـ ١٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة النجف بالنجف الاشرف .

● محاضرات حاملي جائزة نوبل في الطب ، في المؤتمر المنعقد فـي ليندا و عام ١٩٦٣ ـ ترجمها عن الالمانية مع تاريخ حياة المحـاضرين والتعليقات الدكتور محمد يحيى الهاشمي رئيس جمعية الابحاث العلمية في حلب ـ ٨٠ صفحة ـ طبع في حلب (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الارمن يتذكرون ١٩١٥ الذكرى الخمسون للمجزرة ـ ٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتب المعلومات الارمني ببيروت ـ (لم يذكـر اسـم المطبعـة) .

● النار والكلمات ـ مجموعة شعرية ـ عبد الوهاب البياتي ـ تقديـم ناظم حكمت ـ ١٩٢ صفحة ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● جمهورية افلاطون ـ نقلها الى العربية حنا خباز ـ تقديم فـؤاد صروف ـ ٤٠٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة ـ تاليـف امين سعيد ـ ٢١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ مطابع دار الغد (؟)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اللغة والمسرح

بقلم الدكتور محمد ابو الفرج

مدرس العلوم اللغوية بجامعة الاسكندرية

المندوب حاليا للتدريس بجامعة بيروت العربية

* * *

وضح الاستاذ توفيق الحكيم في المقدمة التي كتبها لمسرحيته الورطة (الاهرام بتاريخ ١٩\٣\٦٥) انها محاولة « فيما يتعلق بمشكلة اللغة المناسبة للتمثيلية العصرية في بلادنا » . فهو يشكو ويقول « على الرغم من اصطناعي لغة عربية مبسطة غاية التبسيط ، الا اني اجد عند التمثيل انه قد دفع بها الى من يحولها او يترجمها الى اللغة العامية» . وهذا يزعجه لانه وضع عجيب . « فالاعتراف بوجود لغتين منفصلتين لامة واحدة ، تسعى الى اذابة الفوارق بين طبقاتها لامر لا يبشر بخير ، ولطالما عيرنا اهل اللغات الحية بان لغتنا العربية صائرة الى زوال ، لان الناس في تخاطبهم لا يتكلمونها ، وكان اهل المصلحة منهم يمعنون في ايهامنا بعمق الهوة بين الفصحى والعامية ، وباستحالة تلاقيها . والواقع الذي الاحظه اليوم ولاحظه كثيرون هو عكس هذا الزعم . فالعامية هي المقضي عليها بالزوال والفرق بينها وبين الفصحى يضيق يوما بعد يوم » .

ويورد الاديب الكبير تعبيرات كثيرة من العامية موضحا الفرق الطفيف بينها وبين الفصحى وربما تكون موافقة للفصحى تماما ، ويتابع الحكيم كلامه قائلا : « كل ما نرجوه ونراه الآن في الامكان هو العمل على قدر المستطاع على ازالة الوهم بوجود لغتين منفصلتين تقوم بينهما هوة سحيقة . فان هذا الاعتقاد هو الذي جعل كثيرا من كتابنا يمعنون في تعميق الهوة بدون مبرر احيانا لا لشيء الا لتاكيد انفصال العامية واظهارها بمظهر اللغة المستقلة » . ويتهم المتفاصحون كذلك بالعمل على زيادة الفرق بين اللغتين « اذن هي رغبة متعمدة من الطرفين لاختلاف هوة مصطنعة بين الكتابة والتخاطب او بين طبقتين من الناس» .

ويعتقد الكاتب ان اللغة فوق المسارح وعلى الشاشة تعرض بشكل كاريكاتوري مبالغ فيه ، ولذلك فقد كتب هذه المسرحية وحاول فيها التقريب بين اللغتين « فلغتها هي لغة التخاطب العادية في حياتنا اليومية ، ولكنها مع ذلك قريبة الى العربية الصحيحة . فهي اذن عند التمثيل لن تحتاج الى الترجمة الى ما يسمى بالعامية . وبذلك لن يكون هناك نصان للمسرحية الواحدة ، بل نص واحد » . . « خلاصة القول عندي اني ارفض الاعتراف بوجود لغة منفصلة مستقلة اسمها العامية ، نترجم اليها العربية كما لو كانت العربية لغة اجنبية ، في حين ان الموجود هو مجرد لهجة تخاطب عربية استخدم فيها بعض الرخص والاختزالات والاستبدالات ... واننا بقليل من حسن النية وقوة الارادة نستطيع تدريجيا ان نرتفع باسلوب تخاطبنا العادي الى مستوى تضيق فيه الفروق بين الكتابة والتخاطب ، كما هو حادث في اللغتين الانجليزية والفرنسية » .

ويكتب الفنان الكبير مسرحيته التي اراد لها ان تكون تجربة لغوية كما كانت مسرحيته (الصفقة) تجربة اخرى منذ سنين ، ويقول عن مسرحيته الحديثة (الورطة) « قصدنا بها محاولة البحث في وسيلة الارتفاع بلغة الحوار العصري المسرحي ، وتقريبه على قدر المستطاع الى مستوى العربية السليمة ... المهم في الامر كله ان يكون هدفنا النهائي هو الارتفاع بلغة التخاطب لا الانحطاط بها ... اننا نتطلع الى الغد الذي نرى فيه لغة تخاطبنا العادية قد نظفت وارتفعت واصبحت اقرب ما تكون الى لغة الكتابة العربية الصحيحة » .

ويثير الاديب الكبير تساؤلا جديدا « المسالة التي كان يجب ان تكون محل التساؤل هنا هي : هل يجب ان نضع على المسرح اللغة العربية مباشرة ونعود الجمهور سماعها ؟ او نتدرج بالامر من خلال تجارب كهذه التجربة وغيرها للارتفاع بالعامية ؟ » ويعرج توفيق الحكيم على تاريخ المسرح فيقول : « انه لمن العجب ان يبدأ مسرحنا بالفصحى منذ عهد الشيخ سلامه حجازي وينجح النجاح الساحق امام جمهور في الحضر والريف ، قليل الحظ من التعليم ايام الاحتلال ثم ينتهي الى العامية الطاغية في عهد التعليم والاستقلال ... كنا باللغة الفصحى وحدها ـ في الادب والفن ـ وحدة حقيقية من الروح والفكر امتن واعمق من اي وحدة سياسية ... واليوم ونحن بسبيل وحدة سياسية حقيقية نجد الحدود اللغوية والروحية والفكرية قد وضعت بين البلد والبلد . واذا نحن اليوم في وضع غريب : سياسة القادة وحدوية ولغة الفنانين انفصالية» .

هذا ملخص تعمدت ان يكون وافيا لكلام الاديب الكبير ، والحقيقة ان المسالة هي هنا مشكلة العامية والفصحى . ولا شك ان هذه مسالة لا تختص باللغة العربية وحدها ، بل انها شائعة في كل اللغات التي يشغل متكلموها حيزا واسعا من الارض ، وخاصة اذا كان هناك نوع من الحدود السياسية او الادارية . ومثل شبيه باللغة العربية هو اللغة الالمانية ، فهناك لهجات عدة في النمسا واقسام المانيا المختلفة وفي سويسرا . ولكن هناك بعد ذلك اللغة التي يتعلمها الاطفال في المدارس ويكتب بها الادباء والكتاب عامة ، وهي ما يسمونه Hochdeutsch بينما يسمون العامية التي تستعمل في لهجات مختلفة Deutsch ، ومن الكتب

التي ظهرت حديثا كتاب German Dialects (اللهجات الالمانية) لمؤلفه R. E. Keller وقد ظهر عام ١٩٦١ . وكذلك الحال في اللغة الانجليزية ، فالفرق واضح لكل من يستمع بين نطق الانجليز ونطق الامريكان ، بل ان الفرق واضح بين مختلف اقسام انجلترا ذاتها . وقد الف الانجليز انفسهم كتبا في اختلاف اللهجات آخرها كتاب يطبع الآن في انجلترا ، ولم يتم طبع كل اجزائه بعد . وتقوم بوضعه جامعة ليدز ، وهو عبارة عن مسح للهجات الانجليزية Survey of English Dialects ثم ان هناك في بريطانيا لغة ويلز Welsh ولغة اسكتلنده وشمال ايرلنده Galic وهذه كلها ليست انجليزية . وتأكيد هذه الحقيقة ــ وهي ان في اللغة العربية نوعان هناك ما يسمى بالفصحى وهي لغة الادب والكتابة بل والتخاطب فيما بين ابناء الاقطار العربية المختلفة حينما يلتقون في صعيد واحد ، وهناك العاميات المختلفة ــ تأكيد هذه الحقيقة يزعج بعض الناس لما يقرؤنه في الكتب التي تبحث في الدراسات اللغوية عامة او في علم اللغة ، من ان اللغة تنقسم الى لهجات ثم تصبح اللهجات لغات مستقلة بمرور الزمن .

ومن هذا ما يقوله الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه علم اللغة « متى انتشرت اللغة في مناطق واسعة من الارض ... وتكلم بها جماعات كبيرة العدد وطوائف مختلفة من الناس ، استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الاولى امدا طويلا ، فلا تلبث ان تنشعب الى لهجات ، وتسلك كل لهجة من اللهجات في سبيل تطورها منهجا يختلف عن منهج غيرها ، ولا تنفك مسافة الخلف تتسع بينها وبين اخواتها حتى تصبح لغة متميزة غير مفهومة الا لاهلها . وبذلك يتولد عن اللغة الاولى فصيلة او شعبة من اللغات يختلف افرادها بعضها عن بعض في كثير من الوجود ... » (١) . والذي يجعل المسألة اكثر ازعاجا تشبيه اللاتينية بالعربية وقد انقسمت اللاتينية الى لغات مستقلة فعلا . ويقول الدكتور علي عبد الواحد وافي ايضا في ذلك « فاللغة اللاتينية ... وقد اخذت هي نفسها في اواخر العصور القديمة وفي العصور الوسطى ، تنشعب الى عدد كبير من اللهجات تسلك في سبيل تطورها منهجا يختلف عن منهج اخواتها حتى انفصلت عنها انفصالا تاما واصبحت لغة مستقلة متميزة غير مفهومة الا لاهلها . وقد بقيت اللاتينية مدة ما لغة ادب وكتابة ... ولكنها لم تلبث ان تنحت عن ذلك بعد ان اكتمل نمو هذه اللغات (المتفرعة عنها والتي منها الفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية ولغة رومانيا) » (٢) .

ولكن شيوع التعليم وكثرة المواصلات وسرعتها وكثرة الاتصالات عامة ، جعلت الامر يختلف فيما بين العربية واللاتينية . وفي هذا يقول احد اساتذة علم اللغة بجامعة لندن « ان تشبيه العربية الفصحى اليوم باللاتينية التي ماتت تشبيه غير كامل على الاطلاق اذ ان هناك عناصر اساسية وهامة موجودة في الوقت الحاضر لم تكن موجودة في العصور الوسطى ، فالعربية الفصحى ليست حقا مخصصا لطبقة واحدة من المجتمع ، والتعليم الآن اكثر انتشارا ، والاتصال اكثر بين الجماهير ، والطائرات النفاثة تجعل العالم الحديث مكانا صغيرا في الحقيقة » (٣) .

ومن ذلك ما اورده الاستاذ الدكتور ابراهيم انيس في مقاله « لغة عالمية » بصدد التحدث عن المتفائلين والدلائل التي تؤيد تفاؤلهم في ايجاد لغة عالمية « ذلك لان انحلال اللغة الى لهجات فيما مضى من عصور التاريخ انما كان بسبب انعزال البيئات بعضها عن بعض ، وهو ما لا سبيل الى تصور حدوثه في العصر الحديث . فشبكة الاتصال بين شعوب العالم الآن وثيقة محكمة الحلقات ، ولن يشهد عالم المستقبل ما كان يسمى في الماضي بالبيئة المنعزلة ، اذ تزيد الحاجة الى توثيق الصلات بين بني البشر يوما بعد يوم » (٤) .

ويزداد الامر وضوحا اذا علمنا ان ما يسميه علماء اللغة « قانونا » مثل انقسام اللغة الى لهجات تستقل بعد مرور زمن طويل اذا ما اتسع انتشارها وكثر المتكلمون بها ليس حتميا ولا يشبه غيره من القوانين الطبيعية . وفي هذا يقول الاستاذ الذي تخصص في علم اللغة المرحوم الدكتور محمود السعران « ان اغلب ما يطلق عليه اللغويون « قوانين » لغوية ، ليس في جوهره الا خلاصات مركزة تصف ما كان او ما هو كائن في جانب من الجوانب ، ولا يتضمن مقدما الحكم على نفس الظاهرة لو توفرت فيها نفس الشروط مستقبلا ... فدراسة اللغة لها موضوعها الخاص المستقل الجدير بالبحث وهو « اللغة » ، وهذه الدراسة تقوم على مناهج « علمية » سليمة ، وهي تتخذ من الوسائل ما ييسر

---

(١) علم اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي ، الطبعة الرابعة ١٩٥٧ ، مكتبة نهضة مصر ، ص ١٥٩ . (٢) المرجع السابق ص ١٦٠ . (٣) من مقدمة كتاب Colloquial Arabic في سلسلة Teach Yourself ، لمؤلفه T. F. Mitchell ص ١٢ . (٤) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء الاول ، المجلد الاربعون ، ص ١٥٩ ــ ١٦٠ . (٥) علم اللغة (مقدمة للقارىء العربي) ، للدكتور محمود السعران ، دار المعارف بمصر ١٩٦٢ ، ص ٨ ، ١٠ ــ ١١ . (٦) مقدمة الفصل الاول من مسرحية الورطة ، صحيفة الاهرام ١٩ ــ ٣ ــ ٩٦٥ . (٧) مسرحية الصفقة ، نشر مكتبة الآداب ومطبعتها بالقاهرة، ص ١٥٩ ــ ١٦٠ . (٨) مقدمة الفصل الخامس من مسرحية الورطة ، صحيفة الاهرام ١٦ ــ ٤ ــ ٩٦٥ . (٩) مسرحية الصفقة ، ص ١٥٩ . (١٠) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء الاول ، المجلد الاربعون سنة ١٩٦٥ ، ص ١٥٦ . (١١) البيان والتبيين للجاحظ ، وتحقيق وشرح عبد السلام هارون ، جزء (١) ص ١٤٤ ، ١٤٥ ــ ١٤٦ . (١٢) كتاب الحيوان للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، جزء (١) ص ٢٨٢. (١٣) البيان والتبيين ، جزء (٤) ص ٢٦ . (١٤) البيان والتبيين ، جزء ١ ، ص ١٦٢ . (١٥) زهرة العمر ، للاستاذ توفيق الحكيم ، ص ١٨٧ . (١٦) مجلة الادب القاهرية عدد مايو ١٩٦٢ ص ٧٨ ــ ٧٩ . (١٧) المرجع السابق ص ١١٢ .

لها الوفاء بعملها على ادق وجه . وما تصل اليه دراسة اللغة على هذا النحو من حقائق واصول عامة او « قوانين » انما هو مستمد من طبيعة الموضوع ومتلائم واياها ، فاذا كانت طبيعة اللغة وحقيقتها تختلف عن طبيعة النبات (مثلا) وحقيقته ، فلا عجب ان تكون « القوانين » التي تؤدي اليها دراسة النبات دراسة علمية مغايرة من وجوه «للقوانين» التي تؤدي اليها دراسة اللغة » (٥) .

فلا داعي اذن للانزعاج ، ونستطيع ان نؤكد ـ مطمئنين ـ ان العربية باقية لن تنقسم ، بل ان لهجاتها الآن يقترب بعضها من بعض اكثر فاكثر . وقد لاحظ هذا بحق الاستاذ توفيق الحكيم في مقدمته لمسرحيته الورطة « فالعامية هي المقضي عليها بالزوال ، والفارق بينها وبين الفصحى يضيق يوما بعد يوم . ويكفي ان نستمع الى فلاحنا او عاملنا في مجلس الامة او مجالس الادارات ، ليتضح لنا ان لغة الكلام العادي قد ارتفعت الى المستوى الفصيح» . واضيف الى ذلك انه يكفي أن نستمع الى تعليقات العامة عن الفروق اللغوية بين اللهجات حتى نعلم أن الاختلاف بين اللهجات سائر الى زوال او الى تخفيف على الاقل . فقد يسمع الانسان من بائع الفاكهة في لبنان : « انتم تقولون عنها في مصر طماطم ونحن نقول بندوره » او « الكمثرى عندكم نحن نسميها اجاص » او « السكري عندكم نحن نسميه مغربي » . وان وسائل الاعلام المختلفة لتقرب كثيرا بين اللهجات ، بل وتقرب اللهجات الى الفصحى . وذلك مثل المذياع والسينما والتلفزيون ، فاذا عبرت هذه الوسائل الاعلامية بالعامية فانها تقرب بين العاميات ، واما اذا عبرت بالفصحى فانها تجعل كلمات الفصحى وتعبيراتها جزءا من العادات الكلامية لاهل اللهجات المختلفة فتقارب بذلك بين اللهجات وبين الفصحى . وفي هذا تقريب واضح بين العرب . وان الدلائل الكثيرة على ان مستقبل اللغة العربية سائر نحو الوحدة والتماسك ولا سبيل على الاطلاق ان يحدث لها ما حدث للاتينية . وحبذا لو تنبه الذين يعقدون الشبه بين اللغتين الى ما اشرنا اليه من الفوارق الكبيرة .

وكلام الاستاذ توفيق الحكيم يشير الى مسألتين متميزتين :

احداهما : ايجاد لغة للمسرحية قريبة من لغة الحياة اليومية ، يستطيع المسرح بها ان يعرض صورة حية لما تأتي به عبقرية الفنان في مسرحياته من تقليد للمجتمع . ونقصد بالتقليد هنا ما عناه ارسطو حين عرف الفن بانه تقليد للطبيعة . وقد قدم لنا توفيق الحكيم في ذلك تجربتين . الاولى : في مسرحية الورطة التي تحدثنا عنها آنفا ، وفيها اخذ ما اعتبر قريبا الى الفصحى من الكلام العامي فاستعمله في مسرحيته . وقال في مقدمتها مبررا ذلك انه يمكن استعمال « دا الوقت » او «دالوقت» فالدال والذال والضاد والظاء يحل احدهما في النطق محل الآخر في بعض البيئات والقبائل . فكلمة « فاض » كانت تنطق احيانا « فاظ » . ووردت في الكتب القديمة « فاظت روحه » . وعلى ذلك لا جناح في نطقنا « دا » و « دي » و « ده » بدلا من « ذا » و « ذي » و « ذه » ... وكذلك ما يسير على نهجها مثل « كذا » التي ننطقها « كدا » و « كده » . ويلحق بها كلمتا « ايه » و « ليه » مما شاع استعماله في حديثنا نحو : « ايه رأيك في المسألة ؟ » و « ليه امتنعت عن زيارتي ؟ » ... مثل هذه الرخص والاختزالات في التخاطب يمكن قبولها ، اذ من الشطط ان نطالب الناس بالطفرة ونلزمهم في مجالسهم العادية باستعمال كلمة « لماذا » بدلا من « ليه » حتى ينطقوا «لماذا امتنعت عن زيارتي ؟ » ... اذا اردنا ان نطاع فلنأمر بما يستطاع . كل ما نرجوه ونراه في الامكان ، هو العمل على ازالة الوهم بوجود لغتين منفصلتين تقوم بينهما هوة سحيقة » (٦) .

والتجربة الثانية ـ وهي سابقة من الناحية التاريخية ـ في مسرحية الصفقة التي نشرت عام ١٩٥٦ ، وفيها استعمل المؤلف اسلوبا فصيحا مبسطا « لغة صحيحة لا تجافي قواعد الفصحى وهي ـ في الوقت نفسه ـ مما يمكن ان ينطقه الاشخاص ولا ينافي طبائعهم ولا جو حياتهم ... بل ان القارىء ليستطيع ان يقراها قراءتين : قراءة بحسب نطق الريفي ، فيقلب القاف الى جيم او الى همزة تبعا للهجة اقليمه . فيجد الكلام طبيعيا مما يمكن ان يصدر عن ريفي ، ثم قراءة اخرى بحسب النطق العربي الصحيح ، فيجد العبارات مستقيمة مع الاوضاع اللغوية السليمة » (٧) .

ثانيتهما : استعمال الفصحى في لغة المسرحية مع دقة الالتزام بها وعدم التحايل لادخال شيء من العامية فيها ، وذلك لتأكيد الوحدة بين الاقطار العربية اذ تستعمل اللغة المشتركة في كل مكان فلا « تتفتت ثقافتنا وينقطع اتصالنا الفكري ونفقد ميزة لغة واحدة واسعة الانتشار ، كانت في ايدينا واضعناها في الوقت الذي تسعى فيه كل دولة كبرى وتحرص على ان تكون لغتها هي لغة الفكر والثقافة والتفاهم في أوسع رقعة ممكنة من العالم » (٨) .

وقبل الحديث في هاتين المسألتين اود ان اقول كلمة عن الفصحى والعامية . وقد اوضحت من قبل ان انقسام اللغات ـ وخاصة اذا انتشرت في رقعة واسعة ـ الى لهجات بجانب اللغة الفصحى (اي اللغة المشتركة) امر لا تختص به اللغة العربية ، انما هو موجود في غيرها من اللغات . والعامية لغة لها كل مقومات اللغة ، ويستطيع الكاتب اذا اراد ان يكتب بها مسرحيته او شعره . وقد فعل بيرم التونسي من قبل حين كتب ازجاله باللهجة المصرية فابدع واتى بفن جميل حقا ، ولكنه اغلق عليه

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلى فنه حدودا ضيقة ، لا تشمل العالم العربي كله ، ولا تصل الى اغلب الاجانب الذين يهتمون بالعربية والذين يدرسون الفصحى عادة . كما ان مرور الزمن يغير من العامية اكثر مما يغير من الفصحى ، فقد يصبح من الصعب بعد حين فهم عامية بيرم التونسي مثلا . وقد تنبه توفيق الحكيم الى ذلك فقال : « ان استخدام العامية يقوم عليه اعتراض وجيه : هو ان هذه اللغة ليست مفهومة في كل زمن ولا في كل قطر ، بل ولا في كل اقليم » (٩) .

ولا شك ان العاميات في كل انحاء العالم العربي لهجات عربية يمكن ارجاع اغلب الفاظها وتعبيراتها الى الاستعمالات العربية القديمة التي تعتبر صحيحة . اما الفصحى فأهم ما تتصف به انها اللغة المشتركة التي تجمع العرب في الاقطار والاقاليم المختلفة ، كما انها تجمع العرب من ناحية الزمن كذلك ، فهي اللغة القريبة من لغة العرب في العصور القديمة التي كتب بها تراث ضخم يغني اللغة ويزيد ثروتها من الوان التعبير التي صيغت بها . ولا شك انه من الخير للغة ان يكثر المتكلمون بها ، كما انه من الخير للناس انفسهم ان تتوحد لغتهم وان تزول الخلافات بينهم ليتعاونوا على خيرهم اجمعين ، حتى اننا لنجد كثيرين ينضمون الى الدعوة الى لغة للعالم كله .

وفي هذا يقول الدكتور ابراهيم انيس في مقال بعنوان « لغة عالمية » بعد ان اشار الى مشكلة الاختلاف في الالوان التي دعت الى تعصب الانسان وكراهيته لاخيه الانسان بسبب اللون يقول :« وكذلك الشان في اختلاف الالسنة واللغات حين نتذكر المآسي التي كانت في كل عصور التاريخ بسبب اختلاف اللغات من حروب وثورات ليس لها من سبب حقيقي سوى ان المجتمعات البشرية قد عجزت عن فهم بعضها البعض حين افتقدت وسيلة واحدة للتفاهم تنتظمهم جميعا ... فكم من مؤتمرات عالمية فشلت ولم تحقق هدفا لا لشيء سوى ان المجتمعين بها كانوا يصطنعون لغات متباينة ، او بعبارة اخرى يفكرون بعقليات متنافرة . ولا تزال للترجمة مشاكلها وزلاتها حتى في ارقى الاوساط العالمية كمنظمة الامم المتحدة . وصفحات التاريخ زاخرة بالمآسي التي مر بها الانسان بسبب اختلاف اللغات» (١٠).

ومن قبل وضح الجاحظ في رسالة الرد على النصارى ان اختلاف اللغة وصعوبة الترجمة كانا السبب في الخلافات الدينية الكبيرة التي نشأت بين اهل الاديان المختلفة لان النصوص الدينية ترجمت ترجمة سيئة حرفت مفهوم النص الديني عند اهل الديانة الاخرى الذين يتكلمون لغة اخرى . فاذا كانت خطورة اختلاف اللغة قد وصلت الى هذا الحد من التأثير في حياة الانسان فلا غرابة ان تقوم الدعوة الى التمسك باللغة المشتركة الموحدة للعرب في كل انحاء العالم العربي .

ولكننا لا نستطيع ان نغض من قيمة الاحساس الفني باللغة الذي دفع الى محاولة ايجاد لغة للمسرحية قريبة من لغة الحياة اليومية ، تعرض لغة المسرح في حيوية تناسب لغة المجتمع . وقد احس الجاحظ بمثل هذه الحاجة حين قال في كتاب البيان والتبيين (١١) : «وكلام الناس في طبقات كما ان الناس انفسهم في طبقات ... ومتى سمعت ـ حفظك الله ـ بنادرة من كلام الاعراب ، فاياك ان تحكيها الا مع اعرابها ومخارج الفاظها ، فانك ان غيرتها بأن تلحن في أعرابها واخرجتها مخارج كلام المولدين والبادين ، خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير . وكذلك اذا سمعت بنادرة من نوادر العوام ، وملحة من ملح الحشوة والطغام ، فاياك وان تستعمل فيها الاعراب ، او تتخير لها لفظا حسنا ، او تجعل لها من فيك مخرجا سريا ، فان ذلك يفسد الامتاع بها ، ويخرجها من صورتها، ومن الذي اريدت له ، ويذهب استطابتهم اياها واستملاحهم لها » . ويروي في كتاب الحيوان عن احدهم حديثا جاءت فيه عبارة « ان كنت سبع فاذهب مع السباع » . ويتبعه بقوله : « ولا تنكر قولي وحكايتي عنه بقول ملحون ، من قولي « أن كنت سبع ولم اقل ان كنت سبعا ... ان الاعراب يفسد نوادر المولدين ، كما ان اللحن يفسد كلام الاعراب لان سامع ذلك الكلام انما اعجبته تلك الصورة وذلك المخرج ، وتلك اللغة وتلك العادة ، فان ادخلت على الامر ـ الذي أنما اضحك بسخفه وبعض كلام العجمة فيه ـ حروف الاعراب والتحقيق والتثقيل وحولته الى صورة الفاظ الاعراب الفصحاء ، واهل المروءة والنجابة انقلب المعنى مع انقلاب نظمه ، وتبدلت صورته » (١٢) .

ولكن الجاحظ لم يكتب ـ فيما نعرف ـ اي كتاب او مقال بالعامية وكل ما جاء عنده بعيدا عن الفصحى جمل قصيرة حكاها عن اصحابها العوام ، فمن كلام النوتي (الحمقى) مثلا قول نفيس غلام الجاحظ لغلام آخر له « الناس ويلك انت حياء كلهم اقل ! » ، يريد : « انت اقل الناس كلهم حياء » (١٣) . « وقلت لخادم لي : في اي صناعة اسلموا هذا الغلام ؟ قال في اصحاب سند نعال ». يريد : « اصحاب النعال السندية » (١٤) . وحكى عن شخصياته وانطقهم جميعا بالفصحى ، مع انه كما قال توفيق الحكيم بحق قد « نزل الى الشعب يستوحيه ويصور اسواقه ونجلاءه ، ولصوصه ، وتجاره ، وشرفاءه ، وخبثاءه ... في اسلوب بسيط حي ، يعد مثلا طيبا للنثر التصويري في عصور الحضارة والعمران » (١٥) .

على ان الاحساس بوجوب التقريب بين الفصحى والعامية ليس قاصرا على الجاحظ وتوفيق الحكيم ، ولكن تاريخه قديم . فيحدثنا العالم الجليل الاستاذ امين الخولي في بحث القاه في مؤتمر المجمع اللغوي بالقاهرة يوم ١٣ ـ ٣ ـ ٩٦٢ ونشره في مجلة الادب (العدد الثاني ، السنة السابعة ، مايو ١٩٦٢) ان ابا الحسن علي بن الحسن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهنائي ... اللغوي ، من اهل مصر ، لقب «كراع النمل » لقصره او لدمامته الف كتاب « المنضد » سنة سبع او تسع وثلثمائة . وكتابه المنجد (كمعظم « المجرب ») الذي هو الاختصار الثاني لكتابه « المنضد » بعدما اختصره في « المجرد » ، وفي مقدمة المنجد هذا يقول : « هذا كتاب الفته فيما اجتمعت عليه الخاصة والعامة من الالفاظ » . ويتحدث امين الخولي في المقال نفسه عن مجمع اللغة العربية في القاهرة فيقول : « وقد زاده التطور الاجتماعي والثقافي ثقة واملا ، فاطمئن الى ان التقريب بين الفصحى والعامية ممكن ، وانه يزداد امكانا في العصر الحاضر » . ومما قاله موضحا تاريخ التاليف في الموضوع : «ان فكرة التقريب كانت في مصر نفسها ، منذ اكثر من سبعين سنة اوضح واقوى وابين طريقا واهدى سبيلا ... لقد طبع السيد وفا افندي محمد ، امين الكتبخانة الخديويةالمصرية سنة ١٣١٠هـ ، بالمطبعة المصرية ببولاق مصر المحمية، مقدمة كتاب (التحفة الوفائية في اللغة العامية المصرية) واولها فصل في بيان الحاجة الى توحيد اللغة العربية والوسيلة النافعة لذلك . ويواصل الاستاذ الخولي حديثه قائلا « اسمعكم بعض ... ذلك الذي تجاوز التقريب الى التوحيد ، وتقدم من القول الى الفعل . فمن ذلك قوله : (ان وحدة اللغة تعد شرطا لوحدة الامة ...) ...ووسيلة هذا التوحيد الواجب عنده انه (لا يكون الا بتقويم اود العامية ، واصلاح فاسدها ... حيث انه بهذا الاصلاح لا يكون هناك فرق بين ما يدون في الكتب ، وما عليه عرف التخاطب العام ، ولا يبقى ادنى امتياز في مبادىء التعليم العمومية ، الا فيما يستتبعه التعليم كثرة وقلة وذلك لا يضر باصل الغرض المطلوب ، متى صارت لغة التخاطب هي لغة التدوين ، اذ من التسهيل بعد ذلك ان يراعى في التاليف سهولة العبارة ، بحيث يستوي في فهمها العلماء ومن دونهم من سائر طبقات الناس على اختلافهم . ويتابع الاستاذ الخولي حديثه عن صاحب التحفة الوفائية في اللغة المصرية فيقول « وباب التمهيد عنده لهذا المشروع الجليل اولا : انه يجب على كافة العلماء ، وكل من يقدرون على التكلم بالعربية مع مراعاة وجوهها المعتبرة ، في سائر الاقطار ، ان يغيروا خطة التخاطب بينهم بمراعاة وجوب الاعراب والاساليب الصحيحة ... الخ . ثانيا : ان يتابعوا البحث والتنقيب في الفاظ العامية ، حتى يعرف العربي منها ، والدخيل من لغات اخرى ، فما كان منها لا يهمل استعماله بعد تصحيحه ... الخ » . ويقول الاستاذ الخولي ايضا عنه « وهو ينفذ فعلا فكرة البحث والتنقيب في الفاظ العامية رتقا لفتوقها ، ويضع كتابه الذي ادع له كذلك القول في وصفه ، وانه كما يقول ـ السيد وفا ـ بلفظه (شبه قاموس مرتب على حروف المعجم يشتمل على كثير من الفاظ العوام واساليب كلامهم ...) ... وقد ادى الامانة واتم الكتاب في جزءين من القطع الكبير ، عدد صفحاتهما ٣٤٠ صفحة ، واهداه مخطوطا لدار الكتب المصرية » .

وانهى الاستاذ الخولي مقاله باقتراحات له قال عنها : « واول ما ارجوه لكم من المواقف العملية ... هو : ١ ـ ثبات الايمان بفكرة التقريب بين لغة اللسان ولغة التكلم ... ٢ ـ ... توسيع مجرى التيار الذي رايناه في المعاونة بين لغة الحياة ولغة الكتاب ، وذلك يكون بالجد العامل في تتبع كتب اسلافنا المؤلفة في التصويب لقول العامة والظفر بها ونشرها بعد تحقيقها ... ٣ ـ ... ان ياخذ (المجمع) ما اخذه اسلافه المصوبة ، من النامية في الماضي البعيد او القريب ، من صحاح كلماتها ، وما في المعاجم والمراجع اللغوية من تلك الصحاح وما في السنة الناس الآن من ذلك ليصنع من ذلك كله معجما يسمى مثلا لسان العرب اليوم . يشتمل هذا المعجم الحي على ماعرف الناس واستعملوا ، ليعرف المعلمون صوابه فلا يسرفون في تخطئة المتعلمين ، وليرجع اليه المتعلمون اول ما يرجعون فيشعرون انهم يعيشون بلغتهم ولا يتعلمون مادة جديدة ولا لغة اجنبية ... واخرى اجل من ذلك واعظم هي ان يشتمل هذا المعجم على صحاح العاميات العربية المختلفة ... فيكون « معجم لسان العرب اليوم » وسيلة تقارب وتفاهم ... والفة بينهم » (١٦) .

وتابع هذا المقال في مجلة الادب بما يلي فيما يتعلق بموقف مجمع اللغة العربية بالقاهرة من الاقتراح « وقد جاء في التقرير الختامي لاعمال المؤتمر عن هذا الموضوع ما نصه : ... واعتقد انكم تتفقون جميعا على ذلك . ولا بد ان ترسم له الاجهزة الملائمة . على ان المجمع قد عنى بهذا من قبل في لجنتي اللهجات والحضارة ، وما اجدره ان يتابع السير » (١٧) .

على انه لا بد لنا ان نميز بين امرين منفصلين . الاول ، استعمال العامية كلغة كتابة للمسرحيات فقط او لها ولغيرها . والثاني ، التوسع في اسلوب الفصحى حتى يشمل ما قد يستعمله العامة في لهجاتهم .

اما الامر الاول فواضح ان عليه اعتراض وجيه ـ قد يكون الاتفاق عليه تاما بين الجادين ممن يعنيهم الامر ـ وهو انه يخلق لغة منفصلة في كل قطر من العالم العربي بل قد يخلق في القطر الواحد اكثر من لغة ، واعتقد ان الموجة الحضارية في عالمنا العربي وفي الدنيا كلها تدفع الى اتصال الناس بوسائل مختلفة ، وتدفع بالتالي الى تلاشي الفروق بين اللهجات والى الوحدة اللغوية . ولا شك ان اثر انتشار التعليم في كل الاوساط مساعد على ازالة الفروق اللغوية .

اما الامر الثاني فاحسب انه مسالة اسلوب ، وانه لا مانع على الاطلاق ان يختار الكاتب لمسرحيته او قصته او

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اي نوع من كتابته ما يعتقد انه مناسب ، مما يستعمله العامة في اي مكان او ما استعمله الكتاب في اي عصر من العصور ، على شرط ان يكون ذلك موحدا بين العرب اجمعين فلا مانع ابدا من استعمال « ايمتا » و «النهار ده» و « امبارح » و « بس » بمعنى حسب و « تاتا » للطفل اذا مشى (١٨) . والشرط في ذلك كله الا يكون مستهجنا عند فريق من العرب ويدفعهم الى استعمال شيء آخر فتدب الفرقة بين لغة العرب في ناحية ولغتهم في ناحية اخرى . فاذا استعملت ــ مثلا ــ «أيه» و «ليه» و «كده» كما فعل الاستاذ الحكيم في مسرحية الورطة ، لانهامستعملة في اللهجة المصرية ، ولانه يمكن رؤية الصلة بينها وبين « اي هو » و « لاي هو » أو « لمه » و « كذا » . فمن الممكن في موضع آخر من العالم العربي ان يقترح استعمال «شو» و «لشو» و «هيك» لانها مستعملة في اللهجة اللبنانية ، ويمكن رؤية الصلة بينها وبين « اي شيء » و « لاي شيء » و « هكذا » . الاعتراض على ذلك هو الاعتراض على استعمال العامية تماما في ان ذلك سيفتت من اللغة المشتركة وهي الفصحى ، كما انه سيباعد بيننا وبين تراثنا العربي . وهنا احب ان اشير الى انه بجانب مراعاة الاشتراك في اللغة ، من الخير ايضا مراعاة التقارب ما امكن بين لغتنا واللغة التي تحمل تراثنا اللغوي عامة من تاريخي وادبي وفلسفي وعلمي ... الخ .

وعلى هذا فان تجربة توفيق الحكيم في « الصفقة » كانت اكثر توفيقا من تجربته في « الورطة » التي تحتوي على تعبيرات قد تؤخذ على انها مصرية بالذات ، فيحاول الآخرون ان يجدوا لها مقابلا في لهجاتهم ، فلا تكون تلك الوحدة اللغوية التي اشرنا الى ما لها من خطوة من قبل .

ولا شك ان الكتابة للمسرح بالعربية الفصحى كسب لها واشاعة لاستعمالها . ولست ادري لماذا لا يكتب الاستاذ الحكيم للمسرح باللغة الفصحى وهو يعلم كما قال في مقدمته لمسرحية الورطة ونذكره هنا مرة اخرى : « انه كان من اثر حفاظنا على الفصحى في الادب والفن ايام الاحتلال ان استطعنا ايجاد نوع من التماسك بين الامم العربية جميعها على الرغم من خضوعها لقبضة الحكم العثماني والفرنسي والبريطاني ... وما كان احد يفصل يومئذ بين جنسية اديب واديب . فقد كان شوقي ومطران والزهاوي وجبران ونعيمه ينتمون الى كل العرب. وما كان احد يفكر في جنسية احد » .

يبدو ان الاستاذ توفيق الحكيم يجد صعوبة في الحصول على من يمثلون مسرحياته بالعربية الفصحى . وهنا تكون المشكلة مشكلة ارادة واحساس بقيمة النهضة والوحدة اللغوية ، فما احسب ان اللغة عاجزة عن التعبير بل ان الكاتب ليكتب بها فعلا ، وما احسب ان الممثلين وهم من يتقنون اشياء كثيرة عاجزون عن اتقان العربية الفصحى حتى يكونوا ممثلين للعالم العربي كله لا لقطر واحد من اقطاره ، وحتى يكون الكاتب كاتبا للعالم العربي كله . وقليل حقا ان يقترح الاستاذ توفيق الحكيم « ايمكن مثلا أن تخصص من بين مسارحنا العديدة القائمة التي غلبت عليها العامية ، مسرحا واحدا للتمثيل بالعربية الفصحى والمبسطة ، وان يكون مفتوحا لانتاج المؤلفين العرب جميعا من الخليج الى المحيط . انه اقتراح بسيط ولكنه قد يأتي بنتائج طيبة » . انه اقتراح بسيط حقا وفي راينا انه يجب أن تكون الاغلبية من المسارح تمثل بالفصحى كما يحدث في كل انحاء العالم ، ولا داعي للتدرج بالامر من العربية المبسطة الى العربية الفصحى اذا كان الغرض هو التوحيد بين مزاج الامة العربية جمعاء ، وخاصة ان المسرح قد بدا بالفصحى ونجح في هذا التوحيد .

وقد اقترح الاستاذ توفيق الحكيم ان يضع كاتب الحوار بجواره « القاموس الوسيط » للمجمع اللغوي ، وانني لاقترح ان يكتب الحوار بالفصحى ، وان ينظر الكتاب في كتاب الاغاني ومعجم الادباء وتاريخ الطبري وكتب الجاحظ. ففي كل هذه نصوص طويلة من حكاية الحديث لا احسب ان كثيرين من الادباء عندنا يلتفتون اليها ويمنحونها ما تستحق من عناية . كما انني اقترح وهذا عمل الادباء والمهتمين بدراسة اللغة ــ ان تجمع نصوص الحوار من كبار كتاب العربية مثل الجاحظ والطبري وابي الفرج الاصفهاني وياقوت ، وتنشر هذه النصوص مع فهرسة لكلماتها ، ففي ذلك اشاعة للغة الحوار التي ستكون ولا شك مفيدة لكتاب الحوار اليوم ، واحسب اننا سنرى في مثل هذه اللغة قرابة من العامية كذلك وتصويرا للحياة اليومية .

ولا شك أن الفن بوسائله المختلفة التي تستعمل اللغة كالسينما والمسرح والاذاعة والتلفزيون اذا صدقت الارادة فيها على استعمال العربية الفصحى على اي صورة من الصور ، فان ذلك جدير ان يذيعها وان يقرب بين الفصحى والعامية ، فتتحقق امنية المجمع اللغوي وامنية توفيق الحكيم خاصة بان يزول « الوهم بوجود لغتين منفصلتين تقوم بينهما هوة سحيقة » لانه لن تكون هناك عند ذلك شبهة تدفع الى هذا الوهم . على ان الامر يتعلق كذلك بثقافتنا اللغوية عامة واحساسنا باللغة . وهذا يأتي اولا وقبل كل شيء عن طريق تعلم اللغة . وتدريس اللغة في عالمنا العربي يحتاج الى كثير من الجهد في التعرف على ما وصل اليه علم اللغة من تقدم لينتفع به في اعداد المدرس وتوجيهه واعداد الكتب واختيار نصوصها حتى نعد المواطن السوي اللغة (١٩) .

وكثيرا ما يبدو لي ان المشكلة اللغوية في العالم العربي مشكلة ارادة اكثر منها مشكلة اي شيء آخر .

محمد ابو الفرج

بدا لي كل شيء رمادي اللون ، لا معنى له ، ولا قيمة . كل ما هو امامي متداخل حتى عجزت تماما عن ادراك الحقيقة ، اية حقيقة . ولكني مع ذلك حاولت ، لم ايأس في اول الامر ، وانما تركت نفسي ملقى بشكل تلقائي . كنت اعتقد ان ذلك ربما انتهى بي الى قرار حاسم ، واكتشاف خطير ، الا انني وجدت حقيقة واحدة تطل علي من بين الجبال ، تضحك في وجهي قائلة :

ـ انت .. من انت ؟

وقفت حائرا مشدوها ، وخائفا . اذ فجأة ، وجدت نفسي اقف عند حافة هاوية لانهائية ، مجهولة المصير ولما كنت اعتقد اني شجاع ـ ولي مواقف كثيرة تدل على ذلك ـ فقد سخرت في البداية ، والفيت نفسي لا اهتم ، بل لا اعير هذا الصوت ادنى انتباه ، وتشاغلت عنه باللعب فوق الهاوية . كدت اسقط ، كان توازني قد اختل ، ولكن فجأة ، احسست بيد ضخمة تجذبني الى اعلى ، كنت مضطربا فلم استطع ان ارفع بصري لارى صاحب اليد ، وعاودت السير بعيدا عن هذه الهاوية ، دون ان اظفر بمعرفة من هو الذي انقذني .

انفتحت بعد ذلك عيناي ، على جزء صغير من الحقيقة ، وقلما كنت اعرف شيئا عن نفسي او حقيقتها . وجدت انه من الحكمة ان ابدا من نفس النقطة التي يبدا منها الآخرون. وكانت هذه النقطة صغيرة وغير واضحة ، حتى انني لم استطع ان اعثر عليها ، ولكني كنت على ثقة من انها ـ على الاقل ـ في تلك الدائرة التي اقف بداخلها .

بدات السير ، كان الطريق وعرا ، وصعب المرتقى ، ولكني تحملت ، على امل ان اصل في النهاية الى الهدف الذي كنت قد رسمته في مخيلتي. وفي منتصف الطريق ، قابلتني امراة فاتنة ، وعلى وجهها مسحة من حزن قديم . وكنت مغرورا ، فقلت في نفسي : « لا بد ان الله قد وضعها في طريقي كي آخذ بيدها ، وامسح عن وجهها تلك الكآبة التي شابت جمالها» واذ وجدتني اقترب منها ، فقد اتخذت لنفسها الحذر مني . قدرت ان ذلك ربما يكون نتيجة من سبقوني فأساءوا اليها . فابتعدت بخطى واجفة ، محاولة ان تخلي لي الطريق حتى امضي دون ان اقف عندها . ولكني كنت شجاعا ، واثقا من انهاهي التي ابحث عنها ، امسكت بذراعها ، وجذبتها نحوي ، ندت عنها صرخة :

ـ آه .. انت ، ماذا تريد مني ؟

لم اعرف بماذا اجيبها ، ولكني ربت على كتفها :

ـ لا تخافي .. اني .. اني

ـ من انت ؟ وماذا تريد ؟

الجانب المشمس من الطريق

بقلم مصطفى ابو النصر

ـ انا .. انا لا اريد شيئا

ـ اذن دعني

ـ الا تأتي معي ؟

ـ قلت لك دعني

ـ لماذا انت حزينة ؟

ـ .....

ـ ساقص عليك حكاية مضحكة

خلصت نفسها مني قائلة :

ـ لا اريد ان اسمع شيئا .. ابتعد .. ابتعد عني .

ولكني بدات اقص عليها حكايات ، لست اذكر متى ولا اين سمعتها . واحسست ان حديثي لقي عندها استجابة لم القها عند احد من قبلها. ففكرت ان اصحبها معي في طريقي ، فقد خيل الي انني ساصل قريبا . ولكنها اعتذرت قائلة بصوت غريب ، نبراته لها وقع خاص :

ـ انني لا ابرح هذا المكان ، من يرد ان يعيش معي ، فعليه ان يمكث هنا .

*

عشت بجانبها فترة طويلة من الزمن ، لا ادري مداها ، ولكني فجأة تنبهت الى الحال الذي صرت اليه ، كنت قد افلست تماما ، ولم اعد املك ما استطيع به ان اقاوم اي شيء على الاطلاق . وانطلقت ـ ولكن في نفس الدائرة ـ احاول ان اتخلص من افكار بدات تجول في راسي ، ولكني في النهاية ، وجدتني اقف كالمنبوذ منها ، وقد احسست انها قد اصبحت بعيدة عني بدرجة اصبحت اخشى منها اقترابا . وفي ليلة حالكة الظلام ، كانت ترقد بجانبي ، انفاسها تتصاعد في رتابة مميتة ، ففكرت ان اقتلها ان اتخلص منها ، لقد صارت بالنسبة لي مرضا ابغي التخلص منه ، وحين اقتربت يدي من رقبتها ، استيقظت وقبضت على معصمي وقد بدا الشر في عينيها ، وامرتني ان اغادرها في الحال . وحين التفت اليها وانا في الخارج ، لمحت ذلك الاسى الذي خدعتني به ذات مرة ، ولكني في هذه المرة ، كنت قد ادركت كل شيء ، فادرت وجهي بسرعة ، وبدات المسير. ولكن ما ان اشرقت الشمس ، وبدا النهار رائعا حتى وجدتني اقف على مقربة من الدائرة ، ودهشت كيف انني سرت كل هذا طوال الليل، دون ان اقطع الا تلك المسافة الضئيلة من الطريق ، وكان التعب قد اخذ مني ، فلم استطع ان اواصل السير . وتحت شجرة حرداء ، القيت بجسمي ، ورحت في نوم عميق ثقيل . ولا ادري كم من الساعات مرت علي وانا في نومتي هذه ، ولكني حينما فتحت عيني ، كان الظلام قد انتشر في المكان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



سـر

* * *

ولـي سر بأعمافـي دفـين تحـاول ان تعرّيـه العيون
فتحجبه الضلوع وراء ليل مـن الكتمان يفمره السكون
ويخفيـه خفـوق مستهام مخافة أن تجرّحه الظنـون

حبيبـي لن ابوح لغير ثغر جميل لا يبوح بمـا يبـين
وهـداب ترف جناح شوق ومروحة يلاح بهـا الفتون
وعيني عنـد عينيك ابتهال يهدهـده التلهـف والحنين
وليلي للهـوى ارق لذيـذ ودمعات تضيق بها الجفون !

حبيب العمر يا احلى حبيب يفوح لـه ويضفر ياسمين
ستبقـى ما وراء البوح سرا به قلبـي على الدنيا ضنـين
تجمّـل وجه ايامي وشعري وغيرك ليس يدري من تكون !

فؤاد الخشن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كله ، واختفت تماما معالم الطريق . وخشيت ان انا واصلت السير ، ان اضل ، فآثرت ان ابقى جالسا عنـد الشجرة حتى النهار ، ولكن الغريب في الامر ان النهار لم يطلع بعد ذلك قط ، وكلما احسست بالملـل بدأت اتلفت حولي ، علني ارى بصيصا من نور يهـدي اي طريـق . واذ مضى الزمن ثقيلا بطيئا لا معنى له ، فقد قررت أن اواصل السير ، دون ادنى التفات الى هذا الظلام ، فقد اخرج منه الى نور يبهر الإبصار ، فقمت من فوري ، وبدأت المسير . كنت كلمـا رفعت قدما لانقلها الى الامام، احسست بالخوف يتملكنـي وكأن شيئا مـا يحذرني من المضي . ولكني كنـت اقاوم ، وظللت اقاوم مدة لا ادري طولها ، حتى تصبب العرق من كل جسمي ، ووجدتني اسقـط منهوكا منهـارا .

توالت بعد ذلك كل تلك المحاولات، دون ان اصل الى نتيجة ما ، وانمـا وجدت نفسي جائعا مشردا ، لا قيمة لي على الاطلاق . وكانت محـاولاتي في الحقيقة لا تعني الا الخروج مـن ذلك الظلام الذي بدأت اشعر به في داخلي ، فقد بدا كل شيء حولي باهر النور ، وانا المظلم الكئيب . وفكرت ان ابدأ من جديد ، ان اقف على اول الطريق ، واعاود السير ، ولكن جسمي كان قد هزل ، وعقلـي قـد جف ، واصابعي قد اصابها ارتعاش ، وثقل قد انتاب قدمي ، واني كلي قد صرت هلاما ثقيلا لا كيان له . وبالطبع ، لم يكن في مقدور احد ممن هم حولي ، وقد شاهدوني وانا اتحول من بشر الى هيكل لا شكل ولا قوام له ، الا ان يبتعدوا ، فقـد ظن اغلبهم ، ان مرضا خبيثا قد اصابني .

بدا صوتي يخفت ، وعيناي تفوران في الجمجمة ، ونفسي يتقطع ، وشيء ما قد انقطع في داخلي ، وفي لحظة يقظة ـ يقظة ما قبل الموت ـ اردت ان اعاود السير ، وكنت احـاول ان اقطع اكبر مسافة ممكنة في اقصر وقت وبكيفية رائعة ، ولكني .. ماذا؟ احسست بالتعب وبكياني كله يتحلل، ومن بعيد سمعت صوتا يقول:.....

القاهرة مصطفى ابو النصر

الحطاب

●

ايامه مشبوبة بضرام ... من لاعج الحرمان والاسقام
تلقاه كالانعام يضرب حائرا ... وجه الثرى في حيرة الانعام
وفؤاده كرة تقاذفها الاسى ... بيد الهوى وهواجس الاوهام
يمناه عالقة بساعد فأسه ... كالنسر انشب مخلبا بقطام
يطوي على الحرمان كفا خضبت ... اطرافها وبنانها بقتام
ضنت يد الحطاب بالفأس التي ... ادمت مفاصلها مع الايام
ورأت بها الستر الذي من دونه ... صين الاباء بسترة عن ذام
قد يستساغ المرء عند ضرورة ... ويحل غير محلل بحسام

* * *

اهوى على الجزع العتيق بفأسه ... حنقا كاعصار بجنح ظلام
سطعت عقيقة فأسه لما هوت ... كعقيقة للبرق دون غمام
عصفت مجلجلة الرعود وجلجلت ... ما بين غمر للغمام وطام
من شامها الفى المنية رفرفت ... علامها للكر والاقدام
مخرت سراياها كما مخر الدجى ... بقتامه في العارض المترامي
والجزع اسلس بالزمام لحاطب ... شأن الضحية اسلست بزمام
القت الى جزارها بذراعها ... كالمستغيث به لدفع حمام
وتطامنت من دونه وكأنها ... قد اوثقت من خوفها بلجام

* * *

راحت يد الحطاب تحطم ما ذوى ... من يابس حطم النزيف لجام
وهوت بفأس كالمنية سددت ... ضرباتها بمسدد الاحكام
تجتث كل ممرد من جزره ... فيخر كالمغلوب باستسلام
وترى الفروع على الثرى وكأنها ... نتف الخريف هوت بغير نظام
وجرت يد الحطاب تجرف سامقا ... كالبغي في عصف وفي اجرام
وكأن جائحة تهب رياحها ... في صدره مشبوبة بضرام
وبعينه للحزن يعصف قاتم ... من مدلهم للظلام جهام
سكت اللسان واعربت آهاته ... عما يكن الصدر من آلام

* * *

عاينته ولظى الهجير كعارض ... ينداح موارا على الآكام
فقرأت ما خط الاسى من اسطر ... في وجهه دون الجبين الدامي
زفراته ممزوجة بدموعه ... كالبرق ممتزج بصوب غمام
والارض من لفح السعير تثاءبت ... كحليف داء أو صريع مدام
اوت على مضض برأس ميتم ... واستسلمت لهواجس الاحلام
والصمت حلق ناشرا راياته ... كالليل حلق عاصفا بقتام

دمشق — **عدنان مردم بك**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور عبد السلام العجيلي

الاديب ماذا يكتب ، ولمن يكتب

بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي

« الاديب ماذا يكتب ولمن يكتب » سؤال له جوابان مختلفان باختلاف المجيب اذا كان مؤرخ ادب او اديبا . مؤرخ الادب الذي يدرس ويحصي وينقد يعطينا جوابا موضوعيا مبنيا على واقع الادب في عصر واحد او في كل العصور ، ويبصرنا بدوافع الادباء في انتاجهم ، ما كان منها ظاهرا وما بطن ، وما كان منها واعيا او متأثرا بعوامل لاشعورية قد تكون مجهولة من الاديب نفسه . ولا احسبكم تطمعون مني في ان اجيبكم على هذا السؤال جواب مؤرخ الادب ، فانا بعيد كل البعد عن انتحال هذه الصفة التي تتطلب في حاملها من التخصص ، ومن سعة الاطلاع والتمرس والصبر على الدراسة والتحقيق ، ما لم امتع به في يوم من الايام . بقي ان اجيب جواب الاديب ، وهذا ما حدثت به نفسي حين اقترح علي التكلم في هذا الموضوع فقبلت عن طواعية . ولكني اريد ان اصارحكم يا مستمعي الاعزاء بامر قد ينفعني عندكم فيغطي على بعض عجزي وبعض اخطائي وبعض تقديراتي السيئة التي قد يتكشف لكم عنها هذا الحديث .

اريد ان اصارحكم باني حين بدأت تهيئة جوابي بهذا الشكل على هذا السؤال شعرت شعور الفتى ، الذي يظن انه فتى ، فيكتشف فجأة في نظرة ممعنة الى المرآة ان وجهه تخدد وان الشيب قد غزا سواد شعره . قلت لنفسي اني بقبولي التحدث في هذا الموضوع عن طواعية قد اقررت بنفسي اني اصبحت اديبا ، اعني انسانا له الحق في ان يتكلم عن الادباء وكأنه واحد منهم وعن الادب وكأنه من اهله ، وذلك امر طالما دفعته وتنصلت منه . قد يعجب كثير منكم ممن قرأ لي او سمعني او سمع بي مما اقول ، ويستغرب كيف ان امرا اصبح كالبديهي في نظر كل من يعرفني يبدو لي انا بمثل هذه الغرابة . ولكن شأني والادب شأن غير عادي . واسمحوا لي ان أتطرق الى هذا الشأن بكلمتين ، فانهما لن تبعدا عن الموضوع الذي نحن بصدده .

لقد اتخذت الادب متعة مجردة منذ وعيته . ففي طور التلقي ، اعني في ايام الصبا والدرس ، كنت اقف امام لذاته موقف المنفعل . وحين استطعت ان اعبر عما في نفسي من خواطر بالاسلوب الادبي ظللت اجد الادب مصدر متعة ، وان تغير موقفي منه الى موقف الفاعل المعطي . اما مشاغلي التي كنت اسميها مشاغل جادة فكانت كل شيء غير الادب : كانت الدراسة العلمية ، والصراع مع المرض في اجساد المرضى ونفوسهم ، ومعاناة المشاكل الاجتماعية في بلدة صغيرة ، وحتى الزراعة والسياسة كانتا من بين تلك المشاغل . وحين كان يطلب مني ان اتحدث في الادب ، او ان اشترك في مؤتمرات الادباء واجتماعاتهم التي يبدون فيها كنوعية خاصة من الناس ، كنت دوما امتنع واتخلف ، ثم اعتذر باني هاو ، واني اذا وجدت فائضا من الوقت فاني افضل ان اتمتع بالادب ، متلقيا ومعطيا ، على ان اتحدث فيه او عنه . كل هذا مر بي في سني حياتي التي غبرت ، فماذا كانت النتيجة ؟

كانت النتيجة اني اتلفت ورائي الآن فأجد نيفا وعشرة كتب لي مطبوعة او على وشك ان تطبع ، واجدني قد كتبت وحاضرت واذعت اكثر من كثير بين المنصرفين الى الادب او من العاملين معه في الميادين المتصلة به . بل واجد اني اعرف بالادب الذي لم اتعمد الانتساب اليه اكثر بكثير مما يجب ان اعرف به ، كالطب مثلا . وفوق ذلك اجد ان هذا الذي اردته متعة وتزجية وقت قد استأثر بالزبدة التي تبقت من كل ما اردته جدا وانتاجا مثمرا . واعني بالزبدة التجربة التي تحصلت من خوضي في نواحي الحياة المختلفة وتمتعي بنعيمها ومكابدتي لشقائها . فالمرضى مئاتهم والافهم يجيئون الى عيادة الطبيب ويروحون ، والمواسم تأتي خيرة وسيئة ، وتملأ العواطف حنايا الصدر ثم تهمد او تتبدد ، ويجوب المسافر البحار والقفار ثم يعود ليلقي عصا التسيار ويلزم عقر داره ، وغبار معارك السياسة التي كانت تملأ السمع والبصر لا يلبث ان يتبدد بالعواصف الجديدة ... كل هذه تزول فلا يبقى منها الا ذكريات واحاسيس وافكار تثور في الوجدان وفي العقل وتطالب بحقها ان تبرز الى الوجود حروفا سوداء على طرس ابيض . وهكذا وجدت ان ادبي ، الذي ظننته لهوا زائلا ، قد اصبح قيمة ثابتة ، وزال او تضاءل كل ما عداه . لقد تمسكن الادب فتمكن ، وكان خادما مسخرا فاصبح سيدا متملكا . وهكذا ، يا

سيداتي وسادتي ، اجدني امامكم الآن ، لان لي رايي فيما يقال في الادب وفيمن يقال لهم . اجدني متهيئا للحديث بصفتي اديبا ، مقرا بهذه الصفة على نفسي غير مستطيع التهرب منها او التنصل .

نعم ، انه لا مفر لي من ان اتكلم ، كاديب ، عماذا يكتب الاديب ولمن يكتب . وان لي آرائي في هذا الموضوع ، كما قلت آنفا . وهي آراء قد لا تنطبق تمام الانطباق على ما يظنه الناس ، وعلى ما تقول به جمهره الادباء بصورة خاصة. وحين اتامل في هذه الآراء من زاويتي نظر مختلفتين اجد انها تبدو لي على طرفي نقيض من حيث مقاربتها للصواب او مجانبتها له . مره ارى انها يجب ان تكون صائبة لانها احكام صادره من ممارس للادب لم يقع تحت تاثير الظروف التي تغل يدي الاديب وتحول دون انطلاقه في التعبير عما يريد وبالصوره التي يريد . ومره اخرى اجد انها لهذا السبب نفسه خاطئة ، او انها لا يمكن ان تفي بالحقيقة كاملة . فالشوق لا يعرفه الا من يكابده ولا يعرف الصبابة الا من يعانيها . . . واني حين اتخذ الادب ملهاة ، وحين احاول ، ولو محاولة فاشلة ، التبرىء منه ، لا استطيع ان احكم عليه حكم من ياخذه امر جد ، او من يفخر بالانتساب اليه ، دعك من الذي يعتمد عليه وسيلة للعيش وينتزع اللقمة من شق القلم في معاناته . هكذا ترون اني وجدت، مقدما ، اعذاري للثغرات التي سترونها في آرائي من عجز او خطا وتقدير سيء . ولكن كل هذا لا يحول بيني وبين التصريح بهذه الآراء ، ولا في تحمل مسؤولية ما لم يعجبكم منها تحملا كاملا .

لنبحث في البدء عن جواب الشطر الاول من السؤال : موضوع حديثي اليكم في هذه الامسية : الاديب ماذا يكتب ؟

الاديب فنان الكلمة . الا انه ليس الوحيد الذي يحتكرها فالخطيب والعاشق والسياسي ، وكثيرون غير هؤلاء يستخدم كلهم الكلمة ، ولكل منهم فنه في استخدامها . لنتأمل في فن السياسي في هذا الميدان . . . يقول تاليران ان السياسيين اخترعوا الكلمات ليخفوا بها الاراء . هكذا قال الوزير الداهية الذي يتهم الساسة ، وهو على راسهم، بانهم يستخدمون الكلمة لغير ما خلقت له ، للتغطية لا للافصاح وللتعمية لا للايضاح . وما اظنكم ترون ان هذه هي طريقة الاديب في الانتفاع من الكلمة . بل اني لو قلت بان طريقة الاديب هي الطريقة المناقضة للطريقة التي ينسبها تاليران الى رجال السياسة لوافقني كثير من الناس على قولي ، اذا لم يكن كلهم . فهل الكلمة عند الاديب الا الوسيلة التي بها يعبر عن رايه ويصف احساسه ويصور ما يريد تصويره من عوالم واقعة او متخيلة ؟ ولكني اقول مع ذلك اننا لو امعنا النظر في الذي يكتبه الاديب لاكتشفنا ان له ، للاديب اعني ، اسلوبه في استخدام الكلمة لغير ما خلقت له . صحيح انه ليس مثل السياسيين من مدرسة تاليران، يتعمد اخفاء آرائه بكلماته ، ولكن آراءه نفسها ، او ما يتحدث بالكلمات عنه من احساس او وصف وتصوير ، ما هو مكانها من الحقيقة في نفسه وفي العالم الذي يحيط به؟

يكتب الاديب الكثير من واقع ومتخيل باساليب شتى وبانماط مختلفة . ولكن كل ما يكتبه لا يخرج ، في حقيقته عن نوازع نفسه وعقله . . . لا يخرج عن رغبات عاطفية او امان فكرية قد تكون مدركة عنده او غير مدركة . ان ثقافة الاديب الفكرية . وبيئته الجغرافية والاجتماعية ، ومعرفته وتجاربه ، كلها عناصر ذات اهمية فيما يكتبه ولكن وظيفتها هي وظيفة الخيوط المختلفة الالوان والاحجام في النسيج الذي تنسجه موهبة الاديب . انها مواد اولية مسخرة للفكرة التي يريد بها الكاتب التعبير عما يكتب . وفي رايي ان نوازع نفس الاديب وعقله ، التي اقول ان الاديب يكتبها، هي نوازع ذات اتجاه معين . انها تدعوه الى التكامل ، الى محاولة اتمام ما يحس بنقصه في الحياة والفكر ، او في ميدان النفس او في مجاهل الروح . واذا كان ثمة اختلاف بين اديب واديب فانه ليس اختلافا في ماهية البحث عن هذا التكامل ، بل في ميدانه ، او في اسلوبه .

هذا الذي اقوله قد يبدو غامضا ، وحين يزول غموضه قد يبدو جديدا ، وقد يبدو غير معقول . فاسمحوا لي بتفسير غموضه قبل كل شيء . نحن نعرف عظم طموح الانسان وكثر متطلباته ، ونعرف كذلك عجزه وتحدد امكانياته . والاديب بين الناس ، في اتصافه بسعة الخيال وولوعه بالجمال وبحثه عن الكمال ، اكثر الناس متطلبات في حين انه في الغالب من اضعفهم في الامكانيات . فماذا يفعل ؟ ان الغني يشتري تحقيق امنياته بالمال ، والمحارب يغتصبها بحد السيف . اما امنيات الاديب ، وهي في الغالب اندر من ان تشترى بالمال واعز من ان تكتسب بالسلاح ، فانه ، اعني الاديب ، يحققها بانه يكتبها . الى ماذا تنزع نفس الاديب وماذا يتطلب عقله ؟ ذلك يختلف باختلاف الادباء ، ولكنهم كلهم يسلكون الى تحقيق تلك النوازع وتلك الاماني طريقا واحدة ، هي طريق الابداع الفني . يشعر الاديب ، في فترة من فترات حياته ، بأن الكمال لا يبلغ الا في الشباب الدائم او في الجمال الذي لا يذبل . تلك الامنية كما قلت لا تشترى بالمال ولا تكتسب بالقسر ، غير ان الاديب يخلق بموهبته ما يقصر الواقع عن خلقه او ما لا تسمح بكينونته قوانين الكون السائدة . انه يخلق شباب فاوست الدائم كما فعل غوته ، او جمال دوريان غراي الذي لا تمحوه السنون التي تمر ولا الآثام التي تقترف كما فعل اوسكار وايلد . ويضيق شيخ اعمى بدنيا لم يذق فيها الا المرض والحرمان والوحدة فيتمنى لو انه استطاع اغراقها بطوفان او اجتثاث اهلها عن ظهر بسيطتهم . فماذا يفعل وهو النحيل الجسم الضعيف الحول الرهين في مجالس ثلاثة ؟ انه يحرق بنار لزومياته

---

* حديث القي في المركز الثقافي في مدينة اللاذقية مساء السبت في ٢٤ نيسان ١٩٦٥ .

هذه الدنيا التي يظلم فيها الرعية امراءهم اجراء ، ويدعى فيها الصلاح شيوخ مرأوءون ، وتخدع فيها النساء الرجال فما هي الا كما وصفها :

ولو كانت الدنيا من الانس لم تكن سوى مومس افنت بما ساء عمرها
تدين لمجدود وان بات غيره يهز لها بين الخطوب وسمرها

فازوميات المعري ليست الا نوازع نفسه نظمها ليحقق بادبه ما هو عاجز عن تحقيقه بوسيلة اخرى . وكذلك كانت الكوميديا الالهية تحقيقا لما تمناه دانتي فلم يتحقق له ، اعني لقاء بياتريس التي لمحها لمحة على الجسر ثم ضاعت منه فانشأ كونا بجحيمه ونعيمه ومطهره كي يلقى فيه حبيبته . وماذا كان يمكن ان يكون ديوان المتنبي لولا نزوع نفسه الى المجد والسلطان ، نزوعا لم يتحقق له في الواقع ولكنه تحقق له في شخص سيف الدولة فاعطانا صورته الملحمية ، وافتقده في بلاط كافور فاعطانا صورته الناقمة والساخرة ...

لقد اعطيت امثلة ضخمة للنوازع التي تحرك قلم الاديب فتجعله يكتب ما يشعر بانه ينقصه او ينقص العالم الذي يعيش فيه . وانا ازعم ان الاديب يكتب بتاثير هذه النوازع حتى الصور البسيطة التي يصفها ببيانه . فهو حين يصف وردة بعينها لا يقدم صورة الوردة كما تقدمها آلة فوتوغرافية وانما يصف الوردة التي يتمناها او يشتهيها ، والتي تعجز الطبيعة عن ابداعها بالشكل الذي يريده هو . الاديب لا يكتب الواقع مهما التزم الدقة في محاكاة ذلك الواقع . ذلك ان كتابة الواقع هي مهمة المؤرخ او كاتب الضبط ، اما الاديب فانه يتم ما عجز الواقع عن ان يتمه . ولذا قيل بان الفنان يكمل نقص الطبيعة .

ارجو ان يكون بعض الغموض قد تبدد عما اراه من ان الاديب يكتب نوازع نفسه وعقله الى الكمال فيما يريده ويتمناه . وحين اقول الكمال هنا ، فاني لا اعنيه بالمعنى الاخلاقي والا فما كان لي ان استشهد باوسكار وايلد كما اسلفت ، ولن يكون لي مثلا ان استشهد بابي نواس او بايرون ، مثل استشهادي بالمعري او بتولستوي ، وهو ما استطيع أن افعله بكل ثقة . فالكمال الذي اعنيه قد يكون اخلاقيا او جماليا او يكون في ميادين اخرى لا تمت الى الاخلاقية او الى الجمالية بسبب . كنت طالب طب ، فكانت تمر بي في مشاهداتي في المستشفى وفي دراساتي النظرية حادثة او قضية يكتنفها الغموض او تثير الفضول ، فاتمنى او أكون الطبيب المعالج او الباحث الدارس كي استطيع ان استقصي او اتصرف او اعطي الراي القاطع والعلاج النافع ولكن كان ابعد ذلك مني وانا التلميذ الهزيل المعرفة الضعيف الامكانيات . حينذاك كان الاديب يتململ في اهابي ، كانه يقول : انا لها ! ويخلق مني الطبيب ذا المعرفة التي لا تخطيء والذي يتصرف بثقة واطمئنان بحيوات الناس المتزاحمين في باب عيادته ، وذلك في قصة كنت استوحيها من تلك الحادثة او حول تلك القضية التي اثارت فضولي كدارس علم وكفنان . وهكذا كتبت قصص كتابي الاول « بنت الساحرة » التي كانت تدور على الاطباء والمرضى . هكذا كان حين كنت طالب طب . فلما اصبحت الطبيب الذي كنت اتمنى ان اكونه ، وازدحم المرضى بباب عيادتي ، ونصبت ، بحق او بغير حق ، قيما على صحة اجسادهم ونفوسهم ، ماذا فعلت ؟ حين اشبعت نوازع نفسي في هذه الناحية من نواحيها ، فارقني الا قليلا ميلي الذي كان لي الى الكتابة عن الطب وناسه وقضاياه . لم انقطع عن الكتابة طبعا . ولكني ، في الوقت القليل الذي ابقاه لي عملي الطبي ، رحت انفرد بنفسي واكتب قصص الحب والغرام!

ذلك ان الواقع الكامل ، اذا وجد الكمال في واقع ، لا يغري الاديب ولا يستثير دوافعه الى الكتابة . كثير منا يعرف قصة الراعي الصغير واميرة البحر . راع صغير كان يحدث اترابه ، حين يؤوب كل مساء مع قطيعه ، بقصص يخترعها خياله عن اميرة البحر التي برزت اليه من الامواج وهو يرعى خرافه قريبا من الساحل ، فتحدثت اليه وسامرته وغازلته ثم غادرته الى مركبها من الزبد ضاربة في عرض المحيط . وفي ذات مساء ، بينما كان الراعي الصغير يركض وراء خروف شارد ، قبل ان يؤوب بقطيعه الى القرية ، ادهشته ان ارى موجة يأتلق النور حولها تتقدم اليه من الافق البعيد . وكانت على الموجة اميرة البحر بنفسها ، بوجهها الرائع الجمال وعينيها الخضراوين وشعرها الذهبي وثيابها المرصعة باللؤلؤ والمرجان . نزلت الاميرة من محارتها التي كانت تعتليها كزورق ، وخطت على رمال الشاطىء حتى تناولت الراعي الصبي فحدثته وضاحكته وقبلته ، ثم رجعت الى محارتها ، وامتطت موجتها عائدة الى الافق البعيد ، فلما آب الراعي الى القرية والتف حوله الاتراب يسالونه عن اميرة البحر وجدوه لا يجيب . لقد اصيب بالخرس ، فصمت الصمت الابدي اذ لم يعد لديه ما يتحدث عنه . اعني ما يامله ويتمناه ...

وهكذا الاديب . ولذا كان الادب الذي تثيره نوازع الاماني الى الكمال ، او الذي تحركه دوافع النقمة على النقص اكثر الاداب قوة واشدها تاثيرا ، اذا لم يكن هو الادب وحده . اما ادب الرضى فهو ادب مصطنع على الغالب ، ضعيف اسباب الحياة . وكمثال على ما اقول نرى ان اعظم كتاب روسيا ، هم الذين ، في نقمتهم على الاستعباد ايام القياصرة ، او في سبرهم اعماق النفوس الانسانية المتألمة في عالم لا عدالة فيه في تلك الايام ، دعوا الى الاشتراكية والعدل الاجتماعي الذي تحققه الاشتراكية ، لا الذين عاشوا في ظل الاشتراكية ونظمها الخاصة فكان ادبهم تمجيدا لها . ذلك ان هؤلاء ، الا من عصمته موهبة ادبية خارقة ، ليسوا الا مطبلين مزمرين لنظام لو عاشوا في غيره لطبلوا كذلك له وزمروا . والتطبيل والتزمير كما نعلم جميعا انفعالات هوائية مصيرها الى خواء في الفضاء .

ونتساءل هنا : هل يدرك الاديب حقيقة هذا الدافع

الاساسي لما يكتبه ؟ الجواب : ليس دائما . ومن حسن حظ الادب ذاك . فان النوازع الى الكمال ، كما نسميها ، تفعل فعلها من وراء الف ستار وستار حين تملي على الاديب ما يكتبه . فنحن لا ننسى بان نصيب العفوية في الابداع الفني اكبر بكثير من نصيب التصميم والتخطيط . ولو عرف الاديب ان ما يكتبه ينم عن النقص الذي يتوق ، في اعماق نفسه ، الى استكماله لحور كثيرا فيما يكتب ،ولجانب ما يكتبه الصدق في نفسه . اعني لكان ادبه متكلفا . فالذي في اعماق نفس الاديب ليس دوما خيرا ، او على الاقل ، ليس دوما مما يدعو الاديب الى الفخر . وقد روى صاحب الاغاني ان عثمان بن عفان رضي الله عنه استنشد ابا زبيد الطائي بعض شعره. فانشده ابو زيد قصيدته التي يقول فيهـــا :

من مبلغ قومنا النائين اذ شحطوا ان الفؤاد اليهم شيـــق ولـع

ويصف فيها الاسد . فقال سيدنا عثمان : « تالله تفتأ تذكر الاسد ما حييت ، والله اني احسبك جبانا هدانا» . ويقول احد الكتاب الفرنسيين : ان مصادر الهام الكاتب هي قضاياه المخجلة . وقد يقال ان هذه احكام لا تنطبق على كل الادباء . اما انا فأقول بان انطباقها على كل الادباء لا يكون بنفس الصورة . فعناصر المجون واحدة عند ابي نواس وعند ابن حجاج ، ولكن ابا نواس نزع الى الاوج في خمرياته ولم يسف حتى في غلمانياته ، بينما نزل ابن حجاج الى الحضيض في رقاعته وسخفه ، وكلاهما مع ذلك في ميدانه مبدع . واظن ان كثيرا من زملائي في الادب لن يرضيهم ما اقوله بأن ما يكتبونه هو استكمال ، بالقلم ، لنقص في نفوسهم او تعويض عما هم في حاجة اليه ، وان الحقيقة في الواقع كثيرا ما تكون نقيض ما يكتبونه.فرائهم . فنحن، بين كتاب قصة وشعراء ، قد ملأنا الدنيا ــ والاحرى ان نقول ملأنا صحائف كتبنا ــ بدون جوانياتنا ونرجسيتنا، فماذا يكون من امرنا حين يفطن قراؤنا ، ولا سيما قارئاتنا، بان كل انتصاراتنا على الورق كانت تعويضا لهزائمنا في الواقع ، او تحقيقا خياليا لاماني فشلنا في ادراكها في الحيـــاة ؟

قد اكون اجبت عن الشطر الاول من السؤال موضوع الحديث : الاديب ماذا يكتب ، جوابا غير متوقع اذا لم يكن غير مقنع . وقد يكون ما قلته هو التفسير الابدي،والبدائي، لكل جهد يبذله الانسان في حياته الدنيا هذه ، ايا كان ، واينما كان : انه يسعى لاستكمال ما ينقصه ، والتعويض عما فاته ، والتحقيق لما يتمناه . قال جندي روماني لجندي من المرتزقة الاسيويين الذين يحاربون مع جيش روما : لماذا تخاطر بنفسك وتحارب ؟ قال جندي المرتزقة : من اجل المال ، وانت ؟ فصعر الجندي الروماني خده واجاب : لست مثلك . . . اني احارب من اجل الشرف . فضحك الاسيوي وقال : كل يحارب من اجل ما ينقصه . . .

لقد عرفنا ماذا يكتب الاديب . فلمن تراه يكتب ؟ لاناتول فرانس كلمة في هذا القبيل يؤسفني اني لا استطيع ان استشهد بها امام كل الناس . ولكني اقول ان الابداع في كل الفنون ، ومنها الادب ، عنصر نفسي شخصي ، غير ان تفتحه وازدهاره لا يكونان اذا لم يكن هناك جمهور متلق ، مستحسن او متاثر . وحاجة الاديب الى جمهور يقراه او يسمعه مثل حاجته الى التعبير عما يشعر به او يفكر فيه بالكتابة . ونحن نعرف ، مما نقله الينا تاريخ الادب عند الامم المختلفة ، كم كلف الادباء ان لا يحتفظوا بانتاجهم الادبي في صدورهم في المواقف الحرجة او الخطرة . وفي تاريخ الادب العربي وحده نعلم ، حين كان الشعر هو ادب العرب ، كم كلف بوح الشعراء للجمهور بنتاج قرائحهم اولئك الشعراء . فهذا طرفة ، شاعر يقول معلقته الرائعة وهو في مطلع شبابه ، يفقد حياته وهو لم يتعد السادسة والعشرين في ابيات تناقلها الركبان في هجاء ملك الحيرة. وهذا وضاح اليمن ، يشبب بزوجة الخليفة ولا يستطيع ان يحتفظ بتشبيبه لنفسه ، فيدفن حيا في بئر عميق . وهذا العرجي ، الشاعر القرشي ، يتغزل بجيداء فيقول :

عوجـي علينا ربـة الهودج انـك ان لا تفعلـي تحرجي
انى اتيحـت لـي يمانيـــة احدى بني الحارث من مذحج
نلبـث حـولا كامـلا كلـه لا نلتقـي الا علـى منهـج
في الحج ان حجت ، وماذا مني واهلـــه ان هي لـم تحجج

فيغني بابياته ابن سريج وتذهب كل مذهب ، وابن جيداء امير مكة حينذاك ، فيحبس العرجي في هذه الابيات تسع سنين ولا يخرج من الحبس الا ميتا . وهذا يزيد بن مفزع الحميري يبصر لحية اميره الضخمة وقد عبث بها الهواء ، والوقت شتاء والثلج قد غمر المراعي فجاعت خيول جيوش الغزاة فيقول بيته المشهور :

الا ليت اللحى كانت حشيشا فنطعمهـا خيـول المسلمينـا

فيجفوه الامير ويحبسه ويقيده مع هر وخنزيرة في قيد واحد ، ولا يخلص من القيد والاسار والتعذيب الا بعد جهد شديد . اما دعبل بن علي الخزاعي فانه يصور احسن تصوير نفسية الاديب المتمرد الذي لا يتراجع امام المخاطر التي يعرضه اليها اصراره على ان يقول ويذيع ما يقول ، بجوابه المشهور لمن لامه على تعريض نفسه لنقمة الاقوياء في حملاته عليهم بشعره ، قال : انا احمل خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة ، لست اجد احدا يصلبني عليها. .

ما الذي دفع هؤلاء وامثالهم الى ان يستجلبوا على انفسهم النقمة ولها الاذى ، بالبوح بما نظموا وكتبوا امام من كانوا يعرفون انهم سينقلونه ويذيعونه ؟ لقد دفعهم الى ذلك ادراكهم العميق ان انتاجهـــم الادبي بحاجة الى ان يتنفس بالجمهور الذي يطلع عليه . حقا ان الاديب يكتب من نفسه ويكتب دوافعه النفسية ، ولكنه يكتب لجمهوره. انه الجواب البسيط للشق الثاني من السؤال الذي نتحدث عنه . اقول الجواب البسيط ، ولكنه في الحقيقة ليس بسيطا البساطة التي تتراءى من اول وهلة . هذا الجمهور من هو ؟ هل هو واحد لكل الادباء ؟ وهل هو واحدللاديب نفسه في كل اطوار حياته ؟ وهل يعرف كل اديب من هو

جمهوره ؟ اسئلة كثيرة تتشعب من ذلك الجواب البسيط ، ولا بد من أن نقف عند بعضها وقفة المتأمل المتمعن .

اذكر هنا كلمة لاستاذنا جان غوليه ، تعود الى نفسي كلما خطرت لي فكرة الجمهور الذي يتصوره الكاتب لنفسه. كنا طلابا في تجهيز حلب نهم باصدار مجلة مدرسية . فذهبت اليه اخبره الخبر واستشيره في ذلك . قال لي بلهجة الممازح : وهل تعتقد ان ما تكتبونه سيعيش وتنتفع به الاجيال الاتية ؟ كان ذلك استفهاما يحوي في باطنه ما يثبط همة المبتدىء ، الا انه في الوقت نفسه كان يحوى معنى حافزا على التجويد وعلى عدم القناعة بشيء وقتي القيمة ، وعلى ابداع ما يبقى للاجيال القادمة . ان فكرة الاثر الفني الدائم القيمة ، الخالد على الدهر ، كثيرا ما تساور الاديب ، ولا سيما في اول طموحه . كثيرا ما تكون احد دوافعه الى الانتاج ، كما انها كثيرا ما تكون عزاءه عن الخمول الذي يحيط باسمه لسبب او لآخر ، وعن الاعراض الذي يلقاه به معاصروه من قراء كتاباته .

الا ان الجمهور الاول والمباشر للاديب هو جمهور يخلق في وجدان الاديب قبل ان يوجد حقيقة حوله ، في الزمن الذي يعيشه او البيئة التي تحيط به . انه جمهور ذو صفات خاصة ، ابرزها ان يكون متمتعا بذكاء مماثل في نوعيته لذكاء الاديب بصورة يستطيع معها ان يفهم مرامي اديبه ومقاصده ، وان يدرك منها نواحي الجمال ومواطن الاجادة فيما يكتبه . ثم ان يكون هذا الجمهور في نفس الوقت ، ادنى من الاديب موهبة حتى يقر للاديب بالتفوق اذا لم يكن بالعبقرية . وكما قلت ، يخلق الاديب هذا الجمهور النموذجي في نفسه ، ثم يبحث عن امثال هذا النموذج في من حوله . وما من اديب الا وهو يتوجه ، في خاطره ، الى مثل هذا الجمهور الذي خلقه لنفسه يريد منه قراء ومستمعين ، ويريد منهم استحسانا او تأثرا او قبولا لما يقوله ويكتبه ، ولو كان ما يقوله ويكتبه حديثا بينه وبين ذاته او بينه وبين انسان بعينه . ان اشعار مجنون ليلى نجوى نفس لذاتها او حديث محب لحبيبته ، الا ان قيسا لم يكن محبا فحسب ، بل كان اديبا يقرأ قصائده على روايته في انتظار ان يذيعها هذا الراوية ، في البدو الحضر ، على كل الناس الذين هم جديرون بان يفهموا ما يقول قيس وان يعجبوا بما يقوله . وحين كتب المعري رسالة الغفران فابدع فيها ذلك الجزء الخيالي المشحون بروائع السخرية والمعرفة النفسية والتصوير الفني ، ما كان يقصد ان تكون رسالته مجرد جواب على رسالة ابن القارح ، فقد ابدع اثرا فنيا ليقرأه من هم ادق فهما واوسع ادراكا من ذلك الشيخ المسكين . وكذلك كان يفعل موليير ودستويفسكي وبالزاك ، وغير هؤلاء . قد يكتب واحدهم منصاعا لرغبة الامير او لسداد دين متراكم او استجابة لضغط الناشر ، ولكن نموذج الجمهور المثالي لا يبرح فكره ، فهو يكتب لذلك الجمهور وكأنه كائن حقا . فاذا ما صار الاثر الادبي حقيقة واقعة تكشفت للاديب حقيقة جمهوره ، ودخلت عوامل جديدة تحدد ذلك الجمهور او تصطفيه او تبدله تبديلا كليا .

والواقع انه قلما تتلاءم حقيقة الجمهور الذي يقرأ للاديب في الحياة مع الصورة النموذجية التي يرسمها الاديب له في نفسه . ويختلف الانفعال الذي ينجم عن اكتشاف هذا التباين باختلاف الادباء . ومن هنا تصل الينا صور ، بعضها مؤس ، وبعضها مضحك ، لخيبة امل الاديب في جمهوره . فاذا ما حز في نفس الاديب ان لا يجد من يفهمه تراه يقول كما قال الصافي النجفي :

انا في الشعر كالغريب ، فجيلي ... في عكاظ او بعد ذا العصر جيلي

او كما قال ابو العلاء :

بني زمني هل تعلمون سرائرا ... علمت ولكني بها غير بائح
سريتم على غيي فهلا اهتديتم ... بما خبرتكم صافيات القرائح
وصاح بكم داعي الضلال فما لكم ... اجبتم على ما خيلت كل صائح

او تراه يفعل كما فعل كلثوم بن عمرو العتابي ، وهو الشاعر الذي قال عنه يحي بن خالد البرمكي لابنائه : ان قدرتم ان تكتبوا انفاس كلثوم بن عمرو العتابي فافعلوا ، فان تروا ابدا مثله . يقول الرواة ان احد اصحاب العتابي رآه يأكل خبزا على الطريق بباب الشام ، فقال له : ويحك اما تستحي ان تأكل امام الناس ؟ فقال العتابي : ارأيت لو كنت في دار فيها بقرة اكنت تستحي ان تأكل وهي تراك ؟ قال صاحبه : لا . قال العتابي : فاصبر حتى اعلمك انهم بقر . ووقف بجانب جدار هناك فأخذ يعظ ثم يقص القصص ثم يروي الاحاديث الدينية ويدعو حتى اجتمع عليه خلق كثير واشتد الزحام . حينئذ قال للناس حوله : روى لنا غير واحد انه من اخرج لسانه فبلغ به ارنبة انفه لم يدخل النار . فما بقي واحد من الجمهور الا واخرج لسانه يوميء به نحو ارنبة انفه ليرى هل يبلغها ام لا . فالتفت العتابي الى صاحبه واشار الى ذلك الجمع الذي يحرك افراده السنتهم تحت انوفهم كما تفعل الثيران وقال: الم اخبرك انهم بقر !

على اننا نعرف ان المسؤولية في خمول الاديب وتجاهل الجمهور له لا تقع دوما على الجمهور . فان كثيرا من مدعي الادب يسترون ، وراء اتهامهم الجمهور بقلة الوعي ، قصورهم هم وضعف موهبتهم . كما ان تجاوب الجمهور مع اديب لا يعني دوما ان ادبه ذو قيمة كبيرة . فقد يكون التجاوب هذا مفتعلا ، تجاوبا للاديب مع الجمهور لا تجاوبا للجمهور مع الاديب . بمعنى ان الاديب يكيف ادبه بشكل يتلاءم والقيم الرائجة عند جمهوره . فمثل هذا الاديب لا يكتب ادبا بل يبيع بضاعة في السوق . والى هذا مرد الرواج الذي يلقاه ادب يداعب غرائز المراهقين في الشعوب التي تقع النسبة الكبيرة من قرائها في سن المراهقة مراهقة عمر او مراهقة نفس . وكذلك رواج الادب الذي يتحدث عن آراء اجتماعية او سياسية معينة في البلاد التي لا يسمح ان يعرض في سوقها الفكري غير تلك الآراء . وماذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انا ما جفوت

للناس في درب الحياة اذا مشوا ... نهجان : معتدل وآخر أعوج
الله يشهد والمروءة انني ... ما سرت يوما ظالما أتعرج
أنا من عرفت وقد بلوت سريرتي : ... خلق كما تهوى ، وقلب أبلج
هل كنت الا السيف حين تهزني ... هل كنت الا النجم ليلة تدلج
يأبى لي الخلق الرفيع تحولا ... عن منهج الحسنى ، ونعم المنهج
لي مقول في الحق ليس ملجلجا ... غيري يجمجم تارة ويلجلج ...
أنا ما جفوت ، وانما اندثر الشذا ... والياسمين طغى عليه العوسج
وتر اجش ، ومهجة مقروحة ... وهوى يئن ، وعبرة تتدحرج

لندن

سعيد العيسى
من « العروة الوثقى »

ينتظر من رواج او ازدهار للادب الصادق اذا انعدم النضج او فقدت الحرية ؟

غير ان خيبة امل الاديب في جمهوره لا تثبط همة الاديب الحق ، وان احس منها المرارة او لاقى فيها العنت ، بل لعلها احد حوافزه على الابداع . فالتمرد على الواقع ، وعدم القناعة به ، والطموح الى ما هو افضل هي من خصائص الاديب الصادق الذي يسعى بادبه الى التاثير في الجمهور وتغييره بدلا من ان يتغير هو بالجمهور . وقد اتهم الادباء الكبار ، حتى من لقي منهم مجدا في حياته ، جمهورهم بالتخلف وعدم الادراك . يقول برنارد شو ان الجمهور ساعة كثيرة التاخير بالنسبة للعبقرية . ويقول اوسكار وايلد : الجمهور كثير التسامح ، الا مع العباقرة ، ويقول المتنبي :

اذم الى هذا الزمان اهيله ... فاعلمهم فدم واحزمهم وغد

ولكن ذلك لم يحل بين هؤلاء الادباء الكبار وبين ان يكتبوا للجمهور الذي لم يكونوا يؤمنون به ، بل ان الاديب قد يتحدى جمهوره فيبدع في ما لقى فيه الاذى من ذلك الجمهور . وموقف ابي حيان التوحيدي في هذا المجال مثال ناطق . فهذا اديب بائس يعانده الحظ ، ويضطهده الامراء الذين يسعى لاستجلاب رضاهم ، وينصرف عنه الاصحاب ، ويخونه الاصدقاء ، فخرج من كل هذا بكتاب ضخم في الموضوع الذي اكتوى بناره ، واعني كتابه في الصداقة والصديق . وعزاء هؤلاء الادباء الكبار هو في ان اجيالا قادمة ستأتي وتكون اكثر ادراكا واكثر انصافا . قد تأتي هذه الاجيال او لا تأتي . وقد ينصف في زمن تال الاديب الذي انكره الجيل الذي عاش بين ظهرانيه ، وقد لا ينصف . ولكن هذه الفكرة ، فكرة المستقبل المنصف ، نعمة من نعم الله على الادب ، وعلى الادباء ، هؤلاء الذين يرون انفسهم صفوة الخلق وقادة العالم بينما يقصر العالم في امرهم حتى ليصنفهم احيانا بين الكسالى او الفاشلين او مرضى النفوس . ولعل لسان حال الادباء ، حين تذكر آمالهم في الاجيال القادمة الواعية والمنصفة ، يردد قول الشاعر القديم :

مني ان تكن حقا تكن احسن المنى ... والا فقد عشنا بها زمنا وغدا

احسبني قد اطلت في الكلام عن الاديب ماذا يكتب ولمن يكتب ، ومع ذلك فان للحديث وجوها كثيرة تجنبت التطرق اليها لئلا اثقل عليكم باكثر مما فعلت . فارجو ان لا يؤخذ علي اني لم اكن في كلامي محيطا بكل ما يجب ان يحاط به . لقد تكلمت كاديب مارس الكتابة فكتب ما بنفسه وما تتوق نفسه الى ان يكون . وكتبت لجمهور احبه ، وان وجدته احيانا قليل الادراك ، أو قليل الاحتفال بما يجب ان يحتفل به ، او ظالما . ولكن كل اديب ليس لنا . بل لعلي نفسي لم اكن ذلك الاديب في كل احيان ممارستي للادب . ولعل هناك من الاجوبة على السؤال المطروح بقدر ما هناك من ادباء . فما نحن والحقيقة المكلفة الا كأولئك العميان والفيل الذي وصفه كل منهم بصفة العضو الذي امسكت به يده من الحيوان : كلنا صادق ، وما منا من ادرك الحقيقة كاملة . وانا اذا استطعت ان اشرح لكم جزءا ، ولو كان ضئيلا من هذه الحقيقة ، فاني ارجو ان لا اكون اضعت من وقتكم وحملتكم هذا العناء للاشيء . ومهما يكن فانا الكاسب اذ اني قد وجدت سوقا عرضت فيها ارائي ، ثم اني ظفرت بكم كمستمعين في هذه البلدة العزيزة التي اعجبت منذ زمن بعيد بعلو كعب ابنائها في الثقافة وتعلق ناشئتها بالادب وتقت دوما الى لقاء بمثقفيها على الصعيد الشخصي ولطالما جمعتنا على الصعيد المعنوي الصحف والاقلام .

الرقة ـ سورية

عبد السلام العجيلي

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من « العروة الوثقى » في لندن

* * *

بقي علينا قبل الدخول في بحث الوجودية نفسها ان نبحث بايجاز في فلسفة « هيكل » الالماني التي كان لها اكبر الاثر في ايجاد الفكرة الوجودية بسبب رد الفعل ضدها ، ثم في بعض الحركات الفكرية التحريرية التي وجهت الانسان الى الاهتمام بنفسه دون الاهتمام بافكار معنوية مجردة او بمبادىء تباعد بينه وبين نفسه . وليس من السهل ، كما لا يخفى على الذين لهم المام بالفلسفة ، على المرء ان يشرح فلسفة هيكل شرحا وافيا وسهلا في الوقت نفسه ، لان هذا الفيلسوف لما اراد هو شرح فلسفته شعر بالحرج لانه وجد ان مفردات اللغة الالمانية لم تكن وافية بالغرض للتعبير عما يخالجه من افكار وما يعتمل في عقله من مبادىء فلسفية ، وهذا هو السبب في ان الكثيرين ، ومنهم شوبنهور ، نعوا على « هيكل » طمطمائيته في التعبير وعجمته في التفسير ، ولذلك فسنقتصر هنا على موجز لهذه الفلسفة ليكون مقدمة لبحثنا فيما بعد في الخطوات الاخرى التي ادت الى الوجودية .

وجد هيكل من دراساته للفلسفة القديمة والفلاسفة الذين سبقوه ان هؤلاء اهتموا بالعلة ولم يهتموا بالتعليل الاساسي . فلو وضعت ماء على نار ورايت الماء يغلي ، فقد تكون العلة في الغليان هي النار ، ولكن هذه العلة ليست التعليل الاساسي وليس الغليان نتيجة منطقية لوضع النار تحت الماء . وقد نرى الزيت يحترق والثلج يذوب والماء يغلي ، ولكن هذه الحوادث تقف عند هذا الحد ونقف نحن عندها بدون ان نستطيع استنتاج شيء عن حقيقة هذا العالم ، هل هو مؤلف من حوادث منفصلة لهذه الحوادث ، او من ذرات ، او من احساسات مفردة ، او من افكار بسيطة ؟ حتى اننا لو توصلنا في ايجاد العلل الواحدة بعد الاخرى الى ان نصل الى العلة الاولى ، فاننا هناك نحتاج ايضا الى تعليل هذه العلة وهكذا ، ام ان العالم عبارة عن حقيقة واحدة ومنها تتشعب المظاهر التي نشعر بها ، كما تتشعب الافراد من الانواع وتتشعب الانواع من الاجناس في خلفة واحدة شاملة ، او كما قال « سبينوزا » بان العالم حقيقة واحدة والموجودات في هذا العالم عبارة عن صور منسوخة عن تلك الحقيقة . فقد كان هذا الفيلسوف يعتقد ان العالم مادة واحدة سماها الله ، ولها صفات لا عدد لها ، ولكن الذي نعرفه من هذه الصفات العديدة صفتان : الفكر والامتداد ، وكل ما عدا ذلك خارج عن نطاق الاستطاعة العقلية .

اما « هيكل » فانه لم يقبل بنظرية سبينوزا بان الانسان لا يستطيع الوصول الى الحقائق بعد حد ما ، وقال ان العقل قادر على اكثر من ذلك ولا يقبل تحديدا . وقال ان المادة التي هي قوام العالم هي عقلية محضة ، وتتالف من الفكر ولا شيء غير الفكر ، وتقوم على نوعين من الفكر : حسي وغير حسي ، ولكن العالم لا يتالف الا من هذه الفكر ، ولا يتالف من اي شيء آخر . وبما ان الافكار تسير سيرا منطقيا فالعالم اذن لا بد ان يكون نتيجة منطقية ، كما تكون النتيجة المنطقية من المفروضات ، وان ما نجده في هذا العالم وما يجري فيه يسير على نظام جدلي منطقي . ولكن كيف جاز لهيكل ان يقول بوجود هذه الفكر ؟ وعلى اي شيء اعتمد في هذا القول ؟ فاننا اذا قلنا ان الحواس تخدع الشخص وتريه غير الحقيقة ، فهل يجب ان نعتمد على العقل المجرد وحده لمعرفة الحقيقة ، كما هو راي الذين يدينون بمذهب تحكيم العقل في الفلسفة Rationalism واذا كانت المظاهر هي كل شيء في هذا الوجود ، فيجب علينا اذن اما ان نقلع عن البحث عن الحقيقة الصرفة لان هذا على راي « كانت » متعذر ، واما ان نكتفي بهذه المظاهر . وهنا لا بد من معرفة قولنا ان شيئا موجود . فما هو هذا الوجود ؟ يقول هيكل بوجود عالمين : عالم الظاهر وعالم الحقيقة . فعالم الاشياء المحسوسة كالاحجار والبيوت والكتب والكراسي والنجوم هو عالم الوجود او عالم الموجودات ، وعالم الرياضي والمنطقي والرموز والمعاني المجردة لا يعتبر عالما وجوديا بمثل العالم الآخر . ولكن بعض الافكار الرياضية كالصفر او اللانهائية مثلا يمكن استعمالها عمليا في عالم المحسوسات الموجودة في الهندسة وغيرها ، فهي اذن يمكن نقلها من عالم الى عالم ، ولكنها غير موجودة بمثل وجود الكرسي او الكتاب مثلا ، وانما وجودها يكون عن طريق (الكينونة) . وهي حقيقية ، واولا ذلك لما امكن تطبيقها في الاعمال الدنيوية الموجودة . فالكينونة والحقيقة كلمتان تختلفان في المعنى .

ولا يكون الشيء حقيقيا الا اذا كان كليا ، فالحمرة المحسوسة هي احدى الكليات ، وهي ليست جزئية بمعنى انها شيء أحمر ، بل هي الجامع بين جميع الاشياء الحمراء فالحمرة اذن معنى تجريدي كلي يشمل جميع الاشياء التي لها صفة الحمرة . وقد نمعن قليلا في التجريد المعنوي فنقول ان الحمرة والخضرة والسواد والبياض مثلا يجمع بينها شيء غير محسوس وهو (اللون) . فاللون ينتمي الى عالم الكينونة الصرفة ، ولكنه حقيقي ولا يعتمد في كيانه على حالة معينة من الحالات المحسوسة . وبما ان الشيء لا يكون حقيقيا الا اذا كان كليا ، فان الحجر مثلا لا يكون

حقيقيا في راي هيكل ، كغيره من الالوان مثلا او العالم المتغير ، فان هذه اشياء غير حقيقية ولكنها موجودة . فالوجود اذن في رايه طور ينشأ من الكينونة ، او ينتقل من الحقيقة الغير المحسوسة الى موجودات محسوسة ، او من عالم الروح والفكر الى عالم الدنيا ، كما يجري مثلا في تقمص بعض الآلهة في اجسام بشرية . ومتى تآلفت الكليات وتجمعت نتج عن ذلك موجود من الموجودات ، فالحجر هو عبارة عن مجموعة من الكليات تألفت وتجمعت ثم تقمصت في هذا الموجود الذي نسميه حجرا . وهذا التآلف او التجمع لا يكون اعتباطا ، بل يقوم على اساس جدلي منطقي، كما سنرى .. ولكن اين توجد الكليات التي تتألف منها الاشياء ؟ هذا غير معروف . فهي لا توجد في مكان ولا في زمان . ولكنها عبارة عن افكار ، وهذه الافكار متى تألفت على صورة من الصور احدثت موجودا من الموجودات ، ويكون تألفها عند البزوغ الى عالم الوجود على اساس منطقي وحكمة وغاية وليس على العمياء . فاذا تمكنا من معرفة هذا الاساس المنطقي توصلنا به الى معرفة العلة التي ما بعدها علة ، واصبح في مقدورنا تعليل الحوادث والتغير في هذا العالم ، كما لو كنا نعلل او نفسر انتقال النبات من البذرة الى الزهرة او من الشتلة الى الثمرة . ويدعي « هيكل » انه وجد هذا الاساس المنطقي وهو الذي يسميه بالجدلية Dialectic .

ونشرح الآن شيئا من هذه الجدلية . فهو يقول ان ابسط الافكار المجردة هو الكينونة، ومن هنا تكون البداية . ولكن الكينونة هي لا شيء ، لانها مجرد فكر ليس لها تحديد ولا تقييد ، ففكرة الكينونة تعطينا فكرة العدم ، وهما فكرتان متنافيتان ولكنهما شيء واحد . ومن التنافي والتطابق معا تحدث (الصيرورة) . فالحد الاول هو (الكينونة) والحد الثاني (العدم) ومن تفاعل هذين الحدين يحدث الحد الثالث وهو (الصيرورة) . وقد راينا ان الحد الاول وهو الكينونة لا يتنافى مع العدم ، ولكنه يناقضه، ومن هذه المناقضة او المنافاة يحصل شيء جديد لا هو بالكينونة ولا هو بالعدم . وهذا اساس الجدلية . فالحد الاول هو ما يسمى بـ Thesis والحد الثاني نقيضه هو ما يسمى بـ Antithesis ، ثم يعد الحد الثالث من تفاعل الحدين ومن التوفيق بينهما ويسمى بـ Synthesis . فالحد الاول ينتفي بالحد الثاني ، ومن نفي النفي يأتي الحد الثالث . والمهم في الامر ان فلسفة « هيكل » مبنية على اساس التوفيق بين المتنافيات ، ويرى ان كل وضع فيه ما ينافيه ويضاده ، حتى اذا اشتد هذا التنافي تولد وضع جديد ، وهذه هي الفكرة التي تمسك بها «ماركس» وسماها بالجدلية المادية . وقد استعمل « هيكل » الجدلية في تعليل الطبيعة والتاريخ والدين والاخلاق والفن وغير ذلك. ومن ذلك مثلا انه جعل التاريخ في جميع ادواره خاضعا في تطوراته لقوة خفية تسيره . وقال ان جميع الاديان تؤدي بفضل الجدلية الى الديانة المسيحية ، ولكنه استثنى الاسلام من بحثه . وعلى هذا الاسلوب بحث في نشوء الدولة وقال ان الدولة تترقى في مصيرها الى الملكية البروسية ، وهي فكرة مثالية خامرت نفوس الالمان في القرن التاسع عشر وحملتهم على تقديس الدولة واعطاء صاحب الدولة اكبر قسط من الاستئثار بالسلطة والاستبداد بها . هذه الاوضاع العالمية تنشأ عن تمخض الفكرة المطلقة التي جعلها « هيكل » شاملة للحقيقة جميعها .

وبعد « هيكل » انقسم اتباعه الى جناح يميني وجناح يساري ، وكان اكبر مثال على هذا الانقسام ظهور «ماركس» وظهور الفلسفة الماركسية . فان « هيكل » بنى فلسفته على الروح والاشياء الغيبية ، في حين ان ماركس استبدل الروح والغيبيات بالمادة ، وتمكن مع صديقه « انكلز » من استحداث الجدلية المادية التي تطورت فيما بعد على ايدي « لينين » وغيره من الفلاسفة الماركسيين . ولم يكن انسلاخ ماركس عن هيكل محصورا في هذه النقطة ، بل امتد ايضا الى انتقاد « هيكل » بانه جعل الانسان لعبة في ايدي الاقدار التي تصورها ، ولم يجعل للانسان كيانا في هذا العالم وحرمه من شخصيته ، كما حرمت الراسمالية العامل من كينونته وجعلته قطعة آلية مسيرة وسلخته عن نفسه وعن صفته الانسانية . وهذه النقمة التي اعرب عنها « ماركس » وحمل بها على « هيكل » شبيهة من جهة اخرى بالنقمة التي اعرب عنها الكاتب الدانيماركي « كيركيفور » . والفرق بين النقمتين ان « ماركس » اتخذ جدلية هيكل واتجه بها الى الخارج ليستعملها في تاويل حوادث التاريخ في حين ان « كيركيفور » اتجه بها الى الداخل لفحص نفسيته وادت بها الى فلسفة انفعالية شخصية غمسته في غمرة من اليأس والتشاؤم ، وكانت هذه الفلسفة بواسطة « هسرل » اساسا لفلسفته الوجودية التي يؤمن بها في الوقت الحاضر كثيرون حتى رجال من الدين الكاثوليكي وغيره امثال « بارث » و « تلتش » و « بلطمان » و «تيودور هاكر » من قبلهم . ولم يكن « كيركيفور » كاثوليكيا ، بل كان من والدين لوثريين ، وكان يحاول التوفيق بين نفسه والمسيحية ، وانتهى به الامر الى مهاجمة الكنيسة . ومن اشهر ارائه في هذا المضمار انه كان يرى في بعض الحوادث المذكورة في الكتب الدينية تناقضا ظاهريا ، فاذا استعمل الانسان عقله انكر هذه الحوادث واعتبرها غير معقولة ، واذا تخلى عن عقله فليس له الا الايمان بهذه الاشياء كما هي . ومن ذلك مثلا حادثة ابراهيم مع اسحاق ، حينما امر ابراهيم ان يذبح ابنه ، فهذه الحادثة في راي كيركيغور مخالفة للعقل السليم ، ولكن اذعان ابراهيم للامر مثال اسمى للايمان . ففي اشد مواقف هذه الازمة ، وعلى الرغم من حب الاب لابنه ، فقد اطاع ابراهيم الامر ، وكاد

أن ينفذه لولا ان الله خلصه من ذلك بلطفه . ويتكلم « كيركيفور » عن حوادث دينية اخرى لا مجال لذكرها الان . ومن اشهر ارائه ايضا ، وقد اشرنا اليها سابقا ، ان الحقيقة هي في الشخص المؤمن بها وليست في الشيء المؤمن به .

وقبل ان ندخل في تفصيل هذا البحث عن آراء كيركيفور وعن تحمسه للفكرة الوجدانية الخاصة بالانسان ، نريد ان نشرح باختصار كيف ان الانسان كان يسعى منذ زمان الى التخلص من عوامل المحيط التي كانت تبعده عن نفسه وتحدث فيه تجافيا عن كيانه الشخصي . وقد سبق لنا ان فصلنا شيئا من ذلك عند الكلام عن الانسلاخ والتجافي. ولكن الحركات التي ادت الى الوجودية هي الحركات الداعية الى تثبيت موجودية الانسان ضد الجماعية ، سواء كانت الجماعية دينية كما كان في الغرب تحت سلطة الكنيسة او زمنية كما كان في عهد الاقطاع . واعطاء الفرد الحرية التامة قد يؤدي الى انفراط عقد المجتمع ، ولكن اعطاءه الحرية الى حد ما مع ابقائه مشتركا في ذلك المجتمع هو الذي حصل في الغرب وآل اليه التطور الاجتماعي . ومن اهم الحركات التي أدت الى هذا التوفيق بين الطرفين هي الحركة الرومانطيقية . فان الذي تشدد عليه هذه الحركة هو ان كل انسان مخلوق على حدة ومختلف عن غيره ووحيد في ذاته ، وليس انه مخلوق كغيره من الناس على غرار واحد وعلى شبه واحد ، كما كان يظن في القرون الوسطى . واهم مظاهر الرومانطيقية هي الانطلاق الفردي والثورة على المجتمع ، والتحرر من القواعد والقيود والتقاليد . وهذا في القرن الثامن عشر والتاسع عشر او قبل الثامن عشر ايضا. والفرق بين الحركة الرومانطيقية وحركة الفلاسفة في فرنسا قبيل الثورة الفرنسية ان الفلاسفة ، مثل « روسو » في كتابه « اميل » يرى ان الانسان في اول امره يشاهد اولا الجزئيات البسيطة ثم يركب من هذه الجزئيات مفهومات جديدة معقدة. فهم اذن يؤمنون بالتحليل والحكم المنطقي، في حين ان الرومانطيقيين يعتقدون ان التحليل قاتل للصورة وللخيال ، وانه يجب ان يترك للمرء ان يعبر عن عواطفه كما يريد ، وان يترك العقل في نوم موقت . وهم في ذلك يتصورون الولد البريء كيف يرقب الطبيعة ويرى اجزاءها فتغمر نفسه البهجة والاعجاب ، بدون ان يلجأ الى التفكير او التحليل الذي من شأنه ان يهدم تلك الصورة الجميلة وان يمحو ذلك الشعور الاعجابي . هذا من الناحية الادبية . ولكن الحركة في النواحي الاخرى ظلت تتأرجح بين الفردية المطلقة وبين الجماعية ، الى ان ظهرت الحركة البوهيمية ، وواصلت الحملة الرومانطيقية على البورجوازية وعلى نظام الموالاة والمتابعة في كل شيء . فهاتان الحركتان ولا شك كان لهما مفعول كبير في التمهيد لظهور الوجودية . وساعدت على ذلك حركة اخرى وهي الحركة الطبيعية ، ومن اكبر ممثليها الفيلسوف الالماني « نيتشه » ، ولعله اعظم رواد الحركة الوجودية . واساس الدعوة في هذه الحركة المطابقة بين الكينونة الانسانية والطبيعة وعدم الاعتراف بوجود شيء وراء الطبيعة . وتشترك هذه الحركة الطبيعية مع غيرها من الحركات المؤدية الى الوجودية بقدر ما تكون الدعوة فيها شديدة الى تحرر الفرد وانطلاقه كما هي الحال في البوهيمية والرومانطيقية . وكثير من دعاة الفلسفة العملية Pragmatism في امريكا ينتمون الى هذه الحركة الطبيعية ويشتركون بافكارهم مع الفلسفة المعروفة في اوروبا باسم « فلسفة الحياة » التي اشرنا اليها في مقال سابق ، والتي من اهم مبادئها النمو وتثبيت الموجودية الفردية والابداع ، ولا يخفى ان الابداع وسيلة الى الاستقلال والى تبديل القديم بشيء جديد .

فالرومانطيقية والبوهيمية والطبيعية الرومانطيقية مهدت جميعها السبيل في وجه الوجودية التي هي اشد انواع الدعوات الى التحرر الوجودي الفردي . هذا من الناحية الايجابية ، ولكن العوامل الاخرى السلبية لا تقل عن هذه قوة وتاثيرا . ومن هذه العوامل عامل الانسلاخ وعامل استفحال التكنولوجيا وعامل اهتمام الانسان بمحيطه الخارج عنه دون نفسه وعامل الالحاد والخروج عن طاعة الدين شيئا فشيئا في الغرب . ففقدان الانسان لعالمه الداخلي بسبب الثورة الصناعية وتحكيم العقل المجرد على اثر النهضة العلمية ونشوء الراسمالية كان له اكبر الاثر في حركة تحررية ردا على هذه العوامل والظروف . فان النفس البشرية التي اصبحت شيئا مما يحسب ، كما تحسب اجور العمال ، ويتصرف به كما يتصرف بالسلع التجارية لم تعد نفسا بشرية بل اصبحت شيئا من الاشياء. وهذه احدى نتائج الظروف التكنولوجية ، واهم هذه النتائج انتاج الآلات والادوات حتى أن البعض عرف الانسان بانه الحيوان الصانع للادوات . ولكن الشيء الغريب ان الانسان اذا اخترع شيئا سواء كان اداة او آلة او كلمة فان هذا الشيء المخترع يصبح مع الزمان غريبا عن الانسان الذي اخترعه بل قد يصبح سيدا له بعد ان كان عبدا . وان زيادة الحياة الميكانيكية عند بني البشر قد يؤدي الى خلاف ما يقصد به في اول الامر ، كالتشويش والتأخير والازدحام التي تحدث في المدن الكبيرة بسبب كثرة السيارات وبسبب الانظمة الميكانيكية لضبط السير . وقد بلغ من طغيان التكنولوجيا على الفكر والحياة ان الاسلوب التفكيري يكاد ينطوي ويحل محله الاسلوب التكنولوجي الذي يستعمل بعض الادوات الفكرية كما تستعمل الادوات الآلية .

لندن

حسن الكرمي

من الشعر الايطالي

الشاعر الايطالي جوزيبي لونغو

Giuseppe Longo

في ديوانه ((واحد واربعون))

Quarantuno

ترجمة عيسى الناعوري

•

تعريف

ولد الكاتب والشاعر الايطالي جوزيبي لونغو في مدينة مسينا ، في جزيرة صقلية ، عام ١٩١٠ . وكاغلب النابغين من ابناء الجنوب الايطالي الفقير غادر صقلية الى الشمال الايطالي ، حيث يقيم الان في مدينة البندقية، ويصدر فيها جريدة الفازيتينو اليومية ، ويعمل كذلك في دار كابيللي للنشر رئيسا لسلسلة من منشوراتها التي تعنى بالادباء الناشرين الايطاليين واسمها Ippocampo.

لقد بدأ لونغو العمل في الصحافة منذ عام ١٩٢٧ ، وكان عمره ١٧ عاما فقط ، ولم ينقطع عنها منذ ذلك الحين . وقد تقلب في تحرير عدد غير قليل من الصحف اليومية في انحاء مختلفة من ايطاليا ، ونال عن طريق ذلك شهرة واسعة ككاتب مقالات سياسية ، وكثيرا ما كان يوقع مقالاته باسم مستعار هو باولو تارسو Paolo Tarso وقد اشتهر بهذا الاسم المستعار منذ عدة سنين .

اما اول مؤلفاته الادبية فقد كان كتابا نثريا بعنوان اكوافورته وقد ظهر عام ١٩٣٢ ، وفي عام ١٩٣٨ ظهرت له مجموعة اقاصيص بعنوان راية الفقراء وفي عام ١٩٥٢ صدر كتابه الثالث ، وعنوانه الايام الماضية الذي اعيد طبعه ثلاث مرات خلال فترة قصيرة ، وقد نفدت طبعته الاولى في الشهرين الاولين لصدوره ، وقد نال اهتماما كبيرا من النقاد الايطاليين ، كما استحق عليه مؤلفه جائزة باغوتا لعام ١٩٥٣ . وبعد هذه المؤلفات صدرت له رواية بعنوان غيوم وجياد وديوان شعر بعنوان واحد واربعون وهذا الديوان هو الذي نترجم عنه القصائد التالية (المترجم).

اللحية Barba

اغلقوا الباب
ودعوا الناس
يذكرونني
بمساوئي الخفراء
واظفاري الحادة .
ارجوكم ان لا تدعوهم يرون
منظر شيخ مريض
مسلوب الارادة
ذي لحية شعثاء

الاحلام I Sogni

دعني استطيع دائما
قيادة احلامي
الى اماكنها الثابتة
حيث تنطلق
مع الكلاب
فارى عبر الجدران
بلداننا بعيدة صافية
وبحارا ، وجبالا ، وانهارا
ودروبا في مدن غاصة بالناس .
وكان هينا علي
ان اصل اليك مخترقا الجبال .
اما الآن ، والضباب يغلف الجدران
وقد اصبحت لا استطيع القراءة دون نظارات،
فلم يعد في وسعي ان اميز
لون العصفور الواقف على حافة الشرفة .
ولم يبق لي ما يرطب فمي
غير حلاوة الذكريات

معجزة Miracolo

وانا ايضا متسربل بالربيع .
انت ترتدينه في ثيابك
وانا في قلبي .
ان عيناك تريانني
مزدهرا في كل شيء .
وهذه معجزة الحب .

الموسم المقيم
Ferma questa stagione

هذا الموسم مقيم .
شجرة دون جذور
كسروة عيد الميلاد .
ستكون لي جذوع خضر
واغصان قوية
لكي اطيق
عطايا الفرح العابرة
داخل ضيائك .

تسامح Armatura

انت في ثياب العرس
وانا مدجج بملابسي المغلقة
كمحارب قديم ،
كذلك ذهبنا لمراسم الزفاف .
ولكن قهرني
بريق ثيابك .

متجانسات Omonimie

ليس لي سلام
ولا منزل لي ،
ليس لي غير هذا العالم
بكل ما بقي لنا من الماء
الذي سينزل هذا المساء مطرا
دفعة واحدة .
ليس «لونغو» سوى لفظة متجانسة مع غيرها،
انه اسم مثل ((روسي))

في زمن ما Un tempo

في زمن ما ، في نور الصباح
كنت استيقظ شفافا

موسم Stagione

حبنا الان في موسمه
يعطينا ثمارا ناضجة .
لا تقطفيها ، بل دعيها
تجدد اخضرارها
كشجرة البرتقال في الصيف
تغير على الغصن
لون ثمرتها الخضراء
فاذا ما انفصلنا يوما
لا تظل شفاهنا جافة



جوزيبي لونغو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومثل « بيانكي »
ومثل « تيتسيو » و « فيلانو »
ومثل « لا احد » ،
وانت بعيدة عني .

آثـــام Peccati

عندما يرتفع ضغط الدم في البندقية
يتصلب شريانها الكبير
الذي يصب وينتشر
داخل نسيج شمعي من الازقة
كانه وجود مسموم
ولا يعود الماء يجري في قناله
انى البحر
الا بعد توبة طويلة
بعد ان تعترف بذنوبها
النساء واللصوص ،
فيحمل الماء معه ثمرات تلك الآثام
والزجاجات الفارغة
التي تسببت في انجابها

جســـر Ponte

اننـــا نسيـــر
على اديم الارض هذا
دون امل في الانتصار على الزمن
وجسر ريـالتـو
يعبره وحده ميـاه القنال

امسية كئيبة Triste sera

لقد عبر موسمي
فان تضحك لي بعد الآن
افواه النساء الشبقة .
ايتها الامسية الكئيبة ،
كيف استطيع ان القاك ؟

ما بقي لي Cio che mi resta

لم يبق لي غير القليل ،
وعجيـــب
انني ما ازال استيقظ
واننـي ما ازال ارى
ماء القنـال ،
وافكر فيك
وانتظر ان تاتيني مضطرمة

الموسم الذي لا يعود
Stagione che non torna

الموسم الذي لا يعود ،
وجنتـاك
النابضتـان بالشباب
اراهما من جديـد
في وجه الفتاة المراهقة المارة
متابطـة ذراع
فتاهـا العـاشق
في طريـق المرج

*

لقد كنت منيرة بكليتك بذلك السر
الذي على عتبته
كنا نتمهل في خطونا .
والآن تسيرين متابطة الامك
وندامتـك
وحرارة الذكريـات ،
ولا يلـون طلعتـك
غير الطفلة التي تمسك بيدك
وغير العابها البهيجة ،
فهي تعيد الى ذهنك
الطفولـة المفقـودة
التي ما تزال تسيل على الاهداب
في عيون الابناء النامين

شمعة النذر Cero Votivo

لكـي اصـوغ
فكرا اوليـا
تعبت كثيـرا
كعبد ارهقه الجداف ،
فاذا ما اضطررت
في مداورات الذهن
المتشابكـة
الى الجري وراء
اسرار العقل المتلاحقة بسرعة
والتي لم يقدها بعد
النـور الالهي
فسأذوب حتما
كشمعة النذر

النجمة الحانية Stella Pietasa

السنابل الخضراء
وسائر النباتات
التي لا اعرف اسماءها
مع انها تضحك بخضرتها
على الربى والسهول
بالوانها الفاتحة او الداكنة ،
وتلك الاعشاب الاخرى
من ربيبات الارض ،
جميعها تملأ عيني
بالعجـب
الذي احمله معـي
في رحلتي القصيرة
وفي انظاري المحدقة
داخـل السر .
انني انا ايضا نجمة حانية
فـوق الدنيـا

القشـــة Il fuscello

نحـن هنـــا
حاضرون في وجودنا
كالشجرة على الغصن ،
وفـي انتظار الخريف
الـذي سيفنينـا
نعمل ، يا الهي ،
كما يليق بكل صانع .
ان عملنـا بطـيء
والحجـر الملمـع
الذي يسقط من ايدينـا
كالحجر الذي ينطاق
من مقلاع الصبي
الكامن في الحديقة
تحت غصون السنديانة العتيقة جدا
يتربص بالدوري القادم من بعيد
حاملا في منقاره قشه

تعظـــم Magnificat

هذه الحياة العجيبة
المصنوعة من معزوفات باخ
في معبد مالا تيستا
سنغطس الى مغادرتها
وسنشعر لذلك بالالم ،
سنستاء كثيرا للالوان
التي ترتعش في لوحات سيزان
وانغام الناي في الاوركسترا
وللصوت الانثوي العميق
الباحـث
في خضرة بحر الالحان
عن طحلب الاعماق المخرخـر
على شفـة المزمـار
وعلى اللفائف الناصعة
حـول اعناق الراهبات
في دمدماتهن الخافتة
عند تقديمهن النذور الرهبانية .

عمان — عيسى الناعوري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



اتحدى

* * *

اعصفي يا خطوب.. بل زلزلي الكون ... وشدي على الورى اي شد
وانثري كل زهرة تنفح العطر ... وردي شدو العنادل ردي
وامسحي بسمة الصباح ... وعري ... كل روض من كل نفحة ورد
حولي النور ظلمة وخرير الماء ... قصفا ، فما ابالي التحدي
سأغني الحياة الحان حبي ... واذيب العطور في كأس شهدي
وادير المدام في جام ودي ... واناجي النجوم في ليل سهدي

* * *

لي السماء الضحوك والبلبل الصادح ... والغصن راقصا للرياح
لي هدير الامواج عبر غدوي ... في رحاب الهوى .. وعبر رواحي
حيث ذقت الهوى ولم ادر معناه ... سلافا بريئة الاقداح
زرع الحب في فؤادي للناس ... وروى من الحياة التياحي
واراني صحراءها وهي جرداء ... جنانا تندى بطل الصباح
واسال العيون في قفرة العيش ... رحيقا يسقي ظماء الاقاحي
فنما في رحابها زهر عمري ... وتجلت بعرسها افراحي ...

* * *

رب ليل كان الحبيب به نشوان ... والبدر في السماء رقيبا
نتوارى عن عينه بعسيب النخل ... نلويه يانعا ورطيبا
ثم نغدو ولا رقيب على الشط ... نلم التراب مسكا وطيبا
مثل طفلين افلتا من زمام الام ... صاغا الحياة روضا قشيبا
وغناء الامواج ما زال في السمع ... بطول المدى قريبا ... قريبا
مبعث الفتنة التي احيت الروح ... واذكت بين الضلوع اللهيبا
انا احيا بها وان بعد العهد ... وارجو زمانها ان يؤوبا

الشارقة

صقر بن سلطان القاسمي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وصل الحـــاوي الى فسحة الحـي الترابية ، ورمى حماله عن كتفيه . وسارع كلبه في الحال الى نباحـه الموسيقي ، فتقاطر الاولاد هازجين ، وزحف عدد من الشبان اللاهين الى الفسحة ، بينهم بعض شيوخ الحي ونسائه . وراح الصبيان يتراقصون حـــول أدوات الحـاوي واكياسه المنتفخة ، وما لبثوا ان ابتعدوا الى اقصى الفسحة بعد ان زجرهم الكلب بنباحه وطاردهم .

خلع الحاوي سترته العجيبةورمى بها الى الارض بحركة مسرحية متكلفة ثم رفع يديه الى الاعلى ، مدلا علـى نظافتهما من الغش ، واسرع بانتشال بعض أدواته من الكيس . وفي لمحة عارمة بالضجيج بسط الحاوي ادواته بتناسق بديع ، وصفق بعدها صفقتين متأهبا للعمل ..

طاف الكلب حول الحاوي فخلـق دائرة بشرية، من جالسين ومتقرفصين ومنتصبين .. ثم اقعى خلف صاحبه باسطا يديه متلهفا لرؤية مزيد مـن الاعيبه السحرية . ومـا ان غلـب الصمت المكان حتى بدا الحاوي عمله مخاطبا المتفرجين بلهجة خاصة .

ـ ايها السادة ، ترون الآن العابا سحرية .. لم يسبق لكم أن تمتعتم بها من قبل .. وكلي امل ان ترضيكم ليتقدم احد الاولاد .. سأعطيـــه خاتما .

وما ان ابدى هذه الرغبة حتـى عادت الفوضى تسيطر على المكان من جديد ، اذ اندفع كل الصبيان بحماسة الى الحاوي الذكي ، العارف لامـور مهنته ، اسرع في اختيار صبي من الصفوف الخلفية ليكـون مساعده ، وفرق الباقين بابتسامة خاطفة .

نبح الكلب .. ولما لم ير بدا مـن اندفاعـــه اخترق بعض الصفـوف مطاردا الصبيان من جديد ، فخيـم الهدوء على الفسحة ، وبدت اشبه ما تكون بقاعة محكمة صامتة . هتـف الحـاوي :

ـ انظروا جيدا .

والتصقـــت العيون باصبعيه . واستدار هو نحو الجميع ، رافعا يده الى اقصى حد ممكن .. والتف حول نفسه مرات عديدة .

ـ هذا خاتـم مـــن الذهب .. ساعطيه للولد .

ثم وجه كلامه الى الصبي المذهول باستهتار فاضح .

ـ اسمك ؟

اجاب الصبي مرتعـدا ، بعـد ان وضع الحاوي يده القوية فوق راسه.

ـ اسعد .

ـ ارفع صوتك .. ما احد سمعك لا تخف .

قال الصبـــي بصـوت مرتجف ، وعيناه مقفلتان :

ـ اسعد

تابع الحاوي لعبته قائلا :

ـ اسعد .. خذ الخاتم . حطـه في جيبك . انصرف .

اطاعه الصبي واسرع يأخذ مكانه في الصف الاول ، والعيون تتملقـه بشدة ، ولم لا وقد مسه الساحـر بيـده !

وهمت امراة مسنـة ان تداعـب الصبي ، الا ان احد الحاضرين اجبرها على التزام الصمت .

قال الحاوي بأسلوب بارع ، فيـه كثير من اصول المهنة وفنها :

ـ اسعد اخذ الخاتم .. صحيح ؟

واهتزت الرؤوس بالايجاب .

ـ تطلعوا الى المنديل ..

ونشر امام المتفرجين منديلا بنفسجيا نفضه مرتين ، ثم بدأ يصنع في وسطه عقدا متتالية ، وهو يعدها بصـوت متراخ ، حتى انتهـى الى العقـــدة العاشرة ، وعندها راح يردد كلمـات غريبة لا يفهمها حتى الفقهاء ، اذ هي خليط من حروف متشابكة ذات وزن سحري . وبعد ان لوى اصابعه حول المنديل ونفخ عليه نفختين بدا يفـك العقد واحدة اثر اخرى ، وقبل ان يأتي على العقدة الاخيرة ، ولكي يضفي على الموقف مزيدا من التشويق صرخ بصوت راعـد .

ـ الخاتم في المنديل .

وراح يفك العقدة بتباطؤ شديد ، حتى التقط الخاتم باصبعيه ، فرفع يده عاليا ، وعلى ملامحه نشوة عميقة. وحـــدثت ضجة عنيفة في انحـاء الفسحة ، اختلـط فيها التصفيـق بزعيق الصبيان . وبدا الاستنكـار واضحا على بعض الوجوه في حين ان الاطفال ايدوا اعجاز الساحر واقروا بقوته ، كما ودارت على السنتهـــم اسئلة عادية ؟

ـ كيف رجع الخاتم الى المنديل ؟

ـ عجب .. الخاتم من الذهب ؟

ـ لو كان عنـدنا ساحـرون .. كثيرون ، كنا نسيطر على العالم ؟

وسمع صوت فتى يتحـدث مـن الصفوف الخلفية :

ـ معه خاتمان .. القضية واضحة كل منا يستطيع ان يلعب اللعبة .

واجاب عنه صبي صغير ، دون ان ينظر الى الخلف :

ـ هو ساحر ، انزل الى السـاحـة واعمل مثله .

وارتسمت ابتسامات باهتة علـى الوجوه ، وهمس احد الشيوخ فـي اذن الفتى :

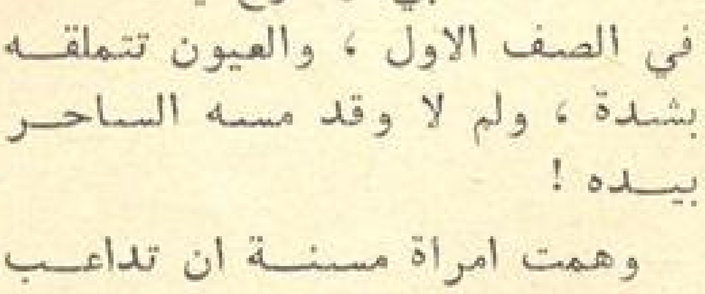
ـ باب رزق يا بني ، تطلع واسكت .. اللعبة تسلي .

ولم يدر الفتى ماذا يقول فآثـر الصمت .

حمل الكلب بفمه صحنا مهترىء

الحـــاوي

بقلم جهاد الكاتب



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجوانب ، وراح يتلكأ حول المتفرجين، ونتيجة لذلك انسحب عدد كبير منهم شاتمين هذا الاحتيال المكشوف ، بينما راحت قطع النقود المعدنية تترنح في قعر الصحن ، ويتطاير بعض منها على التراب ، فتطوع احدهم بملاحقة خطى الكلب والتقاط ما قد يقع . كان الحاوي قد انتصب وسط الفسحة فخورا ، تموج على وجهه انطباعات متناقضة . لقد اثبت امام الجميع انه عبقري ، وان كان مع نفسه يوافيه الضحك ، بل واحيانا تسيطر عليه السخرية من عمله الشائن . ولكنه يبرر لنفسه دوما طريقة كسبه ومشروعيتها ، فهو لا يجبر احدا على الدفع ، أو يسوقه الى الفسحة بالاكراه ، فما يمنعه اذن أن يقنع بصدق عمله وجديته . ورغم ان كلمة ساحر تثقل سمعه احيانا ، الا انه بدأ يتقبلها ، لا لشيء الا لانها تمثل حقيقته التي يمارسها امام الناس فاضحة .

سمع ، وهو يتفرس الوجوه ويقلبها ، احد الشبان وهو يقول لصديق له :

ـ ان كان ساحرا ، فلماذا يعمل ؟ مثلما نقل الخاتم الى المنديل فلينقل الملايين من الاموال الى جيبه .

واكتفى الصديق بان اوما براسه مستنكرا هذا الاستنتاج السخيف . ولكن الحاوي آثر ان يثبت للجميع انه لا يبتذ شيئا منهم ، فنادى كلبه، وصاح بعدها باعلى صوته :

ـ الآن لعبة خطيرة .. اقدمها للمرة الاولى .

وبدا وجهه منتفخا .. لست ساحرا ولكنني سأثبت اني اعيش من عرقي تحت هذه الشمس .. يضحكون ، يتسلون ، يسخرون .. المهم ان اعيش . المهنة يجب ان تكون محترمة .. لذلك فليس امامي الا لعبة السيف . قال وقد رفع بيده سيفا طويلا لامعا .

ـ لعبة السيف .. لعبة السيف . وشعر بالخوف يجتاح قلبه.. كل الالعاب يمكن ان يطعن بها ، الا لعبة السيف ، انها لعبة جديدة تعتمد على التضحية والذكاء . لن يقولوا له بعد الآن « هذا احتيال .. سرقة مكشوفة » . وخيل للحاوي انه بتقديم لعبته هذه سيقضي تماما على كل تحد وسخرية . هناك في القرى يمكنه ان يقوم باسهل الالعاب واقلها مشقة ، ومع ذلك يعتبرها القرويون اعاجيب خارقة . حتى ان احدهم من السذج قال له مرة بعد ان انهى العابه :

ـ تأخذ كم .. حتى اعرف الكلب سارق حصاني الاشقر ؟

وكلما تذكر قصصه في القرى شعر بتفاهة مهنته وحقارتها ، ومع هذا فهو يحمل منها ذكريات ساخرة يذكر تماما تلك المشادة التي دارت بين اثنين من القرويين .

ـ الطير كان في القنينة .

ـ لا .. الطير كان في العلبة .

ـ طيب .. والعلبة؟

ـ في الطربوش .. انا تشوفته ، ما اعمى انا .

ـ غلط ، انت بهيم ، القنينة فيها طير .. عيني ما تكذب .

ـ انا بهيم ! الطربوش فاض .. قلبه ، كانت فيه العلبة ، فتح العلبة .. كانت فيها القنينة والطير .

ولولا حكمة الحاوي وتدخله بين القرويين لتفريقهما لكان الامر قد تطور وخرج عن نطاق الرجلين . هذا ما يحدث في القرى ، اما في المدن فكل واحد ، عدا الصغار ، ينصب من نفسه شارحا ومعلقا ، لا يقتنع بشيء حتى ولو كان حقيقة .

ـ الآن ، ابلع السيف . لن تشاهدوا غير المقبض .

قال الحاوي ذلك وراح يمسح السيف بخرقة بالية اخرجها من جيبه . وكان الكلب قد اقعى خلف صاحبه مرتجفا ، وعيناه زائغتان . ورأن صمت الترقب على الفسحة ، رغم ان عددا كبيرا من الناس أخذ يتوافد الى الفسحة ، وهم يترافعون على اصابع اقدامهم . وعندما رفع الحاوي راسه الى الاعلى وفتح فمه شعر المتفرجون بقرب ساعة الصفر ، فازدادت قلوبهم اضطرابا وقبضاتهم انكماشا ، وغاظه ان يسمع همسا يقول :

ـ قضية تمرين .. اعتياد ، لا اكثر ولا اقل .

كان قرص الشمس يعربد في قمة السماء الصافية ، لا غيم ولا طير ، بل خيوط نارية تنصب كلها على وجه الحاوي . وطالت وقفته وهو يشمخ امام الشمس .. لو كان ابي علمني اي صنعة ثانية .. تافهة ، فيها تسليم بالحقيقة ، لما قابلت اليوم اللهيب . لعبة السيف خطرة ، حذرني منها كثيرا ، مع انه لا يكف عن القيام بها.. انا ايضا يجب ان استعملها.. الافواه يجب ان تصمت .. كان يجب ان يأخذوا رأيي عند ولادتي ، لا اريد ان اخرج من العتمة الى هذا النور .رفع الحاوي السيف بيمينه ووضع يسراه على حافة فمه ، ثم بدأ يفرسه شيئا فشيئا بعد ان قذف لسانه الى الخارج ، واذ اخترق السيف حلقوم الحاوي شعر المتفرجون بحرج الموقف، وادركوا ان اللعبة اخطر مما كانوا يظنون . وامعانا من الحاوي في رسم صورة جدية للعبته ، وتحديا منه لبعض الشبان المغرورين ، دفع بسيفه اكثر فاكثر الى جوفه . وسمعت لحظتها تعليقات وشهقات وصفير ناعم ، وفجأة هزت احشاء الحاوي وخزة مؤلمة ، فاغمض عينيه وارخى يديه وبدأ يطوف على المتفرجين، وقد تقاطرت حبات من العرق على وجهه، راسه الى الاعلى وركبتاه مقوستان .

كان الكلب يتابع بنظراته السيف المنغمس في احشاء صاحبه ، اما المتفرجون فقد امسك بعضهم بعضا دون وعي منهم وهم يلتهمون بعيونهم دقائق المشهد الفريد ، وشق الصمت صوت خشن .

ـ السيف من المطاط .

شعر الحاوي وكأن السماء تتهادى

بقرصها الشمسي لتسقط على راسه وغشيت عينيه الوان صارخة ، واذ لمح المتفرجون نقطا من الدم حول فم الحاوي تظهر فجأة اضطربت صفوفهم بريح من التساؤل ، وكان الحاوي يترنح بعد ان دار امام العيون القاتمة وتمتعت برؤية لعبته ، لقد ادرك ان عليه ان ينهي اللعبة والا فانه يثبت عجزه التام عن تمثيل الحقيقة وتعريتها . وعندما بدا يسحب السيف من جوفه وقف الكلب حذرا ، يحرك ذيله باضطراب ، لاهثا ، حتى انه نسي الذباب المتكاثر حول انفه واذنيه الطويلتين .

تماسك الحاوي مع نفسه حتى انتشل السيف من جوفه ، وانفجر ضجيج مفاجىء بعد ان اطلق الحاوي صرخة الم مريعة دوت في ارجاء الفسحة ، وهرع المتفرجون نحوه يجذبهم الفضول ، او لنقل الحرص على معرفة النهاية ، فما كان من الكلب الا ان اغار عليهم وراح يعيدهم ويجبرهم على الرجوع الى مواقفهم السابقة ، وبعد ان افرغ الفسحة عاد الى صاحبه يحوم من حوله ، وقفز فجأة الى صحنه ..

اما الحاوي فقد اخرج منديله بيد مرتجفة وراح يمسح دما يظهر من جديد بعد كل امرارة من يده ، ولم تبد عليه دلائل الجزع ، بل كان مطمئنا ، رغم ان مظهره يوحي بتعاسة والم . شيئا واحدا اراد ان يثبت ، وهو انه ليس محتالا او لصا .

كان الصبي الذي خبأ الخاتم في جيبه قد انسحب وفي عينيه دمعتان والحقيقة ان جمعا غير قليل من المتفرجين بدت على وجوههم خيبة امل وانطباع ساخط لم يدرك الحاوي مبعثه ، وما لبث هؤلاء ان انسلوا واحدا اثر واحد ، ولم يبال احدهم ان يقول لصديق له وهما يغادران الفسحة :

ـ واضع في فمه (برشامة) حبر احمر ، عض عليها فنزل شيء مثل الدم .

ووجد الحاوي نفسه اضعف من ان ينبس بحرف واحد ، ولكنه لم يستطع ان يمنع الدمع من التكاثر في عينيه ، فحاول ان يختلس نظرة الى السماء .. وفجأة تذكر انه لا يزال يحمل السيف في يده اليسرى .

حلب — جهاد الكاتب

يا امور الطرف

●

يا حامل الكأس .. هذا القلب ما برحا
سكران من خمرة الاهداب مطرحا

عاطيته الراح اشكالا ملونة
واحسن الخمر ما سوداءنا لفحا

جد لي بسهم من العينين منصلت
لعلني اتداوى بالذي جرحا

قال : اتئد .. ليس يجدي الطب ذا شغف
وما خبرت قتيلا في هواي صحا

فقلت : رفقا .. فاني مدنف تعب
امضه الحب حتى مله شبحا

فقال : ما ذنبنا ؟.. والله اسلمنا
روح العباد اذا ما عاشق رزحا

فقلت : هل حلل الرحمن سفك دمي
فقال : ويحك في دنيا الهوى سمحا

فقلت : لم ارتكب اثما ومعصية
بحق ظبي بارض الشام قد سنحا

احب آرام حمص في تأودها
وقد نفت عن فؤادي الهم والترحا

أحبها وليالي الشعر حالكة
وأعبد الصبح من اشراقها وضحا

والثغر .. لولا حديث كنت اسمعه
لم ادر هل برعم المنثور ام فتحا

يا أحور الطرف زدني بالعيون لظى
ما اجمل اللحظ : ما اخفى وما شرحا

ويا حنينا من الانغام ان نطقت
حسبتها البلبل الفريد قد صدحا

والوجنتان .. وماء الورد ماؤهما
كاسان من خمرة الاشواق قد طفحا

وجيدها ياسمين بت الثمه
كم من ضريح لها في صدرنا ضرحا

وعقدها سبحات جمعت شغفا
ما ابدع العنق القديس والسبحا

والناهدان كمصباحين من الق
ترى الربيع على الاضواء منسرحا

قالت : لم الآهة الحرى ومدمعها ؟
صبرا .. فكم من حبيب قبلكم فضحا

فقلت : ان لم نجد سحركم ابدا
ما فاح طيب على الدنيا ولا نفحا

نحن السكارى .. وذوب الروح خمرتنا
اكرم بها خمرة ما لامست قدحا

يا صاحبي ولي حب يعذبني
وكان قبلا اذا عاتبته صفحا

من ذا يلامه هجري ليقتلني
وقد نظمت له الاشعار والمدحا

وكم بعثت مع الانسام اخبره
عما الاقي من الاشواق والبرحا

فكان كالظبي يوليني مياسره
فان سنحت له في غدوة برحا

ما ابدع الدهر .. والايام مشرقة
واضيق الكون في الجلى وان فسحا

يا باعث الحب في الدنيا ومفرمة
ومن بيمناه هذا الكون قد مسحا

هب لي غراما كنور الشمس مشرقة
يشع صبحا ويهدي العالمين ضحى

حمص — عبدو مسوح



محمد رجب البيومي

هل من جديد في الادب الاندلسي

بقلم محمد رجب البيومي

نال الاستاذ محمد رجب البيومي الجائزة الاولى في مسابقة البحوث الادبية لمجمع اللغة العربية بمصر ١٩٦٥ ، وذلك عن بحثه القيم « الادب الاندلسي بين التأثر والتاثير » ويسرنا اليوم ان ننشر مقدمة هذا البحث الجديد ، بعد ان نشرنا في الاعداد السابقة بعض فصوله الاصيلة ، وبهذه المناسبة نذكر ان الاستاذ نال في العام السابق جائزة المجمع في الشعر عن ديوانه « صدى الايام » كما نال في العام الاسبق جائزة المجمع الاولى في المسرحية الشعرية .

بدات الدراسات الادبية تتزايد في حقل الادب الاندلسي ، وهي تلقي كثيرا من الضوء على حقائقه الغامضة ، فكل باحث جاد يخطو خطوة لاحقة في الطريق ، ويقدم من الآراء ما يكون موضع التحليل والتمحيص ، وذلك كسب كبير !

وقد رأينا من الكتاب من ينادون بالتريث في دراسة الادب الاندلسي ، وحجتهم ان اكثر كنوزه لا تزال مطمورة في خفايا النسيان ، وما تقدمه المطبعة بين الفينة والفينة من نفائس المخطوطات لا يساوي شيئا اذا قيس بما تختزنه المكتبات العالمية في الشرق والغرب ، وقد تبدو لهذا الراي وجاهة سريعة عند من لا يتعمقون الاشياء ، اما الذين اوتوا نصيبا من الدقة الحصيفة فيعرفون ان الكلمة الاخيرة في اي ادب من الآداب لم تقل بعد ، وان كثيرا من الحقائق المتأصلة على مر الاحقاب تتعرض لانهيار مفاجيء حين يعمد لها من يتسلح بالمثابرة والنفاذ فيرى بها غير ما يرى السابقون من ذوي التفكير ! واذا كان ذلك شيئا طبيعيا في دنيا الادب والعلم ، فلماذا نجفل عن دراسة الادب الاندلسي ؟ والى اي مدى تنتظر ؟ وما الذي يمنع ان نقول كلمتنا الآن ، فاذا جد جديد تتمخض عنه المخطوطات المطمورة ، فانه اذ ذاك لا يصطدم بمنطق الاشياء بل يكون اطرادا للسير على منهج معلوم ! ولعمري لو افلح هؤلاء في صد الباحثين عن قضايا الادب الاندلسي انتظارا لما سيجيء لتطاول الزمن دون ان نظفر بما ينقع الغليل في منطق اولئك ، وهكذا تضيع الحقائق بين المطال والتسويف .

ومنذ اصدر الاستاذ الدكتور احمد ضيف كتابه عن بلاغة العرب في الاندلس ، والآراء تتفق وتفترق حول هذا الادب الحبيب ، فلكل باحث رأيه الخاص في اصالة الادب الاندلسي او تقليده ، ونحن نرحب بهذا الاختلاف ، ونراه مما يزيد جلاء الحقائق الادبية وتوضيحها ، فهو يفسح مجال الموازنة والترجيح ويقدم من الآراء المتقابلة ما يساعد على الوصول الى النتائج المرضية ، واذا كان من المفيد ان نختلف ، فان من الضار هنا ان نتفق على رأي واحد لا نتعداه ، اذ ان احكام الآداب جميعها ترجع في بعض تقديراتها الى الذوق الفني وليست كقضايا العلم التجريبي الذي ينفرد فيها العقل المجرد بميزانه الدقيق ، واذا كان للذوق الشخصي نصيبه في الحكم الادبي فلا بد ان تختلف الاذواق ومن ورائها اختلاف القضايا والاحكام !!

ونكلف انفسنا كثيرا من الشطط اذ نستعرض كل ما قيل بهذا الصدد من الآراء المعاصرة منذ اصدر الاستاذ الرائد احمد ضيف كتابه عن الادب الاندلسي ! ولكننا نختار بعض الثابتين ممن يقفون وقفات متعارضة في هذا المجال ، لنسمع ما يقولون كما دونوه ، فاذا كان لنا من تعليق على ما قيل ، فبعد ان يقف القارىء على وجهات النظر واضحة مستوفاة ، وسنقف موقف المفسر فقط ! لتتضح الامور على وجهها الصحيح ...

لنا ان نختار الدكتور احمد امين على راس القائلين بتقليد الادب الاندلسي واتباعه ، فقد اكثر قديما من المناداة بهذا الراي في مقالاته الصحفية ، وبحوثه العلمية حتى اذا تعرض للفكر الاندلسي اخيرا بالجزء الثالث من ظهر الاسلام وجد المناسبة الواضحة لترديد هذا الراي الذائع عنه في اكثر من مناسبة . فانبرى يبدىء ويعيد في تسجيل هذه المحاكاة الضيقة ! فهو مثلا يقول في ص ١٠٤

« ولذلك لو اغمضنا اعيننا ، وجهلنا قائل القصيدة اهو شرقي أم اندلسي لم نكد نحكم حكما صحيحا جازما على الشاعر ، اغربي هو أم شرقي ولذلك كثيرا ما تنسب بعض الابيات الى اندلسي ، وينسبها بعضهم بعينها الى مشرقي لعدم التمييز الواضح حتى عند الخبراء ، وربما كان مصداق ذلك ما حكى ان الشاعر الاندلسي الملقب بالغزال وجد في بغداد جماعة من المثقفين ، فانشدهم شعرا لنفسه وادعى انه لابي نواس لعظم قدره عندهم ، فصدقوه ثم قال لهم :

انها لي . ولو كانت شخصية الاندلسي واضحة في شعر اهلها لصعب نسبة ابيات اندلسية الى شاعر شرقي ، غاية ما عندهم من فروق ان الطبيعة الاندلسية الجميلة مكنتهم ان يقولوا كثيرا في شعر الطبيعة ، وهذا لم يكن معدوما في المشرق ، فان الصنوبري مثلا وهو الشاعر الحلبي خلف لنا ديوانا كله تقريبا في ذلك » .

ويردد الدكتور مثل هذا القول في ص ١٢٠ وفي ص ٢٠٢ حتى اذا بلغ نهاية الشوط ختم بحثه عن الادب الاندلسي بقوله ص ٢٣٠

« ولئن دفع الادب الجاهلي الادب المشرقي ، فالادب المشرقي دمغ الادب الاندلسي وكان الظن ان يؤثر الادب الاسباني والفرنسي اثرا غير تاثير الادب الفارسي واليوناني في المشرق ولكن حدث ان تاثر الاندلسيون بالمشرق اكثر من تاثرهم بالاسبانيين لوحدة اللغة ووحدة الدين ، والخلاصة ان الاندلسيين في ادبهم وسعوا الانتاج اكثر مما نوعوه فبدل ان ينتجوا باء بجانب الالف وهو الادب المشرقي انتجوا الفا اخرى تتشابه مع الاولى في الموضوع والوزن والقافية والسجع ونحو ذلك ، وكانهم كانوا يحسون مركب النقص بالنسبة لادباء الشرق فكملوه بمجاراتهم بدعوى التفوق عليهم ، ولكنهم لم يتفوقوا ، والظاهر ان تيار المشرق كان قويا حتى استحوذ على ادب المغرب ولم يسمح له بالخروج عنه ، نذكر هذا بعد ان قرانا كثيرا من آثار الاندلسيين وقد دخلنا في بحث الموضوع ونحن نعتقد انا قادمون على شيء جديد مبتكر فاذا نحن امام قروة كبيرة مقلدة » .

هذا بعض ما ذكره الدكتور احمد امين ، وظاهر من حديثه انه كان يامل ان يؤثر الادب الفرنسي والادب الاسباني في انتاج الاندلس على نحو ما اثر الادب الفارسي وتراث اليونان في الادب العباسي ! وما نظن ذلك ممكنا على وجه من الوجوه ، لان الاستاذ يعلم علم اليقين ان الثقافة الفارسية فرضت نفسها على الدولة العباسية لان الوزراء العباسيين كانوا في الاكثر الغالب من الفرس وكان الوزير يقوم مقام الخليفة في كل الشئون تقريبا ، فجميع امور الحرب والمال والتوقيع بيده ، وكان من شروطه الرئيسية ان يكون مفكرا كاتبا عالما ، ولكل وزير كاتب مساعد يماثله ثقافة وعلما وفكرا بل كان لولاة الاقاليم كتاب من هذا الطراز المثقف الممتاز فحماد عجرد وابن المقفع وعمرو بن مسعدة وعبد الله بن سوار واضرابهم ادباء يحذون حذو الوزراء في الكتابة والمظهر فساعدوا على نشر الثقافة الفارسية وفيهم من ترجم بنفسه طائفة من آثارها الممتازة ! بل انهم لم يقتصروا على الثقافة الفارسية فتعدوها الى الثقافة الهندية فاستفاد الادب العربي من ادب الهند بلاغة وفنا ودخل من الالفاظ والقصص والحكم الهندية ما افاض في توضيحه مؤلف الجزء الاول من ضحى الاسلام ، هذا بالاضافة الى الثقافة اليونانية ومدارسها المختلفة في حران وجنديسابور والاسكندرية مما لقح الفكر العباسي بلقاح دسم مكين !! اما ثقافة اللاتينية بالاندلس على عهد الفتح العربي فلم تكن شيئا يجذب الانتباه حتى تستطيع التاثير في الادب العربي هناك ، كما لم تهيء لها الظروف من يستطيعون ابرازها من الوزراء والوجهاء على نحو ما قام به انصار الثقافة الفارسية في بغداد . . بل اننا نجزم انها كانت من الضحالة بحيث لم يجد فيها اعداء العرب انفسهم ما يحاولون به ان يقاوموا الفكر العربي في مده المتلاطم الجياش ، واستمع الى هذه الشكوى المريرة التي اطلقها القسيس الفرو القرطبي حين قال متحسرا (١) «ان اخواني في الدين يجدون لذة كبرى في قراءة شعر العرب وحكاياتهم ، ويقبلون على دراسة مذاهب اهل الدين والفلسفة المسلمين لا ليردوا عليها وينقضوها ، وانما لكي يكتسبوا من ذلك اسلوبا عربيا صحيحا ، واين تجد الآن واحدا من غير رجال الدين يقرأ الشروح اللاتينية التي كتبت على الاناجيل المقدسة ، ومن سوى رجال الدين يعكف على دراسة كتابات الحواريين ، وآثار الانبياء والرسل ! يا للحسرة !! ان الموهوبين من شبان النصارى لا يعرفون اليوم الا لغة العرب وآدابهم ويؤمنون بها ويقبلون عليها في نهم ، وهم ينفقون اموالا طائلة في جمع كتبها ، ويفخرون في كل مكان بان هذه الآداب جديرة بالاعجاب فاذا حدثتهم عن كتب النصرانية لجابوك في ازدراء بانها غير جديرة بان يصرفوا اليها انتباههم ! يا للالم ، لقد انسى النصارى حتى لغتهم فلا تكاد تجد في الالف منهم واحدا يستطيع ان يكتب الى صاحبه كتابا سليما من الخطا ، فاما عن الكتابة في لغة العرب فانك واجد منهم عددا عظيما يجيدونها في اسلوب منمق ، بل هم ينظمون من الشعر العربي ما يفوق شعر العرب انفسهم فنا وجمالا ! »

هذه الشكوى الصارخة من القسيس اللهيف تنبىء ان اللاتينية لم تكن تحوى شيئا يجذب انتباه المسيحيين من ابناء البلاد ! فكيف يكون بها اذ ذاك ما يجذب انتباه العرب الفاتحين ! وقد افلح هذا القسيس المتعصب في حمل كثير من اتباعه الى الاستشهاد الانتحاري عن طريق السب في نبي الاسلام ! ولكنه لم يفلح في صرف احد منهم عن لغة العرب وتراثها الجميل ! الا يكون ذلك دليلا حيا على خواء اللاتينية الاسبانية ! وانها لا تستطيع ان تقدم للعرب شيئا ذا بال كما كان يتوقع الدكتور احمد امين !!

على اننا نسال فنقول ماذا كان يريد نعاة التقليد ان يقوم به ادباء الاندلس من التجديد ؟ اكانوا يريدون انتاجا طافرا لا يتفق مع انتاج المشرق في شيء ! ان طبائع الاشياء تنكر ذلك فكل تجديد يحمل في طياته خطوط القديم ويحتذيه ، وما هو غير ثمرة سقطت من دوحة عريقة تضرب اصولها

(١) تاريخ الفكر الاندلسي ترجمة حسين مؤنس ص ٤٨٥ .

في أعماق القديم ! والابتكار الادبي لن يكون انفصالا تاما عن الواقع الملموس ، والا استنكره المتأدبون وثارت عليه الثوائر فلا يجد متنفسه الطبيعي ويلحقه الاختناق السريع !! اما اذا ارادوا التجديد المتئد فقد ظهر على نحو ما فيماسنفيض فيه ببعض القول بهذه الصفحات عن قريب ! وان كنا نرى ان عوامل قوية قد حالت دون التوسع الابتكاري وهي في مجموعها ترجع الى اصول نفسية تحدد للادب مجراه الذي اختطه دون ان يكون له قدرة على الانفلات البعيد .

فالعربي حين قدم الى الاندلس قدم بذكريات ادبية ولغة شاعرية ، وميول عاطفية اختلطت بدمائه وجرت في عروقه ، فهي تتخايل لعينيه في روحاته وغدواته ، وتسري اليه طيوفها الحالمة في هجعاته ، ولن يستطيع فكاكا من اسرها الخالب حتى ولو حاوله بشتى المجاهدات وهو ما يعبر عنه في علم النفس بالذاكرة العاطفية التي تجر للمرء خيوط ماضيه ، فيتمثلها أنى ذهب وجاء ! فالعربي الوافد مع الفتح الاول بدوي الديباجة ، تقليدي المذهب ، لانه وان كان في عالم جديد لا يزال يحن الى الشيح والقيصوم ، ويتذكر مرابع احبابه في صحراء المشرق وحواضره! فيهتف لسانه بما يجيش به اضطرارا دون ان ينزع الى ابتكار مقصود ! هذا هو العربي الوافد ، ولن يبعد عنه كثيرا احفاده وابناؤه ممن نشأوا بالاندلس وتفتحت عيونهم على رياضها الساحرة لانهم من ناحية اولى قد ورثوا ذكريات آبائهم ، وانحدروا من أصلاب تذكرهم بعالم اخر يزدهر فيه الافصاح البدوي ، وتنفحه انسام نجد والعقيق وسلع ، وهم من ناحية ثانية يقرءون ادب المشرق فيرون به صدى اشواقهم ، وينزعون اليه دون ان تقدر لهم رؤيته ، واقل شيء ان يحتذوه في اشعارهم فيكون مثالهم الارفع ، وانموذجهم الراقي ، ومن ذا الذي لا يقرا تراث امية وبني العباس من ادباء الاندلس المسلمين دون ان تجيش به نوازع تدفعه حينا الى الرحلة للشرق فيضرب في ابعاد الارض ليرى بعينيه ملاعب احلامه ومسارح عواطفه ، وتجذبه احيانا الى الاكتفاء بحفظ روائع الشرق وتقليدها على اتم نطاق !! لقد يستغرب القارىء ان اذكر له ان ادباء الاندلس ممن نشئوا بها يحنون الى الصحراء العربية دون ان يروها ! والحقيقة انني في حاجة الى ان اقوي رايي في ذلك بما بسطه الاستاذ الدكتور ابراهيم سلامه في كتابه تيارات ادبية ص ٢٥٤ ، اذ حلل هذا الموقف تحليلا واضحا حين قال :

« وانا لنرى ان الاستنتاج الذي استخلصه بعض ادبائنا المعاصرين ، من دراساتهم للطبيعة والشعر ليس بذي خطر، فقد فصلوا بين طبيعتين للعربي في الاندلس في ادبين عربيين لكل منهما طبيعته ، دخل احدهما الاندلس رجلا مكون الفكرة مكون اللغة ، قد عرف هواه في المشرق واغلق قلبه عليه ، فما عاد يفتح لهوى جديد ، ونشأ الآخر في الاندلس فكان مطلع حياته ، ومناط تمائمه وملعب هواه ، اما الاول فبعد ان دخل الاندلس كان يتلفت وراءه شأن كل عربي مهاجر ، يطوف ما يطوف ويشئم ما يشئم ويعرق ما يعرق وهو عالق بنجد يتنغم به في حطه وترحاله :

فان كنت قد فارقت نجدا واهله فما عهد نجد عندنا بذميم

لذلك كان العربي الاول في زعمهم بدوي الديباجة تقليدي المذهب ، يصف الناقة والجمل ويستام لها الشيح والقيصوم في بلاد لا تنبت الا النيلوفر ، ويرى الرياض امامه فلا تغريه ولا يتسلى بها عن المراعي التي تركها خلفه ، واما الثاني فقد ولد في قرطبة ومات في اشبيلية كابن زيدون مثلا، فمثله يصف ما تحت قدميه ولا يبالي بالادب التقليدي بل يبدع ما شاء له الابداع ! او ما شاءت له طبيعة الاندلس! ان استنتاجا كهذا ينقصه الاستيعاب والتعميم فكثير من الشعراء الاوائل في الهجرة اغرموا بالاندلس ، وكثير من الشعراء النابتين في الاندلس قد رجعوا بهواهم الى بلاد آبائهم واجدادهم ، فابن زيدون قبل ان يكون اندلسيا مخزومي الاصل والنجار ، وقد قلنا ان اللغة ليست مادة ولكنها مادة مصورة فما دامت لغتهم عربية فصورها واساليبها متحملة بصور البادية، والعربي فوق ذلك مرتبط بوطنه عزيز عليه ان ينساه مهما بعدت به النية وشط المزار !! »

هذا كلام الدكتور ابراهيم سلامة وهو يحل لنا مشكلات كثيرة في دعوى التقليد والتجديد ، وقوله البديع « ان اللغة مادة مصورة فما دامت لغتهم عربية فصورها واساليبها متحملة بصور البادية » هذا القول ينقذ كثيرا من الشعراء مما حكم به عليهم بعض الناقدين من عقم وامحال ! ولنا ان نضرب المثل على صحته بشاعر معاصر هو الاستاذ محمد عبد المطلب ! فقد عرف بين الشعراء بالشاعر البدوي ! وكان لشعره ـ ولا يزال ـ تأثيره الحي على قارئه لانه ـ باعتباره عربيا من قبيلة جهينة التي تنزل بمحافظة سوهاج في الصعيد الاعلى من بلاد النيل ـ قد كان يحس احساسا صادقا بمرابع اجداده في نجد ، ومنازل قومه الابعدين في الجزيرة العربية اذ كانت مهبط الاسلام ومشرق النور ثم مبعث الحضارة العربية الى العالم في شتى القارات ! هذا الاحساس المعتز ، جعله يستروح البهجة والسعادة حين يتغنى بالصحراء ! وقد كان تأثره صادقا لانه في بعض مواقف انشاده كان ينشج بالبكاء ! واكثر الادباء يحكمون عليه بالتقليد ، ويقرنونه في ذلك ببعض من يسلكون نهجه عن طريق الذاكرة العلمية فقط ! ويا بعد ما بين الشاعرين فاحدهما نظام لاقط حافظ ، وعبد المطلب يصدر عن احساس ووجدان .

والذين يشكرون لحظة في ان اللغة ليست مادة فقط ولكنها مادة مصورة تأتي اخيلتها ومعانيها متصلة كثيرا بحروفها وكلماتها ، نقدم بين يديهم ـ تطبيقا على ذلك ـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شاعرا ينظم بلغتين في موضوع واحد ، فمع اتحاد العاطفة وتوافق الانفعال ، واحتشاد الخواطر لديه ، حين ينظم باحدى اللغتين ، فاننا نرى جو الادب الذي يقيم في رحابه بناء قصيدته مسيطرا الى حد ما على معانيه ، فتأتي قصيدته قريبة من روح الادب الذي تصدر عنه خيالا وفكرة وتعبيرا ، ولديك شاعر عظيم كسعدى الشيرازي تفطر قلبه جذاذا لمحنة بغداد على يد التتار، وهاله ان تصبح مقدسات الاسلام ومصونات الحضارة نهبا هباء بين ايدي الهمج والاوشاب ، فنظم في هذه الكائنة المشئومة كما يقول عنها المؤرخون قصيدتين احداهما عربية ، والاخرى فارسية ، يقرؤهما القارىء فيرى روح الادب العربي بمادته واخيلته في القصيدة العربية كما يلمس نزوحا شاسعا عن جو القصيدة العربية في اختها الفارسية ، فاذا كان يقول في الاولى :

فاين بنو العباس مفتخر الورى ... ذوو الخلق المرضي والفرد الزهر
غدا سمرا بين الانام حديثهم ... وذا سمر يدمي المسامع كالسمر
هنيئا لهم كاس المنية مترعا ... وما فيه عند الله من اعظم الاجر
فلا تحسبن الله مخلف وعده ... فان لهم دار الكرامة والبشر
الام تصاريف الزمان وجوره ... يكلفنا ما لا نطيق من الامر

فانه يقول في الثانية ما ترجمته ـ عن بني العباس انفسهم ـ « اريقت دماء اولاد العباس كذلك على هذه التربة حيث كان السلاطين يضعون الجبين ، أواه ان تقع ذبابة على دم هؤلاء الاطهار ، فليصر اذن في فمها العسل علقما حتى القيامة على انه لا يليق النواح على دم الشهداء ذلك ان اقل سعادة لهم هو الخلد في عليين ، على الارض كان تراب اقدامهم كحل العيون وفي يوم المحشر سيكون دمهم لون الورد صبغة خدود الحور العين » .

والقارىء يدرك بيسر روح الادب العربي في الاولى وجو الادب الفارسي في الثانية ! وذلك ما يؤكد سيطرة الثروة الادبية التي يحفظها الشاعر وينسج على منوالها ، وليس معنى هذا اننا ننكر قدرة الشاعر المحلق على الخلق والابتكار ولكننا نقول انه يصل الى ابتكاره في طريق التراث المحفوظ ويضع ماءه في اناائه فلا محيص له عن التزيي بطابعه العريق .

اريد ان نحكم بحذر على الشعراء بعامة والاندلسيين بخاصة حين نرميهم بالتقليد لوجود بعض التشابه بين احاسيسهم واحاسيس المتقدمين ! فمما يزيد هذا التشابه اقترابا اتحاد اللغة التي يعبر بها المتقدم واللاحق معا ، فيظن القارىء ان القريب يحذو حذو البعيد ! واذا كان ابن زيدون ـ في رأيي الخاص ـ ارق شعراء الاندلس واصدقهم اذا قيس بهم جميعا ، فمع ذلك نظر اليه بعض النقاد نظرة ساذجة حين وصمه بالتقليد ! مع ان حياته الزاخرة بالحب والولع والسجن كانت مددا لانبعاث آهاته وميدانا للابداع الشعري في قصائده ! فهو في اكثر ما نظمه شاعر مبدع يصدر عن احساس مشبوب ، ولكن الاستاذ الدكتور شوقي ضيف يغفل ما قررناه هنا عن الذاكرة العاطفية ، والنزوع الوجداني فيقول في كتابه الفن ومذاهبه في الشعر ص ٤٤٢ ط رابعة :

« والحق ان الانسان لا يتابع ابن زيدون في شعره حتى يحس بان هذا الشعر يكاد يسقط من ديوانه فيرتد الى امكنته في شعر العباسيين ، ولعل هذا ما جعل صاحب الزخيرة يقول « وابو الوليد بن زيدون على كثير احسانه كثير الاهتدام في النثر والنظام ، فهو حقا كثير الاهتدام لاشعار العباسيين يغير عليها ، فيسلبها من دواوينها ، ويسلكها في شعره على هذا النحو الذي رايناه ، وما اشك في ان صوت ابن زيدون اتضح لنا الان ، فهو بالرغم مما يبدو عليه من صفاء وعذوبة صوت مصنوع اذ هو صدى لصوت العباسيين لا يطرد على نسق واحد ، لان الشاعر لا يختار له نسقا معينا يعيش فيه ، بل يعيش في كل نسق يقرؤه فتارة يعيش في جو البحتري واخرى في جو ابي تمام او المتنبي او ابي العلاء من غير تفريق بين هؤلاء الشعراء ومعرفة ان كلا منهم يمثل مذهبا خاصا له وهذا هو معنى ما نقوله من ان الشاعر الاندلسي ما يزال في شعره يخلط بين جميع المناهج والمذاهب العباسية » .

وقد توسع الدكتور شوقي ضيف في تطبيق رايه فراى في ص ٤٣٥ ان قصيدة ابن زيدون الرائعة :

اضحى الثنائي بديلا من تدانينا ... وناب عن طيب لقيانا تجافينا

محاكاة تقليدية لقصيدة البحتري :

يكاد عاذلنا في الحب يغرينا ... فما لجاجك في عذل المحبينا

وهو راي يتجاهل ظروف القصيدة وتعبيرها الحار عن مأساة الشاعر حين اخفق في غرامه بولادة ، وهي من الذيوع بمنزلة لا تخفى عن اقل تلاميذ الدكتور شوقي !

ولا ادري كيف نحكم على شاعر باحتذاء شاعر آخر لانهما اتحدا في الوزن والقافية وبعض المعاني الشائعة ! لو جاز لنا ان نطمئن الى هذا القياس الطريف ما عددنا قصيدة واحدة مبتكرة في الشعر العربي منذ عصر بني العباس ! والسبب واضح اذ ان من الميسور ان تجد لكل قصيدة لاحقة سلفا يتحد معها في الوزن والقافية ، لقد كان الناس منذ العصر الجاهلي يرددون قول عنترة : هل غادر الشعراء من متردم !! وما زال الشعر يسح ويهضب منذ ذلك الامد حتى جاشت غواربه واصطخبت اواذيه ! واصبحنا لو نأخذ بمنطق الدكتور ، نحرم على كل شاعر ان يقول قصيدة ما ، فلعلها تتفق مع ام لها سابقة ، ومن الانصاف للدكتور شوقي ان نقول انه نظر الى ما في نونية ابن زيدون من بعض المعاني المطروقة مما لا حيلة له فيه اذ صادف تعبيرا صادقا عن خوالجه ، ولكن ذلك لا يكفي لتجريده من الاصالة واحالته الظالمة على شاعر متقدم وان يكن ابا عبيدة الوليد ، ولقد كان الاستاذ الكبير احمد ضيف اصدق حكما واكثر نفاذا حين حكم على النونية من خلال تجربتها الصادقة ، ورأى في معانيها الشائعة وفي غيرها مما شاع في غزل ابن زيدون

ما يشير الى صدقه لا الى تلفيقه فهو يقول في كتابه عن بلاغة العرب في الاندلس .

« اذا كان لابن زيدون ميزة في شعره الغزلي فليس في ابتكار المعاني التي لم يسبق اليها ، وانما هي في طريقة تصويرها بعبارات تملك النفوس وتستولي على القلوب وكان الانسان لم يقرأ مثلها ولم يسمع بما يشبهها لجودة الافتتان في التعبير والاسلوب ولقد يسمع الانسان انينه في شعره، ويرى انته الحزينة من خلال كلامه ، وكأنه يرى تلك الحيرة وذلك القلق النفسي اللذين يملآن نفوس العشاق ، ويمنعان عنهم راحة الحياة ولذاتها » .

وقد نكون مسرفين بعض الشيء في الاستشهاد بآراء الباحثين ، وعذرنا الواضح ان قضية التقليد غامضة مبهمة لان التقليد يختلط بالتجديد اختلاطا لا يستبينه غير المتبصرين ! وهؤلاء لا يلمحون الجديد الا بين خيوط متشابكة تحتشد وتزدهم حتى تحتاج الى مجهر دقيق !! ونحن في هذا النطاق نسترشد بادب امريكا المعاصر ، فقبل القرن العشرين لم يكن من المستطاع ان نميزه تمييزا واضحا من الادب السكسوني ، اذ ان اتحاد اللغة بين بريطانيا وامريكا جعل الفوارق بين الادبين متضائلة ان لم تكن متوارية ! بل اننا الآن لا نفرق بين ادب امريكي او ادب انجليزي الا بسمات لا ترجع الى الاسلوب اكثر مما ترجع الى الغرض والموضوع . فليس الادب الاندلسي بدعا في اتفاقه ! ولكن الاتفاق شيء والمحاكاة التقليدية شيء آخر دون نزاع !

ولا بد لنا في هذا النطاق من كلمة عن ادبنا العربي المهاجر بالامريكتين فان به اختلافا واضحا عن الادب العربي بالدول العربية ! وهذا ما كان يرجوه الدكتور احمد امين والدكتور شوقي ضيف واضرابهما ممن وصموا الادب الاندلسي بالتقليد ! والقياس مع الفارق كما يقولون ، لان ادباء العرب قد هاجروا الى امة حية ذات ثقافة وبيان ولها في الادب قواعد وشروح ، فاتصلوا بالتجديد الغربي اتصالا مباشرا جعلهم يتأثرون به ويبدعون قصائدهم المهجرية على نحو جديد !! واذا كان هناك فروق واضحة بين حركة التجديد في الادب العربي بالمشرق وموجة التجديد في الشعر المهجري بامريكا فان هناك اتفاقا بين الاصول الحية للتجديد الادبي لدى الفريقين ، فكلاهما يهتم بالتجربة الذاتية ووحدة القصيدة ، والبعد بها عن التقريرية الجامدة الى التأثيرية الموحية مما نضحت به الثقافة الغربية على الحركتين التجديديتين في الشرق والمهجر مع ان زعماء التجديد فيهما لم يتصلوا اتصالا مباشرا يوجب توحيد الرأي ، وتقرير الاتجاه ! هذا التأثير الواضح في الادب المهجري لم نجد مثيله في ادب الاندلس ! لان اسبانيا اللاتينية لم تكن ذات ادب يسيطر ويؤثر ! فاين يجد الادب العربي رافده الدافق ! وما حوله سراب لا يسمح بارتواء ! انه مضطر الى الاستعانة بادب المشرق استعانة لا تمحق كيانه الادبي كما يتصور بعض الغلاة ولكنها تدفعه الى المسير !!

لقد طال استماعنا الى من رموا ادب الاندلس بالتقليد والترديد ، وفي الضفة المقابلة اناس يصفقون له مهللين ، ويلمحون في روائعه بوارق الجدة والابتكار فيقفون عندها مطيلين والاستاذ الكبير علي الجارم في طليعة هؤلاء فقد كتب عن اعلام الادب الاندلسي أمثال ابن زيدون وابن عباد وابن عمار سيرا تحليلية تنبض بالحركة وتتدفق بالحياة ثم ترجم قصة العرب في اسبانيا عن استانلي لين بول سعيدا ان رأى امجاد آبائه تسيطر بقلم اوروبي منصف فنقلها الى ذويه ببراعه البليغ ! ثم تسمع الى الهجوم على ادب الاندلس ياخذ اذنيه من منابر عالية تحفها الثقة التامة فلم يصبر ان صاح في وجوه هؤلاء الناقدين .. ومضى على النقيض من الدكتور احمد امين يقول في مقاله عن الشعر الاندلسي بمجلة الكتاب ديسمبر سنة ١٩٤٧

« انا واثق من ان هناك فروقا بين الشعرين الاندلسي والمشرقي ، وانا نحس هذه الفروق حقا ، وانا مدرك من غير حاجة الى تعليل او فلسفة اني بعد قراءاتي الطويلة للشعرين الاندلسي والمشرقي استطيع ان المح الشعر الاندلسي وان اتبين خصائصه غامضة من وراء الضباب ، واعتقد ان الاديب الذي لا يستطيع ان يميز على وجه من الوجوه بعد طول المعاناة والمزاولة خصائص الشعر وسماته في عصوره المختلفة اديب خائب ضعيف الملكة له دماغ لا تثبت عليه الصور ، ان الشعر كالماء ياخذ لون انائه ، وهو مثل كل مخلوق حي نابض يتأثر بالبيئة التي هو فيها ، واذا كان هناك فرق بين شاعر وشاعر ، فاولى ان يكون هذا الفرق ابين واظهر بين شعر الموطن والموطن ، ان الشعر الجاهلي غير الشعر الاسلامي وهذا لا يماثل الشعر العباسي في خصائصه ، وشعر مصر غير شعر الشام والشعر المصري في عهد الفاطميين غيره ايام الايوبيين والمماليك » .

وهذا دفاع مخلص ولكنه الى الخطابة اقرب منه الى البحث المنهجي ، ولن ننتظر من مقال في مجلة سعة في التحليل واستطرادا في الاستشهاد ، ونفاذا الى اللباب ، أما الذي تكفل بذلك او حاول ان يقوم به جهد المستطاع ، فهو الاستاذ الدكتور احمد هيكل في كتابه عن الادب الاندلسي ، والدكتور هيكل يحمل الدكتوراه من اسبانيا في هذا الادب ويقوم بتدريسه في كلية دار العلوم اعواما متوالية كان من بعض آثارها كتابه هذا عن «الادب الاندلسي من الفتح الاسلامي الى سقوط الخلافة ! » وقد اراد ان يحدد مواضع التجديد في كل حقبة ! وان يضع كبار الشعراء الاندلسيين في اماكنهم التي يراها من الابتكار والتقليد ! فاجتهد كثيرا فيما يريد ، ويخيل الينا ان هيامه بالادب الاندلسي قد دفع به الى التطرف والتماس الابتكار في كل موضع ! حتى فيما يتعذر معه الابتكار باتفاق ، ودليلنا ـ على سبيل المثال ـ انه اراد ان يعثر على الطريف الجديد في الفترة الزمنية التي سبقت عهد الخلافة وهي المعروفة بعصر الولاة ، مع ان هذه الحقبة كانت مسرحا

لهجرة الشعراء من المشرق واكثر من قال الشعر اذ ذاك ـ كعبد الرحمن الداخل ـ الذي اشتهر بشعر ، لا يمثل الاندلس في شيء ، لانه حين قال ابياته الشهيرة التي اتخذها الدكتور مثالا للتجديد :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة — تناءت بارض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى — وطول الثنائي عن بنيّ وعن اهلي
نشأت بأرض انت فيها غريبة — فمثلك في الاقصاء والمنتأى مثلي
سقتك غوادي المزن في المنتأى الذي — يسح ويستمري السماكين بالوبل

«أقول حين قال ذلك كان وافدا من المشرق شاعرا يجري القريض في دمائه ويتدفق مع الدم في شرايينه ولم تنفحه الارض الجديدة بثقافة خاصة تدعوه الى التجديد الذي يريده الدكتور ! وأين هذه الثقافة ؟ بل لو وجدت اذ ذاك ثقافة على سبيل الفرض ما تسنى له ان يرد حياضها وهو السياسي الداهية الذي ينتقل كل يوم من معركة دموية الى مؤامرة سياسية ، وقد راى الدكتور الباحث في هذه الابيات ما سماه بالتركيز العاطفي ، وهو في رايه امر جديد يستحدثه الداخل في دنيا الشعر ! ومع التسليم جدلا فقط بهذا التركيز العاطفي فهو مشرقي صافي الدم حر النسب غير هجين !! والدكتور هيكل يرى سمات هذا التركيز الجديد في ان الداخل لم يصف النخلة في طولها ولا في لونها ولا في ثمرها ولم يتخيلها ماردا ذا شعر طويل ولا شيخا ذا قوام هزيل وانما ترك ذلك كله ليصف النخلة باوصاف عاطفية ويصورها بصورة نفسية وقد جعل منها انسانا حيا يغترب ويناى عن الوطن ويحن الى الاهل وقد فرض بينه وبينها مشاركة وجدانية وعلاقة نفسية جعلته يخاطبها في حنو ويناجيها في عطف » .

وتحليل الدكتور للابيات رائع بديع حقا ! ينم عن احساس صاف وذوق رائق ولكنه بعد ذلك شيء والتجديد شيء آخر اذ ان الشعر الاموي يعرف هذا التركيز العاطفي كما سماه ويعرض لنا قبل الداخل صورا منه اعمق وابعد من صورة النخلة فلديك مثلا عروة بن حزام وهو شاعر مخضرم اتى قبل الداخل بامد بعيد يقول عن ناقته :

هوى ناقتي خلفي وقدامي الهوى — وانـي واياها لمختلفان
هواي امامي ليس خلفي معرج — وشوق قلوصي في الغدو يمان
متى تجمعي شوقي وشوقك تظلمي — وما لك بالعبء الثقيل يدان

وهي ابيات ذائعة مشتهرة ! وذيوعها المشتهر يغني عن ايضاح ما بها من التركيز العاطفي كما عناه الدكتور، وقريب منها قول شاعر الحماسة متحدثا عن ناقته :

اراد الله نفيك في السلامي — على من بالحنين تعولينا
فاني مثل ما تجدين وجدي — ولكني اسر وتعلنينا
وبي مثل الذي بك غير اني — أجل عن العقال وتعقلينا !

فقد ركب الشاعر ناقته واستمع اليها تئن وتحن ، وكان به وجد يشكو عقابيله فهو الاخر أنان حنان ، فتصور لدى الناقة ما به من شجن عاطفي ، ورآها تقاسمه لوعة الهوى وتباريح الصبابة فصاح بها :

فاني مثل ما تجدين وجدي — ولكني اسر وتعلنينا !

ثم استطرد في الموازنة استطرادا بديعا فذكر ان هناك فرقا واضحا بين الشاعر وناقته ! فهي معقولة تأخذها القيود فلا تستطيع ان تهيم على وجهها كما تشاء فترد منازل الاحبة ، وملاعب الذكريات ، اما هو فيجل عن العقال وشتان بين حنين لمطلق السراح وحنين لمفلول الجناح !

ألا يجد الدكتور ما عناه بالتركيز العاطفي قد تقدم الداخل باحقاب ! على اني افهم ان يطلق الدكتور على هذا اللون من الادب تجسيما او تشخيصا اما ان يصفه بالتركيز العاطفي ، فذلك ما فاتني سره ، ولا ادري مدى انطباقه على ما يريد بالتحديد ! ومن ضروب التجديد التي اربآها المؤلف في هذه الحقبة التقليدية ما سماه بالتجديد الموضوعي مستشهدا بقصيدة لابي المخشى يشكو عماه ، والقصيدة شعور متألم لزوج ضرير يرى ام بناته ترمقه في اسف حين تراه يتحسس موقع اقدامه ويتخشع لقائد يهدية السبيل! ولكنها مع ذلك لا تحمل من الجديد ما يريد الدكتور .

فاقل ما يقال عن العمى انه مرض حسي يستشعره الضرير بمرارة صارخة ! واصعب منه في مضمار الوصف الشعري مرض من الامراض المعنوية كالحسد او الغيرة او الرياء وقد وصفها شعراء الجاهلية وصدر الاسلام اوصافا تحمل صدق التجربة ، وتستعين بالتعبير الموحي مما يراه الدكتور من دلائل التجديد لدى الشاعر الاعمى ، واخشى ان اسوق امثلة كثيرة لما اريد فأطيل في غير مطال .

لقد تطرف فريقا التقليد والتجديد في قضية الادب الاندلسي تطرفا متوقعا غير مستغرب ، وقد اتفقوا جميعا مع هذا الاختلاف السافر ـ على انماط من التجديد وجدت بارزة في هذا الادب، ولعلها تنحصر في الموشحات والازجال والملاحم ، والابداع في وصف الطبيعة ورثاء الممالك الزائلة، ولا بد لنا ان نقف فيما يلي من الصفحات وقفات نافذة لدى كل نوع من هذه الانواع بل اننا سنضيف اليها ما رايناه من دلائل التجديد الاندلسي في النثر الادبي لا في الشعر وحده كما يريد بعض الباحثين ان يقصر عليه مجال التجديد ان وجد ! والحق ان لدينا ابداعا فائقا في الكتابة الادبية لدى بعض المهرة من الادباء ، وقد تغافل عنه الباحثون في هذا المضمار وهو بحاجة ملحة الى اضواء تشير اليه وتدل عليه، وسبيلنا ان نوجز القول في ذلك ، وحسبنا ان نحدد وان نوجه تاركين لارباب البحث المستوعب جانبا من الميدان الفسيح .

لقد اغفلت الحديث عن سيطرة المشرق النفسية مع اصالتها في باب يتحدث عن القديم والجديد لدى الاندلسيين ، ولكني تعمدت ذلك لافردها بالحديث في موضوع لاحق يراه القارىء عن كثب ! وهي بعد تحتاج الى مزيد من التبسيط !

الفيوم ـ دار المعلمات — **محمد رجب البيومي**

الخضم الخفي

للشاعر الهولندي المعاصر ادريان رولند هولست

ترجمة سعد صائب

ها قد مرت العاصفة
اما انا فساظل احرس قابعا مضنى
كمن دفع للاعتراف بعزلته في غياهب الصمت

لقد مرت عاصفة الدهور
ففنى الخضم
وبان النهار شاحب الوجه ، ميتا
كانه حقد قديم يتامل ثاره
وما عتم نور الصباح ان رماني بلعنته ..

هكذا رايتني وجها لوجه حيال ذاتي
بعد ان فرغ الزمن ، وتخلت عنه سائر الارجاء
وعافه الالم الفامر .

اما انا فما ان ابصرت ذاتي حتى لزمت صمتي
وراح الخضم ، بعد ان ران الصمت على الصخور
يغني وحيدا ، كمن اقسر على وحدته ..

هوذا البلد النائي
هي ذي هالة الحلم والليل
هو ذا الشاطىء الذي اعرض عن الحياة
من اجل احفاده الميامين
هو ذا الشاطىء الذي شد ما رافقته الحياة ذاتها
فراح يداعب المد والجذر
ويلهو بالامبراطورية المنيعة ..

هو ذا فناء العوالم الحقيقي ..
من هنا ... من هنا يبدأ الخضم جياش الفوارب
من هنا .. من هنا يغني رنين الاجراس الحزين
سكرات فناء العالم
من هنا يغني الرنين غياهب الصمت
بعد ان اقفر الشاطىء من السفن
التي كانت تمخر عباب الخضم الخفي
عباب الخضم الداجي .. عباب خضم الروح
الذي امسى شاطئا لهاتيك السفن ..

من تراه يعشق حلمه الاثير
اعنف من عشقه الحلم الذي يند عن سواه
ولا يني يراوده ؟.
لكان نداء الخضم يحول دونه ودون فرحته
فتراح يصدح عاليا بالفناء
وكانه اشياء جمة لا رابط بينها
بعد ان يتلاشى في حلمه القديم فيفرقه حلمه الاثير

كلا .. كلا .. لن يكون ثمة اي امرىء يجيء اليه
الا من عثر في فؤاده منذ مولده ، على قرارة الموجة
والا من افتقد ذاته ، كما يفتقد الماء والريح ذاتيهما
لان ثمة اغنية تجوز دوما وحدته
مقبلة من جانب الريح والضياء الاخر
آتية مع الساعات الفارغة
وهي تدوي من حوله حذرة .. ثم لا تفتا ترين عليه
وتجثم فوق فؤاده ، لتنقل نداءه عبر دمه
كانها الريح تعري الخضم من زبده
فتراها وهي تحمله عبر الساعات الفارغة
تنوء به وهو فاغر الفم صداح العينين ..

لكانه امرؤ عابر الح عليه ضياعه
فعاف حتى آماله وامانيه
وافتقد حتى من ملاذه ومأواه
انه امرؤ عنا لاحلامه .. وذاب في افياء الظلال القديمة
التي ما برحت تلازم العالم لتذوبه في نشوته الطائشة
وكانه ورقة تئن في مهب ريح العصور السوداء
او كانه ثلج حمل على اكف الليل
او جلف حط على جناح طائر
راح يهوم فوق الاودية الحالكة
بعد ان دعاه الخضم اليه ...

تلك هي اغنيتي الصداحة
تلك هي صرختي العميقة النابعة من فرحي
وما غنيتها الا لارهف سمعي الى نداء هذا الخضم
كيما يغيبني تحت اثباجه .. فينجلي فيه ليلي وفجري
ولئن عانقت الرغبة فؤادي
فسيهدي نداء الخضم دربي ، عبر اجداث الموتى

ان اذني تدويان ، وان ناظري يعمى
وتفرغ في الريح حشاي
فيمضي الالم والرغبة لتوهما ..

هكذا تعمق البحار
البحار التي ركبها الفم واعتراها الهم
هكذا تعمق ثم تتحطم مع شتيت اسراري الخبيئة ..

ايها البحر !... ايها البحر الخضم !
لانت غريب .. غريب ...

دمشق

سعد صائب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المرح والهزل في قصر العدل في فرنسا

مسرح قصر العدل

بقلم جان بول لاكروى ترجمة سمير شيخاني

* * *

مع الاحتفاظ للعدالة عندنا بكل ما تستحقه من اعتبار واحترام ، اسمح لنفسي بالقول انها ، قبل اي شيء ، مسرحية . فقصر العدل هو مسرحنا القومي السادس . (الخمسة الاخرى هي الكوميدي فرانسيز ، والتياتر دو فرانس ، والمسرح القومي الشعبي ، والاوبرا ، والاوبرا – كوميك) .

فيه يجري التمثيل كل يوم قبل الظهر ، وبالملابس الرسمية . فيه تمثل التراجيديا والفودفيل . ولكن ليس بالتناوب ، كما هي الحال في الكوميدي فرانسيز ، بل في آن معا !..

التراجيديا في محكمة الجنايات .. اسخيلوس ، وراسين ، وشكسبير . « تيميس » ، الاهة العدالة بحذاء ذي نعل عال جدا كالذي كان يلبسه ممثلو المآسي عند الاقدمين .

وعلى مرمى بيضة او بندورة ، بعد اربعة ابواب ، محكمة الجنح : الفودفيل . جورج فيدو ، وجورج كورتلين ، مارسيل آشار ، واندريه روسان . « تيميس » تنتعل « البابوج » ، لا تزعج نفسها .

ولنبدأ بمسرح الجنايات !.. في محكمة الجنايات الدور الرئيسي هو من حق الرئيس : انه دور «الاب النبيل» . ان رئيس محكمة الجنايات الممتاز ينبغي ان يتمتع ببعض المزايا الضرورية . ينبغي له قبل كل شيء ان يكون عادلا.. والا يقلد ، مثلا ، ذلك القاضي في الامبراطورية الثانية ، وكان يدعى دوليفو . كان كلما افتتح جلسة يسحب من جيبه ورقة مطوية ينشرها امامه جهارا وعلانية ، وهي تحمل الحكم في القضية المعروضة على المحكمة مكتوبة سلفا ، مع كل « الحيثيات » ... المستند اليها !

والقاضي الممتاز ينبغي له كذلك ان يكون لبقا . هوذا مثال على انعدام اللباقة : الكلام الذي تلفظ به الرئيس لوبوس ، احد قضاة العصر الجميل . كان يقاضي مجرما ساديا ، فقال له بنبرة محزنة :

– ان تغتصب ضحيتك ، معقول.. ان تذبحها ، لا بأس .. ولكن لماذا قطعتها اربا اربا ؟!

واللباقة لا ينبغي ان تستبعد الحزم . ولم يكن يعوز الرئيس كارتييه شيء من ذلك . ففي جريمة اغتصاب اخرى ، وعندما اوشكت المناقشة ان تصبح وعرة المسالك، قرر ان تصبح الجلسة سرية بصورة جزئية ، فقال وهو ينظر الى مقاعد النظارة :

– ارجو جميع النساء الشريفات ان يتفضلن بمغادرة القاعة !

ولم يتحرك احد . فأردف يقول :

– والان بعد ان خرجت النساء الشريفات ... ليخرج الحرس الاخرين !

كان كارتييه احد تلامذة الرئيس الشهيد دو هارلاي الذي خاطب ، حوالي سنة ١٦٠٠ ، بهذه العبارات ممثلي العدالة ، ولم يكونوا آذانا صاغية : « لو ان هؤلاء السادة الذين يتكلمون يتفضلون بالكف عن احداث الجلبة التي يحدث مثلها اولئك الذين يغطون بالنوم ، فان ذلك ربما اتاح السمع لهؤلاء الذين يصفون ! »

واثر عن الرئيس دو هارلاي انه كان معتادا ان يصغي الى المرافعات وهو مغمض عينيه . واعتقد محام يدعى اونيكس دو جوفنيل انه نائم ، فبلغت به الجراة ان «تمنى لهياة المحكمة نوما هادئا . » ففتح الرئيس عينيه على الفور واجابه ببيتين من الشعر فحواهما ان « المحكمة وهي تستيقظ تأمر بوقفه عن ممارسة مهنة المحاماة لمدة سنة كاملة ! »

ذلك انه ليس محظورا على رئيس محكمة الجنايات ان يلجأ الى السخرية ... ولقد استحق لقب « السيد » في هذا الميدان الرئيس ليسير . فعندما كانت التهمة المسندة الى احد تقتصر على مجرد الحدس والتخمين ، حتى لو كانا خدما وتحميا خطيرين ، وتصدر هيئة المحلفين قرارها بالبراءة ، كان هذا القاضي يلجأ في اعطاء حكمه الى نصر طريف هو التالي : « ايها الصديق ، المحكمة تبرئك ، ولكن لا تعد ! »

وهذه كلمة طريفة اخرى لليسير ، خاطب بها احد المحامين بعد اصداره الحكم على موكله بالموت :

– لقد قدرت كثيرا جهودك ، ايها الاستاذ العزيز ، فلقد فعلت اقصى ما يمكنك !

هذا بعض ما هناك عن السخرية ... فالى شيء من النكتة الآن ..

في محكمة جنايات السين كانت تجري محاكمة عصابة لصوص مؤلفة من عشرة اشخاص ، متهمين بالسرقة المسلحة . وكانت احدى الضحايا من الشهود في القضية ، فقالت : « لقد لاحظت اختفاء خمسين قطعة ذهبية . فصاح المتهم « بانس » مغضبا ، ثائرا :

– كاذبة !.. لم يكن هناك سوى اربعين قطعة فقط !

فما كان من الرئيس ديماز الا ان قال بكل هدوء ولطف :

– مهلا ، لا تشتم الشاهدة ، حسنا ، انها مدينة لك بالفرق !

غير ان القضاة ينبغي لهم ان يحترسوا من التنكيت

اغنيـــة

* * *

ترنو .. فماذا الوهج واللهب ؟! وبمقلتيهـا تلعـب الشهـب
واذا مشـت فالـدرب اغنيـة وعلـى خطاهـا يتكـي الهدب
تشدو الطيـور على مباسمهـا يـا للشـذا واللحن ينسكب
عينـان يا أسطـورة ضحكت ياما حكـت لي عنهما الكتب
وغمسـت اجفانـي بوهجهمـا وعلى الجفـون تكـوّم التعب
فطويـت اشرعتـي علـى ظمأ والـى جواري المـاء والقـرب
هذي المليكـة لا عهود لهـا بـين المحـال وقلبهـا نسـب

مرمريتا ـ سورية

طلعت يازجي

العفوي ، احتراسهم من النار . وكثيرون منا يعرفون قصة الرئيس بوباردان . فلقد تقدمت فتاة في الثالثة عشرة من عمرها مرتجفة من حاجز الشهود للادلاء بشهادتها ، قال لها بكل طيبة وعلى سبيل التشجيع :

ـ تقدمي ، يا فتاتي ، لا تخافي ، فالمحكمة تحب كثيرا الفتيـات .

وسمعت بعض الضحكات في ارجاء القاعة . فاردف القاضي بوباردان قائلا برسم ذوي النيات السيئة :

ـ آه ، ولكن المحكمة كذلك تحب كثيرا الصبيان !

بعد « الاب النبيل » ، هوذا الدور الثاني في محكمة الجنايات : الفزاعة !.. او « الذئب الكبير الخبيث » .. المدعي العام .

ان مهمته تنحصر في طلب احكام الاعدام ، او على اقل تعديل احكام السجن المؤبد مع الاشغال . لذلك تـراه يتحفظ في التنكيت ، او اذا صدرت منه نكتة فانما تكون عن غير قصد . فالمدعي العام تروار ـ ريول ، لبضعة عقود خلت ، قد اثار عواصف كثيرة من الضحك . صحيح انه كان اكثر الناس رزانة وجدية ، ولكنه كان يتمتع بعبقرية حقيقية في الكذب ، والغباوة ، وزلات اللسان . وهـذا نموذج من اقواله في مطالعته في قضية سوليلاند : « في تلك اللحظة شعر المتهم بحاجة ملحة ، فذهب لقضائهـا بنفسـه ... »

وفي قضية ستاينهايل ، ولكي يوضح قتل زوج المتهمة ، قال : « منذ زمن بعيد لم يعد ميزان حرارة حبهما علـى المستوى نفسه الذي كان عليه من قبل !.. »

وكان معينا لا ينضب .. قال المتهم مبررا جريمته : «ان الجوع يخرج الذئب من الغاب » . فاجابه بقسوة : « يـا صديقي ، الذئب يعمل عندما يجوع ! »

وكان المدعي العام اندريو كذلك من فئة « مصوري او نحاتي الحيوانات » .. وهذه خاتمة احدى مطالعاته : «ان هذا المتهم ، ايها السادة المحلفون ، نمر . وانا ، عندمـا التقي نمرا في الطريق ، فانني اقتله ! »

وفي فصل الزلات اللسانية تبرز احدى الروائع ، وبطلها المدعي العام كروبي .. فقد كانت احدى عصابات اللصوص ماثلة امام المحكمة .. فقال في مطالعته : « ايهـا السادة المحلفون ، انتم ستدينونهم جميعا ، وباقصى العقوبة ! ذلك بانني استطيع القول انني لم ار في حياتي عصابة لصوص مثل العصابة التي يجلس افرادها على مقاهد ... هيئـة المحلفـين ! » لقد زل لسانه !

وهذه في ختام فصل الغباوة والخطأ نادرة جاءت علـى لسان المدعي العام كازابيانكا . فقد كان يتلو مطالعته في قضية فظيعة (جريمة قتل مع خصاء) ، فقال : « ايهـا السادة المحلفون ، لن تأخذ الشفقة والرحمة على هذه المراة التي بلغ بها العنف انها بعد قتلها عشيقها ، لم تتردد في انتزاع خصيته ... » وصمت لحظات يسيرة ، ثم استأنف قائلا بصوت مأسوي : « ... اللتين كان يحملهما في ذلك اليـوم ! »

سمير شيخاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نقولا يوسف

اسماعيل ادهم الباحث الناقد

في الذكرى الخامسة والعشرين لوفاته

بقلم نقولا يوسف

خلف الكاتب السكندري اسماعيل احمد ادهم (١٩١١ ـ ١٩٤٠) عددا من المؤلفات المطبوعة في النقد الادبي ، والعلوم الرياضية والطبيعية ، كما نشر الكثير من المقالات الادبية والابحاث العلمية ، في الصحف والمجلات ، وبخاصة في مجلات « الحديث » بحلب ، والمقتطف والرسالة بالقاهرة ، والامام وادبي بالاسكندرية .. وشارك في الحركة الثقافية السكندرية بمقالاته ومحاضراته ومساجلاته خلال الثلاثينيات ، وتعرف وراسل الكثيرين من الادباء العرب والمستشرقين .. ولم تطل حياته كي يتابع جهوده الادبية اذ مات قبل ان يبلغ الثلاثين من عمره ..

واهم ما نشر له في حياته من المؤلفات العربية : اولا : في النقد الادبي :

ـ دراسة عن « احمد زكي ابو شادي ـ الشاعر » ـ (نشرت اولا عام ١٩٣٦ بمجلة « ادبي » التي اصدرها ابو شادي بالاسكندرية في ذلك العام) .. ودراسة مثلها بالانجليزية عن ابي شادي الحقت بمجلة «ادبي» ١٩٣٧ .

ـ « الزهاوي الشاعر » ـ نشر اولا بمجلة « الامام » بالاسكندرية (لصاحبها ابو شادي) في ابريل ١٩٣٧ .

ـ « اسماعيل مظهر ـ المفكر المصري » ـ ظهر مسلسلا بمجلة « الحديث » ١٩٣٨ .

ـ « طه حسين » ـ نشرته له مجلة « الحديث » بحلب في عدد خاص (ابريل ١٩٣٨) ، مقسما الى ثلاثة فصول : الاول عن حياة طه حسين وتحليل شخصيته ، والثاني عن مذهبه في النقد الادبي ، ومذهبه الفني . والثالث معتقده ـ بعض ارائه وشيء عن اراء معاصريه فيه .

ـ « خليل مطران » ـ ظهر تباعا بمجلة « المقتطف » بالقاهرة في عامي ١٩٣٨ ـ ١٩٣٩ ويعده الكثيرون اوفى كتبه النقدية وامتعها . ولم يزل مرجعا للنقاد الذين يكتبون عن الشاعر الكبير مطران .

وقد اثار بعض الاراء الواردة به نقاشا في الصحف ، ومنها الراي الذي نقله ادهم عن بروكلمان في ان الشاعر عبد الرحمن شكري تاثر في حركته الشعرية التجديدية بمطران ، ونفى شكري هذا التاثر في بحث مستفيض بالمقتطف ، وذكر العوامل والمؤثرات التي كونت شخصيته كشاعر .. وعاد ادهم يكرر رايه بمجلة الرسالة بالقاهرة (١٩٣٩) ، ورد عليه شكري في العدد التالي (١) .

ـ « توفيق الحكيم » ـ كتاب اشترك في تاليفه مع المرحوم دكتور ابراهيم ناجي وطبع عام ١٩٤٥ .

وثانيا : في البحث العلمي :

ـ بحث في « نظرية النسبية » ـ نشره مسلسلا بمجلة الرسالة في عامي ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦ .

ـ بحث في « حرية الفكر » مجلة ادبي ١٩٣٧ .

ـ « رسالة محمد » ١٩٣٧ .

ـ رسالة بعنوان : « لماذا انا ملحد » نشرها تحديا للذين اساءوا الظن بايمانه .

والمعروف ان انصرافه الى دراسة العلوم الرياضية والطبيعية ، والى التاليف في النقد الادبي كانت تشغله عن البحث في المسائل الدينية ، الى انه كان في قرارة نفسه يؤمن بالقدرة الالهية التي ابدعت عجائب الوجود واسراره ، والقى مرة محاضرة عن « الغاز الوجود » بجمعية الشبان بالاسكندرية في فبراير ١٩٣٧ ومع ذلك اثارت تلك الرسالة غضب المحافظين ، وعلى صديقه الشاعر ابي شادي الذي زعموا انه عاونه على كتابتها ، فنشر ابو شادي رسالة اخرى بعنوان : « لماذا انا مؤمن » ..

والى جانب هذه المؤلفات التي نشرها اسماعيل ادهم بالعربية في الاعوام الخمسة الاخيرة من حياته القصيرة ، فقد كتب ايضا الكثير من المقالات العلمية والادبية في عدد من المجلات العربية والاجنبية ، مما لم يجمع في كتب . وهو في كل ما كتب ونشر ، لم تعزه الصراحة وحرية الراي ، ولم يفته التحليل والمقارنة ، ودقة البحث على النهج العلمي ، وذكر المراجع والمصادر التي نقل عنها في هوامش صفحاته . ومع ذلك فقد أخذ عليه الاديب المرحوم دكتور بشر فارس (توفي في فبراير ١٩٦٣) ، ارتجاله المصادر في بعض ما يشير اليه منها ، كذكره لمجلة وهمية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يصدرها استاذ بجامعة السوربون (٢) ، كما انكر عليه حيازته لقب دكتور ..

ويتضح من رسائله الخاصة الى اصدقائه ، انه كان يعد بعض المؤلفات في اللغة العربية وفي لغات اخرى ، وبينها دراسات عن الادباء العرب من معاصريه ، كما تصور رسائله هذه ما كانت تمتلىء به نفسه من آمال واحلام في دنيا التاليف والترجمة والنشر ، انهارت جميعا بموته الباكر ، ويقينا انه لو طال به العمر لاخرج ما كان يرجو من مؤلفات.

فقد كان شابا لا يفتر نشاطه ، يقرأ الكتب والمجلات العلمية والادبية في نهم ، ويتابع الحركة الادبية العربية المعاصرة ، ويسعى الى مقابلة الادباء ومراسلتهم .. ثم ينشر الكتب النقدية والتاريخية بالروح العلمي المنزه عن كل غرض غير وجه الحقيقة كما يراه ـ اذ كان ذا عقلية علمية رياضية لا يكف عن الشكوى من قلة ما تصل اليه يده . وفي ذلك يقول في مقدمة كتابه عن «طه حسين» عام ١٩٣٨ (٣) .

« وارجو ألا يغيب عن فطنة حضرات الادباء والناقدين الصعوبات التي نلقاها في الكتابة من عدم معاونة بعض المفكرين والادباء لنا في بحثنا بدلالتنا على المراجع التي عرضت لهم ولمؤلفاتهم بالكتابة ، وبتوجيههم انظارنا لبعض آثارهم غير المعروفة ، وبمدهم لنا بتفاصيل حياتهم ، الشيء الذي جعلنا نشكو اكثر من مرة في جرائد الاستشراق ، هذا الانصراف عن المعاونة في اظهار ادبهم وتفكيرهم للعالم الغربي . وارجو ان اوفق بدراساتي لغاية نبيلة ، في ايقاف الغرب الجاهل للشرق ، على ادب الشرق وتفكيره ، فيحل السلام بدل الخصام ، بين جناحي الانسانية . وآمل ان يغير ادباءالعربية موقفهم منا ، ويعاونوننا على هذا الغرض النبيل .. »

وكانت السنوات الخمس الاخيرة من حياة اسماعيل ادهم (١٩٣٥ ـ ١٩٤٠) اكثر سني حياته عملا وجهدا وانتاجا ، وفيها نشر معظم كتاباته .. ثم هده الجهد وحطمه مرض الصدر ، وحاصره النقاد والمحافظون والمحققون ، ونسب اليه البعض الضعف في الكتابة ، والاستعانة باقلام الاصدقاء ، والعجز عن التكسب من اية مهنة، والزيغ عن الايمان ، وعندما شبت الحرب العالمية الثانية اتهمه الانجليز المحتلون واعوانهم بممالأة الترك والالمان ، وغيرهم بالاتصال بالمستشرقين الروس .. وفي مساء يوم من اغسطس عام ١٩٤٠ كتب رسالة وضعها في جيبه ، ثم ذهب الى شاطىء « جليم » برمل الاسكندرية ، والقى بنفسه في البحر ومات غرقا ، وانتشل جثمانه في اليوم التالي ، وشيع جثمانه خمسة اشخاص ـ منهم شقيقه والشاعر احمد زكي ابو شادي ـ وهكذا شاء ان تكون حياته وموته قصة مليئة بالغوامض ..

والنقاد في حديثهم عن الكتاب ـ او عن غيرهم من الاعلام ـ فريقان : فريق يقنع في بحثه بآثارهم الباقية وحدها ، دون حاجة الى البحث عن حياتهم .. وفريق يرى في حياة الكاتب واحداثها ، تفسيرا لاعماله ومنبعا لمجرى نتاجه ، مثلها مثل الشجرة المسؤولة عن ثمارها بتربتها وجوها ونشأتها ..

واذا جمعنا بين الرايين نجد ان الكاتب اسماعيل ادهم ولد بمدينة الاسكندرية في ١٧ من فبراير ١٩١١ ، ونشأ بها وقضى معظم حياته ـ وهي التي لم تطل كما سلف غير تسعة وعشرين عاما ـ وتلقى بمدارسها الابتدائية تعليمه الاول ، وامضى نحو عامين بمدرستها التجارية المتوسطة ، ثم خرج من المدارس الى ميدان الحياة ، يقرأ ويبحث ويتثقف ويكتب .. وساعده ذكاؤه الفطري ، وشغفه بالاطلاع على الكتب العلمية ، على التزود ببعض العلوم الرياضية والطبيعية .. ثم راح يقرأ في التاريخ والادب ، والتراجم والسير .. ويقول : « .. ولقد اهتممت بداءة ذي بدء بدراسة تيارات الثقافة وموجاتها في العالم العربي، ووجهت لها جل عنايتي ، ولم ينازعني اهتمامي بها الا اهتمامي بدراسة العوامل والمؤثرات التي تمضي بالمجتمع العربي في سلسلة من التطورات ، فتتمخض عن تلك الاثر التي تلمسها واضحة في ميادين السياسة والاجتماع والاقتصاد والفكر ... »

واحتجب ادهم عن مسقط رأسه فترة من الزمن ثم ظهر بمنتدياته حوالي عام ١٩٣٤ .. ويقول انه تغيب في تركيا للدرس والاتصال بالمعاهد العلمية ومراسلة المستشرقين .. وانه وضع هناك كتابا سماه : « الرياضة والطبيعة » ، ومؤلفا بالتركية عن : « تاريخ الاسلام » ، وانه اشرف على طبع كتاب « محمد » للمستشرق الالماني سبرنجر واضاف اليه بعض الملاحظات والتعليقات .. كما يقول انه اتصل بجامعات روسيا والمانيا ...

ومع انه كان سكندري المولد والنشأة والطابع ، عربي اللغة ـ وخرج من اسرة متدينة متوسطة الحال تعيش في حي الجمرك بالاسكندرية ـ الحي الوطني الشعبي القديم ـ وكان والده احمد ادهم ووالدته من اهل الاسكندرية ، فقد كان جده اسماعيل ادهم ملما باللغة التركية ويعلمها في بعض المدارس ، وورث تركيته هذه عن ابيه ابراهيم ادهم باشا رأس هذه الاسرة ، وكان تركي الاصل استوطن الاقليم

---

(١) انظر كلمة اسماعيل ادهم بمجلة (الرسالة) ١٠ ابريل ١٩٣٩ ـ عدد ٣٠١ ص ٧٢٥ ـ ورد شكري بالرسالة ١٧ ـ ٤ ـ ١٩٣٩ ـ عدد ٣٠٢ ص ٧٩٢ ـ (ولبروكلمان كتاب عن مشاهير الادباء العرب المحدثين استعان به ادهم) . وانظر المساجلات بين الادباء عن ادهم بمجلة « الرسالة » بالقاهرة ١٩٤٠ ، المجلد الثاني السنة الثامنة . وعدد مجلة « الحديث » الخاص بادهم بعد وفاته ١٩٤٠ . (٢) مقالة لبشر فارس بمجلة « الرسالة » بالقاهرة ـ ١٩٣٩ ـ بعنوان « قضية ارتجال المصادر » . (٣) عدد خاص من مجلة « الحديث » بحلب (ابريل ١٩٣٨) توطئة .

المصري ، وعين في عهد محمد علي محافظا للقاهرة ، ووزيرا للمعارف والحربية ، ثم ترك لاولاده بعض الممتلكات بقي منها البيت الذي كان يقيم به اديبنا اسماعيل أدهم مع اخوته حتى نهاية حياته .. وهو البيت الذي كان يكتب فيه ابحاثه ويرسل منه خطاباته (بشارع موطش باشا بحي الجمرك بالاسكندرية) ..

فكان اسماعيل ادهم ملما ببعض اللغة التركية والالمانية والانجليزية ـ الى جانب لغته العربية .. وساعده ذلك على الاتصال بالمستشرقين ممن كان يحب مؤلفاتهم ـ وبخاصة ابحاثهم العلمية والاسلامية والعربية .. وتاثر بمنهجهم العلمي في البحث والتمحيص والتعليق، وحاكاهم في التنقيب عن المراجع والاساتيد ، بل لقد اسدل لحيته وعد نفسه ـ وهو الشرقي ـ من المستشرقين !. وفي ذلك يقول صديقه دكتور ابو شادي : « الدكتور اسماعيل احمد ادهم ، اكثر من شخصية ، فهو عالم رياضي نابغة ، وهو بحاثة بارع في التاريخ ، وهو ناقد نافذ البصيرة ، فهو في حكم المستشرقين والمستعربين، وتجد في اسلوبه الصراحة وحرية الفكر ، ودقة التقسيم العلمي ، والنقد المستقصى ، والترفع عن السفاسف والمنابذة ، والتشبث بما انتهى اليه من حقائق .. »

وعاصر اسماعيل ادهم تلك الحركة الثقافية التي نشطت بالاسكندرية في الثلاثينيات ، قبل ان تركد مع نشوب الحرب العالمية الثانية وضرب الاسكندرية .. ففي تلك الفترة عمد ادباء هذه المدينة من مختلف الوظائف والمهن والاجناس ، الى تاليف الجماعات الادبية ، وعقد الندوات والمهرجانات والحفلات في انديتها ، ونشر نتاجهم واخبارهم في صحفها الاقليمية كالبصير ، ووادي النيل ، والسفير ، وغيرها من الجرائد والمجلات العربية .. وكان من تلك الجماعات : «جماعة الادب المصري» التي اقامت في ديسمبر ١٩٣٥ مهرجانا في ذكرى البارودي .. و « اتحاد الادب العربي » الذي اقام في الشهر نفسه حفلا في الذكرى الالفية على وفاة المتنبي ، و « جماعة نشر الثقافة » المنشاة عام ١٩٣٢ وعاشت نحو ثلاثين عاما .. و « جماعة اصدقاء الفكر » ١٩٣٣ .. و « جماعة اصدقاء الفن » و « رابطة الموسيقيين » ، و « جماعة دانتي الجيبري ـ الايطالية » ، و « جمعية بتولوميه » اليونانية ، و « مدرسة الفنون الجميلة الاهلية » .. ونادي « الاتيلييه » ... الى جانب الاندية والجماعات القديمة.. وجذبت هذه الحركة الثقافية السكندرية الكثيرين من ادباء القاهرة ومدن الاقطار العربية، فاسهموا في نشاطها بالمحاضرة والاحاديث ولمع خلال تلك الفترة كثير من اسماء الكتاب والشعراء من العرب والافرنج، السكندريين والزائرين .. وتعرف اسماعيل ادهم في تلك الجماعات الى عدد من ادبائها ، وعرف مؤلفاتهم ، وانهمك في الكتابة النقدية ..

وكان من زوار الاسكندرية في خريف ١٩٣٤ ، الاستاذ سامي الكيالي صاحب مجلة « الحديث » بحلب ، وعرف بها اسماعيل ادهم ، وفتح له صدر مجلته ، فنشر بها ادهم عددا من الابحاث ، منها مقالاته عن اسماعيل مظهر ١٩٣٨، وافردت « الحديث » عدد ابريل ١٩٣٨ لكتابه عن « طه حسين » مصدرا بمقدمة عن ادهم ومؤهلاته وشهاداته ونشاطه الادبي في الشرق والغرب ، وهي المقدمة التي راى فيها بعض النقاد الكثير من المبالغات والمغالطات ، وراى البعض انها مستمدة من المرحوم ادهم نفسه الذي كان يتظاهر بالاستعلاء وحيازة المؤهلات والالمام باللغات ، تحديا لناقديه ومعارضيه .. كما افردت مجلة « الحديث » عددا خاصا لذكراه عقب وفاته عام ١٩٤٠. شارك في تحريره بعض اصدقاء الفقيد الاوفياء ..

وكذلك عندما انتقل الشاعر ابو شادي من القاهرة الى الاسكندرية عام ١٩٣٥ ليعمل بكتريولوجيا في مستشفاها الحكومي ، ويسهم في نشاطها الثقافي ، وينشىء بها مطبعة، ثم يصدر عام ١٩٣٦ مجلتيه الادبيتين : «الامام» و «ادبي» ويتبعهما بمجلة « مملكة النحل » ورابطتها ، ويكون «رابطة الادب الجديد » ـ كان اسماعيل أدهم اول من رحب به بالاسكندرية ، وصادقه واخلص له الود الى نهاية حياته.. كما كان ابو شادي اكثر الادباء رعاية ومعاونة ووفاء لادهم ـ ففتح له ابواب مطبعته ومجلاته واختاره « سكرتيرا » لرابطة الادب الجديد ، ومعاونا له في تاسيس « جماعة الادب المصري » . وفي تاليف « رابطة اللوتس » بجمعية الشبان بالاسكندرية ، وفي المهرجانات والمحاضرات والمناظرات التي كان يقيمها ابو شادي في اندية الاسكندرية وحيث القى ادهم بعض المحاضرات ، منها محاضرته السالفة الذكر عن : « الغاز الوجود » ..

ويسجل ادهم رعاية صديقه ابي شادي ، واصدقائه الاوفياء في رسائله الخاصة ، وفي قوله بمقدمة كتابه عن « طه حسين » ١٩٣٨ :

« ولا يسعني هنا الا ان اشكر نفرا من مفكري وادباء العربية وابنائها ، اهتموا لمباحثي ودراساتي ، وعملوا كل الجهد في نشرها وتعميمها أخص بالذكر منهم : صديقي الدكتور احمد زكي ابو شادي ، والاديب الشاعر حسن كامل الصيرفي ، والاديب محمد امين حسونه ـ من ادباء مصر ، والاديب سامي الكيالي محرر «الحديث» بحلب» .

* * *

ذلك مجمل حياة الكاتب اسماعيل ادهم التي شابهت الشهاب الساطع والسريع الانطفاء .. وما دمنا نجد في المقالات والتعليقات التي نشرها عنه النقاد قبل وفاته وبعدها ، من المتناقضات والروايات المعتمدة على السماع ، ما ضاع خلاله الكثير من الحقائق ، كان علينا ان نبحث عن المراجع التي يكشف فيها الكاتب عن مكنونات نفسه ، اعني

المذكرات الشخصية والاعترافات ثم الرسائل الخاصة المكتوبة للاصدقاء .. فهاهنا يرسل الكاتب نفسه على سجيتها ، ولا يتأنق ولا يتكلف الا فيما ندر ، ولا يحسب حساب المناقشة او المؤاخذة ، الى جانب ما يختفي بين السطور من اشارات ورموز يدركها الناقد اللبيب .. وهذا ما يدفع المطابع في اوروبا الى نشر مذكرات المشاهير ورسائلهم فيتلقفها النقاد كل يوم ، ويلقون على تراجمهم ونقدهم اضواء جديدة .. ونتساءل هنا اخيرا مع القائلين بأن الرسائل الخاصة ، ملك شخصي للمرسل اليه لا يجوز نشره حتى بعد وفاة كاتبها بسنين ، بل يحل له اعدامه : أكان الافضل ترك الترجمة لحياة انسان ، تتخبط فيها الحقائق والاوهام ، ولا نستعين ببصيص من الضوء ينير لنا الطريق ويكشف لنا عن جديد ؟ ـ عالمين باننا بشر وان الكمال لله وحده ؟..

ولقد مضى على وفاة صديقنا المرحوم اسماعيل ادهم ، خمس وعشرون سنة ، وانتقل الى رحمة الله من اصدقائه: ابراهيم ناجي عام ١٩٥٣ ، واحمد زكي ابو شادي ١٩٥٥، ومحمد امين حسونه ١٩٥٦ ، وخليل شيبوب ١٩٥١ ، وصديق شيبوب ١٩٦٥ ... وغيرهم .. واحتجب بعد وفاتهم الكثير من الحقائق غير المنشورة ، والرسائل الخاصة المستورة .. ولم يترك واحد من هؤلاء فيما نعلم مذكرات شخصية ، ولم يبق امامنا غير رسائلهم الخاصة التي لم تمزقها الايدي ويبتلعها الزمن ..

وقد كان صديقنا الكاتب المرحوم محمد امين حسونه مولعا بمراسلة الكثيرين من الادباء العرب والمستشرقين ، ويستعين برسائلهم احيانا في مقالاته النقدية وتعليقاته الصحفية ، وكان يحتفظ ببضع مئات منها في مجموعات منظمة ، كان بينها مئة رسالة وتسع من المرحوم احمد زكي ابو شادي ، وثلاث عشرة رسالة من اسماعيل ادهم ... وكنا ذات يوم نتحدث عن صديقنا الراحل ادهم ، فاطلعني على رسائله هذه ، وعلى ما ورد عنه في رسائل ابي شادي .. ونسخت منها المقتطفات التالية الخاصة بادهم ـ بالرغم من بساطتها ـ تنشر هنا طبق الاصل لاول مرة ـ لعل فيها بعض الاضواء ، ولعلها تمهد الطريق امام نشر الرسائل المطوية الاخرى التي يحتفظ بها اصدقاء الفقيد :

ففي الرسائل التي بعث بها ذلك الرجل العطوف النبيل ـ المرحوم الدكتور ابو شادي فيما بين ١٩٣٧ ـ ١٩٤٠ خلال اقامته بالاسكندرية ، الى صديقه المرحوم محمد امين حسونه على عنوانه بمصر الجديدة يقول :

الاسكندرية ـ الجمعة ١٩٣٧/١/٢٩

« ... زارني الدكتور ادهم منذ ساعة وهو ممتقع الوجه لانه كان معتل الصحة . وقال لي انه تلقى رسالة لطيفة منك . وانه بعث اليك بنسخة من رسالته حسب وعده . كما ارسل الباقي لديه من النسخ (وهي اربعة) الى اهم العناوين التي ذكرتها له (لا الى كلها) وفي المقدمة صديقنا الدكتور جرمانوس . وعلى كل حال ، فهو ينتظر ان يقوم الناشر باصدار طبعة احسن من هذه في الصيف المقبل . وقد اقسم يستفيد ماديا من الترجمة ، ولكنه كما خبرته لا يهتم بالمادة بتاتا ، وهو المكاتب والجمعيات . وسيلقي محاضرة علمية عن « ألفاز الوجود » في « جمعية الشبان المسيحية » في منتصف فبراير المقبل بالاسكندرية ، بصفته سكرتير « رابطة الادب الجديد » ـ تمشيا مع حركة نشاطنا الجديدة التي اعلنا عنها في عدد يناير من « الايام » ... »

المخلص دائما ابو شادي

الثلاثاء ١٩٣٧/٤/٢٧

« ... الدكتور أدهم شاكر لك اهتمامك بكتابه : « الزهاوي الشاعر » وقد سرني عناية الصحافة به عناية طيبة . وقد ذكرته مجلة «الكاتب» في عددها الثاني بين ما توصي بقراءته . والعجيب ان الكتب كالآدميين في حفظها بين الناس . فقد كنت اخشى ان يهاجم هذا الكتاب مهاجمة عنيفة . وقبل ذلك كنت اخشى قيام زوبعة بشأن كتابه الخاص بي . ولكن وقع عكس ذلك . ولهذا يقترح ادهم نفسه التنبيه الادبي الى كتابه : « ابو شادي الشاعر » ما دام اوان الزوبعة قد فات ... »

ابو شادي

في ١٩٣٧/١٠/٧

« ... بلغت ادهم تحيانك . وهو يشكر لك سؤالك عنه . وقد اعطاني هذا المقال لنشره في مجلة « الحديث » او في اي مجلة اخرى لك صلة ودية بها . وقد فهمت منه ان مركزه في النيابة متين كذلك . وانه على كل حال سيعود الى تركيا قبل زمن طويل ...» .. ابو شادي

في ١٩٣٧/١٠/٢١

« ... ارسلت الى ادهم المقال الاجنبي . واخبرني تلفونيا انه رده اليك مع ترجمته وافادني ان لغة المقال ليست روسية صميمة بل هو بلغة فوقاسية محلية . ومع ذلك فقد ترجمه لك ، وذكر انه مستعد لاي خدمة لك من هذا القبيل ... » .. ابو شادي

الاسكندرية مساء السبت ١٩٣٧/١٠/٢٣

« ... تسلمت هذه اللحظة رسالتك المؤرخة هذا الصباح . وقد حولت الى الدكتور ادهم ما يخصه . ويمكنك ان تكتب اليه بعنوان : ٣ شارع موطش باشا بالاسكندرية . واني اوافقك على انه يمكنه ان يستفيد ماديا من الترجمة ، ولكنه كما خبرته لا يهتم بالمادة بتاتا ، وهو منكب بصفة خاصا على ابحاثه التاريخية الاسلامية لانها ـ كما صرح ـ العمل الاول الرسمي المطالب به . ومع ذلك فهو جم النشاط ، ففي وسعك ان تستدرجه بين وقت واخر الى ترجمات مفيدة وتأخذها منه ، وتجمعها عندك ، ثم تعهد لاحد الناشرين بطبعها بعد التفاهم معه ، وهو لا يطالب ابدا بنقود ، وكل ما يطلبه عدد من النسخ لاهدائها الى اصدقائه المستشرقين خاصة ، وللجامعات والمكتبات العامة . فهو « ايديالست » بكل معنى الكلمة .

(حاشية) : ضرب الي الدكتور ادهم التليفون في هذه اللحظة من المطبعة ، فاعتذرت اليه عن المقابلة بسبب مرض زوجتي . واخبرته باني حولت اليه خطابا وكتابا منك . وهو شاكر لك كثيرا وسيكتب لك . ومن رأيي ان تطالبه بين وقت واخر بمقالات مختلفة سواء بالعربية او بغيرها من اللغات التي يعرفها ، للمجلات التي لك صلة بها ، فتحسن بذلك للفكر الحر . وبغير ذلك لن تجده يهتم بشيء ، لان معظم وقته ذاهب في الدراسة لا في التحرير . ولك اشواقي العاطرة وتحياتي »

المخلص ابو شادي

الاسكندرية في ١٩٣٧/١١/١٠

« ... من الغريب ان الدكتور ادهم زارني اليوم في المعمل ، ولم افهم منه اي تقصير نحوك ، بل بالعكس فهمت منه انه لا يتأخر في الرد عليك ، واغلب ظني ان رده قد فقد ، ولهذا يحسن ان تكتب اليه لاني لا

ادري متى سأراه ثانية ، وخطابك المؤرخ امس لم يصلني الا بعد ظهر اليوم اي بعد ان تركني .

غير صحيح مطلقا ان النيابة اجرت اي تحقيق بشأن رسالته : «اذا انا ملحد » خلافا لتهويش اصدقاء الاهرام . وانما اقتصر التحقيق على رسالة « الزهاوي الشاعر » و « رسالة محمد » . فما ذكره « الصباح » لا اصل له بتاتا . » ودمت بخير لصديقك المخلص دائما ابو شادي .

١٩٣٨/١/٧

« ... واما عن الدكتور ادهم فاني لم اره منذ زمن بعيد ، واقترح عليك ان ترسل اليه خطابا مسجلا بعنوان منزله حتى تتاكد من وصوله اليه اينما كان ... »

١٩٣٨/٩/١٠

« ... زارني الدكتور ادهم وسألني عنك ، ويظهر انك نزلت في محطة غير التي انتظرك فيها . وهو متطلع الى لقائك قريبا . واستفهم مني تلفونيا مرتين عن موعد وتاريخ حضورك وحضور الاستاذ سامي الكيالي . والى اللقاء في اسعد الاوقات ... »

١٩٣٩/٦/٢٨

« ولم نعثر في رسائل ١٩٣٩ على اشارة لادهم ، ولكن كان هنالك خبر عنه ورد في رسالة من الشاعر حسن الصيرفي الى محمد امين حسونه في ١٩٣٩/٦/٢٨ هو : ستلقى للدكتور اسماعيل احمد ادهم محاضرة عني يوم ١٢ يوليه ١٩٣٩ من محطة اذاعة باري الايطالية في الساعة السادسة والدقيقة ٤٥ فهل .. تشير الى ذلك في مجلة الصباح .. »

وبعد وفاة اسماعيل ادهم ببضعة اشهر ارسل ابو شادي الى حسونه الرسالة التالية :

الاسكندرية في ١٩٤٠/١١/٥

« ... واما عن الاسكندرية فقد فاتني التمتع بها باي صورة في هذا الصيف نظرا لاشتداد المرض علي . وهي في المساء ظلام دامس وعبوسة متناهية . ولكنها في النهار باسمة بل ضاحكة . والغارات تتوالى علينا في الليالي القمرية .

« واما عن المرحوم ادهم ، فقد بعثت الى الاستاذ سامي الكيالي بالنبذة التي كنت نشرتها عنه في جريدة « البصير » ، ولكني لا اقوى على المساهمة ببحث جدي عنه . ولدى الاخ الصيرفي آثار قيمة عن ادهم ، وهو خير من يعزز الكيالي اذا استطعت تنشيطه ، وخير وسيلة ان تقابله في منزله بعد الاتفاق معه تلفونيا ـ بالقسم التجاري بوزارة الزراعة بالدقي ... »

* * *

(واما عن رسائل اسماعيل أدهم الى حسونه ، فيتضح من تواريخها انهما لم يتراسلا الا خلال عامي ١٩٣٧ و ١٩٣٨ ، وكان ابو شادي واسطة التعارف بينهما ، كما كان الواسطة بين اصدقائه وزملائه الكثيرين يعطف على الجميع ويساعد ويفتح صدر مجلاته ومطبعته وبيته لهم .. وان كان قد ناله من بعضهم جزاء سنمار !...

ويبدو ان توقف الرسائل بينهما كان بسبب تدهور صحة ادهم وحاله المعنوية منذ نشوب الحرب العالمية عام ١٩٣٩ ، ثم بوفاته في صيف ١٩٤٠ .. وهذه الرسائل كما يرى احاديث عادية بين صديقين ، وان كانت تكشف عن الاهتمامات الادبية للكاتب وآماله في ذلك الحين :

الاسكندرية في يوم الاثنين ٢٥ يناير ١٩٣٧

حضرة الكاتب الفاضل الاستاذ محمد امين حسونه :

« بعد التحية ، جاءني اليوم خطاب من الاستاذ الدكتور ابي شادي يذكر لي فيه رغبتك في موافاتك بنسخة من دراستي لشعره بالانجليزية. وقد كنت على موعد مع الدكتور أمس (الاحد) ولكني مع الاسف مريض بالانفلونزا المتفشية الآن في الثغر فلم استطع مقابلته . والرسالة المذكورة ليست بجانبي الان بل هي في حرز امين بضاحية ابي قير . والدكتور نفسه لا يملك منها غير نسخة واحدة كما اخبرني . وعلى ذلك استمهلك قليلا حتى اتمالك صحتي فاستطيع الخروج من المنزل وتصديرها بنفسي اليك . وهي في الواقع لا تستحق اهتمامك لان ما فيها من المعلومات غير غريب عنك . وانما مكتوبة لفائدة اصدقائي المستشرقين ولفائدة تلاميذي الاجانب . ولعل الطرفة الوحيدة في الرسالة هي ما اودعته فيها بصراحة عن بعض خصوصيات واراء صديقنا الدكتور مما استنتجته من بعض كتاباته ومن احاديثي معه ، ومما استدرجته اليه وعز على غيري ممن كتبوا عنه . وقد حاول منعي من نشر ذلك فرفضت وان كنت ازاء ذلك وجدت من الحكمة لمصلحته ومصلحتي معا ، وما دامت حرية الرأي والنقد شبه معدومة .. ان احصر توزيعها في الخارج حيث لي قراء كثيرون . وبذلك تغلبت على اعتراضات الدكتور ابي شادي . وقد وعدته بان لا اوزع الرسالة في مصر على الافراد . وفي الواقع لم يبق منها عندي سوى بضع نسخ . وما دام قد سمح لي فاني بكل سرور اوافيك بنسخة منها على شريطة الاحتفاظ بها لنفسك فقط ، وان لا تكتب عنها في جريدة او مجلة مصرية . ولكن لا مانع من الاشارة اليها ، والاقتباس منها في احد تآليفك المقبلة . اذ فهمت من الدكتور انك شارع فعلا في تأليف كتاب ادبي سيحوي دراسة عنه ، واخرى عن الاستاذ محمود تيمور . وقد حدثني عنك حديثا طيبا غير مرة فزاد معرفتي السارة بك وان لم نتلاق الى الآن.

كذلك ذكر لي الدكتور ابو شادي في خطابه ان الاستاذ الدكتور جرمانوس يريد الاستفهام مني عن بعض مسائل تتعلق بالتاريخ الاسلامي والحديث ، واني ارحب بذلك . وسارسل اليه نسخة من رسالتي السالفة الذكر . وعندما تكتب اليه تفضل بتبليغه تحياتي وتقديري . واذا كان لك اصدقاء ممتازون في الخارج تشير باهداء رسالتي عن شعر الدكتور ابي شادي اليهم ، فارجو افادتي عن اسمائهم وعناوينهم .

هذا وارجو عدم مؤاخذتي على ركاكة لغة الرسالة لانسي لا اجيد الانجليزية كما اجيد الالمانية او الروسية او التركية مثلا التي اراسل مجلاتها . وان شاء الله عندما يصدر كتابك الجديد ساغتبط بالتنويه به في الخارج . وتقبل فائق احتراماتي » اسماعيل احمد ادهم

٢٠ اكتوبر ١٩٣٧

« ... اثقل علي حمى الدنج امس . ومع هذا انكببت نحو ساعة على ترجمة القطعة التي ارسلتموها لي عن طريق الدكتور ابو شادي . ولقد اشرتم في كلمتكم للدكتور ابو شادي انها باللغة الروسية . ولكن ظهر لي انها لغة محلية ـ قوقازية ـ واني طي هذا باعث لكم بترجمة دقيقة لها املا ان تتمكنوا من درجها في احدى المجلات الادبية في مصر . ويسرني بصفة خاصة ان اقوم لكم بترجمة ما ترغبونه وخصوصا ما اتصل منها بمجرى الادب المصري الحديث .

هذا الى انه لو امكنكم ان تمهدوا السبيل لي مع المستعرب سعيد نظامي كاتب المقال لنشر بعض المقالات التي اتناول فيها الادب العربي الحديث لكان في ذلك خدمة لي وللادب العربي بوجه خاص .

اما المقال الذي بعث به الدكتور ابو شادي ووعدتموه على ان تعملوا على درجه بعدد الرسالة الممتاز ، فاني الاحظ انه موجود في ادارة الرسالة مقال لي عنوانه (التاريخ) ارسلته منذ اسابيع ولم يدرج بعد. ويظهر انه سهى على الاستاذ الزيات . ويسرني لو حدثتموه في هذا الشأن . وختاما تفضلوا بقبول تحيات » أ. أ. ادهم

الاثنين ٢٥ اكتوبر ١٩٣٧

« ... وبعد وصلتني هديتك القيمة « وراء البحار » وقد وجدت فيها متعة نفس ساعة من عصيرة امس ، وقريبا ساعمل على موافاتك بكلمة تناسب المقام تعمل على نشرها بمعرفتك . هذا الى انه لو امكن ان تبعثوا لي بنسخة من مجموعة قصصكم « الورد الابيض » اكون ممنونا ،

فاني افكر بعد ما طالعت كلمة الاستاذ سعيد بك نظامي ان اكتب فصلا تحليليا عن ادبكم في كتابي الذي اضعه بالانجليزية عن : « مجرى الرومانتيسم في الادب العربي الحديث » .

وبخصوص ترجمة مقال : «كلمة عن الادب المصري المعاصر» الذي بعثت بها اليكم فاني آمل الا تنسوني بعدد من المجلة التي تنشرونها به . وقد كان الاستاذ صالح جودت طلب مني نسخة من كتاب الدكتور ابو شادي: « عقيدة الالوهة » ليكتب كلمة في الصباح فارجو اذا كنتم تقابلوه ان تحدثوه بشأن ارسالها لي ان كان قد انتهى من درسها . وتفضلوا بقبول اخلص تحياتي » أ. أ. ادهم

١٩٣٧/١٢/٥

« ... تحية واحتراما ، وبعد ارسلت اليك خطابي ومع هذا لم يصلني منك اي افادة عن وصولها ، ومما زاد دهشتي واستغرابي ان يحدثني صديقي الدكتور ابو شادي انك شكيت اليه تقصيري في الرد عليك . لقد بعثت اليك بخطابين ، قلت فيهما انه يسرني ان ترسل لي كتاب « الورد الابيض » وما لك من المؤلفات عدا « وراء البحار » الذي سبق لك ان ارسلته لي لاكتب دراسة كاملة عن مؤلفاتك وادبك في احدى المجلات الاستشراقية ، وتلخيص لها بمجلة « الحديث » الحلبية . واني آمل الا يكون حظ خطابي هذا كحظ خطابيّ السابقين . ويسرني بصفة خاصة لو عملت على ان تنشر الترجمة التي قمت بها عن الاستاذ سعيد نظامي في احدى المجلات وقريبا سارسل لك مقالا لكي تعمل على درجة بمجلة المهرجان » المخلص أ. أ. ادهم .

٦ يناير ١٩٣٨

« ... وبعد ارجو ان يبلغ عند الزميل المحترم مرضي وانشغالي موقع القبول في تأخيري في الكتابة اليه . وبعد لقد افردت في دراستي الانجليزية : « مجرى الرومانتيسم في الادب العربي المعاصر » فصلا عنك وعن جهودك في ميدان القصة والتراجم وكتب الرحلات . وهذا هو السبب في صرفي النظر عن ان اكتب كلمة عن كتابك «وراء البحار» لاني في الواقع في المسائل الادبية اعتبر نفسي في حكم المستشرق او المستعرب ، فلا احب ان ادخل باب النقد والتقريظ ، وعلى ما تذكر ان كل ما كتبته من نقد بالعربية يتصل بالمسائل التاريخية كحياة محمد ، وحياة سعد زغلول ، وبعض التعليقات على الدائرة . وانت تعرف ان خطتي هي احسن ما يمكن ان افعله حتى احفظ لدراستي الانجليزية قيمتها العلمية .

اما مطالعاتك عن الانقلاب التركي في « وراء البحار » فاني اخالفك الرأي . وسوف اكتب لمجلة « الحديث » بما يعن لي في هذا الشأن . وارجو ان يكون وجهة نظري مقبولا لديكم في هذا الشأن .

وفي العدد الممتاز من الحديث بحث لي عن اسماعيل مظهر ، وتكملة ستستغرق عددي فبراير ومارس ١٩٣٨ . والاستاذ الكيالي طلب مني ان ارسل له بحثي عن طه حسين وهو يستغرق ثلاثة اعداد ايضا . لهذا اميل ان يكون بحثي ومطالعاتي عن كتابك « وراء البحار » فيما يختص بالانقلاب التركي في غير مجلة الحديث . فأي مجلة تشير علي بارسالها لها ؟

واني شاكر لكم التنويه بمباحثي وكتبي على صفحات الصفحة الادبية في « الصباح » طوالات العام الفائت . وارجو ان اتمكن من رد بعض الدين لكم قريبا بما اكتبه عن ادبكم في المجلات الاوروبية .

بحثي عن « مجرى الرومانتيسم في الادب العربي المعاصر » تترجمه اولا فاولا عن الانجليزية « الانسة بيران احسان » كريمة الدكتور احمد بك احسان . ويسرني بصفة خاصة لو امكنني نشر هذه الترجمة . ونظرا لانها مستفيضة فاظن ان مجلة الصباح لو افسحت في كل عدد ثلاث صفحات ، لكان ذلك من دواعي سروري لانها تنقل للعربية مطالعاتي في الرومانتيسم العربي بقلم صديقتي الانسة الاديبة بيران احسان .

ارسلت لك نسخة من كتاب « ملتقى اللغتين العبرية والعربية ج ٣ تاليف مراد فرح . وهو مصدر بمقدمة انجليزية في نحو ١٥ صفحة من قلمي فلعلها تكون وصلتك . وختاما ارجو قبول تحيتي ودمت للمخلص » أ. أ. ادهم .

الاسكندرية في ٣٠ مارس ١٩٣٨

« ... وبعد ، تلقيت خطابك بمزيد الشكر . وارجو ان ترسل لي اصل الكلمة التي ترجمتها عن الاستاذ سعيد بك نظامي ، وهي قصاصة بالروسية لاتولى ترجمتها من جديد . لاني لم احتفظ بصورة منها فضلا عن اني ترجمتها وارسلت الترجمة لك دون ان اسود واعمل على تبييضها . وسوف اعمل على ردها بعد ذلك ، وهي لا تستغرق مني غير نصف ساعة من زمان على الاكثر .

اما الكلمة التي كتبتها عنكم فهي ترجمة لما بعثت به باللغة الروسية لمجلة استشراقية بالروسيا ، ولم احتفظ بصورة منها ، لاني عادة حينما اكتب لا الجأ الى التسويد والى الاحتفاظ بصورة مما اكتب لكثرة مشاغلي ومباحثي واقتصادا للوقت ... غير ان في الامكان ان اكتب كلمة اخرى عن مؤلفاتكم اذا احببتم واني سأبعث على كل حال خلال هذه الايام بكلمة مفصلة يمكن أن تدرجوها بالسياسة الاسبوعية عنكم وعن آثاركم .

بقي لي رجاء عندكم وهو مخاطبة الاستاذ محمود تيمور في ان يرسل لي مجموعة آثاره واثار شقيقه المرحوم محمد تيمور مع صورة له وشقيقه مع ذكر لاهم المراجع التي عرضت لهما في غير الهلال والمقتطف والشرق والحديث . مع ذكر كلمة عن تاريخ حياتهما وارجو ان تصلني هذه الآثار قبل منتصف مايو القادم نظرا لاني بعد هذا التاريخ ساكون في غير الاسكندرية .

اني منشغل الان في وضع كتاب بالانجليزية عن الديموقراطية في مصر ، واخر عن عبد الحق حامد بك شاعر تركيا بالعربية بمناسبة الذكرى السنوية الاولى ، وهو سيصدر خلال الشهر القادم . كما اني ساخرج خلال هذه الايام بحثا صغيرا عن علم الانساب العربية ، واخر في مائتي صفحة عن الرسول محمد ، اهله ونسبه ـ نظرا لاني في ختام هذا الصيف ساغادر مصر الى تركيا للجامعة . ودمت للمخلص »

اسماعيل احمد ادهم

(بدون تاريخ)

« ... ابعث لكم طيه بكلمة عن ادبكم ، لكم ان تنشروها او تطووها حسب رغبتكم . وكان بودي ان اتمكن من كتابتها من قبل ولكن الاشغال ومسائل الحياة كانت تبعدني عن النظر نظرة جدية في كتابيك : «الورد الابيض » و « وراء البحار » .

ارجو لو امكنك ان تشير الى اني منشغل بوضع كتابين عن الادب العربي ، الاول بالالمانية وعنوانه : « المفكرون المصريون » ، وان سيصدر قريبا الجزء الاول منه . والثاني بالانجليزية عن « مجرى الرومانتيسم في الادب العربي الحديث » . وتطلب من حضرات الادباء والكتاب مساعدتي في ان يرسلوا لي مجموعة آثارهم وصورهم الفوتوغرافية مع نبذة عن حياتهم او المراجع التي عرضت لها وذلك في الصفحة الادبية من « الصباح » . هذا الى اني لاحظت ان « المهرجان » قد اغفلت نشر بعض اجزاء مما قمت بترجمته عن الاستاذ سعيد نظامي . لهذا اكون ممتنا لو عملت على نشره في غير المهرجان . ودمت للمخلص »

أ. أ. ادهم

الاسكندرية . نقولا يوسف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

.. الجامع مظلم . والرطوبة عميقة. واعمـــدة الرخام كثـيرة ضخمة . والحصيرة صلبة تؤلم ظهري . السقف يندمج في الاعمدة . والاعمدة فـي الارض . الارض خفيفة . الصمـت هاوية . الطـرق اللطيـف . شمس النهار سطعت بقوة . وفي المساء لم تكن هناك سحابة . ونسيت صوت النفـير . نفـير السيارة الكبيرة . وراحت . وراح . وجـاءت وجاء . وظلام . ظلام . ظلام . وخيط ضوء احمر رفيع . يتسـع ويشمل كـل شيء. وطريق مترب. تحفه من اليمين ترعة . ماؤها رمادي . وعلى الضفتين اعشاب جافة وتندفع من حين الـى آخر . طيور بيضاء رشيقة . تدور في الهواء . وتحملق ثم تهوى فوق صفحة الماء . وتصرخ الطيور صراخا متصلا متحشرجا . تختفي . ويعود الصمت العميق ..

.. فـي الناحية اليسرى مـن الطريق . تنبثق مداخن طويلة مـن الارض . واسفـل المداخن تستقـر ابنية المصانع المحدبة السقوف . من بعيد . امشي متأبطا مظروفا اخضر التفـت الى المداخـن . ابطىء مـن سيري . واتقـدم ناحية المصانـع والارض كلها شوك . وخطواتي بطيئة والناس . والطريـق . والاوراق . والمستقبل . والظلام . والدخان . وباب المصنع الصلب . فلأقف امامه. لا احد هنا . فلادخل الى الداخل . اين البواب ؟؟ ورش ؟؟ كـل شـيء هادىء . حتى الماكينات . ضجة . ضجة تنبعث فجأة . هذا الرجـل الواقف هناك . بدين . من حزامـه تتدلى سلسلة ذهبية . وخلفه مبنى ابيض انيق . اهو مـدير المصنع ؟؟ وربما كان صاحبه .

صباح الخير ..

نـ .. نـ .. نـ .. نعم .. ماذا تريـد ؟؟

وامد يدي بالمظروف ..

العام الماضي حصلت علـى ... ولـم ...

ما له هكذا ؟ ينظر الي . وقامتـه ترتفع كمدخنة . ليس هذا رجل . انه مدخنة ولا احد ينقذني . انـي اخاف . راسه غاصت بين السحاب. صدى . صدى ... اعرف جيدا.. معي شهادة .. لا .. توجد .. لا.. وظائف .. لا لا لا لا ..... وظائف .. وانبثق الدخان من جسم الرجل. غزيرا . كثيفا . واندفعت سحابات الدخان الاسود اللزج من المداخن كلها وتزايد عددها . واصبحت كقضبان. والصدى يتردد. وارتجف. ويتضاءل حجمي . واتراجع بسرعة . وادب ناحية الطريق . الطويل المتـرب . نبت الشوك . وتكون مكانه سـور



بقلم جمال الفيطاني

ARCHIVE
http://Archiveebeta.Sakhrit.com

سميك . حجب عني الترعة ولم اعد اراها وترددت اصداء مخيفـة هنـا وهناك . وتعثر الهواء في طريقه الى صدري . ونبح كلب لم اره . يحتضر والسماء تضيء بلا شمس . والمداخن طويلة فارغة. واين الترعة ؟؟ والقطار والمحطة والبلدة . والطريق والمحراث والمحراث . والخيط الاحمر...و.. و .. و .. ظلام . ظلام . ظلام .. .. ياه ..

راسي تدور . وغشاوة امام عيني. واعمدة الجامـع ضخمة كما هي . كانت هكذا اول الليل الصمت مخيف وانت هنا وحيـد . وراسي لا زال يدور . اتخاف ؟؟ انا في جامـع . والشياطين لا توجد هنا . الوحـدة المرة . غريب في القاهرة . ولا قريب ولا أقارب وموجات ارهاق في ظهري. والنوم هنا مؤلم . قسوة . وقسوة. والم . ودخان . والقرية واضحة . بيوتها القليلة الطينية جدرانها سوداء ودخان يتصاعد من فرن . وكـلاب فوق اسطح البيوت . وجواد يصهل. واجري الى منزلي . الفرحـة فـي عيني . ورقة صغيرة في يدي .

.. اين ابي .. أين ابي ؟؟

ومن حجرة خرجت امرأة . وقفت في الفناء . ونظرت الي . بعينين في لون الليمون . وخرج صوتها باردا . نائـم .

نجحت . نجحت . اخذت الشهادة. حملقت في وجهها . منتظـرا ضحكة ناعمة . عبارة جميلة . تهنئة ولكن الصوت ازداد برودة . ادخل. فهو يرقد بالداخل ..

وفي الداخل . يتقلب ابي فـوق حشية . ويخرج من فمـه صـوت كسـول .

من ؟؟ فريد ؟؟ ماذا تريد ؟؟

نجحت يا ابي ..

قال ابي .

طبعا .. كان يجب ان تنجح ..

وارتفع صوتها من الخلف ..

اصبحت رجلا . اذهب الى المدينة لتبحث عن عمل . لن اطعم بفلا .. انت رجل معك شهادة ..

شهادة ؟؟ نعم . ولكن . سأرحل بلا شك . اريد كلمة حلوة . اسمعها من اي واحد حتى الفرحة لم تبرق في عيني ابي . كان يجب ان تنجح . آه لو كانت امي هنا . في الدنيا ..

ـ قلت ..

نعم .. نعم .. سأذهـب الـى المدينـة ..

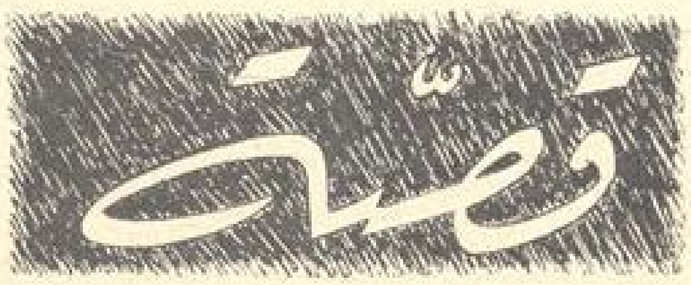
ـ صاح ابي ..

ـ جهزت اوراقك ؟؟

اجبـت ..

نعـم ..

قالت : سترحل الليلة .



وتسألين من انا ؟

●

وتسالين من انا ؟ ما كنت مجهول السنا
اني فتى من يعرب ومن (قريش) معدنا
قصيدة من وله وملحمات للغنا
وانت يا شقراء يا زنبقة تجلو المنى
حورية لوّنها قلبي فيما لوّنا
وموسم أين الربيـ ـع من جنى موسمنا
يجذبني الشوق اليك والحنين موهنا
فأنكر النوم بأجـ ـفاني وافتات الضنى
واستعيد الذكريا ت وهي خير مقتنى
قبلي جدي عشق الـ بيض وفدى الاعينا
ولي أب تيمه الـ جمال من شآمنا
تسحره زرق العيو ن كم لهن ارتهنا
وثم جد شاعر يرتصد الحج هنا
له بـ « جمع » ذكريا ت وغرام بـ « منى »
رنحة الحب فلم يخش الجوى والفتنا
وثم في « اندلس » كم ازدهت بنا الدنا
بطحاؤنا اللؤلؤ والـ حسان من يخدمنا
نجذبهن كالفرا شات ونطوي الزمنا
والكون نهر عربدات كم تغنى حولنا
حتى طوانا الزمن الاصم طيا وانثنى
فيا له من عابث يا شد ما أرمضنا ؟
أبعد هذا السؤدد الـ لماح يا فتنتنا
تستنكرين قيمتي وتسالين من انا ؟

الرياض **حسن عبد الله القرشي**

اكد والدي : نعم الليلة ..
اجبت : نعم .. الليلة .. الليلة
.. لكن اريد نقودا ..
ـ اعطيه جنيهين ..
ـ لن تكفي .. اريد اكثر .. خمسة جنيهات من نقود امي ..
ـ امك ليس لها نقود ..
ـ امك ليس لها نقود ..

نظرت الى الاساور الذهبية المحيطة بيديها . استدرت ناحيتها . في بطء تصلبت قامتي اشرت اليها .

ـ : نقود امي .. نقود امي ..

وفتح ابي فمه . ولم يتكلم . تصلب مكانه . وامتدت يدي الى عنقها . واحاطته باصابع من حديد . وحاول ابي ان يقفز من مكانه لينقذها ولكنه ثبت الى الارض . وتقلص راسها بين يدي . اصبح في حجم برتقالة . ثم في حجم ليمونة . وتلاشى . لم يبق في مكانه غير فجوة عميقة تغوص في الجسد الساكن . وعاد الاب يصرخ . واستدارت ناحية الباب . نظرت اليه باسى . احنيت راسي . وتناولت المظروف . وخرجت من الباب ..

.. شوارع القرية يكسوها ضوء غريب . هناك شخص يتبعني . التفت خلفي انها عجوز . تتعثر في خطاها . توقفت . توقفت هي . اشرت لها بالاقتراب . ولم تقترب . بدت وكأنها تود لو تصيح . لا تستطيع . فمها مقيد . اسنانها لا تنفرج . ياه .. انني افهم ما تود ان تقوله . تلك العجوز الحبيبة . وداعا وداعا .. ابتعدت عن القرية . ومشيت في الطريق الزراعي الموحش الضفادع تنقنق . صوت ماكينة الطحين . تك . توك . توك . توك . عميق اسود . وتصاعد الدخان من القاطرة . وفي لحظات مضى القطار الكبير . تحرك . ومرة اخرى رايت المراة العجوز خارج النافذة . تجري بجوار القطار . وتكبو . وتنهض . وتنهض وتكبو . وداعا . وداعا ولدي الحبيب . واضواها الدخان الاسود المندفع من جوف القاطرة . واختفت ولف الدخان كل شيء . الدخان الكثيف القاتم . ومضى القطار . والظلام .. الظلام .. الظلام ..

القاهرة **جمال احمد الغيطاني**



مكتبة الاديب

الضباب

رواية ـ تاليف ثروت اباظة ـ ؟ صفحة ـ مطبعة (؟)

« لم ينم محمد ليلته وانما راح يتقلب في فراشه حتى آذن الفجر بشروقه وقام الى البهو وجلس به وحيدا فلم تطل وحدته فقد قام ابوه الى صلاة الفجر ... وانتظر محمد حتى ختم ابوه الصلاة فقال له .

ـ ابا ... اريد احمد معي .

ـ انت تسهر في الخارج واحمد سيكون وحده ولن ترافقه .

ـ اريد احمد معي يا أبا ولن اسهر ... سأعيش له يا أبا .

ـ ما شئت يا بني ... ما شئت .

وصحب الحاج ابنه وحفيده الى القطار فركباه ... وحين عاد وحيدا الى طريق القرية لم يتصاعد الضباب امام عينيه ... احس كأن الضباب قد ركب القطار مع ولده وحفيده .

لقد آن لمحمد ان يحمل العبء الذي حملت ... وتدور الحياة » .

يأتي هذا الجزء الاخير من رواية الضباب لثروت اباظة ليكشف رؤية الكاتب للقضية الانسانية التي يبدو انها كانت تشغل الفنان على طول الخطوط المتشابكة المتوازية التي غزلها في دقة روائية متانية .

هذه القضية الابدية القديمة قدم الانسان والباقية طالما كان هناك انسان يتزوج ويمنح للحياة خصبا جديدا .

لذلك فمن اجل تقييم هذا العمل الجديد للروائي ثروت اباظه يجب ان نطرح عدة اسئلة نحاول على قدر الامكان ومن خلال اجابتها ان نلقي الاضواء على القضية الانسانية الرئيسية وما يخدمها من قضايا ثانوية وكل ذلك في اطار البناء الفني للعمل نفسه القائم على خصائص معينة سوف نحاول ابرازها ، وكلها تساهم في تصوير الحدث ومتابعة نموه في صبر رصين وتصوير الشخصيات وتفاعلها مع الاحداث لتكون في النهاية رؤية جمالية لمصير مجموعة من الناس في اطار مرحلة تاريخية معينة في حياة المجتمع المصري .

فما هو الخيط الرئيسي في الرواية ؟

منذ الفصل الاول ومن خلال الريف المصري المستسلم لحياة زراعية وديعة رتيبة وانسام الخمول يعبق بها الجو ، من خلال الريف المصري المعزول عن المدينة تحت قبضة جنود الاحتلال الانجليزي في الفترة التي تسبق اندلاع ثورة ١٩١٩ ، وسط هذا السكون المتجهم نلتقي بالحاجة المسكينة بمبه زوجة الحاج والي عبد الهادي من اعيان قرية الحمدية ، الرجل الذي يمتلك في زمام القرية ثلاثين فدانا ويمتلك في حياته مأساة تنغص عليه سعادته المطمئنة ، وهو رجل ريفي لذته الكبرى أن يمارس الخلود والامتداد الانساني في ابسط اشكاله ... اما الحاجة بمبه فامرأة ريفية لا تستسيغ ان تعرض نفسها على طبيب فالتقاليد قد تمكنت منها ، وهنا في هذا الموقف الروائي يخيم الضباب فلا نعرف هل هي امرأة عقيم ام مريضة قابلة للعلاج ، وهي ايضا لا تستطيع ان تتجاهل رغبة زوجها في الانجاب هذا رغم حبه وتقديره لها ، والسيدة بمبه امرأة بعيدة النظر ومن امهر نساء القرية في رؤية المستقبل في الفنجان ، فهي تواجه هذه المأساة بوعي الريفية وتقدم على خطبة صالحة ابنة سيدة ام العسل لزوجها الحاج والي ، فصالحة قد سبق لها الزواج ولها طفل هو حسين ... وهذا في اعتقادها يحل اللغز ويضمن سيطرتها على حياة زوجها ، وبين الرغبة الملحة والخجل يقبل الحاج والي الامر .

وهنا نضع يدنا على اول عقدة في الخيط ... فعلى المستوى الانساني نرثي لتضحية الست بمبه بعواطفها ... ومقدار الاحساس المؤلم المعذب الذي يشعر به الحاج والي وكل هذا من اجل الانجاب ... ويتساءل القارىء وسط هذا الضباب الذي يحيط الموقف ... هل السيدة بمبه ضحية تقاليد تمنع المرأة في هذه الفترة وفي هذه البيئة الريفية تمنعها من عرض نفسها على الطب ، على العلم ، ام انه الهدف البعيد المجهد الذي يستهدفه الحاج والي في انجاب اطفال ولو على جثة عواطف واحاسيس زوجته .

اننا نرى في نفس الوقت خطا موازيا يسير بجانب هذه المأساة ولو انه يسير في منحنى آخر فوجيه الناحية زين العابدين بك الدرملي يواجه نفس المأساة فزوجته لا تلد ... غير انه لا يجد غضاضة في عرضها على الطب ويلتقي الخيطان في موقف مفرح محزن موقف تجتمع فيه المأساة مع البهجة .

فلقد وضعت صالحة للحاج والي مولودا ذكرا ولكنها فقدت حياتها ثمنا لحلم الحاج والي وفي نفس الوقت وضعت بهية زوجة زين العابدين بك مولودا انثى .

وهنا يعود الضباب ليخيم مرة اخرى ، فعلى جثة صالحة ، ولد حلم الحاج والي ، ومع عودة الضباب يثار السؤال في ذهن الحاج والي ... هل كل هذا من اجل الانجاب .

ولنتابع بعد ذلك الخيطين المتوازيين ، ولنصحب الحاج والي في حياته الهادئة مع زوجته السيدة بمبه وابن صالحة حسين الذي تبناه بناء على رغبة السيدة بمبه وابنه من صالحة محمد ، ولنضع اعيننا على حياة زين العابدين الدرملي في نفس الوقت فسوف ندرك كلما تابعنا الفصول ان حياة الاسرتين تسيران جنبا الى جنب بل ربما يحدث ان يدمجا معا في حياة مشتركة .

وزين العابدين بك الدرملي رجل يعشق الحياة ويسرف في اللذة وينفق جزءا كبيرا من وقته في مغامرات مع نساء الليل في القاهرة ولا يتورع عن المغامرة بكل شيء في سبيل نزواته وهنا نجد ان هذا الموقف العابث من الحياة سوف يشكل مصير ابنته الوحيدة آمال وسوف يؤدي به الى فقد جزء كبير من الفدادين التي يمتلكها في حين ان الحاج والي ينصرف بكل اهتمام الى تربية ابن صالحة حسين وابنه محمد في ظل رعاية السيدة بمبه .

وهنا نتساءل هل تحققت آمال كل من الحاج والي وزين العابدين في انجالهما ، ثمة اسئلة وعلامات استفهام قد طرحها المؤلف في الفصول الاولى وعلينا ان نتأمل جيدا لانها ستشير الى ما نعنيه بمشكلة الحياة والامتداد .

الحاج والي : ... ايستحق الاطفال كل هذا ... ايستحق الاطفال ان تطعن امرأة صالحة كزوجتي كرامتها كامرأة وتتجاهل انوثتها الى درجة ان تخطب لزوجها امرأة لتنجب له اطفالا . ماذا اصنع بهم ؟ لماذا كنت شديد الرغبة في الانجاب الى درجة جعلتها تقتل انوثتها بيديها وكأنها تنتحر ماذا سأصنع بهم ... وماذا سيجري في الدنيا اذا لم انجب انا اطفالا ؟ هل ستتوقف الدنيا عن الدوران ماذا اصنع بهم ، اي شعور عجيب يشعر به الاب فيجعلني حريصا كل هذا الحرص على ان انجب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم يتساءل مرة اخرى : أهو حرصنا على ان يظل اسمنا من بعدنا .

زين العابدين : ... وماذا بهم من بعدنا ان بقي اسمنا او لم يبق .

الحاج والي : ... فماذا اذن ... اي شيء عجيب في هذه المخلوقات الصغيرة الجبارة ويجعلنا نحبها ونحرص عليها ونتوق الى ان نصبح اباء لهـا .

زين العابدين : ... لعلنا نحب فيهم الحياة يا حاج والي ، فهم حياة جديدة واقبال الاطفال يشعرنا او هو يشعر الاباء ان الحياة ما زالت تستطيع ان تجدد نفسها .

ان ما تعنيه هذه المناقشة في اعتبارنا هو التلميح لرأي ما تحمله الرواية لمعنى الحياة وما يؤكد ذلك اننا عندما نتتبع مصير الابناء سوف نجد الاجابة او محاولة بناء رؤية جمالية لمشكلة الحياة موجودة في ثنايا الاحداث التي صنعت حياة كل من حسين ومحمد وامال .

ولقد استطاع الكاتب ان يكشف الشكل الجمـالي المرتبط عضويا بالموضوع ... فهذه الرواية من روايات الشخصيات ومن هنا كان هذا التوزيع المتناسق بين الشخصيات ودراستها وتتبع مصير كل شخصية في صبر . ولقد تفاوت الاتفاق البنائي للشخصيات الثلاث وربما جاءت شخصية حسين في مقدمة الشخصيات التي رسمت بمهارة واعطاهـا الفنان من نفسه الكثير .

حسين هذا اليتيم الذي تدمع عينه اليسرى ولا يدري لانسيابهـا سببا ، من طفولته وهو يشعر بالغربة في بيت الحاج والي هذا رغم الحنان والاهتمام الذي اولاه له كل من الحاج والست بهيه ، غير انـه ايضا في طفولته اثر الا يشغل احدا بنفسه ابدا غير انه طفل ذكي حفظ القرآن في خشوع وتعلقت آماله ان يفهم معناه ، وبوعيه هذا المبكر بدأ يشعر بافضال الحاج والي عليه ، ولا يخفى على القارىء انه ربما بدأ يضيق بهذا الفضل مما جعله يقرر ويلح في القرار على السفر الـى الازهر لاتمام تعليمه الديني وليصبح واعظا كبيرا في القريـة ويتزوج من هنيـة .

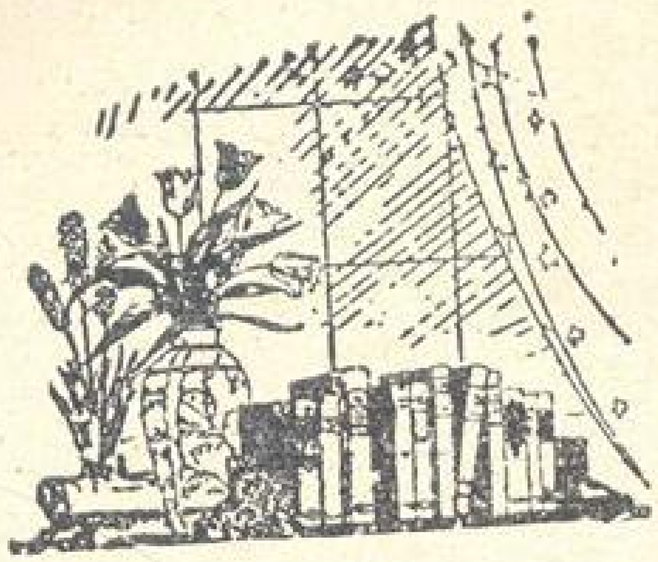
انه يقول : ما دمت ساعيش فانا الذي ساصنع مستقبلي بيدي ولن يصنعه لي احد غير ان الروائي يضع هذه الشخصية القلقة الطموحة في سلسلة احداث تؤدي الى مصير منطقي لها .

ففي القرية وعلى اثر حادث يسمع من يقول له (الم يبق الا انت يا من تعيش عالة حتى تتعدى على طفل صغير) . وسوف تترك هـذه الحادثة في وجدانه الحساس اثرا لا يزول ربما يجعله يكره القريـة والعودة اليها وربما تجعله يحقد في باطنه على الحاج والي ، ولقد تيسر لحسين المجيء الى القاهرة والازهر فهل احسنت استقباله ؟! ان نمـو الاحداث يؤدي به الى مواقف متشابكة تحدد كما قلنا مصيره .

انه يستدعى في احد شوارع القاهرة ليقول فتوى في الدين فيفاجأ بركلة عنيفة في ظهره ترفعه الى اعلى قليلا ثم تهوي به على الارض منكفيا على وجهه عمامته نافرة عن رأسه وصوت يطن في اذنه .

(الم يبق الا العيال نسألهم في كلام الله يا بن الكلب يا صايع .. قم قم خيبة الله عليك وعلى ابيك) .. والقاهرة مدينة عابثة وفـي بيوتها ربما يوجد العبث المزهل لصبي ريفي مثالي وهذا ما حدث فصاحبة البيت الذي يسكنه تفلح في اصطياد الشاب لصيدة الجنس وتدمـره نهائيا وهو الشاعر الرقيق المثالي ولا سيما بعد ان بلغه زواج هنية من اخيه محمد ، ان ثمة تحول بدأ ينتاب حسين فلقد سلم نفسه للعبـث وهجر الازهر الى دار العلوم ولم يعد يهتم بالحاج والي والست بهية وحتى موهبة الشعر نالها الزيف ... فهو يصرخ في نهاية الرواية (اتلك هي الحياة التي كنت اصبو اليها ، اهذا هو الفن الذي عشت عمـري احب ان اكون واحدا من اهله ـ اعيش في رحابه واقضي عمري في ظل منه ... ماذا اصبحت ، كيف جنحت من الحياة هذا الجانب المظلم فيها من انا ؟ خباز يجهز ما يطلب منه) .

وسوف نؤجل مناقشتنا لازمته التي سوف نجد انها ازمة واقع عام



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العـادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

•

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد أدنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد أدنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابهـا سواء نشرت ام لـم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ (Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ (Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البـير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنعكس عليه وكذلك سوف تؤجل انعكاس مسار حياته على الحاج والي بعد ان نشير الى محمد وامال .

ومحمد ابن الحاج والي نستطيع ان نتعرف على شخصيته من كلمات في الرواية هي احسن تعريف به نعم ها هو قد اصبح طبيبا ولكنه يفاجا في لحظة انه مصنوع ولم يصنع نفسه .

لعله كان يختار الطب لو ترك له ان يختار ولكنه هو لم يختر فهو يحس انه مسوق في طريق لا يملك فيه لنفسه مصير ، اما كان يكفي اباه ان ينجبه ويختار له الزوجة ويختار له البيت الذي يعيش فيه ، نعم انه طلق زوجته ولكنه مع ذلك يحس ان الخيوط التي تربط حياته خيوط غريبة عليه ليس بينه وبينها آصرة من تعرف ، هي غريبة عن نفسه لا جذور لها في انحاء كيانه ، خيوط تمتد اليه من خارجه لا هي نبتت من داخله ولا نمت معه ، لذلك نتساءل هل اهتمام وحب الحاج والي الطاغي بمحمد هو الذي صنع مصيره ام هي الحياة العاتية ومشكلتها ... ان محمد سوف يفجع في آمال عندما يلتقي بها في احدى الحفلات بين احضان رجل اخر .

ولا شك اننا مضطرون هنا لدراسة شخصية آمال ومسار حياتها الموازي لمسار حياة كل من حسين ومحمد فهي ايضا نالت من الاهتمام الطاغي من ابيها وامها القدر الكبير ، ولا شك ان بيئتها كانت على شيء من الحرية والاخلاقية مما دفع بالفتاة الى المغامرة وهي طالبة مع الشباب ثم ادى بها الامر وضعف شخصية محمد الذي اندفع الى القمار بكل اهتمام الى ان تخون زوجها .

من هذه الخيوط الثلاثة تتجسد امامنا قضية المصير الانساني لهذه الشخصيات ويجعلنا هذا نعود الى الاباء لنجيب على الاسئلة التي اوردناها في بداية الدراسة . ان الاجابة تهوم في الضباب هذا الضباب الذي نجح الكاتب في استخدامه استخداما رمزيا .

فعندما يأتي الحاج والي لزيارة حسين ويجد في حجرته امرأة يرتفع الضباب امام عينيه ، وعندما يصطدم الحاج والي بخيانة زوجة ابنه محمد ويعلم انه اسلم نفسه للقمار والعبث يعود الضباب .

غير اننا نلمح ضبابا عاما في المرحلة التاريخية كلها التي سردت فيها احداث الرواية ، فرغم الاشارات الغير مباشرة التي تجعلنا نعلم انها فترة ما قبل الثورة ، ثورة ١٩١٩ وما فيها من قلقلة في الاخلاق والعادات المصرية ، وشبح الحرب العالمية الثانية ندرك ان واقع مصر كان يقلي في هذه الفترة ، ولقد حاول الكاتب ان يربط بين حياة هذه الشخصيات وحياة المجتمع المصري في بساطة رقيقة رغم انها كانت مباشرة في بعض الاحيان عندما يصرخ حسين عندما حدد مستقبله : « الا يقولون ان الثورة قد نشبت في مصر من اجل الحرية ، ما الحرية ان لم تكن حريتي في اختيار طريق حياتي ، وطريق حياتي هو الازهر » .

غير اننا نتساءل هل مصير هذه الشخصيات الذي ندينه بلا شك اخلاقيا يشكل في جوهر الرواية ما نعنيه بمشكلة الحياة العاتية ، ام ان عزلة هذه الشخصيات لحد ما عن حركة الواقع المتطور النامي هي سبب سقوطها بعض الشيء ...

اننا نعود ونلمح من سياق الاحداث ان الكاتب كان يهتم بتصوير حياة الابناء وانعكاسها على الاباء وبالذات اباء كانوا يريدون ان ينجبوا للحياة اطفالا جددا ... غير اننا ومن خلال حياة الحاج والي ولا سيما في هذه المواقف المحددة عندما يستمع لاسم حسين في الراديو وقد اصبح شاعرا يشعر بلذة ونشوة وتحقيق اوجوده ، وكذلك عندما يأتي اليه محمد ويطلب منه ان يأخذ ابنه ليرعاه . في هذه اللحظة الشاعرية الانسانية ينجاب لاول مرة الضباب امام عيني الحاج والي وامام اعيننا ونشعر بقوة الحياة وروعتها رغم كل الاخطاء التي هي من طبيعتها .

القاهرة — عبد الرحمن ابو عوف

ميراث العار

رواية ـ تاليف محفوظ عبد العال غانم ـ ١٠٨ صفحة ـ مطابع دار الهلال بالقاهرة

كان الادب الملتزم وما يزال يحتل المكان المرموق في تاريخ الادب قديمه وحديثه ، وسوف يبقى كذلك في كل مكان وزمان ، لانه الادب النابع من اقرب المصادر التي يستمد منها الادب مواده الاولية واعرقها اصالة .

واذا كان متذوقو الادب قد انقسموا فيما بينهم الى شيع وطوائف حول تقدير الادب الملتزم والجحود بمكانته ، فلا شك في ان ذلك عائد بالدرجة الاولى الى اختلافهم في تقييم الادب . واذا سئلت الى اي الطرفين انضم ؟ اشرت بلا تردد الى طرف مؤيدي هذا اللون من الادب.. وكفى به فخرا انه ادب الشعب الذي يخدم قضايا الشعب ، ويعبر عن آمال وآلام الشعب ، ويقدم الدليل الساطع على قدرة الادب على خدمة الشعب والمجتمع معا ، واثبات ديموقراطية الادب .

والرواية التي بين يدينا والتي تحمل عنوان « ميراث العار » للروائي المصري الاستاذ محفوظ عبد العال غانم ، تمثل هذا اللون من الادب الشعبي الملتزم النابع من ظلال الريف الذي يتسم بكثير من العفوية والسذاجة .

وبالرغم من ان الرواية تبدأ كلاسيكية ، الا انها تعطي بصورة اوسع وادق لابطالها الملامح الرئيسية التي يتحركون بها ضمن اطار الرواية . ولعل من ابرز الملاحظات في هذه البداية انها تعتمد على الحوار النفسي بصورة تجسد شخصيات الابطال ، فنحس بهم بيننا ، ونحس بانفسنا بينهم وهم يتداولون في قضية الارث ، كذلك نقف على دخيلة نفس كل منهم حينما يتحدثون ، وحينما يصمتون ، وحيثما وكيفما يتحركون !

ان هذا التركيز الدقيق على صقل شخصيات ابطال الرواية ، قد اعطى الرواية قيمة خاصة من وفرة التكامل ، يضاف الى ذلك الروح الساخرة التي تشيع في جوانب الرواية الحياة والدفء .

قلت ان الرواية مستمدة من واقع الريف ، لكن طابعها المميز انها تعكس نفسية الريف ، وتهتم بعرض علاقات الافراد بعضهم مع بعض قبل كل شيء . فمكان الرواية وزمانها ذلك المنزل الريفي الذي يقيم فيه الاخ « الحاج فهد » ، وهذا المنزل لم يتغير طوال فصول الرواية ، لان المؤلف عاقد العزم على التحليل النفسي ضمن اطار مكاني موحد ، لذلك نجد ان اشخاص الرواية يتحركون ضمن هذا الاطار بصورة اوضح مما لو كانوا يتحركون ضمن عدة اطر .

واسلوب الرواية اسلوب هادىء ، يعتمد على الواقعية في التعبير ، كما انه يستشهد بالحكم الشعبية المتعارف عليها في الريف . الا انه يسيء كثيرا الى الرواية تهاون المطبعة في تحاشي الاخطاء والاحرف والنقاط الناقصة .

ويجدر بي ان اقف وقفة خاصة عند الغموض الذي يكتنف موقف التعرض الفجائي لسيرة الاخت « مرضية » في الفصل الثالث ص ٦٩ . وكان ابعث على الاثارة لو توفر عنصر المفاجأة في حديث « الطناني » الذي جرى على لسانه حديث التعرض لسيرة الاخت مرضية . وما دام هذا الطناني منافقا مرابيا فقد كان كفيلا بان يفي بالغرض وان يقذف بالمفاجأة دون حرج . كما ان نهاية الرواية تبدو مضغوطة بعض الشيء ، فعودة المزارعين من الحقول في ذلك الجو المحموم مع الاخ « فهد » وزوجته يعني ان شيئا ما قد طرأ على الموقف اذا عرفنا ان الاخ فهد اتجه الى الحقول هربا من العار . كما ان تلك العودة تعني ايضا ان تغيرا جديدا قد داهم دور كل من « الجساس » و « البطش » و « الطناني » حتى جعلهم يعودون بالاخ فهد سالم وهم الذين يريدون ان يمتصوا دمه حقدا ، الا ان ايضاحا ما ولو تنويها لا يقترن بتلك العودة . كما ان حادث مقتل « الدهشان » لا يبدو متماسكا مترابطا ،



ظهر حديثاً

● المطالعات في مختلف المؤلفات ـ تأليف محمد علي الموسوي الحمامي ـ ٥٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة السيد الحمامي ـ مطبعة الاداب في النجف .

● السامرية ـ مسرحية ـ تأليف ميشيل سليم يمين ـ تقديم الاب ميخائيل وهيبة ـ ٨٠ صفحة ـ منشورات مكتبة جبران بمصر الجديدة ـ المطبعة التجارية الحديثة (؟)

● ادباء السجون ـ طبعة جديدة منقحة ومزيدة ـ تأليف عبد العزيز الحلفي ـ ٤٧٢ صفحة ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الانسان الحديث دراسة في مزاجه وقضاياه ـ تأليف جوزيف وود كرتش ـ ترجمة بكر عباس ـ ٢٨٠ صفحة ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت .

كذلك عودة الاخت مرضية الى دار اخيها فهد وذلك في الصفحات ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٤ من الرواية .

ولا يجدر بي ان اتقاضى عما وراء هذه الرواية من هدف بعيد . فالمؤلف انسان آل على نفسه ان يضع قلمه في خدمة القضايا الانسانية ، وان يجند لها كل قواه ، ويدلنا على ذلك بكل وضوح التيارات الخفية التي تتجاذب اطراف الرواية وتجعلنا نؤمن بقوة بان المؤلف عاكف على دراسة شخصيات الريف بكل ما فيها من سذاجة وضعف ولؤم وحقد وجبروت ... ويمكننا بمزيد من الثقة ان نقول ان الرواية عمل ادبي انساني يستغني عن المظاهر الخارجية ويصب اهتمامه على النقد والتحليل والدراسة .

ولا غرو في هذا كله ، فمؤلف الرواية انسان مثقل بالتجارب ، مرهف الحس ، يفتح صدره وذراعيه لاستقبال اثنين المعذبين لانه كان واحدا منهم فيما مضى . واذا كان المؤلف قد استغنى عن الزخرفة في الالفاظ والتعابير ، فلانه لا يجد لديه متسعا من الوقت يضيعه في اقانين تبعده عن الغاية التي ينطلق اليها ... وهي اشباع نهمه الى الحقيقة العارية.

ان غنى النفس بالتجارب والانفعالات والخواطر يجعلها تزهد في ممارسة الاساليب البهلوانية ، والتقلقل في الدهاليز ، لان الفكرة الناضجة لا تحتمل وضعها في ارجوحة وهزها ... ان نضجها يغني عن كل التعاويذ والبخور الذي ينشر حولها . ولا شك في ان قلما يحمله اديب مخلص نزيه كمحفوظ عبد العال غانم ليعد باكثر من عطاء ... ومن عادة الينابيع انها تتدفق ... دون موعد .

حلب — ممدوح مولود

● جمهرة المغنين ـ تأليف خليل مردم بك ١٨٩٥/١٩٥٩ ـ وقف على طبعه وعلق عليه عدنان مردم بك واحمد الجندي ـ ٢٩٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ـ المطبعة الهاشمية بدمشق .

● نهاية قصة ـ مجموعة قصص ـ تأليف فؤاد عبيد ـ تقديم ابراهيم العريض ـ ١٥٠ صفحة ـ مع عدة رسوم ـ منشورات المكتبة الوطنية في البحرين ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● اناشيد الالهة ـ قصة ـ تأليف جوزيف ابي فرحات ـ تقديم حسيب عبد الساتر ـ مصمم الغلاف انطوان كرياكوس ـ ١١٦ صفحة ـ مع عدة لوحات للمثال رودان ـ مطابع المتنبي بفرن الشباك بيروت .

● اللاعائلية ـ تأليف خضر نبوه ـ ٧٠ صفحة ـ طبع في بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● رباعيات ابي نواس ـ تصنيف رامز حيدر ـ ٦٦ صفحة ـ مطابع لبنان (؟)

● التحدي الكبير ـ تأليف نهاد القادري ـ الغلاف تصميم جبارة ـ ١٦٨ صفحة ـ مطابع الف ليلة وليلة ببيروت .

● ما اقل الثمن ـ مجموعة قصص ـ تأليف محمود سيف الدين الايراني ـ مصمم الغلاف سلامة خوري المهندس ـ الرسوم الداخلية والخطوط بريشة عبد اللطيف عطية ونايف نعناعة ـ ٢٠٠ صفحة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الثورة عناصرها تحليلها نتائجها ـ تأليف كريس برنتون ـ ترجمة زياد عناب وشجاع الاسد ـ ٤٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● صراع الطبقات ـ تأليف ريمون آرون ـ ترجمة عبد الحميد الكاتب ـ ٢٩٢ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة المكتبة الفلسفية ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطبعة منشورات عويدات ببيروت .

● مذكرات بحار ـ شعر ـ للشاعر الكويتي محمد الفايز ـ ٧٨ صفحة ـ مطبعة حكومة الكويت .

● دروس في الحب والزواج ـ تأليف ابراهيم المصري ـ ٢٥٠ صفحة ـ منشورات دار الروائع ببيروت ـ مطبعة الجهاد (؟)

● صور من الانسان ـ مجموعة قصص تحليلي ـ تأليف ابراهيم المصري ـ ٢٣٤ صفحة ـ حجم كبير ـ العدد ١٢٢ من سلسلة الكتاب الماسي ـ الدار القومية للطباعة والنشر (؟)

● قلوب الخالدين ـ صور نفسية وعاطفية لطائفة مختارة من عظماء الادب والفن ـ تأليف ابراهيم المصري ـ رسم الغلاف بريشة يوسف فرنسيس ـ ١٤٤ صفحة ـ العدد ٢٦٩ من سلسلة «اقرأ» ـ منشورات دار المعارف بمصر ـ مطابع دار المعارف بمصر بالقاهرة .

● خطوات على الشلال ومشاهد اخرى ـ وصف لموطن « السد العالي » وما هنالك من اثار ومعالم الى وصف مشاهد اخرى ـ تأليف محمود تيمور ـ ١٠٤ صفحة ـ مطبعة الكيلاني الصغير (؟)

● نقاط على الحروف : نقد وتعقيب ـ تأليف وداد سكاكيني ـ تقديم الدكتور محمد مندور ـ ٢٦٢ صفحة ـ منشورات دار الفكر العربي (؟) ـ دار الثقافة العربية للطباعة (؟)

● الاشتراكية في التجارب العربية ـ لطائفة من المفكرين ـ ٢٨٨ صفحة ـ العدد ١ في سلسلة الفكر العربي ـ منشورات دار الكتاب الجديد (؟) ـ مطابع مؤسسة الانتاج الطباعي في بيروت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



بولس غانم

فخر الدين المعني الثاني

١٥٧٢ – ١٦٣٥

بقلم بولس غانم

سلام عليك يا لبنان الاشم ، مصدر النبوغ والاشعاع ، ومنبت الرجال والابطال يا فتى الادهار ، وشيخ الجبال ، المعتم بعمامة من الثلج عن وقار وجلال ، المكسو بخضرة الربى عن امل ، الباسم عن ثغر صيدا المنضد من بيض ازهارها بالجمال ، سلام عليك يا ملتقى حضارات البر ، ومعتلي متن البحر، تدفع عليه من صيدون بكرك «قدموس» فيكتشف القارات ، وينشر الحضارات ، ومن صور فتاتك الاميرة « ديدون » فتنشىء قرطاجة وتنجب هانيبال قاهر الرومان .

سلام عليك يا منجب فخر الدين ، محطم اغلال الظلم ، وخالع نير العبودية التركية ، ورمز الاستقلال والحرية ، وجامع كلمة الطوائف اللبنانية ، والثائر الاول على الاستبداد والطغيان ، قبل الثورات الفرنسية والانجليزية والامريكية.

وسلام على ربوعك المضيافة ، يا منتجع الرائد وملجأ الملهوف والشارد ، يؤم رحابك الطامحون ، ويفيء الى ظلالك المضطهدون . هذه شواطىء البحرين تضيق بهمم رجالها ، وطموح ملاحيها ، فينزحون الى شواطئك الجميلة، وهم يحملون في يمناهم الحك الهادي في البحار ، وفي يسراهم احرف الهجاء الهادية الى المعرفة ، وعلى السنتهم اسمي وطنيهما صور وصيدون التي اصبحت بفضلهم مدينة صيد الناس الى الهدى والمعرفة ، لا بلد صيد الاسماك .

وهؤلاء هم المضطهدون على الارض ، العطاش الى العدل والحرية ، في العصور المظلمة ، عصور بابل وآشور وبيزانطية والعثمانيين والمماليك ، نزحوا الى حماك فوجدوا في ذراك الممتنعة ملجأ ومعتصما ، وفي ظلال ارزك فيئا وطمأنينة ، وفي سهولك الخصيبة قوتا ومرتزقا .

وتزول العصور المظلمة ، وتضع الحرب العالمية اوزارها، ويبشر الرئيس الامريكي ويلسون شعوب الارض بالعدل والحرية ، فيهلل المضطهدون ويكبر المكبوتون ، وتهتف الملائكة حول مذود عيسى : « المجد لله في العلى وعلى الارض الرجاء والسلام » . واذا بمعاهدة الصلح المرجوة وبوعد بلفور عدو الانسانية يحولان مبادىء ويلسون الى طغيان وسلب وتشريد ، واذا بفلسطين الجريح ، ثانية الكعبتين ومهد المسيح ، يلقى بها فريسة سائغة بين انياب وحوش ضارية ، صهاينة يلتهمونها ويشردون ابناءها واذا بلبنان الكريم المضياف ، يفتح حنايا صدره وسويداء قلبه للشقيق العربي المشرد ، ريثما يحق الحق ويجيء نصر من الله وفتح قريب .

هذه السنة الحكيمة الحميدة قد اوحى بها الى لبنان خلق عربي واديان سماوية وتربة مباركة ، وتقاليد عريقة ، ومصلحة جامعة مشتركة ، فسار على هديها ، باني صرح الوحدة اللبنانية ، وحامل مشعل الاستقلال والحرية ، الامير فخر الدين المعني الثاني .

بنو معن

وكل ما نعرفه عن نسب معن بن ايوب جد فخر الدين انه من عرب الشمال ، ومن ربيعة الفرس ، وانه كان من شجعان العرب الاشداء ، الضاربين خيامهم في بادية الشام، وان طغتكين حاكم دمشق اقطعه سهول البقاع وقفار الشوف ، في القرن الثاني عشر ، ليعمر ارضها ويحيي مواتها بعد ان تركتها الحروب والمظالم :

بيدا صوامت ليس يسمع في مداها صوت نابس
غضبت على الانسان واتخ ذت عليها الوحش حارس

وهكذا انتقل بنو معن الى جنوب لبنان ، وجعلوا عاصمة امارتهم بعقلين ثم دير القمر ، وصيدا واستبدلوا من الخيام بيوتا ، ونشروا الوية الامن والسلام على تلك الربوع فعمرت بالقرى والسكان وبالزرع والضرع .

معركة مرج دابق

كانت نقطة التحول في تاريخ الشرق العربي معركة مرج دابق : ففي سنة ١٥١٦ زحف سلطان المماليك قانصوه الغوري على سوريا ، لمنازلة السلطان سليم العثماني فتواقعا في مرج دابق على مسيرة يوم من حلب فدارت الدائرة على الغوري ، وكان على امارة الشوف يومئذ فخر الدين المعني الاول ، الواسع الحيلة ، المتقد الذكاء ، فوقف من تلك الحرب وقفة المتفرج ، حتى اذا انتصر السلطان سليم خف

* القيت هذه المحاضرة في صيدا يوم ٢١ مايو ١٩٦٥ بدعوة من نائب صيدا السيد معروف سعد ورئيس بلديتها .

لمقابلته، هو وامراء الغرب التنوخيون، فهنأه بانتصاره ، واظهر له الولاء ، وكان فصيح اللهجة ، مهيب الطلعة فأعجب به السلطان ، وامره على أمارة الجبل ، وخلع عليه لقب « سلطان البر » .

وهكذا استقر الحكم لبني عثمان في سوريا ولبنان ووادي النيل ، وقضي على العرب بان يظلوا رازحين تحت نيرهم الثقيل ، طيلة اربعة قرون كاملة ، لم يحاول خلالها ان يخلع هذا النير الا الامير فخر الدين المعني الثاني ، ، ثم ظاهر العمر الزيداني والامير بشير الشهابي الكبير .

واغتال والي دمشق فخر الدين الاول سنة ١٥٤٤ ، فخلفه على امارة الجنوب ولده قرقماس ، وحدث في اثناء حكمه ان سطا اللصوص ، في جون عكار على شرذمة من جنود الاتراك كانوا يحملون الى اسطنبول اموال الخراج ، وكان حاكم عكار في ذلك التاريخ يوسف باشا سيفا الكردي ، فأدخل في روع الصدر الاعظم ان الجناة كانوا من رجال قرقماس فأصدر السلطان امره الى ابراهيم باشا والي مصر التركي فسيّر حملة كبيرة على لبنان ، للايقاع بقرقماس واسترداد الاموال المختلسة ، ولما بلغ في زحفه الى صوفر ، قدم عليه وفد من مشايخ الدروز وعقلائهم ليتنصلوا من حادثة السطو ، فغدر بهم ، وثارت ثائرة الدروز المفاوير ، وعلى راسهم قرقماس ووقفوا في وجه ذلك السفاح وجيشه يدفعونه عن ديارهم ، ويستميتون في سبيل ادراك ثارهم ، ولكن العدد تغلب في آخر الامر عليهم واضطروا الى القاء السلاح ، بعد أن قتل منهم ستون الفا من الرجال والنساء والاطفال . ولجأ الامير الى مغارة جزين حيث دس له السم وغدر خائن من خدمه طمعا بجائزة الوالي .

وكان للامير قرقماس ولدان هما فخر الدين الثاني ويونس ، فعهدت بهما والدتهما الاميرة التنوخية الى الحاج كيوان عبد الله ، فهرب بهما الى كسروان وخبأهما في قرية بلونة عند ابراهيم سركيس الخازن واخيه رباح . ولما هدات الحال سنة ١٥٩٢ وانسحبت جيوش ابراهيم باشا استدعى الامير سيف الدين التنوخي ابن شقيقته فخر الدين ، وعهد اليه بامارة والده ، وزوده بالمال والرجال .

وكان اول ما بدأ به حكمه ، استرداد ولايتي صيدا وبيروت ، وكان يوسف سيفا يطمع في ضم ولاية بيروت ، فزحف في سنة ١٥٩٨ بجيش جرار للاستيلاء عليها ، فكمن له فخر الدين في مضيق نهر الكلب مع حلفائه من آل شهاب ومقدمي الموارنة ، وكسره شر كسرة ، ولكنه آثر ان يتخذ منه صديقا وحليفا ، فرد اليه تلك الولاية على ان ابن سيفا حنث بايمانه واوقع بحلفاء فخر الدين وهم مقدمو الموارنة في جاج ، ومشايخ الشيعة في البقاع ، فزحف عليه الامير وواقعه في جونيه سنة ١٦٠٥ وهزمه وانتزع منه كسروان والفتوح .

وفي سنة ١٦٠٦ حالف الامير علي باشا جانبولاد والي حلب ، وطمع يوسف سيفا بولاية حلب فهاجم علي باشا ، فخف الامير الى نصرته وواقعا معا عدوهما ، فانتصرا عليه ثم صالحاه على مال وارتباط بمصاهرة .

وطارت شهرة فخر الدين وعلي جانبولاد حتى اتصلت بفردينان الاول ، غراندوق توسكانا وعدو تركيا ، فاوفد سفيرا من قبله ليعقد معاهدة مع الحليفين، وقعها جانبولاد، ولكن الاتراك هاجموه وهزموه فلجأ الى لبنان ، ولما اتصل نبأ هزيمته بفردينان اوفد سفيرا آخر الى فخر الدين عقد معه تحالفا حربيا وتجاريا تعهد الغراندوق فيه بأن يمد فخر الدين بالمال والاسلحة ، وان يضع تحت تصرفه سفنا من اسطوله اذا هاجم العثمانيون لبنان .

ولما أصبح الامير واثقا من قوة جيشه واخلاصه ، عقد العزم على تنفيذ خطة تستند الى ثلاثة مبادىء :

الاول ـ التحرر من ظلم العثمانيين ، الثاني ـ التأليف بين الطوائف والمساواة بينهم في الحقوق والواجبات ، الثالث ـ تكبير لبنان والسير به نحو الحضارة واسعاد بنيه بتعزيز الزراعة والتجارة .

وزاده اقتناعا بامكان تحقيق الاستقلال التام ، ان السلطان احمد كان واهي الارادة ، ضعيف الحكم ، وان جيوشه كانت تلاقي الهزيمة بعد الهزيمة ، من الفرس والنمساويين والعصاة . ولو اغتنم الامير فرصة ضعف السلطان وهزيمة جيوشه فلربما كان حقق آماله وغيّر وجه التاريخ ولكنه آثر التريث والانتظار ، ريثما يأمن جانب ابن سيفا، وريثما يوطد البيت والاركان، ويعد العدة للنصر.

بدأ في التحالف مع الامراء الشهابيين النازلين في وادي التيم ، وتقرب بالمصاهرة من بني تنوخ امراء الغرب ، وزوج ابنته لحسن بن سيفا اتقاء لشر ابيه وفتح ابواب الشوف لموارنة كسروان والشمال وآخى بينهم وبين الدروز ، كما حالف مشاريخ العربان في البقاع وحوران، وعزز الشيعة في جبل عامل والهرمل ، وقرب اليه ابناء صيدا الناقمين على الولاة العثمانيين وادمج رجالا منهم في حرسه الخاص ، وخص مدينة صيدا ، عاصمته الشتوية بالمزيد من عنايته بما بناه فيها من جوامع ودور وقصور وخانات للتجار ، فازدهرت وعرفت من الرخاء ما لم تعرفه من قبل ولا من بعد ، وعرف له اهلوها هذا الفضل فوفوا له كل الوفاء ، فأقبلوا مغتبطين على سد مينائهم ، وهي باب رزقهم يوم دعت الحاجة الى منع السفن العثمانية من الرسو فيها .

صيدا

يا صيدون القديمة ، يا أم المدائن ، وملكة البحار ، لقد حملت شموس المعرفة حتى بحور الظلمات ، واستعمرت المستعمرات ، وشدت قرطاجة وجادس ، ولبست اثواب الارجوان ، ثم خلعت فضلاتها على ملوك الارض ، وانت يا صيدا الجديدة قلب الجنوب الخافق ، وعاصمة فخرالدين الخالدة ، لقد اوشكت ان تكوني عاصمة الشرق العربي لو

ساعد الجد وتحقق الحلم ، يا عروس المدائن المكللة ببياض زهر البرتقال ، المعطرة بشذا عرق الليمون لقد استبدلت بصباغ ارجوانك وهو صنع آبائك صبغ شفقك الوردي الجميل ، وهو من صنع الخالق وستعاضين في عهد « الحلو » ، من مر ذكرى سد مينائك بما ستفتحه يداه في ارجائك من مدرسة بحرية تعيد اليك مجد ملاحيك وعظمة سفائنك ، وسترفعين في ميادينك بدل التمثال تمثالين ، واحد لقدموس الفينيقي وآخر لفخرالدين العربي اللبناني.

* * *

ولكن توسع الامير وعلاقته الوثيقة بدولة توسكانا ، أثارت الشبهات واقلقت السلطات ، فاخذ يفكر في سحقه قبل ان يستفحل امره . واستشف الامير ما يبطنه له العثمانيون فاوفد في سنة ١٦١١ المطران جرجس مارون مندوبا عنه الى قوزما الثاني يستحثه على ارسال الجنود والسفن الحربية ، كي يقوى على التغلب على الجيوش العثمانية ، التي كانت تتألب للزحف عليه .

وفي اثناء ذلك صدر امر السلطان الى والي دمشق بأن ينتزع سنجقي حوران وعجلون من الشيخين عمرو وحمدان حليفي فخر الدين ، ولكن الامير اعادهما الى السنجقين بحد السيف فثارت ثائرة الباب العالي وجرد في سنة ١٦١٣ حملة قوية للفتك بالامير وحلفائه .

ولم يكن فخر الدين قد اتم بعد استعداده ، لرفع راية العصيان ولا كان قد تلقى المدد الموعود به من قوزما الثاني . فقر رايه على السفر الى توسكانا ، بعد ان جهز قلاعه بالرجال والذخائر ، وسلم اخاه يونس قيادة الجيش ثم اقلع الى ايطاليا ، مستصحبا زوجته ومستشاره سليمان بن عبد الله .

وقبل ان نتابع سرد حوادث التاريخ ، يجدر بنا ان نرسم صورة قلمية صادقة لفخر الدين واخلاقه وطباعه ، وان ننظر نظرة عجلى في ما تركه من آثار ومآثر وما نظمه من جيوش وما قام به من أصلاح في حقلي الزراعة والتجارة. وصفه معاصروه فقالوا : كان فخر الدين ، حنطي اللون ، اسود الشعر ، قصيرا في قامته ، عملاقا في ذكائه وشجاعته داهية كالثعلب ، مقداما كالاسد ، شديد الطموح الى السيطرة وكان على سعة سلطانه متواضعا صافي السريرة، عف اللسان حليما عند الغضب شديد الحزم ، حسن التدبير ، بارا بوالدته كل البر ، فلم يكن يهم بعظيم الا استشارها .

ويبدو من رسم الامير الذي كان معلقا في بهو قصر دوق توسكانا ، انه كان يلف عمامة على لبادة تعلو رأسه ويرسل لحيته طويلة وان حاجبيه الكثيفين يعلوان عينين براقتين تشعان ذكاء وطيبة . وقد عيّره اعداؤه من آل سيفا بقصر قامته ، فقال زجالهم :

جونا الطول يا نعله السكين يا سلسلي مذهبي يا سيف عليالدين
جونا القصار ، لا شور لا تدبير ضفادع تقعقع في قراني البير

فلما سمعت ابنة الامير زوجة حسن بن سيفا هذه الابيات ، ردت عليها بقولها :

عيروني بقصرك ، قلت عود التبر والنقد قد الغزال والعنق شامخشبر
قولو لاهل النهى، قولوا لاهل الخير فعل القلم بالدني ولو كانطولو فتر

ثم ارسلت ابياتها مع أبيات الزجال الى ابيها ، فكتب اليها مثنيا ورغب اليها ان تزيد على ما نظمته البيتين الآتيين :

نحنا قصار وفي عين العدو كبار انتو خشبحور، ونحنا للخشبمنشار
وحق طيبه وزمزم والنبي المختار ما بعمرك يا دير الا من حجر عكار

دينه

لقد اجمع المؤرخون على انه عاش ومات مسلما تقيا ورعا ، وانه كان يداب الصلاة في دار هجرته في توسكانا ، وانه بنى مسجدا في مدينة نابولي ، واقام عليه اماما سنيا ومؤذنا ، كما بنى جامع القاع في البقاع والجامع البراني في صيدا ، الذي دفن فيه ابن اخيه ملحم بن معن ، كما حبس الاوقاف على هذا الجامع .

واذا كان قد ساوى بين جميع الطوائف وقرب اليه الموارنة ، فلانهم كفوه شر العثمانيين ، يوم خبأوه صغيرا واحبوه واخلصوا له كبيرا ، وكانوا من خيرة جنده ، لم يفارقوه ولا تخلوا عنه حتى اليوم الذي وقع فيه اسيرا ، وقد سقط منهم في الدفاع عن امارته اكثر من ثلاثين الفا من اشجع رجالهم .

ثم انه اتخذ التسامح مبدأ وديدنا ، لبعد نظره ، وسمو تفكيره وليقينه ان استقلال لبنان لا يتحقق الا بتآلف طوائفه وتسامحهم فكان أول من نادى في البلاد العربية بأن الدين لله والوطن للجميع وان الاديان السماوية نوافذ يخرج منها الى عبادة الله . وعلى هذا المبدأ السامي ، يسير اليوم لبنان الحديث وابناؤه ، مؤلفا بين طوائفه ، موزعا بينهم المساواة في الحقوق والواجبات ، ريثما يحين الزمن الذي فيه تنصهر القلوب في بوتقة واحدة وتتسع مفاهيم المواطنين لادراك تطورات الازمان ودواعي الحضارة فتزول الطائفية وليدة العصور المظلمة ، وتحل محلها الوطنية الصادقة .

جيش فخر الدين

كان جيش الامير يختلف باختلاف اتساع ولايته ، فبدا بعشرين الفا في اول امره ، واصبح مئة الف في آخر ايام حكمه ، وكان هذا الجيش ينقسم الى فرقتين : فرقةوطنية صرفة وقوامها ابناء لبنان ، والاخرى من المرتزقة الاشداء، اطلق عليهم اسم السكمان « وهي كلمة فارسية معناها الصيادون » . وكان فوق ذلك يعتمد في حملاته الكبيرة على حلفائه ، كآل حرفوش ، وقبائل البدو في عجلون وحوران وبني شهاب السنيين في وادي التيم ولكن جميع هؤلاء الحلفاء ، ما عدا الشهابيين تخلوا عنه في آخر امره.

وقد وصف « سانتي » مندوب كورسيكا ، نظام جيش الامير في تقرير بعث به سنة ١٦١٤ الى توسكانا فقال : ان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قوة جيش فخر الدين ، راجعة اولا الى بسالته ، وحسن تدبيره ، ثم الى وطنية رجاله واخلاصهم له وان المشاة كانوا يلبسون خفيفا ويحملون البنادق والسيوف وان الفرسان كانوا يلبسون ملابس ثقيلة ، ويلتحفون بالجبات الواسعة ، ويحملون البنادق ذات القداحات ، وفي رؤوسها الحراب ويتقلدون السيوف ، ويضعون الدبابيس في السروج ، ويمسكون بالتروس ويمتطون اسرع الجياد العربية ، ويسرعون في الكر والفر .

بهذه الجيوش التي نفخ فيها الامير من روحه وبأسه عرف ان يتغلب على اعدائه ، وان يرغم الدولة العثمانية على احترامه ومصافاته ، والاعتراف بامارته زهاء نصف قرن ، وبهذه الجيوش كاد يتحقق حلمه بأستقلال لبنان التام ، لو أن دوق توسكانا قام بتنفيذ معاهدته ، ولو ان الحلفاء لم يخذلوه ، ولو انه لم يقع في الخطأ الذي وقع فيه من تفريق جيوشه ، والاحجام عن منع الجيش التركي من النزول الى شواطىء لبنان ومن تسليم قلعتي صيدا وبيروت اتكالا منه على وعد امير البحر بأن يمتنع عن مهاجمة جيشه ، وان يسعى لدى السلطات لاستبقائه على امارته .

العدل والامن

وشمل عدله سائر الطبقات واحتفظ لنفسه بالحكم في الجرائم وترك لرؤساء الطوائف الفصل في القضايا الدينية والمدنية والاحوال الشخصية ، وشهد السائح « سنديس » انه كان حاكما عادلا صادقا ، وضرب لذلك امثلة كثيرة ، وقطع دابر اللصوص والاشرار وكثيرا ما كان يتعقبهم بنفسه ، فساد الامن وعم الرخاء وتنفس الناس الصعداء بعد ان قاسوا ما قاسوه من ظلم واستبداد في حكم المماليك والعثمانيين .

التجارة والزراعة

وعزز التجارة في الداخل والخارج ، فكان ملاحو صيدا وصور وبيروت يبحرون ذهابا وايابا ، حاملين على مراكبهم الحرير والقطن والكتان والحبوب والزيت والاخشاب ، ويعودون مثقلين بالاموال والمصنوعات والمنتوجات .

وصرف عناية خاصة الى انماء الزراعة وتشجيعهاوتربية المواشي لانه رأى فيها غنى لبنان ورخاءه فاكثر من غرس الاشجار المثمرة وامد الزراع بالحبوب والمواشي التي استقدم منها انواعا كثيرة من ايطاليا لتحسين النسل .

وشجع زراعة التوت لانتاج الحرير اللبناني الذي امتاز بصفاء لونه ومتانة خيوطه ، وكان اكبر مورد رزق للبنان ، واكثر من زراعة الزيتون وادخل زراعات جديدة منها القطن والكتان ، وغرس غابات الشوف والمتن وبيروت وجدد غابة مسقط رأسي بكاسين ، تلك الغابة التي اوحت الي احلام صباي والهمني انين اعوادها وخرير مياهها ومكنون اسرارها ، وشبابات رعاتها ، ما نظمته من شعر وحملته من حنين الى لبنان وابنائه .

نداء

يا خليفة فخر الدين يا « حلو » الاسم والشمائل لقد كان العرب ولا نزال نحن نتفاءل بالاسماء الحسنى ونلتمس الخير من محاسن الوجوه لقد عقدنا عليك الآمال الطوال في تعزيز الزراعة والصناعة .

وانتم ايها النواب العاملون وفي طليعتكم ابو الفقير ونصير الشعب وملجأ العامل والفلاح ، لقد عنيت رجل « المعروف » و « سعد » مدينة صيدا ونائبها الاوفى .

لقد انصاحت مراعيكم واقفرت اوديتكم من العمال والمزارعين ، فألقى حاصدكم بمنجله ، وفلاحكم بمحراثه وحدادكم بمطرقته ، واقبلوا كلهم على المدينة يلتمسون فيها ذلك الخبز الذي كانت هي تلتمسه منهم ، فخلا الحقل من فلاحه المكفي وسلطانه المخفي واقفرت القرى من ذوي السواعد المفتولة الذين فتتوا قديما الصخور الصلبة فأحالوها الى تراب نما عليه الكلأ وارتفعت فوقه الاشجار ، وجفت الشجرة اسى على غارسها ولبست الارض الشوك حدادا على حارثها ، وذوت الكرمة شوقا الى عاصرها واصبح لبنان قزما في جسمه له هامة جبار في عاصمته واصبح مستوردا لكل حاجاته ، فقيرا في مصدراته .

يا اولياء الامر لقد آن ان تتنبهوا الى الخطر المحدق والدمار المهدد وان تنفخوا في الصور وترسلوا النذير ، فتعيدوا مهاجر القرية الى حقله وعاملها الى مصنعه ، بأن تنشئوا مصانع للصناعات الصغيرة في مختلف القرى وان تؤلفوا فيها النقابات الزراعية وتمدوا الفلاحين بالقروض وبالهبات وتحسنوا نسل المواشي واجناسها ، حتى اذا اقتديتم بمثل فخر الدين ناديتم بالقرويين قائلين : عودوا الى الارض فهي أمكم الرؤوم .

عود على بدء

وفي سنة ١٦١٨ عاد الامير الى وطنه بعد ان نال عفو السلطان فاستقبل استقبالا وطنيا رائعا وكان اول ما فكر فيه ان ينتقم لنفسه ولمواطنيه من ابن سيفا الذي كانت وشايته بالدروز قد سببت ما اوقعه بهم ابراهيم باشا التركي من تقتيل وتشريد ولا سيما ان ذلك الطاغية كان قد اغتنم فرصة غيابه فقتل الكثيرين من اعيان الموارنة في الشمال ، واستولى على كسروان ، واحرق قصر الامير في دير القمر ، فهاجمه فخر الدين في عكار وهزمه واستولى على حصن الاكراد وانتزع منه بلاد البترون وجبيل وجبة بشري وجاء بحجارة من انقاض قصر ابن سيفا فرمم بها قصره ومسجده في دير القمر ، فبر هكذا بقسمه ولكنه عفا عنه واستبقاه .

وفي سنة ١٦٢٢ اقطعه الباب العالي سنجقي عجلون ونابلس ولكن حليفه يونس الحرفوش امتلأ غيظا وحسدا ، فحض مصطفى باشا والي دمشق على الامتناع عن تسليم

السنجقيين ، فحشد الباشا جيشا قوامه اثنا عشر الف جندي وزحف به على لبنان ، فواقعه الامير في مجدلعنجر سنة ١٦٢٣ باربعة الاف من رجاله ، فمزق جيشه واسره ثم عفا عنه بعد ان ارغمه على التنازل عن البقاع وغزة وقد وضع صديقي الاديب الكومندان جميل ذبيان ملحمة شعرية رائعة في وصف هذه المعركة .

ومات يوسف سيفا في ٢٠ تموز سنة ١٦٢٥ وعهد السلطان الى فخر الدين بتحصيل الاموال الاميرية المستحقة على ابنائه ، فخف الى بلاد عكار وتغلب على ابناء سيفا واستولى على قلعتي الحصن والمرقب ففاز برضا السلطان فانعم عليه « بلقب سلطان البر » الذي كان يحمله جده ، واصبحت امارته بل امبراطوريته ممتدة من جبال طوروس حتى عريش مصر .

وفي هذه السنة جال الامير في ارجاء امارته الواسعة على رأس قوة من رجاله فعمم الامن وقطع دابر العصاة والاشرار ورمم القلاع وبنى الحصون واقام الجسور ونشر العدل فذاق الشرق العربي طعم الراحة والرفاه والطمأنينة طيلة عشر سنوات .

ولما رأى الامير اتساع امارته واطمأن الى قوة جيشه اسر في نفسه ان يقطع الصلة الواهية التي كانت تربطه بالسلطان ولكن السفن الحربية والمدافع كانت تنقصه للدفاع عن شواطىء لبنان ، فاوفد في سنة ١٦٢٧ سفيرا الى اسبانيا وايطاليا وتوسكانا ، يطلب مده بالرجال وبالسفن ريثما يتسنى له انشاء اسطول لبناني . وفي سنة ١٦٢٩ جدد علاقاته بدولة توسكانا فارسلت اليه اسلحة وذخائر ووعدت بارسال سفن حربية .

ولكن اعين الحساد وجواسيس عدوه الالد احمد كوجك باشا والي دمشق كانت ترقب حركاته وتستطلع نواياه ، فوشوا به الى السلطان مراد الرابع واقنعوه بانه طامع في عرشه ، فجهز جيشا جرارا امر عليه عماد باشا واصدر امره الى والي مصر ودمشق بالزحف على لبنان بقيادة احمد كجك المذكور ، وجهز اسطولا قوامه اثنتا وعشرون سفينة حربية وكان عدد الجيوش الزاحفة من حلب ودمشق وغزة ثمانين الف رجل ، ولم يكن لدى الامير الا ثلاثون الفا من المواطنين وبعض رجال السكمان ، لان جميع حلفائه خذلوه .

وقد رأى الامير رغم معارضة مستشاره ابي نادر الخازن على قسمة جيشه الى فرقتين ، وجه الواحدة منهما ، بقيادة ابنه علي جنوبا لتحول دون اتصال الجيوش الزاحفة ، واستبقى لديه نحو عشرين الفا من جيشه الوطني .

اما جيش علي الشجاع الملقب بآفة الانكشارية فقد وقف بين الجيشين الزاحفين بين صفد وبانياس واستطاع ان يحرز النصر في اول الامر بفضل اقدامه وشجاعة رجاله ، ولكن انتصاره كلفه سبعة الاف رجل سقطوا كلهم قتلى فعجز عن الافادة من انتصاره ، وارتد الى وادي التيم فهاجمه الاعداء من مؤخرة جيشه فقتل جواده وسقط على الارض ، فأحدق به الاعداء وقطعوا رأسه واصبعه التي كان فيها خاتمه وارسلوهما الى السلطان وكان ذلك ١٦٣٤ .

واما الجيش الذي كان يقوده الامير فقد قاتل قتال المستميت في الجبال والقلاع مدة عشرة شهور سقط فيها من رجاله ثلاثون الفا كلهم من اللبنانيين بعد ان ابدوا من آي البطولة والشجاعة ما لم يرد ذكره في الاساطير فقد كانوا يستقبلون قنابل المدافع بصدورهم ، ويشقون اليها الطريق بسيوفهم ويعودون ببعضها الى صفوفهم .

سد المدافع في الهيجا صدورهم حتى استلانت لاسد لا يلينونا
وسددوها وقد كانت قذائفها قلوبهم ، يا لهم جنا مجانينا

ويقول المؤرخ الفرنسي « شارل بارتلمي » : « وبعد جهاد المستميت من جيش لم يكن فيه من خائن او خاذل او جبان ، اضطر فخر الدين الى الاحتماء في قلعة نيحا ، ثم الى الاختباء في مغارة جزين حيث استسلم الى احمد باشا كجك في تاريخ ١٠ كانون الاول سنة ١٦٣٤ فسيق الى اسطنبول ومعه زوجته وابنه الصغير وكنوزه النفيسة ، وعلم السلطان بقدومه فتنكر ومشى الى لقائه فادركه في القرب من مدينة اشقودره ، وهناك تحدث اليه متخفيا ، فاعجب بحديثه وذكائه وسعة اطلاعه ، فاصطفاه واكرمه وارسله الى اسطنبول وانزله في احد قصوره ، ولكن السلطانة الوالدة والمفتي والصدر الاعظم ، اوغروا صدره عليه ، فامر بخنقه هو وولده الصغير سنة ١٦٣٥ » .

واما مؤرخو العرب ، فقد كانوا اكثر ايضاحا وتفصيلا ، لاعتمادهم على اقوال المعاصرين وشهود العيان .

حدثني عمي الخوراسقف يعقوب غانم ، وقد كان حجة في التاريخ ، نقلا عن ابيه وجده الاعلى ابي علوان غانم الذي كان ضابط حرس الامير ومرافقه قال (بعد ان دافع فخر الدين عن الشوف لجأ مع حرسه وفلول جيشه الى قلعة نيحا او شقيف «تيرون» الواقعة فوق جبل اجرد صعب المرتقى فطارده أحمد كجك باشا ، ولكنه لم يستطع ان يستولي على القاعة عنوة لاستحالة الوصول اليها من ممراتها الصخرية الممتنعة ، فنصب مدافعه امامها في قرية بكاسين على مرتفع يعرف حتى اليوم بتل الباشا ، واخذ يقذف القلعة بكرات مدافعه التي رأيت انا واحدة منها في صفري .

فاحدثت القنابل فجوات في تلك الصخرة لم تزل بادية حتى اليوم ولكنها لم تنل من متانتها لبعد الهدف ، ودام الحصار نحوا من شهر واوشك القائد ان يعود ادراجه اتقاء لبرد الشتاء وكان بين مستشاريه رجل ايطالي ، ذكر المؤرخون ان اسمه انطونيو ماركو دوناتي التحق بخدمة الامير ردحا من الزمن حتى اذا اطلع على اسرار جيشه وخفايا قلاعه فر الى دمشق والتحق بواليها ، طمعا في المال . هذا الخائن افضى الى الوالي بان يصل الى القلعة بمواسير من فخار ، حفرت لها قناة عميقة تحت الصخور

واشار عليه بان يعطش الخيل ويرسلها ما فوق القلعة لانها اذ تشتم أمآكن مرور الماء تضرب الارض بحوافرها التماسا له فعملوا بارشاده ولما حاولوا الحفر اعجزهم الامر ، لان الصخور كانت كلسية فاوعز اليهم بصب الخل عليها ففعلوا واكتشفوا المواسير فحطموها والقوا في القناة الاقذار والدماء فأفسدوها وهكذا اضطر الامير الى ترك القلعة والفرار ليلا الى مغارة جزين بعد ان اغدق الهبات على رجاله ، ومنهم اجداد عائلات بكاسين ومشموشة وبنواتي وعازور ، فخص جدي الاعلى ابا علوان غانم مرافقه الخاص بربع بكاسين واخذ الجنود يبحثون عن الامير في الجبال والوهاد حتى اهتدوا الى مخبأه في مغارة جزين التي لا يرقى اليها الا بالحبال وجاء الباشا ونادى الامير وامنه على حياته باسم السلطان ، طمعا بالاستيلاء على امواله وكنوزه المخبوءة ، وهددوه بنسف المغارة ان هو رفض الاستسلام، فاستسلم الامير مكرها ، ضنا بحياة بنيه كأني به يقول مع ابي فراس الحمداني :

وقال اصيحابي الاسار أو الردى فيالهما امرين احلاهما مر

وسيق الى دمشق ومعه امواله وزوجاته الاربع وابناؤه الثلاثة ثم سير الى أسطنبول مع ابنائه وتركت زوجاته في دمشق .

وتضاربت اقوال المؤرخين في تفصيل مصرعه واسباب غدر السلطان مراد به بعد ان امنه على حياته ولكن اصدق الروايات ما جاء في كتاب ارسله الى جراندوق توسكانيا في نيسان ١٦٣٥ مبعوثه الخاص في الاستانة المدعو فرنسيس فنتوريني وهذا نص ذلك الكتاب .

« بعد ان عفا السلطان عن الامير ، بلغه وهو خارج اسطنبول ان ابن اخي فخر الدين ملحم لجأ الى قبيلة من عرب الصحراء وهاجم جيش باشا دمشق ، فاشتد غضب السلطان وامر الوالي بان يقطع رؤوس زوجات الامير الاربع ، فقطعوها وعلقوها على اسوار المدينة ، ثم اوفد احد الباشوات الى اسطنبول ، مأمورا باعدام الامير وابنائه وفي الثالث عشر من نيسان سنة ١٦٣٥ امر الباشا رجلين اخرسين بان يخنقا الامير وبنيه في ساحة الجامع الجديد فنفذا الامر وتركت جثته في الساحة ثلاثة ايام بحراسة الانكشارية » .

الى روح فخر الدين

يا ابن لبنان الابر ، وامير الجبل الاغر ، ولست اناديك بسلطان البر ، بلقب خلعه عليك قطاع رؤوس النساء وقتلة الشيوخ والاطفال ، سلام على روحك الوثابة !

هذه صيدا عاصمة مجدك وساحة جهادك تحتفل بذكراك وتخلد بطولتك ، وتتغنى بمآثرك ، كما تغنى بها من قبل الشرق والغرب ، والكاتب العبقري هاملتون في رائعته لقد سقت دماء ابنائك جبال الشوف وسهول صيدا ووادي التيم ، فانبتت مثلا عليا من الاباء والوطنية والنزوع الى الاستقلال والحرية واما دماؤك الزكية فقد شاء ربك الا تسيل فتسقي ارض اعدائك المتعطشين لتلك الدماء .

لقد عهدوا الى اخرسين بكتم انفاسك الطاهرة ، كي لا يستطيعا ان ينقلا الى ابناء وطنك وصيتك الاخيرة لهم بالبذل والتضحية في سبيل الاستقلال والحرية ولكن تلك الانفاس في صعودها الى جنة الخلد دفعتها شمال البوسفور فسارت جنوبا تقطع الاجواء حتى علقت باشجار الارز وبغار الشوف وبازهار جنات صيدا ، لتبعث بالخلود الى تلك الاشجار ، وتنفخ الروح الطيبة في هذه الازهار التي طالما نظمت منها اكاليل بيضا لذكريات انتصاراتك ، ونثرت منها ورودا حمرا على قبور جنودك المعروفين الذين لم يكن قط بينهم جندي مجهول .

عظمة التاريخ

يا ابناء وطني الاعزاء : يقول ابن خلدون في مقدمته: «اذا لم يكن للامة مجد تالد وتاريخ ناطق ، واثر باق فلا تدوم سلطتها ولا تتأصل حضارتها » ، فهذا مجدكم التالد ورثتموه عن فاتحي البحار ومحضري الشعوب ومخترعي الكتابة وملوك الصناعة والتجارة وهذا تاريخكم الناطق بعزتكم وكرامتكم ونفوركم من الظلم والعبودية ، كتبه لكم ، بحروف من نور ونار ، وبمداد من دماء ، آبائكم ، رمز الوطنية والاستقلال ، فخر الدين العربي اللبناني الذي نؤرخ له اليوم ونستعيد ذكريات مآثره وآثاره في عاصمة امبراطوريته ، صيدا الجميلة الساحرة التي جدد بناءها بعد زلزال ورفع فوق المدن لواءها ، وارسى مجده على وفاء ابنائها .

وهذه آثاره حية باقية ، تشيد بها الطوائف المؤتلفة المتحدة وقرى الجنوب العامرة بعد خراب ، العزيزة بعد مذلة ، وهذه مأثرة الفد تشهد بها الجوامع المرفوعة الى جانب الكنائس المشيدة والخلوات الانيسة والجسور المقامة والغابات المغروسة .

ولكن هذا التاريخ المجيد المكتوب على صفحات القلوب ، لا يزال مطموسا على الاوراق ، مجهولا من طلبة المدارس ، امل الوطن ورجال الفد ، فاكتبوا تاريخ فخر الدين كما يجب ان يكتب ، وحفظوه للشيب والشبان كي تنمو فيهم روح الوطنية والعزة القومية فتزول النعرة الطائفية وليدة الجهل وعصور الظلمة واداة تفكك الدولة وانحلالها ، ذلك ما اراده وعمل له فخر الدين . طالبوا ذوي الامر بالمحافظة على تراثه وآثاره ، فهي ثروة وطنية ، ومحجة قومية .

ايها الغادي المبكر الى جنات صيدا المهيمن عليها روح فخر الدين ، وانت انت ايها السائر صعدا الى جزين المنحني خاشعا فوق مغارة فخر الدين :

اخلع حذاءك فالمكان مقدس فهنا استقر المجد والآثار
قف خاشعا مترحما او ذاكرا مستعبرا ان هاجك استعبار

بكاسين ــ لبنان **بولس غانم**

*** مصادر هذا البحث : الدويهي ، المحبي ، الخالدي ، الشدياق ، الحتي ، قرأ لي .**

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من « العروة الوثقى » في لندن

* * *

كان العرب والاغريق من قبلهم يفرقون بين عالمين : العالم الاصغر وهو عالم الانسان المفرد والعالم الاكبر وهو العالم الخارج عن الانسان . فالعالم يتكون من الفرد بجسمه وبروحه او نفسه والعالم الاكبر يتكون من الافراد الاخرين ومن الاشياء . وبين العالمين هذين تفاعل متبادل ، يؤثر الواحد منهما في الاخر . ويكون الاتصال بين العالمين عادة عن طريق اشتراك الفرد فكريا وجسميا في الحركات الفكرية والطبيعية الدائرة في العالم الخارجي من جهة ، وعن طريق تاثير الظروف المادية والاحوال المعيشية في عالم الفرد من جهة اخرى . وانقطاع هذا الاتصال لا يحدث الا عند الموت او يحدث جزئيا عند الانعزال عن العالم في سلوك بعض الزاهدين أو المتوحدين او الاولياء او القديسين ويحدث الانقطاع ايضا في حالة الانسلاخ او التجافي — تلك الحالة التي نشأت بنشوء الفنون الصناعية وجعلت من الانسان الة صماء من جملة الالات الصناعية الاخرى ، كما شرحتها ذلك في مناسبات عديدة سابقة . ولكن الذي حدث في هذا النوع من الانقطاع ان الانسان قد تجافى عن عالمه الاصغر واندمج في العالم الاكبر ، ولم يعد انسانا كاملا يشعر بكيانه وبنفسه شعورا وافيا . في هذه الحالة يفقد الانسان وجوده . وتخليه عن وجوده هذا يجعل منه شيئا كالريشة اينما يذهب بها الريح تذهب . هذه الحالة هي التي ثار عليها الوجوديون بصورة خاصة ، واصرواعلى ان يستعيد الانسان عالمه الاصغر بكامله اولا وان يشترك في العالم الاكبر بعد ذلك ثانيا . فاذا كان الانسان عالما طبيعيا مثلا ، فاشتراكه في العالم الخارجي يكون عن طريق دراسة هذا العالم دراسة علمية مجردة ، تشبه موقف المتفرج على منظر أو مشهد سينمائي او روائي . فلا هو من المشهد في شيء ولا المشهد منه في شيء ، لان الاثنين منفصلان الواحد منهما عن الاخر . هذا الموقف هو الموقف العلمي الحديث الذي ينظر الى كل مخلوق حتى الى الانسان بأنه شيء من الاشياء خارج عن النفس — ينبغي فحصه والتعرف به عن بعد . ولكن كيف يتسنى لاي انسان ان يعرف انسانا اخر ما لم تتصل الروح بالاخرى وتتفاعل النفس مع النفس الاخرى ؟ فاذا كان التعرف على الاشياء المادية ممكنا بطريق البحث العلمي المجرد ، فان التعرف بين الاشخاص لا يكون ممكنا الا اذا تفاعل وجود شخص مع وجود شخص اخر او اشخاص اخرين ، وكان هذا التفاعل عن طريق الاحتكاك في المعيشة والتواصل النفساني . فالنفس هي التي تعرف نفسا اخرى فالفرد اذن لا يكون فردا وجوديا صحيحا الا اذا تملك نفسه بنفسه وامتزج بهذه النفس مع نفوس الاخرين واندمج معها . وهذا هو معنى اشتراك عالم الفرد الاصغر بعالم الافراد الاخرين، بحيث يتفاعل وجود الانسان مع وجود الانسان الاخر .

ومن مستلزمات هذا الوضع الوجودي الاعتراف بأن الانسان محدود يعيش في حيز معين ، وفي مكان معين وفي زمن معين . والقول بأن الانسان يستطيع بنفسه او بروحه الى ان يبلغ درجات مختلفة من الكمال القدسي تبعده عن حقيقة وجوده ليس له ما يؤيده عند فلاسفة الوجودية . وكان افلاطون زعيما لهذه الفكرة ، واثر بها على كثيرين من بعده في شتى العصور ، ومن هؤلاء ابن سينا على ما اظن . ومن ارائه ان الانسان في حياته في هذه الدنيا يكون غريبا عن عالم الماهية او عالم الاسرار الروحية ، فوجوده عرض من الاعراض، كما يقول ابن سينا وتكون الروح في هذه المدة الوجودية في حالة اسر تتطلع الى الوقت الذي يموت فيه الانسان حتى تنطلق من عقالها وسجنها وتعود الى عالمها العلوي من عالمها السفلي . ولكن افلاطون يرى ايضا ان هذا العالم السفلي لا يستحق ان يكون موضعا للحقائق العلوية الغيبية ، فهو مسخ للوجود المثالي . ومادام الانسان عائشا في هذا الوجود فهو لا يستطيع معرفة الاسرار العلوية المحجوبة ، ولا يمكنه ان يشترك في عمليات مبنية على هذه الاسرار . فوجوده اذن في مدة حياته في هذه الدنيا هو من قبيل العبث ، لانه اولا يكون عرضة للخطيئة بسبب قصور عقله عن ادراك الحقائق ، ولانه ثانيا بعيد عن ادراكها لانها في عالم غير عالمه الحالي . ولا يخفى ان في هذه الاراء ما هو شبيه باراء بعض الديانات كالديانة المسيحية مثلا . ومن ذلك ان السبيل الوحيد لمعرفة الاسرار الغيبية هو الاقتراب بالقدر الممكن من العالم الروحي العلوي ، عن طريق تصفية النفس بالعبادات والتأملات واماتة الجسم والشهوات لاضعاف الصلة المادية بهذا العالم وتقويتها بالعالم الروحي. وكان هيكل الفيلسوف الالماني الكبير يرى ان الانسان باستطاعته ان يتخطى حدود معيشته في الدنيا ، او حدود عالمه الاصغر ، وان يرتفع بنفسه الى عالم الماهيات . فهو يدعو في الحقيقة الى التهرب من الوجود والتقرب الى الماهية، وهذا خالفه فيه كيركيفور الدانماركي مخالفةشديدة فقد دعا هذا الى عدم التفكير بهذه الفلسفات النظرية ، والعكوف على التفكير بوجود الانسان في هذا العالم وبكيفية التواصل نفسانيا بين الانسان الواحد والانسان الاخر ، ودعا الى ان يرجع الانسان الى وجوده الحقيقي لانه بهذه الرجعة يستطيع معرفة الحقائق ولا يستطيع معرفتها بشيء اخر .

وهنا لا بد من الكلام بعض الشيء عن معنى الحقيقةعامة وعن معناهاً في نظر الوجوديين خاصة . واحسن توضيح لذلك هو ان نتذكر مثلاً قاموسا او موسوعة علمية ، فان هذه الموسوعة تعطينا المعلومات المجـردة دون ان تلتبس بالمشاعر او بالعواطف الخاصة . ولكن هذه المعلومات او الحقائق لا تكون وجودية الا اذا كانت صادرة او ناشئة عن اختبار الانسان في معيشته وتجاربه. فالحقائق الشخصية هي الحقائق الصحيحة في راي الوجوديين، لانها، كما قلنا ، وليدة الاختبار والتجربة عمليا وليست وليدة التخيلات الفكرية نظريا. ولذلك يقول كيركيفور ان محاولة الاستدلال على الوجود من طريق الفكر هو من قبيل التناقض ، لان الفكر هو الذي يبعد الوجود عن الحقيقة . ويستشهد على عدم فائدة التخيلات الفكرية في المجـال الوجودي العملي بمثلث متساوي الاضلاع . فأن هذا المثلث ، كما هو معلوم ، لا يمكن ان يوجد وجودا فعليا في الطبيعـة وانما يوجد صناعيا اذا صرفنا النظر عن الطبيعة والظروف الطبيعية . ومن ذلك أيضا اننا اذا اردنا أن نكون لشيء من الاشياء صورة في الذهن ، فأول شيء نفعله هو اننا نحذف كثيرا من الصفات الطبيعية لهذا الشيء . فكلمة (كرسي) تشير الى صورة ذهنية ، ولكن هذه الصورة الذهنية لا تحصل الا بعد ان ننزع منها الشكل والوزن واللون وغير ذلك حتى نجعلها قابلة للتطبيق على كل كرسي فنحن ، كما يقول كيركيفور ، قد خلقنا الصورة الذهنية ولكن بالقضاء على الحقيقة الوجودية ، وانتقلنا بهذه الصورة من عالم الامكان الى عالم الاستحالة ، لان الكرسي بدون الصفات الذاتية له لا يمكن ان يكون له وجود . ولذلك فمن الخطأ الابتداء من الصورة الذهنية للاستدلال على الوجود، بل يجب الابتداء بالحقائق الوجودية اولا .

وقد عاب الوجوديون على رجال العلم ، ورجال تحكيم العقل والفلاسفة اليقينيين ، تقسيمهم الوجود الى قسمين: قسم فاعل كالاشياء التي تقع تحت الحس ، وقسـم انفعالي يقع في داخل النفس والفكر ويقول الوجوديون ان الحقيقة الموضوعية المجردة لا وجود لها لانها في اخر الامر تكون صادرة عن الشخص المنفعل . ويقولون ان الحقيقة متى عرفت مني كانت حقيقتي ، ولم تعد حقيقة بالمعنى المجرد المعروف . ويقولون ان الحقيقة اذا كانت حقيقة مجردة لا يمكن ان تكون حقيقتي . فهذان القولان مـن شأنهما ان يقضيا على الفكرة القائلة بوجود حقيقة وجودية منعزلة او مجردة : لانهم يرون ان النفس البشرية هي اولا (موجودة) و (عائشة) قبل ان تكون مفكرة ، وان الانسان جسم قبل ان يكون حساسا روحيا . فالمهم في حيـاة الانسان هو انه خاص بنفسه له اختباراته الخاصة فـي وضع خاص ، وهو في هذا الوضع يسعى الى حل مشكلاته بحسب ارائه التي يكونها لنفسه بنفسه . وهذه الاراء هي نتيجة الاحتكاك والتفاعل مع هذا الوضع الخاص ، فهي اراء خاصة وليست عامة ، تنطبق على وضع خاص ولا تنطبق على جميع الاوضاع . وهي اراء انسانية في ظروف معينة ، تكون نتيجة تفاعل الانسـان في عالمـه الاصغـر مـع ظروف المحيط او البيئـة الخاصة في العالم الاكبر . وكـل شيء فـي العالـم الاكبر يكون له معنى وجودي اذا كان هذا الشيء له منفعة يدركها الانسان . فالانسان مثلا اذا راى كرسيـا فيمـا حوله ، فهو لا يفكر لاول وهلة في تكوين الكرسي المادي ثم بعد ذلك يستنتج الغرض مـن وجود الكرسي ، ولكنه يدرك اولا ان الكرسي هو للجلوس عليه ، وهذا هو الغرض من وجود هذا الماعون . فالمنفعة من الاشياء هي اساس النظام في هذا العالم . كما يقول هايدكر ، بل ان العالم في راي هذا الفيلسوف الوجودي هو (عالم المواعين) او عالم الادوات التي ينتفع بها والاشياء التي تستخدم لاغراض معينة. ويوافق على ذلك الفيلسوف الوجودي الاخر جان بول سارتر الفرنسي .

فالعالم الاكبر المطلق الذي يسمى احيانا في الفلسفة الغربيةبكلمة Cosmosليس له وجود عند الفلاسفةالوجوديين وانما توجد عوالم كبرى تتنوع بتنوع الافراد . وفي راي سارتر ان العالم انساني فردي ، ولذلك فانه ليس بالعالم المعروف . وعلى ذلك فالعالم في زمن النهضة الاوروبية هو غير العالم في زمن الثورة الصناعية ، او عالم الثورة الفرنسيـة ، او عـالـم نابليـون او عالمـي انـا او عالمـك انـت ، وهكـذا . وحيـث ان العـالـم الاكبـر المطلـق غير موجـود ، فالعـوالم الكبرى متعددة متنوعة بحسب تنوع الاشخاص ، ولذلك فـان الافراد يعيشون كان كل واحد منهم يعيش في عالم خاص به . ولا يقتصر ذلك على تنوع العالم، بل يتجاوزه الى انالحقيقة المجردة الموضوعية لا وجود لها ، وانما توجد الحقيقـة المتنوعة بحسب الاشخاص المختلفين . وعلى هذا الاساس الذي يجعل الحقيقة انفعالية شخصية لمدة معينة يعيشها الشخص فأن المعرفة يجب ان تفسر بحسب الادوارالتاريخية لان هذه المعرفة تختلف من دور الى دور . وحينئذ يصبح التاريخ عبارة عن اجزاء صغيرة من الزمن ، كالاجزاء التي سماها لايبنتس باسم (موناد) . وتصبح المعرفة كما قلنا معرفة ظرفية مقرونة بزمن معين واشخاص معينين . وعلى ذلك فان العلم المعماري يكون يونانيـا او عربيـا او زمـن النهضة او في عصر السفر في الفضاء او غير ذلك بحسب الازمان والناس ، ولا يوجد علم مطلق عام وكل شيء في هذا العالم موقت غير ثابت . حتى ان الفضيلة او الرذيلة، كما يقول ياسبرز الالماني لا توجد على شكل مطلق كما يظن البعض ، وانما توجد مختلفة بحسب الزمان والاشخاص ، وبحسب القيم المختلفة في كل عصر . وهذا شبيه بقول العالم الفرنسي دركيم عن الاديان القديمة . فانه لا يوجد شيء اسمه دين كاذب او دين صحيح من هذه الاديـان البدائية ، لان كل دين كان يوافق الزمان الذي وجد فيه

صوت من السماء

الى فيروز

نثرت قلبي على مغناك ريحانا ... لا تتركيه الى عينيك ظمآنا
فيروز يا نغمة كالفجر صافية ... رفي رجاء على الارواح ريانا
آيات صوتك شتى في مفاتنها ... سبحان من صاغ هذا الصوت سبحانا!
لبنان اطلق في الدنيا بلابله ... فكنت احسنها شكلا وألوانا
حملته خفقة في القلب والهة ... وانساب في صوتك الشعري الحانا
يا فتنة الارز ما غنيت قافية ... الا تراقص هذا القلب نشوانا
احببت لبنان لم اشرك به بلدا ... لولا عيونك ما وحدت لبنانا !

بوانس ايرس — زكي قنصل

والاشخاص الذين يؤمنون به ، فهو اقرب ان يكون صحيحا بحسب المعايير الموجودة في زمانه من ان يكون دينا كاذبا او فاسدا بحسب المعايير الموجودة في زماننا .

والنظرة الوجودية في هذه المناسبة ترمي الى هدف اخر ، وهو ان الانسان لا يمكن ان يعيش عيشته الخاصة بحسب كيانه الذاتي الا اذا تحرر من تقاليد الماضي واعتباراته ورفع عن عينيه غشاوة الماضي ، حتى يتحرر من كل قيد ويكون لزمام نفسه بنفسه . او هو يجب ان يكون مثل (أورستيز) في رواية « الذبآن » لسارتر « حرا من جميع العبوديات والاعتقادات ، بدون اسرة او بلاد او دين . » وهذا الوضع الذي يجد فيه الانسان نفسه طليقا من كل قيد يخلق فراغا شاملا ، لا يجد فيه الانسان موضع قدم يرتكز عليه ، ويجد نفسه حرا هائما على وجهه ليس لديه من القيم السابقة ما يهديه الى سواء السبيل . فهو يعيش في هذا الوجود في اول الامر ، وحيدا في صحراء معماة لا معالم فيها يهتدى بها في الوصول الى النجاة ، الى ان يدرك الخطر المحيط به فيهتم بنفسه انقاذا لها ويخلق من اليأس املا ومن الوحدة والخوف شجاعة واقداما للتغلب على هذا الموقف العصيب . فالوجود ، بعد فقدان المبادىء والتقاليد ، يجابه الفرد بفراغ شامل اولا ويواجهه بوحشة وخوف شديد من الوحدة ثانيا . وفي هذه الاثناء يتطرق الى الشخص يأس من الحياة ، لا يدري ماذا يفعل بهذه الحرية التي فرضت عليه . ويمضي عليه زمان وهو في هذا اليأس وهذه الحرية القاتلة ، الى ان يرتد اليه عزمه ويخلق من اليأس املا ، فينطلق دفعة واحدة الى عالم الوجود الحقيقي . ولا بد له قبل الانطلاق ان يبتدع لنفسه مبادىء جديدة يسير عليها في حياته الجديدة . وسارتر يقول في هذه المناسبة ان الفرد بعد ان يجتاز محنة الوحدة والفراغ والحرية يجب عليه ان يصمم العزم على ان يعمل ما يشاء ولكن باخلاص وصدق نية . والحقيقة اذا لم تكن متيسرة ، فيجب على الفرد ان يأخذ باقرب حقيقة يراها هو ، ومتى اخذ هو بها اصبحت حقيقته ولم تعد حقيقة مجردة .

هذا من حيث ان الحقيقة اذا أخذ الانسان بها تصبح حقيقته هو ولا تبقى حقيقة مجردة . اما من حيث ان حقيقة الانسان الخاصة لا يمكن ان تكون حقيقة موضوعية مجردة فهذا طرف آخر للمشكلة نفسها . ويتضح ذلك اذا وجد الانسان نفسه في موقف عصيب جدا ، كأن يرى نفسه كما رأى جحدر اللعن نفسه، امام اسد كاسر يريد افتراسه. فحقيقة الحياة هنا تتجلى بأجلى مظاهرها ، ويصبح للوجود معنى شديد ، ويشعر الانسان بوجوده الذاتي شعورا بالغا في الحدة . وتكون مشاعره واحساساته مرهفة للغاية ، ويكون اهتمامه بنفسه بالغا اقصى الحدود . في هذه الحالة تكون الحقيقة حقيقة خاصة لا حقيقة مجردة موضوعية ، وفي هذه الحالة يكون الانسان اقرب الى معرفة الحقيقة الوجودية منه في اية حالة اخرى عادية . واهتمام الانسان بنفسه في هذه المحنة هو الاساس الذي به يعرّف الوجوديون معنى (النفس) او (الكيان النفسي). وهذا الاهتمام هو الغرض الاسمى في الوجود .

ومن اقوال كيركيغور عن ان الحقيقة شخصية غير موضوعية قوله ان الشخص اذا صلى بروح غير صادقة ولو كان مؤمنا بالله ، وان شخصا آخر صلى بروح صادقة ولو كان وثنيا ، فالشخص الذي صلى صادقا هو اقرب الى الحقيقة ولو كان وثنيا .

لندن — حسن الكرمي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد رجب البيومي

المرصفي شيخ ادباء مصر

بقلم محمد رجب البيومي

* * *

ما اظن استاذا من اساتذة الازهر رزق الحظوة في تلاميذه ، والنجابة في اشباله ، كما رزقهما الاستاذان محمد عبده وسيد بن علي المرصفي ، فقد كانت دروس الاستاذ الامام في تفسير كتاب الله حقلا خصيبا انتج في ميدان الاصلاح والتشريع اساتذة اعلاما حملوا الراية وتقدموا الركب ، وحسبك ان يكون منهم على سبيل المثال محمد مصطفى المراغي وعبد المجيد سليم ومحمد رشيد رضا ومصطفى عبد الرازق ، كما كانت دروس السيد المرصفي روضا يانعا آتى اكله الشهي فانتج رياحين وازاهر ذات عبق شذي ، ومنظر موفق ، وحسبك ان يذكر من ابنائه في مجال الزعامة الفكرية ، والقيادة الادبية مصطفى لطفي المنفلوطي واحمد حسن الزيات وطه حسين وعبد العزيز البشري وعلي عبد الرازق وزكي مبارك ، وان يذكر منهم في مضمار التحقيق العلمي ونشر آثار السلف في اللغة والدين محمود حسن الزناتي واحمد محمد شاكر وحسن السندوبي ومحمد محي الدين عبد الحميد وان يذكر منهم في دنيا الصحافة والتحرير محمد الههياوي وعبد الرحمن البرقوقي ومحمد ابراهيم هلال وفهيم قنديل ، اما الشعراء المجيدون من طلابه ، فانت تعد منهم ولا تعدهم اذ تستطيع ان تختار على سبيل المثال حسن القاياتي واحمد الزين وعلي الجارم واحمد شفيع السيد وابراهيم الدباغ ورمزي نظيم ، واستاذ كالمرصفي يترك هذه المؤلفات الحية من الافذاذ تنشر معارفه ، وتذيع هديه ، حقيق ان يكتب له في سجل التاريخ الادبي المعاصر ، صحيفة وضاءة تتألق سطورها بالزهو والاعتزاز .

لقد استطاع سيد بن علي ان يعيد الى القاهرة في مطلع هذا القرن مجالس بغداد في اسطع عصورها الزاهية ، فكنت تتخيله وقد عكف وحده بين زملائه الشيوخ على دراسة الادب واللغة اماما كبيرا في صدور السلف كأبي عمرو وابي عبيدة والاصمعي والخليل والمبرد فهو يروي الشعر الجزل ، ويناقش التركيب الناشز ، ويعالج اللفظ الغريب ، ويرد النسبة المخطئة الى وضعها الصحيح ، ويناقش بعض ما اتفق عليه من قواعد الفقه والتصريف في ثقة خارقة ، وعن بصر نفاذ ، ولعله كان اشبه اسلافه بابي عمرو بن العلاء ويونس ابن حبيب ، فقد كانا يؤثران ادب العصر الجاهلي ويفضلانه ، وكذلك كان للمرصفي بهذا الادب ولع مشغوف ، وصبابة حنانة ، وان كان تأخره الزمني قد اتاح له من استيعاب المعارف المتشعبة في مختلف فنون اللغة وابواب العلوم ما لم يتيسر لهما من قبل ، فأينع درسه بكل شهي من ثمار المعرفة ، ورأى فيه طلاب اللغة والادب موردا عذب المشرع صافي النمير .

على ان ناحية العجب في تاريخ الرجل انه كان فذا غريبا بين لداته ، فقد كانت حلقات الشيوخ من حوله تبدىء وتعيد في دراسة حواشي مستفيضة في الشريعة وعلوم اللسان ، فلا تزيد على ان تعيد المكرور المألوف وتلوكه ، واكثره قد تاه في بحر من المؤاخذات اللفظية ، والاعتراضات السطحية ، وتكلف الاحتمال البعيد ، وتعسف الرد الناشز ، اما دروس الادب والشعر فلم يلم بهما غير الشيخ في دروسه ، وكان ينظر الى زملائه فيدهشه هذا التكالب المزدحم على دراسة الخلاف اللفظي ، والتشقيق الفرضي ، ويروعه ان ينصرف العلماء عن ادب اللغة وآثار المتقدمين من الاخباريين والرواة ، وانه ليعبر عن ذلك فيقول في مقدمة كتابه « اسرار الحماسة »

« وقد رأيت نفوس القوم مصروفة الى تحقيق المسائل العلمية ، والمباحث العقلية والعليم عندهم من نظر الى الاستدلال ، واكثر طرق الاحتمال ، وولد ما لا يولد ، واوجد من الافهام ما لا يوجد ، ولو علموا ـ هداهم الله ـ ما علمناه من خصائص اللغة واساليبها وما اودعت من لطائف الاسرار في تراكيبها لهجروا تلك الكتب ذوات التنافر والتعقيد وغنموا لغة القرآن المجيد والحديث الحميد » .

وان رائدا بطلا يناهض هذا التيار القوي فيقف فريدا بدرس الادب واللغة موقف المزاحم المنافس حتى يجذب الانظار الى حلقته ويجمع الصفوة من الطلاب على مذهبه ان رائدا بطلا يفعل ذلك ، لجدير ان يطلق اسمه على احدى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قاعات المحاضرات بكليات الازهر وان ينشأ كرسي باسمه في كلية اللغة العربية لدراسة آثاره ومنحاه وشروحه وان تطبع مؤلفاته المخطوطة ليعلم الناس اي اديب فذ كان المرصفي !! رحمه الله !

لقد كانت كتب الادب لعهد المرصفي اول هذا القرن مجفوة مهملة ، وكان اكثرها مخطوطا منسيا لا يجد النور في الحياة ، وبعض المطبوع منها على قلته رديء الطبع ، سيء التحريف ، كثير التصحيف ، فعمد المرصفي الى اكثرها صعوبة ، واوعرها مركبا فاخذ نفسه بدراستها دراسة ناقدة فاحصة ، فكان الكامل بين يديه يتم قصائده، ويشرح عويصه ، ويتعرض لنسبة الابيات ، ويترجم لصاحب الاثر ، ويشرح ما تركه المبرد دون ايضاح ، وكانت أمالي ابي علي القالي كذلك موضع اجتبائه ، يناقش لغوياتها المعماة ، ويعارض نصوصها المختلفة،ويبحث في المخطوطات المتآكلة عما غاب من القصائد ، فيكمل ما نقص ، وقل مثل ذلك في حماسة ابي تمام وعقد ابن عبد ربه واراجيز رؤبة والعجاج مما ترك اكثره مخطوطا في ظلمات النسيان !! حتى جعل للادب في الازهر ركنا متين الدعائم ، وكانت حالته به اذ ذاك مدهشة مذهلة ، يصفها الاستاذ عبد العزيز البشري بالرسالة (١) فيقول : « والادب في ذلك الوقت ان تقول شعرا مقفى موزونا ، فاذا اعوزك العروض وعميت عليك اوزان الشعر ، فحسبك ان يكون المصراع في طول المصراع على شرط ان تتغزل ، فتتغزل كلما طلبت مديحا او رثاء او هجاء ، وكان الادب يحمد من (المجاور) عند أشياخه الا أن يسرف فيه ويحرد له صدرا من وقته، فانهم كانوا يكرهون ذلك منه ، لانه في الواقع يشغله بقدر ما عن توفير الذهن على الدرس والاستذكار ، ويرون هذا منه آية على (عدم الفتوح) وحسبه في العام قصيدة يمدح بها شيخه يوم يختم الكتاب ، وقصيدة او اثنتين يرثي بهما من يموت من علية العلماء ، فاذا امكن الاستاذ المرصفي في هذا الوسط المعرض ان يجعل مؤلفات المبرد وابي علي وابي تمام وابن عبد ربه تجد مكانها بين حواشي الاسنوي والصبان والباجوري والسيوطي والعطار ، فذلك فضل كبير . وانت حين تحاول ان تدرس الخطوط الاولى لحياة الشيخ ، لا تجد ما تطمئن اليه مما كتب عنه او تناقله تلاميذه ، فجميع من حدثتهم عن نشأة الاستاذ العلمية يذكرون انه تتلمذ في الادب عن السيد عبد الهادي نجا الابياري احد علماء الازهر وادبائه ، وانه تأثر به تأثرا دفعه الى الاكباب على دراسة آثار السلف المتقدم في اللغة والشعر وانا شخصيا ــ وقد اكون مخطئا ــ لا استطيع ان اقر ذلك ، اذ ان ما لدينا من انتاج الاستاذ الابياري شعرا ونثرا وتأليفا ، يخالف منهج المرصفي ومنحاه ، بل يقف منه موقف النقيض من النقيض ، فنثره مثقل بالبديع المستكره ، وشعره نمط من الطراز المملوكي في سطحيته وتكلفه ، وتآليفه ضرب من الثقافة الغابرة التي تفضل القشور على اللباب ، ويكفي أن تعرف انه اصدر كتابا في مجلدين كبيرين جعله يدور على لفز ذهني في اسم الخديوي اسماعيل ، ثم استطرد فذكر فنونا من القول لا يجمعها في نطاق واحد غير التكلف والارهاق ، وقد يكون الرجل معذورا فيما يصنع ، لانه يمثل ثقافة عصره واتجاه معاصريه ولكنه مع ذلك لا يمكن ان يتخرج على يديه اديب فحل مطبوع كالمرصفي العظيم ، وربما اكب الطالب على حلقات استاذه في طفولته الادبية ، ثم بدا له ان يتحول عنها دون ان تترك اثرا ما في اتجاهه وتسربه وكم من تلاميذ شافهوا بعض الاساتذة دون ان ينتفعوا بمذهبهم في الراي ، ونظراتهم للعلم ، وقد هداني الراي المتئد الى ان اميل الى ان الاستاذ حسين المرصفي الاول صاحب (الوسيلة الادبية) هو استاذ المرصفي الثاني وملهمه ، فصاحب الوسيلة قد شذ على متعارف حينه ، ورجع بالشعر الى اخصب عصوره في الادب العباسي ، وعلى يديه تخرج البارودي شاعرا فحل التركيب ناصع العبارة ، رائع البيان ، والرجلان بعد من قرية واحدة ، وللكبير مكانة لدى الصغير فلا بد ان تكون الوسيلة الادبية قد هدت صاحب رغبة الآمل الى معين لا ينضب من البيان ، فبحث عن الادب اللباب مما حوته بادئا ، ثم تخطى العصر العباسي الى عصري الجاهلية وصدر الاسلام فذهبا باعجابه كل مذهب ، وطفق يبحث عما ضم ادبهما من الكتب فقرأ القديم من آثار الجاحظ والمبرد وابن قتيبة وابي الفرج ، وتخرج وحده على هذه الآثار السلفية اديبا فحلا ، وناقدا لا يشق له غبار ، على ان هذا الهيام الكلف بكتب اللغة والادب لم يمنعه ان يدرس حواشي الشريعة والاصول ويلم بالنحو والصرف الملم من يدرك القاعدة العلمية ادراك الناقد المتفرس ، ونظرة منصفة الى شرح الكامل تدل على ثقافة الرجل واحاطته ، فهو يناقش سيبويه والمبرد وابن جنى والمازني والخليل في دقائق غامضة من قواعد النحو والتصريف ، فيناهض دليلا بدليل ، وقاعدة بقاعدة حتى ليخيل الى القارىء ان الرجل صاحب نحو فقط ، وليس اديبا جامعا يأخذ من كل فن بجوهره الاصيل .

واذا كنت لم اقف على ترجمة دقيقة لتاريخ الاستاذ ،

---

(١) الرسالة العدد ٦٩ سنة ١٩٣٤ . (٢) الرسالة العدد ٤٠ سنة ١٩٣٤ . (٣) الرسالة العدد ٦٩٦ . (٤) الرسالة العدد ٣٩٨ . (٥) كان المرصفي يسميه « العقد » بضم العين وفتح القاف . (٦) رغبة الآمل ج ١ ص ٣٨ . (٧) رغبة الامل ج ٣ ص ١١٦ وغيرها . (٨) رغبة الآمل ج ٢ ص ٢٣٥ وغيرها . (٩) رغبة الامل ج ٢ ص ١٨٣ وغيرها . (١٠) رغبة الامل ج ٥ ص ٢٨ . (١١) رغبة الآمل ج ٢ ص ٥١ . (١٢) رغبة الامل ج ٢ ص ٤٢ . (١٣) رغبة الامل ج ١ ص ٨٧ وغيرها. (١٤) رغبة الآمل ج ١ ص ١٤٨ ، ٢١٧ . (١٥) دارت معركة ادبية حول هذا الوهم بمجلة الرسالة السنة التاسعة سنة ١٩٤١ .

تأخذ بيدنا في تحديد مركزه الادبي في تاريخ الثقافة المعاصرة ، فان ما ذكره تلاميذه الكثيرون عنه ، في نبذ سريعة ، وشذرات موجزة تكفي لان تصور ملامحه اذا جمع بعضها الى بعض ، وهي بعد اقوال مخلصة لم تدفع بها رغبة مفرضة في تملق انسان ، اذ كتب اكثرها بعد وفاة الشيخ من ناحية ، وبعد ان اصبح المتحدث في منزلة ادبية تجعله فوق المَلق الرخيص من ناحية ثانية ، على اننا لا نستطيع ان نسرد جميع ما قيل وانما نكتفي بالبعض عن الجميع ...

فالدكتور طه حسين يحدد مكانة استاذه بين نقاد اللغة واساتذة الادب في عصره فيقول في كتابه « تجديد ذكرى ابي العلاء » :

استاذنا الجليل سيد بن علي المرصفي اصح من عرفت بمصر فقها في اللغة ، واسلمهم ذوقا في النقد ، واصدقهم رأيا في الادب ، واكثرهم رواية للشعر ولا سيما شعر الجاهلية وصدر الاسلام » .

ويعود الدكتور الى الحديث عن منهجه الادبي في مقدمة كتابه « الادب الجاهلي » فيقول « ومذهب القدماء ما كان يمثله الاستاذ الشيخ سيد المرصفي حين كان يفسر لتلاميذه في الازهر ديوان الحماسة لابي تمام . او كتاب الكامل للمبرد ، او كتاب الامالي لابي علي القالي ، ينحو في هذا التفسير مذهب اللغويين النقاد من قدماء المسلمين بالبصرة والكوفة وبغداد مع ميل شديد الى النقد والغريب ، وانصراف شديد عن النحو والصرف وما الف الازهريون من علوم البلاغة .

وكلام الدكتور عن استاذه يتفق مع حديث الاستاذ احمد حسن الزيات عنه اذ يقول (٢) « كان استاذنا المرصفي يطبعنا في النظم : على غرار الحماسة : وفي النثر على غرار الكامل ، ويزين لنا ان ننظم معلقة كطرفة او ننشىء خبرا كأبي عبيدة » . فشهادة هذين الاديبين الكبيرين تؤكد ان الرجل كان مولعا بالشعر الجاهلي وشعر صدر الاسلام ، كلفا بالغريب من القول والعويص من التراكيب ، متجها الى الذخائر السلفية العريقة في شرحه وتفسيره ، وان كنا نقف قليلا عند ما قاله الدكتور طه حسين بصدد انصرافه الشديد عن مباحث النحو والصرف لان ما لدينا من شرحه للكامل ، وهو في مجموعه صورة امينة لما القى في حلقات دراسته ، لا يؤكد هذا الانصراف الشديد ، فللمرصفي مع اعلام النحاة والصرفيين مواقف كثيرة تدل على الميل المقتصد لا على الانصراف العازف ، ولكنه لم يتخذ الحديث النحوي مجالا للمماحكة اللفظية والغرض الجدلي ، مما امتلأت به حواشي المتأخرين ، واتجه اليه زملاؤه من الازهريين ، بل نهج منهج الكسائي وسيبويه والمبرد في التصدي الى الجوهر دون العرض . اما طريقته البارعة في انشاد الشعر ، وشرح الغريب ، فقد الم اليها تلميذه الاستاذ محمود محمد شاكر حين قال عن استاذه(٣)

« وكأن الشيخ حسن التقسيم للشعر حين يقرؤه ، فيقف حين ينبغي الوقوف ، ويمضي حيث تتصل المعاني فاذا سمعت الشعر وهو يقرؤه فهمته على ما فيه من غريب او غموض أو تقديم او تأخير او اعتراض فكأنه يمثله لك تمثيلا لا تحتاج بعده الى شرح أو توقيف وكان في صوت الشيخ معنى عجيب من الثقة والاقتدار ، وفي نبراته حين ينشد الشعر معنى الفهم للذي يتلوه عليك ، فلا تكاد تخطىء المعاني التي ينطوي عليها، لانها عندئذ ممثلة لك في صوته» .

فاذا اردت بعد ذلك ان تعرف كلف طلابه بدرسه ، فاليك ما حدثنا به عنه استاذنا الكبير احمد شفيع السيد في احدى محاضراته بكلية اللغة العربية ، حين جاء ذكر المرصفي فأفاض في تعداد مواهبه ، وكان مما قال ـ معنى لا لفظا ـ : « ان درس الشيخ كان لا ينتهي بالازهر حتى يبتدىء في منزله ، لان افواج الطلاب كانوا يتزاحمون على السير معه في الطريق اذا نهض الى بيته ، فاذا اتاه دخل معه نجباء ابنائه فاخذوا تحيتهم العاجلة ، وظلوا واياه في سمرأوبي مشبع بالحب والاعتزاز ، وكانت الكتب الادبية تتراءى في حجرة الشيخ مركومة متراصة عن يمين وشمال، يقرأ فيها الطلاب كما يشاءون ، ويستعيرون ما يريدون في شغف نهم واقبال ودود » .

هذه نصوص مختلفة للاجلاء من تلاميذه المختارين ، واظنها ترسم صورة واضحة من منهجه وخلقه ، وقد ابدع الدكتور زكي مبارك ابداعا موفقا حين لخص ريادته الادبية وقيادته العلمية ، في مواقف محدودة ، فجاءت كلماته الصائبة في ايجازها الشامل لسان صدق وميزان تقويم فهو يقول : عن استاذه في اعتزاز (٤)

« كان الشيخ المرصفي اول رجل تسامى الى نقد مؤلفات الاكابر القدماء ، وكان اول رجل اقر كرسي الادب بالازهر الشريف وكان أول رجل جعل للاديب مكانة بين جماعة كبار العلماء فكان بتلك الصفات أوحد عصره بلا جدال » .

وتسامى الاستاذ رحمه الله الى نقد مؤلفات الاكابر القدماء كان حدثا غريبا في بابه ، اذ ان زملاءه حينئذ كانوا يتعبدون باقوال السلف من اولي العلم ، فاذا اضطراحدهم الى مخالفة مؤلف سابق جعل يتلمس له المعاذير ، في وجل وهيبة ، وكأنه يركب مطية ناشزة ، لا تؤمن معها الحياة ، فجاء السيد المرصفي ليحاسب المبرد وابا تمام وابا علي وابن عبد ربه محاسبة قوية مفحمة فهو في شروحه المتتابعة للكامل والحماسة والامالي والعقد (٥) كان صلب المراس قوي المؤاخذة ، شديد العناد ، مما دفع ببعض المتسرعين من الاساتذة الى وصف الرجل بالفرور والادعاء !! واذا كان اكثر هذه الشروح الرائعةلا يزال مطمورا فيدفائنه الخطية، فاننا نأمل ان يرى النور اذا فطنت اليه لجنة احياء التراث القديم في وزارة الثقافة والارشاد ، وحسبنا اليوم ان

نحكم على صنيعه بالمبرد في الكامل فهو الوثيقة الميسرة للباحثين ، وبه يتضح الحكم عن حيدة وانصاف .

لقد اعترف السيد المرصفي في مقدمة الجزء الاول من شرحه الكبير انه لم يجعل من رغبة الآمل شرحا تفسيريا لنصوص الكامل فقط بل اهتم « ببيان ما حاد فيه ابو العباس عن سنن الصواب من خطأ في الرواية ، وخطل في الدراية ، اذ كان المبرد يعتمد كثيرا في لفظه على جودة حفظه ، فربما نزع في غير فزاع عن القصد سهمه ، او صعد في الادب مرتقى زلت به الى الحضيض قدمه(٦) » .

فهو اذن يجعل من همه الاصيل بادىء ذي بدء ان يكشف عن اخطاء المبرد ، معتقدا ان صنيعه هذا امر محتوم توجبه الدراسة الناقدة والنظرة الفاحصة ، ولو كان الشارح قد سجل على المبرد سقطاته ، وستر محاسنه ، لقلنا : انه متحيز ممالىء !! ولكن المرصفي ينصفه من خصومه تارة ، وينصف الحق منه تارة اخرى ، واذا كان لنا ان نميل عليه في شيء فاننا نؤاخذه على قسوة العبارة في كثير من التعليقات ، فقد كان من اللائق ان يطرد النقاش في هدوء العالم ، وسماحة الحليم !!.

على ان المسالة نفسية قبل كل شيء ، فقد يكون المرصفي اذ يكتب بعض التعليقات هادىء الخاطر مستريح البال من بعض هواجسه « فيقابل الخطأ الكبير من المبرد بكثير من التسامح ، فلا يزيد على ان يقول : غلط ابو العباس ، او سها ابو العباس ، وقد يكون ضائق الصدر لبعض المحرجات من شئون الحياة فيضيق صدره لادنى سهو ، ويهاجم الخطأ اليسير مهاجمة قاسية ، فاذا نسب المبرد بيتا من الشعر لغير قائله ، قال المرصفي في غلظة : كذب المبرد (٧) ، واذا بدل سهوا كلمة مكان كلمة قال المرصفي في قسوة : هذا خلط وجهالة (٨) ، واذا راى الناقد قولا في اللغة ينفرد به صاحب الكامل رده وقال هذا مما انفرد به (٩) !! ولست مع المرصفي في ذلك اذ ان من حفظ حجة على من لم يحفظ ، وقد يكون ابو العباس مطلعا على ما لم نطلع عليه مما غابت دفائنه ، وانقطعت روايته ، واولى بالناقد ان ينظر اليه كراوية صدوق ، على ان نقد الناقد في اكثر مناجيه يرجع الى ذوق شخصي قبل ان يرجع الى وضع منهجي ، وقد ادركنا من قراءة الكامل وشرحه سعة علم المبرد وكثرة محفوظه كما لمسنا دقة فهم المرصفي، ورقة ذوقه ، ومن هنا اتسع المجال امام الشارح للرد والمؤاخذة ، فقد جعل يوازن بين الروايتين ، ويفاضل بين النصين ، فيهديه ذوقه الى ما يرفض به رواية صاحبه عن ثقة واطمئنان ، فاذا روى المبرد ـ مثلا ـ قول الشاعر في هجاء الحجاج (١٠) :

اينسى كليب زمان الهزال وتعليمه سورة الكوثر

قال المرصفي : هذا خطأ والصواب رواية ياقوت في معجم البلدان ، وتعليمه صبية الكوثر ، قرية بالطائف كان الحجاج معلم صبيانها ، والحق مع المرصفي ، لان معلم القرآن الكريم لا يعلم سورة الكوثر فقط بل يعلم غيرها ، فلا وجه لتخصيصها بالذكر دون حادثة معينة يظن ان الشاعر قد اطلع اليها ، اما رواية صبية الكوثر فمنزهة عن الاعتراض ... واذا روى المبرد ـ ثانيا ـ قول القائل (١١) :

فيا بعل سلمى كم وكم باذاتها عدمتك من بعل تطيل اذاتي
بنفسي حبيب حال بابك دونه تقطع نفسي دونه حسرات
ووالله لولا ان يساء لرعتها بما ليس بالمامون من فتكاتي

قال المرصفي مهتديا بذوقه السليم ، الرواية لولا ان تساء لرعته ، وهذا حق ، لانه يقصد ترويع الزوج وافزاعه ، ويحرص على سلمى وهدوئها الامين . وقد يكون للفظ اللغوي معان مختلفة ، فيفهمه المبرد في سياق خاص على غير وجهه ، ولكن ذوق المبرد من ورائه يشير الى الخطأ في بصيرة نفاذة وفهم عميق ، وقد ذكر المبرد مثلا قول الشاعر (١٢) :

منعمة بيضاء لو دب محول على جلدها بضت مدارجه دما

فجعله شاهدا على ان بضت مأخوذة من بض يبض بضاضة بالفتح والكسر في المضارع اذا رق لونه وصفا ، ورآه المرصفي من بض يبض بالكسر فقط اذا ترشح من صخر او حجر والمصدر البض والبضيض لا البضاضة بمعناها الاول كما فهم المبرد ، وتلك لعمري دقة بالغة في الفهم تدعو الى الاحترام النزيه ولها نظائر واشباه (١٣) .

اما انصافه للمبرد ورده على خصومه ، فقد تكرر كثيرا في صفحات الكتاب (١٤) ، وهو برهاننا الذي لا يدفع على ان الرجل لا يريد انتقاص صاحبه ، ولا يتكلف الادعاء مفترا بما علم كما وهم الواهمون (١٥) ولكنها جمحات القلم في ظروف خاصة تدفع صاحبها الى بعض الشطط ثم يعاوده الهدوء المتزن ، فيميل الى النصفة والاعتدال ، ولو كان المرصفي يرى المبرد غير ثقة فيما يقول ، ما عكف على شرح الكامل وتدريسه ، فقطع زهرة شبابه في تفهم اسراره ، واكتناه مراميه ، وجاء شرحه الفخم في اجزائه الثمانية دليلا ملموسا على ان المبرد قد عاد الى الحياة مرة اخرى بالازهر واستبدل القاهرة بحاضرة العباسيين .

وقد عاش الرجل العظيم مقدرا مهيبا بين تلاميذه ورؤسائه ، مرموق المكانة في محيطه وامته ، فكان في شبابه موضع احترام الاستاذ الامام وتقديره ، ثم اختير في كهولته عضوا بارزا في جماعة كبار العلماء ليحفظ بها الادب مكانته ، ولم يفارق الحياة في سنة ١٩٣١ حتى راى بعينيه ابناءه في حلقات الدرس يقودون زمام الراي في مضمار الصحافة والتاليف ، ويتسنمون زعامة الفكر في اقطار العروبة ، فقر عينا بما غرس ، وادرك ان دوحته الوارفة قد آتت من كل زوج بهيج .

الفيوم ـ دار المعلمات **محمد رجب البيومي**

الهمسة الباكية

اليوم مر من هنا ..
هذا الذي احبنا
فاخضوضرت من خطوه دروبنا
وطافت الانسام تحكي سرنا
بالامس كان وحينا
وكاسنا وخمرنا ..
اين الذي صلاته كانت لنا
وحبه كان لنا ..
مذ زارنا ..
حلّ الشذا بارضنا
مر صداه من هنا
يشبه اطياف المنى
تتبعه في ركبه كل الدنا
وحيدة .. امسيت ابكي دربنا
وحلمنا الملونا ..
فاليوم مر من هنا
ولم يعد يذكرنا ..
كانه .. بالامس ما احبنا

قرية الرخاء

مي مظفر

بغداد ـ العراق

يقول لي ... حبيبتي ..
يبادر الظلال فوق سفحنا تهيم
وتبعث الحياة
وجدول من لؤلؤ يسيل
يزرع في دروبنا سنابل الضياء
وكل من في قريتي يقبل الصباح
ويجمع الدموع في انامل الرجاء
سواعد تشق في صراعها الطريق
للخير والرخاء .
حبيبتي ... اخاف ان يزورنا الشتاء
اخاف من تشرين شهر الحزن والبكاء
فلنغترف من الحنين ما نشاء
فانت يا حبيبتي انفتاح
ونحن للربيع اغنياته الملاح
نبلسم الجراح ..
ليعمر الصفاء
في قريتي .. في قرية الرخاء
سنرتمي طفلين في سواعد السماء
سنقطف النجوم ..
ونشرب الغيوم
ناون الصباح والمساء
في قريتي .. في قرية الرخاء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا الهدوء المرعب يحث على الهرب.
لكن الى اين .
يخيل اليها احيانا انهم جميعا صم بكم .
الى اين ؟

السلالم الطويلة تؤدي الى لا شيء مع ذلك كانت احيانا تغني طروبة وكانت العصافير تحلق بالجو ، غير بعيد .

الالوان تختفي فجاة . ستار يرفع عن جمجمة العينين .

في جوار قريب ، اصبح الانرقعة ترتفع عليها بكل صخم البنايات الضخمة كان فيما مضى مقبرة اليفة يلعب فيها اطفال الحي ، كانت اجنحة الملائكة الحجرية تبدو خانية رحيمة محبة ، وكان الباب الصدى غير مغلق والاراجيح منصوبة في كل مكان تقريبا ، فوق القبور كانت تتأرجح الاقدام الصغيرة ، وفي اقصى المقبرة كانت تعيش عائلة نحيلة الوجوه .

*

انهار كل شيء ، فليكن ما يكون.

*

في بحر زخم من العواطف ، من المشاعر ، كم تحلو السباحة ، في نعيم يتلألأ اشراقا . يشق المرء بجهد لذيذ طريقه ، لا سلالم .. بل قوة تتلاطم .
انهار كل شيء : فليكن ما يكون .

*

لا وقت للحب ، لا جو للحب ،
الكآبة ترسو فوق جدران البيوت، في الطرقات . الناس يسيرون فردا او جماعات يجمعهم فقدانهم للحب.
يحكى أن فقدان الحب اجتاح المدينة فانبرت ذات يوم كل جماجم العالم تصارع احياء المدينة على البقاء . وضحكت عجوز شمطاء ضحكة جوفاء

*

قالت احدى السجينات : انا لا احلم بالاسواق . ان الاسواق فارغة خاوية. يهمني الا آمل حتى لا اصاب بخيبة امل ذات يوم .

قالت ثانية : يخيل الي احيانا ان السوق عيد من اعياد الربيع السخية، اجد نفسي منساقة الى السير اليه، ينتشي قلبي لحظات بعبير عطور سحرية وفجاة اجد امامي الابواب كلها موصدة . وكان صرير مياه يسمع من بعيد ، صرير منتظم كدقات الساعة ، كسير الدماء في العروق .
وصاحت برعب : هذا غير محتمل
فهزت الثانية راسها قائلة : لا بد من صيحة جوفاء من حين الى حين .

*

قالت واحدة وكانت قرب الجدار منزوية : في كل مساء اتجمل . اعتقد احيانا اني اجمل امراة في

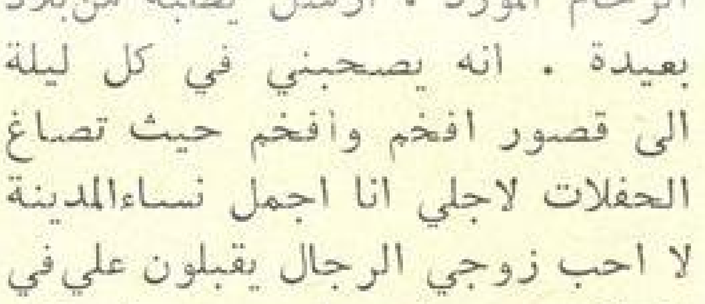
المراعي الخضراء

بقلم الانسة رينه عبودي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المدينة ، زوجي بنى لي قصرا من الرخام المورد ، ارسل يطلبه من بلاد بعيدة . انه يصحبني في كل ليلة الى قصور افخم وافخم حيث تصاغ الحفلات لاجلي انا اجمل نساء المدينة لا احب زوجي الرجال يقبلون علي في الحفلات وعيونهم تلتهمني، وفي كل فجر ابكي لقد مات الانسان الوحيد الذي احب في هذا الوجود، طفلي. كان في السادسة، وكان طفلا وسيما اني اتفقده دائما، ابقيت على غرفته المجاورة لغرفتي ، ابقيت على مكانه من المائدة ، ابقيت حتى على جثمانه انه يعيش الى قربي حياته الميتة ..

*



ومن بعيد تهادى صوت مزمارراع كان يقول :

الارض سهول وهضاب، ما اعذب ان اتنفس هذا الهواء ، ما اروع ان امشي بكل بساطة على قدمي ، مقتربا رويدا رويدا من الافق الذهبي .

في قلبي اغنية ، اغنية لذيذة عذبة .. لوحتني الشمس ، قبلني المطر وضمتني الوف الممرات ،كشجرة من اشجارها ، كحقل من حقولها ، الطبيعة .

ما اعذب ان اتنفس هذا الهواء، الارض سهول وهضاب ، ما اروع ان امشي بكل بساطة على قدمي .

*

قالت احداهن قد تلاشى صوت الراعي : هذا الراعي يمر كل يوم .
قالت الثانية : بل انه لا يمر الا الماما
قالت المراة : صوته يعيد لي تلك البهجة التي كنت اشعر بها حين كنت اعانق طفلي ، حين كنت اضم جسده الصغير الى قلبي .
قالت الاولى : لقد تسنى لي مرة ان اشاهد الراعي ، ان اسنانه بيضاء وفمه كان يذكر بالمراعي الخضراء.
قالت الثانية : هل رايت المراعي الخضراء ؟
قالت الاولى : اعتقد اني رايتها منذ زمن بعيد . غير اني لم اكن على يقين منها ، اما الان فاعتقد جزماباني كنت في المراعي الخضراء .
قالت المراة : هذا يحدث دائما ، او انه يحدث اكثر الاحيان .
وسمع صوت واحدة تنتحب غير بعيد ، كانت تقول :
ـ لم اعتد بعد على هذه الحال. لا استطيع صبرا وانا ارى نفسي مكبلة على هذا النحو . انني اتعذب
قالت الثانية : ان هذا يعود الى الصمت الذي اطبق علينا فجاة . لقد مر الراعي من هنا منذ قرون . هيا لنؤلف حلقة ولنصفق ونرقص

العش المهجور

الى الاديب الذي ترك مجاله الرحيب في ميدان الادب : وديع فلسطين

* * *

بعد افياء روضة وغدير ... كيف ترضى بلفحة من هجير
انا اخشى عليك لفح البوادي ... انا اخشى عليك وقد السعير
كيف ترضى من الخميلة بالجد ... ب ، ومن نبعها ببعض الصخور ؟
روضة الفكر جنة ذات معنى ... قدسي ، وذات قلب كبير
تسع الوافدين يوما اليها ... بحنان رحب ، وحب غزير
يجد الظامئون فيها نطافا ... من رحيق ، وجدولا من نمير
يجد اللاهثون فيها من الحر ... ملاذا للاجىء المستجير
يجد الحائرون فيها على الدرب ... خلاصا من ربقة الديجور
فرحاب مفروشة بالدراري ... وشعاب مسكوبة بالنور
ومهاد مضمخات بعطر ... ونجاد مرصوفة بالزهور
انها واحة لكل فؤاد ... مجهد في حياته بالمسير

* * *

ايها الهاجر الخميلة ! هلا ... قد تريثت في القرار الخطير ؟
كنت من هذه الخمياة حرا ... رائدا في مواكب التحرير
تهب الفكر من اياديك شيئا ... هو اسمى مواهب التفكير
كيف تمشي الى القيود برجليك ... وتسعى الى حياة الاسير ؟
لم يعد بيننا وبينك الا ... ذكريات تحتاج للتذكير !
هذه الومضة القوية تمسي ... بعض ذكرى مكتوبة في سطور ؟!
هذه النفحة الشذية تضحى ... بعض عطر مبعثر منثور ؟!
طف كما شئت يا اخي وتنقل ... وتقلب ما شئت بين البدور
وتذوق ما تستحق من الخير ... وما ترتجيه من تقدير ..
وتمتع بكل فضل عميم ... وتهنأ بكل خير كثير
ثم لا تنس ان قلبك يهفو ... بعد هذا لعشك المهجور

القاهرة — محمد عبد الغني حسن

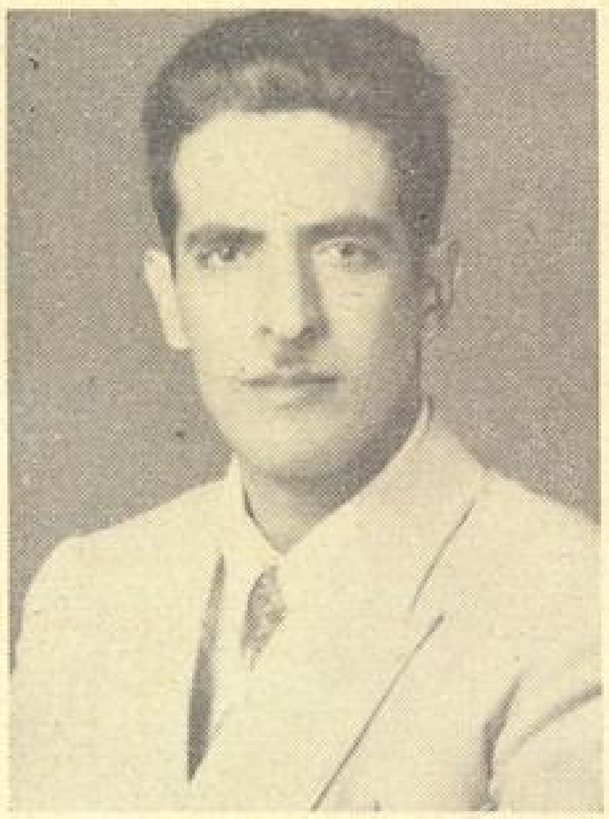
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان هذا يزيل الكابوس ، ألم نكن نتأرجح في يوم من الايام على القبور وقاطعها صوت باك قائلا : ان هذا الصرير يحطم اعصابي . انا لا اريد سماعه .

وتلفتت فيما حولها وارادت ان تهرب لكن عبثا ، كأن كل شيء يقيدها الى جدار وهمي ، الى ضحكة عجوز جوفاء تصيح عاليا .

لكن الى اين ؟

حلب — رينه عبودي



احمد محمد الخليفة

احمد محمد الخليفة شاعر جزائر اللؤلؤ

بقلم قدري قلعجي

* * *

كانت الصحراء ، بلافح هجيرها ومتناوح رياحها وامتدادها اللامتناهي الذي هو التعبير الحي عن جبروت الطبيعة وقوتها الغلابة ، مبعث الوحي ومطاف الخيال ومنبع الالهام للشعراء العرب في مختلف عصورهم وديارهم . . حتى ابناء الحضارة المترفة في ربوع الاندلس ، لم يكن يحرك مشاعرهم وينير بصائرهم ، شيء مثل قصص الصحراء وقصائد الحداة . . فكيف بشاعر عاش في جوار بحر الرمال ، ولم يكن منبته الا واحة من واحاتها ، فأتت عوامل الطبيعة بصدماتها العنيفة وانهياراتها المخيفة ، ففصمت الواحة جزيرة يحتضنها الاوقيانوس ، فصما هو اقرب شيء لانتزاع الولد من احضان امه ، فظل لها بصرا شاخصا، وبقيت له جنانا خافقا ، في خلجة العواطف وحدب الامومة، وكفى بذلك تعاطفا وتآلفا . .

اما الشاعر الذي يجاوز بحر الرمال فهو احمد محمد خليفة صاحب « من اغاني البحرين » و «هجير وسراب » ، واما وطنه البحرين فهو الواحة التي اضحت جزيرة وظلت مع ذلك تحت كنف الام الكبرى ـ الصحراء ـ حيث وهج الهجير ومتراقص ظلال السراب ، لان ذاك الهجير وذلك السراب قد امتدا ظلا ظليلا في دنيا العروبة بنبضات افئدة ابنائها ، ومضات افكارهم ، وهاجسات نفوسهم ، تمثلا لقيم اخلاقية ومناقب وطنية ، واستشراقا لمعان انسانية من بعض معانيها التبتل في معبد الجمال والصلاة في هيكل الروح . .

لن نطيل الوقوف على حياة هذا الشاعر الذي لا يتمثل فيه الوجه الفني لشباب البحرين فقط ، وانما نشعر بان ما يتجلى في شعره من انفتاح الذهن وانطلاق الروح يجعل منه صورة للشباب المتوثب في الوطن العربي الذي لا يفتأ يستجلي حوادثه ، ويعيش احداثه ، فلا يكاد يقع فيه امر جلل الا كان له في نفسه صدى ولقوافيه منطلق .

واذا كان الشاعر هو الكائن الحي الذي ينشأ ويسعى في محيط معين ، ولا بد من الوقوف على منبته وتتبع نشاطه ، فقد كفانا الشاعر الصديق مؤونة ذلك ، فلخص لنا حياته بكلمات قليلة في رسالة شخصية قال فيها :

« واما حياتي . . فقد ولدت في قرية الجسرة حيث البحر الساجي ، وحيث الطبيعة الزاخرة بالجمالات ، ونزحت منها وأنا صغير الى قرية الزلاق الساحرة ، وهناك تفتحت مداركي على افاق شتى من الجمال والبحر والبساتين والمروج والروابي الخضراء ، فدرجت هيمانا بين كثبانها اقرأ في صفحات الافق الواحا من الشعر الالهي . . ومن هنا كنت شاعرا . . »

وهذه العبارة الموجزة التي تنطوي على العصامية الادبية، انما تتساوق نصا وروحا ورأي اديب الخليج الكبير وعملاق الكلمة فيه ، ابرهيم العريض ، اذ يقول في شاعرنا: « يتجسد في بردي صديقي الشاب صاحب « هجير وسراب » الاخلاص للشعر وعالمه السحري ، كما لم يتجسد في كل من نشأ وانشأته ، وانه لمن بواعث اعتزاز « جزائر اللؤلؤ » ان يفصح عن امالها في كل مناسبة شريفة احد ابنائها البررة الذي ثقفوا انفسهم بانفسهم ، وفرضوا كيانهم فرضا على تاريخ بلادهم الادبي . اني عن كثب اتتبع تدرجه في مراقي النبوغ دائما بزهو واعجاب » .

غير ان الاجدى للقارىء ان ننتقل من حياة الشاعر ـ الكائن الى الشاعر ـ الفكر والعاطفة والاحاسيس ، في ذلك الوجه المنصوب للفح الهجير وطيوف السراب ، مرورا بدنيا العروبة من جزائر اللؤلؤ منبت الشاعر ، حتى ذلك الساحل الذي دفع فيه عقبة بن نافع فرسه خائضا غمرات اليم ، شاهرا سيفه لوجه الحق في وجه التاريخ الذي شد ما ظل كليم السويداء جريح الكبرياء ، لما اصاب الوطن العربي من التمزق والاسترقاق ، ولكن لا ليركن ذليلا كليلا في قبضة الظالمين من الدخلاء المستعمرين ، وانما ليتنزى تنزي الاسد المكبل باغلال المكر والخديعة ، يمتشق الحسام في قطر ، ويرهف اليراع في صقع ، تمردا على ذلك الواقع الذي دهم عالم العرب ، وقد خيم عليه ظل الغرب حتى غدا الوطني غريبا في دياره والقومي مسلوب حمى ذماره :

أخا الصحراء ان الشرق امسى جريح الغرم مهدور الكرامه
ونحن اليوم كالغرباء فيه وهل طابت لمغترب اقامه ؟..

---

* يتابع الكاتب بهذا الفصل سلسلة من الابحاث عن ادباء الخليج العربي ، ويسره ان يتلقى من ابناء هذه المنطقة الغنية بالكفايات ، آثار ادبائهم وسير حياتهم وكل ما يساعد على القاء النور على تلك الطاقات المنسية والمواهب المجهولة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واذا كانت تلك فاتحة عهد الاستعمار ، فان مأساة المآسي في ذلك الوطن ان يكون سادته النعاج مع مسترقي امتهم ذئابا على ابناء جلدتهم ، في صفحة من حياة كلها رياء وكذب وخداع :

لقد أخنى بنا قوم لئام وضمنا في اكفهم الزعامه
فسامونا الهوان وما ظفرنا بشيء منهم غير الندامه
هم فتحوا البلاد لكل باغ وخداع تزود باللآمه
اذا ما هش مبتسما لقوم رايت المكر خلف الابتسامه

لكن اذا كان هذا هو الوجه السلبي لواقع العالم العربي القريب ، الذي غدا ـ ولله الحمد ـ بعيدا ، والذي تكاد الفاظ الشاعر تتاجلج تلجلجا في سياق العبارة تعبيرا عنه، حتى لكأن الصورة اللفظية انعكاس للواقع السياسي الراسف في الاغلال ، فان الشاعر الحر المؤمن ايمانا راسخا بمستقبل وطنه الكبير ، ليعرف كيف يضع متواضع لبناته في صرح مستقبله ، بالكلمة التي تهز اعماق الشعب :

اوقد الثار عزمنا فمشينا نقنص النجم فوق متن الرياح
علمتنا الايام ان نبذل الرو ح ، فداء لحقنا المستباح
ونقيم الاوطان في الذروة الشما ء ونحمي اركانها بالسلاح

وهو يعرف ان يعطي الجواب الحق ، في القول الفصل ، لذلك المتسائل ، وحبذا هو من سؤال ، ونعما هو من جواب نلمح فيه خفق رايات الحرية وتنكس اعلام الاستبداد:

قيل : ما ذاك الدوي ؟ فقالوا : ثورة الحق وانبثاق الرجاء
انه الشرق هب في موكب الام جاد باسم البطولة السمحاء

ويجلجل ذلك الصوت نفيرا للجهاد ، حتى لكأن فؤاد الشاعر خافق ديار العروبة النابض بالثورة المندلعة اللهب في كل منحنى من فجاجها وفي كل شبر من فسيح رقعتها:

وتعالى صوت الجهاد وضجت صيحة الثار في السهول الفساح
وتغنى الحسام بالنغم الدامي لحونا على انين الجراح
ضجة تملأ الشعاب واجسا د تهاوت ملء الربى والبطاح
الجهاد الجهاد.. فالثور الحمراء تجلت في برجها المجتاح
غضبة الشعب ثورة تمحق الظلم بفجر البطولة اللماح

ومن خلال غضبة الشعب هذه ، والق الجهاد النازع للحق ، نلمح صورة المجاهد المقدام ببيان رائع التعبير وصفا لذلك البطل الذي امتشق حسامه للذود عن حياض الوطن:

لقد عهد الكماة وكل حر جسور القلب جبار الصرامه
اذا ما هب للاحداث يوما رأيت الارض قد طويت امامه
فجرد سيفك البتار حتى تعود لنا مقاليد الكرامه
ويصبح شرقك العربي مهدا الى رسل البطولة والشهامه

على الرغم من ان احمد محمد الخليفة قد سجل اغلب احداث عصره التي شملت دنيا العروبة في افراحها واتراحها ، واعراسها ومآتمها ، من جهاد مراكش الابية ، الى ثورة ابطال الجزائر ، فانتفاضة ارض الكنانة ، وانه كان احد شهود جريمة الصهيونية والاستعمار التي مثلت في ربوع بيت المقدس ، كما ذرف الدمعة الحرى على عدنان المالكي شهيد سورية الدائمة التفجر ، وكان له وقفات ووقفات على امجاد هذا الشرق الثائر ، فقد ظلت في قلبه زوايا نذرها للتبتل في محراب الهوى ومعبد الجمال . وقد اطال الاعتكاف في هيكل الطبيعة يتجهد بصلوات روحية لاقانيم الحب والحق والجمال ، تكاد تذكرنا باغاني الصوفيين الرائعة :

سكرنا وما في الكاس شيء من الخمر وغنت لنا الاحلام من حيث لا ندري

وينطلق الشاعر ـ وخاطره دنيا خيالات واحلام ورؤى سحرية ـ بلبلا غريدا في الفضاء الطلق ، والطبيعة عرس زاخر بالحياة ، مشحون بالقافية الروحية ، يلتقي في افقه الشمس والقمر معا ، وهو لا يدري ان كان يعيش سحر بابل ام حلم ليلة القدر ، لانه يعيش استغراق لحظات الهوى القدسية ، وقد اسندت ملهمته راسها الى صدره، فانطلقت قيثارة روحه تسيل الحانا عبقرية الالهام ، فذة المعاني ، علوية الايحاء ، رائعة البيان :

وقفت اشيع الفكر في كنه ما ازى وفي خاطري دنيا تموج من الشعر
افي اي دنيا نحن نلهو ، فانني اهيم بارض حار في كنهها فكري
افي بابل حيث المساحر جمة يطوف بنا هاروت في هيكل السحر
ام الارض ناجتها الملائك فاكتست بفتنتها ام هذه ليلة القدر ؟!
ام الكون مزدان بميلاد شاعر ، ام الشمس خلف الليل تحلم بالفجر!
نسير على الشاطىء الطروب كاننا نطوف على الاكوان في زورق يجري
افاتنتي ان الطبيعة لم تزل تنادي بنا: ناموا على موكب الزهر
رقد سكر السمار عنا ولم نجد سوانا، ففني بالهوى واسكبي خمري
اما تذكرين الآن كالحلم ليلة سهر نابها والرأس منك على صدري
وكفك في كفي وطرفك مغمض وثغرك يستوحي اللذاذة من ثغري
وقبلتها والبدر يهفو بضوئه علينا ، ونحن جالسان على الصخر
فقالت : اما يكفيك في الخد قبلة وفي الثغر اخرى؟ قلت:ذي قبلة النحر!

ومن الرائع حقا ، ان الشاعر في انطلاقه الروحي ، وشدوه على فنن الهوى ، قد عرف أن يجمع في شخص الحبيب جمال الطبيعة الى بديع المعنى ، كانما هي طاقة مادية فذة ، في شحنة روحية عبقرية ، فيها جمال الصباح ، ونفوذ الشعاع ، وروعة السرور ، كانما هي علوية التكوين وليست من جبلة الصلصال والطين :

وجهك الطاهر المضيء تجلى في حياتي ومنه سر المعاني
فهو في جبهة الوجود صباح وهو في مبسم الحياة اغاني
انت فيض من السرور لروحي وشعاع من المنى في جناني
انت اشراقة من الملأ الاعلى تباهي بضوئها النيران

لكن شيطانة الفن هذه قد عرفت كيف تغزو قلب الشاعر، وكيف تشد على اوتار قيثاره لتسيل انغامها جمة التلوين ، وايقاعاتها مختلفة الالحان والالوان ، تشيع في نفسه السرور الذي هو حفيف اجنحة الملائكة ، وتلامس مواضع الالم في مكامن الاحساس فيه ، فتذوب نفسه بشجي النغم الذي هو حشاشة نفس مرتلة بحزن يمس شغاف قلب القارىء مسا رفيقا هو المتعة الروحية الخالصة ، لان ذاك الحزن نجوى الروح للروح ، وقد التقتا على لحن القبلة الاولى الذي يجمع في قراره سر الاوتار جميعا وكنه الالحان طرا :

فانا الشاعر المضيع نفسي بين ليل الهوى وفجر الاماني
كلما ناح في الصباح هزار كنت نهبا لثورة الاحزان ..
روحيني فقد سئمت حياة ملئت بالفراغ والحرمان
قربي ثغرك الجميل ففيه كوثر سال من رحيق الجنان
قبلات سكرى تناغي شبابينا على غنوة الربيع الهاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قبـــلات رتيبـة تتـلاقـى فـي ظـلال الشباب والعنفوان
آه لـو تعلمـين عـن سر هـذي القبلـة البكر في ضمير الزمـان
تتغنـى الارواح للقبلـة الاولى علـى هيكـل المنى والتهـاني
وتنـاجـي في عالـم الخلـد ارواحـا تـزف الحبور للاكـــوان
هـي لحـن الحيـــاة فـي هـذه الدنيـا وهمس الارواح للابدان

واذا كانت هذه الانغام مزيجا من الامل واليأس ، والترح العلوي الذي هو المتعة العظمى ، بنشوة هي مزيج من حرقة الوحدة ونعمة الاتصال ، فان للشاعر وقفات يائسة امام السراب يخيل اليه فيها ضياع احلامه وعبقري خيالاته :

بـددت احلامي الوضيئـة بعد ما ضيعت في دنيا الهوى ايـامـي
وتحطمـت مـن آهتـي قيثـارتي في الليل وانكسرت كؤوس مدامي!
فطفقت مذهول الضمير أهيم في وادي الاسى بمآلـي وسقـامـي
وولدت في الدنيا عرائس بهجتي وهبطت من أفـق الخيال السامي
ورأيـت في حلك الدجى قيثارتي خرسـا اللحون حبيسة الانغام !

لكن اذا كان هكذا تكسر القيثار ، وانحباس لحن الاوتار ، فقد نعمنا نحن باللحن ، وطربنا لعلوي النغم !..

ولعل الشاعر ، حفاظا على قيثاره من اعادة التحطم ، وعلى انغامه من الانحباس في أوتارها ، أطلق لشيطـــان شعره العنان واجاب على الهواجس الغيبية التي مرت بذهن الحبيب ، بذلك الجواب الذي ينضح من الدنان الخيامية ، الموحية باللذة الآنية والمتعة الراهنة :

قالت وقلبـي ذاهـل من سحر مقلتها الكحيلـــة
والطيـب يعبـق في سمائي من غدائرها الجديلة
مـاذا نكون غـدا اذا ماتـت امانينا الجميلـة ،
وتحلل الجسد الطروب وذاب في الارض الثقيلة ؟
هل تنتهي احلامنـا وتـزول كالـرؤيا البخيلة ،
ام هـل نعود لحبنا من غربـة الموت الطويلـة ؟
قلت: ارفعي الاقداح ، ليس لنا على الاقدار حيلة ،
نحـن نعيش ليومنـا في دوحة الامل الظليلة !..

لم يتميز شعر احمد محمد الخليفة بلفحاته الوطنيـة القومية فحسب ، ولا بنفحات ذلك الحب العارم الذي غمر كل كيانه فقط ، وانما هام بايات الطبيعة هياما ملك عليه مشاعره ، حتى لكأنه من القائلين بوحدة الوجود ، لان قلبه ليس موقوفا على مشاهد بعينها او مناظر بذاتها من وجوه الطبيعة التي لا يدركها الغد أو تدخل تحت احصاء ، وانما هو يحيى كل ذرة من ذرات هذه الارض ، فيه شيء مـن صداح الطير ، وجمال المروج ، وتفتح قلب الربيع ، وسحر الصيف على الشاطىء الخلاب ، ورفيف اجنحة الفراش ، يرى في كل فصل من فصول السنة روائع تستوقف نظره فيترجمها خرائد شعرية بديعة ، وهكذا يعيش أماد الزمان ويحيا مشاهد المكان :

انا احيا في كل ذرات هذه الارض لحنا مهوما مسموعا

ولا بدع ، فان الكتاب الاعظم الذي قراه الشاعر ما يزال يعيد تلاوته ، هو سفر الطبيعة . اولم يقل في رسالته الينا : « .. اقرأ في صفحات الافق الواحا من الشعر الالهـي ، ومن هنا كنت شاعرا »

ومن تلك الالواح التي نقلها من صفحات الافق ، صوره المتعددة التي زين بها جمال الربيع ، كقوله :

ان الربيع رحيق الارض ان عطشت فكـــل دنيا الاماني تلتقـي فيـه
تحلو ليالي الهوى في سحر منظره وتستحـــم الامـاني في مآقيـــه

وقوله في ربيع الهوى من قصيدة طويلة :

هذا ربيع الهوى النشوان مؤتلق دع القواريـر ملأى مـن حميـاه
يـا ليلة سكرت فيها النجوم ولم نعرف من السكر من صلوا ومن تاهوا
غنـى المحبـون الا شاعرا قلقـا ضوء النجوم الذي في الافق ابكاه
تذكـر الزمـن الماضـي وجيرته يـوم النجـــوم تغني ما تعاطـاه
لا لا تقولـوا بأنـي شاعر غـزل قد علمتني فنون الشعر عينـاه
فان نكـن قد جنينـا في تهتكنـا ذنبـا ، فآدم حملنـا خطايـــاه

وهذه صور وجدانية ، أما صوره المادية من زهر وعطر وماء ، فاكثر من ان تحصى ، ولكن الشاعر لا ينقلها لنا نقلا فوتوغرافيا ، وانما يضفي عليها شيئا من ذاته الفنية :

اني احس الكـون سكرا دافقـا يسري ويحيي ماملي في خاطري
وأرى الروابي كالعرائس في الضحى تختـال من ارج الربيـع الفامـر
دعنـا الى هذا الجمال فانني اودعت فـي تلك البطاح مشاعري
وسكبـت الحانـي على ربواتهـا فجرا ، وكـم غنيتهـا بمزاهري
وهفت لها روحي ترف وتستقي في الليـل من نبع الغدير الفائر
ان الربيـــع لـه معـان ثـرة توحـي وتلهـم بالبيـان الساحر
ورد ونـوار وزهـر عـابـق قـد طاب في مسراه ليل السامر
كـل الازاهر تحتفي بقدومـه وتبش مـن دمع السحاب الماطـر
وتعربـد الارواح فـي محرابـه ليـلا لتنهـل مـن شذاه العاطر

واذا كان هذا هو الربيع ، فان للشاعر في الصيف اكثر من قصيدة ، وكل قافية فيها آية بيانية ، تصويرا لمعرض جمالي ، وهل هناك اروع من مشهد الشواطىء في الصيف وقد انتشرت فيها آيات الخالق المبدع بأمتع منظر وابـدع مشهد :

اقبل الصيف ضاحكا ينثر الاحلام والبشر والرضى والامـاني
ينشر الفتنة الكبيرة في الارواح خمرا ما عتقت فـي الدنـان
رف في هيكـل الخلود وليدا يتهادى في روعـة المهرجـــان
غنت الارض والسمـوات لما جـاء في موكب الرضى والحنان
قيل : ماذا يناغم الكون بالافراح ؟ قالوا : ليل من الصيف داني
عرس في السماء هومت الاطياف مـن سحره علـى الاكـوان
فاضحكي يـا شواطىء البحر بشرا واجعلي الملتقى بكل مكان
وتغني للسامرين ابتهاجا وايقظي باللحـــون روح الزمـان
ايها البحر انت لولا ليالي الصيف ما كنـت ملعبـا للغواني
انمـا الصيـف فتنـة وجمـال وصفـاء وفرحـة واغانـي
هو انشـودة مـن الخلد سكرى رددتهـا الارواح للابـــدان
فيه تهفو الارواح في عالم النجوى وتسمو على رفيف الحنان
ايها الشاعر المغرد بالاشـواق هيـا فانـت رب الاغـاني !

وفي قصيدة ، بل في اغنية اخرى ، يقول :

يـا حبيبـي اقبـل الصيف وغنتنـا الحياه
وتهـــادى كـــل صـب يتغنـــى بهـــواه
قمر تشدو وعذارى السحـر في مسرى ضياه
وسكـــون حـالـم لا يبلـــغ الوهـم مـداه
يـا حبيبـي اي لحـن ردد الكـون صـداه
وقفتـه شاديـات الضـوء في سمـع الميـاه
انـه عـرس الصبا النشوان في فجر الحياه
انـه الصيـف الذي تستقبل الدنيـا صفـاه
انـه يـدعو بنـــا ان نتـلاقـى في سنـــاه

(التتمة في صفحة ٥٦)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

زحف الدخان

صفاء الحيدري

بغداد ـ العراق



يا هذه . يا يـدي تململـي وامتـدي
وامضي ولا ترتدي
هنـا على المفرق تحركـي . اطلقي
فليس لي في غدي غـير أسى مزبـد
ان ينتهـي يبتدي

أمس انتظرنا هنـا سحابـة من غنـى
وضمة من منـى
فمـر بالمنحنـى غـد وشد السنى
فانطفـأت حولنـا تلك الرؤى والدنى

وعاد صمت الردى يمضغ ذاك الصدى
لا زهرة لا نـدى أبقـى ولا منشدا
الا السطور التـي تنبض في وحشتي
أسى سيبقى غـدا باب الهوى موصدا

جرثومة في دمـي تنقب في أعظمـي
هيهات ان تندمي يا نفس ان ترسمي
هنا على مبسمـي نهايـة الموسـم
ما عاد في البرعم شيء نـدي الفـم

دوري على راحتي يا أنت .. يا طلقتي
وانطلقي فـي فمي وانطفئي في دمـي
لا تعبـأي بعدها انهـض او ارتمي
فمهجتـي واللسان قد اسكتا من زمن
مذ عدت من رحلتي لا اهل لي لا وطـن
وناظـراي اللـذان هما هنا شاشتان
يعرض زحف الدخان رواية الزمـان
كلاهمـا شاهـدان اني قميء جبـان
لا صرخة لا الـم ولا دوي أصـم
ولا رؤى قـارب يشق تلـك الظلم
لا قائل في سأم
أمس انتهى لا انسان امس مضى النسيان

أمس مضى سائـح عاش هنا كالغريب
يبـذر احلامـه في كل واد قريب
ولم يزل ينحنـي كالصمت فوق الكثيب
لكنـه لـم يجـد ثمة الا النحيـب
وكلمـا آن أن يرحـل حـان المغيـب

لمـا أزل انتظـر يا أنت ان تنتحـر
والنور في ناظري معـذب يحتضـر
لا شمعة لا سنى الاي ألا أنـا
أبحث عـن هارب ما عاد يعنى بنـا
والليل حولي خطى تنسل لا تنتظـر
غدارتـي هاهنـا عبأتهـا بالضنى
والطلقـات التـي فيهـا مصيري أنا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عيسى الناعوري

صور وشرح من كوميديا دانتي الالهية

بمناسبة الذكرى المئوية السابعة لمولد دانتي اليغييري

بقلم عيسى الناعوري

تحتفل ايطاليا في هذا العام ، ١٩٦٥ ، ويشاركها العالم المتحضر الذي امتلأ بشهرة شاعرها الاكبر والاعجاب به ، بالذكرى المئوية السابعة لمولد دانتي اليغييري . وقد خصصت ايطاليا هذا العام باكمله لتخليد ذكرى هذا الشاعر العظيم ، فدعته « عام دانتي اليغييري » ، كما كان العام الماضي ، ١٩٦٤ ، فيها عام الفنان الخالد ميكلانجلو . ومضت تقيم المعارض ، والمحاضرات ، والدراسات ، وتوجه السياحة ، والدعاية ، والنشر ، وكل ما تستطيعه من الوسائل ، حتى الدراسات الجامعية ، الكفيلة بجعل هذا العام جديرا بهذه المناسبة الكبيرة .

واحتفاء بهذه المناسبة الادبية الكبيرة رايت ان اساهم بحظ بسيط للتعريف بدانتي ، واثره الادبي الاعظم الذي يتردد اسمه في العالم كله منذ سبعة قرون بين اعظم ادباء الدنيا ، بل في مقدمة الطليعة الفاتحة التي اطلعت للعالم فجر النهضة الاوروبية الحديثة . لقد كان دانتي من اهم بواعث النهضة ومطلعي فجرها في اوروبا من مدينته فيرنتسه ، في اواسط ايطاليا ، التي ما تزال تعتز وتفاخر بقدم قصورها ، وبعراقة تاريخها الذي يجعل منها مهد النهضة الحديثة في الغرب باسره ، لا في ايطاليا فحسب .

ومشاركتي الان هي جولة في كوميدية دانتي الالهية باجزائها الثلاثة : الجحيم ، والمطهر ، والفردوس . وساقدم منها صوراً ، تمثل كل صورة نشيدا ، او مشهدا من نشيد من اناشيد الكوميديا . وباستعراض هذه الصور ومعرفة شروحها نكون قد رافقنا الشاعر العظيم في رحلته كلها ، من مطلع الحلم الذي قاد خطاه في الغابة المظلمة قبل دخوله الجحيم ، حتى اللحظة التي انتهت فيها رحلته في الفردوس السماوي . ولعل هذا سيوفر على الكثيرين مهمة قراءة هذه الكوميدية التي هي بين اعظم نفائس الآداب العالمية ، او لعله ، على العكس ، سيكون من البواعث على قراءتها بلذة ونهم معاً ، كما تستحق فعلا .

وقبل ذلك نرى ان نقدم لمحة سريعة عن دانتي وآثاره الادبية ، لكي يكون تعريفنا به وتكريمنا له وافيين بقدر ما يسمح به المجال ، وكافيين لمن لم يتح له حتى الان ان يعرف دانتي معرفة وثيقة عن طريق دراسة آثاره دراسة صحيحة .

ولد دانتي اليغييري في مدينة فيرنتسه في ايطاليا عام ١٢٦٥ ، وتوفي في المنفى عام ١٣٢٢ وله من العمر سبعة وخمسون عاما ، قضى بعضها في الحكم والسياسة ، وقضى احدى وعشرين سنة منها في التشرد والحنين الى الوطن . وفي فترة التشرد هذه وضع ملهاته الخالدة « الكوميديا » التي دعيت في ما بعد باسم « الكوميديا الالهية » تقديرا لعظمتها الادبية . والذي اطلق عليها هذا الاسم هو الكاتب الايطالي الكبير بوكاتشيو ، معاصر دانتي ، وصاحب كتاب « الديكامرون » الشهير .

تتلخص حياة دانتي ، وكذلك ادبه ، في ثلاثة امور هي: الدين ، والحب ، والسياسة . فلقد اشتغل بالسياسة في حكم بلده وفي السفارة لها ، وامض نفسه الصراع بين ساستها واحزابها ، والحكم الاجنبي ، وتدخل البابوات في شؤون السياسة وفي تشجيع الانقسامات الحزبية في بلده . كما عاش عمره كله يحلم بعودة المجد الايطالي القديم بوحدة ايطاليا وقوتها وعظمتها ، ويرى في الشاعر الروماني فرجيل رمز عظمة الفكر الايطالي في زهوة مجده .

ومن حيث الدين كان عريقا في كاثوليكيته ، مؤمنا بانجيله ، واعيا اعمق الوعي واوسعه لعقيدته المسيحية ، متحمسا لها اشد التحمس رغم البلاء الذي ذاقه هو وذاقته بلده من بعض رجال الكنيسة الكبار ، وعلى الاخص من البابا بونيفاشيوس الثامن .

واحب دانتي بياتريشي بورتيناري وهو في التاسعة من عمره ، وهي دونه ببضعة اشهر فقط ـ كان عمرها ثماني سنوات وشهرا واحدا ، وعمره اقل بقليل من تسع سنوات حين التقيا لاول مرة ، وعرف الحب سبيله الى قلب الطفل الشاعر ـ وقد رافقه هذا الحب مدى الحياة ، على الرغم

---

* القيت هذه المحاضرة بدعوة من السفارة الايطالية في عمان في قاعة امانة العاصمة ، في عمان ، ثم في مدرسة السالزيان الصناعية في بيت لحم . مصحوبة بعرض عدد كبير من الصور المنتزعة من مختلف اناشيد الكوميديا . مع شروح لها وافية .

من انه تزوج ، وخلف اولادا وبنات ، وانغمس الى جانب ذلك بحياة الرذائل والملذات انغماسا غير قليل ، كما نعرف من عتاب بياتريشي له عند لقائهما خارج المطهر .

هذه الثلاثة معا : اي الدين ، والسياسة ، والحب ، تعاونت على انضاج فكره ، وتوسيع مداركه ، وتعميق احاسيسه ، وكانت ملهمته في جميع مؤلفاته التي نلخصها في ما يلي :

١ ــ الحياة الجديدة La vita nuova وهو قصة حبه لبياتريشي من بدايته الى نهايته ، وما نظمه من شعر ورآه من رؤى من وحي ذلك الحب الذي بدا طفلا ولكنه لم ينته حتى بموت الشاعر العاشق ، بل طاف معه في آفاق العوالم الاخرى في كوميديته الالهية ، وظل خالدا فيها من بعده ، ترددد الاجيال بتقدير وتقديس عميقين ، ونجد نحن الفرصة لنتحدث عنه بعد سبعة قرون من عمر التاريخ كشيء يلذ عنه الحديث ويعذب .

٢ ــ الوليمة Il Convivio وهو فصول واناشيد ، غايتها تبسيط العلوم للعامة ، فكأنها دعوة الى وليمة فكرية : شرابها الاناشيد ، وطعامها الشروح والتعليقات ، يقدمها دانتي الى قليلي الثقافة من مواطنيه. ولم يخل هذا الكتاب من اثر بياتريشي ومن الاشارة اليها ، والى انها ظهرت له بعد عامين من وفاتها فكان ذلك دافعا له الى الاستزادة من المعرفة . وكان خيال بياتريشي هو الذي املى عليه النشيد الاول من الوليمة ، بل لقد اوحى اليه باكثر من نشيد وباكثر من اشارة وتعليق فيها .

٣ ــ الكوميديا الالهية La Divina Commedia وهي قصة بحثه عن الحبيبة ، ووصوله اليها اخيرا عبر العوالم غير المنظورة ، وسعادته بمرافقتها في رحاب الفردوس ، وامام عرش الخالق . وهي ايضا قصة الصراع السياسي في بلده ، والناس الذين اساءوا الى شعبه وارضه ، فاستحقوا ان يخلد عذابهم في الجحيم ، والاخرين الذين احسنوا الى بلده فاستحقوا ان يرفعهم الى فردوس النعيم. وهي كذلك قصة تدينه العميق الذي جعل من صور العقاب والثواب في الكوميديا شرحا للعقيدة الكاثوليكية ليس اوفى منه ولا ادق ولا اعمق وعيا وادراكا ، فجاءت شروحه تثبيتا لاهوتيا للعقيدة ، وترسيخا لفكرة الثواب والعقاب فيها ، وللاماكن الاخروية التي يجري فيها الثواب والعقاب ، وهي اماكن لا يوجد بعضها ــ واعني المطهر واليمبس ــ في غير الديانة الكاثوليكية ، كما ان بعض انواع الذنوب وتسمياتها وعقوباتها هي ، في الغالب ، من خصوصيات الكاثوليكية . وهكذا فان دانتي قد استطاع بعمله الادبي الخالد هذا ان يخدم الكنيسة الكاثوليكية والعقيدة الكاثوليكية خدمات لم يستطعها الكثيرون جدا من اعظم رجال الكنيسة الكاثوليكية انفسهم ، وذلك بما اضفته الكوميديا من شروح عميقة التأثير على اللاهوت المسيحي ، وعلى فلسفة الثواب والعقاب المسيحية .

ولعل هنا مجالا لكي اذكر ان الذين ظنوا الكوميديا متأثرة ببعض المصادر الاسلامية، وعلى الاخص قصة الاسراء والمعراج ، ورسالة الغفران ، وفلسفة ابن عربي، لم يصيبوا الحقيقة في اعتقادي . واذا كان هناك مشابه محدودة جدا بين الكوميديا وهذه المصادر فهي لا تعدو المشابه الاصيلة التي بين الاسلام والمسيحية ــ وهي مشابه كثيرة جدا بحكم استمداد الدينين عقائدهما من مصدر سماوي واحد ــ فالديانتان تنبعان من اصل واحد ، وتؤمنان بكثير من العقائد المشتركة .

صحيح ان الكوميديا متأثرة بأشياء اخرى سابقة ، ولكن اهم المصادر التي تأثرت بها كل التأثر هي : ١ ــ الفلسفة الكاثوليكية واللاهوت الكاثوليكي . ٢ ــ التوراة ، والانجيل واعمال الرسل ، ورؤيا القديس يوحنا . ٣ ــ الميثولوجيا اليونانية القديمة، وعلى الاخص الياذة هوميروس ،واوذيسته واينيادة فرجيل . الا ان تأثر الكوميديا بهذه الاساطير اليونانية ــ وهو بارز وواسع الى ابعد حد ــ انما كان تأثر العمل الفكري بالعمل الفكري ، لا تأثر العقيدة الدينية بالعقيدة الدينية ، فليس بين وثنية هوميروس وفرجيل ، وكاثوليكية دانتي اي تشابه في العقيدة ، وعلى الاخص في ما يتعلق بالعالم الاخر . الا ان هذا لا يمنع دانتي من استخدام الاشخاص والحيوانات والحكايات الاسطورية في رحلته في العالم الآخر ، كما سنرى ذلك في ما بعد . وكذلك استخدم دانتي ثقافته العلمية الواسعة في الكوميديا ، سواء في الفلك ، او التاريخ ، او الفلسفة ، او اللاهوت ، او الموسيقى ، او التشريح ، او ما الى ذلك . وقد كان دانتي ذا ثقافة واسعة جدا .

* * *

بعد هذا التمهيد ارى ان اقدم عرضا سريعا لرحلة دانتي في اليمبس وفي الجحيم ، وهي الجزء الاول من الكوميديا، لكي نرى بعد ذلك بعض الصور التي تعرض لنا مشاهد من اناشيد مختلفة من هذا الجزء قبل ان نمضي في استعراض الجزءين الباقيين .

تبدأ رحلة دانتي بأن يرى نفسه ، وهو في منتصف العمر ، في وسط غابة مظلمة متشابكة الاشجار ، ماضيا للبحث عن حبيبته بياتريشي . وفي وسط الغابة يصل الى طود عال تشرق عليه اشعة الشمس ، فيحاول ان يرتقيه ليسير في النور ، غير ان ثلاثة وحوش تسد عليه الطريق . وتلك الوحوش هي : أسد ، ونمر ، وذئبة ضاوية الجسم شديدة الجوع . فخاف دانتي وهم بالرجوع . وعندئذ ظهر له فجأة شاعره المفضل فرجيل ليقوده من طريق آخر سالكا به في شعاب الجحيم اولا ، ثم في المطهر ، وبعد ذلك يسلمه الى بياتريشي لتصعد به الى السماء .

ونتوقف هنا قليلا لنذكر ان كل ما في هذه المقدمة القصيرة ليس سوى رموز خلقية هي : الحسد ، وشهوة الجسد ، يمثلهما النمر ــ والكبرياء والغرور ، يمثلهما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاسد ـ والبخل والجشع الـــذي لا يشبع ، وتمثلهمـا الذئبة . واما فرجيل الذي قاد دانتي في رحلته فهو رمز العقل والحكمة ، وبياتريشي رمز المعرفة الالهية . وترمز قمة الطود التي تشرق عليها اشعة الشمس الـى الحيـاة الفاضلة . ومن هنا نرى ان قسما كبيرا مهما من الكوميديا ليس سوى رموز تحتاج الى مـــن يفسرها لكي تفهم على حقيقتهـا .

هذه المقدمة في الغابة ، وكذلك الحديث الـذي يدور خلالها بين الشاعرين ، يتألف منهما النشيد الاول من اناشيد الجحيم الاربعة والثلاثين .

وينقسم جحيم دانتي الى الاقسام التالية :

١ ـ فناء واسع Vestibols فيه الكسالى Ignavi وقـد جعلهم الشاعر يتعذبون باستمرار الجري تحـت لسعات الذباب والزنابير . ويلي هذا نهر خرافي يـدعى اكيرونته Acheronte ، ثم يلي ذلك تسع حلقات هي :

٢ ـ اليمبس Limbo ـ وهو الحلقة الاولـى ـ وفيهـا العظماء والابطال واصحاب الفضائل الذين ماتوا قبل المسيح ، او الذين ماتوا بعده ولم يتح لهم ان يدخلوا فـي دينـه لجهلهم به . وبكلمة اخرى : اصحاب الفضائل غير المعمدين ويقوم عذاب هؤلاء بشوقهم الدائم الى رؤية الله والتنعـم برؤية بهائه الالهي ، ولكنهم محرومون من ذلك حرمانا ابديا ، حسب العقيدة المسيحية . وبين هؤلاء مكان فرجيل نفسه ، على الرغم من الاحترام والحب العميقين اللذين كان يكنهما له دانتي ، واللذين كانا يكفيان للشفاعة له عنده لرفعه الى السماء ، لولا ان العقيدة الكاثوليكية لا تجيز له ذلك .

٣ ـ الحلقة الثانية ـ وفيها عبيد الشهوات الجسدية ، والفساق المتهتكون . وهم يتعذبون في الرياح العاصفـة الهوجاء التي يظلون يتشقلبون فيها ، ويدورون دورانا لا ينقطـع .

٤ ـ الحلقة الثالثة ـ وفيها الشرهـون والطمـاعون ، وعذابهم هو المطر والبرد المنصبـــان فوقهم ، يغمرانهـم بالوحول . ويحرسهم كلب اسطوري يدعى (تشربيروس) له ثلاثة رؤوس ، وهو لا يني يمزقهم بافواهه الثلاثة .

٥ ـ الحلقة الرابعة ـ وفيها البخلاء والمبذرون ، يقفون في صفين متقابلين يتعايرون ويتخاصمون بشدة ، وهـم يدورون ، ويرقصون ، ويصطـدمون بعضهـــم ببعض ، ويدحرجون الصخور الضخمة بصدورهم .

٦ ـ الحلقة الخامسة ـ فيها اهل الحقد والكراهيـة يتخبطون في مستنقع اسمه ستيجه Stige وهم يتضاربون بالرؤوس والصدور والاقدام والايدي ، ويمزقون اجساد بعضهم بعضا بالاسنان ، كما انهم يبتلعون وحول المستنقع وهم يكرعون من مائه القذر .

٧ ـ الحلقة السادسة ـ وفيها الهراطقة والملحدون في قبور تملأ مدينة اسطورية اسمها ديته Dite وقد جعلهـا دانتي بداية الجحيم الاسفل الذي ينزل فيه ذوو الذنوب الثقيلة ، وفيها يشتد العذاب اكثر منه في الحلقات الخمس السابقة التي تعتبر ذنوب اهلها اهون من سواهـا واقل عذابا . وفي هذه المدينة يجد دانتي ورفيقه صعوبـات كثيرة في الدخول ، فالشياطين تقف سدا في وجههما ، الى ان يهبط ملاك رحيم فيضرب الباب بصولجان في يده فيفتحه ، وتهرب الابالسة من وجهه ، ويدخل الشاعران المدينة . والقبور في هذه المدينة مشبوبة النيران ، تتعذب فيها ارواح الملحدين في قلب السنة النـار المندلعـــة ، وصراخهم لا ينقطع لحظة .

٨ ـ الحلقة السابعة ـ وهذه تنقسم الى ثلاث دوائر : في الاولى مرتكبو العنف ضد الاقربين ـ وفي الثانية مرتكبو العنف ضد انفسهم ، بالانتحار وبالتبذير ـ وفي الثـالثة المجدفون ، والمرابون ، ومرتكبو اللواط . ولكل نوع منهم اعذبته الرهيبة : فالاولون يفور بهم نهر الدم الغالي ، ويقف المينوتاورس الاسطوري ـ نصف انسان ونصف ثور ـ يقف غاضبا على باب هـذه الحلقـة ، والقنطروسات (وهـي مخلوقات اسطورية كذلك لها جذع الانسان وراسه ، واما بقية الجسد فجسم حصان حتـــى العنق منه) دائبـة الطواف بسهامها ، ترشق بها كل من يبرز رأسه من قلب نهر الدم الفائر ـ وهو ايضاً نهر اسطوري يدعى فليجيتونته Flegetonte ـ وتقـول الميثولوجيـــا اليونانية ان هـذه القنطروسات كانت تفعل كذلك حين كانت تخرج للصيد في حياتها الارضية .

واما النوع الثاني من المعذبين ، وهم المنتحرون والمبذرون فقد تحول المنتحرون منهم الى غابة من النباتات الجافـة تصيح وتولول من العذاب ، وتعشش فيها الطيور الخرافية التي تدعى هاربيس Arpic وهي مخلوقات لهـا رؤوس نساء واجسام طيور . ويقطع دانتي غصنا صغيرا من احدى الاشجار فيسيل منه الدم ، ومع الدم نحيـــب وتوسـل مريران . اما المبذرون منهم فانهم يجرون مسرعـين فـي قلب الغابة المولولة ، والكلاب الجائعة تعدو في اثرهم ، فلا هي تكف عن المطاردة ، ولا هم يعرفون الراحة والخلاص منهـــا .

واما النوع الثالث ، وهم المجدفون ، والمرابون واللوطيون فان السنة من اللهب تنزل على رؤوس المجدفين منهم كالمطر المتلاحق ، بينما يتعذب الاخرون بالمشي السريع المستمر دون راحة والنار في اثرهم ، ويتعذب المرابون منهم ، الذين ارتكبوا العنف ضد الطبيعة والفن ، بالجلوس الدائم على الرمال المحرقة وقد تدلت اكياسهم من اعناقهم . وقـد وقف دانتي يتحدث مع بعضهم بطلب من فرجيل .

٩ ـ الحلقة الثامنة ـ وهذه تنقسم الى عشر جيوب ، او خنادق Bolge تحتوي كل منها على طائفة من الخونة : ففي الجيب الاول منها القوادون ومستغلو النساء لاجـل الاخرين ولاجل انفسهم . وهؤلاء تشويهم سياط يجلدهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بها شياطين ذوو قرون مرعبة . وفي الثاني المتملقون والخداعون ، وهؤلاء غارقون في لجة عميقة مظلمة ، يتصاعد منها عفن كريه ، لانها ملأى بالغائط . وفي الثالث السيمونيون ، اي الذين اشتروا ـ او الذين باعوا ـ المقدسات والاشياء الروحية بالمال لا بالتقوى وعمل الخير . والسيمونية نسبة الى رجل كان يدعى سيمون الساحر ، وقد جاء الى القديسين بطرس ويوحنا ليبتاع منهما الروح القدس بالمال ، كما تشير الى ذلك اعمال الرسل . وهؤلاء السيمونيون رؤوسهم الى اسفل واقدامهم مرتفعة في الفضاء والنار تشتعل بها .. وفي الجيب الرابع الساحرون والمشعوذون ، وهم يسيرون الى الامام ووجوههم مقلوبة الى الخلف ، وبكاؤهم متواصل لا ينقطع . وفي الجيب الخامس المرتشون والمختلسون ، وهم يتعذبون في هوة ملأى بالقار الشديد الغليان ، والشياطين واقفون الوفا على جوانبها ليمنعوهم بخطاطيفهم الرهيبة من البروز فوق القار المغلي . وقد ارسل رئيس هؤلاء الشياطين ، واسمه مالاكودا ، بعض اعوانه لمرافقة الزائرين ، فسار دليل هؤلاء الشياطين المرافقين ، ويدعى بربارتشيا ، مخرجا من قفاه صوتا كصوت البوق يأتمر به الشياطين الاخرون . وفي الجيب السادس المنافقون والمتعصبون تجلل رؤوسهم قبعات مذهبة براقة الالوان ، ولكن باطنها من رصاص ثقيل ، وهم يسيرون ببطء شديد تحت ثقل ما يحملون على رؤوسهم . وهم يدوسون جميعا على جسد شيخ مصلوب على الارض بثلاثة اوتاد ، وهو يصرخ مستغيثا دون رجاء . وهذا الشيخ هو قيافا ، كاهن اليهود الاكبر الذي طالب بيلاطس بصلب المسيح . وفي الجيب السابع اللصوص ، وهم يجرون عراة والافاعي ملتفة حول اجسامهم تلدغهم وتعذبهم فيحترقون من لدغاتها وتتحول جثثهم الى رماد ، ثم لا تلبث أن تعود كما كانت ليستمر العذاب على هذه الصورة . وفي الجيب الثامن تندلع السنة لهيب لا عد لها من أجسام مشيري السوء ، وهم يسيرون بلهيبهم دون انقطاع . وفي التاسع يصطلي مثيرو الفتن الدينية ، والشقاق والحروب الاهلية ، والشياطين ماضية في تمزيق اجسادهم بشفار السيوف جزاء ما اقترفوه في حياتهم . وبين الهالكين واحد يحمل راسه بيده عاليا ويسير به كأنه مصباح يتدلى من يده ، وهذا الهالك هو شاعر التروبادور برتران دي بورن دي هوتفور ، الذي يقال انه أوقع بين ملك انكلترا هنري الثامن وابنه . وكل واحد من هؤلاء الهالكين مشوه بشكل ما : فاما مقطوع الحلق والاذن ، واما مجدوع الانف ، واما مقطوع اللسان ، او اليدين ، او غير ذلك من اعضاء الجسم ، مما دفع دانتي الى ان يهتف في مطلع نشيده الثامن والعشرين قائلا :

« اترى يستطيع انسان ، ولو بكلام منثور ، ان يصف الدماء والجراح التي رأيتها الآن ... وصفا وافيا ، مهما حاول ان يعيد القول ويكرره ؟! »

وفي الجيب العاشر المزيفون : مزيفو المعادن بالكيمياء ، ومزيفو اشخاصهم بالتنكر ، ومزيفو المال ، ومزورو الكلام . والالون يتعذبون بالجرب والبرص ، ويجري مزيفو اشخاصهم غاضبين حاقدين ، ينفثون حقدهم بالعض والنهش لكل من يصادفونه امامهم ، ويتعذب مزيفو المال بالعطش الدائم الى جرعة ماء ، ومزورو الكلام بالحمى اللاهبة والصداع الاليم .

بعد ذلك تأتي الحلقة التاسعة والاخيرة من الجحيم ، وهي مقسمة الى اربع مناطق ، يتعذب فيها الخونة والغادرون . وهذه الحلقة يحرسها مردة هائلو الاجسام كأنهم الابراج الضخمة :

١ ـ المنطقة الاولى ـ وتسمى منطقة قائين (قابيل) ، ويتعذب فيها من خانوا اقرباءهم ، فهم غارقون في الجليد ووجوههم مقلوبة الى اسفل . ويحمي هذه المنطقة مردة اسطوريون ممن غدروا بآبائهم من آلهة الميثولوجيا ، فعاقبهم آباؤهم عقابا صارما . ومن هذه المنطقة يتناول الماردانتيوس الشاعرين بيديه وينقلهما الى قرار الجحيم .

٢ ـ المنطقة الثانية ـ فيها الذين خانوا الوطن ، وهم غارقون في الجليد ووجوههم مقلوبة الى فوق . وفي هذه الحلقة رأى الشاعران رجلين يبرزان من بحيرة الجليد واحدهما منقض على راس الآخر ينهش جمجمته بنهم وحقد شديدين .

٣ ـ المنطقة الثالثة ـ فيها الذين غدروا بضيوفهم . وهم ممددون تحت طبقة من الجليد وعيونهم متجمدة .

٤ ـ المنطقة الرابعة ـ فيها الذين غدروا بمن احسنوا اليهم . وهم يتعذبون بالجليد يطمرهم طمرا تاما . وفي هذه المنطقة ، التي تدعى « حلقة يهوذا » ، نجد رئيس الشياطين (لوشيفيرو) الذي تقول التوراة في سفر التكوين انه قام بانقلاب على الله في السماء ، فزج به الله في اعماق الجحيم . وقد جعله دانتي ذا ثلاثة رؤوس ، وهو يمضغ في افواهه الثلاثة اجساد يهوذا ، وبروتس ، وكاسيوس : فيهوذا هو الذي باع معلمه المسيح الى اليهود ليصلبوه ، وبروتس قتل صديقه وامبراطوره قيصر ، وكاسيوس اشترك ايضا في المؤامرة على حياة صديقه وسيده قيصر . ولقد كان الشعر الذي على جسد لوشيفيرو من الضخامة بحيث استطاع الشاعران ان يتخذا منه سلما يتسلقان عليها ليخرجا من فجوة في الهوة الى خارج الجحيم .

والان قبل ان نبدأ (بعرض الصور) التي تمثل بعض هذه المشاهد نحب ان نشير الى ان هذا الجحيم الدانتي جحيم مسيحي مئة بالمئة ، وان تكن الميثولوجيا اليونانية والرومانية المستمدة من ملاحم فرجيل وهوميروس تسيطر الى حد غير قليل على جو الاناشيد الاربعة والثلاثين التي يتألف منها قسم الجحيم من الكوميديا الالهية . ونشير كذلك مرة اخرى الى ان النزاع السياسي في ايطاليا قد

ترك طابعه فيه كذلك ، ففي الجحيم الدانتي كثيرون جدا من رجال السياسة الايطاليين ورجال الكنيسة من عهد دانتي، وقد حدد الشاعر لكل منهم مكانه هناك وعقوبته ، ولاسيما في المناطق الاربع الاخيرة التي في اسفل الجحيم ، وفي اشد اماكنه عذابا . (وتلا ذلك عرض صور الجحيم) .

ونأتي الان الى المطهر الدانتي ، وهو جزء من عقيدة المسيحيين في العالم الآخر .

يختلف المطهر عن الجحيم في أنه مكان للتكفير والتطهر الآنيين ، يخرج منه المرء بعد مدة معينة وقد طهرت نفسه واصبح اهلا للسماء . اما الجحيم فهو مكان عقاب ابدي ، لا رجاء فيه ولا خلاص من عذابه .

وبينما كان دانتي في الجحيم ينحدر من فوق الى تحت نجده في المطهر يصعد من تحت الى فوق : فقد جعل المطهر جزيرة على شكل جبل شاهق مقطوع الراس ، تلتف حوله عشر دوائر تتسع في القسم الاسفل من الجبل ، وتضيق في القسم الاعلى .

بعد ان يخرج دانتي ودليله من ظلمات الجحيم يفرحان بالهواء المنعش ورؤية النجوم اللامعة في السماء . وعند اول المطهر يلتقيان بحارس المطهر ، وهو السياسي الروماني كاتو الذي مات منتحرا عام ٤٦ ق.م. ، فيسألهما هذا عن سبب مجيئهما ، وكيف استطاعا الهرب من الجحيم ؟ فيروي له فرجيل الحقيقة ، ويستحلفه بروح زوجته مارتسيا ـ التي يذكر فرجيل انها زميلته في الليمبس ـ ان يدلهما على الطريق لرؤية سائر اجزاء المطهر . فيدلهما كاتو على الطريق ، فيمضيان يصعدان فيه .

وتتألف جزيرة المطهر من قسمين : قسم ما قبل المطهر Anti-Purgatorio وهو يتألف من ثلاث طبقات ـ وقسم المطهر ، ويتألف من سبع دوائر . اما الطبقات الثلاث التي يتألف منها ما قبل المطهر فاولها الشاطىء ، ثم الطبقة الاولى التي يتطهر فيها الذين ماتوا محرومين من الكنيسة . وهؤلاء عليهم ان يقضوا في هذا المكان مدة تعادل ثلاثين ضعفا للعمر الذي عاشوه خارج سلطة الكنيسة . وفي الطبقة الثانية يتطهر المهملون ، اي الذين تهاونوا في الندامة على ذنوبهم الى آخر ايامهم ، والذين داهمهم الموت فاهتدوا الى الله في اللحظة الاخيرة فقط ، والذين شغلتهم الحروب او الاعمال الادبية او السياسية فلم يهتدوا الى الله الا في اللحظة الاخيرة من حياتهم . وهناك ايضا وادي الامراء وفيه يتطهر عدد من الملوك والامراء الذين شغلوا طوال حياتهم بالامجاد الدنيوية وتركوا امر الروح وعبادة الخالق الى اخر ايامهم . وجميع هؤلاء يقضون في ما قبل المطهر مدة تعادل عمر كل منهم على الارض .

ونأتي بعد ذلك الى قسم المطهر . لقد رقد دانتي قليلا قبل عبوره من قسم ما قبل المطهر الى المطهر ، فراى في الحلم نسرا عظيما يهبط من السماء فيحمله ويصعد به الى المطهر . فافاق من نومه مذعورا ، ولكن فرجيل اخبره بان القديسة لوشيا ـ وكان دانتي شديد التعبد لها ـ هي التي نزلت من السماء وحملته واوصلته الى المطهر .

اما الدوائر السبع التي يتألف منها المطهر الدانتي ، فهي موزعة كما يلي :

ـ ـ الدائرة الاولى ـ يتطهر فيها المتكبرون . وهم يسيرون ببطء شديد حاملين صخورا ثقيلة على ظهورهم ، وقد نقشت على الجدران صور تمثل التواضع المجد ، وعلى الارض صور اخرى تمثل الكبرياء المعاقبة .

٢ ـ الدائرة الثانية ـ يتطهر فيها الحساد جلوسا وهم ملتفون بمسوح حقيرة خشنة ، وقد خيطت رموشهم ، فبدوا كالمتسولين امام ابواب الكنائس . وهناك اصوات تتعالى صارخة بامثلة من المحبة المجدة والحسد المعاقب.

٣ ـ الدائرة الثالثة ـ ويتطهر فيها الغاضبون وهم يسيرون في قلب الدخان .

٤ ـ الدائرة الرابعة ـ يتطهر فيها الخاملون ، فيركضون صارخين متمثلين بامثلة من الدوافع المجيدة تستحثهم .

٥ ـ الدائرة الخامسة ـ للبخلاء والمبذرين . وهم ممددون على الارض مقلوبة وجوههم تحتهم .

٦ ـ الدائرة السادسة ـ للشرهين . وهم يعانون الجوع والعطش ، بينما تصك اذانهم اصوات تصرخ مذكرة اياهم بامثلة من الاعتدال المجد والشراهة المعاقبة .

٧ ـ الدائرة السابعة والاخيرة ـ للزناة . وهؤلاء يسيرون في النار وهم يصرخون متمثلين بامثلة من العفة المجدة والفجور المعاقب .

وهذه الدوائر السبع يرمز بها دانتي الى الخطايا السبع الرئيسية في اعتقاد الكاثوليك ، وهي الخطايا التي عاقب اصحابها في هذه الحلقات من المطهر .

حين وصل دانتي الى باب الدائرة الاولى من المطهر وجد هناك ملاكا يحمل سيفا . وحين علم الملاك بمهمته رسم على جبينه بطرف سيفه حرف (P) سبع مرات . وهذا هو الحرف الاول من كلمة Peccato الايطالية التي تعني (الخطيئة) ، وكلما غادر دانتي دائرة من دوائر المطهر سقط عنه واحد من هذه الحروف ، فما ان غادر الدائرة الاخيرة حتى كانت الحروف السبعة قد سقطت عن جبينه. ومعنى هذا انه قد طهرت نفسه من الخطايا .

بعد ان ينتهي الشاعران من رؤية سائر دوائر المطهر يصلان الى الفردوس الارضي ، وهو قمة المطهر التي تشبه الراس المقطوع . وهناك يبدأ الاحتفال العظيم بلقاء دانتي وبياتريشي ، وهو احتفال جدير بان نسجله ههنا لاهميته ، ولقوة الشاعرية التي املته . ويبدأ هذا الاحتفال بالنشيد السابع والعشرين ، ويصل الى ذروته في النشيد الثالث والثلاثين ـ آخر اناشيد المطهر ـ حين تتقدم ماتيلدا وتغمس دانتي في نهر أيونويه ، فاذا هو طاهر ومستعد

لدخول السماء مع فتاته بياتريشي . وفي ما يلي خلاصة الاحتفال :

عند صعود الشاعرين الى الفردوس الارضي تظهر ماتيلدا على ضفة نهر ليتي ، وتأخذ في وصف الفردوس الارضي الذي يشبه جنة عامرة بكل ما ينعش النفس ويبهج الخاطر من مجالي الفتنة ، بينما هي تقطف الوانا من الزهر العابق بالشذا الحلو . وتسمع ترانيم تصدح بغناء جميل ، ثم تظهر من بعيد سبع شمعدانات ذهبية تشع منها سبعة اضواء ملونة ، ويظهر اربعة وعشرون شيخا في ثياب بيضاء وعلى رؤوسهم اكاليل من الزنبق ، واربعة حيوانات مكللة باغصان خضراء ، ولكل منها ستة اجنحة في ريشها عيون، وجريفون ابيض ومذهب يجر عربة فخمة ذات دولابين ، وعلى يمين العربة ثلاث نساء يرقصن : احداهن بملابس بيضاء ، والثانية خضراء ، والثالثة حمراء ، واربع نساء يرقصن على شمالها ، ولرئيستهن ثلاث عيون . وهناك شيخان يرتدي احدهما ثياب طبيب ، والثاني يحمل سيفا، واربعة شيوخ آخرون مظهرهم وضيع ، وشيخ نائم بادي الذكاء . وينهض من العربة مئة ملاك . ثم تظهر بياتريشي في وسط سحابة من الورد المتناثر حولها وبين اهازيج الموكب . ويهتف احد الارواح ثلاث مرات : « هلمي ياعروسا من لبنان» ، فتردد بعده هتافات اخرى : «مباركة الآتية» .

في هذه اللحظة يكون فرجيل قد توارى مثلما ظهر من قبل ، دون ان يحس به دانتي . وتقف بياتريشي في وسط العربة تقول لدانتي أن لا يجزع لفراق فرجيل ، ثم تأخذ في تأنيبه على انغماسه في الاثم بعد موتها . فيعترف لها دانتي ، ويعرب عن توبته عن كل ذنوبه . وعند ذاك تتقدم النساء السبع اللواتي على يمين العربة وشمالها فيقدنه حتى يصبح امام العربة ، فيضرعن الى بياتريشي ـ التي كانت ما تزال تخفي وجهها خلف حجاب ـ ان ترفع الحجاب عن وجهها ، فترفعه . وتتقدم ماتيلدا فتغمس دانتي في نهر ليتي فيطهر من ذنوبه كلها .

وتمضي العربة في وسط الموكب الى شجرة باسقة غير ذات اوراق ولا ازهار ، فيربط الجريفون ـ وهو حيوان عظيم له رأس نسر وجناحاه وبقية جسمه أسد ـ العربة الى ساق الشجرة فتكتسي الشجرة حالا بالاوراق والنوار وفي تلك الاستراحة يغفو الشاعر ، ثم يصحو فيرى بياتريشي جالسة عند جذع الشجرة المنورة ، ومن حولها النساء السبع يحملن الشمعدانات السبع ، اما الجريفون ورفاقه فقد تركوا العربة وصعدوا الى السماء . وينقض نسر من اعلى الشجرة على العربة فيشدخها هي والشجرة معا . ثم يهجم ثعلب على العربة فتطرده بياتريشي . ويعود النسر فينقض من جديد ، ويلقي ريشه على العربة والشجرة معا . ويهتف صوت من السماء : « ما اكثر ما تحملين من الشرور يا سفينتي ! » . ويخرج من الارض تنين فيقتلع العربة ويمضي بجزء منها ، واما الجزء الباقي فيغمره الريش الساقط من النسر ، وتتحول العربة الى وحش ذي سبعة رؤوس مختلفة القرون ، وفي اعلاه تظهر امراة فاجرة وعملاق يأخذ في هزها وتقبيلها بعنف ، ثم يفك العربة من الشجرة ويجرها حتى يختفي بها في وسط غابة . وتنهض بعد ذلك ماتيلدا فتغسل دانتي في نهر ايونويه ، فيصبح طاهرا ومستعدا لدخول السماء . ولا تصبح النفس مهيأة لدخول السمآء الا بعد ان تغتسل بنهر ليتي اولا ، لتسقط عنها الخطايا ، ونهر ايونويه ثانيا ، لاكتساب الاهلية لدخول السماء .

واذا كانت الكوميديا الالهية ملأى بالرموز الدينية ، فان هذا القسم منها رموز كله : فبياتريشي ـ كما اسلفنا ـ رمز الحكمة الالهية ، والعربة هي الكنيسة الكاثوليكية ، والجريفون هو السيد المسيح الذي يقودها ، والشجرة التي ربطت اليها العربة هي شجرة معرفة الخير والشر ، والحوريات السبع الراقصات من حول العربة هن الفضائل الكبرى السبع ، اي (الايمان ، والرجاء ، والمحبة ، والحكمة ، والعدالة ، والقوة ، والقناعة) ، والشيوخ الاربعة والعشرون رمز لكتب العهد القديم التي تتألف منها التوراة ، وتكرر انقضاض النسر على العربة لتدميرها رمز الى الاضطهادات التي توالت على الكنيسة ، والثعلب الهاجم عليها هو رمز الهرطقات الدينية ، والتنين الذي اقتطع جزءا من العربة هو الجشع الانساني ، او هو الانشقاقات الدينية التي ابعدت كثيرين عن الكنيسة الكاثوليكية ، والوحش ذو السبعة الرؤوس ـ وهو من اثر رؤيا القديس يوحنا ـ هو الخطايا الرئيسية السبع ، والحيوانات الاربعة التي من حول الجريفون رمز الى الانجيليين الاربعة ، وهذه الحيوانات هي ، الاسد ، والعجل والنسر ، والرابع حيوان له وجه انسان ـ وما تزال الكنيسة الكاثوليكية الى اليوم ترمز بها الى الانجيليين الاربعة ، وهي في الاصل مأخوذة من رؤيا حزقيال في التوراة ـ والشيخ النائم رمز الى يوحنا الانجيلي ذي الخيال المحلق في رؤياه ، والنوم هنا رمز للرؤى والخيالات .

وجدير بنا ان نذكر ههنا ان هذا القسم من الكوميديا هو اكثر اجزائها تأثرا برؤيا القديس يوحنا ، وبالتوراة ، ولا سيما رؤيا النبي اليهودي حزقيال . واذا كنت قد اشرت في العبارات السابقة الى بعض هذا الاثر فاحب الان ان اضيف اشارة اخرى الى ان الشيوخ الاربعة والعشرين الذين ورد ذكرهم في موكب بياتريشي هذا ، قد ورد ذكرهم كذلك في رؤيا يوحنا اذ جاء انهم يحيطون بعرش الله ، والاجنحة الستة التي لكل من الحيوانات الاربعة ورد ذكرها كذلك في الرؤيا ، كما ورد ذكرها في رؤيا حزقيال ايضا ، الا ان هذا جعلها اربعة فقط ، بينما جعلها يوحنا ودانتي ستة . ودانتي نفسه يشير الى ذلك في النشيد التاسع والعشرين من المطهر ، فيقول :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« واقتربت الحيوانات الاربعة ، وكل منها متوج باغصان خضراء ـ ولكل منها ستة اجنحة ـ وريشها مملوء بالعيون ولو كانت عيون آرغوس ما تزال حية ، لما كانت الا مثلها».

(وارغوس هو حيوان اسطوري اقامته الالهة يونون رقيبا على « آيو » التي كان زوجها الاله جوبيتر يحبها . وكان لهذا الحيوان مئة عين ، ثم خدعه الاله عطارد وقتله، فنقلت يونو عيونه الجميلة الواسعة الى ذيل الطاووس ، كما يقول اوفيد) .

ويضيف دانتي بعد ذلك قائلا :

« وفي وصف اشكال هذه العيون لن انظم المزيد من القوافي ، يا قارئي ، لان هناك امورا اخرى تحتاج الى قوافي ـ فليس في وسعي ان اتوفر على هذا وحده ـ ولكن عد الى حزقيال الذي رسمها كما رآها قادمة من البلدان الباردة ـ مصحوبة بالرياح والضباب والنار ـ وكما تجدها في اوراقه ، كذلك كانت لدي ـ الا ان يوحنا يتفق معي حول ريشها ويختلف عنه » .

ولست اريد ان اطيل في هذه الرموز وهذه المقارنات ، فهي في الواقع تحتاج الى توفر اكثر على البحث الطويل، وعلى التوسع في التحليل والمقارنة ، وليس هذا مكان كل ذلك . فلننتقل اذن الى وصف اقسام الفردوس لنعرف كيف اقامه دانتي في كوميديته .

حين ننتهي من المطهر نعود فنرى دانتي مع بياتريشي في الفردوس السماوي ، وهي تقوده من سماء الى سماء. وقد صور دانتي الفردوس في شكل تسع سموات ، يليها صدر الجنة ، او ما نستطيع ان نسميه «عليين» Empireo ويظهر في شكل وردة ناصعة ثم تسع حلقات من النور والاجواق الملائكية ، في وسطها الخالق ، تسجد له الاجواق جميعها وتسبحه مدى الدهر .

ولا بد ان نذكر ههنا أن الحب البشري قد انتفى انتفاء تاما في الفردوس ، فلم يعد دانتي يستطيع ان يشعر بغير لذة الحب الالهي الذي ملأ قلبه، واصبحت بياتريشي رفيقا سماويا مقدسا يشترك معه في النعمة الروحية الالهية التي هي وحدها مصدر السعادة والنعيم في السماء . ومن هنا كان فردوسه مسيحيا صرفا ، حسب العقيدة اللاهوتية المسيحية التي تعتبر الله كل شيء في الفردوس السماوي ، وتنفي كل معنى للذة دنيوية .

اما السموات التسع فهي كما يلي :

١ ـ سماء القمر ـ وفيها الارواح التي لم تكمل نذورها على الارض ، ومعها طبقة الملائكة ، وجميعها ترى صورها منعكسة في مرايا بلورية ، او على صفحات الماء .

٢ ـ سماء المشترى ـ وفيها الارواح العاملة النشيطة التي صنعت الخير لاجل المجد والشهرة ، ومعها كذلك طبقة رؤساء الملائكة . وجميعهم يبدون هالات من نور ترقص وترنم .

٣ ـ سماء الزهرة ـ وفيها ارواح المحبين ، وطبقة امراء الملائكة . وجميعهم يرنمون وهم يدورون في حلقات كذلك .

٤ ـ سماء الشمس ـ وفيها الارواح الحكيمة ، ومعها طبقة القوات من الملائكة . وهم يرقصون على شكل اكليل ثلاثي .

٥ ـ سماء المريخ ـ وفيها الارواح المجندة ، او المحاربة لاجل الدين ، ومعها طبقة الفضائل من الملائكة . وكلهم جواهر ترقص وترتل على شكل صليب مضيء .

٦ ـ سماء عطارد ـ وفيها الارواح العادلة ، وطبقة السلطات من الملائكة . وهم يرتلون طائرين في شكل حروف ثم في شكل نسر .

٧ ـ سماء زحل ـ وفيها الارواح المتأملة ، ومعها طبقة العروش من الملائكة ، وهم يتحركون على طول سلم ذهبية صعودا ونزولا مسبحين الله .

٨ ـ سماء النجوم الثابتة ـ وفيها الارواح المنتصرة ، وطبقة الكروبيم من الملائكة ، وهم انوار مستمدة من شمس ساطعة شديدة الضياء .

٩ ـ السماء الاولى ـ وفيها اجواق ملائكية ، وكذلك طبقة السارافيم من الملائكة .

وبعد ذلك تأتي الوردة الناصعة ، او عليون ، وتسع حلقات من نور تتالق فيها اجنحة الملائكة التي تدور ساجدة حول العرش تسبح الخالق وتمجده دون انقطاع .

وفي طواف دانتي وبياتريشي في هذه العوالم السماوية يلتقي دانتي بموكب السيد المسيح ووالدته ، وبرئيس الرسل بطرس ، والرسل الاخرين ، ويتوقف ليتحدث معهم طويلا عن الكنيسة ، وعن بعض رعاتها الذين لم يحسنوا اداء رسالتهم . ويلتقي كذلك بكثيرين من القديسين والصالحين ويتحدث معهم . وكلما تقدم دانتي ورفيقته كان النور يزداد بهرا لعينيه ، وتزداد بياتريشي تألقا وضياء كلما ازدادت قربا من عرش الجلال الالهي . وفي النشيد الثلاثين من الفردوس تكون قد بلغت من البهاء ما يتجاوز كل حدود الوصف ، وفي النشيد الحادي والثلاثين تتوارى عن عيني رفيقها لتمضي فتحتل مكانها في الوردة الناصعة، وترسل القديس برناردوس ليدل دانتي على مكانها، وليتابع له الشروح التي يريدها ، بعد ان تكون قد حققت له الوصول الى العرش ، والاقتراب من السناء الالهي . وينتهي جزء الفردوس بالنشيد الثالث والثلاثين .

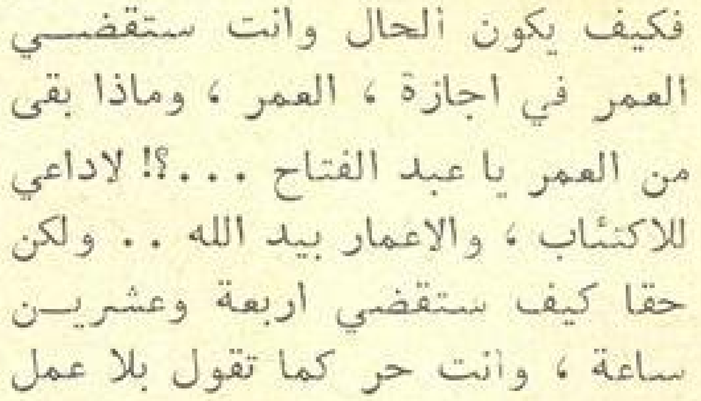
لقد بلغت اناشيد الكوميديا الالهية في مجموعها مئة نشيد : اربعة وثلاثون للجحيم ، وثلاثة وثلاثون لكل من المطهر والسماء .

عمان

عيسى الناعوري

المعاش

بقلم احمد محمد عطية



اربعون عاما مضت بعبد الفتاح في العمل الحكومي ، وابيضت الشعيرات في الراس ، وارتفع المرتب قليلا ، وتهدم الجسم يا عبد الفتاح ، تهدم كمبنى هذه المحكمة التي تنهى فيها ايامك الاخيرة قبل المعاش ... عد يا عبد الفتاح كم شهرا وكم يوما وكم ساعة بالضبط باقية على فك اسرك من هذا المكتب ، اليوم لم يبق سوى سبعة اشهر وعشرين يوما ... وكم ساعة أيضا ، ثم تصبح بلا عمل ، بلا وظيفة ، لن توقع بامضائك على الورق مرة ثانية الا في اول كل شهر ، لن تركب اوتوبيسات القاهرة المزدحمة وتتهرأ ملابسك ، اكثر مما هي بالفعل ولن تطاردك الساعة الالية اللعينة التي تضبطك وتحضرك الى مكتبك رغم انفك ، ولن ترفع غطاء الدفء في صباح الشتاء القارس ، وتبعدك عن احضان الزوجة الصغيرة الحلوة ... لن يتابعك رئيسك بالقفشات كلما سرقت النظرات الى النساء المترددات على المحكمة ، وعبثا تقول له ان «الله جميل يحب الجمال» ... بالجملة ستسترد حريتك التي فقدتها طوال اربعين عاما من الزمن ، ما اكثر ما حلمت بهذا اليوم ، حين تملك وقتك وتفعل ما تريد ، ... ولكن ماذا تريد بالضبط ... ؟! لا شيء ... لا شيء اكثر من الراحة ، بلا قيود ، بلا مواعيد ولا رؤساء ، بلا تقارير ولا درجات ولا علاوات ... ولكن هذا الشاب الجالس الى جوارك ، الفرح بوظيفته ، الدؤوب كالنمل على عمله ، لا يكف عن هذا السؤال اللعين ، «ما مشروعاتك يا عبد الفتاح بعد المعاش» .. مشروعات .. اي مشروعات ، كأنما ستبنى هرما ، كفاك مشروعات ، لا شيء اطلاقا ، اكثر من اللقمة الحلوة والزوجة الشابة ، وفنجان القهوة ، وبضع زيارات للاهل والاحباب . لا شيء اكثر من البعد عن هذه السجلات المتربة الصفر ، بعيدا عن هذه المحكمة بمحترفي التقاضي ، وبالذين يقعون في آمال المحامين الفضفاضة ، بعيدا عن الخسارة والمكتب التي يلقاها الناس من هذه المحكمة .. هذا كل ما تريد ، الراحة .. لا اكثر ولا اقل .. ويعاود الشاب سؤاله في الحاح ، ولكن .. وما بعد الراحة يا عبد الفتاح .. في كل يوم ستقتحم عليك شمس الضحى خمولك ، ثم تجلس بين الاطفال والنساء ، وتمر الساعات بطيئة طويلة ، الرجال في عملهم ، والنساء في شئونهن المنزلية ، والاطفال في مدارسهم ، وانت اين مكانك بعد الستين ؟ ستأتي الشمس وتذهب وانت كما انت ... حقا اصبت يا عزيزي ، انها مسألة صعبة ... اذا قضيت يومك في البيت مع الزوجة ، ستثور عشرات الخلافات وهل نسيت يا عبد الفتاح ، كل اجازاتك التي امضيتها في البيت كانت مشحونة بالمعارك ، اية مسألة بسيطة كانت تحول البيت الى جحيم فكيف يكون الحال وانت ستقضي العمر في اجازة ، العمر ، وماذا بقى من العمر يا عبد الفتاح ...؟! لاداعي للاكتئاب ، والاعمار بيد الله .. ولكن حقا كيف ستقضي اربعة وعشرين ساعة ، وانت حر كما تقول بلا عمل ... ولا قيود ... ما اغربه سؤال ، وما أشدها مشكلة ...

وازاح عبد الفتاح السجلات الباهتة من امامه ، ورفع رأسه لاعلى ، الى النافذة ذات القضبان الحديدية ، واشعة الشمس تندفع من بينها ، بينما تتعارك ذرات الغبار داخلها ، وكأنما تغتسل هذه الحجرة المهدمة الهابطة الى ما تحت مستوى المارة ، بحيث تعرض نافذة « البدروم » هذه ، فيلما يوميا لارجل وسيقان مختلفة ، « قطاع هام من جسم الانسان » ، كما اعتاد عبد الفتاح ان يقول كلما مرت انثى من خلال هذه القضبان البانورامية .. العمر يمر امامه كشريط سينمائي ، السنوات ما اسرع ما جرت .. طفت البلاد من شرقها الى غربها ، وخالطت الوانا شتى من الناس ، في قرى الصعيد كنت كخيال المآتة الذي يخيفون به الطير ، كانوا يستخدمونك في تهديد المتأخرين عن سداد التزاماتهم ، كنت « محضرا » تجلب الخراب اينما حللت ، وتركت هذا العمل الذي يهين ضميرك ... ثم ذهبت تحسب ما يشربه الناس من دماء ، وتحاسبهم عليه ... حتى الماء يا عبد الفتاح اصبح له ثمن في هذا الزمن ... وكم دخلت بيوتا وكم رأيت جمالا وحسنا ... ولكنك لم ترض بحساب الماء ولا ببيعه .. فعدت الى اعمال المحاكم ، بلا حجز ، ولا خراب ، تسطر بقلمك مشاكل الناس وتتركها للعدالة ، تقرر فيها ما تراه ... كم تنقلت بين مدن واحياء وقرى ... من شارع زين العابدين الفاص بزوار السيدة زينب في القاهرة ... الى جوار مياه الانفوشي بالاسكندرية ... الى جمال نساء حي الحسينية بالمنصورة ... وطوال كل ذلك كنت مثال الاعزب المخلص ... حتى بدا لك ان الشباب ينذر بالرحيل ، وازداد الحنين الى من يؤنس وحشتك ، ويترك علامة لك على مجرى تاريخ الانسانية بالخلف الصالح ... فتزوجت هذه الشابة الحلوة ، ولم تبال بعشرين عاما من الزمن تباعد بينكما كلما اوغل الزمن في المسير ؟!... وجاء الخلف الصالح بعد طول انتظار ، وصار نبيل شغل البيت الشاغل ... وهذه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عليلة الورد

كنت معي في النارفي الكوثر ... تجسدي كالموسم الاخضر
ما سمرت أرضي مدى نشوة ... لو لا سطوع منك في المضمر
حلمت ان طارت بنا مقلة ... فجرية ، حطت بلا محجر
خرجت منها نيزكا مائجا ... ملء جفون العالم الانضر
من قمة ، نطفر فوق السنى ... زورقنا ارجوحة العنبر
وتخطرين نسمة الهبت ... بحارة الاولمب والمشتري
اخصبت عينيك فلي موعد ... اي شعاع فيك لم يزهر
زنبقتي ، قلبي زهرية ... والحب، ما نحن، حاول طري
للورد من عطرك اسطورة ... يعزفها الجدول للانهر
حاك على الثغر وريقاته ... فبرعم اللون الخضيب الثري
وعندي الطيب شراع له ... مركبة الاضواء والسمر
بعثت غب رحلتي في الثرى ... سهما لروحي شك في الاعصر
يا ضلعي الشرود ان ترحلي ... عن جعبة الانوار تستهري
تهت وتهت امس عبر الغوى ... عبر الرؤى في شاطىء احمر
اعراقنا جفت وهذي يدي ... بين يديك هيكل المرمر
مطارك الازرق احلامنا ... ساحت بنا الدنيا ولم يقفر
تبارك الحب بذورا حوت ... نيران صحرائي على يبيدري
قارورتي أنت اسكبي مهجتي ... ما يطلع الاعراس في الاحجر

موسى المعلوف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مسألة اخرى ، أن العمر ينتهي ياعبد الفتاح وابنك لا يزال يدرس الالف والباء ...

ومر عبد الفتاح بيده على الشعيرات القليلة البيضاء في راسه ، ونهض من مجلسه ، واصلح من وضع الحمالة على كتفيه ؛ واعاد رباط عنقه الى مكانه وسط قميصه ، وارتدى معطفه وخرج مع الخارجين بعدما انتهى اليوم الوظيفي، والناظر الى وجهه يستطيع ان يلمح بروز مشكلة المعاش على ثناياه الكثيرة، وبدت النقطة البنية في خده وكانما تنتفض قلقا على مصير ذلك العجوز ، وتعلق بحديد الاتوبيس واخرج بيد معروقة قطعة معدنية لزجة دسها في يد المحصل ، ثمنا لحمله الى آخر القاهرة ، واخذ الاوتوبيس ينهب الارض، وافكار عبد الفتاح القلقة تنهش راسه ، ولكن هل يسأل زوجته المشورة كما اعتاد ان يفعل كلما لاقته الصعاب ... لا ، انه يعرف رايها مقدما ، ان يخرج في كل صباح يزور اضرحة اولياء الله التماسا للبركة ، حتى يؤذن لصلاة الظهر فيؤديها ويعود الى منزله ... وكان هذا من بعض خططه ، ولكن هل تنقضي الحياة على هذا النحو ؟!... الدنيا تتغير يا عبد الفتاح ، ولولا انها تغيرت لما اقلقك مصيرك بعد المعاش ، ولفعلت كما يفعل كل الزملاء، فجلست الى المقهى تلعب النرد ، وما احلى « البولة » عندما يشترك زملاء المعاش في لعب الطاولة ، والمنتصر يستمر، وانت تصول وتجول وتطالبهم بسخريتك المعتادة ان يقرءوا كتابك في لعبة النرد ... لا ولا هذا ايضا يعجبك ويرضيك يا عبد الفتاح ، انها لعبة مسلية جميلة ، لا عملا لباقي العمر.

واخلي مكان في الاوتوبيس فسارع بالارتماء فيه ، الله ما احلى الراحة بعد طول التعب ... ما الذ الراحة بعد العمل ، بلا تعب لا يكون طعم للراحة يا عبد الفتاح ، والزمن تغير تماما ، و « العمل حق ، العمل واجب العمل شرف ، العمل حياة » ... ولكن اي عمل يناسبك بعد الستين يا عبد الفتاح ، أنظر الى شبابك يا عبد الفتاح تذكر كيف قتلت الوظيفة هوايتك الجميلة، الرسم... وابتسم عبد الفتاح كأنما وجد ضالته، وكفت النقطة البينة في خده عن الانتفاض وانفرجت اساريره ما اجمل ان تحمل لوحتك وفرشاتك ، تنقل الطبيعة بالوانها الرائعة الى اللوحات ، ما اجمل العمر الطويل هكذا ياعبدالفتاح ووصل الاوتوبيس الى مرماه، فهبط عبد الفتاح مع الهابطين ، كائنا آخر، نشيطا مبتسما متفائلا ...

اهرام الجيزة **احمد محمد عطية**

الضباب في الصيف

الصيف يعدو حافيا في حقول الرماد
الصيف يعدو وانا اعدو وراءه
اينها الظلال.. انني احترق
الي بالماء
قطرة ماء واحدة .. وينتهي المي
ان جرحي يفتح فمه هكذا .. ويصرخ
بماذا يحا م الاطفال والقديسون
وماذا تخبىء العاصفة
اينها الشواطىء الارجوانية
لمن تقرع الطبول

ظلي يعدو ...
وانا اعدو وراءه في الحقول
وها هو غارق بالضباب
وجرحي يفتح فمه
والعاصفة تهب

القاهرة هند نوري

ذي الاطواق المنشاة . والى صورة الملك ريتشارد قلب الاسد وهو في درعه وليس في لباسه الخاكي . نقول ان نظرتنا الى تلك الصور تنسينا ان اردیتهم تلك انما كانت اردیتهم العادية . وتجعلنا نظن انهم كانوا قوما من الاعداء غير المألوفين لنا بل تجعلهم شخوصا غريبة شاذة . وهذا يكاد ان يكون امرا غير مقبول ذلك لانك لو نظرت الى صور قديمة لاصحابك وهم يرتدون ملابس تتفق والزي الذي كان سائدا منذ عشر او عشرين سنة اذن لحسبتهم كذلك قوما من الغرباء .

ان الزمن هو الذي يحيل الملابس ـ ملابس الاحقاب التي خلت ـ الى ازياء تنكرية . اما السيرة التي اجيد تأليفها فأنها تستطيع ان تمحو صور العصور والازمان فترينا « ابراهام لنكولن » وترينا « جان دارك » وكأنما يمشيان على الارض بيننا . ونحن نقرأ سيرتهما . وكذلك ان من يقرأ ترجمة صادقة لحياة « ليوناردو دافنشي » الفنان الايطالي ١٤٥٢ ـ ١٥١٩ ويصور « مونا ليزا » (الجيوكوندا) لا يستطيع ان يظن يوما ان ايطاليا في عصر النهضة قد كان يسكنها اقوام يرتدون اردية لا تخطر بالبال .

ان السيرة تقرب لنا ما مضى من الازمان كما تجعل الاقوام الماضين يقفون على مرأى ومسمع . وهي كذلك تجعل الدنيا تبدو اكثر انفساحا في الرقعة كما تجعلها مكانا صالحا للسكنى .

وهناك ميزة اخرى من ميزات قراءة تراجم الحياة . وتلك هي انها تزيد من احساسنا بالاستمتاع بالاشياء التي لا علاقة لها مطلقا بالكتب فأن عملية بسترة اللبن لتبدو لنا اكثر فائدة اذا عرفنا شيئا عن ذلك الرجل المثابر المجد « لويس باستير » (١٨٢٢ ـ ١٨٩٥) .

وكذلك فأن عنصر الراديوم يصبح اكتشافا اكثر اثارة للاعجاب اذا عرفنا أن امرأة صغيرة كانت ترتدي السواد اسمها « مدام كوري » قد كافحت كفاحا عنيفا في سبيل الكشف عن الراديوم .

ان اشياء كثيرة تبدو اليوم وكأنها من الكواكب الثوابت قد ولدت بعد كفاح عنيف وبعد التعرض لضروب عديدة من الخيبة والفشل .

أن ابراهام لنكولن ١٨٠٩ ـ ١٨٦٥ كان يظن انه انما ادى عملا هزيلا تافها يوم القى في شهر نوفمبر من عام ١٨٦٣ خطبته المشهورة في مدينة جيتسبرغ وهو يدشن المقبرة القومية في تلك المدينة عقب المعركة التي نشبت هناك .

والشاعر جون كيتس ١٧٩٥ ـ ١٨٢١ قد مات وهو يظن ان اسمه لن يذكر ابدا . والف بيتهوفن ١٧٧٠ ـ ١٨٢٧ اشهر مقطوعاته الموسيقية بعد اصابته بالصمم . وكتب الشاعر ملتون ابدع قصائده بعد ان كف بصره وبات اعمى .

ان الاقوام الذين يستحقون ان يخلدوا هم اولئك الذين لم يعرفوا طعم الاستسلام . وان ترجمة صادقة لحيواتهم لتكشف للناس عن مصادر بطولاتهم . انهم في ظاهر امرهم . وانهم في نظر اصدقائهم يبدون وكأنهم اقوام عاديون . وان السيرة الصادقة لتبدي لنا السر في هذا الاشعاع الذي يبهر الابصار . وحتى في حالة شكسبير الذي لا تقوم اية علاقة بين سيرته وبين الفرحة التي يحسها اي قارىء وهو يقرأ رواياته .

ان ترجمة صادقة لحياة شكسبير لتبعث في نفوسنا رغبة صادقة في ان نعرف شيئا منه بوصفه رجلا من الرجال يأكل الطعام ويمشي في الاسواق .

ان كثيراً من الناس الذين عاصروا شكسبير لم يكونوا يحسنون الظن برواياته بحجة ان تلك الروايات كانت ترضي اذواق الدهماء . وكان الرأي السائد في ذلك الزمن أن الروايات الجيدة هي التي ترضي اذواق القلة من الصفوة المختارة .

ان السيرة التي احسن تأليفها تقرب الماضي وتجعله حقيقة واقعة . ثم تهيء لنا دنيا واسعة نعيش بين ارجائها كما تصور لنا ابطالا نستطيع ان نتخذهم اخوانا لنا واخدانا ثم انها تعود بنا الى ذلك الزمان الذي انقضى حتى لنستطيع أن ننشىء صداقات ليس مع الاقوام الذين من حولنا وحسب بل كذلك مع سائر الاقوام الذين عاشوا في ثنايا التاريخ والذين جعلوا من هذه الدنيا مكانا يستحق ان يعاش فيه . وان يكون مثابة للناس وامنا .

القاهرة **مبارك ابراهيم**



الدكتور محمد حاج حسين

قيس بن الخطيم

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

قالت الرواة : حدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس في مجلس ليس فيه الا خزرجي ، ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم :

أتعرف رسما كاطراد المذاهب لعمرة وحشا غير موقف راكب

فانشده بعضهم اياها ، فلما بلغ الى قوله :

أجالدهم يوم الحديقة حاسرا كأن يدي بالسيف مخراق لاعب

فالتفت اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « هل كان كما ذكر ؟ » فشهد له ثابت بن قيس بن شماس، وقال له : والذي بعثك بالحق يا رسول الاله ، لقد خرج الينا يوم سابع عرسه ، عليه غلالة وملحفة مورسة، فجالدنا كما ذكر .

ونشأ قيس بن الخطيم في يثرب ، قتل جده وابوه ، فعمدت امه الى كومة من التراب ، فوضعت عليه احجارا ، وجعلت تقول لقيس : هذا قبر ابيك وجدك خشية عليه ان يقتل في طلب الثار .. واخيرا عرف الحقيقة ، واستطاع ان يثأر بابيه وجده في حديث طويل روته كتب الادب دل على شجاعته وبأسه الشديد .

ونبه شأنه بين قومه وتجمعت فيه المكارم العربية ، فهو فارس الاوس الذي يخوض الغمرات في قتالها المرير مع الخزرج ، وهو الشاعر الذي يسجل هذه الايام في شعر يتقد حماسة ، ويصمد في عنف وقوة لشاعري الخزرج : حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ينقض قصائدهما ، مزهوا بقومه واعمالهم الماجده . وهذا حسان بن ثابت يستعين عليه بالخنساء ، ويقول لها : « اهجي قيس بن الخطيم » : فقالت : « لا اهجو احدا ابدا حتى اراه » : قال : فجاءته يوما ، فوجدته في مشرقة ملتفا في كساء له، فخنسته ، وقالت : قم ، فقام ، فقالت : ادبر فادبر ، ثم قالت : اقبل ، فاقبل . قال : والله تعترض عبدا تشتريه، ثم عاد الى حاله ثانيا ، فقالت : والله لا اهجوا هذا ابدا .

وهل تستطيع ان تهجوه ، وهي امراة قبل كل شيء تتصباها الرجولة الرائعة التكوين ؟. وقيس كان اجمل فتيان عصره ، ما رأته خليلة الا فتنت به ، وذهب بعقلها ، فقد كان مقرون الحاجبين ، ادعج العينين ، احمر الشفتين ، براق الثنايا كأن بها برقا ، يلتمع في اهابه الشباب الدافق، وتفيض منه حيوية تسبه لب النساء .

وكانت حياته قصيرة امضاها في نضال مرير ، فقد كانت الحروب مستعرة بين الاوس والخزرج ، ودفع قيس حياته ثمنا لهذه الايام المكفرة ، فقد خرج عشية من منزله يريد مالا له خارج يثرب ، ومر باطم بني حارثة ، فرمي من الاطم بثلاثة اسهم ، فوقع احدها في صدره ، فصاح صيحة سمعها رهطه ، فجاءوا ، فحملوه الى منزله ، وهو مضرج بدمه .. غير ان قومه الاشاوس ابوا الا ان يثأروا به قبل ان يغمض الموت عينيه ، ولم يروا له كفوءا الا ابا صعصعة يزيد بن عوف بن مدرك النجاري ، فاندس اليه رجل حتى اغتاله في منزله ، فضرب عنقه ، واشتمل على راسه فاتى به قيسا ، وهو في آخر رمق ، فالقاه بين يديه ، ونظر اليه بعينين كسيرتين ، ووميض فيهما بريق خافت ، ثم اطبق عينيه ، وعلى شفتيه بسمة راضية .. وكان مقتله قبل الهجرة .

* * *

شعر قيس بن الخطيم غناء محض يهتف به ليعبر عن خوالجه وسوانحه ، فلم يجعل شعره وسيلة للكسب فعل خصمه حسان بن ثابت ، وليس في شعره سوى ابيات قالها يمدح بها خداش بن زهير صديق ابيه الذي اعانه على الثار ، فهي اعتراف بالجميل لهذا السيد العربي الذي ساعده حتى نقع غلته من قاتلي ابيه وجده ، فمن الطبيعي ان يتغنى قيس بهذا النصر :

ثأرت عديا والحطيم فلم اصنع ولاية اشياخ جعلت ازاءها

فشعره اغنية مثلت شخصيته ، فهو بطل موكل في الحرب ، يقذف نفسه في غمارها لا يرهب الموت ، وليس له من هم سوى اجتياح الاعداء :

واني في الحرب الضروس موكل باقدام نفسي ما اريد بقاءها
اذا سقمت نفسي الى ذي عداوة فاني بنصل السيف باغ دواءها
متى يأت هذا الموت لا تبقى حاجة لنفسي الا قد قضيت قضاءها

وهو تياه ببأسه ، وبأس قومه المساعير ، فالفضاء ملكهم:

ان الفضاء لنا فلا تمشوا به ابدا بعالية ولا بذنوب

وتتجلى في قيس روح الفروسية ، فهو لا يثير الحرب

قبل ان يثيرها اعداؤه ، حتى اذا هموا بها قذف نفسه بها غير هياب ولا وجل :

وكنت امرءا لا ابعث الحرب ظالما ... فلما ابوا اشعلتها من كل جانب
أربت بدفع الحرب حتى رأيتها ... عن الدفع لا تزداد غير تقارب
فاذ لم يكن عن غاية الموت موقع ... فاهلا بها اذ لم تزل في المراحب

والشجاعة مقرونة دوما لدى الكربي بالكرم ، واصطناع المعروف ، واغاثة الملهوف . وقيس بن الخطيم وفي لهذه المكارم التي اتخذها العرب مثلهم العليا . يقول :

ارى كثرة المعروف يورث اهله ... وسوء عصر السوء غير السود
اذا المرء لم يفضل ولم يلق نجدة ... مع القوم فليقعد بصفر ويبعد

وهو يدرك ان المال والاخلاق معارة ، ولهذا يجب ان يسخى بماله على الجميع :

فما المال والاخلاق الا معارة ... فما اسطعت من معروفها فتزود

والعربي نزاع الى الحق يصدع الباطل بيأسه الشديد ، فلا عجب اذا كان دوما ثائرا على الظلم . ويهتف قيس بهذه الصرخة التي تتسم بالقوة ، والعقل الرجيح :

متى ما تقد بالباطل الحق يابه ... وان قدت بالحق الرواسي تنقد
متى ما اتيت الامر من غير بابه ... ضللت وان تدخل من الباب تهتد

فقوة الحق انصع من حق القوة . وهذا شعور انساني يتقد بالحصافة ، فبالحق تستطيع ان تقود الجبال ، وان كان الواقع المؤلم يصيح بغير هذا .. وقيس لا يستطيع هضم الذل الذي يدمغ الانسان بالعار ، ويقتل فيه انسانيته ، فالارض تتسع لكل ابي :

وما بعض الاقامة في ديار ... يكون بهما فتى الا عناء
ولم ار كامريء يدنو لخسف ... له في الارض سير والتواء

والانسان ضعيف ازاء هذا الكون العجيب ، فكم تختلج في صدره الاماني العذاب ، ولكن الله يفعل ما يشاء :

يحب المرء ان يلقى مناه ... ويابى الله الا ما يشاء

وفي شعر قيس بن الخطيم صورة غنية الالوان لنفسيته التي تفيض بالنبل ، فهو يتمتع بخصائص الكامل لدى العرب .. فالى شجاعته الفائقة ، وكرمه الفياض ، يتمتع بخصال كريمة لا تزال الانسانية تجد فيها املها المرتجى .. انه حريص على اخوانه ، كتوم لسرهم . يقول في حكمة وأتزان :

اذا جاوز الاثنين سر فانه ... بنشر وتكثير الحديث قمين
وان ضيع الاخوان سرا فانني ... كتوم لاسرار العشير كنين

وهو حريص على الجار حرصه على انفاسه التي تتردد في صدره :

يهل يحذر الجار الغريب فجيعتي ... وخوني وبعض المقرفين خؤون

وهو عفيف لا يقري عينيه من جمال جارته :

وما لمعت عيني لفرة جارة ... ولا ودعت بالذم حين تبين

وهو حريص على هذه الخصائف الكريمة يدفعه اليها نسب تليد :

ابى الذم آباء نمتني جدودهم ... ومجدي لمجد الصالحين معين

ويسمو الى روعته باقية في هذا البيت :

امر على الباغي ويغلظ جانبي ... وذو القصد احلولى له وابين

فهو يعصف بالباغي ، ويحلو للانسان الوديع .

وفي هذا كله يصدر عن احساس صادق ، لا يلفق المعاني ، بل يندفع في التعبير عن مشاعره بعيدا عن كل تكلف .

وتامته المراة ، فاندفع اليها ينهل من معينها الذي لا ينضب شعرا يتوامض بالحياة يتسم بحرارة الرغبة ، وصدق الاحساس مدلا بشبابه الاملود ، وجماله التياه الذي شده نساء يثرب . يقول :

تذكر ليلى حسنها وصفاءها ... وبانت فامسى لا يطيق فراقها
ومثلك قد احببت ليست بكنة ... ولا جارة افضت الي خباءها

وهو لا يمين في هذا ، فالروايات اجمعت على جماله البارع الذي ازدهق الباب فتيات عصره . واخذ يتفنن في سرد عواطفه بعتام التعابير التي تترقرق فيها الرقة ، ويقع احيانا على معان عذراء اتخذها الشعراء الذين اتوا بعده هديا لهم ، فهو اول من ابدع في وصف الطيف الذي يزور الحبيب بعد الفراق . يقول :

اني سريت وكنت غير سروب ... وتقرب الاحلام غير قريب
ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه ... في النوم غير مصرد محسوب
كان المنى بلقائها فلقيتها ... فلهوت من لهو امريء مكذوب
فرأيت مثل الشمس عند طلوعها ... في الحسن أوكد نورها لغروب

وهكذا كان طيفها الذي طرقه تسرية عن هذا البعاد ، والشعراء حريصون على محبوباتهم ، فاذا حرموا اللقاء ، ففي المنام تعلة ، لهذه الرغبة المحمومة . يقول الشريف المرتضى في طيف الخيال : « فأما ابيات قيس هذه في الطيف ، فقد سبق اليها كل معنى غريب عجيب ، وهو قدوة في هذا المعنى لكل من تبعه » .

وهكذا راح قيس يفتن في وصف الطيف :

الم خيال ليلى ام عمرو ... ولم يلمم بنا الا لامر

ولعل الحاحه على وصف الخيال الطارق راجع الى عمق احساسه بجمال المراة ، وشدة لهفته عليه ، فهو لا يتجه نحو امراة واحدة يمنحها قلبه ، بل كان ولوعا بالجمال الذي تمثله الانثى في سحرها ونداوتها ، فاذا اخذت عيناه النهمتان حسناء ظلت صورتها تترسب في اعماقه ، ويفزع الخيال يستحضرها في ذهنه ، وهو في حقيقته اون من احلام اليقظة التي يلجأ اليها الانسان لتحقيق امنية عز تحقيقها ، ففي طريقه الى منى اثملته حسناء ، وكادت تدفعه للاقامة لديها لفرط اعجابه بها لولا اسراع الركائب . وعندما آب الى يثرب قفزت صورتها الحلوة الى ذهنه ، وحنت اعضاؤه اليها ، ووجد في طيفها تحقيقا لامنية خائبة . يقول :

ديار التي كادت ونحن على منى ... تحل بنا لولا نجاء الركائب
تبدت لنا كالشمس تحت غمامة ... بدا حاجب منها وضنت بحاجب
ولم ارها الا ثلاثا على منى ... وعهدي بها عذراء ذات ذوائب

وظعن الاحبة في بيئة تعتمد على مواقع الغيث له اثره في تنمية وصف الطيف الذي كان قيس بن الخطيم رائده في الشعر العربي . ومما لا شك فيه انه كان يعيش في بيئة مستقرة . غير ان بعض العرب الرحل ينتجعون يثرب ، وافياءها الممرعة، ثم لا يلبثون ان يتفرقوا ، فيحس قيس بلوعة الفراق ، فاذا فرغ الى نفسه وجد في خيال الحبيبة تسرية عما يضطرم في قلبه من سعير الهوى . يقول مصورا الحبيبة وقد تهيأ اهلها للظعن :

رد الخليط الجمال فانصرفوا ماذا عليهم لو انهم وقفوا

انه يتمنى ان يمكثوا قليلا ليجتلي محاسن المحبوبة ذات الدل التي تفيض بالاغراء :

فيهم لعوب العشاء آنسة الدل عروب يسؤها الخلق

وقيس بن الخطيم شأنه شأن الشعراء الجاهليين يفرق في وصف محبوبته وصفاً حسيا مخترعا لها التشابيه البديعة التي تجعلها مثلا اعلى للجمال لدى العرب مثل قوله :

تراءت لنا يوم الرحيل بمقلتي غرير بملتف من السدر مفرد
وجيد كجيد الرئم صاف يزينه توقد ياقوت وفصل زبرجد

وهكذا تكتظ في غزله الصور الحسية التي تجسد جمال المحبوبة . ونجده احيانا يقع في غزله على صور طريفة كاد ينفرد بها عن معاصريه من الشعراء ، فهو يمجد في حبيبته لون وجهها الابيض الذي تتفشى فيه صفرة :

تفترف الطرف وهي لاهية كانما شق وجهها نزف

واحيانا يبدع صورا معنوية ، فحديث المحبوبة يروقه لانه طريف يتميز بنبرات موسيقية :

ولا يفت الحديث ما نطقت وهو بفيها ذو لذة طرف
تخزنه وهو مشتهى حسن وهو اذا ما تكلمت أنف

ويأسى في صدق لفراقها لان حبه قد شف منه الاحشاء، وخالط شغاف القلب :

اني لاهواك غير ذي كذب قد شف مني الاحشاء والشغف
بل ليت اهلي واهل اثلته في دار قريب من حيث نختلف
أيهات من اهله بيثرب قد امسى ومن دون اهله سرف
يا رب لا تبعدن ديار بني عذرة حيث انصرفت وانصرفوا

ولم يقتصر قيس بن الخطيم على الغزل بامراة واحدة ، بل كان تبع جمال ، لا يفرغ من حب حتى يقع في حب آخر ، وهو صادق في كل مواقفه لان الجمال يلهبه ، فينقاد اليه .. غير انه كان دائما يأسى لوداع حبيبته عندما يغيرها باخرى . يقول في نغمة حزينة عندما صرم حبله من كنود :

صرمت اليوم حبلك من كنودا لتبدل حبلها حبلا جديدا
من اللائي اذا يمشين هونا نجلبين المجاسد والبرودا
كأن بطونهن سيوف هند اذا ما هن زايلن الغمودا

وتبلغ مأساة قلبه نهايتها الفاجعة عندما يعبر عن احساسه لهذا الفراق ، فقد تراءت له لتقتله :

تبدت لي لتقتلني فابدت مباسم فخمة منها وجيدا

ويتردد في غزله اسم عمرة . وقيل انها عمرة بنت رواحة اخت عبد الله بن رواحة ، وقيل هي بنت صامت بن خالد زوجة حسان بن ثابت . وكان حسان قد ذكر ليلى بنت الخطيم في شعره ، فجبهه قيس بذكر زوجه ، واكثر من ترداده ازراء به :

وعمرة من سروات النسا ء تنفح بالمسك اردانها

وليس في غزله لعمرة اي صدق ، فقد اتخذها وسيلة لمقارعة خصومه الخزرج ، يقول :

فما كان حب ابنة الخزرجي الا عناء والا غراما

وكانت الحرب دائمة الاحتدام بين الاوس والخزرج حتى كاد الحيان يتفانيان اولا ان ادركهما الاسلام . وامضى قيس بن الخطيم حياته في هذه الحروب ، وكانت مهمته مزدوجة ، فهو احد الفرسان المعدودين في الاوس يخوض الغمرات ، وهو شاعرهم الذي ينافح عنهم ، ويسجل انتصاراتهم ، ويهجو اعداءهم . وفي شعره تصوير بارع لهذه الايام ، تفيض منه انغام ملتهبة في وصف المعارك ، والفناء بمفاخر قومه ، ففي يوم الربيع اقتتلت الاوس والخزرج قتالا شديدا . وقال حسان بن ثابت مزهوا بقومه الخزرج :

ويشرب تعلم انابها اذا قحط القطر نوانها

ورد عليه قيس بن الخطيم ناقضا قصيدته ، راسما صورة قوية لجلاد الاوس في الحرب ، فهم الكماة الذين ردوا الخزرج على اعقابهم :

رددنا الكتيبة مفلولة بها افنها وبها ذانها
وقد علموا ان متى تنبعث على مثلها تذك نيرانها
ولولا كراهة سفك الدما ء لعاد ليثرب اديانها

وهكذا اخذ قيس يمجد بطولة قومه في ملاحم قصيدة اخاذة تحتدم فيها روح قوية ، فهو في الحق شاعر الحرب عرف كيف يبدع في تصويرها لانه ذاق مرها ، وينتشي لواقع السيوف على السيوف . يقول في يوم حاطب مصورا انتصار الاوس على الخزرج الذين فزعوا الى اطمهم يتحصنون بها اتقاء لهجمات الاوس العنيفة ، مصورا جبنهم وفرارهم في نغمات تتقد بالحماسة :

فلولا ذرى الآكام قد تعلمونه وترك الفضا شوركم في الكواعب
فلم تمنعوا منا مكانا نريده لكم محرزا الا ظهور المشارب
فهلا لدى الحرب العوان صبرتم لوقعتنا والباس صعب المكارم
ظارناكم بالبيض حتى لانتم اذل من السقبان بين الحلائب

ففي شعره تنتفض هذه الايام بضراوتها ، يصورها في حماسة ملتهبة ، وتجنحه شاعرية طلقة ، متغنيا بمكارم قومه ومفاخرهم ، منددا باعدائه وجبنهم ، لا يترك يوما الا ويتغنى به ، ويشفي غيظه من الخزرج الذين رسم لهم صورة شائهة ، فقد التقت الاوس والخزرج بالسرارة ، فاقتتلوا بها اربعا حتى نال كل فريق من صاحبه ، وبعد ان تحاجزوا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آووا الى اطمهم . وجاء دور الشعر ، واندفع قيس يسجل هذه المعركة في شدو رائع :

فمن مبلغ عني شريد بن جابر ... رسولا اذا ما جاءه وابن مرشد
فاقمت لا اعطي يزيد رهينة ... سوى السيف حتى لا تنوء له يدي
فلا يبعدنك الله عبد بن نافد ... ومن يعلوكن من التـرب يبعد

وهو لا يقتصر على وصف الايام التي شارك فيها ، بل يتغنى بالايام التي غاب عنها ، فهي مفاخر قومه ، فلا بد من الاشادة بها . يقوم في يوم بعاث الذي لم يحضره :

وغبت عن يوم كنتني عشيرتي ... ويوم بعاث كان يوم التقالب
سل المرء عبد الله اذ فر هل راى ... كتائبنا في الحرب كيف مصاعها
ولو قام لم يلق الاحبة بعدها ... ولاقى اسودا هصرها ودفاعها
ونحن هزمنا جمعكم بكتيبة ... تضاءل منها حزن قورى وقاعها
اذا هم جمع بانصراف تعطفوا ... تعطف ورد الخمس اطت رباعها
تركنا بعاثا يوم ذلك منهم ... وقورى على رغم شباعا ضباعها

وقلما تجد شاعرا جاهليا كقيس بن الخطيم رافق ايام قومه ، ووصفها وصفا دقيقا ، فهذه الايام ينبوع شعره ، فهي التي تدفعه للغناء بها ، مزهوا بقومه ، متشفيا من اعدائه . ويبلغ الذروة في رسم صورة بطولة الاوس ، فهم مسعرو الحرب ، وسادتها ، يفتكون باعدائهم ، ويعفون عن السلب :

ان بني الاوس حين تستعر الـ ... حرب لكالنار تاكل الحطبا
ان بني الاوس معشر صدقوا الضـ ... رب وسنوا الاباء والندبا
فضمدوا راس كبش اخوتهم ... حتى تولوا واستنفروا هربا
بكل لين ماض ضريبته ... غضب اذا ما هززته رسبا
قالت بنو الاوس من عفافهم ... مروا ولا تاخذوا السلبا

رافق قيس هذه الحروب المتصلة بلهب حماسة ، وكلما هاجت ، واشتد اوارها ابدع في وصفها ، والغناء ببطولة قومه ، ويحيل الهزيمة الى نصر ، ويثير الحمية ، حتى اضحى شعره النار التي تؤجج الحرب . والاوس يرددونه ابان المعركة ، وبعدها يثير حفائظهم ، ويدفعهم الى الموت في سبيل النصر . وكان من ايامهم يوم مضرس ومعس . ويبدو ان اليهود في يثرب تحالفوا مع الخزرج وخافت الاوس ان يكثرهم اعداؤهم ، فخرج الناس الى مكة يستعينون على الخزرج . ومن الطبيعي ان يتجاوب قيس مع هذا الحدث ، فنجده يثير الهمم ، ويدعو قريشا الى مشاركتهم في هذه الاحداث مستهينا بالخزرج ، محرما على نفسه كل لذة قبل ان يرى دماء الاعداء تخضب الارض . وهو في هذا كله مندفع اشد الاندفاع ، مطمئن الى النصر . يقول في لهجة تضطرم حماسة :

فلست لحاضن ان لم ترونا ... بخالدكم كانا شرب خمر
وتحمل حربهم عنا قريش ... كان بنانهم تفريك بسر
وتدرك في الخزارج كل وتر ... بذم الكاهنين وذم عمرو
ورثنا المجد قد علمت معد ... فلم نغلب ولم نسبق بوتر
متى تلقوا رجال الاوس تلقوا ... لباس اساود وجلود نمر
فنحن النازلون على المنايا ... ونحن الاخذون بكل ثفر

ورد عليه عبد الله بن رواحة بقوله :

كذبت لقد اقمت بها ذليلا ... تقيم على الهوان بها وتسري

وادت هذه الايام الى ايجاد ادب النقائض الذي اينع في العصر الاموي :

قال حسان بن ثابت : « قدم النابغة المدينة ، فدخل السوق ، فنزل عن راحلته ، ثم جثا على ركبتيه ، ثم اعتمد على عصاه ، ثم انشأ يقول :

عرفت منازلا بعريتنات ... فاعلى الجزع للحي المبن

فقلت : « هلك الشيخ . ورايته قد نبع قافية منكرة . قال : ويقال انه قالها في موضعه ، فما زال ينشد حتى اتى على آخرها . ثم قال : الا رجل ينشد ؟ فتقدم قيس بن الخطيم ، فجلس بين يديه ، وانشده :

اتعرف رسما كاطراد المذاهب ..

حتى فرغ منها . فقال : انت اشعر الناس يا بن اخي . قال حسان : فدخلني منه ، واني في ذلك لاجد القوة في نفسي عليهما ، ثم تقدمت فجلست بين يديه ، فقال: «انشد، فوالله انك لشاعر قبل ان تتكلم . » قال : وكان يعرفني قبل ذلك ، فانشدته ، فقال : « انت اشعر الناس . » .

والحق ان قيس بن الخطيم اوتي شاعرية طاقة ، فقد توفرت له دقة الاحساس ، والخيال الذي يبدع في خلق الصورة الشعرية ، والمقدرة على اصطياد التعابير التي تمتاز بموسيقاها ، والجو المتنوع الذي تنشره ، وهو لا يقول شعرا الا تحت تاثير دافع قوي ، وقد كان له في هذه الايام بين الاوس والخزرج خير معين لشاعريته المتدفقة . يقول :

الا من مبلغ الشعراء عني ... فلا ظلم لدي ولا افتراء

فهو لا يصدر الا عن عواطف حية تضطرم في اعماقه ، فلا كذب في احاسيسه ، ولا افتراء في شعره .. يقول ما يعتلج في اعماقه ، ولا يستطيع له كتمانا فيأتي شعره يروع معاصريه في استوائه وتدفقه وجزالته . ومما لا شك فيه انه لا يسمو الى طبقة فحول الشعر الجاهلي ، ولكنه يتبوا الطليعة من الطبقة الثانية . وعندي انه اقوى شاعرية من خصميه حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة.

لقد عدا عليه الموت ، وهو في اوج شبابه ، وذروة شاعريته .. ورغم هذه المنية المبكرة نضجت تجاربه واستوى فنه . وكثيرا ما تقرأ له بعض المقطوعات التي تسمو الى قمة الفن الشعري بما فيها من حرارة ، وتدفق، واصالة .. وكثيرا ما كان يخلو الى نفسه بعيدا عن الحروب التي ملكت عليه تفكيره ، فنجده يستنطق الحياة عبرها العجيبة مثل قوله :

وكل شديدة نزلت بحي ... سياتي بعد شدتها رخاء
فقل للمتقي عرض المنايا ... توق وليس ينفعك اتقاء
فلا يعطى الحريص غنى لحرص ... وقد ينمى لدى العجز الثراء
غني النفس ما استغنى غني ... وفقر النفس ما عمرت شقاء

مكة المكرمة

محمد حاج حسين

المرح والهزل في قصر العدل في فرنسا

من اساطين المحاماة

بقلم جان بول لاكروى — ترجمة سمير شيخاني

* * *

اذا كان لك قضية في قصر العدل في فرنسا ، وواعدك محاميك على اللقاء فيه ، فلا بد ان يقول لك : « قابلني في الساعة كذا ، في قاعة الخطوات الضائعة » .

انها ردهة الانتظار او المتنزه المسقوف في قصر العدل في العاصمة الفرنسية ، وهي فسيحة الارجاء ، مرتفعة السقف ، لكأنها كاتدرائية . وقد اطلق عليها بلزاك هذه التسمية «كاتدرائية المماحكة». ولعل محاميك «ومستشارك» يحدد مكانا معينا في صالة الخطوات الضائعة (نظرا لاتساعها وامكانية ان يتيه المرء فيها) فيقول لك مثلا : « انتظرني عند تمثال بيريه » . فقد جرت العادة ان يواعد المحامون موكليهم لدى قاعدة هذا التمثال المهيب . ليس فقط لان التمثال تمكن رؤيته من بعيد ، بل لان بيريه هو فخر مهنتهم ، « وهو الجد ، هو الرجل الكبير » .

ابصر انطوان بيريه النور سنة ١٧٩٠ ، وانتقل الى العالم الآخر سنة ١٨٦٨ . وقد تولى الدفاع عن الماريشال ناي ، والجنرال كامبرون امام المحاكم الفرنسية بعد عودة الملكية ، كما تولى الدفاع عن شاتوبريان والدوقة دو بيري امام محاكم الملك لويس فيليب ... قبل ان يصبح في الجمعية الوطنية الخطيب الكبير في الحزب الذي كان يدافع عن حق الملك للفرع البكري من عائلة البوربون ، وبعد « الثاني من كانون الاول » من الد خصوم نابوليون الثالث .

ولا تدهش اذا تأخر محاميك في موافاتك في الموعد المحدد ، فالمحامون يتأخرون دائما ، ولهم اعذارهم في ذلك . فهذا المحامي بييرلوويل يقول : « في قصر العدل كل الناس ينتظرون : الموكل ينتظر المحامي ، والمحامي ينتظر الدعوى ، والدعوى تنتظر القاضي ، والقاضي ينتظر ... الترقية ! »

ولكي « تقتل » الوقت ما عليك سوى تأمل تمثال بيريه الضخم المصنوع من الرخام الابيض ، الالاهتين اللتين تقفان الى جانبيه . فترى آذ ذاك ان الاهة اليمين قدمها تستريح على سلحفاة . وللحال تفهم ان هذه السيدة تمثل العدالة !

صحيح ان النحاتين ــ او مساعديهم ــ اناس يميلون الى الهزل والدعابة . فمقابل تمثال بيريه يقوم تمثال ماليرب. وكان وزيرا سابقا في عهد الملك لويس السادس عشر ، ولكنه فقد حظوته لديه . الا ان ذلك لم يمنعه من المساهمة في انقاذه والدفاع عنه امام محكمة « الكونفنسيون » برفقة المحاميين ترونشه وسيز ، معرضا نفسه للخطر .. وبالفعل كان من بين الثلاثة من فقد رأسه على المقصلة في ٢١ نيسان سنة ١٧٩٤ . وقد ذلت به القدم وهو يصعد الى خشبة الاعدام فقال بكل هدوء : « لو ان واحدا من روما حدث له ذلك لتشاءم ، وعاد من فوره الى منزله ! »

وتمثال ماليرب هذا يحيط به كذلك رمزان نسائيان من الرخام . الرمز الايسر يمثل فرنسا : اذا نظرت اليه وجها لوجه ابصرت الوجه الرزين والحركة النبيلة . اما اذا عن على بالك ان تدور حوله وتنظر اليه من الخلف ، او اذا كنت مصابا بتشنج في العنق ، فانك ، لا شك ، ستدهش ... فالثوب محشور كثيرا ، ويبرز هكذا دبرا يذكرك بفتيات المرابع الليلية . انها ، بلا ريب ، دعابة فنية لان صانعي التمثال لم يعتقدوا قط انها ستكشف ، لان التمثال صنع في الاصل ليسند الى جدار !

وعلى بعد عشر خطوات من هناك ينتصب تمثال «المحامي المحارب » : محام بردائه الرسمي راكع لدى قدمي الوطن الذي يضع فوق رأسه خوذة الجنود . ذلك ما ارادتجسيده النحات بارتولومه ، دون ان يفطن الى تعليقات الالسنة الخبيثة فيما بعد اذ يتأملون صنيعه الفني هذا ...

ولكن لنعد الآن الى بيريه العظيم ... فلقد دافع بهذه العبارات عن الجنرال كامبرون امام قضاة الملك لويس الثامن عشر : « لا يجمل بملك ان يذهب بنفسه لجمع الجرحى من ساحة الوغى لكي يحملهم الى خشبة الاعدام. » ذلك بان كامبرون ، مثل المريشال ناي ، كان متهما بالخيانة . ولكنه نجح في انقاذ رأسه (لا شك ان القضاة في هذه الاثناء ، كانوا قد سمعوا بكلمة تاليران الشهيرة المأثورة : «الخيانة هي قضية تاريخ») ولقد تزوج كامبرون، مع ذلك ، وعلى الرغم من التعب الذي ناله بسبب هذه الدعوى ، فتاة انكليزية .

ولنعود مجددا الى بيريه .. لامه يوما احد اصدقائه لانه يشغل باله بمصالحه قائلا : « ليس على المرء الا ان ينحني اذا شاء جمع المال ! »

فكان جواب بيريه : صحيح ، ولكن ينبغي ان يجعلني احد انحني ...

ولقد مثل هو نفسه امام محكمة الجنايات سنة ١٨٣٢ ، في مدينة بلوى ، لاشتراكه في مؤامرة الدوقة دو بيري ، ولكنه خرج منها بريئا . وكان قبل ذلك ببضعة اشهر قد نجا من الموت باعجوبة . اوقف في نانت من قبل الجنرال سولينياك ، حاكم الموقع ، فدعاه الجنرال الى العشاء وقال له وهو يبتسم : لقد استأذنت الوزير بقتلك رميا بالرصاص. وارجوا ان يأتيني الجواب منه ونحن نتناول الفاكهة والحلوى بعد العشاء .

رعدة الاقنعة

* * *

سبب مبهم ولكن ليلا ... بين جفني مد جسر حياتي
يا صباحي ، متى اللقاء ؟ بقلبي ... قطع المرج تجتدي القطرات
يا صباحي، وددت لوني على آهي ... وغنيت في خفى رفاتي
اي ارث حملته من غموض ... غارق في الضياء والظلمات
من سنين انا مريض. اظن العمر ... ... والفجر مغفر الخاطئات
لي زوج وطفلة وفتى من ... جبل الحلم . كلهم يقظاتي
اشتهي ان اضمهم بابتسام ... لم تجرحه حسرة الحسرات
اي صحو ؟ نيسان يحمل عكازا ... وفي خفية عن الزهرات
ابيض الزهر ملء كفي وقلبي ... ونقي التلوين في نبراتي
غيراني... وموجة العمر تنهار ... على شاطىء من الذكريات
ما الذي مقبل ؟ ربيع ؟ شتاء ؟ ... ما الذي راح عابرا سكراتي

حلب — علي الزيبق

وفي الواقع ، ووقت تناول القهوة ، وصلت برقية الوزير ، فلما وقف الجنرال على مضمونها ، امتقع لونه ، وبدا عليه الغضب . فناولها الى المحامي الكبير قائلا له :

ـ خذ اقرا . . انهم يرفضون . يا لهم من دجاج بلله الماء!

ويقول بيرييه تعليقا على ذلك الحدث : منذ ذلك اليوم كرهت لحم البقر المتبل ، لانه كان هناك لون منه على المائدة تلك الليلة !

وهذا محام كبير آخر برز في القرن الماضي : شارل ـ الكسندر لاشو (١٨١٨ ـ ١٨٨٢) . . . كان سنة ١٨٤٠ محامي الدفاع عن مدام لافارج التي انقذ راسها . وكانت متهمة باخطر واشهر قضايا العصر مع قضية «بريد ليون».

وكانت ماري كابيل ، زوجة لافارج ، قد دست السم لزوجها العجوز فمات . وفي قضيتها تلك جرى الكلام لاول مرة عن الزرنيخ . وشطرت فرنسا شطرين بالنسبة الى براءتها او عدم براءتها ، وعرف الشطران بانصار لافارج ، وبالمعادين للافارج . وقد اطلق سراح ماري كابيل سنة ١٨٥٢ ، فماتت بداء الصدر في السنة التالية ، ومات لاشو نفسه بعد تسع وعشرين سنة وهو يتأمل رسم موكلته الحسناء الذي طلبه وهو على فراش الموت . فلقد كانت المرأة الوحيدة التي احبها حبا حقيقيا .

وكان للاشو ردود « وقفشات » لاذعة من ذلك ان احد ممثلي النيابة العامة قاطعه مرة في دفاعه قائلا :

ـ توقف عن الاشادة بمزايا المتهم فانك ستنتهي ولا ريب الى مطالبتنا بان نرفعه الى الكابيتول !

فقال له لاشو : آه ، يا سيدي ، المدعي العام ، فنحن نعرف أنك هاهنا لتحول دون وصوله الى كابيتول .

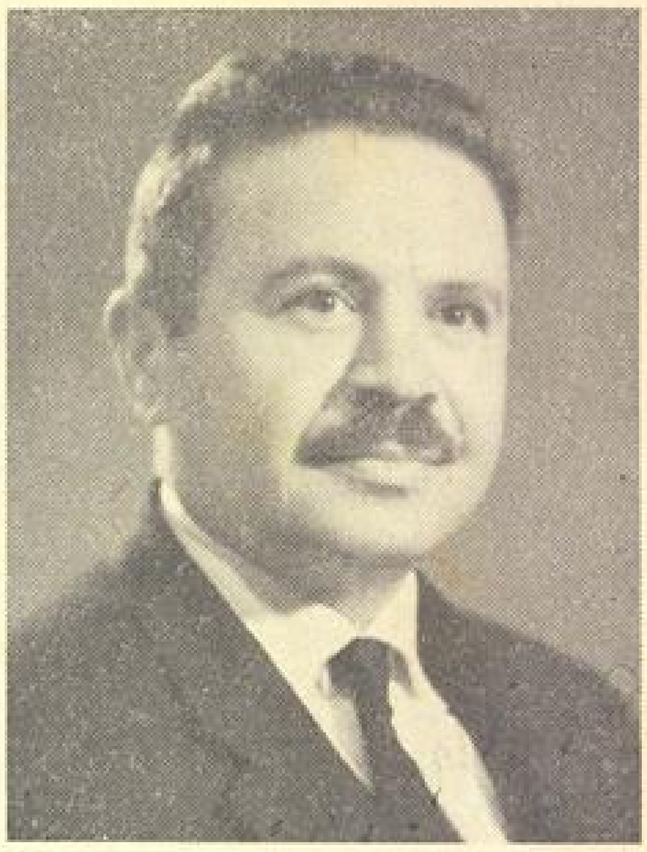
فكان لذلك الجواب وقع الصاعقة على المدعي العام بسبب اشارة المحامي الى الاوز الذي انقذ القلعة الرومانية الشهيرة (الكابيتول) اذ ايقظت بصياحها المحاصرين في داخلها فهبوا للدفاع عنها ضد الهجوم الليلي المفاجىء . وسكت المدعي العام .

واستقبل لاشو في بلاط كومبيين حيث التقى باديبين معروفين هما ادمون ابوت وبروسبير ميريميه .

وفي ذات يوم سألته احدى وصيفات الامبراطورة ، وكانت فضولية فيما يتعلق بالاجراءات القانونية ، ما الفرق بين المدعي العام الامبراطوري (مدعي عام الجمهورية) والمدعي العام ، فكان جوابه :

ـ الامر في غاية البساطة ، يا سيدتي : اذا انت خنت زوجك فالامر من اختصاص المدعي العام الامبراطوري واذا انت قتلته فالامر من اختصاص المدعي العام . هوذا كل ما هنالك .

سمير شيخاني



يوسف عبد المسيح ثروة

القصة الغربية الحديثة

مهداة الى ميخائيل نعيمة اعترافا بفضله في النقد الادبي

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

*

احتلت القصة، في شتى صنوفها ، مكانتها الممتازة في الاعمال الادبية الحديثة منذ اوائل القرن التاسع عشر ولا زالت هذه المكانة تتعزز وتتعرى وتتذكر في الادب الاوربي الحديث في القرن العشرين ايضا سواء اكان ذلك في بواكيره ام في منتصفه ومقتبل خريفه وافوله .

والقصة فن من الفنون الجميلة ، وهي لذا تحتمل الدربة الطويلة والتلمذ الدائب الدائم ، والبصيرة النفاذة والالتفاتة الصائبة في اللحظة المؤاتية ، والقدرة الالتقاطية للمشهد الملائم ، حتى تتجمع اجزاء الصورة في ترتيب وتنظيم وتناسب وانسجام في البؤرة الروائية لكي تشع من هناك الى خيال الكاتب الذي يحولها في لحظات الابداع الى تعبير يترجم عن الواقع بل يجسد هذا الواقع تجسيدا تعبيريا تتكامل فيه معاني الروعة الادبية ، من ايجاز في الكلمات المنتقاة ، ودقة في رصفها وتصفيفها ، ومران يتساوق مع الزمن ويتبارى معه في التحسن والتفاضل واناقة طبيعية اخاذة في التحليل والتركيب ، وسرد قصصي يشيء زمنيا عن ظروف الحوادث والحوادث بذواتها وابطالها وشخوصها والحبكات والعقد الفنية وما تنتهي اليه من حلول او من طرح مشاكل قديمة مستعصية او حديثة جادة يراد ان تناقش وتبحث عن المستويات الاسطورية والكلاسيكية والواقعية ، في شتى ضروبها وانواعها ومستقاتها ودلالاتها ورموزها .

فما هو العمل الفني بالتحديد ؟ وما هو العمل الروائي بالتخصيص والتدقيق ؟ وكيف تحدث لحظات الابداع في العمل الروائي ؟ اسئلة كثيرا ما جالت في خاطري وانا انقل العديد من اراء النقاد الادبيين الاوربين الى اللغة العربية. فاراني ، والحال هذه ، مدفوعا دفعا قويا الى تناول هذا الموضوع ودراسته دراسة تستجيب الى العمل النقدي استجابة هي وصميم عملي صنوان لا يفترقان ، وهذا ما آمله وارجوه .

العمل الفني على ما يذهب اليه معجم اوكسفورد « هو تطبيق المهارة على موضوعات الذوق كالشعر والرقص والدراما والانشاء الادبي يعني المقالة والقصة والاقصوصة ، وما اشبه... وهذه (يعني المهارة) تتجلى في استعمالها الحديث خاصة ، في استكمال القدرة الفنية واستكمال تطبيقها ، وهو وحده موضوع قائم بذاته ». فعنصر المهارة التطبيقية في العمل الفني هو العنصر الجوهري الذي لا غنى عنه ولا مفر . والمهارة ، كما هو معلوم ، عمل مكدس متراكم ، هو تجميع وتجمع للتجارب الانسانية على المدى الزمني ، في صعيدية الراهن والبعيد الموغل في التأريخ البشري ، والمهارة جهد منظم فردي واجماعي في الوقت نفسه ، فهو خاص وعام ، يتفاوت ، في الجودة والامتياز، بتفاوت الظروف والشخوص والقدرات المتساوقة مع هذه الظروف والمبدعة لهذه الشخوص على وفق تلك الظروف والاحوال، وعلى حسب المناخ الفني الموائم اوالمعارض للعمل الفني المنشود . ومن هنا نجد ان العمل الروائي هو جزء من العمل الفني ، في شتى صنوفه وابوابه .

وقبل ان نعالج العمل الروائي علينا ان نسأل عن غرض الفن ، فما هو هذا الغرض ؟ يقول سومرست موم «غرض الفن هو الامتاع ، يتفق في هذا الصدد الشعراء والرسامون والفلاسفة . وهذه الحقيقة هزت مشاعر الكثير من الناس الصالحين ، ذلك بان المسيحية علمتهم النظر الى اللذة باعتبارها فخا لاصطياد الروح الخالدة (١) » الا ان الشاعر النمساوي ارنست فشر يرى رايا مضادا لهذا الراي في كتابه « ضرورة الفن » : « ملايين لا حصر لها تقرأ الكتب وتستمع الى الموسيقى وتذهب الى السينما . لماذا ؟ لانها تبحث عن التسلية والمتعة والتفكه . هذا هو جواب هو نفسه بحاجة الى سؤال . لم يكون الامر ممتعا ومسليا وباعثا على التفكه لو نحن اغرقنا انفسنا في حياة الاخرين ومشاكلهم ، وانسجمنا في صورة أو قطعة موسيقية او اختلطنا مع شخوص معينة في قصة او مسرحية او فلم ؟. واذا ما اجاب احدنا اننا نريد الهروب من وجود غير مرض الى وجود اغنى وابعث على الرضا ، عندئذ ينتصب سؤال ثان ، لماذا لا يرضينا وجودنا نفسه ؟ » ثم يستطرد فشر في اسئلته التي يجيب عنها تاركا اياها للناقشة والاخذ والرد الى ان يتوصل في النهاية الى غرض الفن الذي يتلمسه في تحويل المجتمع من حال الى حال في سلم تطوري تقدمي .غير ان غرض الفن لديه يقسم بدوره الى قسمين

هما السحر ، وهو يتضمن عنصر اللذة والامتاع ، والانارة وهي ما تعرف بالارشاد والتقويم . ومن هنا ، فان اللذة وهي عنصر يعترف به كل من فشر وموم على السواء ، لا تجد لها مجالا في المسيحية الرسمية ولا سيما في البروتستانتية والكالفينية ، على حين انها عنصر جوهري في الادبيات الوجودية ، وقد تبلغ حد الاسفاف الرخيص كما عرضته الكاتبة الوجودية المعروفة سيمون دي بو فوار في قصتها الشهيرة « المثقفون » وكما عرضه نابوكوف في قصته الذائعة الصيت « لوليتا » . ومن هنا ايضا نرى المذاهب الفلسفية والادبية في تضارب وتنافر في تحديد الغرض الرئيسي من العمل الفني الذي يضم هذه الحقول الواسعة من النشاط الانساني المبدع ، فمنها من يذهب الى المتعة الخالصة كما هي الحال مع سومرست موم واكبر دليل على ذلك قوله « ارى من الفن استخدام القصة منبرا او منصة . وانا مؤمن بحتمية انزلاق القراء فيما اذا حسبوا انهم قادرون على نيل المعرفة من هذه الطريق » وكلمة (منبر) تعني بطبيعة الحال التوجيه الديني اما كلمة (منصة) فتعني التوجيه السياسي . ولو اكتفى موم بهذا القول لهان الخطب لكنه يواصل حملته على اهمية الفن من وجهة النظر الارشادية الى حد انفرادي مخطر حيث يجعل الفنان القاصر مثلا شخصا هوائيا لا ضابط يضبط نوازعه وميوله ، تراه متقلبا لا يركن الى حال من استقرار ولا يعرف للهدوء النفسي ومن هذا يمكن ان يستدل على انعزالية الفنان واستبعاده عن شؤون مجتمعه وانفراده بنفسه ، هاك ما يقوله دليلا على ما ذهبنا اليه « القاص انسان واقع تحت رحمة هواه . فالموضوعات التي يختارها والشخوص التي يبدعها وموقفه حيالها كلها مشروطة بهواه . وكل ما يكتبه ما هو الا تعبير عن شخصيته وابراز لغرائزه الكامنة ومشاعره وتجاربه (٢) » وعلى هذا فالفنان القاص، بحكم ما ذهب اليه موم ، يكون والمجتمع على طرفي نقيض، لان ما ينتجه وهو ما يدمغه باسم الفن مشروط بهواه وتقلباته ونزواته .

العمل الروائي يتألف على ما يذهب اليه مارتن ترنل في كتابه « القصة في فرنسا » من (الشخوص) (والحبكة) و (الكيان) و (الشكل) وهذه الاركان الاربعة متضامنة في وجودها منسجمة في صلاتها واتساقها واتزانها وكل قلقلة أو اربك او تراخ من ا يهذه الاركان يجعل الوحدة الروائية اثرا بعد عين ، ويقوض الوجود الروائي تقويضا تاما . والقصة على راي ترنل « هي من اصعب الاشكال الادبية لان تجربة القاص اقل تماسكا من تجربة الشاعر والدرامي . ولذا فالناقد مضطر الى القليل جدا من الاستشهادات بدلا من استطاعته ان يعتمد على عمل ادبي كامل طبيعي ان يزيد هذا من خطر سوء التفسير والشرح» وصعوبة العمل الفني الروائي آت بالدرجة الاولى من اتساع آفاق الوجود البشري وعمق غور هذا الوجود وعدم استطاعة اي كان ان يلم الماما وافيا بهذا (الذي حارت البرية فيه) فتجربة القاص مهما تكن من اصالة وعمق وجدارة وبعد نظر وشمول فكر لا تتسع للكيان البشري اتساعا يجعل قدرتها على الاداء القصصي وافيا بالقصد والمرام . ومع ذلك بلغ بعض البشر الروائيين من هذا القدر من الاحاطة والشمول والهيمنة القصصية وعلى راسهم ولاشك ليوتولستوي وهو على ما يعترف به ج. ب. بريستلي اعظم قاص في القرن التاسع عشر وقصته «الحرب والسلم» هي اعظم القصص العالمية اطلاقا كما اقر بذلك ج. م. كون في كتابه الشهير «تاريخ الادب الغربي». هذا من ناحية الشمول والاحاطة اما من ناحية العمق وسبر الاغوار النفسية الانسانية والكشف عن هذه القيعان كشفا اشراقيا رائعا فاننا نتجه راسا وبصورة مباشرة الى فيدور دوستويفسكي مؤلف الروائع العالمية «الجريمة والعقاب» و «الاخوة كارامازوف» و «الابله» و «الشياطين». يقول كافكا بصدد شخوص دوستويفسكي : «انه (يعني دوستويفسكي) لم يتأمل في الوجود بل سعى من اجله جاهدا . فقتلته وحمقاه وعصاته وقديسوه ومقامروه ومرضاه في ظمأ لافح للوجود يتقربون اليه في واقع جهود دوستويفسكي واعماله الادبية ، من طريق المقامرة العنيفة بحياتهم . وهذا الوجود نفسه هو المسؤول عن قوة الجاذبية التي تجذب شخوصه المصروعه الى اسفل حتى انها ربما تذكرنا ولو بصورة سطحية بافلاس المدنية الحديثة . » اما دوستويفسكي نفسه فقد كان يؤمن بنوع خاص من الواقعية وهو يقول بهذا الشأن : «انا احب الواقعية فوق كل اعتبار ، هذه الواقعية التي تتاخم الخيال وهل من شيء امعن في الخيال وابعد مما هو متوقع لدي من الواقع نفسه ؟ حقا ، هل من شيء اشد محالا من الواقع ؟ »

اما في الركن الاول من القصة واعني (الشخوص) فقد انقسمت القصة الحديثة الى فرعين احدهما يعنى عناية خاصة بالانسان الفرد ، بـ (الفرد الحساس الذي اصبح سجين حساسيته) على ما اتاه مارتن ترنل في كتابه انف الذكر ، ثم يستطرد في هذا الخصوص فيتهم الطبيعية ، المذهب الطبيعي وكان على راسه اميل زولا وهو الذي اثر على فرانك نوريس مؤلف قصة « الاخطبوط » الشهيرة في الولايات المتحدة ، يتهمها بانها الفرع الثاني من القصة الحديثة، اذ هي لا تعمل شيئا غير واصف جحافل الحزب وهي بالتالي كانت ارهاصة طبيعية للقصة السياسية الحديثة محاولة منها لتحطيم آخر معاقل الفردية (٣)

(١ و ٢) مقدمة « عشر قصص وواضعوها » لسومرت موم ، ترجمة . ي.ع. ثروة الاديب ، ابريل ١٩٦٤ (٣) انظر كتاب ادوين موير « الانسان الطبيعي والانسان السياسي » في « مقالات في الادب والمجتمع » لندن، ي.ع. ثروة . (٤) ملاحظات عن القصة الحديثة . بقلم م.كوزنتسوف. الاديب يوليو ١٩٦٢ .

اما الكيان القصصي فهو البناء الذي يشاد آجرة آجرة وطابوقة طابوقة وفق تصميم هندسي له بداية ووسط ونهاية حسب تسلسل زمني لا تخلخل فيه ولا اعتباط ولا ارتجال ، يسير مسار الحياة بغير اختلاطات مفتعلة والتباسات متكلفة ومفاجات صبانية غيبية او رومانيسية وهذا الكيان ينمو نموا طبيعيا والمعمار الهندسي هنا هو المؤلف الذي يجيد في معرفة فنه اجادة طبيعية تجعل القارىء يشم رائحة الكحول المنبعثة من افواه (الشخوص) ويميز بينها على ما اشار اليه احد النقاد البارعين بخصوص احدى قصص بلزاك ، وهو الكاتب العبقري الذي مهد للواقعية تمهيدا رائعا فاشاعها اصيلا يتصل بجذور المجتمع فيعرضها كما هي بغير رتوش او رتوق ، فان كانت نخرة آسنة حق ليد الاصلاح اجتثاثها من مصادرها ، وان كانت، ريا نسفها حي دافق كانت عونا لاشجار الحياةالباسقة لان تبسق اكثر فاكثر وتنهض بشموخ وانفة واستعلاء . وهذا النوع المتميز من الكيان القصصي يمت الى الكلاسية باوثق الصلات ، ان لم نقل انه والكلاسية وجهان لعملة واحدة .

وفي هذا الشأن يتحدث موم : « لا بد للقصة التي يريد المؤلف سردها ان تكون منسجمة مقبولة عقلا ، لها بداية ومنتصف نهاية : هي نتيجة طبيعية للبداية ، اما الحوادث المهمة فينبغي لها ان تكون محتملة لا تطور الموضوع حسب بل تنمو من داخل القصة نفسها » فالنمو الداخلي في الكيان القصصي شرط ضروري من شروط نجاح العمل الروائي ، وهذا النمو يتصل بالحبكة او العقدة اتصالا مباشرا لان خيوط العقدة تتجمع وتتشابك وفق خط مسبقة مدروسة قد تنتهي نهاية يتوقعها كل من المؤلف والقارىء، وهذه طريقة لا زالت سارية المفعول في كثير من بلدان الغرب والشرق على السواء ، على ان هناك مدرسة حديثة لا تهتم بالتسلسل المنطقي الزمني ولا بالسببية الواقعية فترفض كل ذلك رفضا ومن ارباب هذه المدرسة في فرنسا الين روب غرييه وناتالي ساروت وميشيل بوتور وقد تحدث الناقد الفرنسي بيرنار دورت عن هذه المدرسة فقال : « ان هذا الضرب من القصة لا يستند في اي حال من الاحوال الى العلاقات بين الناس وبين العالم وان غرضه هو وصف خواء الليل المخيف والعالم المسكون ؟ هذا عن المدرسة (الخوائية) الفرنسية ، غير ان ثمة مدرسة اخرى هي مدرسة (تيار الشعور) فقد انتقدها ولنفانغ كايسر مؤلف كتاب «اصل القصة الحديثة وازمتها» بكثير من العنف اذ قال عنها : «لا يستطيع احدنا الا ان يسأل : من هؤلاء الذين يهتمون بهذه الكتب غير الاطباء النفسيين والاطباء الاعتياديين ، وحالما تفقد المادة القصصية سحر الجدة تصبح مثار سأم القارىء او شعوره بالقرف .» لكن هذا لا يعني ان الحبكة الواقعية هي عمل متكلف اصطناعي، فهي عندئذ تفقد حيوية المحيط المتصل بها وتقطع صلتها الاساسية بكيان القصة باعتباره الصرح الشامخ للقصة . وعامل الخيال في الحبكة القصصية عامل مهم كل الاهمية اذ هو الذي يجعل التلازم في الحبكة ضرورة حية لشد القارىء الى القصة بالف صلة وصلة والى اهمية الخيال هذه اشار الكاتب الناقد باليفسكي اذ قال : «ان كل عمل اصيل فني يخضع الى الخيال . فالظروف والشخوص والموضوع هي صنوف تابعة للعمل الذي ينظم كل تفصيل (من التفصيلات) ويربط بينه وبين غيره ، مبتدئا بميزات لغة المؤلف ومنتهيا بشخصية البطل ، واذا ما ظهر نشاز شيء منعزل ، فهذا دليل أكيد على أن مبدأ غير فني ، مبدأ غريبا قد تدخل في الصنيع الفني . » يقول ترنل في كتابه سالف الذكر : « أن القاص يسعى لايصال تجربة متخيلة الى قارئه . وهو لا يسعى الى ذلك بغرض نموذج من حساسيته الخاصة من طريف اللغة . حسب ، بل يعمل لتحقيق ذلك بوسائل ايحائية شتى تجعل للقناعة الشخصية لدى القارىء نصيبا أوفى . »

اما الشكل وهو الواجهة الخارجية للكيان القصصي ، فيقتضي اتقانا فنيا خاصا يتضمن فيما يتضمن استيعابا شاملا للغة التي هي الوسيط الضروري لنقل الحساسية الخاصة ، وايصالها الى القارىء بصورة عفوية طبيعية لا تكلف فيها ولا تصنع ، هذا فضلا عن حسن اختيار للكلمات المناسبة في الجمل المناسبة واقتصاد في استعمالها ولطف وليونة في تناولها ومعالجتها بحيث تجري هذه الكلمات في مجراها الطبيعي هادئة ساكنة ، حين تقتضي الحال ذلك ، وتسرع خفيفة مدوية شديدة التأثير ، عاصفة مدمرة حين يتطلب الامر ذلك ، وفي كلا الحالين ، على الكاتب الا يفقد سيطرته على مجاري الكلمات ومصابها ، والا انفلتت منه ادارة البناء الهندسي وتبعا لذلك انهار الكيان بكامله انقاضا متفرقة وتبعثرت الشخوص اشلاء ممزقة . وهذه نتيجة طبيعة لمن لم يأخذ للامر عدته حين يقبل على الكتابة متسرعا متهورا كأنه يريد أن يقوم بنزهة في زورق حالم على صفحة ماء هادئة في ليلة قمراء ساجية !

وعلى ذلك فالقصة كما يقول ج. ب. بريستلي في كتابه «الادب والانسان الغربي» : «لا ينبغي ان يكون فيها افراد مقبولون بصفتهم شخوصا (قصصية) بل ينبغي ان تحرك هذه الشخوص في مجتمع معروف السمات .» وهذا يعني تلاحما بين الشكل والمضمون ، او بين الشكل والكيان بعبارة اخرى ، تلاحما يجعل التمييز بينهما امرا غير ممكن ان لم نقل مستحيلا ، وكلما كان التلاحم قويا ازداد الكيان القصصي تماسكا وتمايزا والفا واثارة وتأثيرا . وقد قال احد عباقرة الفن ، على ما يحضرني : ان الطبيعة اقوى من الفن ، ولذا يصح لنا ان نقول متأكدين من قولنا ان القصة كلما كانت اقرب الى الطبيعة كانت اعمق اصالة وارفع مكانة وكلما كان الفن القصصي اقرب الى النفس البشرية وادعى الى حبه كان تأثيره اخلد وابقى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صورتها

انت ذي ، ام فتنة للناظرين ؟ بشر ؟ ام نفحة الروح الامين ؟
سكرت روحي فتاهت في رؤى حالمات بين شك ويقين ...
هذه الصورة من ابدعها ؟ من ثرى اودعها السحر المبين ؟
من كسا هيكلها قدسية وحبا العينين طهرا والجبين ؟
انت من نار ونور قبس كذبوا! ما انت من ماء وطين
قل لهذا الزمن العاتي اتئد لا تنل منها ، وكفي يا سنين ؟

لندن

سعيد العيسى

من « العروة الوثقى »

وبعد اين لحظات الابداع في الفن القصصي ؟ يذهب فشر في كتابه «ضرورة الفن» السابق ذكره الى « ان الالهام المخمور ليس حالة من حالات العمل الفني مطلقا ، وليس العمل الفني هذا الا عملية عقلانية شديدة الوعي رفيعته ، وهو اذا ما انبثق الى الوجود جاءه واقعا من يد استاذ قدير . »

الا ان بولتزر وهو كاتب الماني يعارض هذا الراي ويعد الالهام او الابداع بالمعنى من الكلمة امرا واقعا ويستشهد على ذلك بشواهد كثيرة نستجزىء منها بعضا خوف الملل والاطالة ، التي اضطررنا اليها اضطرارا . يتحدث دوستويفسكي عن الامير ميشكين في الابله فيقول : «انه يتذكر في غضون نوبات صرعه ، او قبلها مباشرة ما كان يحس به بالتجربة في لحظة او لحظتين ، حين كان قلبه باسره وذهنه وجسمه في حالة انتفاضة ويقظة ووفرة من الحيوية والنور ، وهكذا كان يصبح مفعما بالفرح والامل ، اما همومه فكانت تبدو وقد تبددت الى الابد. » لحظة من « الانسجام والجمال في ارفع مدراجهما ـ لحظة من الاحساس الطافح بالسرور والانشراح بالنشوة الروحية والحياة الكاملة» الا ان بولتزر يوفق بين هذا الالهام وبين حادثة عنيفة وقعت لدوستويفسكي فيقول : «ليس من الصعب ان نرى صلة بين لحظة التوتر الشديد هذه والتركيز الذاتي وبين تلك اللحظة الحاسمة في الساحة المقابلة لقلعة بطرس وبولص حين تمكنت المحبة في النهاية من السيطرة على قلب دوستويفسكي . فكلا اللحظتين رمز لانبثاق الذات وتغلغلها في عوالم ادراك شامل للمحبة الاخوية . »

ثم يشرح الامير هذه اللحظات بالكلمات الاتية : « لم تكن هذه اللحظات غير هواجس ثانية واحدة ... هذه اللحظات القصار التي تحملني على الشعور بنفسي وبالتالي بوفرة من الحياة اكثر من اي وقت آخر ، لحظات لا تنفصم عن المرض وعن تمزق فجائي للاحوال الطبيعية ... كنت اشعر كأنني فهمت هذه الكلمات المدهشة : لن يكون ثمة زمن بعد الان . » ثم يسمي بولتزر هذا الشعور انعزالا عن الزمن فيقول مقارنا بين شعور بروست وشعور دوستويفسكي: « وهذا الشعور بالانعزال عن الزمن الذي جربه دوستويفسكي اثناء نوباته لا يختلف كثيرا عن شعور بروست اذ اصبح بالقياس اليهما قاعدة اصولية في فنهما . » ثم لا يكتفي بولتزر بهذه المقارنة والمقايسة بين الشعورين المتشابهين بل يذهب بعيدا ويوغل في هذا الصدد ايغالا شديدا الى حد انه يقول : « ان لحظة انعدام الزمن ، او الزمن المذاب او المحطم او حين تغزو الهواجس الذاكرة فيفتني كلاهما ، هذه كانت لحظة الابداع والخلق » .

وهي لحظة اشترك فيها بروست وكافكا وغيرهما من الكتاب الذين اصيبوا في اجسامهم بعلل كانت اسباب ابداعهم والتحليق بهم الى عالم غير عالمنا ولو انه في الجحيم منه ، وطبيعي ان تكون لهذه اللحظات تأثيرها العميق في شخوص كل من ابطال دوستويفسكي وبروست وكافكا ، وقد تحدثنا اليوم عن بطل واحد هو الامير ميشكين بطل « الابله » ونرجو ان يسعفنا الحظ للتحدث اما عن راسكولنيكوف بطل « الجريمة والعقاب » في عدد قادم او عن ظلمات الالهام المأسوي في قصة « القضية » لفرانز كافكا . ان هذه اللحظات من الابداع والالهام في القصص الحديثة والقديمة ، امور ينبغي التوفر لها بالدراسة والنقد والتمحيص ومعالجتها بما تستحق من صبر على العمل ومصابرة على النفس وجلد على التحمل والمثابرة .

بغداد

يوسف عبد المسيح ثروة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خرجت من مكتب عملي في شارع الحمراء . سرت شاردا مع افكاري . اطوي الشارع الطويل ، المتجه نحو الجامعة . وهج الشمس يتراقص في الفضاء . يصطدم بالابنية الشاهقة. يستقر في الشوارع . يعلك النسمات الباردة يلفظها زفرات ساخنة ، محرقة ، . الزفرات تلسعني . قرص الشمس يدوس راسي . يدوس جسدي . والشارع الطويل ينطوي تحت قدمي ..

... الصيف محرق في المدينة . المدينة آتون نار في الصيف .. الناس تتناثر هنا وهناك. الشارع يعج بالسيارات السيارات تضج بالهدير. سيارة وقفت بجانبي. ناداني السائق: ـ (استاذ .. الى البرج ؟..) لم التفت اليه . بقيت سائرا .. سائرا .. انا ذاهب الى البرج ؟ .. من هناك سأركب الباص الذي يقودني الى قريتي .. اذن ، لماذا امشي هذه المسافة الطويلة ؟ السيارات .. السيارا تتتناثر امامي .. كلها .. كلها الى (البرج) . في جيبي بضعة دراهم فقط .. احتفظ بها اجرا للسائق الذي يقلني الى بلدتي .. انا مجبر على السير على قدمي، والشمس تلسعني بشدة . ارى جسدي يذوب ويسيل تحت وهجها البراق .

هناك في زاوية الشارع. استقر مقهى كبير . بلع موائد متعددة . تناثر تحولها الزبائن . في كبدي حريق . في امعائي تقطع . في عيني زوغان وشرود . وقفت اتأمل المقهى . اتأمل الزبائن الذين يزرعون كؤوس المرطبات في اجوافهم .. ينتعشون . المراوح تدور في المقهى. ترطب الهواء . تلطفه . تطرد غليان الشمس . تطرد الحر القاتل . آه.. لو ان في جيبي بضعة دراهم . هناك .. في المقهى .. الهواء منعش ، رطب .. والماء مثلج لذيذ ..

هذا الغثيان .. هذا الغثيان .. يقتلني . والدرب امامي طويلة .

تمنيت التقاء صديق اقترض منه بضعة قروش . تمنيت لو اصادف من يدعوني لزجاجة مرطبات. لجرعة ماء باردة . الشمس. الشمس تحرق كبدي . تلسعني بشدة ..

تابعت السير . حبات (العرق) تتناثر بين قدمي رطبة .. رطبة . قدماي تنزلقان في الحذاء . الاصابع كادت تثقب لها طريقا من (النعل). الدماء كادت تنزف من الاصابع . وصلت محطة الجامعة .

... مر القطار .. القطار يزعق .. يزعق !!

آه .. لو ان في جيبي خمسة قروش اضافية خمسة قروش .. كنت اتسلق القطار . كنت اوفر عناء مواصلة السير من الجامعة .. الى (البرج).

سأعود لا قول مرحبا

بقلم وديع العريضي

والشمس لا تزال تحرقني ..

فكرة طرأت لي.. لن اسير بعد الان ساختلس خمسة قروش ادفعها لجابي القطار . ساختلسها من الاجر الذي احتفظ به لجابي (الباص) .. سأدفع الاجر لجابي الباص ناقصا خمسة قروش .. ليقل ما يشاء . وليتصبب العرق مني خجلا امام جمهرة من الركاب .. !

لن امشي بعد الان ! .. كيد الشمس يعميني ، يقتلني .. !

واتجهت نحو محطة المنارة . هناك ساترقب مرور القطار .. هناك بلعني الزحام وانا انتظر ..

من زاوية تلك (المحطة) . شارع يتجه نحو الحمراء . ان نظرت خلفي من حيث اقف ، اشرفت على مسافة شاسعة من ذلك الشارع .. صدرت منه ضجة مزعجة .. تلفت . كان اصطدام سيارتين . وقع على عشرين مترا مني في ذلك الشارع فدفعني فضولي للاقتراب من مكان الاصطدام . تناسيت الاصطدام بعد مسيرة خطوات . لماذا ؟ .. وقع نظري على صبيتين تسيران امامي . تحثان الخطى . لم تنظرا نحوي . لم ار وجهيهما . مع ذلك ، تذكرت احداهما .. انها.. انها .. عرفت انني اعرفها .. لي معهما ذكريات صبيانية .. عرفتها مذ كنا فتيان . عرفتها وعموم عائلتها . كنت اكرر الزيارات لمنزلهم .. سمح لنا بالخروج معا الى رحلات في الضواحي . الى مشاهدة الافلام سمح لنا بالانفراد .. ومع اننا كنا فتيان .. لعبنا لعبة الشباب .. ثم مللنا .. وافترقنا .. وافترقنا !.

الان ، رايتها .. انجلت امامي صفحة الماضي .. شببت انا .. شبت هي .. الصبيتان .. لا تزالان تسيران امامي .. سأحث الخطى . سألحق بهما جنبا الى جنب .. ستراني .. ستدهش .. ستصافحني بشوق.. ثم تدعوني لزيارتهم .. لن اتردد.. سأدخل المنزل .. سأزورهم .. سأشرب الماء البارد ، وزجاجة مرطبات .. سأستريح من عناء الحر الماضي .. استريح فترة الزيارة !..

لم يحدث كما توقعت .. وصلتا مدخل المنزل . دخلتاه معا قبل ان التقي بهما .. احداهما اعرفها .. اعرفها .. والاخرى ؟.. يجب ان تكون صديقتها ..

وصلت الى هنا .. الى مدخل المنزل .. لن اتراجع ـ حدثت نفسي بذلك ـ على كل حال ، سأقوم بالزيارة ..

دخلت بوابة المنزل .. اطلت علي حديقة صغيرة .. عجوزة متهالكة .. يبدو ان الصيف انهكها ..

الممر في الحديقة، يطل عليه دار المنزل

منابع

عندما يشتد الهجير
ويهرب السحاب ... وترتخي الايدي
وتغلق العيون الاف القباب من الضباب
تمضغني الساعات بانياب كسوله

عندما تتوقف الاغصان
ويغدو الكون لوحة خرساء
وتغدو خطى الشياه رتيبة كئيبة
اضيع اتلاشى في ملل

وحين يصمت الخيال
ويغرب الربيع والحجل
ويعمر مرجنا الهشيم
تكثر الهوام
اغدو نهب مخاوفي

سياج حديقتي هوى .. غدت للسارقين
عندها لا شيء مني اضعف
اقعي خلف جدار
اغدو عيونا على طريق
تضيع في المدى

الاردن — اميرة أبو حجلة

.. دار المنزل . احيط بواجهة زجاجية ، لها ستائر من الداخل .. تسدل . فتحجب الانظار ..
من خلال الواجهة . راتني الصبية التي اعرفها ، بينما كانت تقوم بعملية اسدال الستائر . اسرعت الى الباب قبل ان تفتحه ، رايتها تهمس في اذن رفيقتها بضع كلمات .. اسرعت بعدها الرفيقة الى الداخل . الى صالون واسع . يفصل بينه وبين الدار واجهة من الستائر المخملية .

فتح الباب فجأة . تصافحنا بحرارة بلعتنا الجدران . وغاصت عيناها في عيني .. وغاصت عينايا في عينيها ، وجالتا تبحثان بصمت ، عن اماكن فتنة الجسد .. لقد اصبحت صبية جميلة .. آية في الجمال . كل ما فيها كان يصرخ بالفتنة والاغراء . وعلى شفتيها الحلوتين تربعت بسمة ناعمة ..

— تفضل .. اجلس ..

واستفقت من شرودي على صوتها الموسيقي الدافىء . وحانت مني التفاتة الى الداخل .. الستائر المخملية لم تسدل بعد . لم تفصل بيننا وبين من في الصالون !.
فرش الصالون بأرائك ثمينة. واجهة الارائك معكوسة لمن يجلس في الدار.

ذهلت عندما رايت شابا يغوص في احد الارائك . يغوص حتى راسه !. لم يتحرك . لم ينظر الي . كأنه كان يخشى ان اراه !..
بجانب تلك الاريكة.. وقفت الصبية التي لا اعرفها . نظرت الي بعينين مبهوتتين.. بعينين مرتعبتين. كأنها تخشى شيئا .

واستفقت من ذهولي على ذلك الصوت الدافىء يدعوني من جديد — تفضل اجلس — لم اجلس . وبحركة لاشعورية كانت يدي تعبث بصحيفة وضعت على منضدة امامي. وبطريقة لاشعورية سألت الفتاة :
— اين والدك ؟..
— في العمل ..
— متى يعود ؟..
— سوف لا يعود الى هنا — سيصعد الى الجبل — العائلة كلها في المصيف سأوافيهم في الغروب .. تفضل .. اجلس..
تكلمت وكأن في ذلك دعوة صارخة لابقى . كأنها تقول لي انا هنا بمفردي .. اجلس لنستعيد ايام الصبا . ايامنا الماضية الحلوة ..
اعرف جميع افراد تلك الاسرة . ذلك الشاب لا اعرفه !.. ليس في البيت احد .. انه بطل دعي لمغامرة .. هما اثنتان .. هو واحد .. انا؟

.. تدعوني لاكون البطل الثاني .. عيناها حدثتاني بذلك . شفتاها تقطران شهوة . ومع ذلك لم ابق !.. وبأرتباك لا اعلم سببه . مددت يدي لمصافحتها قائلا: (اورفوار) وصافحتني بحرارة قائلة : — لماذا لا تبقى ؟..

قبضت رمانة الباب . لم يفتح !. كان مقفلا بالمفتاح . وانحنت امامي تفتحه بلطف . وهمست للمرة الاخيرة :

— ابقى ..
— اورفوار ..

بصقني الباب . ثم اقفل .. سمعت صرير القفل بأذني .
وكأنني استيقظت من ذهول اعمى . تلك (الاورفوار) اللعينة .. لماذا تفوهت بها ؟ لماذا ؟.. لماذا ؟.. لماذا لم اجلس ؟.. لماذا هربت من المغامرة طالما اشتهيتها ؟..

.. وحثثت الخطى في الشارع . متناسيا لهيب الشمس . متناسيا عطشي . متناسيا الامي !..
وهرعت الحق القطار .. لكنني سأعود .. سأعود بعد بضعة ايام ..
اعود لاقول :
مرحبا .. لقد جئتت من جديد..

بيصور — لبنان — وديع العريضي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكتبة الاديب



عبد الله فكري

تأليف محمد عبد الغني حسن ـ ٣٢٤ صفحة ـ صدر في القاهرة ـ (المطبعة ؟)

اعجبني في هذا الكتاب ، المناقشة العلمية التي تصدت لكل قضية من قضاياه ، وفندت كل رأي ورد فيه ، وجعلت من عبد الله فكري ، قضية من قضايا العلم والادب ، أحق بالدراسة ، واولى بالبحث ، بعد ما ران على هذا الرجل العظيم احقاب من النسيان ، وغدا من الاساطير .

بدأ الاستاذ محمد عبد الغني حسن كتابه : « عبد الله فكري » بالمامة موجزة عرفت به في سطور من مولده الى انتقاله الى جوار ربه ، ثم قسم بحثه الى عدة ابواب ، او فصول ، فعرض للبيئة التي نشأ فيها عبد الله فكري وتأثره بها ، وموقفه منها واساتذته وتوجيهه هذه الوجهة الدينية ، والشيوخ الذين احاطوا بهذه الشخصية الفذة ، وما أثر لهم ، وحب عبد الله فكري لهم ، ونزوعه الى الصوفية السهلة ، وموقفه من هذه الطرق ، واختياره لابسط هذه القواعد ، المتفق عليها بين هؤلاء المتصوفة ، والعصامية واثرهما في نفسه ، ثم عبد الله فكري بين رجال المعارف ، ومقالات الشيخ محمد عبده ورأيه في وكيلها ، ثم انتظام عبد الله فكري بين ثوار الثورة العرابية ، وتبريزه في مؤتمر المستشرقين ، غير الرحلات التي قام بها في مختلف بلاد الشرق .

ولم يفت الاستاذ محمد عبد الغني حسن ، ان يذكر اثر عبد الله فكري في تجديد لغة الدواوين ، وادب الرسائل الخاصة ، ثم عبد الله فكري كشاعر ، وموقفه من حكاية التواريخ الشعرية ، ودوره في العلوم الطبيعية والعلم الحديث ، وما انبثق من القضايا ، وما وجهه الشاعر الى ابنه من النصائح ، وما اتسم به من خلق ، ثم هذا التوازن بين الدنيا والاخرة ، وحرفته في اخريات ايامه ، وممازحته وفكاهاته ، وما ترك الرجل من ثروة فكرية ، تزيد على الستة عشر كتابا ، غير بحوثه التي لم تطبع ، واشعاره التي لم يكتب لها البقاء ، وضاعت كما ضاع غيرها من البحوث والرسائل والاخوانيات .

ولقد ختم الاستاذ محمد عبد الغني حسن كتابه : « عبد الله فكري » بما قيل من رثاء وما سكب على اثر رحيله من دموع ، وما تبارى فيه الشعراء والكتاب على السواء ، تمجيدا لذكرى الرجل ، وعرفانا بفضله على اللغة والادب ، واعترافا به في كل ميدان من ميادين الاصلاح التي تصدى لها ، او اشترك في تخطيطها ، او سافر يدعو لها ، ويضع بذرتها التي اتت أكلها ، وعم نفعها ...

والواقع ، ان هذه القضايا الكلية ، قد استغرقت هذه الصفحات التي زادت على الثلاث مئة ، ولو كان الامر بيد الكاتب الكبير محمد عبد الغني حسن ، لزادت مئات ومئات ، دون ما ملل ، او تعثر ، او حشو ، او تشويه لمعالم البحث .

فالاستاذ عبد الغني حسن ، يمتاز بالعرض المشوق ، والمقدمات التي لا بد منها بين يدي بحوثه ، وذكر الملابسات والضميمات التي يحتاج البحث اليها ، وان تكلف في هذا كل عناء وتعب ، وضحى براحته في سبيل تحقيق حادثة ، او السفر للمشافهة والاطلاع ، واستقاء المعلومات من مصادرها الاصلية ، حتى يكون امينا فيما يكتب ، موجها الى خير ما ينفع الادب ، لا يهمه الذكر او يطربه الثناء .

والمطالع لكتابه هذا ، يدرك لاول وهلة ، من الصفحات الاولى ، التي ألمت بتاريخ عبد الله فكري وبيئته ، ان هذا البحث لا بد له في غنى المكتبة العربية ، ووضعه بين الكتب النافعة ، التي لا يستغني عنها اديب او باحث ، مهما كان شأنه او علا كعبه في البحث والدرس ..

فلقد تعرض الاستاذ محمد عبد الغني حسن، للنشأة الاولى لعبد الله فكري ، وحقق نسبه وكفالته وما اريد له وما وجه اليه ، وما اثر فيه ، ثم بيئته العلمية والشيوخ الذين اكتشفوا حياته ، واحاطوا به ، ونظام الازهر ، والتدريس فيه ، والاجازات العالمية، التي كانت تمنح للطلاب ، عند ما تثبت جدارتهم واستحقاقهم لهذه الاجازات ، والازهر الامين والملجأ والمفزع ...

وعرض الاستاذ المؤلف ، لبعض الشيوخ الذين كانت لهم مكانة علمية ، واطلاع واسع كالشيخ محمد الامير ، والشيخ عبد الله الشرقاوي ، والشيخ سليمان الفيومي ، وغيرهم ممن اوتوا نصيبا من العلم ، او لعبوا دورا هاما في التاريخ .

وتناول الاستاذ عبد الغني حسن ، الصوفية ورجالها وما أثر عنهم وطرقهم المتشعبة وما اثرت فيهم من الرجال البارزين ، ثم تناول العصامية ، ورجالها ، ومركز عبد الله فكري بين هؤلاء الذين : « لا يؤمنون بالظروف وحدها في تكوين حياة الناس ، لانهم هم الذين يخلقون الظروف ويكونونها ، ويكيفونها لكي توائم مصالحهم وتساعدهم في طريقهم » .

ولقد يكون منصب عبد الله فكري في المعارف ، لو لم يكن رجل طموح، منصب استظلة او بلوغ الهدف او الوصول الى النهاية، عندما عين وكيلا لوزارة المعارف ، لكن يستقر الراي في وزارة البارودي على اختياره وزيرا لها .

ويعلل المؤلف لاختيار عبد الله فكري للوزارة فيقول :

« والحق ان البارودي قد احسن اختيار وزير المعارف الجديد ، ولم يجانبه التوفيق في هذا ، فعبد الله فكري خبير بالمعارف ، وله فيها خدمة تبلغ بضعة عشر عاما ، وقد ظل بضع سنوات وكيلا لها ، وعضوا في قومسيونها ومجلسها الاعلى الذي قضت الظروف السياسية بانفضاضه ، فهو ليس دخيلا عليها ، ولا غريبا فيها » .

ويشرح الاستاذ المؤلف الجو الذي احيط بتاليف الوزارة وتعيين عبد الله فكري وزيرا ، ويسجل بالتاريخ انعقاد مجلس النواب لمناقشة سياسة التعليم ومشاركة عبد الله فكري فيها ، وبراعته في حمل العبء وتخفيف الحمل .

ثم يعرض الاستاذ محمد عبد الغني حسن لمقالات الشيخ محمد عبده لاصلاح المعارف ، ورأيه في عبد الله فكري ، واشادته في بعض المقالات « بالاراء القويمة التي ابداها ـ عبد الله فكري ـ وبالمطالب المهمة للوكيل التي لا بد من تقريرها والاسعاف بها ، واثنى في اكثر المقالات على غيرة عبد الله فكري وعلو همته » .

وحلل السيد المؤلف موقف عبد الله فكري من الثورة العرابية ، ورأي كثير من المؤرخين الذين تناولوا الثورة ورجالها وما جرى فيها ومن القى عليهم القبض ، او اتهموا بالعمل على اشعال نارها .

على ان الاستاذ عبد الغني حسن ، يتحفظ في مناقشة اراء الذين أرخوا للثورة ، او تناولوها عرضا في كتبهم ، كالشيخ احمد الاسكندري وجورجي زيدان ، وعبد الرحمن الرافعي ، وعمر الدسوقي ، والاب نويس شيخو اليسوعي ، ولم يبد رأيه كعادته في هذه الروايات التي اجمعت آخر الامر على القبض على عبد الله فكري في الثورة العرابية ، لكن

الاستاذ عبد الغني حسن ، يعود فيناقش دخول عبد الله فكري الوزارة العرابية ، « ومع ما عرف عنه من بعده عن الجبهات السياسية والحزبية، ومع ما أثر من مزاجه الهادىء حتى في الاصلاح والتقدم » ويمضي في المناقشة الجادة ويقلب الحوادث ، ويعيش مع الاحداث ، ويستخرج النتائج ، بعد اثبات المقدمات ، ويورد الاراء المختلفة التي احاطت بترشيح عبد الله فكري للوزارة ، مع وجود من هو اولى منه ، باعتباره خبر المنصب ، ومارس الوظيفة الكبرى ، ثم يناقش موقف محمد عبده من الثورة ، وقيامه بدوره في تلك المعركة الفاصلة ، ثم يعود المؤلف ليثبت لنا طبع عبد الله فكري وما يجب ان يكون عليه من الهدوء :

« والحق ان الذين كانوا يطلبون من عبد الله فكري ، ان يكون ثائرا في الثورة العرابية ، وثائرا ضد الخديو توفيق ، هم يكلفون الانسان ما ليس في طبعه ، والشيء ما ليس من وضعه .. فقد كان عبد الله فكري رجلا غير ثوري الميول ، ولا ناري المزاج ، ولا متعجل للاصلاح » .

ثم تستغرق رحلة عبد الله فكري الى مؤتمر المستشرقين وبلاد الشرق، من هذا الكتاب ما ينيف على الاربعين صفحة ، احصى فيها المؤلف المؤتمرات التي عقدت وتواريخها على الترتيب ، والطريق الى المؤتمر ، وتهيب عبد الله فكري السفر الى هذه المؤتمرات اول امره ، ثم اعتياده عليها بعد ذلك ، وزيارته المعرض الدولي وبرج ايفل والمكتبة الاهلية بباريس ، ومقابلته لبعض الملوك ، ومتعته في ذلك المؤتمر الذي يذكره بعكاظ الجاهلية ، ثم هؤلاء المستشرقين الذين احبهم عبد الله فكري وانس اليهم ، ورسائله في مؤتمر المستشرقين ...

على اننا نرى الاستاذ محمد عبد الغني حسن ، يثبت جدارة عبد الله فكري ، ومركزه في التجديد في لغة الدواوين ، وموقفه من هذه المعركة ، ومحاولته الاخذ بناصر اللغة التي كان يظن انها لا يمكن ان تتزحزح من مكانها الذي اقامت فيه ، واحبت الركون اليه ، فعرض ما آلت اليه اللغة في عهد محمد علي عباس وسعيد واوائل عصر اسماعيل ، وقرار مجلس المشورة ، واتصال هذه الحركة بحركة التثريك ، واشار الى اللوائح والبنود ، والفرق بين لغة الدواوين ولغة التاليف والترجمة ، وظهور طائفة من الكتاب ، كانوا الحد الفاصل بين لغة ولغة وعهد وعهد ، وان كان عبد الله فكري بشهادة الشعود ، اسبق الى الفضل ، واقمن بالكرمة:

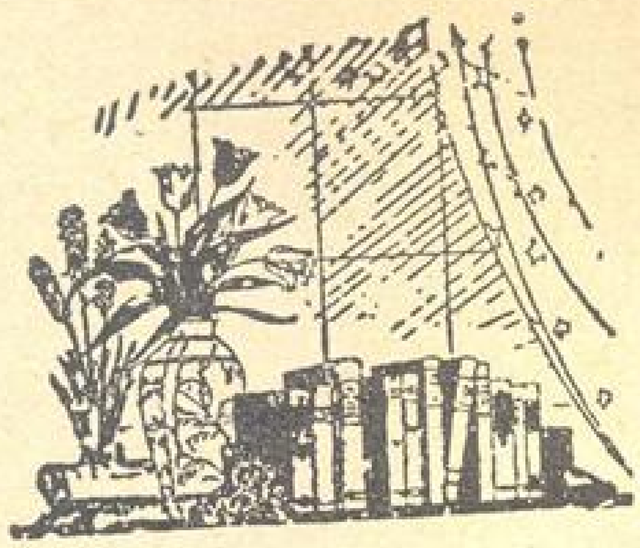
« والذي ساعد عبد الله فكري على التخلص من الجمود الذي بلغته الكتابة في عصره ، هو روحه المتطلعة دائما الى كل جديد . فقد كان على تمام اليقين بان الماء اذا ركد آسن ، وكان مؤمنا بان الوقوف بالتعبير عند التعبد بالكلمات هو وقوف لا طائل وراءه ، ولا جدوى منه .. ولقد كان ازهريا مثل باقي الازهريين ، ولكنه لم يسلك مسلكهم ، ولا ذهب مذهبهم بل رام في الكتابة مراما جديدا ، الى ان تهيأ له ما لم يتهيأ لغيره في عصره . ونقد أحس هو من زملائه ولداته في الازهر هذا الجمود ، فكتب رسالة الى بعض اصحابه من المتفتحي الاذهان ، يصف هؤلاء الجامدين الذين تتحرك الدنيا من حولهم وهم قعود ، ويستيقظ الكون امامهم وهم رقود » .

ثم يمضي المؤلف ، يسوق الحجج ، على ان عبد الله فكري ، هو الذي تم على يديه تطوير اللغة ، وانتقالها من حالة الجمود الى مسايرة العصر:

« ولقد استطاع عبد الله فكري بشخصيته من ناحية ، وبحكم صلاته برجال الحكم من ناحية اخرى ، وبحكم وظائفه الديوانية ، في معية سعيد واسماعيل ، وفي نظارة المالية ، ووكالة المكاتب الاهلية ، ووكالة نظارة المعارف من ناحية ثالثة ـ استطاع ان ينقي كتابة الرسائل الديوانية من كثير مما شابها ، وان يضع الاصول لكتابة ديوانية سليمة صحيحة رشيقة مؤدية للغرض ، بعيدة عن التكلف ، خالية من اللحن والخطا » .

واشار المؤلف الى الرسائل الخاصة والاخوانيات ، اشارة كبيرة ، ووقف وقفة طويلة عند الكتاب الذين ظهر على ايديهم هذا اللون من الوان الادب ، ودور عبد الله فكري في كتابة هذه الرسائل ومحاولته العودة الى عهد بديع الزمان :

« وقد كان عبد الله فكري عالما تمام العلم بحقيقة الدور الذي يقوم



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

•

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد أدنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد أدنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

به في هذه الحركة ، وبطبيعة الاشياء التي تملي عليه روح التجديد . فمن غير المعقول ان يكون التجديد من الحضيض الى الاوج دفعة واحدة، ما دامت العقول والاذهان والبيئة والحصيلة والظروف كلها غير موانية ولا مهيأة . ولهذا كانت الحركة التالية لتجديد عبد الله فكري في الكتابة والنثر ، تلك الحركة التي قام بها الشيخ محمد عبده ، ليتقدم في الطريق خطوة اخرى ، بالتخلص من السجع ومن المحسنات اللفظية التي كانت تطغي على الافكار وتعطل انطلاقها » .

ولم يفت الاستاذ محمد عبد الغني حسن ، ان يحدد مركز عبد الله فكري في الشعر ، ويحصي الادلة ، ويسوق البراهين على موضعه من الشعراء ، ومكانه من هذه الرسالة : « فعبد الله فكري كان شاعرا ، لا ينكر ذلك احد ، ولا يمارى فيه ، وهو يأتي مع الشعراء متى ارخت للادب العربي في القرن الماضي . ولكنه شاعر على قدر المفاهيم التي كانت سائدة في وقته ، لا نستطيع ان نجرده من ذلك ، ولا ننزعه عنه » .

ومن غير شك ، فان الاستاذ محمد عبد الغني حسن ، الحريص على لم موضوعه من جميع اطرافه ، الموفي بحثه الغاية ، لم يعجله عدد الصفحات التي ارتبط به ، ولم يثنه عن توضيح ظاهرة اليمة ، وكارثة عظمى ، أصابت الادب في صميمه ، واخرته هذه السنين التي لولاها ، لخطى الادب خطوات وخطوات ، ولكان له شأن اي شأن .

فالتاريخ الشعري الذي سيطر على ما نظم شعراء القرن التاسع عشر في الاقطار العربية كلها قد كان يقضي القضاء المبرم على هذا الفن، ويودي به ، لولا ما جد من اغراض صرفت الشعراء عن هذا العبث الذي اندفعوا اليه غير مبالين بنتائجه ، او ما يعود على الادب من كسب او خسارة .

غير ان الاستاذ المؤلف ، لم يقل لنا الدافع الى هذا اللون ، وهل كان له اصل في العربية حتى احتذاه الشعراء ، ام هو نوع من الابتداع ، انساق اليه الشعراء من غير وعي ، وان كان الاستاذ عبد الغني حسن ، قد شرح حساب الجمل وافاض في ضرب الامثال ...

ثم وضح السيد المؤلف دور عبد الله فكري في العلوم الطبيعية، وذكر شهادة المقتطف على باع عبد الله فكري في هذه العلوم ، ولم يثبت كيف وصل عبد الله فكري الى هذه العلوم وهو العالم الازهري ، الا ان يكون ذلك بكتاب يحمل نظريات صحيحة ، او اراء علمية نوقشت وأقرها العلماء ، اما ان يشهد بها عالم واحد ، او تتناقلها صحيفة من الصحف، او يشير اليها كاتب من الكتاب ، فهذا لا يقوم حجة على علم الرجل في هذه الناحية ، او ينهض دليلا على التبريز فيها ، وان كان الاستاذ المؤلف ، يستشهد على صحة كلامه ، واثبات علم عبد الله فكري في هذا المجال ، بما انبثق عن القضية التي اثيرت حول دوران الارض ، وكان عبد الله فكري طرفا فيها ، او ما تفرع عن هذه القضية من قضايا التأليف والنشر والالفاظ الاجنبية :

« وهكذا كان صوت عبد الله فكري اول الاصوات العربية وأقواها في الفكر العربي الحديث لاقامة نشر الكتب على اسس علمية ، وتحت توجيه واع سليم ، حتى يرتفع مستوى الكتاب الى ما يرجى له من دور فعال في انهاض البلاد ، دون التجاء الى الارتجال والاضطراب » « اما ثاني القضيتين ، فهي قضية التخلص من الالفاظ الاجنبية التي كانت تفد على البلاد كالسيل في ذلك الزمان ، ووضع الفاظ عربية لها تقابلها وتؤدي معانيها ... »

ومن الانصاف ، ان نذكر ، ان الاستاذ عبد الغني حسن ، لم يترك بحثه هذا دون توفية ، فقد عرض فيه لكل الجوانب التي ضرب فيها عبد الله فكري ، والاتجاهات العريضة الواسعة ، التي كانت مرمى بصره ، وموضع بحوثه ، ومكان اهدافه ، فكتب فصلا عن الابوة ، جمع فيه ما قيل في هذا الباب في مختلف العصور ، وابان فيه دور عبد الله فكري من ديوانه ، واورد هذه النصائح التي وجهها الشاعر الى ولده ، وناقش رأي النقاد فيها ، واثبت طائفة من الحياة ، وموقف الحياة منه ، وتوازن كفتي الميزان عنده بين طلب الدنيا والآخرة .

واورد السيد المؤلف في فصل طويل ، فكاهات عبد الله فكري وممازحاته ، بعد مقدمة طويلة عن هذه الفكاهات التي تعتمد على النكت البلاغية والفنون الكلامية والمقابلات اللفظية والابواب النحوية ، وغير ذلك من فنون القول التي كان يتعمدها عبد الله فكري في ممازحاته ومطارحاته وسمره .

كل ذلك كان بتعيين المكتوب اليه ، وذكره ، واثبات رده ، لتتضح الصورة ، ويظهر الغرض ، ويحصل المكسب للغة ، والمغنم للعربية ..

ثم كان الفصلان الاخيران من هذا الكتاب : « مؤلفات عبد الله فكري وآثاره » والمراثي التي قيلت فيه ..

والواقع ، ان الاستاذ عبد الغني حسن ، ذكر ستة عشر مؤلفا لعبد الله فكري ، ووقف عند كل مؤلف منها ، يشرح غرضها ، ويبين عن مضمونه ومحتوياته ، ليكون في متناول كل قارىء ، ويغنى عن تصفح واستيعاب كل الصفحات ، مع الاشارة الى الطبعات ، او التي لم يصبها البعث او الاهتداء الى اصلها ، او ذهبت ضحية الاهمال ، او مر السنين.

ومن الجدير بالذكر ، هذا الثبت الذي ختم به المؤلف كتابه : « عبدالله فكري » ونقل فيه كل ما قيل في الرجل ، غير المقدمة التي تناول فيها الاستاذ عبد الغني حسن ، الوفاء للراحلين في مختلف عصوره ، والاستشهاد بكثير من النثر والشعر ، المشهور وغير المشهور ، مما يعد بابا من ابواب الادب ، ومرجعا من مراجع اللغة والتاريخ ، بما حوى على الترتيب ، وما ضم على تعاقب العصور والازمنة ..

ولا يسع المنصف ازاء هذا البحث القيم ، الذي توافر عليه الاستاذ محمد عبد الغني حسن ، الا ان يغضي عما جاء فيه ، من عجلة اقتضاها الوقت ، وعدد الصفحات ، والاخراج في وقت محدد مضروب ، لا فكاك منه للرجل ، ازاء التكاليف ، او الارتباط بشرف الكلمة ..

فالذين يعرفون عبد الغني حسن ، يعرفون فيه ، الباحث الممتع ، والكاتب البارع ، والشاعر الموهوب ، صاحب الخلق الكريم والامانة العلمية التي يحرص عليها في كل ابحاثه او تناوله لاثر من الاثار ، لا يعرف المجاملة ، ولا يحيط به ما تواضع عليه الاباء من هذه المنافع المتبادلة ، او الجري وراء المغنم او الجاه او الشهرة .. لذلك فكانوا ينتظرون منه ، وقد تصدى لهذا التاريخ الادبي ، ان يكون موسوعة كبرى، تبقى اثرا خالدا للرجل ، وكنزا لابناء العربية في جميع ارجاء الارض..

على انه عسى ان يضع في ذهنه ، ويحسب لقرائه الحساب الشديد ، وهو يعيد طبع هذا السفر الجليل ، ان يتناول الحوادث في سعة ، والتاريخ في اناة ، والتحقيق في صبر ، ليكون كتاب العربية الاوحد ، ومرجع الضاد الوحيد ، وملاذ الصادين الباحثين من كل صوب . وعسى ان يكون في ذهنه كذلك ، احتساب تعبه واجره عند الله ، الذي لا يضيع اجر من احسن عملا ...

القاهرة — ابو طالب زيان

●

المدار المغلق

مجموعة شعرية ـ جبرا ابراهيم جبرا ـ ١٤٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ببيروت ـ مطبعة قلفاط ببيروت

الاديب الصديق جبرا ابراهيم جبرا ، من طلائعنا المطعمين اقدامهم لقساوة الطريق .. منا ، نحن الذين انبتنا المبدع في صحاراه الضنية .. غناؤنا للرمل ، وحداؤنا تفتاله الظهيرة خلقنا في ارض شعارها النكران.. شددنا شتيمتنا الى الكلمة نطلقها في وجه هذه الحضارة الزيف .. تعبنا في اسماع الناس صيحاتنا المصاوبة على حروفنا الصائتة .

اصدر الاستاذ جبرا مداره المغلق .. حصاد الخيبة ، ورماد الضياع المر .. اطلالة سفان متعب على مرفأ بخيل ..

كنت ارى الصديق متعبا .. حزينا على خيبة هذه الرحلة ، وتفاهة ذاك الحصاد ناقما على ذلة هذه الحضارة .. اغنية الحلم ، حمله فاس

اجداده والسير في درب مفضية الى الشمس .. كنت اراه يكسر رايته فوق غنيمة ابحاره اليائس :

« ما عدت اريد ان اكتب ـ واسمي مطبوعا جعلت اخشى رؤيته ـ فهو ينبوع عما حوله كعين حولاء بين عيون السوي ـ او لفظة طهور بين «الشتائم» .

نعم .. ان نغني لاناس لا يفرقون بين آهة الوتر والشتيمة ، مـــوت رهيب ، ذبول للكلمة الشماء ... انحناءة ذليلة للحرف الشجاع محاولتنا اطراب المفكرين باقدامهم :

« يا حمل الله الحامل خطايا العالم ـ قطر دمعنا لفظا ـ انقذنا من غربة البكم ـ حاماو البحر نحن ـ حاملو المدى ، حاماو السماء ـ حاملو الموت بين نومة ونومة » .

غربتنا الابدية في هذا الوجود تبرير التمرد في حروفنا .. زحزحتنا الصخور عن منابع النغم الربيعي لا تجدي .. قيثار الحروف تعبى ، واذرع الكلمات ذابلة .. لا بد لنا من اطلالة اخرى على هذه الدنيا .. بكلمات نزرع احضانها دلالات جديدة .. لا بد لنا من وجدنة ابعـــاد صبية للحروف نودعها معاناتنا ... فالكلمات هذه سئمت ركضها فـي درب عتيقة ... لكن !! والقارىء ؟؟ قساوة القيد الرابط اجنحتنـا لذلة الرماد :

« اندخل عراة بين جمع تسربلوا بالرقع ؟ ـ ابين الكسحاء ننطلـق على الجياد الاصيلة » .

غربتنا ، حمل اضلاعنا المبهض .. ونكران التراب لنا موسم دائـــم السخاء .. ضحايا النكران من قوافلنا كثرة .. اعادوا للحرف هيبته ، وللفاصلة نقاءها ، لكن الجحود كان غنيمتهم العلقم ... كان املهم ان يدفنوا اهدابهم في طراوة شمس العراق ... وان يطفئهم الموت علـى ترابه حلمهم الصبي :

« ذئابي الفتني والفت السباع ـ في غاب عمري ـ جيلي في الغـاب فريسة ـ صحبي طعمة الضواري ـ قلوبنا غرزت على الاغصان الكواسر»

كان الاستاذ جبرا يشد بقايا صرخاته الى كل حرف .. ويمرر لوعـة شكواه على كل كلمة فحصيلته ، حصيلتنا ، من رحلة هذه السنـين الضنينة .. التمزق المبكي .

يا كم عزفنا على اضلاعنا الف حداء ملون.. ويا كم ظفرنا من طراوة سنيننا الف صدى حزين ... لكن غربة الشعراء في هذا العصر سمته المخجلة .. ان يحرق الشاعر حنجرته في انشاد قصيدة وبحة شحـاذ الرواق الاعمى سواء عند ناس هذه الايام :

« عشرين سنة .. ورمت قلبي ـ نقبت عيني .. جرحت حنجرتي ـ اجمع الافكار والصور ابثها مع هبات الرياح ـ تحمل العشق مني والقلق ـ .. ورفاقي يخزنون الدنانير .. لا يقلقهم عشق لشيء او احد » .

هذا حصادنا .. لكن كلماتنا ، هذه المرايا العجيبة كما يقول جان بول سارتر ، لا زالت ملجانا النهائي بعد كل رحلة ضياع .. لا زلنا نثقل اجنحتها بعواويل ليلنا الموحش .

غربتنا في هذا العصر نشرد منها الى كتف حرف ، او خفقة كلمة .

قيثارنا لا زالت سخية النحيب ، مرثاة هذا العصر ، وخير الف مرة ان نضيع مع قوافل الفجر من عيشنا في مدينة لا تدغدغ منابرها همسة شاعر عاشق ..

والصديق جبرا .. الفارز صيحاته المتمردة في الكلمات .. الرافض متاهة الضياع ، في مداره المغلق .. يقف على هامة صخرة مشرئبـــة ليفتق سمع هذا العصر الاصم بهتافه .. فالقيمة الصخرة لا تعـــرف انفلاتة السخاء .. وهذه الدروب الظالمة تحتضن الانبياء والسفلة سوية.

لا بد لنا من ان نوقد على راياتنا دفقة هتاف شجاعة ـ نحن البحارة المغامرين ، اقدامنا طعمة الجزر .. وعيوننا تثاؤب النجوم :

« نحن الغرباء الايدون ـ نحن الرافضون .. المخلفون للطين سلاحف الطين ـ غبار ارجلنا قصائد ، ينتحر به الاخرون » .

بغداد **علي جعفر العلاق**

ظهر حديثاً



● ادبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية ـ تاليف جورج صيدح ـ الطبعة الثالثة منقحة ومزيدة ـ ٧٤٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار العلم للملايين ببيروت ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت .

● الرائد : معجم لغوي عصري رتبت مفرداته وفقا لحروفها الاولى ـ تاليف جبران مسعود ـ ١٦٤٠ صفحة ـ منشورات دار العلم للملايين ببيروت ـ المطابع الاهلية اللبنانية في بيروت .

● اكليل شوك حول قدميه ـ قصص قصيرة تاليف لور غريب ـ مصممة الكتاب والغلاف لور غريب ـ ١٦٨ صفحة ـ منشورات المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ببيروت ـ مطبعة قلفاط ببيروت .

● فقراء الناس ـ مجموعة قصص ـ تاليف جورج سالم ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات الفن الحديث العالمي بدمشق ـ مطبعة المفيد الجديدة بدمشق.

● شتاء البحر اليابس ـ رواية ـ تاليف وليد اخلاصي ـ تقديـــم الدكتور عبد السلام العجيلي ـ لوحة الغلاف بريشة طالب يازجي ـ ١٤٤ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطبعة منشورات عويدات بحارة حريك .

● آفاق الفكر المعاصر ـ تاليف نخبة عالمية معاصرة من اساطـــين الاختصاص تتناول جميع ميادين المعرفة ـ باشراف غاينان بيكون ـ ترجمة لجنة من الاساتذة الجامعيين ـ ٩٣٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطبعة منشورات عويدات بحارة حريك .

● صفحة مطوية من جهاد البطل اللبناني ابو سمرا غانم ـ تاليف جرجي نصر ـ مستل من مجلة المشرق اذار/نيسان ١٩٦٥ ـ مع رسم لابي سمرا غانم لم ينشر بعد ـ ٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ المطبعة الكاثوليكية ببيـروت .

● عينان من اشبيلية ـ رواية ـ تاليف سلمى الحفار الكزبري ـ ٢٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لـم يذكر اسم المطبعـة) .

● عبد العزيز آل سعود : سيرة بطل ومولد مملكة ـ تاليف بنوا ميشان ـ ترجمة وتقديم عبد الفتاح ياسين ـ ٣٢٠ صفحة ـ حجـــم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● سلطان في عمان : قصة عمان والبريمي كما يرويها كاتب انجليزي ـ تاليف جيمس موريس ـ لم يذكر اسم المترجم ـ ١٦٨ صفحة ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ مطابع شركة الطباعة الحديثة (؟) .

● **La vie des Femmes dans un village Maronite Aïn el Kharoubé — par Jacqueline des Villettes — Préface par Mgr. Michel Doumith, Evêque maronite de Sarba — 142 pages — gd. f. — Publications de l'Institut des Belles Lettres Arabes, Tunis — Imprimerie N. Bascone & S. Muscat, Tunis.**

● **Textes : 1922 — 1964 — par Georges Linze — Préface de Constant Burniaux — 136 pages — Editions « Anthologie », Liège, Belgique.**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور نعيم عطية

الناشئة تجاه الراشدين في لبنان

بقلم نعيم عطية

دكتور في التربية وعلم النفس
الجامعة الامريكية في بيروت

لقد كثرت الاحاديث في انديتنا في السنوات الاخيرة عن وضع النشء في مجتمعنا ، وقلق اللبنانيون لظاهرة خطيرة اخذت تبرز في الشبيبة ، هي مسالة الجنوح والانحراف لدى المراهقين . ويتبادر الى البعض ان مسؤولية هذا التطور تقع في الدرجة الاولى على السينما الغربية واساليبها المغرية . وقد عرض لهذا الرأي بعض الذين يتعاطون الكتابة في الصحف والمجلات الادبية في لبنان .. غير ان هذا الراي ، على ما فيه من الصحة لا يخلو من السطحية . فالجنوح لدى المراهق ليس ظاهرة جديدة في مجتمعنا ، ولكنه بسبب السينما الغربية تلبس شكلا جديدا لم نعهده من قبل اذ تعلم الجانحون اساليب جديدة في فنون المخالفة القانونية والاجتماعية ، فكان ما كان من امر جرائم الاحداث التي ما كانت لتلفت نظرنا لولا الشكل المسرحي الذي ظهرت فيه . وقد يكون من حسن حظنا ان الجنوح قد ظهر اخيرا بهذا الشكل العياني ، لعله يثير الاهتمام بدراسته من الاساس، ويحدو بنا الى تعرف اسبابه العميقة البعيدة.

ونشوء السلوك الجانح مسالة نفسية اجتماعية معقدة ذات جوانب عدة لا يمكن استقصاؤها دفعة واحدة ، كما لا يمكن الاحاطة بها عن طريق التأمل المجرد عن الدراسة الواقعية لاوضاع الناشئة في مجتمعنا . ومن جملة المسائل التي تثيرها هذه الظاهرة مسالة ذات اهمية سيتناولها هذا البحث ، هي نوع العلاقات العائلية التي يبني عليها الناشىء اللبناني موقفه من عالم الراشد .

يقود البحث عن هذه العلاقات العائلية الى مركز الطفولة في المجتمع اللبناني ككل اولا ، والى علاقة الاهل بالطفل في البيت ثانيا . ويأتي البحث عن حالة المجتمع اولا لانه يلقي ضوءا على نوع العقلية التي سيتبعها الاهل في البيت.

لا ريب في ان الانسان ، والمجتمع بالتالي ، يداب في التوصل الى نوع من العيش الذي تتوفر فيه السعادة . فلماذا تفشل بعض المجتمعات ، ومنها المجتمع اللبناني،درس الصحة النفسية العامة ونوع العلاقات الانسانية في الحياة البيتية ، وهي في الحكم الاخير التجسيد العملي للسعادة في هذه الحياة .؟

يصعب ان نعين بالضبط اسباب ذلك ، وانما يمكن ان نتلمس بعضها بالنسبة الى لبنان ، في طبيعة الوضع الحضاري في هذه الفترة من تاريخنا . فهناك طائفة من العوامل سنتناول بالدرس ما نحسبه اهمها .

السبب الاول هو اجتماعي في ظني . فالمجتمع ، اي مجتمع دائما مدعو الى التطور ، وان كانت الحياة الاجتماعية فيه على قليل او كثير من النضج . فطبيعة التطور نفسها تخلق مشكلات وقضايا جديدة ، ينبغي للمجتمع ان يوليها عنايته واهتمامه . وكذلك عندما يكون المجتمع لا يزال في حالة التكون ، او عندما يواجه ضرورة النهضة من اوضاع يعتبرها فاسدة ، فلا يمكنه الانتقال من اوضاعه الى حالة تقرب من النضج الذي يبغي الا عن طريق التدرج . فالنمو الاجتماعي ليس طفرة ، وانما عملية داخلية بطيئة متدرجة وهناك مراحل تتكامل ، تهيء الواحدة منها للاخرى . والمرحلة هي نوع من الازمة ، تنتج اما عن اضطراب يطرا على توازن القوى الضابطة لحياة الجماعة ، او عن تطور طبيعي يتفتح المجتمع فيه على قضايا مستجدة في الحياة والمسائل الانسانية .

ولكي يتسنى للمجتمع ان يحافظ على سلامته ويضمن انتقاله الى مرحلة جديدة ، ينبغي ان ينصب على معالجة القضايا والامور التي تواجهه في المرحلة التي يكون فيها ، وان اخفق في ذلك تعرض للبلبلة الاجتماعية من جهة ، ولفقدان القدرة على الانتقال الى مرحلة جديدة من جهة اخرى . وفي المجتمع المعقد لا بد من ان يواجه المجتمع مجموعات من القضايا تتناول نواحي مختلفة من تطوره . فيبقى يصارع ، لضمان الحياة الفضلى ، على جبهات متعددة في آن واحد .

غير ان هذه الجبهات تختلف في الخطورة بالنسبة لحياة الجماعة . وتدخل هنا قضية القيم ، وبالتالي نجد ان المجتمع يوزع جهوده بنسب مختلفة على هذه الجبهات، وكثيرا ما يسبب الانصباب على القضايا المتمثلة في مرحلة ما اعاقة عن الاهتمام بالقضايا الاخرى . وهكذا ، اذا ما شغلت احدى الجبهات معظم عناية المجتمع واهتمامه فقد

يتعرض النظام الاجتماعي الى نكسة في الجبهات الاخرى ، مما يدعو الى اعادة النظر في توزيع الجهود الاجتماعيةبغية اعادة التوازن الى حياة المجتمع .

وفي العالم العربي ، المرحلة الطبيعية التي نحن فيها هي مرحلة التكون السياسي . فبعد فوزنا بالاستقلال ، نحن مدعوون ، طبيعياً ، الى الاهتمام بالقضايا التي تواجه شعوبا تريد ان تمارس سيادتها على نفسها ، منها قضية شكل الدولة ، ونوع الحكم ، وعلاقة الافراد بالمؤسسات الحكومية وعلاقة الهيئات الاجتماعية المختلفة بالدولة ، واهم من كل ذلك قضية كياننا السياسي بالذات ونوع الحياة الذي نبغي .

ولا شك في ان هذه المرحلة ، على بدائيتها في التطور الاجتماعي ، من اهم مراحل الحياة الاجتماعية واخطرها . ولذلك نرى انه سرعان ما يستحوذ البحث في السياسة على انتباهنا نافذا الى الاعماق ، فهو افعل منبه فينا . ولخطورة المشكلات التي تثيرها هذه المرحلة في العالم العربي عامة ، وفي لبنان خاصة ، ليس غريبا ان يكون المجتمع اللبناني قد اولى معظم اهتمامه لها ، وان على حساب ما عداها من المشكلات . ولا شك في ان الوضع الاجتماعي هذا ينعكس على العقلية العامة والمناخ الفكري في المجتمع . فان كان العلم بمعناه التجريبي الحديث ، وبما يتطلب من صبر وتجرد وانفتاح ، لم يجد سبيله بعد الى مجتمعنا مثلا ، فذلك يعود بالاكثر ، لا الى انعدام الكفاءات عندنا ، بل الى انعدام الحافز الاجتماعي وعدم استعداد الراي العام للاستجابة له ، فللمرحلة العلمية حينها ، وهي لا بد آتية بعد مرحلة الاستقرار السياسي .

ومن اهم خصائص المرحلة السياسية ، وهي مرحلة مصيرية كيانية ، ان قضاياها هي قضايا عالم الراشدين ، ولا تمت بكبير صلة الى عالم الطفولة وقضاياه . عصرنا هذا هو عصر الراشد ، فليس للطفولة فيه او للنشء عامة قضية ذات شأن .

والنشء عامة لا يفقه ضرورات المرحلة السياسية في المجتمع بشكل واقعي معقول . وانما يحس احساسا عفويا غامضا بخطورتها ، يحس بالازمة والخطر ورهبة المصير . وما يعنيه من كل ذلك هو ان يضع حدا للهواجس والمخاوف التي تستحوذ على احساسه وتقلق نفسه . واذا ما اشتدت الازمات التي ترافق المرحلة السياسية ، كما حدث في الاضطرابات اللبنانية الاخيرة ، اشتد كابوس القلق وسيطرت على النشء نزعة تشاؤمية ، تدفع به ، كما هي الحال في لبنان ، الى اندية يشجعها بعض المستثمرين ، توفر لهم لذة عابرة ، محمومة ، فيها ما فيها من اليأس والقنوط ، ومن الاستخفاف بالقواعد المرعية والاعراف التربوية . ولا بد من ان تزول بعض هذه العوارض بزوال اسباب الاضطراب السياسي وما ينتج عنه من قلق .

اما ما لن يزول في المستقبل القريب فهو عقلية الراشدين التي ستبقى تنصرف الى قضايا المجتمع المصيرية الاولية حتى نبلغ في لبنان الى ما تتطلب المرحلة السياسية من نضج . وهذه عقلية ترى في معالجة الاوضاع الجماعية طريقا للاصلاح ، في حين ان مشكلات النشء في اكثرها نفسية روحية ، فردية . ولذلك فالاهتمام بالفرد وما يخالجه هو رفاهية لا طاقة لمجتمع الكبار بها في هذه المرحلة من تطورنا . عقلية الكبار هي عقلية جماعية لا فردية ، عقلية تولي اهتمامها قضايا الجماعة كجماعة ، ولا وقت لديها للتوقف على طفائف الامور النفسية . فلا عجب ان يسعى النشء تجاه هذا الاهمال الى اثبات الوجود عن طريق الجنوح في مسالك الجريمة والتجمع في عصابات حافزها لا الشر الذي فيها ، بل رغبة في التحدي واستنكار قيم عالم لا يعير قضاياهم عظيم اهتمام .

والعامل الثاني الذي يفسر موقف الاهل والراشدين من الطفولة واعراضهم عن قضايا الصحة النفسية ينتج عن الاعتقاد بان واجب المجتمع هو ان يبذل جهده في سبيل الضرورات الاولية لجميع ابنائه اولا ، ومن ثم يتفرغ الى الكماليات كالصحة النفسية . فكيف يمكن بذل اي جهد في مدارس لبنان ، مثلا ، على قضايا الصحة النفسية ، والالاف من اطفاله لا يزالون دون مدرسة ، او كيف يمكن الاهتمام بالجانحين والهاربين من الحياة السليمة وما نزال عاجزين عن تأميم التعليم الاساسي للاسوياء من الاحداث .

ولكن ما يمنع ان نبني صحة نفسية جيدة في الالوف الاخرى التي في المدارس ؟ فالاهتمام بالضروريات لا يعيق عن الاهتمام بالصحة النفسية ، فالمسألة مسألة اسلوب نفسي تجاه الطفل في الدرجة الاولى . غير ان زحمة الحياة كثيرا ما تحول دون امكانية اتخاذ هذا الموقف ، فيقع الانسان فريسة العقدة « الفرعونية » ، وهي في اساسها محاولة للتعويض عن اخفاق .

بدت هذه النزعة بصورة واضحة لدى المصريين القدامى ، فلما رزح الفراعنة تحت عبء قلق الخلود ، عمدوا الى بناء الاهرامات الضخمة لتضمن لهم البقاء بثباتها ورسوخها ، بدلا من ان يبحثوا عن اسرار هذا القلق في انفسهم ويعملوا على بلوغ الطمأنينة الداخلية . فالعقدة الفرعونية هي في التعويض عن المطالب الروحية او النفسية بالمظاهر المادية الحسية . فما يلبث الواحد أن يحس بدقة المهمة في المعالجة النفسية ويتراءى له الاخفاق في ذلك ، حتى يبدأ يتلمس شيئا صلبا محسوسا يمني به النفس ويذوق به طعم النجاح . وعملية التعويض هذه ، هي ما يجعل حضارتنا تقيس تقدمها بالازدهار الحسي الملموس في الصناعة والبناء والمظاهر الاخرى التي تبين للعيان كشواهد دامغة على النجاح والتقدم ، بينما تكون الحاجة في الواقع الى الاستقرار الداخلي والطمأنينة ازاء الحياة والمصير .

وينعكس هذا الموقف على علاقة الآباء بالابناء ، فيعوض الراشدون عن اخفاقهم ، او على الاقل ، عن اعراضهم عن

دموع مضيئة

●

لا تقلقي
فدموعك البيض المثيرة
تركت له قصصا كثيرة
تركت له ذكرا ... ذخائر
كأسا واعقاب السجائر
وطلاء ثغرك والاظافر
تركت له فنجان قهوة
ورسالة عبقت بشهوة
منها استمد الضعف قوة

*

امس هنا وقف الزمان
ضاع المدى ضاع المكان
وتساقطت بعض النجوم
والتف حولينا الدخان
وتسللت تلك الثوان
وتركت لي ...
... ذكرى خطيئة
ودموعك البيض المضيئة

بغداد **صفاء الحيدري**

تفهم الطفل النامي والحدث الناشيء ، بما يبذلون لتأمين الحياة الجيدة لهما ، من المسكن والملبس والطعام الى الحماية ودفع الاذى والعناية الصحية. ولانهماكهم باعمالهم اليومية وانشغالهم عن اولادهم ، يحاولون ان يحجبوا بمثل هذه الاهرامات اخفاقهم في تفهمهم النفسي وتأمين بسطة العيش لهم دون ان يفتدوا جنايتهم بمحاولة في بناء النفس فيصح فيهم القول : « هذا جناه ابي علي » .

ونحتاج في هذا المجال الى مبدأ يعيد الى الاذهان ان الرفاهية المادية التي نوفرها لاولادنا ، وان كانت ضرورية لاسعادهم فهي ، على الغالب لا توفر لهم شيئا من الرفاهية الداخلية . وان الاب الذي يفدق من ماله على اولاده ، فيشتري لهم الهدايا يوم العيد وفي المناسبات الاخرى ، لا يعوض بذلك عن حاجاتهم الى عطفه ومحبته وتفهمه اياهم ، ولا سيما ان كان منصرفا عنهم الى اعماله وشؤونه الخاصة. فالهدية يوم العيد لا تكلف سوى بعض الليرات يتناولها الوالد من جيبه ، اما العلاقة الانسانية فتتطلب كثيرا من البذل الذي ينبغي للوالد ان يتناوله من نفسه .

ومن جهة اخرى ، فمسألة النمو النفسي السليم مسألة عناية فردية حميمة ، كثيرا ما ينصرف عنها الآباء ، اولا لاعتقادهم بان المشاغل النفسية لدى اولادهم امور طفيفة عابرة ، يتكفل الزمن بمعالجتها ، متغاضين عن الآثار التي تخلفها في النفسية ، وان صح احيانا ان تكون امورا عابرة. وثانيا لانهم يدركون الاحراج الذي قد يوقعهم فيه اولادهم باسئلتهم الجريئة ، فيتجنبون ذلك على حساب علاقتهم بهم وعلى حساب سلامة نموهم .

ولا يكفي ان الآباء ، في غمرة اهتمامهم بالقضايا المادية وحياة البيت العامة ، يغفلون التبصر في طبائع اولادهم ومحاولة النفوذ الى نفوسهم وانما يحاولون التخفيف عن عواتقهم من مسؤولية هذا التبصر فيبعدونهم عن الاهتمامات البيتية ولا يشركونهم في اي قرارات تتناولها . واذا ما تعرضت الحياة البيتية الى ازمة ، وما اكثرها في كل بيت ، يحرص الاهل على كتمانها او كتمان تفاصيلها عن الابناء دون ان يكون في سلطانهم أن يزيلوا غيمة الكآبة والقلق عنهم بسببها ، فيزيد الكتمان هذا من رهبة السر ولا ينجح الا في تشديد خناق القلق على الاولاد وتكثيف الحاجز النفسي بينهم وبين الاهل . فانى للطفل او للناشيء عند ذلك ان ينجو من شعوره بالصغارة ازاء الراشد او شعوره بالابعاد عنه ، وانى له أن يجرؤ على مفاتحته بمشكلة تحل به والبوح له بأسرار نفسه ، والراشد يدخل في روعة الشعور بان بروز المشكلة في الحياة شيء من الخطيئة او العيب ينبغي ان يسدل عليه الستار او يحاط بالكتمان ؟

امور اربعة في مجتمعنا تفسر تأخر الاهتمام بالقضايا النفسية التي تواجه الناشئة . اولا ، الاهتمام بالقضايا السياسية العامة واعتبار حياة الجماعة في هذه المرحلة اولى الاستقرار النفسي ، ثانيا ، اعتبار الرفاه المادي او بالاحرى الاغداق المادي تعويضا او ربما تعبيرا كافيا عن العطاء النفسي ، ثالثا ، التخوف من مجابهة بعض القضايا التي تبرز لدى الناشئة ومحاولة تجنبها او كبتها ، رابعا ، محاولة الاهل لحماية اولادهم من مشاغل الحياة العائلية ومصاعبها وذلك بابعادهم عنها وعدم اشراكهم في تحمل مسؤوليتها .

وهكذا نتيجة لحرص مجتمعنا الشديد على سلامة الكيان العام والبيت ككل ، تفوتنا الفرصة للتبصر في اعماق الطفل كانسان فرد ينمو ، ويواجه ما يواجه من ازمات النمو .

نعيم عطية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ربوة دمشق

* * *

همس النسيم وسجعة النهر ... رجع الصدى لقوافل الدهر
دون الربى وبكل منحدر ... لروائع فيض من الشعر
وعلى الثرى عبر وموعظة ... عن غابر لوقائع تكر
والحسن أسفر غير منتقب ... برياضها واطل كالبدر
والسحر لا يحصى بغوطتها ... ويضيق عنه الشعر من حصر
ماست قيان الدوح من عجب ... مزهوة بمطارف خضر
وازينت بجواهر نظمت ... للنور دون الجيد والنحر
سطعت غلائلها بمؤتلق ... من يانع كالانجم الزهر

* * *

انهارها نثرت مبعثرة ... من دونها وتواكبت تجري
وكانها الاقدار حين جرت ... وتدفقت بالنائل الغمر
نهر بها يسري بمرتفع ... متوثبا في عارض الصخر
يتلوه نهر جاش غاربه ... بهواجس تنهل كالقطر
وحياله نهر بمنخفض ... ينساب منحدرا الى القعر
زحفت طلائعه مرفرفة ... اعلامها بقوادم النسر
وجرى يصفق في مساربه ... نشوان من عجب ومن سكر
مزماره في كل منعطف ... يشدو بآيات من السحر

* * *

واوابد للصخر قد نشرت ... في الافق اجنحة من الصخر
عطفت على الوادي تحف به ... كالام في رفق وفي بشر
شابت ذؤابتها وما وهنت ... قدم على الاحداث من ذعر
قامت مع الايام شامخة ... بمعاطس للنجم من كبر
ما عابها عري تحيفها ... او غض من شأن ومن قدر
ان الحقائق وهي عارية ... مرهوبة كانت مع الفقر
عري الحقائق زاد هيبتها ... في السمع والعينين والصدر
والسيف ما لم تعر شفرته ... عبء ولا يغنيك في امر

* * *

في كل منعطف يشع سنا ... عن غاتر ويضوع بالعطر
انباء من درجوا بصفحتها ... سطر تزجيه لدى سطر
من (عبد شمس) لم يزل اثر ... في سفحها كالسطر في سفر
وبكل زاوية معلقة ... اعظيمة عن وقعة نكر
وافيتها والشمس مائلة ... نحو المغيب ودمعها يجري
عطفت على الدنيا مودعة ... في شجو ملتاع وفي ذعر
والطير في الاعشاش هاتفة ... من لوعة ملء الحشا تفري
والريح تعبث في مساربها ... سكرى مع الانداء والزهر

دمشق

عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



وديب ديب

الحياة في حدود الشعر الجاهلي

بقلم وديع ديب

ليست الحياة في أطارها الطبيعي سوى هذا المدى الواصل بين المهد واللحد . بيد انها في مفهومها الواقعي هي هذه السنوات التي يعيشها الانسان ، بعيدا عن الاسقام والالام. من اجل ذلك كان للاعمار حدود خاصة ، تفرضها البيئة او تمليها ظروف معينة . ولقد كان انسان الصحراء في جاهليته البعيدة ، يرسم لنفسه حدود هذه الحياة بالفصول الطبيعية . واحبها اليه فصل الربيع . فكان يقال مثلا : عاش فلان ثلاثين ربيعا او خمسين ربيعا . ذلك لان الحياة في الصحراء ، لا تعني لبنيها سوى الواحة الخضراء . وعلى هذا الاساس شبه طرفة العيش بالاعشاب والانسان بالسائمة التي ترعاها ، وشبه الموت بالحبل الذي يشد الى رجل الكبش ليبقى في متناول صاحبه :

لعمرك ان الموت ما اخطأ الفتى لكالطول المرخى وثنياه باليد

وليس غريبا بعد هذا الوصف الصحراوي للحياة ، وبعد هذا التصوير الدقيق للعمر ان يتفرد طرفة بين شعراء عصره بهذه الفلسفة الوجودية ، التي يستخلص منها ان الانسان يحيا والحيوان يعيش . بمعنى ان الاول يختار نهج العيش والثاني مكره عليه . على أن كليهما في نهاية المطاف ، ذاهبان الى مصير واحد . وعليه كان لا بد له من ان يقول :

الا أيهاذا اللائمي أشهد الوغى وأن احضر اللذاتهل انت مخلدي
فان كنت لا تستطيع دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي

ويلاحظ انه بالطريقة التي دافع بها طرفة عن فلسفته ، هكذا فعل امرؤ القيس حيث يقول :

فبعض اللوم عاذلتي فاني ستكفيني التجارب وانتسابي
الى عرق الثرى وشجت عروقي وهذا الموت سالبني شبابي
ونفسي سوف يسلبني وجرمي فيلحقني وشيكا بالتراب

فالشاعر في هذه الابيات يوضح بما لا يقبل الجدل بان الموت لا يكون الا عندما يسلب شبابك منك . وما احسب تبرم زهير بالحياة وسأمه من تكاليفها الا من قبيل الشعور بانه عاش « العمرين » . وبأن الثاني منهما كان وبالا عليه. « والعمر » كما جاء في القاموس العربي يعني اربعين سنة وهذا ما حمل زهير على القول :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبا لك يسأم
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطيء يعمر فيهرم

هذا واستنادا الى مثل هذه القرائن ، يصح عندي ان يكون فعل « هرم » مستوحى من لفظة « الاهرام » الصامدة في وجه الدهر .. واذن فالهرم من الناس هو الذي ارتفعت مداميك حياته واستطالت على عوادي الزمن . على ان الظاهرة الاجتماعية التي أنا معني بها في هذه الكلمة هي تحديد العمر باربعين سنة . من هنا يستدل ان الاعمار لم تكن تقاس بالسنوات فحسب ، وانما بما تشتمل عليه من أسباب النعيم . وهكذا فالعمر لا يحسب شيئا ان هو لم يكن نديا وارفا .. بدليل ما يقوله جرير الشاعر الاموي ، وهو القريب العهد من الجاهلية :

وماذا يبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حد الاربعين

واغلب الظن ان لفظة « السنة » التي تقاس بها الاعمار هي من مشتقات « الوسن » على اعتبار المرء طيفا عابرا وان الحياة اشبه شيء بالحلم الذي يراود النائم في رقاده، بحيث لا يكون هنالك من معالم واضحة ، تميز بين اليقظة والنوم ، على حد قول المتنبي :

نصيبك في حياتك من حبيب نصيبك في منامك من خيال
ومن لم يعشق الدنيا قديما ولكن لا سبيل الى الوصال

ويتراءى لي ان لفظة « العمر » مستوحاة من معاني عمر بمعنى بنى وشيد على تقدير السنة الواحدة مدماكا يرتفع في بناء الحياة عاما بعد الاخر ، بما يتفق وقول ابي الطيب :

ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها فمفترق جاران دارهما العمر

ويلوح لي ان زهيرا كان احرص شعراء الجاهلية على احصاء دقائق هذا العمر ، والظاهر ان هذا الوسواس لازمه في جميع مراحل حياته . وكان اشد ما يحز في نفسه همس العذارى حوله بانه جدير بتسميته عما وبمناداته عما طالما وخط الشيب راسه وذوت ازاهير شبابه . فاذا به يصحو عن حلم مخيف رهيب :

صحا القلب عن سلمى واقصر باطله وعري افراس الصبا ورواحله
وقال العذارى انما انت عمنا وكان شباب كالخليط نزايله
فاصبحت ما يعرفن الا خليقتي والا سواد الراس والشيب شامله

وبديهي ان لا تكون صحوة القلب الا في حدود الاربعين بصورة عامة . وهي المرحلة الاولى من العمر والثانية هي ما بلغت بها الثمانين ، وقليلون هم الذين تمتد اعمارهم الى نهاية المرحلة الثالثة ، كما نسب الى حسان بن ثابت ، شاعر النبي العربي الكريم . فقد ذكر انه عاش ستين سنة في الجاهلية ، ومثلها في الاسلام . على ان اكثر الرواة ، كانوا يحددون عمر الشاعر على ضوء بيت قاله ، دون الاعتماد على منطق التاريخ . من ذلك ما نسبوه الى الشاعر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصورة المحروقة

فـوق الجدار ومنذ ايام الصبا — علقـت صورة حلمـي المنشود

نهـر ومزرعـــة وبيـت قائم — مـا بين اشجـار وبـين ورود
وصبيـة حسنـاء يلهـو حولها — اطفـالهـا مـن يافـع ووليـد
وعلى ضفاف النهر يجلس زوجها — يرنو الى افـق اغـر بعيـد

ومضيت في عهـد الشبيبة سائرا — فوق الطريق الاسـود الممـدود
وتخضبت قدماي من اشواكـه — بدمـي ومن صخر اصم صلود
وانـا حديد الطرف مشدود الخطا — اطوي المـدى واسير سـير عنيـد
والحلـم يبعـد كلما دانيتـه — فيزيد في همي وفي تسهيدي

ومضى الشباب كانه برق خبـا — فـي ليلـة ظلمـاء ذات رعـود
وتدحرجت خمسون الا اربعـا — فـي هوة الزمن السحيق المودي
والصورة الحسناء فوق جدارها — تهفـو ليوم حياتهـا الموعـود
حتى اذا عصف الاسى بي مرة — وذكرت شقوة عمـري المنكـود
انزلتهـا ونظـرت فيها ساعـة — نظر الوداع وكنت غـير جليـد
فبكيـت واشتعلت بقلبي جمرة — مثل اشتعال النار بعـد خمود
وذكرت اصحابـي فمن متنعـم — جـم الثراء وبائـس وسعيـد
وانـا كما قد كنت ايام الصبا — لـم الق من دنياي غير صدود
وذكرت دينا قد اقض مضاجعي — واحـالني كالميـت الملحـود
وذكرت فقري للبنـين وزوجـة — حسنـاء ساحرة الجمـال ودود
وطغى بنفسي اليأس حين رايتها — سدت علـي طرائقـي بسـدود
والصورة الخرساء ترجف في يدي — مثـل الضحية في صبيحة عيد
فرميتهـا في النار فالتهبت بها — وتقلصـت كالخـائف الرعديـد
وتراقصـت فوق الجدار ظلالها — ثم ارتمت واستسلمت لركـود
ومضى الدخـان الى العلاء كانـه — بعض الثكـالى في ملابس سود
فنظرت في وجه السماء ولم اقل — شيئا سـوى بصر اليه حديـد

حلب

عمر ابو قوس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لبيد العامري ، في انه تجاوز الاربعين بعد المئة ، ولعلهم فعلوا ذلك لمجرد قوله :

ولقد سئمت من الحياة وطولها — وسـؤال هـذا الناس كيف لبيد

وغني عن البيان بان الانسان لا يسأم الحياة مهما طال اجلها . هذا ، وليس بين شعراء العرب القدامى من عانى من تكاليفها ، ما عاناه ابو العلاء المعري . ومع هذا ، فقد بقي حريصا على الاستزادة منها برغم قوله :

تعب كلها الحياة فما اعجب الا من راغب في ازدياد ..

ذلك لان الحياة ، لا تكون شهية الا اذا جمعت بين صحراء اليأس وواحة الرجاء . وبعد ، فكيف يمكن للمرء ان يتمتع بالظل الوارف ، ان لم تحرقه شمس الهجير .. ان الربيع لم يستطع ان يفرض حبه على الناس الا بفضل الفصول الباقية ، كما في قول صفي الدين الحلي :

فصل اذا افتخر الزمـان فانه — انسان مقلتـه وبيـت قصيده

وآية القول ، فان الاربعين التي عناها الشاعر العربي ، واشار اليها القاموس انما هي الواحة من عمر الانسان ولم يقصد بها ان تكون المعدل العام لمتوسط اعمار الناس ، كما يجري عادة في المجتمعات الراقية وانما هي الفترة التي تتدافع فيها الحياة على شواطىء الزمن .

وديع ديب

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من « العروة الوثقى » في لندن

* * *

ذكرت في المقال السابق شيئا عن الحقيقة المجردة والحقيقة بالنسبة الى الشخص . وعلى هذا يمكن تقسيم الحقيقة عامة الى نوعين مختلفين : نوع يتوقف على الوقائع والمعلومات ، كالحقائد المذكورة مثلا في كتاب علمي او في موسوعة علمية ، هذه الحقيقة مبنية على المعرفة . والنوع الثاني لا يعتمد على المعرفة وانما يعتمد على الشعور والاختبار الباطني ، كالايمان بدين معين مثلا او الاخلاص لزعيم وطني . وهذه الحقيقة كما لا يخفى لها مساس مباشر بالحياة وبالنفس اكثر من مساس الحقيقة المبنية على المعرفة، ولذلك يجب البدء بهذه الحقيقة النفسانية والاعتماد عليها في افكارنا وارائنا الفلسفية والاجتماعية .

والوجوديون عموما يتخذون هذا مبداهم الاول ، كانهم يقولون : ابدأ بقلبك قبل عقلك . وهم يصرون دائما على ان الشيء الشخصي الذاتي هو الشيء الحقيقي . ولذلك يقول كيركيفور ان محاولة استنتاج الوجود من الفكر تناقض صريح ، لان الفكر يزيل الوجود من المجال الحقيقي، ويبعثه في الذهن بالغاء موجوديته الواقعية ونقله الى مجال المستحيل، وقد اشرت في السابق الى المثال الذي استشهد به كيركيفور على قوله هذا . فهو يقول ان المثلث المتساوي الاضلاع ليس له وجود فعلي في العالم بتلك الصورة من الانتظام والدقة . وانما يمكن لهذا المثلث ان يوجد ذهنيا فقط اذا صرفنا النظر عن الظروف الطبيعية الفعلية . وكنت قد ذكرت ايضا منذ مدة في احدى المقالات القديمة كيف ان افلاطون الرياضي توصل الى نظريته في المثل العليا لما رأى ان الرسوم الهندسية لا يمكن ان تأتي مكملة خالية من كل نقص بالفعل ، مهما بذلنا من العناية ودقة الرسم والخطوط . ولكن هذه الرسوم مصورة تصويرا ذهنيا في الفكر باشكال مكملة لا عيب فيها . ومن هنا خطر في بال هذا الفيلسوف ان لكل شيء في هذا الكون صورة مكملة تكون موجودة في عالم المثل العليا، والاشياء الموجودة في هذا الكون أن هي الا صور ممسوخة عن تلك الصور المثالية .

والفرق بين افلاطون وكيركيفور هو ان افلاطون اهتم بالصور الفكرية بينما اهتم كيركيفور بالصور الواقعية المحسوسة . فهو يقول مثلا ان المعنى المجرد او الصورة الذهنية للشيء الذي نسميه (طاولة) لا يمكن ان نحصل عليه او عليها الا اذا تناسينا الاختلافات في الشكل واللون والوزن وغير ذلك بين طاولة واخرى لكي نستعمل هذه الصورة الذهنية عن هذا الشيء ونطلقه على كل طاولة . فنحن بهذه العملية الفكرية قد الفينا الموجودية الواقعية ونقلناها الى مجال المستحيل . فالتجريد الذهني هو في الحقيقة انتفاء من الوجود والواقع ، ولذلك لا يمكن استعادة الوجود من هذا التجريد . وعلى هذا يجب ان يرجع الانسان الى نفسه والى شعوره الداخلي قبل ان يرجع الى التخيلات الذهنية او التجريدات المعنوية . وعلى هذا كان الخلاف بين هيكل وكيركيفور .

ومن نتائج هذه النظرية لكيركيفور انه حض على ان ينظر الانسان في نفس الانسان الثاني قبل ان يحكم عليه ، اي ان الانسان يجب أن يحاول ان يضع نفسه موضع الانسان الثاني قبل ان يقرر موقفه منه . ولا يكفي للانسان ان يكون في تفكيره اعتباريا بل يجب ان يكون موضوعيا اذا كان الامر يتعلق بشخص آخر . وهذا يتطلب من الانسان تنصلا من التأثيرات الذاتية في نفسه حتى لا تكون اعتباراته الخاصة وحدها اساسا للحكم والقرار تعميه عن معرفة الامور على ما هي عليه في الواقع . ومن هنا كان التقارب بين الوجودية والفلسفة اليقينية الجديدة . فالوجودية تصر على تفادي الافكار المجردة دون الواقع الوجودي واليقينية تصر على تفادي الافكار الميتافيزيكية ولا تؤمن الا بالحقائق العلمية . وكما أن اليقينية تدعو الى قبول الافكار بعد ان تمحصها التجربة ويثبتها الفحص العملي كذلك الوجودية تدعو الى قبول الافكار أذا كانت هذه غير مستندة الى التخيلات الذهنية والتجريد المعنوي بل الى شعور داخلي .. ثم ان حقائق الاشياء لا تستند الى الماهيات ، كما قلنا في مناسبة سابقة ، وانما تستند الى ظهورها في عالم الوجود ، اي الى كونها مما يعيشه الانسان فعليا في حياته .

وهذه الحقائق بالطبع تتغير بتغير الازمان والظروف والاشخاص ، وقد عبر باسكال عن ذلك بقوله : « حقيقة في هذا الجانب من جبال البرنيس ، وبهتان في ذلك الجانب من جبال البرنيس » . فالحقيقة تكون حقيقة اذا صلحت في الوجود في ذلك الوقت . وهذا قريب من نظرة الفلاسفة العمليين Pragmatists الذين يقولون ان الاشياء تكون حقيقية صحيحة اذا ثبت صلاحها بالاستعمال العملي. ومعنى ذلك ان الاشياء الحقيقية هي التي تصلح للاستعمال لا انها تصلح للاستعمال لانها حقيقية . ومسألة تغير الحقائق هذه من وقت الى آخر او من شخص الى آخر شبيهة بمسألة تغير الحقائق العلمية . فان العلماء اذا اكتشفوا مبدأ علميا عاما ، فانهم لا يعتبرون ان هذا المبدأ قد اصبح امرا مسلما به ثابتا على الدوام ، بل يتخذونه

أساسا لابحاثهم واعمالهم الى ان يثبت لهم بطلانه . فهم يتعاملون مع القواعد العلمية الثابتة على انها موقتة وان البحث العلمي في المستقبل قد يكشف اشياء تقضي بتغير هذه القواعد او تعديلها . وكما ان الاساسات العلمية عرضة للتبدل من وقت الى آخر بفضل الابحاث العلمية الجديدة ، كذلك الحقائق الاعتبارية الوجودية تكون ايضا عرضة للتغيير والتبديل مع اختبارات وتجارب جديدة في الحياة .

ثم ان بين الوجودية والفلسفة العلمية تقاربا من ناحية اخرى ، وهي ان الوجودية لا تعتمد على استعمال العقل وحده Rationalism واهمال التجربة الشخصية الوجودية، مثل العلوم في الزمن الحاضر . فان هذه العلوم قد تخلت عن فلسفة القرون الوسطى التي حاولت ايجاد تعليل لهذا الكون ، واتجهت الى معرفة الاشياء جزءا فجزءا عن طريق التجربة والاختبار. فهي في الحقيقة لا تعتمد على التخيلات الفكرية وانما تعتمد على التجربة ، ولا تعتمد على الاستنتاج (من الكليات الى الجزئيات) وتعتمد على الاستقراء (من الجزئيات الى الكليات) . ويعتمد العلم ايضا على الملاحظة والمراقبة ويدون المشاهدات المتفق عليها ، ولكنه لا يحاول ان يعلل هذه المشاهدات ، لان هذا التعليل ليس من شأنه. فالاساس اذن لا يتحكم فيه العقل ، بل ان النظريات العلمية الاخيرة مثل نظرية آل Quantum قد زعزعت الاساس العقلي الذي كان يظن أن العالم مبني عليه ، وابانت ان العالم قد يكون تحت سلطة قوات تعمل على العمياء دون هدى . ومن ذلك مثلا النظرية الاخرى الجديدة التي تقول ان المادة تخلق من العدم بصورة متواصلة . هذه النظرية ايضا تكاد لا تتفق مع المفهوم العقلي الذي لا يؤمن بان شيئا يخلق من لا شيء في الاحوال العادية ، ومعنى ذلك كله انه لا يوجد في هذه الدنيا شيء ثابت ولا شيء مضبوط على وجه الدقة. وهذا هو الذي حدا الوجوديين الى الانكفاء والرجوع الى النفس والذات ، لان الشيء الوحيد الذي يؤمن فيه الانسان هو وجوده ، ومن هذا الوجود يجب على الانسان ان يستمد الحقائق . وهنا ، كما قلنا سابقا ، كان انقسام الوجوديين الى مؤمنين وملحدين ، مؤمنين لانهم يلجأون الى الله في هذه الحيرة والفراغ ، وملحدين لانهم ينكرون وجود الله ولا يلجأون اليه ، ولكنهم متفقون على ان هذا العالم سخيف لا معنى له ، وليس فيه شيء يمكن الركون اليه ، فهم لا يهتمون الا بكيانهم ووجودهم .

ولكن الانسان في هذا العالم بين امرين : اما ان يكون مخيرا او مسيرا . فالعلم يعتبر الاشياء مسيرة بصورة عامة . وكذلك علم النفس يعتبر ان الانسان في اعماله مسير بعوامل مختلفة ليس له سلطة عليها. ولكن الوجوديين يجب ان يعتبروا الانسان مخيرا اذا ارادوا منه ان يتخذ قراراته بنفسه بدون الاسترشاد بآراء خارجة عن نفسه وعن وجوده وهم يقولون ان هذا الوجود لا معنى له اذا كان الانسان عبارة عن لعبة في يد الاقدار ليس له حول ولا قوة ، بل ان الانسان نفسه في هذه الحالة يكون عبارة عن كمية مهملة في هذا الكون ، لا فائدة له من عقله ولا من تفكيره ، وهذا ما يرفضه الوجوديون . غير ان الوجوديين ، مع ذلك ، يجدون انفسهم في حيرة من امرهم ، فانهم من جهة يعترفون بان الحقائق تتغير بتغير الظروف والاشخاص، ومن جهة اخرى يريدون من الانسان ان يتمسك بالحقائق التي يصل اليها بعد التجربة والاختبار ، ونظرية كيركيفور هي ان الانسان يجب ان يعيش مع المتناقضات في هذه الحياة ، لان الانسان اذا فكر في التناقض الموجود مثلا بين التخيير والتسيير فانه يجد نفسه مضطرا الى قبول واحد منهما دون الآخر او الى رفضهما معا ، وهذا ليس في الامكان ، ولذلك يجب على الانسان ان يقبل هذا التناقض ويعيش معه . وكيركيفور يأتي بامثلته على التناقض من الاعتقادات الدينية . ولا مجال لبحثها هنا . وقد كنت اشرت في السابق الى مثال من ذلك .

ونود هنا ان نتكلم عن معنى الحرية عند الوجوديين ، حتى يتبين موقفهم عموما من حيث التخيير او التسيير ، وقد كنا ذكرنا في مناسبات سابقة شيئا من ذلك . والفكرة الاساسية عند الوجوديين ان الانسان يعيش في عالم اللاشيء ، اي في عالم فقدت القيم التاريخية التقليدية سلطانها فيه ، ولم يبق له من دليل الا نفسه ، اي حكمه الخاص على الامور . وهم يقولون ان الانسان ليس حرا فقط ، بل هو الحرية نفسها . فمهما كان الانسان على حالة فهو حر في ان يكون على حالة اخرى اذا اراد ، ولكنه غير حر في ان يريد التخلي عن حريته . واهم شيء يحتاج اليه الانسان هو ان يكون له الحق في الاختيار مستقلا برأيه عن غيره . وهذه نقطة مهمة عند الوجوديين . فلو اننا نعرف مثلا ان شخصا يريد الشيء (؟) دون (ب) ، وجئنا اليه بهذا الشيء (؟) ، فان الشخص ، اذا كان وجوديا ، لا يبدي ارتياحا لهذا العمل التطوعي منا ولا يعرب عن شكر لنا ، لان المهم عنده ليس الفرق بين هذين الشيئين ، وانما الفرق هو ان يختار الشيء الذي يريده هو بنفسه بدون أن يختاره له شخص آخر . وفي راي الوجوديين ان المهم عند الانسان ليس الحصول على الشيء، وانما المهم كيفية الحصول عليه ، اي الحصول عليه باختيار مستقل لا دخل للغير فيه . والعلامة الفارقة على انسانية الانسان هي انه حر الاختيار وان ارادته ليست خاضعة لارادة غيره . وما نحصل عليه في هذه المعيشة لا تكون له قيمة اذا لم نحصل عليه نحن بانفسنا ولم يحصله لنا شخص آخر او اشخاص آخرون . ويقول سارتر ان الانسان من هذه الناحية كالفنان المبدع . فكما ان اهم شيء يتميز بها هذا الفنان هو حرية الابداع بدون ان يتقيد بقيود سابقة مفروضة عليه من آخرين وهو مرغم على الاذعان لها .

والحرية في الاختيار بدون الاسترشاد بآراء الغير امر ثقيل المؤونة صعب على النفس . وهو ايضا مشحون بالمسئولية من جهتين : الاولى من جهة اختيار الشيء نفسه والثانية من جهة ما يترتب على هذا الاختيار من نتائج . فالحرية في الاختيار مهمة شاقة تقتضي من الانسان ان يفكر طويلا قبل الاقدام على شيء ، لان الخطوة تؤثر في الانسان نفسه وتؤثر ايضا في الناس الاخرين . ولذلك فان اعمال الاختيار في هذه المعيشة لا تكون اساسا لمعيشتنا وحدنا ولمسلكنا وحدنا ، بل تؤثر ايضا في معيشة الاخرين ومسلكهم . وقد ذكرنا في مناسبة سابقة كيف ان الانسان الوجودي بقراراته الحرة يستطيع ان يجعل من نفسه شخصا آخر كما يريد ، وهذه مسئولية عظيمة يتحمل الانسان ما ينتج عنها فيما يتعلق بشخصه هو ، ولكنها ايضا مسئولية يتحمل الانسان ما ينتج عنها فيما يتعلق بالاشخاص الآخرين . فاذا اخترنا شيئا ، فنحن لا نختاره لانفسنا وحدنا ، بل نختاره للاخرين ايضا . ولا نقول عند الاختيار: « هذا ما اخترته لنفسي » ولكننا بالاحرى نقول : « هذا ما يختار » او « هذا ما يجب ان يقع عليه الاختيار » بصورة عامة مطلقة . وعملي في الاختيار لا يؤثر في شخصي فقط، وانما يؤثر في البشرية جمعاء ، ولذلك فانني باختياري شيئا من الاشياء انما امثل البشرية باجمعها ، كما لو ان شخصا آخر في مثل ظروفي لا يختار الا الذي اخترته انا، وهذا هو معنى الاختيار . معناه التفكير والتأمل والعزم قبل الاقدام ، ومعناه أيضا وضع البشر عامة في موضع الشخص الذي يختار ، اي جعل الاختيار نفسه شيئا موضوعيا خارجا عن الاعتبار الذاتي ، وجعل شخصية الانسان المفردة شخصية منزوعة عنه وحده ومجردة عن هذا الحصر الفردي . فالوجودية اذن تعمم الاختيار وتجعله منطبقا على البشرية جميعها ، رغم التخصيص الذي تقوم عليه ، وهي بذلك قريبة من نظرية الفيلسوف كانت الاخلاقية التي تقول : يجب على الانسان ان لا يريد ما لا يستطيع هو باستمرار ان يريد من جميع الاشخاص الآخرين الراشدين ان يريدوه . فالكذب مثلا مناف للاخلاق ، فانت ان اردت الكذب فانك لا تستطيع باستمرار ان تريد من كل انسان ان يكذب على الدوام . فاذا اخترت انا الكذب، فانني بهذا الاختيار احتمل مسئولية كبيرة وهي جعل الناس خرسا بكما .

هذه ، كما قلنا ، مسئولية جسيمة ، يقف الانسان امامها ذاهلا مرتاعا . وهذا الشعور بالذهول والارتياع هو الذي يعبر عنه الوجوديون بكلمة (كبد) Anguish او Angst حينما يقف الانسان عند مفترق الطرق ، ليختار هناك مسلكا واحدا من عدة مسالك ممكنة ويتوقف على اختيار هذا المسلك فوز الانسان في حياته او خسرانه . هذا الموقف الحاسم محفوف بالعذاب النفسي الذي اشرنا اليه من قبل ؛ وفيه يكون الاختيار بين هذا او ذاك الاختيار الاعظم . ويفرق كيركيفور بين اختيار الانسان لامر عادي في مجرى الحياة وبين اختياره لامر له تأثيره في مجرى الحياة نفسه . فاختيار الامر العادي اختيار بسيط ليس فيه توتر نفساني ويجري بصورة طبيعية ، ولكن الاختيار الاعظم يكون في المواقف الحرجة المتناهية في التوتر النفساني . ويعطي كيركيفور مثالا على حالة التوتر النفساني هذه موقفه هو في اثناء مهاجمته للكنيسة ولرجالها وانظمتها ، فقد رأى نفسه بين امرين لا بد له من اختيار واحد منهما ، اما الانصراف الى حياة اللذة والسرور واما الاقلاع عن هذه الحياة والانقطاع للعبادة هذا هو الموقف العصيب الذي وجد كيركيفور نفسه فيه، ووجد معه انه لا مناص له من الاختيار الاعظم ، وهو الموقف الذي عبر عنه بكتابه اما \ واما Either/Or. هذا على مستوى فردي . ولكن الوجوديين الالمان عند نهاية الحرب العالمية الاولى وجدوا بلادهم في حالة بالغة من اليأس وفي موقف عصيب متوتر . تلك الظروف هي التي اوجدت شبنكلر الذي كتب كتابه عن انحطاط الغرب واوجدت امثال الشاعر رلكي الذي دعا الى العكوف على تأمل الموت ، والفرار من الحياة . ولم يكتف بان يدعو نفسه الى هذا المصير الفنائي ، بل دعا اليه كل انسان ، وطلب الفناء للعالم لان العالم لم يرض فكرته الكمالية . وجاء هايدكر على الاثر فاخذ آراء كيركيفور ووضعها في قالب فلسفي لم يكن يخطر لكيركيفور نفسه ببال . (وعلم ابا نواس من شعره ما لم يكن يعلم).

وقد احتاج الامر الى حرب عالمية ثانية والى وضع فرنسا في موضع عصيب يائس حتى يتنبه الوجوديون الفرنسيون الى المحنة ومر الهزيمة ، ويجدون انفسهم مجبرين على الاختيار بين ان يفقدوا كل شيء وبين ان يستعيدوا كل شيء . في ذلك الوقت كان من الواجب على الفرنسيين ، كما يقول سارتر ، ان يختاروا بين الخنوع والاستكانة وبين الشهامة والبطولة ، أي بين طرفي الموقف العصيب ويقول البير كامو في كتابه « الطاعون » ان الله في هذا اليوم قد منح عباده نعمة بان وضعهم في هذا العناء الشديد حتى يتوجب عليهم ان يكتشفوا من جديد تلك الفضيلة التي تسمو على كل فضيلة ويعتنقوها وهي فضيلة اختيار الكل او لا شيء .

ويتفق الوجوديون عموما على ان الاختيار لا يكون مبنيا على مبدأ اخلاقي ، لان الوجودي لا يؤمن بوجود قيود تقيده، وهو موجود في عالم اللاشيء الذي ليس فيه علامات يهتدي بها الانسان عند اتخاذ قراره ، وليس فيه ما يجعله يختار هذا الطريق دون ذاك . فهو حر تام الحرية . عليه ان يختار بنفسه وبدون معونة . فكيف يختار ؟

لندن **حسن الكرمي**

صباح خلدة

فؤاد الخشن

من زرقة تغيم في الاعالي
وسمرة الجبال
قد طلعت اميرة الجمال
والنور من اهدابها الطويله
منتشر ... كالتبر من جوانح الفراش في خميله

وفتحت حلوتنا الاميرة
ساعدها ... وعانقت غرستنا الجميله
لاهثة الضلوع والانفاس
ورفرفت تعوم في بركتنا الصغيره
محاولة الضفيره
ماسحة بالشفة الدفيئه
قرميدنا المزان باللآلي
وغلفلت في موجة كأنها منديل
مطرز ... يفرشه نسيمنا البليل
في شطنا المهفهف الرمال
فتبعث الانغام في السكون
غمائما تحل في النفوس والعيون
كالخمر ... والنعاس

وزورق الصياد
ينساب في الابعاد
كومضة الضياء
مهدهدا بالموج والآمال
وحلم الرجوع في المساء
بصيده الكثير
لكوخه المزين الصغير

مشاعل الوزال حول بيتنا تضاء
واعين الشقائق الزرقاء في سفوحنا تفيق
ايقظها من نومها الشروق
ونغم مهدهد رقيق
لعابر تحمله الطريق
الى شعاب غابة الزيتون ... للظلال
وسرحة العيون والخيال ...

وجن في حقولنا مزمار
لهائم متيم يحار
تتبعه الخراف والابقار
والشاعر الغريق في احلامه السعيدة
في قصص غريبة من اعصر بعيده
يصحو على ابنته الصغيره
تدعوه للجنينة الخضراء
لسندس السجادة النضيره
لافق ملون يغمره السناء
لعالم الطفوله !



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمود محمد سليمان

العاطفة المقنعة

بقلم محمود محمد سليمان

* * *

يحرص الشعراء حين يسعدون او يألمون بتجاربهم الشعورية المختلفة ان يجدوا صدى هذه التجارب في انفس الناس ، ومشاركتنا الوجدانية للشعراء تزيد من سعادتهم او تخفف من شقائهم ، والشاعر لا يتغنى بقصيدة الا اذا وجد الاذن الطروب التي تلقف اناشيده في نشوة وهزة وابتهاج ، ولو علم الشاعر أن هتافه وانغام نفسه تتبدد في الهواء لحبسها ضنا بها من هذا الضياع ، ولكنه مطمئن الى ان ما هزه من عوامل الطرب والشجن ستحرك اوتار القلوب الحساسة ، فتستجيب لخفقات السرور والشجو عند الشاعر !

وصدق التجربة الشعورية هو الطريق الواضح لتعلق الناس بفن الشاعر ، ولكن الامر في صدق العواطف قد يداخله بعض اللبس فتتقنع العاطفة وتتلون في مساق التعبير فتحسب الشاعر عدوا وهو صديق ، ونتوهمه ذا مزق وحماقة وهو ثابت رزين ! ومن ثم ينبغي لنا ان نتريث في الحكم على الشاعر ، ونقدر عواطفه تقديرا منصفا حتى لا ندخل في حساب فنه ضيماً او هضما . وامر العواطف التي تختلج في انفس الشعراء ليس بالسهولة التي نبدي فيها الرأي او نحسم الحكم دون اعمال الروية واحكام النظر ، فالعواطف متقلبة متلونة وفيها التداخل والتناقض ، وعالم النفس الانسانيه زاخر بالاسرار والفرائب ، واختلاط الاحاسيس في نفس الشاعر شيء مألوف مقرر .

من هذا يتبين ان العاطفة قد تتقنع وراء خيال غريب ، فيكون طريقنا الى كشفها محفوفا بالزلل ، ويتبع ذلك اننا لا نصدق في وصفها ، ولا نرصدها رصد اللقين الذي لا يخدع بشية التعبير . ونحن نقرر ان عدم التأمل والروية في رصد العاطفة اوقع النقاد القدماء في اخطاء بدت في بعض احكامهم المتسرعة على نماذج صادقة من الشعر ومن ذلك مثلا انهم قالوا في ابيات كثير عزة :

وددت ـ وبيت الله ـ انك بكرة	هيجان وانى مصعب ثم نهرب
كلانا به عر فمن يرنا يقل	على حسنها جرباء تعدى وأجرب
نكون لذي مال كثير مففل	فلا هو يرعانا ولا هو يطلب
اذا ما وردنا فهلا صاح اهله	علينا فلا ننفك نرمى ونضرب

قال النقاد في هذه الابيات : انها معيبة ، اذ ليس من السديد ان يتمنى المحب لحبيبته هذا الشقاء ، وكيف يتمنى لها وله الجرب ليبتعدا عن الناس ، وليكونا في مأمن من العزال ؟ أئذا افردهما المرض المنفر في خلوة عن الناس يسعدان بنعمة الحب ؟! بل زعموا ان عزة قالت لكثير : لقد اردت بنا هذا الشقاء ! اما رأيت امنية اوطأ من هذه ؟!!

وانه لكثير من النقاد القدماء ان يفوتهم في هذا النص صدق العاطفة، ومهما تقنعت العاطفة بهذا الخيال الغريب فانها لن تكون عبثا وسخفاً من القول ، ولننسى في هذا المقام متعمدين ان الشاعر مزور العاطفة ، لانه تمنى الاماني الشقية لمحبوبته ، وما كان لمحب صادق ان يتمنى مثل ذلك لمن يحب ، فالحق الذي لا مراء فيه ان كثيرا صادق العاطفة تجيش نفسه بغرام عنيف ، وهذه الاماني الشقية التي زعموها لا تصدر عن محب ، انما هي رمز الصدق في العاطفة ، ومقبول من كثير ان يجمع خياله فيتمنى انفراده بمحبوبته بعيداً عن فضول الناس ونظراتهم فهو حريص اشد الحرص على ان يخلو بحبيبته ، كما هو حريص على ان يخلو ذرعه من هم الناس ومتابعتهم له ، والناس لن يتركوه ينعم بهناءة الحب بعيدا عن فضولهم ، بل ان المحب يتوجس من النباة الخافتة يحسب وراءها عينا متطلعة متقصية ، وهو لن ينعم بالا بحبه الا اذا سرق غفلة الناس او اهمله الناس ، ومن اجل ذلك سدغ خيال الشاعر ان يكون مع حبيبته صورة غريبة : بكرة من الابل هجان وفتى فحل قد اصابهما الجرب اذا وردا منهلا للماء صاح بهما الناس منفرين خشية العدوى والضرر وصاحبهما قد اهملهما فلا رعاية لهما ولا طلب ، اذ هو غني كثير المال وفيه غفلة تسمح له ان ينسى بعض ماله .

أترى في خيال الشاعر شططا او نفورا ؟ ايكون الشاعر على ما زعموا مزور العاطفة لما في حديثه من الاماني الشقية؟!

اذا تناولنا المسألة من وجهة النظر العابرة كان كلام الشاعر شططاً وجموحا ، وكان تزويرا للعواطف ، وكان تجاوزا للمألوف من سنن التعبير ، واذا نبشنا عن اللباب رأينا في التعبير صدقا وتناسقا مع المألوف من مشاعر النفس الانسانية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اذا ضاقت نفس المحب بعوائق الفضول والتعقب وقطع عليه الناس سبيل الاشواق وحرموه ارضاء الهوى المحروم فليعش في أحلام الخيال ، وليجمع به الخيال بعيدا عما يتصور الناس وما يألفون ، بل تستطيع ان تقول: ان الحب المكين لا يتعلق بالصور والاشكال ، وليس غريبا عن المحب ان يتمنى ان تكون محبوبته صنما للحسن يطوف به كما يطوف العابد بالمعبود،او يكون معها طائرين غردين يأويان الى جداول المياه او يتنقلان بين افنان الاشجار . وكثير على طريقته الفطرية البدائية تصور ان يكون مع محبوبته صورة شاردة ربما لا يألفها الذوق العصري ، ولكنها مألوفة في عصره ، وأعني بالالف انه يرى في بيئته صورة الابل الجربى مقترنة بالبعد والانعزال ، فاذا هفت نفسه ان يخلو بمحبوبته ويعتزل الناس وفضولهم فليس في مخيلته الا هذه الصورة ، اذا ما سلكها في تعبيره فلا يغيب عنا انه يصور نفسه المحبة في صدق لا يشوهه ابدا انه اختار صورة تعبيرية فيها جفاء وبداوة وقد سبق الفرزدق كثيرا الى هذا التصوير المتبدى في حديثه عن محبوبته وقال النقاد : ان كثيرا أساء الاتباع حين قفى على آثار الفرزدق في هذا التصوير . والواقع أن اختيار هذه الصورة بسبب نضح البيئة وتأثيرها على الشاعر ، ولا ملامة على الشاعر ينتزع تصويره من البيئة اذا كان صادق العاطفة فوار الشعور يقول الفرزدق :

الا ليتنا كنا بعيرين لا نرد ... على حاضر الا نشل ونقذف
كلانا به عر يخاف قرافه ... على الناس مطلى الا شاعر اخشف
بارض خلاء وحدنا وثيابنا ... من الربط والديباج درع وملحف
ولا زاد الافضلتان اسلافه ... وابيض من دماء الفمامة قرقف
واشلاء لحم من حبارى يصيدها ... اذا نحن شئنا صاحب متلفف
لنا ما تمنينا من العيش ما دعا ... هذيلا بنعمان حمائم هتف

والغريب في امر النقاد القدماء انهم يصدرون احكامهم وكأنهم تناسوا امرين هامين ذلك انهم ــ اولا ــ لم يدخلوا في حسابهم ان الخيال رمز الاحساس والشعور فلو قدمنا الصورة الخيالية على اساس انها رمز لطاقة شعورية لقبلنا من الفرزدق ومن كثير ما تخيلاه ، فالواضح ان امنية الشاعرين على هذا النحو صدى لعاطفة صادقة واكثر من هذه الامنية الشقية كما يقول القدماء ان يتمنى الشاعر موت حبيبته كما تمنى حياده بن نجيه فقال :

من حبها اتمنى ان يلاقيني ... من نحو بلدتها ناع فينعاها
لكي اقول : فراق لا لقاء له ... وتضمر النفس باسا ثم تسلاها

ولم يخرج الشاعر عن حد الصدق فهو محب صادق وانه لمنطقي بمقياس النفس وفي حساب المشاعر اذ بلغ حبه حدا عنيفا طاغيا حتى اصبح يبدو في موقف المتناقض ولا تناقض ، ولو لم يصرح الشاعر بان الحب هو الذي دعاه الى ان يتمنى لمحبوبته الموت لكان اقرب الاشياء الى عقولنا ان نفهم حبه القوي العنيف .

تصور الشاعر محبا صادق الحب ولكنه محروم قد نأت به الديار وشحط به المزار فانبعثت في نفسه عزة قاتلة شديدة انه ولا شك يندفع بحرارة كأنما يريد ان يدمر هذا الحب وهو لا يستطيع ولا يرجو ان يمس حبه بفاجعة او الم !

ولو ارغم هذا الشاعر على السلو ما استطاع ان يسلو ، اذ لا يملك ان يسلو والشعراء يقولون ما لا يفعلون !

والامر الثاني ان اعتبار النفس الادبي وتقديره اساسه انفعال الشاعر ونفسه الموارة بالمشاعر ، وليس الخيال الذي يلجأ اليه الشعراء الا نافذة واحدة من نوافذ كثيرة تطل منها العاطفة ، ولا اعتبار للخيال اي اعتبار الا اذا كان مصورا للعواطف ، وقد تتقنع العاطفة بلون من الخيال يبدو في ظاهر النظر متناقضا معها ولكنه في واقع الامر دليل عليها، وليست العاطفة بالوضوح والتميز الذي يكشفها وجه واحد ظاهر من اساليب الخيال .

لقد اعتاد الشعراء ان يدعوا لاحبائهم بالخير والعافية وسلامة الديار يقول قائلهم :

الا اسلمي يا دار مي على البلى ... ولا زال منهلا بجرعائك القطر

ويقول آخر :

فسقى ديارك غير مفسدها ... صوب الربيع وديمة تهمى

والشعراء صادقون في هذه الاماني وعاطفتهم المحبة صريحة لا مواربة فيها ولا التواء ولا تجد من احد معترضا على وضوح النفس ، ووضوح التعبير في الكشف عن النفس ، ولكن الامر يصبح ذا لبس شديد اذا تسترت العاطفة المحبة وراء صراخ الغضب في قول جميل :

رمى الله في عيني بثينة بالقذى ... وفي الغر من انيابها بالفوادح

وفي قول جنادة :

من حبها اتمنى ان يلاقيني ... من نحو بلدتها ناع فينعاها

ومن طبيعة المحب ان يغضب ولكن غضبه تعلق بالحب وليس انحرافا عنه فجميل لا ينسى بثينة ولا يسلوها ، وهو يتوله في حبها وان اوهمنا انه يدعو عليها ! ونحن لا نخدع بفورة الغضب المصطنعة في دعائه على محبوبته ، فلو حققنا الامر لكان دعاؤه الذي يشبه السخط جموحا في الهوى يترجم عنه هذا الدعاء الغاضب ! فعينا بثينة الحوراوتان الهبتا فيه ضرام الهوى وانيابها الغر سعرت فيه لظى الغرام فجأر بالدعاء عليها وكأنه يقول : ما اشقاني بهاتين العينين ، وهذه الانياب التي نضدت من در !

ولم يبعد جنادة عن طريق جميل فقد ملأ الهوى شغاف قلبه حتى اصبح اسير الهوى في حرمان يزيد من وطاء الغرام ، فناء بما حمل من اثقاله فصرخ كالمجنون يدعو عليها بالموت !

ومن الخطل اذا ان نبادر الحكم على النص الادبي دون اعتبار العاطفة وقياسها لنعرف حظها من الصدق او التزوير ، وكثيرا ما وقع النقد الادبي في احكام جائرة ، لانه لم يقدر الموقف العاطفي عند الشاعر تقديرا منصفا ومن امثلة ذلك ما قالوه تعليقا على هذه الابيات للحارث بن خالد:

اني وما نحروا غداة منى ... عند الجمار يئودها الثقل
لو بدلت اعلى مساكنها ... سفلا واصبح سفلها يعلو

فيكاد يعرفها الخبير بها فيرده الاقواء والمحل
لعرفت مغناها بما حملت مني الضلوع لاهلها قبل

قالوا : ان المحب الشاعر تطير على محبوبته حين قلب ربعها فجعل عاليه سافله ، وجعله مقفرا (١) ومقطع الصواب ان تعبير الشاعر لا معابة فيه ، ولا وصف اليق من انه قد لمس القلوب بصدقه وروعته ، والشاعر لم يتطير على محبوبته ولا تمنى لها الدمار ، وانما يصور شعوره المحب بصورة فريدة لا يرقى اليها كثير من اولياء البيان ، لو تخيلنا منزل الحبيبة تبدل سفله علوا ، وعلوه سفلا ، وضل الناس في امره فلم يهتدوا الى سبيل ، فان الشاعر المحب يهديه احساسه العاشق الى منزل هواه .

عيب النقد القديم النظرة الجزئية الضيقة التي تتحيف النص الادبي ، وتطلق الاحكام مغفلة اهم مقياس ينبغي ان تقاس به الاعمال الادبية وهو الشمول ، وتقصي الاثرالادبي كوحدة لا انفصام بين اجزائها ، ومن امثلة التحيف والهضم اعتبارهم ان الحارث ابن خالد في النص السابق يتطير على محبوبته ويتشاءم ، وهذه الفكرة ابعد ما تكون عن جو النص ذلك ان الشاعر الذكي الصادق في محبته لا يضل عن المكان الذي انبعث فيه هواه ، ولو محيت آثاره ورسومه! فمن اين يؤتى الشاعر بانحراف في التعبير عن فكرته ؟! الامر كما ترى واضح لا عسر فيه ، وارتباط الابيات بعضها ببعض لا يدع مجالا للنظر السديد ان ينحرف في فهم الابيات عن قصد الشاعر ، اذ لم يخطر على باله ـ فيما نظن ـ انه يقصد انهدام بيت محبوبته على راسها وما الذي يريده الناقدون من هذا الشاعر بعد ان نفض اليهم دخيلة قلبه ، واطلعهم على اهواء نفسه؟ هل عاب صدقه انه تخيل دار محبوبته وقد تبدلت اعاليها اسافلها ليبني على هذا التخيل انه لا يضل ولا ينسى هذه الدار ، واذا ضلت العين لتبدل المعالم ، فالقلب الخافق بالحب رائد الى منزل الحب، يبعد عنه الضلال !

لعرفت مغناها بما حملت مني الضلوع لاهلها قبل

واذا لبست عاطفة الشاعر قناعا من الخيال الغريب فان الصدق الذي يتستر وراء هذا القناع كفيل بان يمنح بيان الشاعر روعته ، ومن حق الشاعر ان يصور نفسه ويبين عن مشاعره بالوجه الذي لا يزور الصدق النفسي ، بل ان غرابة الصورة التي توهم الكذب دليل على صدق العاطفة وقوتها ومن هنا كان جميل بثينة صادق العاطفة واضح الصبابة في قوله :

الا ليتني اعمى اصم تقودني بثينة لا يخفى علي كلامها

ووجه الصدق في حديثه ـ وان خالف النقاد ـ انه يتمنى قربها ويتشهى حديثها ، فلو لم تسعفه الظروف لتحقيق هذه الرغبة الا في حال يستدر فيها عطف الناس ، ويبذلون له الرحمة رثاء واشفاقا لصادف ذلك هوى في نفسه ، واذا قادته بثينة وهو اعمى اصم لم يعم عن محاسنها ، ولم يخف عليه كلامها ، فان قلبه المحب لايحجب عنه جمالها ولا يحول بينه وبين سحر حديثها . ولم نقول مع النقاد انه اساء التعبير لما في حديثه من الاماني الشقية؟!

الحرفية والوقوف عند ظاهر الاشياء سبب هذا الحكم الجائر ، ان جميلا لا يتمنى اماني شقية لنفسه ، لانه يرجو السعادة بالحب ، والحب نعيم خالص ، وانه لسعيد بحبه حتى اذا تخيل الناس فيه الشقاء ، وليس في حديثه اكثر من انه عبر عن نفسه المحبة بالصورة الغريبة . والغرابة هنا لا تزيف الصدق ، وانما تكشف عنه وتكون دليلا واضحا عليه ، وللعاطفة في التعبير اوجه ودلائل ، ولا يصلح وجها للعاطفة المشبوبة الملتهبة الا الخيال الغريب . وكيف يعاب الغريب من الخيال وهو رمز الاحساس القوي الصادق ، وحين يبلغ المحب درجة التصوف في حبه ـ ان صح هذا التعبير ـ يبدو البيان وكأنه خارج عن سنن المألوف من الكلام ، هذا طبيعي ، لان شعوره بمحبوبته قد اصبح خارجا عن سنن المالوف من الحب ، والذي يهدي الناقد الى معرفة مدى الصدق في حديث الشاعر ، والمطابقة بين بيانه ومشاعره هو الثاني في الولوج الى اسرار الشعراء ، ودخائل قلوبهم ، ومن ثم لا يلتبس علينا ان نكشف وجه الصدق في التعبير ، فقد يبدو الشاعر قاسيا على نفسه ومحبوبته وهذه القسوة عنوان الرحمة والحنان والتوله في الحب .

وهل كنا نتصور ان يتمنى المحب العمى لنفسه لتقوده محبوبته ، ذلك غريب شاذ اذا تخطفنا الامور وتعجلنا الحكم ، وحين نانس بالشاعر ونتلطف في الدخول الى نفسه، لا تدهشنا غرابته ولا جموحه ، اذ ليس في حديثه غرابة ، او مظنة جموح ، انما هو محب صادق ، ولاصحاب القلوب اذواق واحوال ، يختل العباس بن الاحنف اذا حالت العوائق بينه ومن فوز محبوبته ـ ان تغشى اعينهما غشاوة فلا يبصران الدنيا ، ذلك انه يضن بطرفهما على الناس كما يضن هو بطرفه عليهم ، فاذا ما التقيا عادت ابصارهما الى الجلاء واستمتع بمحاسنها وسعدت هي بالنظر اليه هكذا يقول :

الا ليتني اعمى اذا حيل دونها وتنشالنا ابصارنا حين نلتقي
اضن على الدنيا بطرفي وطرفها فهل يعد هذا من فعال بمشفق

واذا اقتنعنا بوجهة نظره ولم نعجل عليه بالحكم نخرج بنتائج باهرة من هذا الحديث .

شاعر صادق محب ودود قد اخلص الهوى فهو لا يحب ان يرى غيرها ، وتعمى عيناه عن كل ما سواها من مفاتن الدنيا وسحر الجمال ، وانه كذلك يغار اذا قلبت اطرافها في مجالي الجمال ، ونقلت بصرها في الناس ، فلا يسهولنك اذا ان يسعد الشاعر بالعمى اذ احيل بينه وبين محبوبته فهذا عنوان الصدق على حبه ، وليس ظلما وتجنيا للهوى ان يرى محبوبته عمياء الا عنه ، فطرفها الساحر ينبغي ان

(١) اسس النقد الادبي لاحمد بدوي ص ١٦٣ نقلا عن الاغاني .

الريح .. والارض الخراب

وتعبر الوديان والعصور والحجر
حوافر الرياح تضرب الزمان دونما بصر
وفي الطريق تحرق البحار والمهود بالنشيج
وعودها جماجم الاحياء والشجر
وبوقها يعج بالضجيج
فيهدم القبور
يصم آذان قوافل البشر
ويرهق الظلام والنهار ..
آه يا حوافر الرياح
جلالك الثقيل لن يصيبه الكساح
ولن يكل ، ان ماواه ضريح ارضنا الخراب !

هناك ، في نهاية الزمن
هناك ، حيث لا بطون تنضح الشجن
ولا اقاصيص تنز ثمة افتراء
بان قيسا ما ازال حبه الفناء ،
هناك ، حيث ليس لي رفيق
سريت الهب الرياح عبر كل واد
لارطم الجبال والسماء بالوهاد
اجوب كل غابر من الدجى ، سحيق
وابدأ الحدود حيث تبدأ القرون
واسفح الدموع عند بدء ارضنا الخراب .

هناك حيث يبدأ البشر
ويبدأ الخـراب
المح في مخابىء الصهيل
عواء كل ذئبة يسيل من عيونها الشرر
ويصعد الصهيل سالكا مخاطر السبيل
الى السماء
فتشهق السدرة بالدماء
وتفجأ الصهيل بالحريق
فيجأر الصهيل بالنحيب والدعاء ...
وهو يلثم السماء :
« يا ايها الخضر تعال وانقذ الذئاب والخيول
فانه الصيد يظل يقرع الطبول
ويعلن الخراب ! »
فيجمح الحريق
ويبـدأ الخراب !

واسأل القبور :
« أفيك حقا كل من مات من البشر ؟ »
فتنثر القبور حولي اعين الحجر
تبكي وتروي قصة الخواء
وانه الصيد الذي يدفن في البطون
افئدة الرجال والصخر
هو الرياء ينزل القبور كي ينام كالدفين
من سالف القرون
فيذعر الرجال ، ثم يهرعون ...
الى القبور ، هاتفين أن من نعوا هناك
وانه الصيد الذي يدفن في البطون !.
فيهمد الضجر
ويرجعون هامسين : انه الخراب

واركب الرياح .. اسري بين اطلال من السماء
احتضن البروق ... كي انام دونما عروق
دون دم ، فلا ارى السدرة تهوي
تحرق القديم والجديد
وتسفح النشيج ، ترثي ايما وليد
مشوه ، يسعى الى الصيد ، يداه من حديد .
وترحل الرياح تدحر السدود
تهين عالم السماء بالحوافر النقود
وفي الطريق تعلن الدمار والخراب
فيشمخ الخراب !!

بغداد — عبد الامير حميد معله

يكون اثيرا به وحده ورحم الله ديك الجن عبد السلام بن رغبان اذ يقول وقد اعمل سيفه في محبوبته غيرة وحبا :

لكن بخلت على العيون بطرفها — وانفت من نظر العيون اليها

ان للعواطف والقلوب اسرارا قد تبدو ، وقد تتستر في الخفاء ، فاذا اغرب الشاعر في خياله ، لم يكن خياله زيفا لمجرد الاغراب ، فقد يكون الاغراب في التعبير على قدر الصدق في الشعور وللعواطف والمشاعر اوجه ، بعضها ظاهر وبعضها مستور .

الفيوم — ج.ع.م — محمود محمد سليمان

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

الدكتور شحاده – المطران ابو سعدى

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ــ الدكتور سليم شحادة

ولد الدكتور سليم شحادة سنة ١٨٩٣ في رام الله عروس المصائف الفلسطينية وتلقى دروسه الاولية والثانوية في ــ مدرسة صهيون ــ الانكليزية بالقدس ونال شهادتها الثانوية في عام ١٩٠٧ والتحق بالكلية السورية الانجيلية (الجامعة الاميركية اليوم) ونال الشهادة الجامعية في عام ١٩١٠ وعلّم سنة في احدى ثانويات حمص ، وفي عام ١٩١٢ بارح فلسطين الى الولايات المتحدة طلبا للعلم واستقر اولا في مدينة اوماها بولاية نبراسكا وفيها التحق بجامعة نبراسكا وحصل منها على شهادة استاذ بالعلوم وفي عام ١٩١٤ التحق بجامعة كورنيل وحصل منها في عام ١٩١٦ على شهادة الدكتوراه بالفلسفة وكان موضوعه الرئيسي علم النفس ومواضيع اخرى في التربية والاداب .

وبعد حصول الدكتور شحادة على شهادة الدكتوراه قصد مدينة نيويورك والتحق بجامعة بروكلن وحصل منها في عام ١٩٢١ على شهادة بالحقوق ، وفي اعقاب الحرب الكبرى التحق بالجيش الاميركي وكانت مهمته منحصرة في التدريب البيسكلوجي . وكان يعمل مع العالم النفساني الدكتور ليتشنر ، وهو عالم مشهور بكتبه في الفلسفة وعلم النفس .

وخلال عمله في الجيش الاميركي استنبط جهازا حديثا للوقاية من الغازات السامة لكنه لم يسجل هذا الاختراع باسمه ولقد أسهبت امهات الصحف الاميركية في وصف هذا الاختراع الهام وتعداد التحسينات التي ادخلت عليه وعلى اثر ذلك منح الدكتور شحاده الجنسية الاميركية .

وبعد ان طويت راية بني عثمان وزال شبحهم المخيف من سورية الطبيعية عاد الدكتور شحاده الى فلسطين في عام ١٩٢١ وعمل في جريدة « مرآة الشرق » التي اصدرها شقيقه المرحوم بولس شحاده في بيت المقدس . ونشر فيها سلسلة مقالات قيمة ، وبعد حين عين مفتشا عاما لدوائر العدلية في حكومة فلسطين فقاضيا في المحاكم البدائية وظل يعمل في حقل القضاء الفلسطيني حتى عام ١٩٤٦ حيث أحيل على التقاعد .

وخلال عمل الدكتور شحاده في القضاء كان ينشر خواطره وتأملاته في مجلات محلية واجنبية ، وفي عام ١٩٢٨ توفي الكاتب الاسباني الشهير فنسانت بلاسكو ايبانيز (١) فانصفه بمقال نشرته مجلة « المقتطف » ، وكتب مقالا ممتعا عن الامام الشافعي نشره في « مرآة الشرق » ويرى بعض ذوي العقول النيرة ان هذا المقال هو خير ما كتب عن هذا الامام الفقيه .

وتميز الدكتور شحاده بسعة الاطلاع ومعرفته مشاهير الكتاب الاوروبيين والاميركيين والشرقيين ، وهضمه اشهر آثارهم القلمية ، واشتهر بروح الفكاهة والذكاء المفرط والذاكرة الحادة والصراحة في ابداء ما يؤمن به وكانت دراسته في كافة مراحلها مجانا لتفوقه على اقرانه ، الامر الذي مكنه من الحصول على ارفع الشهادات العلمية من الجامعات التي انتسب لها في الولايات المتحدة .

من آثاره القلمية :

١ ــ « دراسات في السلوك البشري »
Studies of Human Behaviaur

و « استعمال المقاييس في الابحاث الخاصة بالاحكام المبنية على الميول والاتجاهات »
The Use of Scales in Research on attitude Judgments

وكانت الاطروحة التي قدمها لجامعة كورنيل ونال بسببها شهادة الدكتوراه تدور حول المباحث المار ذكرها .

٢ ــ « ما احسن عمل تصلح له ؟ »
What are you fitted for ?

وهو كتاب الفه بالانكليزية ابان اقامته في نيويورك وتناول فيه ابحاثا في علم النفس .

٣ ــ « الحرب العالمية الاولى » : كتاب بالعربية يتألف من عدة مجلدات وضعه بالاشتراك مع الدكتور فيليب حتي وطبعه في نيويورك عام ١٩١٧ .

٤ ــ « فلسطين وتجديد حياتها » : وضعه بالعربية وطبعه في نيويورك .

وبعد أن اعلن مشروع التقسيم في هيئة الامم اكفهر الجو السياسي في فلسطين عام ١٩٤٧ فغادر الدكتور سليم شحاده يافا الى بيروت واقام فيها وفي نيته ان يختم حياته بكتاب يضعه بالانكليزية بعنوان « خمس وعشرون سنة في القضاء الفلسطيني » لكن نكبة فلسطين واستيلاء اسرائيل على عقاراته وامواله في يافا أثرت في صحته فتوفي في الاسبوع الاول من شهر شباط ١٩٤٩ في بيروت ونقل جثمانه الى رام الله مسقط راسه ودفن فيها.

٢ ــ المطران جبرائيل ابو سعدى

ولد المطران جبرائيل ابو سعدى سنة ١٩٠٧ في بيت ساحور شقيقة بيت لحم ام المدن وتلقى دروسه الابتدائية في مسقط راسه وبعد ان نشبت الحرب الكبرى اغلقت المدارس ابوابها فانقطع ابو سعدى عن الدراسة .

وفي عام ١٩٢١ يمم القدس ودخل مدرسة القديسة حنة الاكليركية وهي المعروفة بـ « كلية الصلاحية » اليوم واكمل دروس الفلسفة وانتسب للسلك الكهنوتي ودرس اللاهوت مدة اربع سنوات وكان من الطلاب المتفوقين بهضم العلوم واستساغة مواد المعرفة .

وفي ذلك العهد تميز المترجم له بتوقد الخاطر وبحافظة نادرة واقبال على طلب العلم ، وبهذا الجد اتقن طائفة من اللغات القديمة والحديثة وخرج الى الحياة ، بهذه الثروة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الثقافية ، قوي الحجة في التدليل ، ناصع البيان في العرض ، حادا كالسيف في المنطق ، مضافا الى هذه المواهب التي تميز بها الفقيد وداعة في غير ضعف ، ولطف في غير ميوعة ، واقدام في غير تهور ، وصلابة في الحق على غير استبداد بالرأي ، وروح المرح في غير تبذل ، واسداء العون في غير منة !

وفي نهاية مطاف دراسته الاكليركية سيم الشماس ابو سعدى كاهنا في عام ١٩٣٣ باشراف المغفور له المطران بولس سلمان رئيس اساقفة شرقي الاردن للروم الكاثوليك (١٨٨٦ ــ ١٩٤٨) وعلى الاثر عين ابو سعدى استاذا في « الكلية الصلاحية » بالقدس فعلّم فيها الطلاب الاكليركيين العربية واليونانية وآدابهما وظل يؤدي مهمته الثقافية هذه من سنة ١٩٣٣ ــ ١٩٤٦ .

وفي اعقاب مرحلة التدريس الطويلة عينه البطريرك مكسيموس الصائغ مساعدا للنائب البطريركي العام في الكرسي الاورشليمي بالقدس وفي صيف عام ١٩٤٨ عين الاب ابو سعدى نائبا بطريركيا عاما ورقي الى درجة ارشمندريت تقديرا لعلمه ونشاطه الروحي في انشاء بعض دور العبادة وتجديد بعضها واصلاحها واقامة المدارس والمستوصفات في القدس ورام الله وبيت جالا وبيت ساحور والطيبة .

ونظرا للصلات الحسنة التي قامت بينه وبين كبار المسؤولين الاردنيين ورجال الطوائف الاخرى، ولتجرده في خدمة الجميع بدون ايثار ولا تمييز ولعطفه على الفقير من اي مذهب سامه البطريرك الصائغ صباح ٢٥ حزيران ١٩٦١ مطرانا على قيصرية فلسطين مع بقائه نائبا بطريركيا عاما في بيت المقدس .

وابان النكبة الفلسطينية (١٩٤٨) كان ينزل الى شوارع القدس المهجورة والقنابل تتساقط على احياء المدينة الثكلى ، ليجمع الجرحى ويعزي المصابين ، وفي موجات الثلوج التي اجتاحت الاردن في عام ١٩٦٣ كان ينتظر غروب شمس كل يوم قاصدا العائلات المحتاجة ليوزع المساعدات وليقول مع « باستور » :

« هل انت عليل يا اخي ؟ هل انت بائس ؟

اني لا اسألك : ما دينك ؟ ما عقيدتك ؟ ما مذهبك ؟

اني اسألك : مم تتألم ؟ تعال لاضمك الى صدري ! تعال لاسعى ان اشفيك بكل ما لدي من امكانات ومحبة ! »

وجبرائيل ابو سعدى هو صاحب فكرة اقامة الحفلة السنوية الخاصة بالاولاد الفقراء في عيد الميلاد !

من المآثر التي لا تنسى ان منظمة السلام العالمية دعت هذا المطران العربي ذات يوم لالقاء محاضرة في ميونيخ بالمانيا حول السلام !

وفي الموعد المضروب دخل قاعة كبيرة ازدانت باعلام دول العالم ، ولدى اعتلائه المنصة لمح بين الاعلام علم اسرائيل مرفرفا فغادر المنصة من توه ورفض ان يلقي محاضرته قائلا : « لن اتكلم حتى ينزل هذا العلم ! »

ولما قيل له : « لا تنس اننا في منظمة السلام ! » اجاب بقوله : « لا سلام في العالم ما دام هناك ما يسمى « دولة اسرائيل » التي قامت لانتهاك السلام واستباحة العدالة !»

وبقي جبرائيل ابو سعدى مصرا على موقفه وعناده الى ان انزل علم اسرائيل ... فالقى محاضرته معتزا بتغلب الحق على الباطل وبفشل ما هدفت اليه الصهيونية في ذلك الحفل العالمي !

من آثاره القلمية : اضفى الفقيد الاديب على الخزانة العربية طائفة من المؤلفات القيمة دونك اسماء شهيراتها :

١ ــ « الصرف والنحو » : سلسلة سهلة طريفة في قواعد اللغة العربية ، جنح فيها المؤلف الى الاسلوب المنطقي والتفصيلي ، مع تمارين نثرية وشعرية من ادبنا المعاصر .

٢ ــ « انيسة : او اخوان العدل » : رواية مقتبسة عن الفرنسية تصور العدل واثره في المجتمع وتفوقه على الدوام بالرغم من النكسات التي تصيبه .

٣ ــ « ليس انت » : رواية اكليركية تصور طموح الشاب وتطلعه الى المثل العليا .

٤ ــ « النهضة الادبية في لبنان » : محاضرات القاها المترجم له في اندية القدس وحيفا ويافا وحزمها في كتاب.

٥ ــ « قمبيز في الميزان » : دراسة انتقادية لتمثيلية « قمبيز » بقلم احمد شوقي امير الشعراء ، وفيها قارن الكاتب ابو سعدى بين شعر شوقي وشعر فيكتور هوغو.

٦ ــ «حافظ ابراهيم : الشاعر المصري العظيم» : دراسة تناول فيها المؤلف ابو سعدى ، شاعر ، والبؤساء وحافظ ابراهيم ، شاعر مصر والمصريين وحافظ ابراهيم شاعر الشرق والشرقيين وختم هذه الدراسة الممتعة بدراسة حلل فيها شاعرية المرحوم حافظ ابراهيم .

٧ ــ « خليل مطران : شاعر الاقطار العربية » : دراسة حلل فيها ابو سعدى شعر مطران الرقيق وشاعريته الثرة الخصبة .

٨ ــ « فوزي المعلوف » : دراسة حلل فيها ابو سعدى الشاعر الفتى فوزي المعلوف وملحمته الخالدة «على بساط الريح » وكتب مقدمتها كاتب هذه السطور .

٩ ــ « الهتلريات » : دراسة تناول فيها المؤلف التمييز العنصري والحب وفلسفته والمبدأ الشيوعي ، بالاضافة الى عشرات المحاضرات التي القاها فقيد الادب في الاندية الفلسطينية ــ قبيل وقوع النكبة ــ وقد تناول فيها الادب العربي في سائر عصوره ومنها محاضرة حول « الشعر المعاصر » وقد القاها في النادي الارثوذكسي بحيفا و « الرمزية في الشعر الحديث » و « مقارنة بين دانتي شاعر ايطاليا في الكوميديا الالهية وابي العلاء المعري شاعر العرب في رسالة الغفران » .

عمان ــ الاردن **البدوي الماثم**

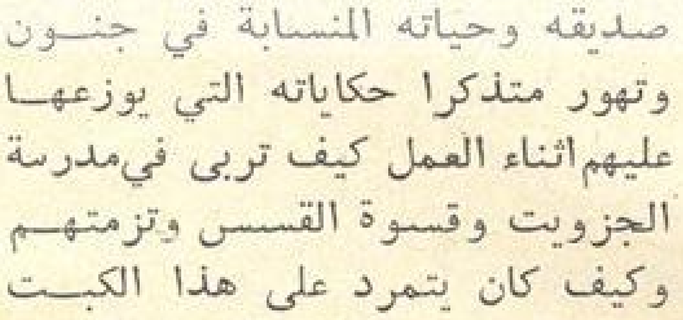
---

(١) (١٨٦٧ ــ ١٩٢٨) روائي وسياسي اسباني ، ولد في فالنسيا وقام بدور فعال في الحركة الثورية ، وقضى القسم الاخير من حياته في باريس بالاوساط المناوئة ملك اسبانيا واظهر عواطف ودية نحو الحضارة العربية وله « الدم والرمل » (١٩١٣) وقصص قصيرة كثيرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدروب المختنقة

بقلم عبد الرحمن ابو عوف



في المساء وكالعادة استقبلته دروب بولاق المتربة الملتوية كأمعاء وحش هائل متعفن وشعر وهو يجوس خلالها بين العربات المقلوبة والنساء والاطفال الجالسين امام الابواب القذرة المحطمة وامامهم اقفاص مقلوبة فوقها الطعمية والكرنب والكشري ، شعر ان مجهولا له آلاف الاذرع يقبض عليه ويمتص كل ما فيه من حياة ماضية متوهجة ويجبره على أن يجرب هذه التجربة الجارحة ، وبنظرة غاضبة مشمئزة راقب حركات يوسف الصديق الجديد في حياته يوسف المفعم بالاهواء والمرح يسير امامه مختالا بجسده الممشوق يطوح بذراعيه وعلى عينيه نظارته السوداء المشهورة تخفي عينين كلما نظر اليهما شعر أن كل شيء ينهار ويتعفن وينسحب قد تبلور في هاتين الحدقتين .

وعلى مرمى الافق المختنق بالمنازل المهدمة الكاحلة بدأت تظهر المقاهي بدكاكين صغيرة ضيقة امتلأت بالعديد العديد من الناس كأنهم اشباح من عالم آخر .

العيون الحمر لا يميزها عن المفحم المتقد المتطاير شراره في الجو المعبأ بسحابات كثيفة من الدخان ثمة شيء يحترق هنا ويتحول الى رماد ، ليست نيران عادية فلها رائحة اخرى وتأثير آخر وغمر خالد احساس حزين مبهم والغريب ان ثمة لذة مجنونة تصحب هذا الاحساس ، هذه اللذة ربما تكون هي اليد المجهولة التي تجذبه الى هذه الاماكن الموبوءة .

وبين اصوات البصاق والكح الذي يخلع الصدور المنحنية على الجوز عبر خالد ويوسف بعض هذه الازقة المتسخة وبدأت تتضح امامها قهوة المعلم عبده المشهورة في بولاق وسرعان ما قام يستقبلهم في ترحيب كاشفا عن اسنانه الذهبية ناظرا اليهما بعينين شرستين قلقتين .

وتم كل شيء في بساطة وقام يوسف بدوره المعهود في رزانة ودربة:

ـ ربع قرش غبارة يا معلم من الحمرة والله .

ـ تولع هنا يا ابو حجاج .

واستدار المعلم عبده في حركة مختالة امرا كحكوح .

ـ رص ١٥ حجر بسرعة وغير ماء الجوزة الصاج .

وما هي ألا لحظات حتى كانت الاحجار قد رصت في نظام على الرخامة المزخرفة بأرقام وفوقها اسماء غريبة تسلى بقراءتها خالد بينما انهمك يوسف يدفىء التعميرة في يده ويقطع منها ويختم الكراسي في هدوء وتلذذ كأنه يصنع تمثالا او يرسم لوحة .

كانت رؤية يوسف وهو يؤدي عمله هذا تجذب انتباه خالد دائما وتجعله يشرح بعيدا بعيدا متأملا صديقه وحياته المنسابة في جنون وتهور متذكرا حكاياته التي يوزعها عليهم اثناء العمل كيف تربى في مدرسة الجزويت وقسوة القسس وتزمتهم وكيف كان يتمرد على هذا الكبت ويهرب مع زملائه الى الفرز يشربون المخدرات وينسون حياة المدرسة الداخلية الجافة ويوم احب فتاة مسلمة واوشك ان يسلم ليتزوجها لولا تهديدات والده وخوفه على اخوته ومستقبلهم ثم كيف فصل من الكلية واحساس الطالب المفصول عندما يعود الى الكلية وفزعه وحياته كموظف بالتوجيهية باحدى الوزارات وهواية التمثيل وكيف قلبت حياته الثانوية والجامعية واخيرا انتهى به المطاف بالعمل في نفس المؤسسة التي يعمل بها خالد كل هذا يعرفه عن يوسف كثيرا ما افزع قلبه له في هذه الامسيات ذات الظلال ولا سيما ذكرياته عن المسرح وادوار لعبها ذات يوم .

نعم لعبت هاملت ذات يوم على مسرح الكلية واخذت ميدالية مازالت عندي تصور يا خالد ان اغلب الذين يلعبون الادوار الاولى في الفرق الآن بدأوا معي لكن اللعنة على الغرور او قل التردد اولا اعرف ثمة احساس ينتابني احيانا من هناك جرثومة مدمرة تنمو في داخلي واخشى ما اخشاه ان تظل تنمو حتى اصبح انا ايضا جرثومة .

ثم يصمت ويشرب ويضحك ضحكته المعربدة ويعود ويتكلم .

ـ لقد قلت لي ذات يوم يا خالد كلمة في الكتب لن انساها .

قلت على ما اتذكر سر اناقة يوسف وذوقه الجميل في اختيار ملابسه هو البقية الباقية من روح الممثل القديم فيه نعم يا للسخرية بدلا من ان أخرج مسرحية لا اقوم الان الا باخراج قوامي واعرضه .

هذا هو الميراث من الهواية المجنونة .

غير ان خالد ما كان يظن رغم ظنونه حوله او يتوقع رغم عمق تأمله لحياة يوسف وما يجعله يندفع الى هذه الاماكن المختلفة في سراديب المدينة وادمانه شرب المخدرات لدرجة ان حب الاستطلاع الجنوني ادى به لممارسة نفس الجولات المجنونة مع يوسف واقدم على التدخين معه في استهتار مبررا اقدامه بضرورة معرفة يوسف اكثر رغم ذلك ما كان يتوقع ان يحدثه هذه الليلة هذا الحديث الغريب المثير المفزع يوسف العتيد من كان يظن انه يطوي الصدر على جانب مظلم مفزع لا يزال يحتفظ به ولم يحك به لاحد .

واستيقظ علي كحكوح بجسده

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صورتها

كيف أقبلت ؟ اين كنت ؟ أحقا ... أن سهم النوى اصاب فأصمى ؟
ليس عندي غير الدموع وقلب ... من تباريح شوقه كاد يدمى
أين تبغين أن تقيمي ؟ بصدري ؟ ... ان صدري قد رق لحما وعظما
أين تبغين أن تقيمي ؟ بقلبي ... ويد البين أمعنت فيه هدما ؟
أعلى العين ؟ انت والله اغلى ... أم على الرأس ؟ أنت والله اسمى
مرحبا بالحبيب قد جاء يسعى ... مرحبا مرحبا وان جاء رسما
أو يصيب الجماد روحا لمات ... الرسم مني والله لثما وضما
كنت عندي بالامس روحا ، ولكن ... انت عندي قد صرت روحا وجسما!

لا ترحلي

انا غير روحي لم يبق لي ... وتوشك تفلت من هيكلي
حملت الحياة على راحتي ... اليك ، وروحي على انملي
فان شئتها يا اعز الورى ... خذيها اليك ولا تحفلي !
كفاني ، كفاني الذي قد حملت ، ... ولولاك والله لم أحمل
عذاب مقيم على القرب منك ، ... فكيف اذا شئت ان ترحلي ؟
حرام ، حرام تصديننني ... عن المورد السائغ السلسل
حنانيك بعض الذي قد لقيت ، ... فكيف بنار النوى اصطلي ؟
أغار من الهمس بين الغصون عليك ، ومن أنة الجدول
ومن خطرات نسيم الصبا ... ومن ذكريات الهوى الاول
فانت نعيمي ، وانت جحيمي ... ومهما تجوري سارضاك لي ...

لندن — سعيد العيسى

من « العروة الوثقى »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القمىء ورقبته السوداء وشفتيه الكبيرتين المطوطتين ، وبدا كحكوح يعمل في رشاقة وسرعة وخبرة يفرغ الجوزة ويأخذ الحجر ويضعه على فوهة الجوزة وبيده اليمنى يمسك مصفاة الفحم ويطوحها في مهارة ثم يقلبها على فوهة الحجر ويسحب النفس في تقطع محدثا صوتا منغما ثم يقدمها لهم قائلا في همس كريم : مساء الخير .

وبدا خالد يسحب الدخان في بطء اولا وما لبثت رغبته ان تزايدت لابتلاعه وسرعان ما شعر بالصداع ثم اعقبته مقدمات غيبوبة خفيفة لذيذة انسته احتراق صدره واستسلم لشيء من الخدر اللذيذ يتسرب الى جسده واختلطت كل خواطره وتوالى دوران الجوزة وملا كحكوح المكان امام خالد كانما لا يوجد غيره .

بدا الملل يذوب وتتبخر الكآبة ومن اختلاط كل شيء عاد الانسجام يشرق امامه وهدا كل شيء في داخله ونسي كل ما يحزنه المرض القائم في البيت في حجرة والده ، الفراغ الرهيب في حياته الراتبة الاحلام الهادرة وغير المحققة الندم كل هذا يتبخر ويتحول الى دخان يتصاعد ويدور في حلقات .

تقيء حياتك هنا فلعل التعاسة هي التي تحترق مخلفة السعادة لكنها سعادة النسيان المؤقت ثم ما يلبث كل شيء ان يعود اقسى وامر مما كان .

وفي هذه الجلسات يبدو كل شيء مضحكا وكل حكاية جالبة للسرور ويوسف استاذ هذه الجلسات دائما فيها تتوهج قدرته على تذكر اشياء غريبة ونوادر ومواقف تجعل القلب يرقص من الضحك غير انه الليلة يبدو قلقا مهموما صامتا وكأن شيئا داخليا يعذبه وفي البداية لم يهتم خالد بهذا الخاطر وظل يدخن في نهم .

وخيم الصمت على القهوة ولم يبق فيها الا اثنان من لابسي البلاطي

والاسات يدخنان ويتحدثان في همس ، وتكاثف الظلام مستندا في تهالك على جدران الحارة الضيقة وخبا نور المصباح وضعف وعبق الجو برائحةالتعاسة ومل خالدالركود لولا ان فاجأه يوسف بقوله في جدية لم يتعودها منه :

ـ خالد بدأت تشرب بنهم وتتعود على هذا الملعون ثم سكت فترة رنا في حزن مفاجيء لضوء المصباح الشاحب وظلال طربوشه الملقاة على جدران القهوة الكالحة البياض .

ـ هذا الملعون بدأ يجذبك وهذا يعيد لي احساسا قديما بالندم يعيش معي ربما من عشرين عاما وينمو معي او قل يسبقني في النمو ويتجدد امامي .

وابتسم خالد في اشفاق منتظرا المزيد فثمة سر او شيء قديم مدفون في صدر يوسف ما زال يختزنه ويريد ان يزيحه عن كاهله .

غير ان يوسف عاد من جديد الى الصمت وابتعد كحكوح عن الركن المنزوي من القهوة امام نصبة الشاي والجوز وعبق الجو برائحة الفحم واحتراق المسل ودار كحكوح امامهم ثم مل الدوران واخيرا وقف امام باب القهوة يتلفت في قلق ويتفحص العابرين في الحارة بنظرات وقحة محترسة .

وصوت وابور الجاز على المنصة الرخامية يمزق صمت القهوة صوت مريض ملتاع وحركة اندفاع فئران في السقف الاسود المطرز بالعنكبوت المسن في اركانه .

واخيرا ابتسم خالد في اشفاق وهو يفرد طوله في استرخاء على الكرسي القش الاصفر المتسخ مستسلما لغيبوبة رمادية حالمة ورغبة في عدم الاهتمام بأي شيء تحاصره رغم بقايا مقاومة من الوعي تحفزه وتثير فيه حب الاستطلاع الغريب الممزوج بالدهشة نحو يوسف ووجومه وكلامه الغريب المعبر عن الندم وسأله في همس وابتسامة رثاء تغمر وجهه :

ـ ماذا قلت اعيد اليك احساس بالندم انت .. ها ها ها .

ضاعت ضحكات خالد امام العبس والوجوم والتعاسة هذا الاطار الذي يرسم ملامحه هذه الليلة وهذه اللحظات بألذات حتى يداه الفليظتان القويتان كانتا ترتعشان وهما متمسحان على ركبتيه .

نعم يا خالد نعم وفي الزقازيق بدأ الندم الحقيقي وفي يوم موحل الطرقات ومن يومها كلما خضت في الوحل تذكرت كل شيء وكأنه حدث امس بل الآن ... والوحل يملأ طرقات بولاق لذا فأنا اكرهها ورغم ذلك أجيء دائما .

يوسف يتكلم بطريقة غريبة هذه الليلة ويكشف عن جوانب غريبةمفزعة وبعد صمت .

ـ كان اليوم يا خالد في عز الشتاء ، والزقازيق تعوم في الوحل، وفي منتصف ليلة هذا اليوم المتجهم مات جدي ، وفي الصباح وبعد ليلة كلها بكاء وعويل وانهيار وجدنا البيت في الصباح يفرق في السواد ، كل الاقارب من النسوة يلبسن السواد وكلهن بسحنة واحدة والرجال يجلسون في المندرة متكئي الرؤوس غارقين في الوجوم .

وامرتنا امنا ان نصعد انا واخي الى السطح حتى تخرج الجنازة .

وعاد كحكوح يدور في القهوة ويدور صوت الوابور يضعف ونور المصباح يكاد يلفظ انفاسه وتكاد تغرق القهوة في العتمة وصوت يوسف يخرج متهدجا ويداه ترتعشان ويمسح بهما على ركبتيه في توتر .

نعم وفي السطوح لعبنا انا واخي ميلاد انطلقنا كان ميلاد اصغر مني بعامين وفكرت في لعبة مجنونة ان اقذف الحمام بالطوب وهو يطوف فوق سطوح المنازل المجاورة ولم اكن ادري ان ميلاد بدأ يقلدني كل ما ادريه ...

وصمت وغرق في ذهول وكاد المصباح ان ينطفيء لولا كحكوح الذي اسرع اليه وبدأ يعالجه .

آه كل ما ادريه يا خالد انني وجدت « ميلاد » هكذا فجأة يتدلى امامي من فوق السور ونصفه في الهواء ويدي تمسك بجلبابته نعم امسكت بها جيدا .

ـ نعم يا خالد قبضت على الجلباب كدت اجذب ميلاد من جديد الى ارض السطوح لولا .. نعم لا اعرف لولا انه خانني كل ما اتذكره ان جلبابه انفرد في الهواء امامي ورأيته .. رأيته ...

العتمة تغرق القهوة ويبدو ان كحكوح قد تعب والمصباح عاد يشحب وانطفأ الوابور وصاح خالد اسكت اسكت يا يوسف فأنت تلهث ما رأيك بمغادرة القهوة ونكمل الحديث في الطريق .

نعم لنسر في الوحل من جديد .

وبدأت رحلة العودة من دروب بولاق ، عبروا الدروب العفنة المظلمة وباقدامهم داسوا على القاذورات والبصاق الذي على الارض .

وكتف في كتف مشيا معا ويوسف مصمم على ان يعاود الحديث المفزع المثير وخالد ينصت في وجوم .

لقد طار مخ ميلاد ويومها يا خالد فقدت النطق اسبوعا وظلت امي مشلولة شهرين وخرجت جثة ميلاد مع جثة جدي .

وبدأت الانوار تتضح من بعيد ومبنى اخبار اليوم يظهر في الافق والمترو يمر سريعا مضيئا بلونه الاخضر القاتم وهبت نسمات شهر اكتوبر الباردة مصافحة الوجوه في حنان ورفق وبرودتها تغسل صدأ الصدور .

وعند تقاطع الطريق امام مبنى الاسعاف صافح احدهما الآخر في حنان وصمت واخترقا في هدوء لاول مرة دون صخب وضحكا كما تعودا كلما افترقا بعد جولة المساء في الدروب المختنقة لبولاق .

القاهرة **عبد الرحمن ابو عوف**

الغربـــــاء

عبد المنعم عواد يوسف

القليوبية ـ شبين القناطر

●

يتسامرون
حتى اذا مات اللهيب
في موقد الدار الحبيب
وغفا الصغار من الكلال
وسعوا الى وادي الخيال
حلم لطيف
ينساب في الدار السكون
وتشيع في النفس الشجون

((يا فاطمه
اني حزين ، اني حزين
حتى الخيال العيطمال البائسين
حال يهيج بي الانين
ويجدد الشجن الدفين
ماذا جنوا
حتى يقاسوا مثلنا
تلك التعاسة والضنى



يا فاطمه
العيد اوشك ان يعود
لكنما .. اين النقود
هذا يريد ، وذا يريد
لا بد من ثوب جديد
شيء كثير
لكنما .. اين النقود
والعيد اوشك ان يعود))

ومضى ومات
والهمس يأتي من بعيد
من ظلمة القدر العنيد
((يا زوجتي : حان الرحيل
يا زوجتي : صبرا جميل
اني اموت ..
لكن اخاف على العيال
يفتالهم صرف الليال))

وبكى الصغير
((يا أم ، اين ابي الحبيب
أوليس يأتي عن قريب
او لن يعود مع المساء))
فتقول : ((بل هو في السماء))
((ومتى يعود))
((هو سوف يقبل في الصباح))
وتروح تجهش بالنواح

وغفا هناك
في ركن حجرتها ، صغار
من بعد شيطنة النهار
رقدوا هناك ، بلا غطاء
الا القليل من الكساء
وعباءة
كانت لجدهم الكبير
هي كل مهدهم ((انوثير))

كانت هناك
في كوخها الساجي الحزين
عصفت به كف السنين
ويفارق الطفل الرقود
ويصيح : ((امي ، هل يعود))
ويهزها ..
فتروح ترنو .. للحود ..
وتقول : ((بل هو لن يعود))

كانت هناك
في كوخها الساجن الحزين
عصفت به كف السنين
وبنفسها حس بليد
راحت تحدق من بعيد
عبر الفضاء
من كوة الكوخ الحزين
والليل مكتئب رزين

وبدت هناك
في ظلمة الموت الحجوم
في صمته الغافي رسوم
لاحت يغلفها السكون
ويظلها شبح المنون
تلك اللحود
الغافيات ، مع الظلام
الحانيات ، على النيام

لاحت هناك
فاستيقظ الجرح القديم
واهاج خاطرها الاليم
فتذكرت .. ان لن يعود
ومضت تحدق في اللحود
وغفا هناك
امل تحطم من سنين
وبكت ، اجل ، وطفى حنين

هو لن يعود
هو لن يعود مع المساء
هو لن يعود ، بلا رجاء
هو لن يعود ، من المدينة
عند المساء
ينساب كالشبح الهزيل
وبصدره شجن ثقيل

وتذكرته
قد كان يجلس ها هنا
بسأمان انهكه الضنى
ولقد يقص على الصغار
عن شهرزاد وشهريار
من الف ليلة
ويصفق الطفل الصغير
ويهلل الولد الكبير

من كتاب « صدق او لا تصدق »

للكاتب الامريكي روبرت ريلي

ترجمة مبارك ابراهيم

* * *

تلقى الناس هذا الكتاب بالترحيب يوم صدوره في يناير من عام ١٩٢٩ ورحبوا به الترحيب كله في طبعاته المتتالية التي بلغت الاربعين ..

وقرظه كاتب من الكتاب فقال : ـ اينما يكون هذا الكتاب « صدق او لا تصدق » والى ان تتفضن صحائفه ويبلى نسجه بحكم التقادم فانه سوف يظل ـ تلقائيا ـ الكتاب الذي تتطلع الى لقائه العيون وتمتد الى صحائفه الايدي امتداد الحنين والشوق ..

ونحن ناقلون فيما يلي بعض فقرات الكتاب ابتغاء التعريف والتثقيف ..

اسم الجلالة

يتكون اسم الله ـ جل جلاله ـ في جميع اللغات من اربعة احرف نذكر منها الامثلة الاتية : ـ بالعربية الله . بالمصرية القديمة AMON . بالانجليزية LORD . باللاتينية DEUS . بالفرنسية DIEU . بالاشورية ADAT بالهولندية GODT . بالدانماركية GODH . بالسويدية GOTH . بالفارسية SORU و ISTR . بالهندية RAMA بالسنسكريتية DEVA . بالاسبانية DIOS . بالاسكندنافية ODIN . بالاغريقية TEOS . بالاغريقية الاسطورية ZEUS بالفينيقية BAAL . بالبرتغالية DEUS . بالآرامية ELAH باليابانية KAMI و SHIN . بالهندوستانية HAKK و ILAH و EZID . بالآرية ، وهي مزيج من الهندية والفارسية BRAM.

المؤلف الذي لم يقرأ كتابا في حياته

خطب الكاتب الفرنسي بيير لوتي ١٨٥٠ ـ ١٩٢٣ يوم احتفل بقبوله عضوا في جماعة الخالدين ـ وكان ذلك عام ١٨٩٢ ـ فقال : اني ايها الاخوان لم اقرا في حياتي كتابا من الكتب . ويرجع ذلك الى سببين . اولهما : الكسل العقلي . وثانيهما : خوني خوفا لا استطيع تفسير دوافعه واسبابه قبل ان ابدا القراءة .. ويوم تحدث اليه محرر مجلة « العالمين » عام ١٩٠٠ اعاد بيير لوتي ما سبق ان قرره . وزاد على ذلك قوله : ان هذه هي الحقيقة الوحيدة التي تتوسط كل الاساطير التي اضيفت على سيرتي ..

آخر ما اوصى به فرانسوا رابليه

اوصى الكاتب الساخر رابليه ١٤٩٤ ـ ١٥٥٣ فقال : لست املك شيئا في هذه الدنيا . واني لفارق في الدين الى اذني .. اما ما يتبقى بعد ذلك فاني اوصي به للفقراء والمساكين ..

انجليزية الملك ..

يطلق الانجليز على اصح الاساليب في لغتهم عبارة : « انجليزية الملك » . ويسخر الساخرون من هذا القول فيذكرون ان الملك جورج الاول ملك انجلترا ١٦٦٠ـ١٧٢٧ لم يكن يستطيع التحدث بالانجليزية مطلقا ..

نهر من الخل

نهر الخل «El Riovinagre» يجري في جمهورية كولومبيا (امريكا الجنوبية) وهو يجاور بركانا ثائرا .. والحموضة الشديدة التي يتميز بها ماء هذا النهر تنسب الى هذا الجوار . وقد تبين ان ماءه يحتوي على احد عشر جزءا في الالف من حامض الكبريتيك . وعلى تسعة اجزاء في الالف من حامض الكلوريدريك .. وهو من اجل ذلك لا تستطيع الاسماك ان تعيش في مياهه ..

حكايات ايسوب

ان الحكايات الاسطورية المنسوبة الى ايسوب كان قد كتبها كاتب يجمع في جنسيته بين الاغريقية والايطالية . واسمه بابريوس Babrius وذلك بعد اجيال مضت على وفاة ايسوب .. ومن ثم فان لزاما ان تسمى « حكايات بابريوس » .. وهناك من المؤرخين من يقرر ان ايسوب شخصية لم تر الدنيا ابدا .. ومهما يكن من شيء فأن الحكايات التي نسبت اليه على وجه الافتراض قد ضاعت اصولها كلها ..

ولقد ذاع صيت ايسوب واصبحت القصة الايسوبية تطلق على كل القصص ذات المغزى الادبي والتي يكون ابطالها شخوصا حيوانية ..

وبفضل سقراط ومن جاء بعده من الكتاب نسبت قصص بابريوس الى ايسوب فظفر ايسوب بالخلود. ونعم بابريوس بضياع حقه في اكاليل المجد ..

الطيار لنبرج

لم يكن لنبرج اول من اجتاز المحيط الاطلسي طائرا في غير توقف فقد سبقه في عام ١٩١٩ المنطاديان سير جون الكوك وسير أ. ويتون براون (من نيوفوندلاند الى ارلندة).

وفي العام نفسه قام المنطاد الانجليزي ر٣٤ واجتاز المحيط من اسكتلندة الى امريكا وعاد على الطريق ذاته وكان يحمل واحدا وثلاثين راكبا ..

وفي عام ١٩٢٤ قام المنطاد زد ٣ من فريدريكسافن

بالمانيا الى ليكهرست بنيوجرسي وعلى ظهره ثلاثة وثلاثون راكبا .. ومن ثم فان لنبرج يكون السابع والستين ..

التزم الصمت ثلاثين عاما

ظل رب فرومر ثلاثين عاما كاملا لا ينطق بكلمة . وهذا الاون من التفكير قد فرضه الرجل على نفسه واقسم على ان لا يتحلل من هذا القسم وقد بر في يمينه ..

ويبدو ان الرجل في ساعة من ساعات الغضب قد لعن زوجته لعنا كبيرا ، وهي المراة التي كان قد تزوجها منذ امد قريب ، وسرعان ما اصابت الزوجة مصيبة الموت فظن الرجل ان لعنته هي التي اودت بحياة زوجته ..

امرأة تلد وهي في التسعين من عمرها

كان ذلك في فرنسا وفي عهد لويس الخامس عشروكان ذلك في باريس وكان اسم المراة الحسناء بول فيشي .. وكان المولود ذكرا .. اما تاريخ مولده فكان اليوم الاول من شهر ديسمبر من عام ١٧٤٢ ..

الطفل الاعجوبة

كان اسمه « سيديس » . وكان ابوه دكتور بوريس سيديس احد اساتذة جامعة هارفارد .. استطاع هذا الطفل قبل ان يتم الستة اشهر من عمره ان يحفظ عن ظهر قلب حروف الهجاء . فلما بلغ العامين كان يستطيع القراءة والكتابة . وفي الحادية عشرة من عمره كان قد اتم تعليمه الثانوي والتحق بجامعة هارفارد فأذهل اساتذته بنبوغه وبراعته ..

الملك الذي تم تتويجه ملكا قبل ان يولد

قد يبدو ان هذا الامر من المستحيلات . ولكنه امر قد حدث فعلا . وكان ذلك في القرن الرابع الميلادي . وكانت زوجة « الشاه هرمز » حبلى يوم وفاته . واثار عدم التحقق من نوع المولود الذي لم يكن قد راى النور بعد اطماع الامراء من الاسرة الساسانية الذين كانوا يأملون ان يكون الملك من نصيب واحد منهم .. وقام السحرة يؤكدون القول بان ارملة الملك هرمز حبلى وانها سوف تضع مولودها سليما معافى وانه سوف يكون ذكرا .. فلما سمع اقوام فارس هذا القول الذي قاله المنجمون بداوا يعدون العدة للاحتفال بتتويج المليك الوليد فاعدوا سريرا ملوكيا في ساحة القصر واجلست الملكة في ابهة ملوكية . واجتمع الناس من كل حدب وصوب. وجيء بتاج الملوك الساسانيين ووضع على المكان المفروض فيه انه يجن في باطنه وارث الملك العتيد .. وقام الخلق جميعا يركعون ويسجدون تحية للمليك الذي لم تره العيون .

وقد صدق المنجمون . وكان المليك الوليد ذكرا وهو الذي عاش يحكم فارس حكما طال مداه . وكان اسمه سابور الثاني الملقب بسابور الاكبر (٣٠٩ ـ ٣٧٩) ..

مقدم الربيع

الى الشاعر الصديق ناصر بو حيمد

اتاك شذا الربيع وانت لاه
وحيتك الازاهير الزواهي
فللنسمات شوق بالروابي
وللغدران لهو بالمياه
فاين غرامك الماضي اذا ما
شدوت بفتنة المقل السواهي
وكنت اذا دعاك الحب يوما
تسير الى الحسان على الجباه !!
لقد عاد الربيع وكنت قبلا
لسحر جماله تعصي النواهي
فخذ قيثارة الابداع واعزف
لحونا للعيون وللشفاه !
فهذي الغيد ظمأى للتلاقي
وان الهجر داهية الدواهي
وكل مولع بالحب صاد
الى مرأى السعادة والرفاه !

البحرين — احمد محمد الخليفة

اغنى الاغنياء بين الناس ..

هو كبير الملوك ومقدم الفراعنة العظام رمسيس الثاني الذي قهر الملوك والذي امتد ملكه من بلاد النوبة الى ارض الشام والذي فرض عليهم الجزية . وهو الذي كشف عن مناجم الذهب في بلاد النوبة ففاضت بالذهب خزائنه . وهو الذي ظل يستمتع بالملك والسلطان سبعة وستين عاما.

ولقد شهدت دول العالم كلها في ذلك الحين بسعة سلطانه وعظيم تراثه ..

البيضة المربعة ..

بيضة مربعة تمام التربيع باضتها دجاجة يملكها جيمس كوك من مدينة نيو بدفورد بولاية ماساشوتس بامريكا ..

حريم السلطان

لما تولى السلطان مراد الرابع (١٦٠٩ ـ ١٦٤٠) عرش تركيا ورث عن سلفه اربعين ومائتي امراة من نساء الحريم فراى التخلص منهن جميعا بوسيلة هي ـ في نظره ـ من انسب الوسائل .. اما تلك الوسيلة فكانت ان توضع كل واحدة منهن في كيس ثم امر فالقى بهن جميعا الواحدة تلوة الاخرى ليكن طعاما للاسماك في البوسفور ..

القاهرة — مبارك ابراهيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابي يمـــــوت

بقلم عبد المعين الملوحي

* * *

القسم الاول

تتنازعني الآن عاطفتان او على الصحيح مبدآن :
اولهما هذا المبدا المادي الذي يعتبر الموت والحياة مسألتين ماديتين يشملان العالم كله ، فالمطر يتجمع وينهمر والسحب تتكاثف وتتحول ، والرمال تتفتت وتتجمع ، وكل شيء في الكون انما هو هذا التجمع الظاهر ، والتفرق الظاهر ، واذا كان والدي سيموت ، فتلك مسألة مادية ضرورية لا مناص منها ولا ضرورة للالم فيها ، وعلام الالم ؟! وانما ابي عنصر من عناصر هذه الطبيعة وجد حينا وسيذهب بعد حين ، وماذا يجدي ان ابكي عليه او الا ابكي ؟!

ان الحياة نضال ، ونضالنا في سبيلها ، في سبيل الحياة الحرة ، في سبيل المجتمع السعيد ، يقتضينا ان لا نكون جبناء .

ولقد مات آباء كثيرون قبلي وعرفت فيهم واحدا مصريا لم تقطر عينه بدمعة ، كان يسير وراء الجنازة صامتا كانه الجبل ، ولم يكن يفكر في الموت ، انه لا يفكر الا بان موت ابيه قد حال بينه وبين حضور الاجتماع الذي سيعقد في هذه الليلة ، لانه سيكون مضطرا لاستقبال المعزين .

وكان في جنازة ابيه صديق له لم يكن مثله في مبادئه ، وقد كان يبكي بكاء مرا ، فقد عرف اباه وفجع لمصاب ابنه فبكى ، ولكنه راى ابنه نفسه لا يبكي فعجب من هـذا الموقف ، ثم اكبره ، ثم اقتنع بفكرة صديقه ثم اصبح مثله. وقد زعم انه لن يبكي اذا مات ابوه ، ولكني اظن انه غير صادق فهو انسان عاطفي جدا على الرغم من انه اصبح ماديا جدا : ان الفكرة تبقى دائما غير العاطفة وماذا وراء الموت ؟ الحياة الآخرة ابعث ونشور وحساب فعقاب او ثواب ؟

ان البكاء في الانكار ، يكاد يكون اكثر ضرورة وادعى الى ان يكون كثيرا جدا ، واليما جدا فان في البعث عزاء للنفوس ، سيعود هذا الميت العزيز عليك مرة اخرى ، وستعود انت كما سيعود ، وستلتقيان ، وانت مؤمن ، وهو مؤمن ، وانت ترجو ان تكون من اهل الجنة ، او ترجو ان يغفر لك الله فتكون من اهلها ، وهو من اهل الجنة ، فانت تعرف انه كان تقيا صالحا في السر والعلانية واذن فبكاؤك عليه لن يكون الا بكاء فراق قليل سوف يتبعه لقاء طويل ، وستتمتع به ما دمت مؤمنا بالبعث .

اذن ففي البعث عزاء لمن مات له عزيز ، ولطالما ذكر الشعراء ان موعدهم مع احبابهم الجنة ، او النار ، فالمهم عندهم انهم سيلقونهم مرة اخرى ، في غير هذه الدنيا ، ولكن ليس لمن لا يؤمن بالبعث عزاء . انه يرى ان هـذا الفراق لا لقاء بعده ، وان هذا الانسان الذي كان يعمر قلبه ، ويملأ عقله ، قد ضاع منه الى الابد لا كما يضيع الدرهم من يدك وانت تعرف اين اضعته فاذا بحثت عنه وجدته ولكن كما يضيع عبير وردة سحقتها بيديك فطار ولم تجد من الوردة بين اصابعك الا قليلا من الماء والا قليلا من الحمرة . وثانيهما :

اني سأفقد ابا كان فذا في الآباء ، ولا اقول ذلك لانه ابي ، فقد تعود كل ابن ان يفاخر بابيه ولو كان غير ذي مفتخر ، ولكني اقول انه كان فذا في الآباء ، لانه على انه رجل ديني معمم كان من اكثر خلق الله تسامحا وحبا للناس ، وسكوتا عما فيهم مما لا يسكت عنه رجل دين ، وكان فذا في المشايخ لانه لم يكن يحقد على احد . ولم يكن يقع فيما يقعون هم فيه من حديث لا يكاد يتجاوز احد منهم غائبا عنهم ، حتى ينال آخر غاب منهم ، ولم يكن متعصبا زميما ، بل لم يكن يعرف التعصب قط ، كان يكفيه ان يؤمن هو وان يدعو الى الايمان في هدوء واناة ، غير متكلف ولا مدح ، بل هو لم يقد قط اية حركة رجعية بل لم يشترك في اية حركة رجعية . كان يقول لكل من جاءه ليطلب اليه أن يحتج على فلان لانه نطق بكلمات لا ترضي عامة المشايخ، كونوا خيرا منهم ثم احملوا عليهم .

في سنة ١٩٣٦ تقدمت الى فحص البكالوريا الاولى واخفقت في الامتحان ، وكان اخفاقي باعثا على ثورة عاطفية نالت عقائدي الدينية عقيدة ، عقيدة ، ولم تكن هذه الثورة الا انتفاضة الم دفعت اليها خيبة امل ، وكانت ابعد ما تكون عن القناعة العقلية ، وهكذا فقد نظمت قصيدة الحادية طويلة ، وحاولت ان اغيظ بها كل رجال الدين ، فكنت انشدها في كل مجلس ، واصر على اصدقائي ليحفظوها ويعيدوها ، كنت ثائرا اطلب الموت في سبيل الثورة ، ولعل اندفاعي الجبار في سبيل الموت هو الذي جعلني اكثر حياة .

وجئت مرة الى تلك الغرفة التي يحتضر الآن والدي فيها ، وكان جالسا مع اخي يتحدثان فيما لا اعلم امسكت بعضادتي الباب وقلت في صوت راعد :

اسمعوا وافعلوا ما شئتم : ثم انشدت ثلاثة ابيات قاسية مرعبة . ما ازال اخشى ترديدها حتى اليوم .

واخي الشيخ الشاب ناقم صاخب يهجم علي ، او يهم بالوثوب علي ، فلا اتحرك من مكاني ، بل اضحك فاوغل في الضحك ، واخي الشيخ الشاب يهم ان يقذف بيد ابيه التي تمسك به وينظر اليه قاسيا منتقدا ، ناقما عليه تهاونه وتساهله ، واخي الشيخ الشاب صارخ في قوة :

أخرج يا ملحد ، الست تخشى ان يسقط علينا السقف ، الست تخشى ان يقطع الله رزقنا علينا فنموت جوعا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وركض ورائي يلعنني وهربت امامه امد لساني ، وعدت بعد ساعة : وابي الشيخ الهرم جالس في مكانه لا يتحرك ، ناظر الي في حنان ، ثم قائل في ايمان عميق :

يا بني ، هذه مسائل ايمان ، لو بذلت كل ما في الدنيا من مال ، وكل ما في الوجود من جهد لتحولني عن الايمان بها لم تستطع .

وانا ذلك الشاب في الثامنة عشرة من عمره ، الممتلىء ثورة ونقمة ، انسحب من الباب ، وقد وضعت كفي على عيني ، وسترت وجهي بكمي ، ثم تواريت في زاوية بيت ، ابكي بكاء حارا . ويحك ايها المجرم ، دع لهذا الشيخ ايمانه لعل دعواته ان ترد عليك ايمانك .

ومثل هذا الاب يستحق ان يبكى عليه ، لا لانه اب فحسب ، بل لانه اب شريف عاقل عظيم .

وكان اكثر الشيوخ في عهد الاستعمار البائد لا يتركون علاقة تصل بينهم وبين الاجنبي ، وبين الرؤساء الذين ينصبهم الاجنبي علينا من متصرفين ورؤساء دوائر ولست اريد أن اتحدث عنهم ، ولا عما كانوا يفعلون . ولكني اريد أن اقول ان ابي لم ير في حياته وجه واحد منهم قط ، لم يره ، ولم يسلم عليه ، ولم يعرف بوجوده ، ولا ازال اذكر ان متصرفا من متصرفي حمص كان دائم الصلاة وراءه ، وكان اذا صلى وراءه لم يعرف انه موجود ، بل لم يكن يريد ان يعرف أنه موجود ، فاذا جاء الى البيت قص علينا انه كان موجودا وانه لم يسلم عليه بدا لنا ماردا حقا ، ماردا يستحق الاعجاب والاحترام ولقد اكتسبنا نحن ابناءه هذا الخلق الابي منه ، او اكتسبه اكثرنا .

والثورة السورية التي كانت فخرنا ، على ما خلفت من جراحات وآلام، شهدت في أواخر حياتها ثوارنا ومجاهدينا مشردين تائهين ، يبحث عنهم المستعمرون في كل مكان ، ويبحث عنهم اذناب المستعمرين وجواسيسهم في كل مكان ، وكان نصيب من وجدوا ثائرا عنده ان ينفى من من ارضه او يسجن او يصيبه امر اكثر من النفي واكثر من السجن .

ومع ذلك فقد شهد بيت ابي ثوارا كثيرين شهد اكثر من ١٥ ثائرا في مدد طويلة ، وازمنة مختلفة ، شهدهم يأكلون مطمئنين ، ويعيشون مطمئنين ، على قدر ما يستطاع الاطمئنان في ذلك الحين .

ولكن اكثر الناس ما عرفوا ذلك ، وهم ايضا لا يعرفونه، فانا اؤكد انه لم يخطر في بال ابي ان يحدث الناسَ بحرف واحد مما كان يفعل ، لا في عهد الاستعمار ولا في عهد الاستقلال .

أمر بسيط لان من يفعله كان عظيما ، لا لانه في نفسه بسيط .

مثل هذا الاب يستحق ان يبكى عليه ، لا ان ابكي عليه انا وحدي ، ان كل من يوافق على البكاء ، او من يرى البكاء لزاما على انسان نفجع به باخلاقه بنفسه الطيبة السمحاء ، بنفسه الشريفة الرفيعة بنفسه الكريمة الباذلة، بنفسه التي ترى ان الحياة يمكن ان يكون فيها راي غير رايها ان هؤلاء الناس الذين يريدون ان يبكوا على مثل هذه النفوس يجب ان يبكوا على والدي .

وانا في الواقع سأبكيه . سأبكيه بكاء مرا ، لن اكون في هذا مخالفا لرايي في الحياة وفي الموت ، بل انه منه .

لقد خسرت الحياة بفقده انسانا انجب احياء ، ولم ينجب امواتا . وانا اسمح لنفسي ان اقول لها : اني حي. وابي ميت .

نعم ولكنه يحيا بي ، وسيحيا في اطفالي ، بل انه سيحيا في مجتمعنا الحر السعيد ذكرى لانسان حر او لانسان يقبل الحرية في الآخرين . عاش في مجتمعنا هذا ، في مجتمعنا العبدي الشقي الذي يدفن الحرية ويفتخر بدفنها .

القسم الثاني

لم يمت ابي اليوم ولكنه يحتضر .

ونحن بين امرين : اما ان نستمر في مداواته ، او كما تسميه العجائز عندنا ، في تعذيبه واما ان ندعه يموت .

ان الرأي الاول هو رأي الشباب ، انهم يعز عليهم ان يروا اباهم يموت ، فهم يبذلون اقصى ما وسعهم لانقاذه ، وهم لا يصدقون انه يحتضر ، انهم يعتقدون على العكس انه سوف يعيش . وانا من هؤلاء .

والراي الثاني ، وهو راي العجائز والشيوخ ، يطلب منا ان نكف عن الدواء ، فليس في الدواء غير العذاب ، اولم يقل لي والدي ، وانا اريد ان اسقيه جرعة من دواء احمس : كفى يا عيوني انتهت الحكاية وانا ارد الدواء الى النافذة وابكي .

وهم يزعمون انهم ادرى منا بالموت فيريدون ان يأتي هونا كما يشاء ، ويصرون على ان نستبدل بالدواء القرآن نتلوه عليه ليطمئن له قلبه .

الواقع اني ارى الحق في اصحاب الرأي الثاني ، ولكني يصعب علي ان اقتنع وان اسكت ، بل يستحيل علي ان اقتنع :

ان امامي جسما لا تزال تختلج فيه الحياة ومحال علي ان اصدق انه مات ، ما دام فيه عرق واحد يختلج بالحياة.

منطق العاطفة ، ولكنه منطق على كل حال ، بل انه منطق طالما انتزع من منطق العقل براهينه فحطمها وجاء ببرهان من عنده لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ولقد طال احتضار والدي ، انه يحتضر منذ أول من امس ، وانا اعرف اخا لي هو عبد الباسط مرض خمسة ايام واحتضر خمسة واربعين يوما ، ومع ذلك فلم اكن اريد ان يموت ، لقد كنت أتمنى ان يطول احتضاره فهو على الاقل باق امام عيني ...

الساعة الآن العاشرة ، وانا اسمع صوت احتضار ابي في غرفتي هذه ، فلانطلق اليه سريعا لعله يريد ان يشرب ماء لعله سيصحو ويتكلم .

القسم الثالث

مات ابي ... فانقطع بموته سبب عظيم من الاسباب التي كانت تصلني بالماضي ، وتجعلني احترم الماضي .

مات ابي ... فقلت ان دوري في الموت قد جاء ، فقد ذهب من كان قبلي .

في الساعة الخامسة صباحا جئت الى فراشه ، وجلست فوق بساط عنده ، وكان يغط في نوم عميق ، ولكنه نوم مقلق ، وجعلت اتأمله :

هذا اللون الاسمر قد علته مسحة من الصفرة فجعلته مثل الكافور ، وهذه اللحية الطيبة المباركة قليلة الشعر ، خفيفة العارضين ، وقد اصبحت خليطاً فيهما البياض وفيه السواد ولكن البياض عليها غالب ، وهاتان العينان تفوران في محجريهما قليلا ، ولكنها تواريان وراء اجفانهما بؤبؤين صغيرين اسودين يشعان ذكاء وفهما ويفوران ادراكا وعلما. وهذا الفم الصغير رقت شفته العليا حتى كأنها ورقة وتضامت شفته السفلى حتى كأنها وردت ، وهذا الانف الكبير يسرح ويمرح على خدين اسيلين فكأنه يريد ان يستنشق الهواء كله ويتمتع بالحياة كلها ، وهذان الحاجبان الكثيفان الغليظان تند منهما شعرات طويلات ترتفع حتى تكاد تلتقي بشعر الرأس وتنخفض حتى تكاد تختلط مع الاجفان . وهذا الرأس المنسجم المستدير ، قصير الشعر ولكنه غزيره ، لم تسقط الستون شعرة واحدة منها . ولكنها استطاعت منذ قليل ان تفرض الشيب عليه ، وهذا الجبين المستقيم لم تكد تخططه السنون فقد كان طلقا سمحا أغر ، وهاتان الاذنان الصغيرتان تقتربان من طرفي الرأس حتى تكادان تلتصقان بهما في أعلاه ، وتنفصلان عنه قليلا في اسفه وتمتد شحمتاهما قليلا ثم تنكسران قليلا فكأنهما معدتان لقرطين من الالماس الثمين لم ير اغلى منهما ولا احلى .

ويداه يلقيهما وراء راسه ، اصابع رقيقة ناعمة كأنها اصابع فتاة جميلة تداب على العبث بهما ليراهما الناس ويعجبوا بما فيها من دقة وتناسق ونعومة .

وانا انظر الى ابي وانا اتأمله ، كما اتأمل الشمس الغاربة في يوم خريفي عجيب ، وابي قربي على هذا الفراش الممدد على الارض يموت .

وجعلت اصواته تعلو ، فكأنما هو يريد ان يستيقظ قليلا ، او كأنما هو يريد ان ينام طويلا . انه منذ كان في المهد تعود ان يستيقظ قبل الفجر ، يوقظه ابوه الشيخ انيس وهو يسعى الى الوضوء ثم الى الصلاة في الجامع الكبير ، وتوقظه امه عند الفجر ليسعى هو نفسه الى الوضوء ثم الى الصلاة في الجامع النوري الكبير ، ثم تزوج فاصبح هو الذي يوقظ نفسه ليسعى الى الصلاة ، ثم كان له اولاد فهو يوقظهم من نومهم ، ولا ازال وانا احد اولاده استيقظ كل يوم قبل شروق الشمس كأنني اريد ان اسعى الى صلاة الفجر قبل الفوات ، ولعل ابنائي من بعدي سيظلون يستيقظون .

وتحرك ابي في فراشه وتململ ، ثم فتح عينيه الزائغتين انه لا يصرخ ولا يشكو ولا يئن ، لكأنه ماض الى نزهة او الى سيران ، لقد قضيت على فراشه نصف اوقاته . فلم اره مرة يتجهم وجهه او تزول الابتسامة عن شفتيه أو تفيض اللمعة من عينيه لكأن الموت عنده امر سهل جد سهل ، لعله نومة من النومات لتستيقظ على موعد يسيران الى عاصي « الجديدة » او بسفرة الى حمام « ابي رباح » نومة تحلم بيقظة فيها متعة وفيها لذة وفيها حبور .

انه لم يشر في مرضه كله مرة واحدة الى الموت ، ولم يذكر مرة انه يوصي بوصية ولم ينصح احدا من ابنائه كما ينصح المحتضر اهله ، أتراه يعتقد انه لن يموت ، كلا انه عرف منذ الايام الاولى من مرضه انه لن يقوم منه ، ولكنه ما الطفه وما اودعه ! لا يريد ان يزعج احدا حتى باخباره انه سيموت ، حتى بالايماء اليه انه عن قريب ميت ، ولقد ظل طوال مرضه يتحدث عن الحياة كما يتحدث عنها الاصحاء السعداء ، وكما كان يتحدث عنها وهو صحيح سعيد ، ولقد ظل طوال مرضه يذكر الله كما يذكره الاحياء الاتقياء ، وكما يذكره وهو حي تقي .

لم يطلب منا في مرضه الا طلبين اثنين :

اما اولهما فهو ان ننقله من غرفته تلك ذات النور الشديد الذي لم تستطع عيناه احتماله ، واما ثانيهما فقد طلبه مني :

امس دخلت عليه ، وقد آن ميعاد الدواء وهممت ان احمله اليه ، فنظر الي نظرة مشفقة عميقة ثم قال لي : كفى يا عيوني انتهت الحكاية . وادركت كل شيء .

لقد كنت شديدا في الدواء ، لا احتمل ان يتأخر عن تناوله دقيقة واحدة ، وحين كان يعجز اهلي جميعا عن سقايته ، كنت احمل اليه الدواء في هدوء وامد به يدي اليه في هدوء فيتناوله ويشربه دون ابطاء ولا تردد .

ولقد كان ينادني في الكثير الغالب يا فرعون ، ولقد كان ينادني في حالات السخط الشديد ، وما اقل ما كان يسخط ، يا عدو المعين ولقد كان ينادني في حالات الرضا، وما اكثر ما كان راضيا ـ يا عيوني .

رأيت عددا غير قليل من المحتضرين ، ولكني لم ار اكثر هدوءا من ابي حين مات ... ما احلى الايمان انه يحملك على اجنحته حملا رفيقا الى القبر فلا تكاد تشعر بالموت كما تحمل الام رضيعها في اناة وفي رفق الى المهد ، نعم انه الايمان : الايمان بانك مخلوق من مخلوقات الله كتب عليك ان تحيا على ظهر الارض فتشقى كثيرا وتطيع الله متصنعا ما امر به ، وتنتهي عما نهى عنه ، وكتب عليك ان تموت فتبقى في قبرك حتى يوم تقوم الساعة ، وكتب عليك

دنى الشعراء

* * *

انطلقنا ، وقودنـــا فـي السباق ... احرف اقمـرت على الآفـاق
ويراع ـ صنو الهدى ـ وثني ... عبد السحر فـي العيون الدهاق
فيه عرق ينث بالـدم بكـرا ... وجراح الصباح جـدول ساق
وقلوب هي اللآلىء في الحب ... فأسلاكهـا ((طـلاسـم راق))
اخـوة نحن كالغضير من الود ... تنزى من روحنا في العنـاق
كذب الموت ، كم جبلنا حياة ... وذرونـــا منابـت الاشـراق !
كم غرقنا في الحلم عمر ليال ... والليالي من الخوابي العتاق !
رب كوب ، من حسنا رشفته ... يد جـن ، وأي كـوب بـاق ؟
سندباد الخيال فوق ذرى المريخ ... فـي هبـة القلـوع الرقاق :
صـور كالنجـوم تجتذب اللون ... عمـودا لهيكـل رقـراق
كم خبزنـا بالشوق من عصور ... واكلنـا اعجوبـة الاشـواق !
فاحترقنا ، ومـا نثرنـا رمـادا ... وانتشينا بالصحو قبل التساقي
قربـت بيننـا الحقيقـة وحيا ... فاغتصبنـا قـارورة الاحـداق
فـأخ صـار بالمحبـة كبشـا ... واخ بـات معبـد الاخـلاق
نحن فينيق (١) والتجدد فينا ... مـن وريـد الحقيقة الدفـاق
فمـع الفجـر نجتنـي امنيات ... ومع الليـل ، سكـرة الاوراق
اسطر ، اضلع من النور والنـار ... وسكـب كالطيـب في الاعراق
عمرنـا الشعر ، والحياة انطلاق ... وبنـا كونت ـ دنى الانطلاق ـ !

(١) المقصود بفينيق الطائر فينكس

موسى المعلوف

ان تبعث حيا لتدخل جنة الله بما قدمت من عمل صالح في القليل القليل وبما يغفر لك الله ويرحمك في الكثير الكثير ، او الايمان بانك قطعة من هذه الاشياء التي تراها على الارض تعيش قليلا ثم تتفسخ تفسخا ثم تنحل انحلالا .

كلاهما ايمان : اما احدهما فيمضي بك الى الجنة واما الآخر فيهوى بك الى النار . وجعلت اطيل النظر في ابي، وجلس اخي عبد اللطيف يقرا القرآن ، وكان الشيخ يسمع، وكأنه يبتسم وكأنه يطمئن ، وجعلـــت اصواته ترتفـع وحشرجته تتلاحق وانفاسه تعلو ، والقرآن يمضي مطمئنا هادئا يطير في الغرفة الهادئة المظلمة قليلا فيتعلق بالسقف، ويقف عند الزوايا ويغطي الجدران ، ويحـوم حول هـذا الوجه الطيب الاصفر الجميل .

وجاءت « أم محمد » أما ام محمد هذه فهي اكثر مرانا على الموت من عزرائيل نفسه ، ليس في الموت شيء يخفي عليها او يغيب ، وليس في الموتى ميت يستطيع ان ينتزع عبرة واحدة من عينيها الكبيرتين الجاحظتـين دخلـت ام محمد في طمأنينة ونظرت الى المحتضر في طمأنينـة ثـم قالت في طمأنينة : اذهبوا فهاتوا الكفـــن وهاتوا المغسل فسينتهي قبل الظهر .

وانتهى الشيخ سعيد قبل الظهر .

ومضيت وراءه في جنازة طويلة ولكنها غير رهيبة لقد اضفت روح الشيخ المطمئنة الطيبة على جنازته طمأنينـة وطيبا ، وسارت الجنازة خفيفة تسبح سبحا فوق الاعناق .

وسار الناس وراءها : ما اظن قط ان الشيخ قد اساء الى واحد من الناس .

ووارينا والدي في مقبرة جورج الشياح ، ووقف اهلي

يتقبلون التعازي ، ورايت اني غني عن التعازي قلبي منتفخ وعقلي مشرد ، وانا اريد أن افر من التعزية ومن النـاس ومن البيت وفررت حقا الى بساتين حمص .

ولبعض بساتين حمص دروب ضيقة جد جميلـة عـن يمينك وعن شمالك ساقيتان صغيرتان يروع حصاهمـا حالية العذارى ، فتلمس هذا الحصى تحسبه عقد لؤلؤها ، ولقد يخدعها عنه ، والاشجار فوق راسك من الجانبـين ، تلتقي اغصانها وتتشابك فانت تمشي تحت سقف اخضر ، وأحد هذه الدروب الجميلة يبدأ بحينا في جورج الشياح لينتهي الى عاصي الجديدة ، وسرت فيه واضطررت فـي اوله الى ان اغض طرفي ، فهاهنا على يميني مسلخ ، هنـا على يميني تجزر البهائم جزرا ، ثـم ينتفـع بهـا الناس ، يأكلونها اكلا ، وهنالك كانت على يساري مقبرة يتفســخ فيها الناس تفسخا ثم تنتفع بهم البهائم والديدان : ها هنا وها هنالك السنا نرى مقبرتين ؟ اولسنا نرى مجزرتين ؟ لا ادري .

وسرت في الطريق المظلمة ، والشمس تميل الى الغروب، والدنيا كلها تدخل في جمال اوائل الخريف : كـل شـيء يقول لك في الطبيعة : انا الصيف ، ثم لا تصـدق هـذه الاشياء كلها ، لان هنالك ورقة واحدة صفراء قد انفصلت عن الشجرة فعبث بها الهواء قليلا وعبثت بعينيك كثيرا ، ثم هبطت الى الارض ، وقالت لك ، هي وحـدها ، انـا الشتاء فصدقها .

ويح الناس ما أقل ما يصدقون ، وما اكثر ما يكذبون ، يكذبون الطبيعة كلها ، ويصدقون ورقة صفراء واحـدة ، ويح الناس ، ما اقل ما يصدقون ، وما اكثر ما يكذبون ، يصدقون جنازة واحدة تسير الى مقبرة ، ويكذبون ملايين الاحياء يسعون في الارض في كل فجر وفي كل مكان .

وماذا ارى في هذه الطبيعة ، وقد نفضت الآن يدي من قبر ابي ؟ ومسحت اصابعي من كفن ابي ؟ ويح نفسي هل يرى الناس ما ارى :

الناس يرون حين يفجعون ، أن الطبيعة كلها تشاركهم في فجيعتهم وتشاطرهم آلام مصيبتهم : الشمس تكسف حزنا ، والقمر يخسف الما ، والازهار تصفر فليس لها عطر، والارض تقشعر فما ترى لها وجها ، والبلابل تخرس فـلا تغرد ، والخيل تقضم اللجم غيظا ، والنجوم تفور ، والنهر يجف ، والاشجار تتكسر اغصانها :

كل ما في الوجود يشارك الانسان فجيعته ، والانسان في هذه المشاركة ينسى آلامه ، او ينسى جزءا قليلا منها ، والانسان في المشاطرة الطبيعة له يلقي عن عاتقه عبئا ثقيلا او نصف عبئه الثقيل ، فاذا هو خفيف الهموم .

اما انا فلست ارى شيئا يسيرا او غير يسير مما يـراه الناس : ليس في الوجود مخلوق يحمل عني همي ، فانـا احمله على ظهري وحدي وامضي به .

ليس في الطبيعة شيء يحمل عني مصابي فانا احمله في قلبي وحدي وامضي به .

الشمس ما تزال تلمع في كبد السماء لم يمسها طائف من الحزن ، ثم هي لا تدري انك حزين ، والقمر مـا يزال باهت الوجه ينظر اليك كالابله ثم هو لا يعبأ بك .

والزهر والطير والشجر والنهر ، كل اولئك يضحكون ، كما ينبغي ان يضحكوا من الشقاء من امثالك : الزهر يتفوح اريجه ، والطير تعلو اغاريده ، والشجر تصطفق اوراقه ، والنهر تتعابث امواجه ، وأنت، انت وحدك المهموم المحزون.

هنا ، هنا ، تجد احزانك ثقيلة جد ثقيلة لانك تحملها وحدك على عاتقك ، ثم لا ترى في الناس ولا في الاشياء ولا في المخلوقات واحدا يقول لك : ماذا تحمل ؟ فكيف تريد بعد ذلك ان يقول لك : هات احمل عنك .

وانت وحدك تسير في هذه الدنيا الطروب والطبيعـة اللعوب ، مكتئبا متألما ، حتى تصل بك الطريق الى بستان ، فتدخله وتجلس الى جانب غدير صغير تتلألأ مياهه فكأنها تسخر بك ، ويترنم حصاه فكأنه يهزأ بك ، وتمد الازهـار والاعشاب اعناقها اليه فتتبلل شعرها بمياهه ، ثم ترفـع راسها وتقول لك :

لو انك بكيت حتى تصبح كلك دموعا لم تستطع ان تعكر صفاء هذا الغدير الصغير ، ولم تستطع ان تمـلأ دقيقـة واحدة يأس هذا الغدير الصغير .

كل شيء حولي ضاحك ، وهناك ابي في قبره راقـد : وانا هنا لا ادري كيف انا ، لست حزينا لاني لا ابكـي ، ولست فرحا لاني لا اضحك ، ولست ميتا لاني اتحرك ، ولست حيا لاني لا ادرك مما حولي شيئا .

وقد تركت هناك في بيتي زوجا تنتظر عودتي لاخفـف شيئا من آلام ظهرها ، فمنذ حملت في بطنها ولدي ... ولدي الذي سيرى الحياة بعد ستة اشهر من رؤية جده المـوت .

وماذا لقي ابي في القبر ؟

لست ادري . ولا يمكن ان ادري .

لقد قال لي والدي ذات يوم : ان الايمان لا يدركه العقل، وانما يشعر به القلب .

ومضيت الى البيت انفض عني غبار التـراب الـذي تمددت فوقه ، وانا لا ادري متى اتمدد فوق التراب فـلا استطيع ان انفضه عني .

ودخلت البيت اول مرة ولم اجد فيه ابي .

لقد بنى بيتا فسكنه قليلا ثم غادره كثيرا وتركنا فيـه ايتاما كبارا .

مات في السنة التي كدت اقول له فيها :

آن لك يا والدي أن تستريح من اعباء البيت ، فقـد اصبح ابنك رجلا قادرا على حملها عنك .

حمص

عبد المعين الملوحي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من وحي نيسان

٦٥/٤/٢

هذا التمزق في حزين عوائه ... نغم يردد في دياجي وحدتي
نهم ، وعجز ، واشتياق جارف ... يا شؤم ما القى به ، وبجنتي !

٦٥/٤/٤

لا تحجمي عما خلقت لاجله ... وحبتك امك ـ عن هدى ـ حواء :
الجور ، والعرف المسخر ، والبكا ، ... والعطف ، والهجران ، والاغراء...
لولاك..ما هذي الحياة سوى دجى ... تقضي بحالك غمه الاحياء !

٦٥/٤/٨

انـي لاستطيع استعادة ما مضى ... منها بنشوته وطيب عناقه
وبناره طي الضلوع وذعره ... مما يخيل من عذاب فراقه
...اما الذي هيهات يرجى بعثه : ... عمر تردى في ظلام محاقه !

٦٥/٤/١٠

يا بلادي ... تقبلي من صدوق ... صلوات الاخلاص والايمان
انا اغنيت في هواك حياتي ... وبحبيك قد سما وجداني
فاغفري لي اذا نحوت بشعري ... نحو صب يلوذ بالكتمان

٦٥/٤/١٤

الصبر والله، عبر الدهر ، كم ذكرا ... عند الخلائق اما مسها الفشل !
وانت،يا قلب، لستالمصطفى فدع ال ... فرور واهدأ اذا ما خانك الامل
وصل ، وهجر ، ونجح لا دوام له ... هذي حياتك حتى ياتي الاجل ...

٦٥/٤/١٥

تصلب القلب بعد اليأس متعظا ... فكيف عيني تندى فعل مدكر ؟
لقد اتى غافل عفوا يخبرني ... عنها .. فثار حبيس الشوق للخبر
يلطف الحزن عندي انها سعدت ... على شقاء بعيد الفور في عمري !

٦٥/٤/٢٣

جاء الربيع ... فما لشوقك رادع ... يثنيه عن ابداع آن مزهر
حولان نفسك ، آية اكرم بها ... تنجيك من ضجر الحياة المقفر !
آلاء هذا الكون لا تحصى ... لمن ... سبر الوجود بفضل حس مبصر

٦٥/٤/٢٥

امسيت أرقب جهد عي ... مني في القراءة باكتئاب
اني لاهوى ان ترى ... روحي الحقائق في ضباب
لكنني لا استسيغ ... غ ضلال عيني في الكتاب
العلم لا يهوى ـ كشه ... ري ـ العوم في كاس الشراب !

٦٥/٤/٢٧

ارى الحب لا يأبى على الشعر عطفه ... بلى ، فهو اطواق التمائم للشعر
بوجدك، يا قلبي، بصدقك والجوى ... سموت الى ما لا يطال من العمر

٦٥/٤/٢٨

حنانيك ! لا ادري : أكان لقاؤنا ... سرابا؟ ام استوفيت بذلك بالهجر؟

حلب — علي الناصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المرح والهزل في قصر العدل في فرنسا

محامو العصر الجميل

بقلم جان بول لاكروى ترجمة سمير شيخاني

* * *

كانت نقابة المحامين الباريسية في مطلع هذا القرن تحت سيطرة ثلاثة اسماء كبيرة : المحامي شينو ، والمحامي ديمانج ، والمحامي لابوري ... وابرز الثلاثة كان لابوري ، وهو جبار ، اشقر اللحية ، عريض الرقبة ، وذو صوت رنان طنان عشرين مرة هدد بالقتل ، ولكنه استمر في الدفاع عن الكابيتين دريفوس . وفي ذات يوم بينما كان في طريقه الى المحكمة ، انهمر عليه الرصاص من احد المسدسات ، وكاد يموت . فلما عرف انه نجا من الموت همس قائلا : « لقد منحني الاله الطيب اسبابا تخفيفية ! »

جسديا كان شجاعا كما راينا . وكذلك كان شجاعا ادبيا ولم يكن ليتراجع امام جراة الاسلوب اللفوي . من ذلك انه خاطب مرة وكيل النيابة العامة بقوله : « سيدي المدعي العام ، ان الاهانات والشتائم التي سقطت من اعلى مقعدك لن تتوصل ابدا الى الارتفاع الى مستوى المقعد الذي اتولى منه الدفاع . »

ويبرز جمال الصورة وجراتها عندما نعلم ان مقعد المدعي العام يقوم فوق منبر يعلو مترا عن مقعد الدفاع .

ومن هنا تلك الضربة التي سددها حوالي ذلك الوقت الى المدعي العام شي ـ ديتانج ، احد زملائه القدامى : « يا حضرة المدعي العام ، اعلم ان بالامكان المرور من مقعد الدفاع الى مقعدك دون الارتفاع ، والمرور من مقعدك الى مقعدي دون النزول !..

لقد كان الخبث يتجول بحرية في اروقة قصر العدل في فرنسا !..

بعد ذلك بسنوات ، وحوالي اواخر تموز ١٩١٤ ، جرت المحاكمة في قضية شهيرة اخرى هي قضية مدام كايو ...

فقد نشرت جريدة « الفيغارو » في عددها الصادر في ١٦ آذار من تلك السنة رسالة حميمة من جوزف كايو ، وزير المالية آنذاك ، الى سيدة ، موقعة منه بهذه الكلمة « جوزيفك » !

وضحكت باريس باسرها ملء رئتيها ، وضحكت طويلا وكثيرا .. باستثناء مدام كايو التي خفت في الليلة نفسها وطلبت مقابلة مدير الجريدة غاستون كاليت ، واردته قتيلا بست طلقات من مسدسها ، متجاوزة بعملها ذاك الحق الممنوح لها ولسواها في مثل هذه الحالات ، وهو « حق الرد » (ولا شك ان جميع مديري الصحف يشاطرونني هذا الراي) . ومع كونها زوجة وزير المالية فقد احيلت الى المحاكمة امام محكمة الجنايات التي برات ساحتها .

وعندما حضر زوجها للادلاء بشهادته واضعا على عينه المونوكل ، متجبرا متكبرا الى حد انه سمح لنفسه ان يخرس المحامين من اسرة كاليت . فوقف اذ ذاك المحامي شينو وقال مهدئا الحالة :

لينتزعوا منا جبتنا الرسمية ويسلمونا ثياب الخدامين الرسمية ! ولكني اخشى الا يوجد ثياب يناسب جسمي !

وكان المحامي شينو امرا قصيرا ، رفيع العود لا تتجاوز قامته ١٦٠ سنتمترا طولا . ولكن ذلك لا يفقد الكلمة روعتها ، فقد كان يتحدث بشكل رمزي .

غداة الحرب العالمية الاولى عرفت نقابة المحامين في باريس ، الى جانب المحامي الشهير هنري ـ روبير ، اثنين من رؤساء الجمهورية السابقين هما : ريمون بوانكاريه ، والكسندر ميلران . كانا يترافعان دائما ولكن ليس في قضايا مشتركة (ليس معا ، ولا احدهما ضد الآخر) .

وكان هناك ستة محامين آخرين وصلوا الى سدة الرئاسة ، ولكنهم لدى مغادرتهم قصر الايليزه لم يلتحقوا مجددا بنقابة المحامين ، وهم : تيرس ، وغريفي ، ولوبيه ، وفاليير ، واوريول ، وكوتي . واثنان واربعون محاميا كانوا رؤساء وزارات . اما اولئك الذين شغلوا الوزارة من المحامين فعددهم اكبر من ان يحصى ! ولا يكفي مجلد ضخم لاستيعاب اسماء النواب السابقين الذين كانوا اعضاء في نقابة المحامين ، في الجمهوريات الخمس . فالمحامي هو الحيوان السياسي من الطراز المعلم .

اما راس المحامين ، بلا ادنى ريب او اشكال ، فقد كان وسيبقى لاجيال عديدة ، المحامي هنري ـ روبير . وقد لقبه زملاؤه واصدقاؤه بالامير ، واطلق عليه خصومه واعداؤه لقب « دون جوان محكمة الجنايات » . ولا عجب فقد كان يتمتع بسحر غريب حقا ، اشبه ما يكون بسحر الآلهة .

وهذا الذي كان يقال عنه « انه يكسب كل دعاويه » ، خسر دعواه الاولى ، وذلك في مستهل حياته القانونية . فلقد كان من الذهول بحيث انه انهى هكذا دفاعه : « لا ، ان موكلي لم يخامره قط التفكير الاجرامي ، كل ما كان ينوي عمله هو الانتحار اولا ، ثم القتل ثانيا ! »

اما القضية فكانت تتعلق بالكابورال جيوميه الذي قتل زوجته بطعنها اربعين طعنة !..

سمير شيخاني

محمود سيف الدين الايراني والقصة القصيرة العربية في فلسطين

بقلم نعيم حسن اليافي

* * *

يعد محمود سيف الدين الايراني الرائد الاول للقصة القصيرة في فلسطين ، فقد بدأ يكتبها منذ الثلاثينات وما يزال الى اليوم علمها المفرد ـ كما وكيفا ـ في النصف الجنوبي من بلاد الشام ، وهذا الامتداد الزمني الذي ينسحب على ثلث قرن أو يكاد ، يمكننا من ان نقف على مجمل التطور الفني والفكري للكاتب ، ويمكننا ان نرصد التنوع والتكرار في اعماله ونربط بين نتاجه وبين الفترة التي ظهر فيها لاول مرة قبل ان يضم في مجموعات ويصدر متأخرا ، كما انه يمكننا ثالثة من ان نعرف اين يقف الايراني في تاريخ القصة القصيرة الفلسطينية ؟

ولكي نعرف هذا الدور ، لا بد ان نعرف التطور الرئيسي الذي سارت فيه القصة القصيرة في فلسطين قبل الثلاثينات وخلالها الى اليوم ، وبصورة اخرى قبل النكبة وبعدها .

اما قبل النكبة ، فان اقدم القصص التي وصلتنا تعود الى ما قبل الحرب الاولى بقليل ونمثل لها بقصص مجلة « الزهرة » لجميل بحري ، وقصص مجلة ، « النفائس العصرية » لخليل بيدس ، وجميع هذه القصص «روايات مكثفة» قصيرة من ناحية الحجم وليست قصيرة من ناحية الشكل ، وقد استمر هذا النوع تقريبا الى منتصف الثلاثينات ، ويتوجه مجموعة « مسارح الاذهان » التي صدرت عام ١٩٢٤ لصاحب النفائس السابقة ، ولا تحمل قصص المجموعة على كثرتها (٣٣ قصة) ـ وخلافا لبعض الباحثين ـ اية قيمة فنية ، اذ ليست اكثر من نتاج كاتب مترجم تمرس بطرائق السرد والقص عن طريق النقل والتقليد والمحاكاة ، وكل قصصه التي قدمها لا تخرج في خصائصها عن خصائص قصص الفترة البدائية الاولى سوى أن بعض مظاهر التقدم في الاسلوب ـ والتي كانت من عامل الزمن ـ قد اصابتها .

ومنذ منتصف الثلاثينات وحتى النكبة ، فان حصيلة القصة القصيرة في فلسطين لا تزيد على كمية ضئيلة من الاعمال المفردة التي كانت تنشر متفرقة هنا وهناك كقصص عارف العزوني ، وعلى مجموعة عبد الحميد ياسين « اقاصيص » صدرت عام ١٩٤٦ ، ثم على عدد من المجموعات التي طبعت متأخرة وترتد الى هذه الفترة مثل « الاخوات الحزينات » لنجاتي صدقي . و «شعاع النور» ١٩٥٣ لاديب العامري ، وغيرها ، والشيء اللافت في قصص هذه المجموعات ان نصفها مترجم ، والنصف الآخر يتخالف فيه الشكل ما بين (مقالة) تخلو من متطلبات العمل القصصي ، او (ريبورتاج) اجنح ما يكون الى الحدوثة التي تتشعب طرقاتها . او يكون الشكل (صورة) انشائية يختار فيها القلم من كل (وصف) صنفين على الاقل ليسا بذي وظيفة ، ولا يبقى من هذه الانماط لكي يشكل (قصة) حقا او اقرب ما يكون اليها الا القليل .

ثم جاءت النكبة في فلسطين فكانت تجربة عميقة هزت ضمير الانسان العربي في فلسطين وفي العالم العربي كله ، فعاشها بكل جزئياتها ، وعاناها بجميع ازماتها ، وليس بغريب ان تكون ـ حقا ـ بداية الانعطاف في تاريخ ادبه الحديث ، تصبغه بسمات معينة ، وتترك فيه طابعها المميز ، وتعمل على تشكيله في ظواهر قوية برزت آثارها واضحة في اعمال الادباء الذين طهرهم الالم ، وصهرتهم المعركة ، وجعلتهم الكارثة يحيون في اعماق وجداناتهم مع الآلاف اللاجئة المشردة في الخيام ، وعلى الدروب ، بعد ان تجرعوا مرارة المصيبة قطره قطرة ، وعاشوا في قلب المأساة بكل دفقات دمائهم ونبضات اعصابهم . وقد انهت ـ هذه المأساة بدورها ـ لدى عدد منهم ازمة الصراع ، فتحددت امامهم بصورة حاسمة ابعاد القضية ووجدوا انهم لا يحملون عبء انفسهم وحدهم ، وانما عبء غيرهم ايضا ، لقد كتب امين فارس ملحس الي يقول : « ... وبعد الكارثة اقتصرت كتابتي على النكبة .. وكان اهم عامل في تكويني هو الالم » (من رسالته الي بتاريخ ٢٣ـ٤ـ٦١) وكذلك يقول عيسى الناعوري « ... ان اكثر ما كتبته الى اليوم متأثر بالنكبة ومستمد منها .. وان اهم ما اثر في ادبي هو نكبة فلسطين التي عشتها بنفسي .. وخرجت منها لاجئا مع اهل فلسطين » (من رسالته الي بتاريخ ٢ـ٥ـ١٩٦١) .

ولقد اتخذ هؤلاء الادباء للتعبير عن قضاياهم صورتين من صور التعبير : القصيدة الشعرية ، والقصة النثرية بنوعيها: الرواية ، والقصة القصيرة . ويمكننا ان نجد تحت النوع الاخير ـ وهو ما يهمنا هنا ـ مجموعات بعضها خلص لهذا الجرح الدامي ، وبعضها الآخر شارك في صياغته. ونستطيع ان نذكر عددا من الاسماء على سبيل التمثيل لا الحصر : امين فارس ملحس ، بديع حقي ، جبرا ابراهيم جبرا ، سميرة حسان ، سميرة عزام ، حليم بركات ، عيسى الناعوري ، فيليب مسلم ، نبيل شحادة الخوري ، يوسف جاد الحق ... وغيرهم .

واذا شئنا ان نقدم اهم اللمحات التي تثيرها وتشير اليها قصص المجموعات ، فانا نقدر ان نستقطرها في جملة نقاط:

١ ـ قدمت القصص صورا للبطولات والتضحيات كما عاناها الشعب الفلسطيني قبل المأساة تعلقا بارضه، وهياما بها ، ودفاعا عنها ، فاحتفظت بفترة مهمة من فترات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تاريخه ، وهي فترة الثلاثينات ، في حين ان القصة القصيرة السورية مثلا ـ وقد شهدت البلاد ثورات عدة ـ لم تسجل شيئا منها ، والقت التركة على كاهل الشعر ، وانصرفت الى معالجة القضايا الاجتماعية ، اما القصة الفلسطينية فقد عكست لنا اهتمامات شعب بمختلف قدراته واعمال رجاله توجهت للدفاع عن الوطن ضد اليهود الغازين ،حتى اذا جاءت معركة المأساة انتقلت معه الى الميدان تصور بطولاته وشجاعته ، وبين هاتين الصورتين للتضحيات قبل المأساة وبعدها ركزت القصص على قضية (الخيانة) ، فاوضحت ان ضياع فلسطين لم يكن نتيجة لتعاون الاستعمار مع الصهيونية فحسب وانما كان نتيجة للغدر وللمطامع والشهوات ألتي كانت تعصف في رؤوس السادة الارستقراطيين تجار الوطن .

٢ ـ انطلقت القصص بعد النكبة وراء المطرودين واللاجئين فوصفت شقاءهم وبؤسهم واحزانهم . وكانت تعرض ـ لبيان اوجه المفارقة وعظم المأساة ـ جنبا الى جنب صورتين متقابلتين لهؤلاء المنكوبين : الصورة الاولى عندما كانوا يرفلون في فردوسهم المفقود في اثواب من العزة والمتعة والسعادة ، يملكون المال ويحيون في بحبوحة ورغد من العيش ، والصورة الاخرى بعد ان اقبل الليل وعم الظلام ، واصبحوا مشردين لا مأوى ولا وطن .

٣ ـ ولقد اتسعت الصورة القاتمة الثانية ودخلتهاالوان جديدة بحيث تستأهل منا وقفة خاصة لنرى قطعان اللاجئين والمشردين ، جموع الجياع والعراة ، كيف يداعب خيالهم طيف الرغيف الاسود ، وتصطلح عليهم عواصف الفواجع والمآسي ، وكيف يبيعون ما يملكون ابقاء على الرمق ، ويتحولون الىلصوص يسرقون اللقمة دفعاللموت. وقد ذهب الكتاب للتعميق من اثر الجانب العاطفي للكارثة الى التركيز على مصاير الفئات (النسائية) و (الشائخة) وعلى اوضاع (الطفولة) المعذبة التي انتهت الى اشكال بائسة لا تستدر العطف والاحسان بقدر ما تمزق القلوب اسى ولوعة ، وليس بعجيب بعد هذا ان نجد مادة غزيرة تدور كلها حول (الخيمة) ، خيمة البؤس والبهتان ، حيث الرجال يتعذبون ، والنساء يترخصن ، والصغار يتلوون ، والكل يعيش حياة القبر من قبل ان يحمل الى القبر .

٤ ـ اوجدت القصص بطلا جديدا هو « اللاجيء الفلسطيني » في سن شبابه ، بطلا تائها ومنكوبا ، وقد مر في مرحلتين : المرحلة الاولى بعد النكبة مباشرة حين شردته الهزيمة وصدمته ، وفجرت المأساة فيه اليأس والكآبة واشعلت عنده براكين الحقد على كل شيء ، فماج في ازمة اسلمته الى التمزق والانهيار ، وعاش في مخاض نفسي لم يورثه سوى الشك والحيرة ، واستكان بعدهما الى الحزن ، ولم يعد له من أمل غير مجرد الوجود في حاضره، اما ماضيه فقد كفر به ، وبجميع الصلاة التي تشده اليه وتربطه بمجتمعه القديم ، كل ما اراد هو ان ينسى ، وكان النسيان بالخمرة تارة وبالمراة أخرى .

ثم جاءت المرحلة الثانية لهذا البطل التائه فنبذ السلبية والفرارية والهروب من الواقع ، ومن اليأس منه ، وتحول الى ايجابية بناءة فآمن بقدراته وامكاناتامته وشعبه وطرح على بساط البحث قضيته واخذ يدافع عنها بشتى الطرق، ومع اعتقاده بان الزمن (يموع) مشكلته ، الا انه يتفاءل ويتوق الى المستقبل احيانا وألى التغيير والثورة علىواقعه البائس احيانا ثانية ، يدفعه عزم ، ويحدوه تصميم ويسيره أمل بأن الثلج مهما تجلد فسيذوب ، وان الليل وان طال فسيعقبه صباح منور اغر فيقضي وان يوم العودة آت لا ريب فيه .

وتحت تأثير هذا السلوك الايجابي كان البطل يتفطرشوقا الى ارضه السليبة ، ويتمزق حنينا لرؤية بيارته واطلال بيته ، واستروا ح النسمات العليلة التي تهب من جانب السهوب الخضر تحمل عطر آثاره ، ومزج الدموع المدرارة بخضيب التراب الطاهر فيحس بدبيب عارم لا يقاوم يجذبه الى العودة ، ويشعر برغبة ملتاعة نحو الارض لا يجد لها دفعا ، فينطلق وأقصى امله ان يحفن حفنة من النجيع الذكي او يقطف عدة برتقالات من الاشجار المثقلة بالنجوم او يستلم برفق وخضوع اعمدة البيت الشاحبة .. وعندما يرجع كانت بضع رصاصات غادرة من العدو المترقبكافية لترديه على ارضه ، يسح بدمائه فيموت باسم الثغر ، لانه حقق رجاءه ، هذا الموت ـ فيما نظن ـ تعبير عن ايجابية البطل وليس تعبيرا عن سلبيته ، ان البطل يموت فوق تراب وطنه ـ في عودة مؤقتة ولكنه يؤكد تمسكه بالارض، ويرمز في نفس الوقت الى العودة المحتومة والابدية التي لا مناص منها ، وهو بذلك يختلف كلية عن البطل الذي ينتهي بالموت ايضا في المرحلة الاولى لان الموت هنا تفسيرللتحول وللتغير نحو الافضل ، اما هناك فكان تفسيرا للحركة نحو الانهزام والشلل .

٥ ـ طغى العنصر الحماسي والعاطفيوالدعاوي والقومي على العنصر الفني والانساني في كثير من قصص المأساة ، وكان من آثار العنصر الاول ارتفاع النبرة الى الدرجة الخطابية ومن آثار العنصر الثاني الزيف الواقعي وبالتالي الخلو من الصدق الفني ومن آثار العنصر الثالث الانسياق وراء الاحداث السياسية والانحراف في وهاد التقريرية والمباشرة . ومن آثار العنصر الرابع تضييق الخناق لمعنى المأساة ، والاقتصار فيها على دلالتها المحلية السطحية والساذجة . وفي مجال الشخصيات اعتمد الكتاب في رسم المشردة والبائسة منها خاصة على الملامح الفيزيكية فبدت في صور ثابتة ومفتعلة وقد تحولت بعض القصص نتيجة لذلك كله الى مقالات حماسية وتحول بعضها الآخر الى ريبورتاجات صحفية وتحول القسم الثالث الى اعمال ذات ابنية هزيلة مفككة وفاشلة .

* * *

بعد هذا الخط الافقي الذي رسمناه لتطور القصة القصيرة الفلسطينية قبل النكبة وبعدها نعود الى محمود سيف الدين الايراني فنجد انه اصدر في المدى الواسع الذي عاشه ثلاث مجموعات قصصية: الاولى «اول الشوط» صدرت في منتصف الثلاثينات تقريبا ، وتضم سبع قصص وجملة مقالات ، والثانية « مع الناس » صدرت عام ١٩٥٥ وتحوى اثنتي عشرة قصة ، ومعظمها يرتد الى ما قبل النكبة ، والثالثة « ما اقل الثمن » صدر عام ١٩٦٢ وتجمع بين دفتيها ست عشرة قصة . ولا تشكل هذه القصص في مجموعها « موقفا » اجتماعيا موحدا يعطينا في خاتمة المطاف (وجهة نظر) معينة يصدر عنها المؤلف كانسان او كفنان يكون شاهد عصره . ويحمل بين عطفيه ـ في ذات الوقت ـ رؤاه نحو المستقبل ، وكأنه يقول « هذا انا وهذه هي الحياة » ، ومع ذلك فانا نستطيع ان نستشف (دلالة) تكمن خلف معظم انتاجه ، وتبدأ هذه الدلالة منذ مجموعته الاولى التي مثلت الى حد بعيد ـ كما يقول ـ تطوره الذهني ، ثم بهتت الدلالة في المجموعتين الاخيرتين ، لتقوم مقامها دلالات اخرى لا يجمعها موقف موحد .

وتشكل هذه الدلالة احساسا بأن المأساة الاجتماعية للانسان في فلسطين ممثلة في واقعه البائس المظلم تدق وجدان المؤلف بعنف ، وتطحن وجدان شخصياته بضراوة ، والكاتب يعبر عن ذلك بزوايا وجزئيات تتراوح بين التجريد والتعميم والمثالية الرومانسية، ولكن الزوايا كلهاوالجزئيات تدور بعد ذلك في نطاق قضايا فكرية محددة ، يركز من خلالها على شقاء الانسان وتعاسته . وبكلمة اخرى يصور في قضاياه الفكرية او في قصصه قساوة الحياة ومرارتها او عدم توازنها .

ولقد قلنا ان هذا التصوير (الكائن) للشقاء ليس هو المقصود لذاته وانما هو معبر أو رؤية (لما سيكون) ، وهذا الذي سيكون هو جل قصد الكاتب وتدل رؤيته ـ على العموم ـ على انه ينقم على الحاضر ويأمل املا كبيرا بحياة افضل عن طريق تبديل الواقع ـ يوم تتساند كل الطبقات في مجتمع ان لم يطلب الاغنياء فيه الخير بما عندهم من مال فسيطلب الفقراء العمل بما عندهم من كرامة بل اكثر من ذلك يعتقد اعتقادا جازما بأن المستقبل هو لهؤلاء التاعسين ، الفقراء الاشقياء ولاخلاقياتهم وقيمهم ،فالجراثيم (العمال) يستغلبون في المستقبل ونداء (الروح) سينتصر على نداء (المادة) ، والعدالة ستطغى على (الاجرام) لان الدنيا ما تزال بخير .

وعندما ننتقل الى مجموعتيه الاخيرتين فان التجريد والتعميم والمثالية والرومانسية تصبح ظواهر لا آثار لها ولا وجود ، ولا تعود القصص تدور ـ غالبا ـ حول قضايا فكرية تبين (وجهة نظر) الكاتب او (موقفه) . وانما تصبح (لقطات) تتخالف فيها الرؤية ولا يهم المؤلف منها سوى (نماذجها) او (شخصياتها) مفردة او نمطية .

يستغل ظواهرها للوصول الى اعماقها ومن هذه الجهة فان اعماله فيما عدا موضوع (الارض) ـ عبارة عن دفقات من الاحساس الطارىء يريد ان يرصده وينقله الى المتلقى . اما موضوع (الارض) السليبة فقد قدمه في عدد قليل من القصص يصور فيها مدى ارتباط الانسان بالمكان الذي ولد فيه ونشأ ، وهو يقابل هذا (المكان) او (الارض) تارة بالشرف واخرى بالروح وثالثة بالمال ، ولا يعني في هذه المقابلة ارتباط شخصياته بمنبتها فحسب ، وانما يعني ان الارض جزء لا يتجزأ من لحمهم ومن دمهم . انها شريحة او قطعة منهم . فمن الصعوبة بمكان ان يتخلوا عنها ويصبحوا منبتين لا صلة لهم بها ، ولئن ارغموا على تركها الى حين فلا بد ـ مهما طال الزمن ـ من العودة اليها ، الى الارض (الجنة) ، الارض الطيبة المعطاء ، ام الخير والبركات .

ولعل الظاهرة اللافتة في قصته ان شكلها ـ على امتداد الزمن الطويل كان يتطور نحو الاحسن ، فهو يتراوح بين البناء المحكم ، وبين السقوط المدمر ويتجلى مثل هذا السقوط حين تتحول القصة بين يديه الى (مقالة) اما لغلبة الفكرة على الاحساس ، واما لطغيان الحماسةالعاطفية على التجربة الجمالية طغيانا يخرج بسببه العمل دون ان يختمر ، أو دون ان ينضج ، ونمثل للنوع الاول بقصته المقالة « احتمال الحياة » في مجموعته الاولى ، فهذه القصة ليست أكثر من (معالجة) منطقية ، او (مقابلة) بين وجهتي نظر لقضية فكرية تنتهي بامكانية احتمال الحياة رغم قساوتها ، وليس في القصة بعد ذلك شخصيات فنية ولا حدث متطور ولا أي مقوم هام من مقومات القصة او اي اصل من (اصولها) التي تتطلبها مستلزماتها التعبيرية او القصصية ، ونمثل للنوع الثاني بقصته المقالة (قصة لم تتم) في مجموعته الثانية . فهذه القصة كسابقتها يسقط شكلها الفني لانها لا تستند الى اية (تقنية) فنية وهي ـ على احسن حال ـ كما قال البطل (اشجان روحي ابثها هذه الصفحات) اي انها ليست اكثر من مقالة حماسية ترتفع نبرتها وتعلو لهجتها ، او كما قلنا انها قصة (مقالة) يتغلب فيها الطابع الانفعالي على التجربة الجمالية ، غلبة لا تتيح للشكل الفني ان ينضج ، ففي غمرة الانفعال المتضخم بالمأساة خرج العمل قبل ان يعيش في مرحلة اختمار لا تتعارض فيها الفكرة مع الاحساس او لا يطغي الشعور العارم على الشكل المحكم فيقضي عليه .

وفي نمط ثالث من القصص ، تقوم اعماله على (احساس طارىء) او (شعور غامض) يجعله الكاتب محورا لقصته ، وفي راينا ان القصة تشترك مع (القصيدة) في ان موضوعهما واحد وهو (الانفعال التام الكلي والمركز) ، وبعد ذلك يختلفان في صورة التعبير ، وفي الحق ان مجرد هذا الانفعال وحده لا يكفي لخلق قصة جيدة البناء ، فلا بد ان تنقل الاحساس الموحد (صورة) من التعبير او من (الشكل) متألقة تبنى بناء محكما ، وهذا ما تفقده بعض

قصص الايراني التي تتحول الى لمسات خفيفة حانية من الشعور الرقيق ، ولكنها لا تحمل اية قيمة حرفية او شكلية .

وفيما وراء ذلك ينجح الايراني في بناء قصته ، ويبدو ذلك خاصة في مجموعته الثالثة التي تدل على انه فنان اصيل ، يدرك بوعي كيف يضرب بريشته ، ويعرف ايضا اين يضع الوانها وظلالها وخطوطها وانغامها ، حتى تخرج اعماله وكأنها حياة نابضة تنسال تلقائيا الى قلب القارىء.

وتقوم قصته على تحقيق صفتين : الاولى الوحدة العضوية والثانية الاثر الموحد ، وتعد الصفة الاولى مدخلا الى الثانية ، وفيها يسعى الكاتب الى اعطاء الاخبار الجزئية لتنسجم انسجاما متكاملا مع الحدث الرئيسي ، ويسعى الجميع ليتفاعل في ايجابية بالغة مع الشخصية في اطار حياتها ، ونكاد لا نعثر على تفصيل او وصف او خبر لا يؤدى دوره في خدمة الحدث الفني والشخصية . اما الصفة الثانية الاثر الموحد فلا تتجلى في مغزى القصة وانما في معناها ككل ، وفي ارتباط الداخل بالخارج وتكوين الانطباع الكلي النهائي للقصة ، ويثور هذا الاثر ويزيد في غناه لحظة التنوير التي يتكىء عليها الكاتب لتلقي بالضوء على جميع خيوط الحدث وعلى ابعاد الشخصية .

والقصة في تحقيقها لهاتين الصفتين لا تفرض على العمل شكلا آليا وانما تفرض عليه شكلا عضويا تنبع وحدته واثره من باطنه ، وهي لا تعتمد هنا وهناك على (العقدة) ولا على (الاستثارة) ــ وخصوصا في قصة الانفعال الطارىء ــ وانما تعتمد على (الحركة) (ولا تتعارض عنده مع التحليل ومعادلة الاحساس) على تحقيق الرغبة لدى المتلقي تحقيقا يشده الى القصة ، ويغريه بالمتابعة .

ويأخذ شكل القصة عنده شكلا واحدا هو الشكل السردي وقد انهى بعض قصصه باليوميات، او بالمذكرات، وطريقته في معالجة الشكل ذات ابنية او انماط في الصياغة متعددة ففي بعضها يميل الى تناول القصة من لحظتها (الازمة) وفي بعضها يتتبعها تتبعا (حكائيا) ، ويعتمد في قسم ثالث على اسلوب الذكرى وفي نوع رابع من المعالجة يؤثر ان يجول دون ان يتقيد بالزمان او بالمكان ويربط داخل ذهن الشخصية بين الماضي والحاضر والمستقبل ، او يرتد غالبا الى اولها ، وهو لا يهمه من جميع هذه الانماط كما لا يهمه أن يعبر في القصة بشتى الضمائر او ان ينقل (حكايتها) على لسان بطلها او على لسان راو اول او راو ثان .. فالذي يهمه في النهاية ان يصل الى اعطاء الاحساس الموحد او الانفعال الطارىء الذي يهمه .

والقصة عنده هي قصة (الشخصية) فهي التي تعنيه وقد مرت على يديه في مرحلتين : في الاولى كانت تحمل الشخصية دلالتها الفكرية والاجتماعية ، وكانت كل الزوايا في خدمتها ، ولذلك كانت (نموذجية) وايضا (مسطحة)، وفي المرحلة الثانية اقتربت الشخصية اكثر فاكثر من الفردية الرامزة ، ومن الفردية الانسانية المتميزة لانها بدت في ابعادها الثلاثة ولا سيما البعد الثالث ، ولم تعد تخدمها الرؤية ولا الحدث وانما اصبحت تتفاعل معهما .

وقد رافق هذا التطور في (نوعيتها) تطور آخر في (رسمها) فالملامح الفيزيكية التي كانت تهم الكاتب في قصصه الاولى لكي يؤكد تعاستها ، ويظهر شقاءها ، بيتت او زالت ، وقامت مقامها ملامح داخلية اتكأ عليها كثيرا لتحليل عواطفها واحساساتها الخفية الكامنة في العقل الباطن ، وكما كان الحال مع تشكيوف نجد ان ما يدور داخل الابطال وفي نفوسهم وما يشكل حياتهم الخفية هو ادعى الى اهتمامه من المظاهر التي يبدون عليها ، ومن اجل ذلك قدم بعضها وهي تعيش حياتها بنصف وعي ، وعرض اكثرها مبرزا معالمها الداخلية في وعيها الكامل .

وفي سبيل ابراز هذه (الدخائل) التي كانت تهمه كان يعتمد اما على اسلوب الذكرى ، او على تتبع الاحلام والاماني ، ومن هنا كان تحليله لا يتحول الى مونولوج شعوري لا منطقي من تيارات اللاوعي ، انه في اكثر الاحيان حديث مباشر او رؤية داخلية منطقية في صورة سردية من الشعور.

ولكي يعمق هذا المنهج لديه ــ فيما اعتقد لجأ الى معادلة احساس الشخصيات بمعادل موضوعي Objective Correlative يقابل به شعورها ، وكان هذا المعادل غالبا هو الطبيعة ، وقد جره ولعه بهذا المعادل الى ان يطيل فيه بشكل يطغى طغيانا واضحا على احساس الشخصية الاصيل ، وبتعبير آخر اضحى المعادل الموضوعي لديه ثوبا فضفاضا لا يتناسب مع شعور الشخصية ولا يقايسها او يتلاءم معها .

ويفضل الكاتب ان يضع شخصياته داخل (اطر) من ظروفها وحيواتها وبيئاتها ، ويخرج من الجميع بجو مصور كامل للشخصية يرعش بالحركة ، ويعج بالحياة ومع ذلك فان اعماله لا تفقد الحبكة ، لانها ــ غالبا ــ متماسكة ، ولا ينحرف فيها (صانعها) وراء مسارب لا تتصل بالحدث الرئيسي او لا تتقدم الاوصاف او الافعال التي يسوقها خطوة اثر خطوة بالشخصية وبالفعل الى الامام .

ومعظم شخصياته التي قدمها عادية او اقل ولكنها ليست تافهة ، انها محكومة بنظرته التي لا ترى في الحياة ــ ولا سيما في اعماله الاولى ــ سوى الفقراء والاشقياء والبائسين، والبسطاء ، والكادحين ، والمستضعفين ، والمطحونين ، وكان يعتقد ان جميع هذه الطوائف هي الطوائف المحرومة من النصير ومن امكانية الحياة السوية ، لذلك كان يأخذ بيدها ويعاملها في كثير من العطف والحنو والشفقة ، وقد ابرز جوانبها الطيبة والخيرة التي حالت الظروف القاسية دون الافصاح عنها ، ورأى انها الفضائل التي ستتبوأ مكانتها ــ كما يجب ــ تحت الشمس يوم تجد الانسانية مثاليتها المفقودة .

ويجعل الايراني اكثر شخصياته الشقية التي حرمت من العيش السعيد في الواقع ــ تعيش ما تتمناه او ما تأمل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

به من نعيم عن طريق الاحلام او بواسطة رؤى اليقظة ومع ذلك فهو لا يدعها تستمرىء العيش في هـذا (الزيـف) فسرعان ما يردها الى الواقع المؤلم التعس ، هكذا يحلم (عطيوي) بائع الجرائد بحذاء جديد يضعه في قـدميه ، وهو يرى مثل هذا الحذاء مرسوما في احدى المجلات التي يبيعها فيستغرق في تأملاته ويذهب بعيدا وراء احلامـه التي بعثتها صورة الحذاء في مخيلته ومدتها ، ولكن لطمة قوية على صفحة وجهه كانت كافية لكي تجعله يفيق مـن ذهوله وقد اعقب اللطمة لكزة في كتفه زلزلته ، ثم انصبت في اذنيه لعنة لامه وابيه اللذين خلفاه ، ثم هذه العبـارة من زبون كان يقلب في صحفه ومجلاته « ... لقد اتلفت حذائي ايها الحيوان » .

وفي « ما اقل الثمن » يشتري سعيد ورقة يانصيب في محاولة منه لتحسين وضعه وكان يعتقد انه في ذلك ينشد قليلا من السعادة المتيسرة التي يأمل فيها ولا يتطاول الى سعادة خارقة مستحيلة وفي اثناء الاسابيع الثلاثة التي مضت على شرائه الورقة لم يكن يحس بوجوده في الفرفتين البائستين فوق السطح والمطبخ الخشبي الحقـير الـذي تجاهد فيه زوجته ، وكان يتراءى له انه ما عاد يتنـاول طعامه فوق المائدة الصغيرة المتخلعة ، وانما هو يتناوله في حجرة الطعام المريحة ، في البيت الذي زينته له احـلام الفوز ، وعندما جاء يوم السحب واعلن عنه في كل مكان ، استقبله سعيد هادئا ، ساكن الطائر ، وفي المساء هبـط على مهل سلالم الادوار الثلاثة واشترى صحيفة وراح يقرأ الارقام على الضوء المنبعث من مقهى قريب ، ولم يكن رقم ورقته في قائمة الارقام الرابحة ، فلم يفعل شيئا ، ولم تند عن صدره آهة الم ، او خيبـة امل ، وانما طـوى صحيفته بعناية كبيرة ، واعاد ورقة اليانصيب الى محفظة نقوده حريصا عليها كأنها من التمائم او التعاويذ الثمينة ، وعاد صاعدا الى بيته الحقير ، وكان يحس براحة غريبة ، فلقد اشترى حلما رائعا جميلا بعشرين قرشا فقط ، وعاش في اكتافه ثلاثة اسابيع طوال كانت تملأه سعادة عابرة .

وفي « كانت حلم حياته » عاش (عادل افندي) لحظات مع فتاة احلامه الحسناء التي لمحها تخطر في الطريـق ، فراح يلتهمها بعينيه التهاما ، ثم شق بمنكبيه طريقا وراءها في الزحام ، واقترب منها وحياها ومشى الى جانبها ودعاها الى الركوب في سيارة (اجرة) فقبلت شاكرة . وانطلقا الى احدى الحدائق الزاهرة في ضواحي المدينة ، والسعادة تقطر من بين اصابعه وحين غابت الشمس واقبـل المساء كان موعد الحفلة الساهرة التي اعلن عنها نادي عمان قد ازف ، فذهبا اليها ، وتبادلا ثمة احاديث المرح والابتهاج والسرور ، ثم تناول يدها فقبلها وراح يبتسم ، وما لبثت الموسيقى ان صدحت بانغام عالية رنانة ، فاستفاق (عادل افندي) من ذهوله ، واذا به لا يزال على الرصيـف لـم يبارحه ابدا ، وما حسبه انغاما عالية ليس سوى زعيق بوق سيارة كبيرة كان يعوي في ارجاء الشارع الكبير .

وعندما عاد (عادل افندي) الى بيته ازداد يقينـا بأن الاختلال لا ينفك ابـدا ملازمـا هذا العالم العجيب ... وآله ان يتبين في النهاية ... ان عالمـه الخـاص ... السعيد ... عالم احلامه ورؤاه ... الذي سواه لنفسه وزينه بالصور والالوان المعجبة ، هو الآخر ليس مبرأ من الاختلال الكريه .

وتبدو شخصياته النسائية شخصيات شريرة ، غادرة ، لا تلعب دورها الانساني كما يجب ، لانها لا تمثل في ادبـه الا دور (المتعة) جنبا الى جنب مع دور (الخمرة) وكلا الدورين او المتعتين (الجسد) و (الكأس) متلازمان ، اما ليفرغ فيهما الرجل الشقي تعاسته ، او لكي يقتل فيهمـا الرجل الثري فراغه ، وموقف الكاتب من جميع شخصياته النسائية يكاد يتبلور في هذه الكلمات التي ساقها على لسان راو من رواة قصصه « ... المرأة مخلوق مراوغ ، خداع ، يستمد قوته من ضعفه ، ومن تخاذل الرجل وضياعه امام سطوة الجمال .. » ويستغرق هذا الموقف وجهة نظره في كل اعماله التي عرض فيها للمرأة سواء أكانت هذه المـرأة شخصية رئيسية ، او شخصية ثانوية ، وهي هنا وهناك لا عهد لها ولا ذمة ، ولا ضمير ولا خلق ، تبيع جسدهـا لمن يدفع الثمن اكثر ، او لمن ترغب في ان يصبح سيد جسدها وعبده معا ، وقد صور معظم الرجال وكأنهم يشدون اليها بدافع شهواتهم الجامحة شدا يقيدون فيه بقيد متين ، ولا يستطيعون فكاكا منه ولا مهربا .

وقدم الكاتب في بعض قصصه (قصص المأساة) عددا من الشخصيات الفلسطينية اللاجئة المنكوبة في وطنهـا وارضها السليبة ويمكن ان نلاحظ في تطورها نفس التطور الذي وجدناه من قبل في قصص بعد النكبة ويبدأ هنا في قصته « الخروج من الجنة » حيث يقف بنا عند مأسـاة البطل المشرد (ابو خميس) في حدود خروجه من الجنة (فلسطين) ، وفي قصته « قصة لم تتم » يخضع البطـل اللاجىء لصراع مرير قانط يشل حركته حين يقابل بـين ماضيه وبين واقعه المؤلم الاسود مقابلة ينتهـي فيها الى التشاؤم والاشمئزاز فيلعن الدنيا ، ويبصـق في وجـه الحياة ، وفي قصته « الارض الطيبـة » يهدأ الانفعـال الحماسي ، ويجتر البطل (ابو محمود) ذكرياته وبطولاته القديمة ولكنه يحلم بالعودة الى الارض الطيبة ، وفي قصته الرابعة (أقوى من الموت) في المجموعة الاخيرة نصل الى التطور الايجابي الاخير في حياة هذا البطل التائه المشرد الذي يحاول ان ينهض هو واخوانه من بين الانقاض ، وقد صمم الجميع ان يعملوا ليضعـوا حدا لهذا الليـل ... الطويل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والشخصيات اخيرا تقوم على ازمات (الصراع) التي تضج في دخائلها ، وهو صراع ـ غالبا ـ يكون بين الواقع والمثال تنتهي منه الشخصيات بالتمسك باحبال الاخير ورغم ان الكاتب لا يرى في الحياة الا الشقاء وكانت اكثر شخصياته تعيشه الا انها لا تتمرد او بكلمة ادق لا تثور ، ولذلك فانا نستطيع ان نقول انه منذ مطلع الطريق كان فنانا غير ثائر ، وان دعا الى موقف (ثوري) او (متمرد) ، بل اكثر من ذلك كان يجهض ثورة ابطاله امّا بكأس خمر واما لدى اقرب مومس ، لقد كان في قصصه يحكي احتمال الحياة رغم قساوتها وظلامتها وكابوسها الثقيل ولكنه كان يعد بحياة افضل في المستقبل .

واذا ما تحولنا الى دراسة نسيج قصته فانا نلاحظ انه تطور فيه شأن اغلب كتاب الفترة من التقرير والتدخل الى التصوير والايحاء واعتمد هنا وهناك على جملة من الاوصاف (الوظيفية) اتت عن وضعه الشخصية داخل (اطارها) الحياتي او البيئي . واسلوبه اللغوي يسوقه في جمل متماسكة صغيرة ، ويستعمل في حوار شخصياته (العامية) الصرف احيانا ولا سيما في مجموعته الاولى ، ويمزج احيانا اخرى بين التعبيرين الفصيح والعامي مزجا يفشل فيه ، وفي مجموعته الثالثة خاصة انتهى الى ادارة الحوار بالفصحى .

ونتخير للتمثيل على فنه قصته « حذاؤه الجديد » وفيها يقدم لنا شخصية (عطيوي) بائع الجرائد ، في (اطار) من حيانه التي يحياها كل يوم ، ونحن لا نعرف من ملامح البطل الفيزيكية شيئا .. تقاطيع وجهه .. اوصافه الجسيمة ، ... هذه كلها ظواهر خارجية لا تهم الكاتب ولا تعنيه من قريب او من بعيد ، فالذي يعنيه هو الداخل ، داخل (عطيوي) حياته الباطنية التي توجه سلوكه الظاهر ، والتي يعيشها في بعضها (حقائق ووقائع) وفي اكثرها امنيات واحلاما وخواطر ، وترتبط هذه الحياة (داخل اطارها) باربع جوانب : الجانب الاول علاقة (عطيوي) بالخواجه (نصار) فهو سيده المباشر الذي يسلمه الجرائد لبيعها ، الجانب الثاني علاقته (بالزبائن) فهم يمثلون لديه توتر ميزانه (التجاري) بما يشترون والجانب الثالث هو علاقته (ببضاعته) بهذه الصحف التي يبيعها وترتكز عليها حياته ، والجانب الرابع هو علاقته بذاته اي (بوضعه) .

والذي يريده الكاتب من وراء هذه الجوانب او العلاقات هو بيان النتيجة النهائية لحالة عطيوي (الحياتية) ، التي لا يرى فيها سوى البؤس والشقاء والتعاسة ولذلك فهو ينهي معظم علاقته السابقة بالفشل او بالكفران ، فعلاقة عطيوي بالخواجه نصار تقوم على امتصاص (المال) الذي يلقيه الاول بين يدي الثاني كل مساء ولا ينال منه ما يسد الرمق ، وعلاقته (بالزبائن) كانت تقوم من جهته على الحب لانهم يؤلفون جزءا من حياته اليومية او الجزء الايجابي منها وكانت تقوم من جهة اكثرهم على الشره والجشع لانهم يقرؤون ولا يدفعون ، وعلاقته بعمله (ببضاعته) تنتهي بالحسرة والالم فهو كثيرا ما كان يقارن بين حالته وبين ما تنشر الصحف من صور مغرية للفتيات الجميلات او للملابس الفاخرة ، ولكل (الضروريات) التي لا يستطيع ان ينال احداها ، وتأتي علاقته الاخيرة (بوضعه) الذي يحاول ان يغيره حتى عن طريق الحلم او رؤى اليقظة ـ كما اسلفنا ـ ولكن سرعان ما ترده الصفعة الى واقعه المرير الممتلىء بالذل والهوان ... وبالدموع .

وقد عرض الكاتب هذه الجوانب او العلاقات بواسطة حلقتين ترتبطان ببعضهما البعض وتؤلفان معا وحدة الحدث الفني الذي يمر في مراحله الثلاث البداية والوسط والنهاية ، الحلقة الاولى قدم فيها الشخصية في اطار علاقاتها الثلاث فعرفنا بائع الجرائد في علاقته برئيسه ثم بصحفه ثم بزبائنه ، وفي الحلقة الثانية قدم العلاقة الاخيرة في لحظة نفسية وزمنية قصيرة استغرقت حلم عطيوي الذي سببته له صورة الحذاء ، ولكنها عادلت في حجمها الحلقات الثلاث ، وهذا امر طبيعي لانها هي المقصودة ، وما الحلقات الثلاث الا مدخل لها .

ويمكننا ان نرجع الاثر الاجنبي الاكبر في اعماله للقصة الروسية ، ولقصة تشيكوف بالذات ، ويبدو ذلك في طرق تصويره للشخصية وفي التركيز على دقائقها ، وفي كثير من اللقطات الجزئية التي يمتاز بها ، ولا نعدم اثارا اخرى اجنبية على اعماله كالقصص الانجليزي ، ويتضح ذلك جليا في قصته « شعرة بيضاء » التي نظن انه كتبها تحت تأثره المباشر بقصص الكاتبة « كاترين مانسفيلد » وبقصتها « سعادة » على وجه الخصوص ، واذا رحنا نقارن بين هاتين القصتين فانا نستطيع ان نقول أن موضوعهما واحد وهو شعور الزوجة الغامض بالسعادة اولا ثم انتعاشها فجأة واحساسها بالنعيم ممثلا في زوجها وفي دفء حبه ثانيا ، والمعادل الموضوعي لكل من احساس الزوجين (برتا) و (جميلة) هو تقريبا معادل واحد ، ففي الاول تكون (شجرة الكمثرى) هي هذا المعادل ، وفي الثانية تكون (الوردة الارجوانية) ، ودور (بيرل فولتن) يكاد يشبه دور (ليلى) وان اختلفنا في بعض التفصيلات وقد نتعدى في وجوه المقارنة (العامة) هذه الى الجزئيات الخبرية ايضا فالطبيعة التي تحتل مكانها في القصتين (كشخصية) قائمة بذاتها لها خطرها واهميتها هي واحدة ومائدة الطعام بما يعلوها من اطايب الاكل واصناف الفاكهة بالذات هي واحدة وهكذا ...

بين مجموعة الايراني الاولى ومجموعتيه الاخيرتين عشرون سنة او أكثر فماذا نستطيع ان نرى في هذا المدى المتسع من الفروق بين اعماله المبكرة واعماله المتأخرة ؟

ان نظرة جادة الى اعماله الاولى قد تدلنا على انها لم تبشر بمولد فنان أصيل فقد كان نتاجه (عاديا) ، ليست فيه شرارة الفن الخالدة ولا الاصالة العميقة ، ولا التجربة

قصة الحب المجهول

●

لي حبيب ارتجيه بالتمني .. وهو يرجوني ويبدي لي صدا
كم تلاقينا وفي أعيننا ... نظرات حائرات تتحدى ...
وافترقنا وبقلبينا ضرام لا يني يسفعها لذعا ووقدا

في التنائي نرتجي ان نتلاقى ثم يلقاني فاخشاه ، ويخشى
وكلانا حائر في « كلمة » هي تغشاني ، كما اياه تغشى
فاذا أوشكت نطقا خلتها رعدة بين عظامي تتمشى
لا انا افصح عن حبي له .. وهو في قلبي هيام ، بل تعدى
وهو لا يفصح عما يشتكي وبعينيه تجلى وتبدى ...
فكلانا يرتجي ان يتبدى من حبيب هو عي ليس يبدا

الاماني هينات دانيات ... بين ايدينا ، ولا نمددها !..
عجبا من هذه الحال ومن ... امنيات لا ننى ننشدها
فاذا جاءت كففنا واذاها قد تلاشت ونأى موردها

يا حبيبي : استبقى هكذا بين احلام ، ويأس ، وعذاب
نتمنى والاماني حلوة وهي تغرينا كما يغري السراب
ام لنا ساعة صفو ، ورضى ، ومناجاة ، وبوح ، وعتاب ؟..

مصر الجديدة **محمود الشرقاوي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجمالية الناضجة وربما كان هذا طبيعيا من كاتب شاب نشر قصصه في بدء حياته الادبية ، ومهما يكن من امر هذه المسألة فانه قد فشل فشلا ذريعا في بناء قصصه الاولى كلها على الاطلاق ، فقد تحولت بين يديه الى مجرد (قضايا) فكرية محددة يعالجها بصوت مباشر يأتي من خارج العمل وما وراء ذلك فانها لا تملك اية قيمة شكلية لانها اما مقالة قصصية او قصة بيوجرافية أو ملخص رواية وهي في كل هذه الاشكال تسقط لان المواقف والانفعالات تتعدد في جو منطقي ثابت وممل يخلو من الحركة الصاعدة المستمرة، وقد تناول الكاتب بعضها تناولا رومانسيا مفتعلا ركز فيه على صور البؤس والالم والشقاء ، ليزيد من تعاسة الشخصية ممهدا للعطف والشفقة عليها .

اما في المجموعتين الاخيرتين فان بعض قصصه ـ كما قلنا ـ يسقط او يتراوح بين الجودة والرداءة ولكنها ـ الى جانب القصص الكثيرة الناضجة ـ تنبىء عن براعة فنان يعرف كيف يمزج بين الشخصية والحدث الفني وزاوية الرؤية مزجا موفقا يخرج لنا فيه فنا يمتلىء حركة وحياة ، ويعطي احساسا وشعورا مرهفا رقيقا هو « موضوعه » ومحوره الذي يدور حوله ، ولعل هذا التطور نحو الافضل هو من عمل العشرين عاما التي قضاها الايراني في محرابه عاكفا على انتاجه يهذبه ويصقله ويداب في صياغته وبنائه حتى استقام له الخلق او كاد .

ولئن خرجنا من خلال هذه الاعوام العشرين التي بدا فيها الايراني عمله وما يزال الى اليوم يقدم نتاجا تفرغ ويتفرغ له ـ بثلاث مجموعات تضم خمسا وثلاثين قصة فقد يكفينا منه انه ـ تقريبا ـ الفنان الوحيد بين كتاب بلاد الشام الرواد والمكونين للقصة القصيرة الذين اخلصوا لها ولنوع خاص منها هو قصة « الشخصية » .

ولقد استطاع الايراني ـ حقا ـ ان يخلق الكثير من الشخصيات الانسانية الحية التي نشعر ان بيئتنا تمتلىء بامثالها او بمعظمها ، تمشي على الارض بين ظهرانينا ، نعرفها ونحس بوجودها ، اعطانا عالمها الذي نعرفه ، وعالمها الرحب الفسيح الذي نتلمسه في تصرفاتها ولا نعرفه ، ولو لم يكن ـ كما قال ـ كاتبا ، لكان على احسن الفروض صانع هذه التماثيل النابضة التي تكاد تفصح وتبين ، وهذا حسبه .

القاهرة **نعيم حسن اليافي**

تذاكر يانصيب الحاج زكريا

للقاص الاندونيسي موكتار لوبس
ترجمة الدكتور محمود محمد الحبيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بدأ تفكيري بالحاج زكريا حينما كنت في الباص الذاهب الى مدينة كيرنجي اذ لم اره منذ ١٤ سنة ماضية . لقد توفي ابي حديثا في قريتنا الصغيرة في سومطرة وكان علي ان اعود الى بيتنا لاعزي امي وانهي تسوية بعض الامور التي تنجم عادة بعد وفاة اب لشخص ما. واحداها هي هذه الرحلة الى كيرنجي حيث يملك ابي مزرعة مطاط . وهناك يجب ان انزل ضيفا على الحاج زكريا .

في اول وهلة لم يكن هناك مجال للتفكير بأي شخص او اي شيء عدا هذا الباص . لم اكن مرحبا بالرحلة لعلمي ان الطريق من بادانج الى سنجائيبينه ثم نهاية الطريق في كيرنجي هي في اسوأ حالة . يجب عبور كثير من الانهار بالعوامات ، كما ان الطريق تخترق غابات كثيفة وتتسلق سفوح جبال عدة ، ولكني لم استطع رفض طلب امي بالحضور . وقد برهنت الرحلة منذ بدايتها انها كما توقعت .

لم يكن ذلك لمجرد خلل في الباص، ولو أن محور العجلة قد انكسر مرتين مما ادى الى تزحلق الباص على احدى جوانبه ثم توقفه على بعد عدة اقدام من افواه المنحدرات الفاغرة . ولكن سائق الباص ، كما يظهر ، قد تعود على اعراض كهذه وعليه فقد تهيأ بعدة احتياطية وضعها في خلف الباص . ومع هذا فان خللا كهذا قد اشاع فينا توترا لم نستطع منعه .

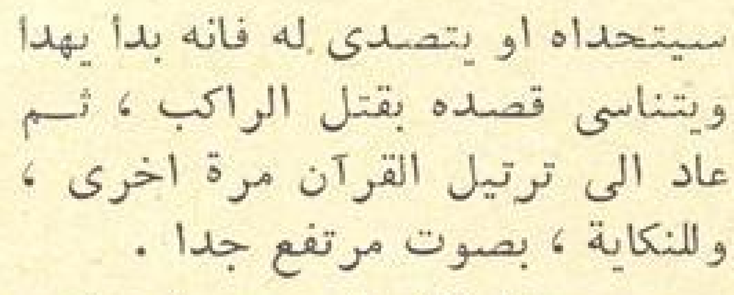
ولكن جريمة القتل التي كادت ان تحدث كانت اكثر تشتيتا للذهن . فمنذ اول الرحلة كان بين الركاب شاب عائد من مدرسة دينية في مدينة باريمان وقد راح يرتل آيات القرآن بصوت مرتفع وكأنه في مسجد . اما الراكب المريض الذي جلس بجانبه والذي ضايقه الجو الحار في الباص ثم سرعة استدارة الباص على المنحيات الجبلية التي هي كالشعرة فقد ازعجه هذا الترتيل وطلب من الشاب المتحمس ان يكف ، ولكن الشاب بدأ يرتل هذه المرة بصوت اعلى مما دعا الراكب المريض ان يفقد اعصابه ويصرخ به بصوت ناقم ان يصمت ويطبق ذلك الفم . فتصاعد صوت الشاب الديني قائلا بغضب « اللعنة على الكافر .. كيف تجرأ ان تأمرني بالتوقف عن ترتيل آيات القرآن المقدسة ؟ » قالها وقد امتدت يده الى سكين طويلة في قرابة حزامه ... وبعدها ترك سيلا من الكلمات العربية تنصب من فيه اعقبها العودة الى لهجته الاندونيسية المحلية لاعنا الراكب المريض ومتوعدا بنار جهنم وغضب الله والموت الاسود له ولاحفاد سبعة سيتلوه .. ورمقنا نحن الآخرين ولما لاحظ ان لا احد منا سيتحداه او يتصدى له فانه بدأ يهدأ ويتناسى قصده بقتل الراكب ، ثم عاد الى ترتيل القرآن مرة اخرى ، وللنكاية ، بصوت مرتفع جدا .

ومع هذا فالمسافر سيعتاد على محور العجلات المنكسر ومهاوي الوهاد الخطرة وترتيل المتطرفين الدينيين . اما ذهني فقد سرح مرة اخرى الى الحاج زكريا، والى الماضي عندما كان ابي يشغل وظيفة مفتش المحافظة في كيرنجي منذ زمن طويل . كنت آنذاك طفلا صغيرا ولكني اتذكر ان الحاج زكريا كان احن الرجال الذين عرفتهم .

لم ينس الحاج زكريا في موسم الحصاد ان يرسل لامي الرز الذي لا يزال طريا واخضر لكي تصنع لنا البسكويت الحلو . وكلما عاد من رحلة الصيد فانه يهدينا شرائح لحم الغزال المقددة دائما . وفي صباح عيد الفطر المبارك الذي يعقب شهر رمضان فاننا نحن الاطفال نرحب بهداياه السخية ، واجملها هو الالعاب النارية . فمثلا حين فتح ابي رزمة منها في احدى المرات اصابته الدهشة حين رأى ان كل اصبع من الالعاب النارية كان كبيرا كاصبع الديناميت .. وهذا مما دعانا الى اعتبار الحاج زكريا كواحد من افراد العائلة وكأحن واسخى من اي عم لنا .

كان الحاج رجلا موسرا جدا يملك عدة حقول للرز . وفي تلك الاعوام التي ارتفعت فيها اسعار القهوة فقد كانت لديه مزارع كبيرة من اشجار القهوة من النوع الروبستي والعربي ... اما ابي فكان يملك مزرعة قهوة ولكنها صغيرة . وحين تصاعدت اسعار المطاط في الاسواق العالمية فقد قرر ابي ان يقص اشجار القهوة ويزرع بدلها اشجار المطاط .. لقد نصحه الحاج زكريا بالعكس ولكن ابي كان متخوفا من ان سوق القهوة ستتدهور ، وعليه فزراعة المطاط هي الحل الاسلم . وضحك الحاج كثيرا على تفكير ابي وعده هوسا وقال بتهكم « ان الناس يشربون القهوة دائما ولكن هل سمعت بمن يأكل المطاط ؟ »

وفي مطلع كل عام يعد ابي وامي والحاج زكريا بالذهاب معا لاداء فريضة الحج في مكة ، ولكن الحاج كان هو الذاهب لوحده دائما لعدم تمكن ابي وامي من السفر لمكة . وقد فهمت مؤخرا بأن السبب هو عدم وجود المال لدينا .. وقد حاول الحاج زكريا في كل عام اقناعهما بقبول المال منه قائلا :



« يا صديقي مفتش المحافظة ، لماذا انت تقسو علي ؟ اليس مالي مالك ، وبيني بيتك ؟ ان لم تقبل مالي كهدية فاعتبره قرضا تسدده لي متى ما شئت» . ولكن ابي يتضاحك ويرفض العرض مما يدعو الحاج الى مغادرة دارنا غاضبا .. وحين يحل موسم الحج ويؤوب الحاج زكريا من ارض مكة المقدسة فانه لن ينسى ان يجلب لامي المرجان الاحمر من البحر الاحمر وفروعا صغيرة من اغصان الاشجار المقدسة في مكة والتي تستعمل كفرشاة لتنظيف الاسنان وكذلك قنان من ماء زمزم من الينابيع المقدسة .

وتذكرت ايضا كيف كان الحاج زكريا مولعا بشراء تذاكر اليانصيب اذ كان يصرف مبالغ شهرية ضخمة على ابتياع التذاكر من مدينة بادانج اذ تبلغ احيانا من اربعمئة الى خمسمئة روبية شهريا والتي ، آنذاك، تعادل ثلاثمئة دولارا تقريبا . وبقدر ما استطيع ان اتذكر فانه لم يربح شيئا . ورغم ذلك فانه لم يرم البطاقات القديمة المسحوبة بل احتفظ بهما كمجموعة للذكرى .

اتذكر مرة ان ابي وامي والاطفال ذهبنا لزيارته في احدى ليالي عيد الفطر فبدأ يحدثنا عن تذاكر اليانصيب ، حديثه المفضل . « يا اصدقائي » قال الحاج « لقد كدت اربح الجائزة الكبرى في الشهر الماضي فالرقم الرابح كان ٥٦٧٨٨٩ ورقم تذكرتي كان ٥٦٧٨٨٨ . والآن فانني اصبحت قريبا جدا من الربح . وفي الشهر القادم سأشتري تذاكر اكثر». اما ابي الذي يؤمن بان اليانصيب هو شر عظيم كالمقامرة فقد اختلف مع الحاج زكريا ، وفي كثير من الاحايين فانهما تشاجران حول الموضوع . اما هذه المرة فان نظرة قاسية اطلت من عيني ابي وقال : « يا حاج زكريا كم من المال قد اضعت على هذا اليانصيب بدون ان تربح قرشا واحدا ؟ » . وهنا غادر الحاج الغرفة ثم عاد يحمل علبة صفيح (تنكة) تراكم داخلها اطباق من التذاكر المخزونة فوق بعضها البعض .

« في هذه العلبة يوجد ما قيمته عشرة آلاف روبية من التذاكر » قالها الحاج زكريا وهو يربت على العلبة براحة يده . ثم استمر « انها لعبة الحظ فاذا ربحت فستربح ربحا عظيما ، اما اذا خسرت فما هي جدوى خمسمئة او ثمانمئة روبية يا اصدقائي ؟ »

هز ابي راسه بتحسر وقال « وما فائدة هذه الاوراق لك ؟ اني انصحك بشدة ان تتخلص منها فهي شر وستجلب الندم في المستقبل الى قلبك » . فضحك الحاج بصوت عال وقال مؤكدا ما سبق «لا.. ان الغبطة من لعب اليانصيب هي الشعور كم كنت قريبا بعض الاحيان من ربح الجائزة الكبرى ... ان رقما او رقمين هما الفرق الكبير » .

في هذه المرحلة من صور الذكريات توقفت اذ وقف الباص امام دار الحاج زكريا فقفزت الى الخارج ، وشاهدت الحاج ينتظر على قارعة الطريق وهرع يحتضنني وكأني لم ازل الولد الصغير الذي يألف ... وفي داخل الدار رحبت بي زوجته واولاده وبناته ، وكان الطعام جاهزا ايضا ... ولم ابدا الاحظ التغيير الكبير الذي اصاب الدار الا بعد ان انهينا تناول العشاء ... ان الدار تبدو شبه خالية اذ لم اشاهد السجاد السميك يغطي ارضية الغرفة ، ولم اسمع الضجيج الذي كان يعلو من الاطفال .. انه الزمن اذ قد كبروا ايضا . لقد كان لديه ستة اطفال . اما الآن فهناك بنت واحدة هي مريم التي بقيت في البيت اذ لم تزل عانسا .. لا ازال اتذكر كيف كانت تلعب معنا حين كنا اطفالا ، اما الآن فقد نمت الى بنت جميلة ... لقد ظللت ارمقها معظم الوقت .

وتحدث الحاج زكريا طويلا متذكرا الايام المنصرمة ومعيدا كم من المبهج ان يراني مرة اخرى وكيف ان ابي قد مات حزين القلب ... وبعد ان غادر ابناء وبنات الحاج المتزوجون الدار ، وحين انسحبت زوجته ومريم الى المطبخ لغسل الصحون انقلب الحاج الى جد مفاجيء وقال لي « يا ولدي ... نحن الآن .. نحن .. فقراء الآن » وللتوضيح قال « حين تدهورت سوق القهوة قبل سنين فاني سلكت طريقة ابيك وقصصت اشجار القهوة وزرعت اشجار المطاط ولكن بعد ان نمت فان سوق المطاط تدهورت ايضا . واني ، بغباوة ، قصصت اشجار المطاط وزرعت بدلها اشجار القهوة ولكن اسعار القهوة ظلت واطئة كما كانت ... اما ابوك فكان احسن حظا لانه لازم زراعة المطاط خلال تدهور سوقها . وحين صاحب الحرب الكورية تصاعد كبير في اسعار المطاط فانه جنى ربحا عظيما. ولسوء وضعي المالي فقد طلب ابوك مني الاشراف على مزرعته مما ساعد موقفي كثيرا .. اما الآن وقد هبطت اسعار المطاط مرة اخرى فلست ادري ماذا سيحدث لنا » .

وهنا اعلمته بمهمتي من هذه الزيارة . ان امي قد سألته أن يستمر بالعمل كمشرف على المزرعة ، ولكن وقد توفي ابي فانها تريده ان يعتبر المزرعة ملكه الخاص .

وبعدها غادر الحاج زكريا الى الجامع ، وجاءت مريم للحديث معي وفهمت منها انه لما هبطت اسعار القهوة فان اباها لم يأخذ الموقف بصورة جدية اذ استمر على نفس المنوال اذ ذهب الى الحج الى مكة كل عام ، وابتاع تذاكر اليانصيب كالمعتاد مما اضطره الى بيع حقول الرز كل عام ليدفع مصروفات حجه ... ولكن الضربة القاصمة جاءت بعد الاحتلال العسكري الياباني للبلاد فالحاج كان وطنيا واولاده كانوا جنودا في جيش الثورة الوطني ، وابتدأ ببيع مزارعه الواحدة بعد الاخرى لشراء سندات القرض الوطني الجمهوري . وابتياعه للسندات لم يكن بدافع الوطنية فقط ولكن لان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عاطفة

ليست الغيرة
ولكنها رعشة الامس .

عمري القيثارة
التي اغنياتها جروح وربيع
ألم تحس بنسماتها
وانت تمر ببابي
بعينيك اللتين تلمعان بالطل ؟
مسكينة روحي
نرنو .. ولا تعب
غير السراب !

لا ... لا ... ليست الغيرة
انها عذابي
ولكن من اين تهب
رياحه اللاهبة ؟

أعلم انك لست لي
وجمالك وفتنة الامسيات لغيري ...

رباه ... احس بغيرة !
لم ؟
دعني ابدع لحني من آهاتي .

حلب **هناء طيبي**

الحكومة الجمهورية قد تعهدت ايضا بدفع فائدة سنوية على هذه السندات ثم القيمة الكاملة للسعر الاصلي بعد ثلاث او اربع سنوات . ولكن اندونيسيا لما حصلت على حريتها فان الحكومة اخفقت في اطفاء قرضها . ثم جاءت الحرب الكورية وطلب ابوك من الحاج ان يشرف على مزرعة مطاطه لقاء نصف الارباح .

استطعت ان استشف من حديث مريم بان الحاج زكريا لم يزل في وضع مالي لا بأس به فان ابناءه يشتغلون ويقدمون له المساعدة، كما انه لا يزال يملك بعض حقول الرز ولذا تنتفي الحاجة لشراء الرز. ماذا ينقصه اذا؟ قالت مريم « ولكنه لا يستطيع شراء تذاكر اليانصيب او الذهاب لاداء فريضة الحج في مكة ، وهذا ما يحزنه جدا » .

وحين عاد الحاج زكريا من المسجد وجدت نفسي مدفوعا بدافع شيطاني للتساؤل عن اليانصيب فعلا وجهه الفرح وجلب لي من غرفة نومه علبة الصفيح الكبيرة التي فتحها وهو يقول « هل تتذكر كيف كنت ابتاع تذاكر اليانصيب شهريا ، وكم كنت قريبا من الربح في معظم الاحايين ؟ حاول الآن ان تقدر كم هو ثمن هذه التذاكر التي في العلبة » فقلت « ربما تساوي آلاف الروبيات » فأجاب «ليس مجرد آلاف يا ولدي . اني اعرف كم دفعت لشرائها بالضبط .. انه ٥٦ الف روبية لا اقل ولا اكثر ، وكانت روبيات ذات قيمة اصلية وليست كروبيات الوقت الحاضر » .

« ومع هذا فلم تربح شيئا ؟ »

« لم اربح » ترنح جوابه وهو يضحك ويغلق اعلى العلبة ويستعد للذهاب الى غرفة نومه . ثم قال « عم مساءا يا ولدي » .

فقلت متعجبا « ٥٦ الف روبية !! الروبيات القديمة العظيمة !! الا تدرك ان هذا يعني اكثر من مليون ونصف في هذه الايام ؟ ما الذي لا تستطيع شراءه بمثل هذا المال الكثير حتى بقيمة الروبية الحالية ؟ يا حاج زكريا ستكون غنيا جدا حاليا » .

انتفض الحاج قليلا ثم ضحك ، ولكنه توقف عن الضحك فجأة وعلت وجهه سحابة غامضة ثم رمقني بغرابة وتمتم « انت تهذر يا ولدي .. يظهر لي انك متعب من الرحلة .. عم مساءا » .

كانت غرفة النوم المعدة لي تقع بين غرفة مريم وغرفة الزوجين . واحسست ان مريم اصابها الارق فتمنيت من كل قلبي انه كان بسببي.

لم يمض على وصولي الى جاكارتا شهر واحد حتى وصلتني رسالة من مريم اعربت فيها انها منذ زيارتي لهم فقد اصبحت قلقة حول وضع ابيها فكثيرا ما سجن نفسه في داخل غرفته .. لقد لاحظوه مرة بعد تذاكر اليانصيب .. لقد اصبح صامتا وقد تمضي ساعات بل أيام وهو لا يكلم احدا ... وفي احدى الايام حين اخذ بندقيته للصيد فانه عاد فارغ اليد ورفض القول اين كان وماذا حدث رغم أن البحيرات آنذاك كانت تغص بالبط ومن المستحيل انه لم يصد احداها .. فكتبت مجاوبا مريم بعدم القلق ، وكأي شاب في مطلع الشباب قلت لها بأن الرجال الكبار لهم مشاكلهم ولكنها ستتبخر .

ولكن ... بعد اسبوع ... وصلتني برقية من مريم تعلمني فيها بأن اباها قد مات ... وفي رسالة لاحقة بالبرقية اوضحت الابنة لي بأن الحاج زكريا قد انتحر في غرفة نومه وذلك باطلاق الرصاص على رأسه ، وحين كسروا باب الغرفة شاهدوه مرتميا على وسطها وقد تناثر دمه على اوراق اليانصيب المبعثرة . اما سندات حكومة الجمهورية فقد تناثرت حوله على ارض الغرفة . واعقبت مريم « اما امي فقد اصابها المرض ولست ادري ماذا سأعمل » .

وهكذا على حين غرة اصبحت القضية مشكلتي .. ماذا سأصنع الآن ؟ لقد مرت علي ليال عدة وانا لا استطيع النوم لاني اشعر باني مذنب .. لقد قتلت الحاج زكريا بتذكيره بتذاكر اليانصيب ... انه بسبب اساه والمه قد قتل نفسه لاني ذكرته بحماقة عمله القديم .

اني احب مريم ... ولكن ... هل يستطيع قاتل اب الزواج من ابنته ؟ اي سعادة سأجني من الزواج بمريم اللهم الا اذا احسست بصورة مؤكدة من ان الحاج زكريا لم ينتحر بسبب اليانصيب ، والا اذا اعتقد بأن ما دعاه الى الانتحار قد كان تأله لان الحكومة الجمهورية قد اخفقت بعدم دفع قيمة سنداتها حين أستحق الدفع .

كاليفورنيا **محمود محمد الحبيب**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



يوسف عبد المسيح ثروة

شيطان كافكا اللعين

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

الآداب الغربية مشحونة بالشياطين والابالسة والمردة ومن الامثلة الرمزية على ذلك مفستوفيليس شيطان فاوست الذي ابدع غوته في تبيان دوره وما قام به من اعمال وبخاصة في الجزء الاول من « فاوست » الذائع الصيت هذا الجزء الذي قضى غوته معظم حياته في كتابته . اما شيطان كافكا ، الذي نحن بصدده فمختلف كل الاختلاف عن زميله مفستوفيليس لانه هوائي متقلب داكن اغبر تشده باللانهاية الف وشيجة ووشيجة ، وهو بدلا من ان يكون ماهية منعزلة منفصلة عن ماهية كافكا كما كانت الحال بالقياس الى « فاوست » نراه متقمصا في شخصية كافكا تقمصا حياتيا من يوم شعوره بوجوده الذاتي الى ان استله السل من هذه الحياة الكابوس الذي عاشه بمرارة ونكد وشقاء . وما هذا الشيطان الا الحظ الذي تلاعب بحياة كافكا كما لم يتلاعب بحياة انسان من قبل قط ؟ انه الضباب الاسود المدلهم الذي حط بادلهمامه على عاتق كافكا ، فظل يكايده مكايدة دنيئة خسيسة ، ويشاكسه مشاكسة عربيد مفلس قبيح لفتاة غاية في الجمال واللطف والرشاقة ، ولا سيما اذا عرفنا ان كافكا كان عصابيا سوداويا .

يقول فيليب زاف في « مقدمة الى كافكا » (١) : « لا مراء في ان كافكا واحد من اكثر الفنانين الادبيين عصابية ، وهذا ما يفسر الوعيد المحسوس لرمزيته التصوريةوابتعاده الشديد عن انماط الخيال الادبي المحددة المتعارف عليها . » فالعصابية ما ان تتجسد في نفس ما وتتقمص فيه حتى تتمكن من الانغمار في اعماق الذات والانحدار الى احط دركات الوجود النفسي ، فتثير في الذات الشعور بالغربة والانسلاخ والتملص من الكيان الاجتماعي والانغلاق على النفس والابتعاد عن شؤون المجتمع والتقوقع في دخيلة اللاشعور . وهذه امور تضافرت جميعا على شخصية كافكا فاشعرته بالانسحاق والحقارة والضياع والخيبة المرة والوقوع في مخالب شيطان الحظ الذي تمثل له امرا كونيا لا يصح له معاندته بله مصاولته ومنازلته . انه يشعر بالفشل والخيبة والذلة تنساب الى نفسه كلما اراد لقدميه الوقوف في وجه هذا الشيطان العربيد الشكس ، لكنه ما ان يفعل ذلك حتى ينهار باسرع من لمح البصر ، لفقدان قوته ولانقسام شخصيته وهل ادل على ذلك الانقسام من قوله « لقد تآمر السل ونفسي على من خلف ظهري (٢) » هكذا او بكل هذه البساطة والسهذاجة والطفولية يشطر نفسه عن نفسه ويجعل للتآمر تأثيرا على كيانه بحيث يتمكن هذا التآمر من تحقيق هدفه بالانقضاض عليه وابادته ابادة جسدية كاملة وفي مدة قصيرة من الزمن نسبيا .

وهذا ما يذكرنا بعقدة الاضطهاد ، او على الاصح ، جنون الاضطهاد وهو نوع من الجنون قد يكون التأثير او شديده يصيبنا ، نحن البشر جميعا ، الا من ندر منا الا انه يصيب المجدودين منا ، من الادباء والشعراء والكتاب اصابات قتالة لا تميتهم في الحال بل تواكب حياتهم من بواكيرها الى خواتمها ، فتنغص عليهم عيشهم وتقض مضاجعهم ، وتحبس عليهم انفاسهم ، وتكيل لهم العذاب الوانا واشكالا، وحالات روسو وبوشكين وغونتشاروف ليست حالات فردية انما هي حالات يمكننا ان نوسع من حلقاتها وسلاسلها بحيث نجعلها تطبق على الكثير الكثير من المع الادباء العالميين في الشرق والغرب على حد سواء . والشعور بالاضطهاد هو الاداة الفعالة التي استخدمها شيطان كافكا في السخرية منه واستذلاله وارعابه ودفعه الى الشعور باليأس القاتل والدمار الشامل وسلبه لاي رجاء في مستقبل الحياة والمدنية والحضارة . وهو في هذا الشعور يمثل احسن التمثيل دور الموظف البسيط الذي يعيش على حافة الحياة وفي مستنقع من توافهها ، انه يتململ في عفونة واسونة ، وما ان يخرج ، بشق النفس من هذا المستنقع حتى يقع بين فكي طاحونة لا شأن لها غير التحطيم والتمزيق والتكسير انه بين بيته ودائرته بين ذلك المستنقع وتلك الطاحونة .

وانسان هذا القرن وفي مثل ما كان فيه كافكا ، يجد الغثيان بديلا عن الاستمتاع والمتعة ويجد الاشمئزاز والقرف قرينا للنزهة البريئة واللهو النظيف . انه لا يعرف غير كآبوس الشيطان يتخطر ويتبختر قدامه ، يريه الطريق الضالة المضلة ، طريق الهلاك والفناء ، فينحدر اليه كافكا وهو يعرف انه طريق الموت المحقق ، ذلك بان كافكا منذ

ان شعر بوجوده ، شعر به ناقصا ، غير كامل ، لان اباه كان ذا شخصية شديده البأس قوية التأثير ، عنيفة المأخذ ، ناضطر كافكا الى ان ينكفيء الى أحضان امه خوفا وهلعا ورعبا خشية ان يستبد به هذا المستبد ، فيأخذه بالعنف والزراية والشده والصرامة . واذا كان كافكا يشعر بالاثم من غير وجود سبب للشعور بالاثم كما ذهب اليه فيليب زاف ، فهذا الامر يحملنا حمـــلا على مقارنة شخصيتـــه بشخصية دوستويفسكي الذي حمل هم الشعور بالاثـم مدى حياته من غير سبب مبرر فجعل هذا الشعور محورا لاعظم اعماله الادبية كـ « الجريمة والعقاب » وجعل مـن راسكولنيكوف كبشا للفداء للتعويض عن هـذا الشعـور العنيف الذي ساوره منذ كان في السابعة عشرة من عمره، وذلك من يوم فقدانه لوالده ، وهذا التعويض واضح كل الوضوح فيما كتبه دوستويفسكي ولا يخلو منه اي من كتبه الاربعة الشهيرة (٣) .

اما شيطان كافكا اللعين، فلم يرض بهذا التعويض، لانه ينفس عن كرب ضحيته ، انما ايغالا منه في خبثه وسفالته ، نراه يحمل ضحيته حملا على العذاب والمعاناة بنفس متقطـع اليم كما في « المسخ » و « القلعة» و «القضيـة-المحاكمة» . الانسان الضائع في كل من هذه القصص غـير الكاملـة ، انسان يعيش في ضباب مسموم ، في ليل مـدلهم داكن تتخاطفه الاشباح المرعبة ، والمردة القتلة والجن والسعالى ، ويمسك شيطان كافكا باسباب هذا الليل الطويل المرعـب المفزع ، لا يريد ان يسدل سدوله ، خفية الفجر وملائكته والشمس واشعتها النورانية والنهـــار ولهيب الحيـــاة الجديدة . وفي هذا الجو المدلهم المشحون بالرعب والخوف والرعدة ، تطير نفس كافكا شعاعا ، وتتهافت ذاته لتتمرغ في دهاليز البؤس والخيبة والشعـور بالقـرف والمقـت والانسلاخ . ان شعوره بعجزه وضعفه يحتمه عليه تهاونه في الانفلات من هذا الليل الطويل ، واحساسه بانه صيـد هين وفريسة قريبة وهو يقول في هذا الصدد « تلعـب كلاب الصيد لاهية في الفناء ، ولكن الفريسة لن تفلت من يدها رغم ذلك مهما كانت سرعة جريها بـين الغابات . » هكذا وبكل سهولة يصح الايمان بشيطان الحظ الرهيب . الكلاب تلهو والفريسة تعدو ، ولكن لا مفر من الانقضاض والامساك والتمزيق والافناء . هكذا تجري الحياة وعلـى الانسان ان يتقبل مصيره وانفه في الرغام . لا مشاكسة ولا معاندة ولا مصاولة، اذ ان الكفاح عبث لا طائل تحته .

وهذه الحتمية العنيفة لحيوانية الانسان وجبنه فـي مجابهة الحظ الغشوم ، تدمغ كافكا بمختلف مدامغ الجبن الفردي فتشعره بانه وحيد فريد لا ملجأ يفزع اليه ولا ملاذ يلوذ به ، وبخاصة اذا عرفنا انه لم يكن ليؤمن باي عقيدة من العقائد او دين من الاديان بالمعنى الدقيق مـن الكلمة ، والا لكان ذلك له خير معين وناصر يصد عنه بعض اذى شيطانه الذي يريد به الشر ، على ان يكـــون عميقا فـي تاثيره ، وخازا في نفاذه ، ممزقا في ضرباته ولكزاته .

اما استسلام كافكا لشيطانه ومطاوعته له مطاوعة الغنم للذئب المهاجم فواضح كل الوضوح في كل ما الفه ولـذا كان زاف على حق في قوله بهذا الخصوص : « قد كـان في شخصية كافكا عنصر من الخضوع الجوهري يمنعه من الشروع في اثبات اي اتجاه معروف عن الحياة او اي فكرة عنها » كما كان كافكا صادقا اصدق ما يكون الصدق حـين قال « انه لا يثبت الا نفسه ، وبرهانه الوحيد هـو ذاته ، ولذلك فان خصومه قد تغلبوا عليه في الحال ، ليس عن طريق دحضه (فهو ممن لا يمكن دحضهم) ولكن عن طريق اثبات ذواتهم . » وبهذا اليسر من القول نراه ينحدر الـى حضيض الذاتية ممعنا في انحداره ، منسلخا عن ابنـاء جلدته ، ومع ذلك فان زاف يعتقد بان « كافكا كان رجـلا ذا مزاج ديني » اي انه كان ذا نزعة دينية استسلاميـة ، اعتقد ان عليه الاصطبار على الحياة في دنيا السجن هذه من غير تبرم او تأفف ومن غير ذنب اقترفـه ، او جريمـة اجترحها ، وهذه البراءة الطاهرة الظاهرية متوزعة هنـا وهناك وبخاصة في « المحاكمة » فعندما يسأل الرسـام البطل (ك) (٤) ، وكاف هذا يمثل كافكا احسن التمثيل ، ويقول : « أأنت بريء ؟ » يجيب كاف « نعم » . ان الجواب عن هذا السؤال اعطاه شعورا بالسعادة الحقيقية ، وخاصة انه كان يجيب فردا اعتياديا من الناس ومن ثم فلا خوف عليه من العواقب . لم يسأله احد هذا السؤال الصريـح من قبل قط . ولكي يستكمل فرحته اضاف قائلا : « انا بريء كل البراءة » فقال الرسام بعد ان احنى راسه كأنـه مندغم في فكرة : « هذا ما اراه . ولكنه رجع الى التساؤل مرة اخرى قائلا : « ان كنت بريئا ، فالمسالة بسيطة جدا» أسودت عينا كاف . ان هذا الرجل الذي قال انه علـى اتصال بالمحاكم ، كان يتكلم وكأنه طفل غرير . وبعد كل ذلك اضطر الى الابتسام ، ثم هز راسه ببطء وقال « علي ان أقاتل ضد مراوغات عديدة لا حصر لها ، ومن المحتمل ان تخسر المحكمة الدعوى . لكن ، في النهاية ، ومن لا شيء ستنسج نسيجا هائلا من الاثم » والعدو هنا بارز يشـير الى عدوه باصبع الاتهام من غير ان تكون له القوة والقدرة على فعل اي شيء مع علمه المسبق بخسارة دعواه وانتصار باطل خصمه على حقه المبين ، فالخصمان ليسا على صعيد واحد ، من وجهة نظر القانون الاعتيادي نفسه ، والا لعرف المدعي عليه كيف يدافع عن نفسه بجدارة ، وهو الاريب الاديب الذي عجمت عوده كوارث الدهر ونوازل الزمـــن حتى برته ، فكيف لا يقدر على اخذ حقه من مغتصبيه ؟ ان ذلك عائد الى شيطان كافكا الذي استغـل معدنه الطيـب

---

(١) مجلة القصة عدد ١٢ سنة ١٩٦٤ ترجمة ماهر البطولي .
(٢) المصدر نفسه . (٣) هي « الجريمة والعقاب » و « الابله » « والشياطين » و « الاخوة كارامازوف » . (٤) هو بطل قصة « المحاكمة » . (٥) هي مذهب صوفي موغل في الطلاسم والرموز ، هدفها البحث عن العالم العلوي والتشبث بالملكوت الالهي .

فاغواه واهوى به الى وهدة سحيقة القرار من « الكآبة والعجز والضعف والخيلات المحمومة التي تراود السجين» وشيطان الدهر الذي اهوى به الى ما اهوى جعله عاجزا ضعيفا مريضا بالوساوس ، تتقاذفه الهموم وتتطارحه الغموم ، وهو لا يدري يمينه من يساره . وفي هذا الصدد يقول فشر في كتابه « ضرورة الفن » : « شيء مجهول هائل يغلف كل شيء . اسماء الشركات الكبيرة والمؤسسات لها تأثير الهيروغيلوفيا التي تستخدمها قوة سرية معينة . ان الفرد يواجه مكانن هائلة لا شخصية وغير مفهومة قوتها وحجمها تملأه بشعور من الضعف والوهن والعجز . من الذي يقرر ؟ من هو المسئول ؟ الى من الملاذ طلبا للعدل والعون ؟ هذه هي الاسئلة التي تتوالى من حين الى حين في كتابي كافكا العظيمين « المحاكمة » و « القلعة » ثم يستطرد فشر قائلا : « ان البروقراطية هي العنصر الجوهري في انفصام الانسان من المجتمع . ليس لدى البروقراطي صلات وعلاقات انسانية بل مجموعة من السجلات ، من الاشياء . الموتى لهم فهارسهم الخاصة ، حتى الانسان الذي يستدعى بصورة شخصية لا يستدعى بوصفه شخصا معينا بل بوصفه (دعوى) . وفي «المحاكمة» يشرح المحامي الامر الى كاف ويخبره ان العريضة الاولى للدفاع لا تقرأ في المحكمة بل هي توضع في السجل ببساطة المفروض انها ستفحص بالتالي . ومن المؤسف ان هذا ليس صحيحا في معظم الحالات ، قد تكون العريضة الاولى وضعت في غير موضعها او انها ضاعت ، واذا بقيت سالمة الى النهاية ، فهي لن تقرا في اكبر الظن ، ومع ذلك اعترف المحامي بان هذا الامر ما هو الا اشاعة . فالاجراءات لم تحفظ سرا من الجمهور حسب بل من المتهمين ايضا .. »

ومن ثم فان كاف واحد من ابطال كافكا المعذبين الذين لا يجدون دفعا للعذاب غير العذاب ، وهم لهذا يعيشون في خضم من المعاناة الحقيقية والوهمية على حد سواء ، معاناتهم الحقيقية تتمثل في المحيط الذي يعيشون بين انيابه الحادة ، هذا المحيط الذي يعلمهم الذلة منذ طفولتهم فتصبح خصيصة من خصائص جبلتهم ، فتضيع شخصياتهم في ثنايا سجلاتهم على انها اسماء ذوات مسميات تتشابه في الفحوى والمضمون تشابه السجلات بعضها لبعض ، وخير شاهد على ما نقول جوزيف كاف (ك) الذي لا ينفصل عن سجله الا ليدخل اسما جديدا في سجله ، وهو الموظف النزيه في المصرف ، الذي يعرف الارقام معرفة العالم بقضايا علمه واساليب حل مشاكله . ومع ان النزاهة هي طابع هذا الموظف البائس المسكين الا انه يظل ضعيفا وانيا ، تأخذه الرعدة لابسط اشارة ، ويبتلعه الخوف من ابسط حركة من اي كان من رجال السلطة والقانون لا لانه متهم تحوم حوله شبهة ، ولا لانه مذنب النية يريد اجتراح اثم فتتعثر خطاه وتتخالخل مشيته ، لا لهذا ولا لذاك ولا لا شيء آخر ، انه نزيه مستقيم عفيف ساذج بسيط ، لا يعرف المراوغات والمخاتلات واللعب على الحبال والانتقال من صف الى صف حسب الظروف والاحوال ، ولذا فهو خائف ، مرتعدة اوصاله ، منهوكة قواه ، مبعثرة اعصابه ، متوترة انفاسه ، لسبب بسيط كل البساطة ، يسير كل السيرة ذلك انه فريد وحيد ، انسان مهجور ملعون ، هوى به الشيطان الى اسفل سافلين بان جعله ينسلخ من مجتمعه من غير ان يجد له طريقا يسلكها في الواقع ، او سبيلا يرنو اليه في الرؤى والاحلام على الاقل .

هكذا هوى كافكا لانه لم يحاول ان يصاول ويجاهد ويصارع ، فقد انهكه الوهن قبل ان يعرف دربه الى القوة والصمود والوقوف على القدمين . انه انهار في اول صدام ، وكان هذا الانهيار بداية لانهياره التام . واذا كنا نعرف ان كافكا تابع امين لشيطانه ، وان شيطانه ليس من اتباع ابليس الثائر المتمرد بل من هؤلاء الشياطين الضعفاء الذين لا يعرفون للحياة معنى غير الخضوع والاستسلام ، فالامر العلوي امر مطاع رغم انف الجميع ، لان قانون الطبيعة سار على البشر سريانه على كل ما هب ودب في هذا الكون الفسيح . وافكار كافكا في الكون وفي الاله المسيطر على هذا الكون تشرحها موسوعة القارىء بقولها : « الافكار السائدة على ذهن كافكا كما تعبر عنها كتاباته هي: لا جدوى من محاولة الانسان لفهم سنن الله وشرائعه ، ضرورة الاستسلام والطاعة لله من غير تساؤل ، ضرورة مجاهدة الانسان من اجل اكتشاف ما يطلب منه من قبل الله ، مع العلم ان الفوز بذلك والظفر به يتوقفان على موقف الانسان لا على مدى استيعابه الذهني ومدى ادراكه . » والموسوعة في هذا على حق اكيد ، لان دلائل الاستسلام لدى كافكا اكثر من ان تحصى فهي متناثرة في كل كتاباته المعروفة من اضراب « المسخ » و « القلعة » و « المحاكمة » و « امريكا » .

لكن الاستسلام هذا لم يكن هادئا ساجيا لطيفا سهلا ، بل كانت تشوبه شوائب مرضية عنيفة ، اذ ان الرؤى المزعجة ، والاحلام المرعبة والكوابيس الفادحة الثقل والامراض المتعاورة على جسمه النحيف الناحل كانت جميعا تأخذ بخناقه وتريه نجوم الضحى نجما نجما في رابعة النهار . وهكذا كان يتمزق الاديب الاصيل ، فيعبر عن هذه الآلام تعبيرا متساوقا ، في العمق مع الشعر ، منسجما مع الاداء القصصي احسن ما يكون الانسجام ، لان كل ما كتبه كان يعبر عن نفسه بامانة المؤمن وحرافة العصابي ، وصدق الرائد ، وهوان المستسلم . واذا ما كان في هذا ما فيه من نقيض يدفع نقيضه ، فان حياة كافكا كلها كانت مجموعة من النقائض ، ولذا رأى استمراره في الحياة امرا لا يتفق مع الحياة ، وهو ، في هذا الشأن لا يمثل نفسه حسب بل يمثل (طبقة) من الموظفين الصغار الذين يعيشون على هامش الحياة . ولذا يقول فشر عنه : « ان انسلاخه ينعكس في فكرته الضئيلة عن السياسة

ترانيمي حنانيك

ترانيمي حنانيك فانك صرخة الالم
اذا وليت ادبارا فمن يحنو على سقمي
اعيديني الى عودي ، لاجثو لامسا قدمي
اعيدي اللمس للاوتار تعلو قمة الهرم
ابثك هامسا شدوي وحينا صارخا ، نغمي
اذا ما غبت عن دنياي من احكي له ندمي
دموع العين قد نضبت وطرفي قد عصى قلمي
حنانيك ترانيمي فعودي الآن وانتظمي
فاني في النوى عنك شريد راعني صممي
فمدي لي ذراعيك وكوني انت معتصمي
لالمس معقل النجم واصعد معك للقمم
حنانيك ترانيمي ، افيضي هات اي نغمي

القاهرة — سعاد منسى

والسياسيين . انه يرى ان القضية كلها قضية قذرة وهو مقتنع بذلك كل الاقتناع ... وان عليه ، في الواقع ، الاستسلام لتلك الحال لاستحالة فعل اي شيء حيالها . وهكذا يزول المواطن الفعال وتصبح العزلة والركون الى الحياة الفردية شعار الساعة واليوم الراهن » .

ومن هنا ، فشلل كافكا السياسي سبب مهم في عزلته واعتصامه بصومعته ، وتكاثف ضباب عصابيته ، وعدم فهمه لمرتبته الاجتماعية ، وعدم استطاعته فهم دوره بصفته كاتبا من الكتاب التعبيريين المعروفين ، وهو لهذه الاسباب كلها فقد مكانته في ريادة حركة الطليعة الفكرية الادبية التي كان يمثلها اناتول فرانس وباربوس وجول رومان ورومان رولان في فرنسا ودرايزر في الولايات المتحدة وتوماس مان وهنريخ مان وارنولد رفايغ في المانيا الخ.. هؤلاء الذين اقاموا الدنيا واقعدوها بكتاباتهم التي وضعت النقاط على الحروف ، في عالم السحر والطلاسم ، الذي كان المبخرون من ادباء العبث والموت والخنوع للقوى العمياء يزيدونه سحرا على سحر وطلسما على طلسم ، بلجوئهم الى كتابة المعميات والاحاجي والضبابيات .

ومن هنا ، فان كافكا يمكن ان يعد من الرمزيين الذين مهما حاولت ان تتلمس المعاني في كتاباتهم فلن تجدها ، لان غرض هؤلاء هو مواجهة القارىء بسيل عرم من الالفام الرمزية التي تتقاذف القارىء يمنة ويسرة من غير هدف بارز معين وهذا ما نراه جليا كل الجلاء وخصوصا في « المحاكمة » و « القلعة » . الا ان ذلك كله لا يعفينا من عد كافكا استاذا عظيما من اساتذة الرواية العصرية ، استند فيما كتب الى لباب الفن الروائي ، فاستخدمه استخدام فنان اصيل ، بارع الاداء ، دقيق التخريج ، واسع الافق ، عميق الدلالة ، له سطوة كبيرة على الكلمات تأتيه صاغرة متى شاء لتنتظم على حسب الخطة التي يريد . ولا شك في ان « القلعة » هي اعظم ما كتب — على ما ذهب اليه خيرة النقاد . وفن كافكا ، بلغ — في هذه القصة الفريدة — ذروة الابداع ، اذ واجه فيها بطله القانون والامر العلوي مواجهة عارية من كل قناع ، فكأنه بذلك يعرض الانسان عاريا من كل لبوس ازاء العالم والكون وهذه التعرية عمل شيطاني دبره شيطان كافكا لكي يجعل منه ضحية تواجه القانون والنظام مواجهة فاضحة عارية ، يتمثل ذلك في البطل الذي هو كافكا بالذات ، في حقيقته المسالمة المستسلمة في نفسيته الخانعة المنهزمة ، في صدامه مع والده الذي لن ينساه ما دام حيا يرزق ، في بيئته البيروقراطية التافهة ، في حياته الرتيبة الممتدة في مسار الزمن عبثا ، في كل ما ألم به من شؤون هذه الدنيا وشجونها . وكل ذلك في وصف اخاذ متكامل متماسك متجانس ، في كيان نام حي ، يندغم الشكل في المضمون اندغاما عضويا حيا .

وهذا الابداع الروائي هو الذي حمل النقاد بعد الحرب العالمية الاولى على ان يضعوا كافكا في مصف جيمس جويس وبروست . وطبيعي ان ينقسم النقاد في تقييمه احزابا وشيعا فيعده بعضهم ممثلا حقيقيا لطبقة من الكتاب البروقراطيين البائسين ، ورأيهم في ذلك يعتمد على ما ينضح به كتاباته من الم موخز دفين يعبر تعبيرا رمزيا عن الرتابة والتفاهة السطحية التي تعيشها تلك الطبقة من الكتاب . وثمة نقاد اخرون يرون فيه كاتبا صوفيا يسوقه الوجد الى معرفة المجهول من هذه الحياة وهذا الكون بما فيهما من رموز ودلالات ويستدلون على ذلك بتأثره العميق بكتابات سورين كيركغورد ، الاب الروحي للوجودية المسيحية وتعلقه « بالقبالة (٥) » اليهودية التي لها تاريخ موغل في القدم في البحث عن كل ما هو مجهول وسري في هذه الحياة خاصة وفي الكون عامة ، وبديهي ان تكون لهذه الصوفية الخاصة — في فرعيها المسيحي واليهودي — تأثير غير منكور في تكوين وجهة نظر كافكا نحو العالم ونحو الطبيعة . ومع ذلك ، فاننا لا نزال نعتقد ان شيطانا معينا تقمص جسد كافكا وحل فيه وما هذا الشيطان غير نصيبه الخاص من الحظ المقدر له متمثلا في مجتمع اعمى يثمن الاشياء اكثر من تثمينه للبشر ولا سيما الممتازين منهم ، بل انه ، في عماه وجهالته ، ليدوس هؤلاء ويسحقهم سحقا ، وكان هو واحدا من هؤلاء الذين سحقهم المجتمع بصلافة وصفاقة وتحجر لا تليق الا بالشيطان ، شيطان كافكا .

بغداد — يوسف عبد المسيح ثروة

مكتبة الاديب



ادونيس وعشتروت

ملحمة شعرية ـ فؤاد الخشن ـ ١٤٨ صفحة ـ مع عدة لوحات ـ منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

الشعر الاسطوري او الملحمي في ديوان العرب يكاد يكون مفقود الاثر هجين النسب مقطوع الصلة ، لا راعي له ولا كفيل . ولكن بعض القرائح نشطت في مطلع هذا القرن الى معالجة هذا الفراغ وسد هذه الثغرة والعمل على تعزيز شأنه ورفع مستواه .

ولعل اول محاولة في هذا السبيل قصيدة شوقي :

همت الفلك واحتواها الماء وحداها بمن تقل انرجاء

فهي ملهمة شعرية طويلة النفس واحدة البحر والقافية تسجل ابرز ملامح التاريخ المصري وما يتصل به من احداث عالية كبيرة باسلوب تضافر فيه الخيال مع الواقع وامتزجت الخرافة بالحقيقة والتقت العظة البالغة الباهرة بالفمزة الساذجة العابرة . وشوقي ـ آية هذا الزمان ـ اقدر من يجمع بين النقائض ويجترح خوارق الشعر ويربط افانين الفكر في سلك واحد ويصوغها قلائد وهاجة في نحر الخلود .

وتلتها بعد ذلك مسرحياته الشعرية في كليوبترة وقنبيز ومجنون ليلى وعنترة ، وهي في رأينا تدخل في باب الشعر الاسطوري اكثر مما تدخل في باب المسرحيات ، فكان ان انتعش هذا الوليد الجديد وبدأ يقف على قدميه ويثبت وجوده ويستلفت اليه الانظار .

وطلع شفيق معلوف بمعجزته الخالدة « عبقر » فاشتد ساعد هذا اللون من الشعر وخطا اولى خطواته الحاسمة واخذ يفرض هيبته ورجولته . وكانت هذه الملحمة ـ الى جانب قيمتها الشعرية والفنية والبيانية ـ ردا قاصفا قاصما للذين يتهمون الفكر العربي بالعقم والجمود والسطحية ويزعمون ان العربية لا تصلح اداة للتعبير عن خلجات النفس ونزعات الضمير وموحيات العقل ولا تسلس الا لشعر البادية والناقة والاطلال .

وفي خلال هذه الحقبة تعاقبت مواليد الشعر الاسطوري او الملحمي تتفاوت قوة ووهنا وتتأرجح بين الجودة والرداءة ، فكانت على اختلاف درجاتها ومستوياتها روافد مدت الشعر العربي بغذاء شهي ونفخت فيه نفحة جديدة ولفحته بدم فتي وزادت ثروته سعة وانطلاقا وشمولا .

وفؤاد الخشن واحد من الذين خاضوا المعترك بحرارة وايمان ، فقد نشر في الآونة الاخيرة ملحمة شعرية اسمها « ادونيس وعشتروت » وهي اسطورة ترمز الى صوت الطبيعة في الشتاء وانبعاثها في الربيع . وتقول الرواية ـ ونحن ننقل عن غلاف الكتاب ـ ان اللبنانيين كانوا يستقبلون هذا البعث في اعياد شعبية رائعة عرفت باسم «افراح ادونيا» فيطوفون في الدروب حاملين الازهار عقودا واكاليل ، والثمار الناضجة على الاطباق ابتهاجا بعودة ادونيس اله الخصب من ظلمة الموت الى نور الحياة ، هذا الاله الجميل الذي قدم قلبه قربانا مقدسا للارض الخيرة وخضب مياه النهر بدمائه . وكانوا يعتقدون ان ازهار النرجس المنثورة على التلال ان هي الا دموع الآلهة الفاتنة عشتروت على حبيبها ادونيس، هذه الالهة التي تفجر بصلواتها ودموعها خيرات الارض الجافة ايذانا باطلالة ادونيس وعودة الربيع .

هذه هي الاسطورة مجملة في كلمات ، فهل استطاع فؤاد الخشن ان يغوص الى اغوارها ويقبض على اسرارها ويستخرج ما فيها من مكنونات السحر والالق والجمال ، ومن ثم ان يصوغها شعرا صافيا ؟.

يقول عمر ابو ريشة : فؤاد الخشن شاعر يعرف كيف يجنح الحرف ويطلقه في دنيا الحب والجمال ليعود مثقلا بالعطر والانداء .

وهذه الشهادة من شاعر عملاق تغنينا عن الاستطراد والاستشهاد والتفصيل ولكن لا بد من نقلة عابرة في رياض الملحمة ونظرة خاطفة تجلو بعض ملامح الصورة فان فيها من ترف الفن وروعة الوصف وقوة الخيال وحرارة البيان ما يغري ويغوي ويسكر .

يبدأ الشاعر قصيدته بتمهيد رشيق انيق يرسم فيه حدود الاسطورة من مكان وزمان ثم يستطرد الى ميلاد عشتروت فيقول :

وافاق الزهر في فينيقيا ذات صباح
فاذا في الشط انوار وترجيع صداح
وفراش يفمر الموج بالوان الجناح
وغبائر ذهبي سكرت منه الاقاحي
واذا في الشط في تلك الرمال السمر طفله
حسنها حسن غريب لم تر الاعين مثله
كلما سارت على الشط بخطوات مدله
قبل الرمل خطاها قبلة في كل نقله

حدث الملاح عن مولدها الزاهي الغريب
من كرات الزبد المشرب بالنور الذهيب
خرجت لؤلؤة من صدف الشط العجيب
وتهادت تنقل الخطو على الموج اللعوب

بهذا الاسلوب المشرق اللعوب صاغ فؤاد الخشن موضوعه ونحن لم نجهد في اختيار الابيات ، فالقصيدة من بابها الى محرابها تجري على هذا النهج العالي في التعبير وهذا الطراز المترف في التصوير . وقد جعلها الشاعر على بحر واحد ولكنه تأنق في تنويع المقاطع وتلوين القوافي فاتسع لديه مجال الابداع وانبسطت امامه آفاق التحليق وحمل القارىء على جناحه الفرحي الى عالمه المسحور لا يفيق فيه من نشوة الا ليقع في نشوة ، ولا يمسح جفنيه من رؤيا حتى يغمسهما في رؤيا احب واشهى وامتع .

قيثارة فؤاد الخشن ذات اوتار متعددة ، ولكن اعذبها واطربها واوقعها في النفس وتر الشعر العاطفي ، ففي هذا الشعر يرتفع الى اعلى عليين . انه في هيكل الحب والجمال يستنزل الحانه من السماء ويصبغ اغانيه بالوان الربيع ويضمخ نجاويه بانفاس القرية . وملحمته في عشتروت وادونيس اهزوجة رفافة شفافة تحقق قول عمر : فؤاد شاعر يعرف كيف يجنح الحرف ويطلقه في دنيا الحب والجمال ليعود مثقلا بالعطر والانداء .

بوانس ايرس ـ الارجنتين — زكي قنصل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العرب في صقلية : واثرهم في نشر الثقافة الاسلامية

تاليف يوسف حسن نوفل ـ ٩٦ صفحة ـ منشورات المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة ـ مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر مطابع شركة الاعلانات الشرقية (؟)

« واذا تمثلت الحضارة كما يقولون : في حسن الخلق والذكاء ، وفي العمران المبني على الذوق ، وفي العلم الناشىء على التفكير ، وفي الثراء والبذخ ، وفي الاستعداد للدفاع عن الدولة من غير خشونة او مغالاة تقضي على جوانب الحياة الاخرى ، اذا تمثلت الحضارة في ذلك فمن الحق ان اقرر ان حضارة الاسلام في صقلية جمعت ذلك كله » .

عبارة مشعة ضمها تمهيد الكتاب رسمت امام القارىء كل ابعاد الموضوع . وهو العرب في صقلية واثرهم في نشر الثقافة الاسلامية . وقبل ان يضع كاتبنا النقط على الحروف الح في اشارة موجزة الى صقلية والصقليين ، فصقلية مدن عنيدة حصينة امام كل فتح ، وهي هضاب ومرتفعات تتوسط افريقيا واوروبا فهي ملتقى حضارات فينيقية ويونانية ورومانية وقوطية وبيزنطية وعربية . وقد اختلطت بدماء المسلمين منذ نزلها حبيب بن ابي عبيدة حفيد عقبة بن نافع الذي تلاه سقوط اغلب مدنها في ايدي المسلمين مع الاكتفاء باخذ الجزية من المدن الباقية.

وتحديدا للموضوع في اطار ملموس قسم المؤلف الموضوع الى قطاعات تمثل جوانب الفن والثقافه في صقلية والدور الذي قام به العرب المسلمون في هذا الحقل ، ففي قطاع اول تناول الادب والفن ، تناول الادب في صفحتيه : الشعر والنثر ، اشار في الاولى الى التبادل الثقافي بين صقلية وغيرها حيث ترددت اشعار صقلية فيمصر وافريقيا والاندلس وكيف كان اثر صاحب العمدة والانموذج « ابن رشيق » على النشاط الادبي ، وبين ان الشعر الصقلي حفل بملامح البيئة ولم تنضج شخصيته الا عام ٣٥٩هـ مع ان الامتداد الزمني لها يؤرخ له ٢١٢ ـ ٤٦٤هـ فنما الشعر الصقلي على اثر الفتنة التي سقط على اثرها الكلبيون وتقسيم صقلية الى دويلات ، وظهر اتجاهان : زاهد ، وجائع وظهرت اوزان شعرية جديدة انتقلت بعد ذلك الى ايطاليا . وفي صفحة النثر بين المؤلف ان « بلرم » شهدت نهضة ادبية على ايدي عناصر افريقية ، وان من كتاب الانشاء ابو عبد الله بن الطوبي ، وان اهم حدث هو وصول ابن رشيق بكتابيه السالفي الذكر الى الجزيرة .

ثم تناول الفن في ملامحه العديدة : في العمارة حين داعبت انامل المسلمين الصخر لتحيله الى قصور تضارع الاحلام ، فهناك المساجد ذات الملامح الفنية العربية ، وهناك القصور كقصري القبة والعزيزة ذاتي الفن الخالد الذي اقتبسه الاوروبيون وخاصة طريقة تخطيط الواجهات في المباني الرخامية ، ثم مآذن المساجد وابراج النواقيس التي اتخذت بعد ذلك في كنائس ايطاليا ، وفي الزخرفة والرسم والتصوير كان الفنان المسلم دقيقا ميالا للزخرفة ، لهذا بقيت الاساليب الفنية سائدة حتى بعد ذهاب المسلمين عن صقلية ، وذلك لبراعة الخط العربي وجماله الذي ادهش الاوروبيين ، وهناك زخرفة جاود الكتب والتصوير ، ووجدت التماثيل في القصور .

وفي التحف العاجية تمثلت كل الصناعات العاجية ، وظهرت روعة الحفر في المنابر ، اما من ناحية الزجاج والبلور والخزف والنسيج فقد قامت المصانع الشهيرة ، وتضمن نشاط الموسيقى ترجمة ابحاث اليونان فيها ، والمعروف ان العرب سبقوا الاوروبيين الى نوع من الهارموني يسمى التركيب فتأثر الاوروبيون بالموسيقى العربية واتضح ذلك في مثل: Lute اي عود ، Timbal اي الطبل وهم اول من دون النوتة الموسيقية.

وفي قطاع ثان تناول الجانب الثقافي والعلمي ممثلا في جمع الكتب التي توالت على صقلية واخذت تمطر المكتبات للصقلية بوفودها كاليتيمة للثعالبي، واستوردت الكتب من الخارج اولا باول وساعد انتشار الورق وشهرة صقلية به على انتساخ الكتب المشهورة في المشرق والمغربالعربي كما تمثل ذلك الجانب ايضا في الترجمة حيث استفادت الحضارة الاسلامية من السابقة وشرعت الكتب تترجم من والى العربية ...وقامت صقلية بدور كبير بوصفها ملتقى ثقافتين ورائدة في مجال التفوقوتحدث الاستاذ يوسف نوفل عن منزلة اللغة العربية وانتصارها الساحق وكيف تسابق الاوروبيون الى معرفتها بغية الوصول الى كنوزها الفكرية ، وانتقل بعد ذلك للتاليف والبحث العلمي حيث وجدت المجامع العلمية مع تساوي النظرة الى العلماء بغض النظر عن جنسياتهم او اديانهم فعمل المسلمون بنظام البعثات العلمية ونظام الرسائل ، وفي مجال البحث العلمي قسم البحث العلمي الى شعبتين : الجانب النظري والجانب العملي ، فيعرض للجانب النظري بطريقة تخصصية تشمل التفسير والقراءات حيث غصت حلقات المساجد بالعلماء ، وتمتعت الدراسة الاسلامية بنوع من العناية فشاعت قراءة نافع وظهر موطأ مالك في الحديث ودخلت « المدونة » في الفقه المالكي ودارت حولها حلقاتالنشاط العلمي وفي علوم اللغة استعان العلماء بالوارد من المشرق والمغرب ، وفي الفلسفة عرف الصقليون الكثير امثال كتب ابي حيان للتوحيدي في التصوف والفلسفة وذكر المؤلف من متصوفي صقلية عبد الرحيم العقلي وكان المثل الكبير للنشاط الجغرافي والرحلات في صقلية هو الشريف الادريسي ولذلك خص من بين الرحالة والجغرافيين بحديث فريد .

اما الجانب العلمي العملي فقد احتوى نشاط العقلية الاسلامية في تلك الفترة حتى بعد انتقال الزعامة الى النورمان ففيه : الطب حيث تقع ايدينا على كتاب ابي علي بن سينا عن عدوى السل والالتهاب الرئوي وغير ذلك من المصادر التي اعتمدت عليها جامعة « سالرنو » في مجال الدراسات الطبية ويرجع نبوغ العرب العلمي الى اعتمادهم على التجربة والترصد والى جانب الطب نجد الصيدلة والكيمياء والرياضة والفلك والهندسة ، ثم ختم الجانب العلمي بكلمات عن الجامعات والمدارس مع الاشادة بتفوق معلمي صقلية حيث ملأوا المساجد وجعلوها مدارس لتدارس العلم فقامت مقام الجامعات وزاد الاقبال على الدراسات العربية في القرن الرابع عشر الميلادي فاستمدت جامعتا اكسفورد وباريس عن العرب مؤلفاتهم عن طريق صقلية ملتقى الثقافتين القديمة والحديثة .

وفي قطاع ثالث تناول الاستاذ الباحث يوسف نوفل الجانبالاقتصادي، فالصناعة في صقلية بلغت اوجها في التقدم فاستخرج الصقليون من الجزيرة الحديد وصنعوا الحرير وآخذ عنهم الاوروبيون صناعة الفسيفساء ، كما قطعوا في ميدان الزراعة شوطا كبيرا مما جعل مؤرخا كالشريف الادريسي يؤلف كتاب « الجامع لاشتات النبات » . ودخلت انواع عديدة من المزروعات ونرى فضل المسلمين في نقل نباتات قيمة الى عالم البحر الابيض المتوسط ، ولهذا الاهتمام الزراعي كثر تردد البساتين والمتنزهات والفوارات في الشعر ، وفي التجارة اتصل المسلمون بمنافذ عديدة واجتذبوا رضا العناصر المتعاملة معهم .

وفي قطاع رابع لمس الجانب الروحي والانساني لمسا خفيفا لكنه غاية في العمق مبينا ان المذهب الانساني الذي تظهر سماته في الحضارة الاوروبية الحديثة مقتبس من العرب ، وهناك المجالس الاجتماعية المتسمة بسمة العلم ، هذا بالاضافة الى احترام الاسلام للمرأة على عكس ما نراه عند اليونان .

وفي قطاع خامس واخير ظهر لنا جانبا السياسة والادارة في صورتين : صورة الجانب السياسي ممثلة في السيادة البحريةوالكشوفات الجغرافية حيث تمت تلك السيادة في نطاق الحروب واسهم الجغرافي الشريف الادريسي بقسط وافر في الشهرة البحرية ، وصورة الجانب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاداري تتمثل في الشرطة والقضاء والقضاة والرقيق .

وفي خاتمة البحث انتقل بنا المؤلف الى صورة مركزة رسمت في ايجاز ابعاده كلها معلنة ان المسلمين لم يبخلوا بحضارتهم بل سارعوا باهدائها للانسانية كلها .

هذا هو الهيكل العام لموضوع العرب في صقلية وقفت فيه على جوانبه البارزة ، فلا علي بعد ذلك ان اقف على مميزاته ، فهو يتسم بالسمة العلمية الدقيقة التي تهتم بالوقوف على قمم الاحداث مهملة الجزئيات لهذا يعرض الباحث الموضوع في صورة مركزة جدا ، لكنها تنساب في ترابط دقيق تعانق فيه كل فكرة جارتها ، كما يسترعي الانتباه اسلوب البحث فهو الاسلوب الادبي الجذاب الذي لا تظهر عليه مسحة الاسلوب العلمي ، مسحة المعادلات والارقام ، لهذا ترى الاهتمام بالجانب الخاص بقطاع الادب والفنون الجميلة وهو شيء يتفق مع اتجاه الباحث الشاعر.

ويسترعي انتباهي الى جانب هذا صورة التفصيل بعد الاجمال التي ظهرت في عدة جوانب فبينما تضع يدك على مجموعة من اسماء الشعراء تفاجأ بتفصيل يختص فيه كاتبنا اثنين من الشعراء هما ابن الخياط وابن حميدس ، وحين يقف مشدوها امام روعة العمارة وفنها الجميل ينتقي من بين القصور اثنين هما : قصرا العزيزة والقبة .

ويبدو ان الاستاذ يوسف نوفل بدأ كتابة بحثه غير متحمس لفكرة معينة منه لذا نراه يتصف بالحيادية المحمودة التي تضفي على الموضوع سلامة وتكاملا ، وهذا راجع بلا شك الى القراءة الواسعة حول الموضوع بدليل استشهاده بآراء لفيف من العلماء والباحثين العرب وغيرهم شافعا ذلك برأيه الخاص .

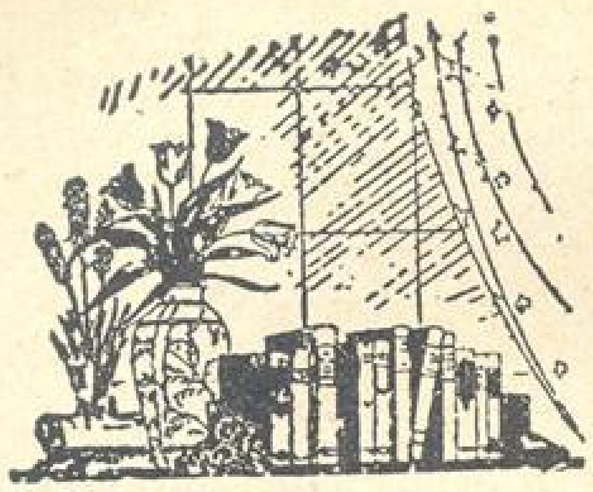
وقد اهتم البحث بالمسلمين اهتماما خاصا ووضح اثرهم في الثقافات الاخرى معتمدا في ذلك على آراء الاوروبيين واعترافاتهم ، والموضوع على قصره البالغ تسعين صفحة لو مد قليلا قليلا لاصبح رسالة ماجستير او دكتوراه ، فقد استوعب كثيرا من الوثائق والمعلومات التي تخدم الموضوع الكبير مما يدل على ان الباحث اجهد نفسه في جمع المادة الخاصة بموضوعه .

وبعد ... فلقد دفعني اعجابي بهذا العمل الطيب ان اردف مميزاته بابداء ملاحظاتي عليه واولاها تتصل بالمنهج ، فموضوع البحث العرب في صقلية واثرهم في نشر الثقافة الاسلامية ، وفي ظني ان البحث ذو شقين .. العرب وتاريخهم وحياتهم في صقلية الاجتماعية والسياسية والثاني اثرهم في نشر الثقافة الاسلامية ، الاول يتناول الحكم وامتداده الزمني والحكام على اختلاف جنسياتهم ومعاملاتهم للاهالي والمساجلات التي دارت بين العرب والنورمان ، والثاني يتناول الثقافات المختلفة ففي الوقت الذي يعرض فيه الاستاذ يوسف نوفل الشق الاول في ثلاث صفحات يتناول الثاني في الباقي ، ثم انه اورد قطاعا خامسا في آخر الكتاب هو الجانب السياسي والاداري ، واعتقد انه يتصل بالشق الاول اتم اتصال فهو موضوع في غير محله وكنت اود ان يضعه تحت العنوان «صقلية والصقليون» فهو متصل بالجانب التاريخي الذي بدأ به البحث.

وثانيها هي انه تعرض في ص ١٣ لذكر جانبين من الاتجاه الادبي هما : الاتجاه الزاهد ، والاتجاه الجانح واحتواء صقلية لهما الا انه لم يقف بنا على صورة لكل منهما . وثالثهما هي انه في الجانب النظري اثناء الحديث عن الجانب العلمي ذكر في الفقرة (ج) الفقه والكلام ثم انصب حديثه على الفقه وحده وترك الحديث عن الكلام ولا ادري لماذا ؟ هل هما عنده سواء ...؟

وفيما عدا هذه الملاحظات التي لا تضير الموضوع بدرجة كبيرة يصبح الكتاب سالما وغاية في القوة والاكتمال وجديرا بالحصول على الجائزة الاولى حقا كما بتعود صاحبه .

القاهرة — حسن محسن



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ظهر حديثاً



عبد العزيز آل سعود : سيرة بطل ومولد مملكة

تاليف بنوا ميشان ـ ترجمة وتقديم عبد الفتاح ياسين ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) ـ

ليس من العدالة ان نحمل المترجم وزر ما يأتيه المؤلف ، لذلك آثرنا عرض وتقديم كتاب «عبد العزيز آل سعود» لمؤلفه الفرنسي ـبنواميشانـ على دراسته وتحليله .

يقع الكتاب في ٣١٨ صفحة ، موزعة على خمسة اجزاء ـ هكذا شاء مخرج الكتاب ان يسمي ابوابه او فصوله اجزاء خلافا للتسمية الشائعة ـ وقد خص الجزء الاول بموجز جغرافي عن شبه الجزيرة العربية ، تبعه موجز تاريخي عن فترة ما قبل الميلاد حتى فجر الدعوة الاسلامية ، ثم قفز الى وصول الصليبيين ثم الاتراك وحملة الانكشارية . واخيرا الى ثورة محمد بن عبد الوهاب وسعود الكبير ، ونابليون والشرق ثم انهيار الامبراطورية السعودية وعودة الجمود . ثم انتقل في الجزئين التاليين الى موضوع الكتاب الرئيسي وهو عبد العزيز آل سعود فتحدث عن مولده وشبابه وما لقيه في هذه الفترة من حياته من ضياع ملك ، واضمحلال زعامة الى هجرة وتشرد ، ثم تحدث الكتاب عن بزوغ فكرة الرجعة والعودة الى سالف المجد عند الامير الشاب وهمته لاستعادة ما ضاع ، وانتصاراته المتوالية ، وسحقه للثورات التي تضافرت على قيامها عوامل شتى من عنعنات قبلية الى مؤامرات تركية واطماع استعمارية . ثم يتحدث عن أفول نجم الحسين ، وتبوء آبن سعود عرش نجد والحجاز.

ثم يمضي في الجزئين التاليين الى الحديث عن كفاح هذا المليك ضد عوامل الطبيعة القاهرة ، وضد شعب متخلف ليخلق منهما دولة منظمة لها دستورها المستند الى روح القرآن ونصه ، وليجر الشعب جرا في طريق النهضة الصحيحة ، والتقدم المأمول . والجزء الخامس يفرده المؤلف للحديث عن ـ البترول ـ وخطورة الدور الذي لعبه في حياة هذه المملكة الفتية .

والكتاب مزود بخمس مصورات جغرافية الاولى تحدد الهجرات البشرية عبر شبه الجزيرة العربية والمصوران التاليان يحددان جغرافية الجزيرة قبل سنتي ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ، ثم يتبعهما مصوران عن مناطق البترول وخطوط انابيبه في البلاد العربيه وعن آباره وخط انابيبه في الاحساء والبحرين .

وبعد ، فقد نقل هذا الكتاب الى العربية باسلوب عربي خال من الرطانة الاعجمية التي نعثر عليها في كثير من الكتب المترجمة ، وفي جمله نفحات ادبية موفقة ، ونحن لا نطلب من المترجم اكثر من ذلك فيما يتعلق بمهمة النقل ، اما الذي نأخذه عليه هو سهوه عن التعليق في كثير من المواضيع التي يجب التعليق فيها ، كأن يشير مثلا في حاشية الصفحة الحادية والثلاثين الى ان دعوة محمد بن عبد الوهاب لم تكن دعوة بسيطة ولم تكن بمثابة ثورة وانما كانت دعوة وثورة مستندة الى ضرورة اصلاحية جذرية يحتاج اليها العالم الاسلامي حينذاك اذ كان غارقا في ضلالة البدع ، وخطى التفسيرات ، وجهالة الاجتهادات .

واخيرا فالكتاب قيم يحكي قصة شعب وتاريخ ارض من خلال سيرة رجل فذ كان له فضل توحيد كلمته وتثبيت قدمه على تلك الارض الطاهرة. وليس ادل على قيمة هذا الكتاب من تحمل الاستاذ عبد الفتاح ياسين مهمة اطلاع الرأي العام العربي على محتواه . وهو الذي عرف عنه ما عرف من حنكة سياسية ودهاء ديبلوماسي .

سلافة العامري

- العرب في صقلية : واثرهم في نشر الثقافة الاسلامية ـ تأليف يوسف حسن نوفل ـ ٩٦ صفحة ـ العدد ٤٧ من سلسلة كتب اسلامية اشراف محمد توفيق عويضة ـ منشورات المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة ـ مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر مطابع شركة الاعلانات الشرقية (؟)
- التداوي المحلي في دير الزور ـ تأليف المحامي عبد القادر عياش ـ تقديم نظير زيتون ـ ٥٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مجلة صوت الفرات ـ مطبعة الفرات بدير الزور بسورية .
- رؤى ـ مجموعة شعرية ـ فؤاد العادل ـ ١٦٠ صفحة ـ طبع في بيروت (لم يذكر اسم المطبعة) .
- الجاحظ والحاضرة العباسية ـ تأليف الدكتورة وديعة طه النجم ـ تقديم الدكتور جميل سعيد ـ ٢٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت جامعة بغداد على نشره ـ مطبعة الارشاد ببغداد .
- في ذكرى فيكتور خوري ـ اصدرته الرابطة الادبية الشمالية ـ الرسوم بريشة يوسف النعيمي ـ ١٥٤ صفحة ـ منشورات جريدة الافكار اللبنانية ـ مطبعة الحضارة (؟)
- القرية المجنونة ـ مسرحية في فصلين ـ تاليف جرجي نقولا ـ ١٢٠ صفحة ـ منشورات المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر (؟) ـ مطابع دار الفد ببيروت .
- هؤلاء خرجوا من القطيع ـ رواية ـ تاليف خضر نبوه ـ ٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع الوفاء ببيروت .
- من الشاطىء ـ مجموعة قصص قصيرة ـ تصدير محمد حمدي عاشور محافظ الاسكندرية ـ تقديم الدكتور محمد ثابت الفندي عميد كلية الاداب باسكندرية ـ وكلمة لفوزي عبد القادر الميلادي ـ اشترك في هذه المجموعة الادباء : جلال مكاوي ، حسن فتحي خليل ، حسين رشدي احمد ، رفعت مكاوي ، شريف اباظة ، صديق شيبوب ، عمر الراكشي ، فتحي الابياري ، فوزي عبد القادر الميلادي ، محمد عادل مخلوف ، نقولا يوسف ، والدكتور يوسف عز الدين عيسى ـ الغلاف بريشة سيف وانلي ـ ٢٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الهيئة المحلية لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية بالاسكندرية ـ ملتزم الطبع والنشر الوكالة العربية للدعاية والنشر بالاسكندرية .
- ابن بيلا .. الاسطورة ـ القصة الكاملة لثورة الجزائر ـ تاليف غالب عبد الرزاق ـ ٨٢ صفحة ـ دار منشورات البصري ببغداد ـ مطبعة دار البصري ببغداد .
- في مفهوم الزعامة السياسية : من فيصل الاول الى جمال عبد الناصر ـ تاليف الدكتور انيس صايغ ـ ٢٠٠ صفحة ـ منشورات جريدة المحرر والمكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- الخيل والنساء ـ مجموعة قصص ـ تأليف الدكتور عبد السلام العجيلي ـ ١٤٤ صفحة ـ منشورات دار الاداب ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الباحثان الكنديان بانتينج وبوست الانسولين، وصارا يستخرجانه من غدة البانكرياس لدى الحيوانات ، فامكن بذلك انقاذ حياة المصابين بمرض السكر منذ ذلك الوقت .

وقد اصبح كل مريض بمرض السكر اليوم، يحمل معه حقنة الانسولين تقريبا ولا يصل الى مرحلة خطرة ، كما كان الامر في الماضي . واصبح من المستوجب على المصابين بمرض السكر اتباع حمية خاصة يعينها لهم الطبيب بعد الوقوف على كمية الانسولين التي يقوم جسمهم بافرازها ويوجه الحمية طبقها . فيمنعهم مثلا عن تناول المواد النشوية او الاكتفاء بكميات محدودة منها ، حيث يستطيع الانسولين الموجود في جسمهم القيام بتخزينها في الكبد ومنع تكاثر نسبة السكر في الدم. واذا ما اتبع مريض السكر الحمية التي وصفها له الطبيب واستخدم حقن الانسولين بانتظام ، اصبح لا يعتبر مريضا بالمعنى الصحيح . وقد صار يعيش مرضى السكر ويعمرون كباقي الاصحاء الاخرين .

ويصدف في بعض المرات ان يرتفع افراز الانسولين في الجسم لدى بعض مرضى السكر، فيختلف المفعول وتعتري المصابين في هذه الحالة عوارض خاصة ، فيشحب لونهم ، ويعتبرهم الصداع وارتجاف الاطراف ويشعرون بالضعف المستديم ، ويمكن القضاء على هذه الحالة بسرعة اذا ما تناولوا قرصا من سكر الجلوكوز . ولم يعد ينظر الى مرضى السكر كاشخاص من اهل العاهات التي تمنعهم عاهاتهم عن مباشرة اعمالهم ، بل لقد صار بامكانهم بفضل تقدم معالجة السكر ، ممارسة اغلب الاعمال . واوفق الاعمال لمرضى السكر هي الاعمال الجسيمة التي تستدعي الحركة وصرف القوى يساعدان على احراق السكر الفائض في الجسم . وقد كان هذا المرض يؤدي بحياة ٦٥ في المائة من المصابين به في الازمان الماضية ، كما انه كان يسبب لهم امراضا ثانوية اخرى ، لها خطورتها على الجسم ايضا مثل امراض الكليتين ، وانسداد الشرايين (كمرض السداد القلبي) واضطراب البصر الذي كثيرا ما كان ينتهي بالعمى . ولا بد للشخص من الذهاب الى الطبيب في الحال اذا ما اشتبه بوجود السكر لديه ، لكي يعمل على مداواته في وقت مبكر ولا يستفحل امره وتصبح مداواته عصيبة ، بل مستحيلة فيما بعد . ومن عوارضه الاولية الشعور بالعطش الشديد وكثرة ادرار البول بعد شرب الماء الكثير ، والشعور دوما بالجوع ثم بالحكة وظهور استعداد للاصابة بالامراض الجلدية ، والتهاب الاعصاب ، والتهاب الاغشية المخاطية (مثل كثرة الرشوحات الشعبية) وخور القوى والوهن المتزايدين .

في كلمات ...

● اصدر اطباء بريطانيون تحذيرات جديدة من استعمال حبوب منع الحمل . وذكر اخصائي من مانشستر انه اكتشف ازدياد الكميات من مادة تدعى العامل السابع في دم ٤٠ امرأة يتعاطين حبوب منع الحمل . وهذه المادة تجعل النساء اكثر عرضة للاصابة بتخثر الدم . وقال طبيب ايضا ان احدى مريضاته وهي امرأة في التاسعة والعشرين من العمر تتعاطى حبوب منع الحمل اصيبت بتخثر في دم احدى ساقيها واحدى ذراعيها على الرغم من انه لم يكن في ماضيها الطبي ما يشير الى احتمال اصابتها بجلطة دموية .

● اعلن العلماء في جامعة ماريلاند انهم توصلوا الى طريقة جديدة لعلاج مرض تليف الغدد الذي يصيب الاطفال . واكثر الغدد التي يصيبها التليف هي غدد الجهاز الهضمي والجهاز التنفسي . ويقول العلماء ان الغدد في هذه الحالة تفرز مادة مخاطية غزيرة وسميكة فينتج الانسداد ثم ضمور الغدد وعدم الافراز . وبعد التجارب والمحاولات العديدة اثبت العلماء أن استخدام الهرمونات اصبح العلاج السريع في مثل هذه الحالات . وقد استخدم هؤلاء العلماء جرعات كبيرة من الهورمونات الجنسية كدواء لعلاج ٦ اطفال . وكانت نتيجة العلاج الجديد زيادة في وزن الاطفال وزيادة في عملية البناء في الجسم . ويصيب هذا المرض عادة الاطفال بين سن ١٢ و ١٥ سنة . وما زالت اسبابه غير معروفة حتى الآن . وتوجد حالات مرضية اخرى مماثلة اصلها وراثي وتصيب الغدد وتحدث سوء تغذية حاد واصابات في الرئة . وكانت آخر هذه المحاولات قبل نشر العقار الجديد في المجلات العلمية ، استخدامه لعلاج طفلة مصابة بتليف في غدد الجهاز الهضمي . والنتيجة زيادة في وزن الطفلة الى الضعف تقريبا . كما اصبحت قادرة على السير بدون مساعدة .

● جاء في تقرير سوفييتي ان الخبراء الروس تمكنوا من انتاج تبغ غير ضار ، وذلك بتطعيم اشجار التبغ باشجار البندورة ! وجاء في التقرير ان النيكوتين لم يعد له اثر في التبغ.

● قدم الدكتور فوجل ، من مصلحة الصحة الاميركية تقريرا الى اعضاء الجمعية الاميركية للبيولوجيا التجريبية يفتح كوى من الامل في ان يتوصل الطب الى طريقة ميسورة سهلة بها يكشف عن السرطان وهو في بداية تسلله الى الجسم ، وبذلك يضمن للعلماء السيطرة عليه وخنقه قبل ان يعيث في مريضه فسادا .. والطريقة المقترحة تقوم على فحص دموي . ان الفكرة في الاصل للدكتور سكوت من جامعة كاليفورنيا الذي تبين ، منذ عامين ، ان الحجيرات الدموية المخزوعة من حيوان حامل لسرطان تجريبي تمتص الروبيديوم ، وهو معدن نادر ، والبوتاسيوم وهو معدن مبذول ، تمتصها باسرع مما تفعل خلايا حيوان لا شبهة سرطانية فيه . واما تجربة الدكتور فوجل فتقوم على تمييز حجيرات دموية بشوارد (ايزوتوبات) اشعاعية من هاتين المادتين . وبحسب الوقت الذي تستغرقه هذه الشوارد للعلوق بالحجيرات واين تتمركز . حتى الآن تبين ان العلوق اسرع واكثف في دم المرضى المصابين بسرطان الرئة مثلا او غيره من الاشكال الخطيرة . ويظل على هذا العالم ان يحدد ، على وجه الدقة ، ما اذا كان التفاعل على قدر كاف من الحساسية ، في حيث يكشف عن السرطان حتى قبل التظاهرات السريرية الاولى .

● بدات في احد مستشفيات موسكو ، التجربة الاخيرة لوسيلة جديدة في علاج امراض الجلد التقيحية . ان مكتشف الوسيلة هو الطبيب الكسندر سافرونوف الذي اقترح، منذ وقت طويل ، ازالة الاجزاء المتقيحة عن طريق الفراغ . وبواسطة انابيب خاصة ، وبدون الاستعانة بمبضع الطبيب ، يجري امتصاص الصديد ، والدمل ، والالتهاب الموضعي الحاد ، واجزاء البشرة التالفة ، بسرعة . وبنجاح شديد يجري علاج القرحة المعدية التي تتلف قشرتها نتيجة للاضطرابات العصبية ، بالوسيلة الجديدة . وتجري العملية في ظروف التبنيج التام . واذا كان العلاج في السابق يحتاج الى اشهر ، بل وسنوات احيانا ، فانه يتم الآن بسرعة هائلة .

● دخلت الادمغة الاليكترونية مجال العمل في المتاجر واخذت تقوم بقسم كبير من الاعمال الكتابية . وهناك احد هذه الاجهزة مستعمل في متجر كبير لبيع الادوات المنزلية بالمفرق في الولايات المتحدة حيث يوجد لا اقل من ٣ او ٤ الاف صنف من البضائع . فعندما يبتاع الزبون غرضا ما يقوم الموظف المولج بالبيع بوضع البطاقات الخاصة بتلك السلعة في الدماغ الاليكتروني الذي يقوم بدوره وخلال اقل من ٥ ثوان ، بتحضير قائمة الحساب للزبون وفيشة طلب البضاعة من المستودع وفيشة الى فرع المشتريات في المستودع .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جولة المؤدب في شهر



معضلة السير في لبنان

مئة وعشرون الف سيارة تجتاز يوميا الوسط التجاري في بيروت . ثلاثون الفا منها تعبر ساحة الشهداء في طريقها من مكان الى آخر في العاصمة . واذا نحن استندنا بالمقابلة الى الاحصاءات الحديثة التي تجري في العواصم العالمية حول تزايد عدد السيارات لاتضح لنا ان هذا العدد سيصبح بالنسبة الى بيروت خمسة اضعاف ما هو الآن في اواخر هذا القرن . اي ان عدد السيارات التي تتدفق على المنطقة التجارية من العاصمة سوف يغدو ، عام ٢٠٠٠ ، ستمائة الف سيارة بيد ان طاقة الشوارع الحالية هي من حيث مساحتها ، اعجز من ان تستوعب السيارات الموجودة اليوم ، فكيف بها بعد عشرين عاما ، واي حالة ستكون حالة السير ؟

ثمة اسباب عديدة تزيد في تعقد الوضع الراهن ، بالاضافة الى عدد السيارات وضيق الشوارع . اهمها استخدام الشوارع كمواقف عمومية فضلا عن استعمال بعضها كمواقف لسيارات السرفيس . فاذا ضاق المقام ولم يجد السرفيس مكانا يقف فيه ، راح يدور في انتظار مكان شاغر ، مما يزيد في حركة السير العامة ويضاعف عرقلتها . ومن الاسباب ايضا عدم وجود روح الانضباط والمسؤولية لدى معظم السائقين . ولعل اضطرار سيارات النقل ، كالتكسي والسرفيس ، الى التفتيش عن الزبائن ، ثم التوقف لاصعادهم وانزالهم ، ثم الاسراع في السير او التلكؤ والمزاحمة او المخالفة كل هذه تصرفات من شانها ان تزيد في الفوضى ، اضف الى ذلك ضيق الشوارع وخلوها من المواقف وساحات التوقف ، وكثرة مواقف الاوتوبيسات وقلة اشارات ضبط السير ، كالخطوط المرسومة واشارات الاتجاه . اخيرا يزيد في هذه البلبلة عدم تقيد المشاة بالممرات واجتياز الشارع حيثما يخطر لهم .

ان جميع هذه العوامل تزيد من الازدحام في شرايين السير الرئيسية وهو ازدحام يحدث حينما تتجمع السيارات في اوتوستراد الدورة ، وفي شارع الشام ، ثم تندفع في الانجاهين الضيقين بشارع الارز ، وساحة الشهداء ، وهنا يحدث الازدحام وعرقلة السير ، ويتحرك القطيع الالي الذي سجن نفسه بنفسه تحركا بطيئا ، مضطربا ويتفاقم الوضع مرتين او ثلاث مرات في النهار ، عند ساعة الذهاب الى المكاتب ، والخروج من المدارس وعند مداخل السينمات ، وفي ساعات الشراء من الاسواق.

هذه الصورة عن السير قد لا تعطي الا فكرة مبسطة عما هو واقع الحال . على ان المعضلة ليست خاصة ببيروت . فهي معضلة عالمية يصطدم بها جميع خبراء السير وتنظيم المدن على مستويات متفاوتة حسب اهمية المدينة ونسبة السيارات فيها . وخاصة في اميركا واوروبا . واذا كانت المعضلة بهذا الحجم ، وتهدد في المستقبل سير الاعمال في المراكز التجارية الناشطة ، فانه لا بد من معالجتها بالنظر الى المستقبل البعيد منذ اللحظة التي نحن فيها بحيث نستبق الكارثة فلا ننتظر حلولها كي نجابهها .

على ان الحلول التي يمكن اللجوء اليها ، مهما كان نوعها ، تستدعي التضامن والتكافل من قبل ثلاثة اطراف هي الدولة الشرطي والمواطن . فالتجاوب المخلص بين هؤلاء ثم التعاضد والتقيد بالقوانين كما ان الامتثال للضرورات التي املتها كلها واجبات تقع على عاتق المواطن كما على الدولة وعلى ممثل الدولة ، الشرطي .

هذه الحلول منها ما هو قريب التحقق ومنها ما هو بعيد المدى ، فالحلول القريبة تستهدف تسهيل حركة السير ضمن التخطيط الموجود ، أي دون اللجوء الى التعديل في الشوارع او في المسارب كما هي او في المواقف السردبية وهي حلول بسيطةلا تستدعي اكثر من تقيد السائقين والمشاة بالنظام .

ومهما تكن معضلة السير حادة ، ومشتبكة، فان حلها ممكن . ان الحلول متعددة ، ومتنوعة ، تقتضي تجنيد الامكانات القضائية ، والاقتصادية ، والمالية ، والمدنية انها عملية بعيدة المدى تنضم فيها لهدف واحد جهود الدولة ، وشرطي السير ، والمواطن .

وقد كلف وزير الداخلية مؤخرا مهندسي سير اختصاصيين هما السيد حسان عياد والسيد اديب كنفاني بتقديم دراسة لتحسين اوضاع السير في المنطقة التجارية من بيروت لا تتناول تعديل اي من الاوضاع الاساسية الدافعة كشق طرقات جديدة او انشاء مرائب او نقل مواقف هامة ... الخ . وقد استندت الدراسة التي اقدمت على تغيير بعض اتجاهات السير وتحويل بعض السير عن المنطقة التجارية للطرقات التي تحيط بها .

وقد كانت نتائج التجربة تحسنا في الاجزاء الغربية والجنوبية من المنطقة (ساحة رياض الصلح وشوارع ويغان وفوش واللنبي) وعطلا نسبيا على مدخلي ساحة الشهداء الشرقي والجنوبي (شارع الارز طريق الشام) . ومع أن الدراسة قد تناولت تجنيب السيارات هذه الساحة بالذات الا ان الضغط لم يخف عنها لعدم تجاوب السائقين تجاوبا كافيا في اتباع الطرقات التي تحيط بالمنطقة لاسباب منها ما هو خاص ومنها ما يتعلق بوضعية هذه الطرقات .

وقد استخلصت السلطات المسؤولة الدروس الاولى من التنظيم الجديد للسير ضمن الوسط التجاري في بيروت . وكان هذا التنظيم الذي يتم على مراحل قائما اولا على اعادة النظر في الاتجاه ، ثم على تحويل وجهة السير لتخفيف ما يحدث من عرقلة .

واذا ما كانت هذه العملية قد اسفرت عن تحسين ملموس ، فانها لم تنجح حتى الآن في تسهيل السير في الازق التي تقع على الاخص عند نهاية شارع الارز ، وساحة الدباس .

وسبب ذلك واضح وبسيط يعود الى عدم تقدير السائقين ، فمن ١٢٠ الف سيارة تجتاز الوسط التجاري في بيروت ، تعبر ثلاثون الف سيارة ساحة الشهداء ، وهي متجهة الى مناطق مقابلة في اطراف العاصمة .

ويعود سبب ذلك ايضا ، الى عدم التقيد بالنظام . وقد دلت الاحصاءات الحديثة على ان ثلاثين مخالفة لقوانين السير ترتكب كل دقيقة من جانب السائقين ، و ١٨٠ مخالفة من جانب المشاة الذين يتجولون في ساحة الشهداء وحدها .

واذا نحن القينا نظرة على العواقب المرتبة على عرقلة السير اتضح لنا انها جسيمة الى حد قد يصعب على السائق العادي تصوره . ومن اجل تكوين فكرة عن الاضرار التي تنجم عن عرقلة السير ، نعتبر ان كل سيارة تجتاز المنطقة الحساسة من بيروت تقل ثلاثة اشخاص كمعدل وسط ، بما في ذلك سيارات الاوتوبيس ـ فاذا احتقن السير خلال عشر دقائق فقط ، تكون الخسارة في الوقت التي تلحق بمائتي الف شخص يجتازون الوسط التجاري ما يعادل مائتي الف ليرة يوميا ، او ستين مليون ليرة في السنة . يضاف الى ذلك ثمن المحروقات ويقدر بخمسة قروش لكل سيارة خلال عشر دقائق ، مما يجعل خسارة الاستهلاك ـ ٥٠٠٠ ـ ل.ل. بالمحروقات ـ ٢٥٠٠٠ ـ ل.ل. في اليوم اي ٦٠ مليون ليرة في العام . ويقدر الخبراء ان عدد السيارات المسجلة في لبنان يكفي لتغطية طريق بيروت دمشق ثلاثين مرة .

هذه الارقام تحمل على التفكير والتروي ، لا سيما وان ضبط نظامية السير وتسهيل حركة المرور بسرعة توفر على السائق الوقت والمال

والارهاق سهلة ولا تكلف المرء جهدا فوق طاقته . يكفي قليل من التبصر. اشارة سهم واحيانا ضبط النفس لحل المعضلة . ثم ان التمتع بالرفاهية التي توفرها السيارة لصاحبها يقتضي منه بعض التضحية ، والتنازل عن شيء من الانانية .

ان تقيد السائقين والمشاة بالنظام واعتبار الشرطي رجلا مهمته مساعدة السائق لا التحامل عليه ، والسهر على سلامة المشاة يكفي لتسهيل السير بانتظام الحلول الجذرية ، الطويلة الامد التي سوف تحقق . هذه الحلول كثيرة متنوعة ، منها شق الشوارع العريضة ومنها توسيع الشوارع الراهنة ، وكذلك فتح مرائب خاصة بكل بناية (وقد نص عليها القانون)، ومرائب مواقف ، الى تخطيط مناطق خضراء واخيرا اللجوء الى وسائل زجرية كسحب اجازة السير من المخالف الذي لا يرتدع .

بيد انه يجدر اللفت الى كون هذه الاجراءات تظل دون مفعول اذا لم يصحبها وعي فردي للمصلحة العامة واعتزام حر على التقيد بالعقد الجماعي الذي يلزم كل انسان يعيش وسط جماعة .

وان التغلب على وضع السير الراهن لا يتطلب مع ذلك جهودا هائلة. ان شارة السير ذات السهم موجودة ، وقانون السير موجود واضح . وقد بلغ السائق البيروتي المرحلة التي توجب عليه لكي يتمتع بمزايا الحياة العصرية ان ينصاع بعض الشيء الى النظام .
ومن ذلك اتباع الشارات ذات السهم ، واحترام الشارة الضوئية ، وتعليمات شرطي السير ، واتخاذ احتياطات قبل السير في منعطف ، وقبل الوقوف ، وفور الانطلاق .

وعلى المشاة من ناحية ثانية ان يدركوا انهم ليسوا وحيدين في الشارع وان قوانين الحياة العصرية التي وضعت لمصلحة الجميع عليهم ان يجتازوا الشارع عندما يضيء لهم النور الاخضر ، وان يمروا ضمن المسامير ، وان يعتبروا شرطي السير دليلا ومساعدا لا عدوا .

●

الفقيد الاديب الشاعر اورخان ميسر

ولد اورخان ميسّر ، في مدينة استنبول ، في اليوم السادس من شهر ايار عام ١٩١٢ . وتلقى دروسه الابتدائية والثانوية في الجامعة الوطنية في عاليه ـ لبنان ، ثم دخل الجامعة الاميركية ببيروت ، حيث احرز الشهادة الجامعية في العلوم .

وقد تجلت فيه الموهبة الادبية منذ حداثته ، فكتب في الادب ، وقال الشعر ، وهو في الرابعة عشرة . ثم دأب على دراسة الطب مدة من الزمن ، ولكنه تحول الى دراسة العلوم والتحليل النفسي ، وله في هذه المجالات ، كثير من المقالات المفيدة .

وكان الراحل العزيز ، اول من تناول الفن والادب السريالي في البلاد العربية . وفي عام ١٩٤٧ ، ألّف مع الدكتور علي الناصر ، كتابا عنوانه « سريال » . والى الدكتور الناصر واليه يرجع الفضل في توجيه اخيه السيد عدنان ميسر ، نحو الفن السريالي ، وقد اصبح هؤلاء الثلاثة روادا للاتجاه السريالي في سورية ، وكان في نيتهم اصدار كتاب ضخم يحتوي على الرسم والشعر والنقد السريالي ، وترجمته الى اللغتين الانكليزية والفرنسية . وقد علمنا ان السيد عدنان سيعمل على انجاز هذا المشروع الادبي .

والمعروف ، ان الاستاذ اورخان ، كان يتقن اللغات : العربية والانكليزية والفرنسية والتركية ، على المستوى الادبي والعلمي معا. وقد بذل امواله في خدمة الادب والعلم والفن ، وجعل بيته ندوة دائمة للادباء والمتفننين، وتتلمذ على يده كثير من حملة الاقلام المعروفين والناشئين .

ولم يقف نشاطه عند هذا الحد ، بل ساهم مساهمة فعالة في خدمة الوطن ومكافحة الاستعمار ، وكان اول من فتح بيته للضباط السوريين الذين غادروا الثكنات الفرنسية ، وانضموا الى الحركة الاستقلالية الحرة في عام ١٩٤٥ .

وليس هذا فحسب ، فقد كان متحمسا للدفاع عن حق العرب في فلسطين . ومما يؤثر عنه ، انه كان يشتري قطع السلاح من ماله الخاص، ويمد به المناضلين عن ذلك الجزء الغالي من وطننا المفدى .

منذ بضعة اعوام ، عين مديرا للعلاقات في وزارة الاعلام السورية ، فقام بواجبه احسن قيام ، وبذل جهودا قوية ، لتحويل وجهة نظر الصحافة الاوروبية في تحليل موقف البلاد العربية من القضية الفلسطينية ، وبيّن ان العرب هم اصحاب الحق في فلسطين ، وهم سكانها الاصليون منذ آلاف السنين . وقد ظهر اثر ذلك ، في عدد لا يستهان به ، من الاذاعات والصحف الالمانية والانكليزية ، وفي بلاد اوروبية اخرى .

كتب كثيرا من المقالات ، وترجم الى لغة الضاد ، عدة كتب من مختارات الشعر والنثر في اوروبا ، ونقد كتابها نقدا مبنيا على اسس العلم والمنطق والنزاهة المثلى .

وفي اول عام ١٩٦٤ ، اصيب بسرطان الرئة ، ولم يتمكن الاطباء من اكتشافه الا في شهر سبتمبر (ايلول) من السنة نفسها ، فقرروا ان تجرى له عملية يستأصل فيها القسم المصاب من الرئة اليمنى . ولكن الداء الوبيل تسرب بعد العملية ، الى الرئة اليسرى ثم الى الكبد والجهاز الهضمي ، ولم يعد للعلم حيلة في انقاذ تلك الحياة الغالية ، رغم تجنيد كبار الاطباء والجراحين الدوليين ، الذين اشتركوا في المؤتمر الطبي بدمشق .

وفي اليوم السابع من مايو (ايار) ١٩٦٥ ، وكان صبيحة يوم عيد ميلاده ، استأثرت به رحمة الله ، بعد ان ودع زوجته واخاه عدنان ، وعددا من اهله واصدقائه الوداع الاخير .

وها نحن نثبت الكلمة العاطفية الرقيقة ، التي ودعه بها صديقه وصديقنا الطبيب الشاعر الدكتور علي الناصر :

اورخان : ان شعورك العميق بالحياة ، وشوقك اللايحد اليها ، وغباء الوجود ، قد مزقك ذرة ذرة بلا رحمة . ولقد تحملت هذا التمزق الجائر طوال عمرك بصبر عجيب ، وفلسفة اعجب ، حتى ان السرطان اراد اختبار شدة آلامه فانتقاك لها .

يا صنو نفسي الحبيب : ان الخمر ، الحب ، البحث ، لا تستطيع تبديل لمحة من زمن في كون لا حدود له ، وما الكون ؟.. وما الزمن ؟..

ها قد اغمضت عينيك العميقتين ، ورقد دماغك عن عبث التفكير ، فاين انت الآن من الكون ، والزمن وخلجات الحياة ؟..

فيا لتفاهة الحياة والموت لولا تلك الومضات التي كانت تخدرنا في تلك الامسيات ، وتحجب بصائرنا عن الواقع .

ان ومضات الحياة المبدعة مهما قصرت ومهما شحنت بانواع ، هي فخر هذا التصادف الاصم ، الاعمى لهذا الكون الجمادي السادر في دورانه الى ابد الآبدين .

يا صنو نفسي .

انك تخليت عني وعن رفيقتك الصابرة ، وتركتنا الى حزن لا يخمد جذوته الا الذي اخمدها عندك فالى اللقاء :

اورخان موتك قد بنى ... لك ذكريات من وفاء
ترتادها روحي الحزينة ... في الصباح .. وفي المساء ..
امسيت اقرب لي واوضح ... رغم مهزلة الفناء

حلب ـ مجلة الضاد